

تفسير القرآن العزيز

لأبي زَيْن

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَيْن

(٣٢٤ - ٣٩٩ هـ)

رُطِبَ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ مُّخَفَّفًا عَلَى نَسْخِ فُطَيْةٍ

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة محمد بن مصطفى الكمر

النَّاشِرُ

الفاؤوق الحادش للطنابك والنشر

فهرس الموضوعات

- ٧ من قصيدة في مدح التفسير
- ٩ المقدمة
- ١١ منهج العمل في تحقيق الكتاب
- ١٧ الباب الأول: ابن أبي إمين
- ١٨ مصادر ترجمة ابن أبي زمنين
- ٢٠ ترجمة ابن أبي زمنين
- ٢٤ ثناء العلماء على ابن أبي زمنين
- ٢٧ الباب الثاني: تفسير ابن أبي زمنين
- ٢٨ توثيق نسبة التفسير إلى ابن أبي زمنين
- ٣٠ منهج ابن أبي زمنين في تفسيره
- ٣٤ الشواهد عند ابن أبي زمنين
- ٣٥ أولاً: القرآن الكريم بقراءاته
- ٤٠ ثانياً: الحديث النبوي الشريف والآثار
- ٤٣ ثالثاً: أقوال العرب الفصحاء
- ٤٤ رابعاً: المرويات الشعرية
- ٤٧ القضايا النحوية في تفسير ابن أبي زمنين
- ٥٦ القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين

٦٠	<u>المؤاخذات على تفسير ابن أبي زمنين</u>
٦٥	<u>إسناد ابن أبي زمنين إلى يحيى بن سلام</u>
٧٠	<u>التوصيف العلمي للنسخ الخطية للتفسير</u>
٧٥	<u>الباب الثالث: يحيى بن سلام وتفسيره</u>
٧٦	<u>مصادر ترجمة يحيى بن سلام</u>
٧٨	<u>ترجمة يحيى بن سلام</u>
٨٣	<u>يحيى بن سلام بين الجرح والتعديل</u>
٨٧	<u>أوهام يحيى بن سلام وأفراده</u>
٩٩	<u>تفسير يحيى بن سلام</u>
١٠٣	<u>صور المخطوط</u>
١١٣	<u>مقدمة المؤلف</u>
١١٧	<u>باب ما جاء في بسم الله الرحمن الرحيم</u>
١١٨	<u>تفسير سورة الفاتحة</u>
١٢٠	<u>تفسير سورة البقرة</u>
٢٧٤	<u>تفسير سورة آل عمران</u>
٣٤٤	<u>تفسير سورة النساء</u>
٤٢٧	<u>فهرس الموضوعات</u>

فهرس الموضوعات

٥ تفسير سورة المائدة
٥٨ تفسير سورة الأنعام
١١١ تفسير سورة الأعراف
١٦٤ تفسير سورة الأنفال
١٩١ تفسير سورة براءة
٢٤٣ تفسير سورة يونس
٢٧٧ تفسير سورة هود
٣١٥ تفسير سورة يوسف
٣٤٤ تفسير سورة الرعد
٣٦١ تفسير سورة إبراهيم
٣٧٩ تفسير سورة الحجر
٣٩٤ تفسير سورة النحل
٤٢٥ فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

٥ تفسير سورة الإسراء
٤٧ تفسير سورة الكهف
٨٧ تفسير سورة مريم
١١٠ تفسير سورة طه
١٣٩ تفسير سورة الأنبياء
١٦٦ تفسير سورة الحج
١٩٣ تفسير سورة المؤمنون
٢١٧ تفسير سورة التور
٢٥٢ تفسير سورة الفرقان
٢٧٠ تفسير سورة الشعراء
٢٩٣ تفسير سورة التمل
٣١٦ تفسير سورة القصص
٣٣٩ تفسير سورة العنكبوت
٣٥٤ تفسير سورة الروم
٣٧٢ تفسير سورة لقمان
٣٨٠ تفسير سورة السجدة
٣٨٦ تفسير سورة الأحزاب
٤١٧ فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

٥	تفسير سورة ساء
٢٣	تفسير سورة فاطر
٣٨	تفسير سورة يس
٥٥	تفسير سورة الصافات
٨٠	تفسير سورة ص
١٠٢	تفسير سورة الزمر
١٢٥	تفسير سورة غافر
١٤٥	تفسير سورة فصلت
١٦١	تفسير سورة الشورى
١٧٥	تفسير سورة الزخرف
١٩٨	تفسير سورة الدخان
٢٠٩	تفسير سورة الجاثية
٢٢١	تفسير سورة الأحقاف
٢٣٤	تفسير سورة محمد ﷺ
٢٤٨	تفسير سورة الفتح
٢٦٠	تفسير سورة الحجرات
٢٦٨	تفسير سورة ق

٢٨٢	<u>تفسير سورة الذاريات</u>
٢٩٣	<u>تفسير سورة الطور</u>
٣٠٥	<u>تفسير سورة النجم</u>
٣١٥	<u>تفسير سورة القمر</u>
٣٢٥	<u>تفسير سورة الرحمن</u>
٣٣٦	<u>تفسير سورة الواقعة</u>
٣٤٨	<u>تفسير سورة الحديد</u>
٣٥٧	<u>تفسير سورة المجادلة</u>
٣٦٥	<u>تفسير سورة الحشر</u>
٣٧٥	<u>تفسير سورة الممتحنة</u>
٣٨٢	<u>تفسير سورة الصف</u>
٣٩٠	<u>تفسير سورة الجمعة</u>
٣٩٤	<u>تفسير سورة المنافقين</u>
٣٩٧	<u>تفسير سورة التغابن</u>
٤٠١	<u>تفسير سورة الطلاق</u>
٤٠٧	فهرس الموضوعات

نفسناير القدرة العزيم

لابن أبي زمنين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين
(٢٢٤ - ٣٩٩ هـ)

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة
محمد بن مصطفى الكنز

المجلد الأول
الفاتحة - النساء

الناشر
إفريقيا الشرق للطباعة والنشر

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو إعادة
طبعه أو تصويره أو اختزان مادته العلمية
بأى صورة دون موافقة كتابية من الناشر .

الناشر : **الإبارة للطباعة والنشر**

خلف ٦٠ ش راتب باشا - جداول شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : **تفسير القرآن العزيز**

تأليف : **أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زَمَنِين**

تحقيق : **حسین بن عكاشه و محمد مصطفى الكنز**

رقم الإيداع : **١٧٧٧٤ / ٢٠٠١**

الترقيم الدولي : **977-5704-67-7**

الطبعة : **الأولى**

سنة النشر : **١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م**

طباعة : **الإبارة للطباعة والنشر**



مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المحمود بكل لسان، المعروف بالجد والإحسان، الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه الأكرمين، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين.

أما بعد

تشرف مؤسسة الفاروق الحديثة للطباعة والنشر أن تقدم للأمة الإسلامية هذا التفسير القيم استكمالاً لمسيرتها المباركة في خدمة كتاب الله العزيز، والسنة المشرفة، على نفس نهجها القويم في إخراجها بصورة قشبية، وانتقاء الأعمال العلمية التي تمس الحاجة إلى إخراجها وإسناد التحقيق إلى الباحثين الموثوق بهم ديناً وعلماً، ثم إخراج العمل في أزهى صورة من التنضيد والطباعة.

ولا يخفى كم تعاني أمتنا الآن من عبث العابثين بالتراث والجرأة عليه؛ مما عمت به البلوى ولا حول ولا قوة إلا بالله، فحري بكل دار تتصدر لإخراج هذا التراث الغالي أن تحرص على الاهتمام به لأنها ستسأل عليه، وإنه ليسعدنا ويشرفنا أن نقدم لأمتنا الإسلامية هذا الكتاب القيم «تفسير القرآن العزيز» للإمام القدوة ابن أبي زمنين (٣٢٤ - ٣٩٩هـ) وهو تفسير جليل، يطبع لأول مرة، وهو تفسير يمتاز بكونه مناسباً لكل الطبقات حتى صار تبصرة للمبتدئ ولا يستغني عنه المتتبع، هذا مع تميزه في الجمع بين مدارس التفسير المختلفة من التفسير اللغوي، والتفسير المسند، وذكر القراءات، إلى

غير ذلك، مع تميزه في بابه، مما جعله من كتب التفسير التي لا يستغني عنها الباحث.

هذه الموسوعة العلمية الجديدة التي تأتي ضمن سلسلة إصداراتنا للموسوعات العلمية التي ترى النور لأول مرة بعد أن كانت حبيسة خزانات المخطوطات - ككتاب إكمال تهذيب الكمال، وكتاب التحقيق لابن الجوزي.

أو التي تخرج لأول مرة بصورة علمية دقيقة - بعد أن خرجت بصورة غير لائقة - كالموسوعة الفقهية الكبرى - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد الذي رتبناه على الأبواب الفقهية للموطأ وقمنا بضبطه على عدد من المخطوطات، وكتاب لسان الميزان للحافظ ابن حجر، الذي قمنا بضبطه على خمس نسخ خطية، والحمد لله رب العالمين.

وختامًا: نشكر القائمين على دار الكوثر للتأليف والتحقيق والترجمة والعاملين بها، لما بذلوه في تحقيق هذا السفر المبارك، سددهم الله ووفقهم وجزاهم الله خيرًا.

ونسأل الله - عز وجل - أن ينفعنا وجميع المسلمين بهذا التفسير العظيم، وأن يجعله حجة لنا لا علينا.

والحمد لله رب العالمين

الناشر

قالوا عن تفسير ابن أبي زمنين

كتاب من التفسير بالحق ينطق
ويُخبر عن وحي الإله فيصدق
وفيه علوم من فنون كثيرة
على كل من معانيه رونق
لغات وإعراب وآثار صحة
وموعظة تُبكي العيون فتصدق
رواها ثقات عن ثقات تقدموا
وكلهم برّ تقي موفّق
قراءتها حرّ لمن كان طائعاً
وأمن لما منها يخاف ويرفق
فردّ جميل في الحياة وزينة
وروضة ذكر زهر الدهر مونق^(١)

(١) من قصيدة في مدح التفسير، كتبت على غلاف نسخة المتحف البريطاني.

مقدمة المحقق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستعديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

[آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا

كثيرًا ونساءً واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١]

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة.

فإنه ليسعدنا أن نقدم لمشايخنا وعلمائنا وطلبة العلم في كل مكان كتاب

«تفسير القرآن العزيز»

للإمام القدوة الزاهد أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين - شيخ

قرطبة (٣٢٤ - ٣٩٩ هـ).

وهو تفسير يمتاز بالإيجاز، وسهولة العرض، وعدم الخوض في الخلافات

الفرعية، مع عمق الفهم وأصالة الاستدلال، والسلامة من البدع؛ يفتح لقارئه

بدقائق إشاراته أبوابًا من العلم.

هذَّب فيه ابن أبي رَمَين تفسير الإمام العلامة: يحيى بن سلام - الذي قال عنه الإمام أبو عمرو الداني: ليس لأحد من المتقدمين مثله - وزاد فيه تفسير ما لم يفسره يحيى، وتكلم على القراءات وتوجيهها، وذكر اللغات والإعراب؛ فأحسن وأجاد؛ جمع بين التفسير المسند، وذكر القراءات والإعراب واللغات؛ فأصبح هذا الكتاب تبصرة للمبتدئ في علم التفسير، وتذكرة للمتتهي، مع فوائد حديثة جمة.

وقد حققناه تحقيقًا علميًا، ووثقنا القراءات واللغات والأشعار، وضبطنا الأسانيد، وخرجنا الأحاديث وتكلمنا على طرقها وعللها، ونقلنا كثيرًا من كلام أئمة الحديث عليها وقدمنا له مقدمة دراسية راثقة، وصنعنا له فهرس علمية دقيقة؛ فزدنا الكتاب - بحمد الله تعالى - حسنًا إلى حسنه، وجمالًا إلى جماله.

والكتاب بهذه الصورة يناسب كل الطبقات، فسيجد فيه طالب التفسير كثيرًا من دقائق التفسير ولطائفه، وسيجد طالب الحديث كثيرًا من الفوائد في الأسانيد والمتون، وسيجد طالب علوم اللغة كثيرًا من دقائق الإشارات اللغوية والفوائد النحوية، كذلك ينهل منه - بحمد الله - كل طلبة العلم والدعاة. نسأل الله أن ينفع به كل من عمل فيه، وساعد على طبعه ونشره، وسائر المسلمين، وأن يتقبله منا قبولًا حسنًا؛ إنه هو السميع العليم.

المحققان

محمد بن مصطفى الكنز

أبو عبد الله حسين بن عكاشة

منهج العمل في تحقيق الكتاب

بغية إخراج الكتاب في أحسن حلية، وتخليصه في شوائب التصحيف والتحريف والسقط، وتحقيقه تحقيقًا علميًا دقيقًا اتبعنا المنهج التالي:

قام الأخ/ محمد سلطان - جزاه الله خيرًا - بنسخ الكتاب من نسخة الأصل، وهي نسخة كلية القرويين.

ثم قام الأخوان: محمد سلطان ومحمد مصطفى الكنز بمقابلة أغلب الكتاب على نسخة الأصل، بحيث كان محمد سلطان ممسكًا بالأصل، ومحمد الكنز يقرأ عليه المنسوخ منه، وأتم مقابلة الكتاب الأخوان: وليد بن أحمد وحسام بن عبد الله.

ولما كان هذا الكتاب هو كتاب تفسير للقرآن الكريم - كلام ربنا المجيد - كان لابد لنا من الحرص التام على إخراجه في أحسن صورة من ضبط نصه وتوثيقه وتحقيقه والتعليق عليه بما يزيده حسنًا إلى حسنه، فقد راعينا التخصص الدقيق في العمل، فدفع الكتاب أولًا إلى الأخ/ محمد بن مصطفى الكنز - وهو معروف بتخصصه في علوم اللغة وإجاده فيها وسعة اطلاعه على كتب اللغة والأدب، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا، وقد شارك في تحقيق عددًا من كتب التفسير وغيرها قبل ذلك - فقام بما يلي :

قام بمقابلة الكتاب على نسخة المتحف البريطاني، وأثبت الفروق الجوهرية بين النسختين، وأثبت ما سقط من نسخة الأصل، ونَبّه على ذلك في الهوامش.

قام بعد ذلك بتخريج الشواهد الشعرية من دواوين الشعراء وكتب اللغة والأدب وكتب التفسير وغيرها، مع ذكر البحور الشعرية لها، وربما ذكر

اختلاف روايات الشاهد إن كان هناك اختلاف..

وقام بتوثيق الآراء النحوية من مصادرها، والنقول اللغوية من معاجم اللغة، ونبّه على بعض المعاني الدقيقة والفروق اللطيفة في استخدام الكلمات.

وقام بتخريج القراءات التي ذكرها المؤلف ونسبها إلى من قرأ بها من القراء، وربما ذكر توجيهها.

وترجم لبعض أعلام الشعراء والنحاة واللغويين الواردة في الكتاب.
عزا بعض الآيات القرآني المستشهد بها في التفسير إلى مواضعها من المصحف الشريف، وذكر بعض مواطن إحالات المؤلف.

ثم دُفع الكتاب إلى الأخوين عبد الله بن سليمان ومحمد بن جمعة لعزو أحاديثه عزوا سريعاً دون توسع.

وحرصاً على السداد أو المقاربة منه دُفع الكتاب بعد هذا الجهد الكبير المبذول فيه إلى الأخ/ حسين بن عكاشة - أحد المشتغلين بعلم الحديث النبوي الشريف الذين لهم دربة جيدة في تحقيق المخطوطات، وصبر وجلد على قراءتها، واطلاع واسع على كتب الحديث وغيرها، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحد، وقد شارك في تحقيق عددًا كبيرًا من كتب الحديث والتفسير وغيرهما، وقد لاقت تحقيقاته قبولاً حسناً في الأوساط العلمية بحمد الله تعالى - فقام بما يلي:

قابل الكتاب على نسخته مرة ثانية من أول سورة الأنعام إلى آخر سورة الدخان مقابلة حرفية، بحيث كان ممسكاً بالأصل الخطي ويُقرأ عليه المنسوخ، ثم عهد إلى الأخوين وليد أحمد ومجدي السيد بمقابلة ما بقي من

التفسير مرة أخرى.

قابل المواطن المشكلة على النسختين الخطيتين مرات عديدة.

راجع الكتاب، وعلق على بعض المواطن التي تحتاج إلى تعليق: من ذكر لتفسير آخر أقوى من اختيار المؤلف، أو تجلية لمسألة تعرض لها المؤلف، أو نقد لرأي، أو بيان لبعض الإسرائيليات المنكرة، أو تعليق على مسألة الناسخ والمنسوخ، أو نحو ذلك، فنقل كلام أئمتنا الأعلام فيما يتعلق بهذه الأمور، ملتزمًا في ذلك كله الاختصار غير المخل، إن شاء الله.

ضبط أسانيد الأحاديث ومتونها، ونبه على ما وقع فيها من سقط أو تحريف أو تصحيف، ونبه على ما تكرر منها في الكتاب.

خرج أحاديث الكتاب، وتوسع في ذكر طرقها وعللها وكلام العلماء عليها، وقد كان هذا التوسع مقصودًا؛ لسبب ذكره في ترجمة يحيى بن سلام.

استوفى عزو الآيات القرآنية المستشهد بها في التفسير إلى مواضعها من المصحف الشريف، واستوفى مواطن إحالات المؤلف.

راجع تخريج القراءات، واستوفى تخريج ما لم يخرج منها، خصوصًا لم ينبّه المؤلف على اختلاف القراء فيه، إنما ذكر مخالفًا في الرسم لقراءة حفص، حيث أن المؤلف يقرأ بقراءة نافع - كما سيأتي - وقد وضعنا أعلى التفسير المصحف الشريف على قراءة حفص عن عاصم، وإنما ذكرت هذه القراءات حتى لا يتوهم أحد أنها أخطاء مطبعية.

كتبنا دراسة علمية كمدخل للكتاب، قسمناها إلى مقدمة، ومنهجنا في التحقيق، وثلاثة أبواب:

الباب الأول: خصصناه لترجمة ابن أبي زمنين، في ثلاثة فصول:

الفصل الأول: مصادر ترجمة ابن أبي زمنين.

الفصل الثاني: ترجمة مختارة لابن أبي زمنين.

الفصل الثالث: ثناء العلماء على ابن أبي زمنين.

الباب الثاني: خصصناه لدراسة «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين، في ثمانية فصول:

الفصل الأول: توثيق نسبة الكتاب إلى مؤلفه.

الفصل الثاني: منهج ابن أبي زمنين في تفسيره.

الفصل الثالث: الشواهد عند ابن أبي زمنين.

الفصل الرابع: القضايا النحوية في تفسير ابن أبي زمنين.

الفصل الخامس: القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين.

الفصل السادس: المؤاخذات على تفسير ابن أبي زمنين.

الفصل السابع: إسناد ابن أبي زمنين إلى يحيى بن سلام.

الفصل الثامن: التوصيف العلمي للنسخ الخطية.

الباب الثالث: خصصناه للكلام على يحيى بن سلام وتفسيره، في خمسة فصول:

الفصل الأول: مصادر ترجمة يحيى بن سلام.

الفصل الثاني: ترجمة مختارة ليحيى بن سلام.

الفصل الثالث: يحيى بن سلام بين الجرح والتعديل.

الفصل الرابع: أوهام يحيى بن سلام وأفراده.

الفصل الخامس: تفسير يحيى بن سلام.

ثم وضعنا في آخر هذه الدراسة صورًا ضوئية لبعض لوحات النسخ الخطية. وقد اقتسمنا العمل في هذه الدراسة، فكتب الأخ محمد بن مصطفى الكثر «منهج ابن أبي زمنين في تفسيره» و«الشواهد عند ابن أبي زمنين» و«القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين» و«القضايا النحوية في تفسير ابن أبي زمنين» وكتب مسودات بعض الموضوعات الأخرى، ثم علق الأخ حسين بن عكاشة على بعض نقاط هذه الموضوعات في الهوامش، وزاد بعد الزوائد بين قوسين، وتصرف في بعض المواطن تصرفات يسيرة، وكتب باقي موضوعات الدراسة.

ثم عهد الأخ حسين بن عكاشة إلى الأخوين ياسر بن كمال ومجدي بن السيد أمين بعمل الفهارس العلمية للكتاب كما حددها لهم، وهي:

١- فهرس الأحاديث والآثار على ترتيب حروف المعجم.

٢- أطراف الأحاديث على ترتيب مسانيد الصحابة.

٣- فهرس القراءات الواردة في الكتاب على ترتيب السور.

٤- فهرس الأشعار على ترتيب القوافي.

٥- فهرس المواد اللغوية التي شرحها المؤلف.

٦- معجم شيوخ يحيى بن سلام.

وقد خولنا مراجعة تجارب الكتاب إلى مجموعة من الإخوة العاملين بدار الكوثر - جزاهم الله خيرًا - قد كان لهم الفضل في التنبيه على كثير من

المواضع المشككة التي تحتاج إلى مراجعة أو تعليق، وكذلك في ضبط بعض الكلمات التي نذت عن المحققين، جزاهم الله خيرًا جميعًا، ونخص منهم بالذكر الأخ الفاضل: أبا إسلام عبد العال بن مسعد، الذي كان له الجهد الأكبر في مقابلة تجارب الكتاب، ووضع كثيرًا من علامات التقييم أيضًا.

ونقدم بجزيل الشكر إلى أخينا الأكبر/ غنيم بن عباس بن غنيم صاحب دار الكوثر، الذي صور لنا النسختين الخطيتين للكتاب، وعهد إلينا بتحقيق الكتاب، جزاه الله خيرًا.

ونخص بالشكر كذلك الأخ/ محمود بن عطية الفقي الذي قام بالجمع التصويري للكتاب.

هذه الخطوط العامة لعملنا في الكتاب، نسأل الله أن يسدد خطانا في سبيل تحقيق كتب أئمتنا وإخراجها على أحسن الوجوه، وأن ينفعنا بها والمسلمين؛ إنه جواد كريم، والحمد لله رب العالمين.

الباب الأول ابن أبي زمنين

الفصل الأول: مصادر ترجمة ابن أبي زمنين

الفصل الثاني: ترجمة ابن أبي زمنين.

الفصل الثالث: ثناء العلماء على ابن أبي زمنين.

الفصل الأول

مصادر ترجمة ابن أبي زمنين رحمته الله ^(١)

«الأعلام» للزركلي (٢٢٧/٦).

«إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»

لإسماعيل باشا البغدادي (٤٢٤/١).

«بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس» للضبي (٨٧ - ٨٨).

«تاريخ الأدب العربي» لكارل بروكلمان (٤٠٤/٢ - ٤٠٥).

«تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام» للذهبي (٣٧٩/٢٤ - ٣٨١).

«تاريخ التراث العربي» ^(٢) لفواد سزكين (١٠٥/١ - ١٠٦).

«تذكرة الحفاظ» للذهبي (١٠٢٩/٣).

«ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» للقاضي

عياض (٦٧٢/٤ - ٦٧٤).

«جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس» للحميدي (ص ٥٣).

«الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» لابن فرحون (٣٦٥ -

٣٦٦).

«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٨٨/١٧ - ١٨٩).

«شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» لابن مخلوف (١٠١/١).

(١) رتب المصادر ترتيبًا معجميًا على حسب أسمائها.

(٢) عزا بعضهم ترجمة لتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي (٨٠/٢) ولم أقف عليها فيه في هذا الوطن ولا في غيره، والله أعلم.

- «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» لابن العماد (٣/١٥٦).
- «الصلة» لابن بشكوال (٢/٤٨٢ - ٤٨٤).
- «طبقات المفسرين» للسيوطي (٨٩ - ٩٠).
- «طبقات المفسرين» للداودي (٢/١٦٥ - ١٦٦).
- «العبر في أخبار من عبر» للذهبي (٢/١٩٦).
- «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه» (١/٦٤).
- «معجم المؤلفين» لعمر رضا كحالة (١٠/٢٢٩ - ٢٣٠).
- «هدية العارفين» (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) لإسماعيل باشا البغدادي (٢/٥٨).
- «الوافي بالوفيات» للصفدي (٣/٣٢١)^(١).
- «الوفيات» للقسنطي (ص ٢٢٥ - ٢٢٦).

(١) وقد فانت ترجمته عدة كتب هو على شرطها، كـ «البداية والنهاية» لابن كثير، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان و«وفات الوفيات» للكتبي وغيرها.

الفصل الثاني

ترجمة ابن أبي زمنين

لما وقفت على تراجم ابن أبي زمنين في الكتب السابقة رأيت أن من أفضلها: ترجمة القاضي عياض له؛ فوقع اختياري لها لأثبت نصها، ثم أعلق عليها تعليقات نافعة - إن شاء الله - فأقول:

قال القاضي عياض «في ترتيب المدارك» (٤/٦٧٢ - ٦٧٤):

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن أبي زَمْنين^(١) المري^(٢) البيري^(٣) أصله من العدو من نفزة^(٤)، تفقه بقرطبة عند أبي إبراهيم، وسمع منه، ومن وهب بن مسرة، وابن الجزار القروي، وابن المشاط، وأبان بن عيسى بن محمد، وأحمد بن حزم، وابن فحلون، وابن الأحمر، وابن العطار صاحب الورد.

وسمع من أبيه، ومحمد بن قاسم بن هلال.

تفقه به أهل بلده وغيرهم.

وحدث عنه أبو زكريا القلعي، وأبو عمر بن الحذاء، وحكم بن محمد،

(١) بفتح الميم، ثم كسر النون. قاله الذهبي في «السير» (١٧/١٨٩).

وقال أبو عمرو الداني: سمعته يقول: أصلنا من تنيس. وسُئل: لم قيل لكم: بنو زمنين؟ فلم يعرف، وقال: كنت أهاب أبي؛ فلم أسأله. اهـ. «الصلة» (٢/٤٨٣).

(٢) المرية: بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها، مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس. معجم البلدان (٥/١٤٠).

(٣) إلبيرة: بهزة قطع، وبعضهم يقول: لبيرة. وربما قالوا: لبيرة. وهي كورة كبيرة من الأندلس، ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة، بين القبلة والشرق من قرطبة، بينها وبين قرطبة تسعون ميلا، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار، وفيها عدة مدن. «معجم البلدان» (١/٢٨٩).

(٤) نفزة: بالفتح، ثم السكون، وزاي، مدينة بالمغرب بالأندلس. «معجم البلدان» (٥/٣٤٢).

وهشام بن سوار، والقاضي يونس، وحسين بن غسان، وأبو عبد الله بن الحصار.

قال ابن عفيف: كان من كبار المحدثين والفقهاء الراسخين في العلم.
قال ابن مفرج: كان من أجل أهل وقته حفظاً للرأي، ومعرفة بالحديث واختلاف العلماء، وافتناناً في الأدب والأخبار، وقرض الشعر، إلى زهد وورع واقتفاء لآثار السلف، وكثرة العمل والبكاء والصدقة والمواساة بماله وبجاهه، وبيان ولهجة، ما رأيت قبله ولا بعده مثله، قدم قرطبة فسمع منه بها الناس سنة ثمان وسبعين.

قال الخولاني: كان رجلاً زاهداً صالحاً من أهل الحفظ والعلم، آخذاً في المسائل، قائماً بها، متقشفاً واعظاً له أشعار حسان في الزهد والحكم، له رواية واسعة، وكان حسن التأليف، مليح التصنيف، مفيد الكتب في كل فن^(١).

كتابه «المغرب في اختصار المدونة وشرح مشكلها، والتفقه في نكت منها» ليس في مختصراتها مثله باتفاق. قال ابن سهل: هو أفضل مختصرات المدونة وأقربها ألفاظاً ومعاني لها.

وكتاب «المنتخب في الأحكام»^(٢) الذي ظهرت منفعة، وطار بالمشرق

(١) ذكر مصنفاته كما هنا ابن فرحون في «الديباج المذهب» والداودي في «طبقات المفسرين» وذكر أغلبها الذهبي في «تاريخ الإسلام» وذكر بعضها في «السير» وذكر بعضها السيوطي في «طبقات المفسرين».

(٢) له نسختان خطيتان في مدريد:

الأولى: رقم (٣٩) تقع في (١٠٨) ورقة نسخت سنة (٥٢٦هـ).

والثانية: رقم (٣/٩٨) تقع في (٣٠) ورقة، كتبت في القرن السادس الهجري. وطبع في الجزائر سنة (١٣٠٨هـ).

«تاريخ الأدب العربي» (٤٠٥/٢) و«تاريخ التراث العربي» (١٠٦/١).

والمغرب ذكره.

- وكتاب «المهذب في اختصار شرح ابن مزين للموطأ».
- وكتاب «المشتمل» في علم الوثائق.
- وكتاب «مختصر تفسير ابن سلام للقرآن»^(١).
- وكتاب «حياة القلوب» في الرقائق والزهد.
- وكتاب «أنس المرید»^(٢) في مثله.
- وكتاب «أدب الأسلام».
- وكتاب «أصول السنة»^(٣).
- وكتاب «قدوة الغازي»^(٤).
- وكتاب «منتخب الدعاء».
- وكتاب «المواعظ».
- وكتاب «النصائح المنظومة» من شعره.
- وله شعر في المواعظ والرقائق والزهد كثير جداً حسن، فمنه قوله:

(١) وهو كتابنا هذا، وسيأتي الكلام عليه مفصلاً.

(٢) وقع في «الديباج المذهب» و«طبقات المفسرين» للداودي: «أنس المریدین» وفي هدية العارفين: «أنس الوحيد».

(٣) نسخته الخطية في سراي ريفان كوشك (٢/٥١٠) من (١٢٦ - ١٤٦) كتبت سنة (١٠٨٤هـ). تاريخ الأدب العربي (٤٠٤/٢) وتاريخ التراث العربي (١٠٦/١).

وقد طبع بتحقيق عبد الله بن محمد بن عبد الرحيم بن حسين البخاري، في مكتبة الغرباء الأثرية.

(٤) نسخته الخطية في مدريد (٤/٥٧٥) في أربع ورقات.

«تاريخ الأدب العربي» (٤٠٥/٢)، و«تاريخ التراث العربي» (١٠٦/١).

أيها المرء إن دنياك بحر
وطريق النجاة منها مبين
وقوله:

خليلي أنا للذي تعلمانه
شديد الجوي جم الأسى محرق
واني مجير عند من قد عصيته
وقوله:

وذي لوعة راحت زفراته
له في دجى الأظلام خلوة مخلص
إذا ما تلا التنزيل وانكشفت
وإن لحظت عين المبين سعادة
بنفسي ولي أنسه بمليكه
وتوفي بالبيرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، مولده آخر سنة أربع وعشرين
وثلاثمائة، وخلف ابناً من الصالحين اسمه أحمد رحمته الله. اهـ.

قلت: ومن جيد شعره رحمته الله قوله^(١):

المَوْتُ فِي كُلِّ حِينٍ يَنْشُرُ الْكُفْنَ
لَا تَطْمِئِنُّ إِلَى الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا
أَيْنَ الْأَحِبَّةِ وَالْجِيرَانِ مَا فَعَلُوا
سَقَاهُمُ الدَّهْرُ كَأَسَا غَيْرَ صَافِيَةٍ

وَنَحْنُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِنَا
وإن تَوَشَّحْتَ مِنْ أَثْوَابِهَا الْحَسَنَاتِ
أَيُّ الدِّينِ هُمُوا كَانُوا لَنَا سَكَنَاتِ
فَصَيَّرَتْهُمْ لِأَطْبَاقِ الثَّرَى رُهْنَاتِ

(١) ذكره له الحميدي في «الجزوة» (ص ٧٥) والضبي في «البغية» (ص ٨٨) وابن بشكوال في «الصلة» (٢/ ٤٨٤) والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٤/ ٣٨٠).

الفصل الثالث

ثناء العلماء علي ابن أبي زمنين

قلت : استفاض ثناء العلماء على ابن أبي زمنين رحمته الله فمن ذلك - سوى ما تقدم - :

قال الإمام أبو عمرو الداني^(١) : كان ذا حفظ للمسائل ، حسن التصنيف ، وله كتب كثيرة ألفها في الوثائق والزهد والمواعظ منها شيء كثير ، وولع الناس بها ، وانتشرت في البلدان ، وكان يقرض الشعر ويجود صوغه ، وكان كثيرًا ما يدخل أشعاره في توليفه فيحسنها به ، وكان له حظ وافر من علم العربية ، مع حسن هدي ، واستقامة طريق ، وظهور نسك ، وصدق لهجة ، وطيب أخلاق ، وترك للدنيا ، وإقبال على العبادة ، وعمل للآخرة ، ومجانبة للسلطان ، وكان من الورعين البكائين الخاشعين . اهـ

وقال القاضي أبو عمر بن الحذاء^(٢) : لقيته بقرطبة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، وأجاز لي جميع روايته وتوابعه ، وكان ذا نية حسنة ، وعلى هدي السلف الصالح ، وكان إذا سمع القرآن وقرأ عليه ابتدرت دموعه على خديه . اهـ

وقال الحميدي^(٣) : فقيه مقدّم ، وزاهد متبتّل ، له تواليف متداولة في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين على طريقة كتب ابن أبي الدنيا ، وأشعار كثيرة في نحو ذلك^(٣) . اهـ

(١) نقله ابن بشكوال في «الصلة» (٢/٤٨٣) .

(٢) «جذوة المقتبس» (ص ٥٦ - ٥٧) .

(٣) نقلها الضبي في «بغية الملتزم» (ص ٨٧) .

وقال أبو عبد الله الخولاني^(١): وكان مع علمه وزهده من أهل السنة متبعًا لها. اهـ

وقال الذهبي^(٢): كان عارفًا بمذهب مالك بصيرًا به ... وكان من الراسخين في العلم، متفنيًا في الأدب والشعر، مقتفيًا لآثار السلف، له مصنفات في الرقائق والزهد، وشعر رائق، مع زهد ونسك وصدق لهجة، وإقبال على الطاعة، ومجانبة للسلطان ... وكان من بقايا حملة الحجة رحمته الله. اهـ

وقال الذهبي^(٣) أيضًا: الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة ... تفقه بإسحاق الطليطلي، وتفقه، واستبحر من العلم، وصنف في الزهد والرقائق، وقال الشعر الرائق، وكان صاحب جد وإخلاص ومجانبة للأمراء. ثم قال: وكان من حملة الحجة. اهـ.

وقال^(٤) أيضًا: الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى المري الأندلسي نزيل قرطبة وشيخها ومفتيها، وصاحب التصانيف الكثيرة في الفقه والحديث والزهد ... كان راسخًا في العلم، مفنيًا في الآداب، مقتفيًا لآثار السلف، صاحب عبادة وإنابة وتقوى، عاش خمسًا وسبعين سنة، وتوفي في ربيع الآخر، ومن كتبه «اختصار المدونة» ليس لأحد مثله. اهـ

وقال الصفدي^(٥): الإمام أبو عبد الله ... كان عارفًا بمذهب مالك،

(١) نقله ابن بشكوال في «الصلة» (٢/٤٨٤).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٢٤/٣٧٩ - ٣٨١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٧/١٨٨ - ١٨٩).

(٤) «المعبر» (٢/١٩٦) ونقلها بنصها ابن العماد في «الشذرات» (٣/١٥٦).

(٥) «الوافي بالوفيات» (٣/٣٢١).

متفتنًا في الأدب والشعر، مقتفيًا لآثار السلف.

وقال ابن فرحون^(١): هو من المفاخر العُزْناطية، كان من كبار المحدثين، والعلماء الراسخين، وأجلّ أهل وقته قدرًا في العلم والرواية والحفظ للرأي، والتمييز للحديث، والمعرفة باختلاف العلماء، متفتنًا في العلم والآداب، مضطلعًا بالإعراب، قارضًا للشعر، متصرفًا في حفظ المعاني والأخبار، مع النسك والزهد والاستئنان بسنن الصالحين، أمةً في الخير، عالمًا عاملاً، متبتلاً متقشفًا، دائم الصلاة والبكاء، واعظًا مذكّرًا بالله، فاشي الصدقة، معينًا على النائبة، مواسيًا بجاهه وماله ذا لسان وبيان، تُضغِي إليه الأفئدة، ما رُئي بعده مثله . . . وكان من كبار الفقهاء والمحدثين والراسخين في العلم، وكان متفتنًا في الأدب، وله قرض الشعر، إلى زهدٍ وورع واقتفاء لآثار السلف، وكان حسن التأليف، مليح التصنيف، مفيد الكتب. اهـ.

وقال السيوطي^(٢): الإمام أبو عبد الله الإلييري المعروف بابن أبي زمنين، كان عارفًا بمذهب مالك بصيرًا به، ومن الراسخين في العلم، متفتنًا في الأدب والشعر مقتفيًا لآثار السلف، مع الزهد والنسك، وصدق اللهجة، والإقبال على الطاعة، ومجانبة السلطان.

وقال ابن مخلوف^(٣): الفقيه الحافظ، إمام المحدثين، وقدوة العلماء الراسخين، كان من أجلّ أهل زمانه قدرًا في العلم والرواية والحفظ، مع التفنن في العلوم والزهد، والاستئنان بسنة الصالحين. اهـ.

(١) «الديباج المذهب» (ص ٣٦٥) ونقلها بنصها الداودي في «طبقات المفسرين» (٢/ ١٦٥ - ١٦٦).

(٢) «طبقات المفسرين» (ص ٨٩ - ٩٠).

(٣) «شجرة النور الزكية» (ص ١٠١).

الباب الثاني

تفسير ابن أبي زمنين

- الفصل الأول: توثيق نسبه إلى مؤلفه.
- الفصل الثاني: منهج ابن أبي زمنين في تفسيره.
- الفصل الثالث: الشواهد عند ابن أبي زمنين.
- الفصل الرابع: القضايا النحوية في تفسير ابن أبي زمنين.
- الفصل الخامس: القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين.
- الفصل السادس: المؤاخذات على تفسير ابن أبي زمنين.
- الفصل السابع: إسناد ابن أبي زمنين إلى يحيى بن سلام.
- الفصل الثامن: التوصيف العلمي للنسخ الخطية.

الفصل الأول

توثيق نسبة التفسير إلى ابن أبي زمنين

لا شك في نسبة هذا التفسير إلى ابن أبي زمنين، ومن الأدلة على صحة هذه النسبة:

ما جاء على غلاف النسختين الخطيتين المعتمدتين في تحقيق الكتاب، فقد اتفقتا على نسبته إلى ابن أبي زمنين، وسيأتي توصيف النسخ مفصلاً في بابه.

ما جاء في بداية النسختين كليهما، حيث اتفقتا على ذلك.

إسناد المؤلف إلى يحيى بن سلام إسناد معروف روى به ابن أبي زمنين عدة أحاديث في كتابه «أصول السنة» وروى عنه الإمام أبو عمرو الداني في كتابه «السنن الواردة في الفتن» أحاديث كثيرة بهذا الإسناد، وقد أثبت ذلك في تخريجي لأحاديث التفسير مفصلاً، وستأتي تراجم رجال الإسناد مفصلة كذلك.

جاء في أول التفسير: «قال أبو عمرو: قُرى على أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين بقرطبة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة».

وهذا يتفق تماماً مع الواقع، فأبو عمر هو القاضي أبو عمر بن الحذاء قال في كلامه على ابن أبي زمنين: «لقيته بقرطبة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وأجاز لي جميع روايته وتواليه»^(١).

نقل القرطبي في تفسيره (٢٣٠/١٩) من هذا التفسير مصرحاً باسم المؤلف

(١) نقله عنه ابن بشكوال في «الصلة» (٢/٤٨٣).

ابن أبي زمنين، وكذلك نقل منه ابن بطال في «شرح البخاري» مصرحاً باسم المؤلف^(١).

نسب هذا التفسير إلى ابن أبي زمنين جمع ممن ترجم له منهم : القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٤/٦٧٣) والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٢٤/٣٨٠) وفي «سير أعلام النبلاء» (١٧/١٨٨) وابن فرحون في «الديباج المذهب» (ص ٣٦٦)^(٢) والسيوطي في «طبقات المفسرين» (ص ٩٠) والداودي في «طبقات المفسرين» (٢/١٦٦) والزركلي في «الأعلام» (٦/٢٢٧) وكحالة في «معجم المؤلفين» (١٠/٢٢٩) وكارل بروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (٢/٤٠٤) وفؤاد سزكين في «تاريخ التراث العربي» (١/١٠٨) وغيرهم.

هذا كله لا يدع مجالاً للشك في نسبة هذا التفسير إلى ابن أبي زمنين رَحِمَهُ اللهُ.

(١) نقله عنه ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/٦٠٨).

(٢) نسب له ابن فرحون وتبعه الداودي كتابين في التفسير الأول: «تفسير القرآن» والثاني: «مختصر تفسير ابن سلام» وأظنهما كتاباً واحداً، والله أعلم.

الفصل الثاني

منهج ابن أبي زمنين في تفسيره

لقد كفانا ابن أبي زمنين مؤنة البحث عن ملامح منهجه، حيث ذكره رحمته الله في مقدمة تفسيره؛ فقال:

«وبعد، فإنني قرأت كتاب يحيى بن سلام في تفسير القرآن، فوجدت فيه تكرارًا كثيرًا وأحاديث ذكرها يقوم علم التفسير دونها، فطال بذلك الكتاب، وإنه للذي خبرته من قلة نشاط أكثر الطالبين للعلوم في زماننا هذا، إلا إلى ما يخف في هذا الكتاب على الدارس، ويقرب للمقيد - نظرت فيه فاختصرت مكرره وبعض أحاديثه، وزدت فيه من غير كتاب يحيى تفسير ما لم يفسره يحيى، وأتبع ذلك إعرابًا كثيرًا ولغة على ما نقل عن النحويين وأصحاب اللغة السالكين لمناهج الفقهاء في التأويل، زائدًا على الذي ذكره يحيى من ذلك».

وإذا قمنا بتحليل ما قاله ابن أبي زمنين وجدناه يشتمل على ثلاثة معالم رئيسية:

أولاً: أنه ذكر سبب اختصاره لتفسير يحيى بن سلام؛ وهو أنه وجد فيه تكرارًا كثيرًا وأحاديث ذكرها يقوم علم التفسير بدونها حتى طال الكتاب بذلك التكرار، بحيث لا يتناسب وقلة نشاط أكثر الطالبين للعلوم الذين يبحثون عما يخف ويقرب.

ثانيًا: أنه ذكر منهجه، وهو اختصار المكرر، واختصار بعض الأحاديث.

ثالثًا: أنه أضاف زيادات على تفسير يحيى بن سلام، وتشمل هذه الزيادات

الكلام على تفسير ما لم يفسره يحيى من الآيات، ووجوه الإعراب، والقراءات وما أشكل من اللغات، وأن هذه الزيادات منقولة أصلاً عن أئمة النحو واللغة.

(وقد مُيزت زيادات ابن أبي زمنين على تفسير يحيى بأن أولها «قال محمد» يعني: ابن أبي زمنين).

وبنظرة مدققة للتفسير نجد أن هناك خطوطاً بارزة كونت طريقة خاصة لابن أبي زمنين في تفسيره؛ حيث يسير التفسير من مبتدئه إلى منتهاه على نسق واحد لا يعدوه فيمزج المصنف بين الآيات وتفسيرها، عن طريق تقطيع الآية إلى أجزاء يعقب كل جزء تفسيره، وقد يكون هذا الجزء المقتطع كلمة أو أكثر، حتى تخال الكلام واحداً، ممزوجة فيه الآيات بتفسيرها، وأحياناً يفصل بين الألفاظ القرآنية وتفسيرها بقوله: (يعني) أو (أي) ويتخلل ذلك بيان أقوال المفسرين من الصحابة أو التابعين، ثم يتعرض للمعاني المعجمية، وما ورد من لغات للفظ المفسر، مصحوباً ببيان المفرد والجمع، أو المذكر والمؤنث. ثم يفضّ المصنف إشكالاً نحويّاً قد يقع لِلْبَسِ أو غموض، فيقوم ببيان الوجه الإعرابي، وعلاقة هذا التوجه بمعناه الدلالي المتفق وتفسير الآية.

كل ذلك مصحوباً بوجوه القراءات القرآنية المختلفة، مع توجيه كل قراءة نحويّاً ومعجميّاً ودلاليّاً، لبيان المعنى المتفق والتفسير.

وقد تكون هذه القراءات للصحابة، أو التابعين، أو تكون قراءة سبعية أو عشرية، ثم إنه لا يستطرد في بيان الوجوه النحوية أو وجوه القراءات إلا في القليل.

ويُعقب المصنف ذلك ببيان الأحاديث والآثار التي وردت بشأن هذه الآية،

متضمنًا ذلك الحديث عن الناسخ والمنسوخ، والمدني والمكي، وأسباب النزول، وغير ذلك من مباحث علوم القرآن.

وهناك ملمح آخر يتعلق بمنهجه في التفسير؛ وهو الإكثار من الإحالة على السابق؛ وذلك خشية التكرار.

ومن أمثلة هذه الإحالات ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وأنعام حرمت ظهورها﴾ [الأنعام: ١٣٨].

قال محمد: وهو ما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وقد مضى تفسير هذا^(١).

وكذلك ما أورده عند تفسير قوله عز وجل: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ [الأنعام: ١٤٥].

قال محمد: قد مضى تفسير: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾^(٢).

إلى غير ذلك من هذه الإحالات التي يطالعها من يقرأ هذا التفسير، ولعل ذلك يتفق ومنهجه الذي أخذه على نفسه منذ البدء من الاختصار وعدم التكرار والإطالة.

(فالسمة العامة لهذا التفسير هي الإيجاز وسهولة العرض، وعدم الخوض في الخلافات الفرعية التي من الأحسن أن تذكر في مكان آخر؛ فمثلاً يترك ابن أبي زمنين الخوض في اختلاف الفقهاء في بعض الأحكام ويحيلها على كتب الأحكام، كما قال في تفسير سورة النساء (الآية: ١٠٢): ذكر يحيى سنة

(١) حيث يريد المصنف قوله عز وجل: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام...﴾ [المائدة: ١٠٣].

(٢) حيث يريد المصنف قوله عز وجل: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ [البقرة: ١٧٣].

صلاة الخوف، ونقل فيها اختلافًا؛ فاختصرت ذلك إذ له موضعه من كتب الفقه. اهـ.

وقال في آخر تفسير سورة النساء: ذكر يحيى في هذه السورة مسائل من الفرائض فاختصرت كثيرًا منها؛ إذ للفرائض بأسرها مواضعها من كتب الفقه، ولا توفيق إلا بالله. اهـ.

وكذلك عند ذكره للاختلافات النحوية إنما يشير إليها إشارة دون تفصيل للخلاف ومناقشة الآراء المختلفة.

وهكذا يسير هذا التفسير بيسر وسهولة مع عمق فهم وأصالة استدلال، فهو حقًا تبصرة للمبتدئ، وتذكرة للمتتبع في تفسير القرآن العزيز، يفتح لقارئه أبوابًا من العلم بدقائق إشارات وإيجاز عبارته؛ لينهل بعد ذلك من مطولات كتب التفسير، وإذا كان ابن أبي زمنين رحمته الله - وقد عاش في القرن الرابع الهجري - قد خبر قلة نشاط الطالبين للعلوم في زمانه، فكيف بنا ونحن نعيش في القرن الخامس عشر؟!.

الفصل الثالث

الشواهد عند ابن أبي زمنين

تعدد الشواهد عند ابن أبي زمنين في تفسيره لتشمل الشواهد النثرية،
والمرويات الشعرية، والتي يمكن تفصيلها فيما يلي:

أولاً: القرآن الكريم بقراءاته.

ثانياً: الحديث النبوي الشريف والآثار.

ثالثاً: أقوال العرب الفصحاء.

رابعاً: المرويات الشعرية.

وكانت تُساق هذه الشواهد للاحتجاج لقراءة قرآنية، أو لوجه نحوي، أو
لمعنى لغوي.

وإذا أردنا أن نجمل منهج ابن أبي زمنين في عرض هذه الشواهد فإنه يمكننا
أن نلاحظ ما يلي:

أحياناً كان يعزو القراءة إلى قارئها، وأحياناً أخرى يغفل ذلك.

كان لا يستطرد في ذكر أوجه القراءات المختلفة، وأحياناً يفضل بعض
الشيء.

كان يحتج للقراءة القرآنية بالمعاني المعجمية.

كان يوجه القراءة التي يذكرها إما نحوياً وإما لغوياً.

ابن أبي زمنين لكونه مغريباً يقرأ بقراءة نافع، وكان أحياناً ينص على عزو
القراءة إليه، وأحياناً أخرى لا يفعل ذلك.

تتراوح القراءات المذكورة في هذا التفسير بين قراءات الصحابة والتابعين والسبعة والعشرة.

كان ينسب الشاهد الشعري لقائله، وأحياناً يغفل ذلك .
هذه هي الخطوط العريضة لمنهجه في عرض الشواهد المختلفة، وفيما يلي تفصيلها:

أولاً: القرآن الكريم بقراءاته

(أما الآيات القرآنية فكان يستشهد بها في تفسيره؛ لأن أصح طرق التفسير: تفسير القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فُسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فقد بُسط في مكان آخر)^(١).

وأما القراءات، فلا بد أولاً من معرفة ضابط صحة القراءة وقبولها، قال ابن الجزري في «طية النشر»:

وكل ما وافق وجه النحو	وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصح إسناداً هو القرآن	فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختل ركن أثبت	شذوذه لو أنه في السبعة

وشرح ذلك في كتابه «النشر في القراءات العشر» فقال:

كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها؛ فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن؛ ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٦٣/١٣)، ومقدمة «تفسير ابن كثير» (٣/١).

المقبولين؛ ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم؛ هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونص عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، وحققه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة، وهو مذهب السلف الذي لا يُعرف عن أحد منهم خلافة. اهـ.

وقد أكثر ابن أبي زمنين من ذكر القراءات، فمن ذلك :

١- قراءات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين :

حفل تفسير ابن أبي زمنين بكثير من القراءات الواردة عن الصحابة، ولعل في ذلك إفادة كبيرة للباحثين المهتمين بجمع قراءاتهم ودراستها وتحليلها علمياً، وعقد المقارنات بينها.

ومن الملاحظ على هذه القراءات أن المصنف كان يعزوها إلى قرائها من الصحابة، أو يذكر من عزاها إليهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عند قوله تعالى : ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ [المائدة : ٨٩]. قال محمد : قال قتادة : وهي في قراءة ابن مسعود : (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) ^(١).

(١) وقد عزيت هذه القراءة أيضاً إلى أبي بن كعب رضي الله عنه. ينظر «البحر المحيط» (١٢/٤) و«معاني القرآن» للقراء (٣١٨/١) واقتصر القرطبي في تفسيره (٢٨٣/٦) على ابن مسعود وحده.

٢- قراءات عن التابعين:

كما ورد في قوله تعالى: ﴿فالق الإصباح﴾ [الأنعام: ٩٦] قال محمد: وكان الحسن يقرؤها: (الأصباح) جمع: صبح^(١).

ومثله عند قوله تعالى: ﴿فمستقر ومستودع﴾ [الأنعام: ٩٨] قال محمد: وكان الحسن يقرؤها: (فمستقر) بكسر القاف (ومستودع) وتفسيرها: مستقر في أجله، ومستودع في قبره من يوم يوضع فيه إلى يوم البعث^(٢).

٣- عزو القراءات إلى قرائها:

لابن أبي زمنين طريقتان في ذلك، إذ كان يعزو - أحياناً - القراءة لقارئها، وأحياناً لا يغفل ذلك.

ومن أمثلة القراءات التي لم يعزها ما ورد عند قوله تعالى: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا واللّه ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] قال محمد: من قرأ: (ربنا) بالخفض فهو على النعت والثناء، ومن قرأ: (فتنتهم) بالنصب فهو خبر (تكن) والاسم (إلا أن قالوا)^(٣).

حيث نلاحظ مما سبق أن ابن أبي زمنين اقتصر على ذكر وجه القراءة دون عزوها إلى قارئها، مع توجيه كل قراءة التوجيه النحوي اللازم لها^(٤).

(١) «البحر المحيط» (٤/١٨٥)، «الدر المصون» (٣/١٣٢).

(٢) «النشر» (٢/٢٦٠)، «البحر» (٤/١٨٨ - ١٨٩)، «الدر المصون» (٣/١٣٦).

(٣) قرأ (ربنا) بالخفض السبعة إلا حمزة والكسائي، وقرأ (فتنتهم) بالنصب السبعة إلا ابن كثير وابن عامر وحفص؛ فقد قرءوا بالرفع. ينظر «السبعة» (٢٥٥)، «النشر» (٢/٢٥٧)، «التيسير» (ص ١٠٢).

(٤) ينظر التوجيه النحوي مفصلاً في «البحر المحيط» (٤/٩٥).

٤- توجيه القراءات توجيهًا نحويًا:

كما في توجيه قراءة: (خالصة) من قوله تعالى: ﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ [الأعراف: ٣٢] قال محمد: من قرأ: (خالصة) بالرفع فهو على أنه خبر بعد خبر، المعنى: قل: هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، ومن قرأ بالنصب فعلى الحال^(١). ومن الملاحظ على هذا التوجيه هو الاختصار على تخريج نحوي واحد، دون الدخول في تفاصيل النحاة الواسعة^(٢).

غير أنه في بعض الأحيان قد يتعدد التوجيه النحوي، كما في توجيه (زحفًا) من قوله تعالى: ﴿إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا...﴾ [الأنفال: ١٥] قال محمد: الزحف جماعة يزحفون إلى عدوهم بمرة؛ أي: ينقضون، وقد يكون الزحف مصدرًا من قولك: زحفت^(٣).

وكذلك في توجيه قوله تعالى: ﴿متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة﴾ [الأنفال: ١٦] قال محمد: يجوز أن يكون النصب على الحال، ويجوز أن يكون على الاستثناء^(٤).

٥- توجيه القراءات توجيهًا دلاليًا:

كما في قوله تعالى: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ [الأنعام: ٣٣] قال محمد: من قرأ: (لا يكذبونك) بالتخفيف

(١) قرأ نافع وحده بالرفع، وباقي السبعة بالنصب - «البحر» (٢٩١/٤).

(٢) ينظر تفصيل ذلك في «إعراب القرآن» (٦٠٩/١)، «الدر المصون» (٢٦٠/٣).

(٣) «لسان العرب» (زحف).

(٤) أي: نصب (متحرفًا - متحيزًا). ينظر: «البحر المحيط» (٤٧٥/٤)، «الدر المصون» (٣/٤٠٨).

فالمعنى: لا يلفونك كاذبًا، ومن قرأ: (يكذبونك) فالمعنى: لا ينسبونك إلى الكذب^(١).

حيث نلاحظ أنه ﷺ اقتصر على ذكر وجه القراءة دون عزوها إلى قارئها، ومن ناحية أخرى فقد وجه كل قراءة توجيهًا دلاليًا يوضح المراد، ويجلو المعنى^(٢).

وغير ذلك كثير، ولا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن هذا صنيع ابن أبي زمنين في غالب تفسيره.

٦- تجويده لبعض القراءات:

كان ابن أبي زمنين يجوّد بعض القراءات مما يعني أنه اختارها ورجحها على غيرها، ومن أمثلة ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠] قال محمد: الأجود في قراءة: (اتخذتموهم) إدغام الذال في التاء؛ لقرب المخرجين في الذال والتاء، وإن شئت أظهرت. اهـ. حيث عبر بقوله: (الأجود) وهو يدل على اختياره لها، وترجيحها على سواها^(٣).

(١) قرأ بالتخفيف نافع والكسائي، وقرأ الباقون بالتشديد. ينظر: «السبعة» (ص ٢٥٧)، «النشر» (٢/ ٢٥٧ - ٢٥٨).

(٢) ينظر - بتوسع - : «البحر المحيط» (٤/ ١١١)، «كشف المشكلات» (١/ ٣٩٤).

(٣) وقراءة الإدغام هي قراءة السبعة إلا ابن كثير وحفصًا. ينظر: «النشر» (٢/ ١٥ - ١٦)، «إتحاف الفضلاء» (ص ٣٢٠).

ثانياً: الحديث النبوي الشريف والآثار

أغلب أحاديث الكتاب رواها ابن أبي زمنين عن يحيى بإسناده، وإيراد هذه الأحاديث بأسانيدها، له فائدة عظيمة في معرفة أسانيد تلك الأحاديث، وكون كثير من هذه الأحاديث غرائب مما يزيد في قيمة الكتاب عند طلبة الحديث النبوي، ويكفي أن تعرف أن بعض أحاديث هذا التفسير الذي بين يديك لم يقف عليها حفاظ أكابر؛ مثل الحافظ زين الدين العراقي في تخريجه لإحياء علوم الدين، والحافظ جمال الدين الزيلعي في تخريجه لأحاديث الكشاف، والحافظ شهاب الدين بن حجر في «الكاف الشاف في تخريج الكشاف» وغيرهم، كما صرحوا في بعض هذه الأحاديث بذلك.

وطالب علم الحديث سيجد في هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى - فوائد جمة في الأسانيد والامتون - فكم من متن مشهور معلوم لطلبة العلم، رواه يحيى بإسناد غريب لم أستطع الوقوف عليه مع البحث والتحري، وكم من متن لا تجد له إسناداً في غير هذا الكتاب - مع ما أضيف إليه في التخريج من الفوائد الحديثية في بيان الطرق وشرح اختلافها وبيان عللها، وكلام أئمة الحديث عليها، بما ينشرح له صدره - إن شاء الله تعالى.

وأورد بعض الأحاديث معلقة أو ذكرها عن يحيى بن سلام بلاغاً بغير إسناد، وهي أحاديث قليلة، ولم أتوسع في تخريج هذه الأحاديث، خصوصاً ما كان منها من مراسيل الكلبي في أسباب النزول ونحوه؛ فإن حال الكلبي معلوم لطلبة العلم.

وهذه الأحاديث التي وردت في ثانياً تفسير ابن أبي زمنين كان الغرض منها

ما يلي:

(٤) النحل: ٦٤ .

السمعاني - الذي خرجته منذ خمسة أعوام تقريباً - خصوصاً مع عدم توافر عدد كبير من كتب التفسير المسندة؛ كتفسير أبي الشيخ الأصبهاني، والتفسير الكبير لابن مردويه، وتفسير الثعلبي، ومن قبلهما تفاسير الأئمة المتقدمين؛ كتفسير وكيع بن الجراح، وتفسير سعيد بن منصور - لأن المطبوع منه غير كامل حتى الآن - وتفسير سنيد بن داود، وتفسير عبد بن حميد، وتفسير ابن المنذر، وباقي تفسير ابن أبي حاتم، وغيرها من التفاسير المسندة).

وبعضها لزيادة إيضاح الآيات، من باب التفسير بالمأثور.

(وبعضها يُذكر من باب تداعي المعاني، وبطريقة أخرى: من باب الشيء بالشيء يُذكر؛ حيث تدور الآيات في موضوع ما، ثم يعضدها المصنف بأحاديث من نفس الباب.

والأمثلة على ذلك كثيرة مبسطة في ثنایا التفسير.

(وبعضها يذكر لبيان بعض القراءات.

وأما الآثار التي وردت في ثنایا التفسير؛ فقد وردت في التفسير لنفس الأغراض التي وردت الأحاديث من أجلها تقريباً، وورد بعضها مسنداً وبعضها معلقاً بغير إسناد، ولم ألزم تخريج كل هذه الآثار؛ إنما خرجت أغلب المسند منها، خصوصاً ما رُوي مرفوعاً في غير هذا الكتاب).

ثالثاً: أقوال العرب الفصحاء

وأما هذا النوع من الشواهد؛ فقد احتج به ابن أبي زمنين في تفسيره، وبخاصة عند الاحتجاج لما أشكل من ألفاظ الآيات القرآنية، وبعضها للاحتجاج للقضايا النحوية؛ وفيما يلي أمثلة على ذلك:

١- ما ورد عند قوله تعالى: ﴿لئن لم تنته لأرجمنك﴾ [مريم: ٤٦] قال محمد: تقول العرب: فلان يرمي فلاناً، وفلان يرجم فلاناً، بمعنى واحد، يريدون الشتم.

ومن الملاحظ على هذا الاستشهاد الاقتصار على نقل دلالة (رجم) عن العرب، دون الدخول في تصريفه معجمياً؛ حيث يقال: رَجَمَهُ يَرْجُمُهُ رَجْماً فهو رَجِيم ومرجوم^(١).

٢- وما ورد عند قوله تعالى: ﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله﴾ [المؤمنون: ٨٦] قال محمد: وكان الكسائي يحكي عن العرب أنه يقال للرجل: من رب هذه الدار؟ فيقول: لفلان - بمعنى: هي لفلان.

٣- وما ورد عند قوله: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ [آل عمران: ١٥٩] قال محمد: من كلام العرب: اخفض جناحك يعني: ألن جناحك^(٢).

٤- وأورد أيضاً لغة لأهل كنانة؛ وهي من القبائل العربية المعتد بها في التقعيد اللغوي، وهذه اللغة هي لزوم المثنى الألف في الرفع، والخفض والنصب على لفظ واحد، وذلك عند قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾ [طه: ٦٣] قال محمد: قوله: (هذان) بالرفع، ذكر أبو عبيد أنها لغة لكنانة يجعلون ألف الاثنين في الرفع والخفض والنصب على لفظ واحد، ولأهل العربية فيه كلام كثير، واختلاف يطول ذكره، غير الذي ذكره أبو عبيد^(٣).

(١) «لسان العرب» (رجم).

(٢) «لسان العرب» (خفض).

(٣) «البحر المحيط» (٢٥٥/٦)، «إعراب القرآن» (٣٤٣/٢)، «الخصائص» (٦٥/٣).

رابعاً: المرويات الشعرية

احتج ابن أبي زمنين كثيراً بالشواهد الشعرية، شأنه في ذلك شأن كثير من نحاة العربية، ومفسري القرآن الكريم الذين يحتجون بأقوال العرب شعراً ونثراً؛ لإثبات معنى لغوي، أو وجه نحوي، أو قراءة قرآنية.

ولم يخرج ابن أبي زمنين عن هذا الإطار الذي رسمه السابقون، حيث دارت احتجاجاته الشعرية في هذا الفلك.

ولم يكن رحمه الله يلتزم طريقة واحدة في عزو الشاهد الشعري إلى قائله، فأحياناً يعزو، وأحياناً لا يعزو.

وفيما يلي بعض الأمثلة التي تؤيد صحة ما قلناه:

١- عند قوله عز وجل: ﴿لقد جئت شيئاً فريباً﴾ [مريم: ٢٧] قال محمد: يقال: فلان يفري الفري إذا عمل عملاً أو قال قولاً فبالغ فيه، كان في خير أو شر، وأنشد بعضهم:

ألا رب من يدعو صديقاً ولو ترى مقالته بالغيب ساءك ما يفري^(١)

حيث نلاحظ على هذا الشاهد أن المصنف:

* أورده احتجاجاً لمعنى لغوي، هو معنى كلمة (فريباً) في الآية.

* أورده دون عزو إلى قائله؛ بل اكتفى بقوله: وأنشد بعضهم.

٢- عند قوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ [الفرقان: ٦٢] قال محمد: قوله: (خلفة) يعني: يخلف هذا هذا، ومثله قول زهير:

(١) ينظر: «البيان والتبيين» (١/٥٨٩).

بها العين والآرام يمشين خلفه وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم^(١)
الريم: ولد الطيبي، وجمعه آرام، يقول: إذا ذهب فوج جاء فوج.
والملاحظ على هذا الشاهد أن المصنف:

* أورده في سياق الاحتجاج اللغوي لبيان معنى كلمة (خلفة) في الآية.
* عزاه إلى قائله، وهو زهير بن أبي سلمى.

* عَقِبَ عليه بشرح ما أشكل من ألفاظه، ثم أورد معنى البيت .
ثم ملمحان آخران نتيينهما من خلال الشواهد الشعرية في تفسير ابن أبي
زمنين هما:

١- أنه أحياناً كان يكتفي بذكر موضع الشاهد من البيت، أي: يقتصر عليه
دون ذكر بقية البيت، ومن ذلك ما أورده عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ
الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَ...﴾ [الروم: ١٠] قال محمد: من قرأ: (عاقبة)
بالرفع، جعل (السوءى) خبراً لكان، وأصل الكلمة: الفعلى من السوء، قال
الشاعر:

.....

أم كيف يجزونني السوءى من الحسن^(٢)

وهكذا اقتصر المصنف على عجز البيت الذي يتضمن موضع الشاهد، ولم
يذكر صدره الذي هو:

أنى جزوا عامراً سوءى بفعلهم
..... إلخ

(١) «ديوان زهير» (ص ١٠٣).

(٢) ينظر: «شرح شواهد المغني» (ص ٥٣)، «الخصائص» (١٨٤/٢) (١٠٧/٣)، «أمالي ابن
الشجري» (٣٧/١).

مع ملاحظة أنه لم ينسب البيت إلى قائله؛ وهو الشاعر: أفنون التغلبي.
٢- لم يكن يهتم المصنف بذكر روايات البيت المختلفة؛ بل كان يذكر له رواية واحدة، ولعل ذلك انطلاقاً من منهجه في الاختصار وعدم الإطالة المؤدية إلى الملل والعزوف عنه، كما صرح بذلك في مقدمة التفسير.

الفصل الرابع

القضايا النحوية في تفسير ابن أبي زمنين

كثرت القضايا النحوية التي تعرض لها ابن أبي زمنين في تفسيره كثرة بالغة، بحيث لا نعدو الحقيقة إذا قلنا: إن تفسيره ما هو إلا كتاب نحو وقراءات ولغة بقدر ما هو تفسير لآيات القرآن بالمأثور.

وفيما يلي من سطور نعرض لأهم هذه القضايا التي ناقشها، مع بيان منهجه في ذلك، ومذهبه النحوي:

١- يغلب على القضايا النحوية التي ناقشها المصنف تلك القضايا التي توجه القراءات القرآنية، وتخرجها على المعنى الصحيح.

يقول ابن أبي زمنين عند قوله تعالى: ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾ [مريم: ٣٤] من قرأ: (قول) بالرفع، فالمعنى: هو قول الحق. أي أن القراءة بالرفع على معنى الخبرية في الجملة كما أوضح المصنف^(١).

ويقول عند قوله عز وجل: ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ [مريم: ٦١] وتقرأ: (جنات) بالرفع على معنى: هي جنات عدن ﴿إنه كان وعده مأتياً﴾.

قال محمد: يعني: آتياً، وهو مفعول من الإتيان في معنى فاعل^(٢).

٢- وهناك نوع من القضايا النحوية التي ناقشها المصنف لا ترتبط بتوجيه

(١) ينظر: «البحر المحيط» (١٨٩/٦)، «مجمع البيان» (٥١٣/٣).

(٢) «البحر المحيط» (٢٠١/٦)، «مجمع البيان» (٥٢٠/٣)، «معاني القرآن للفراء» (٣٧٠/٢).

القراءة القرآنية؛ بل ترتبط بالتوجيه الإعرابي لما أشكل . ومن ذلك قوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة﴾ [مريم: ٧٥] قال محمد: (العذاب) و(الساعة) منصوبان على معنى البذل من (ما يوعدون)، المعنى: إذا رأوا العذاب، أو رأوا الساعة قال: فيسلمون عند ذلك^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾ [طه: ١٠١] قال محمد: (حملاً) منصوب على التمييز، المعنى: ساء الوزر لهم يوم القيامة حملاً^(٢).

٣- وهناك نوع من القضايا النحوية تدخل تحت ما يسمى بحروف المعاني، حيث ناقش المصنف كثيراً من هذه الحروف؛ وهو باب جليل من أبواب النحو، وإن كان يلمح إليها عرضاً دون استطراد أو تفصيل كعادته وفق منهجه الذي اختطه في عدم الإطالة والاستطراد.

ومن ذلك ما ورد عند قوله تعالى: ﴿وقالوا مهما تأتنا به من آية﴾ [الأعراف: ١٣٢] قال محمد: أي: ما تأتنا به (مهما) و(ما) بمعنى واحد^(٣).

ومنه قوله تعالى: ﴿وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون﴾ [الأنبياء: ١٠٩] قال محمد: ومعنى (وإن أدري): وما أدري^(٤) وغير ذلك كثير لمن يطالع التفسير، وإنما أذكر لكل مثلاً أو مثالين لبيان المنهج، ونوع القضايا، كما أن في ذكر البعض كفاية وتعبيراً عن الكل.

٤- وكعادة ابن أبي زمنين في عدم الاستطراد وذكر الأوجه المختلفة سواء

(١) «البحر المحيط» (٢١٢/٦)، «مجمع البيان» (٥٢٥/٣)، «إعراب القرآن» (٣٢٦/٢).

(٢) «البحر المحيط» (٢٧٨/٦)، «الدر المصون» (٥٤/٥).

(٣) «الكتاب» (٤٣٣/١)، «حروف المعاني» (ص ٢٠)، «الجنى الداني» (ص ٦٠٩).

(٤) «مغني اللبيب» (٣٠/١).

في القراءات أو الأوجه الإعرابية، نرى أغلب المسائل النحوية التي تعرض لها يقتصر فيها على ذكر وجه واحد، غير أنه في بعض الأحيان كان يخرج عن هذا الإطار ويذكر أكثر من وجه تعميمًا للفائدة.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَسْرُوا النجوى الذين ظلموا﴾ [الأنبياء: ٣] قال محمد: فيه وجهان: يجوز أن يكون (الذين ظلموا) رفعًا على معنى: هم الذين ظلموا أنفسهم، وقد يجوز أن يكون المعنى: أعني الذين ظلموا^(١).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ [الأنبياء: ٧٩] قال محمد: يجوز نصب (الطير) من جهتين: إحداها على معنى: وسخرنا الطير، والأخرى على معنى: يسبحن مع الطير^(٢).

٥- وأغلب المسائل النحوية التي كان يتعرض لها المصنف لم يكن يعزوها إلى أصحابها النحاة الأوائل القائلين بها؛ بل كان يطلقها مبيّنًا الوجه النحوي الذي يختاره فحسب.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ [النمل: ٨٨] قال محمد: القراءة: (صنع الله) بالنصب على معنى المصدر، كأنه قال: صنّع الله ذلك صنْعًا.

وهكذا أطلق المصنف الوجه النحوي دون تحديد صاحبه، حيث إن هذا هو قول سيبويه والمبرد والنحاس وأبي علي الفارسي^(٣).

(١) ينظر: «البحر المحيط» (٢٩٦/٦)، «إعراب القرآن» (٣٦٦/٢).

(٢) ينظر: «الدر المصون» (١٠٢/٥).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (١٠٠/٧)، «إعراب القرآن» (٥٣٧/٢)، «كشف المشكلات» (٢/٢).

غير أننا لا نعدم بعضاً من المسائل النحوية التي عزاها إلى أصحابها، وهي تلك النقول التي أوردها عن الزجاج، والخليل، وأبي عبيد، والكسائي.

مثال لما نقله عن الزجاج:

قوله تعالى: ﴿منيين إليه﴾ [الروم: ٣١، ٣٣] قال محمد: قال الزجاج: (منيين إليه) نصب على الحال بفعل ﴿فأقم وجهك﴾ قال: وزعم جميع النحويين أن معنى هذا: فأقيموا وجوهكم؛ لأن مخاطبة النبي ﷺ تدخل فيها الأمة^(١).

مثال لما نقله عن الخليل بن أحمد:

قوله تعالى: ﴿واذ قال إبراهيم لأبيه آزر...﴾ [الأنعام: ٧٤] قال محمد: وقال الخليل: معنى (يا آزر) الشيء يعيره به، كأنه قال: يا معوج، يا ضال^(٢).

مثال لما نقله عن أبي عبيد:

قوله تعالى: ﴿وحاجه قومه قال أتحتاجوني في الله وقد هدان...﴾ [الأنعام: ٨٠] قال محمد: ذكر أبو عبيد أن نافعا قرأ: (أتحتاجوني) بتخفيف النون، ومثله: ﴿قل أغير الله تأمروني أعبد﴾ [الزمر: ٦٤] قال: وقرأهما أهل العراق مثقتين: (أتحتاجوني) و(تأمروني). قال أبو عبيد: وكذلك القراءة عندنا بتشقيلهما؛ لأن الأصل أن يكون بنونين: نون الفعل ونون اسم الفاعل، فلما كتبنا في المصحف على نون واحدة، لم يكن إلى الزيادة سبيل، فثقلوا

(١) ينظر: «البحر المحيط» (١٧١/٧)، «مجمع البيان» (٣٠٤/٤)، «إعراب القرآن» (٥٨٩/٢)، «كشف المشكلات» (١٠٥٠/٢).

(٢) وقد ورد في «معجم العين» للخليل بن أحمد (٣٨٢/٦) آزر: اسم والد إبراهيم ﷺ. وينظر بتوسع: «تفسير الطبري» (٢٤٣/٧)، «كشف المشكلات» (٤٠٧/١).

النون؛ لتكون المتروكة مدغمة. قال: وإنما كرهه الثقيل من كرهه - فيما نرى - للجمع بين الساكنين، وهما الواو والنون المدغمة فحذفوها^(١).

مثال لما نقله عن الكسائي:

وقد تقدم ما نقلناه عن الكسائي عند حديثنا عن الاستشهاد بأقوال العرب الفصحاء بما أغني عن إعادته ها هنا.

٦- ومن القضايا النحوية التي ناقشها المصنف قضايا الأصل الاشتقائي، والأصل اللغوي.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ [القيامة: ٣٣] قال محمد: قوله: ﴿يتمطى﴾ أصله: يتمطط، فقلبت الطاء ياء، كما قالوا: يتظنى، وأصله: يتظنن؛ فالأصل الاشتقائي الذي يذهب إليه المصنف لكلمة (يتمطى) هو (يتمطط)، حيث قلبت الطاء ياء، لكنه لم يبين لنا سبب هذا القلب، وهو كراهية اجتماع الأمثال؛ أي: الطاء والطاء. كذلك أغفل الرأي الآخر الذي يذهب إلى أن (يتمطى) مشتق من (المطا) وهو الظهر، والمعنى: يتبختر ويمد مطاه؛ أي: ظهره^(٢).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ [المؤمنون: ٤٤] قال محمد: وهو من التواتر. وقيل: الأصل في (تترى): وترى، وقلبت الواو تاء، كما قلبوها في التخمة والتكلان^(٣).

(١) ينظر تفصيل ذلك في: «البحر المحيط» (٤/١٦٩)، «إعراب القرآن» (١/٥٦٠)، «الدر المصون» (٣/١٠٨).

(٢) ينظر: «الدر المصون» (٦/٤٢٣)، «تفسير القرطبي» (١٩/١١٤).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٦/٤٠٧)، «إعراب القرآن» (٢/٤١٩)، «اللسان (وتر).

ومن أمثلة الأصل اللغوي - أي: الحديث عن أصل الكلمة في اللغة قبل أن تطلق على المعنى الشائع - قوله تعالى: ﴿وَالنَّوْمُ سُبَاتًا﴾ [الفرقان: ٤٧] قال محمد: أصل السبت: الراحة^(١).

٧- وتعرض أيضًا لمباحث الإدغام؛ كما في قوله تعالى: ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم﴾ [الكهف: ١٧] قال محمد: (تزاور) الأصل فيه: (تتزاور) فادغمت التاء في الزاي^(٢).

وقد ذكرنا فيما سبق نماذج للإدغام عند حديثنا عن نقول المصنف عن أبي عبيد.

٨- ومن القضايا الأخرى المنتشرة عبر التفسير: حديثه عن الحذف والتقدير، والمذكر والمؤنث، والإفراد والتثنية والجمع، والمصادر والمشتقات المختلفة، وقضايا تصريف الفعل... إلى غير ذلك من مسائل نحوية مبثوثة في ثناياه.

٩- أما عن آراء ابن أبي زمنين النحوية ومذهبه النحوي؛ فإننا نلاحظ أن آراءه النحوية ما هي إلا آراء النحاة السابقين، حيث يمكن القول أنه ناقل لمذاهب السالفين، وليس ذلك إنقاصاً من قدره، أو تقليلاً من شأنه؛ إذ الإلمام بآراء السابقين وعرضها بهذه الصورة الميسورة السلسلة قيمة علمية في حد ذاتها، وإمكانية عليا تُضاف إلى الرصيد العلمي لابن أبي زمنين.

أما مذهبه النحوي؛ فإنه ينحو منحى البصريين، وذلك لاختياره للأوجه النحوية التي توافق مذهب أهل البصرة، فضلاً عن أنه أكثر النقول عن نحاة

(١) ينظر: «لسان العرب» (سبت).

(٢) ينظر: «مجمع البيان» (٣/٤٥٥)، «الدر المصون» (٤/٤٤١).

البصريين مثل الخليل والزجاج، بيد أنه نقل أيضًا بعضًا من آراء الكوفيين كأراء أبي عبيد والكسائي، غير أن النزعة البصرية تغلب على ابن أبي زمنين.

ومن الأدلة أيضًا على أنه بصري إثاره استخدام المصطلحات النحوية البصرية، مثل استخدامه لمصطلح (ضمير الفصل) عند قوله تعالى: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرًا﴾ [المزمل: ٢٠] قال محمد: المعنى: تجدوه خيرًا لكم من متاع الدنيا، ودخلت (هو) فصلًا.

حيث نلاحظ استخدامه لمصطلح (فصل) وعلى ذلك سار نحاة البصرة في اصطلاحهم، أما الكوفيون فقد عبروا في مقابلة مصطلح (عماد)^(١).

كذلك استخدامه لمصطلح (التمييز) عند قوله تعالى: ﴿وساء لهم يوم القيامة حملًا﴾ [طه: ١٠١] قال محمد: (حملًا) منصوب على التمييز؛ المعنى: ساء الوزر لهم يوم القيامة حملًا.

حيث نلاحظ استخدامه لمصطلح (التمييز) وهو مصطلح بصري يقابله عند الكوفيين مصطلح (المفسر)^(٢).

ثمة ملحوظات أخرى في اصطلاحه النحوي نجملها فيما يلي:

أ- يستخدم مصطلح (مستقبل) ليدل به على مصطلح (مستأنف) كما في قوله تعالى: ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾ [الأعراف: ٢٦] قال: (ولباس التقوى) والرفع على معنى كلام (مستقبل) حيث يريد: الرفع على الاستئناف^(٣).

(١) ينظر: «تفسير القرطبي» (٥٩/١٩).

(٢) ينظر: «البحر المحيط» (٢٧٨/٦)، «الدر المصون» (٥٤/٥).

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٢٨٣/٤)، «إعراب القرآن» (٦٠٦/١)، «الدر المصون» (٤/٤).

وقد يعود ويستخدم مصطلح الاستئناف في مواضع أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين﴾ [النمل: ٤٣].

قال محمد: من قرأ: (إنها) بكسر الألف؛ فهو على الاستئناف^(١).

ب- يعبر بمصطلح (المستقبل) أيضاً على الفعل المصارع، كما في قوله تعالى: ﴿فكلي واشربي وقري عينا﴾ [مريم: ٢٦] قال محمد: قررت به عينا أقر - بفتح القاف - في المستقبل قُرُورًا، وقررت في المكان أقر بكسر القاف^(٢).

ج- واستخدم مصطلح الإجراء بمعنى التنوين؛ جاء ذلك عند قوله تعالى: ﴿وجئتك من سبأ بنيا يقين﴾ [النمل: ٢٢] قال محمد: ذكر أبو عبيد أن الحسن كان يقرأ: (من سبأ) منصوبة غير مُجرأة، قال: وتفسيرها اسم مؤنث لامرأة أو قبيلة، والذي يُجري يذهب إلى أنه اسم رجل^(٣).

د- واستخدم مصطلح (مقاديم الكلام) ليدل على التقديم والتأخير، كما في قوله تعالى: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ [الروم: ٥٦] قال: وهذا من مقاديم الكلام، يقول: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان: لقد لبثتم إلى يوم القيامة؛ يعني: لبثهم الذي كان في الدنيا وفي قبورهم إلى أن بعثوا^(٤).

هـ- وعبر بمصطلح (الصلة) عن الزيادة؛ كما في قوله تعالى: ﴿بأييكم

(١) «البحر المحيط» (٧/٧٩)، «الدر المصون» (٥/٣١٦)، «مجمع البيان» (٤/٢٢٤).

(٢) «لسان العرب» (قرر).

(٣) «البحر المحيط» (٧/٧٦)، «إعراب القرآن» (٢/٥١٦).

(٤) «الدر المصون» (٥/٣٨٣).

المفتون ﴿ [القلم: ٦] قال محمد: يعني: أيكم الضلال؟ في تفسير الحسن، يجعل الباء صلة^(١).

وكذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم ﴾ [نوح: ٤] قال محمد: أي: يغفر لكم ذنوبكم كلها، و(من) صلة^(٢).
وغير ذلك أمثلة كثيرة مبثوثة في ثنايا التفسير.

(١) أي: زائدة، وإلى هذا ذهب أبو عبيدة والأخفش، وفيها أقوال أخرى. ينظر: «الدر المصون» (٣٥١/٦)، «تفسير القرطبي» (٢٢٩/١٨).

(٢) قاله السدي، وإلى ذهب ابن عطية الأندلسي، وفيها أقوال أخرى. ينظر: «المحرر الوجيز» (١٢٠/١٦)، «تفسير القرطبي» (٢٩٩/١٨)، «الدر المصون» (٣٨٢/٦).

الفصل الخامس

القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين

تكمن القيمة العلمية لتفسير ابن أبي زمنين في أنه أُلّفَ في القرن الرابع الهجري، أي: أنه قريب العهد بالقرون الثلاثة المفضلة، (بقلم إمام عَلم سلفي العقيدة، وُصِفَ بأنه من بقايا حملة الحُجة رَحِمَهُ اللهُ).

وأيضاً فإن هذا التفسير اختصار لتفسير يحيى بن سلام، الذي أدرك نحو عشرين من التابعين وروى عنهم، وقد أثنى كثير من العلماء الأوائل على هذا التفسير - أي: تفسير يحيى بن سلام - حتى قال عنه أبو عمرو الداني في معرض كلامه عن يحيى بن سلام: سكن إفريقية دهرًا، وسمعوا منه تفسيره، الذي ليس لأحد من المتقدمين مثله^(١).

أما إذا تصفحنا تفسير ابن أبي زمنين لنجלו أبرز سماته التي جعلت منه قيمة علمية كبيرة، حتى ليعتبر - بحق - موسوعة كبيرة في اللغة والنحو والقراءات وأشعار العرب، هذا فضلاً عن الأحاديث النبوية المرفوعة، والآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين إلى غير ذلك مما سنوضحه في السطور التالية:

١- يشتمل التفسير على كثير من الأحاديث المرفوعة عن رسول الله ﷺ والآثار المروية عن الصحابة والتابعين، والتي تعين بقدر كبير على فهم الآيات القرآنية، وإضاءة جوانبها، حتى يمكن أن نعتبر هذا التفسير من التفاسير التي تنتهج طريق التفسير بالمأثور.

٢- اشتمل هذا التفسير على كثير من المباحث التي تنتمي إلى علوم القرآن

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣٩٧/٩).

كالناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والخاص والعام، وأسباب التنزيل، والمقطوع والموصول، والتقديم والتأخير، والإضمار والحذف؛ كل ذلك موجود في خضم هذا التفسير.

٣- به كثير من النقول المروية عن الصحابة والتابعين في شرح غريب ألفاظ القرآن الكريم؛ كأقوال ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وسعيد بن المسيب، وشريح، وغيرهم.

٤- اشتمل على كثير من القراءات القرآنية لعدد كبير من الصحابة مثل: ابن عباس وعبد الله بن مسعود، وعثمان بن عفان، وأبي بن كعب، وغيرهم.

٥- اشتمل على كثير من القراءات القرآنية المعزوة إلى عدد التابعين مثل: الحسن، وقتادة، ومجاهد، والسدي، وغيرهم.

٦- حوى التفسير أيضًا كثيرًا من القراءات السبعية وبخاصة قراءة نافع، وأيضًا القراءات العشرية، وقراءات أهل المدينة وأهل الحجاز وأهل البصرة.

٧- اشتمل التفسير أيضًا على كثير من تعقيبات ابن أبي زمنين وشروحه لغريب القرآن، وما أشكل من مفرداته.

٨- به توضيح لوجوه القراءات القرآنية وبيان حرف كل، مع توجيه هذه القراءات توجيهًا نحويًا تارة، وتوجيهًا دلاليًا معجميًا تارة أخرى.

٩- اشتمل على التوجيه الإعرابي لكثير من مفردات القرآن التي يُشكل إعرابها، أو يقع فيها لبس أو غموض.

١٠- حوى التفسير أيضًا كثيرًا من آراء أئمة اللغة والنحو، مثل أبي عبيد القاسم بن سلام، والخليل بن أحمد الفراهيدي، والزجاج، وغيرهم.

- ١١- ويشتمل التفسير على كثير من وجوه تصريف الأفعال، وبيان وجوه اشتقاقها، كذلك الحديث عن الأصل اللغوي، والأصل الاشتقاقي، وكثير من القضايا النحوية، ومسائل علمي: الأصوات، والدلالة.
- ١٢- وكذلك اشتمل التفسير على حوادث كثيرة من أبواب السيرة النبوية الشريفة.

ولقد كان أغلب تعقيبات ابن أبي زمنين وزياداته تتعلق بغريب اللغة ووجوه الإعراب والقراءات كما نص هو على ذلك في مقدمة التفسير، بما يؤكد تفوقه في علوم العربية، ورسوخ قدمه فيها.

بيد أن هناك كثيرًا من هذه التعقيبات التي تدل على براعة ابن أبي زمنين وسعة اطلاعه ورحابة أفقه، أعنى تلك الإشارات اللغوية إلى الفروق بين الألفاظ التي قد يبدو معناها لغير المدقق واحدًا، غير أن بينها فروقًا وظلالًا مختلفة تميز بعضها عن بعض، وقد ألمح ابن أبي زمنين إلى ذلك كثيرًا في إشاراته المتناثرة عبر تفسيره، والتي نسوق منها ما يلي:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَلِمًا خَبِتَ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] قال محمد: خَبَتِ النَّارُ تَخْبُوُ خَبْوًا: إِذَا سَكَنَ لَهَبُهَا، فَإِنْ سَكَنَ اللَّهَبُ وَلَمْ يُطْفَأْ الْجَمْرُ قِيلَ: خَمَدَتْ تَخْمُدُ خُمُودًا، وَإِنْ طُفِئَتْ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا شَيْءٌ قِيلَ: هَمَدَتْ تَهْمَدُ هُمُودًا^(١).

٢- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥].

قال محمد: الردم في اللغة أكثر من السد؛ لأن الردم ما جعل بعضه على

(١) «لسان العرب» (خبو - خمد - همد).

بعض؛ يقال: ثوب مُردَّم؛ إذا كان قد رفع رقعة فوق رقعة، ويقال لكل ما كان مسدودًا خلقة: سُدَّ، وما كان من عمل الناس فهو سُدٌّ - بالفتح. وقد قيل: إنهما لغتان بمعنى واحد: سَدَّ وسُدَّ - بالفتح والضم^(١).

٣- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠] قال محمد: وتقرأ (سُخْرِيًّا) بالضم والكسر في معنى الاستهزاء^(٢). وقد قال بعض أهل اللغة: ما كان من الاستهزاء فهو بالكسر، وما كان من جهة التسخير فهو بالضم^(٣).

٤- وعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا...﴾ [النور: ٦٠].

قال محمد: القواعد واحدها (قاعد) بلا هاء، ليدل بحذف الهاء على أنه يعود الكبير، كما قالوا: امرأة حامل بلا هاء ليدل بحذفها الهاء على أنه حمل حبل، وقالوا في غير ذلك: قاعدة في بيتها، وحاملة على ظهرها^(٤)... إلى غير ذلك من هذه الإشارات التي تجمع الأشباه والنظائر، وتنظم الشوارد والأوابد في سلك واحد.

(١) «لسان العرب» (ردم - سدد).

(٢) قرأ بالضم نافع وحمة والكسائي، وقرأ الباقون بالكسر. ينظر: «النشر» (٢/ ٣٢٩)، «السبعة» (ص ٤٤٨)، «البحر المحيط» (٦/ ٤٢٣).

(٣) «لسان العرب» (سُخِر).

(٤) «لسان العرب» (حمل - قعد).

الفصل السادس

المؤاخذات على تفسير ابن أبي زمنين

مع ما امتاز به هذا التفسير من سلامة العقيدة حيث لا تكاد تجد فيه تأويلات منكرة لآيات الصفات - كما يوجد في كثير من كتب التفسير خصوصًا المتأخرة منها - ولا تجد فيه أي تأثير للآراء العقائدية للفرق الضالة التي خالفت عقيدة أهل السنة والجماعة، وامتاز أيضًا بالإيجاز، والبعد عن التعقيد، وسهولة العرض، فإنه يمكن أن يوجه إليه - كأبي عمل بشري - بعض الانتقادات، وأرى أن أغلب هذه الانتقادات التي توجه إلى التفسير إنما تعود بالمقام الأول إلى تفسير يحيى بن سلام - الذي هو أصل الكتاب - ويمكن أن نجمل هذه الانتقادات فيما يلي:

١- ذكره بعض الإسرائيليات المنكرة^(١) خصوصًا في قصص الأنبياء؛ كما

(١) من المعلوم أن الإسرائيليات ليست كلها منكرة، بل فيها ما هو صدق وحق، ومنها ما لا يُصدق، بل يروى في الجملة، ومنها ما هو كذب منكرو؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٣٦٦ - ٣٦٧): لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها على ثلاثة أقسام:

أحداها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق؛ فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل؛ فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته - لما تقدم - وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك؛ كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم وعدتهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضرب به القتل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلم الله منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه الله في القرآن مما لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم ولا دينهم، ولكن نقل الخلاف عنهم في =

ذكر في قصة آدم عليه السلام في آخر سورة الأعراف، وقصة يوسف عليه السلام وقصة داود عليه السلام وقصة سليمان عليه السلام وغيرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد نهت على هذه الإسرائيليات في محلها من التفسير، ونقلت كلام الأئمة في بيان نكارتها، وكونها مما لا يجوز على أنبياء الله الكرام عليهم السلام^(١).

٢- ذكره للأحاديث الضعاف والمنكرة، خصوصاً أن كثيراً من هذه الأحاديث الضعاف يوجد من الأحاديث الصحاح المشاهير ما يغني عنها، وقد أشار إلى هذا الانتقاد على يحيى بن سلام الحافظ ابن حجر في «العجاب في بيان الأسباب» (١/٢١٩).

ولعل عملي في تخريج هذه الأحاديث وبيان درجتها من كلام كبار الحفاظ النقاد للحديث؛ وذكر البدائل الصحاح في كثير من المواطن؛ ما يسد هذا النقص في الكتاب.

مع ملاحظة أن رواية بعض هذه الأحاديث الغرائب بالإسناد مع عدم وجود أسانيد لها معروفة فيما بين أيدينا من الكتب يعتبر قيمة في حد ذاته، وقد قدّمت الإشارة إلى هذه الفائدة.

٣- الإكثار من ذكره لتفسير محمد بن السائب الكلبي، ومعلوم لدى طلبة العلم أن الكلبي متهم في روايته^(٢)، بل قد اعترف هو نفسه لسفيان الثوري

= ذلك جازئ. اهـ.

وانظر «تفسير ابن كثير» (٤/١)، و«الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» (١٥٠ - ١٥٩).

(١) من المؤلف حقاً أن كثيراً من كتب التفسير لم تخل من مثل هذه الإسرائيليات المنكرة، راجع في ذلك كتاب «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» للدكتور أبي شهبة.

(٢) راجع ترجمة الكلبي في كتب الضعفاء، وترجمته في «التهذيب» (٢٥/٢٤٦ - ٢٥٣).

بقوله^(١): ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب؛ فلا ترووه. اهـ.
وكذلك فالكلبي متهم في دينه، قال ابن حبان في المجروحين (٢/٢٥٣):
كان الكلبي سبئيًا من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الذين يقولون: إن
عليًا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا قبل قيام الساعة؛ فيملؤها عدلاً كما ملئت
جورًا. وإن رأوا سحابة قالوا: أمير المؤمنين فيها. ثم قال ابن حبان (٢/٢٥٥):
الكلبي هذا مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج
إلى الإغراق في وصفه. اهـ.

وقال أحمد بن هارون^(٢): سألت أحمد بن حنبل عن تفسير الكلبي، فقال:
كذب. قلت: يحل النظر فيه؟ قال: لا. اهـ.

فليت يحيى بن سلام طهر تفسيره من النقل عن الكلبي، وليت ابن أبي
زمنين طهر تفسيره هذا من النقل عن الكلبي؛ إذ لم يفعل يحيى بن سلام.
٤- يمكن أن يؤخذ عليه اختيار بعض التفاسير المرجوحة التي غيرها أرجح
منها وأصح، وقد علق على بعض هذه المواضع من التفسير مبيّنًا أن هناك ما
هو أرجح مما ذكر، لكن الأمر يعود في كثير من المواضع إلى الاجتهاد؛ فإن
ما يراه بعض العلماء مرجوحًا قد يراه غيره راجحًا، لذلك لم أر الإكثار من
التعليق على الكتاب في هذا الصدد، والله أعلم.

٥- كذلك يمكن أن يؤخذ عليه توسعه في ادعاء النسخ؛ خصوصًا على
الآيات التي تأمر بالإعراض عن المشركين ونحوها، حيث يدعي نسخها بآية
السيف، وقد انتقد كثير من العلماء هذا الزعم، وقد علق على بعض هذه

(١) «الجرح والتعديل» (٧/٢٧١ رقم ١٤٧٨) وكتاب «المجروحين» (٢/٢٥٤).

(٢) رواه ابن حبان في «كتاب المجروحين» (٢/٢٥٤).

المواضع بنقل بعض تلك الانتقادات على سبيل التنبيه على أمثالها، ولم أستقص التعليق على هذه المواضع، واللّٰهُ أعلم.

وانظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/١٠١) والموافقات للشاطبي (١٠٨/٣ - ١٠٩).

هذه في رأي أهم الانتقادات التي يمكن أن توجه إلى هذا التفسير .
ولما كان عمل التحقيق متممًا لعمل المؤلف رحمته الله فقد حرصت على أن
يكون التحقيق سادًا لبعض هذه الثلمات ، دون إيقال للكتاب قدر الإمكان ،
ولنما أطلت في بعض المواطن لفائدة .

وعلى العموم فإن هذه الانتقادات لا تقلل من أهمية هذا التفسير .
ونحن إذ نقدم هذا التفسير إلى مشايخنا وعلمائنا وطلبة العلم في كل
مكان؛ نأمل أن لا ييخلوا علينا بآرائهم وتقويماتهم ونصائحهم التي نرحب بها
ونشكرهم عليها؛ فإن هذا النصح واجب لنا على كل مسلم، خصوصاً أهل
العلم والفضل منهم جزاهم الله عنا خيرًا .

الفصل السابع

إسناد ابن أبي زمنين إلى يحيى بن سلام

يُن ابن أبي زمنين في أول تفسيره إسناذه إلى يحيى؛ فقال:

وجميع ما نقلته من كتاب يحيى أخبرني به أبي رَحِمَهُ اللهُ عن أبي الحسن علي ابن الحسن، عن أبي داود أحمد بن موسى، عن يحيى بن سلام ومنه ما حدثني به أبي، عن أبي الحسن، عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام، عن أبيه، عن جده، وكل ما أدخلته من طريق يحيى بن محمد فقد قلت: إنه من حديث يحيى بن محمد. اهـ.

فله إليه إسنادان: إسناد رئيسي ساق به أغلب التفسير، وإسناد آخر ساق به بعض الروايات، وهي روايات قليلة، نَبّه على أنها من طريق يحيى بن محمد بنصه خلف كل رواية منها على ذلك أما الإسناد الرئيسي؛ فهو إسناد معروف، وهذه تراجم رجاله^(١):

١- عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين:

قال ابن الفرضي^(٢):

عبد الله بن عيسى بن محمد بن أبي زمنين المري

من أهل البيرة، وأصله من تنس، يكنى: أبا محمد.

(١) لم تقع لنا تراجم بعضهم كما ينبغي؛ لقلة المصادر المتاحة لنا، ورحم الله الحافظ الذهبي إذ يقول في «السير» (٣٤٥/١٨): غالب مشايخ الأندلس لا اعتناء لنا بمعرفتهم؛ لأن روايتهم لا تقع لنا.

(٢) «تاريخ علماء الأندلس» (٢٣١/١) وترجمته في: «ترتيب المدارك» (٥٧١/٤) و«الديباج المذهب» (٣٦٦) أيضًا.

سمع: ببجانة من المَرِيّ علي بن الحسن، وابن فحلون. وبقرطبة: من محمد بن عبد الملك، والرعيّني، وابن أبي دليم، وغيرهم.
وتوفي رَحِمَهُ اللهُ بِقَرطبة في صفر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة، وهو ابن تسع وخمسين سنة، وصلى عليه ابنه محمد، ودُفِنَ في مقبرة الرّيض. اهـ
وتابعه على رواية التفسير عن أبي الحسن المري: علي بن عمر بن نجيح الإلبيري، وعنه روى ابن الفرضي التفسير؛ كما في «تاريخ علماء الأندلس» (٣١٣/١).

٢- أبو الحسن علي بن الحسن:

قال ابن الفرضي (١):

علي بن الحسن المَرِيّ

من أهل بجانة، يُكْنَى: أبا الحسن.

سمع: من يوسف بن يحيى المَعَامِي، ومن طاهر بن عبد العزيز وغيرهما.
ورحل فسمع بإفريقية: من أبي داود أحمد بن موسى بن جرير، رَوَى عنه «تفسير القرآن» ليحيى بن سلام، ورَوَى عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام وغيره، وذلك سنة أربع وسبعين ومائتين، ثم انصرف فسمع الناس منه كثيراً.
حدّث عنه: أحمد بن سعيد، وأبو عيسى يحيى بن عبد الله، وأحمد بن عون الله، وعلي بن مُعَاذ، وجماعة سواهم.

وحدثنا بكتاب «التفسير» عنه علي بن عمر بن نُجَاح الإلبيري.

وتوفي رَحِمَهُ اللهُ: ببجانة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة. أخبرنا بذلك: ابن

(١) «تاريخ علماء الأندلس» (٣١٣/١).

ابنته . وقال لنا مجاهد بن أصبغ : توفي المري في شوال سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة . اهـ .

٣- أبو داود أحمد بن موسى^(١) :

قال ابن فرحون :

أحمد بن موسى بن جرير الأزدي العطار

كنيته أبو داود، وهو من كبار أصحاب سحنون، كان ثقة صالحاً .
سمع من : سحنون، ومن يحيى بن سلام، وأبي خارجة، ومعاوية الصمادحي، وأسد بن الفرات .

وأخذ عنه الناس، وفي كتبه خطأ وتصحيف .

توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين، وهو ابن إحدى وتسعين سنة، مولده سنة ثلاث - وقيل : اثنين - وثمانين ومائة - رحمه الله تعالى . اهـ .

أما الإسناد الثاني فهو عن عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين، عن أبي الحسن علي ابن الحسن المري، عن يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام، عن أبيه، عن جده .
وهذا الإسناد نزل فيه أبو الحسن المري درجة عن إسناده الأول .

أما عبد الله بن عيسى بن أبي زمنين وأبو الحسن المري فقد تقدما في الإسناد السابق، وأما يحيى بن محمد بن يحيى بن سلام^(٢)، فهو ثقة، قال أبو العرب^(٣) : كان يحيى ثقة صدوقاً لا يقول عن جده إلا الحق . وقال :

(١) ترجمته في : «ترتيب المدارك» (٣/٢٦٩ - ٢٧٠) و«الديباج المذهب» (١/٨٧) .

(٢) ترجمته في «طبقات علماء إفريقية» (ص ١١٣) وكتاب «العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين» للعلامة حسن حسني عبد الوهاب (١/١٠٨ - ١٠٩) .

(٣) «طبقات علماء إفريقية» (ص ١١٣) .

ويحيى بن محمد الذي سمعنا منه كان صالحًا ثقة، صحبته سنين طويلة ما رأته قط ضحك ولا غضب إلا مرة واحدة صاح على غلام له، وكان محسنًا في علمه متواضعًا فيه، قليل الخوض فيما لا يعنيه. وقال: وكان مولد يحيى قبل المائتين بستين، ومات سنة ثمانين ومائتين. اهـ.

وقد تابعه على رواية التفسير عن أبيه أبو جعفر أحمد بن زياد، ومن طريقه روى الحافظ ابن حجر تفسير يحيى كما في المعجم المفهرس له (١١١ رقم ٣٨٣) والروداني كما في «صلة الخلف بموصول السلف» (ص ١٧٢) وتابعهما على رواية تفسير سورة النساء: سعدون بن أحمد الخولاني، ومن طريقه رواه ابن حجر كما في المعجم المفهرس (١١١ رقم ٣٨٣)^(١).

وأما محمد بن يحيى بن سلام^(٢) فهو ثقة أيضًا؛ قال أبو العرب: ثقة نبيل. وقال: مات محمد سنة اثنين وستين ومائتين، وهو يومئذ ابن اثنين وثمانين سنة. اهـ.

وقال الدباغ: كان حافظًا له عناية كاملة بالحديث ونقله وروايته وضبطه ومعرفة رجاله وحملته. اهـ

(١) روى أبو عمرو الداني في «نقط المصاحف» (ص ١٠، ١٦) وفي «الأحرف السبعة» (١٩ رقم ٧، ٢٢ رقم ٩) عدة روايات من طريق محمد بن يحيى بن حميد، عن محمد بن يحيى بن سلام، عن أبيه.

ربما تكون هذه الروايات من تفسير يحيى، والله أعلم.

ولو استقصيت كتب البرامج والأثبات والفهارس والمشيخات خصوصًا لعلماء المغاربة لأمكن الوقوف على عدة أسانيد لتفسير يحيى بن سلام - فيما أظن - والله أعلم.

(٢) ترجمته في: «طبقات علماء إفريقية» (ص ١١٣)، و«تاريخ مولد العلماء ووفياتهم» لابن زبر الربيعي (٥٧٧/٢)، «معالم الإيمان» (١٤٥/٢ - ١٥٠)، كتاب «العمر في المصنفات والمؤلفين التونسيين» (١٠٦/١ - ١٠٧)، «تراجم المؤلفين التونسيين» (٥٢/٣) وغيرها.

هذه تراجم رجال إسناد ابن أبي زمنين إلى يحيى بن سلام، وراوي التفسير عنه «أبو عمر» وهو أبو عمر بن الحذاء أحمد بن محمد بن يحيى بن أحمد القرطبي مولى بني أمية، الإمام المحدث الصدوق المتقن^(١)، قال ابن الحذاء^(٢) عن ابن أبي زمنين: لقيت به بقرطبة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، وأجاز لي جميع روايته. اهـ.

(١) ترجمته في: «الصلة» (١/٦٢ - ٦٣) و«بغية الملتبس» (١٦٣)، و«سير أعلام النبلاء» (١٨/٣٤٤) وغيرها.

(٢) نقله ابن بشكوال في «الصلة» (٢/٤٨٣).

الفصل الثامن

التوصيف العلمي للنسخ الخطية للتفسير

اعتمدنا في إخراج هذا التفسير على نسختين خطيتين، هذا هو التوصيف العلمي لهما:

أولاً: نسخة خزانة كلية القرويين بفاس، والتي اتخذناها أصلاً لتحقيق الكتاب، رقم النسخة (٣٤/٤٠).

عدد أوراقها: ٢٠٢ ورقة، ٤٠١ لوحة.

مسطرتها: ٣٢ سطرًا.

المقاس: طولها ٢٦,٥ سم، وعرضها ١٨,٥ سم.

عنوانها: كتب على لوحة العنوان «تفسير ابن أبي زمنين».

وكتب في التعريف بها: مختصر تفسير ابن سلام أبي زكريا يحيى التميمي المتوفى سنة (٢٠٠ هـ) اختصار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين المتوفى سنة (٣٩٩ هـ).

كُتبت بقلم أندلسي نفيس سنة (٦١١ هـ) لأمير المؤمنين أبي العباس المنصور بالله.

أولها: قال أبو عمر: قرئ علي أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين بقرطبة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة: الحمد لله الذي أنزل الكتاب على محمد عبده ورسوله ليكون للعالمين نذيرًا...

آخرها: ﴿الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة﴾ قال محمد: يعني: الذي هو من الجن.

قوله: ﴿والناس﴾ قال يحيى: ومن شر شياطين الإنس. اهـ

تم الجزء العاشر، وبه كمل جميع الديوان.

والحمد لله على ذلك كثيرًا، وصلى الله على محمد نبي الرحمة وعلى آله وسلم تسليمًا، وفي السادس والعشرين من شوال إحدى عشر وستمائة^(١).

وهي نسخة في غاية النفاسة؛ لولا ما كدرها من عبث الأرضة ببعض أطراف أوراقها، وسوء تصوير بعض أوراقها كذلك، ولقد بذلنا جهدًا جهيدًا - عَليمَ الله - في قراءتها ومحاولة استبيان ما طُمس من كلماتها، خصوصًا في الأجزاء التي انفردت بها هذه النسخة عن نسخة المتحف البريطاني.

ثانيًا: نسخة المتحف البريطاني والتي رمزنا لها بالرمز «ر» وجعلناها نسخة مساعدة في تحقيق الكتاب.

رقم النسخة: ١٩٤٩٠ إضافات.

عدد أوراقها: ١٨٨ ورقة.

مسطرتها: ٣٠ سطرًا.

المقاس: ٢٥ سم طولًا ، ٢٠ سم عرضًا.

عنوانها: كتب على غلافها بخط الناسخ: كتاب في تفسير القرآن العزيز.

(١) ذكر كوركس عواد في أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم (ص ١٠٩) هذه النسخة فقال: نسخة تاريخها (٣٩٥هـ - ١٠٠٥م)، في فاس، مقروءة على المؤلف، راجع: أ- مجلة معارف (ج ١٤ ص ٥٠) ٢- «تذكرة النوادر» (ص ٢٠).

قلت: الصواب أن هذا التاريخ (٣٩٥هـ) هو تاريخ قراءة الكتاب على المؤلف، أما تاريخ النسخ فهو (٦١١هـ) كما هو ثابت في آخرها، فعلى هذا فلا تدخل هذه النسخة في نطاق «أقدم المخطوطات» حسب معيار المؤلف الذي جعله، وهي أن تكون كتبت في القرون الخمسة الأولى، والله أعلم.

وكتب في التعريف بها «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين .
 كتبت في القرن الثاني عشر، كما في تاريخ التراث العربي لسزكين (١/١٠٦) .
 وعلى غلافها قصيدة في مدح هذا التفسير، أثبتنا بعضها في أول هذه
 الدراسة .

وهي نسخة حديثة كثيرة السقط والتحريف والتصحيح .
 أول النسخة: بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد
 الكريم وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا .
 قال الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين رحمته الله ...
 آخرها: ﴿له مقاليد﴾ مفاتيح، تفسير قتادة ﴿السموات والأرض يسط
 الرزق لمن يشاء ويقدر إنه بكل شيء عليم شرع لكم﴾ اهـ .
 إلى هنا انتهى الموجود من هذه النسخة، ووقع فيها سقط كبير أيضًا من أول
 تفسير سورة الأعراف إلى آخر تفسير سورة الكهف، وفي النسخة سقوطات
 آخر، نهبنا على بعضها في ثنايا التحقيق، وأعرضنا عن بعضها فهي نسخة
 ناقصة غير كاملة للكتاب .

ويكثر في هذه النسخة التقديم والتأخير عما يقابلها في نسخة الأصل .
 وفيها زيادات كلمات وعبارات عن نسخة الأصل، وقد أثبتنا أكثر هذه
 الزيادات، ونهبنا على زيادتها من نسخة المتحف البريطاني .
 وتمتاز هذه النسخة بأنها ذكرت كل آيات القرآن؛ ما فسره المؤلف منها وما
 لم يفسره، في حين أن نسخة كلية القرويين اكتفت بذكر الآيات المفسرة أو
 بعضها فقط، ونحن وضعنا المصحف في أعلى التفسير؛ لذلك لم نثبت ما في

هذه النسخة من الآيات الكريمة الزائدة عما في نسخة الأصل .
ويكثر في هذه النسخة التحريف والتصحيف ، والظن أن ناسخها رحمته الله كان يرسم الكلمات .

وعلى الرغم من كل عيوب هذه النسخة إلا أن الله نفعنا بها كثيرًا في استظهار الكلمات المطموسة في الأصل ، واستدراك مواطن البياض منها .
ومن هذه النسخة مصورة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٣٦٤٥٦ ب ،
ومن دار الكتب صورناها .

ولم نقف على غير هاتين النسختين للكتاب ، ولم يذكر بروكلمان وسزكين غيرهما ، وذكر في «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط ، علوم القرآن ، مخطوطات التفسير وعلومه» (١/٦٤) خمس نسخ خطية ، وهذا نص ما فيه :

٤٢- ابن أبي زمين (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) ت ٣٩٩ هـ .

أ - مختصر تفسير يحيى بن سلام البصري (ت ٢٠٠ هـ) .

١- خزانة القرويين ١/٧٦ - ٧٧ [34] - ٢٠١ و - ٦١١ هـ - (بروك م ١/٣٣٥ ، سز ١/٤٧) .

٢- خونت ١/١٨٩ [LI] - ١٤٤ و - ق ١٠ هـ .

٣- — ١/١٩١ [52/1] - (١ - ٢٤٣ و) ضمن مجموع - ق ١٠ هـ .

٤- البريطانية (سز ١/٤٧) [Add .19420] - ١٨٨ و - ق ١٢ هـ .

٥ - — (سز ١/٧٤) [820] . اهـ .

قلت : أما النسخة الأولى فهي نسخة الأصل لدينا ، وأما النسخة الرابعة فهي

النسخة المساعدة لدينا، وأما النسخة الخامسة فهي خطأ، إنما هي النسخة الرابعة بعينها، والنسختان الثانية والثالثة فلم أقف عليهما، ولا أعرف عنهما شيئاً غير ما ذكر في هذا الفهرس، واللّه أعلم.

وقد كدتُ أطيّرُ فرحاً لما وجدت نسخة في فهارس دار الكتب المصرية للكتاب مصورة من تونس - نسيت رقمها الآن - فبادرت إلى طلبها؛ فإذا هي صورة من نسخة المتحف البريطاني، لكنها صورت كل لوحة منها في صفحة مفردة.

وكذلك في دار الكتب أيضاً نسخة كُتِبَ في الفهارس عنها: «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين، ٤٠٣ لوحة عن نسخة بصنعاء برقم ٩٧ تفسير. فلما وقفت عليها إذا هي نسخة لتفسير منقول عن أهل البيت عليهم السلام ثم وجدت بعضهم قد صحح ما في هذا الفهرس من خطأ.

هذا آخر ما عندي في الكلام على نسخ الكتاب بحول الله الملك الوهاب.

الباب الثالث
يحيى بن سلام وتفسيره

الفصل الأول: مصادر ترجمة يحيى بن سلام.

الفصل الثاني: ترجمة يحيى بن سلام.

الفصل الثالث: يحيى بن سلام بين الجرح والتعديل.

الفصل الرابع: أوهام يحيى بن سلام وأفراده.

الفصل الخامس: تفسير يحيى بن سلام.

الفصل الأول

مصادر ترجمة يحيى بن سلام^(١)

«الأعلام» للزركلي (١٤٨/٨).

«تاريخ الأدب العربي» لبروكلمان (٣٩٨/٢).

«تاريخ الإسلام» للذهبي (٤٧٣/١٠ - ٤٧٤، ٤٤٢/١١ - ٤٤٣).

«تاريخ التراث العربي» لفؤاد سزكين (٩٠/١ - ٩١).

«تراجم المؤلفين التونسيين» لمحمد محفوظ (٥٣/٣ - ٥٧).

«الثقات» لابن حبان (٢٦١/٩).

«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (١٥٥/٩).

«الحلة السيرة في أشعار الأمراء» لابن الأبار (١٠٥/١).

«رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية» لأبي بكر المالكي (١٨٩/١ - ١٩٢).

«سؤالات البرذعي» لأبي زرعة الرازي (٣٣٩/٢ - ٣٤١).

«سير أعلام النبلاء» للذهبي (٣٩٦/٩ - ٣٩٧).

«الضعفاء والمتروكون» لابن الجوزي (١٩٦/٣)^(٢).

(١) قد فاتت ترجمة يحيى عدة كتب هي على شرطها مثل: «التاريخ الكبير» للبخاري، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان، و«العبر» للذهبي، و«شذرات الذهب» لابن العماد، و«كشف الظنون» لحاجي خليفة، و«إيضاح المكنون» و«هدية العارفين» كلاهما لإسماعيل البغدادي، وغيرها.

(٢) جعله ابن الجوزي رجلين فقال: يحيى بن سلام يروي عن مالك بن أنس قال الدارقطني: ضعيف. ثم قال: يحيى بن سلام البصري كان بإفريقية، يروي عن سعيد عن قتادة، قال ابن عدي: ضعيف. اهـ.

- (١) لابد أن أتقدم بالشكر إلى أخي الكريم أبي عبد الرحمن أسامة بن أحمد؛ الذي تفضل مشكوراً بتصوير ترجمة يحيى من عدة كتب لم تكن تحت يدي، فجزاه الله خيراً.

الفصل الثاني

ترجمة يحيى بن سلام

لما وقفت على تراجم يحيى بن سلام في الكتب المذكورة قبل، وقع اختياري على ترجمته في كتاب «رياض النفوس»^(١) فأثبتها مع بعض التعليقات اللطيفة؛ فأقول:

قال أبو بكر المالكي في «رياض النفوس» (١/ ١٨٩ - ١٩٢):

ومنهم أبو زكرياء يحيى بن السلام^(٢) بن أبي ثعلبة البصري التيمي - تيم ربيعة - مولى لهم، رحمة الله عليه.

كان يحيى بن السلام يقول: أحصيت بقلبي من لقيت من العلماء فعددت ثلاثمائة وثلاثة وستين عالمًا، سوى التابعين، وهم أربعة وعشرون، وامرأة تحدث عن عائشة - رضي الله تعالى عنها^(٣).

روى عنه جماعة بالمشرق والمغرب، وكان يقول: كل من روي عنه العلم؛ فقد روى عني، إلا القليل منهم.

ويذكر عنه أنه قال: روى عني من العلماء أربعة: مالك، والليث بن سعد،

(١) وجدت أن ترجمة يحيى في «طبقات إفريقية» لأبي العرب في غاية الأهمية خصوصًا في توثيق يحيى وابنه محمد وحفيده يحيى بن محمد، لكنني أفردت بابًا لما قيل في يحيى بن سلام جرحًا وتعديلًا، وأفردت لابنه وحفيده كل منهما ترجمة على حدة، ونقلت ما قاله أبو العرب فيهم، فأثرت بعد ذلك ترجمته من «رياض النفوس» حتى لا يتكرر الكلام، ولما فيها من الفوائد.

(٢) كذا في الأصل بالتعريف.

(٣) سننصنع - إن شاء الله - معجمًا لشيوخ يحيى الذين روى عنهم في هذا الكتاب، مع الفهارس آخر الكتاب.

وعبد الله بن لهيعة: ونسي الرابع. ذكر ذلك أحمد بن كدنة، عن أبي العباس ابن حمدون.

وقال: كتب عني مالك بن أنس ثمانية عشر حديثاً^(١).

قال أبو العرب: كان مولده سنة أربع وعشرين ومائة، سكن القيروان وأقام بها مدة من الزمان، ثم خرج إلى المشرق فتوفي بمصر سنة مائتين، ودفن بالمقطم بجواز قبر عبد الله بن فروخ.

ومن سنده عن عبد الرحمن بن ثوبان مولى رسول الله ﷺ عن رسول الله أنه قال: «خصلتان من كانتا فيه كتبه الله - عز وجل - شاكراً صابراً، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله - تعالى - شاكراً ولا صابراً: من نظر إلى من فوقه في الدين ودونه في الدنيا؛ فاقتدى بهما، كتبه الله - سبحانه - شاكراً صابراً، ومن نظر إلى من فوقه في الدنيا ودونه في الدين، فاقتدى بهما، لم يكتبه الله - عز وجل - شاكراً ولا صابراً»^(٢).

ذكر فضله ومناقبه

أحمد بن محمد بن كدنة، قال: سمعت محمداً بن يحيى يقول: «قال لي أبي - وأنا زميله في سفري إلى الحج -: يا بني، رويت ستة آلاف حديث - أو ثمانية آلاف حديث - لم يسألني عنها أحد، ولم أحدث بها أحداً. قال أبو سنان زيد بن سنان: أخذت بركابه فركب، فقال لي: أجرك الله يا

(١) في «معالم الإيمان» (٣٢٢/١) قال: كتب عني مالك أربعة وعشرين حديثاً.

(٢) روى الترمذي (٥٧٤/٤) رقم (٢٥١٢) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٥١ - ١٥٢) رقم (٣٠٩) والبغوي في «شرح السنة» (٢٩٣/١٤ - ٢٩٤) رقم (٤١٠٢) عن عبد الله بن عمرو نحوه.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

ابن أخي، أما إنه من أخذ بركاب أخيه المؤمن حتى يركب، حط الله - عز وجل - عنه أربعين كبيرة. فقلت له: يا أبا زكريا، إن هذا من العلم الشريف، ولكنني أريد أن تخبرني بأفضل ما تقرب العباد به إلى الله - عز وجل - فقال: أخبرني [زربي]^(١) عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «لن يتقرب العباد إلى الله - تعالى - بأفضل من رد كبد جائعة»^(٢).

قال أبو العرب: سألت يحيى بن محمد بن يحيى بن السلام خاليًا، عن قول جده في الإيمان، فقال لي: كان جدِّي يقول: الإيمان قول وعمل ونية. وكان يحيى ثقة صدوقًا لا يقول عن جدِّه إلا الحق.

وعن أبي القاسم السدري، أنه كتب إليه عيسى بن مسكين يقول: حدثنا عون بن يوسف، قال: قلت ليحيى بن السلام: إن الناس يرمونك بالإرجاء، قال عون: فأخذ يحيى لحيته بيده وقال: أحرق الله هذه اللحية بالنار إن كنت دنتُ الله - عز وجل - قط بالإرجاء! فقيل لعيسى: فما تقول أنت فيه؟ فقال:

(١) في المطبوع: زر. وفي «معالم الإيمان» (٣٢٣/١): زيد بن حبيش. وكلاهما خطأ، وما أثبتته هو الصواب؛ فقد روى ابن عدي هذا الحديث في «الكامل» (٢١٤/٤) وابن حبان في «المجروحين» (٣٠٨/١ - ٣٠٩) في ترجمة زربي بن عبد الله، والحديث معروف به، وزربي ابن عبد الله ترجمته في «التهذيب» (٣٤٦/٩ - ٣٤٧).

(٢) رواه ابن عدي في «الكامل» (٢١٤/٤) وابن حبان في «المجروحين» (٣٠٨/١ - ٣٠٩) والبيهقي في «الشعب» (٣١٧/٣) وأبو الشيخ في «الثواب والأصهباني» - كما في «الترغيب والترهيب» للمنزدي (٦٦/٢) - وابن الجوزي في «الموضوعات» (٥١٩/٢) - ٥٢٠ رقم (١٠٨٥) كلهم من طريق زربي به.

وقال ابن عدي: ولزربي غير ما ذكرت من الحديث قليل، وأحاديثه وبعض متون أحاديثه منكرة.

وقال ابن حبان عن زربي: منكر الحديث على قلة روايته، يروي عن أنس ما لا أصل له؛ فلا يجوز الاحتجاج به.

والله إنه لخير منا، وقد برأه الله مما يقولون.

وفي موضع آخر: كيف وقد حدثتكم أنه بدعة؟

قال أبو العباس بن حمدون: سمعت محمدًا بن يحيى يقول: كنت أمشي أبي - رحمه الله تعالى - إلى أن انتهينا إلى موقف الخيل، فبينما نحن نمشي إذ جبذني جبذة شديدة ثم دخل إلى سقيفة وأدخلني معه، فقلت له: يا أبي ما قصتك؟! فقال: يا بني، إني رأيت غريمًا لي فخفت أن يراني فيرتاع مني أو يخاف، وذكرْتُ قول الله - تعالى -: ﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾^(١). ففعدنا ساعة، ثم خرج أبي فخرجت معه، فلما أن مشينا قليلًا قال: يا بني، إنه جاء في الحديث: «من رحم يرحم»^(٢).

أبو العباس تميم بن أبي العرب عن أبيه، قال: كان يحيى بن السلام من خيار خلق الله تعالى؛ دعا الله - تعالى - أن يقضي عنه الدين؛ ففضى دينه، ودعا الله - عز وجل - أن يورث ولده العلم؛ فكان كما دعا، ودعا الله - عز وجل - أن يكون قبره بمقطم مصر؛ فكان ذلك، وقبره إلى جانب قبر ابن فروخ، وقيل: إنه يُرى عليهما كل ليلة قنديلان.

قال سليمان بن سالم: إنما نُسب إلى يحيى بن السلام الإرجاء أن موسى ابن معاوية الصمادحي أتاه فقال له: يا أبا زكريا، ما أدركت الناس يقولون في

(١) البقرة: ٢٨٠.

(٢) روى البخاري (١٨٠/٣ رقم ١٢٨٤) ومسلم (٦٣٥/٢ - ٦٣٦ رقم ٩٢٣) عن أسامة بن زيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء».

وروى البخاري (٤٥٢/١٠ رقم ٦٠١٣) ومسلم (١٨٠٩/٤ رقم ٢٣١٩) عن جريو بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله - عز وجل». وفي الباب عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم.

الإيمان؟ فقال: أدركت مالكًا وسفيان الثوري وغيرهم يقولون: الإيمان قول وعمل، وأدركت مالك بن مِغُولٍ وفِطْر بن خليفة وعمر بن ذر يقولون: الإيمان قول. قال سليمان: فأخبر موسى سحنون بن سعيد بما ذكر يحيى عن عمر بن ذر وفِطْر بن خليفة ومالك بن مِغُول، ولم يذكر له ما قال عن غيرهم، فقال سحنون: هذا مرجئ.

حدث عون بن يوسف، قال: كنت عند عبد الله بن وهب وهو يُقرأ عليه، فمر حديث ليحيى بن السلام؛ فقال: امحه! فقال عون: فقلت له: لم تمحوه أصلحك الله؟! فقال: بلغني أنه يقول بالإرجاء، فقلت له: فأنا كشفته عن ذلك، فقال لي: أنت؟! فقلت له: نعم، فقال لي: فما قال لك؟ قال: قلت له، فقال: معاذ الله أن يكون ذلك رأيي، أو أدين الله به، ولكن أحاديث رويتها عن رجال يقولون: الإيمان قول. وآخرين يقولون: الإيمان قول وعمل؛ فحدثنا بما سمعنا منهم. فقال لي ابن وهب: فرجت عني، فرج الله عنك. قال عون: فلما قدمت القيروان - وكان يحيى باقيًا بعد - أتاني فسلم عليّ وقال لي: يا أبا محمد، قد بلغني محضرك؛ فجزاك الله خيرًا، والله ما قلت إلا حقًا، وما دنتُ الله به قط. اهـ.

الفصل الثالث

يحيى بن سلام بين الجرح والتعديل

اجتهدت في جمع كل ما يُقيد في ترجمة يحيى بن سلام جرحًا وتعديلًا، مما وقفت عليه من مصادر ترجمته وغيرها من الكتب، فأقول:

قال أبو زرعة الرازي^(١): لا بأس به، ربما وهم.

وقال أبو حاتم الرازي^(٢): كان شيخًا بصريًا وقع إلى مصر، وهو صدوق. وروى له أبو عوانة في صحيحه^(٣).

وعلى الطحاوي^(٤) تضعيفه لحديث بقوله: لا يثبته أهل العلم بالرواية؛ لضعف يحيى بن سلام عندهم وابن أبي ليلى، وفساد حفظهما.

وذكر ابن حبان في «الثقات»^(٥) وقال: ربما وهم.

وقال ابن عدي^(٦): هو ممن يُكتب حديثه مع ضعفه.

وقال الدارقطني^(٧): يحيى بن سلام ضعيف^(٨).

وقال مرة^(٩): يحيى بن سلام ليس بالقوي.

(١) «سؤالات البرذعي» (٣٣٩/٢).

(٢) «الجرح والتعديل» (١٥٥/٩).

(٣) «مسند أبي عوانة» (٦٠/١) رقم ١٥٦، ٨١/٢ رقم ٢٣٩٦.

(٤) «شرح معاني الآثار» (٢٤٦/٢).

(٥) «الثقات» (٢٦١/٩).

(٦) «الكامل» (١٢٥/٩).

(٧) «سنن الدارقطني» (٣٢٧/١).

(٨) تعقبه ابن الجوزي في التحقيق - مع تنقيح ابن عبد الهادي - (٨٤٧/٢) بقوله: لم نر أحدًا ضعفه قبل الدارقطني!

(٩) «سنن الدارقطني» (١٨٦/٢).

وقال الحاكم^(١): يحيى بن سلام كثير الوهم.

وصحح له الحاكم حديثًا على شرط مسلم^(٢).

وذكره الحاكم في الطبقة الرابعة من المجروحين، وهم قوم عمدوا إلى أحاديث صحيحة عن الصحابة رفعوها إلى رسول الله ﷺ^(٣).

وقال أبو العرب القيرواني^(٤): يحيى بن سلام قدم إفريقية، وكان ثقة ثبًا، وكان له إدراك، لقي غير واحد من التابعين، وأكثر من لقي الرجال والحمل عنهم، وله مصنفات كثيرة في فنون العلم، وكان من الحفاظ؛ حدثني يحيى ابن محمد بن يحيى بن سلام، عن أبيه، عن جده يحيى أنه ما سمع شيئًا قط إلا حفظه، حتى إنه كان إذا مر بمن يتغنى يسد أذنيه لئلا يسمعه فيحفظه. وكان من خيار خلق الله.

وقال أبو عمرو الداني^(٥): كان ثقة ثبًا، عالمًا بالكتاب والسنة، وله معرفة باللغة العربية.

وقال البيهقي^(٦): يحيى بن سلام من الضعفاء.

وقال مرة^(٧): يحيى بن سلام ليس بالقوي.

وقال ابن حزم^(٨): ليس هو ممن يُحتج بحديثه.

(١) ذكره عنه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» (ص ١٦٠).

(٢) «المستدرک» (٣٢/٢).

(٣) «المدخل إلى كتاب الإكليل» (ص ٦١ - ٦٢).

(٤) «طبقات علماء إفريقية» (١١١/١).

(٥) نقله الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٣٩٧/٩) و«تاريخ الإسلام» (٤٤٣/١١).

(٦) «السنن الكبرى» (٦٠/٢).

(٧) «السنن الكبرى» (٢٥/٥).

(٨) «المحلى» (٢٩/٧).

وقال أبو الحسن القطان^(١) في رده على عبد الحق: وله علة أخرى لم يذكرها، وهي ضعف يحيى بن سلام، وسكوته عن التعريف بذلك يوهم أنه مما رفعه ثقة ووقفه ثقة، وليس كذلك؛ فإن يحيى بن سلام ضعيف عندهم. وقال^(٢) في رد آخر: وليس ذلك بعلة لو كان يحيى بن سلام معتمداً.

وقال^(٣) أيضاً: ويحيى بن سلام صدوق، ولكنه يضعف في حديثه - كما قلناه - ولو لم يخالف؛ فكيف إذا خالف الحفاظ؟! وقال الذهبي^(٤): يحيى ضعيف، ولم يُخرج له أحد.

وقال ابن كثير^(٥): هو ضعيف بمرة، لا يُعتمد عليه.

وقال السبكي^(٦): يحيى كثير الوهم.

وقال الهيثمي^(٧): يحيى بن سلام الإفريقي ضعيف.

وقال ابن حجر^(٨): هو لين الحديث، وفيما يرويه مناكير كثيرة^(٩).

(١) «بيان الوهم والإيهام» (٣٠٣/٢).

(٢) «بيان الوهم والإيهام» (٢٨٠/٣).

(٣) «بيان الوهم والإيهام» (٣٠٤/٢).

(٤) «تلخيص المستدرک» (٣٢/٢).

(٥) «إرشاد الفقيه إلى معرفة أدلة التنبيه» (١٢٥/١).

(٦) «الإبهاج في شرح المنهاج» (٢٢٦/٢).

(٧) «مجمع الزوائد» (١٣٤/٤).

(٨) «العجائب في بيان الأسباب» (٢١٩/١).

(٩) لعل هذه الكثرة تعود إلى كثرة روايته عن الضعفاء والمتروكين - كإبراهيم بن أبي يحيى وأبان ابن أبي عياش، ونحوهم - وإلى روايته المراسيل والمعضلات من الأحاديث ونحوها، وإلا فأغلب أحاديث التفسير - كما في تخريجي لمختصره هذا - قد تُروى يحيى عليها، وما كان منها فيه نكارة فالجمل فيه على غيره من الرواة، كما تجده مفصلاً في تخريج الأحاديث، والله أعلم.

وشيوخه مثل سعيد بن أبي عروبة ومالك والثوري.

وقال^(١) أيضًا: يحيى ضعيف.

وقال^(٢) مرة: يحيى بن سلام أصلح حالا من محمد بن مروان بكثير.

وقال الأنصاري^(٣): وليحيى بن سلام كتاب في التفسير واختيارات في الفقه، وكان ثقة، ومحلّه من العلم معلوم.

فنخلص من جمع كلام أهل العلم أن أعدل الأقوال في يحيى بن سلام قول الإمام أبي زرعة الرازي^(٤) فيه: «لا بأس به، ربما وهم» فإنه جمع بين قول من وثقه وقول من ضعفه؛ وبين سبب تضعيفه، وهو: هذه الأوهام التي وقع فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذه الأوهام هي التي جعلتني أطيل الكلام على الأحاديث وأذكر طرقها وعللها، وأتوسع في نقل كلام الأئمة - رحمة الله عليهم أجمعين - عليها، ثم حاولت جمع ما نصّ أهل العلم على وهم يحيى فيه من الأحاديث، أو ما استنكروه له، أو ما نصّ بعضهم على تفرد به؛ وأفردتها بالفصل التالي زيادة في الفائدة.

(١) «فتح الباري» (٢٨٦/٤) و«التلخيص الحبير» (٣٤٨/٣).

(٢) «العجاب في بيان الأسباب» (٢٦٣/١).

(٣) «معالم الإيمان» (٣٢٦/١).

(٤) قال الحافظ الذهبي في السير (٨١/١٣): يُعْجِبُنِي كَثِيرًا كَلَامُ أَبِي زُرْعَةَ فِي الْجَرَحِ وَالتَّعْدِيلِ، يَبِينُ عَلَيْهِ الْوَرَعُ وَالْمَخْبَرَةُ.

الفصل الرابع

أوهام يحيى بن سلام وأفراده

هذا ما وقفت عليه من الأحاديث التي نص العلماء على استنكارها ليحيى ابن سلام أو وهمه فيها أو تفرده بها حسب الجهد والطاقة.

الحديث الأول

يحيى بن سلام: عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «أي الشجرة أبعد من الخارف^(١) - أو الخاذف؟ قالوا: فرعها، قال: فذلك الصف المقدم هو أحصنها من الشيطان».

رواه البرذعي في «سؤالاته» (٣٤٠/٢ - ٣٤١) وابن عدي في «الكامل» (٣٠٣/٢ ، ١٢٣/٩).

قال البرذعي: قلت: حدث - يعني: يحيى - عن سعيد، عن قتادة، عن أنس عن النبي ﷺ: «أندرون أي شجرة أبعد من الخارف» فأنكره أبو زرعة. قال البرذعي: وأنكر أبو زرعة حديث الخارف الذي ذكرته له، ولم يخبرني بعلته، ولا أدري علمه فسكت عنه أو لم يحفظه. قال البرذعي: وقد ذكر الحديث وعلته ليهتدي إليه من لا يعرفه: حدثنا بحر بن نصر الخولاني، نا يحيى بن سلام، نا سعيد . . . فساق الحديث ثم قال: حدثنا زياد بن أيوب، نا هشيم، نا منصور، عن قتادة، عن أبي قلابة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أي الشجر أمتع من الخارف؟ قالوا: أطولها فرعاً. قال: فذلك الصف الأول هو أمتع من الشيطان».

(١) هو الذي يَخْرُفُ الثمر: أي يجتنيه. «النهاية» (٢٤/٢).

وهذا عندنا علة حديث يحيى بن سلام، وله أصل من حديث قتادة، إلا أنه أوهم في قوله: عن أنس. اهـ.

وقال ابن عدي: وهذا الحديث لا أعلم يرويه بهذا الإسناد عن سعيد غير يحيى بن سلام. اهـ.

وقال الذهبي في «الميزان» (٣٨١/٤) في ترجمة يحيى: ومن أنكر ما له... فذكر هذا الحديث ثم قال: وهذا منكر جداً^(١).

الحديث الثاني

قال البرذعي في «سؤالاته» (٣٤٠/٢): وقال لي - يعني: أبا زرعة الرازي - : حدثنا أبو سعيد الجعفي، قال: نا يحيى بن سلام، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة «في قوله: ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾»^(٢) قال: مصر». وجعل أبو زرعة يعظم هذا ويستقبحه، قلت: فأيش أراد بهذا؟ قال: هو في تفسير سعيد عن قتادة: «مصيرهم» اهـ.

الحديث الثالث

يحيى بن سلام: ثنا مالك، عن وهب بن كيسان، عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «من صلى ركعة فلم يقرأ فيها بأم القرآن فلم يصل إلا وراء الإمام».

(١) وقد تابع يحيى عليه ثابت بن حماد، رواه ابن عدي في «الكامل» (٣٠٣/٢) وقال: وهذا يُعرف بيحيى بن سلام الإفريقي عن سعيد بهذا الإسناد، لا يرويه إلا ثابت بن حماد. ثم قال في آخر ترجمة ثابت بن حماد: وثابت بن حماد له غير هذه الأحاديث، أحاديث يخالف فيها وفي أسانيد الثقات، وأحاديثه منكيرا ومقلوبات. اهـ.

(٢) الأعراف: ١٤٥.

وقد أحسن ابن أبي زمنين رحمه الله إذ حذف قول قتادة هذا من تفسيره.

رواه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢١٨/١) وابن عدي في «الكامل» (١٢٤/٩) والدارقطني في «سننه» (٣٢٧/١) والبيهقي في «القراءة خلف الإمام» (ص ١١٠).

وهو في «الموطأ» عن جابر موقوفًا، ورواه الطحاوي من طريق ابن وهب وإسماعيل بن موسى ابن ابنة السدي عن مالك موقوفًا، قال إسماعيل: فقلت لمالك: أرفعه؟ فقال: خذوا برجله^(١).

وقال ابن عدي: وهذا الحديث عن مالك بهذا الإسناد لم يرفعه عن مالك غير يحيى بن سلام، وهذا الحديث في «الموطأ» من قول جابر موقوف. وقال الدارقطني: يحيى بن سلام ضعيف، والصواب موقوف.

وقال الحاكم: وهم يحيى بن سلام على مالك بن أنس في رفع هذا الخبر، ويحيى بن سلام كثير الوهم، وقد روى مالك هذا الخبر في «الموطأ» عن وهب ابن كيسان عن جابر من قوله. اهـ. نقله عنه البيهقي في «القراءة خلف الإمام» (ص ١١٠).

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٤٨/١١ - ٤٩): لم يرو هذا الحديث أحد من رواة «الموطأ» مرفوعًا، وإنما هو في «الموطأ» موقوف على جابر من قوله، وانفرد يحيى بن سلام برفعه عن مالك، ولم يُتابع على ذلك، والصحيح فيه أنه من قول جابر. اهـ.

وقال في «الاستذكار» (٢٤٢/٤): وهو حديث لا يصح إلا موقوفًا على جابر.

(١) قال البيهقي في «القراءة خلف الإمام» (ص ١١١): هذه الحكاية عن مالك تكذب رواية من رواه مرفوعًا. اهـ.

ورواه البيهقي في «سننه» (٦٠/٢) من طريق ابن بكير عن مالك موقوفاً ثم قال: هذا هو الصحيح عن جابر من قوله غير مرفوع، وقد رفعه يحيى بن سلام وغيره من الضعفاء^(١) عن مالك، وذلك مما لا يحل روايته على طريق الاحتجاج به. اهـ.

وقال عبد الحق في «الأحكام الوسطى» (٣٨٠/١): رواه يحيى بن سلام عن مالك بهذا الإسناد عن النبي ﷺ وتفرد برفعه، ولم يُتابع عليه، ورواه أصحاب «الموطأ» موقوفاً على جابر، وهو الصحيح. اهـ.

وقال ابن كثير في «إرشاد الفقيه» (١٢٥/١): والصحيح ما رواه مالك في «الموطأ» عن وهب بن كيسان عن جابر موقوفاً، وقد رفعه يحيى بن سلام عن مالك، وهو ضعيف بمرة، لا يُعتمد عليه. اهـ.

وقال السبكي في «الإبهاج شرح المنهاج» (٢٢٦/٢): لم يرفعه عن مالك غير يحيى بن سلام، وهو في «الموطأ» موقوف، وقد قيل: وهم يحيى بن سلام عن مالك في رفعه، ولم يُتابع عليه، ويحيى كثير الوهم. اهـ.

الحديث الرابع

يحيى بن سلام: عن شعبة، عن ابن أبي ليلى، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: «رخص رسول الله ﷺ للمتمتع إذا لم يجد الهدي أن يصوم أيام التشريق».

رواه الطبري في «تفسيره» (٢٥٠/٢) والطحاوي في «شرح المعاني» (٢/٢٤٣) والدارقطني في «سننه» (١٨٦/٢) والبيهقي في «سننه» (٢٥/٥) وتمام

(١) انظر: «القراءة خلف الإمام» للبيهقي (ص ١١٠ - ١١١).

ورواه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤/ ٢٢٧١ رقم ٥٦٣٠) عن محمد بن المظفر به، لكنه أفرد طريق مالك عن الزهري به، ولم يذكر طريق سعيد عن معمر فيه.

وهذا الحديث في «الموطأ» عن مالك، عن ابن شهاب بلاغاً، قال ابن عبد البر في «التمهيد» (٥٤/١٢): هكذا رواه جماعة رواة «الموطأ» وأكثر رواة ابن شهاب. ثم قال: رواه يحيى بن سلام عن مالك ومعمرو وبحر السقاء، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه - مسنداً، فأخطأ فيه يحيى بن سلام على مالك، ولم يتابع عنه على ذلك، ووصله معمر، فرواه عن ابن شهاب، عن سالم، عن ابن عمر. ويقولون: إنه من خطأ معمر، ومما حدث به بالعراق من حفظه؛ وصحيح حديثه ما حدث به باليمن من كتبه. اهـ.

وقال أبو العباس الداني في «أطراف الموطأ» (٢٦٨ - ب): ولم يتابع يحيى على هذا عن مالك، ولعل رواية مالك اشبهت عليه برواية معمر فقرنها، وأخطأ في ذلك^(١). اهـ.

الحديث السادس

يحيى بن سلام: ثنا الثوري، عن زيد الإيمامي، عن ابن سلمة، عن عبد الله بن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين إلا وبينهما من الله - عز وجل - ستر؛ فإذا قال أحدهما لصاحبه: كافر، فقد وقع الكفر على أحدهما، وإن قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر، خرق ستر الله - تعالى».

رواه الدارقطني في «العلل» (٢٣٠/٥) ومن طريقه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٧٣٢/٢ - ٧٣٣ رقم ١٢٢٠).

وهذا الحديث معروف من رواية يزيد بن أبي زياد، عن عمرو بن سلمة، عن ابن مسعود.

(١) نقلاً عن حاشية «غرائب حديث مالك» (ص ١٠٥).

قال الدارقطني: يرويه يزيد بن أبي زياد، واختلف عنه: فرواه زائدة، عن يزيد، عن عمرو بن سلمة، عن ابن مسعود مرفوعاً. وتابعه الثوري من رواية عبد الله بن محمد بن المغيرة عنه. وخالفهما شعبة وجريز وابن فضيل؛ فرووه عن يزيد بن أبي زياد، عن عمرو بن سلمة، عن ابن مسعود موقوفاً، وهو الصواب. وقال يحيى بن سلام: عن الثوري، عن زبيد الإيامي، عن ابن سلمة، عن ابن مسعود مرفوعاً. وهو وهم. اهـ. وقال ابن الجوزي: قال الدارقطني: المرفوع وهم، وقد رُوي موقوفاً، وهو الصواب.

الحديث السابع

سُئل الدارقطني^(١) عن حديث أبي برزة عن النبي ﷺ في الحوض، فقال: حدث به قرّة بن خالد، واختلف عنه: فرواه ابن مهدي^(٢) ومعاذ بن معاذ وعثمان بن عمر، عن قرّة، عن أبي جمرة - واسمه نصر بن عمران - عن أبي برزة موقوفاً. وخالفهم يحيى بن سلام الأفريقي؛ فرواه عن قرّة عن الحسن عن أبي برزة مرفوعاً، ووهم فيه والصواب حديث أبي جمرة. اهـ.

(١) «علل الدارقطني» (٦/٣٠٨ - ٣٠٩ رقم ١١٥٩).

(٢) رواه البيهقي في «الاعتقاد» (ص ١٢٠) من طريق عبد الرحمن بن مهدي، عن قرّة بن خالد، عن أبي جمرة، قال: «دخل أبو برزة على عبيد الله بن زياد فقال: إن محمدكم هذا لدحداح - الدحداح: القصير السمين «النهاية» (٢/١٠٣) - فقال: ما كنت أراي أن أعيش في قوم يعدون صحبة محمد ﷺ عازاً! قالوا: إن الأمير إنما دعاك ليسألك عن الحوض، فقال: عن أي باله؟ قال: أحق هو؟ قال: نعم، فمن كذب به فلا سقاه الله منه».

وقال الدارقطني في «الأفراد»^(١): تفرد به يحيى بن سلام عن قرّة عنه - يعني: عن الحسن عن أبي برزة - وخالفه عبد الرحمن بن مهدي وعثمان بن عمر وغيرهما، رواه عن أبي جمرة نصر بن عمران عن أبي برزة نحو هذا. اهـ.

الحديث الثامن

يحيى بن سلام: عن مالك، عن الزهري، عن عيسى بن طلحة، عن عبد الله بن عمرو: «أن رسول الله ﷺ وقف للناس في حجة الوداع، فقال رجل: يا رسول الله، حلفت قبل أن أذبح؟ فقال رسول الله ﷺ: اذبح ولا حرج. قال آخر: يا رسول الله، ذبحت قبل أن أرمي؟ قال: ارم ولا حرج. قال آخر: يا رسول الله، طفت بالبيت قبل أن أذبح؟ قال: اذبح ولا حرج. قال: فما سئل عن شيء قُدم ولا أخر إلا قال: لا حرج، لا حرج».

رواه الدارقطني وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ٢٦٤ - ٢٦٥).

والحديث في «الموطأ» بهذا الإسناد - وخرجه الشيخان من طريقه - لم يقل أحد من رواة «الموطأ» فيه: «طفت بالبيت قبل أن أذبح» بل تفرد بها يحيى ابن سلام، قال ابن عبد البر: هذا حديث صحيح، لا يختلف في إسناده، ولا أعلم عن مالك اختلافاً في ألفاظه إلا ما رواه يحيى بن سلام عن مالك ذكره الدارقطني... ولم يقل أحد في هذا الحديث: «طفت بالبيت قبل أن أذبح» إلا يحيى بن سلام، ولم يتابع عليه، وهكذا رواه جمهور أصحاب ابن شهاب كما رواه مالك في «موطئه». اهـ.

الحديث التاسع

يحيى بن سلام: عن سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي ﷺ

(١) «أطراف الغرائب والأفراد» (٥/ ٢٤ رقم ٤٥٥٩).

رواه ابن عدي في «الكامل» (٩/١٢٤).

وقال الذهبي في «الميزان» (٣٨١/٤): وهذا انفراد به يحيى^(١).

ذكره الدارقطني في «العلل» (٢١٨/١).

فرواه حماد بن سلمة من رواية أبي الوليد الطيالسي^(٢) ويحيى بن سلام

(١) وانظر: «علل الدارقطني» (٩/٢٠٢).

(٢) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ (١٣٤/٤ رَقْم ١٦٠٨) مِنْ طَرِيقِ أَبِي الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيِّ بِهِ، وَقَالَ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ؛ إِنَّمَا أَسْنَدُهُ حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ وَعَبْدُ الْوَهَّابُ بْنُ عَطَاءٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَسَأَلْتُ مُحَمَّدًا عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: لَا أَعْلَمُ أَحَدًا زَوَاهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ إِلَّا حَمَادُ بْنُ سَلَمَةَ. وَرَوَى عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ نَحْوَ رِوَايَةِ حَمَادِ بْنِ سَلَمَةَ. اهـ. وَانْظُرْ: «عِلَلُ التِّرْمِذِيِّ الْكَبِيرِ» (ص ٢٦٥).

عنه، فأسنده عنه عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن أبي بكر. وخالفهما عفان بن مسلم^(١)؛ فرواه عن حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة مرسلًا عن أبي بكر، لم يذكر فيه أبا هريرة. وتابعه عبد العزيز بن محمد الدراوردي وأنس بن عياض وغير واحد عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، لم يذكروا فيه أبا هريرة. ورواه عبد الوهاب بن عطاء الخفاف^(٢) عن محمد بن عمرو؛ فأسنده عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ. والصحيح من هذا الحديث المرسل؛ لكثرة من رواه من الحفاظ عن محمد ابن عمرو مرسلًا. اهـ.

وقال البزار في «مسنده» (٨١/١): وهذا الحديث لا نعلم أحدًا رواه فوصله إلا حماد بن سلمة وعبد الوهاب، وغيرهما يرويه عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة مرسلًا. اهـ.

الحديث الحادي عشر

يحيى بن سلام: عن عثمان بن مقسم، عن قتادة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عاصم بن عمر، عن عمر أن النبي ﷺ قال: «إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا - يعني: المغرب - وغربت الشمس؛ فقد أفطر الصائم»^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (٩/١) عن عفان.

(٢) رواه الإمام أحمد (١٣/١) والترمذي (١٣٥/٤) رقم ١٦٠٩ من طريقه، وقال الترمذي: وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ.

(٣) والحديث محفوظ من طريق هشام بن عروة، رواه الجماعة إلا ابن ماجه، وقال علي بن المديني: لا نحفظه إلا من طريق هشام، وهو إسناده متصل، وهو من صحيح ما يروى عن عمر. وقال الترمذي: لا نعلمه يروى عن عمر بن الخطاب إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. انظر «مسند الفاروق» لابن كثير (٢٧٢/١ - ٢٧٣).

رواه ابن عدي في «الكامل» (١٢٥/٩).
وقال ابن عدي: وهذا الحديث من رواية قتادة عن هشام بن عروة لا أعرفه إلا من هذا الوجه.
وليحيى بن سلام غير ما ذكرت من الحديث، وأنكر ما رأيت له هذه الأحاديث التي ذكرتها^(١)، وهو ممن يُكتب حديثه مع ضعفه. اهـ.

الحديث الثاني عشر

يحيى بن سلام: عن أيوب بن نهيك، عن يعلَى بن شداد بن أوس، عن أبيه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «مَنْ أَنْظَرَ مَعْسِرًا - أَوْ تَصَدَّقَ عَلَيْهِ - أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٥٤/٥).
قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن يعلَى بن شداد إلا أيوب بن نهيك، تفرد به يحيى بن سلام. اهـ.
وقال الهيثمي في المجمع (١٣٤/٤): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه يحيى بن سلام الأفرقي، وهو ضعيف. اهـ.

الحديث الثالث عشر

يحيى بن سلام: نا عثمان بن مقسم البري، عن يحيى بن سعيد، عن سليمان بن يسار، قال: كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ «أَنَّ

(١) وقد ذكر له أربعة أحاديث:

- الحديث الأول: حديث الخارف، وهو الأول في هذا الباب.
- الحديث الثاني: حديث جابر في القراءة خلف الإمام، وهو الثالث هنا.
- الحديث الثالث: حديث جابر في فضل أيام العشر، وهو التاسع هنا.
- الحديث الرابع: حديث عمر هذا.

الصَّلَاةُ كانت على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ركعتين، وزيدٌ في صلاةِ المقيم، وأثبت صلاةَ المسافرِ كما هي^(١).

رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/٣٧٥).

قال الطبراني: لا يروى عن عمر بن عبد العزيز إلا من هذا الوجه. اهـ.
هذا كل ما استطعت جمعه مما استكره أهل العلم على يحيى من الأحاديث، أو نصوا على وهمه فيه أو تفرد به، حسب جهدي القاصر، وحسب ما توفر لي من مصادر، مع صعوبة البحث في كثير من المصادر وعدم توفر الفهارس العلمية الدقيقة لها^(٢)، وصعوبة الاستقراء التام لهذا العدد الكبير من المصادر، فمن وجد شيئاً من ذلك فليدققه في مجله، ولو يسر الله لنا الوقوف على تفسير يحيى بن سلام نفسه لعلنا نجد شيئاً مما هو على شرطنا في هذا الباب، أما هذا المختصر فلا يوجد فيه من هذا الباب شيء، والحمد لله.

(١) كذا وقع هذا الحديث في «المعجم الأوسط»، ورواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/١٣١) بنفس إسناده في الأوسط ووقع فيه مخالفات في الإسناد؛ ففيه: عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن يسار، عن عمر بن عبد العزيز، حدثني ابن الزبير، عن عائشة رضيها الله عنها قالت: «فُرِضَت الصلاة ركعتين، فزُيد في صلاة المقيم، وأثبت صلاة المسافر كما هي».

قال الطبراني: لم يدخل أحدٌ ممن روى هذا الحديث عن يحيى بن سعيد فيما بين يحيى وعروة: سعيد بن يسار وعمر بن عبد العزيز إلا عثمان بن مقسم، ورواه زهير بن معاوية عن يحيى بن سعيد عن عروة نفسه. اهـ.

(٢) ونناشد كل إخواننا ومشايخنا العاملين في مجال تحقيق الكتب العلمية أن يهتموا بعمل فهرس دقيقة لهذه الكتب، خصوصاً فهرس الأحاديث، وفهرس الرواة فإن هذا الفهرس في غاية الأهمية لعمل دراسات عن بعض الرواة وجمع كلام أهل العلم فيهم، وما زال فضيلة الدكتور الكريم/ أحمد بن معبد عبد الكريم يؤكد لنا أهمية هذا الفهرس بالذات في أغلب جلسائنا معه، جزاه الله عنا خيرًا؛ لما يُسديه لنا من النصيح والتشجيع المستمر، جعل الله ذلك كله في ميزان حسناته، ونفعنا الله بعلمه.

الفصل الخامس

تفسير يحيى بن سلام^(١)

لا شك في صحة نسبة هذا التفسير إلى يحيى بن سلام، ومما يدل على ذلك :

أنه قد رواه بسنده إلى يحيى بن سلام جماعة من العلماء؛ منهم ابن أبي زمنين^(٢) وابن الفرضي^(٢) وابن خير الإشيلي^(٣) وابن حجر^(٢) والروداني^(٢) وغيرهم.

وقد أكثر أهل العلم من النقل عنه في التفسير، مثل الماوردي في كتابه «النكت والعيون» وابن الجوزي في «زاد المسير» والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» وفي «التذكرة» أيضاً، وابن حجر في «فتح الباري» وفي «العجاب في بيان الأسباب» والشوكاني في «فتح القدير» والألوسي في «روح المعاني» وغيرهم.

وقد عزاه له - غير من تقدم - أبو عمرو الداني - وسيأتي - وابن الأبار في «الحلة السيرة» (١٠٥ / ١) والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٤٤٣ / ١١) وغيره، والأنصاري في «معالم الإيمان» (٣٢٦ / ١) وابن الجزري في «غاية النهاية» (٣٧٣ / ٢) والداودي في «طبقات المفسرين» (٣٧١ / ٢، ٣٧٢) والزركلي في «الأعلام» (٨ /

(١) نسخة خطية منه كانت تحت يدي قديماً، ولا تطولها يدي الآن، وهي نسخة رديئة التصوير، يصعب الاستفادة منها، وقد حقق سوراً منه الدكتور / محمد عوض في جامعة الأزهر، وقد حاولت مراراً الحصول على هذه السور - رغم أنها كانت تحت يدي قديماً - فما استطعت إليها سبيلاً، فلعل الله ييسر الحصول على هذا الجزء المحقق وعلى النسخ الخطية لنكتب عنه دراسة وافية، وإلى ذلك الحين نكتفي بهذه الإشارة المجملية دون الخوض في التفاصيل.

(٢) تقدم في فصل إسناد ابن أبي زمنين إلى يحيى بن سلام من الباب الثاني.

(٣) راجع «فهرس ابن خير».

(١٤٨) وكحالة في «معجم المؤلفين» (٢٠١ / ١٣) وبروكلمان في «تاريخ الأدب العربي» (٣٩٨ / ٢) وسزكين في «تاريخ التراث العربي» (٩١ / ١) وغيرهم.

وهو أحد كتب التفسير بالمأثور التي كُتبت في القرن الثاني الهجري، يروي فيه يحيى الأحاديث بإسناده إلى النبي ﷺ وكذلك يروي الآثار عن الصحابة والتابعين في تفسير القرآن، وأضاف يحيى إلى ذلك ذكر القراءات واللغات، وذكر المكي والمدني من الآيات، وذكر الناسخ والمنسوخ منها، وتكلم على الأحكام الفقهية وغيرها.

وقد اشتهر هذا التفسير واهتم به العلماء، قال أبو عمرو الداني^(١) عن يحيى ابن سلام: سكن إفريقية دهرًا، وسمعوا منه في كتابه في «تفسير القرآن» وليس لأحد من المتقدمين مثله.

وقد كان بعض العلماء يحفظ هذا التفسير عن ظهر قلب؛ منهم الفقيه محمد بن زرزور الحنفي (ت ٢٩١ هـ) قال يومًا: أحفظ القرآن من أوله إلى آخره وأحفظ تفسير ابن سلام كما أحفظ القرآن^(٢).
ومما يدل على اشتهاره أيضًا قول الشاعر^(٣):

يا رب معنى قد استنبطته فهما فقليل يحفظ تفسير ابن سلام
وقد اختصره ابن أبي زمنين في كتابنا هذا، واختصره عالم أندلسي آخر
أيضًا هو الإمام أبو المطرف عبد الرحمن بن هارون القنازعي القرطبي، كما
في «ترتيب المدارك» (٧٢٨ / ٤).

(١) «تاريخ الإسلام» (٤٤٣ / ١١).

(٢) «الجواهر المضية في تراجم الحنفية» (ص ٥٤ رقم ١٧٧).

(٣) نقله الزركلي في «الأعلام» (١٤٨ / ٨) عن «اقتراح القريح» لعلي بن عبد الغني الحصري المخطوط بدار الكتب.

وأما من روى التفسير بإسناده أو سمعه فلا يمكن حصرهم، وأما من نقل منه فعدد كبير أيضًا ذكرت بعضهم فيما تقدم.

وقال ابن حجر^(١): تفسير يحيى بن سلام المغربي وهو كبير في نحو ستة أسفار، أكثر فيه النقل عن التابعين وغيرهم، وهو لين الحديث، وفيما يرويه مناكير كثيرة، وشيوخه مثل سعيد بن أبي عروبة ومالك والثوري. اهـ.

قلت: انظر ما كتبه في «المؤخذات على تفسير ابن أبي زمنين» في الباب الثاني، وانظر النسخ الخطية لتفسير ابن سلام في «الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن، مخطوطات التفسير وعلومه» (١/٢١).

وقال مشهور بن حسن^(٢): وقد رأيته وقد نضدت حروفه وضبط نصه ولم تخرج أحاديثه، وكان بين يدي بعضهم يعمل في تخريج الأحاديث، ولا أدري مصير هذا العمل ومنتهاه، هل طبع أم لا. اهـ.

هذا آخر ما يسر الله تعليقه من هذه الدراسة بحمد الله وعونه. نسأل الله العظيم أن ينفعنا بها وإخواننا ومشايخنا وسائر المسلمين؛ إنه جواد كريم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وكان الانتهاء من تعليقها يوم الخميس ١٧ رجب سنة ١٤٢٢ هـ.

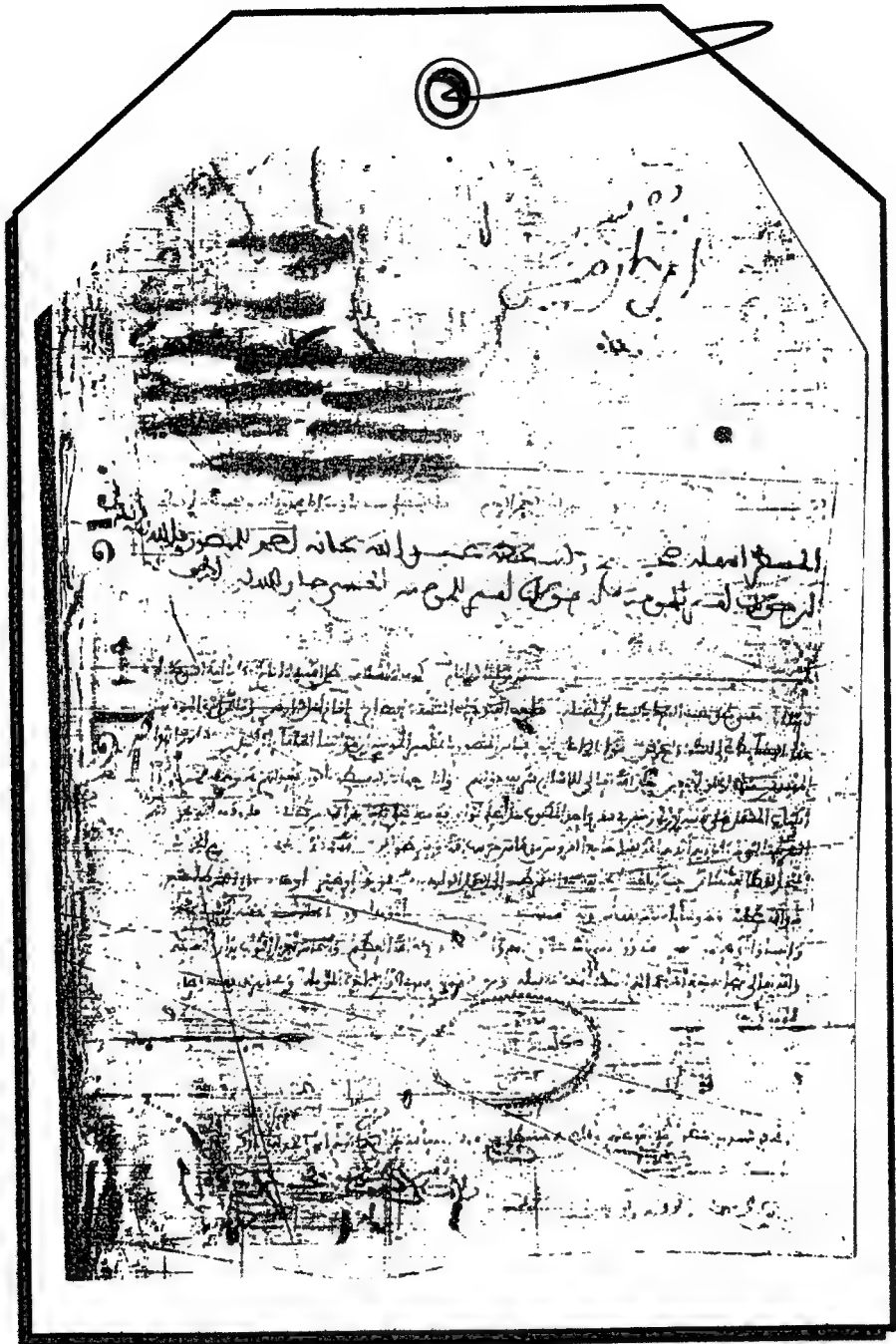
كتبه

أبو عبد الله حسين بن عكاشة

(١) «العجاب في بيان الأسباب» (١/٢١٩).

(٢) «معجم المصنفات الواردة في فتح الباري» (ص ١٣٧ رقم ٣٢٩).

صور المخطوط



غلاف نسخة كلية القرويين

[illegible][illegible]

تصحيح في نسخة الكائنات، ومنه مكتبة الخزانة
عام ١٢٧١

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

[illegible]

تفہیم سہولت بہتر اور آسان بنالیا

تفسير سورة الفاتحة في حاشية الكتاب

قسم الشؤون العامة

[Faint handwritten notes or bleed-through from another page]

11

[illegible]

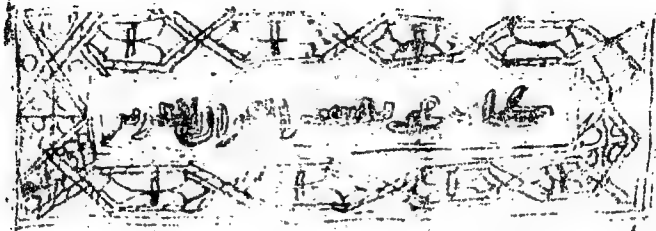
...

[illegible]

الخطب الامم في تاريخ
عنه في الامم في تاريخ
الخطب الامم في تاريخ

1

100



الحمد لله الذي جعل في كتابه
 ما لا يحصى من النعمان
 والحمد لله الذي جعل في كتابه
 ما لا يحصى من النعمان
 والحمد لله الذي جعل في كتابه
 ما لا يحصى من النعمان

والحمد لله الذي جعل في كتابه
 ما لا يحصى من النعمان
 والحمد لله الذي جعل في كتابه
 ما لا يحصى من النعمان
 والحمد لله الذي جعل في كتابه
 ما لا يحصى من النعمان

والحمد لله الذي جعل في كتابه
 ما لا يحصى من النعمان
 والحمد لله الذي جعل في كتابه
 ما لا يحصى من النعمان
 والحمد لله الذي جعل في كتابه
 ما لا يحصى من النعمان

والحمد لله الذي جعل في كتابه
 ما لا يحصى من النعمان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على محمد نبي الرحمة ، وعلى آله وسلم .

قال أبو عمر: قرئ على أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين رضي الله عنه بقرطبة [في] ^(١) شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ^(٢) :

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على محمد عبده ورسوله ؛ ليكون للعالمين نذيرًا ، وجعله داعيًا إليه وسراجًا منيرًا ؛ فبلغ رسول الله ﷺ ما أرسل به ، ونصح لمن أُرسل إليه ، وكان كما وصفه الله بالمؤمنين رءوفًا رحيمًا ﷺ تسليمًا .

وبعد ؛ فإني قرأت كتاب يحيى بن سلام في تفسير القرآن ، فوجدت فيه تكرارًا كثيرًا ، وأحاديث (ذكرها) ^(٣) ؛ يقوم علم التفسير دونها ، فطال بذلك الكتاب [وإنه للذي] ^(٤) خبرته من قلة نشاط أكثر الطالبين للعلوم في زماننا هذا - إلا إلى ما يخف في هذا الكتاب على الدارس ، ويقرّب للمقيد - نظرت فيه ، فاختصرت فيه مكرّره وبعض أحاديثه ، وزدت فيه من غير كتاب يحيى تفسير ما لم يفسره يحيى ، وأتبع ذلك إعرابًا كثيرًا ولغةً ؛ على ما نُقل عن النحويين ، وأصحاب اللغة السالكين لمناهج الفقهاء في التأويل ؛ زائدًا على الذي ذكره يحيى من ذلك .

وأبتدي ببعض ما افتتح به يحيى كتابه ؛ فمن ذلك : أنه قال : حدثني سفيانُ

(١) طمست في الأصل .

(٢) في «ر» : قال الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين رضي الله عنه مما رواه أبو سعيد الصنعاني المري الأسيري رحمته الله من تفسير يحيى بن سلام البصري رحمته الله .

(٣) في «ر» : بتفسيرها .

(٤) سقط من الأصل ، والمثبت من «ر» .

الثوري، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن بغير علم، فليتبوأ مقعده من النار»^(١).

يحيى: وأخبرني صاحب لي، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة «أن حذيفة بن اليمان قال لعثمان بن عفان: ما كنت صانعاً إذا قيل: قراءة فلان، وقراءة فلان؛ كما صنع أهل الكتاب فأصنعه الآن. فجمع عثمان الناس على هذا المصحف؛ وهو حرف زيد».

يحيى: وحدثني الحسن بن [دينار]^(٢) عن محمد بن سيرين «أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ فيعرض عليه القرآن عَرْضَةً كل عام؛ فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه، أتاه فعرض عليه مرتين».

قال ابن سيرين: فكانوا (يرون أن قراءتنا هذه)^(٣) على العرصة الآخرة.

(١) رواه الإمام أحمد (٢٣٣/١)، والترمذي (١٨٣/٥) رقم ٢٩٥٠ والنسائي في السنن الكبرى (٣٠/٥ - ٣١/٥) رقم ٨٠٨٤، ٨٠٨٥ والطبري في تفسيره (١/٣٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/٣٥) رقم ١٢٣٩٢ والبغوي في شرح السنة (١/٢٥٨) رقم ١١٨، ١١٩ من طريق سفيان الثوري به.

ورواه أبو داود في سننه - رواية أبي الحسن بن العبد، كما في تحفة الأشراف (٤/٤٢٣) رقم ٥٥٤٣ - والترمذي (١٨٣/٥) رقم ٢٩٥١ والطبري في تفسيره (١/٣٤) والبغوي في شرح السنة (١/٢٥٧) رقم ١١٧ من طريقين آخرين عن عبد الأعلى به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال البغوي: حديث حسن. ورواه الطبري في تفسيره (١/٣٤) من طريق عمرو بن قيس الملائي عن عبد الأعلى به موقوفاً.

ورواه الطبري في تفسيره (١/٣٥) من طريق آخر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً. (٢) في الأصل: دنير. وهو خطأ، والحسن بن دينار متروك، ترجمته في تاريخ البخاري الكبير (٢/٢٩٢) والجرح والتعديل (٣/١١، ١٢) وغيرهما.

(٣) سقط من «ر».

قال يحيى : وحدثونا أن السور لم تنزل كُلُّ سورةٍ منها جملةً، إلا اليسير منها، ولكن النبي ﷺ قد كان سمى السور؛ فكلما نزل من القرآن شيء ، أمر أن يضعوه من السور في المكان الذي يأمرهم به؛ حتى تمت السُورُ، وكان يأمر أن يجعل في بعض السور المكية من المدني، وأن يجعل في بعض السور المدنية من المكي، وكان جبريل ﷺ يأتي النبي ﷺ فيقول: إن الله - تبارك وتعالى - يأمرك أن تجعل آية كذا بين ظهرائي كذا، وكذا (بين كذا وكذا)^(١) من السورة.

وقد نزل المكي قبل المدني وأن هذا [التأليف الذي]^(٢) بين السور لم ينزل على هذا التأليف، ولكنه وضع هكذا، لم يجعل المكي من [السور]^(٣) على حدة؛ يتبع بعضه بعضًا في تأليف السور، ولم يجعل المدني من السور على حدة؛ يتبع بعضه بعضًا في تأليف السور.

وقد نزل بمكة بعض ما أمر به لما يكون بالمدينة [يعملون به]^(٤) إذا قدموا المدينة ، وأن بعض الآيات نزلت الآية منها قبل الآية، وهي بعدها [في التأليف، وقد فسرنا هذه الوجوه في مواضعها من التفسير وإن ما نزل بمكة، وما نزل في طريق المدينة قبل أن يبلغ النبي ﷺ المدينة فهو من المكي، وما نزل على النبي ﷺ في أسفاره بعدما قدم المدينة فهو من المدني]^(٥) وما كان (...)^(٥) (٣ل) وأكثره مكي .

(١) طمس في «ر».

(٢) طمس في الأصل، وبياض في «ر» والمثبت هو المفهوم من السياق والمعنى.

(٣) في الأصل: المدني. والمثبت من «ر».

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) يياض في الأصل، وسقط من «ر».

قال يحيى: ولا يَعْرِفُ تفسير القرآن إلا من عرف اثنتي عشرة خصلة: المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والخاص والعام، والإضمار والعربية.

قال محمد: وجميع ما نقلته من كتاب يحيى أخبرني به أبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أبي الحسن علي بن الحسن، عن أبي داود أحمد بن موسى، عن يحيى بن سلام. ومنه ما حدثني به [أبي]^(١) عن أبي الحسن عن يحيى بن محمد بن يحيى ابن سلام عن أبيه، عن جده، وكل ما أدخلته من طريق يحيى بن محمد فقد قلت: إنه من طريق (حديث)^(٢) يحيى بن محمد.

وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَوْنَ وَالْتَأْيِيدَ وَالْإِرْشَادَ وَالتَّسْدِيدَ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ [الْفَعَالُ لِمَا يَرِيدُ]^(١).



(١) من «ر».

(٢) في «ر»: طريق.

نفسناير
القرآن العزيز
لابن أبي زمنين

الإمام الفقيه الزاهد شيخ قريظة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين
(٢٢٤ - ٢٢٩ هـ)

تحقيق
أبي عبد الله حسين بن عكاشة
محمد بن مصطفى الكعز

الناشر
البيروت للطباعة والنشر

[باب^(١) ما جاء في
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال يحيى: حدثني أبو أمية بن يعلى، عن قتادة، عن عبد الله بن مسعود، قال: «كنا نكتب: باسمك اللهم زماناً؛ فلما نزلت: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾^(٢) كتبنا: بسم الله الرحمن، فلما نزلت: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٣) كتبنا: بسم الله الرحمن الرحيم».

يحيى: وحدثنا الحسن بن دينار، عن الحسن البصري قال: «لم تنزل ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في شيء من القرآن إلا في هذه الآية: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ...﴾^(٣) ويجعله مفتاح القراءة إذا قرأ».

يحيى: وحدثني أبو الأشهب، عن الحسن؛ أنه قال: «هذان الاسمان من أسماء الله ممنوعان؛ لم يستطع أحد من الخلق أن يتحللها: الله، والرحمن».

قال محمد: قيل: الجالب للباء في «باسم الله» معنى الابتداء؛ كأنك قلت: أبدأ باسم الله.

(١) زيادة من «ر».

(٢) الإسراء: ١١٠.

(٣) النمل: ٣٠.

تَفْسِيرُ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا
الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا
الضَّالِّينَ ⑦

قوله: ﴿الحمد لله﴾ حمداً لنفسه، وأمر العباد أن يحمّدوه، والحمد: شكر
النعمة.

﴿رب العالمين﴾ العَالَمُونَ: الخَلْقُ.

﴿مَلِكٍ﴾ ① يوم الدين﴾ قال قتادة: يوم يدين الله الناس فيه بأعمالهم.

قال محمد: معنى «الدين» في اللغة: الجزاء؛ ومن كلام العرب: دِنْتُهُ بما
صَنَعْتُ - أي: جازيئته ②.

قال يحيى: من قرأ ﴿مَلِكٍ﴾ فهو من باب: المُلْكِ ③؛ يقول: هو مَلِكٌ
ذلك اليوم.

وأخبرني بحر السقاء، عن الزهري «أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر كانوا

(١) هكذا في الأصل و «ر» وهي قراءة السبعة إلا عاصماً والكسائي؛ فقد قرأ ﴿مالك﴾ ينظر:
السبعة (١٠٤)، الحجة (١١/١)، التيسير (١٨)، النشر (٢٧١/١).

(٢) يقال: دانه يدينه ديناً - أي: جازاه؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَكُنْ لَكُم مِّن دُونِهَا شُهَدَاءَ﴾ [الصافات: ٥٣] أي:
لمجزيون، ومنه: «كما تدين تدان» ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (دين).

(٣) من قرأ ﴿مَلِكٍ﴾ فهو مأخوذ من «الْمُلْك» ومن قرأ ﴿مالك﴾ فهو مأخوذ من «الْمَلِك» ينظر كشف
المشكلات (١/ ٦ ، ٧).

يَقْرَأُونَهَا: ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾ بكسر الكاف، وتفسيرها على هذا المقراء: مالكة الذي يَمْلِكُهُ^(١).

وقرأ بعض القراء: «مَالِكُ»^(٢)؛ بفتح الكاف؛ يجعله نداء: يا مالِكِ يَوْمَ الدِّينِ . ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ .

قال محمد^(٣): معنى العبادة في اللغة: الطَّاعَةُ مع الخضوع، ومن هذا يُقال: طريقٌ مُعَبَّدٌ إذا كان مُذَلَّلًا بكثرة المشي عليه^(٤).
﴿اهدنا﴾ أَرْشِدْنَا^(٥) ﴿الصِّرَاطَ﴾: الطريق^(٦).

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالإسلام ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال (الحَسَنُ)^(٧): الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ: اليهودُ، والضَّالُّونَ: النصارى. وهذا دعاءُ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يدعوه، وجعله سُنَّةً له وللمؤمنين. قال محمد: من قرأ ﴿غَيْرِ﴾ بالخفض فهو على البَدَل من «الذين» وجاز أن يكون على النعت^(٨).

(١) أي: هو جَارٍ على الفعل، فهو اسم فاعل من مَلَكَ يَمْلِكُ مَلِكًا فهو مالِك.

(٢) غزاها القرطبي في تفسيره (١٣٩/١) لمحمد بن السميع.

(٣) في «ر»: قتادة.

(٤) يقال: عَبَدَ اللَّهُ عِبَادَةً وَعِبُودِيَّةً: انقاد له وخضع وذل. لسان العرب (عبد).

(٥) وعزا الزمخشري إلى عليّ وأبي أن معنى «اهدنا»: ثَبَّتْنَا على الهداية. ينظر: تفسير الطبري (٥٥/١)، القرطبي (١٤٧/١)، مجمع البيان (٢٧/١).

(٦) وفيه ثلاث لغات: الصِّرَاطُ، والسَّرَاطُ، والزَّرَاطُ، وبكلُّ قُرْئ. ينظر: لسان العرب (زرط، سرت، صرط)، السبعة (١٠٥)، الحجة (٣٦/١).

(٧) في «ر»: قتادة.

(٨) قراءة الخفض هي قراءة الجمهور، قال الزمخشري: وقُرئ بالنصب على الحال. وقيل: إن

قراءة النصب بإضمار «أعني» ويحكى ذلك عن الخليل. ينظر: السبعة (١١١)، الكشف

(١١/١)، البحر المحيط (٢٩/١).

تفسير سورة البقرة وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْعَمَّ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

قوله عز ذكره: ﴿الْعَمَّ﴾ .

قال يحيى: كان الحسن يقول: ما أدري ما تفسير ﴿الْعَمَّ﴾ و﴿الرَّءُ﴾ و﴿الْمَصَّ﴾ وأشبه ذلك من حروف المعجم، غير أن قومًا (ل٤) من المسلمين كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

قال محمد: وذكر ابن سلام في تفسير ﴿الْعَمَّ﴾ وغير ذلك من حروف المعجم التي في أوائل السور - تفاسير غير متفقة في معانيها وهذا الذي ذكره يحيى عن الحسن، والله أعلم وقد سمعت بعض من أقتدي به من مشايخنا يقول: إن الإمساك عن تفسيرها أفضل.

﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه﴾ يعني: هذا الكتاب لا شك فيه.

﴿هدى للمتقين﴾: الذين يتقون الشرك.

﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ يعني: يُصَدِّقُونَ بِالْبَغْثِ والحساب، والجنة والنار؛ في تفسير قتادة ﴿ويقيمون الصلاة﴾ يعني: الصلوات المفروضة،

يَتِمُّونَهَا عَلَى مَا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي كُلِّ صَلَاةٍ مِنْهَا ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ يعني: الزكاة المفروضة على سُنتِهَا أيضًا.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يعني: التوراة والإنجيل والزبور؛ يصدقون بها ولا يعملون إلا بما في القرآن ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى﴾ بَيَّانٍ ﴿مَنْ رَبُّهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ السَّعْدَاءُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ (أَنْذَرْتَهُمْ)﴾ ^(١) أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: الذين سبق لهم - في علم الغيب - أنهم يلقون الله بكفرهم ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: طبع؛ فهم لا يفقهون الهدى ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعونهم ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ فلا يبصرونه. قال محمد: «غشَاوَةٌ» ^(٢) يعني: غطاء.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمْ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ ﴿١٠﴾

(١) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو، والكسائي إذا خفف، وأبو عمرو يدخل بين الهمزتين ألفًا. ينظر: السبعة (١٣٤)، التيسير (٣٢)، النشر (٣٦٣/١).

(٢) و«غشَاوَةٌ» فيها لغات: يقال: غشاء، وغشوة، وغشوة، وغشوة - أي: بفتح الغين وضمها وكسرها.

وقد رُويت القراءة بهذه اللغات. ينظر: إتحاف الفضلاء (١٢٨) مختصر شواذ القراءات (٢) معاني القرآن للقراء (١٣/١) البحر (٤٩/١)، لسان العرب (غشو).

قال يحيى: ثم ذكر صنفًا آخر من الناس - يعني: المنافقين - فقال: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ إنما تكلموا به في العلانية ﴿يخادعون الله والذين آمنوا﴾ حتى يكفوا عن دمائهم وأموالهم، وسبني ذرايعهم، ومُخَادَعَتِهِمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ولِلْمُؤْمِنِينَ مَخَادَعَةً لِلَّهِ ﴿وما يخادعون﴾^(١) إلا أنفسهم ﴿أي أن ذلك يرجع عليهم عذابه، وثواب كفره﴾ وما يشعرون ﴿أن ذلك راجع عليهم.

﴿في قلوبهم مرض﴾ قال الحسن: يعني: شكًا ﴿فزادهم الله مرضًا﴾ بالطَّعِ على قلوبهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ مُوجِعٌ في الآخرة ﴿بما كانوا يكذبون﴾ بقلوبهم في قراءة من قرأها بالثقل، ومن قرأها بالتخفيف «يكذبون» يعني: في قولهم: آمنا؛ وقلوبهم على الكفر^(٢).

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ^(١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ^(١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شُيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ^(١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ^(١٥)

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: لا تشركوا ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ أي: أظهروا الإيمان ﴿ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾

(١) هكذا في الأصل و«ر» وهي قراءة أبي عمرو، ونافع، وابن كثير. ينظر: السبعة (١٣٩)، التيسير (٧٢)، النشر (٢٠٧/٢)، البحر (٥٧/١).

(٢) ومعنى قراءة الثقل أنهم يكذبون إياك حيث أنكروا ما جئت به، وقراءة التخفيف هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي، وقرأ الباقون بالثقل. ينظر: السبعة (١٤١)، التيسير (٧٢)، البحر (٦٠/١).

أن الله يعذبهم في الآخرة.

﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس﴾ إذا قال لهم النبي والمؤمنون: آمنوا كما آمن المؤمنون - قال بعضهم لبعض: ﴿أنؤمن كما آمن السفهاء﴾ يعنون: من آمن، ولم يعلنوا قولهم هذا ﴿ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون﴾ أنهم سفهاء؛ في تفسير الحسن.

قال محمد: أصل السفه: خفة الحلم؛ ومنه يقال: ثوب سفيه إذا كان خفيفاً^(١). وقيل: أصل السفه: الجهل^(٢).

﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ قال قتادة: يعني: رؤساءهم في (الشرك)^(٣) ﴿قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون﴾ بمحمد (وأصحابه)^(٤) ﴿اللَّهُ يستهزئ بهم﴾ قال محمد: يعني: يُجازيهم جزاء الاستهزاء.

يحيى: عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «يُجاء بالمستهزئين يوم القيامة؛ يفتح لهم باب من أبواب الجنة، فيُدعون [ليدخلوا]^(٥) فيجيئون؛ فإذا بلغوا الباب أُغلق فيرجعون، ثم يُدعون ليدخلوا فيجيئون؛ فإذا بلغوا الباب أُغلق فيرجعون، ثم يُدعون ليدخلوا فيجيئون؛ فإذا (ل) بلغوا الباب أُغلق فيرجعون، ثم يدعون حتى إنهم يدعون فلا يجيئون من اليأس»^(٦).

(١) وفي لسان العرب (سفه): ثوب سفيه إذا كان رديء النسيج.

(٢) يقال: هو سفيه، والجمع: سفهاء، وسفاه. وهي سفيهة، والجمع: سفائه، وسفاه، وسفاه. لسان العرب، القاموس المحيط (سفه).

(٣) في «ر»: السر.

(٤) في «ر»: وبما جاء به.

(٥) في الأصل: ليدخلوها. والمثبت من «ر».

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٨٥) والبيهقي في الشعب من طريق روح بن عبادة عن المبارك. ورواه أبو الشيخ في تاريخ أصبهان (١/٣٥٠ - ٣٥١ رقم ٤٩) من طريق أبي هذبة إبراهيم بن هذبة عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً.

﴿وَيَمْدُهُمْ فِي طَغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ قال السُّدِّي: يعني: يترددون.

قال محمد: معنى: «يَمْدُهُمْ»: يطيل لهم؛ تقول: مدتُ فلاناً في غيِّه ومددتُ له؛ فإذا كان في الشر قلت: مددته، وإذا كان في الخير^(١) قلت: أمددته^(٢) والطغيان: العتو والتكبر^(٣). والعَمَهُ في كلام العرب: الحيرة والضلال [يقال]^(٤) عَمَهُ الرجل في الأمر يَعْمَهُ عُمُوها؛ إذا تاه فيه وتجيَّر؛ فهو عَمَهُ، وعَامَهُ^(٥).

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتِ بِتِجَارَتِهِمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ

﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ فِي

ظُلُمَاتٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّ بُكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى﴾ يعني: اختاروا الضلالة على

الهدى؛ في تفسير الحسن ﴿فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾.

قال محمد: يعني: فما ربحوا في تجارتهم.

= قال العراقي: رويناه في «ثمانيات النجيب» من رواية أبي هذبة - أحد الهالكين - عن أنس.

تخريج الإحياء (١٦٨٧/٤) رقم (٢٦٤٣).

(١) في «ر»: المدح.

(٢) ينظر الدر المصون (١/١٢٥).

(٣) ويقال: الطغيان: هو مجاوزة الحد، وكل مجاوز حدّه في العصيان طاغ، والجمع: طغاة.

وفي الطغيان لغات يقال: طُغَوَان، وطُغَوَى. لسان العرب (طغو) وقد ورد (الطغيان) في

القرآن في أكثر من موضع، وورد (الطغوى) في موضع واحد ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾

[الشمس: ١١]، ولم يرد (الطغوان) فيه.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) إذا عمه المرء في الطريق فلم يدر أين يذهب، يقال: هو أعمه وعميه. وإذا عمه في الأمر فلم

يدر وجه الصواب، يقال: هو عاميه. لسان العرب، القاموس المحيط (عمه).

﴿مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً...﴾ الآية، قال الحسن: يعني: مثلهم كمثل رجل يمشي في ليلة مظلمة في يده شُعْلَةٌ من نارٍ فهو يبصر بها موضع قدميه؛ فبينما هو كذلك، إذ أُطْفِئَتْ ناره؛ فلم يبصر؛ كيف يمشي؟! وإن المنافق تكلم بقول لا إله إلا الله فناكح بها المسلمين، وحقق دمه وماله؛ فلما كان عند الموت، سلبه الله إياها. قال يحيى: لأنه لم يكن لها حقيقة في قلبه ﴿صمَّ بكم عمي﴾ صمَّ عن الهدى؛ فلا يسمعون، بكم عنه؛ فلا ينطقون به، عمي عنه؛ فلا يبصرونه.

﴿فهم لا يرجعون﴾ يعني: لا يتوبون من نفاقهم.

﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْـِٔعَهُمْ فِيءَ إِذْ أَنَّهُمْ مِنَ الصُّرَعِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق﴾ هذا مثل آخر؛ ضربه الله مثلاً للمنافقين.

والصَّيْبُ: المطر^(١)، والظلمات مثل الشدة، والرعد مثل التخويف، والبرق مثل نور الإسلام، وفي المطر الرزق أيضاً^(٢). فضرب الله ذلك مثلاً لهم؛ لأنهم كانوا إذا أصابوا في الإسلام رخاء وطمأنينة، سُرُوا بذلك في حال دنياهم، وإذا أصابتهم شدة قطع بهم عند ذلك فلم (يصبروا على بلائها)^(٣)

(١) ويقال: الصيب: السحاب ذو الصوب؛ أي: ذو المطر وفيه لغة: الصُّيُوب. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (صوب).

(٢) ويقال: إن المطر لا يكون إلا للعقاب، أما الذي للنفع فهو الغيث، وبذا ورد القرآن الكريم.

(٣) في «ر»: يبصروا بلاها.

ولم يحتسبوا أجراها ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذِرَ الْمَوْتِ﴾ وهذا كراهية للجهاد ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ أي: هو من ورائهم؛ حتى (يجزيهم) ^(١) بكفرهم.

﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ [حتى أظهروا الإيمان وأسروا الشرك] ^(٢) لشدة ضوئه ﴿كَلِمًا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أي: بقوا لا يبصرون ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ حين أظهروا الإيمان، وأسروا الشرك.

قال محمد: قوله: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ معناه: أو كأصحاب صيب، و«أو» دخلت هنا لغير شك؛ وهي التي يقول النحويون: أنها تدخل للإباحة ^(٣).

والمعنى: أن التمثيل مُباح لكم في المنافقين؛ إن مثلتموهم بالذي استوقد نارا فذلك مثلهم، وإن مثلتموهم بأصحاب الصيب فهو مثلهم. ويقال: صاب المطر يَصُوبُ؛ إذا نزل ^(٤).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ^(٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ^(٢٢) وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ^(٢٣) فَإِنْ

(١) في «ر»: يجزيهم.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) وفيها تفصيل نحوي واسع ينظر من الدر المصون (١/١٣٤ - ١٣٥)، مغني اللبيب (١/٧٤).

(٤) يقال: صاب المطر يصبوب صبوبا وصبيوبة: نزل. لسان العرب (صوب).

لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾
 ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ أي: لا تشركوا به شيئاً ﴿الذي خلقكم
 والذين من قبلكم﴾ يعني: خلقكم وخلق الأولين؛ ﴿لعلكم تتقون﴾ أي: لكي
 تتقوا ﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ يعني: بساطاً ومهاداً ﴿والسمااء
 بناءً﴾ [على الأرض] (١).

قال محمد: كل ما علا على الأرض فاسمه: بناء (٢). والمعنى: أنه جعلها
 سقفاً مثل قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ (٣).

وقوله: ﴿فراشاً﴾ أي: لم يجعلها [بحيث] (١) لا يمكن الاستقرار عليها.
 ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾ يعني: أعداءً تعدلونهم [به] (١) ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنه
 خلقكم، وخلق السموات والأرض، وأنهم لا يخلقون ﴿وإن كنتم في ريب مما
 نزلنا على عبدنا﴾ يعني: محمداً ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ أي: من مثل هذا القرآن
 ﴿ووادعوا شهداءكم من دون الله﴾ فيشهدوا أنه مثله ﴿إن كنتم صادقين﴾ بأن هذا
 القرآن ليس من كلام الله ﴿فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا﴾ أي: لا تقدرون على ذلك
 ﴿فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة﴾ وهي: أحجار من كبريت.

قال محمد: وَقُودُهَا بفتح الواو (٦) حطبها (٤)، وَالْوُقُودُ بالضم
 [المصدر] (٥) يقال: وقدت النار تَقْدُ وَقُودًا (٦).

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وقال الثعالبي: كل ما علاك فأظلك فهو سماء. ينظر فقه اللغة (٢).

(٣) الأنبياء: ٣٢.

(٤) في «ر»: حَصْبُهَا.

(٥) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

(٦) ينظر لسان العرب (وقد)، والدر المصون (١/١٥٥).

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا
وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٥)

﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا
الأنهار﴾ .

قال محمد: يعني: بساتين تجري من تحتها [الأنهار؛ ذلك إلى شجرها] (١)
لا إلى أرضها.

يحيى: قال: وبلغني عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك؛ أنه قال:
«أنهار الجنة تجري (في غير أ حدود) (٢) الماء واللبن والعسل والخمر وهو أيسر
عليه، فطينة النهر مسك أذفر (٣)، ورضراضه (٤) الدر والياقوت، وحافاتُه قِباب
اللؤلؤ» (٥).

(١) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: من غير حدود.

(٣) أذفر: طيب الرائحة. والدفر بالتحريك يقع على الطيب والكريه، ويفرق بينهما بما يضاف
إليه، ويوصف به. ينظر: لسان العرب، النهاية في غريب الحديث (ذفر).

(٤) الرضراض: الحصى الصغار. النهاية في غريب الحديث (رضرض).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة - كما في حادي الأرواح (ص ١٢٤) - وأبو نعيم في صفة
الجنة (٢/ ١٦٧ رقم ٣١٦) من طريق معاوية بن قرّة عن أنس رضي الله عنه موقوفاً.

ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/ ١٦٨ رقم ٣١٦) وفي حلية الأولياء (٦/ ٢٠٥) وابن
مردويه - كما في حادي الأرواح (ص ١٢٥) - من طريق معاوية بن قرّة عن أنس عن النبي
ﷺ.

قال المنذري في الترغيب (٤/ ٥١٨): رواه ابن أبي الدنيا موقوفاً، ورواه غيره مرفوعاً،
والموقوف أشبه بالصواب.

﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ أي: في الدنيا يعرفونه بأسمائه؛ في تفسير قتادة ﴿وأوتوا به متشابهًا﴾ قال الكلبي: يعني: متشابهًا في المنظر، مختلفًا في المطعم ﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾ من الإثم والأذى؛ في تفسير الحسن.

قال محمد: أهل الحجاز يقولون للمرأة: هي زوج الرجل، وبنو تميم يقولون: زوجة الرجل^(١).

يحيى: عن خالد^(٢)، عن الحسن قال: «قال رسول الله ﷺ في نساء أهل الجنة: يدخلنها عُربًا أترابًا، لا يحضن، ولا يلذن، ولا يمتخطن، ولا يقضين حاجة»^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْفُسُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا...﴾ الآية، وذلك أن الله لما ذكر في كتابه العنكبوت والنمل والذباب - قال المشركون: ماذا أراد الله بذكر هذا في

(١) وقد جاء القرآن الكريم على لغة أهل الحجاز؛ قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ يَكَادُمُ اسْمُكَ أَنْتَ وَرَبُّكَ الْجَنَّةِ﴾ [البقرة: ٣٥]. وقال: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ﴾ [النساء: ٢٠] وغير ذلك. ينظر لسان العرب (زوج).

(٢) في «ر»: عن مالك.

(٣) لم أقف عليه، والله أعلم.

كتابه ؟! وليس يقرون أن الله أنزله، ولكن يقولون للنبي ﷺ: إن كنت صادقاً، فماذا أراد الله بهذا مثلاً؟! فأنزل الله: ﴿إِن اللّٰهُ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ أي: مثلاً بعوضة «ما» في هذا الموضع زائدة^(١) ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ يعني: فما أكبر منها.

﴿وما يضل به إلا الفاسقين﴾ يعني: المشركين ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، وتفسيره في سورة الأعراف^(٢) ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ قال ابن عباس: يعني: ما أمر الله به من الإيمان بالنبیین کلهم ﴿ويفسدون في الأرض﴾ أي: يعملون فيها بالشرك والمعاصي ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ خسروا أنفسهم أن يغموها فيصيروا في الجنة؛ فصاروا في النار.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٨) هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً﴾ أي: نطفاً في أصلبة^(٣) آبائكم؛ في تفسير قتادة: ﴿فأحياكم﴾ في الأرحام، وفي الدنيا ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يعني: البعث.

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع، ينظر: معاني القرآن للأخفش (١٣٤)، معاني القرآن للفراء (٢٤٤/١)، الكتاب (٣٠٥/٢)، مغني اللبيب (٣٤٤/١).

(٢) يريد قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَرِفِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

(٣) مفردها: صُلب. وتجمع أيضاً على: أصْلَب وأَصْلَاب، وصِلْبَة. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (صلب).

قال محمد: تأويل «كيف» استفهام في معنى التعجب؛ إنما هو للمؤمنين؛ أي: اعجبوا من هؤلاء؛ كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم؟! ﴿هو الذي خلق لكم﴾ سخر لكم ﴿ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء﴾ .

قال محمد: يعني: أقبل على خلق السماء؛ كذلك جاء عن الحسن .. يحيى: وحدثنا عثمان، «أن رجلاً سأل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾»^(١) وعن قوله عز ذكره: ﴿وَأَنْتُمْ أَشْدُّ خَلْقاً﴾ إلى قوله: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾»^(٢) فقال: إنه كان خلق الأرض، ثم خلق السموات، ثم عاد؛ فحدا الأرض، وخلق فيها جبالها وأنهارها وأشجارها ومرعاها»^(٣).

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾ الآية، تفسير الحسن: إن الله أخبر الملائكة؛ أنه جاعل في الأرض خليفة، [يكون من]^(٤) ولده من يسفك الدماء فيها، ويفعل كذا؛ فقالت الملائكة: ﴿أتجعل فيها من

(١) البقرة: ٢٩ .

(٢) النازعات: ٢٧ - ٣٠ .

(٣) رواه البخاري (٤١٨/٨) - كتاب التفسير، سورة السجدة - وعبد الرزاق في تفسيره (١/١٦٠ - ١٦٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢٤٥ - ٢٤٦ رقم ١٠٥٩٤) وابن منده في التوحيد (١/١٠٤ - ١٠٨ رقم ١٩) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٤٥ - ٢٤٨ رقم ٨٠٩) وغيرهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

(٤) طمس بالأصل والمثبت من «ر» .

يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴿أي: نصلي لك؛ في تفسير بعضهم.

قال محمد: معنى: يَسْفِكُ: يَصُبُّ؛ تقول: سفكت الشيء؛ إذا صَبَبْتَهُ^(١).

ومعنى «نسبح بحمدك»: أي: نبرئك من السوء ونعظمك، وكل من عمل خيراً (٧٤) أراد الله به، فقد سَبَّحَ الله؛ أي: عَظَّمَهُ. ومعنى: ﴿نقدس لك﴾ أي: نظهر أنفسنا لك، وأصل القدس في اللغة: الطهارة.

قال الله - عز وجل - : ﴿إني أعلم ما لا تعلمون﴾ تفسير قتادة: علم أنه سينشأ من ذلك الخليفة أنبياء ورسل، وقوم صالحون.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَقَدَّمُ أُنْبِيُّهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنْ أَنْبَأْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة﴾ قال مجاهد: خلق الله آدم آخر ساعات النهار من يوم الجمعة بعد ما خلق الخلق كلهم^(٢).

قال الكلبي: ثم علمه أسماء الخلق [كلهم]^(٢) بالسريانية اللسان الأول سراً من الملائكة، ثم حشر الله الدوابَّ كلها، والسباع والطير وما ذراً في الأرض، ثم قال للملائكة: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾ إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم

(١) ينظر: لسان العرب (سفك).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

بأسمائهم ﴿فقال آدم عليه السلام﴾ : هذا كذا، وهذا كذا. قال قتادة: فسُمِّي كل نوع باسمه. فلما أنبأهم آدم بأسمائهم قال الله للملائكة: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ قال الحسن وقتادة: لما قال الله - عز وجل - : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ قالوا فيما بينهم: ما الله بخالق خلقاً هو أكرم عليه منا [ولا أعلم] ^(١) وهو الذي كنتموا.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَّخِذُمْ أَسْكُنَ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ٣٥﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ قال قتادة: أكرم الله آدم؛ بأن أسجد له ملائكته ﴿فسجدوا إلا إبليس...﴾ الآية، قال بعضهم: خلق الله الخلق شقيًا وسعيديًا؛ فكان إبليس ممن خلقه شقيًا؛ فلما أُمِر بالسجود ﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾ يخبر عز وجل أنه كان ممن خلقه شقيًا.

﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما﴾ لا حساب عليكما فيه.

قال محمد: من كلام العرب: رغد فلان يرغد إذا صار في خصبٍ وسعة. وفيه لغة أخرى: أرغد ^(٢).

﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ يعني لأنفسكما بخطيئتكما، والشجرة التي نهى عنها آدم وجواء - هي السنبلة؛ في تفسير ابن عباس. وقال قتادة: هي التين [وقيل: هي شجرة العنب] ^(١).

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) ينظر لسان العرب (رغد).

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَّا حِينٌ ﴿٣٦﴾ فَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾
 ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ قال محمد: «أزلهما» هو من: الزلل^(١)؛
 المعنى: كسبهما الزَّلَّةَ والخطيئة.

قال يحيى: بلغنا أن إبليس دخل في الحية فكلَّمهما منها، وكانت أحسن الدواب، فمسخها الله، وردَّ قوائمها في جوفها، وأمشاها على بطنها.
 وبلغنا أن أبا هريرة قال: حواء هي التي دلت الشيطان على ما كانا نهيا عنه.
 ﴿وقلنا اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو﴾ آدم ومعه حواء وإبليس والحية التي دخل إبليس فيها لا تقدر على ابن آدم في موضع إلا لدغته، ولا يقدر عليها في موضع إلا شدَّخها ﴿ولكم في الأرض مستقر﴾ من يوم يولد إلى يوم يموت ﴿ومتاع﴾ يعني: معاشهم التي يستمتعون بها ﴿إلى حين﴾ يعني: الموت ﴿فلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ وعلى حواء.

يحيى: عن شريك، عن (عبد الملك)^(٢) بن أبي سليمان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: هو قولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا

(١) أي: أن من قرأها «فَأَزَلَّهُمَا» فهو مأخوذ من «الزلل»، أي: أوقعهما في الزلة. وهي قراءة السبعة إلا حمزة. ومن قرأها «فَأَزَالَهُمَا» فهو مأخوذ من أزال يُزِيل، أي: نخاهما وأزالهما. وهي قراءة حمزة. ينظر السبعة (١٥٣) التيسير (٧٣) لسان العرب (زلل).

(٢) في «ر»: عبد المبارك. وهو تحريف، وعبد الملك بن أبي سليمان ترجمته في التهذيب (١٨/ ٣٢٢ - ٣٢٩).

لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ^(١).

قال محمد: قوله عز وجل: ﴿فَتَلَقَى﴾ معناه: قبل وأخذ .

﴿فَإِذَا يَأْتِيَنكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ أي رسول ﴿فَمَنْ تَبِعْ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة من النار ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على الدنيا .

﴿يَبْنَئِ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ

فَارْهَبُونِ^(٢)﴾

﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾ خاطب بهذا من أدرك النبي ﷺ منهم؛ يذكرهم ما فعل [بأولهم]^(٣) أنه أنجاهم من آل فرعون، وأنجاهم من الغرق، وظلل عليهم الغمام؛ وغير ذلك من نعمة الله التي لا تحصى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ تفسير الكلبي: بعهدي في الإيمان بمحمد ﴿أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذي عهدت لكم من الجنة ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (٨٤) هو كقوله: (فاتقون)^(٤).

قال [محمد: يقال: وَقِيتُ]^(٥) بالعهد وأَوْفِيتُ به^(٥) .

قوله: ﴿فَارْهَبُونِ﴾ أصله: فارهبوني بالياء، وحذفت لأنها رأس آية^(٦).

(١) الأعراف: ٢٣ .

(٢) في الأصل: بمواليهم . والمثبت من «ر» .

(٣) أي في الآية التي تليها، وهي قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَمْثَلُ يَمَّا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ كَانُوا فِي يَدَيْهِ لَا تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٤١] .

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ز» .

(٥) وفيها لغة ثالثة لم يذكرها المصنف وهي «وَقَى» بالتشديد، ومنه قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتَهُ الَّذِي وَفَّى﴾ [النجم: ٣٧] ينظر لسان العرب (وفى) .

(٦) أي: مراعاة لفواصل الآيات، وأثبت الياء في الحاليين يعقوب . النشر (٢٣٧/٢) إتخاف الفضلاء (١٧٧) .

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْهُوَ الْحَقُّ وَانْتُمْ تَعْمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ﴾ يعني: القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ يعني: [بهذا قريظة] ^(١) والنضير؛ لأنَّ النبي ﷺ قدم عليهم «المدينة» فعصوا الله، وكانوا أَوَّلَ من كفر به من اليهود ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعني: الآيات التي وصف الله بها محمدًا ﷺ في كتابهم، فأخفوها من الأميين، وجهَّال من اليهود، وكان الذين يفعلون ذلك علماءهم؛ كعب بن الأشرف وأصحابه، وكانت لهم مأكَلَةٌ ^(٢) من اليهود كل عام؛ فذلك الثمن القليل؛ خافوا إن تابَعوا النبي ﷺ أن تذهب مأكَلَتهم ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ قال قتادة: يعني: لا تخلطوا الإسلام باليهودية والنصرانية.

قال محمد: يقال لَبَسْتُ عَلَيْهِمُ الْأَمْرَ [إِذَا غَمَّيْتُهُ] ^(٣)؛ فكأن معنى الآية: لَا تَلْبِسُوا أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَا تَحْرِفُونَ وَتَكْتُمُونَ.

(١) المأكلة - بضم الكاف وفتحها لغتان - هو ما يؤكل، وتطلق أيضًا على الطعمة والمُرْتَزَق.

والجمع: مأكَل. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (أكل).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) في الأصل: إِذَا أَعْمَيْتُهُ (بالعين المهملة) ويقال: لَبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ: خلطه عليه، حتى لا يعرف حقيقته، ويقال فيه: أَلْبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ، وَلَبَسَ الْأَمْرَ، وَلَبَسَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ، وتلبس بالأمر، وتلبس بي الأمر. كلها بمعنى واحد. لسان العرب (لبس).

﴿الحق﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿وأنتم تعلمون﴾ أي: تجدونه مكتوبًا عندكم ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ أمرهم أن يدخلوا في دين محمد ﷺ ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ أي: تتركون العمل به ﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾ بخلاف ما تفعلون ﴿أفلا تعقلون﴾ ما تأمرون به؛ يعني بذلك أخبارهم.

قال محمد: جاء عن ابن عباس - في تفسير ﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ - قال: نزلت في قوم من أحبار يهود؛ كان الرجل منهم يقول لمن أسلم من ذوي قرابته - إذا وثق به في السر -: اثبت على الذي أنت عليه؛ مما يأمرك به هذا الرجل؛ يعنون: محمدًا ﷺ فإنه حق، ولا يفعلونه هم؛ للرياسة التي كانوا حازوها، والمآكل التي كانوا يأكلونها؛ فكشف الله سرهم، وأخبر بذلك عنهم.

﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾ أي: على الصلاة، فخص الصلاة لمكانها من الدين. تفسير الحسن: استعينوا بالصبر على الدين كله. وقال مجاهد^(١): الصبر - ها هنا الصوم؛ وليعلم أنهما عونٌ على طاعة الله.

قال محمد: وأصل الصبر: الحبس، وإنما سُمي الصائم صابرًا؛ لحبسه نفسه عن الأكل والشرب.

﴿وإنها لكبيرة﴾ يعني: الصلاة^(٢).

﴿إلا على الخاشعين﴾ الخشوع هو: الخوف الثابت في القلب.

(١) في «ر»: وقال بعضهم.

(٢) اختار المصنف ها هنا عود الضمير في قوله تعالى: ﴿وإنها﴾ على الصلاة، وفي عود الضمير أقوال آخر تنظر من معاني القرآن للأخفش (٨١ - ٨٢) البحر المحيط (١/ ١٨٥) مجاز القرآن (٣٩/١).

﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٤٦) يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي
 أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا
 يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةً وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ
 يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ
 عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَبْجَيْتَكُم مِّنْ غَرَقَاتِهِ آلِ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴿٥٠﴾
 ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ [يعلمون] ^(١) ﴿أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ .

قال محمد: الظن في كلام العرب بمعنيين: شك ويقين؛ قال دُرَيْدُ بْنُ
 الصَّمَّةِ:

فَقُلْتُ لَهُمْ ظَنُّوا بِالْفَنِي مَقَاتِلِ سَرَاتُهُمْ بِالْفَارِسِيِّ الْمُسَرِّدِ ^(٢)
 ومعنى ظنوا: أي: أيقنوا.

قوله: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ قال قتادة: يعني: أهل زمانهم
 ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ أي: لا تغني.
 قال محمد: يقال: جَزَى عني فلانٌ، بلا همز؛ أي: ناب عني، وأجزأني:
 كفاني ^(٣).

﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً﴾ أي: لا تكون الشفاعة إلا للمؤمنين ﴿وَلَا يُؤْخَذُ

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) البيت لدريد بن الصمة، وهو من بحر الطويل، ينظر: الأصمعيات (١٠٧) الحماسة (١) / ٣٩٧ شرح المفصل (٨١/٧) لسان العرب (ظن).

(٣) الفرق بين الفعلين (جزى) و(أجزأ) أن الأول ثلاثي غير مهموز، والثاني رباعي مهموز، فالفرق إذن في بناء الصيغة لا في المعنى، فليُثَبَّتْ إلى ذلك.
 تنبيه: قد تسهل همزة (أجزأ)، فيقال فيه (أجزى). ينظر لسان العرب (جزى).

منها عَذْلٌ ﴿١﴾ أي: لا يقبل منها فداء ﴿ولا هم ينصرون﴾ أي: لا أحد يتنصر لهم.

قال محمد: إنما يقال للفداء: عَذْلٌ؛ لأنه مثل للشيء؛ يقال: هذا عدلٌ هذا وعديلُهُ؛ والعِذْلُ - بكسر العين - هو: ما حُمِلَ على الظهر ^(١).

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ﴾ [يلونكم] ^(٢) ﴿سوء العذاب﴾ أي: أشده ﴿يَذْبُحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ فلا يقتلونهن ﴿وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيم﴾ يعني: إذ نجاكم منه.

قال محمد: البلاءُ يتصرفُ في النقل ^(٣) على وجوه؛ وهو ها هنا النعمة ^(٤).

(٩٧) ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [ماتوا] ^(٥) وفرعون فيهم ﴿وأنتم تنظرون﴾ يعني: أوليهم ^(٦).

قال محمد في قوله: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ﴾ هو كقوله: ﴿فَأَنفَلَقَ فَمَا كَانَ كَلٌّ لِّفِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ ^(٧).

﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ

(١) ويُجمع العِذْلُ على أَغْدَالٍ وَعُدُولٍ، والعَدِيلُ على أَغْدَالٍ وَعُدْلَاءٍ. والعَذْلُ ضد الظلم، أما العِذْلُ والعَدِيلُ فهما بمعنى واحد. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (عدل).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) أي: ما يُقَالُ عن العرب، ويطلق على المحنة تنزل بالمرء، وعلى الغم والحزن، وعلى الجهد الشديد، وعلى الاختبار والامتحان، وغير ذلك. ينظر: اللسان، مختار الصحاح (بلو).

(٤) في «ر»: النعمة.

(٥) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٦) في «ر»: أولهم.

(٧) الشعراء: ٦٣.

نَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ تفسيره مذكور في سورة الأعراف^(١) ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ يعني: لأنفسكم ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ يعني: التوبة التي جعلها الله (لهم فقتل بعضهم نفسه)^(٢) قال قتادة: أمروا أن يتتحرروا بالشفار^(٣) ففعلوا، فلما بلغ الله فيهم نقمته سقطت الشفار من أيديهم؛ فكان ذلك للمقتول شهادة، وللحي توبة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي: لتشكروا.

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ الكتاب: التوراة، والفرقان: حلالها وحرامها ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ لكي تهتدوا.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال محمد: الاختيار في العربية يا قوم بحذف الياء للنداء، وبقيت الكسرة لتدل عليها^(٤).

﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ خالقكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾. قال محمد: المعنى: ففعلتم فتاب عليكم؛ وهو من الاختصار.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَّىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَقًّا رَأَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ

(١) أي: عند قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرِ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

(٢) في «ر»: لكم فقتل بعضهم بعضاً.

(٣) واحداً: الشفرة، وهي كل ما حُدَّ من الحديد، كحدِّ السيف والسكين والموسى. وتجمع على شيفار، وشفرة. لسان العرب (شفر).

(٤) في المتأخر المضاف إلى ياء المتكلم ست لغات، ينظر تفصيل الكلام عليها من الدر المصون (٢٢٥/١ - ٢٢٦).

نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لِمَلَكِكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ أي: لَنْ نَصْدَقَكَ ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أي: عِيَانًا ﴿فَأَخَذَتْكَ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: أُمِيتُوا عَقُوبَةً، ثُمَّ بَعَثُوا؛ لِيَسْتَكْمِلُوا بَقِيَّةَ أَجَالِهِمْ ﴿وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: سَأَلُوا مُوسَى الْأَنْبِيَاءَ؛ وَهُمْ فِي التَّيِّهِ فِي الْبَرِيَّةِ، فَظَلَّلَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ. قَالَ مُجَاهِدٌ: الْغَمَامُ غَيْرُ السَّحَابِ.

قال محمد: واحد الغمام: غَمَامَةٌ؛ وهي عند أهل اللغة الْبَيْضَاءُ مِنَ السَّحَابِ (١).

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى﴾ قَالَ قَتَادَةُ: الْمَنَّاءُ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ مِنْ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَكَانَ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ؛ فَيَأْخُذُ أَحَدُهُمْ مَا يَكْفِيهِ يَوْمَهُ؛ فَإِنْ تَعَدَّى ذَلِكَ فَسَدَ، وَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ سَادِسِهِمْ - يَعْنِي: يَوْمَ الْجُمُعَةِ - أَخَذُوا مَا يَكْفِيهِمْ لَذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلِيَوْمٍ سَابِعِهِمْ - يَعْنِي: السَّبْتَ - فَيَبْقَى عِنْدَهُمْ؛ لِأَنَّ يَوْمَ السَّبْتِ كَانُوا يَعْبُدُونَ اللَّهَ - جَلَّ وَعَزَّ - فِيهِ، وَلَا يَشْخَصُونَ لَشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا يَطْلُبُونَهُ. وَالسَّلْوَى (٢):

(١) وتجمع على: غَمَامٍ، وغمائم. أما الغمامة - بكسر الغين - فهي وثاق يُشَدُّ بِهِ فَمُ الدَّابَّةِ لِمَنْعِهَا مِنَ الْإِعْتِلَافِ، أَوْ تَغْطِي بِهِ عَيْنَا الثَّوْرِ وَهُوَ يَدُورُ فَلَا يَلْحَقُهُ الدَّوَارُ. وَالْغَمَامُ - بِالضَّمِّ - الزَّكَامُ يَنْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ (غَمَمٌ).

(٢) السَّلْوَى: طَائِرٌ صَغِيرٌ مِنْ رِبَّةِ الدَّجَاجِيَّاتِ، جِسْمُهُ مَمْتَلِئٌ مُنْضَغَطٌ، وَهُوَ مِنَ الْقَوَاطِعِ الَّتِي تَهَاجِرُ شِتَاءً إِلَى الْحَبَشَةِ وَالسُّودَانِ، وَيَسْتَوِطُنْ أَوْ رِبَا وَحُوضَ الْبَحْرِ الْمَتَوَسِّطِ. وَوَاحِدُ «السَّلْوَى»: سَلْوَاةٌ. وَقَالَ الْأَخْفَشُ: لَمْ أَسْمَعْ لَهُ وَوَاحِدًا. قَالَ: وَيُشَبِّهُهُ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا: سَلْوَى أَيْضًا. يَنْظُرُ: مُخْتَارُ الصَّحَاحِ، لِسَانُ الْعَرَبِ، الْمَعْجَمُ الْبُيُوتِيُّ (سَلَوٌ).

السُّمَانِي^(١) طائر إلى الحمرة كانت تحشرها عليهم الجنوب^(٢)؛ فيذبح الرجل ما يكفيه ليومه ذلك؛ فإن تعدى ذلك فسد، ولم يبق عنده، إلا يوم الجمعة؛ فإنهم كانوا يذبحون ما يكفيهم ليومهم وللسبت.

﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا﴾ أي: نقصونا ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ ينقصون بمعصيتهم.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ إلى قوله: ﴿وسنزيد المحسنين﴾ قال الكلبي: لما فصلت بنو إسرائيل من التَّيَّة، ودخلوا إلى العُمران، فكانوا بجبال أريحا^(٣) من الأردن قيل لهم: ادخلوا هذه القرية، فكلوا منها حيث شئتم رَغَدًا. وكان بنو إسرائيل قد خَطِثُوا^(٤) خطيئة؛ فأحبَّ الله أن يستنقذهم منها - إن تابوا وقال لهم: إذا انتهيتم إلى باب القرية، فاسجدوا، وقولوا: حِطَّةٌ - نحط عنكم خطاياكم ﴿وسنزيد المحسنين﴾ الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة - إحسانًا إلى إحسنهم، فأما المحسنون: فقالوا الذي أمروا به، وأما الذين عصوا: فقالوا قولًا غير

(١) السُّمَانِي بتخفيف الميم، وقد أخطأ من شذَّها. الواحدة: سُمَانَةٌ، وتجمع أيضًا على: سُمَانِيَّاتٍ، ينظر: مختار الصحاح، اللسان (سمن).

(٢) أي: رياح الجنوب.

(٣) ويقال فيها: أريح، وأريحاء - بالمد والقصر - نسبةً إلى أريحاء بن لمك بن أرفخشذ بن سام ابن نوح ينظر: معجم ما استعجم (١/ ١٣٣ - ١٣٤)، معجم البلدان (١/ ٢١٠).

(٤) أي: أذنبوا. وخطئوا وأخطأ بمعنى.

الذي قيل لهم قالوا : [...] ^(١) بالسريانية [قالوها استهزاء وتبديلاً لقول] ^(١) الله .

قال الله تعالى (ل ١٠) : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رَجْزًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني : عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ قال يحيى : وبلغني أن ذلك العذاب الطاعون ، فمات منهم سبعون ألفاً .

ومعنى حطة : اخطأنا عنا خطايانا ^(٢) .

قال محمد : وارتفعت بمعنى : مسألتنا حطة ^(٣) .

يحيى : وأخبرني صاحب لي عن الأعمش ، عن إبراهيم بن سعد بن مالك ، عن سعد بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «الطَّاعُونَ بَقِيَّةُ رَجْزٍ وَعَذَابٍ عَذَّبَ بِهِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ^(٤) ؛ فإذا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ، فلا تخرجوا منها ؛ وإن وَقَعَ بِأَرْضٍ وَلَسْتُمْ بِهَا ، فلا تَقْدُمُوا عَلَيْهَا» ^(٥) .

(١) طمس في الأصل ، وروى الطبري في تفسيره (٣٠٤/١) عن ابن مسعود أنه قال : «إنهم قالوا : هطى سمقا يا أزية هزبا . وهو بالعربية : حبة حنطة حمراء مثقوبة فيها شعيرة سوداء» . وانظر الدر المنثور (٧٦/١) .

(٢) وفي تفسيرها أقوال آخر غير ذلك . ينظر مجمع البيان (١١٨/١) الدر المصون (٢٣٢/١) تفسير ابن كثير (٩٩/١) .

(٣) أي : أن «حطة» ارتفعت خبراً لمبتدأ مضمرة . ينظر معاني القرآن للأخفش (٩٦) معاني القرآن للفراء (٣٨/١) مجاز القرآن (٤١/١) الدر المصون (٢٣٢/١) .

(٤) في «ر» : من كان به وباء .

(٥) رواه مسلم (١٧٣٩/٤) رقم ٩٧/٢٢١٨ من طريق الأعمش ، عن حبيب ، عن إبراهيم بن سعد ، عن أبيه وأسماء بن زيد معاً . وللحديث طرق أخرى كثيرة .

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ﴾ قال قتادة: كان هذا وهم في البرية، اشتكوا إلى موسى الظمأ، فسقوا من حجر كان موسى عليه السلام يحمله [معه] (١) من الجبل الطوراني، فكانوا إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين.

قال محمد: ومعنى السَّبَط في اللغة: الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد (٢).

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا﴾ قال قتادة: يعني: لا تسيروا في الأرض مفسدين.

قال محمد: يقال: عَثِيَ يَعْثِي عُثِيًّا، وَعَثَى يَعْثُو عُثُوًّا، وَعَاثَ يَعِثُ عُثِيًّا؛ بمعنى واحد (٣)، وذلك في الإسراع في إفساد الشيء، ومن هذا قول عدي بن الرقاع:

لولا الحياء وإن رأيتي قد عثا
فيه المَشِيبُ لَزُرْتُ أُمَّ الْقَاسِمِ (٤)

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ويقال: السَّبَط من بني إسرائيل كالقبيلة من العرب، والجمع: أسباط، وفي التنزيل ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠]. ينظر لسان العرب «سبط» مختار الصحاح.

(٣) أي: أن هناك ثلاث صيغ لهذا الفعل: الناقص اليائي، والناقص الواوي، والأجوف اليائي. ينظر لسان العرب «عثو».

(٤) البيت من بحر الكامل. ينظر لسان العرب (عثو).

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَحْمُسِي لَن نَّصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجَ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ
الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصِيرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ...﴾ إلى
﴿وبصلها﴾ قال قتادة: لما أنزل الله عليهم المنَّ والسَّلْوَى في التَّيِّه مَلُوه^(١)
وذكروا عيشًا كان لهم بمصر؛ فقال الله - عز وجل - لهم: ﴿أستبدلون الذي
هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً﴾ يعني: مِصْرًا من الأمصار ﴿فإن لكم ما
سألتم﴾ وقال الكلبي: «اهبطوا مِصْرَ»^(٢) بغير ألف؛ يعني: مصر بعينها^(٣).
قال قتادة: والفُومُ: الحبُّ الذي يختبئه الناس^(٤) ﴿وضربت عليهم الذلة
والمسكنة﴾ يعني: الجزية.

(١) في الأصل: تأوهوا. والمراد: ضجروا واشتكوا.

(٢) قرأ الجمهور بالتثنية «مِصْرًا»، وقرأ الحسن «مِصْر» بغير تنوين، وهي في بعض مصاحف
عثمان وأبي. ينظر الدر المصون (١/٢٤١).

(٣) المِصْر في اللغة، يطلق على المكان عمومًا. ومِصْر: هي المدينة المعروفة، تُذكر
وتؤنث، وتُصرف وتمنع. والمِصْران: الكوفة والبصرة، ينظر: مختار الصحاح، لسان
العرب (مِصْر).

(٤) وقيل: هو الثوم؛ ويؤيده قراءة ابن مسعود وابن عباس: «وثومها». وقيل: هو الحنطة
خاصة، وقيل: هو الحمص؛ لغة شامية. والمفرد: فومة، ويُجمع أيضًا على فُوم، بفتح
الواو. ينظر: المحتسب (١/٨٨) معاني القرآن للفراء (١/٤١) البحر المحيط (١/٢٣٣)
لسان العرب (فوم).

قال محمد: وقد قيل الذلة: الصَّعَارُ^(١)، والمسكنة: الخضوع^(٢).

﴿وباءوا بغضب من الله﴾ يعني: استوجبوا.

قال محمد: معنى باءوا في اللغة: رجعوا؛ يقال: بُؤْتُ بكذا فأنا أبوء به، ولا يقال: باء إلا بشر^(٣).

﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ يعني: بأمر الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤)

﴿والذين هادوا﴾ يعني: تهودوا ﴿والنصارى﴾ قال قتادة: سموا نصارى؛ لأنهم كانوا بقرية يُقال لها: ناصرة^(٥).

﴿والصابين﴾^(٥) قال قتادة: هم قوم يقرءون الزبور، ويعبدون الملائكة^(٦).

قال يحيى: وبعضهم يقرءونها: ﴿والصابين﴾ مهموزة^(٧).

(١) المعنى الأول يُزوى عن أبي عبيدة وغيره، ويُزوى الثاني عن الحسن وقاتدة. ينظر مجاز القرآن (٤٢/١) تفسير الطبري (٢٤٩/١ - ٢٥٠).

(٢) وقال الإمام الطبري: مسكنة الفقر والحاجة. ينظر تفسير الطبري (٢٤٩/١) مجمع التفاسير (١٣٣/١).

(٣) يقال: باء بكذا، وباء إلى كذا. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (بوء).

(٤) وهي قرية بالجليل من فلسطين، وتُسمى نَصْران، ومفرد النصارى: نَصْران للمذكر، ونَصْرانة للمؤنث. ينظر: معجم البلدان (٢٣٧/٨) لسان العرب (نصر).

(٥) بترك الهمز، وهي قراءة نافع. ينظر السبعة (١٥٧) التيسير (٧٤) النشر (٣٩٧/١).

(٦) الصابى في اللغة: هو الذي يترك دينه، ويدين بآخر. وفرقة الصابئة؛ قوم يعبدون الكواكب، ويزعمون أنهم على ملة سيدنا نوح عليه السلام، وقبلتهم مهب الشمال عند منتصف النهار. ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (١٠٨/٢) لسان العرب (صبا).

(٧) وهي قراءة السبعة إلا نافعاً. ينظر: السبعة (١٥٧) التيسير (٧٤) النشر (٣٩٧/١).

تنبيه: القراءة بالهمز هي الأصل، ومن ترك الهمز حذفها استقلاً.

قال محمد: وأصل الكلمة من قولهم: صَبَأَ نَابُهُ إِذَا خَرَجَ^(١)؛ فكان معنى الصابئين: خرجوا من دين إلى دين.

والتهود أصله: التَعَوُّد؛ يقال للعائد: هائِدٌ، ومتهوِّدٌ^(٢).

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ يعني: من آمن بمحمد ﷺ وعمل بشريعته ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ قال محمد: القراءة ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ بالرفع، والنصب جائز وقد قرئ بهما^(٣).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ^(٦٤)

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ يعني: فوق رؤوسكم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ يعني: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجد ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ أي: احفظوا ما فيه، واعملوا به. والطور: جبل كانوا في أصله [فَاقْتُلِعْ وَأَشْرَفَ]^(٤) (...) ^(٥) ففعلوا.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ (ل ١١) حين لم يعجل لكم العذاب ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ يعني: المعذبين.

(١) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (صبا).

(٢) أي: يقال له: «هائد» من الفعل هاد، و«متهود» من الفعل: تهود. لسان العرب (هود).

(٣) قراءة الرفع هي قراءة الجمهور، وورد عن الحسن البصري ويعقوب قراءة النصب، ينظر: إتحاف الفضلاء (١٣٤)، الإعراب للنحاس (١٨٣)، البحر المحيط (٢٤٢/١).

(٤) بياض في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) طمس في الأصل.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾
 ﴿ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت﴾ يقول هذا لعلمائهم ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ أي: صاغرين؛ في تفسير الحسن.
 قال محمد: وقيل: خاسئين؛ يعني مبعدين، يقال: خسأت^(١) فلاناً عني وخسأت الكلب؛ أي: باعدته.

قال يحيى: واعتادواهم: أخذهم الصيد في يوم السبت، وسيأتي تفسيره في سورة الأعراف^(٢).

﴿فجعلناها نكالاً﴾ أي: عبرة ﴿لما بين يديها﴾ قال قتادة: يعني: لما سلف من ذنوبهم قبل أن يصيدوا الحيتان ﴿وما خلفها﴾ يعني: ما بعد تلك الذنوب؛ وهو أخذهم الحيتان.

قال محمد: والهاء التي في «جعلناها» هي على هذا التأويل للفعللة. وقيل: المعنى جعلنا قرية أصحاب السبت^(٣) ﴿نكالاً لما بين يديها﴾ من القرى ﴿وما خلفها﴾ ليتعظوا بهم. والله أعلم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَنْتَ خَدُّنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبِّكَ يَبْنَ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا يَكَرُّ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ قَالُوا آذَعْ لَنَا رَبِّكَ يَبْنَ

(١) ينظر لسان العرب (خسأ) والدر المصون (٢٥٢/١).

(٢) الأعراف: ١٦٣.

(٣) وقيل: يعود الضمير على العقوبة، وقيل: على الأمة. ينظر الدر المصون (٢٥٢/١).

لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النِّظِيرَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا
 اذْعُ لَنَا رِيكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾
 ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً...﴾ إلى قوله:
 ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾.

قوله ﴿لَا فَارِضَ وَلَا بَكَرَ عَوَانَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ قال الحسن: الْفَارِضُ: الْهَرِمَةُ،
 وَالْبَكَرُ: الصَّغِيرَةُ، وَالْعَوَانُ: بَيْنَ ذَلِكَ.

قال محمد: يقال من الْفَارِضِ: فَرَضْتُ تَفْرِضُ فَرَوْضًا^(١).

قال يحيى: وقوله: ﴿فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ يعني: صَافِيَةُ الصُّفْرَةِ^(٢).

قال محمد: وقوله: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ يعني: إِنَّ جِنْسَ الْبَقَرِ تَشَابَهَ
 عَلَيْنَا.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيبَةَ فِيهَا
 قَالُوا الْكَيْنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءُكُمْ فِيهَا
 وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ الَّذِي يُرِيكُمُ
 آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

قال يحيى: وقوله: ﴿لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ تفسير ابن
 عباس: لَا يُحَرِّثُ عَلَيْهَا وَلَا يُسْقَى [عَلَيْهَا]^(٣).

(١) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (فرض).

(٢) وقيل: خالص لونها. وقيل: سوداء شديدة السواد. وقيل غير ذلك ينظر تفسير ابن كثير (١/١).

(١١) كشف المشكلات (١/٥٣).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

وقوله: ﴿مَسْلَمَةٌ﴾ يعني: من العيوب؛ في تفسير قتادة. وقوله عز وجل: ﴿لَا شَيْءَ فِيهَا﴾ يعني: لا سواد فيها، ولا بياض؛ في تفسير مجاهد.

قال محمد: القراءة ﴿لَا شَيْءَ﴾ بالنصب^(١) على النَّفْيِ وَالْوَشْيِ في اللغة: خَلَطَ لَوْنٌ بِلَوْنٍ؛ تقول: وَشَيْتُ الثَّوبَ أَشْيَاهُ شَيْئًا وَوَشَيْتًا؛ فكأن المعنى: لا لون فيها يخالف معظم لونها؛ وهو الذي أراد مجاهد^(٢).

والذللول من الدَّوَاب: الخاضعة، وهي بَيِّنَةُ الذَّلِّ. والذل ضد الصَّعُوبَةِ؛ يقال: هذا جَمَلٌ ذَلُولٌ بَيِّنُ الذَّلِّ؛ بكسر الدال.

قال يحيى: وقوله عز وجل ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ أي: بَيَّنْتَ، وقد حدثني سعيد، عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أمر القوم بأدنى بقرة؛ ولكنهم لما شَدُّدُوا على أنفسهم، شَدَّدَ عليهم، والذي نفسي بيده؛ لولم يستثنوا، ما بُيِّنَتْ لهم»^(٣).

يحيى: وحدثني المعلِّى، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد

(١) وهي قراءة الجمهور.

(٢) وقيل غير ذلك: ينظر لسان العرب (وشى).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٣٤٨/١) من طريق سعيد.

ورواه الطبري في تفسيره (٣٤٧/١ - ٣٤٨) عن ابن جريج مرسلًا.

ورواه القرطبي وسعيد بن منصور وابن المنذر عن عكرمة مرسلًا. كما في الدر المنثور (١/٨٣).

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٤١ رقم ٧٢٢) وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (١/١١١) - من طريق عباد بن منصور، عن الحسن عن أبي رافع، عن أبي هريرة مرفوعًا. قال ابن كثير: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.

وقال الهيثمي في المجمع (٦/٣١٧): رواه البزار، وفيه عباد بن منصور، وهو ضعيف، وبقيته رجاله ثقات.

ابن جبير، عن ابن عباس قال: «قتل رجلٌ عمه، فألقاه بين قريتين، فأعطوه ديتين فأبى أن يأخذ؛ فأتوا موسى فأوحى الله إليه أن يذبخوا بقرة فيضربوه ببعضها، فشددوا فشدد الله عليهم؛ ولو كانوا اعترضوا البقر أول ما أمروا، لأجزأهم ذلك».

قال محمد: ومعنى «اعترضوا»: أخذوا منها بغير تخيير.

﴿فَاذَارَاتُمْ فِيهَا﴾ يعني: ألقى قتله بغضهم على بعض.

قال محمد: اذاراتم أصله: [تَذَارَاتُمْ] ^(١)؛ فأذغمت التاء في الدال ^(٢)؛ ومعناه: تدافعتم؛ يقال: درأ الكوكب بضوئه؛ أي دفع ^(٣).

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ قال يحيى: سمعت بعضهم يقول: رُمِيَ قبره ببعضها -

قال قتادة: يعني: بفخذها - ففعلوا، فقام فأخبر بقاتله، ثم مات.

قال ابن عباس: طلبوها، فوجدوها عند رجل برّ بوالديه، فبلغ ثمنها مئة منسكها ^(٤) دنانير.

قال يحيى: وذكر لنا أن وليه الذي كان يطلب دمه هو [الذي] ^(٥) قتله؛ فلم يُورث بعده قاتل.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ أَلْمَاءً وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةٍ

(١) في الأصل: فتذاراتم. والمثبت من «ر».

(٢) وهذه قاعدة مطردة في كل فعل على وزن «تفاعل» أو «تفعل»، فاؤه دال. ينظر الدر المصون (٢٦٢/١).

(٣) في اللسان والصحاح: درأ الكوكب في مضيه؛ أي: اندفع.

(٤) أي: جلدها. لسان العرب (مسك).

(٥) من «ر».

اللَّهُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ قال يحيى: يعني بل أشد قسوة^(١).

قال محمد: وقيل: إن الألف زائدة، والمعنى فهي كالحجارة وأشد قسوة^(٢). ومثل هذا من الشعر (ل ١٢):

أَلَا زَعَمْتَ لَيْلَى [بأنِّي فاجرٌ لنفسي]^(٣) تُقَاهَا أَوْ عَلَيْهَا فُجُورُهَا^(٤)

قوله - عز ذكره -: ﴿وإن من الحجارة لما يتفجر منه...﴾ أي: تجري ﴿وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء﴾ يعني العيون التي لا تكون أنهارًا.

﴿وإن منها لما يهبط من خشية الله﴾ قال مجاهد: كل حجر انفجر منه ماء أو تردى من رأس جبل فهو من خشية الله^(٥).

﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ

مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾ يقول: هذا للنبي ﷺ وللمؤمنين أن يصدقوكم؛ يعني: جماعة اليهود؛ لأن الخاصة قد تتبع ملته ﴿وقد كان فريق

(١) أي: أن «أو» بمعنى «بل» على سبيل الإضراب، وهذا أحد معاني «أو». ولزيادة البيان ينظر مغني اللبيب (٧٥/١ - ٨٠).

(٢) ينظر مغني اللبيب (٧٥/١ - ٨٠) تفسير ابن كثير (١١٥/١).

(٣) البيت من بحر الطويل. ويروى: «وقد زعمت» بدل «ألا زعمت» وقائله: هو نوبة. وقد احتج به الكوفيون والأخفش والجزمي على أن «أو» بمعنى الجمع المطلق كالواو. أما المصنف فقد احتج به على أن ألف «أو» زائدة؛ فهي «واو» عنده أصلاً. ينظر: مغني اللبيب (٧٥/١).

(٤) ينظر تفسير ابن كثير (١١٤/١).

منهم يسمعون كلام الله ﴿﴾ قال الحسن: يعني: كتاب الله التوراة ﴿﴾ ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه ﴿﴾ حرفوا ما في التوراة من صفة محمد ﷺ ودينه ﴿﴾ وهم يعلمون ﴿﴾ (١).

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ تفسير الكلبي: أتحدثونهم بما بين الله لكم في كتابكم من أمر نبيهم، ثم لا تتبعونهم، ولا تدخلون في دينهم؛ هذه حجة لهم عليكم ﴿أفلا تعقلون﴾ قالوا هذا وهم يتلاومون ﴿أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون﴾ مما قال اليهود بعضهم لبعض ﴿وما يعلنون﴾.

قال محمد: جاء عن ابن عباس؛ أن هذه الآية نزلت في طوائف من أخبار اليهود؛ كانوا إذا لقوا الذين آمنوا، قالوا: نشهد أن صاحبكم صادق، وإنا نجد في كتابنا نعتة وصفته ﴿وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ يعني: أحاديث ما يحدثهم قراؤهم به فيقبلونه ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أي: هم على غير يقين إن صدقت قراؤهم صدقوا، وإن كذبت قراؤهم كذبوا.

قال محمد: ارتفع «أميون» بالابتداء، و«منهم» الخبر^(١). وقد قيل: المعنى استقر منهم أميون^(٢)، ومن كلامهم: فيك أمية: أي: جهالة؛ ولذلك قيل للذي لا يكتب: أمي.

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (٧٩) وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا﴾ قال الكلبي: هم أحبار اليهود وعلمائهم عمدوا إلى نعت النبي ﷺ في كتابهم، فزادوا فيه، ونقصوا، ثم أخرجوه لسفلتهم فقالوا: هذا نعت النبي الذي يبعثه الله في آخر الزمان ليس كنعيت هذا الرجل، فإذا نظرت السفلة إلى محمد ﷺ لم يروا فيه النعت الذي في كتابهم الذي كتبت أحبارهم. وكانت للأحبار مأكلة فقال الله - عز وجل -: ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلًا﴾ يعني: تلك المأكلة ﴿فويل لهم﴾ في الآخرة ﴿مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾.

﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة﴾ قال قتادة: قالت اليهود: لن يدخلنا الله النار إلا عدد الأيام التي عبدنا فيها العجل؛ أي: إذا انقطعت تلك الأيام، انقطع عنا العذاب، قال الله - عز ذكره - للنبي ﷺ قل لهم: ﴿أخذتم عند الله عهدًا﴾.

(١) أي: تقدم الخبر، وتأخر المبتدأ.

(٢) هذا على رأي الأخفش. ينظر الدر المصون (١/٢٦٨).

قال محمد: المعنى: عهد إليكم أنه لا يعذبكم إلا هذا المقدار!؟
﴿فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أي: إنكم لن
تتخذوا عند الله عهداً، وإنكم تقولون عليه ما لا تعلمون أنه الحق.

﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَتُهُ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَذَى الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا
الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿بلى من كسب سيئة﴾ السيئة ها هنا: الشرك ﴿وأحاطت به خطيبته﴾ أي:
مات ولم يتب من شركه... الآية.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ قال محمد: «لا
تعبدون» جائز أن يكون فيه الرفع؛ على معنى ألا تعبدوا فلما سقطت «أن» رفع
«تعبدون»^(١) وكذلك قوله تعالى بعد هذا: ﴿لا تسفكون دماءكم﴾ الرفع فيه
على معنى: ألا [تسفكوا]^(٢).

﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: وصيناهم بالوالدين إحساناً ﴿وقولوا للناس
حسناً﴾ تفسير الحسن. يأمرونهم بما أمر الله [به]^(٢) وينهونهم عما نهى الله عنه.
﴿ثم توليتم﴾ [أي جحدتم]^(٢) (ل ١٣) ﴿إلا قليلاً منكم﴾ القليل يعني:
الذين اتبعوا النبي ﴿وأنتم معرضون﴾ [عما]^(٢) جاء به النبي ﷺ.

(١) وفيه وجه آخر غير هذا. ينظر الدر المصون (١/ ٢٧٥ - ٢٧٦).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَيْهِ أَشَدَّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ أي: لا يخرج بعضكم بعضًا ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ . قال محمد: ثم أقررتهم يعني: اعترفتهم [بصحة ما] ^(١) قد أخذ عليكم في العهد، وأخذ على أوائلكم ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أن هذا حق . ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ .

[قال محمد] ^(٢): «هؤلاء» بمعنى الذين، وقد قيل: أراد يا هؤلاء ^(٣) . ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: يقتل بعضكم بعضًا ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: تعاونون عليهم ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يعني: بالظلم .

﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ قال الحسن: نكثوا؛ فقتل بعضهم بعضًا، وأخرج بعضهم بعضًا، وكان الفداء مفروضًا

(١) طمس في الأصل .

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» .

(٣) أي: على حذف حرف النداء . وفي الآية وجوه أخر . ينظر الدر المصون (١/ ٢٨٣ - ٢٨٤) .

عليهم أيضًا، فاختلقت أحكامهم؛ فقال الله تعالى: ﴿أَفْتُمُونَنِي بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ يعني: الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ يعني: القتل والإخراج من الدور ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ﴾ يقوله ليهود المدينة ﴿إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قال الكلبي: الخزي القتل والنفي؛ فَقَتَلْتُ قَرِيطَةَ، وَنُفِيتَ النُّضِيرَ؛ أَخْزَاهُمُ اللَّهُ بِمَا صَنَعُوا .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾ (٨٦) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ تفسير الحسن: يعني: اختاروا الحياة الدنيا على الآخرة ﴿وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ أي: أتبعناه بهم ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ قال الكلبي: يعني: الآيات التي كان يريهم عيسى ﷺ ﴿وَأَيَّدْنَاهُ﴾ أعثاه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ يعني: جبريل ﷺ .
قال محمد: أصل القدس: الطهارة .

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ فلما قال لهم النبي ﷺ هذا سكتوا، وعرفوا أنه وحي من الله عيّرهم بما صنعوا، فقالوا: يا محمد ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا نعقل ولا نفقه ما تقول، وكانت أوعية للعلم، فلو كنت صادقًا سمعنا ما تقول .

قال محمد: تُقرأ على وجهين: «غُلْفٌ وَغُلْفٌ»^(١). وأجود القراءتين: «غُلْفٌ» بتسكين اللام، ومعناها: ذوات غُلْفٍ، الواحد منها: أغْلَفٌ؛ يقال: غلَفْتُ السيف؛ إذا جعلته في غلاف، فهو سيف أغلف، ومنه يقال لمن لم يختن: أغلف. فكانهم قالوا: قلوبنا في أوعية مثل قولهم: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾^(٢).

ومن قرأ «غُلْفٌ» فهو جمع غلاف؛ فيكون معنى هذا: أن قلوبنا أوعية للعلم فما لها لا تفهم عنك؟!

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٨٩)
 بِشَكَا أَشْرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِيتٌ ﴿٩٠﴾
 ﴿ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا﴾ قال قتادة: كانت اليهود تستنصر بمحمد ﷺ على كفار العرب، كانوا يقولون اللهم ائت بهذا النبي الذي يقتل العرب ويذلهم، فلما رأوا أنه من غيرهم حسدوهم، وكفروا به. قال الله - تعالى - : ﴿فلعنة الله على الكافرين﴾.

قال محمد: الاستفتاح ها هنا بمعنى الدعاء، والفُتَاخَةُ أيضًا الحكومة،

(١) القراءة بتسكين اللام قراءة الجمهور، وقد جُودها المصنف، والقراءة بضمها قراءة ابن عباس، ورويت عن أبي عمرو. ينظر: الدر المصون (١/ ٢٩٥ - ٢٩٦).

(٢) فصلت: ٥.

يقال: فتاحة وفتاحة بكسر الفاء وبضمها^(١)، وفاتحت الرجل: إذا حاكمته.
﴿بئس ما اشترؤا به أنفسهم﴾ أي: بئس ما باعوا به أنفسهم ﴿أن يكفروا بما أنزل الله بغياً﴾ حسداً ﴿أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده﴾.

قال يحيى: وكل شيء في القرآن «اشترؤا»^(٢) فهو شراء، إلا هذه الآية، وكل شيء في القرآن «شروا» فهو بيع.

قال محمد: ﴿بغياً﴾ مصدر^(٣) المعنى: كفروا بغياً لأن أنزل الله الفضل على نبيه ﷺ ﴿فبأوا بغضب على غضب﴾ قال قتادة: غضب الله عليهم بكفرهم بالإنجيل، وغضب عليهم [بكفرهم]^(٤) بالقرآن.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَزُولُ عَلَيْنَا وَإِنَّا لَنَعْلَمُ وَرَأَاهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقُولُونَ أَنبِيََاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَنْسَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ ءَالِدَارُ ءآخِرَةٍ

(١) وفتحت الفاء أيضاً. وقيل: معنى الاستفتاح: طلب النصرة. ينظر: مختار الصحاح، ولسان العرب (فتح).

(٢) الفعل «اشترى» من الأضداد، يأتي بمعنى «اشترى» و«باع» وكذلك الفعل «شرى». لسان العرب (شرى).

(٣) وفيه وجوه آخر. ينظر الدر المصون (١/٣٠٠ - ٣٠١).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾ (ل ١٤) بما بعده ؛ يعني الإنجيل والقرآن (...)^(١) ﴿وهو الحق﴾ يعني : القرآن ﴿مصدقًا لما معهم﴾ أي : التوراة والإنجيل .
قال محمد : نصب ﴿مصدقًا﴾ على الحال ، وهذه حال مؤكدة^(٢) .

قوله تعالى : ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وكان أعداء الله يقولون : [إِنْ]^(٣) آبَاءَهُم الَّذِينَ قَتَلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلِ [وَلَيْسَ فِيمَا]^(٤) أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَتْلَ أَنْبِيَائِهِمْ فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِمْ ﴿نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾ وهو تفسير الحسن .

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ يعني : أَوْلَهُمْ ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ .

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أي : واذكروا إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ قد مضى تفسيره^(٥) ﴿وَاسْمِعُوا﴾ قالوا : ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ سمعنا ما تقول ، وعصينا أمرك . قال : ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ .

(١) طمس في الأصل بمقدار كلمة .

(٢) ينظر الدر المصون (٣٠٣/١) .

(٣) سقطت من الأصل . وينظر تفسير ابن كثير (١٢٦/١ - ١٢٧) .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من «ر» .

(٥) ينظر تفسير الآية (٦٣) من سورة البقرة .

قال محمد: المعنى: أَدْخَلَ في قلوبهم^(١)؛ كذلك قال ابن عباس. ومن كلام العرب اشرب عني ما أقول؛ أي: اقبله وِعِهِ.

قال يحيى: قال الحسن: ليس كلهم تاب. وقيل: فالذين لم يتوبوا هم الذين بقي حب العجل في قلوبهم؛ وهم الذين قال الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَّهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الآية^(٢).

﴿قل بشئ ما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾ أي: لو كان الإيمان في قلوبكم، لحجزكم عن عبادة العجل. ثم رجع إليهم لقولهم: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا﴾^(٣) ولقولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا الْكَاذِبُ إِلَّا نَبْأًا مَّعْدُودَةً﴾^(٤) وأشباه ذلك فقال: ﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ أنكم من أهل الجنة ﴿ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم﴾ يعني: بما أسلفوا من الأعمال الخبيثة؛ لأنهم يعلمون أنهم معذبون؛ يعني به الخاصة الذين جحدوا وكفروا حسداً وِبَغْيًا.

﴿وَلَنَجْذِثَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجَةٍ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾^(٥)
﴿ولتجذبنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يُعَمَّر ألف سنة﴾ قال ابن عباس: الذين أشركوا هم المجوس، وذلك أن

(١) وقال الزجاج: وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم؛ قال: معناه: سقوا حُبَّ العجل فحذف «حب» وأقيم العجل مقامه. ينظر لسان العرب (شرب)، الدر المصون (١/٣٠٥).

(٢) سورة الأعراف: ١٥٢.

(٣) البقرة: ١١١.

(٤) البقرة: ٨٠.

المجوس كانوا يأتون الملك بالتحية في النيروز والمهرجان^(١)، فيقولون له: عَشْ أيها الملك ألف سنة كلها مثل يومك هذا.

قال الله - عز وجل - : ﴿وما هو بمزحزحه من العذاب أن يُعَمَّرَ﴾ أي: ما عُمره بمُبَاعِدِهِ من العذاب .

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذُوا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يعني: نزل القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من كتاب الله - عز وجل .

قال قتادة: ذَكَرَ لنا أن عمر بن الخطاب أتى نفرًا من اليهود، فلما أبصروه رَحَّبُوا به؛ فقال: أما والله ما جئت لحبكم، ولا لرغبة فيكم، ولكن جئت لأسمع منكم. فسألهم وسألوه؛ فقالوا له: من صاحب صاحبكم؟ قال: جبريل. قال: قالوا: ذاك عدونا من أهل السماء يُطْلِعُ محمدًا على سرنا؛ وهو

(١) النيروز هو أكبر الأعياد القومية للفرس، ويقال فيه أيضًا: النيروز، وهو أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق الحادي والعشرين من مارس من السنة الميلادية. ينظر المعجم الوسيط (نورز، نيرز).

والمهرجان: كلمة فارسية أيضًا مركبة من كلمتين: الأولى: مهر ومن معانيها الشمس، والثانية: جان ومن معانيها الحياة أو الروح. وعيد المهرجان هو احتفال الاعتدال الخريفي عندهم. ينظر المعجم الوسيط (مهرج).

إذا جاء جاء بالحرب والسنة^(١)، وكان صاحب صاحبنا ميكائيل، وكان إذا جاء جاء بالخضب وبالسلم. فقال عمر: أتعرفون جبريل، وتنكرون محمدًا؟ وفارقهم عند ذلك وتوجه نحو النبي ﷺ ليحدثه حديثه؛ فوجده قد نزلت عليه هذه الآية.

وفي رواية الكلبي: أن اليهود قالت: إن جبريل عدو لنا، فلو أن محمدًا يزعم أن ميكائيل الذي يأتيه صدقناه، وإن جبريل عدو لميكائيل؛ فقال عمر: إني أشهد أن من كان عدوًا لجبريل، فإنه عدو لميكائيل.

قوله تعالى: ﴿أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ﴾ أي: نقضه ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كقوله: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)

﴿ولما جاءهم رسول من عند الله﴾ يعني: محمدًا ﴿نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم﴾ أي: لا يعملون به ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ أي: كأنهم ليس عندهم [من الله فيه عهدًا]^(٣).

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعْلِمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَقًّا يَقُولَانِ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ

(١) السنة: الجذب والفتنة. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (سنة).

(٢) البقرة: ٨٨.

(٣) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَآئِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَنْتَعِمُونَ مَا يَصْرِفُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٥٧﴾

(١٥٧) قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ يقول: نبذوا كتاب الله، واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان..

قال محمد: «تتلوا»؛ أي: تروي التلاوة والرواية شيء واحد.

قوله: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾ قال الكلبي: لما ابتلى الله - عز وجل - سليمان عليه السلام بما كان من أمر الشياطين، كتبت الشياطين سحرًا كثيرًا، ودفنوه تحت كرسيه، ثم لما قبض الله سليمان أتت الشياطين إلى أوليائهم من الإنس، فقالوا: ألا ندلكم على ما كان سليمان يملك به الإنس، وتدين له به الجن، وتسخر له [به] ^(١) الريح؟ قالوا: بلى. قالوا: احفروا تحت كرسيه، ففعلوا واستخرجوا كتبًا كثيرة، فلما قرءوها فإذا هي الشرك بالله؛ فقال صلحاء بني إسرائيل: معاذ الله من هذا أن نتعلمه، وتعلمه سَفِلَةٌ بني إسرائيل [وفشت الكلمة] ^(٢) لسليمان في بني إسرائيل حتى عذره الله على لسان محمد ﷺ، فقال: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين﴾ يقول: اتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان، واتبعوا ما أنزل على الملكين بابل هاروت وماروت.

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) هكذا في الأصل، «ر»، ولعل المراد - والله أعلم - السحر، أي فشا السحر، ونُسب إلى سيدنا سليمان في بني إسرائيل، حتى عذره الله على لسان سيدنا محمد ﷺ. ينظر تفسير ابن كثير (١/١٩٢ - ١٩٥).

قال قتادة: السحر سحران: سحرٌ تعلمه الشياطين، وسحر يعلمه هاروت وماروت.

وقال الحسن: إن الملكين ببابل إلى يوم القيامة، وإن من عزم على تعلُّم السحر، ثم أتاهما سمع كلامهما، من غير أن يراهما.

وقال مجاهد: عجبت الملائكة من ظلم بني آدم؛ وقد جاءتهم الرسل، فقال لهم ربهم: اختاروا منكم اثنين أنزلهما يحكمان في الأرض، فكانا هاروت وماروت، فحكما فعدلا؛ حتى نزلت عليهما الزهرة في صورة أحسن امرأة تخاصم [زوجها]^(١) فافْتَنَّا بها وأرادها على نفسها فطارت الزهرة؛ فرجعت حيث كانت، ورجعا إلى السماء فزُجرا فاستشفعا برجل من بني آدم، فقالا: سمعنا ربك يذكرك بخير، فاشفع لنا، فقال لهما: كيف يشفع أهل الأرض لأهل السماء؟ ثم واعدهما يوما يدعو لهما فيه فدعا لهما فخيرًا بين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة، فنظر أحدهما إلى الآخر، فقال: ألم تعلم أن أفواج عذاب الله في الآخرة كذا وكذا، وفي الخلد أيضًا؟ فاختارا عذاب الدنيا؛ فهما يُعَذَّبَان ببابل.

قال محمد: وقد ذكر يحيى عن غير مجاهد؛ أن المرأة التي افْتَنَّا بها كانت من نساء أهل الدنيا. والله أعلم^(٢).

(١) سقط من الأصل.

(٢) قصة هاروت وماروت من الإسرائيليات، قال ابن كثير في تفسيره (١/١٤١): وقد روي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسدي والحسن البصري وقاتة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقصها خلق من المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراد الله تعالى... والله أعلم بحقيقة الحال.

﴿وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولاً إنما نحن فتنة﴾ أي: بلاء ﴿فلا تكفروا﴾ .
 قال محمد: قوله ﴿فتنة﴾ معناه: ابتلاء واختبار؛ وهو الذي أراد يحيى .
 قال قتادة: أخذ عليهما ألا يعلما أحداً حتى يقولاً له: إنما نحن فتنة فلا
 تكفروا ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وهو أن يُغَضَّ كُلُّ
 واحدٍ منهما إلى صاحبه ﴿وما هم بضارين به من أحدٍ إلا بإذن الله﴾ قال
 الحسن: من شاء الله سلطهم عليه، ومن شاء منعهم منه ﴿ولقد علموا لمن
 اشتراه﴾ يعني: لمن اختاره ﴿ما له في الآخرة من خلاق﴾ يعني: نصيباً في
 الجنة، قال قتادة: قد علم أهل الكتاب في عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق
 له عند الله يوم القيامة ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم﴾ أي: ما باعوها به ﴿لو
 كانوا يعلمون﴾ قال الحسن: لو كانوا علماء أتقياء، ما اختاروا السحر .

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾
 يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿١٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله﴾ يعني: الثواب يوم
 القيامة ﴿خيرٌ لو كانوا يعلمون﴾ أي: لو كانوا علماء لآمنوا بعلمهم ذلك،
 واتقوا ولا يوصف الكفار بأنهم علماء .

قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ قال الكلبي: راعنا كلمة
 كانت العرب (تكنى بها) ^(١)؛ يقول الرجل لصاحبه: راعني سمعك؛ فلما
 سمعتهم اليهود يقولون هذا للنبى (ل) (١٦٤) ﷺ أعجبهم ذلك، و«راعني» في

(١) في «ر»: يتكلمون بها .

كلام اليهود كلمة يَسُبُّ [بها بعضهم بعضًا] ^(١) فقالوا: قوموا بنا نسب محمدًا [فأعلنوا] ^(٢) له السب، فكانوا يأتونه، فيقولون: يا محمد راعنا. ويضحكون، فعرفها رجل من الأنصار كان يعرف لغتهم، فقال: يا أعداء الله، عليكم لعنة الله، والذي نفسي بيده لئن سمعت رجلاً منكم بعد مجلسي هذا يعيدها لأضربن عنقه، فقالوا: أولستم تقولونها للنبي؟! فقال الله للذين آمنوا: ﴿لَا تقولوا لمحمد: ﴿راعنا﴾ ولكن قولوا: ﴿انظرونا﴾؛ أي: انتظرنا نتفهم. فقال المؤمنون: الآن لئن سمعتم بالرجل من اليهود يقول لنيكم: راعنا - فأوجعوه ضربًا. فانتهدت عنها اليهود بعد ذلك.

قال محمد: وذكر غير يحيى؛ أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: راعنا وأزعنا سمعك، وأصل الكلمة من راعيت الرجل؛ إذا تأملت، وتعرفت أحواله [ومنه يقال: أرعني سمعك] ^(٣). وكانت اليهود يقولونها لرسول الله ﷺ وهي بلغتهم سبًّا، ويحرفونها إلى ما في قلوبهم من السب لرسول الله ﷺ والطعن عليه.

قوله تعالى: ﴿واستمعوا﴾ يعني: واستمعوا ما يأمركم به رسول الله ﷺ ولا تكونوا كالكافرين الذين لا يقولون: انظرونا، ولا يسمعون قول رسول الله ﷺ ﴿عذاب أليم﴾ أي: موجع.

﴿مَّا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿١٥﴾

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في الأصل: فلبثوا.

(٣) سقطت هذه العبارة من الأصل. وينظر: اللسان، القاموس المحيط (رعى)، الدر المصون (١/ ٣٣١ - ٣٣٢).

قوله تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين﴾ أي: ولا من المشركين ﴿أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ يعني: الوحي الذي يأتي رسول الله ﷺ لا يسرههم ذلك؛ حسداً لرسول الله وللمؤمنين.

قال محمد: قوله: ﴿من خير من ربكم﴾ دخلت «من» ها هنا على جهة التوكيد والزيادة؛ كما تقول: ما جاءني من أحد، وما جاءني أحد^(١).
﴿والله يختص برحمته من يشاء﴾ قال الحسن: يعني: النبوة.

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٦٦) ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (١٦٧) ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١٦٨)

قوله تعالى: ﴿ما ننسخ من آية﴾ أي: نبدل حكمها، ونثبت خطؤها: ﴿أو ننسها﴾ قال قتادة: يعني: ننسها رسوله؛ وقد نسي رسول الله ﷺ بعض ما كان نزل من القرآن، فلم يثبت في القرآن.

قال يحيى: وتقرأ ﴿أو ننسأها﴾ مهموزة^(٢)؛ أي: نوخرها؛ فلم تثبت في القرآن ﴿نأت بخير منها أو مثلها﴾ يقول: هذه الآية الناسخة خير في زماننا هذا لأهلها، وتلك الأولى المنسوخة خير لأهلها في ذلك الزمان، وهي مثلها بعد

(١) وذلك على رأي سيويه وأتباعه. أما الكوفيون والأخفش فلا يقولون بهذا، وقيل: (من) ها هنا للتبعض. الدر المصون (١/٣٣٣).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ومجاهد، وابن محيصن وزويت عن عمر وابن عباس وأبي ينظر: إتحاف الفضلاء (١٤٥)، السبعة (١٦٨)، التيسير (٧٦)، النشر (١/٢١٩)، البحر (٣٤٣/١).

في حقها وصدقها .

﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ فهو يحكم فيهما بما يريد ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾ يمنعكم إن أراد بكم عذاباً .

قال محمد: قوله: ﴿ألم تعلم﴾ لفظ: ﴿ألم﴾ ها هنا لفظ الاستفهام؛ ومعناه: التوقيف والتقرير^(١)؛ ومعنى الآية: أن الله - عز وجل - يملك السموات والأرض ومن فيهن؛ فهو أعلم بوجه الصلاح فيما يتعبدون به من ناسخ ومنسوخ، وغير ذلك .

قوله تعالى: ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل﴾ قال قتادة: كان الذي سألوا موسى أن قالوا: ﴿أرنا الله جهرة﴾^(٢) .
﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾ [أي: قصد]^(٣) الطريق .

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَدَّ كثير من أهل الكتاب﴾ يعني: من لم يؤمن منهم ﴿لو﴾

(١) الدر المصون (١/٣٣٨) .

(٢) النساء: ١٥٣ .

(٣) في الأصل: أي سواء . والمراد: وسط أو أعدل الطريق .

يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم ﴿يعني: أن محمدًا رسول الله، وأن دينه الحق ﴿فاعفوا واصفحوا﴾.﴾

قال محمد: قوله تعالى: ﴿حسدًا من عند أنفسهم﴾ المعنى: أن كتابهم أمرهم بما هم عليه [من الشرك] ^(١) ويبيّن ذلك قوله تعالى: ﴿من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير﴾ (١٧ل) قال قتادة: كانت هذه الآية قبل أن يؤمروا بقتال أهل الكتاب؛ ثم أنزل الله بعد ذلك سورة براءة، وأتى فيها بأمره وقضائه؛ وهو: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ الآية ^(٢).

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿

قوله تعالى: ﴿وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى﴾ قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديًا، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيًا، قال الله - تعالى - : ﴿قل هاتوا﴾ قال الحسن: يعني: حجتكم ثم كذبهم، وأخبر تعالى أن الجنة إنما هي للمؤمنين؛ فقال: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ أي: أخلص دينه لله ﴿وهو محسن﴾ [فله أجره] ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ على الدنيا ^(٣) الآية.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ

(١) طمس في الأصل، وأثبت من «ر».

(٢) التوبة: ٢٩.

(٣) سقط من الأصل، وأثبت من «ر».

يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

قوله تعالى: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب﴾ يعني: التوراة والإنجيل؛ أي: فكيف اختلفوا وتفرقوا [في الكتاب]^(١)، والكتاب واحد جاء من عند الله يصدق بعضه بعضاً.

﴿كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم﴾ .

قال محمد: يعني من كذب من الأمم: أمة نوح وعاد واثمود وغيرهم؛ أي: إن هؤلاء أيضاً قالوا: لن يدخل الجنة إلا من كان على ديننا؛ فيما ذكر ابن عباس .

﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ .

قال يحيى: فيكون حكمه فيهم أن يكذبهم جميعاً، ويدخلهم النار.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١٤) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله...﴾ الآية تفسير الكلبي:

أن الروم غزوا بني إسرائيل، فحاربوهم^(٢) فظهروا عليهم، فقتلوا مقاتلتهم، وسبوا ذراريهم، وأحرقوا التوراة، وهدموا بيت المقدس، وألقوا فيه الجيف

(١) سقط من الأصل، وأثبت من «ر».

(٢) في «ر»: فحاصروهم.

فلم يُعَمَزْ؛ حتى بناه أهل الإسلام؛ فلم يدخله رومي بَعْدُ إلا خائفاً ﴿لهم في الدنيا خِزْيٌ﴾ وهو: فتح مدينتهم رومية^(١)، وقتل مُقاتلتهم، وسبي ذراريهم ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾.

قوله تعالى: ﴿ولله المشرق والمغرب﴾.

قال محمد: المعنى هو: خالقهما ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ قال بعضهم: يعني: فثُمَّ^(٢) قبله الله.

يحيى: عن أشعث، عن عاصم بن عُبيد الله العمري، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه «أن رسول الله ﷺ [كان]^(٣) في سفر فتزلوا منزلاً في ليلة ظلماء، فجعل أحدهم يجمع الحَصَبَاءَ^(٤)، فيجعلها مسجداً فيصلي، فلما أصبحوا؛ إذا هم لغير القبلة، فأنزل الله - عز وجل - ﴿ولله المشرق والمغرب...﴾ الآية^(٥).

(١) وهي مدينة.

(٢) ظرف مكان بمعنى هناك. اللسان، القاموس المحيط (ثم).

(٣) في الأصل: كانوا. والمثبت من «ر».

(٤) الحصباء: صغار الحجارة. اللسان والقاموس (حصب).

(٥) رواه أبو داود الطيالسي (١٥٦ رقم ١١٤٥) وعبد بن حميد (١٣٠ رقم ٣١٦) والترمذي (٢/ ١٧٦ رقم ٣٤٥، ١٨٨/٥ رقم ٢٩٥٧) وابن ماجه (١/ ٣٢٦ رقم ١٠٢٠) والطبري في تفسيره (١/ ٥٠٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢١١ رقم ١١٢٠) والعقيلي في الضعفاء (١/ ٣١) والدارقطني في سننه (١/ ٢٧٢ رقم ٥-٧) والبيهقي في سننه (٢/ ١١) وغيرهم من طريق أشعث - وهو أبو الربيع السمان - به.

وقال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بذلك، لا نعرفه إلا من حديث أشعث السمان، وأشعث بن سعيد أبو الربيع السمان يُضعف في الحديث.

وقال العقيلي: وأما حديث عامر بن ربيعة فليس يُروى من وجه يثبت متنه.

وقال ابن كثير (١/ ١٥٨) بعد أن نقل كلام الترمذي: وشيخه عاصم أيضاً ضعيف، قال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن معين: ضعيف لا يُحتج به. وقال ابن حبان: متروك. والله أعلم.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَكُمْ قَلِيلُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ ينزه نفسه عما يقولون ﴿بَلْ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَكُمْ قَلِيلٌ﴾ قال الحسن: كلُّ له قائم بالشهادة، [بأنه عبد لله] ^(١) ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ابتدعهما بغير مثال ﴿وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ .

قال محمد: قوله ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ المعنى: فهو يكون .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم مشركو العرب ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ يعني: قول قوم موسى لموسى ﷺ ﴿أَرَأَيْتَ اللَّهُ جَهْرَةً﴾ ^(٢) وما سألوا من الآيات ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ في الكفر مثل قوله: ﴿يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ ^(٣) ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ يصدّقون .

قال محمد: يعني الآيات التي أتى بها صلوات الله عليه في نحو انشقاق القمر ^(٤) ؛ وغير ذلك من آياته .

(١) في الأصل: وأنه غيب .

(٢) النساء: ١٥٣ .

(٣) التوبة: ٣٠ .

(٤) انشقاق القمر ثابت في القرآن في قول الله تعالى ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾ [القمر: ١] وهو متواتر في السنة المطهرة . انظر فتح الباري (٦/ ٦٧٣ - ٦٧٤) .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ (١١٩) وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ هُوَ الْهَدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ بشيرًا بالجنة، ونذيرًا من النار ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ من قرأها «تَسْأَلُ»^(١) بفتح التاء تفسيره لا تسأل عن حالهم؛ فإن النبي ﷺ سأل عن [أبيه]^(٢) فأنزل الله - عز وجل - ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ وثقراً على وجه آخر ﴿وَلَا تُسْأَلُ﴾^(٣) عن أصحاب الجحيم أي: لا تُسْأَلُ عنهم إذا أقيمت عليهم الحجة (١٨٨) قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى﴾ يعني بذلك العامة منهم ﴿حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ﴾؛ يعني: الإسلام الذي أنت عليه.
﴿وَلَنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾

(١) وهي قراءة نافع ويعقوب، ورويت عن ابن عباس وأبي جعفر الباقر. ينظر: إتحاف الفضلاء (١٤٦)، التيسير (٧٦)، الحجة (٨٧)، السبعة (١٦٩).

(٢) في الأصل: أمه. والمثبت من «ر».

وروى عبد الرزاق في تفسيره (٥٩/١) والطبري في تفسيره (٥١٥/١ - ٥١٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢١٧/١ رقم ١١٥١) وغيرهم عن محمد بن كعب القرظي قال: «كان النبي ﷺ يسأل عن أبيه فأنزل الله - عز وجل - ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾» واللفظ لابن أبي حاتم.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (١١٧/١): لو كعب وسفيان بن عيينة وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وقال: قلت: هذا مرسل ضعيف الإسناد.

ورواه الطبري في تفسيره (٥١٦/١) عن داود بن أبي عاصم نحوه. قال السيوطي: معضل الإسناد ضعيف، لا يقوم به ولا بالذي قبله حجة.

(٣) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (١٤٦)، التيسير (٧٦)، الحجة (٨٧).

ولا نصير ﴿يشبهه﴾^(١) بذلك؛ وقد علم جلّ جلاله أنه لا يتبع أهواءهم.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٧٦) يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٧٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٧٨﴾

﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ قال قتادة: هم أصحاب نبي الله آمنوا بكتاب الله، وأحلوا حلاله، واجتنبوا حرامه، وعملوا بما فيه.

قوله تعالى: ﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين﴾ يعني: عالم أهل زمانهم ﴿واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا﴾ أي: لا تُغني ﴿ولا يقبل منها عدلٌ﴾ أي: فداء ﴿ولا تنفعها شفاعَةٌ﴾ أي: إن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين ﴿ولا هم ينصرون﴾ يعني: يمنعون من العذاب.

﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (١٧٩) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٨٠﴾ ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ﴾ اختبر ﴿إبراهيم ربه بكلمات فأتَمهن﴾ عمل بهن؛ تفسير ابن عباس هي: المناسك.

﴿قال إني جاعلك للناس إمامًا﴾ قال الكلبي: يعني: يُهْتَدَىٰ بهديك

(١) في الأصل: يشبه.

وَسُتُّكَ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ إِبْرَاهِيمَ ﴿قَالَ وَمَنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أَي: وَمَنْ كَانَ مِنْ ذُرِّيَّتِي فليكن إمامًا [لغير^(١)] ذُرِّيَّتِي قَالَ اللَّهُ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ مَنْ ذُرِّيَّتِكَ؛ أَي: أَنْ أَجْعَلَهُمْ أُمَّةً يُقْتَدَى بِهِمْ.

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: يَعْنِي: يَتُوبُونَ إِلَيْهِ كُلَّ عَامٍ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: قَوْلُهُ ﴿مَثَابَةً﴾ أَي: مُعَادَا؛ تَقُولُ: ثُبْتُ إِلَى كَذَا [وَأَثَبْتُ إِلَى كَذَا]^(٢)؛ أَي: عُدْتُ إِلَيْهِ، وَثَابَ إِلَيْهِ جَسْمُهُ بَعْدَ الْعِلَّةِ؛ أَي: عَادَ.

قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا﴾ قَالَ الْحَسَنُ: كَانَ ذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا جَرَّ جَرِيرَةً، ثُمَّ لَجَأَ إِلَى الْحَرَمِ لَمْ يُطْلَبْ، وَلَمْ يُتَنَاولْ^(٣) فَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ فَإِنَّ الْحَرَمَ لَا يَمْنَعُ مِنْ حَدِّ يَجِبُ عَلَيْهِ ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ يَعْنِي: مَوْطًى قَدَمِيهِ. يَحْيَى: عَنْ حَمَادٍ، عَنْ حَمِيدِ الطَّوِيلِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ؛ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ لَوْ صَلَّيْنَا خَلْفَ الْمَقَامِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾»^(٤).

قَالَ مُحَمَّدٌ: قِرَاءَةُ يَحْيَى: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ بِكسْرِ الْخَاءِ، وَقَرَأَ بَعْضُ الْقُرَّاءِ: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ بِفَتْحِ الْخَاءِ^(٥)؛ وَمَعْنَاهَا: أَنَّ النَّاسَ اتَّخَذُوا هَذَا.

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) سقط من الأصل.

(٣) أي: لم يَقُمْ عَلَيْهِ الْحَدُّ.

(٤) رواه الترمذي (١٨٩/٥ - ١٩٠ رقم ٢٩٥٩) من طريق حماد بن سلمة به. وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه البخاري (٦٠١/١) رقم ٤٠٢ من طريق حميد به.

(٥) قرأ نافع وابن عامر بفتح الخاء، وقرأ الباقر بكسرها.

ينظر: إتحاف الفضلاء (١٤٧)، السبعة (١٦٩)، النشر (٢٢٢/٢)، البحر (٣٨٤/١).

يحيى: عن حماد، عن الحجاج بن أرطاة، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جبير، عن أبي بن كعب قال: «المقام جاء به (مَلَكٌ)»^(١) فوضعه تحت قدم إبراهيم.

يحيى: عن حماد، وحدثني الحجاج، عن مولى لبني هاشم، عن ابن عباس قال: «الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة».

قوله تعالى: ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي﴾ قال قتادة: أي: من عبادة الأوثان، وقول الزور والمعاصي.

﴿للطائفين والعاكفين﴾ تفسير ابن عباس: الطائفون: الذين يطوفون بالبيت، والعاكفون: القعود حوله ينظرون إليه ﴿والركع السجود﴾ الذين يصلون إليه.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(١٦٦) قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ قال الكلبي: يحمل [إليه]^(٢) من الآفاق.

قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ الآية قال الحسن: لما قال إبراهيم: ﴿رب اجعل هذا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ قال الله تعالى: إني مُجيبك، وأجعل له بَلَدًا آمِنًا لمن

(١) في «ر»: ملك الموت. والأثر رواه الفاكهي في أخبار مكة (١/٤٤١ رقم ٩٦٤) من طريق حماد بن سلمة به بلفظ: «إن جبريل عليه السلام جاء بالمقام حتى وضعه تحت رجل إبراهيم عليه السلام».

(٢) في الأصل: إليها.

﴿أَمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ يوم القيامة ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ فإنني أمتعه ﴿قَلِيلًا﴾ وأرزقه من الثمرات، وأجعله آمنًا في البلد؛ وذلك إلى قليل؛ يعني إلى خروج محمد وذلك أن الله - عز وجل - كرم محمدًا أن يخرجهم من الحرم؛ وهو المسجد الحرام.

قال: ﴿ثُمَّ أَضْطَرَّهُ﴾ عند الموت ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١٧٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ^(١٧٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(١٧٩) وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ^(١٨٠)

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ يعني: بنيانه.

قال محمد: قواعد البيت: أساسه؛ واحدا: قاعدة وأما قواعد [النساء]^(١) فواحدا: قاعد، وهي العجوز^(٢).

(ل ١٩) قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً﴾ يعني: جماعة ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ ففعل الله ذلك.

﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي: علّمنا. قال قتادة: المناسك: الطواف بالبيت، والسّعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والإفاضة منها، والوقوف

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النَّسَاءِ لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا...﴾ الآية [النور: ٦٠].

(٢) يياض في الأصل، والمثبت من «ر».

بجمع، والإفاضة منها، ورمي الجمار.

قال الحسن: إن جبريل أرى رسول الله ﷺ المناسك كلها، ولكنه أضل عن إبراهيم عليه السلام ﴿ربنا وابعث فيهم﴾ يعني: في ذريته ﴿رسولاً منهم﴾ فاستجاب الله له، فبعث محمداً ﷺ في ذرية إبراهيم يعرفون وجهه^(١) ونسبه.

﴿يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾ قال قتادة: الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة ﴿ويزكيهم﴾ قال بعضهم يعني: يأخذ صدقاتهم؛ وهي الطهارة ﴿إنك أنت العزيز الحكيم﴾ العزيز في نعمته، الحكيم في أمره.

قوله تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ أي: عجز رايه عن النظر لنفسه، فُضِّلَ.

قال محمد: وقيل: المعنى: إلا من سفهت نفسه؛ أي: جهلت. قوله تعالى: ﴿ولقد اصطفينا في الدنيا﴾ أي: اخترناه ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ وهم أهل الجنة.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُنتَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾

(١) أي: حقيقته.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ﴾ أخلص.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَى^(١) بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾ يعني: كلمة التوحيد ﴿ويعقوب﴾ أي: وأوصى بها أيضًا يعقوب بنيه بعد إبراهيم قال: ﴿يَا بَنِي إِدَّ اللّٰهُ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ﴾ أي: اختار لكم الإسلام ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾ أي: لم تكونوا يومئذٍ حضورًا؛ خاطب بهذا من كان حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ من بني إسرائيل ﴿إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي شيء تعبدون ﴿مَنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ وكان (الحسن)^(٢) يقرؤها: «نعبد إلهك وإله أبيك إبراهيم وإسماعيل»^(٣) أي: وإله إسماعيل وإسحاق.

قال محمد: من قرأ بهذا فإنه كره أن يجعل العمَّ أبا.

قوله تعالى: ﴿إِلَٰهَا وَاحِدًا﴾ قال محمد: نصب ﴿إِلَٰهَا وَاحِدًا﴾ على معنى: نعبد إلهك في حال وحدانيته ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ يعني: جماعة قد مَضَتْ ﴿وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: إنكم إنما تسألون عن أعمالكم.

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ

الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ قالت اليهود: كونوا يهودًا تهتدوا

(١) قرأ المدنيان وابن عامر ﴿وَأَوْصَى﴾ وقرأ الباقون ﴿وَوَصَّى﴾. النشر (٢/٢٢٢ - ٢٢٣) وإتحاف الفضلاء (١٩٣)

(٢) في «ر»: بعضهم.

(٣) ورويت أيضًا عن ابن عباس، وابن عمر، وأبي رجاء، وعاصم الجحدري.

ينظر: إتحاف الفضلاء (١٤٨)، الإعراب للنحاس (١/٢١٦)، معاني القرآن للفراء (١/

٨٢)، البحر (١/٤٠٢).

وقالت النصارى: كونوا نصارى تهتدوا؛ قال عز وجل: قل يا محمد ﴿بل ملة إبراهيم﴾ أي: بل نكون على ملة إبراهيم ﴿حنيفاً﴾ قال الحسن: الحنيف: المخلص.

قال محمد: ومعنى الحنف في اللغة: الميل؛ يقال: رَجُلٌ حَنِيفٌ [ورجل حنيف] ^(١)؛ وَرَجُلٌ أَحْنَفُ ^(٢)، وهو الذي تميل قدماه كل واحدة منهما إلى أختها بأصابعها ^(٣)؛ فالمعنى: إن إبراهيم (حَنَفَ) ^(٤) إلى دين الله.

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنَ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ كَفَرُوا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ نَسْتَكْفِيهِمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾

وقال الحسن: ثم أمر الله المؤمنين أن يقولوا: ﴿آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ يعني: يوسف وإخوته ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا﴾ قال محمد: المعنى: فإن (أتوا) ^(٥) بتصديق مثل تصديقكم في إيمانكم بكل ما أتت به الأنبياء - فقد

(١) سقط من الأصل، وأثبت من «ر».

(٢) ويقال منها: رَجُلٌ أَوْ يَدٌ حَنْفَاءَ.

(٣) وقيل: الحَنَفُ: الاعوجاج في الرجل عموماً.

وقيل: هو المشي على ظهر القدمين من شق الخنصر.

وقيل: هو الميل في صدر القدم.

ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حنف).

(٤) في «ر»: حنيف.

(٥) في «ر»: آمنوا.

اهتدوا. قال: ﴿وإن تولوا فإنما هم في شقاق﴾ قال الحسن: يعني: في تعادٍ^(١) إلى يوم القيامة.

﴿صبغة الله﴾ أي: دين الله ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ ديناً. قال محمد: يجوز أن تكون ﴿صبغة الله﴾ منصوبة على معنى: بل تكون أهل صبغة الله^(٢).

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَّا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَرِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ غَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ حَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ...﴾ الآية.

قال محمد: قيل: إن تأويل هذه الآية: أن الله - عز وجل - أمر المسلمين أن يقولوا لليهود الذين ظاهروا من لا يوحّد [الله من النصارى وعبدة الأوثان، ويحتجوا عليهم بأنكم تزعمون أنكم توحّدون [الله وحده ونحن نوحّد الله، فلم ظاهرتكم من لا يوحّد الله؟] (٣) ﴿وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم﴾.

(٢٠٧) ثم أعلموهم أنكم مخلصون دون من خالفكم.

(١) تُقْرَأُ «بعاد» و«تعاد»، وكلاهما يحتمله المعنى.

(٢) وقيل: منصوبة على التمييز. ينظر: مجمع البيان (٢١٩/١)، البيان (١٢٦/١).

(٣) مطموس في الأصل، وأثبت من «ر».

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ قال الحسن: يعني بذلك علماءهم؛ لأنهم كتموا محمدًا ﷺ ودينه؛ وفي دينه أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا مسلمين، ولم يكونوا مشركين.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أظلم منه.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ وهم مشركو العرب في تفسير الحسن ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي: ما حولهم ﴿عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ هي بيت المقدس؛ نزلت هذه الآية بعد ما صرف النبي ﷺ إلى الكعبة؛ فهي قبلها في التأليف، وهي بعدها في التنزيل؛ وذلك أن رسول الله ﷺ لما حوله الله - عز وجل - إلى الكعبة من بيت المقدس، قال المشركون: يا محمد، رغبت عن قبله آبائك، ثم رجعت إليها؟ وأيضاً والله لترجعن إلى دينهم؛ فأنزل الله: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا...﴾ الآية.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضْيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ

بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾ أي: عدلاً؛ يعني: أمة محمد ﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾ يوم القيامة بأن الرسل قد بلغَتْ قومها عن ربِّها ﴿ويكون الرسول عليكم شهيداً﴾ أنه قد بلغ رسالة ربه إلى أمته؛ وهذا تفسير قتادة.

قال محمد: وأنشد بعضهم:

هُم وَسَطٌ يَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ
إِذَا نَزَلَتْ إِخْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ^(١)
يعني: بوسط: عدلاً خياراً^(٢).

قوله تعالى: ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾ يعني: بيت المقدس ﴿إلا لنعلم﴾ يعني: عَلِمَ الفعال ﴿من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ يعني: صرف القبلة، قال قتادة: «كانت القبلة فيها بلاء وتمحيص، صلى رسول الله ﷺ مدة إقامته بمكة إلى بيت المقدس، وصلت الأنصار نحو بيت المقدس حولين قبل قدوم النبي ﷺ إلى المدينة، وصلى النبي ﷺ بعد قدومه المدينة نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، ثم وجهه الله - عز وجل - بعد ذلك إلى الكعبة؛ فقال قائلون: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ لقد اشتاق الرجل إلى مولده»^(٣).

قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس، قال قتادة: لَمَّا صُرِفَت القبلة قال قومٌ: كيف بأعمالنا التي كنا

(١) البيت من بحر الطويل، وقد نسبته صاحب الدر المصنوع إلى زهير بن أبي سلمى؛ وهو ليس في ديوانه ينظر: الطبري (١٤٢/٣)، القرطبي (١٠٤/٢)، البحر المحيط (٤١٨/١)، الدر المصنوع (٢٩٣/١).

(٢) ينظر: اللسان، القاموس المحيط، مختار الصحاح (وسط).

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٥١/١) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما.

نعمل؟ فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ وقد يتبلى الله - تعالى - العباد بما شاء من أمره، الأمر بعد الأمر؛ ليعلم من يطيعه ممن يعصيه؛ وكل ذلك مقبول؛ إذا كان في إيمان بالله، وإخلاص له، وتسليم لقضائه.

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤٤) وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ تفسير الكلبي: «أن رسول الله ﷺ قال لجبريل: وددت أن الله صرفني عن قبله اليهود إلى غيرها. فقال جبريل: إنما أنا عبدٌ مثلك، فادع الله وسله ثم ارتفع جبريل، فجعل رسول الله ﷺ يُدِيمُ النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل الله؛ فأنزل الله عليه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾»^(١)، ﴿فلنولينك قبله ترضاه﴾ أي: تحبها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: تلقاه.

قال محمد: وأنشد بعضهم:

أَقُولُ لَأَمْ زَنْبَاعٍ أَقِيمِي صُدُورَ الْعِيسِ شَطْرَ بَنِي تَمِيمٍ^(٢)

يعني: تلقاء بني تميم.

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٩/١) لأبي داود في ناسخه عن أبي العالية مرسلًا.
(٢) البيت من بحر الوافر، وهو لأبي زنباع الجذامي. ينظر اللسان (شطر) القرطبي (١٠٨/٢)، البحر المحيط (٤١٨/١).

قوله تعالى: ﴿وَلَنُؤْتِيَنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ قال محمد: يعني [الآيات التي أتى] ^(١) الأنبياء؛ مثل الناقة والعصا [وغير ذلك؛ إن أهل الكتاب قد علموا أن ما أتى به النبي] ^(١) (ل ٢١) ﷺ حق [وأن صفته التي جاء بها في كتبهم وهم] ^(١) يجحدون العلم بذلك؛ فلا تغني الآيات عند من يجحد ما يعرف.

﴿وَلَنُؤْتِيَنَّ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ هذا الخطاب للنبي ﷺ ولسائر أمته.

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٤٨) ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ قال الكلبي: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، قال ابن الخطاب لعبد الله بن سلام [إن الله - تعالى - أنزل على نبيه أن أهل الكتاب ﴿يعرفونه كما﴾] ^(١) يعرفون أبناءهم ﴿كيف هذه المعرفة يا ابن سلام قال: نعرف نبي الله بالنعته الذي نعتة [الله به] ^(١) إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه؛ إذا رآه مع [الغلمان] ^(٢)؛ والذي يحلف به عبد الله بن سلام لأننا بمحمد أشد معرفة مني لابني. فقال له عمر: وكيف ذلك؟ قال عرفته بما نعته الله لنا في كتابه، وأما ابني [فلا أدري] ^(٣) ما أحدثته أمه. فقال له عمر: وفقك الله، فقد أصبت وصدق.

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في الأصل: الغرياء.

(٣) في الأصل: فلا أراني.

﴿الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ يعني: الشاكين؛ أنك رسول الله، ويعرفون الإسلام ﴿ولكل﴾ يعني: كل ذي ملة ﴿وجهة﴾ يعني: قبله ﴿هو موليا﴾ أي: مستقبليها ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ قال قتادة: يعني: لا تفتن في قبلتكم.

قال محمد: وقيل: المعنى: فبادروا إلى ما أمرتكم به من أمر القبلة؛ وهو نحو قول قتادة.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١٢٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِنَّمْ نَمَتَّى عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٥٥)

﴿ومن حيث خرجت﴾ يعني: من مكة ﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾ وإنه للحق من ربك ﴿يعني: أن القبلة: الكعبة﴾ وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴿أي: تلقاءه ونحوه.

﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ تفسير الحسن: أخبره الله - تعالى - أنه لا يحوله عن الكعبة إلى غيرها أبداً فيحتج عليه بذلك محتجون؛ كما احتج عليه مشركو العرب في قولهم: رغبت عن قبله آبائك، ثم رجعت إليها ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ قال الحسن: لا يحتج بمثل تلك الحجة، إلا الذين ظلموا: ﴿فلا تخشوهم﴾ في أمري، يعني: امضوا على ما أمركم به ﴿واخشوني﴾ في تركه.

﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُوا أَنفُسَكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا ﴿١٥٢﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم﴾ يطهركم من الشرك ﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾ الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة؛ يقول كما فعلت ذلك بكم ﴿فأذكروني﴾ بطاعتي ﴿أذكركم﴾ برحمتي .

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة﴾ قد مضى تفسيره ^(١) ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون﴾ كيف الحياة التي هي حياة الشهداء .

قال محمد: ﴿أموات﴾ مرفوع على معنى: هم أموات، وكذلك ﴿بل أحياء﴾ المعنى: بل هم أحياء ^(٢) .

يحيى: عن المعلّى، عن عبد الرحمن بن ثروان ^(٣)، عن هذيل، عن عبد الله ابن مسعود قال: «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر ترعى في الجنة؛ حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش» ^(٤) .

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ

(١) ينظر تفسير الآية ٤٥ من سورة البقرة.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٤٤٦/١) الدر المصون (٤١٢/١).

(٣) في «ر»: مروان. وعبد الرحمن بن ثروان أبو قيس الأودي ترجمته في «تهذيب الكمال» (١٧/ ٢٠ - ٢٢).

(٤) رواه مسلم (١٥٠٢/٣ - ١٥٠٣) رقم (١٨٨٧) والترمذي (٢١٥/٥ - ٢١٦) رقم (٣٠١١) وابن ماجه (٩٣٦/٢ - ٩٣٧) رقم (٢٨٠١) من طريق مسروق عن ابن مسعود في سياق الظاهر أنه مرفوع، والله أعلم.

الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿ولنبلونكم بشيءٍ من الخوف﴾ يعني: [القتال]^(١)؛ في تفسير السدي.
 ﴿والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات﴾ يعني بنقص الأنفس: الموت ﴿ويشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾.

قال محمد: قوله: ﴿بشيءٍ﴾، ولم يقل: بأشياء - هو من الاختصار؛ المعنى: بشيءٍ من الخوف، وشيءٍ من الجوع، وشيءٍ من نقص الأموال. وقوله: ﴿إنا لله﴾ أي: نحن وأموالنا لله، ونحن عبيده يرضع بنا ما يشاء؛ يعني: ذلك صلاحٌ لنا وخير، ومعني ﴿وإنا إليه راجعون﴾ أي: نحن مقرون [بأننا نبعث]^(٢) ونُعطي الثواب على تصديقنا، والصبر على ما ابتلانا به.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن عبد الله بن أبي خليفة قال: «كان عمر يمشي فانقطع شئع^(٣) نعله فاسترجع^(٤) فقال له رجلٌ: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: انقطع شئعٌ نعلي فسأني ذلك، وكل ما ساءك فهو مصيبه».

يحيى: عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «الصبر عند الصدمة الأولى والعين لا يملكها (ل) (٢٢) أحد صباية المرء إلى أخيه»^(٥).

(١) في الأصل: القتل.

(٢) بياض في «ر» والمثبت أقرب إلى القراءة والمعنى.

(٣) شئع النعل: هو الشئ الذي يمسك النعل بأصابع القدم. ينظر اللسان: (شع).

(٤) أي: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٥) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٥١ رقم ٦٦٦٧) عن معمر عن أيوب قال سمعت الحسن

﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم﴾ [يعني مغفرة] ^(١) ﴿ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ يعني: الموفقين.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْقَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُمَّ إِنَّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾

﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله﴾ .

قال محمد: الشعائر واحدها: شعيرة؛ وهي كل شيء جعله الله علماً من أغلام الطاعة .

﴿فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه﴾ أي: لا إثم عليه ﴿أن يطوف بهما﴾ يعني: أن يتطوف.

يحيى: عن حماد، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: «كان إساف

= وعزاه السيوطي في الدر المشور (١٦٥/١) لعبد بن حميد في تفسيره أيضاً.
وعزاه في الجامع الصغير لسعيد بن منصور في سنته، ضعيف الجامع (٣٥٣٤).
ورواه وكيع في الزهد (٤٥٨/٢) رقم (٢٠٤) عن الحسن مختصراً.
وروى البخاري (٢٠٥/٣) رقم (١٣٠٢) ومسلم (٦٣٧/٢ - ٦٣٨) رقم (٦٢٦) عن أنس قال:
قال رسول الله ﷺ: «الصبر عند الصدمة الأولى».

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر»

على الصفا، ونائلة على المروة؛ وهما صنمان؛ فلما جاء الإسلام، كرهوا أن يطوفوا بهما من أجلهما، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله...﴾ الآية^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ وهم أصحاب الكتاب؛ كتموا محمدًا ﷺ والإسلام ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ تفسير الكلبي^(٢): عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: إن الكافر إذا حُمِلَ على سريره، قال روحه وجسده: ويلكم أين تذهبون بي، فإذا وضع في قبره ورجع عنه أصحابه، أناه منكر ونكير؛ أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارهما كالبرق الخاطف يخدان^(٣) الأرض بأنيا بهما، ويطآن في أشعارهما، فيجلسانه، ثم يقولان له: من ربك؟ فيقول: لا أدري. فيقال له: لا دَرَيْتَ. ثم يقولان له: ما دينك؟ فيقول: لا أدري فيقال له: لا دريت. ثم يقولان له: من نبيك؟ فيقول: لا أدري فيقال له: لا دريت؛ هكذا كنت في الدنيا، ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة، فينظر إليها، فيقال له: هذه الجنة؛ التي لو كنت آمنت بالله، وصدقت رسوله - صرت إليها؛ لن تراها أبدًا. ثم يفتح له بابٌ إلى النار؛ فيقال له: هذه النار التي أنت صائر^(٤) إليها، ثم يضيق عليه

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٦/٢) من طريق داود به.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١٦٧/١): لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.

(٢) محمد بن السائب الكلبي متهم، قال سفيان الثوري: قال لنا الكلبي: ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب، فلا ترووه. انظر ترجمة الكلبي في تهذيب الكمال (٢٥/٢٤٦ - ٢٥٣).

(٣) أي: يحفران. ينظر اللسان (خدد).

(٤) في «ر»: سائر.

قبره، ثم يضرب ضربةً بمزربة^(١) من حديد لو أصابت جبلاً لازفَضَ^(٢) ما أصابت منه. قال: فيصيحُ عند ذلك صيحةً يسمعها كل شيءٍ غير الثقلين فلا يسمعها شيء إلا لعنة، فهو قوله عز ذكره: ﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾.

قوله تعالى: ﴿إلا الذين تابوا وأصلحوا ويتنوا﴾ أمرٌ محمدٍ والإسلام. ﴿فأولئك أتوب عليهم...﴾ الآية.

﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ يعني: المؤمنين خاصة؛ في تفسير قتادة ﴿ولا هم ينظرون﴾ أي: لا يؤخرون بالعذاب.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٦٤) وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ (١٦٧) يَتَأَيَّهَا النَّاسُ

(١) المزربة: هي المطرقة الكبيرة تكسر بها الحجارة، ويقال فيها أيضاً: الإرزبة. وجمعها مراذب. ينظر: اللسان، المعجم الوسيط (رزب).

(٢) أي: تفرَّق وتبدَّد وزال. لسان العرب، المعجم الوسيط (رفض).

﴿كُلُوا مِن مَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(١)
 ﴿وما أنزل الله من السماء من ماءٍ فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ أي: حين
 لم يكن فيها نبات فأنبتت ﴿وبثَّ فيها﴾ يعني: خلق ﴿وتصریف الرياح﴾
 يعني: تلويثها؛ في تفسير السُّدي ﴿والسحاب المسخر بين السماء والأرض
 لآيات لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون.

﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادًا﴾ يعني: أعدالاً^(١) يعدلونهم به؛
 أي: يعبدونهم ﴿يحبونهم كحب الله﴾ كحب المؤمنين الله ﴿والذين آمنوا أشدَّ
 حبًا لله﴾ من المشركين لأوثانهم ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ أي: أشركوا ﴿إذ
 يرون العذاب﴾ أي: [أنك]^(٢) سترهم إذا دخلوا النار؛ وهناك يعلمون أن
 ﴿القوة﴾ القدرة ﴿لله جميعًا﴾ وإن كانوا عن قدرة الله وعزته في الدنيا غافلين
 ﴿إذ تبرأ الذين اتَّبَعُوا﴾ قال قتادة: وهم الرؤساء في الشرك ﴿من الذين اتَّبَعُوا﴾
 وهم الضعفاء؛ اتبعوهم على عبادة الأوثان ﴿ورأوا العذاب﴾ أي: دخلوا فيه
 ﴿وتقطَّعت بهم الأسباب﴾ يعني: ما كانوا يتواصلون به في الدنيا ﴿كذلك
 يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم﴾ أي: ندامة.

﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالًا طيبًا﴾ .

قال محمد: يعني: لا تأكلوا، ولا تنفقوا مما يحرم عليكم .

﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أي: ما يأمركم به .

قال محمد: خطوات جمع: خطوة، والخطوة بالضَّم: (ل٢٣) ما بين

(١) واحدها: عدل، وهو النَّد والشريك. اللسان (عدل).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

الْقَدَمَيْنِ^(١). والمعنى: لا تتبعوا سبيل الشيطان ومسلكه. والخُطوة بفتح الخاء: الفُعلة الواحدة^(٢).

﴿إِنَّهٗ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ يعني: بين العداوة .

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أنه الحق .

﴿بل نتبع ما ألفينا﴾ أي: وجدنا ﴿عليه آباءنا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [ولو كانوا مهتدين ما اتبعوهم]^(٣) .

﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً﴾ تفسير الحسن: كمثل الراعي يصيح بالغنم فترفع رءوسها لا تدري ما يقول، ثم تضع رءوسها؛ فكذلك هم إذا دعوا إلى الهدى ﴿صُمُّ بُكُمْ عُمًى﴾ صُمٌّ عن الحق؛ فلا يسمعون، بكُم عنه؛ فلا ينطقون به، عُمًى عنه؛ فلا يبصرونه. قال محمد: يقال: نَعَقَ يَنْعَقُ، وَنَعِقَ يَنْعَقُ لَغْتَانِ^(٤).

(١) والخُطوة - بالفتح - : مسافة ما بين القدمين أيضًا. ويقال: الخُطوة بالفتح واحدة الخُطَا؛

أي: أنها اسم المرأة منه. ينظر اللسان، مختار الصحاح، القاموس المحيط (خطو).

(٢) ينظر لسان العرب (خطو) الدر المصون (١/٤٣٤) وفيه تفصيل ذلك.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) يقال: نَعِقَ يَنْعَقُ، وَنَعَقَ يَنْعَقُ نَعَقًا وَنَعِيقًا وَنُعَاقًا؛ أي: صاح. ينظر اللسان (نعق).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِنِّيَاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧١﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾

﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ يعني: الحلال ﴿إنما حرم عليكم الميتة...﴾ إلى قوله: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ تفسير مجاهد: غير باغ؛ أي: يبغي على الناس، ولا عاد؛ أي: قاطع سبيل، ولا مفارق الأئمة، ولا خارج في معصية الله ﴿فلا إثم عليه﴾ أي: فله الرخصة في أن يأكل. قال يحيى: يأكل حتى يشبع، ولا يتزود.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابُ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ هم أهل الكتاب الذين حرّفوا كتاب الله ﴿ويشرون به ثمنًا قليلًا﴾ يعني: المأكلة^(١) التي كانت لهم ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار﴾ أي: سوف يأكلون به النار ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ أي: لا يكلمهم بما يحبون، وقد يكلمهم ويسألهم عن

(١) أي: المأدبة، وما يعدونه لهم من طعام وشراب. ينظر لسان العرب، المصباح المنير، القاموس المحيط، الوسيط (أكل).

أفعالهم^(١) ﴿وَلَا يَزْكِيهِمْ﴾ أي: ولا يطهرهم من إثمهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ موجع.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ قال الحسن: يعني: اختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أي: فما أجراهم على العمل الذي يدخلهم النار ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ يعني: لفي فراق بعيد من الحق؛ وهم أهل الكتاب.

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ
وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب﴾ تفسير قتادة: يقول: ليس البر أن تكونوا نصارى؛ فتصلوا إلى المشرق، ولا أن تكونوا يهودا؛ فتصلوا إلى المغرب إلى بيت المقدس.
﴿ولكن البر من آمن بالله﴾.

قال محمد: يعني: ولكن البر بر من آمن بالله.

﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ قال ابن مسعود: تؤتيه وأنت صحيح صحيح؛ تأمل الحياة، وتخشى الفقر.

(١) في «ر»: أعمالهم.

﴿ذوي القربى﴾ هم القرابة ﴿وابن السبيل﴾ يعني: [الضعيف]^(١) ﴿وفي الرقاب﴾ يعني: المكاتبين ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ المفروضة ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ عليه من الحق ﴿والصابرين في البأساء والضراء﴾ قال قتادة: البأساء: البؤس والفقر، والضراء: السقم والوجع ﴿وحين البأس﴾ يعني: مواطن القتال في الجهاد.

قال محمد: قوله تعالى: ﴿والموفون﴾ يجوز أن يكون مرفوعاً، على معنى: وهم الموفون، والنعى إذا طال جاز أن يرفع بعضه، وينصب بعضه في مذاهب النحويين^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأْتِيَا بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأَوَّلُونَ﴾
﴿الْأَلْبَسَ لَمَلِكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١٧٩)

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى...﴾ الآية تفسير الحسن: كان أهل الجاهلية فيهم بغي قد كان إذا قتل من الحي منهم مملوك قتله حي آخرون، قالوا: لا نقتل به إلا حراً، وإذا قتل من الحي منهم امرأة قتلها حي آخرون، قالوا: لا نقتل بها إلا رجلاً، فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية، ونهاهم عن البغي، ثم أنزل الله بعد ذلك في المائدة: ﴿وَكَبَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾

(١) في «ر»: الضعيف.

(٢) في رفع «الموفون» أقوال عديدة، تراجع مفصلة من البحر المحيط (٧/٢) ومعاني القرآن للأخفش (١٥٦) ومجمع البيان (٢٦٢/١) والدر المصون (٤٤٩/١).

أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ^(١) يعني: النفس التي قَتَلَتْ بالنفس التي قُتِلَتْ؛ وهذا [في الأحرار]^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ تفسير قتادة: يقول: من قتل عمداً (ل٢٤) فعفي عنه وقُيِّلَتْ منه الدِّيةُ ﴿فَاتَّبَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [أمر المتَّبِع أن]^(٣) يتبع بالمعروف [وأمر المؤدِّي]^(٤) أن يؤدي بإحسان ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ قال قتادة: كان أهل التوراة أمروا [بالحدود]^(٥) وكان أهل الإنجيل أمروا بالعفو، وجعل لهذه الأمة القصاص والعفو والدية؛ إن شاءوا قتلوا، وإن شاءوا عَفَوْا، وإن شاءوا أخذوا الدية؛ إذا تراضوا عليها.

﴿ورحمة﴾ أي: رحم الله بها هذه الأمة، وأطعمهم الدِّية؛ قال قتادة: ولم [تحل]^(٦) لأحد قبلهم في القتل عمداً ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ يعني: على القاتل فقتله بعد ما قبل منه الدية ﴿فله عذابٌ أليمٌ﴾ يعني: القاتل يقتله الوالي، ولا ينظر في ذلك إلى عفو الوالي.

﴿ولكم في القصاص حياة﴾ أي: بقاء؛ يخاف الرجل القصاص؛ وهي بذلك حياة له ﴿يا أولي الألباب﴾ العقول، يعني: المؤمنين ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تتقوا القتل.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ

(١) المائدة: ٤٥ .

(٢) مطموس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) في الأصل: بالقود. والمراد بالقود: القصاص. لسان العرب (قود).

(٤) في «ر»: تُجعل.

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٢﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسِرٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٣﴾

﴿كتب عليكم﴾ أي: فرض عليكم ﴿إذا حضر أحدكم الموت...﴾ الآية. قال قتادة: الخير: المال، وأمر تبارك وتعالى في هذه الآية بالوصية للوالدين والأقربين، ثم نسخ ذلك في سورة النساء بقوله: ﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس﴾^(١) وصارت الوصية لمن لا يرث من قريب أو بعيد. قال محمد: وقوله عز وجل ﴿حقًا على المتقين﴾ نصب «حقًا»؛ على معنى: كان ذلك عليهم حقًا^(٢).

﴿فمن بدله بعد ما سمعه﴾ قال الحسن: هي الوصية؛ من بدّلها بعد ما سمعها، فإنما إثمها على من بدّلها.

﴿فمن خاف﴾ يعني: علم ﴿من مؤسّر جنفًا أو إثمًا﴾ الجنف: أن يوصي بجور؛ وهو لا يتعمّد الجور، والإثم: أن يوصي بجور وهو يعلم ذلك ﴿فأصلح بينهم﴾ يعني: بين الموصى له والورثة ﴿فلا إثم عليه﴾.

قال محمد: الجنف في كلام العرب: الميل عن الحق؛ يقال منه: جنف يجنف. ^(٣)

(١) سورة النساء: ١١.

(٢) في «ر»: وذلك حقّ عليهم حقًا. وفي نصب «حقًا» أقوال آخر للنحاة؛ تجدها مفضلة في البحر المحيط (٢١/٢) وإعراب القرآن (٢٣٤/١) ومجمع البيان (٢٦٧/١).

(٣) يقال: جنف يجنف، جُنُوفًا، وجنف يجنف جَنَفًا بمعنى. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (جنف).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن نَّصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ تفسير قتادة: هو شهر رمضان؛ وكانوا أمروا أن يصوموا ثلاثة أيام من كل شهر، ويصلوا ركعتين غدوة، وركعتين عشية؛ فكان ذلك بدء الصيام والصلاة.

﴿أيامًا معدودات﴾ قال محمد: يجوز أن يكون نصب ﴿أيامًا معدودات﴾ على معنى: كتب عليكم أن تصوموا أيامًا معدودات^(١).

﴿فمن كان منكم مريضًا أو على سفرٍ فعِدَّةٌ من أيامٍ أُخرٍ﴾ قال محمد: يريد: فعليه عدة من أيام أُخر، ويكمل عدة ما فاتة^(٢).

﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين﴾^(٣) تفسير ابن عباس: قال:

(١) وفي نصب «أيامًا» أقوال آخر للنحاة، تجدها مفصلة في البحر المحيط (٣١/٢) ومجمع البيان (٢٧١/١) وإعراب القرآن (٢٣٥/١).

(٢) وفي «ر»: وعليه مثل عدة ما فاتة.

(٣) قراء الجماعة «فدية طعام مسكين» بتنوين «فدية» ورفع «طعام» وتوحيد «مسكين» وقرأ هشام =

رخص للشيخ الكبير والعجوز الكبيرة - وهما يطيقان الصوم - أن يفطرا؛ إن شاء، ويطعما مكان كل يوم مسكينًا.

﴿فمن تطوع خيرًا فهو خيرٌ له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾
يعني: الشيخ الكبير، والعجوز الكبيرة؛ وهما يطيقان الصوم، ثم نسخ ذلك بقوله بعد هذا: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾.

﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ قال محمد: يجوز أن يكون ﴿شهر رمضان﴾ مرفوعًا على معنى: والأيام التي كُتِبَتْ عليكم شهرُ رمضان^(١).
﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ أي: إنما أراد الله برخصة الإفطار في السفر التيسير عليكم ﴿ولتكمّلوا العدة ولتكبروا الله﴾ قال محمد: يعني: ولتعظموا الله، كذلك جاء عن ابن عباس ﴿على ما هداكم﴾.

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ أُلْحَلْ لَكُمْ لَيْلَةُ الصَّيَامِ أَلْفَتْ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِيَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى الْآِلِ وَلَا تَبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَنْكُمُوهُنَّ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ

= كذلك إلا أنه قرأ «مساكين» جمعًا. وقرأ نافع وابن ذكوان بإضافة «فدية» إلى «طعام مساكين» جمعًا. ينظر: الحجة (٢٠٨/٢ - ٢٠٩) والبحر (٣٧/٢) والدر المصون (١/٤٦٣).

(١) وفي رفعه أقوال أخر للنحاة مفصلة في إعراب القرآن (٢٣٨/١) ومجمع البيان (٢٧٥/١) والبحر (٣٨/٢ - ٣٩).

لَمَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿وإذا سألك عبادي عني﴾ تفسير قتادة: قال: ذكر لنا أنه لما أنزل الله -تبارك وتعالى - ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١) قال رجل: كيف ندعو يا رسول الله؟ فأنزل الله: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾.

(٢٥٧) ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ إلى قوله ﴿وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ قال قتادة: الرث: الغشيان .

﴿هن لباس لكم﴾ أي: سكن لكم .

﴿علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ قال قتادة: كان المسلمون في أول ما فرض عليهم الصيام؛ إذا رقدوا لم يحلَّ لهم النساء، ولا الطعام، ولا الشراب بعد رقادهم؛ فكان قومٌ يصيبون من ذلك بعد رقادهم، فكانت تلك خيانة القوم أنفسهم، فتاب عليهم بعد ذلك، وأحلَّ ذلك إلى طلوع الفجر، وقال: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم﴾ تفسير مجاهد: يعني: الولد يطلبه الرجل؛ فإن كان ممن كتب الله له الولد، رزقه إياه.

قال محمد: وهذا أمر نذِب لا فرض.

﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ [يعني: سواد الليل، وتبين هذا من هذا]^(٢).

قال يحيى: الفجر فجران: فأما [الذي]^(٣) كأنه ذَنَبُ السرحان؛ فإنه لا يُحل شيئًا ولا يحرمه، وأما المستطيل الذي يأخذ بالأفق فإنه يُحل الصلاة،

(١) غافر ٦٠ .

(٢) من «ر» .

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» .

ويوجب الصيام.

قال محمد: وقوله: ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾ يعني: بياض النهار ﴿وَالْخَيْطُ الْأَسْوَدُ﴾ يعني: سواد الليل؛ ويتبين هذا من هذا عند طلوع الفجر الثاني. وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ هو أمر إباحة ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ تفسير السدي: كان الرجل يعتكف؛ فإذا خرج من مصلاه، فلقى امرأته غشيها^(١)، فنهاهم الله عن ذلك؛ حتى يفرغ من اعتكافه ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أي: لا تقربوا ما نهاكم الله عنه.

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ تفسير الحسن: هو الرجل يأكل مال الرجل ظلماً، ويجحده إياه، ثم يأتي به إلى الحكام، والحكام إنما يحكمون بالظاهر؛ فإذا حكم له، استحلّه بحكمه.

﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه ليس لكم بحق. قال محمد: قوله تعالى: ﴿وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾ يعني: الأموال، وأصل الكلمة في اللغة: من قولك: أدليت الدلو؛ إذا أرسلتها، وتقول: أدلى فلان بحجته؛ أي: أرسلها^(٢).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْآِهَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

(١) في «ر»: فيباشرها.

(٢) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح، المصباح المنير (دلو).

فُلِحُوا ﴿١٨٩﴾

﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾ قال قتادة: ذكر لنا: أنهم سألوا نبي الله ﷺ لم خُلِقَتْ هذه الأهلة؟ فأنزل الله هذه الآية؛ أي: هي مواقيت للناس؛ لصومهم وإفطارهم وحجهم وعدة نساءهم ومَجْلٌ ذينهم (١).

قوله تعالى: ﴿وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البرُّ من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها﴾ تفسير قتادة: قال: كان هذا الحي من الأنصار إذا أهل (٢) أحدهم لم يدخل بيتاً ولا داراً من بابه، إلا أن يتسور حائطاً تسوراً، وأسلموا وهم كلهم على ذلك؛ حتى نهاهم الله.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١٩٠) وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقْبِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾

﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ وذلك قبل أن يؤمروا بقتال المشركين كافة؛ فكانوا لا يقاتلون إلا من قاتلهم ﴿ولا تعتدوا﴾ يعني: في حربكم؛ فتقاتلوا من لم يقاتلوكم، ثم أمر بقتالهم في سورة براءة (٣).

(١) أي: وقت حلول الدين.

(٢) أي: رفع صوته بالتلبية. لسان العرب، مختار الصحاح (هلل).

(٣) يريد قوله تعالى: ﴿فإذا انسלخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [التوبة: ٥].

﴿واقتلوهم حيث ثقتموهم﴾ أي: وجدتموهم ﴿وأخرجوهم من حيث أخرجوكم﴾ يعني: من مكة ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ الفتنة ها هنا: الشرك ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ أمر الله - جل ذكره - نبيه ﷺ ألا يقاتلهم فيه حتى يبدءوا بقتال؛ وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم كافة^(١).

﴿فإن انتهوا﴾ يعني: عن قتالكم، ودخلوا في دينكم ﴿فإن الله غفور رحيم﴾.

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي: شرك^(٢) ﴿فإن انتهوا﴾ عن شركهم ﴿فلا عدوان﴾ أي: فلا سبيل ﴿إلا على الظالمين﴾ يعني: المشركين. قال محمد: أصل العدوان: الظلم^(٣)، (ل٢٦) ومعنى العدوان ها هنا: الجزاء [يقول]^(٤): لا جزاء [ظلم]^(٥) إلا على الظالمين.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتِ قِصَاصٌ فَمَنَ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَانْقُتُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (١٩٤) ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٩٥)

﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص﴾ تفسير مجاهد: قال:

(١) يريد قوله عز وجل: ﴿وقاتلوهم المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ [التوبة: ٩] وقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾ [التوبة: ٢٩].
(٢) في الأصل: أي: فيه.

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (عدو).

(٤) في الأصل: يقال. والمثبت من «ر».

(٥) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

كان المشركون صَدُّوا رسول الله ﷺ عن البيت عام الحديبية في ذي القعدة، [فحجزوا] ^(١) عليه بذلك، فرجعه الله إلى البيت في ذي القعدة من قابل ^(٢)، واقتصَّ له منهم، فأقام فيه ثلاثة أيام.

﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ يقول: إن استحلوا منكم القتال، فاستحلوه منهم ﴿وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ تفسير الحسن: يقول: إن ترككم الإنفاق في سبيل الله إلقاء منكم بأيديكم إلى ما يهلككم عند الله ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾ قال قتادة: أمرهم أن ينفقوا في سبيل الله، وأن يحسنوا فيما رزقهم الله.

﴿وَأْتَمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِوَدَىٰ أَدَىٰ مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾﴾

﴿وأتَمُوا الحج والعمرة لله﴾ تفسير قتادة: قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما هي حجة وعمره؛ فمن قضاهما، فقد قضى الفريضة، أو قضى ما عليه؛ فما أصاب بعد ذلك، فهو تطوع».

قال يحيى: العامة على أن الحج والعمرة فريضتان، إلا أن سعيدًا

(١) في الأصل: فتحرَّبوا. والمثبت من «ر».

(٢) أي: من العام التالي.

(أخبرنا) ^(١) عن أبي معشر، عن إبراهيم، عن عبد الله بن مسعود قال: «الحج فريضة، والعمرة تطوع» ^(٢).

والقراءة على هذا التفسير: بنصب الحج، ورفع العمرة، ومَقْرَأَةُ العامة: بالنصب فيهما ^(٣).

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ الإحصار: أن يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرضٍ أو عَدُوٍّ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ قال ابن عباس: ما استيسر من الهدى شاةٌ ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ قال عطاء: كل هدي بلغ الحرم ثم عطب ^(٤) - فقد بلغ محله، إلا هذِي المتعة والمُخَصَّر.

قال محمد: المحلُّ: الموضع الذي يجِلُّ [فيه النحر] ^(٥)؛ وهو من: حَلَّ يَجِلُّ؛ أي: وجَبَ يَجِبُ.

﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نَسْكَ﴾.

يحيى: عن مجاهد، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن كعب بن عُجْرَةَ «أن رسول الله ﷺ مرَّ به عام الحديبية وهو محرم، وهو يُوقَد تحت

(١) في «ر»: حدثنا.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٠٤/٤ رقم ٣) عن ابن إدريس وأبي أسامة عن سعيد - وهو ابن أبي عروبة - به.

وعزاه السيوطي في الدر (٢١٨/١) لعبد بن حميد في تفسيره أيضًا

(٣) الجمهور على نصب «العمرة» على العطف على ما قبلها، وقرأ علي وابن مسعود وزيد بن ثابت برفعها على الابتداء. ينظر: البحر المحيط (٧٤-٧٥)، الدر المصون (١/٤٨٤).

(٤) أي: هلك. اللسان، القاموس المحيط (عطب).

(٥) في الأصل: به المحرم. والمثبت من «ر».

قَدِرَ له، فنكس رأسه فإذا الهوامُ تجول في رأسه، فقال: أتؤذيكَ هوامٌ^(١) رأسك يا كعب؟ قال: نعم. فسكت النبي ﷺ، فنزلت هذه الآية، فقال له النبي ﷺ: احلقه، وصم ثلاثة أيام، أو أطعم قَرَقًا^(٢) بين ستة، أو أهدِ شاةً^(٣).

قال يحيى: الفَرْقُ: ثلاثة أصع^(٤)، صاع بين اثنين.

﴿فمن تمتع بالعمرة إلى الحج﴾ من أهل بعمره في أشهر الحج في شوال، أو في ذي القعدة، أو في ذي الحجة، ثم حجَّ من عامه ذلك - فهو متمتع عليه ما استيسر من الهدى، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام في الحج.

مالك^(٥) بن أنس عن الزهري، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: «من يوم يُهَلُّ إلى يوم عرفة؛ فإن فاته ذلك صام أيام منى»^(٦).

قوله تعالى: ﴿وسبعة إذا رجعتن﴾.

يحيى: عن عثمان، عن نافع، عن سليمان بن يسار؛ أن عمر بن الخطاب

(١) واحدها: هامة؛ وهي الدابة. والمراد ههنا: الحشرات التي توجد بالرأس. اللسان، المعجم الوسيط (هـم).

(٢) الفَرْقُ: مكيال معروف بالمدينة؛ وهو ستة عشر رطلاً، وقد يحرك؛ أي: يقال: فَرَّقَ، والجمع: فُرْقَان. اللسان، مختار الصحاح (فرق).

(٣) رواه البخاري (١٦/٤ رقم ١٨١٤) ومسلم (٨٥٩/٢ - ٨٦١ رقم ١٢٠١) وغيرهما من طريق مجاهد عن عبد الرحمن به.

(٤) واحدها: صاع؛ وهو مكيال يسع أربعة أمداد، ويقال فيه: صاع، وصواع. والجمع: أصع وأصوع. ينظر اللسان، مختار الصحاح (صوع).

(٥) الموطأ (٣٣٩/١ رقم ٢٥٥).

(٦) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٧٦/١) من طريق الزهري، وله طرق وألفاظ، انظر تفسير الطبري (٢٤٧/٢، ٢٤٩) والدر المشور (١/٢٢٣).

قال: «صام إذا رجع إلى أهله».

وقال مجاهد: إن شاء صامها في الطريق.

﴿ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام﴾ قال عطاء: من كان منها على رأس ليلة، فهو من حاضري المسجد الحرام.

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ النَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَأْتُوا فِي الْأَنْبَبِ ﴿١٩٧﴾﴾

﴿الحج أشهر معلومات﴾ هي: شوال، وذو القعدة، وعشر ذي الحجة ﴿فمن فرض﴾ أي: أوجب ﴿فيهن الحج﴾ على نفسه ﴿فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ قال ابن عباس: الرفث: الجماع، والفسوق: المعاصي، والجدال: أن يُماري بعضهم بعضاً حتى يغضبوا.

يحيى: عن حماد، عن أبي الزبير، عن طاوس؛ أن ابن الزبير قال: «إياكم والنساء؛ فإن الإعراب^(١) من الرفث، والإعراب أن [يعرب]^(٢) لها بالقول، يقول: لو كنا حلالاً [لفعلنا كذا]^(٣)». قال: [فأخبرت]^(٢) بذلك ابن عباس فقال: صدق ابن الزبير».

(٢٧٧) ﴿وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ هو كقوله: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوا﴾^(٣).

(١) وفي ابن كثير عند تفسير هذه الآية (العربة)؛ والمعنى: الإفصاح عما بالنفس من أمور النساء.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) آل عمران: ١١٥.

﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ تفسير قتادة: قال: كان أناس من أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، فأمرهم الله بالزاد والنفقة في سبيل الله، ثم أخبرهم أن خير الزاد التقوى.

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ (١٩٨)

﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ يعني: التجارة في الحج ﴿فإذا أفضت من عرفات﴾ قال قتادة: أفاض^(١) رسول الله ﷺ من عرفات بعد غروب الشمس.

وقال الحسن: إن جبريل أرى إبراهيم عليه السلام المناسك كلها؛ حتى إذا بلغ إلى عرفات، قال: يا إبراهيم؛ أعرفت ما رأيت من المناسك؟ قال: نعم. ولذلك سميت عرفة.

﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ قال قتادة: هي المزدلفة.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر ابن عبد الله: «أن رسول الله ﷺ لما صلى الصبح، وقف بجمع^(٢)، ثم أفاض^(٣)».

قال قتادة: إنما سُمي جمعاً؛ لأنه يجمع فيه بين المغرب والعشاء^(٤).

(١) أي: انصرف بعد انقضاء الموقف. لسان العرب (فيض).

(٢) جمع هي المزدلفة. القاموس المحيط (جمع).

(٣) رواه مسلم (٨٩١/٢) رقم (١٢١٨) من طريق جعفر بن محمد في حديث طويل بمعناه.

(٤) وقيل: سميت بجمع؛ لاجتماع الناس بها. مختار الصحاح (جمع).

﴿واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين﴾.

تفسير الحسن: من الضالين في مناسكتكم وحجكم ودينكم كله.

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْ أَنْسَابِكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا

فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ

النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ وهي الإفاضة من عرفة. قال قتادة:

كانت قريش وكل ابن أخت لهم وحليف لا يقفون بعرفة، ويقولون: نحن أهل

الله فلا [نخرج] ^(١) من حرمة ﴿فَإِذَا قُضِيَتْ مِنْ أَنْسَابِكُمْ﴾ قال السُّدي: يعني: إذا

فرغتم من مناسكتكم ﴿فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ قال قتادة:

كان أهل الجاهلية؛ إذا قضوا مناسكتهم، ذكروا آبائهم وفعل آبائهم؛ بذلك

يخطب خطيبهم إذا خطب، وبه يحدث محدثهم إذا حدث، فأمرهم الله - عز

وجل - إذا قضوا مناسكتهم أن يذكروه كذكرهم آبائهم، أو أشد ذكراً؛ يعني

بل ^(٢) أشد ذكراً.

﴿فَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ أي:

من نصيب؛ وهم المشركون، ليس لهم همّة إلا الدنيا، لا يسألون الله شيئاً إلا

لها؛ وذلك أنهم لا يقرون بالآخرة ولا يؤمنون بها.

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) أي: أن «أو» بمعنى «بل»، وفيها أقوال نحوية أخرى. ينظر: مغني اللبيب (١/ ٧٥ - ٨٠).

﴿ومنها من يقول﴾ وهم المؤمنون ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة . . .﴾ الآية قال الحسن: والحسنة في الدنيا طاعة الله، وفي الآخرة الأجر. وقال بعضهم: الحسنة في الدنيا كل ما كان من رخاء الدنيا، ومن ذلك الزوجة الصالحة ﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾ أي: ثواب ما عملوا وهي الجنة.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّخْشَرُونَ﴾ ﴿٢٠٣﴾

﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ قال ابن عباس: هي أيام التشريق يُذكر الله فيها، ويُزَمَّى فيها الجمار، وما مضت به السنة من التكبير في ذُبر الصلوات ﴿فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ تفسير قتادة: يعني: فمن تعجل في يومين من أيام التشريق فنفر^(١)، فلا إثم عليه، ومن تأخر إلى اليوم [الثالث]^(٢) فلا إثم عليه.

قوله تعالى: ﴿لمن اتقى﴾.

يحيى: عن الحارث بن نبهان، عن منصور، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث، ولم يفسق؛ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»^(٣).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ

(١) أي: دفع إلى مكة. المعجم الوسيط (نفر).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) رواه البخاري (٢٥/٤) رقم ١٨١٩، (١٨٢٠)، ومسلم (٩٨٣/٢ - ٩٨٤ رقم ١٣٥٠) من طريق منصور به.

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ وَلِبَاسُ الْمِهَادِ ﴿٢٠٦﴾

﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ وهو المنافق الذي يقر بالإيمان في العلانية ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ من الكفر والجحود بما أقر به في العلانية ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي: كاذب في القول ﴿وإذا تولى﴾ أي: فارقك ﴿سعى في الأرض ليفسد فيها...﴾ الآية.

قال الكلبي: نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي وكان شديد الخصام؛ فأما إهلاكه الحرث والنسل فيعني: قطع الرحم الذي [كان] ^(١) بينه وبين ثقيف؛ فيبتئهم ^(٢) ليلاً فأهلك مواشيهم، وأحرق حرثهم؛ وكان حسن العلانية، سيئ السرية.

﴿وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم﴾ تفسير قتادة: إذا قيل له: اتق الله؛ (٢٨٤) فإن هذا الذي تصنع لا يحق لك، قال: إني لأزداد بهذا عند الله قرينة.

قال الله: ﴿فحسبه جهنم ولبئس المهاد﴾ والمهاد والبساط والفراش واحد ^(٣).

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ ﴿٢٠٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) أي: أوقع بهم بغتة ليلاً. اللسان، القاموس المحيط (بيت).

(٣) وقيل: بينها اختلاف وفي ذلك تفصيل. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (مهد، بسط، فرش)، والدر المصون (٥٠٨/١).

إِنَّكُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢١٨﴾ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ
اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢١٩﴾

﴿ومن الناس من يشري نفسه﴾ أي: يبيع نفسه بالجهاد ﴿ابتغاء مرضات
الله والله رءوف بالعباد﴾ بالمؤمنين.

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ يعني: في الإسلام جميعاً
﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ يعني: أمره.

﴿فإن زللتُم من بعد ما جاءكم البينات﴾ يعني بالزلزل: الكفر ﴿فاعلموا أن
الله عزيز﴾ في نعمته ﴿حكيم﴾ في أمره.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى
اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ﴿٢١٦﴾ سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ آتَيْنَهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ
بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١٧﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَسَخَّرُونَ مِنَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٨﴾

﴿هل ينظرون﴾ أي: ما ينظرون ﴿إلا أن يأتيهم الله﴾ يوم القيامة ﴿في ظلل
من الغمام والملائكة﴾ أي: وتأتيهم الملائكة ﴿وقضي الأمر﴾ يعني: الموت.

﴿سَلَّ بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة﴾ تفسير الحسن: يعني: ما
نجاهم الله من آل فرعون، وظلّل عليهم الغمام وغير ذلك، وآتيناهم بيناتٍ من
الهدى، بين لهم الهدى من الكفر ﴿ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته﴾
يقول: بدلوا ذلك، واتخذوا اليهودية والنصرانية ﴿فإن الله شديد العقاب﴾
أخبر أنه ستشتدّ نعمته على اليهود والنصارى الذين بدلوا دين الله.

﴿زَيْنَ للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا﴾ في طلبهم

الآخرة ﴿والذين اتقوا﴾ وهم المؤمنون ﴿فوقهم يوم القيامة﴾ أي: خير منهم ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ قال بعضهم: يعني: من غير أن يحاسب نفسه؛ لأن ما عند الله لا ينقص؛ كما ينقص ما في أيدي الناس.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾

﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين﴾ تفسير قتادة: ذكر لنا أنه كان بين آدم ونوح - عليهما السلام - عشرة قرون كلهم يعمل بطاعة الله على الهدى، وعلى شريعة من الحق، ثم اختلفوا بعد ذلك، فبعث الله نوحاً عليه السلام فكان أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض.

﴿وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم﴾ أي: حسداً بينهم ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ أي: بأمره.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَرَزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى

وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾

﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ أي:

سنن الذين مضوا من قبلكم.

قال محمد: المعنى: ولما يصيبكم مثل الذي أصاب الذين خلّوا من قبلكم؛ وهو الذي أراد يحيى.

﴿مَسْتَهْمُ الْبَاسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾ الْبَاسَاءُ: الْبُؤْسُ، وَالضَّرَاءُ: الْمَرَضُ وَالْجَرَاخُ ﴿وَزَلْزَلُوا﴾ أَصَابَتْهُمْ الشَّدَّةُ ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ قَالَ مُحَمَّدٌ: مِنْ قَرَأَ: «حَتَّى يَقُولُ» بِالرَّفْعِ - فَالْمَعْنَى: حَتَّى قَالَ الرَّسُولُ، وَمَنْ نَصَبَ فَعَلَى مَعْنَى: حَتَّى يَكُونَ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ^(١).

قال الله: ﴿أَلَا إِنَّ نَصَرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ وَعَدَهُمُ النَّصْرَ وَالظُّهْرَ ^(٢)، فَاسْتَطَعُوا ذَلِكَ؛ لَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنَ الشَّدَةِ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ النَّبِيَّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ بِأَنْ مِنْ مَضَى قَبْلَكُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ؛ كَانَ إِذَا بَلَغَ الْبَلَاءُ مِنْهُمْ هَذَا، عَجَلَتْ لَهُمْ نَصْرِي؛ فَإِذَا ابْتَلَيْتُمْ أَنْتُمْ بِذَلِكَ أَيْضًا فَأَبْشَرُوا؛ فَإِنْ نَصَرِي قَرِيبٌ.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ...﴾ الْآيَةُ. نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ آيَةُ الزَّكَاةِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ يَوْمَئِذٍ شَيْئًا مَوْقُوتًا ^(٣).

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿١١١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَرَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ

(١) قراءة النصب هي قراءة الجمهور، أما الرفع فأنفرد به نافع وحده. ينظر: السبعة (١٨١) - (١٨٢) والتيسير (٨٠) والنشر (٢٢٧/٢) والبحر (١٤٠/٢).

(٢) في «ر»: الظفر.

(٣) أي: محدداً ميّناً.

كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ أي: فُرض عليكم ﴿وهو كرة لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ قال الكلبي: (٢٩٧) كان هذا حين كان الجهاد فريضة ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ قال الكلبي: عليم أنه سيكون فيهم من يقاتل في سبيل الله، فيُستشهد.

قال محمد: ﴿كُرَّةُ لَكُمْ﴾ معناه: مشقة لكم، لا أن المؤمنين يكرهون فرض؛ ويقال: كَرِهْتُ الشيء كَرْهًا وكُرَّهًا وكِرَاهَةً^(١). والقراءة: «كُرَّة» بالضم^(٢)؛ وتأويله: ذو كُرِه لكم.

﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ تفسير مجاهد: قال: «أرسل رسول الله ﷺ رجلاً في سرية فمرَّ بأبن الحضرمي يحمل خُمراً من الطائف إلى مكة، فرماه بسهم فقتله وكان بين النبي ﷺ وبين قريش عهدٌ فقتله آخر ليلة من جُمَادَى الآخرة وأول ليلة^(٣) من رجب، فقالت قريش: أفي الشهر الحرام ولنا عهد؟! فأنزل الله: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به﴾ أي: بالله ﴿والمسجد الحرام﴾ أي: وصد عن المسجد الحرام ﴿وإخراج أهله منه﴾ يعني: النبي ﷺ وأصحابه؛ أخرجهم

(١) وكراهية أيضاً. وقال الفراء: الكره بالضم: المشقة، وبالفتح: الإكراه. وقال الكسائي: هما لغتان بمعنى واحد. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (كره).

(٢) قراءة الجمهور بالضم، وقرأ السلمي بالفتح. ينظر البحر (٢/١٤٣)، الدر المصون (١/٥٢٥).

(٣) أي: وأول يوم؛ حيث تُطلق الليلة على اليوم، وفي تفسير الطبري والدر المثور: «يوم» في الموضعين.

المشركون من المسجد؛ كل هذا ﴿أكبر عند الله﴾ من قتل ابن الحضرمي والفتنة ﴿يعني: الشرك﴾ ﴿أكبر من القتل﴾^(١).

قال يحيى: وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم عامة.

قال محمد: قوله تعالى: ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ «قتال» مخفوض على البدل^(٢) من الشهر الحرام، المعنى: ويسألونك عن قتال في الشهر الحرام.

وقوله: ﴿قل قتال فيه كبير﴾ «قتال» مرفوع بالابتداء^(٣)، و«كبير» خبره. ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا﴾ أي: ولن يستطيعوا ﴿فأولئك حبطت أعمالهم﴾ أي: بطلت.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله﴾ أي: يطمعون في رحمة الله؛ يعني: الجنة. قال الحسن: وهو على الإيجاب؛ يقول: يفعل ذلك بهم. وقال قتادة: ذكر في الآية الأولى قصة قتل ابن الحضرمي، وما قال المشركون، وما أنزل الله في ذلك، ثم أثنى الله على أصحاب النبي ﷺ أحسن الثناء؛ فقال: ﴿إن الذين آمنوا...﴾ الآية.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢/ ٣٥٠) وعزه السيوطي في الدر المنثور (١/ ٢٦٠) للفرابي وعبد ابن حميد وابن المنذر أيضًا.

(٢) وفي خفصه أقوال نحوية أخرى، تنظر مفصلة في: إعراب القرآن (١/ ٢٥٨)، مجمع البيان (٣١١/ ١)، أمالي ابن الشجري (١/ ٢٤٠)، البحر المحيط (٢/ ١٤٥).

(٣) وجوز الابتداء بالنكرة ههنا؛ لأن المبتدأ خُصَّص بقوله: (فيه) وإذا اختصت النكرة، جاز الابتداء بها. ينظر: كشف المشكلات (١/ ١٥٦)، معاني القرآن للفراء (١/ ١٤١).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْتَفِعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا
أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ
وَإِنْ تَحَاطُّواهُمْ فَأَخْوَنُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾

﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس وإِنَّهُمَا
أكبر من نفعهما﴾ الميسر: القمار كله. وقوله: ﴿فيهما إثمٌ كبيرٌ﴾ كانوا إذا
شربوا الخمر فسكروا، عدا بعضهم على بعض، وكانوا يتقامرون حتى لا يبقى
لأحدهم شيء، فكان يورث ذلك بينهم عداوة.

وقوله: ﴿ومنافع للناس﴾ ما كانوا ينتفعون به من شربها وبيعها، ومن القمار
قبل أن يحرمها الله، قال قتادة: ذمها الله في هذه الآية، ولم يحرمها؛ لما
أراد أن يبلغ بها من المدة وهي يومئذ لهم حلال، ثم أنزل الله بعد ذلك آية
هي أشد منها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا
تَقُولُونَ﴾ (١) فكانوا يشربونها؛ حتى إذا حضرت الصلاة أمسكوا، وكان السكر
عليهم فيها حراماً، وأحلَّ لهم ما خلا ذلك، فذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال -
لما نزلت هذه الآية - : إن الله قد تقرب في تحريم هذه الخمر. ثم أنزل الله
تحريمها في سورة المائدة، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصَابُ
وَالْأَزْلَمُ...﴾ إلى قوله: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ (٢) فجاء تحريمها في هذه الآية
قليلها وكثيرها.

(١) النساء: ٤٣ .

(٢) المائدة: ٩٠ - ٩١ .

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ يعني: الصدقة ﴿قل العفو﴾ تفسير الحسن: يعني: ما فضل عن نفقتك، أو نفقة عيالك.
قال يحيى: وكان هذا قبل أن تنزل آية الزكاة.

قال محمد: قوله: ﴿العفو﴾ من قرأها بالنصب فعلى معنى: قل: أنفقوا العفو، ومن قرأها بالرفع فعلى معنى: الذي ينفقون العفو^(١). والعفو في اللغة: (ل ٣٠) الفضل والكثرة؛ يقال: قد عفا القوم؛ إذا كثروا^(٢).

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن، عن النبي ﷺ قال^(٣): «إن خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى، ولا يلوم الله على الكفاف»^(٤).

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ تفسير [قتادة: أي: أن الدنيا]^(٥) دار بلاء وفناء، وأن الآخرة دار جزاء وبقاء.
﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ [إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ...﴾ الآية^(٥) تفسير قتادة:

(١) قراءة الجمهور بالنصب، وقرأ أبو عمرو وحده بالرفع. ينظر السبعة (١٨٢) والتيسير (٨٠) والنشر (٢٢٧/٢).

(٢) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، المصباح المنير (عفو).

(٣) زاد في الأصل: قال رسول الله ﷺ.

(٤) روى البخاري (٣/٣٤٥ رقم ١٤٢٧) ومسلم (٢/٧١٧ رقم ١٠٣٤) عن حكيم بن حزام عن النبي ﷺ قال: «اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى».

ورواه البخاري (٣/٣٤٥ - ٣٤٦ رقم ١٤٢٦ - ١٤٢٨) عن أبي هريرة.

وروى مسلم (٢/٧١٨ رقم ١٠٣٦) عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن آدم، إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف، وابدأ بمن تعول، واليد العليا خير من اليد السفلى».

(٥) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ﴾ [أحسن حتى يبلغ أشده] ^(١) اشتدت عليهم؛ فكانوا لا يخالطونهم في مطعم ولا نحوه؛ فأنزل الله [بعد ذلك]: ﴿وَإِنْ تَخَالَطُوهُمْ﴾ ^(٢) فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ﴿فرخص الله لهم.

﴿ولو شاء [الله لأعتكم] أي: لترككم في المنزل﴾ ^(٣) الأولى؛ لا تخالطونهم؛ فكان ذلك عليكم عتاً شديداً. [والعت: الضيق] ^(٤) ^(٥).

قال محمد: قوله: ﴿فإخوانكم﴾ القراءة بالرفع ^(٦)؛ على معنى: فهم إخوانكم.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا أُمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ^(٧) [ولا تنكحوا المشركات حتى] ^(٨) يؤمن ولا أمة مؤمنة ﴿يتزوجها المسلم؛ إذا لم يجد طولا﴾ ^(٩) ﴿خير﴾ [من مشركة ولو أعجبتكم] ثم ^(١٠) نسخ المشركات من أهل الكتاب في سورة المائدة؛ فأحلهن؛ فقال: ﴿والمحصنات من الذين﴾ ^(١١) أوتوا الكتاب من قبلكم ^(١٢) والمحصنات في هذه الآية: الحرائر ^(١٣) ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ [فحرم] ^(١٤) الله أن يتزوج المسلمة أحد

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (عت).

(٣) قرأ الجمهور بالرفع، وقرأ أبو مجلز بالنصب بفعل مقدر، وفيه أقوال آخر وتوجيه قراءتي الرفع والنصب. ينظر: البحر المحيط (٢/ ١٦٠ - ١٦١)، الدر المصون (١/ ٥٣٩).

(٤) الطول: الفضل والغنى واليسر. اللسان (طول).

(٥) المائدة: ٥.

(٦) واحدها: حُرّة.

من المشركين؛ فقال: ﴿ولعبد مؤمن﴾ تتزوجه المسلمة ﴿خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار﴾ يعني: المشركين يدعون إلى النار؛ أي: إلى دينهم، قال: ﴿والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه﴾ بأمره ﴿وبيّن آياته للناس﴾ يعني: الحلال والحرام ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي: يتذكروا.

﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾
﴿سَأَأْتِيَكُمُ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَقَّوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿وسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ تفسير الحسن: أن الشيطان أدخل على أهل الجاهلية في حيض النساء من الضيق ما أدخل على المجوس؛ فكانوا لا يجالسونهن في بيت، ولا يأكلون معهن، ولا يشربون؛ فلما جاء الإسلام سأل المسلمون رسول الله ﷺ في ذلك، فأنزل الله: ﴿قل هو أذى﴾ أي: قذر ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن﴾ يعني: المُجَامَعَة ﴿حتى يطهرن﴾ يعني: حتى يرين البياض^(١) ﴿فإذا تطهرن﴾ يعني: اغتسلن ﴿فأتوهن من حيث أمركم الله﴾ قال ابن عباس: يعني: من حيث أمركم الله أن تجتنبوهن. وقال السدي: (من حيث) يعني: في حيث أمركم الله؛ يعني: في الفرج ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ من الذنوب.

(١) أي يرين القصة البيضاء، وهو أن تخرج القطنة أو الخرقه التي تحتشي بها الحائض كأنها قصة بيضاء لا يخالطها صفرة. وقيل: القصة شيء كالخيط الأبيض يخرج بعد انقطاع الدم كله. النهاية (٧١/٤).

﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾.

يحيى: عن نصر بن طريف، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: «قالت اليهود: إن الرجل إذا أتى امرأته من خلفها، جاء ولده أخول؛ فأنزل الله: ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم﴾؛ إن شئتم من بين يديها، وإن شئتم من خلفها؛ غير أن السبيل موضع الولد»^(١).
قال محمد: قوله: ﴿حرث لكم﴾ كناية، وأصل الحرث: الزرع^(٢)؛ أي: هو للولد كالأرض للزرع.

يحيى: عن نصر بن طريف، عن قتادة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن [جده]^(٣) قال: قال رسول الله ﷺ: «الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى»^(٤).

(١) رواه البخاري (٣٧/٨ رقم ٤٥٢٨) ومسلم (١٠٥٨/٢ - ١٠٥٩ رقم ١٤٣٥) - من طريق محمد بن المنكدر به.

(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (حرث).

(٣) كأنها في الأصل: جرير. وهو خطأ، والمثبت من «ر».

(٤) رواه الإمام أحمد (١٨٢/٢، ٢١٠) والطيالسي (٢٩٩ رقم ٢٢٦٦) والبخاري في التاريخ الكبير (٣٠٣/٨) والنسائي في السنن الكبرى (٣٢٠/٥ رقم ٨٩٩٧) والبخاري في كشف الأستار (١٧٢-١٧٣ رقم ١٤٥٥) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٤٤/٣) والبيهقي في سننه الكبرى (١٩٨/٧) من طريق قتادة.

وقال البزار: لا أعلم في هذا الباب حديثاً صحيحاً.

ورواه النسائي في الكبرى (٣١٩/٥ رقم ٨٩٩٦) من طريق زائدة بن أبي الرقاد الصيرفي، عن عامر الأحول، عن عمرو بن شعيب به. وقال النسائي: زائدة لا أدري من هو، هو مجهول، ووجدت في موضع آخر: عاصم الأحول.

ورواه النسائي (٣٢٠/٥ رقم ٨٩٩٨، ٨٩٩٩) من طريق سفيان، عن حميد الأعرج، عن عمرو بن شعيب عن عبد الله بن عمرو موقوفاً.

ورواه عبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير (٢٦٣/١) - عن يزيد بن هارون، عن حميد =

يحيى: عن عبد القدوس بن [حبيب]^(١) عن الحسن، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأتوا النساء في مواضع حشوشهن»^(٢) (٣).

- = الأعرج، عن عمرو بن شعيب. عن أبيه عن عبد الله بن عمرو موقوفًا.
ورواه عبد الرزاق في جامع معمر (رقم ٢٠٩٥٦) عن معمر، عن قتادة، عن ابن عمرو موقوفًا.
- ورواه ابن أبي شيبة (٣/٣٦٣ رقم ٤) والبخاري في التاريخ الكبير (٨/٣٠٣) والطحاوي في شرح المعاني (٣/٤٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي أيوب المراغي، عن ابن عمرو موقوفًا.
- وقال البخاري في التاريخ الأوسط (١/٢٧٣): والمرفوع لا يصح.
- وقال ابن كثير (١/٢٦٣) عن هذا الموقوف: وهذا أصح، والله أعلم.
- وقال ابن حجر في التلخيص (٣/٣٧٢): والمحفوظ عن عبد الله بن عمرو قوله.
- (١) كأنها في «الأصل»: حيف. والمثبت من «ر» وعبد القدوس بن حبيب هو أبو سعيد الشامي، متروك الحديث، ترجمته في التاريخ الكبير (٦/١١٩ - ١٢٠) والجرح والتعديل (٦/٥٥ - ٥٦) وتاريخ دمشق (٣٦/٤١٦ - ٤٢٦).
- (٢) واحدها: حُشٌّ؛ وهو الكنيف. والمراد ههنا: الدبر. ينظر اللسان، مختار الصحاح (حشش).
- (٣) روى ابن عدي في الكامل (٤/١٦٠) من طريق محمد بن حمزة عن زيد بن رفيع عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تأتوا النساء في أعجازهن ولا في أذبارهن».
- قال ابن عدي: وابن حمزة هذا ليس بالمشهور. ونقل تضعيف زيد عن النسائي.
- وقال ابن كثير في تفسيره (١/٢٦٤): محمد بن حمزة وهو الجزري وشيخه فيهما مقال.
- وروى أبو بكر الأثرم في سننه - كما في تفسير ابن كثير (١/٢٦٤) - والدولابي في الكنى (٢/١٦٨ رقم ٢٣٢٥) من طريق أبي القعقاع الجرمي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «محاش النساء حرام».
- ورواه سعيد بن منصور - ومن طريقه البيهقي في سننه (٨/١٩٩) - من هذا الطريق موقوفًا، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١/٢٧٣) لعبد بن حميد والدارمي موقوفًا أيضًا.
- قال ابن كثير في تفسيره (١/٢٦٤) عن الموقوف: وهو أصح.
- وفي تحريم أذبار النساء أحاديث كثيرة، تجدها في تفسير ابن كثير (١/٢٦٠ - ٢٦٥) =

[قوله تعالى: ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ يعني: الولد.

يحيى: عن قرّة بن خالد، عن الحسن، [عن^(١)] صعصعة، عن أبي ذر^(٢) (ل ٣١) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد لم يبلغوا حنثاً، إلا أدخلهما [الله]^(٣) الجنة بفضل رحمته إياهم»^(٤). يحيى: عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن أقدم سُقْطاً^(٥) أحب إليّ من أن أخلف مائة فارس؛ كلهم يُقاتل في سبيل الله»^(٦).

= والدر المنثور (١/ ٢٧١ - ٢٧٥).

قال الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٨): قد تيقنا بطرق لا محيد عنها نهي النبي ﷺ عن أدبار النساء، وجزمنا بتحريمه، ولي في ذلك مصنف كبير. اهـ. وقال أيضاً في السير (٥/ ١٠٠): وقد أوضحنا المسألة في مصنف مفيد، لا يطالعه عالم إلا ويقطع بتحريم ذلك.

(١) في «ر»: بن. وهو خطأ.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ١٥٣، ١٥٩) وأبو عوانة (٤/ ٥٠١ رقم ٧٤٨٢) وابن حبان (١/ ٥٠٢ - ٥٠٣ رقم ٤٦٤٥) من طريق قرّة بن خالد به.

ورواه الإمام أحمد (٥/ ١٥١، ١٦٤) والبخاري في الأدب المفرد (٦٢ رقم ١٥٠) والنسائي (٤/ ٣٢٤ - ٣٢٥ رقم ١٨٧٣) وأبو عوانة في صحيحه (٤/ ٥٠١ - ٥٠٢ رقم ٧٤٨٣ - ٧٤٨٥) والبزار (٩/ ٣٤٩ - ٣٥١ رقم ٣٩٠٩ - ٣٩١٤) وابن حبان (٧/ ٢٠٢ رقم ٢٩٤٠) والطبراني في الكبير (٢/ ١٥٤ - ١٥٥ رقم ١٦٤٤) والبيهقي في سننه (٩/ ١٧١) وغيرهم من طريق الحسن به.

(٥) السُقْطُ: هو الجنين يسقط من بطن أمه قبل تمامه؛ ذَكَرًا كان أو أنثى. لسان العرب، المعجم الوسيط (سقط).

(٦) ذكره الغزالي في الإحياء (٤/ ٥٢٠) بهذا اللفظ، فقال الحافظ العراقي في تخرجه: لم أجد فيه ذكر «مائة فارس» وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة: «السقط أقدمه بين يدي أحب إليّ من فارس أخلفه خلفي». اهـ.

فتعقبه الزبيدي فقال: بل زُوي ذلك من حديث حميد بن عبد الرحمن الحميري مرسلًا =

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبُشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة .

﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ

سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ

عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾

= بلفظ: «لأن أقدم سقطاً أحب إلي من مائة مستلثم» رواه كذلك أبو عبيد في الغريب والبيهقي في الشعب (١٣٧/٧ رقم ٩٧٥٩) وحديث أبي هريرة المذكور رواه أيضاً أبو بكر بن أبي شيبة في المصنف هو وابن ماجه من طريق يزيد بن عبد الملك التوفلي عن يزيد بن رومان عن أبي هريرة، ويزيد بن عبد الملك ضعيف، قاله الذهبي في الكاشف. اهـ. من تخريج أحاديث الإحياء (٢٦٠٦/٦ رقم ٤٠٢٢).

قلت: هو في سنن ابن ماجه (٥١٣/١ رقم ١٦٠٧) ويزيد بن رومان لم يُدرك أبا هريرة، قاله المزني في تحفة الأشراف (٤١٩/١٠).

وقد اضطرب يزيد بن عبد الملك في إسناد هذا الحديث: فرواه ابن حبان في المجروحين (١٠٣/٣) والعقيلي (٣٨٥/٤) - ومن طريقه ابن الجوزي في العلل المتناهية (٩٠٦/٢) رقم ١٥١٤ - وابن عدي (١٣٦/٩) من طريق يزيد بن عبد الملك التوفلي، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة.

وقال العقيلي عن يزيد التوفلي: ولا يتابع على حديثه إلا من جهة لا تصح.

وقال ابن عدي: وهذا أيضاً يزيد بن عبد الملك يرويه.

وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ والحمل فيه على يزيد التوفلي، قال أحمد: عنده مناكير. قال النسائي: متروك الحديث. وقال أحمد بن صالح: ليس حديثه بشيء.

ورواه ابن عدي (١٣٨/٩ - ١٣٩) وتمام الرازي في فوائده (٣٤٥/١ رقم ٨٨٤) من طريق يزيد بن عبد الملك التوفلي، عن يزيد بن خصيفة، عن السائب بن يزيد، عن عمر بن الخطاب.

وقال ابن عدي: وهذه الأحاديث بهذه الأسانيد لا يرويه عن يزيد بن خصيفة غير يزيد بن عبد الملك، والحديث الآخر بهذا الإسناد «لسقط أقدمه أمامي» فقد أملت في أحاديث يزيد هذا في رواية معن عنه، فقال: عن سليمان - كذا، و الصواب سهيل - عن أبيه عن أبي هريرة. ويزيد هذا مضطرب الحديث لا ينضبط ما يرويه فقال مرة: عن سهيل، وقال مرة: عن يزيد بن خصيفة. اهـ.

﴿ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس﴾
 تفسير الحسن: كان الرجل يقال له: لم لا تبرّ أباك أو أخاك أو قرابتك أو تفعل
 كذا لخير؟! فيقول: قد حلفتُ بالله لا أبرّه، ولا أصِلّه، ولا أصلح الذي
 بيني وبينه؛ يَغْتَلُ^(١) بالله؛ فأنزل الله ﴿ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم﴾
 يعني: الحلف؛ أي: لا تعتلّوا بالله.

قال محمد: المعنى: لا تجعلوا الله بالحلف به مانعاً لكم من أن تبروا .
 وهو الذي أراد الحسن.

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن، عن عبد الرحمن بن سمرة
 قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «يا عَبْدَ الرحمن بن سَمُرَةَ؛ إذا حلفت على
 يمين فرأيت خيراً منها، فَأَبِ الذي هو خير وكفّر عن يمينك»^(٢).
 ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾.

يحيى: عن همام^(٣)، عن عطاء قال: «دخلتُ مع عُبيد بن عمير على
 عائشة، فسألها عبيد عن هذه الآية. فقالت: هو قول أحدكم: لا والله ، وبلى
 والله».

وقال الحسن وقتادة: وهو الخطأ غير العمد؛ وذلك أن تحلف على
 الشيء؛ وأنت ترى أنه كذلك؛ فلا يكون كما حلفت عليه.

﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ تفسير قتادة: يعني: ما تعمدتم به

(١) أي: يحتج أنه أقسم بالله، والاعتلال: الاحتجاج. ينظر اللسان، القاموس المحيط، المعجم
 الوسيط (علل).

(٢) رواه البخاري (١١/٦١٦ رقم ٦٧٢٢) ومسلم (٣/١٢٧٣ - ١٢٧٤ رقم ١٦٥٢) من طريق
 الحسن به.

(٣) في «ر»: هشام.

المائم؛ وهذا فيه الكفارة.

﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا

الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ أي: يحلفون ﴿تربص﴾ أربعة أشهر... الآية. كانوا في الجاهلية، وفي صدر من الإسلام يغضب أحدهم على امرأته، فيحلف بالله لا يقربها^(١) كذا وكذا فيدعها لا أيماً^(٢) ولا ذات بعل؛ فأراد الله أن يعصم المؤمنين عن ذلك بحدٍّ يحذره لهم؛ فحدَّ لهم أربعة أشهر.

﴿فإن فاءوا﴾ تفسير الحسن: يعني بالقيء: الرجوع إلى الجماع ﴿فإن الله غفور رحيم﴾.

﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾

﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ والأقراء: الحيض؛ في قول أهل العراق، وفي قول أهل المدينة: الأطهار^(٣).

قال قتادة: جعل عدة المطلقة في هذه الآية ثلاث حيض، ثم نسخ منها المطلقة التي لم يدخل بها زوجها؛ فقال في سورة الأحزاب: ﴿يا أيها الذين

(١) في «ر»: لا يأتيها.

(٢) الأيم: العزب؛ رجلاً كان أو امرأة، تزوج من قبل، أو لم يتزوج. ويقال للمرأة: أيم، وأيمة. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (أيم).

(٣) لسان العرب، المصباح المنير (قرا).

آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها^(١) فهذه ليست عليها عدة.

ونسخ أيضًا من الثلاثة قروء التي لا تحيض من صَغَرٍ أو كِبَرٍ والحامل؛ فقال: ﴿واللائي يئسن من المحيض من نسائكم﴾^(٢) فهذه للعجوز التي لا تحيض ﴿إن ارتبتم فعدتن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن﴾ فهذه التي لم تحض أيضًا ثلاثة أشهر.

قال: ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾ فهذه أيضًا ليست من القروء في شيء أجلها أن تضع حملها.

قال محمد: القروء: واحدها قُرءٌ؛ يقال: أقرأت المرأة وقرأت؛ إذا حاضت، أو طهرت؛ وإنما جعل الحيض قرءًا، والطهر قرءًا؛ لأن أصل القرء في كلام العرب: الوقت؛ يقال: رجع فلانٌ لقرئه؛ أي: لوقته الذي كان يرجع فيه؛ فالحيض يأتي لوقتٍ، والطهر يأتي لوقت^(٣) واللّه أعلم بما أراد.

﴿ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن﴾ تفسير مجاهد قال: لا يحل للمطلقة أن تقول إني حائض، وليست بحائض [أو تقول: إني حبلى وليست بحبلى، أو تقول: لست بحائض وهي حائض]^(٤) أو تقول: لست بحبلى، وهي حبلى؛ لِتَبَيَّنَ من زوجها قبل أن تنقض العدة، وتُضيف الولد إلى الزوج الثاني، وتستوجب الميراث؛ إذا مات الرجل [فتقول: لم تنقض عدتي]^(٤) وقد انقضت عدتها، والنفقة في الحمل.

(١) الأحزاب: ٤٩ .

(٢) الطلاق: ٤ .

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (قرأ).

(٤) طمس في الأصل، وأثبت من «ر».

(٣٢٧) ﴿وبعولتهن﴾ يعني: الأزواج ﴿أحق بردهن في ذلك﴾ في العدة التولية والتطليقتين ﴿إن أرادوا إصلاحاً﴾ يعني: حسن الصُحبة ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة﴾ يعني: فضيلة في الحق .

﴿الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَنٍ وَلَا يُحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾

﴿الطلاق مرتان﴾ قال يحيى: بلغنا أن أهل الجاهلية لم يكن لهم حد في الطلاق، كان يطلق أحدهم العَشْرَ وأقل من ذلك وأكثر، فجعل الله حدَّ الطلاق ثلاثاً، ثم قال: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروفٍ أو تسريحٌ بإحسان﴾ وبلغنا أن رجلاً قال: «يا رسول الله، قول الله: ﴿الطلاق مرتان﴾ فأين الثالثة؟ قال: قوله تعالى: ﴿أو تسريح بإحسان﴾»^(١).

(١) رواه الدارقطني في سننه (٤/٤ رقم ٢) وابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (١/٢٧٢) - والبيهقي في سننه (٧/٣٤٠) من طريق عبد الواحد بن زياد عن إسماعيل بن سميع الحنفي عن أنس بن مالك.

قال الدارقطني: كذا قال «عن أنس» والصواب عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين مرسل عن النبي ﷺ.

وقال البيهقي: كذا قال عن أنس رضي الله عنه، والصواب عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين عن النبي ﷺ مرسل، كذلك رواه جماعة من الثقات عن إسماعيل.

قلت: حديث أبي رزين المرسل رواه أبو داود في مراسيله (١٨٩ رقم ٢٢٠) وعبد الرزاق في تفسيره (٩٣/١) وسعيد بن منصور في سننه (١/٣٤٠ - ٣٤١ رقم ١٤٥٦، ١٤٥٧) والحاثر بن أبي أسامة - كما في إتحاف الخيرة (٤/١٥٣ رقم ٣٣٢٤) والطبري في تفسيره (٢/٤٥٨) وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٤١٩ رقم ٢٢١٠) والبيهقي (٧/٣٤٠)، وكذلك رواه أحمد وعبد بن حميد وابن مردويه في تفسيريهما - كما في تفسير ابن كثير (١/٢٧٢) - وكيع وابن المنذر والنحاس - كما في الدر المنثور (١/٢٨٧).

قال محمد: القراءة (فإمسك) بالرفع^(١) على معنى: فالواجب عليكم إمساكٌ بمعروف، أو تسريح بإحسان. ومعنى (بمعروف) بما يعرف من إقامة الحق؛ في إمساك المرأة وقوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان﴾ معناه: الطلاق الذي يملك فيه الرجعة تطليقتان.

﴿ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله﴾ يعني: أمر الله في أنفسهما؛ وذلك أنه يُخاف من المرأة في نفسها إذا كانت مبغضة لزوجها فتعصي الله فيه، ويخاف من الزوج إن لم يطلقها أن يتعدى عليها.

قال محمد: الذي يدلُّ عليه تفسير يحيى: أن القراءة كانت عنده [يُخَافا] بضم الياء، وكذلك قرأها أبو جعفر وحمزة. وقرأها نافع وغير واحد [يَخَافا] بالفتح^(٢)؛ ذكره أبو عبيد^(٣).

قال أبو عبيد: والقراءة عندنا بضم الياء؛ لقوله تعالى: ﴿فإن خفتن﴾ فجعل الخوف لغيرهما، ولم يقل: فإن خافا^(٤).

= ورواه الدارقطني في سننه (٤/٣ - ٤ رقم ١) وابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢٧٢/١) - من طريق قتادة عن أنس.

قال البيهقي في سننه (٧/٣٤٠): وزوي عن قتادة عن أنس رضي الله عنه وليس بشيء.

(١) وهي قراءة الجمهور، ولم يقرأ أحد بالنصب، وإن كان جائز في العربية نصبه على المصدر. وفي توجيه قراءة الرفع أقوال نحوية آخر غير القول المذكور هنا. فلتراجع مفصلة لمن أرادها من: إعراب القرآن (١/٢٦٤)، مجمع البيان (١/٣٢٨)، البحر المحيط (٢/١٩٦).
(٢) ينظر السبعة (١٨٣)، التيسير (٨٠)، النشر (٢/٢٢٧).

(٣) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الخراساني الأنصاري مولاهم، البغدادي، أحد الأعلام المجتهدين وصاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر، وله اختيار في القراءة وافق فيه العربية والأثر. توفي بمكة (٢٢٤هـ) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/١٥٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/٤٩٠)، بغية الوعاة (٣٧٦)، إنباه الرواة (٢/١٣).

(٤) وفي توجيه ضم الياء أقوال نحوية آخر تنظر من: معاني القرآن للقرطبي (١/١٤٥ - ١٤٦)، إعراب القرآن (١/٢٦٥)، مجمع البيان (١/٣٢٨)، البحر (٢/١٩٧ - ١٩٨).

قال قتادة: خاطب بهذا الولاية ﴿ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله﴾ يعني: سُنَّةُ الله وأمره في الطلاق ﴿فلا تعتدوها﴾ أي: لا تعتدوها إلى غيرها ﴿ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ لأنفسهم. قال محمد: ومعنى حدود الله: ما حدّه مما لا تجوز مُجَاوِزته إلى غيره، وأصل الحد في اللغة: المنع؛ يقال: حددت الدار؛ أي: بينت الأمكنة التي تمنع غيرها أن يدخل فيها، وحددت الرجل أقيمت عليه الحد، والحد: هو الذي يمتنع به الناس من أن يدخلوا فيما يجلب إليهم العقوبة^(١). قوله تعالى: ﴿فإن طلقها﴾ يعني: الثالثة ﴿فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة: «أن تميمية بنت عُبيد بن وهب القرظية طلقها زوجها، فخلف عليها عبد الرحمن بن الزبير فطلقها، فأنت رسول الله ﷺ فسألته: هل ترجع إلى زوجها الأول. فقال لها: هل غشيك؟ فقالت: ما كان، ما عنده بأغنى عنه من هُذبة ثوبي^(٢)؛ فقال رسول الله ﷺ: لا، حتى تذوقي من عُسَيْلَةٍ غيره^(٣). فقالت: يا رسول الله، قد غشيني. فقال: اللهم إن كانت كاذبةً فاخرمها إياه. فأنت أبا بكرٍ بعده فلم يُرخص لها، ثم أنت عمر فلم يُرخص لها^(٤)».

(١) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير، مختار الصحاح (حدد).

(٢) الهُذبة - ويقال فيه: الهدب -: طَرَفُ الثوب. وقد كُنْتُ به ههنا عن ارتخاء آلة الجماع وضغفها.

(٣) كناية عن المجامعة.

(٤) رواه سعيد بن أبي عروبة في كتاب النكاح له عن قتادة - عزاه له ابن حجر في الفتح (٣٧٤/٩)

ومن طريقه رواه ابن منده في معرفة الصحابة، كما في الإصابة (١٦٥/١٢) رقم (٢٠٣).

ورواه البخاري (٢٧٤/٩) رقم (٥٢٦٠) ومسلم (١٠٥٥/٢ - ١٠٥٧) رقم (١٤٣٣) عن عائشة دون آخره.

﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ

يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٥﴾﴾

﴿فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾

يعني: إن أيقنا أن يقيما حدود الله. تفسير بعضهم: يقول: ﴿فإن طلقها﴾ يعني: الزوج الأخير ﴿فلا جناح عليهما﴾ على المرأة والزوج الأول الذي طلقها ثلاثاً ﴿أن يتراجعا﴾ إن أحبّا.

وفي تفسيرهم: فإن طلقها، أو مات عنها، فلا جناح عليهما أن يتراجعا.

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ

ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ

اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ

شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣٦﴾﴾

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن...﴾ إلى قوله: ﴿ومن يفعل ذلك فقد

ظلم نفسه﴾.

يحيى: عن الجهم بن وَرَاد؛ أن رجلاً على عهد النبي ﷺ قال لامرأته:

لأطلقنك، ثم [لأحبستك] ^(١) تسع حيض لا تقدرين على أن تتزوجي غيري.

قالت: وكيف ذلك؟! قال: أطلقك تطليقة، ثم [أدعك] ^(١) حتى إذا كان عند

انقضاء عدتك راجعتك، ثم أطلقك أخرى، فإذا كان عند انقضاء عدتك

راجعتك ثم أطلقك ثم [تعتدين من] ^(٣) ثلاث حيض، فأنزل الله (ل ٣٣) هذه

الآية ﴿وإذا طلقتم النساء...﴾ إلى آخرها.

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

قال يحيى: فإذا انقضت العدة قبل أن يراجعها، فهو تسريح.

﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ .

يحيى: عن سليمان بن أرقم، عن الحسن، عن أبي الدرداء قال: «كان الرجل يطلق؛ فإذا سئل، قال: كنت لاعباً. ويتزوج؛ فإذا سئل، قال: كنت لاعباً. ويغتق؛ فإذا سئل، قال: كنت لاعباً، فأنزل الله: ﴿ولا تتخذوا آيات الله هزواً﴾ وقال رسول الله ﷺ: من طلق لاعباً أو تزوج لاعباً أو أعتق لاعباً فهو جائز»^(١).

(١) رواه الطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد (٢٨٨/٤) وابن عدي في الكامل (١٩٠/٦) كلاهما من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي الدرداء.

وقال البيهقي في المجمع: وفيه عمرو بن عبيد، وهو من أعداء الله.

وقال ابن كثير في تفسيره (٢٨١/١) وقد رواه ابن مردويه من طريق عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبي الدرداء موقوفاً عليه.

ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨١/٤ رقم ٥) من طريق عمرو عن الحسن مرسلًا.

ورواه الطبري في تفسيره (٤٨٢/٢) من طريق سليمان بن أرقم عن الحسن مرسلًا.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٢٥/٢ - ٤٢٦ رقم ٢٢٤٨) من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن مرسلًا.

وروى ابن أبي شيبة (٨١/٤ رقم ١) وعبد الرزاق (١٣٣/٦ - ١٣٤ رقم ١٠٢٤٥، ١٠٢٤٦) من طريق الحسن عن أبي الدرداء قال: «ثلاث اللاعب فيهن كالجاء: النكاح، والطلاق، والعنقة».

ورواه أحمد بن منيع - كما في إتحاف الخيرة (٤٥/٤ رقم ١٣١٣٩) - وابن مردويه - كما في تفسير ابن كثير (٢٨١/١) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن عبادة بن الصامت.

قال الحافظ ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق (٢١٥/٣) إسماعيل ضعيف، والحسن لم يسمع من عبادة. والله أعلم.

ورواه الحارث بن أبي أسامة - كما في إتحاف الخيرة (٤٥/٤ رقم ١٣١٣٩) - من طريق ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي جعفر عن عبادة بن الصامت نحوه.

=

وهذا إسناد منقطع ضعيف.

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنْفَاكِهِنَّ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢٣٣)

﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنْفَاكِهِنَّ أَجْلَهُنَّ﴾ يعني: انقضاء العدة ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ أي: تحبسوهن ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ ﴿ذَلِكَُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ يعني: لقلب الرجل، وقلب المرأة.

يحيى: عن المبارك بن فضالة، عن الحسن «أن معقل بن يسار زوج أخته رجلاً، فطلقها الرجل تطليقة، فلما انقضت عدتها خطبها، فأرادت أن تتزوج، فغضب معقل، وقال: زوجته ثم طلقها؛ لا ترجع إليه؛ فأنزل الله هذه الآية؛ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾»^(١) أي: علم الله حاجته إليها، وحاجتها إليه.

= وروى عبد الرزاق في المصنف (١٣٤/٦ - ١٣٥ رقم ١٠٢٤٩) عن إبراهيم بن محمد عن صفوان بن سليم أن أبا ذر قال قال رسول الله ﷺ: «من طلق وهو لاعب فطلاقه جائز، ومن اعتق وهو لاعب فعتاقه جائز، ومن أنكح وهو لاعب فنكاحه جائز». وإبراهيم بن محمد متروك.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٨١/١) بعد أن ذكر أغلب هذه الطرق: والمشهور في هذا الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طريق عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك عن عطاء عن ابن مائه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة» وقال الترمذي: حسن غريب.

(١) رواه الترمذي (٢٠١/٥ رقم ٢٩٨١) من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن عن معقل بن يسار، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن الحسن. ورواه البخاري (٤٠/٨ رقم ٤٥٢٩، ٨٩/٩ رقم ٣٩٢/٩، ٥١٣٠/٩، ٣٩٣ رقم ٥٣٣٠، ٥٣٣١) من طرق عن الحسن.

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ وَابْنٌ بِمَا يُولَدُ وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يُولَدُ عَلَيْهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا بَيْنَ يَدَيْكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٢٦﴾﴾

﴿والوالدات﴾ يعني: المطلقات؛ في تفسير مجاهد ﴿يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ تفسير قتادة: قال: أنزل الله في أول هذه الآية ﴿حولين كاملين﴾ ثم أنزل اليسر والتخفيف؛ فقال: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾ ﴿وعلى المولود له﴾ يعني: الأب ﴿رزقهن وكسوتهن بالمعروف﴾ على قدر ميسرته ﴿لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾ تفسير قتادة: قال: نهى الله الوالد أن ينزعه^(١) من أمه؛ إذا رضيت أن ترضعه بما كان مسترضعاً به غيرها، ويدفعه إلى غيرها، ونهيت الوالدة أن تقذف الولد إلى زوجها؛ إذا أعطاهما ما كان مسترضعاً غيرها [وتدفعه إلى غيرها]^(٢).

﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ تفسير قتادة: قال: على وارث المولود إن كان المولود لا مال له ﴿مثل ذلك﴾ أي: مثل الذي كان على والده لو كان حياً من أجر الرضاع. وقال الحسن: وعلى الرجال دون النساء، وتفسير ابن عباس: ﴿وعلى الوارث مثل ذلك﴾ قال: هو في الضرار ﴿فإن أرادا فصالاً﴾ يعني: فطاماً ﴿عن تراضٍ منهما وتشاورٍ﴾ قبل انقضاء الحولين بعد أن يستطيع الفطام، ولا يدخل عليه فيه ضرورة ﴿فلا جناح عليهما﴾.

(١) أي: ينزع الوالد الولد من أمه.

(٢) سقط من الأصل، وأثبت من «ر».

﴿وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم﴾ أي : لأولادكم ﴿فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف﴾ تفسير مجاهد : حساب ما رضع الصبي ؛ إذا تراضيا أن يسترضعا له إذا خافا الضيعة عليه .

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٢٣٢)
 ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾ وفي العشر يُنْفَخُ في الولد الروح، فَتَسَخَّتْ هذه الآية الآية التي بعدها في التأليف ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾^(١) وهي قبل هذه في التنزيل، وَوُضِعَتْ^(٢) في هذا الموضع . قال الحسن : وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ فيقول : يا محمد، إن الله يأمرك أن تضع آية كذا بين ظهراي آية كذا وكذا من السورة . يحيى : عن يزيد بن إبراهيم، عن محمد بن سيرين، عن مالك بن عمرو، عن عبد الله بن مسعود؛ أنه قال : «نسخ من هذه الآية الحامل المتوفى عنها زوجها؛ فقال في سورة النساء القصوى»^(٣) : ﴿وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن﴾^(٤) .

﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي : انقضت العدة ﴿فلا جناح عليكم﴾ أي : فلا إثم عليكم ﴿فإذا فعلن في أنفسهن بالمعروف﴾ قال مجاهد : يريد النكاح الحلال .

(١) البقرة : ٢٤٠ .

(٢) في «ر» : ووجهت .

(٣) يعني : سورة الطلاق .

(٤) الطلاق : ٤ .

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم﴾ يعني: أسررتم في أنفسكم، قال عكرمة: التعريض أن يقول: أنت في [نفسك] ^(١) (ل ٣٤) وتقول هي: ما يُقدر من أمر يكن؛ من غير أن يُواعدها ألا تنكح غيره، ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا﴾ تفسير قتادة: يقول: لا تأخذوا ميثاقها في عدتها ألا تنكح زوجا غيره ﴿إلا أن يقولوا قولا معروفا﴾ هو التعريض ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ يعني: انقضاء العدة ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه﴾ يعني: في أن تزوجوهن في العدة وفي جميع الأشياء بعد.

قال محمد: قوله: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ المعنى: على عقدة النكاح، فاختصر على.

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى التَّوَسُّعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ

(١) في الأصل: فؤادي، والمثبت من «ر».

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن﴾ يعني: تجامعوهن ﴿أو تفرضوا لهن فريضة ومتعهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره﴾ الموسع: الذي وَسَّعَ عليه في الرزق، والمقتر: المقتر عليه ﴿متاعاً بالمعروف﴾ .

يحيى: وليس في المتعة أمرٌ مؤثّرٌ، إلا ما أحب لنفسه من طلب الفضل في ذلك، وقد كان في السلف من يُمتّع بالخادم، ومنهم من يمتع بالكسوة، ومنهم من يمتع بالطعام.

قال محمد: ﴿متاعاً﴾ يجوز أن يكون النصب فيه على معنى: ومتعهن متاعاً^(١) ويقال: أوسع الرجل؛ إذا استغنى، وأقتر؛ إذا كان مقترًا عليه، وأصل الإقتار: الضيق^(٢).

﴿وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن﴾ أي: تجامعوهن ﴿وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم﴾ .

قال محمد: القراءة (فنصف) بالرفع؛ على معنى: فعليكم نصف ما فرضتم^(٣).

قال سعيد بن المسيب: كان لها المتاع في سورة الأحزاب^(٤)؛ فنسختها هذه الآية؛ فصار لها نصف الصداق ﴿إلا أن يعفون﴾ يعني: النساء ﴿أو يعفو

(١) وفي نصبه أقوال آخر. ينظر: مجمع البيان (١/٣٤٠)، البحر المحيط (٢/٢٣١).

(٢) ينظر لسان العرب ومختار الصحاح والمصباح المنير (وسع، قتر).

(٣) وقرئ أيضًا بالنصب. وفي توجيه قراءة الرفع أقوال آخر. ينظر: معاني القرآن للأخفش

(١٧٧)، إعراب القرآن (١/٢٧١)، مجمع البيان (١/٣٤١)، البحر (٢/٣٤).

(٤) الأحزاب: ٤٩.

الذي بيده عقدة النكاح ﴿ قال شريح: هو الزوج؛ إن شاء عفا عن نصف الصداق، فأعطى المرأة الصداق تاماً، وإن شاءت المرأة عَفَتْ عن نصف الصداق، فسلمت الصداق كله للزوج.

يحيى: وكان الحسن يقول: الذي بيده عقدة النكاح هو الولي.
﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى﴾ يقول ذلك من التقوى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا الْفِتْنَةَ﴾
بينكم ﴿أَي: لا تتركوه.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾
﴿حافظوا على الصلوات﴾ يعني: الصلوات الخمس؛ على وضوئها، ومواقبتها، وركوعها وسجودها ﴿والصلاة الوسطى﴾ وهي في الخمس.

يحيى: عن عثمان، عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحارث، عن علي قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن الصلاة الوسطى فقال: هي صلاة العصر التي فرط فيها نبيُّ الله سليمان ﷺ» (١).

(١) رواه مسدد في مسنده - كما في إتحاف الخيرة (٢/ ١٢٤ رقم ١/ ١١٧٢) - من طريق محمد ابن إسحاق عن أبي إسحاق الهمداني به.

وقال البوصيري: هذا إسناد ضعيف؛ لضعف الحارث بن عبد الله الهمداني الأعور، وتدلّس محمد بن إسحاق.

ورواه ابن عدي في الكامل (٨/ ١٩٠) من طريق مقاتل بن سليمان عن أبي إسحاق السبيعي به.

قال ابن حجر في تخريج الكشاف (٢١ رقم ١٧٥): وفي إسناده مقاتل بن سليمان، وهو ساقط، ورواه ابن أبي شيبة من رواية أبي إسحاق عن الحارث عن علي مرفوعاً، وهو أشبه بالصواب. اهـ.

ورواه الديلمطي في كشف المغطى (٤٤ - ٤٥ رقم ٤٩) من طريق الدارقطني عن محمد بن =

﴿وقوموا لِلَّهِ قانتين﴾ أي: مطيعين.

قال محمد: معنى ﴿قانتين﴾ هنا: أي: ممسكين عن الكلام؛ وأصل القنوت: الطاعة^(١).

﴿فإن خفتم فرجالاً أو ركبانا﴾ تفسير قتادة قال: هذا عند الضراب

= سعيد بن غالب، عن محمد بن كثير الكوفي، عن الأجلح بن عبد الله عن أبي إسحاق به مرفوعاً.

ورواه الطبري في تفسيره (٥٥٤/٢) من طريق مصعب عن الأجلح عن أبي إسحاق به موقوفاً.

ورواه الطبري في تفسيره (٥٥٤/٢) والديماطي في كشف المغطى (٤٢ - ٤٤ رقم ٤٧، ٤٨) من طريق سفيان بن عيينة عن أبي إسحاق به موقوفاً.

ورواه الطبري في تفسيره (٥٥٤/٢) من طريق عنبسة عن أبي إسحاق به موقوفاً.
قال الدارقطني في العلل (١٥٢/٣ - ١٥٣ رقم ٣٢٤) لما سُئل عن هذا الحديث: يرويه يعقوب بن محمد الزهري عن ابن عيينة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عن النبي ﷺ. ووقفه غيره عن ابن عيينة.

وكذلك رواه إسرائيل وغيره عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال: «صلاة الوسطى: صلاة العصر».

ورواه محمد بن إسحاق عن أبي إسحاق فرفعه، وتابعه محمد بن كثير الكوفي عن الأجلح عن أبي إسحاق فرفعه أيضاً.
والموقوف أصح. اهـ.

قلت: ورجح الوقف الترمذي في جامعه (٢٩١/٣) رقم ٩٥٧، ٩٥٨، ٢٥٦/٥ رقم ٣٠٨٨، (٣٠٨٩).

وروى البخاري (١٢٤/٦) رقم ٢٩٣١) ومسلم (٤٣٦/١ - ٤٣٧ رقم ٦٢٧) عن عبيدة السلماني عن علي قال: «لما كان يوم الأحزاب قال رسول الله ﷺ: ملأ الله قبورهم ويوتهم نارا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»

وقال الديماطي في كشف المغطى (٢٤): هذا حديث كبير جليل خطير، نبيل عالٍ غير عليل، حسن صحيح، وهو نص صريح، كوفي المخرج، مجمع على صحته. اهـ.
قلت: وله طرق أخرى صحيحة عن علي.

(١) ينظر لسان العرب والمصباح المنير ومختار الصحاح (قنت).

بالسيوف؛ راكبًا كنت، أو ساعيًا، أو ماشيًا؛ إن استطعت فركعتين، وإلا فركعة تومئ برأسك إيماءً أينما توجهت.

قال يحيى: وبلغني أنه إذا كان الأمر أشد من ذلك، كبر أربع تكبيرات. قال محمد: قوله: ﴿فَرَجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ معناه: فصلُّوا رجالًا أو ركبانًا، و﴿رُجَالًا﴾ جمع راجل^(١)؛ كما قالوا: صاحبٌ وصحابٌ، والخوف ها هنا؛ باليقين لا بالظن.

﴿فَإِذَا أَمْتُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ يعني: فصلُّوا لله تعالى.

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢٤١) وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ (٢٤٢) كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٣﴾

﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا وصيةً لأزواجهن متاعًا إلى الحول غير إخراج﴾ تفسير قتادة: قال: كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها ينفق عليها من ماله حَوْلًا ما لم تخرج؛ فإن خرجت، فلا نفقة لها؛ فنسخ الحول في قوله: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهرٍ وعشراً﴾ (٢) (ل ٣٥) ونسخ النفقة في الحول في هذه الآية: ﴿ولهن الربع مما

(١) والراجل: الذي يسير على رجله، ويجمع على (رجال، ورجالة) ينظر: لسان العرب، والقاموس المحيط (رجل).

(٢) البقرة: ٢٣٤.

تركتكم إن لم يكن لكم ولدٌ فإن كان لكم ولدٌ فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصيةٍ توصون بها أو دين»^(١).

قال محمد: تقرأ ﴿وصية﴾ بالرفع والنصب؛ فمن نصب أراد: فليوصوا وصيةً، ومن رفع فعلى معنى: فعليهم وصية^(٢). ونصب ﴿متاعاً﴾ بمعنى: متعوهن متاعاً^(٣).

قوله: ﴿فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن من معروف﴾ يعني: أن يتزين، ويتشوفن^(٤)، ويلتمسن الأزواج. وللمطلقات متاعٌ بالمعروف حقاً على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴿أي: لكي تعقلوا.

قال محمد: قوله ﴿حقاً﴾ نصب على معنى: يحق حقاً^(٥).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ إِنَّا فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٢٤٣)
 وَقَنِيْلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

(١) النساء: ١٢.

(٢) قرأ ابن كثير ونافع والكسائي وأبو بكر بن عاصم بالرفع، وقرأ الباقر بن النصب. ينظر: السبعة (١٨٤) والتيسير (٨١) والنشر (٢٢٨/٢).

(٣) وفيه أقوال أخر في توجيه النصب ينظر: إعراب القرآن (٢٧٥/١) والبحر (٢٤٥/٢ - ٢٤٦) والدر المصون (٥٩١/١).

(٤) في «ر»: يتشرفن.

(٥) وفي توجيه النصب أقوال أخر ينظر: البحر (٢٤٦/٢ - ٢٤٧) وإعراب القرآن (٢٧٥/١) - (٢٧٦).

﴿ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف...﴾ الآية. تفسير قتادة: هم قوم فرّوا من الطاعون، فمقتهم الله على فرارهم من الموت ﴿فقال لهم الله موتوا﴾ فأماهم الله عقوبة، ثم بعثهم ليستوفوا بقية آجالهم. قال الكلبي: وكانوا ثمانية آلاف، فأماهم الله، فمكثوا ثمانية أيام. قال محمد: وقوله: ﴿ألم تر﴾ هو على جهة التعجب؛ كقوله: ألم تر إلى ما صنع فلان؟!

﴿من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا﴾ أي: حلالًا محتسبًا ﴿فيضاعفه له أضعافًا كثيرة﴾ قال الحسن: هذا في التطوع، وكان المشركون يخلطون أموالهم بالحرام؛ حتى جاء الإسلام فنزلت هذه الآية، فأمرُوا أن يتصدقوا من الحلال، ولما نزلت قالت اليهود: هذا ربكم يستقرضكم، وإنما يستقرض الفقير؛ فهو فقير ونحن أغنياء، فأنزل الله ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء﴾^(١).

قال محمد: أصل القرض ما يفعله الرجل ويعطيه؛ ليجازى به، والعرب تقول: لك عندي قرض حسن، وقرض سيئ^(٢).

وقوله: ﴿فيضاعفه﴾ من قرأه بالرفع فهو عطف على ﴿يقرض﴾ ومن نصب فعلى جواب الاستفهام^(٣) ﴿والله يقبض ويبسط﴾ يقبض عمن يشاء، ويبسط

(١) آل عمران: ١٨١.

(٢) ينظر لسان العرب، المصباح المنير، مختار الصحاح (قرض).

(٣) قرأ عاصم وابن عامر بالنصب، والباقون بالرفع. ينظر: السبعة (١٨٤ - ١٨٥) التيسير (٨١)، النشر (٢٢٨/٢).

وفي توجيه قراءة الرفع والنصب أقوال نحوية تنظر من: إعراب القرآن (٢٧٦/١) مجمع البيان (٣٤٨/١)، البحر (٢٥١/٢ - ٢٥٢).

الرزق لمن يشاء ﴿وإليه ترجعون﴾ يعني: البعث.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنَاقِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾

﴿ألم تر إلى الملاك﴾ يعني: الأشراف ﴿من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله﴾.

قال محمد: القراءة ﴿نُقَاتِلُ﴾ بالجزم؛ على جواب المسألة^(١).

قال الكلبي: إن بني إسرائيل مكثوا زماناً من الدهر ليس عليهم ملك، فأحبوا أن يكون عليهم ملك يقاتل عدوهم، فمشوا إلى نبي لهم من بني هارون يقال له: إسموئيل^(٢)، فقالوا له: ﴿ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله﴾ فقال لهم نبيهم: ﴿هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا﴾ وكان عدوهم من قوم جالوت ﴿فلما كُتِبَ عليهم القتال تولوا إلا قليلاً منهم...﴾.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ

(١) قرأ الجمهور (نقاتل) أي: بالنون والجزم، وفيه قراءة أخرى: ﴿يقاتل﴾ أي: بالياء والرفع. وقرأ بالنون والرفع.

ينظر: البحر (٢٤٨/٢ - ٢٤٩)، الدر (٥٩٨/١)، والسبعة (١٨٦)، والتيسير (٨١)، والنشر (٢٣٠/٢).

(٢) هكذا في الأصل، و«ر» وفي ابن كثير: شمويل.

عَلَيْكُمْ وَزَادُمْ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكُكُمْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهَا الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

﴿وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾ وكان طالوت من سبط قد عملوا ذنباً عظيماً، فَنَزَعَ منهم الملك في ذلك الزمان فأنكروه ﴿وقالوا أنى يكون له الملك علينا﴾ وهو من سبط الإثم؛ يعنون: الذنب الذي كانوا أصابوا ﴿ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم﴾ اختاره لكم ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ وكان طالوت أعلمهم يومئذ وأطولهم.

قال محمد: قوله ﴿بسطة﴾ أي: سعة؛ من قولك: بسطت الشيء؛ إذا فرشته (١) ووسعته (٢).

قال الكلبي فقالوا: ائتنا بآية نعلم أن الله اصطفاه علينا ﴿وقال لهم نبيهم إن آية﴾ علامة ﴿ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينه من ربكم﴾ قال يحيى: يعني: رحمة من ربكم، في تفسير بعضهم.

قال محمد: وقيل: سكينه فعيلة؛ من: السكون (٣)؛ المعنى: فيه ما تسكنون؛ إذا أتاكم.

(١) في «ر»: فتحته.

(٢) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، المصباح المنير (بسط).

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (سكن).

﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ وكان فيه عصا موسى ورضاض^(١)
الألواح وقفيز^(٢) مَنْ كان موسى عليه السلام تركه عند فتاه يوشع بن نون
وهو في البرية.

في تفسير بعضهم: فأقبلت به الملائكة تحمله حتى وضعت في دار طالوت
فأصبح في داره. قال الحسن: وكان التابوت من خشب.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ
فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا
مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِتْنَةُ
كَثِيرَةٍ يَأْذِنُ اللَّهُ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾

﴿فلما فصل طالوت بالجنود...﴾ إلى قوله: ﴿إلا قليلاً منهم﴾ قال
الكلبي: لما سار بهم طالوت، اتخذ بهم مفازة^(٣) من الأرض فعطشوا فقال
لهم نبيهم ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ أي: مختبركم ﴿بنهر فمن شرب منه فليس مني
ومن لم يطعمه﴾ يعني: ومن لم يشربه ﴿فإنه مني﴾ إلا من اغترف غرفةً بيده
فشربوا منه إلا قليلاً منهم ﴿جعلوا يشربون منه ولا يروون، وأما القليل فكفتهم
الغرفة، ورجع الذين عصوا وشربوا.﴾

(١) هو الفُتَات والدُّقَاق. لسان العرب (رضض).

(٢) هو مكيال كان يكال به قديمًا، ويختلف مقداره في البلاد، ويعادل بالتقدير المصري الحديث
نحو ستة عشر كيلو جرامًا.

ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (قفز).

(٣) أي: صحراء.

قال يحيى: ﴿غرفة﴾ تُقرأ بفتح الغين ورفعها؛ فمن قرأها بالنصب^(١)؛ يعني: غرفته التي اغترف مرة واحدة، ومن قرأها بالرفع^(٢)؛ أراد: الغرفة ملء^(٣) اليد.

﴿فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه﴾ قال الكلبي: وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بعدة أهل بدر ﴿قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ قال الذين يظنون ﴿[يعلمون]^(٤)﴾ أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴿قيل للحسن: أليس القوم جميعاً كانوا مؤمنين الذين جاوزوا؟! قال: بلى، ولكن تفاضلوا بما شئت أنفسهم من الجهاد في سبيله.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٥٢﴾

﴿ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا﴾ أي: واجعل لنا الظفر عليهم .
﴿فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة﴾ قال

(١) أي: بفتح الغين.

(٢) أي: بضم الغين.

(٣) قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع بفتح الغين، وقرأ الباقون بضمها. ينظر: السبعة (١٨٧)، التيسير (٨١)، النشر (٢/٢٣٠).

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

محمد: يعني: أتى الله داود؛ لأنه مُلِّك بعد قتله جالوت ﴿وعلمه مما يشاء﴾
يعني: الوحي الذي كان يأتيه من الله ﴿ولولا دفاع^(١) الله الناس بعضهم
ببعض لفسدت الأرض﴾ تفسير قتادة: يتبلي المؤمن بالكافر، ويعافي الكافر
بالمؤمن.

قال محمد: وقيل: المعنى: ولولا دفاع الله الكافرين بالمسلمين، لكُثر
الكفر؛ فنزلت بالناس السُّخطة فاستؤصل أهل الأرض. ونصب ﴿بعضهم﴾
بدلاً من ﴿الناس﴾ المعنى: ولولا دفاع الله بعض الناس ببعض^(٢).
﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ قال محمد: معنى آيات الله ها هنا:
أعلامه التي تدل على توحيده، و﴿تلك﴾ بمعنى هذه.

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا
عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
أَفْتَلَوْا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾^(٢٥٣) يتأيتها الذين ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢٥٤)

﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾ قال الحسن: يعني: بما آتاهم
الله من النبوة والرسالة ﴿منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾ قال

(١) هكذا قرأ المصنف (دفاع)؛ وهي قراءة نافع. وقرأ الباقون (دفع). ينظر: السبعة (١٨٧)،
والتيسير (٨٢) والنشر (٢/٢٣٠).

(٢) وفيه أقوال أخر للنحاة. ينظر: إعراب القرآن (١/٢٧٩ - ٢٨٠) ومجمع البيان (١/٣٥٦)
والبحر (٢/٢٦٩).

الحسن: يعني: في الدنيا على وجه ما أعطوا ﴿وآتينا عيسى ابن مريم
البنات﴾ قال محمد: يريد الأعلام التي تدل على إثبات نبوته من إبراء
الأكمه^(١) والأبرص^(٢)، وإحياء الموتى^(٣)، وغير ذلك مما آتاه الله، وقوله:
﴿تلك الرسل﴾ يريد: الجماعة ﴿وأيدناه﴾ يعني: عيسى عليه السلام أعناه ﴿بروح
القدس﴾ وروح القدس جبريل ﴿ولو شاء الله ما اقتل الذين من بعدهم﴾ قال
قتادة: يعني: من بعد موسى وهارون .

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم﴾ يعني: الزكاة ﴿من قبل أن يأتي
يوم لا بيع فيه ولا خلة﴾ قال قتادة: ﴿ولا خلة﴾ أي: ولا صداقة^(٤)، إلا
للمتقين ﴿ولا شفاعة﴾ أي: للمشركين ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ لأنفسهم .
﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ
بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ
الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ قال الحسن: القائم على كل نفس
بكسبها يحفظ عليها عملها حتى يجازيها به ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ قال
الحسن: السَّنة: النُّعاس، والنُّوم؛ يعني: النوم الغالب .

(١) الأكمه هو: الأعمى .

(٢) الأبرص هو: المصاب بالبرص، وهو داء يصيب الجلد فيتركه أبيض على غير لونه .

(٣) يريد قوله تعالى: ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله﴾ [آل عمران: ٤٩]،
وقوله: ﴿وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني...﴾ الآية [المائدة: ١١٠] .

(٤) في «ر»: ولا صدقة .

قال محمد: يقال: وَسِن الرجل يوسن وَسَنًا؛ إذا نعس^(١).

﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ كقوله: ﴿ما من شفيع إلا من بعد
إذنه﴾^(٢) (ل ٣٧) وكقوله: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾^(٣).

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ قال الحسن: يعني: أول أعمالهم
وآخرها ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ يعني: ما يعلم الأنبياء من
الوحي ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ [قال قتادة: يعني: ملأ كرسيه
السموات والأرض]^(٤).

يحيى: عن المعلّى بن هلال، عن عمار الدّهني، عن سعيد بن جبير، عن
ابن عباس قال: «إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع القدمين،
ولا يعلم قَدَر العرش إلا الذي خلقه»^(٥).

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (وسن).

(٢) سورة يونس آية: ٣.

(٣) سورة الأنبياء آية: ٢٨.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (٣٠٥ رقم ٣٧) بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (٤٥٤/٢ رقم ١٠٢٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/

٣٩ رقم ١٢٤٠٤) وابن بطة في الإبانة - المختار من الإبانة (٣٣٧ - ٣٣٨ رقم ٢٦٩) من

طريق سفيان الثوري عن عمار الدهني به.

وقال الهيثمي في المجمع (٣٢٣/٦): رجاله رجال الصحيح.

ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (٣٠١/١ رقم ٥٨٦، ٣٠٣/١ - ٣٠٤ رقم ٥٩٠، ٢/

٤٥٤ رقم ١٠٢٠، ٤٧٦/٢ - ٤٧٧ رقم ١٠٩١) وعثمان بن سعيد الدارمي في الرد على

المريسي (٣٩٩/١ - ٤٠٠، ٤١٢، ٤٢٣) وابن خزيمة في التوحيد (٢٤٨/١ - ٢٤٩ رقم

١٥٦ - ١٥٨) وابن أبي حاتم في تفسيره (٤٩١/٢ رقم ٢٦٠١) ومحمد بن عثمان بن أبي

شيبه في العرش (٧٩ رقم ٦١) والدارقطني في الصفات (٣٥ - ٣٦ رقم ٣٦) وأبو الشيخ في

العظمة (٥٥٢/٢ - ٥٥٣ رقم ١٩٦، ٥٨٢/٢ رقم ٢١٦، ٥٨٤/٢ رقم ٢١٧) وابن منده

في الرد على الجهمية (٤٤ - ٤٥ رقم ١٥) والحاكم في المستدرک (٢٨٢/٢) والخطيب =

﴿ولا يثوده حفظهما﴾ قال مجاهد: أي: لا يثقل عليه.

قال محمد: يقول: آدَهُ الشَّيْءُ يَثْوِدُهُ، وفيه لغة أخرى: وَأَدَهُ يَثْوِدُهُ^(١).

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ

فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا

يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ

النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ تفسير سعيد بن جبیر: قال:

كان قومٌ من أصحاب النبي ﷺ استرضعوا أولادهم في اليهود في الجاهلية،

فكبروا على اليهودية؛ فلما جاء الإسلام، وأسلم الآباء، أرادوا أن يكرهوا

أبناءهم على الإسلام فأنزل الله: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾

يعني: الهدى من الضلالة ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ بالشیطان ﴿ويؤمن بالله

فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾ أي: لا انقطاع لها.

= في تاريخه (٢٥١/٩ - ٢٥٢) والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٦/٢) رقم (٧٥٨)

وغيرهم من طريق عمار الدهني عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

ورواه شجاع بن مخلد عن أبي عاصم عن سفيان الثوري، عن عمار الدهني، بهذا الإسناد

مرفوعاً، خرجه ابن منده في الرد على الجهمية (٤٤ - ٤٥ رقم ١٥) والخطيب في تاريخه

(٢٥١/٩) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢٢/١ رقم ٤) وابن مردويه - كما في تفسير

ابن كثير (٣٠٩/١).

قال ابن الجوزي: وهم شجاع في رفعه.

وقال الذهبي في الميزان (٢٦٥/٢): أخطأ شجاع فرفعه.

وأشار إلى ذلك ابن منده والخطيب وغيرهما.

(١) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس المحيط (وآد).

﴿اللَّهُ وَلِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قال الحسن: وليُّ هداهم وتوفيقهم ﴿يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يعني: من الضلالة إلى الهدى ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمُ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ من الهدى إلى الضلالة .

قال محمد: والطَّاغُوتُ ها هنا واحدٌ في معنى جماعة؛ وهذا جائز في اللغة^(١)؛ إذا كان في الكلام دليلٌ على الجماعة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢٥٨)
﴿ألم تر إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك﴾ الذي حاجَّ إبراهيم في ربه هو نُمْرُودُ؛ في تفسير قتادة. قال قتادة: وهو أول ملك تجبرَّ في الأرض، وهو صاحب الصرح [الذي بُني]^(٢) ببابل ﴿إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن نُمْرُودَ دعا برجلين فقتل أحدهما، واستخفى الآخر؛ فقال: أنا أحيي وأميت؛ أي: أستحيي من شئت، وأقتل من شئت ﴿قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ قال محمد: يعني: انقطعت حُجَّتُهُ ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني: المشركين الذين يلقون الله بشركهم؛ أي: لا يهديهم إلى الحجة، ولا يهديهم من الضلالة إلى دينه.

﴿أَو كَالَّذِي مَكَرَ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُعْجِبُ هَٰذَا اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا

(١) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (طغى).

(٢) سقط من الأصل، وأثبت من «ر».

فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

﴿أو كالذي مرَّ على قرية﴾ قال محمد: المعنى: هل رأيت كذلك أو كالذي مرَّ على قرية؟! على طريق التعجب .

﴿وهي خاوية على عروشها﴾ قال محمد: يعني: وهي خرابٌ على سقوفها، والأصل في ذلك أن تسقط السقوف، ثم تسقط الحيطان عليها .

﴿قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها﴾ قال قتادة: هو عزيز، والقرية بيت المقدس بعد ما خرَّبه بُخْتَنَصْرُ، فقال: أنى تُعَمَّرُ هذه بعد خرابها؟! ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ذكر لنا أنه مات ضُحَى، وَبُعِثَ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فقال: لبثت يومًا، ثم التفت، فرأى بقية من الشمس من ذلك اليوم، فقال: أو بعض يوم ﴿قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه﴾ أي: لم يتغيَّر. قال الكلبي: كان معه سلتان: سلة من تين، وسلة من عنب، وزِقٌّ^(١) فيه عصير. ﴿وانظر إلى حمارك﴾ فنظر إلى حماره فإذا هو عظامٌ بالية، فرأى العظام قد تحرَّكت، وسعى بعضها إلى بعض، وجاء الرأس إلى مكانه، ثم رأى العصب والعروق أُلقيت عليها، ثم وُضِعَ عليها اللحم، ثم بُسِطَ عليها الجلد، ثم نُفِخَ فِيهِ الرُّوحُ؛ فإذا هو قائم ينهق فخرًا عزيز ساجدًا ﴿قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ .

(١) أي: إناء. ينظر: لسان العرب، الوسيط (زقق).

قال يحيى: قرأها قوم ﴿ننشزها﴾ بالزاي، وقوم آخرون: ﴿كيف نشزها﴾ وهو أجود الوجهين^(١) وتصديقه في كتاب الله ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾^(٢).
(ل٣٨) قال محمد: من قرأ ﴿ننشزها﴾ بالزاي^(٣)، فالمعنى: نُحْرِك بعضها إلى بعض ونزعه^(٤)؛ ومنه يقال: نشزت المرأة على زوجها^(٥).

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَال بَلَىٰ وَلَكِن لَّيَطْمَنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾ الآية .

قال يحيى: بلغنا أن إبراهيم عليه السلام خرج يسير على حمار له؛ فإذا هو بجيفة دابة يقع عليها طير السماء، فيأخذ منها بضعة بضعة، وتأتيها سباع البر؛ فتأخذ منها عضواً عضواً، ويقع من أفواه الطير اللحم، فتأخذه الحيتان.
فقام إبراهيم عليه السلام متعجباً، فقال: يا رب، أرني كيف تحيي الموتى؟!
﴿قال أو لم تؤمن قال بلى﴾ يارب، قد آمنت، ولكن لأعلم؛ حتى يطمئن قلبي - يعني: يسكن - كيف تجمع لحم هذه الدابة بعد ما أرم^(٦).
فقال له: ﴿فخذ أربعة من الطير فصرهنَّ إليك﴾ قال محمد: يعني:

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) سورة عبس: ٢٢ .

(٣) قرأ أبو عمرو وابن كثير ونافع «نشزها» بالراء، وقرأ الباقون «نشزها» بالزاي. ينظر: السبعة (١٨٩)، التيسير (٨٢)، النشر (٢٣١/٢).

(٤) ينظر الدر المصون (٦٢٧/١).

(٥) ينظر: لسان العرب، المصباح المنير (نشز).

(٦) أي: فسد، وصار رمةً. ينظر لسان العرب (أرم، رمم) وكُتِبَتْ في الأصل: أرى. وهو خطأ.

فَضَّمَهُنَّ إِلَيْكَ؛ تقول: صُرْتُ الشيء فانصار؛ أي: أملتَه فمال^(١).
 ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ قال محمد: يعني: فقطعهن، ثم
 اجعل على كل جبلٍ منهن جزءًا؛ فاختصر «فقطعهن».
 ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ﴾ قل: تعالين بإذن الله يأتينك ﴿سَعِيًّا﴾ أي: مشيًا على
 أرجلهن.

قال يحيى: فأخذ أربعة أطيّار مختلفة ألوانها وأسماؤها وريشها، أخذ ديكًا
 وطاوسًا وحمامةً وغرابًا؛ فقطع أعناقها^(٢)، ثم خلط ريش بعضها ببعض،
 ودماء بعضها ببعض، ثم فرّق بينها على أربعة أجبلٍ؛ فنوديت من السماء
 بالوحي أيتها العظام المتفرقة، وأيتها اللحوم المتمزقة، وأيتها العروق المتقطعة
 اجتمعي يرجع الله فيك أرواحك، فجعل يجري الدم إلى الدم، وتطير الريشة
 إلى الريشة، ويثبُ العظم إلى العظم؛ فعلق عليها رؤوسها، وأدخل فيها
 أرواحها؛ فقيل: يا إبراهيم إن الله حين خلق الأرض وضع بيته في وسطها،
 وجعل الأرض أربع زوايا، والبيت أربعة أركان؛ كل ركن في زاوية من زوايا
 الأرض؛ فأرسل عليها من السماء أربعة أرياح: الشّمال^(٣)، والجَنُوب^(٤)،
 والدَّبُور^(٥)، والصبّا^(٦)؛ فإذا نفخ في الصور يوم القيامة، اجتمعت أجسادُ
 القتلى والهلّكى من أربعة أركان الأرض، وأربع زواياها كما اجتمعت أربعة

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (صير).

(٢) في الأصل: أعناقهما. على التثنية. وهو خطأ. وفي «ر»: أعناقهن.

(٣) الشمال: الريح التي تهب من جهة الشمال؛ ولذا سميت بهاء ينظر اللسان (شمل).

(٤) الجنوب: الريح التي تهب من جهة الجنوب؛ ولذا سميت بهاء ينظر اللسان (جنب).

(٥) الدبور: الريح التي تهب من المغرب. ينظر اللسان، الوسيط (دبر).

(٦) الصّبّا: الريح التي تهب من مشرق الشمس إذا استوى الليل والنهار. ينظر: اللسان، الوسيط (صبو).

أطيار من أربعة أجبل.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١٧) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢١٨﴾

﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ...﴾ الآية.

يحيى: عن المعلّى بن هلال، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: بلغنا أنه من جهّز غيره بماله في سبيل الله، كان له بكل درهم سبعمائة ضعف، ومن خرج بنفسه وماله - كُتِبَ له بكل درهم سبعمائة ضعف، وبكل ضعف سبعون ألف ضعف.

﴿الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله﴾ يعني: في طاعة الله ﴿ثم لا يتبعون ما أنفقوا مَنًّا ولا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ تفسير قتادة: قال: علم الله أن ناساً يمتنون في عطيتهم، فنهى عن ذلك .

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (٢١٧) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلَوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيقًا وَالنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢١٨﴾

﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: حسن ﴿ومغفرةٌ خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أَذًى﴾ أي: يمنٌ بها على من تصدق عليه بها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ تفسير الحسن: قال: كان بعض المؤمنين يقول: فعلت كذا، وانفقت كذا؛ فقال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ فيصير مثلكم فيما يحبطه الله من أعمالكم ﴿كَالَّذِي يَنْفَقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ وهو المنافق ﴿فَمِثْلُهُ كَمِثْلِ صَفْوَانَ عَلَيْهِ تَرَابٌ﴾ قال قتادة: الصفوان: الحجر ^(١) ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطرٌ شديد ^(٢) ﴿فَفَرَّكَ صَلْدًا﴾ أي: نقيًا ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ هذا مثلٌ ضربه الله - تعالى - لأعمال الكفار يوم القيامة؛ يقول: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ يومئذ؛ كما ترك المطر الواابل هذا الحجر ليس عليه شيء.

﴿وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمِثْلِ جَنَّةٍ بَّرِيَّةٍ أَسَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ^(٣٩٥) أَبَدُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَسَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ^(٣٩٦)

﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم﴾ ^(٣٩٥) قال الحسن: يعني: احتساباً فمثلهم في نفقتهم ﴿كمثل جنة بربوة﴾ يعني: مكاناً مرتفعاً من الأرض ﴿أصابها وابلٌ فأتت أكلها ضعفين﴾ أي:

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (صفو).

(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (وبل).

مرتين ﴿فَإِنْ لَمْ يَصْنَعِهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ﴾ الطل: أضعف من المطر^(١). قال الحسن: يقول: لا يخلف خيرها على كل حال؛ فكذلك لا يخلفهم الله نفقتهم أن يصيبوا منها خيراً.

﴿أَيُّوْذُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ...﴾ إلى قوله: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ قال مجاهد: يعني: ريحاً شديدة فيها سموم ﴿فَاحْتَرَقَتْ﴾ يقول: أَمِنْكُمْ مَنْ يُوْذُ ذَلِكَ؟! أي: ليس منكم من يوده فاحذروا ألا تكون منزلتكم عند الله كذلك؛ أحوج ما تكونون إلى أعمالكم يُخْبِطُهَا وَيَبْطِلُهَا؛ فلا تقدرون منها على شيء؛ وهذا مثلُ المفرط في طاعة الله حتى يموت.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ

حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ تفسير الحسن: هذا في النفقة الواجبة؛ كانوا يتصدقون بأزدي دراهمهم، وأردإ طعامهم؛ فنهاهم الله عن ذلك؛ فقال: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ﴾ وهو الرديء ﴿مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ قال محمد: ﴿لَا تَيَمَّمُوا﴾ يعني: لا تقصدوا^(٢) ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾ تفسير الكلبي: يقول: لو كان لبعضكم على بعض حق فأعطي دون حقه - لم يأخذه منه، إلا أن يرى أنه قد تغامض له عن بعض حقه؛ وكذلك [قول]^(٣) الله لا تستكملوا الأجر كله، إلا أن يتغمدكم منه برحمة ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ غني عما

(١) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (طلل).

(٢) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، الوسيط (يمم).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

عندكم لَمَنْ بَخِلَ بِصَدَقَتِهِ، حَمِيدٌ لَمَنْ احْتَسَبَ بِصَدَقَتِهِ.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٦٨) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ يخبرهم أنهم حين ينفقون الرديء إنما هو ما يلقي الشيطان في قلوبهم من الفقر ﴿والله يعدكم﴾ على ما تنفقون ﴿مغفرة منه﴾ لذنوبكم ﴿وفضلاً﴾ قال الحسن: يعني: جنة ﴿والله واسع عليم﴾ واسع لخلقه، عليم بأمرهم.

قوله: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء﴾ يعني: الفقه في القرآن ﴿وما يذكر إلا أولو الأبواب﴾ أولو العقول؛ وهم المؤمنون ﴿وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه﴾ يعني: يحصيه ﴿وما للظالمين﴾ المشركين ﴿من أنصار﴾.

﴿إن تبدوا الصدقات﴾ يعني: الزكاة ﴿فنعماً هي وإن تخفوها﴾ يعني: صدقة التطوع ﴿وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وتكفر عنكم من سيئاتكم﴾.

قال محمد: القراءة ﴿تكفر﴾ بالجزم^(١)؛ على موضع ﴿خير لكم﴾؛ لأن المعنى يكن خيراً لكم.

(١) قرأ أبو عمرو وابن كثير وأبو بكر بن عاصم «تكفر» بالنون والرفع، وقرأ حمزة ونافع والكسائي «تكفر» بالنون والجزم، وقرأ ابن عامر وحفص عن عاصم «يكفر» بالياء والرفع. ينظر: السبعة (١٩١)، التيسير (٨٤)، النشر (٣٦/٢).

قال يحيى: وسمعتهم يقولون: يستحب أن تكون الزكاة علانية، وصدقة التطوع سراً.

يحيى: عن مالك بن سليمان، عن الحسن، عن كعب بن عجرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا كعبُ بنُ عَجْرَةَ؛ الصلاةُ برهان، والصومُ جَنَّةٌ، والصدقةُ تطفئُ الخطيئةَ كما يطفئُ الماءُ النارَ. يا كعبُ بنُ عَجْرَةَ؛ الناسُ غاديان: فغادٍ فمشتَرٍ رقبتهُ فمُعْتَقُها، وغادٍ فبائعُ رقبتهِ فمُؤَبَّقُها»^(١)»^(٢).

(١) أي: مهلكها. ينظر لسان العرب (ويق)

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٦٠/١٩ رقم ٣٥٧) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/ ١٨٨) من طريق الحسن مختصراً.

ورواه الترمذي (٥١٢/٢ - ٥١٤ رقم ٦١٤، ٦١٥) والطبراني في الكبير (١٩/١٠٥ - ١٠٦ رقم ٢١٢) من طريق طارق بن شهاب عن كعب بن عجرة.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث عُبيد الله بن موسى، وأيوب بن عائذ الطائي يضعف، ويقال: كان يرى رأي الإرجاء، وسألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه إلا من حديث عُبيد الله بن موسى، واستغربه جداً.

ورواه الطبراني في الكبير (١٩/١٦٢ رقم ٣٦١) والأوسط (٣/١٣٩ - ١٤٠ رقم ٢٧٣٠) وابن حبان (١/٣٧٨ - ٣٧٩ رقم ٥٥٦٧) من طريق أبي بكر بن بشير عن كعب بن عجرة. وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٢٣١): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات.

ورواه الطبراني في الصغير (١/٢٢٤ - ٢٢٥) والكبير (١٩/١٣٥ - ١٣٦ رقم ٢٩٨) من طريق عاصم العدوي عن كعب بن عجرة.

ورواه الطبراني في الكبير (١٩/١٤١ رقم ٣٠٩) من طريق الشعبي عن كعب بن عجرة. ورواه ابن عبد البر في التمهيد (٢/٣٠٣) من طريق المثني بن الصباح، عن عطاء بن عباس، عن كعب بن عجرة، وقال ابن عبد البر: المثني بن الصباح ضعيف الحديث لا حجة في نقله.

ورواه عبد الرزاق (١١/٣٤٥ - ٣٤٦ رقم ٢٠٧١٩) وأحمد (٣/٣٢١) وعبد بن حميد (٣٤٥ رقم ١١٣٨) وأبو يعلى (٣/٤٧٥ - ٤٧٦ رقم ١٩٩٩) وابن حبان (٥/٩ رقم ١٧٢٣) والحاكم (٤/٤٢٢) وغيرهم عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لكعب بن عجرة، فذكره.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه مسلم (١/٢٠٣ رقم ٢٢٣) عن أبي مالك الأشعري بنحوه.

﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُّوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (١٧٧) ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ (١٧٨) ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٩)

﴿ليس عليك هداهم...﴾ الآية تفسير قتادة: قال: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ قَالَ: [ليس علينا هدى] (١) على من ليس من أهل ديننا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلا أنفسكم﴾.

قال يحيى (٢): فهذه الصدقة التي هي على غير المسلمين هي تطوع، ولا يُغَطُّونَ مِنَ الْوَاجِبِ شَيْئًا.

﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ قال الحسن: أَحْصَرَهُمُ الْفَقْرُ، وَهُمْ أَهْلُ تَعَفُّفٍ ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بِفَقْرِهِمْ ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا أَي: إِلْحَاقًا. قال مجاهد: هم مهاجرو قريش بالمدينة مع النبي ﷺ أَمَرَ اللَّهُ بِالْصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ.

(١) في الأصل: أتصدق. والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: الحسن.

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ الآية نزلت في علف الخيل .
 ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢٧٥)

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ يعني: من قبورهم يوم القيامة ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ يعني: الحَبَل [يعني مجنون، تقول: رجل مجنون، أي: مخبول؛ كذلك أكل الربا] (١).

يحيى: عن حماد [عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى] (٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِي (ل ٤٠) بِهِ، فَكَانَ فِي حَدِيثِهِ: «فَإِذَا أَنَا بِرَجَالٍ بَطُونُهُمْ كَالْبَيْوتِ، يَقُومُونَ فَيَقْعُونَ لظُهُورِهِمْ وَلِبْطُونِهِمْ. فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيلُ؟! فَقَالَ: هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا...﴾ الآية» (٣).

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» وسيأتي هذا الحديث بإسناده في تفسير سورة الإسراء مطولاً جداً.

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في إتحاف الخيرة (١/١٤٧ - ١٥٠ رقم ١٤٦) - عن داود بن المحبر عن حماد بن سلمة بنحوه في حديث طويل.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٣٦٥ - ٣٧٠) والطبري في تفسيره (١٥/١١ - ١٤) وابن

أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٣) - والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٩٠ -

٣٩٦) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/٥٠٩ - ٥١٦) والبخاري في تفسيره

(١/٣٤١) والأصبهاني - كما في الترغيب والترهيب (٣/٩) - من طرق عن أبي هارون

وقوله: ﴿ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾ هو الذي كانوا يعملون به في الجاهلية؛ إذا حُلَّ دَيْنٌ أحدهم على صاحبه، قال المطلوب: أخْرني^(١) وأزِيدك؛ فكانوا في الإسلام إذا فعلوا ذلك، قال لهم المسلمون: إِنَّ هذا رِبًا. قالوا: لا، سواء علينا زدنا في أول البيع، أو عند محلّ الأجل؛ فأكذبهم الله؛ فقال: ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه﴾ يعني: البيان الذي في القرآن في تحريم الربا ﴿فانتهى فله ما سلف﴾ أي: غفر الله له ما سلف ﴿وأمره إلى الله﴾ إن شاء عصمه منه بعد، وإن شاء لم يفعل ﴿ومن عاد﴾ فاستحلّ الربا ﴿فأولئك أصحاب النار﴾.

قال محمّد: المعنى: من استحلّ الربا وقال: هو مثلُ البيع، واعتقد ذلك بعد نهي الله عنه - فهو كافر.

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٢٦) إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٢٧﴾

= وضعفه البيهقي، وقال المنذري في الترغيب (٩/٣): رواه الأصبهاني أيضًا من طريق أبي هارون العبدى واسمه عمارة بن جوين، وهو واه. وقال الذهبي في السيرة النبوية (٢٢٥ - ٢٢٦): هذا حديث غريب عجيب، وبسياق مثل هذا الحديث صار أبو هارون متروكًا. وذكر ابن كثير في تفسيره (١٣/٣) أن فيه غرابة ونكارة، وأن أبا هارون العبدى اسمه عمارة ابن جوين مضعف عند الأئمة. وقال البوصيري في الإتحاف (١/١٥٠): هذا حديث مداره على أبي هارون العبدى، وهو ضعيف.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (١٥٨/٤) لابن المنذر وابن مردويه أيضًا.

(١) في الأصل: آخر عني. والمثبت من «ر».

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ يعني: يَمْحَقُهُ يوم القيامة، فيبطله ﴿ويربي الصدقات﴾ لأهلها؛ أي: يضاعفها.

يحيى: عن عثمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، ما تصدَّق عبدٌ بصدقةٍ فتقع في يد السائل؛ حتى تقع في يد الله، ثمَّ يُرَبِّيها لصاحبها كما يُرَبِّي أحدكم فلوله^(١) أو فصيلة^(٢)؛ حتى تصير اللقمة مثل أحد»^(٣).

﴿والله لا يحب كلَّ كفارٍ أثيم﴾ والكفر أعظم الإثم ﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعني: ما افترض الله عليهم ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ يعني: الجنة ﴿ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾ على الدنيا.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا

(١) الفلول: هو المهر الصغير. وقيل غير ذلك. ينظر لسان العرب (فلول).

(٢) الفصيل: ولد الناقة. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (فصل).

(٣) رواه ابن خزيمة في التوحيد (١٣٨/١ - ١٣٩ رقم ٧٣، ٧٤) من طريق سعيد بن أبي سعيد المقبري.

ورواه مسلم (٧٠٢/٢ رقم ١٠١٤) وابن منده في الرد على الجهمية (٧٢ رقم ٤٣، ٧٦ -

٧٧ رقم ٥٠) من طريق سعيد المقبري عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة.

وقال ابن منده: وهذا حديث ثابت باتفاق، وله طرق عن أبي هريرة، منها أبو صالح السمان وأبو سعيد الخدري.

قلت: طريق أبي صالح عن أبي هريرة، رواه البخاري (٣٢٦/٣ رقم ١٤١٠) ومسلم (٢/٧٠٢ رقم ٦٤/١٠١٤).

ومن طرقه أيضًا حفص بن عاصم، والقاسم بن محمد، وأبو سلمة، كلهم عن أبي هريرة، وقد خرجتها في تخريجي لكتاب «التوحيد» لابن خزيمة.

تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾ يعني: ما بقي مما أربوا فيه في الجاهلية ألا يأخذه، وما أخذوا قبل إسلامهم فهو حلال لهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ يعني: إذ كنتم مؤمنين.

﴿فإن لم تفعلوا فأذنوا بحربٍ من الله ورسوله﴾ أي: فاعلموا أنكم بحربٍ من الله ورسوله، وأنكم مشركون.

قال محمد: من قرأ ﴿فأذنوا﴾ غير موصولة فهو من: أذن يؤذن؛ أي: أعلم، ومن قرأها موصولة فهي من: أذن يأذن؛ إذا أصغى للشيء وسمعه^(١).

﴿وإن تبتم﴾ أي: أسلمتم ﴿فلكم رءوس أموالكم﴾ يقول: يبطل الفضل إذا كان بقي دينًا على المطلوب ﴿لا تظلمون﴾ فتأخذون الفضل ﴿ولا تظلمون﴾ من رءوس أموالكم شيئًا.

﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة﴾.

قال محمد: ﴿ذو عسرة﴾ بالرفع؛ هو على معنى: فإن وقع ذو عسرة^(٢).

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله من يسر على معسر، أو محا عنه»^(٣).

(١) قرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم «فأذنوا»، وقرأ الباقون «فأذنوا» ينظر: السبعة (١٩٢) التيسير (٨٤)، النشر (٢٣٦/٢).

(٢) ينظر إعراب القرآن (٢٩٥/١) البحر المحيط (٣٤٠/٢)، الدر المصون (١/٦٦٨).

(٣) لم أقف عليه بهذا الإسناد، والله أعلم.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أنظر معسراً، أو وضع له، أظله الله في ظلّه يوم القيامة»^(١).

قوله: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرَ لَكُمْ﴾ [قال الحسن]^(٢) أي: خير لكم في يوم ترجعون فيه إلى الله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ يعني: لا ينقصون؛ يعني: المؤمنين يوفون حسناتهم يوم القيامة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا

(١) رواه أحمد (٣٥٩/٢) والترمذي (٥٩٩/٣) رقم (١٣٠٦) والبيهقي في الشعب (٥٣٥/٧) رقم

(١١٢٤٩) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ورواه مسلم (٢٣٠٢/٤) رقم (٣٠٠٦) عن أبي اليسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وفي الباب عن عدة من الصحابة، انظر الدر المنثور (٣٨٠/١ - ٣٨١).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَعَلِمَكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨١﴾

﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾ أي: لا يزيد على المطلوب، ولا ينقص من حق الطالب ﴿ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله﴾ الكتابة، وترك غيره فلم يعلمه ﴿فليكتب وليملل الذي عليه الحق﴾ يعني: المطلوب ﴿وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً﴾ (ل ٤١) أي: لا ينقص من حق الطالب ^(١) ﴿فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً﴾ [يعني: جاهلاً] ^(٢) ﴿أو ضعيفاً﴾ يعني: في عقله ﴿أو لا يستطيع أن يمل هو﴾ يعني: الذي عليه الحق ﴿فليملل وليه﴾ أي: ولي الحق ﴿بالعدل﴾ لا يزداد شيئاً.

قوله: ﴿أن تضل إحداهما﴾ أي: تنسى إحداهما الشهادة ﴿فتذكر إحداهما الأخرى﴾ أي: تذكر التي حفظت شهادتها الأخرى.

قال محمد: من قرأ ﴿أن تضل﴾ بفتح الألف ^(٣)؛ فعلى معنى: من أجل أن تضل؛ كذلك قال قُطْرِب ^(٤)، ولغيره من النحويين فيه قول غير هذا ^(٥)؛ فالله أعلم.

(١) في «ر»: المطلوب وهو خطأ.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) قرأ حمزة «إن تضل» بكسر الهمزة، وقرأ الباقون «أن تضل» بفتحها. ينظر السبعة (١٩٤)، التيسير (٨٥)، النشر (٢٣٧/٢).

(٤) هو: محمد بن المستنير أبو علي النحوي، من تلاميذ سيويه توفي (٢٠٦هـ) ينظر: إنباء الرواة (٢١٩/٣)، طبقات النحويين واللغويين (٩٩ - ١٠٠).


(٥) ينظر تفصيل ذلك في إعراب القرآن (٢٩٨/١)، البحر (٣٤٨/٢)، الدر المصون (١/ ٦٧٦).

﴿وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ تفسير قتادة: قال: كان الرجل يأتي الحي العظيم يطلب منهم من يشهد، فلا يتبعه منهم رجل، فنهى عن ذلك. قال الحسن: وإن وجد غيره فهو واسع. ﴿وَلَا تَسَامُوا﴾ أي: لا تملوا ﴿أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ يعني: الحق. ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ﴾ أي: أعدل ﴿وَأَقُومُوا لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أصوب ﴿وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي: أجدر ألا تشكوا؛ إذا كان ذلك مكتوبًا ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً^(١) حَاضِرَةً﴾ أي: حالة تديرونها بينكم ﴿لَيْسَ فِيهَا أَجَلٌ﴾ فليس عليكم جناح ﴿حَرَجٌ﴾ ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ﴿يعني: أشهدوا على حقكم؛ كان فيه أجل أو لم يكن. قال الحسن: وهذا منسوخ؛ نسخه ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(٢).

﴿وَلَا يَضَارَ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ تفسير مجاهد: لا يقام عن شغله وحاجته، فيجد في نفسه، أو يخرج.

قال يحيى: وبلغني عن عطاء؛ أنه قال: هي في الوجهين جميعًا إذا دعي ليشهد، أو ليشهد بما عنده.

﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ أي: تضاروا الكاتب والشاهد ﴿فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ﴾ أي: معصية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي: لا تعصوه فيهما.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّائِمُّ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾^(٣)  ^(٣) وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ

(١) هكذا ضبطت في الأصل و«ر» بالرفع، وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا؛ فقد قرأ بالنصب. ينظر: السبعة (١٩٤)، التيسير (٨٥)، النشر (٢٣٧/٢).

(٢) البقرة: ٢٨٣. وينظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (٢٧).

تُخَفُّوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿٢٨٨﴾

﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهاناً مقبوضة فإن أمن بعضكم بعضاً﴾ يعني: فإن كان الذي عليه الحق أميناً عند صاحب الحق، فلم يرتهن منه في السفر؛ لثقت به ﴿فليؤد الذي أوتمن أمانته﴾ أي: ليؤد الحق الذي عليه.

﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ أي: عند الحكام ﴿ومن يكتمها﴾ فلا يشهد؛ إذا دُعي ﴿فإنه آثم قلبه﴾.

يحيى: عن المبارك، عن الحسن قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يمنع أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق إذا شهد أو علمه»^(١).

(١) رواه أحمد (٥٠/٣، ٧١) وأبو يعلى (٥٣٦/٢ - ٥٣٩ رقم ١٤١١) والطبراني في الأوسط (١٦٢/٣ رقم ٢٨٠٤) من طريق الحسن به.

ورواه أحمد (٥/٣، ١٩، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥٣، ٨٤، ٨٧، ٩٢) والطبراني (٢٨٦ رقم ٢١٥١، ٢٨٧ رقم ٢١٥٨) وعبد الرزاق (٣٤٦/١١ - ٣٤٧ رقم ٢٠٧٢٠) والترمذي (٤/٤١٩ - ٤٢٠ رقم ٢١٩١) وابن ماجه (١٣٢٨/٢ رقم ٤٠٠٧) وابن حبان (١/٥٠٩ رقم ٢٧٥، ١/٥١١ - ٥١٢ رقم ٢٧٨) والطبراني في الأوسط (١٤٤/٥ - ١٤٥ رقم ٤٩٠٦) والبيهقي في سننه (٩٠/١٠) من طريق أبي نضرة عن أبي سعيد. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه أحمد (٤٧/٣ - ٤٨، ٧٣) وعبد بن حميد (٣٠٠ - ٣٠١ رقم ٩٧٢، ٩٧١) وابن ماجه (٢/١٣٢٨ رقم ٤٠٠٨) والدارقطني في العلل (٣٥٤/١١) من طريق أبي البختري عن أبي سعيد. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/٢٤٢ رقم ١٤٠٩): هذا إسناد صحيح. ورواه أحمد (٨٤/٣) والطبراني (٢٩٣ رقم ٢٢٠٦) عن أبي البختري عن رجل عن أبي سعيد.

وصحح الدارقطني في العلل (١١/٣٥٣ - ٣٥٤ رقم ٢٣٣٦) هذا الطريق.

﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ تفسير قتادة: قال: نزلت هذه الآية، فكبرث عليهم، فأنزل الله بعدها آية فيها يُسرّ وتخفيف؛ فنسختها ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت﴾^(١) أي: من خير ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ أي: من شر.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل به أو تتكلم به»^(٢).

﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا يَفِرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ أَحَدٌ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٢٨٥) لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به وأعف عنا وأعفر لنا وأرحمنا أنت مولانا فانصربنا على القوم الكافرين

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه...﴾ الآية قال الحسن: هذا دعاء أمر الله رسوله والمؤمنين أن يدعوا به ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ إلا طاقتها؛ وهذا في حديث النفس ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ قوله: ﴿إن نسينا﴾ هذا فيما يتخوف فيه العبد المأثم؛ أن ينسى أن يعمل بما أمر به،

(١) البقرة: ٢٨٦. وينظر الناسخ والمنسوخ (٢٧ - ٢٨).

(٢) رواه مسلم (١١٦/١ - ١١٧ رقم ١٢٧ / ٢٠٢) من طريق سعيد وهو ابن أبي عروبة. ورواه البخاري (١٩٠/٥ رقم ٢٥٢٨، ٩/٣٠٠ رقم ٥٢٦٩، ١١/٥٥٧ رقم ٦٦٦٤) ومسلم (١١٦/١ - ١١٧ رقم ١٢٧) من طرق عن قتادة.

أو ينسى فيعمل بما نُهي عنه ﴿أو أخطأنا﴾ هذا فيما يتخوف فيه العبد المأثم؛ أن يخطئ، فيكون منه أمرٌ يخاف فيه المأثم لم يتعمده.

﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ أي: ثقلاً^(١) ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ يعني: ما كان شديداً به على بني إسرائيل؛ وكان من ذلك الإصر ما كان حرم عليهم من الشحوم، وكل ذي ظفر، وأمر السبب، وكل ما كان عهد إليهم ألا يفعلوه مما أجل لنا ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ يعني: الوسوسة؛ في تفسير ابن عباس.

يحيى: عن المبارك، عن أبي هريرة^(٢) «أن رجلاً قال: يا رسول الله (٤٢ل) إني لأحدث نفسي بالشيء ما يسرني أني تكلمت به، وأن لي الدنيا. قال: ذلك محض الإيمان^(٣)»^(٤).

﴿واعف عنا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصِرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال الحسن: هذا دعاء أمر الله به النبي ﷺ والمؤمنين، وقد أخبر الله النبي أنه قد غفر له.

يحيى: عن هشام، عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب

(١) ينظر لسان العرب، المصباح المنير، مختار الصحاح (إصر).

(٢) في ر: عن الحسن. والمبارك هو ابن فضالة روايته عن الحسن مشهورة، والحديث عن أبي هريرة مشهور، والله أعلم.

(٣) وفي صحيح مسلم: «صريح الإيمان» قال ابن الأثير في النهاية (٢٠/٣): أي كراهتم له وتقاديكم منه صريح الإيمان، والصريح: الخالص من كل شيء، وهو ضد الكناية، يعني أن صريح الإيمان هو الذي يمنعكم من قبول ما يلقيه الشيطان في أنفسكم حتى يصير ذلك وسوسة لا تتمكن في قلوبكم ولا تطمئن إليه نفوسكم، وليس معناه أن الوسوسة نفسها صريح الإيمان؛ لأنها إنما تتولد من فعل الشيطان وتسويله، فكيف يكون إيماناً صريحاً.

(٤) رواه مسلم (١١٩/١ رقم ١٣٢) عن أبي صالح عن أبي هريرة.

ورواه مسلم (١١٩/١ رقم ١٣٣) عن ابن مسعود.

كتابًا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي سنة، فوضعه تحت العرش،
فأنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة؛ لا تقرأن في بيت، فيقر به الشيطان
ثلاث ليال: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه...﴾ إلى آخر السورة^(١).

(١) رواه الإمام أحمد (٤/٤٧٢) والترمذي (٥/١٤٧ رقم ٢٨٨٢) والنسائي في الكبرى (٦/٢٤٠ -
رقم ١٠٨٠٢، ١٠٨٠٣) والدارمي في مسنده (٢/٥٤٢ رقم ٣٣٨٧) وابن حبان (٣/٦١ -
رقم ٧٨٢) والحاكم في المستدرک (١/٥٦٢، ٢/٢٦٠) والبيهقي في الأسماء والصفات
(١/٥٦٤ - ٥٦٥ رقم ٤٩٠) والبخاري في شرح السنة (٤/٤٦٦ - ٤٦٧ رقم ١٢٠١) عن
النعمان بن بشير.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وقال البخاري: هذا حديث غريب.

تفسير سورة آل عمران
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ قوله: ﴿الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ «الحي» الذي لا يموت، «القيوم» قال الحسن: يعني: القائم على كل نفس بكسبها حتى يجزيها به ﴿نزل عليك الكتاب﴾ القرآن ﴿بالحق مصدقاً لما بين يديه﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿وأنزل التوراة والإنجيل من قبل﴾ يعني: من قبل القرآن ﴿هدى للناس﴾ يعني: أنزل هذه الكتب جميعاً هدى للناس ﴿وأنزل الفرقان﴾ تفسير قتادة: فرق الله في الكتاب بين الحق والباطل.

﴿إن الذين كفروا بآيات الله﴾ تفسير الحسن: يعني: بدين الله. ﴿والله عزيز﴾ في نعمته ﴿ذو انتقام﴾ من أعدائه ﴿هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء﴾ كقوله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ (١).

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَةٌ فَأَمَّا

الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُفِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ تفسير مجاهد: ﴿هن أم الكتاب﴾، يعني: ما فيه من الحلال والحرام، وما سوى ذلك منه المتشابه.

﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ...﴾ الآية. كان الحسن يقول: نزلت في الخوارج. قال الحسن: ومعنى ﴿ابتغاء الفتنة﴾: طلب الضلالة. قال محمد: الفتنة تتصرف على ضروب^(١)؛ فكان الضرب الذي ابتغاه هؤلاء إفساد ذات البين في الدين، ومعنى ﴿الزيغ﴾: الجور، والميل عن القصد^(٢).

يحيى: عن الحارث بن نبهان، عن أيوب، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية، فقال: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين سَمَى الله؛ فإذا رأيتموهم، فلا تجالسوهم، أو قال: احذروهم»^(٣).

(١) أي: تأتي في اللغة على عدة معانٍ، فتطلق على: الابتلاء، والاضطراب وبليلة الأفكار، والعذاب، والضلal، والإعجاب بالشيء. وغير ذلك. ينظر لسان العرب (فتن).

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (زيغ).

(٣) لم أقف عليه من حديث ابن عباس، إنما وقفت عليه من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بهذا الإسناد، والله أعلم.

يحيى: وفي تفسير ابن عباس: قال: نزل القرآن على أربعة أوجه: حلالٌ وحرامٌ لا يسع الناسَ جهله، وتفسير يعلمه العلماء، وعربيةٌ تعرفها العرب، وتأويل لا يعلمه إلا الله.

يقول الراسخون في العلم: ﴿آمنا به كلٌّ من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ أولو العقول؛ وهم المؤمنون.

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا...﴾ الآية. قال الحسن: هذا دعاء، أمر الله المؤمنين

= فرواه الإمام أحمد (٤٨/٦) وعبد الرزاق في تفسيره (١١٦/١) وإسحاق بن راهويه في مسنده (٦٤٨/٣ - ٦٤٩ رقم ١٢٣٥، ١٢٣٦) وابن ماجه (١٨/١ رقم ٤٧) وابن أبي عاصم في السنة (٩/١ رقم ٦) والطبري في تفسيره (١٧٨/٣ - ١٧٩) والطحاوي في مشكل الآثار (٣٣٥/٦ رقم ٢٥١٦) وابن حبان (٢٧٧/١ - ٢٧٨ رقم ٧٦) والآجري في الشريعة (١/١٤٣ رقم ٤٤، ٢٠٩/١ رقم ١٥٧ - ١٥٩) والبيهقي في الدلائل (٥٤٦/٦) من طرق عن أيوب السختياني، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها.

ورواه الترمذي (٢٠٧/٥ رقم ٢٩٩٣) والطبري في تفسيره (١٧٩/٣) والطحاوي في المشكل (٢٥١٥ رقم ٣٣٤/٦) والطبراني في الأوسط (٣٤١/٣ - ٣٤٢ رقم ٣٣٤٤) من طرق عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه البخاري (٥٧/٨ رقم ٤٥٤٧) ومسلم (٢٠٥٣/٤ رقم ٢٦٦٥) والترمذي (٢٠٧/٥ رقم ٢٩٩٤) من طريق يزيد بن إبراهيم التستري عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد عن عائشة بزيادة القاسم بن محمد بين ابن أبي مليكة وعائشة، والله أعلم.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وزوي عن أيوب عن ابن أبي مليكة عن عائشة، هكذا روى غير واحد هذا الحديث عن ابن أبي مليكة عن عائشة، ولم يذكروا فيه عن القاسم ابن محمد، وإنما ذكر يزيد بن إبراهيم التستري «عن القاسم» في هذا الحديث، وابن أبي مليكة هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، سمع من عائشة أيضًا.

قلت: وتابع يزيد التستري عليه حماد بن سلمة، عند الإمام أحمد (١٢٤/٦، ١٣٢) والطيلاسي (٢٠٣ رقم ١٤٣٢) وإسحاق بن راهويه (٣٨٩/٢ رقم ٩٤١) والدارمي رقم (١٤٥) وابن أبي عاصم في السنة (٩/١ رقم ٥) والطبري في تفسيره (١٨٠/٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٥/٢ رقم ٣١٨٤).

أن يدعوا به .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ أي : لن تنفعهم ﴿وأولئك هم وقود النار﴾ يعني : حطبها .

﴿كَذَابَ آلَ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (١١) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِیِ النَّفْتَا فِئَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَىٰ الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (١٣)

﴿كذاب آل فرعون والذين من قبلهم...﴾ الآية .

قال الحسن : هذا مثلٌ ضربه الله لمشركي العرب ؛ يقول : كفروا ، وصنعوا كصنيع آل فرعون والذين من قبلهم من الكفار ﴿فأخذهم الله بذنوبهم﴾ فهزمهم يوم بدر ، وحشرهم إلى جهنم .

قال محمد : الدَّابُّ في اللغة : العادة ؛ يقال : هذا دأبه (١) .

﴿قد كان لكم آية في فتنتين التقتا﴾ وهما فتنة بدر؛ فتنة المؤمنين ، وفتنة مشركي العرب .

﴿يرونهم مثليهم رأي العين﴾ قال الحسن : يقول : قد كان لكم أيها المشركون آية (٤٣) في فتتكم ، وفتنة رسول الله ﷺ وأصحابه ؛ إذ ترونهم مثليكم رأي العين ؛ لما أراد الله أن يُزعِبَ قلوبهم ، ويخذلهم

(١) لسان العرب ، مختار الصحاح ، القاموس المحيط (دأب) .

ويخزيهم، وكان مع رسول الله ﷺ الملائكة وجبريل، يقول: لقد كان لكم في هؤلاء عبرة ومتفكر؛ أيدهم الله، ونصرهم على عدوهم ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ وهم المؤمنون.

قال قتادة: وكان المشركون ألفوا^(١) يوم بدر، أو قاربوا الألف، وكان أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً.

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ﴾ (١٤)

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ قال محمد: هو كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (٢).

﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ [قال قتادة]^(٣) يعني: المال الكثير بعضه على بعض ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ قال الحسن: يعني: الراعية.

قال محمد: يقال: سامت الخيل، فهي سائمة؛ إذا رعت، وسومتها فهي مسومة؛ إذا رعيته^(٤) ﴿وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المتاع: ما يُسْتَمْتَعُ به، ثم يذهب.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَقَابِ﴾ المرجع للمؤمنين؛ يعني: الجنة.

(١) أي: كان عددهم ألفاً؛ يقال: ألف الجمع إيلافاً؛ صار ألفاً. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (ألف).

(٢) الكهف: ٧.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) سامت الخيل تسوم سوماً وسواماً: رعت حيث شاءت؛ فهي سائمة، والجمع: سوائم، ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس المحيط (سوم).

﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾
الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّا أَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَفْزِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾

﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بخير من ذلكم﴾ يعني: الذي ذكر من متاع الحياة الدنيا
للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار... ﴿إلى قوله:
﴿ورضوان من الله﴾.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر قال: سمعت جابر بن
عبد الله يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، ورأوا ما
فيها - قال الله: لكم عندي أفضل من هذا. قالوا: ربنا ليس شيء أفضل من
الجنة. قال: بلى أجل عليكم رضواني»^(١).

(١) رواه ابن حبان (١٦/٤٦٩ رقم ٧٤٣٩) والحاكم (١/٨٢) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (١/
٢٨٢) وفي صفة الجنة (١/١٣٢ رقم ٢٨٣) والسهمي في تاريخ جرجان (١١٥) والمحاملي -
كما في تفسير ابن كثير (٢/٣٧٠) - من طريق الفريابي عن الثوري عن محمد بن المنكدر به.
ورواه الحاكم (١/٨٢ - ٨٣) من طريق غيبه الله بن عبد الرحمن الأشجعي عن الثوري به.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
وقال ابن كثير في تفسيره (٢/٣٧٠): وقال الحافظ ضياء الدين المقدسي في كتابه «صفة
الجنة»: هذا عندي على شرط الصحيح، والله أعلم. اهـ.

وقال أبو نعيم في صفة الجنة: ورواه وكيع وغيره فلم يرفعه.
قلت: رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦١٣ رقم ٣٢٨٧) من طريق وكيع، ومسند في
مسنده - كما في المطالب العالية (٥/١٤٠ رقم ٤٦٠٩) - عن يحيى، والطبري في تفسيره
(٣/٢٠٧) من طريق أبي أحمد الزبيري، كلهم عن سفيان الثوري به موقوفًا، والله أعلم.
وعزه السيوطي في الدر المنثور (٣/٢٧٩) إلى ابن مردويه عن جابر مرفوعًا.

وروى البخاري (١١/٤٢٣ رقم ٦٥٤٩، ١٣/٤٩٦ رقم ٧٥١٨) ومسلم (٤/٢١٧٦ رقم
٢٨٢٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا نحوه.

﴿الصابرين والصادقين﴾ أي: صدقت نيّتهم، واستقامت قلوبهم وألستهم في السرّ والعلانية ﴿والقانتين﴾ يعني: المطيعين ﴿والمستغفرين﴾ يعني: أهل الصلاة. يقول: هل يستوي هؤلاء والكفار؟ أي: أنهم لا يستون عند الله.

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْغَنِيُّ الْحَكِيمُ﴾ (١٨) إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمَ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّيْنِتِ اللَّهُ فَاِتَ اللَّهُ سَرِيعُ

الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ فيها تقديم وتأخير؛ يقول: شهد الله أنه لا إله إلا هو قائماً بالقسط؛ أي بالعدل^(١) [ويشهد الملائكة ويشهد أولو العلم وهم المؤمنون]^(٢).

قال محمد: نصب ﴿قائماً﴾ على الحال؛ وهي حال مؤكدة^(٣).

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ يعني: ما بين لهم ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

قال يحيى: أحسب أنهم فسروا كل شيء فيه وعيد: عزيز في نعمته، وكل شيء ليس فيه وعيد: عزيز في ملكه.

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وكانوا على الإسلام ﴿إِلَّا مَنْ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا﴾ أي: حسداً ﴿بَيْنَهُمْ﴾.

(١) ينظر الكلام على هذا التقديم والتأخير من البحر (٢/٤٠٠ - ٤٠١)، الدر المصون (٢/٤٠).

(٢) من «ر».

(٣) وفي نصبه أقوال أخرى؛ ينظر: البحر (٢/٤٠٣)، والدر المصون (٢/٤١).

قال محمد: نصب ﴿بغياً﴾ على معنى: للبغى^(١).

﴿ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب﴾ يعني: العذاب؛ أي: إذا أراد أن يعذبهم، لم يؤخرهم عن ذلك الوقت؛ هذا تفسير الحسن.

﴿إِن حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ
ءَاسْلَمْتُمْ فَإِنِ اسْلَمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ

﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ
يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ

أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿إِن حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ﴾ أي: أخلصت ﴿وجهي﴾ أي: ديني ﴿لله﴾
ومن اتبعني ﴿أي: وأسلم من اتبعني وجهه لله.

﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين﴾ يعني: مشركي العرب؛ وكانت هذه
الامة أمية لا كتاب لها؛ حتى نزل القرآن.

﴿أسلمتم﴾ أي: أخلصتم ﴿فإن أسلموا﴾ أخلصوا ﴿فقد اهتدوا وإن تولوا﴾
فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴿أي: بأعمال العباد﴾ إن الذين يكفرون
بآيات الله ﴿يعني: بدين الله﴾ فبشرهم بعذاب أليم ﴿موجع.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ
يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُعَرِّضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمْسَسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ

(١) أي: نُصب على أنه مفعول لأجله، وفي نصبه أقوال أخر؛ ينظر: كشف المشكلات (١/٢٢٠)، إعراب القرآن (١/٣١٧)، البحر (٢/٤١١)، الدر المصون (٢/٤٩).

وَعَرَّيْهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب...﴾ الآية.

قال قتادة: هم اليهود؛ دعاهم رسول الله ﷺ إلى المحاكمة إلى كتاب الله [وأحكامه؛ أي] (١) كتاب الله الذي أنزله عليه (ل ٤٤) فوافق (٢) كتابهم الذي أنزل عليهم، فتولوا عن ذلك، وأعرضوا عنه.

﴿ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودات﴾ عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل؛ يعني به أوائلهم، ثم رجع الكلام إليهم؛ فقال: ﴿وغيرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾ أي: يختلقون من الكذب على الله، قال قتادة: وهو قولهم ﴿نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ (٣) ﴿فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه﴾ لا شك فيه.

قال محمد: المعنى - والله أعلم - : فكيف يكون حالهم في ذلك اليوم؛ وهذا من الاختصار.

﴿ووفيت كل نفس ما كسبت﴾ أما المؤمن فيوفى حسناته في الآخرة، وأما الكافر فيجازى بها في الدنيا، وله في الآخرة عذاب النار.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ

(١) في «ر»: وأعلمهم أن.

(٢) في «ز»: يوافق.

(٣) المائدة: ١٨.

النَّهَارِ فِي الْبَيْتِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ ﴿٢٧﴾

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ...﴾ الآية. قال قتادة: «ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَ مُلْكَ فَارِسَ وَالرُّومِ فِي أُمَّتِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ إِلَى آخِرِهَا» (١).

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ وهو أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه؛ نقصان الليل في زيادة النهار، ونقصان النهار في زيادة الليل ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ تفسير الحسن وقتادة: تخرج المؤمن من الكافر، وتخرج الكافر من المؤمن ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يعني: بغير محاسبة منه لنفسه.

﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتُوا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨) ﴿قُلْ إِنْ تُخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوا يَعْزِمُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٩) ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٣٠) ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ قَوْلَا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٢)

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/٦٢٤) رقم (٣٣٥٢) والطبري في تفسيره (٣/٢٢٢) وعبد بن حميد في تفسيره - كما في الدر المنثور (٢/١٦) - والواحد في أسباب النزول (ص ٧١).

﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء﴾ يعني: في النصحية ﴿من دون المؤمنين﴾.

﴿ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾.

يحيى: عن الفُراتِ بن سلمان^(١)، عن عبد الكريم الجزري، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر قال: «أخذ المشركون أبي فلم يتركوه؛ حتى سبَّ رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه، فلما أتى النبي ﷺ قال: ما وراءك؟ قال: شرُّ يا رسول الله، والله ما تُرِكْتُ حتى نلتُ منك، وذكرت آلهتهم بخير! قال: فكيف تجدُ قلبك؟ قال: أجده مطمئناً بالإيمان قال: فإن عادوا فعد»^(٢).

﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً﴾ أي: مؤقراً كثيراً ﴿وما عملت من سوء تودُّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً﴾ فلا يجتمعان أبداً.
قال محمد: نصب (يوماً)^(٣) على معنى: ويحذركم الله نفسه في ذلك اليوم.

(١) في «ر»: سليمان. وفيات بن سلمان الجزري ترجمته في تاريخ البخاري (١٢٩/٧) والجرح والتعديل (٨٠/٧) وغيرهما.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٦٠/١) وابن سعد في الطبقات (٢٤٩/٣) والطبري في تفسيره (١٨٢/١٤) وأبو نعيم في الحلية (١٤٠/١) من طريق عبد الكريم الجزري به.
ورواه الحاكم في المستدرک (٣٥٧/٢) وعنه البيهقي في السنن الكبرى (٢٠٨/٨ - ٢٠٩) من طريق عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن أبيه. فزاد «عن أبيه».

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٣) وفي نصبه أقوال أخر، ينظر: مجمع البيان (٤٣١/١)، البيان (١٩٩/١) البحر (٤٢٦/٢)، الدر المصون (٦٢/٢).

قوله: ﴿ويحذرکم الله نفسه﴾ يعني: عقوبته ﴿والله رءوف بالعباد﴾ أي: رحيم؛ أما المؤمن فله رحمة الدنيا والآخرة، وأما الكافر فرحمته في الدنيا ما رزقه الله فيها، وليس له في الآخرة إلا النار.

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ قال الحسن: جعل محبة رسوله محبته، وطاعته طاعته.

﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ أي: أطيعوا الله في الفرائض.

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنْفَرِمُ أَتَىٰ لِي هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ أي: اختار.

﴿وآل إبراهيم﴾ يعني: إبراهيم وولده، وولد ولده ﴿وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض﴾ قال قتادة: أي: في النية والعمل والإخلاص ﴿إذ قالت امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً﴾ تفسير قتادة: قال: كانت امرأة عمران حرث لله ما في بطنها، وكانوا يحررون الذكور؛ فكان المحرر إذا حرر يكون في المسجد يقوم عليه ويكنسه^(١) لا يبرح منه،

(١) في الأصل: ويكسوه.

وكانت المرأة لا يُسْتَطَاع أن (يصنع)^(١) ذلك بها؛ لما يصيها من الأذى ﴿فلما وضعتها قالت ربّ إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: ﴿والله أعلم بما وَضَعْتُ﴾^(٢).

﴿وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾ أي: الملعون أن يضلها وإياهم ﴿فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبأها نبأًا حسنًا وكفلها زكريا﴾ أي: ضمها إليه؛ في تفسير من خفف قراءتها، ومن ثقلها يقول: ﴿وكفلها﴾^(٣) أي: فكفلها الله زكريا، بنصب زكريا^(٤).

قال الكلبي: ﴿فلما وضعتها﴾ لفتها في خرقها، (ل٤٥) ثم أرسلت بها إلى مسجد بيت المقدس، فوضعتها فيه فتنافسها الأحبار بنو هارون؛ فقال لهم زكريا: أنا أحقكم بها عندي أختها فذروها لي، فقالت الأحبار: لو تركت لأقرب الناس إليها لترك لأمها، ولكننا نقترع عليها؛ فهي لمن خرج سهمه، فاقترعوا عليها بأقلامهم التي كانوا يكتبون بها الوحي، فقرعهم زكريا، فضمها إليه، واسترضع لها؛ حتى إذا شبت بنى لها مخرابًا في المسجد، وجعل بابه في وسطه لا يُرتقى إليها إلا بسلّم، ولا يأمن عليها غيره.

﴿وجد عندها رزقًا﴾ قال قتادة: كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف،

(١) في «ر»: يفعل.

(٢) قرأ ابن عامر، وأبو بكر عن عاصم بضم التاء، وقرأ الباقون بإسكانها. ينظر: النشر (٢) / ٢٣٩، السبعة (٢٠٤) التيسير (٨٧).

(٣) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بتشديد الفاء، وقُصِرَ ﴿زكريا﴾ والنصب وقرأ أبو بكر عن عاصم، بتشديد الفاء مع مدّ ﴿زكرياء﴾، والنصب، وقرأ الباقون بتخفيف الفاء، ورفع ﴿زكرياء﴾ مع المد. ينظر: النشر (٢/٢٣٩)، التيسير (٨٧)، السبعة (٢٠٤ - ٢٠٥).

(٤) أي: النصب على أنه مفعول به ثان. ينظر إعراب القرآن (١/٣٢٦ - ٣٢٧).

وفاكهة الصيف في الشتاء .

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية﴾ أي: من عندك ﴿ذرية طيبة﴾ يعني: تقية، قال الكلبي: وكانت امرأة زكريا عاقرا قد دخلت في السن، وزكريا شيخ كبير؛ فاستجاب الله له .

﴿فنادته الملائكة﴾ ناداه جبريل وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يشرك يحيى مصدقا بكلمة من الله﴾ يعني: عيسى عليه السلام ﴿وسيدا وحصورا﴾ يعني: يحيى؛ في تفسير قتادة؛ أحياء الله بالإيمان، والسيد: الحسن الخلق، والحصور: الذي لا يأتي النساء أي حصر عنهن .
قال محمد: وأصل الحصر: الحبس^(١) .

﴿قَالَ رَبِّ أُنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤١﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَتَذْكُرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَتَحِبُّ بِالْعَشِيِّ وَالْإِنْجَارِ ﴿٤٢﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ يَمْرُؤُا اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ أي: من أين يكون لي؟! ﴿وقد بلغني

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حصر).

الكَبَرُ وامرأتي عاقر ﴿أي: لا تلد، قال الحسن: أراد أن يعلم كيف وَهَبَ ذلك له؛ وهو كبير وامرأته عاقر؛ ليزداد علماً﴾ قال كذلك الله يفعل ما يشاء ﴿.﴾
﴿قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ أي: إيماءً، فعوقب فأخذَ بلسانه؛ فجعل لا يبين الكلام، وإنما عوقب؛ لأنَّ الملائكة شافهته، فبشَّرَ بيحيى مشافهةً، فسأل الآية بعد أن شافهته الملائكة واذكر ربك كثيرًا وسبح بالعشي والإبكار﴾ يعني: الصلاة.
﴿إن الله اصطفاك﴾ أي: اختارك لدينه ﴿وطهرك﴾ من الكفر ﴿يا مريم اقتي لربك﴾ قال مجاهد: يعني: أطيلي القيام في الصلاة.
قال محمد: وأصل القنوت: الطاعة^(١).

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا فَضَضَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾
﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم﴾ عندهم ﴿إذ يلقون أقلامهم﴾ أي: يستهمون^(٢) بها.

(١) يقال: قَنَتَ يَفْتُتُ قُنُوتًا؛ أي: أطاع الله وخضع له وأقر بالعبودية، فهو قانت، والجمع: قُنْتُ، وهي قانتة. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (قنت).

(٢) أي: يتقارعون، ويتغالبون في الفوز بالسهم. لسان العرب، المعجم الوسيط (سهم).

﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فيها أيُّهُمْ يضمها إليه
 ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ أي: مُسَيِّحٌ بالبركة؛ في تفسير الحسن .
 ﴿وَوَجَّيْهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ قال محمد: وَجَّهَ الرجل، وأوجهني أي:
 صَيَّرَنِي وَجَّيْهَا^(١) .

﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله يوم القيامة .

﴿وَيَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ أي: في حِجْرِ أمه ﴿وَكَهْلًا﴾ كبيرًا
 ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ﴾^(٢) أي: يعلمهم كبيرًا؛ فأرادت أن تعلم كيف ذلك؛ فقالت:
 ﴿رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ .
 ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ﴾ يعني: الخطَّ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: السُّنَّةَ .

﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُم مِّنَ
 الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
 وَأُخْرِى الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُم
 إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي
 حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي
 وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُم مِّنَ الطَّيْنِ﴾ أي: أصوَّر [من الطين]^(٢) ﴿كهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾
 كشبه الطير .

(١) وَجَّهَ فَلَانٌ يَزُجُّه وَجَاهَةً؛ أي: صار ذا قَدَرٍ ورُتْبَةٍ، فهو وَجَّيه، والجمع: وَجَّهَاء وَوَجَّاه، وهي
 وجية، والجمع: وَجَّهَاء . ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (وجه).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر» .

﴿وَأُبرئ الأكمه والأبرص﴾ قال قتادة: الأكمه: الذي تلده أمه وهو مضموم العينين.

﴿وَأُنبتكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم﴾ يعني: أنبتكم بما أكلتم البارحة، وبما خبأتم في بيوتكم.

﴿ولأحل لكم بعض الذي حُرّم عليكم﴾ تفسير قتادة: كان الذي جاء به عيسى ألين مما جاء به موسى؛ أحلت لهم في الإنجيل أشياء كانت عليهم في التوراة حراماً.

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُنزِلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَىٰ مَوْطِعِكَ وَاغْلُظْكَ إِلَىٰ مَوْطِعِهِمْ وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ فلما أحس عيسى منهم الكفر﴾ أي: رأى.

﴿قال من أنصاري إلى الله﴾ أي: مع الله ﴿قال الخواريون نحن أنصار الله﴾ والخواريون: هم أصفياء الأنبياء.

﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ أي: فاجعلنا ﴿ومكروا ومكر الله﴾ مكروا بقتل عيسى، ومكر الله بهم فأهلكهم، ورفع عيسى إليه.

قال محمد: المكر من الناس الخديعة، وهو من الله (ل٤٦) الجزاء، يجازي مَنْ مَكَرَ بِمَكْرِهِ.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَأْفَعُكَ إِلَيَّ﴾ قال السُّدي: معنى ﴿مَتْوَفِيكَ﴾: قابضك من بين بني إسرائيل ﴿وَرَأْفَعُكَ إِلَيَّ﴾ في السماء. قال محمد: تقول: تَوَفَّيْتُ [العدد]^(١) واستوفيته؛ بمعنى: قبضته^(٢).

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النصر، وفي الحجَّة إلى يوم القيامة، والذين اتبعوه محمدٌ وأهل دينه؛ اتبعوا دين عيسى وصدقوا به.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أما في الدنيا: فهو ما عَذَّبَ به الكفار من الوقائع والسَّيف حين كذبوا رسلهم، وأما في الآخرة: [فيعذبهم]^(٣) بالنار ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ يعني: المشركين.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ قال الكلبي: لما قدم نصارى نجران، قالوا: يا محمد؛ أتذكر صاحبنا؟ قال: ومن صاحبكم؟ قالوا: عيسى ابن مريم؛ أتزعم أنه عبدٌ؟ فقال لهم نبي الله ﷺ: أجل هو عبد الله. قالوا: أرنا في خلق الله عبدًا مثله فيمن رأيت أو سمعت؟ فأعرض عنهم نبي الله ﷺ يومئذ، ونزل عليه جبريل، فقال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ

(١) كأنها في الأصل: العدة. والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط، المعجم الوسيط (وفى).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

عيسى عند الله... ﴿الآية﴾.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَتَاهِلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ...﴾ الآية.

قال الكلبي: ثم عادوا إلى النبي، فقالوا: هل سمعت بمثل صاحبنا؟! قال: نعم. قالوا: ومن هو؟ قال: آدم، خلقه الله من تراب. فقالوا له: إنه ليس كما تقول؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: ﴿تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل﴾ أي: نتلاعن ﴿فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ منّا ومنكم. قالوا: نعم نلاعنك؛ فرجع رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين فهموا أن يلاعنوه، ثم نكصوا، وعلموا أنهم لو فعلوا - لوقعت اللعنة عليهم، فصالحوه على الجزية^(١).

قال محمد: قوله: ﴿ثم نبتهل﴾ المعنى: نتداعي باللعن؛ (يقال: أبهله الله؛ أي: لعنه الله)^(٢) وفيه لغة أخرى: بَهْلَةٌ^(٣).

(١) انظر الدر المنثور (٢/٤٢ - ٤٤).

(٢) في «ر» بدل ما بين القوسين: عليه بَهْلَةٌ الله، أي: لعنة الله.

(٣) أي: أن الفعل يتعدى بنفسه فيقال: (بَهْلَةٌ)، ويتعدى بالهمز، فيقال: (أبهله). ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (بهل).

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعني: عما جاء به النبي ﷺ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾
 يعني: المشركين ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾ أي: عَذْل
 ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ يعني: لا إله إلا الله .
 ﴿وَلَا يَتَّخِذْ بَعْضُنَا آيَاتِنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

يحيى: عن المعلّى بن هلال، عن أبي بكر بن عبد الله، عن مصعب بن
 سعد، عن عدي بن حاتم قال: «جئتُ إلى النبي ﷺ وفي عنقي صليبٌ. فقال:
 يا عدي ألقِ هذا الوثن من عنقك. فألقيته فأنتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة،
 فلما انتهى إلى قوله: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾^(١)
 قال: قلت: يا رسول الله، والله ما نتخذهم أربابًا من دُونِ الله. قال: بلى؛
 أليسوا يحلون لكم ما حرم الله عليكم؛ فتستحلونه، ويحرمون عليكم ما أحل
 الله لكم؛ فتحرمونه؟ قلتُ: بلى. قال: فترك عبادتهم^(٢).
 ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا﴾ يعني: النبي والمؤمنين ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

(١) التوبة: ٣١ .

(٢) رواه الترمذي (٢٥٩/٥ - ٢٦٠ رقم ٣٠٩٥) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧٨٤/٦) رقم
 (١٠٠٥٧) والطبري في تفسيره (١١٤/١٠) والطبراني في الكبير (٩٢/١٧) رقم (٢١٩، ٢١٨)
 والسهمي في تاريخ جرجان (ص ٥٤١ رقم ١١٦٢) وأبو يعلى في مسنده والبيهقي في
 المدخل والتعليق في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف (٦٦/٢ رقم ٥٣٨) - من
 طريق عبد السلام بن حرب عن غطف بن أعين عن مصعب بن سعد به .
 وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطف
 ابن أعين ليس بمعروف في الحديث.

ورواه الواقدي في كتاب الردة - وعنه ابن سعد في الطبقات - حدثني أبو مروان عن أبان بن
 صالح، عن عامر بن سعد، عن عدي بن حاتم. كما في تخريج الكشاف (٦٦/٢).
 ورواه ابن مردويه في تفسيره من حديث عمران القطان عن خالد العبدي، عن صفوان بن
 سليم، عن عطاء بن يسار، عن عدي بن حاتم. كما في تخريج الكشاف (٦٦/٢).

﴿يَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٥) هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٨)

﴿يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون﴾ قال الحسن: وذلك أنهم نحلوه (١) أنه كان على دينهم؛ فقالت اليهود ذلك، وقالت النصارى ذلك. فكذبهم الله جميعاً، وأخبر أنه كان مسلماً، ثم احتج عليهم أنه إنما أنزلت التوراة والإنجيل بعده؛ أي: إنما كانت اليهودية بعد التوراة، والنصرانية بعد الإنجيل.

﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم﴾ أي: بما كان في زمانكم وأدركتموه ﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم﴾ أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولكن حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين ﴿وأنتم لا تعلمون﴾.

﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه﴾ قال قتادة: أي: على ملته ﴿وهذا النبي﴾ (٤٧) يعني: محمداً ﷺ ﴿والذين آمنوا﴾ يعني: المؤمنين الذين عرفوا (٢) نبي الله واتبعوه.

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

(١) أي: وصفوه، ينظر: لسان العرب (نحل).

(٢) في «ر»: (صدقوا).

﴿٦٩﴾ يَتَّاهِلَ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٥﴾ يَتَّاهِلَ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾

﴿وَدَّت طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ يعني: من لم يؤمن منهم ﴿لَوْ يَضِلُّونَكُمْ وَمَا يَضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ بما يودُّون من ذلك ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أنها آيات الله (وأنه) ^(١) رسوله، يعني به خاصة علمائهم؛ لأنهم يجدون نعت محمد في كتابهم، ثم كفروا به وأنكروه.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ﴾ أي: لم تخلطون الحق بالباطل؟! قال الحسن: يعني: ما حرَّفوا من التوراة والإنجيل بالباطل الذي قَبِلُوهُ عن الشيطان.

﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن محمداً رسول الله، وأن دينه حق.
﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكَ قُلُوبُكُمُ اللَّهُ هُدًى اللَّهُ أَن يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُعَاجِلْكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلُوبُكُمُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٩﴾

﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بمحمد ﴿وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ وَلَا تَتُومِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ تفسير الكلبي: كتبت يهود خبير إلى يهود المدينة أن آمنوا بمحمد أول النهار،

(١) في «ر»: (وآيات).

واكفروا آخره؛ أي: اجدوا آخره، وَلَبَّسُوا^(١) على ضعفة أصحابه، حتى تشككهم في دينهم؛ فإنهم لا علم لهم ولا دراسة يدرسونها ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن محمد، وعما جاء به. وقال مجاهد: صلت اليهود مع النبي ﷺ أول النهار صلاة الصبح، وكفرت آخره؛ مكرًا منهم؛ ليرى الناس أنه قد بدت لهم الضلالة بعد إذ كانوا اتبعوه.

﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ يعني: أن الدين دين الإسلام ﴿أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم﴾ فيها تقديم: إنما قالت يهود خبير ليهود المدينة: ﴿ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم﴾ أي: لا تصدقوا إلا من تبع دينكم؛ فإنه لن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم، ولن (يُحَاجَكُمْ)^(٢) بمثل دينكم أحدٌ عند ربكم، فقال الله: ﴿قل إن الهدى هدى الله﴾ والفضل بيد الله، وفضل الله: الإسلام ﴿يؤتیه من يشاء والله واسع﴾ لخلقه ﴿علیم﴾ بأمرهم. ﴿يختص برحمته﴾ أي: بدينه؛ وهو الإسلام ﴿من يشاء﴾ يعني: المؤمنين.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾

﴿ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك﴾ يعني: من آمن منهم.

(١) أي: ذلّسوا وخلطوا عليهم. ينظر: لسان العرب (لبس).

(٢) في «ر»: يحاجوكم.

قال قتادة: كنا نحدث أن القنطار مائة رطل من ذهب، أو ثمانون ألفاً من الورق^(١).

﴿ومنهم من إن تأمنه بدینار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً﴾ يعني: إن سألته حين تعطيه إياه ردّه إليك، وإن أنظرته به أياماً ذهب به.

﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين﴾ يعنون: مشركي العرب ﴿سبيل﴾ إثم. تفسير الحسن: كانوا يقولون: إنما كانت لهم هذه الحقوق وتجب علينا وهم على دينهم، فلما تحولوا عن دينهم لم يثبت لهم علينا حق. قال الله - عز وجل - : ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون ﴿بلى من أوفى بعهده واتقى﴾ قال الحسن: يعني: أدى الأمانة وآمن ﴿فإن الله يحب المتقين﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَأَيْمَانَهُمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٧٧) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوفُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيُنِي عِبَادًا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)

(١) أي: الفضة. ينظر: لسان العرب (ورق).

والقنطار: معيار مختلف المقدار عند الناس، وهو بمصر في زماننا مائة رطل، وهو ٤٤,٩٢٨ من الكيلو جرامات. ج: قناطير. ينظر المعجم الوسيط (قنطر).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ هم (أهل الكتاب) ^(١) كتبوا كتبًا بأيديهم، وقالوا: هذا من عند الله؛ فاشتروا به ثمنًا قليلًا؛ أي: عَرَضًا من عَرَضِ الدنيا، وحلفوا أنه من عند الله.

﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: لا نصيب لهم [في] ^(٢) الجنة.

﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ﴾ بما يحبون [وذلك] ^(٣) يوم القيامة، وقد يكلمهم ويسألهم عن أعمالهم. قال: ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ نظرة رحمة [يوم القيامة] ^(٣) ﴿وَلَا يَزْكِيهِمْ﴾ أي: لا يطهرهم من ذنوبهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ موجه ﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرْقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ تفسير قتادة: حَرَفُوا كِتَابَ اللَّهِ، وابتدعوا فيه، وزعموا أنه من عند الله.

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنَّبُوءَ﴾ كما أتى عيسى ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: اعبدونني؛ يقول: لا يفعل ذلك من آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة.

قال الحسن: احتج (٤٨) عليهم بهذا؛ لقولهم [أن عيسى ينبغي له أن يُعبد] ^(٤) وأنهم قبلوا ذلك عن الله، وهو في كتابهم الذي نزل من عند الله.

قال ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ﴾ أي: ولكن يقول لهم: كونوا ربانيين؛ أي: علماء فقهاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ تقرأون.

﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَالِيَّةَ وَالنَّيِّئَ أَرْبَابًا أَيَاْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

(١) في «ر»: اليهود.

(٢) في الأصل: من. والمثبت من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

﴿٨٥﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٦﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٧﴾

﴿ولا يأمرکم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ أي: من دون الله ﴿أيا مكرم بالکفر بعد إذ أنتم مسلمون﴾ على الاستفهام أي: لا يفعل.

﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيناكم^(١) من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخذتم على ذلکم إصري﴾ [أي: عهد ثقيل]^(٢) ﴿قالوا أقرنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾.

يقوله الله: أنا شاهد معهم وعليهم، بما أعطوا من الميثاق والإقرار، قال قتادة: هذا ميثاق أخذ الله على النبيين أن يصدق بعضهم بعضاً، وأن يبلغوا كتاب الله ورسالاته إلى عباده، وأخذ ميثاق أهل الكتاب في كتابهم فيما بلغتهم رسلهم؛ أن يؤمنوا بمحمد ويصدقوه وينصروه ﴿فمن تولى بعد ذلك﴾ (أي:)^(٣) بعد العهد والميثاق الذي أخذ الله عليهم ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾.

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا

(١) بالنون والالف على التعظيم، وهي قراءة نافع، وقرأ باقي السبعة (آتيتكم). بناء مضمومة من غير ألف . ينظر: البحر (٥١٣/٢)، الدر (١٥٦/٢)، النشر (٢٤١/٢).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) سقط من «ر».

وَالَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

﴿أفغير دين الله يبغون﴾ (يطلبون) ^(١) ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ تفسير الحسن: وله أسلم من في السموات، ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿والأرض﴾ أي: ومن في الأرض طوعاً وكرهاً؛ يعني: طائفاً وكرهاً. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «والله لا يجعل الله من دخل في الإسلام طوعاً؛ كمن دخله كرهاً» ^(٢).

قال يحيى: لا أدري أراد المنافق، أو الذي قوتل عليه.

وقال قتادة: أما المؤمن فأسلم طائفاً؛ فنفعه ذلك وقيل منه، وأما الكافر فأسلم كارهها؛ فلم ينفعه ذلك ولم يُقبل منه.

قال يحيى: يعني بالكافر: المنافق الذي لم يسلم قلبه.

قال محمد: ﴿طوعاً﴾ مصدر، وُضِعَ موضع الحال ^(٣).

﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ الأسباط: يوسف وإخوته، إلى قوله ﴿مسلمون﴾ قال الحسن: هذا ما أخذ الله على رسوله، ولم يؤخذ عليه ما أخذ على الأنبياء في قوله: ﴿ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به﴾ إذ لا نبي بعده.

(١) سقط من «ر».

(٢) لم أقف عليه.

(٣) وفيه أقوال نحوه آخر؛ ينظر: البحر المحيط (٥١٦/٢)، الدر (١٥٨/٢).

﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾
خسر نفسه؛ فصار في النار، وخسر أهله من الحُور العين.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ
الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ
﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

﴿كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق﴾ قال
مجاهد: نزلت في رجل من بني عمرو بن عوف كفر بعد إيمانه.

﴿وجاءهم البينات﴾ يعني: الكتاب فيه البيّنات والحُجج.

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني: من لا يريد أن يهديه منهم ﴿أولئك
جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ يعني بالناس:
المؤمنين خاصّة ﴿خالدين فيها﴾ أي: في تلك اللعنة، وثوابها ^(١) النار.
﴿لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ يؤخرون بالعذاب.

﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا﴾ يعني: من أراد الله أن يهديه
﴿فإن الله غفور رحيم﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ تِلْكَ الْأَرْضُ
ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِنَّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى

(١) أي: جزاؤها ومرجعها؛ الثواب: الجزاء والمرجع. ينظر لسان العرب (ثوب).

تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

قوله عز ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ قال الحسن: هم أهل الكتاب كانوا مؤمنين، ثم كفروا ثم ازدادوا كُفْرًا؛ أي: ماتوا على كفرهم.

يقول: لن يقبل الله إيمانهم الذي كان قبل ذلك، [إذا ماتوا]^(١) على كفرهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ قال محمد: يقال: هذا مِلءُ هذا؛ أي: مقدار ما يُمَلَأُ، والمِلءُ المصدر فبالفتح، يقال: ملأتُ الشيء مَلَأً؛ هذا هو الاختيار (عند اللغويين)^(٢).

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قال الحسن: يعني الزكاة (ل٤٩) الواجبة ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ يحفظه لكم حتى يجازيكم به.

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّنَبِيِّ إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فَلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ مَا تِلْوَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْترَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ

(١) مشتبهة في الأصل والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: عند النحويين، ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (ملا).

أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِقَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾

﴿كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ [أي: فاقرووها] ^(١) ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن فيها ما تذكرون [أنه] ^(٢) حرمه عليكم. قال الحسن: وكان الذي حرم إسرائيل على نفسه: لحوم الإبل، وقال بعضهم: ألبانها. ﴿قل صدق الله﴾ أن إبراهيم كان مسلماً ﴿فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً﴾ والحنيف: المخلص.

﴿إن أول بيت وضع للناس﴾ قال الحسن: يعني: وضع قبله لهم. ﴿للذي ببكة مباركاً﴾ تفسير حبيب بن أبي ثابت: قال: البيت وما حوله بكة، وأسفل من ذلك مكة، وإنما سمي الموضع بكّة؛ لأن الناس يتزاحمون فيه ^(٣). قال محمد: البكُّ أصله في اللغة: الدفع ^(٤)، ونصب ﴿مباركاً﴾ على الحال ^(٥) ﴿فيه آيات بينات مقام إبراهيم﴾ قال الحسن: مقام إبراهيم من الآيات البينات ﴿ومن دخله كان آمناً﴾ قال الحسن: كان ذلك في الجاهلية؛ لو أن رجلاً جرّ جريرة ^(٦)، ثم لجأ إلى الحرم - لم يُطلب ولم يُتَّوَلَّ، وأما

(١) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٢) في الأصل: لم. والمثبت من «ر».

(٣) مأخوذ من التباك، وهو الازدحام الذي يحصل عند الطواف. وفي هذه التسمية أقوال آخر. ينظر لسان العرب (بكك) الدر المصون (١٦٨/٢).

(٤) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (بكك).

(٥) وفيه أقوال آخر. ينظر: البحر المحيط (٦/٣)، الدر (١٦٨/٢).

(٦) أي: ارتكب جناية. ينظر: لسان العرب (جرر).

في الإسلام؛ فإن الحرم لا يمنع من حدٍّ، مَنْ أصاب حدًّا أُقيِمَ عليه.
 ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾ قال محمد: الحج في اللغة معناه: القصد؛
 يقال: حججت الشيء أحجته حجًّا؛ إذا قصدته مرةً بعد مرة^(١)، ومن هذا قول
 الشاعر:

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ خُلُولاَ كَثِيرَةً يَحْجُونَ سَبَّ الزُّبُرِ قَانِ الْمُزْعَفَرَا^(٢)
 أي: يكثرون الاختلاف إليه؛ لسؤدده، وكان الرئيس يعتم بعمامة صفراء
 تكون علماً لرئاسته.

قوله: ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾.

يحيى: (عن الحسن بن دينار، عن الحسن)^(٣) «أن رجلاً قال: يا رسول
 الله [إن الله قال]^(٤): ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فما السبيل؟ قال: الزاد
 والراحلة»^(٥).

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حجج).

(٢) البيت من بحر الطويل، وهو للمخبل السُعدي، ينظر: ديوانه (٢٩٤)، البيان والتبيين (٣/٩٧)، إصلاح المنطق (٣٧٢) اللسان (سبب)، (حجج)، (زبرق) تهذيب اللغة (٣/٣٨٨)، (٣١٣/١٢).

(٣) في «ر» عن الحسن.

(٤) في الأصل: قال الله. والمثبت من «ر».

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤/٥٣٦ رقم ٦، ٧) وسعيد بن منصور في سننه - كما في نصب
 الراية (٣/٨-٩) - والطبري في تفسيره (٤/١٦) والدارقطني (٢/٢١٨ رقم ١٣) والبيهقي
 في سننه (٤/٣٢٧) والمعرفة (٣/٤٧٨ رقم ٢٦٦٣) من طريق يونس عن الحسن به.
 وقال البيهقي: هذا منقطع.

ورواه سعيد بن منصور - كما في نصب الراية (٣/٨) - والطبري في تفسيره (٤/١٦) من
 طريق منصور عن الحسن.

قال ابن دقيق العيد وهذه أسانيد صحيحة إلا أنها مرسلة. نقله الزيلعي في نصب الراية (٣/٩).
 ورواه الطبري (٤/١٧) وأبو بكر القطيعي في كتاب «المناسك عن سعيد بن أبي عروبة» =

﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ قال الحسن: الكفر: أن يقول:

= (٢/١٥٧) - كما في إرواء الغليل (٤/١٦١) - من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن.

قال البيهقي: هذا هو المحفوظ عن قتادة عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا، وكذلك رواه يونس بن عبيد عن الحسن.

وقال ابن حجر في التلخيص (٢/٤٢٣): وسنده صحيح إلى الحسن.

ورواه الطبري (٤/١٧) من طريق حماد عن قتادة وحيد عن الحسن.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/١٢٧) عن هشام عن الحسن. ورواه أيضًا (١/١٢٧) عن معمر عن قتادة مرسلًا.

قلت: هذا الحديث محفوظ عن الحسن مرسلًا، وقد أخطأ بعض الرواة فوصله؛ فرواه حصين بن المخارق، عن يونس بن عبيد، عن الحسن؛ عن أنس بن مالك. خرجه الدارقطني في سننه (٢/٢١٨ رقم ١٥) وحصين بن مخارق قال عنه الدارقطني في الضعفاء والمتروكين (١٨٩ رقم ١٧٩): متروك.

ورواه عتاب بن أعين، عن الثوري، عن يونس بن عبيد، عن الحسن؛ عن أمه، عن عائشة. خرجه الدارقطني (٢/٢١٧ رقم ٨) والعقيلي في الضعفاء (٣/٣٣٢) والبيهقي في سننه (٤/٣٣٠).

وقال البيهقي في المعرفة (٣/٤٧٨): وليس بمحفوظ.

ورواه علي بن سعيد بن مسروق الكندي عن ابن أبي زائدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس. خرجه الدارقطني (٢/٢١٦ رقم ٦) والحاكم في المستدرک (١/٤٤١ - ٤٤٢)

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال البيهقي في سننه (٤/٣٣٠): وروي عن سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ في الزاد والراحلة، ولا أراه إلا وهمًا.

وقال ابن عبد الهادي في تنقيح التحقيق (٢/٣٧٩ رقم ١٢٥٤): هذا الحديث لم يخرج أحد من أهل السنن بهذا الإسناد، والصواب عن قتادة عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا، وأما رفعه عن أنس فهو وهم، هكذا قال شيخنا.

ورواه الدارقطني (٢/٢١٦ رقم ٧) والحاكم (١/٤٤٢) من طريق أبي قتادة، عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن أنس. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

قال ابن حجر في التلخيص (٢/٢٤٣): إلا أن الراوي عن حماد هو أبو قتادة عبد الله بن واقد الحراني، وقد قال أبو حاتم: هو منكر الحديث.

ليس بفريضة؛ فيكفر به .

﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَن ءَامَنَ تَبِعُونَهَا ءِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَفِلٍ٢٤ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أَوْتُوا ٱلْكِتَآبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ ءِيمَٰنِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾

﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله﴾ يعني: الإسلام ﴿من آمن تبغونها عوجاً﴾ أي: تطلبون بها العوج .

﴿وأنتم شهداء﴾ على ذلك فيما تقرون من كتاب الله أن محمداً رسول الله، وأن الإسلام دين الله .

قال محمد: يُقَال في الأمر: (عَوَج) بالكسر؛ إذا كان في الدين، ويقال

= وقد روي هذا الحديث عن عدة من الصحابة لا يصح شيء منها .
قال ابن المنذر: لا يثبت الحديث الذي فيه ذكر الزاد والراحلة مستنداً، والصحيح رواية الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا .

وقال الطبري في تفسيره (١٨/٤): فأما الأخبار التي رويت عن رسول الله ﷺ في ذلك بأنه الزاد والراحلة؛ فإنها أخبار في أسانيدها نظر؛ لا يجوز الاحتجاج بمثلها في الدين .

وقال البيهقي: وروي فيه أحاديث آخر لا يصح شيء منها .
وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطى (٢/٢٥٨): وقد خرج الدارقطني هذا الحديث من حديث جابر بن عبد الله وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن مسعود وأنس وعائشة وغيرهم، وليس فيها إسناد يحتج به .

ونقل الزيلعي في نصب الراية (١٠/٣) هذا الكلام برمته عن ابن دقيق العيد في الإمام .
وقال ابن كثير في تفسيره (٣٨٦/١): وقد روي هذا الحديث من طرق أخرى من حديث أنس وعبد الله بن عباس وابن مسعود وعائشة، كلها مرفوعة، ولكن في أسانيدها مقال، كما هو مقرر في كتاب الأحكام، والله أعلم، وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مردويه بجمع طرق هذا الحديث .

وقال ابن حجر في التلخيص (٤٢٣/٢): وطرقها كلها ضعيفة .

لكل شيء مائل : فيه (عَوَج) بالفتح ؛ كالعصا والحائط^(١) وشبه ذلك .
﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقًا من الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني : من لم
يؤمن منهم .

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿ومن يعتصم بالله﴾ أي : يستمسك بدين الله ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
حق تقاته﴾ قال ابن مسعود : حق تقاته أن يطاع فلا يعصى ، ويُشكر فلا يُكفر ،
ويُذكر فلا يُنسى . قال قتادة : نزلت هذه الآية فثقلت عليهم ، ثم أنزل الله
اليسر والتخفيف ، فقال : ﴿فاتقوا﴾^(٢) الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا .
﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا﴾ قال الحسن وغيره : حبل الله : القرآن . قال
محمد : وأصل الحبل في اللغة : العهد^(٣) .

قال (الأعشى)^(٤) :

وَإِذَا أَجُوزَها حَبالَ قَبيلةٍ أَخَذْتُ مِنَ الأُخْرى إِلَيْها حَبالها^(٥)

(١) ينظر : لسان العرب ، مختار الصحاح ، المعجم الوسيط (عوج) .

(٢) في الأصل ، «ر» : اتقوا . بدون الفاء ، والآية من سورة التغابن ١٦ .

(٣) ينظر : لسان العرب (حبل) .

(٤) في «ر» : الأعشى . وهو تحريف .

(٥) ويرى : وإذا تجوزها . . . ينظر ديوان الأعشى (٦٥) ، وتأويل مشكل القرآن (٤٦٥) ، =

يعني: عهددها.

قوله: ﴿وَلَا تَفْرُقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي: اشكروا نعمة الله عليكم ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بالإيمان ﴿فَأَصْبَحْتُمْ﴾ يعني: فَصِرْتُمْ ﴿بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بالإسلام.

قال محمد: قوله: ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ يعني: حرف حفرة؛ أي: قد كنتم أشرفتم على النار.

﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩)

﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف﴾ يعني: [بتوحيد الله] (١) ﴿وينهون عن المنكر﴾ يعني: الشرك بالله.

قال [محمد] (٢): قوله: ﴿ولتكن منكم أمة﴾ قيل: معناه: ولتكونوا كلكم أمة.

= ورغبة الآمل (٥٢/٤) ومعنى (أجوزها): أسوغها قطع الطريق المخوف. (والجبال):

العهود والمواثيق. والبيت من بحر الكامل. وفي «ر» إليك بدل: إليها.

(١) في الأصل: بطاعة الله. والمثبت من «ر».

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا﴾ هم أهل الكتاب، يقول: لا تفعلوا كفعالهم.
(ل ٥٠) ﴿يوم تبيض وجوه...﴾ إلى قوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾.

يحيى: عن حماد بن سلمة [عن أبي غالب]^(١) قال: «كنت مع أبي أمامة وهو على حمار، حتى انتهينا إلى درج المسجد بدمشق؛ فإذا برءوس من رءوس الخوارج منصوبة، فقال: ما هذه الرءوس؟! قالوا: رءوس خوارج جيء بها من العراق، فقال: كلاب أهل النار، كلاب أهل النار، كلاب أهل النار! شرُّ قتلى تحت ظل السماء، شرُّ قتلى تحت ظل السماء، شرُّ قتلى تحت ظل السماء! خير قتيل من قتلوه، خير قتيل من قتلوه، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، طوبى لمن قتلهم أو قتلوه، ثم بكى، فقلت: ما يبكيك؟ فقال: رحمة لهم؛ إنهم كانوا من أهل الإسلام، فخرجوا من الإسلام، ثم قرأ هذه الآية: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات...﴾^(٢) حتى انتهى إلى آخرها، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا...﴾ إلى قوله: ﴿بما كنتم تكفرون﴾ فقلت: هم هؤلاء يا أبا أمامة؟ فقال: نعم، فقلت: شيء تقوله

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر»، وأبو غالب صاحب أبي أمامة عليه السلام اختلف في اسمه، فقيل: اسمه حزور، وقيل: سعيد بن الحزور، وقيل: نافع، معروف بهذا الحديث، قال ابن عدي في الكامل (٣/٣٩٨): وأبو غالب قد روى عن أبي أمامة حديث الخوارج - هو حديث الكتاب - بطوله، وهو حديث معروف به. اهـ.

وقال الخليلي في الإرشاد (١٢٩): أبو غالب الذي يروي عن أبي أمامة حديث الخوارج، اسمه حزور، ويقال: عبد الله بن حزور، وروى عن أبي غالب حديث الخوارج أكثر من بضع - كذا - وسبعين نفراً من أهل الكوفة وأهل البصرة. اهـ.

وترجمة أبي غالب في التهذيب (٣٤/١٧٠ - ١٧٣).

(٢) آل عمران: ٧.

برأيك، أم سمعت رسول الله يقول؟ قال: إني إذن لجريء، إني إذن لجريء، إني إذن لجريء! لقد سمعته من رسول الله ﷺ غير مرة ولا مرتين. حتى بلغ سَبْعًا، ووضع أصبعيه في أذنيه ثم قال: وإلا فَصُمْتُ. ثم قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: تفرقت بنو إسرائيل على سبعين فرقة؛ واحدة في الجنة وسائرهما في النار، ولتزيدن عليهم هذه الأمة واحدة؛ فواحدة في الجنة وسائرهما في النار. فقلت: فما تأمرني؟ قال: عليك بالسواد الأعظم. قال: فقلت: في السواد الأعظم ما قد ترى. قال: السمع والطاعة خير من الفرقة والمعصية»^(١).

(١) رواه الإمام أحمد (٢٥٦/٥) والطيالسي (١٥٥ رقم ١٣٦) والترمذي (٢١٠/٥) - ٢١١ رقم ٣٠٠٠) وعبد الله بن أحمد في السنة (٦٤٣/٢ رقم ١٥٤٢) والطبراني في المعجم الكبير (٢٦٧/٨ - ٢٦٨ رقم ٨٠٣٤) والبيهقي في سننه (١٨٨/٨) من طريق حماد بن سلمة به مختصرًا.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

ورواه الإمام أحمد (٢٥٣/٥) وعبد الرزاق (١٥٢/١٠) والحميدي (٤٠٤/٢) رقم ٩٠٨) وابن ماجه (٦٢/١ رقم ١٧٦) والحاثر بن أبي أسامة - كما في المطالب العالية (٢٨٤/٣ - ٢٨٥ رقم ٢٩٨٩) وإتحاف الخيرة (٢١٩/٤ - ٢٢٠ رقم ٣٤٥٢) - وعبد الله ابن أحمد في السنة (٦٤٣/٥ رقم ١٥٤٣، ١٥٤٤) والطحاوي في شرح المشكل (٣٣٨/٦) - ٣٣٩ رقم ٢٥١٩) والطبراني في الكبير (٢٦٦/٨ - ٢٧٥ رقم ٨٠٣٣ - ٨٠٥٦) وفي مسند الشاميين (٢٤٨/٢ رقم ١٢٧٩) والأجري في الشريعة (١٥٤/١ - ١٥٦ رقم ٦٢ - ٦٤) والخليلي في الإرشاد (١٢٩) والخطيب في تاريخ بغداد (٣٩٤/٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥١/٢٤ - ٥٣) وغيرهم من طرق عن أبي أمامة مطولا ومختصرًا. ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٩٤/٢ - ٥٩٥ رقم ٣١٨٠) ووقع في إسناده «عن عبد الله ابن شوذب عن أبي أمامة» وسقط أبو غالب من بينهما.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣٤٦/١): ورواه ابن مردويه من غير وجه عن أبي غالب عن أبي أمامة، وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفًا من كلام الصحابي، ومعناه صحيح. ورواه الإمام أحمد (٢٥٠/٥) من طريق سيار بن عبد الله عن أبي أمامة.

﴿تلك آيات الله﴾ هذه آيات الله ﴿والى الله ترجع الأمور﴾ يعني: عواقبها في الآخرة.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَرَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ ۚ أَلَذَّابًا ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١٢﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُؤُ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يعني: بتوحيد الله ﴿وتنهون عن المنكر﴾ يعني: عن الشرك بالله.

قال محمد: قوله: ﴿كُنتُمْ﴾ قيل: معناه: أنتم^(١).

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال رسول الله ﷺ: «أنتم توفون

= ورواه الإمام أحمد (٢٦٩/٥) - وعنه ابنه عبد الله في السنة (٢/٦٤٤ رقم ١٥٤٦) - من طريق صفوان بن سليم عن أبي أمامة .

قال ابن حجر في إتحاف المهرة (٦/٢٣٤ رقم ٦٤٠٩): قلت: أظنه منقطعاً. ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٦٤٤ رقم ١٥٤٥) وابن خزيمة في الجهاد - كما في إتحاف المهرة (٦/٢٢٩ رقم ٦٣٩٦) - والحاكم (٢/١٤٩ - ١٥٠) والعلبي في تفسيره - كما في تخريج الكشاف (١/٢١٥) - عن شداد بن عبد الله عن أبي أمامة، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم . ثم قال: الغالب على هذا المتن طرق حديث أبي غالب عن أبي أمامة، ولم يخرجاه.

(١) وهو قول الفراء والنحاس وغيرهما؛ أي: على اعتبار (كان) زائدة. وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من البحر (٣/٢٩)، مجمع التفسير (١/٥٦٤ - ٥٦٥)، المقتضب (٤/١١٩).

سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله»^(١).

﴿ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم﴾ يعني: عاقبتهم، ثم قال: ﴿منهم المؤمنون﴾ يعني: من آمن منهم ﴿وأكثرهم الفاسقون﴾ يعني: فسق الشرك. ﴿لن يضرركم إلا أذى﴾ بالألينة.

﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾.

﴿ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا﴾ أي: حيثما وجدوا ﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ قال السدي: يعني بأمان^(٢) وعهد من الله، ومن الناس وباءوا بغضب من الله﴾ يعني: استوجبوا غضبه ﴿ضربت عليهم المسكنة﴾ يعني: ما يؤخذ منهم من الجزية ﴿ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق﴾ يعني: أوائلهم، وليس يعني الذين أذركوا النبي ﷺ.

(١) رواه الإمام أحمد (٣/٥) وعبد الرزاق في تفسيره (١٣٠/١) وعبد بن حميد (١٥٥) رقم (٤٠٩) والدارمي (٤٠٤/٢) رقم (٢٧٦٠) والترمذي (٢١١/٥) رقم (٣٠٠١) وابن ماجه (٢/١٤٣٣) رقم (٤٢٨٨) والطبري في تفسيره (٤٥/٤) والطبراني في المعجم الكبير (١٩/٤١٩) رقم (١٠١٢)، ١٩/٤٢٢ - ٤٢٣ رقم (١٢٣ - ١٢٥) والحاكم (٨٤/٤) وغيرهم عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وقال الترمذي: حديث حسن.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال ابن كثير في تفسيره (٣٩١/١): وهو حديث مشهور، وقد حسنه الترمذي، ويروى من حديث معاذ بن جبل وأبي سعيد نحوه. اهـ.

وقال ابن مفلح في الأدب الشرعية (١٤٠/٣): إسناده جيد، وبهز حديثه حسن.

وقال ابن حجر في الفتح (٧٣/٨): وهو حديث حسن صحيح.

ورواه الطبري في تفسيره (٤٥/٤) عن قتادة مرسلاً.

قال ابن حجر في الفتح (٧٣/٨): رجاله ثقات.

(٢) في «ر»: بإيمان.

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُفْتِكِ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾
 ﴿ليسوا سواء﴾ يقول^(١): ليس كل أهل الكتاب كافراً.

﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ بأمر الله؛ يعني: من آمن منهم ﴿يتلون آيات الله آناء الليل﴾ يعني: ساعات الليل ﴿وهم يسجدون﴾ يصلون.
 قال محمد: واحد (الآناء): إني؛ مثل: معي وأمعاء، وقيل: واحدها: إني^(٢).

﴿ويأمرون بالمعروف﴾ يعني: بالإيمان [بمحمد ﷺ]^(٣) ﴿وينهون عن المنكر﴾ عن التكذيب بمحمد ﴿ويسارعون في الخيرات﴾ يعني: الأعمال الصالحة ﴿وأولئك من الصالحين﴾ وهم أهل الجنة.
 ﴿وما تفعلوا من خير فلن تكفروه﴾^(٤) يقول: تجازون به.

(١) في «ر»: يقولون.

(٢) قيل في مفرد (آناء) أربعة أقوال؛ ذكر المصنف منها اثنين، والاثنان الآخران هما: أتى بفتح وسكون، وإنو بكسر وسكون مع الواو. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (أنى)، الدر المصون (٢/١٩٠).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) قرأ الأخوان وحفص ﴿وما يفعلوا... يكفروه﴾، والمثبت موافق لقراءة الباقيين. ينظر: البحر (٣/٣٦) الدر المصون (٢/١٩١) التيسير (٩٠) السبعة (٢١٥).

﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صرٌّ﴾ يعني: البرد الشديد ﴿أصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قال مجاهد: يعني [نفقات الكفار] ^(١) لا يكون لهم في الآخرة منها ثواب، وتذهب [كما يذهب] ^(١) هذا الزرع الذي أصابته الريح [فأهلكته] ^(١) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم﴾ يعني: (٥١ ل) من غير المسلمين ﴿لا يألونكم خبالًا﴾ أي: شراً ﴿ودُّوا ما عنتم﴾ أي: ما ضاق بكم ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم﴾ أي: ظهرت ﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾ في البغض والعداوة ولم يظهروا العداوة، وأسروها فيما بينهم؛ فأخبر الله بذلك عنهم رسوله .

﴿هَآأَنَآنَآ أَوْلَآءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمُ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَاوَا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾

﴿تَمَسَّسَكُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ وَإِن تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصِيرُوا تَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿ها أنتم أولاء تحبونهم﴾ يقول للمؤمنين: أنتم تحبون المنافقين؛ لأنهم أظهروا الإيمان، فأحبوهم على ما أظهروا، ولم يعلموا ما في قلوبهم.

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

﴿ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله﴾ أي: وهم لا يؤمنون؛ [فيها]^(١) إضمار ﴿وإذا لقوكم قالوا آمنا﴾ مخافةً على دمائهم وأموالهم ﴿وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ﴾ مما يجدون في قلوبهم.
قال الله لنبه: ﴿قل موتوا بغيظكم...﴾ الآية.

- ﴿إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسْؤُهُمْ﴾ يعني بالحسنة: النصر ﴿وإن تصبكم سيئة﴾ نكبة من المشركين ﴿يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً﴾ أي: أنهم لا شوكة لهم إلا أذى بالالسة.
﴿إن الله بما يعملون محيط﴾ أي: يجازيهم بما يعملون.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إِذْ هَمَّت طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتَمَ أَذِلَّةٌ فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُبَدِّلَكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَكِ مَنَزِلِينَ ﴿١١٤﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَكِ مُسَوِّمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ يعني: يوم أحد ﴿تُبَوِّئُ﴾ أي: تنزل ﴿المؤمنين مقاعد للقتال﴾.

﴿إِذْ هَمَّت طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ قال الكلبي: يعني: بني حارثة، وبني سلمة، حَيَّيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانُوا هُمَا أَلَا يَخْرُجُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، فَعَصَمَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾.

(١) في الأصل: وهذا. والمثبت من «ر».

﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة﴾ يذكّرهم نعمته عليهم. قال قتادة: نصرهم الله يوم بدر بألف من الملائكة مُردّفين ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ رجع إلى قصة أحد ﴿ألن يكفيكم أن يمدّكم﴾ أي: يقوّمكم ربكم ﴿بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾ ينزلهم الله عليكم من السماء ﴿بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا﴾ من (وجههم) ^(١) هذا ﴿يمدّكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين﴾ قال قتادة: يعني: عليهم سيما القتال.

قال محمد: السومة: العلامة التي يُعلّم بها الفارس نفسه ^(٢).

قال الشعبي: وعده خمسة آلاف إن جاءوا من ذلك الفور، فلم يجيئوا من ذلك الفور، ولم يمهده بخمسة آلاف، وإنما أمده بألف مردفين، وبثلاثة آلاف منزلين؛ فهم أربعة آلاف، وهم اليوم في جنود المسلمين.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِيَنَّ قُلُوبَكُمْ بِهِ وَمَا النّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ^(١٦٦) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتُمُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا حَآيِينَ ^(١٦٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ^(١٦٨) يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ مَّزْجًا كَمَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الَّتِي بَيْنَ يَدَيْكُمْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّضْغَفَةٍ وَأَتَنَسَفَعُونَ فِيهَا وَلَئِنَّكُمْ أَتَمَّوُنَ ^(١٦٩) وَأَنفِقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ^(١٧٠) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ^(١٧١)

﴿وما جعله الله﴾ يعني: المدد ﴿إلا بشرى لكم﴾ تستبشرون بها وتفرحون

(١) وقيل: من غضبهم. ينظر تفسير الطبري (١٨٢/٧)، تفسير ابن كثير (٩٤/٢). وفي «ر»: وجوههم.

(٢) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (سوم).

﴿وَلَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ أي: لتسكن به [قلوبكم] ^(١) ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ﴾ أي: يخزيهم ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ قال محمد: قوله: ﴿طَرَفًا﴾ يعني: قطعة، وقوله: ﴿أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ﴾ قيل: الأصل فيه: يكبدهم؛ أي: يصيبهم في أكبادهم بالحزن والغيط؛ الثاء مُبدلةً فيه من دال؛ لقرب مخرجيهما ^(٢).

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ...﴾ الآية.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن «أن رسول الله ﷺ أذْمِي وَجْهَهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ أَذْمَوْا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ؟! فَانْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾» ^(٣).

قال يحيى: فيها تقديم وتأخير؛ قال: ليقطع طرفًا من الذين كفروا أو يكتسبهم فينقلبوا خائبين، أو يتوب عليهم أو يعذبهم؛ فإنهم ظالمون، ليس لك من الأمر شيء.

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وعلى ذلك قراءة لاحق بن حميد: (أو يكبدهم). وقيل: الثاء أصلية وليست مبدلةً من شيء. والكَيْثُ: الإصابة بمكروه. وقيل: هو الصُّرْع للوجه واليدين. ينظر: البحر المحيط (٣/٥٤) الدر المصون (٢/٢٠٨).

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٨٧/٤) من طريق ابن عون عن الحسن به.

ورواه الطبري (٨٧/٤ - ٨٨) من طريق عباد عن الحسن به.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٧٩/٢) لعبد بن حميد في تفسيره.

ورواه مسلم (١٤١٧/٣) عن ثابت عن أنس.

ورواه الإمام أحمد (٩٩/٣) والترمذي (٢١١/٥) رقم ٣٠٠٢، ٣٠٠٣ والنسائي في الكبرى

(٦/٣١٤) رقم ١١٠٧٧ وابن ماجه (٢/١٣٣٦) رقم ٤٠٢٧ وابن حبان (١٤/٥٣٦) رقم

(٦٥٧٤) وغيرهم عن حميد عن أنس، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ومعنى: ﴿أو يتوب عليهم﴾ يرجعون إلى الإيمان ﴿أو يعذبهم﴾ بإقامتهم على الشرك.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة﴾ كانوا في الجاهلية إذا حلَّ ذَيْنُ أحدهم على صاحبه؛ فتقاضاه، قال: أخز عني وأزيدك.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤) ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرَ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (١٣٥) ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمْ فِيهَا أَجْرٌ الْعَمِلِينَ﴾ (١٣٦)

﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾ قال كريب مولى ابن عباس: سبع سموات وسبع أرضين يلفقن جميعاً كما تلفق الثياب بعضها إلى بعض، ولا يصف أحد طولها.

﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ أي: في اليسر والعسر (ل٥٢) ﴿والكاظمين الغيظ﴾ قال محمد: أصل الكظم: الحبس^(١).

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «ما جرّع أحد جرعة^(٢) خَيْرَ له من جرعة غيظ^(٣)».

(١) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (كظم).

(٢) في «ر»: ما تجرع عبد جرعة.

(٣) رواه الإمام أحمد (١٢٨/٢) وابن ماجه (١٤٠١/٢) رقم (٤١٨٩) والبيهقي في الشعب =

قوله: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ .

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل أخلاق (المسلمين) (١) العفو».

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ فخافوه وتابوا إليه ﴿وَلَمْ يَصْرُوا﴾ أي: لم يقيموا ﴿على ما فعلوا﴾ من المعصية.

يحيى: عن أبان العطار قال: كان يقال: لا قليل مع إضرار، ولا كثير مع استغفار.

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾

(١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَجٌ مِّنَ الْقَوْمِ فَاصْرَحْ بِهِ مِثْلَ مَا قَالُوا وَلَوْلَا بَيْنَ يَدَيْهِ الْوَحْيُ لَذَاقُوا الْعَذَابَ ﴿١٤٠﴾

﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ يعني: ما عذب الله به الأمم السالفة حين

= (٣١٣/٦ - ٣١٤ رقم ٨٣٠٥، ٨٣٠٧) عن يونس بن عبيد عن الحسن عن ابن عمر مرفوعاً.

ورواه البخاري في الأدب المفرد (٤٧٩ رقم ١٣١٨) من هذا الطريق موقوفاً.

ورواه عبد الرزاق في جامع معمر (رقم ٢٠٢٨٩) - ومن طريقه البيهقي في الشعب (٣١٤/٦) رقم ٨٣٠٨ - عن معمر عن سمع الحسن مرسلاً.

ورواه البيهقي في الشعب (٣١٤/٦ رقم ٨٣٠٦) من طريق يونس بن عبيد عن الحسن عن ابن عباس. وقال: والأول أصح. يعني: حديث يونس عن الحسن عن ابن عمر.

ورواه الإمام أحمد في المسند (٣٢٧/١) عن ابن عباس، قال الذهبي في الميزان: خبر منكر.

(١) في «ر»: المؤمن. ولم أقف على هذا الحديث.

﴿كذبوا رسلهم﴾ ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ أي: كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار؛ يحذرهم^(١) بذلك ﴿هذا بيان للناس﴾ قال قتادة: يعني: هذا القرآن بيان للناس عامة ﴿وهدى وموعظة للمتقين﴾ خُصوا به ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ أي: لا تضعفوا عن قتال المشركين ﴿وأنتم الأعلون﴾ يعني: الظاهرين المنصورين ﴿إن كنتم﴾ يعني: إذا كنتم ﴿مؤمنين﴾.

﴿إن يمسسكم قرحٌ فقد مسَّ القوم قرح مثله﴾ قال قتادة: القرح: الجراح، وذلك يوم أحد؛ فشا في أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ القتل^(٢) والجراحة؛ فأخبرهم الله أن القوم قد أصابهم من ذلك مثل ما أصابكم، وأن الذي أصابكم عقوبة؛ وتفسير تلك العقوبة بعد هذا الموضع.

قال محمد: يقال: قرَحَ وقُرِحَ، وقد قُرئ بهما^(٣)، والقُرَح بالضم: ألم الجراح، والقُرَح بالفتح: الجراح^(٤).

﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء﴾ قال قتادة: لولا أن الله جعلها دُولاً ما أُوذي المؤمنون، ولكن قد يُدَال^(٥) الكافر من المؤمن، ويُدَال المؤمن من الكافر؛ ليعلم الله من يطيعه

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: القتال.

(٣) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بالضم، والباقون بالفتح. ينظر: التيسير (٩٠) السبعة (٢١٦) النشر (٢/٢٤٢).

(٤) وقد ذهب إلى ذلك القراء في معانيه، بينما ذهب الأخفش والنحاس، والفارس إلى أن الضم والفتح لغتان، فهما بمعنى واحد. ينظر: معاني القرآن للفراء (١/٢٣٤)، معاني القرآن للأخفش (٢١٥)، الحجة (٢/٣٨٥).

(٥) أي: يُنَصَّر ويغلب. ينظر لسان العرب (دول).

ممن يعصيه؛ وهذا علمُ الفُعال .

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الْقَادِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

﴿وليُمَحِّصَ الله الذين آمنوا﴾ أي: يختبرهم؛ في تفسير مجاهد^(١) و﴿يُمحَق الكافرين﴾ أي: يمحَق أعمالهم يوم القيامة.

قال محمد: وقيل: معنى ﴿وليُمحَص الله﴾ أي: يُمحَص ذنوبهم؛ والتمحيص^(٢) أصله: التنقية، والتخليص^(٣).

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ أي: ولم يعلم الله ﴿الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾.

قال محمد: القراءة ﴿ويعلم الصابرين﴾ بالفتح على الصرف من الجزم^(٤) ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ إلى

(١) في «ر»: قتادة.

(٢) في «ر»: والمحص.

(٣) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (محص)، وفي معنى التمحيص أقوال آخر؛ تنظر من البحر (٣/٦٤)، الدر المصون (٢/٢١٧).

(٤) وذلك على مذهب الكوفيين، إذ كان حق الفعل الجزم عطفًا على ما سبقه، فعدل عنه إلى النصب بواو الصرف. وفيه أقوال نحوية أخرى. وقرأ الحسن وابن يعمر وأبو حيوه بكسر الميم عطفًا على ما سبقه، وقرأ عبد الوارث عن أبي عمرو بن العلاء (ويعلم) بالرفع. ينظر: إعراب القرآن (١/٣٦٧)، البيان (١/٢٢٣)، البحر (٣/٦٦)، الدر المصون (١/٢١٩).

السيوف بأيدي الرجال.

قال قتادة: أناسٌ من المسلمين لم يشهدوا يوم بدرٍ، فكانوا يتمنون أن يروا قتالاً؛ فيقاتلوا، فسُقِيَ إليهم القتال يوم أُحُد. قال غير قتادة: فلم يثبت منهم إلا من شاء الله.

﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل...﴾ الآية تفسير قتادة قال: ذلك يوم أحد حين أصابهم القرخُ والقتل؛ فقال أناسٌ منهم: لو كان نبياً ما قُتل، وقال ناسٌ من عليّة^(١) أصحاب النبي ﷺ: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيكم؛ حتى يفتح الله لكم، أو تلحقوا به؛ فقال الله: ﴿وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ يقول: ارتددتم [على أعقابكم]^(٢) كفاراً بعد إيمانكم ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً﴾ إنما يضر نفسه ﴿وسيجزي الله الشاكرين﴾ يعني: المؤمنين يعجزهم بالجنة.

قال محمد: يقال لمن كان على شيء، ثم رجع عنه: انقلب على عقبيه^(٣).

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجَلًّا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا أَسْتَكَاثُوا وَاللَّهُ

(١) واحدها: عليّ، وهو الرفيع القدر. ينظر لسان العرب (علو).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (عقب).

يُحِبُّ الصَّادِقِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا
وَتَبِّتْ أقدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَكَانَتْ لَهُمْ أَثَابُ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ
الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾ لا يستقدم، ولا
يستأخر عنه.

قال محمد: ونُصب ﴿كتاباً﴾ على معنى: كتب ذلك كتاباً^(١).

﴿ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها﴾ مثل قوله: (ل٥٣) ﴿من كان يريد العاجلة
عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها﴾^(٢) يعني: الجنة.

قال محمد: وقوله: ﴿ومن يرد ثواب الدنيا﴾ قيل: معناه: من كان إنما يقصد
بعمله الدنيا ﴿وكأين من نبي﴾ أي: وكم من نبي ﴿قتل﴾^(٣) معه ربيون كثير ﴿أي:
جموع كثيرة، وتقرأ: ﴿قاتل معه﴾ ﴿فما وهنوا﴾ أي: ضعفوا وعجزوا.

﴿وما استكانوا﴾ أي: وما ارتدوا عن بصيرتهم.

قال محمد: الرِّبَّة: الجماعة، ويقال للجمع: رِبِّي؛ كأنه نُسِبَ إلى الرِّبَّة؛
فإذا جُمع قيل: ربيون^(٤)، ومعنى استكانوا: خشعوا وذلوا^(٥).

(١) وفي نصبه أوجه نحوه أخرى، تنظر من البيان (١/٢٢٣ - ٢٢٤)، البحر (٣/٧١)، الدر
(٢٢٣/٢).

(٢) الإسراء: ١٨.

(٣) وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو على البناء للمجهول، وقرأ الباقون (قاتل). ينظر:
السبعة (٢١٧)، النشر (٣/٢٤٢)، التيسير (٩٠).

(٤) وتجمع (الربة) على: (رَبَب) و(رِباب) و(أرْبَة). أما جمع (رِبِّي) فهو (رِبْيُون). ينظر لسان
العرب، القاموس المحيط (رب).

(٥) وعليه يكون (استكان) أصله (استكَّن). وقيل: (استكان) استفعل من (كان) والمعنى: ما
كانوا لطاعة ربهم. وفيه أقوال أخر.

﴿وما كان قولهم﴾ حين^(١) ﴿لقوا عدوهم﴾ إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا﴾ يريدون: خطاياهم .

﴿فأتاهم الله﴾ أعطاهم ﴿ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة﴾ أما ثواب الدنيا: فالنصر على عدوهم، وأما ثواب الآخرة: فالجنة .

قال محمد: تقرأ ﴿وما كان قولهم﴾ بالرفع والنصب؛ فمن قرأ بالرفع: جعل خبر «كان» ما بعد «إلا»، والأكثر في الكلام أن يكون الاسم هو ما بعد «إلا»؛ فيكون المعنى: وما كان قولهم إلا استغفارهم^(٢) .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا﴾ يعني: اليهود؛ في تفسير الحسن ﴿يردوكم على أعقابكم﴾ أي: إلى الشرك ﴿فتنقلبوا﴾ إلى الآخرة ﴿خاسرين﴾ ﴿بل الله مولاكم﴾ وليكم ينصركم ويعصمكم من أن ترجعوا كافرين ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ قال الحسن: يعني: مشركي العرب ﴿بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أي: حجة بما هم عليه من

= ينظر: الزاهر (٢/٣٠٩)، الخصائص (٣/٣٢٤)، رسالة الملائكة (٢١٦)، كشف المشكلات (١/٢٦٤).

(١) في الأصل: حيث. والمثبت من «ر».

(٢) الجمهور على نصب (قولهم) خبراً مقدماً، والاسم هو (أن) وما في خبرها، وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع (قولهم) على أنه اسم، والخبر (أن) وما في خبرها. ينظر: البحر المحيط (٣/٧٥)، الدر المصون (٢/٢٣٠)، إتحاف الفضلاء (١٨٠).

الشرك ﴿ومأواهم النار﴾ أي: مصيرهم إلى النار ﴿وبئس مثوى الظالمين﴾ منزل الظالمين المشركين ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه﴾ تفسير الحسن وغيره: [إذ^(١)] تقتلونهم.

قال محمد: يقال: سَنَّةٌ حَسُوسٌ؛ إذا أتت على كل شيء، وجراذ محسوسٌ؛ إذا قتله البرد^(٢).

﴿حتى إذا فشلتم...﴾ الآية، قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «رأيتني البارحة؛ كأنَّ عليَّ دِرْعًا حصينةً، (فأولتها)^(٣) المدينة، فأكمنوا للمشركين في أزقتها حتى يدخلوا عليكم في أزقتها؛ فتقتلوهم. فأبت الأنصارُ من ذلك فقالوا: يا رسول الله، منعنا مدينتنا من تُبُع والجنود فنُخلي بين هؤلاء المشركين وبينها يدخلونها؟! فلبس رسول الله سلاحه، فلما خرجوا من عنده أقبل بعضهم على بعض، فقالوا: ما صَنَعْنَا؛ أشار علينا رسول الله، فرددنا رأيَه؛ فأتوه فقالوا: يا رسول الله، نكمن لهم في أزقتها؛ حتى يدخلوا فنقتلهم فيها؛ فقال: إنه ليس لنبي لبس لأَمَّتَه - أي: سلاحه - أن يضعها؛ حتى (يقاتل)^(٤) قال: فبات رسول الله دونهم بليلة؛ فرأى رؤيا، فأصبح فقال: إني رأيت البارحة كأنَّ بقرًا ينحر، فقلت: بقر! والله خير، وإنه كائنة فيكم مصيبةٌ، وإنكم ستلقونهم وتهزمونهم غدًا؛ فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا المُدْبِرِينَ»^(٥)

(١) في الأصل: أي. والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط (حسن).

(٣) في «ر»: فتأولتها.

(٤) في «ر»: يدخل.

(٥) رواه الإمام أحمد (٣/٣٥١) وابن سعد في الطبقات (٢/٤٥) والدارمي (٢/١٧٣) رقم

٢١٥٩ والنسائي في الكبرى (٤/٨٤ - ٨٥ رقم ٢٧٢٢) عن أبي الزبير عن جابر دون قوله

«وإنه كائنة فيكم مصيبة...» إلى آخره، قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/٣٥٣): =

ففعّلوا فلقوهم فهزموهم؛ كما قال رسول الله فأتبعوا المدبرين على وجهين: أما بعضهم: فقالوا: مشركون وقد أمكننا الله من أديبارهم فنقتلهم، فقتلوهم على وجه الحِسْبَةِ، وأما بعضهم: فقتلوهم لطلب الغنيمة، فرجع المشركون عليهم فهزموهم، حتى صعدوا أحداً؛ وهو قوله:

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۚ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرْسِلُوا مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ لقول رسول الله: إنكم ستلقونهم فتهزمونهم، فلا تتبعوا المُدْبِرِينَ. وقوله: ﴿حتى إذا فشلت﴾ أي: ضعفت في أمر رسول الله ﴿وتنازعتم﴾ اختلفتم فصرتم فرقتين؛ تقاتلونهم على وجهين.

﴿وعصيتم﴾ الرسول ﴿من بعد ما أراكم ما تحبون﴾ من النصر على عدوكم ﴿منكم من يريد الدنيا﴾ يعني: الغنيمة ﴿ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم لِيَبْتَلِيَكُمْ ولقد عفا عنكم﴾ حين لم يستأصلكم ﴿والله ذو فضلٍ على المؤمنين﴾.

= وسنده صحيح.

ورواه الحاكم (١٢٨/٢ - ١٢٩) وعنه البيهقي في السنن (٤١/٧) وفي الدلائل (٣/٢٠٤ - ٢٠٥) عن ابن عباس وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قال ابن حجر في الفتح (٣٥٣/١٣): وهذا سند حسن.

وروى البخاري (٧٢٥/٦ رقم ٣٦٢٢) ومسلم (٨٤/٤ - ٨٥ رقم ٢٢٧٢) عن أبي موسى قصة الرؤيا.

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَكُونُوا عَلَىٰ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ يَدْعُوكُمْ فِي أَحْرَبِكُمْ فَاتَّبِعْكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٢﴾ ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَدِّ الْغَمِّ أَمْنٌ نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٤﴾﴾

﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ إلى الجبل ﴿وَلَا تَكُونُوا عَلَى أَحَدٍ﴾ يعني: النبي .
 (ل ٥٤) ﴿وَالرُّسُلُ يَدْعُوكُمْ فِي أَحْرَابِكُمْ﴾ جعل يقول: إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ حَتَّى خَصَّ الْأَنْصَارُ؛ فَقَالَ: يَا أَنْصَارَ اللَّهِ [إِلَيَّ، أَنَا] ^(١) رَسُولَ اللَّهِ، فَارْجِعْتَ الْأَنْصَارَ وَالْمُؤْمِنُونَ.

﴿فَاتَّبِعْكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ﴾ .

قال يحيى: كانوا تحدثوا يومئذ أن نبي الله أُصِيبَ، وكان الغم الآخر قتل أصحابهم والجراحات التي فيهم؛ وذكر لنا أنه قُتِلَ يومئذ سبعون رجلاً: ستة وستون من الأنصار، وأربعة من المهاجرين.

(١) طمس في الأصل، والمثبت من (ر).

قال محمد: قوله: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ أي: جازاكم غمًّا متصلًا بغمٍّ^(١). وقوله: ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ﴾ تقرأ: ﴿تُصْعِدُونَ﴾ و﴿تَضْعَدُونَ﴾، فمن قرأ بضم التاء^(٢) فالمعنى: تَبْعُدُونَ في الهزيمة، يقال: أَضْعَد في الأرض؛ إذا أَمَعَن في الذهاب، وَضْعَدَ الجبلَ والسطح^(٣).

﴿لَكِي لَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ في أنفسكم من القتل والجراحات.

قال محمد: قيل: أي: ليكون غمكم؛ بأنكم خالفتم النبي ﷺ فقط. ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانةً نَعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةً قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ تفسير قتادة: كانوا يومئذ فريقيين: فأما المؤمنون: فغشاهم الله النَّعَاسَ أمانةً منه ورحمة، والطائفة الأخرى: المنافقون ليس لهم همٌ إلا أنفسهم ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قال الكلبي: (هم المنافقون)^(٤) قالوا لعبد الله بن أبي بن سلول: قُتِلَ بَنُو الْخَزْرَجِ! فقال: وهل لنا من الأمر من شيء؟ قال الله: ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ يُعْنِي: النصر﴾ ﴿كَلَهُ لِلَّهِ يَخْضَعُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ قال الكلبي: كان ما أخفوا في أنفسهم أن قالوا: لو كنا على شيء من الأمر - أي: من الحق - ما قُتِلْنَا هَاهُنَا، ولو كنا في بيوتنا ما أصابنا القتل. قال الله للنبي: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ

(١) وفي الآية معانٍ آخر غير هذا تنظر من: البحر (٨٣/٣) الدر المصون (٢/٢٣٥).

(٢) الجمهور على (تَصْعَدُونَ) من (أَضْعَدَ)، وقرأ الحسن والسلمي (تَضْعَدُونَ) من (صعد) ينظر

إتحاف الفضلاء (١٨٠) البحر (٨٢/٣) الدر المصون (٢/٢٣٣).

(٣) أي: رَقِيهَما. ينظر اللسان (صعد).

(٤) في «ر»: هو ظن المنافقين.

كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴿١﴾ أَي: يَطْهَرُهُ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿٢﴾ بِمَا فِي الصُّدُورِ ﴿٣﴾ إِنْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ﴿٤﴾ تَفْسِيرُ قِتَادَةَ قَالَ: كَانَ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ تَوَلَّوْا عَنِ الْقِتَالِ، وَعَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ الشَّيْطَانِ وَتَخْوِيفِهِ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ...﴾ الآية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمُوا مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ فَكُنْتَ قَطًّا غَلِيظًا أَلْقَلْبِ لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعُفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: التجارة ﴿أَوْ كَانُوا غُزًى﴾ يعني: فِي الْغَزْوِ.

قال محمد: ﴿غُزًى﴾ جمع (غاز) ^(١) مثل: قَاسٍ وَقُسًى، وَعَافٍ وَعُفًى قال الحسن: هم المنافقون ﴿وقالوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ يعني: إِخْوَانِهِمْ فِيمَا يَظْهَرُ الْمُنَافِقُونَ مِنَ الْإِيمَانِ.

﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ قالوا هذا؛ لِأَنَّهُ لَا نِيَّةَ لَهُمْ فِي الْجِهَادِ. قال الله: ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ وذلك أَنَّهُمْ كَانُوا يَجَاهِدُونَ قَوْمًا عَلَى دِينِهِمْ؛ فَذَلِكَ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ وَحَسْرَةٌ ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ

(١) وتجمع (غاز) أيضًا على: غُزَاءَ، وَغُزَاةَ، وَغُزَيَّ. ينظر اللسان (غزو).

مُثْمَ لمَغْفِرَةً من اللّٰه ورحمةٌ خَيْرٌ مما تَجْمَعُونَ^(١) ﴿١﴾ أي: من الدنيا.
﴿فبما رحمة من اللّٰه لنت لهم﴾ أي: فبرحمة من اللّٰه ورضوان و(ما) صلة
زائدة^(٢) ﴿ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم﴾ أمره
أن يعفو عنهم ما لم يلزمهم من حكم أو حد.
﴿واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾ أمره اللّٰه أن يشاور أصحابه في
الأمور؛ لأنه أطيب لأنفس القوم، وأن القوم إذا شاور بعضهم بعضًا، وأرادوا
بذلك وجه اللّٰه - عزم اللّٰه لهم على أرشده^(٣).

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللّٰهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى
اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٦٦) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ
تُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٦) أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّٰهِ كَمَنْ بَاءَ
يَسْخَطِ مِنَ اللّٰهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمُ وَبَشَ الصَّيْرِ (١٦٧) هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ﴾ (١٦٨)

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللّٰهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ...﴾ الآية، وقد أعلم اللّٰه رسوله
والمؤمنين أنهم منصورون، وكذلك إن خذلهم لن ينصرهم من بعده ناصر.
﴿وما كان لنبي أن يغلل﴾ قال قتادة: يعني: أن يغله أصحابه من المؤمنين
﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾.

(١) وهي قراءة الجماعة، وقرأ حفص ﴿يجمعون﴾ ينظر السبعة (٢١٨)، التيسير (٩١)، النشر
(٢٤٢/٢ - ٢٤٣)، الدر المصون (٢٤٤/٢).

(٢) وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر (٩٧/٣)، إعراب القرآن (٣٧٤/١)، البيان (١)
(٢٢٩).

(٣) أي: على أرشد الأمر وأفضله.

يحيى: عن حماد، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي (ل) ٥٥) بيده، لا يغل أحدٌ من هذا المال بغيراً إلا جاء به يوم القيامة حامله على عنقه له رُغاء^(١)، ولا بقرّة إلا جاء بها يوم القيامة حاملاً على عنقه ولها خوار^(٢)، ولا شاة إلا جاء بها يوم القيامة حاملاً على عنقه وهي تَبْعِر^(٣)».

قال محمد: معنى (تَبْعِر): تصيح^(٤).

﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: استوجب سخط الله؛ يقول: أهما سواء؟! على وجه الاستفهام أي: أنهما ليسا بسواء ﴿وَمَا وَاوَاهُ﴾ مصيره.

﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: أهل النار بعضهم أشدّ عذاباً من بعض، وأهل الجنة بعضهم أرفع درجات من بعض.

قال محمد: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ المعنى: هم [ذوو]^(٥) درجات.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (١٦٤) أَوْ

(١) هو صوت الإبل وضجيجه. اللسان، القاموس (رغو).

(٢) هو صياح البقر. اللسان، القاموس (خور).

(٣) رواه البخاري (٥/٢٦٠ - ٢٦١ رقم ٢٥٩٧) عن أبي حميد الساعدي.

ورواه مسلم (٣/٣٢١) رقم ١٨٣١ عن أبي هريرة.

(٤) ينظر: اللسان، القاموس، مختار الصحاح (يعر). يقال: يَعرَبُ الشاة تَبْعِر، وتَبْعِرُ يَعرَا وتَبْعِرُ أَي: صاحت.

(٥) في الأصل: ذو. وفي «ر»: ذوي. والمثبت هو الصواب. وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (١/٣٧٥)، البحر (٣/١٠٢).

لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنَ اللَّهُ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفَرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنِ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم﴾ يعني: يصلحهم.

﴿ويعلمهم الكتاب﴾ القرآن ﴿والحكمة﴾ السُّنَّة ﴿وإن كانوا من قبل﴾ أن يأتيهم النبي ﷺ ﴿لفي ضلالٍ مبين﴾ بين. ﴿أو لما أصابتكم مصيبة﴾ أي: يوم أُحُد.

﴿قد أصبتم مثلها﴾ يوم بَدْر ﴿قلتم أنى هذا﴾ أي: من أين أوتينا ونحن مؤمنون والقوم مشركون؟! ﴿قل هو من عند أنفسكم﴾ بمعصيتكم رسولَ الله حين أمركم ألا تتبعوا المدبرين ﴿وما أصابكم يوم التقى الجمعان﴾ يعني: جمع المؤمنين، وجمع المشركين يوم أُحُد ﴿فبإذن الله﴾ أي: الله أذن في ذلك ﴿وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا﴾ وهذا عِلْمُ الْفَعَالِ.

﴿وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا﴾ أي: كثروا السَّوَادِ ﴿قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذٍ أقرب منهم للإيمان﴾ وإذا قال الله: ﴿أقرب﴾ قال الحسن: فهو اليقين؛ أي: إنهم كافرون.

قال الكلبي: كانوا ثلاثمائة منافق؛ رجعوا مع عبد الله بن أبي ابن سلول؛

فقال لهم جابر بن عبد الله: أنشدكم الله في نبيكم ودينكم وذّراريكم. قالوا: والله لا يكون اليوم قتال، ولو نعلم قتالاً لاتبعناكم. قال الله: ﴿هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم﴾.

﴿الذين قالوا لإخوانهم﴾ يعني: من قُتِلَ من المؤمنين يوم أُحُد هم فيما أظهره المنافقون من الإيمان إخوانهم ﴿وقعدوا﴾ عن القتال ﴿لو أطاعونا ما قتلوا﴾ أي: ما خرجوا مع محمد. قال الله لنبيه: ﴿قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين﴾ أي: لا تستطيعون أن تدرءوه، يعني: تدفعوه.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾ (١٦٩) ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ. وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١٧٠) ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٧١) ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ﴾. قال محمد: ﴿بل أحياء﴾ بالرفع؛ المعنى: بل هم أحياء^(١).

﴿فرحين بما آتاهم الله من فضله﴾ أي: من الشهادة والرزق ﴿ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم...﴾ الآية، يقول بعضهم لبعض: تركنا إخواننا: فلاناً وفلاناً وفلاناً يقاتلون العدو؛ فيقتلون إن شاء الله؛ فيصيبون من الرزق والكرامة والأمن.

يحيى: عن خالد، عن أبي عبد الرحمن، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: «لما قدمت أرواح أهل أُحُد على الله، جعلت^(٢) في حواصل طير خضر

(١) ينظر: البحر (١١٢/٣ - ١١٣)، الدر المصون (٢/٢٥٦).

(٢) في «ر»: جعلها الله في الجنة.

تسرحُ في الجنة، ثم تأوي إلى قناديل من ذهب معلقة بالعرش يجاوب بعضها بعضاً بصوت لم تسمع الخلائق بمثله؛ يقولون: يا ليت إخواننا الذين خلّفنا من بعدنا علموا مثل الذي علمنا فسارعوا إلى مثل ما سارعنا فيه؛ فإننا قد لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا، فوعدهم الله ليخبرن نبيّه بذلك حتى يخبرهم؛ فأنزل الله: ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً...﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٧) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٨﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى اللَّهِ فَفَضَّلَ لَهُمْ يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٩﴾ إِنَّمَا ذَلِكَمُ الشَّيْطَانُ يَخْوَفُ أَوْلِيَائَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨٠﴾ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ

(١) رواه الإمام أحمد (١/٢٦٥ - ٢٦٦) وعبد بن حميد (٢٢٧ رقم ٦٧٩) والطبري في تفسيره (١٧٠/٤ - ١٧١) وابن أبي عاصم في الجهاد (٥١١/٢ رقم ١٩٤، ١٩٥) وغيرهم من طريق أبي الزبير عن ابن عباس مرفوعاً.

ورواه الإمام أحمد (١/٢٦٦) وأبو داود (٣/٢٢٢ رقم ٢٥١٢) وابن أبي عاصم في الجهاد (١/٢١٥ - ٢١٦ رقم ٥٢، ٥١٠/٢ رقم ١٩٣) والحاكم في المستدرک (٢/٨٨، ٢٩٧) والبيهقي في السنن (٩/١٦٣) والدلائل (٣/٣٠٤) والواحدي في أسباب النزول (ص ٩٤ - ٩٥) وغيرهم من طريق أبي الزبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. وذكر الدارقطني أن عبد الله بن إدريس تفرد بذكر سعيد بن جبير في الإسناد، وغيره يرويه فيجعله عن أبي الزبير عن ابن عباس. أطراف الغرائب (٣/١٨٧ رقم ٢٣٨٥) وانظر تخريج الكشاف (١/٢٤٢ - ٢٤٣ رقم ٢٥٥).

وقال ابن القطان: حديث حسن. بيان الوهم والإيهام (٤/٣٣٨ رقم ١٩١٩). ورواه مسلم (٣/١٥٠٢ رقم ١٨٨٧) عن ابن مسعود.

يَضُرُّوْا اللّٰهَ شَيْئًا يُّرِيْدُ اللّٰهُ اَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى الْاٰخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ ﴿١٧٦﴾ اِنَّ الَّذِيْنَ

اَسْتَرَوْا الْكُفْرَ بِالْاِيْمٰنِ لَنْ يَضُرُّوْا اللّٰهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ ﴿١٧٧﴾

﴿الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح﴾ يعني: الجراح؛ وذلك يوم أحد؛ حيث قال رسول الله ﷺ: «رحم الله قوماً يتدبون حتى يعلم المشركون أنا لم نستأصل، وأن فينا بقيةً فانتدب قومٌ ممن أصابتهم الجراح».

﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم﴾ إلى قوله: (٥٦٧) ﴿والله ذو فضلٍ عظيم﴾ تفسير الكلبي: بلغنا «أن أبا سفيان يوم [أحد]»^(١) حين أراد أن ينصرف قال: يا محمد، موعد ما بيننا وبينكم موسم بدر الصغرى أن نقاتل بها إن شئت؛ فقال له رسول الله ﷺ: ذلك بيننا وبينك. فانصرف أبو سفيان فقدم مكة، فلقني رجلاً من أشجع يقال له: نعيم بن مسعود؛ فقال له: إني قد واعدت محمداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر، فبدا لي ألا أخرج إليهم، وأكره أن يخرج محمداً وأصحابه ولا أخرج؛ فيزيدهم ذلك عليّ جُرأة، ويكون الخُلُفُ منهم أحب إليّ، فلك عشرةٌ من الإبل إن أنت حبسته عني فلم يخرج؛ فقدم الأشجعي المدينة، وأصحاب رسول الله ﷺ يتجهزون لميعاد أبي سفيان؛ فقال: أين تريدون؟ فقالوا: واعدنا أبا سفيان أن نلتقي بموسم بدر فنقتل بها، فقال: بشس الرأي رأيتم، أتوكم^(٢) في دياركم وقراركم؛ فلم يُقِلْتُ^(٣) منكم إلا شريد؛ وأنتم تريدون أن تخرجوا إليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم، والله إذن لا يفلت منكم أحد؛ فكره أصحاب رسول الله ﷺ أن

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: إخوانكم.

(٣) في «ر»: يثقل.

يخرجوا، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لأخرجن، وإن لم يخرج معي منكم أحداً! فخرج معه سبعون رجلاً؛ حتى وافوا معه بذراً، ولم يخرج أبو سفيان ولم يكن قتال، فتسوقوا في السوق، ثم انصرفوا^(١).

فهو قوله: ﴿الذين قال لهم الناس﴾ يعني: نعيماً الأشجعي ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله﴾ يعني: الأجر ﴿وفضل﴾ يعني: ما تسوقوا به ﴿لم يمسسهم سوء﴾ قتل ولا هزيمة.

﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ أي: يخوفكم من أوليائه المشركين ﴿فلا تخافوهم﴾.

﴿ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ (أي: اختاروا الكفر)^(٢) على الإيمان، وهم المنافقون؛ في تفسير الحسن.

﴿يريد الله ألا يجعل لهم حظاً﴾ نصيباً من الجنة.

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (١٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَتَابُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٩) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ (١٨٠)

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧٧/٤) عن ابن عباس بنحوه.

(٢) سقط من «ر».

﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خيرٌ لأنفسهم...﴾ الآية، قال محمدٌ: معنى ﴿نُملي لهم﴾ نطيل لهم ونمهلهم^(١)، ونصب (أنما) بوقوع (يحسبن) عليها^(٢).

﴿ما كان الله ليذرَ المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز﴾ أي: يعزل ﴿الخبيث من الطيب﴾ مَيِّز المؤمنين من المنافقين يوم أُحُد؛ في تفسير قتادة. ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ قال المنافقون: ما شأن محمد؛ إن كان صادقًا لا يخبرنا بمن يؤمن به قبل أن يؤمن؟ فقال الله: ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي﴾ أي: يستخلص ﴿من رسله من يشاء﴾ فيطلعه على ما يشاء (من الغيب)^(٣).

﴿ولا يحسبن الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرًا لهم﴾ قال محمد: يعني: البخل خيرًا لهم.

﴿بل هو شرٌّ لهم سيُطوقون ما بخلوا به﴾ قال الكلبي: يُطَوَّق شجاعين في عنقه؛ فَيَلْدَغَان جبهته ووجهه؛ يقولان: أنا كترك الذي كنزت، أنا الزكاة التي بخلت بها.

﴿ولله ميراثُ السموات والأرض﴾ أي: يبقى، وتفنون أنتم.

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (٨٨) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت

(١) يقال: أملاه، وأملَى له بمعنى أطال له وأمهله. ينظر: اللسان، القاموس المحيط (ملو).

(٢) وفيها تفصيل نحوي ينظر من: إعراب القرآن (١/٣٧٩ - ٣٨٠)، البحر (٣/١٢٢ - ١٢٣)،

البيان (١/٢٣٢)، الدر المصون (٢/٢٦٤).

(٣) سقط من «ر».

أَيَّدِيكُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَيَسَّ يَطْلُبُ لِّلْعَيْسِدِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا
 نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ
 وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٩﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ
 مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٨٠﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا
 تُوَفَّقُ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِسْمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿٨١﴾

﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ قالت اليهود: إن الله استقرضكم، وإنما يستقرض الفقير، قالوه لقول الله: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾^(١) قال الله: ﴿سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق﴾ يعني: بهذا: أوائلهم الذين قتلوا الأنبياء ﴿ونقول ذوقوا عذاب الحريق﴾ يعني: في الآخرة ﴿الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا قربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم﴾ من قربان الذي تأكله النار؛ فلم تؤمنوا بهم وقتلتموهم ﴿فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين﴾ أن الله عهد إليكم ذلك؛ يعني به أوائلهم وكانت الغنيمة قبل هذه (٥٧ل) الأمة [لا تحل لهم]^(٢) كانوا يجمعونها فتزل عليها نار من السماء؛ فتأكلها.

قال مجاهد^(٣): وكان الرجل إذا تصدق بصدقة فتقبلت منه أنزلت عليها

(١) البقرة: ٢٤٥.

(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٣) في «ر»: محمد.

نَارًا، فَأَكَلَتْهَا.

﴿فَإِنْ كَذَبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رِسَالٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبْرِ﴾ يعني: الحُجَج والكتب ﴿وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ يعني: الحلال والحرام.

قال الحسن: أمر الله نبيه بالصبر وعزاه، وأعلمه أن الرسل قد لقيت في جنب الله أذى.

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ عَزَى اللهُ رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ عَنِ الدُّنْيَا، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ يَصِيرُ بَاطِلًا.

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧٦) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٧٧﴾

﴿تُبْلَوْنَ﴾ لَتُخْتَبَرُنَّ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ...﴾ الآية؛ ابتلاهم في أموالهم [وأنفسهم] (١) ففرض عليهم أن يجاهدوا في سبيله بأموالهم وأنفسهم، وأن يؤدوا الزكاة، ثم أخبرهم أنهم سيؤذون في جنب الله، وأمرهم بالصبر. ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ...﴾ الآية، هذا ميثاق أخذه الله على العلماء من أهل الكتاب؛ أن يبينوا للناس ما في كتابهم، وفيه رسول الله والإسلام ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ وكتبوا كتبًا بأيديهم؛ فحرفوا كتاب الله ﴿وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ يعني: ما كانوا يصيبون عليه من عَرْضِ الدُّنْيَا ﴿فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ اشتروا النار بالجنة.

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

يحيى: عن خدّاش، عن أبان بن أبي عياش، عن عطاء قال: «من سُئِلَ عن عِلْمٍ عنده فكتمه؛ أُلْجِمَ يوم القيامة بلجام من نار»^(١).

﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨٨) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ هم اليهود، قال الحسن: دخلوا على رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الإسلام، فصبروا على دينهم، فخرجوا إلى الناس؛ فقالوا لهم: ما صنعتم مع محمد؟ فقالوا: آمنا به ووافقناه، فقال الله: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا﴾ يقول: فرحوا بما في أيديهم حين لم يوافقوا محمداً ﴿ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ أي: بمنجاة.

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاثِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُفِي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا

(١) روي مرفوعاً من طرق، انظر جامع بيان العلم وفضله (١/٢ - ١٨ رقم ١ - ٩).

وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لَا كُفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾
 ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يعني: أولي العقول] ^(١)؛ وهم المؤمنون.

﴿الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم﴾ تفسير قتادة: قال: هذه حالاتك يا ابن آدم؛ فاذكر الله وأنت قائم؛ فإن لم تستطع فاذكره وأنت جالس، فإن لم تستطع فاذكره وأنت على جنبك؛ يسرًا من الله وتخفيًا.
 ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا﴾ يقولون: ربنا ﴿ما خلقت هذا باطلا﴾ أي: إن ذلك سيصير بإذن الله إلى الميعاد ﴿سبحانك فقنا عذاب النار﴾ اصرف عنا عذاب النار ﴿وما للظالمين﴾ المشركين ﴿من أنصار﴾.
 ﴿ربنا إنا سمعنا مناديا ينادي للإيمان﴾ وهو النبي ﷺ ﴿أن آمنوا بربكم...﴾ الآية. قال الحسن: أمرهم الله أن يدعوا بتكفير ما مضى من الذنوب والسيئات، والعصمة فيما بقي.

﴿ربنا وآتانا ما وعدتنا على رسلك﴾ أي: على السنة رسلك؛ وعد الله المؤمنين على السنة رسلي أن يدخلهم الجنة إذا أطاعوه.

﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ أشرك الله بين الذكر والأنثى ﴿فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم...﴾ إلى قوله: ﴿حسن الثواب﴾ هذا للرجال دون النساء؛ فسألت عائشة النبي ﷺ: «هل على النساء جهاد؟» قال: نعم، جهاد لا قتال

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

فيه؛ الحج والعمرة»^(١).

قال محمدٌ: قوله: ﴿أني لا أضيع﴾ تقرأ بفتح الألف ويكسرهما؛ فمن قرأها بالفتح فالمعنى: فاستجاب لهم ربهم بأني لا أضيع، ومن قرأها بالكسر فالمعنى: قال لهم: إني لا أضيع^(٢)، و«ثوبًا» مصدر مؤكّد^(٣).

﴿لَا يَغْرَنَكْ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ۖ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْيَهَادَ ۚ﴾^(١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ۖ ﴿١٩٨﴾
﴿لَا يَغْرَنَكْ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ بغير عذاب، إنما هو متاع قليل ذاهب.

قال محمدٌ: وقيل: معنى: ﴿لَا يَغْرَنَكْ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: تصرفهم في التجارة، وإصابتهم الأموال؛ خطابٌ للنبي ﷺ والمراد: المؤمنون؛ أي: لا يغرنكم أيها المؤمنون.
(٥٨٧) قوله: ﴿نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ أي: ثوبًا ورزقًا.

(١) رواه الإمام أحمد (٧٥/٦، ١٦٥) وابن ماجه (٩٦٨/٢ رقم ٢٩٠١) وابن خزيمة (٣٥٩/٤) رقم ٣٠٧٤) والدارقطني (٢٨٤/٢ رقم ٢١٥) والبيهقي (٣٥٠/٤).
وروى البخاري (٤٤٦/٣ رقم ١٥٢٠) عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها: «لَكُنْ أَفْضَلُ الْجِهَادِ حَجَّ مَبْرُورًا».

(٢) الجمهور على فتح (أني) وقراً عيسى بن عمر بالكسر. ينظر الإعراب للنحاس (٣٨٦/١) البحر (١٤٣/٣)، الدر المصون (٢٨٧/٢). وفي توجيه القراءتين أقوال نحوية أخرى، تنظر من المرجعين السابقين: البحر، والدر.

(٣) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (٣٨٧/١)، البيان (٢٣٧/١)، البحر (٣/١٤٦)، الدر المصون (٢٨٩/٢).

قال محمد: ﴿نُزِّلَا﴾ مصدر مؤكد^(١).

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ عِبَادَتَ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾

﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ يعني: من آمن منهم ﴿وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله﴾ الخشوع: المخافة الثابتة في القلب. قال قتادة: ذكر لنا؛ أنها نزلت في النجاشي وأناس من أصحابه؛ آمنوا بنبي الله ﷺ.

﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ تفسير قتادة: أي: اصبروا على طاعة الله، وصابروا أهل الضلالة، ورابطوا في سبيل الله ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ وهي واجبة [لمن فعل]^(٢) والمفلحون: السعداء. قال محمد: أضلُّ المراقبة: أن يربط هؤلاء خيولهم، وهؤلاء خيولهم بالشجر؛ كلٌّ معدٌّ لصاحبه، فسمى المقام بالشجر رِبَاطًا^(٣).

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى، تنظر من البحر (١٤٧/٣)، إعراب القرآن (٣٨٨/١) الدر المصون (٢٩١/٢).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (ربط).

تفسير سورة النساء وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبْدِلُوا أَحْصِيَّتَ الْيَتَامَىٰ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِسُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَىٰ وَتِلْكَ وَرِثَةٌ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَنٌ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [يعني: آدم ﴿وخلق منها زوجها﴾ يعني: حواء] ^(١) قال قتادة: خلقها من ضلع من أضلاعه القصيرة. وقال [مجاهد: من جنبه الأيسر.

يحيى: ^(١) عن الحسن بن دينار، عن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «[إن المرأة خلقت من ضلع، وإنك إن تُردِّد إقامة] ^(٢) الضلع تكسرها، فدارها تعيش بها» ^(٢).

﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا﴾ أي: [خلق .

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ﴾ ^(١) به والأرحام﴾ أي: واتقوا الأرحام أن

(١) طمس بالأصل، والمثبت من «ر».

(٢) هذا مرسل ضعيف، وقدروي متصلا: رواه الحاكم في المستدرک (١٧٤/٤) عن سمرة بن جندب بهذا اللفظ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

ورواه البخاري (٩/١٦١ رقم ٥١٨٦)، ومسلم (٢/١٠٩٠-١٠٩١ رقم ١٤٦٨) عن أبي هريرة بنحوه.

تقطعوها. هذا تفسير من قرأها بالنصب، ومن قرأها بالجر، أراد: الذي تسألون به والأرحام^(١)، وهو قول الرجل: نشدتك بالله وبالرحم.

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ حفيظًا .

﴿وَاتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ يعني: إذا بلغوا ﴿وَلَا تَبْدُلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ﴾ قال الحسن: الخيث: أكل أموال اليتامى ظلماً، والطيب: الذي رزقكم الله؛ يقول: لا تذروا الطيب، وتأكلوا الخيث ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ يعني: مع أموالكم ﴿إِنَّهُ كَانَ حَوبًا كَبِيرًا﴾ أي: ذنبًا.

قال محمد: وفيه لغة أخرى: حَوْبًا بفتح الحاء^(٢)، وقد قرئ بها^(٣).

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا﴾ أي: تعدلوا ﴿فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ﴾ يعني: ما حلَّ لكم من النساء قال قتادة: يقول: كما خفتم الجور في اليتامى، وأهمكم ذلك، فذلك فخافوه في جميع النساء، وكان الرجل في الجاهلية يتزوج العشر فما دون ذلك، فأحلَّ الله له أربعاً؛ فقال: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ يقول: إن خفت ألا تعدل في أربع فانكح ثلاثاً، فإن خفت ألا تعدل في ثلاث فانكح اثنتين، فإن خفت ألا تعدل في

(١) قراءة الجر هي قراءة حمزة، وقراءة النصب هي قراءة الباقيين. ينظر: السبعة (٢٢٦)، التيسير (٩٣)، النشر (٢٤٧/٢).

وفي توجيه القراءتين أقوال نحوية أخرى تنظر في: إعراب القرآن (١/٣٨٩-٣٩١)، الحجة (٣/٢٢٦-٢٣٨)، البحر (٣/١٥٧-١٥٩)، الدر المصون (٢/٢٩٦).

(٢) وهي لغة تميم. وفيه لغة أخرى (حَابًا) وعليها قراءة أبي بن كعب يقال: حَابٌ يَحُوبُ حَوْبًا وَحَوْبًا وَحَابًا وَحَوْوَبًا وَجِيَابَةً؛ أي: أذنب ذنبًا عظيمًا. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حوب) الدر المصون (٢/٢٩٨)، البحر (٣/١٦١).

(٣) قرأ الجمهور (حَوْبًا) بالضم، وقرأ الحسن (حَوْبًا) بالفتح. ينظر: إتحاف الفضلاء (١٨٦)، البحر (٣/١٦١)، الدر المصون (٢/٢٩٨).

اثنتين فانكح واحدة، أو ما ملكت يمينك؛ يظاً بملك يمينه كم يشاء ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ أي: أجدُر ألا تميلوا.

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾
 ﴿٤﴾ وَلَا تُوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾

﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ قال قتادة: يعني: فريضة.

قال محمد: اختلف القول في ﴿نحلة﴾ فقليل: المعنى: نحلة من الله - عز وجل - للنساء، إذ جعل على الرجل الصداق، ولم يجعل على المرأة شيئاً، يقال: نَحَلْتُ الرجل إذا وهبت له هبةً، ونحلت المرأة، وقال بعضهم: معنى ﴿نحلة﴾: ديانة؛ كما تقول: فلان ينتحل كذا؛ أي: يدين به^(١). و﴿صَدَقَاتِهِنَّ﴾ جمع: صدقة، يقال: هو صَدَاقُ المرأة، وصدقة المرأة^(٢). ﴿فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾ يعني: الصداق ﴿نَفْسًا﴾ [يعني: نفسها]^(٣) ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾ قال قتادة: يعني: ما طابت به نفسها في غير كُرْه؛ فقد أحلَّ الله لها أن تأكله.

قال محمد: يقال: هَنَأَنِي الطعام وَمَرَأَنِي بغير ألف؛ فإذا أفردوا مرأني قالوا: أمرأني بالألف^(٤).

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (نحل).

(٢) الصَّدَاقُ، والصدقة بمعنى واحد؛ وهو مهر الزوجة، ويجمع الصداق على: أصدقة، وصدوق. وتجمع الصدقة على: صدقات. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (صدق).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) أي: يستعمل رباعياً إذا أفرد، وإنما يستعمل ثلاثياً للمشكلة مع (هنأني). ينظر: إصلاح المنطق (١٤٩، ٣١٩)، الدر المنصون (٣٠٩/٢).

﴿وَلَا تَوْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم﴾ قال الكلبي: يعني: النساء والأولاد؛ إذا علم الرجل أنَّ امرأته سفیهة مفسدة، أو ابنه سفیه مفسد؛ فلا ينبغي له أن يسلط أيهما^(١) على ماله.

(ل ٥٩) قال محمد: والسَّفه في اللغة أصله: الجهل^(٢).

(التي جعل الله لكم قوامًا)^(٣) لمعايشكم وصلاحكم، وتقرأ ﴿قِيَامًا﴾^(٤).

قال محمد: يقال: هذا قوام أمرك وقيامه؛ أي: ما يقوم به أمرك. ومن قرأ ﴿قِيَمًا﴾^(٥) فهو راجع إلى هذا؛ أي: جعلها الله قِيَمَ الأشياء؛ فيها تقوم.

﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ يعني: من الأموال ﴿واكسوهم﴾ وقولوا لهم قولاً معروفاً يعني: البعْدة الحسنة.

﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ

بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللهِ حَسِيبًا﴾

﴿وابتلوا اليتامى﴾ أي: اختبروا عقولهم ودينهم ﴿حتى إذا بلغوا النكاح﴾

يعني: الحلم.

﴿فإن آنستم منهم رشداً﴾ صلاحاً في دينهم ﴿فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾ أي: مبادرة أن يكبروا فيأخذوها منكم

(١) في «ر» واحداً منهما.

(٢) يقال: سَفِهَ يَسْفَهُ سَفَاهًا وَسَفَاهًا وَسَفَاهَةً: خف وطاش وجهل. اللسان (سفه).

(٣) المثبت قراءة ابن عمر (قوامًا) بكسر القاف، وقرأ الحسن وعيسى بن عمر (قَوَامًا) بفتح القاف، وتروى عن أبي عمرو. الدر المصون (٢/٣١٠).

(٤) وهي قراءة السبعة إلا نافعاً وابن عامر ينظر: السبعة (٢٢٦)، التيسير (٩٤)، والنشر (٢/٢٤٧).

(٥) وهي قراءة نافع وابن عامر. ينظر المراجع السابقة.

﴿ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ تفسير قتادة: قال: كان الرجل يلي مال اليتيم يكون له الحائط^(١) من النخل، فيقوم على صلاحه وسقيه، فيصيب من تمره، وتكون له الماشية، فيقوم على^(٢) صلاحها، ويولي علاجها ومؤنتها، فيصيب من جُزّازها^(٣) وعوارضها ويرسلها [يعني بالعوارض: الخِزْفان^(٤)، والرَّسِيل: السَّمْن واللَّبَن^(٥)] ^(٦) فأما رِقَاب المال فليس له أن يستهلكه.

يحيى: عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب (عن أبي الخير)^(٧) «أنه سأل ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار عن قول الله - عز وجل - : ﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ فقالوا: فينا والله أنزلت، كان الرجل يلي مال اليتيم له النخل، فيقوم له عليها؛ فإذا طابت الثمرة، كانت يده مع أيديهم مثل ما كانوا مستأجرين به غيره في القيام عليها».

يحيى: عن نصر بن طريف، عن عمرو بن دينار، عن الحسن العرنبي: «أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن في حجري يتيماً أفأضربه؟ قال: اضربه مما كنت ضارباً منه ولدك. قال: أفأكل من ماله؟ قال: بالمعروف غير متأثّل^(٨)

(١) أي: البستان. وجمعه: حوائط وحيطان. اللسان (حوط).

(٢) سقط من «ر».

(٣) الجُزّاز من كل شيء: ما جُزّ عنه. والمراد هاهنا الصوف، ويقال فيه أيضاً: الجَزَز. ينظر لسان العرب (جزز).

(٤) ينظر لسان العرب (عرض).

(٥) ينظر لسان العرب (رسل).

(٦) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٧) في «ر» عن أبي الحسن. وأبو الخير هو مرثد بن عبد الله اليزني، ترجمته في التهذيب (٢٧/ ٣٥٩-٣٥٧).

(٨) تأثّل المال: أدخره ليستثمره. اللسان (أثّل).

من ماله مالا، ولا وَاِى مَالِكَ بِمَالِهِ»^(١).

قوله: ﴿وَكُفَى بِاللّٰهِ حَسِيْبًا﴾ أي: حفيظًا.

﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرٌ نَّصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقَرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلِيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ...﴾ الآية. هذا حين بين الله فرائض الموارث، نزلت آية الموارث قبل هذه الآية، وهي بعدها في التأليف؛ وكان أهل الجاهلية لا يعطون النساء من الميراث، ولا الصغير شيئًا، وإنما كانوا يعطون من يحترف وينفع ويدفع، فجعل الله لهم من ذلك ﴿مما

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٨/١) وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٣/٦ رقم ٢) عن سفيان ابن عيينة عن عمرو بن دينار به.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٦٠/٤) من طريق عبد الرزاق به، لكن وقع فيه «عن الحسن البصري» وكذلك وقع في نسخة الشيخ شاکر (٥٩٢/٧ رقم ٨٦٤٨).

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٩/١) ومن طريقه الطبري في تفسيره (٢٦٠/٤) من طريق الزبير بن موسى عن الحسن العرنی به.

وعزه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٨٦/١) لابن المبارك في البر والصلة، وعزه السيوطي في الدر (١٣٦/٢) لسعيد بن منصور وعبد بن حميد والنحاس في ناسخه كلهم روه مرسلًا. ورواه الثعلبي في تفسيره من حديث عبد الله بن محمد بن أبي أسامة ثنا أبي عن معاوية بن هشام، عن سفيان، عن ابن أبي نجیح، عن الحسن العرنی، عن ابن عباس به. كذا في تخريج الكشاف (٢٨٦/١).

ورواه ابن حبان في صحيحه (٥٤/١٠-٥٥ رقم ٤٢٤٤) من طريق أبي عامر الخزاز، عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله. وانظر تخريج الكشاف (٢٨٥-٢٨٦/١).

قلّ منه أو كثر نصيبًا مفروضًا ﴿٣٥٠﴾.

﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربى...﴾ الآية، يعني: قسمة الموارث. تفسير الحسن: إن كانوا يقتسمون مالا أو متاعا أعطوا منه، وإن كانوا يقتسمون دورا أو رقيقا قيل لهم: ارجعوا رحمكم الله؛ فهذا قول معروف، وكان الحسن يقول: ليست بمنسوخة. وقال سعيد بن المسيب: هي منسوخة نسختها آية الموارث.

يحيى: وهو قول العامة أنها منسوخة^(١).

﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا﴾ تفسير قتادة: قال: يقول: من حضر ميتا^(٢) فليأمره بالعدل والإحسان، وليُنْهه عن الحيف^(٣) والجور في وصيته، وليخش على عياله ما كان خائفا على عيال من حضره الموت.

﴿إنما يأكلون في بطونهم نازا﴾ أي: إنما يأكلون به نازا.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾﴾

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (٣١-٣٢).

(٢) أي: في فراش الموت، أو من حضره الموت.

(٣) أي: الظلم. ينظر لسان العرب (حيف).

﴿فإن كن نساء فوق اثنتين﴾ يعني: أكثر من اثنتين.

﴿فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف﴾.

قال محمد: (أعطيت الابنتان الثلثين)^(١) بدليل لا يفرض مسمى لهما؛ والدليل قوله: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾^(٢) فقد صار للأخت النصف، كما أن للابنة النصف ﴿فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان﴾ فأعطيت (لـ ٦٠) البنتان الثلثين؛ كما أعطيت الأختان، وأعطى جملة الأخوات الثلثين؛ قياساً على ما ذكر الله في جملة البنات^(٣).

﴿ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد﴾ ذكر أو ولد ابن ذكر [أو أنثى]^(٤) وإن ترك ابنتين أو أكثر وأبويه فكذلك أيضاً، وإن ترك ابنته وأبويه، فللابنة النصف وللأم ثلث ما بقي وما بقي فللأب، وليس للأم مع الولد الواحد أو أكثر؛ ذكرًا كان أو أنثى إلا السدس.

﴿فإن لم يكن له ولدٌ وورثه أبواه فلأمه الثلث﴾ هذا إذا لم يكن له وارثٌ غيرهما؛ في قول زيد والعمامة.

﴿فإن كان له إخوة فلأمه السدس﴾ إذا كان له أخوان فأكثر حجبا الأم عن الثلث، وكان لها السدس ولا يحجبها الأخ الواحد عن الثلث، ولا الأخوان إذا كانا أخويه لأبيه أو أخويه لأمه، أو بعضهم من الأب وبعضهم من الأم فهؤلاء ذكورًا كانوا أو إناثًا أو بعضهم ذكور وبعضهم إناث يحجبون الأم عن

(١) في «ر»: حظ الأنثيين.

(٢) النساء: ١٧٦.

(٣) في «ر»: قياساً على ما ذكر الله للأختين والبنات.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

الثالث؛ فلا تأخذ إلا السدس ﴿من بعد وصية يوصي به أو دين﴾ فيها تقديم؛ يقول: من بعد دين يكون عليه أو وصية يوصي بها.

﴿أبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ تفسير مجاهد: لا تدرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فِي الدُّنْيَا ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ قَالَ السُّدِّيُّ يَعْنِي: قِسْمَةَ الْمَوَارِيثِ لِأَهْلِهَا الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

قال محمد: ﴿فَرِيضَةً﴾ منصوبٌ على التوكيد والحال^(١)؛ أي: ما ذكرنا لهؤلاء الورثة مفروضًا فريضة مؤكدة، لقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّينَ بِهَِا أَوْ دَيْنٌ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّونَ بِهَِا أَوْ دَيْنٌ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّى بِهَِا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَاكَرٍ وَصِيَّتِهِ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾

﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد﴾ أو ولد ولد، وولد البنات لا يرثون شيئًا، ولا يحجبون وارثًا.

﴿فإن كان لهن ولد﴾ ذكر أو أنثى ﴿فلكم الربع مما تركن﴾.

﴿ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد﴾ أو ولد ولد، ولا يرث ولد

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر في: البحر (٣/١٨٧-١٨٨)، الدر المصون (٢/٣٢٣).

البنات شيئاً ولا يحجبون.

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثَّمَنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ فَإِنْ تَرَكَ رَجُلٌ امْرَأَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا أَوْ أَرْبَعًا، فَالرَّبِيعُ بَيْنَهُنَّ سَوَاءٌ؛ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ، فَإِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ وَلَدٌ وَلَدٌ ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى، فَالْثَّمَنُ بَيْنَهُنَّ سَوَاءٌ.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثَّلَاثِ﴾ وَذَكَرَهُمْ كَأَنَّهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ. قَالَ قَتَادَةُ: وَالْكِلَالَةُ: الَّذِي لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدٌ وَلَا جَدٌّ ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ فِي الْمِيرَاثِ أَهْلُهُ، يَقُولُ: لَا يَقْرَبُ بِحَقِّ لَيْسَ عَلَيْهِ، وَلَا يُوصِي بِأَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ مُضَارَةً لَهُمْ.

قال محمد: ﴿غَيْرٌ﴾ منصوب على الحال، المعنى: يوصي بها غير مضار^(١) ﴿وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ تلك القسمة.

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٣) وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ أَي: سُنَّتُهُ وَأَمْرُهُ فِي قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فِي قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ؛ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ﴿نُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ الآية.

﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فِي قِسْمَةِ الْمَوَارِيثِ ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ...﴾ الآية وذلك أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا لَا يُورِثُونَ النِّسَاءَ وَلَا الصِّبْيَانَ الصَّغَارَ؛ كَانُوا يَظْهَرُونَ

(١) وفيه تفصيل نحوي، ينظر: البحر (٣/١٩١)، الدر المصنوع (١/٣٢٦).

الإسلام وهم على ما كانوا عليه في الشرك، وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء.

﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَدْحَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَأَنشُدُوا عَلَيْهِنَ آيَةَكَ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَنصَرِكُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَازُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم...﴾ يعني: الزنا، الآية.

قال يحيى: وقيل: هذه الآية نزلت بعد الآية التي بعدها في التأليف^(١) ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ﴾ يعني: الفاحشة ﴿فَأَازُوهُمَا﴾ بالألستة ﴿فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا...﴾ الآية.

ثم نزلت هذه الآية: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ يعني: مخرجاً من الحبس؛ في تفسير السُّدِّي، ثم نزل في سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾^(٢).

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُتْتُ أَنَا وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة (ص ٣٣).

(٢) النور: ٢، وينظر الناسخ والمنسوخ (ص ٣٣).

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ يعني: التجاوز من الله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّوْءَ بِجَهَالَةٍ﴾ (ل ٦١) قال قتادة: كل ذنب أتاها عبد فهو بجهالة.

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ يعني: ما دون الموت، يقال: ما لم يُعْرِغْزِ.

﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ قال الحسن: نزلت هذه الآية في المؤمنين،

ثم ذكر الكفار؛ فقال: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾؛ يعني:

الشرك بالله ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ عند معاينة ملك الموت قبل أن

يخرج من الدنيا ﴿قَالَ إِنِّي تَبَتَ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا

لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا

بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ

فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ كان الرجل في

الجاهلية يموت عن امرأته، فيلقي وليه عليها ثوبًا؛ فإن أحب أن يتزوجها

تزوجها، وإلا تركها حتى تموت، فيرثها، إلا أن تذهب إلى أهلها من قبل أن

يلقي عليها ثوبًا، فتكون أحق بنفسها ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ تحبسوهن ﴿لِتَذْهَبُوا

بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ﴾ يعني: الصداق ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ نهي^(١)

الرجل إذا لم يكن له بامرأته حاجة أن يضرها فيحبسها لتفتدي منه ﴿إِلَّا أَنْ

يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ تفسير بعضهم: إلا أن تكون هي الناشئة فتختلع منه.

الفاحشة المبينة: عصيانها ونشوزها.

(١) في «ر» : يعني.

﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ أي: اصحبوهن بالمعروف ﴿فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ يكره الرجل المرأة، فيمسكها وهو لها كاره، فعسى الله أن يرزقه منها ولداً، ثم يعطفه الله عليها، أو يطلقها، فيتزوجها غيره، فيجعل الله للذي تزوجها فيه خيراً كثيراً .

﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً﴾ (٢٠) وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذت منكم ميثاقاً غليظاً﴾ (٢١) ﴿وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج﴾ يعني: طلاق امرأة، ونكاح أخرى.

﴿وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً تأخذونه بهتاناً﴾ أي: ظلماً ﴿وإثماً مبيناً﴾ بيئناً.

يقول له: لا يحل له أن يأخذ ممّا أعطاها شيئاً، إلا أن تنشر؛ فتفتدي منه . قال محمد: ﴿بهتاناً﴾ مصدر موضوع موضع الحال^(١)؛ المعنى: أتأخذونه مباهتين وأثمين. والبهتان: الباطل الذي يُتَحَيَّر من بطلانه^(٢).

﴿وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ يعني: المجامعة ﴿وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ هو قوله: ﴿إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾^(٣) في تفسير قتادة.

قال قتادة: وقد كانت في عقد المسلمين عند نكاحهم: الله عليك لتمسكن

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر (٢٠٧/٣)، الدر المصون (٣٣٨/٢).

(٢) والبهتان فُعلان من البهت؛ وهو التحير والدَّهش. ينظر اللسان (بهت).

(٣) البقرة: ٢٢٩.

بمعروف، أو لتسرحن بإحسان.

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ٣٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ٣٣﴾

﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف﴾ يعني: ما قد مضى قبل التحريم ﴿إنه كان فاحشة ومقته﴾ بغضا من الله ﴿وساء سبيلا﴾ أي: بشس المسلك.

قوله: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم﴾ والجندات كلهن مثل الأم، وأم أبي الأم مثل الأم ﴿وبناتكم﴾ وبنات الابن وبنات الابنة وأسفل من ذلك فهي كالابنة ﴿وأخواتكم﴾ إن كانت لأبيه وأمه أو لأبيه أو لأمه فهي أخت ﴿وعماتكم﴾ فإن كانت عمته [أو عمة أبيه]^(١) أو عمة أمه وما فوق ذلك فهي عمة ﴿وخالاتكم﴾ فإن كانت خالته أو خالة أبيه أو خالة أمه أو خالة فوق ذلك - فهي خالته ﴿وبنات الأخ﴾ فإن كانت ابنة أخيه أو ابنة ابن أخيه لأبيه وأمه أو لأبيه أو لأمه أو ابنة ابنة أخيه وما أسفل من ذلك - فهي بنت^(٢) أخ.

(١) لحق لم يظهر بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: بنات.

﴿وبنات الأخ﴾ فإن كانت ابنة أخته أو ابنة ابن أخته (أو ابنة ابنة أخته)^(١) وأسفل من ذلك - فهي ابنة أخت.

﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾ يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب؛ فلا تحل له أمه من الرضاعة ولا ما فوقها من الأمهات، ولا أخته من الرضاعة، ولا عمته من الرضاعة، ولا عمة أبيه من الرضاعة، ولا عمة أمه من الرضاعة، ولا ما فوق ذلك، ولا خالة من الرضاعة، ولا خالة أبيه، ولا خالة أمه، ولا ما فوق ذلك، ولا ابنة أخيه من الرضاعة، ولا ابنة ابن أخيه من الرضاعة، ولا ما أسفل من ذلك، ولا ابنة أخته من الرضاعة ولا ابنة ابن أخته، (ل ٦٢) ولا ابنة ابنة أخته من الرضاعة، ولا ما أسفل من ذلك. وإذا أرضعت المرأة غلاماً لم يتزوج ذلك الغلام شيئاً من بناتها^(٢)؛ لا ما قد وُلد (معه ولا قبل)^(٣) ذلك ولا بعده، ويتزوج إخوته من أولادها إن شاءوا، وكذلك إذا أرضعت جارية لم يتزوج تلك الجارية أحد من أولادها؛ لا ما وُلد قبل رضاعها، ولا ما بعده، يتزوج إخوتها من أولادها إن شاءوا.

﴿وأمهات نسائكم﴾ لا تحل للرجل أم امرأته، ولا أمهاتهما.

﴿وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾ فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم ﴿فإذا تزوّج الرجل المرأة، فطلقها قبل أن يدخل بها، أو ماتت ولم يدخل بها﴾ تزوج ابنتها إن شاء، وإن كان قد دخل بها لم يتزوج ابنتها، ولا ابنة ابنتها، ولا ما أسفل من ذلك.

(١) سقط من «ر».

(٢) في «ر»: أولادها.

(٣) في «ر»: قبل رضاعه.

﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ فلا تحل له امرأة ابنه، ولا امرأة ابن ابنه، ولا امرأة ابن ابنة ابنه ولا أسفل من ذلك، وإنما قال الله: ﴿الذين من أصلابكم﴾ لأن الرجل كان يتبنّى الرجل في الجاهلية، وقد كان النبي ﷺ يتبنّى زيداً، فأحل الله [له] ^(١) نكاح نساء الذين تبّنوا، وقد تزوج النبي -عليه السلام- امرأة زيد بعد ما طلقها.

﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾ ما مضى قبل التحريم؛ فإن كانت أختها لأبيها وأُمها، أو أختها لأبيها، (أو أختها لأُمها، أو من الرضاعة) ^(٢) - فهي أخت، وجميع النسب والرضاع في الإماء بمنزلة الحرائر.

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرْضَيْنَهُ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾﴾

﴿والمحصنات من النساء﴾ المحصنات ها هنا: اللاتي لهن الأزواج؛ يقول: ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم﴾ إلى هذه الآية، ثم قال: ﴿والمحصنات من النساء﴾ أي: وحرّم عليكم المحصنات من النساء ﴿إلا ما ملكت أيمانكم﴾؛ يعني: من السبايا؛ فإذا سبيت المرأة من أهل الشرك، ولها زوج، ثم وقعت في سهم رجل؛ فإن كانت من أهل الكتاب، وكانت حاملاً، لم يَطَّأها؛ حتى تضع، وإن كانت ليست بحامل، لم يقربها؛ حتى تحيض، وإن لم يكن لها زوج فكَذَلِكَ أيضًا، وإن كانت من غير أهل الكتاب لم يَطَّأها،

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

حتى تتكلم بالإسلام فإذا قالت: لا إله إلا الله، استبرأها بحيضة، إلا أن تكون حاملاً؛ فيكف عنها، حتى تضع.

يحيى: عن المعلّى، عن عثمان البتي، عن أبي الخليل، عن أبي سعيد الخدري قال: «أَصْبْنَا يَوْمَ أُوطَاسَ سَبَايَا نَعْرِفُ أَنْسَابَهُنَّ وَأَزْوَاجَهُنَّ، فَاِمْتَنَعْنَا مِنْهُنَّ؛ فَتَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَالْمَحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ مِنَ السَّبَايَا»^(١).

﴿كتاب الله عليكم﴾ يعني: حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم إلى هذا الموضع، ثم قال: كتاب الله عليكم؛ يعني: بتحريم ما قد ذكر.

قال محمد: ﴿كتاب الله﴾ منصوب على معنى: كتب عليكم كتاباً^(٢).

﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾ يعني: ما بعد ذلكم من النساء.

﴿أن تبتغوا بأموالكم﴾ تتزوجوا بأموالكم؛ لا يتزوج فوق أربع.

(١) رواه الإمام أحمد (٧٢/٣) والترمذي (٤٣٨/٣)، رقم ١١٣٢، ١١٣٢/٥، ٢١٨-٢١٩ رقم ٣٠١٧ والنسائي في الكبرى (٣٠٨/٣) رقم ٥٤٩١، ٣٢١/٦ رقم ١١٠٩٧ والطبري في تفسيره (٢/٥) والدارقطني في العلل (٣٥٢/١١) وغيرهم من طريق عثمان البتي به. ورواه مسلم (١٠٨٠/٢) رقم ١٤٥٦/٣٥ من طريق قتادة عن أبي الخليل به. ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٥٣-١٥٤) عن معمر عن قتادة، عن أبي الخليل أو غيره عن أبي سعيد به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وهكذا رواه الثوري، عن عثمان البتي عن أبي الخليل عن أبي سعيد، وأبو الخليل اسمه صالح بن أبي مريم، وروى همام هذا الحديث عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد عن النبي ﷺ.

ورواه الإمام أحمد (٨٤/٣) ومسلم (١٠٧٩-١٠٨٠ رقم ١٤٥٦/٣٤، ٣٣) وأبو داود (٢/٢٤٧ رقم ٢١٥٥) والترمذي (٤٣٨/٣) والنسائي (٣٢١/٦) رقم ١١٠٩٦ والطبري في تفسيره (٢/٥) من غيرهم من طرق عن قتادة عن أبي الخليل عن أبي علقمة الهاشمي عن أبي سعيد. وقال الدارقطني في العلل (٣٥٢/١١) رقم ٢٣٣٤: وقول قتادة أصح.

(٢) وفي نصه أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (٤٠٦/١)، مجمع البيان (٣١/٢)، البحر (٢١٤/٣)، الدر المصون (٣٤٥/٢).

﴿محصنين غير مسافحين﴾ قال مجاهد: يعني: ناكحين غير زانين ﴿فما استمتعتم به منهن﴾ قال مجاهد: يعني: النكاح. ﴿فآتوهن﴾ فأعطوهن ﴿أجورهن﴾ قال: صدقاتهن. ﴿فريضة﴾ «كان رسول الله ﷺ رخص في المتعة يوم فتح مكة إلى أجل؛ على ألا يرثوا ولا يؤرثوا، ثم نهى عنها بعد ثلاثة أيام»^(١) فصارت منسوخة نسختها الميراث والعدة^(٢).

﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتن به من بعد الفريضة﴾ قال الحسن: لا بأس على الرجل أن تضع له المرأة من صداقها الذي فرض لها؛ كقوله: ﴿فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾^(٣).

﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفَّحَاتٍ وَلَا مُتَّخَذَاتٍ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَ الصَّافِينَ﴾^(٤)

﴿ومن لم يستطع منكم طولا﴾ (ل ٦٣) يعني: غنى ﴿أن ينكح المحصنات المؤمنات﴾ يعني: الحرائر المؤمنات ﴿فمما ملكت أيما نكم من فتياتكم﴾ يعني: إماءكم المؤمنات، ولا يحل نكاح إماء أهل الكتاب ﴿والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض﴾؛ يعني: المؤمنين، حرهم ومملوكهم، وذكرهم وأنثاهم، والله أعلم بإيمانكم ﴿فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ أي: ساداتهن ﴿وآتوهن أجورهن﴾

(١) رواه مسلم (١٠٢٣/٢ - ١٠٢٧) رقم ١٤٠٦ عن سيرة ابن معبد الجهني .

(٢) وينظر الناسخ والمنسوخ (ص ٣٥-٣٦).

(٣) النساء: ٤ .

بالمعروف ﴿يعني: ما تراضوا عليه من المهر﴾ مُخَصَّنَاتٍ غير مسافحات ﴿يعني: ناكحات غير زانيات﴾ ﴿ولا متخذات أخذان﴾ المُسَافِحَةُ: المجاهرة بالزنا، وذات الخدن: التي كان لها خليل في السر^(١) ﴿فَإِذَا أَخْصِنَّ﴾ قال قتادة: يعني: أَخْصَنَّتْهُنَّ البعولة ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾ يعني: الزنا ﴿فَعَلِيهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾ يعني: الحرائر ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ يعني: من الجلد؛ تجلد خمسين جلدة ليس عليها رَجْمٌ، وإن كان لها زوج.

﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ قال قتادة: إنما أمر الله نكاح الإماء المؤمنات لمن خشي العنت على نفسه - والعنت: الضيق - أي: لا يجد ما يستعف به، ولا يصبر فيزني.

﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ يعني: عن نكاح الإماء.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَجْمَعًا وَيُزَكِّيَ لَكُمْ الْإِسْلَامَ﴾ يعني: يريد الله ليعين لكم حلاله وحرامه ﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ يعني: شرائع من كان قبلكم من المؤمنين فيما حرّم عليكم من الأمهات والبنات والأخوات... إلى آخر الآية.

﴿وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: يتجاوز عما كان من نكاحكم إياهنّ قبل التحريم. ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يُمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ هي مثل الأولى قبلها.

﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ يعني: اليهود في استحلالهم نكاح بنات

(١) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (سفع، خدن)، والدر المصون (٢/٣٥٠).

الأخ. ﴿أَنْ تَمِيلُوا﴾ يعني: أَنْ تَأْتَمُوا.

﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ في نكاح الإماء، ولم يكن أحلاً نكاحهن لمن كان قبلكم ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ أي: لا يصبر عن النساء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ يعني: بالظلم ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾ يعني: تجارة حلالاً ليس فيها رباً ﴿عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، (عن) ^(١) أبي بكر [بن] ^(٢) عبدالرحمن ^(٣) (عن) ^(٤) أبي أمامة بن سهل بن حنيف «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ رَجُلًا فِي سِرِّيَّةٍ فَأَصَابَهُ كَلَمٌ ^(٥)، فَأَصَابَتْهُ عَلَيْهِ جَنَابَةٌ، فَصَلَّى وَلَمْ يَغْتَسِلْ، فَعَابَ عَلَيْهِ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ، فَلَمَّا قَدَمُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ذَكَرُوا ذَلِكَ لَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَجَاءَهُ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ ^(٦)».

(١) تحرفت في «ر» إلى: «و» وإبراهيم بن محمد هو ابن أبي يحيى الأسلمي ترجمته في التهذيب (١٨٤-١٩١)، وأبو بكر بن عبدالرحمن الأنصاري ترجمته في الكنى لأبي أحمد الحاكم (٢/٢٤٣ رقم ٧٤٢).

(٢) تحرفت في «الأصل» إلى: «عن» والتصويب من «ر».

(٣) زاد بعدها في «الأصل»: ابن أبي أمامة. وهي زيادة مقحمة ليست في «ر».

(٤) تحرفت في «ر» إلى: بن.

(٥) أي: جراحة.

(٦) رواه عبدالرزاق في مصنفه في التيمم - كما في تخريج الكشاف (١/٣١٠) - عن ابن جريج، عن أبي بكر بن عبدالرحمن الأنصاري، عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف وعبدالله بن عمرو ابن العاص عن عمرو بن العاص بنحوه.

ورواه أبو أحمد الحاكم في الكنى (٢/٢٤٣)، والطبراني في معجمه - كما في تخريج الكشاف (١/٣١٠) - من طريق عبد الرزاق به.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/٢٦٣): رواه الطبراني في الكبير، وفيه أبو بكر بن عبدالرحمن الأنصاري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، ولم أجد من ذكره، وبقي رجاله ثقات. اهـ.

قلت: أبو بكر بن عبدالرحمن الأنصاري ذكره أبو أحمد الحاكم في الكنى، وذكره البخاري في الكنى (ص ١٢) مختصراً، وإبراهيم بن محمد متروك، وثقه الشافعي.

﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾

﴿٣١﴾ كَرِيمًا

قوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلَ كَرِيمًا﴾ يعني: الجنة. قال قتادة: إنما وعد الله المغفرة من اجتناب الكبائر.

يحيى: عن أبي أمية، عن يحيى بن أبي كثير قال: قال رسول الله ﷺ: «الكبائر تسع: الإشراك بالله، وقتل النفس التي حرم الله [إلا بالحق]»^(١)، وعقوق الوالدين المسلمين، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، والسحر، والفرار من الزحف، وشهادة الزور»^(٢).

يحيى: عن الحسن البصري قال: كان الفرار من الزحف من الكبائر يوم بدر. يحيى: عن نصر بن طريف، عن قتادة، عن الحسن: «أن النبي ﷺ ذكرت عنده الكبائر، فقال: فأين تجعلون اليمين الغموس؟»^(٣).

(١) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٢) هذا معضل، وقد روي موصولاً:

فرواه أبوداود (٣/٣٩٧-٣٩٨ رقم ٣٨٦٧) والنسائي (٧/١٠٣ رقم ٤٠٢٣) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٩٣١ رقم ٥٢٠٠) والطبراني في الكبير (١٧/٤٧-٤٨ رقم ١٠١) والحاكم في المستدرک (١/٥٩، ٤/٢٥٩-٢٦٠) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن عبد الحميد بن سنان عن عبيد بن عمير، عن أبيه عن النبي ﷺ بنحوه.

قال الحاكم: قد احتجوا برواية هذا الحديث غير عبد الحميد بن سنان، فأما عمير بن قتادة فإنه صحابي وابنه عبيد الله متفق على إخراجه والاحتجاج به.

فتعقبه الذهبي في عبد الحميد بن سنان فقال: لجهالته، ووثقه ابن حبان.

وقال ابن كثير في تفسيره (١/٤٨١): وعبد الحميد بن سنان حجازي لا يعرف إلا بهذا الحديث، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: في حديثه نظر.

(٣) لم أقف عليه، والله أعلم.

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تقولون في الزنا والسرقة وشرب الخمر؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هن فواحش، وفيهن عقوبة»^(١).

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٢٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوْلًى وَمِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَتَاوَهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ۝٢٣﴾ قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ الآية.

تفسير مجاهد: نزلت في النساء يقلن: يا ليتنا كنا [رجالاً فنغزو، ونبلغ مبلغ]^(٢) (ل ٦٤) الرجال.

﴿ولكل جعلنا موالى﴾ يعني: العصبه.

يحيى: عن نصر بن طريف، عن هشام بن حجير، عن طاوس، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ألحقوا المال بالفرائض، فما أبقت

(١) هذا مرسل ضعيف، وقد روي بإسناد متصل:

رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٠) والطبراني في المعجم الكبير (١٨/١٤٠ رقم ٢٩٣) وفي مسند الشاميين (٢٦/٤ رقم ٢٦٣٥)، والبيهقي في سننه (٨/٢٠٩) عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ.

وقال البيهقي: تفرد به عمر بن سعيد الدمشقي، وهو منكر الحديث، وإنما يُعرف من حديث النعمان بن مرة مرسلًا.

ثم رواه البيهقي (٨/٢٠٩-٢١٠) من طريق مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد، عن النعمان بن مرة مرسلًا.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر». وفي تفسير ابن كثير: تفسير مجاهد: نزلت في النساء يقلن: ليتنا كنا رجالاً فنغزو كما يغزو الرجال.

الفرائض، فأول رحم ذكر^(١).

﴿والذين عاقدت^(٢) أيمانكم فآتوهم نصيبهم﴾ تفسير قتادة قال: كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية؛ فيقول: دمي دمك، وترثني وأرثك، تُطلب بي وأُطلب بك، فجعل له السدس من جميع المال، ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم، ثم نسخ ذلك بَعْدُ في الأنفال فقال: ﴿وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾^(٣) فصارت الموارث لذوي الأرحام.

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَإِذَا فَضَّلْتُمْ إِلَى تَحِيَّةٍ فَلَا بَعْضُكُمْ عَلَى الْآخَرِ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤) وَاللَّي تَحْفَافُونَ شَوْهَرٌ فَعَطَّوْهُنَّ وَأَهْجَرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرَبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴿الرجال قوامون على النساء﴾ أي: مُسلِّطون على أدب النساء، والأخذ على أيديهن.

قال قتادة: ذُكر [لنا]^(٤) أن رجلاً لطم امرأته على عهد نبي الله، فأتت المرأة نبي الله، فأراد نبي الله أن يَقْصُصَهَا مِنْهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿الرجال قوامون

(١) رواه البخاري (١٢/١٢) رقم ٦٧٣٢ ومسلم (٣/١٢٣٣-١٢٣٤) رقم ١٦١٥ من طريق عبد الله بن طاوس عن أبيه.

(٢) قرأ الكوفيون ﴿عقدت﴾ وقرأ الباقون (عاقدت). ينظر: السبعة: (٢٣٣)، التيسير (٩٦)، النشر (٢٤٩/٢).

(٣) (الأنفال: ٧٥) وينظر: الناسخ والمنسوخ (ص ٣٧).

(٤) من «أ».

على النساء^(١).

﴿بما فضل الله بعضهم على بعض﴾ جعل شهادة امرأتين شهادة رجل واحد، وفضلوا في الميراث ﴿وبما أنفقوا من أموالهم﴾ يعني: الصدقات ﴿فالصالحات﴾ يعني: المجسنات إلى أزواجهن ﴿قانتات﴾ أي: مطيعات لأزواجهن ﴿حافظات للغيب﴾ لغيب أزواجهن في فروجهن ﴿بما حفظ الله﴾ أي: بحفظ الله إياهن.

﴿واللاتي تخافون نشوزهن﴾ عصيانهن؛ يعني: تنشر على زوجها؛ فلا تدعه أن يغشاهن^(٢) ﴿فعضوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن﴾ قال قتادة: أبدأ فعضها بالقول، فإن عصت فاهجرها؛ فإن عصت فاضربها ضرباً غير سائن.

﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾ تفسير الكلبي: يقول: فإن أطعنكم في الجماع، فلا تبغوا عليهن سبيلاً؛ يقول: لا تكلفوهن الحب، وإنما جعلت الموعدة لهن والضرب^(٣) في المضجع ليس على الحب، ولكن على حاجته إليها.

﴿وإن خفتن﴾ علمتم ﴿شقاق بينهما﴾ قال الحسن: يقول: إن نشزت حتى

(١) رواه عبدالرزاق في تفسيره (١٥٧/١) والطبري في تفسيره (٥٨/٥).

ورواه الطبري (٥٨/٥) عن قتادة عن الحسن مرسلًا.

ورواه الطبري (٥٨/٥) وابن أبي حاتم (٩٤٠/٣) رقم ٥٢٤٦ وغيرهما من طرق عن الحسن مرسلًا.

ورواه الطبري (٥٨/٥) عن ابن جريج والسدي مرسلًا.

ورواه ابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٤٩١/١) عن علي.

(٢) أي: أن يطأها. اللسان (غشى).

(٣) في «ر»: ضربهن.

تشاق زوجها ﴿فابعثوا حكمًا من أهله وحكمًا من أهلها﴾ إذا نشزت، ورفع ذلك إلى الإمام، بعث الإمام حكمًا من أهل المرأة، وحكمًا من أهل الرجل يصلحان بينهما، ويجمعان ولا يفرقان، وينظران من أين يأتي الدرء^(١)، فإن اصطلحا فهو أمر الله وإن أبيا ذلك وأبت المرأة إلا نشوزًا وقفها الإمام على النشوز، فإن افتدت من زوجها، فقد حل له أن يخلعها.

﴿إن يريدًا إصلاخًا﴾ قال مجاهد: يعني: الحكمين ﴿يوفق الله بينهما﴾.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكُفُّونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾﴾

﴿واعبدوا الله﴾ يعني: واحفظوا الله ﴿ولا تشركوا به شيئًا﴾ أي: لا تعدلوا به غيره ﴿وبالوالدين إحسانًا﴾.

﴿والجار ذي القربى﴾ الذي له قرابة ﴿والجار الجنب﴾ الأجنبي الذي ليست له قرابة.

﴿والصاحب بالجنب﴾ يعني: الرفيق في السفر، في تفسير ابن جبير. وقال غيره: يعني: المرأة.

قال محمد: وقيل: في الجار الجنب: إنه الغريب، والجنابة في اللغة:

(١) أي: دفع الفرقة. وفي «ر»: الضرر.

[البعد]^(١): يقال: رجلٌ جُبُّ: [غريب]^(٢).

يحيى: عن المعلّى بن هلال، عن محرر بن عبد الله، عن عطاء الخراساني قال: قال رسول الله ﷺ: «العيران ثلاثة: جار له حق، وجارٌ له حقان، وجارٌ له ثلاثة حقوق؛ فأما الجار الذي له ثلاثة حقوق؛ فالجار المسلم ذو الرحم؛ فله حق الإسلام، وحق الرحم، وحق الجوار. وأما الذي له حقان: فالجار المسلم؛ له حق الإسلام، وحق الجوار، وأما الذي له حق واحد: فالجار المشرك؛ له حق الجوار»^(٣).

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ينظر: اللسان، القاموس المحيط، مختار الصحاح (جنب). ويقال فيه: جار الجُبِّ، وجارٌ جُبُّ. والجمع أجناب. وفي الأصل: رجل جنب غُرب. والمثبت من «ر».

(٣) هذا مرسل ضعيف، وقد رُوي عن عطاء الخراساني موصولا، واختلف عليه فيه: فرواه ابن أبي فديك، عن عبد الرحمن بن الفضيل، عن عطاء الخراساني، عن الحسن، عن جابر. خرجه البزار - كشف الأستار (٢/ ٣٨٠) رقم (١٨٩٦) - وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٠٧). قال البزار: لا نعلمه يُروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد.

ونقل ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٩٥) عن البزار قوله: لا نعلم أحداً روى عن عبد الرحمن بن الفضيل إلا ابن أبي فديك.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث عطاء عن الحسن، لم نكتبه إلا من حديث ابن أبي فديك. ورواه سويد بن عبد العزيز، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. خرجه ابن عدي في الكامل (٦/ ٢٩٢)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٨٣-٨٤) رقم (٩٥٦٠). قال البيهقي: سويد بن عبد العزيز وعثمان بن عطاء وأبوه ضعفاء، غير أنهم غير متهمين بالوضع، وقد روي بعض هذه الألفاظ من وجه آخر ضعيف.

وقال أبو حاتم الرازي: هذا خطأ. علل الحديث (١/ ٢٢٠) رقم (٦٣٩)، ٢/ ٢٨٥ رقم (٢٣٥٧). قال ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص ١٣٨): وقد روي هذا الحديث من وجه أخرى متصلة ومرسلة، ولا تخلوا من مقال.

وقال العراقي في تخريج الإحياء (٢/ ٢٣١): أخرجه الحسن بن سفيان والبزار في مسنديهما وأبو الشيخ في كتابه الثواب وأبو نعيم في الحلية من حديث جابر، وابن عدي من حديث ابن عمرو، وكلاهما ضعيف.

قوله: ﴿وابن السبيل﴾ يعني: الضيف.

يحيى: عن عثمان، عن سعيد المقبري، عن أبي شريح الخزاعي قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه؛ جائزته يوم ليلة، والضيافة: ثلاثة أيام، وما سوى ذلك، فهو صدقة»^(١).

قوله: ﴿وما ملكت أيمانكم﴾.

(٦٥ل) يحيى: عن عثمان، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن سفينة مولى أم سلمة، عن أم سلمة: «أن رسول الله ﷺ كان آخر قوله عند موته: الصلاة وما ملكت أيمانكم، حتى جعل [يلجلجها]^(٢) في صدره، وما يفيض^(٣) به لسانه»^(٤).

(١) رواه البخاري (١٠/٤٦٠ رقم ٦٠١٩) ومسلم (٣/١٣٥٢-١٣٥٣ رقم ٤٨) من طريق سعيد المقبري به.

وروي من طريق نافع بن جبير، عن أبي شريح أن النبي ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه».

(٢) في الأصل و«ر»: «يلجلجها» بتقديم الجيم، والصواب «يلجلجها» بتقديم اللام، أراد: يحركها ويردها، انظر النهاية (٤/٢٣٤).

(٣) كذا في الأصل و«ر»: يفيض. بالصاد المعجمة، وقد ذكرها ابن الأثير في النهاية (٣/٤٨٤) بالصاد المهملة، وقال: فيه: «كان يقول عليه السلام في مرضه: الصلاة وما ملكت أيمانكم، فجعل يتكلم وما يفيض بها لسانه» أي: ما يقدر على الإفصاح بها، وفلان ذو إفاصة إذا تكلم أي ذو بيان. اهـ. وكذا قيدها بالصاد المهملة البغوي في شرح السنة (٩/٣٥٠).

(٤) اختلف على قتادة في إسناد هذا الحديث:

فرواه همام، عن قتادة، عن صالح أبي الخليل، عن سفينة، عن أم سلمة.

خرجه الإمام أحمد (٦/٣١١، ٣٢١)، وعبد بن حميد (٤٤٥ رقم ١٥٤٢) وابن سعد (٢/

٢٥٤-٢٥٣) والنسائي في الكبرى (٤/٢٥٩ رقم ٧١٠٠) وابن ماجه (١/١٥٩ رقم ١٦٢٥)

وأبو يعلى (١٢/٤١٤ رقم ٦٩٧٩) والبيهقي في الدلائل (٧/٢٠٥) والبغوي في شرح السنة

(٩/٣٤٩-٣٥٠ رقم ٢٤١٥) وفي تفسيره (٢/٢١٢).

=

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «المملوك أخوك، فإن عجز فجد معه، من رضي مملوكه فليمسكه، ومن كرهه فليبعه،

= ورواه سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن سفينة، عن أم سلمة، فلم يذكر أبا الخليل في إسناده.

خرجه الإمام أحمد (٢٨٩/٦-٢٩٠) والنسائي في الكبرى (٢٥٨/٤ رقم ٧٠٩٨). ورواه أبو عوانة عن قتادة، واختلف عليه فيه، فرواه جماعة عنه عن قتادة عن سفينة عن أم سلمة.

خرجه أبو يعلى (٣٦٥-٣٦٦ رقم ٦٩٣٦) والطحاوي في المشكل (٢٢٦-٢٢٧ رقم ٣٢٠٣) والبيهقي في الدلائل (٢٠٥/٧) وقال النسائي: قتادة لم يسمعه من سفينة.

ورواه قتبية بن سعيد، عن أبي عوانة، عن قتادة، عن سفينة مرفوعاً، لم يذكر أم سلمة في إسناده، خرجه النسائي (٢٥٨/٤ رقم ٧٠٩٧).

وكذلك رواه شيان، عن قتادة، قال: حُذِّثنا عن سفينة مرفوعاً. خرجه النسائي (٢٥٨/٤ رقم ٧٠٩٩).

ورواه سليمان التيمي، عن قتادة، عن أنس. جعله من مسند أنس بن مالك. خرجه الإمام أحمد (١١٧/٣) وابن سعد (٣٥٢/٢) والنسائي (٢٥٨/٤ رقم ٧٠٩٥) وابن حبان (١٤/٥٧٠ - ٥٧١ رقم ٦٦٠٥) والطحاوي في المشكل (٢٢٦/٨ رقم ٣٢٠٢) والبيهقي في الدلائل (٢٠٥/٧) والخطيب (٢٤٠/٤).

وروي عن سليمان التيمي، عن رجل، عن أنس، خرجه النسائي (٢٥٨/٤ رقم ٧٠٩٦) وابن سعد (٢٥٣/٢) والطحاوي (٢٢٦-٢٢٥ رقم ٣٢٠١).

وروي عن سليمان التيمي، عن أنس بن مالك، خرجه عبد بن حميد (٣٦٥ رقم ١٢١٤) والنسائي (٢٥٨/٤ رقم ٧٠٩٤) وابن ماجه (٩٠٠-٩٠١ رقم ٢٦٩٧) والطحاوي (٨/٢٢٤-٢٢٥ رقم ٣١٩٩، ٣٢٠٠) والحاكم (٥٧/٣) والضياء في المختارة (١٥٧/٦-١٥٨ رقم ٢١٥٥-٢١٥٧) وقال النسائي: سليمان التيمي لم يسمع هذا الحديث من أنس.

قال ابن أبي حاتم في العلل (١١٠-١١١ رقم ٣٠٠): سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه المعتمر بن سليمان عن أبيه، عن قتادة عن أنس قال: «كانت عامة وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: الصلاة وما ملكت أيمانكم» قال أبي: نرى أن هذا خطأ، والصحيح حديث همام عن قتادة عن صالح أبي الخليل عن سفينة عن أم سلمة عن النبي ﷺ.

وقال أبو زرعة: رواه سعيد بن أبي عروبة فقال: عن قتادة عن سفينة عن أم سلمة عن النبي ﷺ. وقال: وابن أبي عروبة أحفظ، وحديث همام أشبه، زاد همام رجلاً.

ولا تعذبوا خلق الله»^(١).

قال محمد: قوله في أول الآية: ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾ المعنى: أوصاكم الله بعبادته، وأوصاكم بالوالدين إحساناً، وكذلك جميع ما ذكر الله في هذه الآية، المعنى: أحسنوا إلى هؤلاء كلهم.

قوله: ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾.

قال محمد: المختال: يعني: التَّيَّاه الجهول^(٢).

﴿الذين ييخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ قال الحسن: هم اليهود؛ منعوا حقوق الله في أموالهم، وكنتموا محمدًا؛ وهم يعلمون أنه رسول الله.

﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾

﴿والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾.

قال بعضهم: هم المنافقون.

(١) لم أقف عليه من هذا الطريق، والله أعلم.

(٢) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (خيل).

والتياه معناه: المتكبر المعجب بنفسه. اللسان (تیه).

﴿ومن يكن الشيطان له قريناً﴾ [صاحباً]^(١) ﴿فساء قريناً﴾ فبئس القرين.

قال محمد: ﴿ساء قريناً﴾ منصوب على التفسير^(٢).

﴿وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله﴾ يعني:

الزكاة الواجبة ﴿وكان الله بهم عليماً﴾ أي: عليماً بأنهم مشركون.

قال محمد: قوله ﴿وماذا عليهم﴾ المعنى: أي شيء عليهم؟^(٣)

﴿إن الله لا يظلم﴾ لا ينقص ﴿مئثال ذرة﴾ أي: وزن ذرة.

قال محمد: يقال: هذا على مئثال هذا؛ أي: على وزنه^(٤).

﴿وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه﴾ ويعط من عنده.

قال محمد: من قرأ ﴿حسنة﴾ بالرفع، فالمعنى: وإن تخذت حسنة^(٥).

﴿فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ يعني: يوم القيامة يشهد على قومه؛

أنه قد بلغهم.

قال محمد: المعنى: فكيف تكون حالهم؟! وهذا من الاختصار^(٦).

﴿وجئنا بك على هؤلاء شهيداً يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول﴾

أي: جحدوه ﴿لو تسوَّى بهم الأرض﴾ قال قتادة: يعني: لو ساخوا^(٧) فيها.

(١) لحق لم يظهر بحاشية الأصل، والمثبت من (٢).

(٢) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر المحيط (٢٤٨/٣)، الدر المصون (٣٦٣/٢).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٢٤٩/٣)، الدر المصون (٣٦٣/٢).

(٤) ينظر: اللسان، القاموس (نقل).

(٥) قراءة الرفع هي قراءة ابن كثير ونافع، وقرأ الباقر بالنصب.

ينظر: السبعة (٢٣٣)، التيسير (٩٦)، النشر (٢٤٩/٢).

(٦) ينظر: الدر المصون (٣٦٥/٢)، البحر (٢٤٩/٣-٢٥٠).

(٧) أي: غاصوا في الأرض وانخسفت بهم. اللسان، القاموس (سوخ).

﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾ تفسير ابن عباس: يعني بهذا: جوارحهم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشَرُّونَ الصَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة في تفسير: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾^(١).

قوله: ﴿ولا جنباً إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا﴾ تفسير ابن عباس: هو المسافر إن لم يجد الماء تيمم وصلى ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ قال محمد: الغائط: الحدث، وأصل الغائط: المكان المطمئن من الأرض^(٢)؛ فكانوا إذا أرادوا قضاء الحاجة، أتوا غائطاً من الأرض، ففعلوا ذلك فيه، فكئى عن الحدث بالغائط^(٣).

وقوله: ﴿وإن كنتم مرضى﴾ فيه إضمار: لا تستطيعون [قرب]^(٤) الماء من العلة؛ ذكره إسماعيل بن إسحاق^(٥).

(١) البقرة: ٢١٩. وفي الأصل: (ويستلونك) بإثبات الواو.

(٢) اللسان، القاموس (غوط).

(٣) وهذه الكناية للاستحياء من ذكره. الدر المصون (٢/٣٧٠).

(٤) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٥) إسماعيل بن إسحاق، من أئمة الفقه على مذهب مالك، ومن مشيخة الحديث، وأعلام

القضاة ببغداد. توفي سنة ٣٨٣هـ. ينظر المرقبة العليا (٣٢) وسير أعلام النبلاء (١٣/٣٣٩).

﴿أو لامستم النساء﴾ الملازمة في قول علي وابن عباس والحسن: الجماعة، وكان ابن مسعود يقول: هو المس باليد، ويرى منه الوضوء.

﴿فتيمموا صعيدًا طيبًا﴾ أي: تعمدوا ترابًا نظيفًا.

﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾.

يحيى: عن المعلّى، عن أبي إسحاق الهمداني، عن ناجية بن كعب، عن عمار بن ياسر قال: «أجنبْتُ وأنا في الإبل فتمعَّكت^(١) في الرمل؛ كما تتمعَّك الدابة، ثم أتيت النبي ﷺ وقد دخل الرمل في رأسي ولحيتي فأخبرته. فقال: إنما كان يكفيك التيمم. ثم ضرب النبي ﷺ بكفيه (ل) (٦٦) جميعًا التراب، ثم نفضهما، ثم مسح بوجهه وكفيه مرة واحدة. ثم قال: كان يكفيك أن تصنع هكذا»^(٢) وبه يأخذ يحيى.

- (١) أي: تقلَّب في التراب، وتمرَّغ فيه. ينظر: اللسان، القاموس (معك).
- (٢) رواه الإمام أحمد (٢٦٣/٤) والطيالسي (٨٩ رقم ٦٤٠) والحميدي (٧٩ رقم ١٤٤) وعبد الرزاق (٢٣٨/١ رقم ٩١٤)، والنسائي في الكبرى (١٣٦/١ رقم ٣٠٩) وأبو يعلى (٢٠٥/٣ - ٢٠٦ رقم ١٦٤٠) وابن المنذر في الأوسط (١٣/٢ رقم ٥٠٨) والبيهقي في السنن (٢١٦/١) والمزي في التهذيب (٢٥٨/٢٩) من طرق عن أبي إسحاق به.
- وقد اختلف في تسمية ناجية، فجاء في بعض الروايات مهملاً غير مقيد، وفي بعضها ناجية ابن كعب وفي بعضها ناجية بن خفاف قال المزي في التهذيب (٢٥٥/٢٩ - ٢٥٦): وقال يعقوب بن شيبة السدوسي في حديث ناجية عن عمار في التيمم: حديث كوفي رواه أبو إسحاق عن ناجية عن عمار عن النبي ﷺ وهو حديث صالح الإسناد، ولا أحسبه متصلاً لأن بعضهم ذكر أن ناجية ليس بالقديم، رواه جماعة عن أبي إسحاق ثقات منهم: زائدة بن قدامة، وأبو الأحوص سلام بن سليم، وأبو بكر بن عياش، وسفيان بن عيينة، وإسرائيل بن يونس، فقال زائدة: ناجية لم ينسبه. وقال أبو الأحوص: عن ناجية أبي خفاف، وقال أبو بكر ابن عياش: ناجية العنزي. وقال ابن عينة وإسرائيل: ناجية بن كعب.
- ذكر علي بن المديني هذا الحديث عن ابن عينة فقال: هذا الحديث غلط في قول سفيان: ناجية بن كعب. إنما هو ناجية بن خفاف العنزي. قال علي: وناجية بن كعب أسدي، قال =

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: الجريح والمجدور^(١) والمقروح^(٢)؛ إذا خشي على نفسه، تيّمم^(٣).

= علي: وقد روى غير سفيان من حديث أبي إسحاق عن ناجية بن خفاف أبي خفاف، ورواه يونس بن أبي إسحاق عن ناجية بن خفاف عن عمار.

قال علي: وناجية بن خفاف أبو خفاف العنزي لم يسمعه عندي من عمار؛ لأن ناجية هذا لقيه يونس بن أبي إسحاق، وليس هذا بالقديم.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب في هذا الحديث: وقال إسرائيل بن يونس وسفيان بن عيينة والمعلّى بن هلال: عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب. وهو وهم، قال: وأحسب أبا إسحاق رواه لهم عن ناجية غير منسوب فظنوه ناجية بن كعب. اهـ.

قلت: وحديث عمار في التيمم ثابت في الصحيحين البخاري (٥٢٨/١ رقم ٣٣٨) ومسلم (٢٨٠-٢٨١ رقم ٣٦٨) من طريق آخر بنحوه.

(١) هو المصاب بمرض الجدري. وهو مرض فيروسي مُعْدٍ يتميز بطفح جلدي حُلُمِي يتقيح ويعقبه قُشر ويُخلف ندوبًا. المعجم الوسيط (جدر).

(٢) أي: المجرّوح، أو الذي في جلده بثور قد دبّ فيها الفساد. ينظر: اللسان، القاموس (قرح).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (١٢٤/١ رقم ١) وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٦٠/٣ رقم ٥٣٦٢) والدارقطني في سننه (١٧٨/١ رقم ١٠، ١١) -مختصرًا- والبيهقي (٢٢٤/١) من طرق عن عطاء بن السائب.

ورواه ابن المنذر في الأوسط (١٩/٢ رقم ٥٢٢) وابن خزيمة في صحيحه (١٣٨/١ رقم ٢٧٢) وابن الجارود في المستقى (١٢٩) والحاكم (١٦٥/١) والبيهقي في سننه (٢٢٤/١) وفي المعرفة (٣٠٠/١ رقم ٣٤٢) من طريق جرير عن عطاء بن السائب مرفوعًا.

ورواه الدارقطني في سننه (١٧٧/١ رقم ٩) من طريق جرير عن عطاء موقوفًا. وقال الدارقطني: رواه علي بن عاصم عن عطاء ورفعته إلى النبي ﷺ، ووقفه ورقاء وأبو عوانة وغيرهما، وهو الصواب. اهـ.

قلت: رواية علي بن عاصم عند البيهقي (٢٢٤/١) لكنها موقوفة، والله أعلم.

وقال ابن أبي حاتم في العلل (٢٥-٢٦ رقم ٤٠): سألت أبي وأبا زرعة عن حديث رواه علي بن عاصم، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي ﷺ في المجدور والمريض إذا خاف على نفسه تيمم. قال أبو زرعة: ورواه جرير أيضًا فقال عن =

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب﴾ يعني: اليهود ﴿يشترون الضلالة﴾ أي: يختارون ﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ يعني: طريق الهدى.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ (٤٥) ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْئًا بِالْسِينِهُمْ وَطَعَنَا فِي الْأَذِينَ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٤٦) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (٤٧)

﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ قال الحسن: حرفوا كلام الله؛ وهو الذي وضعوا من قبل أنفسهم من الكتاب، ثم ادَّعَوْا أنه من كتاب الله ﴿ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع﴾ تفسير الحسن: غير مسمع منا ما تحب. قال محمد: قيل في قوله: ﴿غير مسمع﴾: كانوا يقولونه سرًا في أنفسهم. ﴿وراعنا لئًا بالستهم﴾ قد مضى تفسير ﴿راعنا﴾ في سورة البقرة^(١).

قال محمد: ﴿لئًا﴾ أصله: لؤيًا؛ ولكن الواو أَدْغَمَتْ في الياء^(٢)؛ ومعناه: التحريف^(٣)؛ أي: يحرفون [راعنا إلى ما]^(٤) في قلوبهم من السبِّ والطعن

= عطاء، عن سعيد، عن ابن عباس رفعه في المجدور. قال أبي: هذا خطأ، أخطأ فيه علي بن عاصم، ورواه أبو عوانة وورقاء وغيرهما عن عطاء بن السائب، عن سعيد، عن ابن عباس، موقوف، وهو الصحيح.

(١) أي: في قوله عز وجل: ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا واسمعوا﴾ البقرة: ١٠٤.

(٢) أي: أَدْغَمَتْ الواو في الياء، بعد قلب الواو ياء.

(٣) ومنه: يلوون أعناق الكلام أي: يحرفونه على غير حقيقته وصوابه.

ينظر: اللسان، المختار، المعجم الوسيط (لوى).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

على النبي ﷺ ﴿وطعنا في الدين﴾ في الإسلام.

﴿ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا﴾ حتى تنفهم.

﴿لكان خيرا لهم وأقوم﴾ لأمرهم ﴿ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون

إلا قليلا﴾ قال قتادة: قل من آمن من اليهود.

﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن

نطمس وجوها فنردّها على أديارها﴾ قال قتادة: يعني: من قبل ألقائها^(١) ﴿أو

نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت﴾ مسخ أصحاب السبت قردة ﴿وكان أمر الله

مفعولا﴾ أي: إذا أراد الله أمرا فإنما يقول له: كن فيكون.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ

افترى إثما عظيما﴾ ٤٨ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا

يُظْلَمُونَ قَتِيلًا﴾ ٤٩ ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ ٥٠ ﴿أَلَمْ تَرَ

إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّلُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ ٥١ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ

لَهُمْ نَصِيرًا﴾ ٥٢

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ أي: يُعَذَل به غيره ﴿ويغفر ما دون ذلك

لمن يشاء﴾.

يحيى: عن سفیان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال:

«سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عن الموجبتين؛ فقال: من مات (لا)^(٢) يشرك بالله شيئا

(١) واحدها (قفا)، ويجمع أيضا على: قَفَيَّ. ينظر اللسان، القاموس (قفو).

(٢) في «ر»: ولم.

دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»^(١).

﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم﴾ تفسير قتادة: هم اليهود زكّوا أنفسهم بأمر لم يبلغوه؛ قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه ﴿بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون﴾ ينقصون ﴿فتيلاً﴾ الفتيل: ما كان في بطن النواة من لحائها^(٢).

﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ أي: يختلقونه ﴿وكفى به إثماً مبيناً﴾ بيناً.

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت﴾ قال مجاهد^(٣): الجبّ: الكاهن، والطاغوت: الشيطان.

﴿ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾ قال الكلبي: هم قوم من اليهود أتوا مكة فسألنهم قريش وأناس من غطفان؛ فقالت قريش: نحن نغمر هذا المسجد، ونحجب هذا البيت، ونسقي الحاج؛ أفنحن أمثل أم محمد وأصحابه؟ فقالت اليهود: بل أنتم أمثل. فقال عيينة بن حصن وأصحابه الذين معه: أما قريش فقد عدّوا ما فيهم ففضّلوا على محمد وأصحابه. فناشدوهم أنحن أهدى أم محمد وأصحابه؟ فقالوا: لا والله، بل أنتم أهدى؛ فقال الله: ﴿أولئك الذين لعنهم الله...﴾ الآية.

قال محمد: يقول: أولئك الذين باعدهم الله من رحمته، واللعنة أصلها:

(١) رواه أبو عوانة في صحيحه (١/٢٧-٢٨ رقم ٣٢) من طريق سفيان به.
ورواه مسلم في صحيحه (١/٩٤ رقم ٩٣) من طريق قرة بن خالد وهشام الدستوائي عن أبي الزبير به.

(٢) ينظر: اللسان، المختار، القاموس (قتل).
واللحاء: هو ما كسا النواة. والجمع: ألجّة، ولجّي. ينظر: اللسان، القاموس (لحو).

(٣) في «ر»: محمد.

المباعدة^(١).

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٢﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝٥٣ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝٥٥ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَندْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٦﴾

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ النقيير: النقرة تكون في ظهر النواة^(٢).

قال محمد^(٣): المعنى: أنهم لو أعطوا الملك، ما أعطوا الناس منه النقيير؛ والنقيير ما هنا تمثيل.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قال الكلبي: الناس في هذه الآية: النبي ﷺ؛ قالت اليهود: (ل٦٧) انظروا إلى هذا الذي [لا يشبع]^(٤) من الطعام، [ولا]^(٤) واللَّهُ ما له همٌّ إلا النساء حسدوه لكثرة نسائه وعابوه بذلك؛ فقالوا: لو كان نبيًا ما رغب في كثرة النساء؛ فأكذبهم^(٥) اللَّهُ، فقال: ﴿فقد آتينا آل

(١) والطرود: ينظر اللسان، القاموس (لعن).

(٢) ينظر: اللسان، القاموس (نقر). وجمع النقيير: أنقرة. وفي «ر»: النقيير والنقيرة التي تكون في ظهر النواة.

(٣) زاد في الأصل: بل.

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) في «ر»: فكذبهم.

إبراهيم الكتاب والحكمة ﴿ يعني: النبوة ﴾ وآتيناهم ملكاً عظيماً ﴿ فسلیمان بن داود من آل إبراهيم، وقد كان عند سليمان ألف امرأة، وعند داود مائة امرأة، فكيف يحسدونك يا محمد على تسع نسوة؟! ﴾

﴿ فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ﴾ قال مجاهد: يعني: اليهود منهم من آمن بما أنزل على محمد، ومنهم من صد عنه؛ يعني: جحد به ﴿ وكفى بجهنم سعيراً ﴾ لمن صد عنه.

﴿ كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ﴾.

قال يحيى: بلغنا أنها تأكل كل شيء حتى تنتهي إلى الفؤاد؛ فيصبح الفؤاد فلا يريد الله أن تأكل أئدتهم؛ فإذا لم تجد شيئاً تتعلق به منهم، خبت -أي: سكنت- ثم يعادون خلقاً جديداً؛ فتأكلهم كلما أعيد خلقهم. وقوله: ﴿ وندخلهم ظلاً ظليلاً ﴾ قال الحسن: يعني: دائماً.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ ﴿٥٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ﴿٥٩﴾

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا... ﴾ الآية.

«لما فتح رسول الله ﷺ مكة، دعا عثمان بن طلحة، فقال: أرنا المفتاح، فلما أتاه به قال عباس^(١): يا رسول الله اجمعه لي مع السقاية. فكفَّ عثمان يده؛ مخافة أن يدفعه إلى العباس؛ فقال رسول الله: يا عثمان، إن كنت تؤمن

(١) في «ر»: ابن عباس. وهو خطأ، والله أعلم.

بالله واليوم الآخر فأرنا المفتاح، فقال: هاك في أمانة الله؛ فأخذه رسول الله، ففتح باب الكعبة، ثم دخل فأفسد ما كان في البيت من التماثيل، وأخرج مقام إبراهيم فوضعه، حيث وضعه، ثم طاف بالكعبة مرة أو مرتين، ونزل عليه جبريل يأمره برّد المفتاح إلى أهله، فدعا عثمان، فقال: هاك المفتاح؛ إن الله يقول: وأدوا الأمانات إلى أهلها. وقرأ الآية كلها^(١).

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ قال الكلبي: هم أمراء السرايا ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ قال قتادة: يعني: إلى كتاب الله وسنة رسوله ﴿ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾ يعني: عاقبة في الآخرة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣) ﴿

﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت. . . إلى قوله: ﴿يصدون عنك صُدودًا﴾ قال الكلبي: إن رجلاً من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود خصومة؛

(١) عزاه ابن كثير في تفسيره (٥١٦/١) والسيوطي في الدر المنثور (١٩٣/٢) إلى ابن مردويه في تفسيره من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

فقال اليهودي: انطلق بنا إلى محمد نختم إليه. وقال المنافق: بل إلى كعب ابن الأشرف؛ وهو الطاغوت ها هنا.

قال الكلبي: فأبى المنافق أن يخاصمه إلى النبي، وأبى اليهودي إلا أن يخاصمه إلى النبي؛ فاختما إلى النبي، ففضى لليهودي، فلما خرجا من عنده، قال المنافق: انطلق بنا إلى عمر بن الخطاب أخاصمك إليه، فأقبل معه اليهودي؛ فدخل على عمر، فقال له اليهودي: يا عمر إني اختصمت أنا وهذا الرجل إلى محمد؛ ففضى لي عليه، فلم يرض هذا بقضائه، وزعم أنه يخاصمني إليك، فقال عمر للمنافق: أذلك؟ قال: نعم، فقال: رويدكما؛ حتى أخرج إليكما؛ فدخل البيت فاشتمل^(١) على السيف، ثم خرج إلى المنافق فضربه حتى برّد^(٢).

﴿فكيف إذا أصابتهم مصيبة﴾ قال الحسن: وهذا كلام منقطع عما قبله وعما بعده؛ يقول: إذا أصابتهم؛ يعني: أن يظهروا ما في قلوبهم؛ فيقتلهم رسول الله.

وفيه إضمار، والإضمار الذي فيه يقول: إذا أصابتهم مصيبة، لم ينجم منها ولم يُعْثَم، ثم رجع إلى الكلام الأول. إلى قوله: ﴿يصدون عنك صدوداً﴾.

﴿ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً﴾ أي: إن أردنا إلا الخير.

قال الله: ﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾ من الشرك والنفاق

(١) اشتمل على السيف، واشتمل به؛ أي: تقلّده. ينظر لسان العرب (شمل).

(٢) بَرَدَ يَبْرُدُ بَرْدًا وَيَبْرُدَا؛ أي: مات. لسان العرب (برد).

﴿فَاعْرَضْ عَنْهُمْ﴾ فلا تقتلهم (ل٦٨) ما جعلوا يظهرون الإيمان ﴿وَعَظَّمْهُمْ﴾ وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴿يَقُولُ لَهُمْ﴾: إن أظهرتم ما في قلوبكم قتلتكم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (٦٩) ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٧٠)

﴿وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله﴾ قال مجاهد: واجب للرسول أن يطاعوا، ولا يطيعهم أحد إلا بإذن الله.

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم﴾ أي: اختلفوا فيه ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت﴾ قال مجاهد: يعني: شكاً.

﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنِييَةً﴾ (٦٦) ﴿وَإِذَا لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٦٧) ﴿وَلَهَدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (٦٨) ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٦٩) ﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ (٧٠)

﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن يقتلوا أنفسهم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم﴾ قال الكلبي: كان رجال من المؤمنين ورجال من اليهود [جلوساً] (١) فقالت اليهود: لقد استتابنا الله من أمر فتبنا إليه منه، وما كان ليفعله أحد غيرنا [قتلنا] (١) أنفسنا في طاعة الله حتى رضي عنا، فقال ثابت بن

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

قيس بن شماس: إن الله يعلم لو أمرنا محمد أن نقتل أنفسنا لقتلت نفسي،
فأنزل الله: ﴿ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما
فعلوه إلا قليل منهم﴾.

قال محمد: من قرأ ﴿إلا قليل﴾^(١) فالمعنى: ما فعله إلا قليل^(٢).

﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم﴾ في العاقبة.

﴿وأشدّ تثبيتاً﴾ في العصمة والمنعة من الشيطان.

﴿وإذا لاآتيناهم من لدنا﴾ من عندنا ﴿أجرًا عظيمًا﴾ يعني: الجنة.

﴿ومن يطع الله والرسول...﴾ الآية.

تفسير قتادة: ذكر لنا أن رجالاً قالوا: هذا نبي الله نراه في الدنيا، فأما في
الآخرة فيرفع بفضلله فلا نراه؛ فأنزل الله هذه الآية.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ (٧١) وَإِنَّ مِنْكُمْ

لَمَنْ لِبَطْنٍ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالِ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ (٧٢) وَلَئِنْ

أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ

فَأَقْوَزَ فَوزًا عَظِيمًا﴾ (٧٣) فَلْيَقْتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٧٤)

﴿فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً﴾ الثبات: السرايا، والجميع: الزحف.

(١) قرئ بالرفع وبالنصب، فالنصب قراءة ابن عامر، والرفع قراءة الباقيين. ينظر السبعة (٢٣٥)،
التيسير (٩٦)، النشر (٢٥٠/٢).

(٢) وفي قراءة الرفع تفصيل نحوي آخر. ينظر من إعراب القرآن (٤٣١/١) مجمع البيان (٢/
٧٠)، البحر (٢٨٥/٣)، الدر المصون (٣٨٦/٢).

قال محمد: الثَّبَاتُ: الجماعات المفترقة، واحدها: ثُبَّةٌ^(١).

﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ عن الغزو والجهاد، في تفسير الحسن.

قال محمد: ﴿ليبطئن﴾ معناه: يتأخر؛ يقال: أبطأ الرجل؛ إذا تأخر^(٢)، وبطؤ إذا ثقل^(٣).

﴿فإن أصابتكم مصيبة﴾ أي: نكبة ﴿قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيداً﴾ حاضرًا ﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ يعني: الغنيمة ﴿ليقولنَّ كأن لم يكن بينكم وبينه مودة﴾ يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا ﴿أي: أصبت من الغنيمة؛ وهؤلاء المنافقون.

وقوله: ﴿كأن لم يكن بينكم وبينه مودة﴾ فيما يظهر.

قال محمد: ﴿فأفوز﴾ منصوب؛ على جواب التمني بالفاء^(٤).

﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة﴾ أي: يبيعون.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ (٧٥) الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ

(١) وجمع (ثبة) أيضًا (ثُبُون) ينظر لسان العرب (ثبي).

(٢) يفهم من ذلك أن المصنف قرأ ﴿لَيَبْطِئَنَّ﴾، بتخفيف الطاء وهي من الفعل الرباعي (أبطأ)، وهي قراءة مجاهد. وقرأ الجمهور ﴿لَيَبْطِئَنَّ﴾ أي بتشديد الطاء من الفعل الرباعي بَطَأَ. ينظر: الإعراب للنحاس (١/٤٣٣)، البحر (٣/٢٩١).

(٣) ويقال: أبطأ وبطأ وبطؤ؛ أي: تكاسل وتثبط وثقل.

ينظر الدر المصون (٢/٣٩٠)، لسان العرب (بطؤ).

(٤) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر (٣/٢٩٤)، الدر المصون (٢/٣٩٣).

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين﴾ قال الحسن: يعني: وعن المستضعفين من أهل مكة من المسلمين.

﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها﴾ وهم مشركو أهل مكة (١).

قال محمد: ﴿الظالم أهلها﴾ نعت للقرية (٢).

﴿واجعل لنا من لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وليًا﴾.

﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾ أي: في طاعة الله ﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾ الشيطان ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ وهم المشركون ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفًا﴾ أخبرهم أنهم يظهرون عليهم؛ في تفسير الحسن.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فِرَاقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَّعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ

(١) في «ر»: هم من أهل مكة.

(٢) وفيه تفصيل نحوي ينظر من الدر المصون (٣٩٥/٢).

نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

﴿ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم...﴾ الآية. قال الكلبي: كانوا مع النبي ﷺ بمكة قبل أن يهاجر إلى المدينة، وكانوا يلقون من المشركين أذى كثيرا؛ فقالوا: يا نبي الله ألا تأذن لنا في قتال (هؤلاء القوم)^(١)؛ فإنهم قد آذونا؟ فقال لهم رسول الله ﷺ: «كفوا أيديكم عنهم؛ فإنني لم أؤمر بقتالهم» فلما هاجر رسول الله ﷺ و[سار]^(٢) إلى بدر عرفوا أنه القتال كرهوا، أو بعضهم.

(ل٦٩) قال الله: ﴿فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا﴾ هلا ﴿أخرتنا إلى أجل قريب﴾ إلى الموت.

قال الله للنبي: ﴿قل متاع الدنيا قليل﴾ أي: إنكم على كل حال ميتون، والقتل خير لكم. ثم أخبرهم -ليعزيهم ويصبرهم- فقال: ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾ قال قتادة: يعني: في قصور محصنة.

قال الحسن: ثم ذكر المنافقين خاصة فقال: ﴿وإن تصبهم حسنة﴾ النصر والغنيمة ﴿يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة﴾ نكبة من العدو ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ أي: إنما أصابنا هذا عقوبة مذ خرجت فينا؛ يتشاءمون به. ﴿قل كل من عند الله﴾ النصر على الأعداء والنكبة.

﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة﴾

(١) في «ر»: هذه القرية.

(٢) لحق لم يظهر بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

[فظهرت بها على المشركين] ^(١) ﴿فَمَنْ اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ﴾ من نكبة نُكِبُوا بها يوم أُحُدٍ ﴿فَمَنْ نَفْسِكَ﴾ أي: بذنوبهم، وكانت عقوبة من الله؛ بمعصيتهم رسول الله؛ حيث اتبعوا المذبرين.

﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ﴾ ^(٨٠) وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۖ﴾ ^(٨١) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُتْرَةَ الَّتِي كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ﴾ ^(٨٢) ﴿مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى﴾ كفر ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ تحفظ عليهم أعمالهم؛ حتى تجزيهم بها.

﴿ويقولون طاعة﴾ يعني به: المنافقين؛ يقولون ذلك لرسول الله ﷺ. قال محمد: وارتفعت ﴿طاعة﴾ بمعنى: أمرنا طاعة ^(٢).

﴿فإذا برزوا﴾ خرجوا ﴿من عندك بيَّت طائفة منهم﴾ قال قتادة: يعني غيرت طائفة منهم ﴿غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون﴾ أي: يغيرون.

قال محمد: قيل: المعنى: قالوا وقدروا ليلاً غير [ما أتوك] ^(٣) نهائراً، والعرب تقول لكل ما فُكِّر فيه، أو خِيَضَ لبيل: قد بَيَّت ^(٤)، ومن هذا قول الشاعر:

أَتُونِي فَلَمْ أَرْضَ مَا بَيَّتُوا وَكَأْتُوا أَتُونِي لِأَمْرِ نُكْرٍ ^(٥)

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: البحر (٣/٣٠٢)، الدر المصون (٢/٤٠١).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (بيت).

(٥) البيت من المتقارب، وهو للأسود بن يعفر، ويروى:

قوله: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لا تقتلهم، ولا تحكم عليهم أحكام المشركين؛ ما كانوا إذا لقوك أعطوك الطاعة، ولم يظهروا الشرك.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فإنه سيكفيكمهم ﴿وَكُفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ لمن توكل عليه. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ يقول: لو تدبروه، لم ينافقوا ولا منوا. ﴿وَلَوْ كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تفسير قتادة: قول الله لا يختلف هو حق ليس فيه باطل، وإن قول الناس يختلف.

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿٨٣﴾ فَقِيلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ ﴿٨٤﴾

﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾

قال قتادة: إذا جاءهم أمر من الأمن - أي: من أن إخوانهم آمنون ظاهرون - أو الخوف - يعني: القتل والهزيمة - أذاعوا به؛ أي: أفشوه.

﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أولي العلم منهم. ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ الذين يفحصون عنه، ويهمهم ذلك، يقول: إذا كانوا أعلم بموضع الشكر في النصر والأمن، وأعلم بالمكيدة في الحرب.

= أتوني فلم أرض ما بيتوا وكانوا أتوني بشيء نكره

ينظر اللسان (نكر)، تاج العروس (نكر)

ونسب في الحيوان (للجاحظ) لعبيد بن همام بلفظ:

أتوني ولم أرض ما بيتوا وقد طرقتني بأمر نكر

ينظر الحيوان (٢٧٦/٤).

﴿ولولا فضلُ الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن.

قال يحيى: قوله: ﴿لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ فيه تقديم وتأخير؛ يقول: لعلمه الذين يستنبطونه منهم إلا قليلاً ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان [إلا قليلاً]^(١).

قال محمد: قيل: إن هذه الآية نزلت في جماعة من المنافقين، وضعفة من المسلمين؛ كانوا إذا أعلم النبي ﷺ أنه ظاهر على قوم، أو إذا تجمع قوم يُخَافُ من جمع مثلهم - أذاع ذلك المنافقون؛ ليحذر من يحبون أن يحذر من الكفار، وليقوى قلب من يحبون أن يقوى قلبه، وكان ضعفة المسلمين يشيعون ذلك معهم من غير علم منهم بالضرر في ذلك؛ فقال الله: ﴿ولو ردوه إلى الرسول...﴾ الآية.

﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرص﴾ (٧٠) أي: أخبرهم بحسن ثواب الله في الآخرة للشهداء.

﴿عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ وعسى من الله واجبة ﴿والله أشد بأساً﴾ عذاباً ﴿وأشد تنكيلاً﴾ عقوبة.

﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيبًا﴾ (٨٥) وَإِذَا حُيِّتُمْ بِحِجَّةٍ فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ (٨٦)

﴿من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها﴾ أي: حظ ﴿ومن يشفع

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

شفاعة سيئة يكن له كفل منها ﴿ أي : إثم .

قال الحسن : (والشفاعة الحسنة ما يجوز ^(١) في الدين أن يشفع فيه ،
والشفاعة السيئة ما يحرم في الدين أن يشفع فيه) ^(٢) .

﴿ وكان الله على كل شيء مقيتاً ﴾ أي : مقتدرًا ؛ في تفسير الكلبي .

قال محمد : وأنشد بعضهم :

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ النَّفْسَ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيَّتًا ^(٣)

قوله : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ التحية : السلام ،
ومعنى : ﴿ أحسن منها ﴾ إذا قال الرجل : السلام عليكم ، رد عليه : السلام
عليكم ورحمة الله ، وإذا قال : السلام عليكم ورحمة الله رد عليه : السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته .

ومعنى : ﴿ أو ردوها ﴾ أي : ردوا ^(٤) عليه مثل ما يسلم ؛ وهذا إذا سلم
عليك المسلم .

﴿ إن الله كان على كل شيء حسيباً ﴾ قال محمد ^(٥) : يعني : محاسبًا ؛ في
قول بعضهم .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَ بَيْنَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ

(١) في «ر» : والشفاعة ما يحبون .

(٢) سقط من «ر» .

(٣) البيت من الوافر ، وهو للزبير بن عبد المطلب ، أو لأبي قيس بن رفاعه . ويروى :

وَذِي ضِغْنٍ كَفَفْتُ الْوُدَّ عَنْهُ وَكُنْتُ عَلَى إِسَاءَتِهِ مُقِيَّتًا

ينظر : البحر (٣/٣٠٣) ، الدر المصون (٢/٤٠٥) ، إصلاح المنطق (٢٧٦) اللسان (قوت)

(٤) في الأصل : رد .

(٥) في «ر» : قال مجاهد .

حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَذُؤَا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْلُبُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتٌ صُدُّوهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا قَوْمَهُمْ أَوْ يَقْبَلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَبَلْتُمُوهُمْ فَإِنْ آعَزَلْتُمُوهُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوا قَوْمَهُمْ وَأَقْلَبُوا إِلَيْكُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْكُمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَغْنَزِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَقَبُوا إِلَيْكُمْ أَلَيْسَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْكُمْ سَبِيلًا ﴿٩١﴾ حَيْثُ يَقْبَلْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩٢﴾

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ أَي: لَا أَحَدَ أَصْدَقَ مِنْهُ.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَتَيْنِ﴾ قَالَ مُحَمَّدٌ: ﴿فِتْنَتَيْنِ﴾ نَصَبَ عَلَى الْحَالِ (١)

الْمَعْنَى: أَي شَيْءٍ لَكُمْ فِي الْإِخْتِلَافِ فِي أَمْرِهِمْ؟

﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ هُمْ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ؛ فَخَرَجُوا مِنْهَا إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْيَمَامَةِ تَجَارًا فَارْتَدَوْا عَنِ الْإِسْلَامِ، وَأَظْهَرُوا مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الشَّرْكِ، فَلَقِيَهُمُ الْمُسْلِمُونَ، فَكَانُوا فِيهِمْ (فِتْنَتَيْنِ - أَي: (٢)) فَرَقَتَيْنِ - فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ حَلَّتْ دِمَاؤُهُمْ؛ هُمْ مُشْرِكُونَ مُرْتَدُونَ،

(١) وَفِيهِ أَقْوَالٌ نَحْوِيَّةٌ أُخْرَى تَنْظُرُ مِنَ: الْبَحْرِ الْمَحِيطِ (٣/ ٣١٠-٣١١)، الدَّرَجَةُ الْمَصُونُ (٢/ ٤٠٧).

(٢) سَقَطَ مِنْ «ر».

وقال بعضهم: لم تحل دماؤهم؛ هم قوم عرضت لهم فتنة. فقال الله ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ وليس يعني: أنهم في تلك الحال التي أظهروا فيها الشرك منافقون، ولكنه نسبهم إلى (خُبْنهم)^(١) الذي كانوا عليه مما في قلوبهم من النفاق، يقول: قال بعضكم كذا، وقال بعضكم كذا؛ [هَلًا]^(٢) كُتِبَ فيهم فِتْنَةٌ [واحدة]^(٣) ولم تختلفوا في قتلهم؟ ثم قال: ﴿والله أركسهم بما كسبوا﴾ أي: ردهم إلى الشرك بما كان في قلوبهم من الشك^(٤) والنفاق.

﴿أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء﴾ أي: في الكفر شَرَعًا سواء ﴿فلا تتخذوا منهم أولياء﴾ أي: لا توالوهم^(٥).

﴿حتى يهاجروا في سبيل الله﴾ فيرجعوا إلى الدار التي خرجوا منها؛ يعني: المدينة ﴿فإن تولوا﴾ وأبوا الهجرة ﴿فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم﴾ ثم استثنى قَوْمًا نهى عن قتالهم؛ فقال: ﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ قال محمد: يعني: إلا من اتَّصل بقوم بينكم وبينهم ميثاق، ومعنى (اتصل): انتسب^(٦).

قال يحيى: وهؤلاء بنو مُذَلِّج كان بينهم وبين قريش عَهْدٌ، وكان بين رسول الله وقريش عهد؛ فحرم الله من بني مَذَلِّج ما حرم من قريش؛ وهذا منسوخ

(١) في «ر»: أصلهم.

(٢) في الأصل: أَوَّلًا. والمثبت من «ر».

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) في «ر»: الشرك.

(٥) في «ر»: لا تتولوهم.

(٦) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (وصل).

نسخته الآية ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾^(١).

﴿أو جاءكم حصرت صدورهم﴾ أي: كارهة صدورهم.

﴿أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم...﴾ الآية. قال محمد: وتقرأ (حصرة صدورهم)^(٢) أي: ضاقت؛ الحصر في اللغة: الضيق^(٣).

قوله: ﴿فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ يعني: حجة؛ وهذا منسوخ أيضاً؛ نسخه آية القتال^(٤).

﴿ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم﴾ تفسير مجاهد: قال [هم]^(٥) أناس من أهل مكة؛ كانوا يأتون النبي يُسلمون عليه رياءً، ثم يرجعون إلى قريش يرتكسون في الأوثان^(٦) يبتغون (بركتها، أو يأمنوا)^(٧) ها هنا وها هنا؛ فأمرُوا (ل٧١) بقتالهم؛ إن لم يعتزلوا ويصلحوا.

﴿وَمَا كَانِ لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانِ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ

(١) (التوبة: ٥)، وينظر الناسخ والمنسوخ (ص ٣٨).

(٢) قرأ الجمهور (حصرت) فعلاً ماضياً، وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب (حصرة) ونقلها المهدوي عن عاصم في رواية حفص.

ينظر: إتحاف الفضلاء (١٩٣)، النشر (٢٥١/٢) البحر المحيط (٣/٣١٧-٣١٨)، الدر المنصون (٢/٤١١).

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (حصر).

(٤) ينظر الناسخ والمنسوخ (ص ٣٩).

(٥) في الأصل: هذا. والمثبت من «ر».

(٦) أي يرتدون إلى عبادتها. ينظر: لسان العرب (ركس).

(٧) في «ر»: يبتغون بذلك أن يأمنوا.

مِيثَاقُ فِدْيَةِ مُسْلَمَةٍ إِلَى أَهْلِهِ. وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَاتَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَعَظُمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنُهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

﴿وما كان لمؤمن﴾ يعني: لا ينبغي لمؤمن ﴿أن يقتل مؤمنًا إلا خطأ﴾ أي إلا أن يكون لا يتعمد لقتله.

﴿ومن قتل مؤمنًا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله﴾ يعني: أهل القتل ﴿إلا أن يصدقوا﴾ يعني: إلا أن يصدق أهل القتل؛ فيتجاوزوا عن الدية. ﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن﴾ قال الحسن: كان الرجل يسلم وقومه حرب، فيقتله رجل من المسلمين خطأ— ففيه تحرير رقبة مؤمنة [ولا دية] ^(١) لقومه.

﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ ما كان من عهد بين المسلمين وبين المشركين، أو أهل الذمة؛ فقتل رجل منهم— ففيه الدية لأوليائه، وعق رقبة مؤمنة.

﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله﴾ تجاوزًا من الله. قال محمد: ﴿تَوْبَةُ مِنَ اللَّهِ﴾ القراءة بالفتح ^(٢)؛ المعنى: فعل الله ذلك توبة منه ^(٣).

(١) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

(٢) وهي قراءة الجمهور. البحر (٣/٣٢١).

(٣) وفي توجيه القراءة معان نحوية أخرى تنظر من: البحر (٣/٣٢٤-٣٢٥) الدر المصون (٢/٤١٥).

﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً...﴾ الآية.

قال يحيى: بلغني أن عمر بن الخطاب قال: لما أنزل الله الموجبات التي أوجب عليها النار؛ لمن عمل بها: ومن يقتل مؤمناً متعمداً (أو أشباهه) ^(١) ذلك كنا نبئ عليه الشهادة ^(٢) حتى نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فكففنا عن الشهادة.

يحيى: عن عاصم بن حكيم، (عن خالد بن أبي كريمة، عن عبد الله بن ميسور، عن محمد بن الحنفية) ^(٣)، عن علي قال: «لا تنزلوا العارفين المحدثين الجنة ولا النار، حتى يكون الله هو الذي يقضي فيهم يوم القيامة».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا ضَرَبْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمَ لَسْتُ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَعَانِدُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الآية.

تفسير قتادة: هذا في شأن مرداس رجل من غطفان؛ ذكر لنا أن نبي الله بعث جيشاً عليهم غالب الليثي إلى أهل قَذَك، وفيها ناس من غطفان، وكان مرداس منهم ففر أصحابه، وقال لهم مرداس: إني مؤمن وإني غير متابِعكم؛ فصَبَّحت الخيل غدوةً، فلما لقوه سلَّم عليهم، فدعاه أصحاب نبي الله؛

(١) في «ر»: أو ما أشبهه.

(٢) أي: نقطع له بالنار، انظر تفسير الطبري (١٢٥/٥ - ١٢٦) وتفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٧٠ - ٩٧١) وغيرهما.

(٣) سقط من «ر».

فقتلوه، وأخذوا ما كان معه من متاع؛ فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامُ^(١) لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾
لأن تحية المؤمنين السلام؛ بها يتعارفون، ويلقى بعضهم بعضاً.

﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ يعطيكموها ﴿كَذَلِكَ كُتِبَ مِنْ قَبْلِ﴾ أي: ضلّالاً ﴿فَمَنْ أَلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالإسلام.

قال محمد: ومن قرأ: ﴿لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامُ﴾ فالمعنى: استسلم لكم^(٢).

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا^(٩٥)﴾ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا^(٩٦)﴾

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن البراء بن عازب قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يذكر الضرر والمجاهدون في سبيل الله» - جاء ابن أم مكتوم إلى رسول الله ﷺ؛

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر وحزمة (السلم) بفتح السين واللام من غير ألف. وقرأ باقي السبعة (السلام) بألف.

وروي عن عاصم ﴿السلم﴾ بكسر السين وسكون اللام ينظر: إتحاف الفضلاء (١٩٣)، البحر (٣/٣٢٨)، الدر المصون (٤١٦/٢)، التيسير (٩٧).

(٢) ينظر: الدر المصون (٤١٦/٢).

فقال: أنا كما ترى وكان أعمى. فقال رسول الله: اذعوا لي زيداً وليأت باللوح أو الكُتِف^(١)، فأنزل الله: ﴿غير أولي الضرر﴾^(٢).

قال محمد: القراءة ﴿غير﴾ بالفتح^(٣)؛ على معنى: الاستثناء^(٤).
﴿فُضِّلَ الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى﴾ يعني: الجنة. وهذه نزلت بعدما صار الجهاد تطوعاً.
قال: ﴿وفُضِّلَ الله المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه ومغفرة ورحمة...﴾ الآية.

قال محمد: ﴿درجات﴾ نصبٌ على البدل، من قوله: ﴿أجراً عظيماً﴾^(٥).
يحيى: (عن عبد الرحمن بن يزيد، عن مكحول)^(٦) قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لمائة درجة، بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، أعدّها الله للمجاهدين في سبيله، ولولا أن أشق على أمتي، ولا أجد ما أحملهم عليه، (٧٢) ولا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا بعدي، ما قعدت خلاف سرية تغزوا،

(١) في «ر»: والكتاب.

(٢) رواه البخاري (٥٣/٦) رقم (٢٨٣١) ومسلم (١٥٠٨/٣) رقم (١٨٩٨) من طريق أبي إسحاق به.

(٣) وهي قراءة نافع وابن عامر وعاصم. وقرأ الباقر بالرفع، وعزاه أبو حيان إلى الأعمش وأبي حنيفة قراءة الجر. ينظر: السبعة (٢٣٧)، التيسير (٩٧)، النشر (٢٥١/٢)، البحر (٣/٣٣١-٣٣٠).

(٤) وفي توجيه النصب أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (٤٤٧/١) البحر (٣/٣٣٠-٣٣١)، الدر المصون (٤١٧/٢).

(٥) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (٤٤٨/١)، البحر (٣/٣٣٣)، الدر (٢/٤١٨).

(٦) في «ر»: عن عبد الرحمن بن مكحول. وهو خطأ، وعبد الرحمن بن يزيد هو أبو عتبة عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الدمشقي، يروي عن مكحول، ترجمته في التهذيب (١٨/٥-١٠).

وَلَوْدِدْتُ أَنِّي أَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أَحْيَا، ثُمَّ أَقْتُلُ ثُمَّ أَحْيَا ثُمَّ أَقْتُلُ^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ قَالَ اللَّهُ إِنَّ يَعْقُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَغْمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا صَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠١﴾﴾

﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم﴾ قالت لهم الملائكة: فيم كنتم؟ ﴿قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ يعني: مقهورين في أرض مكة ﴿قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ أي: إليها. تفسير قتادة: قال: هؤلاء قوم كانوا بمكة تكلموا بالإسلام؛ فلما خرج أبو جهل وأصحابه، خرجوا معه؛ فقتلوا يوم بدر، واعتذروا [بالأعذار]^(٢)، فأبى الله أن يقبل ذلك منهم، ثم عذر الله الذين بمكة واستثناهم، فقال: ﴿إلا

(١) روى البخاري (١٤/٦ رقم ٢٧٩٠) عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض». وروى البخاري (٢٠/٦ رقم ٢٧٩٧) ومسلم (٣/١٤٩٥-١٤٩٧ رقم ١٨٧٦) عن أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده، لولا أن رجلا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغدو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل ثم أحيا، ثم أقتل».

(٢) في الأصل: بلا عذر. والمثبت من «ر».

المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ﴿أي: لا قوة لهم فيخرجون من مكة إلى المدينة﴾ ولا يهتدون سبيلاً ﴿لا يعرفون طريقاً إلى المدينة﴾.

﴿فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم﴾ و﴿عسى﴾ من الله واجبة.
﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾ أي: مهājراً فيها هاجر إليه.

قال محمد: المراغم والمهاجر واحد؛ يقال: راغمتُ وهاجرتُ، وأصله: أن الرجل إذا أسلم خرج عن قومه مراغماً لهم؛ أي: مغاضباً مقاطعاً^(١).
﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله...﴾ الآية.

يحيى: عن قرّة بن خالد، عن الضحاك بن مزاحم قال: «سمع رجل من بني كنانة؛ أن بني كنانة قد ضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم يوم بدر وقد أدنف^(٢) للموت، فقال: أخرجوني إلى النبي. فوجه إلى النبي ﷺ فأنتهى إلى عقبة سماها فتوفي بها؛ فأنزل الله فيه هذه الآية».

﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم﴾ أن يقتلكم ﴿الذين كفروا﴾ هذا قَصْرُ صلاة الخوف.

﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنُفِّمَنَّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن رَّرَائِكُمْ وَلَنَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَّع يُصَلُّوا

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (رغم).

(٢) أي: اشتد مرضه وأشرف على الموت. يقال منه: دَنَفَ يَدْنِفُ دَنْفًا فهو دَنَفٌ. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس (دنف).

فَلْيَصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ
وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ
أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا
(١٢٢) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ
فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا (١٢٣) وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ
الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونُ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢٤﴾

﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة﴾ قال مجاهد: «إن النبي ﷺ وأصحابه كانوا بعُسْفَانَ، والمشركون بِضَجْنَانَ» (١) فتوافقوا فصلّى النبي ﷺ بأصحابه الظهر أربعاً؛ ركوعهم وسجودهم وقيامهم معاً، فهُم بهم المشركون أن (يغيروا) (٢) على أمتعتهم وأثقالهم، فأنزل الله ﴿وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة...﴾ الآية.

قوله: ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم﴾ أي: يضعون أسلحتهم وهم (يحذرون) (٣). قال محمد: ذكر يحيى سنة صلاة الخوف، ونقل فيها اختلافاً؛ فاختصرت ذلك؛ إذ له موضعه من كتب الفقه.

﴿فإذا قضيت الصلاة فادكروا الله﴾ يعني: باللسان ﴿قيامًا وقعودًا وعلى

(١) جبل قرب مكة. وقيل: بناحية تهامة. ينظر: معجم البلدان (٣/٥١٤).

(٢) في «ر»: يعدوا.

(٣) في «ر»: حذرون.

جنوبكم ﴿ تفسير قتادة: افترض الله ذكره عند القتال ﴾ فإذا اطمأننتم ﴿ يعني: في أمصاركم.

﴿ فأقيموا الصلاة ﴾ يقول: فأتَمُوا الصلاة ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا ﴾ أي: مفروضًا ﴿ ولا تهنوا في ابتغاء القوم ﴾ أي: لا تضعفوا في طلبهم ﴿ إن تكونوا تآلمون فإنهم يآلمون كما تآلمون ﴾ يعني: وجع الجراح ﴿ وترجون من الله ما لا يرجون ﴾ أي: من ثوابه ما لا يرجو المشركون، يرغبهم بذلك في الجهاد.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ

لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ ﴾

﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ﴾ في الوحي ﴿ ولا تكن للخائنين خصيمًا ﴾ تفسير الحسن: «أن رجلًا من الأنصار سرق درعًا فأتهم عليها حتى فشَّت القالة^(١)؛ أنه سرق الدرع؛ فانطلق فاستودعها رجلًا من اليهود، ثم أتى قومه، فقال: ألم تروا إلى هؤلاء الذين اتهموني على الدرع؛ فوالله ما زلت أطلب وأبحث حتى وجدتُها عند فلان اليهودي؛ فأتوا اليهودي فوجدوا عنده الدرع، (ل٧٣) فقال: والله ما سرقْتُها، إنما استودعنيها ثم قال الأنصاري لقومه: انطلقوا إلى النبي ﷺ فقولوا له، فليخرج فليعذرني؛ فتسقط عني القالة، فأتى قومه رسول الله فقالوا: يا رسول الله، اخرج فاعذر فلانًا، حتى تسقط عنه القالة، فأراد رسول الله أن يفعل، فأنزل الله: ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا

(١) القالة: اسم للقول الفاشي في الناس؛ خيرًا كان أو شرًا. ينظر: لسان العرب (قول).

تكن للخائنين خصيماً ﴿أي: أن الأنصاري هو سرقها؛ فلا تعذرته﴾^(١)، واستغفر الله مما كنت هممت به أن تعذره.

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا ۝١٧ۖ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٨ۖ هَتَأْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٩ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا ۝٢٠ۖ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٢١ۖ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهَا بَرِينًا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٢٢ۖ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ ۚ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝٢٣﴾

﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب ﴿أي: إن الأنصاري﴾ [سرقها أي]^(٢) خانها، والأنصاري: طُعْمَةُ بن أَبِي رِيقٍ وكان منافقًا. ﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله﴾ (أي: يستحيون من الناس، ولا يستحيون من الله)^(٣).

(١) في «ر»: فلا تعذر له.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) سقط من «ر».

﴿وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول﴾ يعني: ما قال الأنصاري:
إن اليهودي سرقها.

ثم أقبل على قوم الأنصاري فقال: ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلاً﴾ أي: حفيظاً لأعمالهم؛ في تفسير الحسن (قال الحسن)^(١): ثم استتابه الله، فقال: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه...﴾ إلى قوله: ﴿عليماً حكيماً﴾.

﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً﴾ أي: [ما رمي به]^(٢) اليهودي وهو منها بريء ﴿فقد احتمل بهتاناً﴾ كذباً ﴿وإثماً مبيناً﴾ يئناً، قال الحسن: ثم قال لنبه عليه ﷺ: ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهت طائفة منهم أن يضلوك﴾ فيما أرادوا من النبي ﷺ أن يعذر عن صاحبهم ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ أي: حين جاءوا^(٣) إليك لتعذرهم ﴿وما يضرونك﴾ ينقصونك ﴿من شيء﴾.

قال محمد: قيل: إن المعنى في قوله: ﴿أن يضلوك﴾ أي: أن يخطئوك في حكمك، وما يضلون إلا أنفسهم، لأنهم يعملون عمل الضالين، والله يعصم نبيه من متابعتهم.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١١٤) وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ

(١) سقط من «ر».

(٢) في الأصل: يرمى بها. والمثبت من «ر».

(٣) في «ر»: مشوا.

جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴿

﴿ لا خير في كثير من نجواهم ﴾ يعني: قوم الأنصاري ﴿إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس﴾ قال الحسن: فلما أنزل الله في الأنصاري ما أنزل استحيا أن يقيم بين ظهرائي المسلمين، فلحق بالمشركين؛ فأنزل الله: ﴿ومن يشاقق الرسول﴾ أي: يفارق ﴿من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ يعني: غير دين المؤمنين ﴿نوله ما تولى﴾ قال الحسن: ثم استتابه الله، فقال: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به...﴾ الآية. فلما نزلت هذه الآية رجع إلى المسلمين.

﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تُخَدِّنْ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا مِئْنَتَهُمْ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَبْتَكَرْ مَا ذَاكَ الْأَنْعَمِ وَلَا مَرْتَهُمْ فَلْيَغْفِرْ خَلَقَ اللَّهُ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَئِكَ مَاؤُنْهَمُ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ ﴿

﴿إن يدعون من دونه إلا إنانا﴾ قال الحسن: يعني: إلا أمواتا.

قال يحيى: كقوله: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ ^(١) يعني: أصنامهم.

قال محمد: وقيل: المعنى: إلا ما سموه بأسماء الإناث؛ مثل اللات والعزى ومناة.

﴿وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً﴾ قال الحسن: أي: إن تلك الأوثان لم تدعهم إلى عبادتها، إنما دعاهم إلى عبادتها الشيطان.
 قال محمد: المريد: العاتي؛ يقال: مريدٌ وماردٌ^(١).
 قوله تعالى: ﴿لعنه الله وقال﴾ يعني: إبليس ﴿لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضاً﴾.

قال محمد: المعنى: أفترضه لنفسي.
 ﴿ولأضلنهم﴾ لأغوينهم ﴿ولأمنينهم﴾ أي: بأنهم لا عذاب عليهم ﴿ولأمرنهم فليبتكن آذان الأنعام﴾ هي: البحيرة؛ كانوا يقطعون أطراف آذانها ويحرمونها.

﴿ولأمرنهم فليغيرن خلق الله﴾ قال ابن عباس: هو الخصاء^(٢).
 وقال الحسن: هو ما تَشِمُ^(٣) النساء في أيديها ووجوهها؛ كان نساء أهل الجاهلية يفعلن ذلك.

﴿ولا يجدون عنها محيصاً﴾ ملجأً .

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾

(١) ويقال أيضاً: مريد؛ أي: بكسر الميم، وتشديد الراء المكسورة.
 ينظر: لسان العرب، القاموس (مرد).

(٢) الخصاء: نزع الخصيتين. وقيل: قطع الذكر. لسان العرب (خصو).

(٣) مأخوذ من الوشم؛ وهو ما تفعله النساء من غرز الإبرة في البدن ثم دَر مادة النيلج عليه حتى يزرق أو يخضر. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (وشم).

﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴿

﴿وعد الله حقًا ومن أصدق من الله قيلاً﴾ أي: لا أحد.

﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ (ل٧٤) قال الحسن: قالت اليهود للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، [وكتابنا القاضي على ما قبله من الكتب] ^(١) ونحن أهدى منكم قال المؤمنون: كذبتهم، إنا صدقنا بكتابكم ونبيكم، وكذبتهم بكتابنا ونبينا، وكتابنا القاضي على ما قبله من [الكتب] ^(٢). قال محمد: المعنى: ليس ثواب الله - عز وجل - بأمانيكم، ولا أماني أهل الكتاب.

﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾.

يحيى: عن المعلّى بن هلال، عن إسماعيل بن أبي خالد ^(٣)، عن أبي بكر ابن زهير «أن أبا بكر الصديق قال: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ فقال له النبي ﷺ: أية آية؟ قال: قول الله: ﴿من يعمل سوءًا يجز به﴾ فكل سوء عملناه نُجْزَى به يا رسول الله؟ فقال النبي: غفر الله لك يا أبا بكر، أليس تمرض؟ أليس تحزن؟ أليس تَنْصَبُ ^(٤)؟ أليس تصيبك

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في الأصل: الكتاب. والمثبت من «ر».

(٣) في «ر»: إسماعيل بن خالد.

(٤) أي: تتعب؛ مأخوذ من النَّصَب؛ وهو التعب. لسان العرب (نصب).

الْأَوَاءُ^(١)؛ يعني: الأوجاع والأمراض؟ قال: بلى. قال: فهو مما تجزون به^(٢).

﴿ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله﴾ أي: أخلص ﴿وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفًا﴾ أي: لا أحد أحسن دينًا منه.

قال الكلبي: لما قالت اليهود للمؤمنين: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، وقال لهم المؤمنون ما قالوا؛ فأنزل الله: ﴿ليس بآمانيكم...﴾ إلى قوله: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلًا﴾ ففضل الله المؤمنين على اليهود.

قال محمد: تفسير بعضهم: الخليل هو من باب الخلّة والمحبة التي لا خلل فيها^(٣).

﴿وَسْتَغْفِرُونَكَ فِي الْإِنْسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُغْفِرُكُمْ فِيهِمْ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى الْإِنْسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَرَغِبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ (١٢٧)

(١) وقيل: اللأواء: ضيق المعيشة. ينظر لسان العرب (لأى).

(٢) رواه الإمام أحمد (١١/١) وأبو يعلى (٩٧-٩٨/١) رقم ٩٨-١٠١ والطبري في تفسيره (٥/٢٩٤، ٢٩٥)، وابن حبان (١٧٠-١٧١/٧) رقم ٢٩١٠ والمروزي في مسند أبي بكر (١٤٧-١٤٨ رقم ١١١، ١١٢) وابن السني في اليوم والليلة (١٨٩ رقم ٣٩٢) والحاكم (٧٤-٧٥) والبيهقي في سننه (٣/٣٧٣) والضياء في المختارة (١/١٥٩-١٦٠ رقم ٦٩، ٧٠) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال الضياء: قال أبو زرعة: أبو بكر بن أبي زهير عن أبي بكر الصديق مرسل.

قلت: قد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه من طرق، وفي الباب عن عدة من الصحابة، انظر تفسير ابن كثير (١/٥٥٧-٥٦٠) والدر المنثور (٢/٢٤٩-٢٥٠)، وأصحها حديث أبي هريرة، رواه مسلم (٤/١٩٩٣ رقم ٢٥٧٤).

(٣) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، المختار (خلل).

﴿ويستفتونك في النساء﴾ قال الكلبي: «سئل رسول الله ﷺ [ما لهن]^(١) من الميراث، فأنزل الله الربع والثلث».
 ﴿قل الله يفتيكم فيهن...﴾ إلى قوله: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ أي:
 عن أن تنكحوهن^(٢).

يحيى: عن سفيان، عن سماك بن حرب، عن خالد بن عرعة، عن علي ابن أبي طالب «أنه قال في قوله: ﴿وما يتلى عليكم في الكتاب...﴾ الآية، قال: تكون المرأة عند الرجل بنت عمه يتيمة في حجره، ولها مال فلا يتزوجها لدمامتها، ولكن يحبسها حتى يرثها، فنزلت هذه الآية، فنهوا عن ذلك».

وقوله: ﴿لا تؤتونهن ما كتب لهن﴾ يعني: ميراثهن.
 وقوله: ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ يقول: يفتيكم فيهن، وفي المستضعفين من الولدان؛ ألا تأكلوا [من]^(٣) أموالهم.
 قال قتادة: وكانوا لا يورثون^(٤) الصغير، وإنما كانوا يورثون^(٤) من يحترف، وينفع ويدفع.

﴿وأن تقوموا لليتامى بالقسط﴾ وهو تبع للكلام الأول، قل الله يفتيكم فيهن، وفي يتامى النساء، وفي المستضعفين من الولدان، وفي أن تقوموا لليتامى بالقسط.

(١) طمس بالأصل، والمثبت من «ر».

(٢) أي: على حذف حرف الجر (عن) وفيه تفصيل نحوي واسع ينظر من: إعراب القرآن (١/ ٤٥٧)، البحر (٣/ ٣٦٠-٣٦١)، الدر المصون (٢/ ٤٣٤).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) في «ر»: يورثون.

﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُقِنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾

﴿وَإِنْ أَمْرَأَةٌ خَافَتْ﴾ يعني: علمت ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ يعني: زوجها ﴿نُشُوزًا﴾ يعني: بغضا ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ فلا جناح ﴿لَا حَرَجَ﴾.

﴿عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا﴾^(١) بينهما صلحا والصلح خير... الآية، قال بعضهم: هي المرأة تكون عند الرجل فتكبر فلا تلد، فيريد أن يتزوج عليها أشب^(٢) منها، ويؤثرها على الكبيرة، فيقول لها: إن رضيت أن أؤثرها عليك وإلا طلقتك، أو يعطيها من ماله على أن ترضى أن يؤثر عليها الشابة.

وقوله: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ أي: شحت بنصيبتها من زوجها للأخرى؛ فلم ترض.

﴿وَإِنْ تَحْسِنُوا﴾ [الفعل]^(٣) ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الميل والجور فيهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في الحب ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ﴾ قال الحسن: فتأتي واحدة، وتدع الأخرى ﴿فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾.

(١) قرأ الكوفيون ﴿يُصْلِحَا﴾ بضم الياء وإسكان الصاد وكسر اللام، وقرأ الباقون ﴿يُصَالِحَا﴾ بفتح الياء والصاد واللام، وتشديد الصاد، وألف بعدها. النشر (٢٥٢/٢).

(٢) صيغة تفضيل من (الشباب)، والمراد: امرأة شابة صغيرة. لسان العرب (شيب).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

قال الحسن: لا أَيْمٌ، ولا ذات بعل.

﴿وإن تصلحوا﴾ الفعل في أمرهن ﴿وتتقوا﴾ الميل والجور فيهن ﴿فإن الله كان غفوراً رحيماً﴾.

قوله: ﴿وكان الله واسعاً حكيماً﴾ أي: واسعاً لهما في الرزق (٧٥٤) حكيماً في أمره.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣٦﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٧﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٨﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٩﴾

قوله: ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ لمن توكل عليه.

﴿إن يشأ يذهبكم أيها الناس﴾ [أي: يذهبكم] ^(١) بعذاب الاستئصال.

﴿ويأتي بآخرين﴾ [يقوم] ^(١) يطيعونه.

﴿من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ يعني: ثواب الآخرة لمن أراد الآخرة.

هو كقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ...﴾ إلى قوله: ﴿كان سعيهم مشكوراً﴾ ^(٢).

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) الإسراء: ١٨ - ١٩.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّٰهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللّٰهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط...﴾ إلى قوله: ﴿فالله أولى بهما﴾ يقول: اشهدوا على أنفسكم وعلى أبنائكم [وعلى آبائكم] ^(١) وأمهاتكم وقراباتكم؛ أغنياء كانوا أو فقراء ﴿إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما﴾ أي: أولى بغناه وفقره منكم.

قال قتادة: يقول: لا يمنعك غنى غني، ولا فقر فقير أن تشهد عليه بما تعلم. ﴿فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا﴾ (فتدعوا) ^(٢) الشهادة.

﴿وأن تلووا﴾ ألتستم فتحرفوا الشهادة ﴿أو تعرضوا﴾ فلا تشهدوا بها ﴿فإن الله كان بما تعملون خبيراً﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله﴾.

قال الكلبي: خاطب بهذا من آمن من أهل الكتاب؛ وذلك أنهم قالوا عند إسلامهم: أنؤمن بكتاب محمد، ونكفر بما سواه؟!

فقال الله: ﴿قل آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله...﴾ الآية.

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: فتعدلوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ ﴿١٢٧﴾ بَشِّرِ الْمُتَفَقِينَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٢٩﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئِنَّهُمْ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٠﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ أَنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُتَفَقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٣١﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا...﴾ الآية، هم أهل الكتابين، في تفسير قتادة. قال: آمنت اليهود بالتوراة، ثم كفرت بها - يعني: ما حرفوا منها - وآمنت النصارى بالإنجيل ثم كفرت به - يعني: ما حرفوا منه. ﴿ثم ازدادوا﴾ كلهم ﴿كفرا﴾ بالقرآن ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ قال الحسن: يعني: من مات منهم على كفره.

﴿ولا ليهديهم سبيلا﴾ أي: سبيل هدى؛ يعني: الأحياء، وأراد بهذا عامتهم، وقد تسلم الخاصة منهم.

﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً﴾ الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿كانوا يتولون اليهود﴾، وقد أظهروا الإيمان.

﴿أبئنون عند الله العزة﴾ أي: أيريدون بهم العزة؟!

﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ يعني: ما أنزل في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾ (١) الآية.

﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مَذْذَبَيْنَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَهْدِيَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾
 ﴿الذين يتربصون بكم﴾ هم المنافقون؛ كانوا يتربصون برسول الله وبالمؤمنين ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾ نصر وغنيمة ﴿قالوا ألم نكن معكم﴾.

﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ نكبة على المؤمنين ﴿قالوا﴾ للكافرين.
 ﴿ألم نستحذ عليكم﴾ أي: ندين بدينكم ﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾ يعنون: من آمن بمحمد ﷺ أي: كنا لكم عيونًا نأتيكم بأخبارهم، ونعينكم عليهم؛ وكان ذلك في السر. قال الله: ﴿فالله يحكم بينكم يوم القيامة﴾ فيجعل المؤمنين في الجنة، ويجعل الكافرين في النار.

﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا﴾ أي: حجة في الآخرة.
 ﴿إن المنافقين يخادعون الله﴾ بقولهم: ﴿إذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم﴾^(١) وهو خداعهم.
 قال محمد^(٢): يجازيهم جزاء الخداع.

﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالي﴾ عنها ﴿يراءون الناس﴾ يظهرون ما

(١) البقرة: ١٤.

(٢) في «ر»: فتادة.

ليس في قلوبهم.

﴿ولا يذكرون الله إلا قليلاً﴾ قال الحسن: إنما قل؛ لأنه كان غير الله.
﴿مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء﴾ قال قتادة: (٧٦) ليسوا
بمؤمنين مخلصين، ولا بمشركين مُصْرَجِينَ ﴿ومن يضل الله﴾ عن الهدى
﴿فلن تجد له سبيلاً﴾ يعني: سبيل هدى.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ يُجْعَلُوا
لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ
نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ
مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ
شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ يقول:
لا تفعلوا كفعل المنافقين؛ اتخذوا المشركين أولياء من دون المؤمنين
﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾ قال ابن عباس: حجة بيّنة.
﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾ وهو الباب السابع الأسفل.
﴿ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم﴾ أي: أن الله غني لا يعذب
شاكراً ولا مؤمناً.

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنْ
بَدُّوا خَيْرًا أَوْ خَفَوْهُ أَوْ تَعَفَّوْا عَنْ سُوءِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضِ

وَنَكُفِّرُ بَعْضٌ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾

﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ قال قتادة: عذر الله المظلوم أن يدعو. وقال مجاهد: هو الضيف ينزل فيحول رحله ^(١)، فيقول: فعل الله ^(٢) به، لم ينزلي! ﴿إن تبدوا خيرا أو تخفوه أو تعفوا عن سوء...﴾ الآية هو كقوله: ﴿إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُتُّوْهُ يَمْلِكُهُ اللَّهُ﴾ ^(٣).

﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ قال قتادة: هم اليهود والنصارى؛ آمنت اليهود بالتوراة وبموسى، وكفروا بالإنجيل وعيسى، وآمنت النصارى بالإنجيل وعيسى، وكفروا بالقرآن ومحمد - على جميعهم السلام.

﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا﴾ قال السدي: يعني: دينًا. قال الله: ﴿أولئك هم الكافرون حقا...﴾ الآية.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَازِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا لَمُنَازِلُونَ سُلْطَنَا مُبِينًا﴾ ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا

(١) كناية عن عدم استضافته ، وتقديم القرى له.

(٢) أي: وسع عليه في الرزق.

(٣) آل عمران: ٢٩ .

تَعُدُّوْا فِي السَّبْتِ وَآخِذْنَآ مِنْهُم مِّيثَاقًا عَظِيْمًا ﴿١٥٤﴾

﴿والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم﴾ هو كقوله: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِ...﴾ (١) الآية.

﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابًا من السماء﴾ أي: خاصة عليهم
﴿فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة﴾ أي: عيانًا ﴿وآتينا موسى سلطانًا مبينًا﴾ حجة (بيّنة) (٢).

﴿ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم...﴾ الآية، فقد مضى تفسيره في سورة البقرة (٣).

﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بَيَّأْتِ اللّٰهُ وَقَتْلِهِمُ الْآنِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيْلًا ﴿١٥٥﴾ وَكَفَرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيْمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ اللّٰهِ وَمَا قَتَلُوْهُ وَمَا صَلَبُوْهُ وَلٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيْهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَنْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوْهُ يَقِيْنًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللّٰهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيٰمَةِ يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ شَهِدًا ﴿١٥٩﴾﴾

﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ أي: فبنقضهم ميثاقهم، و(ما) صلة (٤).

(١) البقرة: ١٣٦.

(٢) سقط من (ر).

(٣) أي: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ...﴾ البقرة: ٦٣، ٩٣.

(٤) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (١/٤٦٧-٤٧٠) البحر (٣/٣٨٨-٣٩٤) الدر المصون (٢/٤٥٥).

﴿وقولهم قلوبنا غلف﴾ قد مضى تفسيره^(١).

قال الله: ﴿بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً﴾ قال قتادة: قلَّ من آمن من اليهود.

﴿وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾ هو ما قذفوا به مريم.

﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم﴾ (مسح)^(٢) بالبركة.

﴿وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم﴾ قال قتادة: ذكر لنا أن عيسى قال لأصحابه: أيكم يُقذَفُ عليه شبيهي؟ فإنه مقتول؟ قال رجل من أصحابه: أنا يا رسول الله. فقتل ذلك الرجل، ومنع الله نبيه (ورفعه إليه)^(٣).

﴿وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم﴾ كان بعضهم يقول: هم النصارى، اختلفوا فيه فصاروا ثلاث فرق.

قال الله: ﴿ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً﴾ (أي: ما قتلوا ظنهم يقيناً)^(٤) ﴿بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾.

﴿وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ قال قتادة: يعني: قبل موت عيسى إذا نزل.

وقال السدي: يقول لا يموت منهم أحد حتى يؤمن بعيسى؛ أنه عبد الله ورسوله، فلا ينفعه ذلك عند معاينة ملك الموت.

(١) أي: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون﴾ (البقرة: ٨٨).

(٢) في «ر»: مسيح.

(٣) في «ر»: ورفع الله.

(٤) هكذا في الأصل و«ر»، ولعل الصواب: أي: ما قتلوه، ظنوه يقيناً.

﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾ أي: يشهد عليهم؛ أنه قد بلغ رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه.

﴿فَيُظْلَمُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ (١٦١) وَأَخَذَهُمُ الرَّبُّوا وَقَدْ هُمُوهَا عَنْهُ وَأَكَلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦٢) لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا (١٦٣)

﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً﴾ قال مجاهد: صدوا أنفسهم وغيرهم.

﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمِينَ الصلاة والمؤتُونَ الزكاة﴾ قال قتادة: استثنى الله منهم من كان يؤمن بالله وما أنزل عليهم، وما أنزل على نبي الله.

قال محمد: اختلف (٧٧) القول في إعراب ﴿والمقيمِينَ الصلاة﴾ فقال بعضهم: المعنى: يؤمنون بما أنزل إليك، وبالمقيمِينَ الصلاة؛ أي: يؤمنون بالنبين المقيمِينَ الصلاة.

وقال بعضهم: المعنى: واذكر المقيمِينَ الصلاة، وهم المؤتُونَ الزكاة^(١).

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْيَسَّى مِنْ بَدْوٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْكَ إِذْ هَمَّ

(١) وينظر في تفصيل إعراب الآية: إعراب القرآن (١/٤٧٢-٤٧٠)، الكتاب (١/٢٤٨-٢٤٩)، البحر (٣/٣٩٥-٣٩٦)، الدر المصون (٢/٤٦١-٤٦٣).

وَأَسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوشَعَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ
وَوَاتِينَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ
عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى
اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى
إبراهيم﴾ أي: وكما أوحينا إلى إبراهيم ﴿وإسماعيل...﴾ إلى قوله:
﴿والأسباط﴾ والأسباط: يوسف وإخوته.

﴿وآتينا داود زبورًا﴾ يعني: كتابًا؛ وكان داود بين موسى وعيسى، وليس
في الزبور حلالٌ ولا حرام، وإنما هو تحميد وتمجيد وتعظيم لله.

﴿ورسلًا قد قصصناهم عليك من قبل﴾ قال محمد: المعنى: وأرسلنا
رسلًا قد قصصناهم عليك ﴿ورسلًا لم نقصصهم عليك﴾.

قال يحيى: قال بعضهم: «قيل: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال:
ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا جماء الغفير. قيل: أكان آدم نبيًا مكلّمًا أو غير
مكلّم؟ قال: بل كان نبيًا مكلّمًا»^(١).

(١) زوي عن أبي ذر وأبي أمامة وعوف بن مالك.

أما حديث أبي ذر فله عنه طرق:

منها: المسعودي عن أبي عمر - أو عمرو - الدمشقي عن عبيد بن خشخاش عنه. رواه الإمام
أحمد (١٧٨/٥، ١٧٩) والطيالسي (٦٥ رقم ٤٧٨) وابن سعد في الطبقات (٣٢/١) والبخاري
في مسنده (٤٢٦/٩ - ٤٢٧ رقم ٤٠٣٤) والمزي في التهذيب (٢٠٤/١٩ - ٢٠٥) والبيهقي في
الشعب (٣٧٧-٣٧٨ رقم ١٢٩).

قال البخاري: وهذا الكلام لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن أبي ذر، وعبيد بن خشخاش لا
نعلم روى عن أبي ذر إلا هذا الحديث.

قال محمد: يقال: جاء القوم جمًّا غفيرًا، أو جماء الغفير -إضافة- أي:

= ومنها: يحيى بن سعيد -وقيل: ابن سعد- القرشي، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر. رواه ابن حبان في المجروحين (١٢٩/٣) وابن عدي في الكامل (١٠٦/٩) - (١٠٧) والحاكم (٥٩٧/٢) وأبو نعيم في الحلية (١٦٨/١) والبيهقي في السنن (٤/٩) وفي الشعب (١/٣٧٩-٣٨١ رقم ١٣١) وابن عساكر في تاريخه (٢٣/٢٧٦ - ٢٧٩).

وقال ابن حبان: وليس من حديث ابن جريج ولا عطاء ولا عبيد بن عمير، وأشبه ما فيه رواية أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر. أخبرناه القطان، قال: حدثنا إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني، قال: حدثني أبي، عن جدي، عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر بطوله اه. وقال ابن عدي: وهذا حديث منكر من هذا الطريق عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر، وهذا الحديث ليس له من الطرق إلا من رواية أبي إدريس الخولاني والقاسم بن محمد عن أبي ذر، والثالث حديث ابن جريج، وهذا أنكر الروايات، ويحيى بن سعد هذا يعرف بهذا الحديث. اه.

وقال الذهبي في تلخيص المستدرک: قلت: السعدي ليس بثقة.

ومنها: إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه عن جده عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر. رواه ابن حبان في صحيحه (٢/٧٦-٧٩ رقم ٣٦١) وفي المجروحين (٣/١٣٠) وأبو نعيم في الحلية (١/١٦٨) وابن مردويه في تفسيره -كما في تفسير ابن كثير (١/٥٨٥) - وابن عساكر في تاريخه (٢٣/٢٧٣ - ٢٧٦).

قلت: إبراهيم كذبه أبو حاتم الرازي، وقال الذهبي في الميزان (٤/٣٧٨): إبراهيم بن هشام أحد المتروكين الذين مشاهم ابن حبان؛ فلم يصب.

وقال ابن كثير: وقد روى هذا الحديث بطوله الحافظ أبو حاتم بن حبان البستي في كتابه «الأنواع والتقاسيم» وقد وسمه بالصحة، وخالفه أبو الفرج بن الجوزي؛ فذكر هذا الحديث في كتابه «الموضوعات» واتهم به إبراهيم بن هشام هذا، ولا شك أنه قد تكلم فيه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل من أجل هذا الحديث، والله أعلم. اه.

وقال نحوه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٣٩١).

وقال ابن عساكر: رواه أبو الحسن بن جوصا عن أبي حارثة أحمد بن إبراهيم عن هشام عن أبيه. وكذلك رواه عن أبي إدريس الخولاني القاسم بن محمد الثقفي ومولى ليزيد بن معاوية.

ومنها: عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن محمد بن أيوب، عن عبد الرحمن بن عائذ، عن أبي ذر رواه الطبراني في مسند الشاميين (٣/١٥٤-١٥٥ رقم ١٩٧٩) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٧/٤٤٤-٤٥٥، ٢٣/٢٧٦).

ومنها: الماضي بن محمد، عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، =

كلهم بلقهم ولقيهم^(١).

= عن أبي ذر رواه الطبري في تاريخه (١٥٠/١-١٥١).

ومنها: جعفر بن الزبير، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة، عن أبي ذر قال: «قلت: يا نبي الله، أنبيأ كان آدم؟ قال: نعم كان نبياً، كلمه الله قبلاً» رواه الطبري في تاريخه (١٥١/١).
ومنها: معان بن رفاعه: عن علي بن يزيد، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة، عن أبي ذر، نحو سابقه.

رواه ابن عساكر (٤٤٥/٧) والمشهور في هذا الإسناد عن أبي أمامة أن أبا ذر سأل النبي ﷺ وسيأتي.
ومنها: هشام بن سليمان، عن أبي رافع، عن يزيد بن رومان، عن أخيره، عن أبي ذر رواه محمد بن يحيى بن أبي عمر في مسنده - كما في المطالب العالية (٤٩/٤-٥٠ رقم ٣٤٥٧) وإتحاف الخيرة (١/٢٣١-٢٣٣ رقم ٢/٣٣٧).

ومنها: يونس بن محمد، عن حماد بن سلمة، عن معبد بن هلال، عن رجل، عن عوف بن مالك، عن أبي ذر، رواه الحارث بن أبي أسامة - كما في المطالب العالية (١/٢٦٨ رقم ١/٦٦٢).
وأما حديث أبي أمامة، فله طريقان: الأول: معان بن رفاعه، عن علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة.

رواه الإمام أحمد في مسنده (٢٦٥/٥-٢٦٦) وإسحاق بن راهويه في مسنده - كما في تخريج أحاديث الكشاف (٢/٣٩٠) - وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/١١١٨ رقم ٦٢٨٣) والطبراني في الكبير (٨/٢١٧-٢١٨ رقم ٧٨٧١).

قال ابن كثير في تفسيره (١/٥٨٦): معان بن رفاعه السلامي ضعيف، وعلي بن يزيد ضعيف، والقاسم أبو عبد الرحمن ضعيف أيضاً.

وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٣٩١): ومعان وعلي بن يزيد والقاسم؛ ثلاثهم ضعفاء.
والثاني: معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام، عن أبي سلام، عن أبي أمامة.

رواه الطبراني في الكبير (٨/١١٨-١١٩ رقم ٧٥٤٥) والأوسط (١/١٢٨ رقم ٤٠٣) ومسند الشاميين (٤/١٠٥ رقم ٢٨٦١) وابن حبان (١٤/٦٩ رقم ٦١٩) والحاكم (٢/٢٦٢) وابن عساكر (٧/٤٤٥-٤٤٦) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.
وقال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن أبي أمامة إلا بهذا الإسناد، تفرد به معاوية بن سلام.
وأما حديث عوف بن مالك؛ فيرويه النضر بن شميل، عن حماد بن سلمة، عن معبد بن هلال، أخبرني فلان في مسجد دمشق، عن عوف بن مالك.

رواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (١/٢٦٧ رقم ٦٦١) وإتحاف الخيرة (١/٢٣٣ رقم ٣/٣٣٧).

(١) ويقال منه أيضاً: جاء القوم جم الغفير، والجم الغفير؛ أي: جاءوا كلهم مجتمعين كثيرين.

ينظر لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (جمم).

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ أي: كلامًا من غير وحي..

﴿مبشرين ومنذرين﴾ يعني: مبشرين بالجنة، ومنذرين بالنار.

﴿لَٰكِنَ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ

شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرُّسُولُ بِالْحَقِّ

مِن رَّبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا

حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

﴿لكن الله يشهد بما أنزل إليك﴾ يعني: القرآن ﴿أنزله بعلمه والملائكة

يشهدون﴾ أنه أنزله إليك.

﴿وكفى بالله شهيدًا﴾ قال محمد: المعنى: وكفى الله شهيدًا، والباء

مؤكدَةٌ^(١).

﴿إن الذين كفروا وظلموا﴾ أي: أنفسهم.

﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ يعني: إذا ماتوا على كفرهم ﴿ولا ليهديهم

طريقًا﴾ أي: طريق هدى؛ يعني: العامة من أحيائهم.

﴿يَأْتِيهِمُ الْكِتَابُ لَا يَغْلِبُ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا

الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَزُوِّجَتْ مِنْهُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ

وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ

(١) ينظر البيان (١/٢٧٨)، البحر (٣/٣٩٩)، الدر المصون (٢/٤٦٧).

لَمْ وَلَدٌ لَّهُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾ الغلو: تعدي الحق.

قوله: ﴿وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ أي: أنه كان من غير بشر.
﴿فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة...﴾ الآية. أي: آلهتنا ثلاثة ﴿انتهاوا خيرًا لكم﴾ ﴿إنما الله إله واحد﴾ قال محمد: اختلف القول في قوله: ﴿خيرًا لكم﴾ والاختيار أنه محمول على معناه؛ كأنه قال: انتهاوا واثبتوا خيرًا لكم^(١). وكذلك قوله: ﴿فآمنوا خيرًا لكم﴾^(٢) هو على مثل هذا المعنى.

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ أي: لن يحتشم ﴿ولا الملائكة المقربون﴾ أن يكونوا عبادًا لله.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ وَأُنزِلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَتْنٍ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٧٥﴾ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَكُمْ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ

(١) وفيه تفصيل نحوي واسع، ينظر في: إعراب القرآن (١/ ٤٧٤-٤٧٥)، مجمع البيان (٢/ ٢٤٣).

(٢) البحر (٣/ ٤٠٠) الدر المصون (٢/ ٤٦٨-٤٦٩).

(٢) النساء: ١٧٠.

وَلِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم﴾ قال مجاهد: يعني: حجة
﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ بيناً؛ يعني: القرآن.
﴿ويهديهم إليه﴾ (أي: في الدنيا) ^(١) ﴿صراطاً مستقيماً﴾.

﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ قال قتادة: الكلالة الذي لا ولد له
ولا والد ولا جد.

قوله: ﴿يبين الله لكم أن تضلوا﴾ لثلاث تضلوا ﴿والله بكل شيء عليم﴾.
قال محمد: ذكر يحيى في هذه السورة مسائل من الفرائض؛ فاختصرت
كثيراً منها؛ إذ للفرائض بأسرها مواضعها من كتب الفقه، ولا توفيق إلا بالله
[وهو حسبي ونعم الوكيل] ^(٢).

(١) سقط من «ر» .

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر» .

نفسناير القرآن العزيز

لابن أبي زَمَنِين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين
(٣٢٤ - ٣٩٩ هـ)

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة محمد بن مصطفى الكمر

المجلد الثاني
المائة - النحل

الناشر
الفازوق الحديث للطباعة والنشر



تفسير سورة المائدة
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرِ مُحْلِي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيذَ وَلَا ءَمِينَ أَلَيْتَ الْحَرَامَ يَتَنَفَّسُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْلَقِسُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فَسُقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ قال الكلبي: يعني: العهود التي أخذ الله على العباد فيما أحل لهم وحرم عليهم ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ والأنعام: الإبل والبقر والغنم^(١) ﴿إلا ما يتلى عليكم﴾ يقول: مما حرم عليكم من الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك مما نهى عنه.

(١) والأنعام واحدها: نَعَم. ينظر لسان العرب (نعم).

﴿غير محلي الصيد﴾ من غير أن تحلوا الصيد ﴿وأنتم حرم﴾.
 ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا
 القلائد ولا آمين البيت الحرام﴾ وكان هذا قبل أن يؤمروا بقتال المشركين
 كافة.

قوله: ﴿ولا القلائد﴾ يعني: أصحاب القلائد^(١)، وكانت القلائد أن الرجل
 إذا خرج من أهله حاجًا أو معتمرًا، وليس معه هدي جعل في عنقه قلائد من
 شعر أو [وَبَرٍ، فَأَمِنْ]^(٢) بها إلى مكة وإذا (٧٨٧) خرج من مكة تعلق من
 لحاء^(٣) شجر مكة، فيأمن به إلى أرضه.

وقوله: ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾ يعني: حجاج المشركين، والفضل
 والرضوان الذي كانوا يبتغونه أن يصلح الله لهم معاشهم في الدنيا، وألا
 يعاقبهم فيها.

قال محمد: واحد ﴿آمين﴾ آم؛ وهم القاصدون^(٤)، وشعائر الله: ما جعله
 الله علمًا لطاعته، واحدها: شعيرة^(٥)، والشهر الحرام (محرم)^(٦)؛ يقول: لا
 تقاتلوا فيه.

﴿وإذا حللتم فاصطادوا﴾ أي: إذا خرجتم من إحرامكم وهي إباحة؛ إن

(١) ويجوز أن يكون المراد: القلائد حقيقة. ينظر الدر المصون (٤٨١/٢) والقلائد: واحدها
 قلادة: وهي ما يعلّق في العنق، يكون ذلك للإنسان والفرس والكلب والبدنة التي تهدى.
 ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (قلد).

(٢) بياض بالأصل، والمثبت من «ر».

(٣) المراد: قشر الشجر، والجمع: ألحية ولُجِي. ينظر لسان العرب (لحو).

(٤) لسان العرب، القاموس المحيط، المختار (أم).

(٥) لسان العرب، القاموس المحيط، المختار (شعر).

(٦) سقط من «ر».

شاء صاد ، وإن شاء ترك .

﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾ لا يحملنكم بغض قوم .

﴿أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا﴾ .

قال الكلبي : يعني بالقوم : أهل مكة ؛ يقول : لا تعتدوا عليهم ؛ لأن صدوكم عن المسجد الحرام .

وقال الحسن : كان هذا حين صدوه يوم الحديبية عن المسجد الحرام .

قال محمد : ﴿يجرمنكم﴾ حقيقته في اللغة : يُكْسِبُنْكُمْ ؛ يقال : فلان جارم أهله [وجرمة أهله] ^(١) أي : كاسبهم ، وتقول : جرمني كذا ؛ أي : كسبني كذا . وفيه لغة أخرى : أجرمني ^(٢) .

﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به﴾ يعني : ما ذبح لغير اسم الله .

قال محمد : أصل الإهلال : رفع الصوت ^(٣) ؛ فكأن المعنى : ما ذكر عند ذبحه غير اسم الله .

﴿والمنخنقة﴾ قال الحسن : هي التي تختنق في حبلها فتموت ، وكانوا يأكلونها ﴿والموقوذة﴾ كانوا يضربونها بالخشبة حتى تموت ، ثم يأكلونها .

قال محمد : الوقذة : الضربة ؛ يقال : وَقَذْتُهَا أَقْذُهَا وَقْذًا ، وفيه لغة أخرى : أوقذتها أوقْذها إيقاذًا ^(٤) .

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من «ر» .

(٢) ينظر : لسان العرب ، القاموس المحيط ، مختار الصحاح (جرم) .

(٣) ينظر : المصادر السابقة (هلل) .

(٤) ينظر : المصادر السابقة (وقذ) .

﴿والمرتدية﴾ التي تردى في بئر فتموت ﴿والنطيحة﴾ يعني: الكبشين [يتناطحان]^(١) فيموت أحدهما.

﴿وما أكل السبع إلا ما ذكيتم﴾ يعني: ما أدركتم ذكاته من هذا كله ما خلا الخنزير ﴿وما ذبح على النصب﴾ حجارة كانت [يعبدها]^(٢) أهل الجاهلية، ويذبحون لها ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ قال قتادة: هي القداح كانوا يستقسمون بها في الأمور، فكان الرجل إذا أراد سَفَرًا أخذ قدحًا؛ فقال: هذا يأمرني بالخروج، ويأخذ قدحًا آخر فيقول: هذا يأمرني بالمكوث.

قال محمد: أخذ الاستقسام من القسم، وهو النصيب؛ فكأن الاستقسام طلب النصيب^(٣).

﴿اليوم يش الذين كفروا من دينكم﴾ قال الحسن: يشوا [أن]^(٤) يستحلوا فيه ما استحلوا في دينهم.

﴿فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنها نزلت على نبي الله ﷺ يوم الجمعة، يوم عرفة حين [نهى]^(٥) الله المشركين عن المسجد الحرام، وأخلص للمسلمين حَجَّهم.

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن عمار مولى بني هاشم، عن ابن عباس «أنه قرأ هذه الآية: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ وعنده رجل من اليهود؛ فقال اليهودي: لو نزلت هذه الآية علينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا. فقال ابن

(١) في الأصل: يتناطحان. والمثبت من «ر».

(٢) في الأصل: يعبدونها. والمثبت من «ر».

(٣) لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (قسم).

(٤) في الأصل: أي. والمثبت من «ر».

(٥) في الأصل: نفى.

عباس: فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين: يوم الجمعة، ويوم عرفة^(١).
 ﴿فمن اضطر في مخمصة﴾ قال قتادة: أي: في مجاعة^(٢)؛ رجع إلى الكلام الأول من قوله: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم...﴾ إلى آخر الآية ﴿غير متجانف لإثم﴾ أي: يتعمده^(٣).

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَأَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾
 ﴿الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْحَصْنَتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات﴾ يعني: الحلال من الذبائح.

﴿وما علمتم من الجوارح مكلين﴾ أي: مضرين^(٤) ﴿تعلمونهن مما

(١) رواه الطيالسي (٣٥٣ رقم ٢٧٠٩) والترمذي (٥/٢٢٣ رقم ٣٠٤٤) والطبري في تفسيره (٦/٨٢) والطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٨٤-١٨٥ رقم ١٢٨٣٥) والواحدي في أسباب النزول (ص ١٤٠) وغيرهم من طرق عن حماد بن سلمة به.
 وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن عباس، وهو صحيح.
 قلت: وهو ثابت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رواه البخاري (٨/١١٩ رقم ٤٦٠٦) ومسلم (٤/٢٣١٢-٢٣١٣ رقم ٣٠١٧).

(٢) في «ر»: جماعة. وهو تصحيف عن الصواب.

(٣) في «ر»: متعمد.

(٤) الضاري من الجوارح: المدرب على الصيد. لسان العرب (ضري).

علمكم الله ﴿ قال مجاهد: الجوارح هي من الطير والكلاب.

قال محمد: ﴿مكَلِّين﴾ نصب على الحال^(١)؛ يقال: رجل مُكَلَّب وكَلَّاب؛ إذا كان صاحب صيد بالكلاب^(٢)؛ المعنى: وأحل لكم صيد ما علمتم؛ وهذا من الاختصار [إذ كان في الكلام ما]^(٣) يدل عليه.

﴿واتقوا الله إن الله سريع الحساب﴾ قال السدي: (ل٧٩) يعني: كأنه قد جاء الحساب.

﴿اليوم أحلَّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حلٌّ لكم﴾ يعني: ذبائهم ﴿وطعامكم حلٌّ لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾ المحصنات ها هنا: الحرائر، ولا يحل نكاح إماء أهل الكتاب ﴿إذا أتيموهن أجورهن﴾ يعني: الصداق إذا [سمى]^(٤) لها، ولا بأس أن يدخل عليها قبل أن يعطيها إياه.

﴿محصنين غير مسافحين﴾ يعني: ناكحين غير زانين ﴿ولا متخذي أخدان﴾ يعني: الخليل والخليلة في السر.

﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ قال قتادة: لما نزل تحليل نساء أهل الكتاب؛ ذكر لنا أن رجالاً قالوا: كيف نتزوج نساءً على غير ديننا؟ فأنزل الله: ﴿ومن يكفر بالإيمان...﴾ الآية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى

(١) وفيه تفصيل نحوي ينظر من: البحر المحيط (٤٢٩/٣)، الدر المصون (٤٨٩/٢).

(٢) قال الزجاج: (رجل مُكَلَّب - يعني بالتشديد - ومُكَلَّب - يعني من: أكلب، وكَلَّاب - يعني: بتضعيف اللام - أي: صاحب كلاب. الدر المصون (٤٨٩/٢)، لسان العرب (كلب).

(٣) بياض في الأصل. والمثبت من «ر».

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ...﴾ الآية.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الربيع بنت معوذ بن عفراء: «أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء. قالت: فأتيته بإناء [فيه ماء]»^(١) قدر مُدٌ وثُلث (أو مُدٌ وربيع)^(٢) فغسل يديه ثلاثاً قبل أن يدخلهما في الإناء، ثم مضمض ثلاثاً، واستنشق ثلاثاً، وغسل وجهه ثلاثاً، وغسل ذراعيه ثلاثاً ثلاثاً، ثم مسح برأسه ما أقبل منه وما أدبر، ومسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما، وغسل رجليه [ثلاثاً]^(٣) قالت: فأتاني غلامٌ من بني عبد المطلب -يعني: ابن عباس- فحدثته هذا الحديث، فقال: أبى الناس إلا الغسل، ولا أجد في كتاب الله إلا المسح»^(٤).

(١) في الأصل: بها ماء.

(٢) سقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل.

(٤) رواه الإمام أحمد (٣٥٨/٦) والحميدي (١٦٣-١٦٤/١) رقم (٣٤٢) والدارقطني (٩٦/١) رقم

(٥) والبيهقي (٧٢/١) من طريق سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل به.

وقال البيهقي: فهذا - إن صح - فيحتمل أن ابن عباس كان يرى القراءة بالخفض، وأنها تقتضي المسح، ثم لما بلغه أن النبي ﷺ تواعد على ترك غسلهما أو ترك شيء منهما ذهب إلى وجوب غسلهما، وقرأها نصباً، وقد روي عنه أنه قرأها نصباً.

وقد روى حديث عبد الله بن محمد بن عقيل عن الربيع دون قول ابن عباس، جماعة كثيرة.

وقد روي نحو قول ابن عباس هذا عن أنس وغيره، ذكرها ابن كثير في تفسيره (٢٥/٢) =

﴿وإن كنتم جنبًا فاطهروا﴾.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة (عن الحسن)^(١)، عن أبي هريرة قال: «تحت كل شعرة جنبابة؛ فاغسلوا الشعر، وأنقوا البَشْرَ»^(٢).

= ثم قال: فهذه آثار غريبة جدًا، وهي محمولة على أن المراد بالمسح هو الغسل الخفيف لما سذكروه من السنة الثابتة في وجوب غسل الرجلين، وإنما جاءت هذه القراءة بالخفض - يعني: قراءة من قرأ ﴿وأرجلكم﴾ - بالجر - إما على المجاورة وتناسب الكلام كما في قول العرب: جحر ضب خرب، وكقوله تعالى: ﴿عليهم ثياب سندس خضر وإستبرق﴾ وهذا سائغ ذائع في لغة العرب شائع، ومنهم من قال هي محمولة على مسح القدمين إذا كان عليهما الخفان، قاله أبو عبد الله الشافعي رحمهما الله ومنهم من قال: هي دالة على مسح الرجلين، ولكن المراد بذلك الغسل الخفيف كما وردت به السنة، وعلى كل تقدير فالواجب غسل الرجلين فرضًا لا بد منه للآية والأحاديث التي نوردتها. ثم ذكر ابن كثير رحمهما الله الأحاديث الواردة في غسل الرجلين وأنه لا بد منه.

(١) سقط من «ر».

(٢) ورواه الحارث بن وجيه عن مالك بن دينار، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة مرفوعًا. خرجه أبو داود (٢٧١/١ رقم ٢٥٢) والترمذي (١٧٨/١ رقم ١٠٦) وابن ماجه (١٩٦/١ رقم ٥٩٧) والعقيلي في الضعفاء (٢١٦/١) وابن عدي والبيهقي في السنن (١٧٥/١، ١٧٩) وغيرهم.

وقال أبو داود: الحارث حديثه منكر، وهو ضعيف. وقال أبو حاتم نحوه، علل الحديث (٢٩/١ رقم ٥٣).

وقال الترمذي: حديث الحارث بن وجيه حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديثه، وهو شيخ ليس بذلك، وقد روى عنه غير واحد من الأئمة، وقد تفرد بهذا الحديث، عن مالك بن دينار.

وقال العقيلي: لا يتابع عليه، وله غير حديث منكر.

وقال البيهقي: تفرد به موصولاً الحارث بن وجيه، والحارث بن وجيه تكلموا فيه. وقال الشافعي: ليس بثابت. قال البيهقي: وأنكره غيره أيضًا من أهل العلم بالحديث: البخاري وأبو داود السجستاني وغيرهما، وإنما يروى عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً، وعن الحسن عن أبي هريرة موقوفًا. اهـ.

وقال الدارقطني في العلل (١٠٤/٨): ورواه أبان العطار، عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ولا يصح مسندًا، والحارث بن وجيه من أهل البصرة ضعيف.

قال محمد: يقال: رجل جنب، وامرأة جنب، وكذلك في الثنية والجمع؛ هذا أفصح اللغات^(١).

﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر...﴾ إلى قوله: ﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾ قد مضى تفسيره في سورة النساء^(٢).

﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ أي: من ضيق.

﴿ولكن يريد ليطهركم من الذنوب﴾ وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون ﴿لكي تشكروا؛ فتدخلوا الجنة.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِي لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾

﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به﴾ وهو الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم؛ وتفسيره في سورة الأعراف^(٣).

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط﴾ بالعدل؛ وهي

(١) وقيل: ورد له جمع، وهو: أجناب وجُنُبون. ينظر لسان العرب مختار الصحاح (جنب).

(٢) أي: عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا...﴾ (النساء: ٤٣).

(٣) أي: قوله تعالى: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم...﴾ الآية. (الأعراف: ١٧٢).

الشهادة تكون عند الرجل ﴿اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ أي: فإنه من التقوى. ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة﴾ أي: وفى الوعد لهم مغفرة لذنوبهم. ﴿وأجر عظيم﴾ الجنة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ ءَن يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ءَاتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾

فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْقِبْ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قومٌ أن يسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم﴾ قال الحسن: «كان رسول الله ﷺ يبطن نخل مُحاصِرًا غطفان، وهو متقلد سيفه، فجاءه رجل كانت قريش قد بعثته ليفتك برسول الله؟ فقال: يا محمد، أرني سيفك هذا أنظر إليه، فقال: هاك. فأخذه؟ فجعل ينظر إلى السيف مرة، وإلى رسول الله مرة؟ فقال: أما تخافني يا محمد؟ قال: لا. فغمد سيفه، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالرحيل»^(١).

(١) روى البخاري (٧/٤٩٠-٤٩١ رقم ٤١٣٥، ٤١٣٦، ٤٩٤/٧ رقم ٤١٣٩)، ومسلم (٤/١٧٨٧-١٧٨٨ رقم ٨٤٣) عن جابر نحو هذه القصة.

﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً﴾ قال الحسن: فما ضمنوا عنهم من شيء قبلوه وفعلوه.

قال محمد: النقيب في اللغة هو كالأمين وكالكفيل؛ يقال: نَقِبَ الرجل على القوم يَنْقُبُ^(١). قال مجاهد: فأرسلهم موسى إلى الجبارين.

﴿وقال الله إني معكم﴾ على الشرط ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمتم برسلي وعزرتموهم﴾ أي: نصرتموهم ﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾ يعني: الصدقة والنفقة في الحق ﴿لأكفرنَّ عنكم سيئاتكم﴾.

(ل ٨٠) قال محمد: العزر في اللغة معناه: الرد^(٢) فتأويل: ﴿وعزرتموهم﴾: نصرتموهم؛ بأن رددتم عنهم أعداءهم. وتقول أيضاً: عزرت فلاناً؛ إذا أدبته، ومعناه: فعلت به ما يردعه عن القبيح^(٣).

قال مجاهد: فلما أرسل موسى من كل سبط نقيباً إلى الجبارين وجدوهم يدخل في كم أحدهم اثنان منهم، ثم يلقيهم إلقاء، فرجع النقباء كلهم ينهى سبطه عن قتالهم، إلا يوشع بن نون وكالوب؛ فإنهما أمرا الأسباط بقتال الجبارين ومجاهدتهم؛ فعصوهما.

﴿فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضلّ سواء السبيل﴾ يعني: قصد الطريق ﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾ (أي: فبنقضهم ميثاقهم)^(٤) ﴿لعناهم﴾ يعني باللعن: المسخ؛

(١) نَقَابَةٌ، فهو نَقِيبٌ، والجمع: نَقَبَاءٌ. لسان العرب (نقب).

(٢) يقال: عَزَرَهُ يَغْزِرُهُ عَزْراً؛ أي: رَدَّهُ ومنعه. لسان العرب (عزر).

(٣) ومنه أخذ التعزير، الذي هو تأديب لا يبلغ الحد الشرعي. لسان العرب، المعجم الوسيط (عزر).

(٤) سقط من «ر».

فجعل منهم قردة وخنازير مسحوا في زمان داود قردة، وفي زمان عيسى خنازير ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ وهو ما حرفوا من كتاب الله.

﴿ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ أي: نسوا كتاب الله، وضيعوا فرائضه، وعطلوا حدوده.

﴿ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلاً منهم﴾ يعني: من آمن منهم. قال محمد: الخائنة والخيانة واحدة، وقد يجوز أن تكون الخائنة صفة للرجل؛ كما يقال: رجل طاغية، وراوية للحديث^(١). ﴿فاعف عنهم واصفح﴾ وهذا منسوخ^(٢).

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيكَ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَتَّهَلُ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن مِّنكُمْ

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى غير المذكورة، ينظر: إعراب القرآن (١/٤٨٧) مجمع البيان (٢/١٧٢) الدر المصون (٢/٥٠١-٥٠٢).

(٢) قيل: نسخ بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...﴾ إلى قوله: ﴿وهم صاغرون﴾ (التوبة: ٢٩) وانظر الناسخ والمنسوخ (٤١).

يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

﴿ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم﴾ أي: كما أخذنا ميثاق اليهود
﴿فنسوا حظًا مما ذكروا به﴾ هي مثل الأولى.

﴿فأغرينا بينهم العداوة﴾ أي: ألقينا بينهم العداوة ﴿والبغضاء﴾ قال
الحسن: يعني به: عاقتهم.

قال محمد: ﴿أغرينا﴾ حقيقته في اللغة: ألصقنا^(١)، وتأويل العداوة
والبغضاء؛ أي: صاروا فرقًا؛ يكفر بعضهم بعضًا.

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ قال قتادة: هو محمد.
﴿يبين لكم كثيرًا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ يعني: ما حرفوه منه
﴿وأخفوا الحق فيه﴾^(٢).

﴿ويعفو عن كثير﴾ مما كان حُرْمَ عليهم؛ أي: يحله لهم.
﴿قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين﴾ يعني: القرآن ﴿يهدي به الله من
اتبع رضوانه سبيل السلام﴾ والسلام هو الله؛ كقولهم: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٣).
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ

(١) وهو مأخوذ من الغراء؛ يقال: غَرِيَ به يَغْرِى غَرًى وَغَرَاءً أي: تعلق به ولزمه؛ كانه ألصق به
بالغراء. لسان العرب، مختار الصحاح، المعجم الوسيط (غرى).

(٢) في «ر»: وأخبر الله نبيه.

(٣) العنكبوت: ٦٩.

أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا
 بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ
 الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه﴾ قالت اليهود لأنفسها،
 وقالت النصارى لأنفسها.

قال الحسن: يقولون: قُرْبُنَا مِنَ اللَّهِ وَحُبُّهُ إِيَّانَا كَقُرْبِ الْوَلَدِ مِنَ وَالِدِهِ،
 وكحُبِّ الْوَالِدِ وَلَدِهِ؛ لَيْسَ عَلَى حَدِّ مَا قَالَتِ النَّصَارَى لِعِيسَى قَالَ اللَّهُ لِلنَّبِيِّ:
 ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ فجعل منكم القردة والخنازير، لو كان لكم هذا
 القرب، وهذه المحبة ما عذَّبكم!

﴿بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾
 الكافرين.

﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾ وهو محمد ﴿يبين لكم على فترة من
 الرسل أن تقولوا﴾ لثلاث تقولوا ﴿يوم القيامة ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد
 جاءكم بشير﴾ (بشير)^(١) بالجنة ﴿ونذير﴾ ينذر من النار.

قال قتادة: ذكر لنا أن الفترة التي كانت ما بين عيسى ومحمد ستمائة سنة،
 أو ما شاء الله من ذلك.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ

(١) سقط من «ر».

وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا ۖ وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢١﴾ يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٢﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ وَإِنَّا لَنَنَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنِعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمُ عَلَيْهِمُ غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾

﴿وَإِذ قَالَ موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا﴾ تفسير مجاهد: جعل لكم أزواجًا وخدمًا [وبيوتًا] ^(١). قال الكلبي: وكان منهم في حياة موسى ﷺ اثنان وسبعون نبيًا.

قوله: ﴿وآتاكم ما لم يؤت أحدًا من العالمين﴾ يعني: ما ظلل عليهم من الغمام، وأنزل عليهم من المن والسلوى (وأشباه ذلك) ^(٢) مما أوتوا.

﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة﴾ يعني: التي بورك فيها، وهي [الشام] ^(٣) التي كتب الله لكم أن تدخلوها.

﴿ولا تترددوا على أدباركم فتنقلبوا﴾ (٨١ ل) إلى الآخرة ﴿خاسرين﴾ قالوا يا موسى إن فيها قومًا جبارين... إلى قوله: ﴿فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ قال الكلبي: كانوا بجمال أريحا من الأردن فجبن القوم أن يدخلوها؛ فأرسلوا جواسيس من كل سبط رجلاً؛ ليأتوهم بخبر الأرض المقدسة، فدخل الاثنا عشر؛ فمكثوا بها أربعين ليلة ثم خرجوا، فصدق اثنان

(١) يياض بالأصل. والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

وكذب عشرة، فقالت العشرة: رأينا أرضاً تأكل أهلها، ورأينا بها حصوناً منيعاً، ورأينا رجالاً جبابة، ينبغي للرجل منهم مائة منا، فجبنت بنو إسرائيل فقالوا: والله لن ندخلها حتى يخرجوا منها؛ فإن يخرجوا منها فإنا داخلون.

قال رجلان أحدهما: يوشع بن نون، والآخر: كالوب؛ وهما اللذان قال الله: ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما﴾ بمخافتهما الله: نحن أعلم بالقوم من هؤلاء؛ إن القوم قد ملئوا منا رعباً. ﴿ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾.

﴿قَالُوا يَمْؤُوسَىٰ إِنَّا لَنَنذُرُكَ أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (٢٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ (٢٥) قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (٢٦)

﴿قالوا يا موسى﴾ أي كذب منا عشرة ويصدق اثنان؟! ﴿إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها...﴾ الآية، وكان موسى عليه السلام (حديداً) (١) فقال: ﴿رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي﴾ أي: وأخي لا يملك إلا نفسه ﴿فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين﴾ يعني: قومه.

قال الله لموسى إذ سميتهم فاسقين: ﴿فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس﴾ فلا تحزن ﴿على القوم الفاسقين﴾ فتأهوا

(١) في «ر»: حزينا.

أربعين سنة.

قال الكلبي: لما قالوا: إنا لن ندخلها أبداً، قال الله: فإنها محرمة عليهم أبداً، وهم مع ذلك يتيهون في الأرض أربعين سنة. قال: فلم يدخلها أحد ممن كان مع موسى، هلكوا (أجمعون)^(١) في التيه إلا رجلين: يوشع بن نون، وكالوب، وأنزل عليهم في تلك الأربعين سنة المن والسلوى، وثياباً لا تخرق ولا تدنس تشب^(٢) مع الصغير، وخفافاً^(٣) لا تخرق، فكان لهم ذلك في تيههم؛ حتى دخلوا أريحا.

قال يحيى: دخلها أبناؤهم، ويوشع بن نون وكالوب.

قال مجاهد: ومعنى «يتيهون في الأرض» كانوا يصبحون حيث يُمسّون، ويمسون حيث يصبحون، وفي تيههم ذلك ضرب لهم موسى الحجر.

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يُوتِلَقِي أَعْجَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

(١) في «ر»: أجمعين.

(٢) أي: تكبر وتطول.

(٣) واحداً: خف.

﴿واتل عليهم﴾ اقرأ عليهم ﴿نبأ ابني آدم﴾ أي: خبرهما ﴿إذ قربا قربانًا...﴾ الآية.

قال الكلبي: كانت حواء تلد في [كل]^(١) بطن اثنين: غلامًا وجارية؛ فولدت في أول بطن قابيل وأخته، وفي البطن الثاني هابيل وأخته؛ فلما أدركوا^(٢)، أمر آدم أن ينكح قابيل أخت هابيل، وهابيل أخت قابيل؛ فقال آدم لامراته الذي أمر به، فذكرته لابنيها فرضي هابيل بالذي أمر به وسخط قابيل لأن أخته كانت أحسنهما؛ فقال: ما أمر الله بهذا قط، ولكن هذا عن أمرك يا آدم! قال آدم: فقربا قربانكما؛ فأيكما كان أحق بها، أنزل الله نازًا من السماء فأكلت القربان. فرضيا بذلك؛ فعمد هابيل، وكان صاحب ماشية إلى خير غذاء غنمه وزيد ولبن، وكان قابيل زراعيًا فأخذ من ثمر زرعه، ثم صعدا الجبل وآدم معهما، فوضعا القربان على الجبل فدعا آدم ربه، وقال قابيل في نفسه: ما أدري أيقبل مني أم لا؟ لا ينكح هابيل أختي أبدًا، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل، وتجنبت قربان قابيل؛ لأنه لم يكن زاكى القلب، فنزلوا من الجبل [فانطلق قابيل إلى هابيل وهو في غنمه فقال: لأقتلنك]^(٣) قال: لم؟ قال: لأن الله تقبل منك، ورد علي قرباني، [وتنكح أختي الحسنى، وأنكح أختك القبيحة]^(٣) ويتحدث الناس بعد اليوم أنك خير مني. فقال له هابيل: ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾ (٨٢ل) ﴿إني أريد أن تبوء﴾ ترجع ﴿بإثمي وإثمك﴾ قال قتادة: يعني: بإثمي: قتلي، وإثمك: الذي مضى؛ يعني: من قبل قتلي.

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) أي: بلغوا سن الزواج.

(٣) بياض بالأصل. والمثبت من «ر».

﴿فطوعت له نفسه قتل أخيه﴾ قال مجاهد: يعني: فشجّعته نفسه فقتله
﴿فأصبح من الخاسرين﴾ الذين خسروا الجنة.

يحيى: عن خالد، عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله ضرب
لكم ابني آدم مثلاً؛ فخذوا بخيرهما، ودعوا شرهما»^(١).

﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض...﴾ الآية.

قال الكلبي: وكان قتله عشية، وغدا إليه غدوة لينظر ما فعل؛ فإذا هو
بغراب حي يحثي التراب على غراب ميت، فقال: ﴿يا ويلنا أعجزت أن أكون
مثل هذا الغراب فأواري سوء أخي﴾ كما يواري هذا الغراب سوء أخيه!!
فدعا بالويل، وأصبح من النادمين.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ
فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا
النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ
فِي الْأَرْضِ لَمُتْرِفُونَ﴾

﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ
في الأرض﴾ يعني: ما تستوجب به القتل ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً ومن
أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ قال الحسن: من إحيائها أن ينجيها من

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٨٧/١) - ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٩٩/٦) - عن
معمر عن الحسن به.

ورواه الطبري (١٩٩/٦) من طريق ابن المبارك عن عاصم الأحول عن الحسن.
وروى الطبري في تفسيره (١٩٩/٦) عن سليمان التيمي قال: قلت لبكر بن عبد الله: أما
بلغك أن نبي الله ﷺ قال: «إن الله - جل وعز - ضرب لكم ابني آدم مثلاً، فخذوا خيرهما،
ودعوا شرهما»؟ قال: بلى.

الْقَوْدُ^(١)، فيعفو عنها، أو يُقَادِيها من العدوان، وينجّيها من الغرق، ومن الحرق، ومن السَّبُع، وأفضل إحيائها أن ينجّيها من كفرها وضلالتها.

قال محمد: ذكر بعض المفسرين في قوله: ﴿فكأنما قتل الناس جميعاً﴾ أي: يعذب كما يعذب قاتل الناس جميعاً. ومن أحيائها أُجِرَ في إحيائها؛ كما يؤجر من أحيأ الناس جميعاً.

يحيى: عن المعلّى، عن سماك بن حرب، عن قابوس بن المخارق، عن أبيه قال: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله؛ أرايت إن عرض لي رجل يريد نفسي ومالي، فكيف أصنع به؟ قال: تناشده بالله. قال: نشدته بالله فلم ينته. قال: استعِدْ^(٢) عليه السلطان. قال: ليس بحضرتنا سلطان. قال: استعن عليه بالمسلمين. قال: نحن بفلاة من الأرض ليس قربنا أحد. قال: فجاهده دون مالك حتى تمنعه، أو تكتب في شهداء الآخرة»^(٣).

(١) أي: من القصاص. لسان العرب (قود).

(٢) في «ر»: استعِنَ.

(٣) رواه الإمام أحمد (٢٩٤-٢٩٥) وابن أبي شيبة في مسنده (٩/٢ رقم ٥٢٤) ومسدد في مسنده كما في إتحاف الخيرة (٤/٢١١ رقم ٤٣٣٢/١) - وإسحاق بن راهويه في مسنده وإبراهيم الحربي في غريب الحديث - كما في نصب الراية (٤/٣٤٩) - والنسائي (٧/١٢٩ رقم ٤٠٩٢) والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/٣١٣-٣١٥ رقم ٧٤٦-٧٤٩) وابن قانع في معجم الصحابة (٣/١٣٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٦٣٥ رقم ٦٣٢٩) والبيهقي في سننه (٨/٣٣٦)، والمزي في تهذيبه (٢٣/٣٣١-٣٣٢) من طرق عن سماك بن حرب به.

ورواه الحربي في غريب الحديث - كما في نصب الراية (٤/٣٤٩) - من طريق سفيان الثوري عن سماك، عن قابوس «أن رجلاً أتى النبي... الحديث، لم يقل فيه: «عن أبيه». قال الدارقطني في العلل: هذا حديث يرويه سماك بن حرب، واختلف عليه، فرواه عمار بن زريق وأبو الأحوص وأيوب بن جابر والوليد بن أبي ثور عن سماك عن قابوس عن أبيه، ورواه الثوري وحمام بن سلمة عن سماك عن قابوس مرسلاً لم يقلوا عن أبيه، والمسند أصح. اهـ. نقلته من نصب الراية (٤/٣٤٩).

﴿ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات﴾ يعني: أهل الكتاب ﴿ثم إن كثيرًا منهم بعد ذلك في الأرض لمُسرفون﴾ لمشركون؛ يعني: من لم يؤمن منهم.

﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدَرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُوٌّ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله...﴾ الآية.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك: «أن ناسًا من عُكل وعرينة قدموا على النبي المدينة وأسلموا، واستوخموا المدينة^(١)، فأمرهم رسول الله أن يخرجوا في إبل من إبل الصدقة؛ فيشربوا من ألبانها وأبوالها، ففعلوا حتى صحوا؛ فقتلوا راعي رسول الله، واستاقوا الإبل، وكفروا بعد إسلامهم، فبعث رسول الله في طلبهم، فأُتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم^(٢)، وتركهم في الحرّة^(٣) حتى ماتوا^(٤)».

(١) أي: استقلوها ولم يوافق هواؤها طبائعهم. لسان العرب، القاموس (وخم).

(٢) أي: فقاها بمسمار أو حديدة مُخمة. لسان العرب (سمل).

(٣) الحرّة هي كل أرض ذات حجارة سود كأنها أحرقت. والمراد هنا: موضع بظاهر المدينة تحت واقم، وبها كانت وقعة الحرّة أيام يزيد بن معاوية. ينظر لسان العرب، المختار، المعجم الوسيط (حرر).

(٤) رواه البخاري (٥٢٤/٧) رقم ٤١٩٢، ١٨٨/١٠ - ١٨٩ رقم ٥٧٢٧، ومسلم (٣/١٢٩٨).

رقم ١٣/١٦٧١) من طريق سعيد- وهو ابن أبي عروبة- به.

ولهذا الحديث طرق عن قتادة، وله طرق كثيرة عن أنس أيضًا.

قال قتادة: وكان هذا من قبل أن تنزل الحدود.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن أبي هريرة؛ «أنه لما جيء بهم؛ فقطع أيديهم وأرجلهم، وسمل أعينهم، نزلت هذه الآية: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله...﴾ الآية»^(١).

قال يحيى: سألت الجهم بن ورائد الكوفي عن قوله: ﴿من خلاف﴾ فقال: يده اليمنى ورجله اليسرى.

وقال ابن عباس: ومعنى ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ (أن يعجزوا فلا يقدر عليهم)^(٢).

﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم...﴾ الآية.

قال قتادة: نزلت في أهل الشرك خاصة.

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة﴾ قال قتادة: يعني: تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ^(٣٧) وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ

= قال ابن كثير في تفسيره (٥/٢): وقد روى قصة العرنين من حديث جماعة من الصحابة منهم: جابر، وعائشة، وغير واحد، وقد اعتنى الحافظ الجليل أبو بكر بن مردويه بتطريق هذا الحديث من وجوه كثيرة جدًا، فرحمه الله وأثابه.

(١) رواه عبد الرزاق - كما في تفسير ابن كثير (٤٩/٢) - عن إبراهيم بن محمد الأسلمي به.

(٢) هكذا في الأصل، «ر».

اللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾
﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها﴾ قال الحسن: كلما
رفعتهم بمسها حتى يصيروا إلى أعلاها أعيدوا فيها.

﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ هي في قراءة ابن مسعود: «فاقطعوا
أيماهما» ﴿جزاء بما كسبا﴾ (ل ٨٣) بما عملا ﴿نكالا من الله﴾ يعني: عقوبة.
يحيى: عن المعلّى، عن عبد الرحمن بن آدم، عن محمد بن المنكدر
قال: «قطع رسول الله يد سارق من الكوع وحسمها^(١)».

يحيى: عن النضر بن مغبد^(٢)، عن أبي قلابة قال: «مرّ على أبي الدرداء
برجل قد أخذ في حدّ فسبوه، فقال: لا تسبوه! ولكن احمداوا الله الذي
نجاكم»^(٣).

﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكِرُونَ فِي الْكَفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا
بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَتَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَتَّعُونَ لِقَوْمٍ
آخَرِينَ لَمْ يَأْتُواكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ
وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

(١) أي: كواها؛ لثلا يسيل منها الدم. لسان العرب (حسم).

(٢) في «ر»: النضر بن سعيد.

(٣) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (١١/ ١٨٠ رقم ٢٠٢٦٧) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٢٥)
والبيهقي في الشعب (٥/ ٢٩٠-٢٩١ رقم ٦٦٩١) من طريق أبي قلابة.

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾ وهم المنافقون يقول: لا يحزنك كفرهم، فإن ذلك لا يضرّك، إنما ضره عليهم.

ثم قال: ﴿ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون﴾ أي: يقول الذين لم يأتوك ﴿إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتته﴾ يعني: ضلّاته. إلى قوله: ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ يعني: الجزية.

قال قتادة: وكان هذا في قتيل من بني قريظة، قتله النضير، وكان قتيلاً عمداً، وكان النضير إذا قتل من قريظة قتيلاً لم يعطوهم القود^(١) ويعطوهم الدية، وإذا قتل قريظة من النضير قتيلاً لم يرضوا دون القود؛ فكانوا على ذلك حتى قدم نبي الله المدينة بأثر قتلهم؛ فأرادوا أن يرفعوا ذلك إليه ليحكم بينهم، فقال لهم رجل من المنافقين: إن قتلكم قتيلاً عمداً، وإنكم متى ترفعوه إلى محمد أخشى عليكم القود؛ فإن قبل منكم الدية وإلا فكونوا منه على حذر، فأنزل الله هذه الآية.

﴿سَنُعَذِّبُكَ بِالْكَذِبِ أَكْثَرُ لَوْلَا لِسَانُكَ فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾

(١) القود: القصاص، لسان العرب (قود).

ثم قال: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْالُونَ لِلْسَحْتِ﴾ يعني: [اليهود]^(١) والسحت الرشا^(٢).

﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ...﴾ الآية. قال قتادة: رُخص له في هذه الآية أن يحكم بينهم، أو يعرض عنهم، ثم نسخ ذلك بعد؛ فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٣) فنسخت هذه الآية الآية الأولى^(٤).

قال محمد: معنى قوله: ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ أي: قائلون له، ومعنى ﴿من بعد مواضعه﴾ من بعد أن وضعه الله موضعه؛ فأحلّ حلاله، وحرّم حرامه. وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله... الآية. قال قتادة: يعني: عندهم بيان ما تشاجروا^(٥) فيه من شأن قتيلهم؛ أي: إن في التوراة أن النفس بالنفس.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا

(١) بياض بالأصل، والمثبت من «ر».

(٢) الرشا: جمع رشوة، وهي ما يعطى لقضاء حاجة أو مصلحة، أو ما يعطى لإحقاق باطل وإبطال حق. لسان العرب، المعجم الوسيط (رشو).

(٣) المائدة: ٤٨.

(٤) ينظر: الناسخ والمنسوخ (٤١، ٤٢).

وذهب جماعة من العلماء إلى أن هذه الآية محكمة غير منسوخة؛ وهو مروي عن عطاء وسعيد بن جبير والزهرري وغيرهم، قال الطبري في تفسيره (٢٤٦/٦): وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال إن حكم هذه الآية ثابت لم ينسخ. اهـ. وقال ابن الجوزي في نواسخ القرآن (٣٧٨): وهو الصحيح.

(٥) تشاجروا: اختلفوا وتنازعا. لسان العرب (شجر).

تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَآخِشُونَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا﴾ أي: يحكم بها النبيون المسلمون ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُونَ وَالْأَحْبَارُ﴾ قال قتادة: الربانيون: فقهاء اليهود، والأحبار: علماؤهم. قال محمد: وقيل: الربانيون: العبَّاد.

﴿فلا تخشوا الناس﴾ في إقامة الحدود على أهلها مَنْ كانوا ﴿واخشون﴾ في ترك إقامتها.

﴿ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله﴾ قال الحسن: يقول: من لم يتخذ ما أنزل الله دينًا ويقر به ﴿فأولئك هم الكافرون﴾. ﴿وكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ يريد: التوراة ﴿أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ...﴾ إلى قوله: ﴿والجروح قصاص﴾ وهذه الآية مفروضة على هذه الأمة، وكل ما ذكر الله في القرآن؛ أنه أنزله في الكتاب الأول، ثم لم ينسخه بالقرآن فهو ثابت يُعْمَلُ به ^(١). ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾ قال قتادة: يعني: كفارة لذنبه.

يحيى: عن المعلّى، عن أبان، عن الشعبي، عن رجل من الأنصار قال: «سئل رسول الله ﷺ عن قوله عز وجل: ﴿فمن تصدق به فهو كفارة له﴾

(١) مسألة متى يكون شرع من كان قبلنا شرعًا لنا مبسوطه في كتب الأصول، تراجع في محلها.

قال: هو الرجل تُكسر سُنَّته، أو يجرح في جسده؛ فيعفو فيُحط عنه من خطاياه بقدر ما عفا عنه؛ إن كان نصف الدية فنصف خطاياه، وإن كان ربع الدية فربع خطاياه، وإن كان ثلث (٨٤ل) الدية فثلث خطاياه، وإن كانت الدية كلها فخطاياه كلها^(١).

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَإِنِّي أَنزِلُ فِيهِ هُدًى وَنُورًا ۖ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۖ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾
﴿وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم...﴾ إلى قوله: ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الفسق ها هنا: الشرك.

قال محمد: ومعنى ﴿قفينا﴾: أتبعنا، والمصدر منه: تقفية^(٢).

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا ءَاتَيْنَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن أَحْكَمَتْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرَهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ دُورِهِمْ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾
﴿الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

(١) رواه ابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢/٦٣-٦٤) - من طريق المعلى - وهو ابن هلال - به.

(٢) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (قفو).

﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿وَمُهِمَّنَا عَلَيْهِ﴾ قال عبد الله بن الزبير: المُهَيِّمُنُ: القاضي على ما قبله من الكتب.

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ قال قتادة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة؛ أحل الله فيها ما شاء، وحرّم ما شاء ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ يعني: ملّة واحدة ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِيمَا آتَاكُمْ﴾ فيما أعطاكم من الكتاب والسنة.

﴿وَاحْذَرِهِمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ﴾ أي: يصدوك ﴿عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يعني: اليهود، عن بعض ما أنزل الله إليك ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ فيقتلوهم ويجليهم وتؤخذ منهم الجزية بالصغار^(١) والذل.

﴿وَإِنْ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ يعني: اليهود وغيرهم من الكفار. ثم قال عز وجل: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ وهو ما خالف كتاب الله وحكمه.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدِيمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِتَيْنَاهُمُ لَعْنُكُمْ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: في الدين ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ﴾ في الدين ﴿فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.

(١) أي: الذلّة والمهانة. لسان العرب (صغر).

﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾ يعني: المنافقين ﴿يسارعون فيهم﴾ في أهل الكتاب؛ أي: يوافقونهم في السر ﴿يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ فينصروا علينا؛ فنكون قد (أخذنا) ^(١) بيننا وبينهم مودة. قال الله: ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده...﴾ الآية.

قال الكلبي: فجاء الله بالفتح؛ فنصر نبيه، وجاء أمر الله من عنده بإجلاء بني النضير، وقتل بني قريظة، وسبي ذراريهم ^(٢)؛ فندم المنافقون حتى ظهر نفاقهم، وأجلى أهل وُدِّهم عن أرضهم، فعند ذلك قال الذين آمنوا بعضهم لبعض: ﴿أهلؤا الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم...﴾ الآية.

﴿يَتْلِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْرٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَتْلِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخْذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾ هو كقوله: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ^(٣).

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا...﴾ الآية. قال الكلبي: بلغنا «أن

(١) في «ر»: اتخذنا.

(٢) أي: سبي نسائهم وصغارهم. لسان العرب (ذر).

(٣) سورة الفتح: ٢٩.

عبد الله بن سلام ورهطاً^(١) من مسلمي أهل الكتاب أتوا النبي عند صلاة الظهر، فقالوا: يا رسول الله، بيوتنا قاصية^(٢)، ولا نجد متحدثاً دون المسجد، وإن قومنا لما رأونا أننا قد صدقنا الله ورسوله وتركناهم ودينتهم أظهروا لنا العداوة، وأقسموا ألا يخالطونا ولا يجالسونا، فشق ذلك علينا. فبينما هم [كذلك]^(٣) يشكون ذلك إلى النبي؛ إذ نزلت هذه الآية على النبي ﷺ فلما اقترأها رسول الله، قالوا: رضينا بالله وبرسوله والمؤمنين أولياء، وأذن بلال بالصلاة فخرج رسول الله ﷺ والناس يصلون بين قائم وراعي وساجد، وإذا هو بمسكين يسأل، فدعاه رسول الله؛ فقال له: هل أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم. قال: ماذا؟ قال: خاتم من فضة. قال: من أعطاك؟ قال: ذلك الرجل القائم، فإذا هو عليّ. قال: على أي حال أعطاك؟ قال: أعطانيه وهو رايع [فزعموا أن]^(٤) رسول الله كبر عند ذلك^(٥).

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٥٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ مَنَّا إِلَّا أَنْ أَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَوْسَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلَعِبًا﴾ قال [الكلبي]^(٤): كان إذا

(١) أي: الجماعة من ثلاثة أو سبعة إلى عشرة، أو ما دون العشرة والجمع: أرهط وأرهاط. لسان العرب (رهط).

(٢) أي: بعيدة. لسان العرب (قصور).

(٣) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٤) بياض بالأصل، والمثبت من «ر».

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٢٢-٣٢٣) لابن مردويه.

نادى منادى رسول الله للصلاة، قالت اليهود والمشركون: قد قاموا لا قاموا. وإذا ركعوا وسجدوا (استهزءوا)^(١) بهم وضحكوا؛ فقال الله لنبه: ﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون﴾، أي: بفسقكم نقمتم ذلك علينا، ثم قال: ﴿هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة﴾ [يعني: ثواباً]^(٢) ﴿عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت﴾ قال الحسن: يقول: جعل الله ذلك منهم (ل) (٨٥) بما عبدوا الطاغوت؛ يعني: الشيطان.

﴿أولئك شرّ مكاناً﴾ في الآخرة ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ يعني: عن قُصْد طريق الهدى.

قال محمد: وقيل: إن ﴿عبد الطاغوت﴾ نسق^(٣) على قوله: ﴿لعنه الله وغضب عليه﴾^(٤).

﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾

﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ

﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا

يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ

كَيْفَ يَشَاءُ وَلْيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُفِينَا وَكُفِّرْ وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَّةَ

(١) في «ر»: استهزاء.

(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٣) أي: عطف.

(٤) وفيه أقوال نحوية أخرى: ينظر إعراب القرآن (١/٥٠٧)، مجمع البيان (٢/٢١٥)، البحر المحيط (٣/٥١٩-٥٢٠).

وَالْبَعْضَ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا
وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

﴿وَإِذَا جَاءَ وَكُم قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفَرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ﴾ قال الكلبي: هؤلاء منافقو أهل الكتاب، كانوا إذا دخلوا على رسول الله، قالوا: آمنا، وقد دخلوا حين دخلوا على النبي كفارًا، وخرجوا من عنده وهم كفارٌ ولم ينتفعوا بما سمعوا منه بشيء؛ وهم من اليهود.

قال: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ كانوا يكتُمون دين اليهودية ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ يعني: اليهود ﴿يَسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يعني: المعصية والظلم ﴿وَأَكْلَهُمُ السَّحْتِ﴾ قال الحسن: [هو] ^(١) أخذ الرشوة على الحكم ﴿لِبَسْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يعني: حُكْمَهُمْ ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُم الرِّبَايُونَ وَالْأَحْبَارُ...﴾ إلى قوله: ﴿لِبَسْ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ أي: حين يسارعون في الإثم والعدوان، وأكلهم السحت، وبس ما صنع الربانيون والأحبار حين لم ينهوهم عن ذلك.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال الكلبي: كانوا من أخصب ^(٢) الناس وأكثرهم خيرًا، فلما عصوا الله، وبدّلوا نعمة الله كفرًا - كفّ الله عنهم بعض الذي كان بسط لهم؛ فعند ذلك قالت اليهود: كفّ الله يده عنا، فهي مغلولَةٌ؛ أي: لا ييسطها علينا.

قال الله: ﴿عُلْتُ أَيْدِيَهُمْ وَلَعِنَا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يَتَّفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ وهم اليهود.

(١) في الأصل: فهو. والمثبت من «ر».

(٢) أي: من أكثرهم ثناءً وبركةً ورغد عيش. لسان العرب (خصب).

قال قتادة: حملهم حسدُ محمدٍ والعرب على أن كفروا به، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم.

﴿كلما أوقدوا نارا للحرب﴾ لحرب رسول الله ﴿أطفأها الله﴾ يعني: أذلهم الله، ونصره عليهم.

﴿ويسعون في الأرض فسادا﴾ أي: يدعون فيها إلى خلاف دين الله، وهم يعلمون ذلك.

﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَآدْخُلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ الْيَعِينِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾
 ﴿ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا﴾ قال قتادة: يقول: لو آمنوا بما أنزل الله واتقوا ما حرّم عليهم ﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم...﴾ الآية.

﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾.

قال قتادة: يعني: لأعطتهم السماء مطرها^(١)، والأرض نباتها. وإقامتهم التوراة والإنجيل: أن يؤمنوا بمحمد؛ لأنهم قد أمروا بذلك.

قوله: ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ أي: متبعة؛ يعني: من آمن من أهل الكتاب برسول الله، وبما جاء به ﴿وكثير منهم ساء ما﴾ بش ما ﴿يعملون﴾ يعني: من ثبت منهم على اليهودية والنصرانية.

﴿يَأْتِيهَا الرِّسُولُ بِلَغٍّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغَتْ رِسَالَتُهُ وَآلَهُ

(١) في «ر»: قطرها.

يَقْصُصُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَيْنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ ﴿

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك...﴾ الآية.

يحيى: عن أبي أمية، عن الحسن «أن رسول الله ﷺ شكى إلى ربه من قومه؛ فقال: يا رب، إن قومي قد خوفوني، فأعطني من قبلك آية أعلم أن لا مخافة عليّ. فأوحى الله إليه أن يأتي وادي كذا فيه شجرة كذا، [فليدع] (١) غصنا منها ياته، فانطلق إلى الوادي، فدعا غصنا منها فجاء يخط في الأرض خطأ (٢) حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله أن يحبسه، ثم قال: ارجع كما جئت. فرجع؛ فقال رسول الله: علمت يا رب أن لا مخافة عليّ» (٣).

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ يعني: من آمن منهم بمحمد، ودخل في دينه وشريعته.

قال محمد: اختلف القول في رفع ﴿الصابئون﴾ والأجود أنه محمول على التأخير، ومرفوع بالابتداء، المعنى: إن الذين آمنوا والذين هادوا من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا - فلا خوف عليهم، (٨٦٧) والصابئون والنصارى

(١) في الأصل: فیدع. والمثبت من «ر» وهو الصواب.

(٢) أي: يحفر الأرض ويشقها. ينظر لسان العرب (خطط).

(٣) لم أقف عليه بهذا السياق.

كذلك أيضًا^(١).

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ (٧٠) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

﴿لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ قد مضى تفسير أخذ الميثاق عليهم في سورة آل عمران^(٢).

﴿وأرسلنا إليهم رسولًا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون﴾ يعني به: أوائلهم.

﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ تفسير الحسن: وحسبوا ألا يبتلوا في الدين يجاهدون فيه، وتفرض عليهم الطاعة بمحمد.

﴿فعموا وصموا﴾ يعني: عن الهدى ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ أي: جعل لهم متابًا، فاستنقذهم بمحمد ﴿ثم عموا وصموا كثير منهم﴾ يعني: من كفر منهم.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧١) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى تنظر من إعراب القرآن (١/٥٠٩-٥١٠)، مجمع البيان (٢/٢٢٤-٢٢٥)، البحر المحيط (٣/٥٣١).

(٢) انظر الكلام عليه في تفسير الآية (٨٣) سورة البقرة، والآيتين (٨١، ١٨٧) من سورة آل عمران.

وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحِيدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٢﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ؟ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٣﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٤﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٥﴾

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ قال قتادة: قالوا: عيسى إله، وأمه إله، والله إله. قال الله: ﴿وما من إله إلا إله واحد﴾.

قوله: ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام﴾ أي: فكيف يكونان إلهين، وهما مخلوقان يأكلان الطعام؟!

﴿انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عنها؟ يعني: عن الآيات.

قال محمد: فَعِيل من أبنية المبالغة^(١)، وقوله: ﴿صديقة﴾ أي: مبالغة في الصدق.

وقوله: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ قيل: إنه من الاختصار^(٢) والكناية، ونَبَّه بأكل الطعام على عاقبته؛ وهو الحَدَثُ^(٣)، والله أعلم.

(١) أي: من أوزان صيغ المبالغة، وهي أبنية معروفة يقاس عليها ومن صيغها: فَعُول، فَعَال، فَعِيل، مَفْعَال، فَعِل، فَعِيل... إلخ.

(٢) أي: اختصر ما يحدث بعد الأكل من إخراج الفضلات في صورة براز أو بول.

(٣) وهو البول أو البراز.

﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ
 ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۖ﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
 يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
 ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ
 سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 وَالْآخِرِ مَا اخْذَوْهُمْ أَوَّلِيَّاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِيقُونَ ﴿٨١﴾
 ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ والعُلُو: مجاوزة الحق.

﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾ يعني: اليهود.
 ﴿وأضلوا كثيراً﴾ يعني: من اتبعهم ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ يعني: عن
 قصد طريق الهدى.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾
 قال قتادة: يعني: في زمان داود وعيسى ابن مريم؛ مسخوا في زمان داود
 قرده حين أكلوا الحيتان، ومسخوا في زمان عيسى خنازير ﴿ترى كثيراً منهم﴾
 يعني: من لم يؤمن ﴿يتولون الذين كفروا﴾ يتولون مشركي العرب، [وهم
 الذين كذبوا] ^(١) ﴿لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم﴾ لأن
 سخط الله عليهم.

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدُوًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَهُهُمُ الْيَهُودُ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ

(١) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرُّكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ فِتْنَتٌ
وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٦﴾

﴿لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ يعني: مشركي العرب؛ وهم الذين كانوا بحضرة النبي من المشركين يومئذ ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا-إننا نصارى﴾ يعني: من آمن منهم. ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا﴾ يعني: الذين آمنوا منهم ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله، والإيمان بالله.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٧﴾ فَأُنَبِّهُهُمْ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول﴾ محمد ﴿ترى أعينهم تفيض من الدمع...﴾ إلى قوله: ﴿مع الشاهدين﴾ أي: مع من شهد بما جاء به محمد أنه حق.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسَدُّوْا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم...﴾ إلى قوله:

﴿الذي أنتم به مؤمنون﴾ تفسير الحسن: «أن ثلاثة نفر من أصحاب النبي جعل أحدهم على نفسه ألا يغشى النساء^(١) أبدًا، وجعل أحدهم على نفسه لا يفطر نهارًا أبدًا، وجعل أحدهم على نفسه لا ينام ليلاً أبدًا! فكان عثمان بن مظعون ممن جعل على نفسه ألا يغشى النساء؛ وكانت امراته تأتي أزواج النبي في شارة^(٢) حسنة وريح طيبة؛ فلما جعل عثمان على نفسه ما جعل، أتتهن في غير تلك الشارة؛ فأنكرن عليها؛ فقالت: إنما تصنع المرأة لزوجها؛ وإن فلانًا وفلانًا جعلوا على أنفسهم كذا وكذا! فلما جاء رسول الله ذكرن ذلك له، فغضب وبعث إليهم، فقال: ألم أحدث عنكم بكذا وكذا؟ قالوا: بلى. قال: لكني أنا أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأغشى النساء وأدع؛ فمن رغب عن ستي فليس مني (٨٧ل) فاستغفر القوم من ذلك، وراجعوا أمرهم الأول»^(٣).

﴿لَا يُؤْخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْآيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ؛ إِطْعَمُوا عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّרُهُ أَيْمَانَكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٨٩)

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ تفسير الحسن وقتادة: قالوا: هو الخطأ غير العمد؛ وذلك أن تحلف على الشيء وأنت ترى أنه كذلك، فلا

(١) أي: الوطء والجماع. لسان العرب (غشى).

(٢) أي: علامة وهيئة. لسان العرب (شير).

(٣) روى البخاري (٥/٩-٦ رقم ٥٠٦٣) ومسلم (٢/١٠٢٠ رقم ١٤٠١) عن أنس نحو هذه القصة، دون تسمية عثمان بن مظعون.

وورد تسمية عثمان بن مظعون في عدة روايات، انظر الدر المنثور (٢/٣٣٧-٣٤٠).

يكون كما حلفت عليه ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ أي: ما حلفتكم فيه متعمدين.

﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ قال مجاهد: أوسط ما تطعم أهلك: أشبعه ﴿أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ فإن شاء أعتق رقبة كبيرة، وإن شاء صغيرة. وكل شيء في القرآن (أو) فهو فيه مخير؛ يفعل أي ذلك شاء ﴿فمن لم يجد﴾ أي: فمن لم يجد من هذه الثلاثة الأشياء من: الطعام، أو الكسوة، أو العتق ﴿فصيام ثلاثة أيام﴾ قال قتادة: وهي في قراءة ابن مسعود (فصيام ثلاثة أيام متتابعات) ^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر﴾ يعني: القمار كله ﴿والأنصاب﴾ وهي أصنامهم التي كانوا يعبدون من دون الله ﴿والأزلام﴾ القداح ^(٢) وهي السهام. قال قتادة: كان الرجل إذا أراد سفراً أخذ قدحين؛ فقال: هذا يأمره بالخروج وهو مصيب في سفره خيراً، ويأخذ قدحاً آخر، فيقول: هذا يأمره بالمكوث، وليس بمصيب في سفره خيراً، مكتوب عليهما هذا، والمنيح ^(٣) بينهما، فأيهما خرج عمل به، فتهى عن ذلك.

(١) وهي قراءة أبي، والنخعي. ينظر: البحر المحيط (٤/١٢) معاني القرآن للفراء (١/٣١٨).

(٢) مفرداً: قدح، وهو قطعة من الخشب تُعرض قليلاً وتسوى، وتخط فيها حزوز بعدد معين. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (قدح).

(٣) هو اسم سهم من سهام الأزلام لا يأمره بالخروج، ولا بالمكوث. ينظر: لسان العرب (منح).

قال محمد: المنيع: سهم ليس عليه كتاب؛ فإذا خرج أعاد الضرب.
يقال: يسرت، إذا ضربت بالقдах، والضارب بها: ياسر^(١) [والجميع:
يُسْر وأيسار]^(٢).

قوله: ﴿رَجَسَ من عمل الشيطان...﴾ إلى قوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾
فجاء تحريم الخمر في هذه الآية قليلها وكثيرها، ما أسكر منها وما لم يُسكر.
قال محمد: الرّجس في اللغة: اسم لكل ما استقدر^(٣)، ويقال: رجس
الرجل يرجس^(٤)؛ إذا عمل عملاً قبيحاً.

يحيى: عن محمد بن أبي حميد، عن محمد بن المُكدر قال: قال رسول
الله ﷺ: «من شرب الخمر، ثم لم يسكّر أعرض الله عنه أربعين ليلة، ومن
شرب الخمر ثم سكر لم يقبل الله منه صَرْقًا ولا عَدْلًا^(٥) أربعين ليلة؛ فإن
مات فيها مات كعابد الأوثان، وكان حقًا على الله أن يسقيه يوم القيامة من
طينة الخَبَال. قيل: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار
في النار: القيح والدم»^(٦).

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (يسر).

(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٣) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، المصباح المنير (رجس).

(٤) يقال منه: رَجَسَ يَرْجِسُ رَجَسًا وَرَجَاسَةً فهو رَجِسٌ، وهي رَجِسَةٌ، ويقال: رَجَسَ يَرْجِسُ
رَجَاسَةً. لسان العرب (رجس).

(٥) الصرف: التوبة، وقيل: النافلة. والعدل: الفدية، وقيل: الفريضة.

ينظر لسان العرب (صرف، عدل) النهاية في غريب الحديث (٢٤/٣).

(٦) لم أجده من هذا الطريق المرسل، ورواه مسلم (٣/١٥٨٧ رقم ٢٠٠٢) عن جابر مختصرًا.

ورواه الإمام أحمد (٢/١٧٦، ١٨٩) والنسائي (٨/٧٢٠ رقم ٥٦٨٦) وابن ماجه (٢/

١١٢١-١١٢٠ رقم ٣٣٧٧) وابن حبان (١٢/١٨٠ رقم ٥٣٥٧) والحاكم (٤/١٤٥-١٤٦)

عن عبد الله بن عمرو بنحوه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا﴾

يعنى: شربوا من الخمر قبل أن تحرم.

قال الحسن: لما نزل تحريم الخمر، قالوا: كيف ياخواننا الذين ماتوا وهي

في بطونهم وقد أخبر الله أنها رجس؟ فأنزل الله: ﴿ليس على الذين آمنوا

وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ ﴿إِنَّهُمْ﴾^(١) ﴿فِيهَا طَعْمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ شَرِبُوا

﴿وَأْمَنُوا﴾ (من غير أن يعلموا)^(٢) بتحريمها ﴿وعملوا الصالحات ثم اتقوا﴾

شربها ﴿وأحسنوا﴾ العمل بعد تحريمها فلم يشربوها؛ فمن فعل ذلك فهو

محسن ﴿والله يحب المحسنين﴾ الذين يأخذون بالسنة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبِئْسَ لَكُمْ الْصِّيدُ مَنَالُهُم مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُم بِأَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيُغَلِّتَهُمُ اللَّهُ مَن

يَخَافُ بِالْغَيْبِ ۖ مَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصِّدِّ

وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَلَّ مِنْكُمْ مُتَعِدًّا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قُتِلَ مِنَ النَّعَمِ بِحَكْمِ رَبِّهِ ذُو عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا

بَلَغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَهُ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدَلَ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا

سَلَفٌ وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَلُونَكُمْ اللَّهُ﴾ لِيُخْتَبِرَكُمْ اللَّهُ ﴿بَشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ

أَيُّدِيكُمْ وَرَمَاحُكُمْ ﴿ تَفْسِيرُ مُجَاهِدٍ قَالَ: رَمَاحُكُمْ أَوْ نِبَالُكُمْ؛ تَنَالُ كَبِيرَ الصَّيْدِ

(١). سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(۲) فی «ر»: أي صدقوا.

وصغيره، تناله أيديكم أخذًا ﴿ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾.

﴿فمن اعتدى بعد ذلك﴾ قال الحسن: يقول: فمن اعتدى بعد التحريم وصاد وهو محرم فله عذاب أليم. قال مجاهد: إن قتله ناسيًا لإحرامه غير متعمد لقتله فعليه الجزاء، وإن قتله متعمدًا وهو ذاك لإحرامه فله عذاب أليم، وليس عليه جزاء.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدًا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم...﴾ الآية، كان الحسن يقول: حكم (٨٨ل) الحكمين ماضٍ أبدًا، وقد يحكم الحكمان بما حكم به رسول الله، ولكن لا بد من أن يحكما. قال قتادة: وإذا كان صيدًا لا يبلغ النعم، حكما طعامًا أو صومًا، ويحكمان عليه في الخطأ والعمد.

﴿ليذوق وبال أمره﴾ أي: عقوبة فعله ﴿عفا الله عما سلف﴾ قبل التحريم ﴿ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام﴾ قال مجاهد: إن عاد لم يحكم عليه، الله ينتقم منه. وقال سعيد بن جبير: بل يحكم عليه أبدًا.

﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دُمتم حرمًا وأنفقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ ﴿٩٦﴾ جعل الله الكعبة البيت الحرام قيمًا للناس والشهر الحرام والهدى والقتل ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء عليم﴾ ﴿٩٧﴾

قوله: ﴿أحل لكم صيد البحر﴾ قال الحسن: لا بأس أن يصيد المحرم الحيتان ﴿وطعامه﴾ قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: ما ألقى البحر من حوت ميت فهو طعامه ﴿متاعًا لكم﴾ بلاغًا لكم ﴿وللسيارة﴾ يعني: المسافرين،

وهو ما يتزوّدُه الناس من صالح السمك في أسفارهم.

قال محمد: ﴿مَتَاعًا لَكُمْ﴾ مصدر؛ أي: متعتكم به متاعاً^(١).

﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دَمْتُمْ حَرَمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقِلَادَةَ﴾ قال قتادة: كانت هذه في الجاهلية حواجز^(٢)، كان الرجل لو جرَّ

كل جريرة^(٣)، ثم لجأ إلى الحرم لم يُتَّأَوَّلْ، وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في

الشهر الحرام لم يمسه، وكان الرجل لو لقي الهذلي مقلداً وهو يأكل

[القضب]^(٤) من الجوع لم يمسه، وكان الرجل إذا أراد البيت الحرام تقلد

قلادة من شَعَرٍ^(٥)، حتى يبلغ مكة، وإذا أراد أن يصدر^(٦) من مكة تقلد قلادة

من لحاء السمر^(٧) أو من الإذخر^(٨)، فمنعته حتى يأتي أهله.

﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٩٨) مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلُغُ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩) قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس (٤٢/٢)، البيان في غريب القرآن لابن الأنباري (٣٠٥/١).

(٢) حواجز: أي: موانع. لسان العرب (حجز).

(٣) أي: كل ذنب وإثم. لسان العرب (جرر).

(٤) في الأصل: (العصب) والقضب هو شجر ترعاه الإبل، فإذا شبت منه هجرته حيناً، لأنه يضرسها ويورثها السعال. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (قضب).

(٥) أي: مصنوعة من شَعَرٍ.

(٦) يرجع ويخرج. لسان العرب (صدر).

(٧) اللحاء هو قشر الشجر، والسمر: ضرب من شجر الطلح، واحدته: سَمرة. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (لحو) و(سمر).

(٨) الإذخر: هو حشيشة طيبة الرائحة تُسَقَفُ بها البيوت فوق الخشب.

ينظر: النهاية في غريب الحديث (٣٣/١).

الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَى الْآلِئْبَسِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٥٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ بُدَّ لَكُمْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْءَانُ بُدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٥٢﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَئِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَآكَرَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٥٣﴾

﴿اعلموا أن الله شديد العقاب﴾ لمن أراد أن يتقم منه . ﴿وأن الله غفور رحيم﴾ .

﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ يعني : الحلال والحرام ﴿ولو أعجبك كثرة الخبيث﴾ كثرة الحرام .

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها﴾ قال الحسن : «سألوا رسول الله ﷺ عن أمور الجاهلية التي قد عفا الله عنها فأكثروا؛ حتى غضب رسول الله غضباً شديداً، فقال : سلوني فوالذي نفسي بيده لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به إلى يوم القيامة»^(١) .

﴿قد سألها قومٌ من قبلكم﴾ فَيُنْت لهم ﴿ثم أصبحوا بها كافرين﴾ يعني : أهل الكتاب . [حدثنا يحيى]^(٢) ، وبلغني أنها في قراءة أبي بن كعب : قد سألها قوم من قبلكم [فبيته لهم]^(٢) فأصبحوا بها [كافرين]^(٢) .

قوله : ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام...﴾ إلى

(١) رواه مسلم (١٨٣٤/٣) رقم ١٣٧/٢٣٥٩ عن أنس بنحوه .

(٢) طمس من الأصل ، والمثبت من «ر» .

قوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ يعني: لا يعقلون تحريم الشيطان الذي يحرم عليهم.
 قال قتادة: كانت البحيرة من الإبل؛ كانت الناقة إذا نتجت خمسة أبطن،
 نظر إلى البطن الخامس؛ فإن كان ذكرًا أكله الرجال دون النساء، وإن كانت
 مية اشترك فيها الرجال والنساء، وإن كانت أنثى نحروا أذننها؛ أي: شقوها،
 وتركت فلا يشرب لها لبن، ولا يُجَزُّ لها وَبَرٌّ، ولا يُركب لها ظهر.
 والسائبة: كانوا يسيبون ما بدا لهم من أموالهم، فلا يمنع من ماء ولا
 مرعى.

والوصيلة من الغنم: كانوا إذا نتجت الشاة سبعة أبطن، نظروا إلى البطن
 السابع، فإن كان ذكرًا ذُبِح، فكان للرجال دون النساء، وإن كانت مية اشترك
 فيها الرجال والنساء، وإن كانت أنثى تركت، وإن جاءت بذكر وأنثى قيل:
 وصلت أخاها فمنعته الذبح.

وكان الحام إذا ركب [من ولده عشرة قيل] ^(١) حمى ظهره فلا (يُزَمُّ) ^(٢) ولا
 يخطم ولا يركب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
 ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ هُمُ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١١٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ
 أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿١١٥﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ يعني: إذا لم يقبل منكم.

(١) طمس بالأصل، والمثبت من «ر». ينظر: مختار الصحاح، لسان العرب (حمى).

(٢) أي: لا يوضع له زمام يزمه.

﴿ لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم ﴾ ليس هذا في ضلال الكفر (ل ٨٩) ولكن في الضلال عن الحق في الإسلام.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن: «أن هذه الآية قرئت عند عبد الله ابن مسعود، فقال: ليس هذا بزمانها، قولوها ما قبلت منكم فإذا ردت عليكم فعليكم أنفسكم»^(١).

قال محمد: المعنى: إنما ألزمكم الله أمر أنفسكم، وإذا قلت: عليك فلانا، فالمعنى: الزم فلانا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرِيئُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمُ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْأَثِمِينَ ﴿١١٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَدْنَا أَحَقَّ مِنْ شَهِدَيْنِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٧﴾ ذَلِكَ أَدَّىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ آيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا وَلِلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم...﴾ إلى قوله: ﴿وآخران من غيركم﴾.

قال يحيى: فيها تقديم؛ يقول: يا أيها الذين آمنوا إذا حضر أحدكم الموت

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٢٢٧ رقم ٦٩٢٢) والطبري في تفسيره (٧/ ٩٦) من طريق أبي العالية عن ابن مسعود.

وزاد السيوطي في الدر المنثور (٢/ ٣٧٢) نسبته إلى عبد بن حميد ونعيم بن حماد في الفتن وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب.

فأشهدوا ذوي عدلٍ منكم .

قال محمد: ﴿شهادة بينكم﴾ رفع بالابتداء والخبر ﴿اثنان﴾ المعنى: شهادة هذه الحال شهادة اثنين^(١).

قال الحسن: يعني: من المسلمين من العشيرة، لأن العشيرة أعلم بالرجل وبولده وماله، وأجدر ألا ينسوا ما يشهدون عليه، فإن لم يكن من العشيرة أحدٌ فأخران من غير العشيرة ﴿إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت﴾ فإن شهدا وهما عدلان مضت شهادتهما وإن ارتيب^(٢) في شهادتهما حُبسا بعد صلاة العصر، وفيها تقديم ﴿تحبسونهما من بعد الصلاة﴾ [صلاة العصر]^(٣) إن ارتبتم. قال الحسن: ولو كانا من غير أهل [الصلاة]^(٤) ما حلفا دبر الصلاة ﴿فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين﴾.

فتمضي شهادتهما ﴿فإن عثر﴾ يعني: أطلع ﴿على أنهما استحقا إثما﴾ أي: شهدا بزور ﴿فأخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم﴾ يعني: الورثة ﴿الأوليان فيقسمان بالله...﴾ الآية.

قال محمد: المعنى: فليقم الأوليان من الذين استحق عليهم الوصية^(٥).

(١) وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر في: إعراب القرآن (١/٥٢٥)، مجمع البيان (٢/٢٥٥) البحر المحيط (٣٩/٤).

(٢) أي: شك. لسان العرب (ريب) وفي «ر»: ارتبتم.

(٣) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٤) في الأصل: الكتاب. والمثبت من «ر».

(٥) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من إعراب القرآن (١/٥٢٦ - ٥٢٧)، مجمع البيان (٢/٢٥٧ - ٢٥٨)، البحر المحيط (٤/٤٥ - ٤٦).

﴿ذلك أدنى﴾ أجدر ﴿أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن تردّ أيمان بعد أيمانهم﴾ قال الحسن: فأراد الله أن ينكل الشهود بعضهم ببعض.

قال يحيى: ولم تكن عند الحسن منسوخة، وبعضهم يقول: هي منسوخة^(١) ولا يحلف الشاهدان اليوم؛ إن كانا عدلين جازت شهادتهما، وإن لم يكونا عدلين لم تجز شهادتهما؛ قال الله: ﴿وَأَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنْ﴾^(٢). وقال في سورة الطلاق: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوْىَ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾^(٣) ولم يجعل على الشاهد أن يحلف.

قوله: ﴿واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ يعني: الذين يموتون على شركهم.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾^(١١٩) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتَبْرِئُ الْأَكْمَامَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جَعَلْتَ بِالْبَيْتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٢١﴾ إِذْ

(١) ينظر الناسخ والمنسوخ (٤٤)، نواسخ القرآن (٣٨٣ - ٣٨٥).

(٢) البقرة: ٢٨٢.

(٣) الطلاق: ٢.

قَالَ الْخَوَارِثُونَ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ
 اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَقَطْمَيْنِ فُلُوبِنَا وَنَعْلَمَ أَنَّ
 قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

﴿يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا﴾ قال مجاهد:
 تنزع أفئدتهم فلا يعلمون، ثم تردُّ إليهم فيعلمون.

﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ أي: يقوله يوم القيامة.

﴿اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ آيدتك﴾ أعنتك.

﴿بروح القدس﴾ يعني: جبريل ﴿تكلم الناس في المهد﴾ يعني: حجر أمه
 ﴿وكهلاً﴾ أي: كبيراً ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير﴾ يعني: كشبه الطير
 ﴿وتبرئ الأكمه﴾ يعني: الأعمى [الذي تلده] (١) أمه وهو مضموم العينين (٢).

﴿وإذ كففت بني إسرائيل عنك...﴾ إلى قوله: ﴿وإذ أوحيت إلى
 الخواريين أن آمنوا بي وبرسولي﴾ يعني: وخيّه إلى عيسى يأمرهم أن يتبعوه
 ﴿هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾ قال الحسن: يقولون: هل
 ربك فاعلٌ، وهو كلام العرب: ما أستطيع ذلك؛ أي: ما أنا بفاعل ذلك (٣).

يحيى: عن عثمان، عن أبي الأشهب، عن القاسم بن محمد، عن عائشة
 قالت: «هم كانوا أعلم بالله من أن يقولوا: هل يستطيع ربك، ولكن قالوا:

(١) في الأصل: لا يرى إذ تلده. والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب (كمه).

(٣) وقيل: استطاع بمعنى أطاع، والمراد: هل يطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟
 أي: هل يطيعك ربك إن سألته؟ وإليه ذهب السدي. ينظر تفسير الطبري (١٢٩/٧) -

هل تستطيع ربك، أي: هل تقدر على هذا منه؟^(١)
﴿قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾ (ل ٩٠) قاله عيسى ﴿قالوا نريد أن نأكل
منها ونطمئن قلوبنا﴾ أي: تسكن؛ إذا نظرنا إلى المائدة.
﴿ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين﴾ أنها نزلت من عند
الله.

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا
وَأَآخِرِنَا وَمَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (١١٤) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ
بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾
﴿قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً
لأولنا وآخرنا﴾ قال قتادة: أرادوا أن تكون لعقبهم^(٢) من بعدهم.
قال محمد: ومعنى ﴿عيداً﴾: مَجْمَعاً^(٣)، و﴿مائدة﴾ الأصل فيها من
قولك: مادني؛ أي: أعطاني؛ فكانها تميد الآكلين؛ أي: تعطيهم^(٤).
﴿قال الله إني منزلها عليكم﴾ على شرط ﴿فمن يكفر بعد منكم فإني
أعذبه﴾ في الدنيا... الآية، قال ابن عباس: أنزل على المائدة كل شيء
غير اللحم.

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٢٤٣/٤) رقم (٧٠١٤) من طريق القاسم بن محمد به.
ورواه الطبري في تفسيره (١٢٩/٧) من طريق ابن أبي مليكة عن عائشة
وزاد السيوطي في الدر المنثور (٣٧٩/٢) نسبه إلى: ابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ
وابن مردويه.

(٢) أي: لأولادهم وأولاد أولادهم. لسان العرب (عقب).

(٣) ولها معان أخرى تنظر من تفسير الطبري (١٣٢-١٣٣/٧).

(٤) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (ميد).

قال قتادة: وذكر لنا أنهم لما صنعوا في المائدة ما صنعوا من الخيانة وغيرها، حوّلوا خنازير، وكانوا أمروا ألا يخونوا فيه، ولا يخبثوا، ولا يدخروا لغد، فخانوا وخبثوا وادّخروا.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ يعني: لبني إسرائيل خاصة ﴿اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يقوله يوم القيامة.

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ ينزه الله أن يكون قائله ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ وقد علم الله أنه لم يقله.

﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ (وفاة الرفع إلى السماء) ^(١).

﴿كنت أنت الرقيب﴾ الحفيظ ﴿عليهم...﴾ ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك﴾
 أي: فيأقامتهم على كفرهم ﴿وإن تغفر لهم﴾ فبتوبة كانت منهم.
 ﴿قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ وهي تقرأ على وجه آخر
 ﴿يوم﴾ منونة^(١).

﴿لهم جنات تجري من تحتها الأنهار... ذلك الفوز العظيم﴾ النجاة
 العظيمة ﴿لله ملك السموات والأرض وما فيهن﴾ أي: وملك ما فيهن ﴿وهو
 على كل شيء قدير﴾.



(١) قرأها الحسن بن عيَّاش الشامي والأعمش منونة على الرفع، وروي عن الأعمش أنه قرأها
 منونة على النصب، وقرأ الجمهور برفعه من غير تنوين، وناقع على نصبه من غير تنوين.
 ينظر: البحر المحيط (٦٣/٤)، الإعراب للنحاس (٥٣/٢)، الكشاف (٣٧٥/٢)، الدر
 المصون (٦٥٩/٢)، السبعة (٢٥٠)، النشر (٢٥٦/٢).

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَنْعَامِ

وَهِيَ مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا. فِي قَوْلِ قَتَادَةَ وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ مَدْنِيَّاتٍ فِي آخِرِهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ (٢) وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤) فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥)

قَوْلُهُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حَمْدُ نَفْسِهِ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ الظُّلُمَاتِ: اللَّيْلُ، وَالنُّورُ: ضَوْءُ النَّهَارِ.

﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ عَدَلُوا بِهِ أَصْنَامَهُمُ الَّتِي عَبَدُوهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ. ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ يَعْنِي: آدَمَ، ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ بَعْدَ مَنْ سَلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ضَعِيفٍ؛ يَعْنِي: النَّطْفَةَ ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾ يَعْنِي: الْمَوْتَ ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ﴾ مَا بَيْنَ الْمَوْتِ إِلَى الْبَعْثِ ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ تَمُوتُونَ﴾ تَشْكُونَ فِي السَّاعَةِ.

(١) وَهِيَ الْآيَاتُ: (١٥١، ١٥٢، ١٥٣).

﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ يعني: القرآن، ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾ يعني به: مشركي العرب.

﴿فقد كذبوا بالحق﴾ يعني: بالقرآن ﴿لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ يأتيهم علمه في الأرض، فيأخذهم الله فيدخلهم النار.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمَكِّنْ لَكُمْ وَارْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا الَّذِيْنَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾﴾

﴿كم أهلكنّا﴾ عذبنا ﴿من قبلهم﴾ يعني: كفار مكة. إلى قوله: ﴿فأهلكناهم بذنوبهم﴾ يحذر مشركي العرب، ويخوفهم ما أهلك به الأمم حين كذبوا رسلهم ﴿وأنشأنا﴾ خلقنا ﴿من بعدهم قرناً آخرين﴾ .
قال محمد: يقال: القرن: ثمانون سنة^(١).

﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس...﴾ الآية، قال الحسن: وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بآية: بكتاب يقرءونه وقالوا: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه من الله (ل ٩١) إلى كل رجل باسمه؛ أن آمن بمحمد؛ فإنه رسولي.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا مَكِّةٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آسَفْنَاهُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ

(١) ويقال: القرن مائة سنة، وهو المعروف، ويقال: ثلاثون سنة. وقيل غير ذلك.

ينظر لسان العرب، مختار الصحاح، المعجم الوسيط (قرن).

فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخَّرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿أنزل عليه ملك﴾ أي: يأمرنا باتباعه.

قال الله: ﴿ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر﴾ بعذابهم ﴿ثم لا ينظرون﴾ لا يؤخرون بعد نزول الملك؛ لأن القوم إذا سألوا نبيهم الآية فجاءتهم فلم يؤمنوا، أهلكهم الله.

﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً﴾ أي: لجعلنا ذلك الملك في صورة آدمي ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ أي: ولخلطنا عليهم ما يخلطون؛ لأنهم طلبوا أن يكون ملك مع آدمي.

قال محمد: وقيل: المعنى: لأضللتناهم بما ضلوا به قبل أن يبعث الملك. ﴿ولقد استهزئ برسلى من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني: نزل بهم عقوبة استهزائهم.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُتَيْنِ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ يَخْتَرِ فَهُوَ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ﴾ ﴿كَانَ عَاقِبَتُهُمْ أَنْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ صِيرَهُمْ إِلَى النَّارِ.﴾

﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ ﴿أَي: أَوْجِبَهَا.﴾

﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ﴿أَي: خَسَرُوهَا بِمَصِيرِهِمْ إِلَى النَّارِ﴾ ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَعْنِي: مَنْ مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ.﴾

﴿قُلْ أَغِيرَ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ﴿يَعْنِي: خَالِقَهُمَا.﴾

﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ ﴿يَعْنِي: مِنْ أُمَّتِهِ.﴾

﴿مَنْ يَصْرِفُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ﴾ ﴿يَعْنِي: مَنْ يَصْرِفُ عَنْهُ عَذَابَهُ﴾ ﴿فَقَدْ رَحِمَهُ﴾.﴾

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ﴿١٨﴾ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَبَيْتَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً

أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٩﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْتُبَ

بِعَرَفَتِهِمْ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى

عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢١﴾

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ ﴿قَهَرَهُم بِالْمَوْتِ، وَبِمَا شَاءَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ ﴿فِي أَمْرِهِ﴾ ﴿الْخَبِيرُ﴾ ﴿بَخَلَقِهِ.﴾

﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ ﴿قَالَ الْكَلْبِيُّ: قَالَ الْمَشْرِكُونَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ لِلنَّبِيِّ: مَنْ يَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَيَشْهَدُ لَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ ﴿فَهُوَ شَهِيدٌ أَنِّي رَسُولُهُ.﴾

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ ﴿أَي: مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ.﴾

قال مجاهد: يعني: من أسلم من العجم^(١) وغيرهم.

﴿أنتكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى﴾ وهذا على الاستفهام؛ أي: قد شهدتم أن مع الله آلهة أخرى؟

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فيعبد معه الأوثان؛ أي: لا أحد أظلم منه ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ المشركون.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (٢٢) ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ (٢٣) ﴿انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٢٤)

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ﴾ يعني: أوثانهم. ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ﴾ يعني: معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ انظر كيف كذبوا على أنفسهم ﴿باعذارهم بالكذب﴾ وضل عنهم ما كانوا يفكرون ﴿يعني: الأوثان التي عبدوها ضلت عنهم؛ فلم تُغن عنهم شيئاً. قال محمد: من قرأ ﴿ربنا﴾ بالخفض، فهو على الثَّغْتِ والثناء^(٢)، ومن قرأ ﴿فتنتهم﴾ بالنصب، فهو خبر ﴿تكن﴾، والاسم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾^(٣).

(١) الْعَجَم: هم خلاف العرب، الواحد: عَجَمِي نطق بالعربية أو لم ينطق. ويقال لهم أيضاً: الْعُجَم، والواحد: أَعْجَم.

ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (عجم).

(٢) قرأ بالخفض السبعة إلا حمزة والكسائي. وفي الآية أقوال نحوية أخرى ينظر: السبعة (٢٥٥)، التيسير (١٠٢)، النشر (٢٥٧/٢)، البحر المحيط (٩٥/٤).

(٣) قرأ ابن كثير وابن عامر وحفص ﴿فتنتهم﴾ بالرفع، وقرأ الباقر والنصب. وفي الآية أقوال نحوية أخرى.

ينظر: السبعة (٢٥٥)، التيسير (١٠٢)، النشر (٢٥٧/٢)، البحر المحيط (٩٥/٤).

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا هَائِلًا لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾
 ﴿ومِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ لثلاث يَفْقَهُوهُ^(١). ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ يعني: صَمَمًا عن الهدى.

﴿وإن يروا كل آية﴾ يعني: ما سألوا النبي ﷺ من الآيات.

﴿لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك﴾ ومجادلتهم أن ﴿يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ كذب الأولين وباطلهم؛ يعنون: القرآن. ﴿وهم ينهون عنه ويتثنون عنه﴾ قال الحسن: ينهون عن اتباع محمد، ويتباعدون عنه ﴿وإن يهلكون إلا أنفسهم﴾ بذلك ﴿وما يشعرون﴾ أنهم يهلكون أنفسهم.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقُفُّوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾
 بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نردُّ﴾ إلى الدنيا ﴿ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدأ لهم﴾ في الآخرة ﴿ما كانوا يخفون من قبل﴾ إذ كانوا في الدنيا، وكانوا يكذبون بالبعث. قال بعضهم: نزلت في المنافقين ﴿ولو ردوا﴾ إلى الدنيا ﴿لعادوا لما نُهُوا عنه﴾ من التكذيب ﴿وإنهم

(١) أي: بحذف (لا) من الآية. ينظر: البحر المحيط (٩٥/٤).

لكاذبون ﴿٩٢﴾ أي: أنهم لم يكونوا ليؤمنوا؛ أخبر بعلمه فيهم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۖ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ ۖ وَرَيْنَا ۖ قَالَ فَمَدُّوهُمُ الْعَذَابَ ۖ يَمَّا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٩٣﴾ ۖ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا ۖ يَلْقَاءُ اللَّهَ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۖ أَلَا سَاءَ مَا يَزِينُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق﴾ الذي كنتم تكذبون به إذ أنتم في الدنيا ﴿قالوا بلى وربنا﴾ فآمنوا حين لم ينفعهم الإيمان. ﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا﴾ والتحسر: التندم ﴿على ما فرطنا فيها﴾ (في) ^(١) الساعة، إذ لم يؤمنوا بها ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء﴾ (بئس) ^(٢) ﴿ما يزيرون﴾ يحملون ذنوبهم.

يحيى: عن صاحب له، عن إسماعيل بن أبي رافع ^(٣)، عن سعيد المقبري ^(٤)، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الكافر إذا خرج من قبره مثل ^(٥) له عمله في أقبح صورة رآها قط، أقبحه وجهًا، وأنتنه ريحًا، وأسوأه لفظًا؛ فيقول: من أنت؟ أعوذ بالله منك؛ فما رأيت أقبح منك وجهًا،

(١) في «ر»: من.

(٢) سقط من «ر».

(٣) كذا في الأصل و«ر»: إسماعيل بن أبي رافع. وأظن الصواب إسماعيل بن رافع، وهو أبو رافع القاص المدني، وهو ضعيف، يروي عن سعيد المقبري، ترجمته في التهذيب (٣/ ٨٥-٩٠) والله أعلم.

(٤) في «ر»: عن أبي سعيد.

(٥) أي: صور.

ولا أنتن منك ريحاً، ولا أسوأ منك لفظاً. فيقول: أتعجب من قبحي؟ فيقول: نعم، فيقول: أنا والله عملك الخبيث، وإنك كنت تركبني في الدنيا، وإني والله لأركبك اليوم؛ فيركبه فلا يرى شيئاً يهوله ولا يروعه إلا قال: أبشراً^(١) يا عدو الله، أنت الذي تراد وأنت الذي تُعنى. وهو قوله: ﴿وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم...﴾ الآية^(٢).

﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٣٢)
 قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ^(٣٣)
 وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ
 اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

﴿وما الحياة الدنيا إلا لعبٌ ولهوٌ﴾ أي: أن أهل الدنيا أهل لعب ولهو.
 ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ إنك ساحرٌ، وإنك شاعرٌ، وإنك كاهنٌ، وإنك مجنونٌ.

قال الكلبي: شق عليه وحزن، فأخبره الله - عز وجل - أنهم لا يكذبونك، وقد عرفوا أنك صادق ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾.
 قال محمد: من قرأ ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ بالتخفيف، فالمعنى: لا يلفونك كاذباً، ومن قرأ ﴿لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ فالمعنى: لا ينسبونك إلى الكذب^(٣).

(١) تطلق البشري في اللغة على الأمر الحسن أو السيئ، فليست مقصورة على الحسن فحسب، ومن إطلاقها على السيئ قوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ (الانشقاق: ٢٤).
 (٢) لم أقف عليه بهذا الإسناد، والله أعلم.
 (٣) قرأ بالتخفيف نافع والكسائي، وقرأ الباقون بالتشديد. ينظر: السبعة (٢٥٧)، النشر (٢/ ٢٥٧-٢٥٨).

وينظر في توجيه هاتين القراءتين: البحر (١١١/٤)، كشف المشكلات (١/ ٣٩٤).

﴿ولقد كذبت رسل من قبلك...﴾ إلى قوله: ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ أي: أنه سينصرك، ويظهر دينك، كما نصر الرسل الذين كذبوا من قبلك ﴿ولقد جاءك من نبا المرسلين﴾ من أخبار المرسلين أنهم قد نصروا بعد الأذى، وبعد الشدائد.

﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتِ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾
﴿وإن كان كبر عليك إعراضهم﴾ عنك، وتكذيبهم إياك.

﴿فإن استطعت أن تبغى نفقا في الأرض﴾ أي: سرّبا، فتدخل فيه ﴿أو سلما في السماء﴾ أي: إلى السماء^(١)، فترقى إليها ﴿فتأتيهم بآية﴾ وهذا حين سألوا الآية.

قال محمد: المعنى: فإن استطعت أن تفعل هذا فافعل؛ اختصر (فافعل) إذ كان في الكلام ما يدل عليه.

﴿إنما يستجيب الذين يسمعون﴾ يعني: المؤمنين ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ قال الحسن: يعني بالموتى: المشركين.
وقوله: ﴿يبعثهم الله﴾ يعني: من يَمُنُّ الله عليهم بالإيمان؟ فيحييهم من شركهم ﴿ثم إليه يرجعون﴾ يوم القيامة.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ

(١) أي: أن (في) في الآية بمعنى (إلى). وانظر في دلالة (في) على معنى (إلى) عموما . مغني اللبيب (١/١٩٢).

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَقْنَاهُ فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُؤْدٌ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿نزل عليه﴾ على محمد ﴿آية﴾ ﴿قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ وهم المشركون.

قوله: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ قال مجاهد: [أي: أصناف] ^(١) مصنفه [تعرف] ^(١) بأسمائها.

﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ من آجالها وأعمالها وأرزاقها وآثارها؛ أي: أن ذلك كله مكتوب عند الله.

﴿والذين كذبوا بآياتنا صم﴾ عن الهدى؛ فلا يسمعون ﴿وبكم﴾ عنه؛ فلا ينطقون به ﴿في الظلمات﴾ يعني: الكفر.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾

﴿قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله﴾ قال الحسن: يعني: في الدنيا بالاستئصال ﴿أو أتكم الساعة﴾ بالعذاب ﴿أغير الله تدعون إن كنتم صادقين﴾ أي: أنكم لا تدعون إلا الله؛ فتؤمنوا حيث لا يقبل الإيمان (ل ٩٣) منكم؛ وقد قضى الله ألا يقبل الإيمان عند نزول العذاب.

﴿بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء﴾ وهذه مشيئة القدرة، ولا

(١) طمس بالأصل. والمثبت من «ر». وينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٨)، والطبري (٧/ ١٨٧).

يشاء أن يكشف عنهم عند نزول العذاب.

﴿وتنسون ما تشركون﴾ بالله من هذه الأوثان؛ فتعرضون عنها.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَاسِ ۖ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا

جَاءَهُمْ بِأَسْنَا نَضَّرَعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا سَأَوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ۖ فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقَطَّعَ دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالأساء والضراء﴾ البأساء: البؤس؛ وهي الشدائد من الجدوبة، وشدة المعاش. والضراء يعني: الأمراض والأوجاع ﴿لعلهم يتضرعون فلولا﴾ يعني: فهلا ﴿إذ جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ أي: أنهم لم يتضرعوا ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ غلظت فلم يؤمنوا، وهذا الذي كان يصيب الأمم من الأساء والضراء إنما هو شيء يبتليهم الله به قبل العذاب لعلهم يؤمنون؛ فإذا لم يؤمنوا أهلكهم الله.

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي: (كذبوا) ^(١) ما جاءتهم به الرسل.

﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ من الرزق ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا﴾ بما أعطوا ﴿أخذناهم بغتة﴾ يعني: بالعذاب فجأة ﴿فإذا هم مبلسون﴾ يأسون ﴿فقطع دابر﴾ أصل ﴿القوم الذين ظلموا﴾ أشركوا.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَبَصَرَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ ۚ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذَقُونَ ﴿٤٦﴾﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَنُكِّمُ عَذَابَ اللَّهِ

(١) في رواية: تركوا.

بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْشِيهِمُ الْعَذَابُ ۖ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم﴾ [فأصمها] ^(١) ﴿وأبصاركم﴾ فأعماها .
 ﴿وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به﴾ أي : بما أذهب ؛ يقول :
 ليس يفعل ذلك ؛ حتى يَرُدَّهُ عليكم إن شاء إلا هو ﴿انظر كيف نصرف
 الآيات﴾ نبينها ﴿ثم هم يصدفون﴾ أي : يعرضون عنها .
 ﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة﴾ أي : ليلاً ﴿أو جهرة﴾ نهاراً ﴿هل
 يهلك إلا القوم الظالمون﴾ يخوفهم العذاب ؛ إن لم يؤمنوا .

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ يعني : بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من النار .
 ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَيْتُ
 إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ
 يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۖ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّهُمْ بَلْقَوْمَ ﴿٥١﴾﴾
 ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ أي : علم خزائن الله الذي فيه
 العذاب ؛ لقولهم : ﴿أنتنا بعذاب الله﴾ ^(٢) .

﴿ولا أعلم الغيب﴾ فيأتيكم العذاب . ﴿ولا أقول إني ملك﴾ إنما أنا بشر ،
 ولكني رسولٌ يوحى إلي . ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ أي : إنما أبلغ عن الله
 ما أمرني به .

(١) سقط من الأصل ، والمثبت من «ر» .

(٢) سورة العنكبوت : ٢٩ .

﴿قل هل يستوي الأعمى﴾ يعني: الذي لا يبصر ﴿والبصير﴾ الذي يبصر؛ هذا مثل المؤمن والكافر ﴿أفلا تتفكرون﴾ أي: أنهما لا يستويان.

﴿وأنذر به﴾ يعني: بالقرآن ﴿الذين يخافون﴾ يعني: يعلمون ﴿[أن يحشروا]﴾^(١) إلى ربهم ﴿يعني: المؤمنين؛ هذا مثل قوله: ﴿إنما تنذر به من اتبع الذكر﴾^(٢) إنما يقبل منك من آمن.

﴿ليس لهم من دونه﴾ أي: من دون الله ﴿ولي﴾ يمنعهم من عذابه ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لهم؛ إن لم يكونوا مؤمنين.

﴿لعلهم﴾ لعل المشركين ﴿يتقون﴾ هذا فيؤمنوا .

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(٣) وكذلك فتتأ بعضهم ببعض يقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾^(٤)

﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ قال الحسن: يعني: صلاة مكة؛ حين كانت الصلاة ركعتين غدوة، وركعتين عشيّة، قبل أن تفرض الصلوات الخمس.

قال قتادة: قال قائلون لرسول الله: إن سرك أن نتبعك، فاطرد عنا فلاناً وفلاناً وفلاناً - لأناس كانوا دونهم [في الدنيا]^(٥) ازدراهم المشركون فأنزل

(١) في الأصل: أنهم يحشرون.

(٢) سورة يس: ١١ .

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» وفي تفسير الطبري بدل ما بين القوسين: (من ضعفاء المسلمين) ينظر: تفسير الطبري (٧/٢٠١).

اللَّهُ هذه الآية، ومعنى قوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يريدون الله ورضاه.

﴿ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾ يعني: المؤمنين الذين قالت له قريش: اطردهم. قال: ﴿فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ أي: إن طردتهم.

قال محمد: ﴿فتكون من الظالمين﴾ هو جواب ﴿ولا تطرد﴾ وقوله: ﴿فتطردهم﴾ هو جواب ﴿ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء﴾ (١).

﴿أليس الله بأعلم بالشاكرين﴾ يعني: الموحدين.

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كُنْتُ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنْتُمْ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا يَجْهَلُونَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنْتُمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لَتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا...﴾ الآية، تفسير الكلبي: أن أبا طالب هو الذي قال للنبي: اطرده (٩٤) فلاناً وفلاناً وفلاناً، وأن ناساً من أصحاب النبي قالوا: يا رسول الله، صدق عمك؛ فاطرده عنا سفلة الموالي، فعاتبهم الله في الآية الأولى، فجاءوا يعتذرون إلى رسول الله من سقطتهم، ويسألونه أن يعفو عنهم، فأنزل الله: ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم﴾ أمره الله أن يسلم عليهم.

﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة﴾ [قال قتادة: كل ذنب عمله عبد فهو بجهالة] (٢).

(١) وفيها أقوال نحوية أخرى تنظر من: إعراب القرآن (٥٤٩/١)، البحر (١٣٨/٤).

(٢) طمس بالأصل . والمثبت من «ر».

قال محمد: ومن قرأ: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه﴾ بفتح الألف^(١)، فالمعنى: وكتب أنه، ومن قرأ: ﴿فإنه غفور رحيم﴾ بكسر الألف^(٢)؛ فإنه على الاستئناف.

قوله: ﴿وكذلك نفصل الآيات﴾ أي: نبينها ﴿ولتستبين﴾ يا محمد ﴿سبيل المجرمين﴾ يعني: المشركين بالآيات التي بين الله فيها سبيل الهدى من سبيل الضلالة.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِجُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ ٥٦ ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُ بِدَعْوَةِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِدَعْوَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْحُكْمِ إِلَّا اللَّهُ يَقْضِي الْخَبْرَ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِيلِينَ﴾ ٥٧ ﴿قُلْ لَوْ أَنِّي عَلَّمْتُ لَأَعْلَمُ بِالْظَّالِمِينَ﴾ ٥٨ ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: الأوثان.

﴿قل لا أتبع أهواءكم﴾ في عبادة الأوثان ﴿قد ضللت إذا﴾ إن اتبعت أهواءكم ﴿وما أنا من المهتدين﴾ قل إنني على بينة من ربي ﴿يعني: النبوة وكذبتكم به﴾ بالقرآن.

﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ من العذاب؛ لقولهم: ﴿عجل لنا قطنًا﴾^(٣) يعني: عذابنا ﴿قبل يوم الحساب﴾^(٣)، ولقولهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو

(١) قرأ بفتح الهمزة عاصم وابن عامر . ينظر: التيسير (١٠٢)، النشر (٢٥٨/٢)، وينظر التوجيه النحوي في: البحر (٤/١٤٠-١٤١)، إعراب القرآن (١/٥٥٠-٥٥١).

(٢) وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا وابن عامر ونافع . ينظر السبعة (٢٥٨)، النشر (٢٥٨/٢)، وينظر التوجيه النحوي في: مجمع البيان (٢/٣٠٧)، البحر (٤/١٤٠-١٤١).

(٣) سورة ص: ١٦ .

الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ﴿١﴾ وأشباه ذلك .
 ﴿إن الحكم إلا لله﴾ إن القضاء إلا لله ﴿يقضي الحق﴾ ﴿٢﴾ وتقرأ أيضًا ﴿يقص
 الحق﴾ من القصص ﴿وهو خير الفاصلين﴾ بالحكم .

﴿قل لو أن عندي ما تستعجلون به﴾ من عذاب الله ﴿لقضي الأمر بيني
 وبينكم﴾ يعني : الساعة ، فأتيتكم بالعذاب ﴿والله أعلم بالظالمين﴾ المعنى :
 وهو يعلم أنكم ظالمون ؛ أي : مشركون .

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ
 وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾
 وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ
 مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾ يعني : خزائن الغيب ﴿لا يعلمها إلا هو﴾ يعلم متى
 يأتيكم العذاب ؛ هذا تفسير الحسن ﴿ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة
 إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ [في جوف الأرض] ﴿٣﴾ ﴿ولا رطب ولا
 يابس إلا في كتاب مبين﴾ بين ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل﴾ يعني : النوم ﴿ويعلم
 ما جرحتم بالنهار﴾ ما عملتم بالنهار ﴿ثم يبعثكم فيه﴾ قال مجاهد : يعني : في
 النهار . ﴿ليقضى أجل مسمى﴾ يعني : الساعة باختلاف الليل والنهار .

(١) سورة الأنفال : ٣٢ .

(٢) هكذا وردت القراءة بالأصل و«ر» (يقضي)، وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير ونافعًا وعاصمًا ،
 حيث قرءوا ﴿يقص﴾ .

ينظر : النشر (٢/٢٥٨) ، السبعة (٢٥٩) ، التيسير (١٠٣) .

(٣) سقطت من الأصل . والمثبت من «ر» .

﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ .
 ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ
 رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ﴾ (٦١) ﴿ثُمَّ رُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ۖ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾
 (٦٢) ﴿قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيِّنَ أَجْنَبْنَا مِنْ هَٰذِهِ لَتَكُونَنَّ
 مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٦٣) ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (٦٤) ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ
 أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْسِكُمْ سُوءًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ
 أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ (٦٥) ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ
 عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٦٦) ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٦٧)

﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قهرهم بالموت، وبما شاء من أمره . ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ من الملائكة؛ يحفظون أعمال بني آدم ويكتبونها، ويحفظونه مما لم يُقدِّر له؛ حتى يأتي القدر ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾ في أمر الله .

يحيى: وبلغنا أن لملك الموت أعوانًا من الملائكة هم الذين يسلون الروح من الجسد؛ حتى إذا [كانوا عند خروجهم جاء] (١) ملك الموت، وهم لا يعلمون آجال العباد حتى يأتيهم علم ذلك من قبل الله .

﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾ يعني: مالكم، والحق: اسم من أسماء الله ﴿ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين﴾ .

قال يحيى: سمعت بعض الكوفيين يقول: يفرغ الله من القضاء بين الخلق

(١) في الأصل: كان عند خروجه قبضه . والمثبت من «ر» .

إذا أخذ في حسابهم في قدر نصف يوم من أيام الدنيا.

﴿قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر﴾ يعني: كروب البر والبحر.
 ﴿تدعونه تضرعًا وخفية﴾ أي: سرًا بالتضرع ﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾ الشدة
 ﴿لنكونن من الشاكرين﴾ يعني: المؤمنين.

﴿قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب﴾ أي: كل كرب نجوئكم منه فهو الذي
 أنجاكم منه ﴿ثم أنتم تشركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من
 فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا ويذيق بعضكم بأس بعض﴾
 (ل ٩٥) تفسير الحسن في قوله: ﴿عذابًا من فوقكم﴾ فيحصبكم^(١) بالحجارة
 كما حصب قوم لوط، أو يبعث ما ينزل من العذاب ﴿أو من تحت أرجلكم﴾
 أي: يَخْسِفُ أو بِرَخْفَةٍ ﴿أو يلبسكم شيعًا﴾ يعني: اختلافًا.

﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ أي: فيقتل بعضكم بعضًا ﴿وكذب به قومك
 وهو الحق﴾ يعني: القرآن ﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ بحفيظ لأعمالكم حتى
 [أجازيكم]^(٢) بها إنما أنا منذر، والله المجازي لكم بأعمالكم.
 ﴿ولكل نبيًا مستقر﴾ تفسير الحسن: يقول: لكل نبيًا مستقر عند الله خيره
 وشره.

﴿وسوف تعلمون﴾ يوم القيامة؛ وهذا وعيدٌ من الله للكفار؛ لأنهم كانوا لا
 يقرون بالبعث.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ
 الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَنْتَقُونَ مِنْ

(١) أي: يرميكم بالحصباء، وهي صغار الحجارة. لسان العرب (حصب).

(٢) في «الأصل»: يجازيكم. والمثبت من «ر».

حَسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرْتُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا﴾ قال مجاهد: يعني: يستهزئون بها ﴿فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ كان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم^(١).

﴿وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ نهي أن يقعد معهم، إلا أن ينسى فإذا ذكر فليقم.

﴿وما على الذين يتقون﴾ يعني: المؤمنين ﴿من حسابهم من شيء﴾ يعني: المؤمنين ليس عليهم من حساب المشركين؛ أي: إن قعدوا معهم ﴿ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ قال الكلبي: قال أصحاب رسول الله ﷺ: إنا كنا كلما استهزأ المشركون بكتاب الله قمنا وتركناهم لم ندخل المسجد ولم نطف بالبيت، فرخص الله للمؤمنين؛ فقال: ﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ فكان على المسلمين أن يذكروهم ما استطاعوا.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا﴾ قال قتادة: وهذا مما نسخ (القتال)^(٢).

(١) ينظر: الناسخ والمنسوخ (ص ٤٥).

(٢) ينظر: الناسخ والمنسوخ (ص ٤٥) ونواسخ القرآن (ص ٣٩٠).

﴿وذكر به﴾ بالقرآن ﴿أن تبسل نفس بما كسبت﴾ يعني: أن تُسَلِّمَ ﴿بما كسبت﴾ عملت؛ أي: تُسَلِّمَ في النار ﴿ليس لها من دون الله ولي﴾ يمنعها منه ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لها عنده؛ وهذا الكافر.

﴿وإن تعدل كل عدل﴾ أي: تفتدي بكل فدية ﴿لا يؤخذ منها﴾ لا يقبل منها ﴿أولئك الذين أفسلوا﴾ أسلموا في النار. ﴿بما كسبوا﴾ عملوا ﴿لهم شراب من حميم﴾ والحميم: الحار الذي قد انتهى حره ﴿وعذاب أليم﴾ موجع.

﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أُوَيْنَّا قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِّسُلَيْمٍ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٦)
﴿قل أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني: نعبد ﴿من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾ وهي الأوثان.

﴿ونرد على أعقابنا﴾ أي: نرجع إلى الكفر ﴿بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض﴾ أي: غلبت عليه ﴿حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا﴾ أي: كرجل ضل في أرض فلاة^(١)، له أصحاب كلهم يدعونه إلى الطريق فهو متحير؛ هذا مثل من ضل بعد الهدى، قال الله للنبي: ﴿قل إن هدى الله هو الهدى﴾ وهو الذي أنت عليه.

﴿وَأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَكُونُوا مَحْسُورِينَ﴾ (٧٧) ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ

(١) أي: صحراء، والجمع. فَلَوَاتٌ، وَقَلَا. لسان العرب (قلو).

يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَلَيْكُمْ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾
 ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي: للحق؛ يعني: الميعاد
 ﴿ويوم يقول كن فيكون﴾ يعني: يوم القيامة .

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ ينفخ فيه مَلَكٌ يقوم بين السماء والأرض، قال
 قتادة: من الصخرة من بيت المقدس، والصور: قَرْنٌ فيه أرواح الخلق؟ فينفخ
 فيه فيذهب كل روح إلى جسده، فيدخل فيه، ثم ينطلقون سراعاً إلى المنادى
 صاحب الصور إلى بيت المقدس ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب: السر،
 والشهادة: العلانية ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿الخبير﴾ بأعمال العباد .

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
 ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ رَأَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ
 جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلَ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ
 الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ
 ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يُغَوِّرُ إِلَٰهِي الْبَرَىٰ
 مِمَّا تَشْكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ قال قتادة: أبو إبراهيم
 اسمه: تارح^(١)

(١) وقيل: اسم أبيه آزر، وقيل: آزر هو تارح، وقيل غير ذلك. ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٢٤٢-٢٤٤).

قال يحيى: والمقراءة^(١) على هذا التفسير: ﴿آزُرُ﴾ بالرفع، وكذلك كان الحسن (ل٩٦) يقرؤها بالرفع^(٢) ﴿آزُرُ﴾ يقوله إبراهيم لأبيه^(٣).

قال محمد: قال أبو عبيد^(٤): مَقْرَأُ الحسن بالرفع؛ هو بمعنى (يا آزر). وقال الخليل^(٥): معنى (يا آزر) الشيء يُعَيِّرُهُ به؛ كأنه قال: يا مُعَوِّجُ، يا ضال^(٦).

قال يحيى: وكان بعضهم يقرؤها بالنصب^(٧)، ويقول: اسم أبيه: (آزر).
«وكذلك نرى إبراهيم ملكوت» يعني: ملك «السَّمَوَاتِ والأَرْضِ...» الآية.

تفسير قتادة قال: ذكر لنا أن إبراهيم فُرِّ به من جبار مترف؛ فجعل في سزب، وجعل رزقه في أطراف أصابعه، فجعل لا يمص إصْبَعًا إلا وجد فيها

(١) أي: القراءة، فهو مصدر ميمي على وزن مَفْعَلَةٍ.

(٢) وهي قراءة يعقوب، وعزيت إلى أبي وابن عباس والحسن ومجاهد وغيرهم. ينظر: النشر (٢٥٩/٢)، المحتسب (٢٢٣/١)، البحر المحيط (١٦٤/٤).

(٣) أي: على النداء، أي: يقول إبراهيم لأبيه: يا آزر.

(٤) أبو عبيد: هو أبو عبيد القاسم بن سلام؛ الإمام الجليل: توفي سنة ٢٢٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/٤٩٠ - ٥٠٩).

وفي «ر»: أبو عبيدة: وهو معمر بن المثنى البصري العلامة النحوي، ترجمته في تهذيب الكمال (٣١٦/٢٨ - ٣٢١).

(٥) هو الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمن الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥هـ) علامة العرب، وهو أشهر اللغويين والنحاة واضع علمي المعاجم والعروض، وله المؤلفات السائرة ككتاب العين والعروض وغيرهما. ينظر الأعلام (٣١٤/٢).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٢٤٣/٧)، كشف المشكلات (٤٠٧/١).

وفي كتاب العين للخليل (٣٨٢/٦) آزر: اسم والد إبراهيم عليه السلام.

(٧) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢١١) البحر المحيط (١٦٤/٤)، النشر (٢/٢٥٩).

رزقًا، وإنه لما خرج من ذلك السَّرْب أراه الله ملكوت السموات؛ أراه شمسًا وقمرًا ونجومًا وغيونًا وخلقًا عظيمًا، وأراه ملكوت الأرض؛ فأراه جبالًا وبحارًا وأنهارًا وشجرًا، ومن كل الدواب وخلقًا عظيمًا.

﴿فلما جنَّ عليه الليل﴾ أي: [آواه]^(١).

قال محمد: يقال: جنَّ عليه الليل، وأجنَّه الليل؛ إذا أظلم حتى يستره بظلمته^(٢).

﴿رأى كوكبًا قال هذا ربي فلما أفل﴾ ذهب ﴿قال لا أحب الآفلين﴾ وأهمه^(٣) النظر^(٤) فراعى الكوكب حتى ذهب وغاب، قال: وأطلع القمر، وكان ليلة آخر الشهر ﴿فلما رأى القمر بازغًا﴾ أي: طالغًا ﴿قال هذا ربي﴾ قال: فراعاه حتى غاب ﴿فلما أفل﴾ ذهب ﴿قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين﴾ قال: فازداد قربًا من معرفة الله ﴿فلما رأى الشمس بازغًا﴾ [أي: طالعة]^(٥) ﴿قال هذا ربي هذا أكبر﴾ أي: من القمر والكوكب. قال: فراعها حتى غابت ﴿فلما أفلت﴾ ذهبت ﴿قال يا قوم إني بريء مما تشركون﴾.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن

(١) في الأصل: أناه. والمثبت من «ر».

(٢) يقال: جنَّ وأجنَّ، واجتنَّ، واستجنَّ بمعنى واحد؛ أي: استتر، والمراد: استتر بظلمة الليل.

ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (جن).

(٣) أي: أتعبه. لسان العرب (همم).

(٤) اختلف المفسرون في هذا المقام هل هو مقام نظر أو مقام مناظرة، والصحيح أنه مقام مناظرة. انظر تفسير القرطبي (٧/٢٥ - ٢٧) وتفسير ابن كثير (٢/١٥١ - ١٥٢) وأضواء البيان (٢/١٨٠).

(٥) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

يَشَاءُ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا
 أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ
 الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
 أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٧﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ
 دَرَجَاتٍ مَنِ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٨﴾

﴿وحاجه قومه قال أحتاجوني في الله وقد هداي ولا أخاف ما تشركون به﴾
 يعني: أصنامهم التي كانوا يعبدون.

قال محمد: ذكر أبو عبيد^(١)؛ أن نافعاً قرأ: ﴿أحتاجوني﴾ بتخفيف
 النون^(٢)، ومثله: ﴿قل أغير الله تأمروني أعبد﴾^(٣) قال: وقراهما أهل العراق
 مثقلتين: (أحتاجوني، وتأمروني)^(٤).

قال أبو عبيد^(١): وكذلك القراءة عندنا بتثقيلهما^(٥)؛ لأن الأصل أن يكون^(٦)
 بنونين: نون الفعل^(٧)، ونون اسم الفاعل^(٨): فلما كُتِبَتْ في المصحف على

(١) في «ر»: أبو عبيدة.

(٢) وقراءة التخفيف هي قراءة نافع، وابن عامر؛ بخلاف عن هشام عنه. ينظر: السبعة (٢٦١)،
 النشر (٢/ ٢٥٩ - ٢٦٠)، التيسير (١٠٤).

(٣) سورة الزمر: ٦٤.

(٤) وقراءة التشديد هي قراءة الباقيين (أي: باستثناء نافع وابن عامر) ينظر: السبعة (٢٦١)، النشر
 (٢/ ٢٥٩ - ٢٦٠)، التيسير (١٠٤).

(٥) أي: أحتاجوني، وتأمروني.

(٦) لعل الصواب (يكونا)، أو التقدير: يكون الفعل منهما.

(٧) أي: نون الرفع في الأمثلة الخمسة.

(٨) هذا اصطلاحه، ومصطلح النحاة (نون الوقاية) أو (نون العماد) ينظر: البحر (٤/ ١٦٩)، الدر
 المصون (٣/ ١٠٨).

نون واحدة، لم يكن إلى الزيادة سبيل؛ فثقلوا النون؛ لتكون المتروكة مدغمة. قال: وإنما كره الثقل من كرهه - فيما نرى - للجمع بين الساكنين؛ وهي الواو والنون المدغمة فحذفوها^(١).

قوله: ﴿وسع ربي كل شيء علماً﴾ قال قتادة: يعني: ملأ ربي.

﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ يعني: من هذه الأوثان ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ يعني: حجة ﴿فأي الفريقين أحق بالأمن﴾ أي: من عبد الله، و[من]^(٢) عبد الأوثان؟ ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا﴾ يعني: يخلطوا ﴿إيمانهم بظلم﴾ بشرك ﴿أولئك لهم الأمن﴾ يوم القيامة ﴿وهم مهتدون﴾ في الدنيا.

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ كلاً هديتاً ونوحاً هديتاً من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجى المؤمنين ﴿٨٤﴾ وذكرنا يحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ﴿٨٥﴾ وإسماعيل وإيسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين ﴿٨٦﴾ ومن آباؤهم وذريتهم وإخوانهم وأحبيبتهم وهديتهم إلى صراط مستقيم ﴿٨٧﴾ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحيط عنهم ما كانوا يعملون ﴿٨٨﴾ أولئك الذين آتينهم الكتاب والحكمة والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين ﴿٨٩﴾ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴿٩٠﴾

﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ إلى قوله: ﴿وكلاً فضلنا على العالمين﴾

(١) ينظر: كشف المشكلات (١/ ٤١٠)، البحر (٤/ ١٦٩)، إعراب القرآن (١/ ٥٦٠).

(٢) ليست في الأصل وروا.

يعني: عالمي زمانهم ﴿واجتبيناهم﴾ (استخلصناهم) ^(١) للنبوة.

﴿أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم﴾ يعني: الفهم والعقل ﴿والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء﴾ قال الحسن: يعني: المشركين ﴿فقد وكلنا بها﴾ بالنبوة ﴿قومًا ليسوا بها بكافرين﴾ يعني: النبيين الذين ذكروا ^(٢): داود وسليمان وغيرهم من الأنبياء المذكورين في الآية.

﴿أولئك الذين هدى الله﴾ يعني: النبيين الذين قص.

﴿فبهداهم اقتده﴾ يقوله لمحمد ﷺ.

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُونَهَا وَتُخْفَوْنَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٦﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٧﴾﴾

﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ أي: ما عظموه حق عظمته ﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ تفسير الحسن: هم اليهود [كانوا] ^(٣) يقولون: هؤلاء قوم أميون؛ يعنون: النبي ﷺ وأصحابه (ل ٩٧) فألبسوا ^(٤) عليهم؛ فقالوا: ﴿ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ فقد كانت الأنبياء تجيء من عند الله، فلم

(١) في «ر»: أخلصناهم.

(٢) في «ر»: ذكروا.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) أي: أدخلوا عليهم الشك والبطلان بإثارة الشبهات. لسان العرب (لبس).

تكن تجيء بالكتب؛ فمن أين جاء محمد بهذا الكتاب؟! قال الله لمحمد: قل لهم: ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس﴾ يعني: لمن اهتدى به ﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرًا﴾ والقراطيس: الكتب التي كتبوا بأيديهم بما حرفوا من التوراة.

﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ يقول: علمتم علمًا؛ فلم يصِر لکم علمًا؛ لتضيعكم إياه، ولا لآبائكم ﴿قل الله﴾ الذي أنزل الكتاب، الآية. وهذا قبل أن يؤمر بقتال أهل الكتاب.

﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ يعني: القرآن ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل.

﴿ولتنذر أم القرى﴾ يعني: ولتنذر أهل مكة ﴿ومن حولها﴾ يعني: سائر الأرض.

﴿وهم على صلاتهم يحافظون﴾ قال قتادة: يحافظون على وضوئها ومواقبتها، وركوعها وسجودها.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَأَى ظُهُورَكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا﴾ يقول: لا أحد أظلم منه ﴿أو قال

أوحى إليّ ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ﴿ قال الحسن وقتادة: نزلت في مسيلمة الكذاب .

﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت... ﴾ الآية.

يحيى: أخبرني بعض الكوفيين عمن حدثه، عن أبي أمامة قال: «هذا عند الموت يقبضون [روح الكافر]^(١) (ويعذونه)^(٢) بالنار، ويشدُّ عليه، وإن رأيتم أنه يهُوُّ عليه، ويقبضون روح المؤمن، ويعذونه بالجنة ويهُوُّ عليه، وإن رأيتم أنه يشدُّ عليه».

﴿ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ﴾ يقول: خلقنا كل إنسان فردًا، ويأتينا يوم القيامة فردًا.

قال محمد: ﴿ فرادى ﴾ جمع فرد؛ وكأنه جمع (فردان)؛ كما قالوا: كَسَلان وكَسَالى^(٣).

﴿ وتركتم ما خولناكم ﴾ أي: ما أعطيناكم ﴿ وراء ظهوركم ﴾ يعني: في الدنيا.

﴿ وما نرى معكم شفعاءكم ﴾ يعني: آلهتكم ﴿ الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء ﴾ أي: أنهم شركاء لله فيكم؛ فعبدتموهم من دون الله ﴿ لقد تقطع بينكم ﴾ أي: وضلَّكم الذي كان يواصل به بعضكم بعضًا على عبادة الأوثان؛

(١) في الأصل: روحه. والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: ويعذبونه.

(٣) قال الفراء: فرادى جمع فَرْد، وفريد، وفَرْد، وفَرْدان. وقال ابن قتيبة: هو جمع فَرْدان، كَسَكْران وسَكَارَى، وعَجَلان وعَجَالَى. وقال قوم: هو جمع فريد كرديف ورْدافي، وأسير وأسارى؛ قاله الراغب الأصفهاني. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (فرد)، الدر المصون (١٢٤/٣).

هذا تفسير من قرأها بالرفع، ومن قرأها بالنصب فالمعنى: لقد تقطع ما بينكم من المواصله^(١).

﴿وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ أنها تشفع لكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ ٩٥ ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ٩٦ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٩٧ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ ٩٨ ﴿

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوَى﴾ قال الحسن: يعني: ينفلق عن النبات.

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ تفسير الحسن: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ أي: فيكيف تصرف عقولكم؟! ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ خالق الإصباح؛ يعني: الصبح حين يضيء وكان الحسن يقرأها: (الأضباح) جمع: ضُبَح^(٢).

﴿وَجَاعِلُ اللَّيْلِ﴾ ٩٦ ﴿سَكَنًا﴾ يسكن فيه الخلق ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾

(١) قرأ بنصب ﴿بينكم﴾ نافع والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: السبعة (٢٦٣)، والتيسير (١٠٥)، والنشر (٢٦٠/٢). وينظر في توجيه هاتين القراءتين: ابن الشجري (٤٦/١)، (٢٥٧/٢ - ٢٥٩)، البحر (٤/١٨٢ - ١٨٣)، إعراب القرآن (١/٥٦٦)، الدر المصون (٣/١٢٦).

(٢) قرأ الحسن وأبو رجاء وعيسى بن عمر (الأضباح) جمع (ضُبَح) وقرأ الجمهور ﴿الإصباح﴾، على كسر الهمزة، وهو المصدر. ينظر: البحر المحيط (٤/١٨٥)، الدر (٣/١٣٢).

(٣) قرأ الكوفيون ﴿جعل﴾ بفتح العين واللام من غير ألف وينصب اللام من ﴿الليل﴾ وقرأ الباقون بالألف وكسر العين ورفع اللام وخفض ﴿الليل﴾. النشر (٢/٢٦٠) وإتحاف الفضلاء (٢٧٠).

قال الكلبي: يعني: حساب منازل الشمس والقمر، كل يوم بمنزل.
قال محمد: القراءة بالنصب: (والشمس والقمر)^(١)؛ أي: وجعل الشمس والقمر، ومن كلامهم: خذ كل شيء بحسابه؛ أي: بحسابه.

﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها﴾ يعني: التي يهتدى بها منها.
﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾ يعني: آدم ﴿فمستقر ومستودع﴾ تفسير ابن عباس: المستقر: الرحم، والمستودع: الصلب، وكان الحسن يقرؤها (فمستقر) بكسر القاف^(٢) (ومستودع) وتفسيرها: مستقر في [أجله]^(٣) ومستودع [في قبره]^(٤) (ل ٩٨) من يوم يوضع فيه إلى يوم يبعث.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّمَانُ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء﴾ يعني: النبات الذي ينبت ﴿فأخرجنا منه خضرًا نخرج منه حبًا متراكبًا﴾ أي: يركب بعضه بعضًا.

(١) وهي قراءة الجمهور، وتأويل النصب على المفعولية بتقدير الفعل (جعل) ينظر: البحر (٧/ ١٥)، الدر المصون (٣/ ١٣٤).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو؛ أي بكسر القاف، والباقون قرءوا بفتحها. أما ﴿مستودع﴾ فالكل قرءوه مفتوح الدال. وقد روى الأعرس عن أبي عمرو بن العلاء كسرًا. ينظر: البحر (١٨٨/٤ - ١٨٩)، الدر المصون (٣/ ١٣٦).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر»، وفي تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٩): مستقر في الأرحام.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

قال محمد: معنى (خضرًا) كمعنى أخضر .

﴿ومن النخل من طلعها قنوانٌ دانيةٌ وجناتٍ من أعنابٍ﴾ قال محمد: المعنى: أخرجنا من الماء خضرًا وجناتٍ .
﴿والزيتونَ والرمانَ﴾ .

قال يحيى: يعني: وأخرجنا الزيتون والرمان ﴿مشتبهاً وغير متشابه﴾ أي: مشتبهاً في طعمه ولونه، وغير متشابه ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾ يعني: حين يكون غضاً ﴿وينعه﴾ أي: ونضجه ﴿إن في ذلكم لآياتٍ لقومٍ يؤمنون﴾ قال الحسن: يقول: الذي أخرج من هذا الماء هذا النبات وهذا الخضر وهذه الجنات - قادرٌ على أن يُحيي الموتى .

قال محمد: القنوان: العذوق، واحداها: قنؤ، وجمع على لفظ تشيته؛ غير أن الحركات تلزم نونه في الجمع، ومثله: صِنُو وصِنوان^(١) .

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١٥﴾ يَذِيقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١١٧﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْبَصَرُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١١٨﴾﴾

(١) وفي (قنوان) لغات: قنوان بكسر القاف، وقنوان بضمها، وقنوان بفتحها، وقنوان، وقنوان. وهو من الألفاظ التي يأتي جمعها على لفظ تشيتها، وقد أورد السيوطي في المزهري هذه الألفاظ .

ينظر: لسان العرب (قنؤ)، المزهري (٨٨/٢)، البحر (٤/١٨٩ - ١٩٠)، الدر المصون (٣/١٣٩) .

﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ يعني: الشياطين؛ يقول: جعلوا الشياطين شركاء لله؛ لأن الشياطين هي التي دعّتهم إلى عبادة الأوثان، ولم تدعهم الأوثان إلى عبادتها.

﴿وخلقهم﴾ أي: الله خلقهم ﴿وخرقوا له﴾ أي: اختلقوا له ﴿بنين وبنات﴾ قال محمد: المعنى: جعلوا للذي خلقهم شركاء لا يخلقون.

﴿بديع السموات والأرض﴾ يعني: ابتدعهما على غير مثال ﴿أنى يكون له ولد﴾ من أين يكون له ولد؟! ﴿ولم تكن له صاحبة﴾

﴿وهو على كل شيء وكيل﴾ أي: حفيظ لأعمال العباد ﴿لا تدركه الأبصار﴾ يعني: في الدنيا.

﴿وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف﴾ بخلقه فيما أعطاهم ﴿الخير﴾ بأعمالهم.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١١٤) ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ لِّيَتَذَكَّرُوا﴾ (١١٥) ﴿أَتَدْعُونَ شِرْكَاءَ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١١٦) ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (١١٧) ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١١٨)

﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ يعني: القرآن ﴿فمن أبصر﴾ [اهتدى] (١)

﴿فلنفسه ومن عمي﴾ عن الهدى ﴿فعلينا﴾ فعلى نفسه ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظ أعمالكم حتى أجازيكم بها ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست﴾ أي: قرأت وتعلّمت، وبعضهم يقرؤها (دارست)^(١)؛ أي: قارأت أهل الكتابين.

﴿اتبع ما أوحى إليك من ربك﴾ (يقول: ادعهم إلى)^(٢) لا إله إلا الله ﴿وأعرض عن المشركين﴾ وهي منسوخة، نسختها القتال^(٣) ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾. قال يحيى: وهي تقرأ ﴿عَدُوا﴾ و﴿عُدُوا﴾^(٤) وهو من العدوان، والعدوان: الظلم.

﴿كذلك زينا لكل أمة﴾ أي: لأهل كل ملّة ﴿عملهم﴾. قال الكلبي: قال المشركون: والله ليتبين محمد عن سب آلتهنا، أو لنسب ربّه؛ فنزلت هذه الآية.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ إِنِ إِذَا جَاءَهُمْ ءَايَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٠٩ وَنَقَلَبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَوْ يُؤْمِنُوا بِهِمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ١١٠ وَلَوْ أَنَّا زَلَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمْ

(١) قرأ ابن عامر (درست)، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (دارست)، وقرأ الباقون (درست).

ينظر: السبعة (٢٦٤)، التيسير (١٠٥)، النشر (٢/٢٦١).

(٢) سقط من «ر».

(٣) أي: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...﴾ التوبة: ٢٩.

(٤) قرأ الحسن وأبو رجاء ويعقوب وقتادة (عُدُوا)، على أنه مصدر للفعل (عدا) وقرأ ابن كثير في رواية - وهي قراءة أهل مكة فيما نقله النحاس - : (عَدُوا) بمعنى (أعداء) والباقون (عَدُوا) ينظر: الدر المصون (٣/١٥٣).

الْمَوْتِ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ [بمبلغ أيمانهم] ^(١) ﴿لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها﴾ قال الله لنبيه: ﴿قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم﴾ أي: ما يدريكم ﴿أنها إذا جاءت لا يؤمنون﴾.

قال محمد: تقرأ (إنها) بكسر الألف؛ على الابتداء، وتقرأ (أنها) بالفتح ^(٢)؛ بمعنى: لعلمهم، ذكره أبو عبيد ^(٣).

﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم﴾ أي: نطبع عليها ﴿كما لم يؤمنوا به أول مرة﴾ يقول: لو جاءتهم الآية لم يؤمنوا؛ كما لم يؤمنوا قبل أن يجيئهم العذاب ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ أي: يترددون.

﴿ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً﴾ يعني: عياناً ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ قال الحسن: [هذا] ^(٤) حين قالوا: ابعث لنا موتانا نسألهم أحق ما تقول أم باطل؟ ولقولهم: ﴿لولا أنزل علينا الملائكة﴾ ^(٥) ولقولهم: ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ ^(٦) يقول: لو فعلنا هذا بهم [حين: يروونه] ^(٧) (٩٩) عياناً ﴿ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون﴾

(١) في الأصل: مع أيمانهم. والمثبت من «ر».

(٢) قرأ العامة (أنها) بفتح الهمزة، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بكسرها. ينظر: الدر المصون (٣/ ١٥٤).

(٣) مغني اللبيب (١/ ٥١).

(٤) في الأصل: هي. والمثبت من «ر».

(٥) سورة الفرقان: ٢١.

(٦) سورة الإسراء: ٩٢.

(٧) في الأصل: أي: يرون. والمثبت من «ر».

أي: لا يعلمون. وقوله: ﴿أكثرهم﴾ يعني: من ثبت على الكفر منهم.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾
 وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً قال الحسن: جعل الله أعداء الأنبياء
 شياطين الإنس وهم المشركون والجن أي: وشياطين الجن ﴿يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾.

وهو ما توسوس الشياطين إلى بني آدم مما يصدونهم به.

قال محمد: زُخْرَفُ القول: ما زُيِّنَ منه ومُوِّهَ وحُسِّنَ، وأصل الزخرف: الذهب^(١)، و(غروراً) مصدر؛ كأنه قال: يغرون غروراً^(٢).

﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ أي: لو شاء الله ما أوحى الشياطين إلى الإنس
 ﴿فذرهم وما يفترون﴾ ثم أمر بقتالهم بغد^(٣) ﴿ولتصغى إليه أفئدة الذين لا
 يؤمنون بالآخرة﴾ يعني: أفئدة المشركين تصغى إلى ما توحى إليها الشياطين
 ﴿وليَرْضَوْهُ وليَقْتَرِفُوا ما هم مُقْتَرِفُونَ﴾ يعني: وليكتسبوا ما هم مكتسبون.

قال محمد: الاختيار عند القراءة: (وليَرْضَوْهُ) (وليَقْتَرِفُوا) بتسكين اللام؛
 على أن اللام لام الأمر؛ والمعنى: التهديد والوعيد^(٤).

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط، مختار الصحاح (زخرف).

(٢) قيل: نصب على أنه حال، وقيل: على المفعول له. وفيه أقوال نحوية أخرى. ينظر الدر المصون (١٦١/٣).

(٣) ينظر: الناسخ والمنسوخ (ص ٤٦).

(٤) ينظر في ذلك: البحر (٢٠٨/٤ - ٢٠٩)، الدر (١٦٣/٣).

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

﴿أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾ أي: ميئاً، يبين فيه الهدى والضلالة، والحلال والحرام.

﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ يعني: أهل الدراسة من أهل الكتاب ﴿فلا تكونن من المُمْتَرِينَ﴾ يعني: الشاكِّين أن هذا القرآن من عند الله، وأنَّ أهل الدراسة من أهل الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق.

﴿وتمَّت (كلمات)﴾^(١) ربك صدقاً وعدلاً ﴿قال قتادة: يعني: صدقاً [فيما وعد]﴾^(٢) وعدلاً فيما حكم ﴿لا مبدل لكلماته﴾ فيما وعد .

﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ لأن المشركين كانوا يدعونه إلى عبادة الأوثان ﴿إن يتبعون﴾ بعبادتهم الأوثان ﴿إلا الظن﴾ يقول: ادَّعُوا أَنَّهُمْ آلِهَةٌ بظن منهم ﴿وإن هم إلا يخرصون﴾ يعني: يكذبون. قال محمد: أصل (الخرص): الظن والحزر، ومنه قيل للحازر:

(١) هكذا في الأصل ﴿كلمات﴾ على الجمع، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وابن عامر، وقرأ الباقون ﴿كلمة﴾ على الإفراد. ينظر: البحر (٢٠٩/٤)، الدر (١٦٥/٣).

(٢) في الأصل: فيها. والمثبت من «ر».

(خارص)^(١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فهو يعلم أن محمداً على الهدى، وأن المشركين ضلوا عن سبيله.

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِيهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَؤُودَ إِلَىٰ أُولِيَ الْأَهْوَإِ يُجْدِلُوهُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾

﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ يعني: ما أدرك ذكاته؛ وذلك أن مشركي العرب كانوا يأكلون الميتة والدم والمنخقة والموقودة^(٢) والمرتدّة والنطيحة وما أكل السبع؛ فحرّم الله ذلك كله، إلا ما أدرك ذكاته.

﴿وما لكم ألا تأكلوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: فكلوه، فهو لكم حلالٌ ﴿وقد فصل﴾ بين لكم ﴿ما حرّم عليكم﴾ من الميتة والدم إلى آخر الآية ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ من تلك الأشياء التي حرّم الله.

﴿وإن كثيراً يضلون بأهوائهم بغير علم﴾ أتاها من الله، ولا حجة؛ يعني: المشركين ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ يعني: الذين يتعدون أمر الله.

﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ قال الحسن: يعني: علانيته وسره. ﴿إن الذين يكتسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ يعني: يكتسبون.

(١) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (خرص). وفي «ر»: خراص.

(٢) هي التي وقّدت بالعصا حتى ماتت. لسان العرب (وقد).

﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسمُ الله عليه وإنه لفسق﴾ لشرك؛ يقول: إنَّ أكل الميتة على الاستحلال شرك.

﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾ من المشركين ﴿ليجادلوكم﴾ تفسير مجاهد: قال: كان المشركون يجادلون المسلمين [في] ^(١) الذبيحة؛ فيقولون: أما ما ذبحتم (وقتلتم) ^(٢) فتأكلونه، وأما ما قتل (ل) ^(١٠٠) الله فلا تأكلونه، وأنتم بزعمكم تتبعون أمر الله؟! فأنزل الله: ﴿وإن أطعتموهم﴾ فاستحللتم الميتة ﴿إنكم لمشركون﴾.

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مُجْرِمِينَ لِيَتَذَكَّرُوا فِيهَا وَمَا يَتَذَكَّرُونَ إِلَّا بَأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ مَائِدَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

قوله: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ قال الحسن: يعني: بالإسلام ﴿وجعلنا له نورًا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات﴾ يعني: ظلمات الكفر ﴿ليس بخارج منها﴾ أي: هو متحير فيها.
﴿هل يستويان مثلاً﴾ ^(٣) أي: أنهما لا يستويان.

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

(٣) هود: ٢٤.

قال يحيى: بلغني أنها نزلت في عُمَرَ بن الخطاب، وأبي جهل بن هشام، ثم هي عامة بعد.

﴿وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها﴾.

قال محمد: المعنى: جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر. قال قتادة: ومعنى (أكابر): جبابرة.

﴿ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون﴾ أنهم إنما يمكرون بأنفسهم.

قال محمد: المعنى: أن جزاء مكرهم راجع عليهم.

﴿سيصيب الذين أجرموا﴾ يعني: أشركوا ﴿صغار عند الله﴾ أي: ذلة ﴿وعذاب شديد﴾ في الآخرة ﴿بما كانوا يمكرون﴾ يعني: يشركون.

﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرْمًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ أي: يوسع ﴿صدره للإسلام﴾ ومن يرد أن يضلّه يجعل صدره ضيقًا حرمًا ﴿الخرج والضيق معناهما واحد﴾.

﴿كأنما يصعد في السماء﴾ أي: كأنما يكلف أن يصعد إلى السماء؛ يقول: يثقل عليه ما يدعى إليه من الإيمان.

﴿كذلك يجعل الله الرجس﴾ يعني: رجاسة الكفر ﴿على الذين لا يؤمنون﴾.

﴿وهذا صراط ربك مستقيماً﴾ (يعني: دين ربك مستقيماً) ^(١) ﴿قد فصلنا الآيات﴾ أي: بينهاها ﴿لقوم يذكرون﴾ إنما يتذكر المؤمن.

﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢٧) وَيَوْمَ يُنْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾
﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ السلام هو الله، وداره الجنة.

﴿ويوم نحشرهم﴾ ^(٢) جميعاً ثم نقول ﴿يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس﴾ أي: كثر من أغويتم وأضللتهم ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ يعني: الذين أضلوا من الإنس ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم﴾ منزلكم ﴿خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾ حكيم في أمره، عليم بخلقه.

قال محمد: جاء عن ابن عباس أنه قال: هذا الاستثناء لأهل الإيمان .
﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً﴾ قال الحسن: المشركون بعضهم أولياء بعض؛ كما أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض.

﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ

(١) سقط من «ر».

(٢) قرأ حفص وروح ﴿ينحشرهم﴾ بالياء، وقرأ الباقون ﴿نحشرهم﴾ بالنون. النشر (٢/٢٦٢) وإتحاف الفضلاء (٢٧٢).

كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣٦﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رُبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَدَلِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٩﴾

﴿يا معشر الجن والإنس﴾ يعني: من كفر منهم ﴿ألم يأتكم رسل منكم﴾ (يعني: من الإنس)^(١) ولم يبعث الله نبياً من الجن، ولا من النساء.

﴿يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا﴾ أنه قد جاءتنا الرسل في الدنيا.

قال الله: ﴿وغرتهم الحياة الدنيا﴾ إذ كانوا فيها ﴿وشهدوا على أنفسهم﴾ في الآخرة ﴿أنهم كانوا كافرين﴾ في الدنيا ﴿ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ يقول: لم يهلك الله قوماً من الأمم السالفة؛ حتى بعث إليهم رسولاً.

قال محمد: ومعنى ﴿ذلك أن لم يكن﴾ ذلك لأنه لم يكن.

﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ أي: على قدر أعمالهم.

يحيى: عن إسماعيل بن مسلم، عن أبي المتوكل الناجي^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض، وإن العبد من أهل الجنة ليرفع (بصره فيلمع له)^(٣) برق يكاد يخطف بصره؛

(١) سقط من «ر».

(٢) أبو المتوكل الناجي هو علي بن داود، وقيل: ابن دؤاد، تابعي، مات سنة ١٠٢هـ، ترجمته في التهذيب (٢٥٠/٢٥ - ٤٢٦).

(٣) في «ر»: رأسه، فيرى نوراً لمع له.

فيقول: ما هذا؟ فيقال: هذا نور أخيك فلان. فيقول: أخي فلان كُتِّا في الدنيا نعمل جميعاً، وقد فضل عليّ هكذا! فيقال له: إنه كان أفضل منك عملاً، ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى^(١).

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بعذاب الاستئصال؛ يعني: المشركين ﴿وَيَسْتَخْلَفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ إنما توعدون لآتٍ ﴿(ل ١٠١)﴾ يعني: الساعة ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بالذين تعجزون الله، فتسبقونه حتى لا يقدر عليكم.

﴿قُلْ يَتَقَوِّمُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُوا لَهُ عِقَابُهُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرِزْقِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْذَوْهُمْ وَلِيَقْسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ أي: على كفركم؛ وهذا وعيد.

﴿إني عامِلٌ فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار﴾ دار الآخرة، وعاقبتها الجنة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ أي: المشركون.

﴿وجعلوا لله مما ذرأ﴾ مما خلق ﴿من الحرث والأنعام نصيباً...﴾ الآية

(١) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٣ رقم ١٠٠) عن إسماعيل بن مسلم العبدي، به.

تفسير قتادة: عمد ناس من أهل الضلالة فجزّءوا من حروثهم ومواشيهم (جزءاً لله) ^(١)، وجزءاً لشركائهم - يعني: أوثانهم - وكانوا إذا خالط شيء مما جزّءوا لله شيئاً مما جزّءوا لشركائهم - تركوه، وإذا خالط شيء مما جزّءوا لشركائهم شيئاً مما جزّءوا لله - ردوه إلى شركائهم، وإذا أصابتهم السنة ^(٢) [استعانوا] ^(٣) بما جزّءوا لله، ووفروا ما جزّءوا لشركائهم. قال الله ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم﴾ يعني: الشياطين أمروهم بقتل أولادهم خيفة العيلة ^(٤) ﴿ليردوهم﴾ ﴿ليهلكوهم﴾ ﴿وليلبسوا عليهم﴾ وليخلطوا عليهم ﴿دينهم﴾ الذي أمرهم الله به؛ وهو الإسلام.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَزَعِمْهُمْ وَأَنْعَمُ حَرَمَتْ طُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسَدَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَفِرَاءَ عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَنُحَرِّمُ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مِنْتَهُ فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصَفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿١٤٠﴾ ﴿وقالوا هذه أنعام وحرت حجرة﴾ حرام ﴿لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم﴾

(١) سقط من «ر».

(٢) أي: الجذب والقحط. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (سنو)، (سنه).

(٣) في «الأصل»: استغاثوا. والمثبت من «ر».

(٤) أي: الفقر والعوز. لسان العرب (عيل).

وهذا ما كان يأكل الرجال دون النساء ﴿وأنعام حُرِّمَتْ ظهورها﴾ وهو ما حرموا من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام؛ وقد مضى تفسير هذا ^(١) ﴿وأنعام لا يذكرون اسمَ الله عليها﴾ هو ما استحلوا من أكل الميتة ﴿افتراءً عليه﴾ على الله؛ فإنهم زعموا أن الله أمرهم بهذا.

﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرمٌ على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء﴾ كان ما ولد من تلك الأنعام من ذَكَرٍ يأكله الرجال دون النساء، وإذا كانت أنثى تُركت محرمة على الرجال والنساء، وإن كانت ميتة فهم فيه شركاء يأكلونها جميعاً.

قال محمد: من قرأ (خالصة لذكورنا) ^(٢) فكأنَّهم قالوا: جماعة ما في بطون هذه الأنعام من ذكور خالصة لذكورنا، ويرد [محرم] ^(٣) على لفظ (ما) لأن ما دُكِرَ مذكَّرٌ ^(٤).

﴿سيجزئهم وصفهم﴾ أي: بما زعموا أن الله أمرهم به ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً﴾ يعني: سفه الرأي.

﴿بغير علم﴾ أتاهم من الله يأمرهم فيه بقتل أولادهم؛ وهي الموءودة؛ كانوا يدفنون بناتهم وهُنَّ أحياء خشية الفاقة ^(٥)، ويقولون: إن الملائكة بنات الله، والله صاحب بنات؛ فآلحقوا البنات به ﴿وحرّموا ما رزقهم الله﴾ يعني:

(١) أي: في قوله عز وجل: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام...﴾ المائدة: ١٠٣.

(٢) وهي قراءة الجمهور. ينظر: الدر المصون (١٩٦/٣).

(٣) في الأصل: محرمًا. والمثبت من «ر».

(٤) وفي ذلك تفصيل واسع، ينظر الدر المصون (١٩٦/٣).

(٥) الفاقة: الفقر والحاجة. لسان العرب (فوق).

ما حَرَّمُوا مِنَ الْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴿افْتَرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١١٤﴾﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَشَاتٌ كُلُوا مِنْهَا رِزْقُكُمْ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾

﴿وهو الذي أنشأ﴾ أي: خلق ﴿جنانٍ معروشات وغير معروشات﴾ قال (مجاهد)^(١): العنب منه معروش وغير معروش ﴿والنخل والزرع مختلفًا أكله﴾ منه الجيد، ومنه الرديء ﴿والزيتون والرمان متشابهًا﴾ في المنظر ﴿وغير متشابه﴾ في المطعم ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾ قال الحسن: يعني: الزكاة المفروضة [قال مجاهد: هو أن يأتوا منه عند حصاده، سوى الزكاة المفروضة]^(٢).

﴿ولا تسرفوا﴾ لا تحرموا ما حَرَّمَ أهل الجاهلية من الحرث والأنعام. قوله: ﴿ومن الأنعام حمولة وفرشًا﴾ يقول: وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا، تبعًا للكلام الأول: ﴿وهو الذي أنشأ جناتٍ﴾ والحمولة في تفسير الحسن وقتادة: الإبل والبقر، والفرش: الغنم. ﴿كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أمر الشيطان فيما حَرَّمَ عليهم من الأنعام والحرث.

﴿ثُمَّ نَبِّئِ الْأَزْوَاجَ مِنَ الطَّغْيَانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلْ أَلَّا تَكْفُرُونَ حَرَّمَ أَمْرٌ

(١) في «ر»: محمد.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

الْأَنْثَىٰ إِنَّمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَىٰ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾
 وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلَّذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَىٰ إِنَّمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ
 أَرْحَامُ الْأُنثَىٰ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ
 عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا
 أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ
 لَحْمَ خَيْزِرٍ فَإِنَّهُ رَجَسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ
 رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُلْفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ
 وَالْفِئْرِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ
 بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

﴿ثمانية أزواج﴾ أي: أصناف ﴿من الضأن اثنتين ومن المعز اثنتين﴾ ذكرنا
 وأنثى، والواحد: زوج ﴿قل الذكركين حرم﴾ على الاستفهام.

(ل ١٠٢) ﴿أم الأنثى إنما اشتملت عليه أرحام الأنثى﴾ من ذكر وأنثى؛
 أي: أم كل ذلك حرم؟ فإنه لم يحرم منه شيئاً.

﴿نبئوني بعلم إن كنتم صادقين﴾ أن الله حرم هذا؛ وهو ما حرّموا من
 الأنعام.

قال: ﴿ومن الإبل اثنتين ومن البقر اثنتين قل الذكركين حرم أم الأنثى إنما
 اشتملت عليه أرحام الأنثى﴾ من ذكر أو أنثى؛ أي: أم كل ذلك حرم؟ فإنه
 لم يحرم منه شيئاً.

﴿أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا﴾ أي: أنكم لم تكونوا شهداء لهذا،

ولم يوصكم الله به؛ فسألهم النبي ﷺ فسكتوا ولم يجيبوه. وقالوا: يا محمد، فيم هذا التحريم الذي حرّمه آباؤنا وآباؤهم قبلهم؟ فقال الله للنبي: ﴿قل لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً﴾ يعني: سائلاً. فأما دمٌ في عرق أو مخالط لحماً [فلا] ^(١) ﴿أو لحم خنزير فإنه رجسٌ أو فسقاً أهل لغير الله به﴾ وهو ما ذبحوا لأصنامهم؛ فيها تقديم ﴿أو فسقاً أهل لغير الله به﴾ فإنه رجسٌ ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ﴾ فأكل من هذه الأشياء على الاضطرار منه ﴿فإن ربك غفورٌ رحيمٌ﴾. قد مضى تفسير ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ﴾ ^(٢).

﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾ قال قتادة: يعني: البعير والنعامة ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا﴾ وهو المبعّر.

قال محمد: الحوايا: المباعر، واحداً: حاويا وحوية ^(٣).

﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ^(١٤٧) سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ^(١٤٨) قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ^(١٤٩) قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر»، وفي تفسير ابن كثير (٣/٣٤٦): فلا بأس به.

(٢) عند تفسير الآية (١٧٣) من سورة البقرة.

(٣) وقيل واحداً: حاوية. ينظر تفصيل الكلام في ذلك من: تفسير ابن كثير (٣/٣٤٩)، الدر المصون (٣/٢٠٨)، لسان العرب (حوى).

شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٦﴾

﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾ لمن تاب من شركه، وقبل ما
أنزل الله ﴿ولا يرد بأسه﴾ أي: لا يصرف عذابه ﴿عن القوم المجرمين﴾
المشركين.

﴿سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من
شيء﴾ قال مشركو العرب: لو كره الله ما نحن عليه لحولنا عنه .
﴿هل عندكم من علم﴾ أن الذي أنتم عليه من الشرك أمرتكم به ﴿فتخرجوه
لنا إن تتبعون إلا الظن﴾ أي: هذا منكم ظن ﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾
تكذبون ﴿قل لله الحجة البالغة﴾ فقد قامت عليكم ﴿قل هلم شهداءكم
الذين يشهدون أن الله حرم هذا﴾ يعني: ما حرموا من الأنعام والحرث ﴿فإن
شهدوا فلا تشهد معهم﴾ وإنما [هو سفه] ^(١) ولا يكون ذلك ﴿والذين لا
يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون﴾ عدلوا به الأصنام فعبدوها.

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا
الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
ذَلِكَ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ
أَشُدَّهُمْ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكِلُفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا

(١) في الأصل: هذه صفة. والمثبت من «ر»

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَيَعْلَمُ اللَّهُ أَوْفَىٰ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِذِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِذِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ وهذا ما حرم عليكم: ﴿ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾ قال محمد: أي: وأوصاكم بالوالدين حسناً ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ أي: مخافة الفاقة ﴿نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش﴾ يعني: الزنا ﴿ما ظهر منها﴾ يعني: الزنا الظاهر ﴿وما بطن﴾ يعني: المُخَالَّة^(١) في السر ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به﴾ أمركم به .

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ قد مضى تفسير هذا^(٢) .
﴿وأوفوا الكيل والميزان بالقسط﴾ بالعدل ﴿لا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ طاقتها ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ يعني: الشهادة ﴿ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا﴾ يعني: ما كان من الحق .

﴿وأن هذا صراطي مستقيماً﴾ يريد: الإسلام ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ﴾ اليهودية والنصرانية، وما كان من غير ملة الإسلام .

﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾ لكي تتقوا ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن﴾ قال قتادة: من أحسن في الدنيا تمت عليه النعمة في الآخرة ﴿وتفصيلاً﴾ يعني: تبييناً ﴿لكل شيء﴾ من الحلال والحرام، والهدى والضلال .

(١) يقال: خاله مُخَالَّةٌ وخِلَالاً: أي: صادقته. لسان العرب (خلل).

(٢) في سورة النساء، الآيتان: ٢ ، ١٠ .

قال محمد: قوله: ﴿تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ معناه: تَمَامًا مِنَ اللَّهِ عَلَى الْمُحْسِنِينَ؛ وهو الذي ذهب إليه قتادة (ل ١٠٣) (وتَمَامًا) منصوبٌ عَلَى معنى التمام^(١)، وكذلك (تَفْصِيلًا) أَي: لِلتَّمَامِ وَالتَّفْصِيلِ.

﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَالِمٍ يُقِيمُونَ﴾ (١٥٤) وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْظُرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴿وهذا كتاب أنزلناه مبارك﴾ يعني: القرآن ﴿أن تقولوا يوم القيامة﴾ لثلاث قولوا يوم القيامة: ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿وإن كنا عن دراستهم﴾ [قراءتهم]^(٢) ﴿لغافلين﴾.

﴿سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا﴾ أي: يصدون ﴿سوء العذاب﴾ أشده. ﴿هل ينظرون﴾ أي: ما ينظرون؛ يعني: المشركين ﴿إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ بالموت ﴿أو يأتي ربك﴾ وذلك يوم القيامة ﴿أو يأتي بعض آيات

(١) أي: منصوب على المصدر. وفيه أوجه إعرابية أخرى. ينظر: إعراب القرآن (١/ ٥٩٢ - ٥٩٣)، البحر المحيط (٤/ ٢٥٦ - ٢٥٧)، الدر المصون (٣/ ٢٢٠).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

ربك ﴿ يعني: طلوع الشمس من مغربها؛ في تفسير العامة ﴾ يوم يأتي بعض آيات ربك ﴿ طلوع الشمس من مغربها ﴾ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴿ قال الكلبي: لا تُقبل التوبة يومئذٍ ممن لم يكن مؤمناً، ولا ممن كان يدعي الإيمان؛ إذا لم يكن مخلصاً.

يحيى: عن عثمان، عن نعيم بن عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها؛ فإذا رآها الناس آمنوا، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً»^(١).

﴿ قل انتظروا إنا منتظرون ﴾ كان المشركون ينتظرون بالنبي الموت، وكان النبي ينتظر بهم العذاب.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾

﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ أخزاباً. قال قتادة: هم اليهود والنصارى والصابئون وغيرهم.

﴿ لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ﴾ قال محمد^(٢): قيل: إن هذه

(١) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (ص ٦٣٠ رقم ١٠٣) وعنه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (١٢٦٣/٦ - ١٢٦٤ رقم ٧٠٤) من طريق يحيى بن سلام به.
ورواه البخاري (١٤٧/٨ رقم ٤٦٣٦) ومسلم (١٣٧/١ - ١٣٨ رقم ١٥٧) من طرق عن أبي هريرة.

(٢) في «ر»: مجاهد.

الآية نزلت قبل أن يؤمرَ بقتالهم.

﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ هذه في المؤمنين، وكان هذا قبل أن تنزل ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبت سبع سنابل...﴾ الآية (١).

﴿ومن جاء بالسيئة﴾ (وهذه في المؤمنين أيضًا) (٢) السيئة ها هنا هي الأعمال السيئة ﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾.

يحيى: عن أبي أمية، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال ربكم: إذا عمل عبدي حسنة فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وإن همَّ بها ولم يعملها فاكتبوها له واحدة، وإن عمل سيئة فاكتبوها بواحدة، وإن همَّ بها فتركها من أجلي فاكتبوها بحسنة» (٣).

﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦٦) قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٧) لَا شَرِيكَ لَّهُ وَلَئِنْ لَمْ تُدْعُ إِلَهُاتِي وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٨) قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ بَنِي رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزُدَّ وَازِرَةً وُزْدًا أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ (١٦٩) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلْقَ الْأَرْضَ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَفَعُولٌ رَحِيمٌ﴾ (١٧٥)

﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما﴾ قال محمد: (دينا)

(١) سورة البقرة: ٢٦١.

(٢) سقط من «ر».

(٣) رواه البخاري (٤٧٣/١٣) رقم (٧٥٠١) ومسلم (١١٧/١ - ١١٨) رقم (١٢٨) من طرق عن أبي هريرة.

منصوبٌ على التفسير^(١)، والقيم والمستقيم في معناهما واحد^(٢).

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ قال قتادة: (نُسُكِي) يَغْنِي: حَجِّي وذبحي ﴿ومَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ قال محمد: الاختيار عند القراء في (مَحْيَايَ) بفتح الياء؛ لسكون الألف قبلها؛ لثلا يجتمع ساكنان، والأمر في الياء من (مَمَاتِي) [واسع]^(٣) في فتحها وتسكينها^(٤).

﴿قُلْ أَغِيرَ اللَّهُ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهذا جوابٌ من الله للمشركين، حيث دعوا النبي إلى أن يَعْبُدَ ما كان يَعْبُدُ آبَاؤُهُ ﴿وَلَا تَزِرَ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الوزرُ: الذنب؛ يقول: لا يحمل أحدٌ ذنبَ أحدٍ.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ قال محمد: المعنى: سكان الأرض؛ يخلف بعضكم بعضاً، واحدُهم: خليفة.

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فيما أعطاكم من الفضائل في [الدنيا]^(٥) ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَا آتَاكُمْ﴾ أعطاكم.

﴿إِنْ رَبُّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ إذا جاء الوقت الذي يريد أن يعذبهم فيه حين كذبوا رسله ﴿وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب من شركه وآمن بربه.



(١) وفيه أوجه إعرابية أخرى، ينظر: إعراب القرآن (١/٥٩٥)، البحر المحيط (٤/٢٦٢)، الدر المصون (٣/٢٢٧).

(٢) ينظر: لسان العرب، المصباح المنير (قيم).

(٣) طمس في الأصل. والمثبت من «ر».

(٤) قرأ بذلك السبعة إلا نافعا؛ فقد قرأ بإسكان الياء؛ أي من (مَحْيَايَ). وروى عنه الرجوع عن ذلك، وروى عنه (مَحْيَايَ) بكسر الياء. ينظر: السبعة (٢٧٥ - ٢٧٦)، التيسير (١٠٨ -

١٠٩)، النشر (٢/٢٦٧) الدر المصون (٣/٢٢٧).

(٥) في الأصل: الدين. والمثبت من «ر».

تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَهِيَ مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا
إِلَّا (.....) (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْمَعْصِ﴾ ١ كَتَبْتُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ
﴿٣﴾ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ
جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾

(ل ١٠٤) قوله: ﴿الْمَعْصِ﴾ كان الحسن يقول: لا أدري ما تفسير ﴿الْمَعْصِ﴾
وأشبه ذلك من حروف المعجم التي في أوائل السور، غير أن قومًا من السلف
كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.
﴿كَتَابَ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ يعني: القرآن.

﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ أي: شك بأنه من عند الله.

قال محمد: أصل الحرج: الضيق، والشاك في الأمر يضيق به صدرًا؛
فسمى الشك حرجًا ﴿لَتُنذِرَ بِهِ﴾ من النار ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ يذكرون به
الآخرة.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: الأوثان ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يعني:

(١) مطموس في الأصل، وسقط من «ر».

قال القرطبي في تفسيره (٦٠/٧): وهي مكية إلا ثمان آيات وهي قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ
الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾.

أقلكم المتذكر ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ يعني: ما أهلك من الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم ﴿فجاءها بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتاً﴾ يعني: ليلاً ﴿أوهم قائلون﴾ يعني: عند القائلة بالنهار ﴿فما كان دعواهم﴾ قولهم ﴿إذ جاءهم بأسنا﴾ إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين.

﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ ٦ ﴿فَلَنَقْصَنَّ عَنْهُمْ بَعْلَهُ وَمَا كُنَّا عَنْهُمْ غَائِبِينَ﴾ ٧ ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ٨ ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ ٩ ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ﴾ ١٠ ﴿فَلَنَقْصَنَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: أعمالهم ﴿بعلم﴾ بها ﴿وما كنا غائبين﴾ عن أعمالهم.

﴿والوزن يومئذ الحق﴾.

يحيى: عن حماد، عن ثابت البناني، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان الفارسي قال: «يوضع الميزان يوم القيامة، ولو وضع في كفته السموات والأرض لو سعتها؛ فتقول الملائكة: ربنا ما هذا؟ فيقول: أزن به لمن شئت من خلقي فتقول الملائكة: ربنا ما عبدناك حق عبادتك»^(١).

(١) رواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٧٨ رقم ١٣٥٧) - ومن طريقه الآجري في الشريعة (٢٠٦/٢ رقم ٩٥٠) - عن عبد الرحمن بن مهدي عن حماد به. ورواه الآجري (٢٠٦/٢ رقم ٩٤٩) من طريق معاذ العنبري عن حماد به. ورواه ابن أبي الدنيا - كما في النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٣٠/٢) - عن أبي نصر التمار عن حماد به.

ورواه الحاكم (٥٨٦/٤) من طريق المسيب بن زهير، عن هبة بن خالد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي عثمان، عن سلمان مرفوعاً.

﴿ولقد مكناكم في الأرض﴾ يعني: بعد الماضين ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أفلكم من يؤمن.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فِيمَا أغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَا يَبُيِّنُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَخَلْفَهُمْ وَعَنْ سَمَائِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْهُومًا مَذْخُورًا لَّمْ يَمَعْكَ مِنْهُمْ لَآئِمْلَانَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨) ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ قال مجاهد: يعني: صورناكم في ظهر آدم.

﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾ قال الحسن: إن إبليس لم يكن من الملائكة، وإنه خلق من نار السموم، وإن الملائكة خلقوا من النور، وإن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، وأمر إبليس أيضاً بالسجود له، فجمع المأمورين جميعاً.

﴿ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك...﴾ الآية.

قال محمد: (ألا تسجد) معناه: أن تسجد، و(لا) مؤكدة^(١).

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (٢١٦ - ٢١٧): صح عن سلمان، وخرجه الحاكم مرفوعاً وصححه، ولكن الموقوف هو المشهور. وقال في التخريف من النار (ص ١٨٥): قلت: المعروف أنه موقوف على سلمان الفارسي من قوله.

(١) أي: زائدة للتوكيد. وفيها أقوال أخر. ينظر: إعراب القرآن (١/٦٠١)، البحر (٤/٢٧٢ - ٢٧٣)، أمالي ابن الشجري (٢/٢٣١).

﴿قال أنظرنني﴾ أخرني ﴿إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين﴾ فيها إضمار؛ أي: إلى يوم الوقت المعلوم ﴿قال فيما أغويتني﴾ أضللتني ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أي: فأصدهم عنه ﴿ثم لآتينيهم من بين أيديهم﴾ يعني: من قبل الآخرة؛ فأخبرهم أنه لا بعث بعد الموت، ولا جنة ولا نار. ﴿ومن خلفهم﴾ يعني: من قبل الدنيا؛ فأزيناها في أعينهم، وأخبرهم أنه لا حساب عليهم في الآخرة، فيما صنعوا ﴿وعن أيمانهم﴾ أي: من قبل الخير؛ فأنبأهم^(١) عنه. ﴿وعن شمائلهم﴾ من قبل المعاصي؛ فأمرهم بها، ﴿ولا تجد أكثرهم شاكرين﴾ وكان ذلك ظناً منه، فكان الأمر على ما ظن ﴿قال اخرج منها مذهباً مدحوراً﴾ يعني: مذموماً مبغداً.

قال محمد: تقول: ذأمت الرجل؛ إذا بالغت في عيبه وذمته^(٢).

﴿وَبَقَادُمْ أَتَكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْفَاطِلِينَ﴾ (١٩) فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِرٍ (٢١) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تَيْهَمَا وَطُفِقَا يَنْخَسِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢) قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) قَالَ أَهبطوا بعضكم لبعض عدوٌ ولكم في الأرض مستقرٌّ ومتنعٌ إلى حين (٢٤) قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ (٢٥) ﴿

(١) يقال: ثبطه عن الشيء: عوّقه وبطّأ به. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (ثبط).

(٢) لسان العرب (ذام).

﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة...﴾ الآية، قال ابن عباس: الشجرة: السنبلة. وقال قتادة: هي التين.

وقوله: ﴿فتكونا من الظالمين﴾ أي: لأنفسكما بخطيئكما ﴿فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما﴾ وكانا كسيا الظفر.

﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا﴾ لثلا تكونا ﴿ملكين﴾ من الملائكة ﴿أو تكونا من الخالدين﴾ الذين لا يموتون ﴿وقاسمهما﴾ بالله.

قال قتادة: حلف لهما بالله، وقال لهما: خلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما؛ فاتبعاني أرشدكما.

﴿فدلاهما بغرور﴾ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما ﴿قال محمد: قوله: ﴿فدلاهما بغرور﴾ المعني: دلاهما في المعصية؛ بأن غرهما، والسوءة: كناية عن الفرج ﴿وطفقا﴾ أي: جعلاً ﴿يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ قال مجاهد: يعني: [يرقعانه]^(١) (ل ١٠٥) كهيئة الثوب ﴿وناداهما ربهما...﴾ الآية.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن أبي بن كعب^(٢) قال: قال رسول الله ﷺ: «كان آدم رجلاً طوالاً، كأنه نخلة سحق كثير شعر الرأس؛ فلما وقع بما وقع به، بدت له عورته، وكان لا يراها قبل ذلك؛ فانطلق هارباً في الجنة؛ فأخذت شجرة من شجر الجنة برأسه؛ فقال لها:

(١) طمس في الأصل، والمثبت هو الأقرب إلى القراءة والمعنى. وينظر تفسير الطبري (٨/ ١٤٢).

(٢) طمس في الأصل، والحديث لأبي بن كعب سيد القراء. وفي إسناده هذا الحديث اختلاف يأتي بيانه.

أرسليني، فقالت: لست بمرسلتك، فناداه ربه: يا آدم، أمني تفر؟ قال: يا رب إني أستحيك»^(١).

(١) اختلف في إسناد هذا الحديث في رفعه ووقفه، وفي إثبات عتي بن ضمرة بين الحسن وأبي ابن كعب:

فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٤٥٣/٦ رقم ٨٣٠٨) من طريق علي بن عاصم عن سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعاً. -
ورواه ابن سعد (٣١/١) والحاكم (٢/٢٦٢) وابن عساكر في تاريخه (٤٠٥/٧) من طريق عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن عتي بن ضمرة عن أبي بن كعب مرفوعاً.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
ورواه ابن سعد (٣١/١) والحاكم (٢/٥٤٣ - ٥٤٤) من طريق عباد بن العوام، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن عتي، عن أبي بن كعب موقوفاً.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
ورواه الطبري في تفسيره (٨/١٤٣) من طريق يزيد عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي ابن كعب موقوفاً.

ورواه الطبري في تاريخه (١/١٦٠) وابن عساكر (٧/٤٠٤ - ٤٠٥) من طريق الحسن بن ذكوان عن الحسن عن أبي بن كعب مرفوعاً.
ورواه ابن سعد (١/١٣٢) من طريق إسحاق بن الربيع أبي حمزة العطار عن الحسن عن عتي عن أبي بن كعب موقوفاً.

ورواه الطبري في تفسيره (٨/١٤٢) من طريق حجاج عن أبي بكر عن الحسن عن أبي مرفوعاً.
وراه ابن عساكر (٧/٤٠٥) من طريق إبراهيم بن أبي يحيى عن الحسن عن أبي مرفوعاً.
ورواه الحاكم (١/٣٤٥) من طريق يزيد بن عبد الله بن الهاد عن الحسن عن أبي مرفوعاً.
قال ابن كثير في تفسيره (٢/٢٠٦): رواه ابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن عن أبي ابن كعب عن النبي ﷺ مرفوعاً، والموقوف أصبح إسناداً.

ورواه الإمام أحمد في الزهد (ص ٦٣) من طريق شيان عن قتادة عن الحسن عن أبي مرفوعاً.
قلت: واختلف على شيان في إسناده أيضاً، فرواه ابن عساكر (٧/٤٠٤) من طريق محمد بن عبد الوهاب أبي قرصافة عن آدم بن أبي إياس، عن شيان عن قتادة عن أنس بن مالك.
ورواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (٢١٥ رقم ٣٠٤) من طريق محمد بن إسحاق، عن محمد بن ذكوان، عن الحسن، عن أبي بن كعب مرفوعاً.

﴿ولكم في الأرض مستقرٌ﴾ تكونون فيها. ﴿ومتاعٌ﴾ يعني: متاع الدنيا تستمتعون به ﴿إلى حين﴾ إلى الموت.

﴿قال فيها﴾ يعني: الأرض ﴿تحيون﴾ أي: تولدون.

﴿وفيها تموتون ومنها تخرجون﴾ يوم القيامة.

﴿يَبْنِيْٓءَادَمَ قَدْ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُّوْرِى سَوَءَ تَكْمُ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوٰى ذٰلِكَ خَيْرٌ ذٰلِكَ

مِّنْ اٰيٰتِ اللّٰهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُوْنَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْٓءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطٰنُ كَمَا اَخْرَجَ اٰبَوَيْكُمْ

مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَءَ تِهْمًا اِنَّهُ يَرٰكُمْ هُوَ وَقَبِيْلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ

اِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطٰنَ اَوْلِيَاً لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴿٢٧﴾ وَاِذَا فَعَلُوْا فَحِشَةً قَالُوْا وَجَدْنَا عَلَيْنَا ءَاۡبَاءَنَا

وَاللّٰهُ اَمْرًاۢ بِهَا قُلْ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحِشَآءِ اَنْقُولُوْنَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ ﴿٢٨﴾

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم﴾ يعني: الثياب

﴿وريشاً﴾ يعني: المتاع والمال.

﴿ولباس التقوى﴾ والرفع على معنى كلام مستقبل^(١)، ولباس التقوى: العفاف.

﴿يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان﴾ أي: لا يضلّكم.

﴿إنه يراكم هو وقبيله﴾ قال مجاهد: قبيله: الجن والشیاطین.

﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ يعني: من الكفر والشرك ﴿قالوا وجدنا عليها آباءنا

والله أمرنا بها﴾.

(١) أي: الرفع على الاستئناف. وفيه تفصيل نحوي ينظر من: إعراب القرآن (١/٦٠٦ - ٦٠٧)، البحر (٤/٢٨٣)، الدر (٣/٢٥٣).

﴿قُلْ أَسْرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ
الَّذِينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا
الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قُلْ أَمْرُ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ قال
مجاهد: يعني: وأقيموا وجوهكم إلى الكعبة حيث صليتم ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ
تَعُودُونَ﴾.

يحيى: عن همام، عن القاسم بن عبد الواحد، عن عبد الله بن محمد،
عن جابر بن عبد الله، عن عبد الله بن أنيس قال: قال رسول الله ﷺ:
«يحشر الله العباد - أو قال: الناس - يوم القيامة حُفَاةَ عَرَاءٍ غُرْلًا بَيْنَهُمَا. قال:
قلت: ما بَيْنَهُمَا؟! قال: ليس معهم شيء»^(١).

(١) رواه الإمام أحمد (٤٩٥/٣) - ومن طريقه ابن حجر في تغليق التعليق (٣٥٥/٥) -
والبخاري في الأدب المفرد (٣٤٨ - ٣٤٩) ورقم (٩٧٠) وابن أبي شيبة في مسنده (٣٤٧/٢)
رقم (٨٥١). والحاثر بن أبي أسامة في مسنده - زوائده (٣٢) رقم (٣٩) - وابن أبي عاصم في
السنة (٢٢٥/١) رقم (٥١٤) وفي الأحاد والمثاني (٧٩/٤ - ٨٠) رقم (٢٠٣٤) والحاكم في
المستدرک (٤٣٧/٢ - ٤٣٨ ، ٥٧٤/٤ - ٥٧٥) وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله
(٣٨٩/١ - ٣٩٢) رقم (٥٦٥ ، ٥٦٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (١٩٦/١ - ١٩٧)
رقم (١٣١ ، ٢٩ / ٢ - ٣٠) رقم (٦٠٠) والضياء في المختارة (٢٥/٩ - ٢٦) رقم (١٠) وغيرهم
من طرق عن همام به.

ورواه الطبراني في الأوسط (٢٦٥/٨ - ٢٦٦) رقم (٨٥٩٣) من طريق داود بن الوازع
والخطيب في الرحلة (٣٢) من طريق عبد الوارث بن سعيد، كلاهما عن القاسم بن عبد
الواحد بنحوه.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال المنذري في الترغيب (٢٠٢/٤) رواه أحمد بإسناد حسن.

وقال ابن حجر في الفتح (٢١٠/١): إسناد حسن وقد اعتضد.

﴿يَبْقَىٰ ۖ ۤأَدَمَ خَذُوا زِينَتَكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١) قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ ٱلْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٣٢) قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا ۖ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ (٣٣)

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ قال الحسن: كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة؛ فأمر الله المسلمين؛ فقال: ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ قال مجاهد: أمرهم أن يلبسوا الثياب ﴿وكلوا شربوا﴾ يعني: الحلال ﴿ولا تسرفوا﴾ فتحرّموا ما أحلّ الله لكم؛ كما حرّم أهل الجاهلية من البحيرة والسائبة، وغير ذلك مما حرّموا ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾ يعني: الثياب؛ لأنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة.

﴿والطيبات من الرزق﴾ ما حرّموا من أنعامهم، وغير ذلك.

﴿قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ وقد خالطهم المشركون فيها في الدنيا وهي للذين آمنوا ﴿خالصة يوم القيامة﴾ دون المشركين.

قال محمد: من قرأ ﴿خالصة﴾ بالرفع^(١)، فهو على أنه خبرٌ بعد

= ورواه الطبراني في مسند الشاميين (١/١٠٤ - ١٠٥ رقم ١٥٦) وتمام الرازي في فوائده (١/٣٦٤ - ٣٦٥ رقم ٩٢٨) من طريق الحجاج بن دينار عن محمد بن المنكدر عن جابر بنحوه.

قال ابن حجر في الفتح (١/٢٠٩): وإسناده صالح، وله طريق ثالثة أخرجها الخطيب في الرحلة من طريق أبي الجارود العنسي - وهو بالنون الساكنة - عن جابر قال: بلغني حديث في القصاص ... فذكر الحديث نحوه، وفي إسناده ضعيف. اهـ

(١) وهي قراءة نافع من السبعة. ينظر السبعة (٢٠٨)، التيسير (١٠٩)، النشر (٢/٢٦٩).

خبر^(١)؛ المعنى: قل هي ثابتة للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة. ومن قرأ بالنصب^(٢)، فعلى الحال^(٣).

﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبينها بالأمر والنهي ﴿لقوم يعلمون﴾ وهم المؤمنون الذين قبلوا ذلك عن الله.

﴿قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ قال الحسن: يَغني: الزنا سرّه وعلايته.

﴿والإثم﴾ يعني: المعاصي ﴿والبغي بغير الحق﴾ يعني: الظلم ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ حُجّة؛ يعني: أوثانهم التي عبدوا من دون الله.

﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ زعموا أن الله أمرهم بعبادتها بغير علم جاءهم من الله.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿يَبْنِيٰٓءَادَمَ إِمَامًا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿فَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمُ النَّصِيبُ مِمَّنْ أَلْكَتِ النَّارُ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آمَنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا صَلُّوا عَلَنَّا

(١) ينظر: إعراب القرآن (٦٠٩/١)، الكتاب (٢٦٢/١).

(٢) وهي قراءة الباقيين؛ أي السبعة إلا نافعا. ينظر: السبعة (٢٠٨)، التيسير (١٠٩)، النشر (٢/٢٦٩).

(٣) ينظر: البحر المحيط (٢٩١/٤ - ٢٩٢)، الدر المصون (٢٦٠/٣).

وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَاثِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿ولكل أمة أجل...﴾ الآية، يعني: أن القوم إذا كذبوا رسلهم، فجاء الوقت الذي يأتيهم فيه العذاب ﴿فإنهم لا يستأخرون﴾ عن العذاب ﴿ساعة ولا يستقدمون﴾ عنه.

﴿أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب﴾ قال مجاهد: يعني: ينالهم ما كُتِبَ عليهم. ﴿حتى إذا جاءتهم رسلنا﴾ يعني: الملائكة ﴿يتوفونهم﴾ قال الحسن: هذه وفاة [أهل] (١) النار ﴿قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله﴾ (ل ١٠٦) يعني: شركاؤكم ﴿قالوا: ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا﴾ في الدنيا ﴿كافرين﴾.

﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَكَاتَبَتْهُمُ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُخْرَيْنَهُمْ لِأُخْرَيْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾
﴿قال ادخلوا في أمم﴾ أي: مع (٢) أمم ﴿قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار﴾ ﴿قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا﴾ كل أمة تقوله أخراها لأولاها ﴿فكاتبتهم عذابا ضعفا من النار...﴾ الآية.

قال محمد: أي: عذابا مضاعفا، والضعف في كلام العرب على ضربين:

(١) طمس في الأصل، والمثبت الأقرب إلى الصواب والمعنى.

(٢) أي: أن ﴿في﴾ في قوله تعالى: ﴿ادخلوا في أمم﴾ للمعية لا للظرفية. ينظر: الدر المصون

(٣/٢٦٦). وانظر في دلالة (في) على المعية معنى اللبيب (١/١٩١ - ١٩٢).

أحدهما: المثل، والآخر: أن يكون في معنى تضعيف الشيء^(١).

وقوله: ﴿ولكن لا تعلمون﴾ أي: أيها المخاطبون ما لكل فريق منكم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

حَتَّى يَلْبِغَ الْجَحْلُ فِي سَمِ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ

فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا

نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا أَلَا وَسَعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي

صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ

لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولٌ رَيْنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أَوْرِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ﴾ يعني: لأعمالهم ولا

لأزواحهم ﴿أبواب السماء﴾.

يحيى: عن حماد، عن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، عن أبي موسى

الأشعري قال: «تخرج روح المؤمن^(٢) أطيب من ريح المسك؛ فتصعد به

الملائكة الذين توفوه؛ فتلقاه ملائكة آخرون دون السماء؛ فيقولون: مَنْ هذا؟

فيقولون: هذا فلان كان يعمل كَيْتَ وَكَيْتَ - لمحاسن عمله. فيقولون:

مرحبًا بكم وبه؛ فيقبضونه فيضعّدون به من بابهِ الذي كان يضعّد منه عمله

(فيشرق)^(٣) في السموات؛ حتى ينتهي إلى العرش، وله بُرْهَانٌ كِبْرَهَانٌ

(١) ينظر لسان العرب (ضعف).

(٢) زاد بعدها في الأصل: من

(٣) كذا في الأصل، وفي مصنف ابن أبي شيبة: فيشرق وجهه.

الشَّمْسِ، وتخرج روح الكافر أنتن من الجيفة؛ فتضَعُدُّ به الملائكة الذين توفُّوه، فتلقاهُم ملائكة آخرون من دون السماء، فيقولون مَنْ هذا؟ فيقولون: هذا فلان بن فلان كان يعمل كَيْتَ وكَيْتَ - لمساوئِ عمله. فيقولون: لا مرحبًا به، ردوه»^(١).

قال ابن عباس: «فَيَرُدُّ إِلَى وَادٍ يُقَالُ لَهُ: بَرَهُوت أسفل الثرى من الأرضين السَّبع». من حديث يحيى بن محمد.

وقوله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِ الْخِيَاطِ﴾ يعني: ثقب الإبرة^(٢). وسُئِلَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَنِ الْجَمَلِ. فَقَالَ: هُوَ زَوْجُ النَّاقَةِ.

﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني: المشركين ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ أي: فراش ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ يعني: ما يغشاهم من النار. ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍ﴾ يعني: العداوة والحسد. ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ يعنون: الإيمان. ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ في الدنيا.

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

(١) رواه أبو داود الطيالسي - كما في كتاب الروح (١٠٤) - عن حماد بن سلمة به. ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٧/٣ - ٢٥٨ رقم ٣، ٢٠٣/٨ رقم ٥) من طريق زائدة عن عاصم به.

ورواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١١٤٩/٦) رقم ٢١٦٣ من طريق أبي عوانة عن عاصم.

(٢) ويجمع (سَمَ) على (سُمُوم)، وسينه مثلثة. ينظر لسان العرب (سمم).

وَيَبْتَغُونَ عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ
وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ
أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار﴾ وهم مشرفون عليهم؛ لأن الجنة في السماء، والنار في الأرض.

﴿فأذن مؤذن بينهم...﴾ الآية. أي: نادى مناد.

﴿الذين يصدون عن سبيل الله﴾ إذ كانوا في الدنيا ﴿ويبتغونها عوجًا﴾
يبغون سبيل الله عوجًا.

﴿وبينهما﴾ بين الجنة والنار ﴿حجاب﴾ وهو الأعراف.

﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم﴾ تفسير قتادة: يعرفون أهل
الجنة ببياض وجوههم، وأهل النار بسواد وجوههم.

﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ قال الله: ﴿لم يدخلوها﴾ يعني:
أصحاب الأعراف ﴿وهم يطمعون﴾ في دخولها، وهذا طمع يقين.

قال قتادة: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ قَوْمٌ اسْتَوَتْ
حَسَنَاتُهُمْ وَسَيِّئَاتُهُمْ؛ فَلَمْ تَفْضَلْ حَسَنَاتُهُمْ عَلَى سَيِّئَاتِهِمْ، وَلَا سَيِّئَاتُهُمْ عَلَى
حَسَنَاتِهِمْ، فَحُسِبُوا هُنَاكَ.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر قال: قال رسول
الله ﷺ: «أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ هُمْ قَوْمٌ غَزَوْا بِغَيْرِ إِذْنِ آبَائِهِمْ فَاسْتُشْهِدُوا،
فَحُسِبُوا عَنِ الْجَنَّةِ؛ لِمَعْصِيَتِهِمْ آبَاءَهُمْ، وَعَنِ النَّارِ بِشَهَادَتِهِمْ»^(١).

(١) إبراهيم بن محمد هو ابن أبي يحيى الأسلمي، متروك، وثقه الشافعي رحمه الله ولم أجد =

يحيى: عن أبي أمية، عن المتلمس السدوسي، عن إسحاق بن عبد الله ابن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدًا جَبَلٌ يَحْبُنَا وَنَحْبُهُ، وَإِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُمَثَّلُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ يُخْبَسُ عَلَيْهِ أَقْوَامٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسَيِّمَاهُمَا هُمْ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

قال محمد: وكلُّ مرتفع عند العرب أعراف^(٢).

﴿وَأَدَّيْ أَحَبُّ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسَيِّمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٤٨) أَهْلُوا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَأَدَّيْ أَحَبُّ النَّارِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسِفُهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا

= الحديث من هذا الوجه، وعزاه ابن كثير في تفسيره (٢/٢١٦) لابن مردويه من طريق سعيد ابن سلمة عن أبي الحسام عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة. وعزاه السيوطي في الدر (٣/٩٧) لأبي الشيخ وابن مردويه.

وفي الباب عن عدة من الصحابة مرفوعاً وعن بعض التابعين مرسلأ، ذكرها السيوطي في الدر المنثور (٣/٩٦ - ٩٧) وذكر بعضها ابن كثير في تفسيره (٢/٢١٦) ثم قال: والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة، وقصارها أن تكون موقوفة.

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث أظنه هو أبو يعقوب القرشي الهاشمي، روى عن النبي ﷺ مرسلأ، ترجمته في التهذيب (٢/٤٤٢ - ٤٤٤).

وروى البخاري (٦/٩٨ رقم ٢٨٨٩) ومسلم (٢/١٠١١ رقم ١٣٩٣) واللفظ له عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَحَدًا جَبَلٌ يَحْبُنَا وَنَحْبُهُ».

ورواه مسلم (٢/١٠١١ رقم ١٣٩٢) عن أبي حميد الساعدي.

(٢) وواحد (الأعراف): (عُزْفٌ)، وهو كل مرتفع من أرض وغيرها، استعارة من عُزْف الديك، وعُزْف الفرس، كأنه عرف بارتفاعه دون الأشياء المنخفضة؛ فإنها مجهولة غالباً. ينظر: لسان العرب (عرف)، الدر المصون (٣/٢٧٤).

كَانُوا يَتَابَعْتَنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

﴿ونادى أصحاب الأعراف﴾ وأصحاب الأعراف ها هنا ملائكة ﴿رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم﴾ في الدنيا ﴿وما كنتم تستكبرون﴾ (ل ١٠٧) عن عبادة الله. ﴿أهؤلاء﴾ يعنون: أهل الجنة ﴿الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة﴾ ثم انقطع كلام الملائكة، وقال الله لهم: ﴿ادخلوا الجنة...﴾ الآية.

﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ يعنون: الطعام.

﴿فاليوم ننساهم﴾ أي: نتركهم في النار؛ كما تركوا ﴿لقاء يومهم هذا﴾ فلم يؤمنوا به؛ أي: في الدنيا ﴿وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ

مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٥٣﴾

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم﴾ يعني: بيّنا فيه الحلال والحرام، والأمر والنهي، والوعد والوعيد والأحكام ﴿هل ينظرون﴾ ينتظرون ﴿إلا تأويله﴾ قال قتادة: يعني: الجزء به في الآخرة.

﴿يومَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ تركوه ﴿من قبل﴾ في الدنيا ولم يؤمنوا به ﴿قد جاءت رسلُ ربنا بالحق﴾ إذ كنا في الدنيا، فأمنوا حيث لم يتفهم الإيمان ﴿فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا﴾ ألا نُعَذَّب. ﴿أو نُرد﴾ إلى

الدنيا ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٦﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا نَفَخَ فِيهِ سَفْنَةً لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ أي: بأن الليل يأتي على النهار، فيغطيه ويذهبه
﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾ أي: وخلق النجوم جاريات مجاريهن.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ أي: سرًا ﴿وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ يعني: بعد ما بُعِثَ النبي، واستجيب له ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وهو الذي يرسل الرياح نَشْرًا﴾^(١) بين يدي رحمته ﴿أي: يبسطها بين يدي المطر.

قال محمد: القراءة على هذا التفسير (نَشْرًا) بفتح النون، والمعنى: منتشرة

(١) هكذا وردت في الأصل: (نَشْرًا) وهي قراءة حمزة والكسائي، وقرأ عاصم ﴿بُشْرًا﴾ وروى عنه أنه قرأها (بُشْرًا) بفتح الباء وسكون الشين. ينظر: الدر المصون (٣/ ٢٨٥)، السبعة (٢٨٣)، التيسير (١١٠)، النشر (٢/ ٢٧٠).

قال الحسن: يقول: أعلم من الله أنه مهلككم ومُعَذِّبكم؛ إن لم تؤمنوا.

﴿أو عجبتم أن جاءكم ذِكْرٌ﴾ أي: ﴿من ربكم على رجلٍ منكم﴾
على لسان رجلٍ منكم ﴿لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون﴾ إن آمنتُمْ، و(لعل) من الله واجبة.

﴿إنهم كانوا قومًا عَمِينَ﴾ عَمُوا عَنِ الْحَقِّ.

﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوِّمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوِّمُ لَيْسَ فِي سَفَاهَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُتِلْفُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ ناصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَأَذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَيْحَتْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحَدُّهُ وَنَذَرُ مَا كَانَ يَتَعْبَدُ آبَاؤُنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُونَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَيَبِئُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وإلى عاد﴾ أي: وأرسلنا إلى عاد ﴿أخاهم هودًا﴾ أخوهم في النسب، وليس بأخيهما في الدين.

﴿قال الملأ﴾ [الذين كفروا] ^(١) من قومه ﴿يعني: الرؤساء﴾ ﴿إنا لنراك في

(١) سقطت من الأصل.

سفاهة ﴿أي: من الرأي ﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾ كان تكذيبهم إياه بالظن .
﴿وأنا لكم ناصح﴾ أدعوكم إلى ما ينفعكم ﴿أمين﴾ على ما جئتكم به من
عند الله .

﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ يعني: استخلفكم في
الأرض بعدهم ﴿وزادكم في الخلق بصطة﴾ يعني: الأجسام والقوة التي
أعطاهم .

﴿قال قد وقع عليكم من ربكم رجس﴾ أي: عذاب .
﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي: أن عذاب الله نازل بكم .
﴿وقطعنا دابر الذين كذبوا﴾ أي: أضلهم .

﴿وإلى قومود آخاهم صلحاً قال ينقور أعبدوا الله ما لكم من إله غيري قد
جاءكم بينة من ربكم هذيه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله
ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴿٧٦﴾ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد
وبوأكم في الأرض لتخذون من سهولها قصوراً وتنحئون الجبال بيوتاً فاذكروا
آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين ﴿٧٧﴾ قال الملائكة الذين استكبروا من قومه
للذين استضعفوا لئن آمن منهم أنصلمون أن صلحاً مرسلاً من ربهم قالوا إنا بما
أرسل بهم مؤمنون ﴿٧٨﴾ قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كفرون ﴿٧٩﴾
فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحْ أَعْنُنَا يَمَّا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٨١﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُرُ
لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ رَسُولاً مِنْ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّصِيحَ ﴿٨٢﴾

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ أي: لا تعقروها .

﴿وبوأكم في الأرض﴾ أسكنكنم .

﴿ولا تعثوا﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة^(١) .

﴿ففعقروا الناقة وعثوا عن أمر ربهم﴾ يعني: استكبروا .

﴿فأخذتهم الرجفة﴾ قال الحسن: تحرّكت بهم الأرض ﴿فأصبحوا في دارهم جاثمين﴾ أي: قد هلكوا .

قال محمد: الجنوم أضله في كلام العرب: البروك على الركب^(٢) .

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾

إِنَّكُمْ لَأَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْإِسْكَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا

كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْأَسُ يَنْظَهُرُونَ ﴿٨٢﴾

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا

كَيْفَ كَانَتْ عَذَابَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

﴿إنهم أناسٌ يتطهّرون﴾ أي: يتنزهون عن أعمالكم، فلا يعملون ما

تعملون ﴿إلا أمرأته كانت من الغابرين﴾ يعني: من الباقيين في عذاب الله .

(ل ١٠٨) ﴿وأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ يعني: الحجارة التي رُمي بها من كان

خارجًا من المدينة في حوائجهم وأسفارهم .

(١) البقرة: ٦٠ .

(٢) قال أبو عبيد: الجنوم للناس والطير كالبروك للإبل . ينظر: لسان العرب (جنم)، الدر

المصور (٢٩٦/٣) .

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوِيهِمُ آتُونَ عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا نَّكَرْتُمُكُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَئِكَ كَانُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِن عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبُّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لِيَن آتِبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّا كَرِهُوا إِذَا لَخِيسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيْمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَقَوْلَىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَبْقَوِيهِمُ لَقَدْ أَتَيْنَاكُمْ بِرِسَالَةٍ مِنِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَامَنُوا عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ يعني: بعد ما بعث إليكم النبي ﴿ولا تقعدوا بكل صراط﴾ طريق. ﴿توعدون﴾ تخوفون بالقتل ﴿وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين﴾ يعني: من أهلِكَ من الأمم السَّالِفَةِ حين كَذَّبُوا رُسُلَهُمْ.

﴿وَسِعَ رَبُّنَا أَيُّ: مَلَأَ رَبُّنَا﴾ ﴿كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ .

﴿رَبُّنَا افْتَحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا﴾ أَيُّ: اخْكُم .

قال قتادة: وإذا دعا النبي ربه أن يحكم بينه وبين قومه، جاءهم العذاب .

﴿كَانَ لَمْ يَغْنُوا فِيهَا﴾ يعني: يقيموا .

﴿فَكَيْفَ آسَى﴾ أحزن؛ أَي: لا أحزن عليهم .

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ

﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ

فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

﴿أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ﴾ يعني: الجوع والقحط ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ يعني:

الأمراض والشدائد ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ أَي: مكان البأساء والضراء

﴿الحسنة﴾ يعني: الرخاء والعافية . ﴿حَتَّىٰ عَفَوْا﴾ أَي: كثروا ﴿وقالوا قد مَسَّ

آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ فلم يكن شيء؛ يعنون: ما كان يَعِدُ النَّبِيُّ بِهِ قَوْمَهُ مِنْ

العذاب إن لم يؤمنوا .

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن

كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ

نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا

مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ

الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطَّعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا

يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا

كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١١٦﴾
﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ قال قتادة: يقول: لأعطيهم
السَّمَاءَ قَطْرَهَا، وَالْأَرْضَ نَبَاتَهَا.

﴿أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿بَيِّنَاتًا﴾ يعني: لئلا .

وقوله: ﴿ضُحًى﴾ يعني: نهارًا ﴿وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾.

قال محمد: يقال لكل من كان في عَمَلٍ لا يجدي وفي ضلال: إنما أنت
لاعب؛ أي: في غير ما يجدي عليك .

﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ يعني: عذابه.

﴿أَوْ لَمْ يَنْهَدِ﴾^(١) أي: نبين، وتقرأ ﴿يَهْدِ﴾ يبين الله.

﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ يعني: الذين أهلِكُوا من الأمم
السَّالِفَةِ.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ ﴿١١٦﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ
بَعْدِهِم مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِيَّايَ رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٨﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ
لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١١٩﴾
قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٠﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ
تُغْبِطُ ثَمِيْنٌ ﴿١٢١﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّكَ

(١) هكذا في الأصل بنون العظمة وهي قراءة مجاهد، وقرأ الجمهور ﴿يَهْدِ﴾. ينظر: البحر
المحيط (٣/٤٠٥٢)، الدر المنثور (٣/٣١٠).

هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١١٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ أَرْضِكَ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ
وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١٢١﴾ يَا تُؤَكُّ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١٢٢﴾
﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ يعني: الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب
آدم.

﴿فظلموا بها﴾ أي: جحدوا أن تكون من عند الله .
﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ وكان بنو إسرائيل في أيديهم بمنزلة أهل
الجزية فينا .
﴿ونزع يده﴾ أي: أخرجها من جيب قميصه .

قال الكلبي: بلغنا أن موسى قال: يا فرعون، ما هذه بيدي؟ قال: هي
عصى؛ فآلقها موسى، فإذا هي ثعبان مبین قد ملأت الدار من عظيمها، ثم
أهوت إلى فرعون لتبتلعه، فنادى: يا موسى، يا موسى، فأخذ موسى بذنبها؛
فإذا هي عصى بيده؛ فقال فرعون: يا موسى، هل من آية غير هذه؟ قال:
نعم. قال: ما هي؟ قال: فأخرج موسى يده فقال: ما هذه يا فرعون؟ قال:
هذه يدك، فأدخلها موسى في جيبه، ثم أخرجها فإذا هي بيضاء للناظرين،
أي: تغشى البصر من بياضها.

﴿قالوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ أي: أخوه وأخاه ﴿وأرسل في المدن حاشرين﴾
يخشرون السحرة؛ فإنما هو ساجر، وليس سخره بالذي يغلب سحرته.

﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ ﴿١٢٣﴾ قَالَ نَعَمْ
وَإِنَّكُمْ لَيْنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا يَلْمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١٢٥﴾
قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١٢٦﴾

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَٰكُ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَنصِقُ مِنَّا إِلَّا ءَآءَ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴿١٢٧﴾

﴿قالوا إن لنا لأجراً﴾ يعنون: العطية .

﴿قال نعم وإنكم لمن المقربين﴾ يعني: في المنزلة .

﴿واسترهبوهن﴾ أي: أخافوهم .

﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ فخيّل إلى موسى أن حبالهم وعصيتهم حيات، فألقى موسى عصاه؛ فإذا هي أعظم من حياتهم، ثم رقوا فازدادت حبالهم وعصيتهم عظماً في أعين الناس، وجعلت عصا موسى تعظم وهم يرقون حتى أنفدوا سحرهم، فلم يبق منه شيء، وعظمت عصا موسى حتى سدّت الأفق، ثم فتحت فاهها، فابتلعت ما ألقوا، ثم أخذ موسى عصاه بيده، فإذا حبالهم وعصيتهم قد ذهبت؛ وذلك قوله: ﴿فألقى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون﴾^(١) أي: ما يكذبون. ﴿فوقع الحق﴾ فظهر.

قال الكلبي: وقال السحرة بعضهم لبعض: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا .

﴿فَأَلْقَى السِّحْرَ سَاجِدِينَ﴾ أي: خروا؛ قُبِهَتْ فرعونُ، وخلقى سبيل موسى ولم يعرض له.

﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ (١٠٩) قلتُم: يا موسى، اذهب فاصنع شيئاً؛ فإذا صنعت ذلك دعانا فرعون فصدقنا مقاتلك.

﴿لتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ أي: لتخرجوني وقومي بسحركم وسحر موسى .
﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ مِنْ خِلَافِ يَدِ الْيُمْنَى، وَالرَّجُلَ الْيُسْرَى .

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ

قَالَ سَنَقُولُ أَبْنَاءَهُمْ وَسَتَحِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ فَهَرُوت ﴿١١٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ

أَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١١٨﴾ قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ

يُهْلِكَ عُدُوَّكُمْ وَسَتُحْلِفُكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾

﴿ويذرك وآلِهَتَكَ﴾ قال الحسن: كان فرعون يعبد الأوثان.

﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده﴾ وكان الله قد أعلم موسى أنه

مهلك فرعون وقومه، وأنه سيورث بني إسرائيل الأرض بعدهم ﴿والعاقبة

للمتقين﴾ يريد: الجنة.

﴿قالوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ يقوله بنو إسرائيل

لموسى؛ يعنون: ما كان يصنع بهم فرعون وقومه.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّبْيِ وَنَقَصْنَا مِنَ الشَّجَرِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٠﴾ فَإِذَا

جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا

طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِنَسْحَرَنَّ بِهَا
فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٧﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالصَّفَادِيعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ
مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمْوَسَىٰ آدَعُ لَنَا
رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيْنَ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لِنُؤْمِنَ لَكَ وَلَتَرْسِلَنَّا مَعَكَ بَنِي
إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِّغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٤٠﴾
فَأَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤١﴾ وَأَوْزَيْنَا
الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسَازِمُونَ مَشْرُوفَ الْأَرْضِ وَمَعْرِيبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ
وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٤٢﴾

﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات﴾ فأجذبت أرضهم،
وهلكت مواشيهم، ونقصت ثمارهم؛ فقالوا: هذا مما سحرنا به هذا الرجل .
﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ العافية والرخاء ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي: لنا جاءت،
ونحن أحق بها ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ أي: شدة ﴿يطيروا بموسى ومن معه﴾
قالوا: إنما أصابنا هذا من شؤم موسى ومن معه، قال الله: ﴿ألا إنما طائرهم
عند الله﴾ يعني: عملهم هو محفوظ عليهم؛ حتى يجازيهم به.

قال محمد: المعنى: ألا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في
الآخرة، لا ما ينالهم به في الدنيا؛ وهو معنى قول يحيى.

﴿وقالوا مهما تأتنا به﴾ أي: ما تأتنا به: مهما و(ما) بمعنى واحد^(١).

(١) ينظر: الكتاب (١/٤٣٣)، حروف المعاني (٢٠)، الجني الداني (٦٠٩ - ٦١٣).

﴿فأرسلنا عليهم الطوفان...﴾ الآية.

تفسير قتادة: الطوفان: الماء أرسله الله عليهم؛ حتى قاموا فيه قيامًا، فدَعَوْا موسى، فدعا ربه فكشف عنهم، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم، فأرسل الله عليهم الجراد، فأكل عَامَّةَ حروثهم وثمارهم، فدَعَوْا موسى فدعا ربه، فكشف عنهم ثم عادوا لشر ما بحضرتهم، فأرسل الله عليهم القُمَّل وهو الذبي^(١)؛ فأكل ما أبقي الجراد من حُرُوثِهِمْ ولحسته، فدَعَوْا موسى فدعا ربه، فكشف عنهم، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم؛ فأرسل الله عليهم الضفادع؛ حتى ملأ بها فرشَهُمْ وأفنيتهم فدَعَوْا موسى؛ فدعا ربه فكشف عنهم، ثم عادوا لشر ما بحضرتهم؛ فأرسل الله عليهم الدَّمَ فجعلوا لا يغترفون من مائهم إلا دمًا أحمَر؛ حتى لقد ذُكِرَ لنا أن فرعون جمع رجلين أحدهما إسرائيلي والآخر قبضي على إناء واحد؛ فكان الذي يلي الإسرائيلي ماءً، والذي يلي القبضي دمًا، فدعوا موسى؛ فدعا ربه فكشف عنهم.

﴿آيات مفصلات﴾ كان العذاب يأتيهم، فيكونون ثمانية أيام بلياليهن بين كل عذابين شهرٌ.

﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ يعني: العذاب.

﴿إلى أجلٍ هم بالغوه﴾ إلى يوم غرقهم الله في اليمِّ ﴿إذا هم ينجثون﴾.

﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون﴾ يعني: أبناء بني إسرائيل ﴿مشارك

الأرض ومغاربها التي باركنا فيها﴾ وهي أرض الشام؛ في تفسير الحسن.

﴿ومت كلمَةُ ربك الحسنی﴾ يعني: ظهور قوم موسى على فرعون؛ في

(١) والذبي هو الجراد الصغار الذي لا أجنحة له. وبه قال مجاهد وعكرمة وقتادة. ينظر تفسير ابن كثير (٣/٤٦١).

تفسير مجاهد ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ يبنون .
 ﴿وَجَنَزْنَاهُ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى
 اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَطِلُوا
 مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٢٩﴾ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِيَكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ
 ﴿١٣٠﴾ وَإِذْ أَخْبَرْنَا نِسَاءَ كَوْمٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ بِسُوءِ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَهُمْ
 وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ وَفِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٣١﴾﴾
 ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ﴾ أي : مُفْسِدٌ .

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِيقَاتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
 مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ
 مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ
 فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرِيكَ فَلَمَّا بَحَلْ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى
 صَبِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُنْتَ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾
 ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ وهي : ذو القعدة وعشر ذي
 الحجة .

قال الكلبي : إن موسى لما قطع البحر ببني إسرائيل ، وغرق الله آل فرعون -
 قالت بنو إسرائيل لموسى : يا موسى ، اتتنا بكتاب من ربنا كما وعدتنا ،
 وزعمت أنك تأتينا به إلى شهر ، فاختار موسى من قومه سبعين رجلاً لينطلقوا
 معه ، فلما تجهزوا قال الله : يا موسى ، أخبر قومك أنك لن تأتيتهم أربعين
 ليلة . وذلك حين تمت بعشر ، فلما خرج موسى بالسبعين أمرهم أن ينتظروه

في أسفل الجبل (ل ١١٠) وصعد موسى الجبل، فكلّمه الله أربعين يوماً وأربعين ليلة، وكتب له فيها الألواح، ثم إن بني إسرائيل عدّوا عشرين يوماً وعشرين ليلة؛ فقالوا: قد أخلفنا موسى الوعد! وجعل لهم السامري العجل؛ فعبّدوه.

﴿ولما جاء موسى لميقاتنا...﴾ الآية، قال الحسن: لما كلمه ربه، دخل قلب موسى من السرور من كلام الله ما لم يصل إلى قلبه مثله قط، فدعّث موسى نفسه إلى أن يسأل ربّه أن يُريّه نفسه؛ ولو كان فيما عهد إليه قبل ذلك أنه لا يرى، لم يسأل ربه بما يعلم أنه لا يعطيه إياه.

﴿فقال رب أرني أنظر إليك﴾ فقال الله: ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكاً﴾ قال قتادة: تفتّت الجبل بعضه على بعض.

قال محمد: وقيل: جعله دكاً؛ أي: ألصقه بالأرض؛ يقال: نافقة دكاء؛ إذا لم يكن لها سنام^(١). وقيل في قوله: ﴿تجلّى﴾ أي: ظهر، أو ظهر من أمره ما شاء ﴿وخر موسى صعباً﴾ أي: سقط ميتاً.

قال محمد: وقيل: (صعباً): مغشياً عليه ﴿فلما أفاق﴾ يعني: ردّ الله إليه حياته.

﴿قال سبحانه تبت إليك﴾ أي: من قولي: أنظر إليك ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ يعني: المصدّقين بأنك لا ترى في الدنيا.

﴿قَالَ يَمْؤُوسَ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ

(١) لسان العرب (دكك).

الشَّكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا بِقُوَّةٍ وَأَمَرَ قَوْمَكُمُ بِأَخْذِهَا بِحَسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾
 ﴿قال يا موسى إني اصطفتك﴾ اخترتك.

﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء﴾ أي: تبييناً لكل ما أمروا به، ونهوا عنه.

﴿فخذها بقوة﴾ أي: بجهد ﴿وأمر قومك يأخذوا بأحسنها﴾ أي: بما أمرهم الله به ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ يعني: فرعون وقومه؛ وهي مثل قوله: ﴿كذلك وأورثناها بني إسرائيل﴾^(١).

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّآيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾
 ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض﴾ قال الحسن: يقول: سأصرفهم عنها؛ حتى لا يؤمنوا بها ﴿وإن يروا سبيل الغي﴾ يعني: الكفر ﴿يتخذوه سبيلًا﴾ أخبر بعلمه فيهم؛ أنهم لا يؤمنون أبداً.

﴿وأتخذ قوم موسى من بعده من حليتهم عجلاً جسداً لهم خواراً أنه يروا أنهم لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ يعني: حين ذهب للميعاد ﴿من حلّهم﴾ من حلّهم قوم فرعون ﴿عجلاً جسداً له خوار﴾ صوت.
قال قتادة: جعل يخور خوار البقرة. وتفسير اتخاذهم العجل مذكور في سورة طه^(١).

قال محمد: الجسد في اللغة: هو الذي لا يعقل ولا يميز، ومعنى الجسد ها هنا: الجثة. وتقرأ ﴿من حلّهم﴾ و﴿حلّهم﴾، فالحلّ بفتح الحاء: اسم لما يتحسّن به من الذهب والفضة، ومن قرأها بضم الحاء فهو جمع (حلّ) ^(٢).
﴿ألم يروا أنه لا يكلمهم﴾ يعني: العجل.

﴿ولا يهديهم سبيلاً﴾ أي: طريقاً ﴿اتخذوه﴾ أي: اتخذوه إلهاً.
﴿وكانوا ظالمين﴾ لأنفسهم ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ أي: ندموا ﴿ورأوا﴾ أنهم قد ضلوا... الآية. قالوا ذلك لما صنع موسى بالعجل ما صنع، وطلبوا التوبة، وأبى الله أن يقبل منهم، إلا أن يقتلوا أنفسهم؛ وقد مضى تفسير هذا في سورة البقرة^(٣).

قال محمد: يقال للنادم على ما فعل: قد سَقِطَ في يده، وأسَقِطَ في يده^(٤).

(١) طه: ٨٨.

(٢) قرأ حمزة والكسائي بكسر الحاء، وقرأ يعقوب بفتح الحاء وإسكان اللام وتخفيف الياء، وقرأ الباقون بضمها، وكلهم كسر اللام وشدد الياء مكسورة سوى يعقوب. ينظر: النشر (٢/ ٢٧٢)، البحر المحيط (٣٩١/٤)، الدر المصون (٣٤٣/٣).

(٣) البقرة: ٥٤.

(٤) وهذا ما نقله الفراء والزجاج، وقال الفراء: سَقِطَ - أي: الثلاثي - أكثر وأجود. ينظر: لسان العرب (سقط)، الدر المصون (٣٤٥/٣).

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَالْقَىٰ الْأَلْوَاخَ ۖ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ أُمَّ ۖ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي ۖ وَادْخُلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾

﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ أي: شديد الغضب.

﴿قال بشما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم﴾ قال محمد: يقال: عجلت الأمر إذا سبقته، وأعجلته: إذا استحثثته^(١).

﴿قال ابن أُمَّ إن القوم استضعفوني﴾.

قال محمد: من قرأ (ابن أُمَّ) بالفتح^(٢)، فلكثرة استعمالهم هذا الاسم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا الشَّيْءَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا ۖ وَأَمَنُوا ۖ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٥٧﴾﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاخَ ۖ وَفِي شَجَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَزْهَبُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ۖ لِمِيقَاتِنَا ۖ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلُو أَسْفَهَاءَ ۖ وَإِنِّي لَأَنْتَ خَيْرُ الْإِنْسَانِ ۖ فَتُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ۖ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ۖ أَنْتَ وَلِيُّنَا ۖ فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۖ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٩﴾﴾

(١) ينظر: لسان العرب (عجل)، الدر المصون (٣/٣٤٧).

(٢) قرأ الأخوان وأبو بكر وابن عامر بكسر الميم، والباقون بفتحها. ينظر: السبعة (٢٩٥)، التيسير (١١٣) النشر (٢/٢٧٢) الدر المصون (٣/٢٤٧).

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ﴾ يعني: الجزية ﴿وكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ الكاذبين الذين زعموا أن العجل إلههم ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ أي: سكن ﴿أَخَذَ الْأَلْوَاحَ فِي نُسْخَتِهَا﴾ يعني: الكتاب الذي نُسِخَتْ منه التوراة.

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا...﴾ الآية.

قال محمد: من كلام العرب: اخترتك (ل ١١١) القوم؛ أي: من القوم (١).

قال الكلبي: إن السبعين قالوا لموسى حين كلمه ربه: يا موسى لنا عليك حق كنا أصحابك ولم نختلف، ولم نصنع الذي صنع قومنا؛ فأرانا الله جهرة كما رأيته، فقال موسى: لا والله ما رأيته، ولقد أردته على ذلك فأبى وتجلى للجبل فكان دكا وهو أشد مني، وخررت صعقا، فلما أفقت سألت الله واعترفت بالخطيئة. فقالوا: إنا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة؛ فاحترقوا من آخرهم، فظن موسى أنهم إنما احترقوا بخطيئة أصحاب العجل، فقال موسى: ﴿رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ يعني: أصحاب العجل ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ...﴾ إلى آخر الآية، ثم بعثهم الله من بعد موتهم.

﴿وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا وَإِلَيْكَ قَالِ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَسَاكُنُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِيمَانِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٧﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ

(١) وهذا ما يعرف في العربية باسم التضمين. ينظر: نتائج الفكر للسهيلي (٢٦٠).

الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِنَّ الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِنَّ
 فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَتَابِعَهَا الْإِنْسَانُ إِذْ يَرَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي
 يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَمَّا جَاءَكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ
 بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

﴿إنا هدنا إليك﴾ أي: تبتنا.

﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ يعني: أهلها. لما نزلت هذه الآية، تطاول
 لها إبليس، وقال: أنا من ذلك الشيء، وطمع فيها أهل الكتابين، فقال الله:
 ﴿فسأكتبها﴾ يعني: فسأجعلها ﴿للذين يتقون﴾ الشرك ﴿ويؤتون الزكاة﴾
 التوحيد.

﴿ويحل لهم الطيبات﴾ يعني: الشحوم وكل ذي ظفر ﴿ويحرم عليهم
 الخبائث﴾ يعني: الحرام ﴿ويضع عنهم إصرهم﴾ ثقلهم؛ وهو ما كان حرام
 عليهم.

﴿والأغلال التي كانت عليهم﴾ يعني: ما كان شدد عليهم فيه.
 ﴿وعزَّروه﴾ أي: عظموه ﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾ أي: عليه؛
 يعني: القرآن.

﴿يؤمن بالله وكلماته﴾ قال الحسن: يعني: وحيه الذي أنزل على محمد.
 ﴿ومن قوم موسى أمة﴾ أي: جماعة ﴿يهدون بالحق﴾ أي: يدعون إليه

﴿وبه يعدلون﴾ يحكمون .

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَثْنَئَ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ آبَ
أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ
مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنِّ وَالسَّلَوى كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا
رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا
هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّفِرَ
لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٦﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي
قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾

﴿وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً﴾ يعني: بني إسرائيل .

قال محمد: (الأسباط): القبائل، واحداً: سبط، والسبط في اللغة:
الجماعة الذين يرجعون إلى أب واحد^(١).

﴿وأوحينا إلى موسى إذ استسقاها قومه أن اضرب بعصاك الحجر...﴾ إلى
قوله: ﴿بما كانوا يظلمون﴾ وقد فسرنا أمرهم في سورة البقرة^(٢).

﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذِ
تَأْتِيهِمْ حِثَّتُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا تَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ
بَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ

(١) وقيل: الأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب، والأسباط في ولد إسحاق كالقبائل في
ولد إسماعيل. ينظر الدر المصون (٣/٣٥٧).

(٢) سورة البقرة، آية: ٦٠ وما بعدها.

مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ ﴿١٦٨﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
 أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْإِسْوَاءِ وَآخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ
 ﴿١٦٩﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٧٠﴾

﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت﴾ أي :
 يعتدون .

﴿يوم سبتهم شرعاً﴾ أي : شوارع في الماء .

﴿كذلك نبلوهم﴾ أي : نبتليهم .

﴿وإذ قالت أمة منهم...﴾ الآية .

تفسير الكلبي : القرية : هي (أَيْلَة) وذكر لنا أنهم كانوا في زمان داود؛ وهو
 مكان من البحر تجتمع فيه الحيتان في شهر من السنة؛ كهيئة العيد، تأتيهم منه
 حتى لا يروا الماء، وتأتيهم في غير ذلك الشهر كل يوم سبت؛ كما تأتيهم في
 ذلك الشهر، فإذا جاء السبت لم يمسوا منها شيئاً، فعمد رجال من سفهاء تلك
 المدينة؛ فأخذوا الحيتان ليلة السبت ويوم السبت، فأكثروا منها وملأوها
 وباعوا، ولم تنزل بهم عقوبة فاستبشروا، وقالوا: إنا نرى السبت قد حل،
 وذهبت حرمة، إنما كان يعاقب به آبائنا، فعملوا بذلك سنين؛ حتى أثروا
 منه، وتزوجوا النساء، واتخذوا الأموال، فمشى إليهم طوائف من صالحهم؛
 فقالوا: يا قوم، انتهكتم حرمة سببتكم، وعصيتم ربكم، وخالفتم سنة نبيكم،
 فانتهوا عن هذا العمل قبل أن ينزل بكم العذاب! قالوا: فلم تعظونا إذ كنتم
 علمتم أن الله مهلكنا؟! وإن أطعتمونا لتفعلن كالذي فعلنا، فقد فعلنا منذ
 سنين فما زادنا الله به إلا خيراً. قالوا: ويلكم لا تغتروا ولا تأمنوا بأس الله

[...] (١) كأنه قد نزل بكم، قالوا ﴿[لم] (٢) تعظون قومًا الله مهلكهم...﴾ الآية.

وفي غير تفسير الكلبي: صاروا ثلاث فرق: فرقة اجترأت على المعصية، وفرقة نهت، وفرقة كَفَّتْ؛ فلم تصنع ما صنعوا ولم تنههم وقالوا (ل ١١٢): للذين نهوا: ﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا قالوا معذرة إلى ربكم﴾.

قال محمد: يجوز الرفع في ﴿معذرة﴾ على معنى: موعظتنا إياهم معذرة (٣).

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ أي: تركوا ما وعظوا به.

﴿أخذناهم بعذابٍ بئس﴾ أي: شديد ﴿قردةً خاسئين﴾ أي: مُبْعَدِينَ.

قال قتادة: فصاروا قردةً تعاوى لها أذنان.

قال قتادة: وبلغنا أنه دُخِلَ على ابن عباس، وبين يديه المصحف، وهو يبكي وقد أتى على هذه الآية: ﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ فقال: قد علمت أن الله أهلك الذين أخذوا الحيتان، ونجى الذين نهوهم، ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوا ولم يواقعوا المعصية.

قال الحسن: وأي نهى يكون أشد من أنَّهم أثبتوا لهم الوعيد، وخوفوهم العذاب، فقالوا: ﴿لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا﴾.

(١) كلمة في الأصل لم أستطع قراءتها.

(٢) في الأصل: (فلم).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (١/٦٤٥)، البحر (٤/٤١٢). وقراءة الرفع هي لابن كثير ونافع وأبي عمرو وابن عامر وحزمة والكسائي. أما قراءة النصب؛ فهي قراءة حفص عن عاصم. ينظر: السبعة (٢٩٦)، التيسير (١١٤) النشر (٢/٢٧٢).

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُمْ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَذَى وَيَقُولُونَ سِغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِثْقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالْذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٨٠﴾﴾

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ قال الحسن: يعني: أعلم ربك ﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم﴾ أي: يؤليهم ﴿سوء العذاب﴾ أي: شدته.

قال قتادة: فبعث عليهم العرب، فهم منهم في عذابٍ بالجزية والذل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ قال الحسن: إذا أراد الله أن يعذب قومًا كان عذابه إياهم أسرع من الطرف.

﴿وَإِنَّهُمْ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب وآمن.

﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ أي: فرقناهم، قال مجاهد: يعني: اليهود ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحِينَ﴾ يعني: المؤمنين ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ يعني: كفارًا ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ يعني: بالشدة والرخاء ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الإيمان ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ﴾ قال مجاهد: الخلف: النصارى بعد اليهود.

قال محمد: ذكر قطرب أنه يقال: خَلَفَ سَوْءٌ، وخلف صدق، وخَلَفَ

سَوَاءٌ وَخَلَفُ صِدْقٍ بِتَسْكِينِ اللّامِ وَفَتْحِهَا فِي الْخَالِئِينَ^(١). وَأَنْشُدْ بَيْتَ حَسَّانِ ابْنِ ثَابِتٍ:

لَنَا الْقَدَمُ الْأُولَى [عَلَيْهِمْ]^(٢) وَخَلَفْنَا
وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ: أَنَّ الْإِخْتِيَارَ عِنْدَ أَهْلِ اللَّغَةِ أَنَّ يَوْضَعَ الْخَلْفُ - بِتَسْكِينِ
الْلامِ - مَوْضِعَ الدَّمِّ، وَالْخَلْفُ - بِالْفَتْحِ - مَوْضِعَ الْمَدْحِ^(٣).
﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ
يَأْخُذُوهُ﴾

قال مجاهد: يعني: ما أشرف لهم في اليوم من حلالٍ أو حرامٍ أخذوه،
وَيَتَمَتُّونَ الْمَغْفِرَةَ، وَإِنْ يَجِدُوا الْغَدَّ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ.

﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ يقول: قرءوا ما فيه، في هذا الكتاب؛ بخلاف ما يقولون
وما يعملون ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ ما يدرسون ﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ قال
مجاهد: يعني: من آمن من اليهود والنصارى.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٧١) وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا
غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ

(١) وفي ذلك خلاف مشهور بين اللغويين. ينظر لسان العرب (خلف).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من ديوان حسان بن ثابت (٢٤١).

(٣) البيت من بحر الطويل. ينظر: ديوان حسان بن ثابت (٢٤١)، تفسير الطبري (٢٠٩/١٣)،
البحر المحيط (٤١٥/٤).

(٤) وهذا قول الفراء أيضًا، ينظر: لسان العرب (خلف)، الدر المصون (٣٦٦/٣).

الْمُظِلُّونَ ﴿١٧٢﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٣﴾

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ أي: رفعناه؛ وقد مضى تفسير رفع الجبل فوقهم في سورة البقرة^(١).

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ^(٢)...﴾ إلى قوله: ﴿شَهِدْنَا﴾ تفسير ابن عباس قال: «أهبط الله آدم بالهند، ثم مسح ظهره؛ فأخرج منه كل نَسَمَةٍ هو خالقها إلى يوم القيامة، ثم قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا: بلى شهدنا؛ فقال للملائكة: اشهدوا، فقالوا: شهدنا. قال الحسن: ثم أعادهم في صلب آدم ﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ أي: لثلاثا تقولوا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ وجدناهم على ملة فاتبعناهم».

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِىٌّ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

(١) سورة البقرة: ٩٣ .

(٢) هكذا في الأصل ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بالجمع، وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون

﴿ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ بالإنفراد، ينظر: النشر (٢/٢٧٣)، البحر المحيط (٤/٤٢٠)، الدر المنصور

(٣/٣٦٩).

﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾.

قال مجاهد: هو بلعان بن بعران - وبعضهم يسميه: بلعم - آتاه الله علماً فتركه.

﴿فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ أي: كفر.

قال محمد: يقال: أتبع الرجل إذا لحقته، وتبعته إذا سرت في أثره^(١).

﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ أي: بآياتنا ﴿لكنه أخلد إلى الأرض﴾ أي: ركن إلى الدنيا ﴿وأتبع هواه﴾ أي: أبى أن يصحب الهدى.

﴿فمثلته كمثل الكلب إن تحمل عليه﴾ (١١٣ل) أي: تطرده^(٢) ﴿يلهث أو تتركه يلهث﴾ تفسير الكلبي، قال: هو ضالٌّ على كل حال؛ وعظته أو تركته. قال محمد: قيل: ضرب الله مثلاً لثارك أمره أخسّ مثل، فقال عز وجل: مثله كمثل الكلب لاهثاً - واختصر (لاهثاً) - ﴿إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ ولهثانه: اضطراب لسانه وضوته الذي يردد عند ذلك؛ كأنه مُعَي^(٣) أو عَطْشان؛ وإذا كان الكلب بهذه الحال، فهي أخسّ أحواله.

﴿سواء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ قال محمد: المعنى: سواء مثلاً مثل القوم^(٤).

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا

(١) وفيه أقوال آخر، ينظر: لسان العرب (تبع)، الدر المصون (٣/٣٧٢).

(٢) يقال: حمل عليه ونحوه: كَرَّ. لسان العرب (حمل).

(٣) أي: متعب تعباً شديداً، وهو اسم مفعول من الرباعي (أعيا) ينظر لسان العرب (ععى).

(٤) وفي ذلك استطراد نحوي واسع، ينظر من: إعراب القرآن (١/٦٥٢)، المقتضب (٢/١٥٠)، البحر المحيط (٤/٤٢٥).

يَصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

﴿ولقد ذرأنا﴾ خلقنا ﴿لجهنم كثيرا من الإنس والجن لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ الهدى ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ الهدى ﴿ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ الهدى ﴿أولئك كالأنعام بل هم أضل﴾ من الأنعام فيما تعبدوا به ﴿أولئك هم الغافلون﴾ عن الآخرة. ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾.

يحيى: عن خدائش، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لله تسعة وتسعون اسما مائة غير واحد؛ من أحصاها دخل الجنة»^(١).

قال محمد: (معنى أحصاها): حفظها. وقيل: المعنى أقر لله بها وتعبد^(٢).

(١) رواه الإمام أحمد (٥٠٣/٢) وابن ماجه (١٢٦٩/٢) رقم (٣٨٦٠) من طريق محمد بن عمرو به.

ورواه البخاري (٢١٨/١١) رقم (٦٤١٠) ومسلم (٢٠٦٢/٤) رقم (٢٦٧٧) عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

ورواه مسلم (٢٠٦٣/٤) رقم (٦/٢٦٧٧) من طريق ابن سيرين وهمام بن منبه عن أبي هريرة. وقد جمع الحافظ أبو نعيم الأصبهاني طرق هذا الحديث في جزء، وقد طبع والحمد لله.

(٢) قال ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٢٨ - ٢٢٩) قال الخطابي: الإحصاء في مثل هذا يحتمل وجوها:

أحدها: أن يعدها حتى يستوفيهها، يريد أنه لا يقتصر على بعضها، لكن يدعو الله بها كلها ويشني عليه بجمعها؛ فيستوجب الموعود عليها من الثواب.

ثانيها: المراد بالإحصاء الإطاقة؛ كقوله تعالى: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ ومنه حديث =

﴿وذروا^(١) الذين يلحدون في أسمائه﴾ أي: يميلون؛ فسمّوا مكان الله: اللات، ومكان العزيز: العزى.

﴿وذروا﴾ في هذا الموضع منسوخ، نسخه القتال^(٢).

﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٧﴾ وَأُمْلِ لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ ﴿٧٨﴾ أَوَلَمْ يَنْفَكُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِنْ جِنْدٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٧٩﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٠﴾ مَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَكَلا هَادِيَ لَمْ يَدْرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٨١﴾﴾
﴿وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ أي: يحكمون.

قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «هذه لكم، وقد أعطى الله القوم بين أيديكم مثلها»^(٣)؛ يعني: قوله: ﴿وممن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾.

= «استقيموا ولن تحصوا» أي: لن تبلغوا كنه الاستقامة، والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر بمعانيها فيلزم نفسه بواجبها، فإذا قال: «الرزاق» وثق بالرزق، وكذا سائر الأسماء.

ثالثها: المراد بالإحصاء: الإحاطة بمعانيها، من قول العرب: فلان ذو حصة أي: ذو عقل ومعرفة. انتهى ملخصاً. اهـ

قلت: وراجع باقي هذا البحث في فتح الباري.

(١) في الأصل: (وذروا) على الأفراد.

(٢) هو قول عبد الرحمن بن زيد، وتعبه الطبري فقال في تفسيره (٩/١٣٤): ولا معنى لما قال ابن زيد في ذلك من أنه منسوخ؛ لأن قوله: ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ ليس بأمر من الله لنبيه ﷺ بترك المشركين أن يقولوا ذلك حتى يأذن له في قتالهم، وإنما هو تهديد من الله للملحدين في أسمائه ووعيد منه لهم. اهـ. وقال ابن الجوزي في زاد المسير (٣/٢٩٣): والجمهور على أن هذه الآية محكمة لأنها خارجة مخرج التهديد. اهـ

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٩/١٣٥).

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٣/١٦٢) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما.

﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون...﴾ إلى قوله: ﴿متين﴾ هو كقوله: ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة...﴾^(١) الآية.

ومعنى ﴿أملئ لهم﴾: أطيل لهم، ومعنى (كيدي متين): عذابي شديد. ﴿أو لم يفكروا ما بصاحبهم من جنة﴾ وهذا جواب من الله للمشركين؛ لقولهم للنبي إنه مجنون^(٢) يقول: لو تفكروا، لعلموا أنه ليس بمجنون. ﴿إن هو إلا نذير﴾ ينذر من عذاب الله ﴿مبين﴾ يبين عن الله.

﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات﴾ يعني: ملك السموات والأرض ما أراهم الله من آياته فيهما ﴿وما خلق الله من شيء﴾ وإلى ما خلق من شيء مما يروونه فيتفكروا، فيعلموا أن الذي خلق السموات والأرض وما بينهما قادر على أن يحيي الموتى ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ فيبادروا التوبة قبل الموت ﴿فبأي حديث بعده﴾ بعد القرآن ﴿يؤمنون﴾ يُصدّقون.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)

﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ متى قيامها؟

قال محمد: وقيل: المعنى: متى يبعثها؛ لأنها جارية إلى حد، ويقال: رسا الشيء يرسو؛ إذا ثبت^(٣).

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) والآيات في ذلك كثيرة؛ منها على سبيل المثال لا الحصر: [الحجر: ٦]، [الصافات: ٣٦]،

[الذاريات: ٥٢] ... إلخ.

(٣) لسان العرب (رسو).

﴿لا يجليها﴾ لا يظهرها ﴿لوقتها﴾ في وقتها ﴿إلا هو ثقلت في السموات والأرض﴾ قال الحسن: يعني: على السموات والأرض، حتى تشققت لها السموات، وانتشرت النجوم، وذهبت جبال الأرض وبحارها.
﴿لا تأتكم إلا بغتة﴾.

يحيى: عن عثمان، عن نعيم بن عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه؛ حتى تقوم الساعة، وتقوم الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه فما تصل حتى تقوم الساعة» (١).

﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ تفسير قتادة: قالت قريش: يا محمد، أسِرْ إلينا أمر الساعة؛ لما بيننا وبينك من القرابة، فقال الله: ﴿يسألونك كأنك حفي عنها﴾ هي في هذا التفسير مقدمة يسألونك عنها كأنك حفي (٢).

قال محمد: وقيل: المعنى: كأنك مغني بطلب علمها؛ يقال: حفيث بالأمر أحفي به حفاوة؛ إذا عنيت به (٣).

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

(ل ١١٤) ﴿قل لا أملك لنفسي نفعًا ولا ضرًا إلا ما شاء الله﴾ أي: إنما

(١) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٤/ ٧٧٤ رقم ٣٨٣) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

ورواه البخاري (١١/ ٣٦٠ رقم ٦٥٠٦) ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ رقم ٢٩٥٤) من طريق الأعرج عن أبي هريرة.

(٢) المعنى أن (عنها) في الآية مقدمة في التفسير، والتقدير: يسألونك عنها كأنك حفي.

(٣) ويقال: حَفَوْتُ وَحَفَيْتُ. لسان العرب (حفو) و(حفي).

ذلك بما شاء الله ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ أي: لو أطلعني على أكثر مما أطلعني عليه من الغيب لكان أكثر لخيري عنده، ولم يُطلعني على علم الساعة متى قيامها ﴿وما مسني السوء﴾ هذا جواب لقول المشركين: إنه مجنون، فقال الله له قل: ﴿وما مسني السوء...﴾ الآية.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَاحِبًا ضَلِيلًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا جَمَلًا لَمْ يَشْكُرَا فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَبَشِرْكُمْ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني: آدم ﴿وجعل منها زوجها﴾ يعني: حواء؛ خلقها من ضلع آدم القصيرى اليسرى ﴿فلما تغشاها حملت حملًا خفيًّا...﴾ إلى قوله: ﴿جعلاً له شركاء فيما آتاهما﴾ تفسير الكلبي: حملت حملًا خفيًّا - يعني: حواء - فمرت به - أي: قامت به وقعدت - ثم آتاها الشيطان في غير صورته؛ فقال: يا حواء، ما هذا في بطنك؟ فقالت: لا أدري. قال: لعله بهيمة من هذه البهائم، فقالت: ما أدري. فأعرض عنها؛ حتى إذا أثقلت آتاها، فقال لها: كيف تجدنيك يا حواء؟ قالت: إني لأخاف أن يكون الذي خوفتني، ما أستطيع القيام إذا قعدت. قال: أفرأيت إن دعوت الله، فجعله إنسانًا مثلك أو مثل آدم، أئسمينه بي؟ قالت: نعم، فانصرف عنها وقالت لآدم: إن الذي في بطني أخشى أن يكون بهيمة من هذه البهائم، وإنني لأجد له ثقلًا، ولقد خفت أن يكون كما قال، فلم يكن لآدم ولا لحواء هم

غيره حتى وضعت؛ فذلك قوله: ﴿دَعُوا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا﴾ أي: إنسانًا ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ كان هذا دعاءهما قبل أن تلد، فلما ولدت آتاهما إبليس، فقال: ألا تسمينه بي؛ كما وعدتني؟ قالت: وما اسمك؟ قال: عبد الحارث، فسمته عبد الحارث؛ فمات.

قال الله: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلْنَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ قال قتادة: فكان شركًا في طاعتهم لإبليس في تسميتهما إياه: عبد الحارث، ولم يكن شركًا في عبادة^(١).

(١) وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية: «عنى بها ذرية آدم ومن أشرك منهم» رواه الطبري وقال ابن كثير في تفسيره (٢/٢٧٥): وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن عليه السلام أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية. اهـ
وروى نحو قول الكلبي عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وجماعة كثيرة، وذكره كثير من المفسرين، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/٣٧٥ - ٣٧٦): وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب، وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا حذثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام: فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله، ومنها: ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضًا، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله: «فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم» وهذا الأثر هو من القسم الثاني أو الثالث فيه نظر، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث، وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ثم قال فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاستطراد من ذكر الشخص إلى الجنس كقوله: ﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح...﴾ الآية ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها، وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها، ولهذا نظائر في القرآن، والله أعلم. اهـ.

وقال بهذا القول العلامة ابن القيم في «التيان في أقسام القرآن» (ص ١٦٥).

وقال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان» (٢/٣٠٥): في هذه الآية الكريمة وجهان من =

ثم انقطعت قصّة آدم وحواء.

﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ يعني: المشركين من بني آدم.

﴿أشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يُخلَقُونَ﴾ يعني: الأوثان؛ كقوله:

﴿أتعبدون ما تنحتون﴾^(١) بأيديكم.

﴿ولا يستطيعون لهم نصراً...﴾ الآية.

يقول: ولا تنصر الأوثان أنفسها، ولا من عبدها.

﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ﴾^(١٩٣) إِنَّ

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ﴾^(١٩٤) أَلَمْ أَزْجُلْ يَمَشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أُنْبِئْ بِبِطْشُونَ بِهَا أَمْ لَمْ أَهْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ

بِهَا أَمْ لَمْ أَهْ أَذَاتٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ﴾^(١٩٥) إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ

= التفسير معروفان عند العلماء، والقرآن يشهد لأحدهما:

الأول: حواء كانت لا يعيش لها ولد، فحملت، فجاءها الشيطان، فقال لها: سمي هذا الولد عبد الحارث فإنه يعيش. والحارث من أسماء الشيطان، فسَمته عبد الحارث فقال تعالى: ﴿فلما أتاهما صالحا﴾ أي ولداً إنساناً ذكراً جعل له شركاء بتسميته عبد الحارث، وقد جاء بنحو هذا حديث مرفوع، وهو معلول كما أوضحه ابن كثير في تفسيره.

الوجه الثاني: أن معنى الآية أنه لما أتى آدم وحواء صالحاً كفر به بعد ذلك كثير من ذريتهما، وأسند فعل الذرية إلى آدم وحواء؛ لأنهما أصل لذريتهما كما قال: ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ أي: بتصورنا لأبيكم آدم؛ لأنه أصلهم بدليل قوله بعده: ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾، ويدل لهذا الوجه الأخير أنه تعالى قال بعده: ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون، وهذا نص قرآني صريح في أن المراد المشركون من بني آدم، لا آدم وحواء، واختار هذا الوجه غير واحد لدلالة القرآن عليه، وممن ذهب إليه الحسن البصري، واختاره ابن كثير - والعلم عند الله تعالى.

الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم﴾ أخبر بعلمه فيهم .

﴿إن الذين تدعون من دون الله عبادٌ أمثالكم﴾ أي : مخلوقون ﴿فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾ أنهم آلهة ﴿ألهم أرجلٌ . . .﴾ إلى قوله : ﴿يسمعون بها﴾ أي : أنه ليس لهم شيء من هذا ﴿قل ادعوا شركاءكم﴾ يعني : أوثانكم ﴿ثم كيدون فلا تنظرون﴾ أي : اجهدوا عليَّ جهدكم .
﴿إن وليي الله﴾ .

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَلِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِوْنَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَنِّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَقْرَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّا نِزْغَنَّاكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نِزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُفْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِنَايَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَيْفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾

﴿وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعون﴾ أي : سمع قبول ﴿وتراهم ينظرون إليك﴾ يعني : وهم لا يبصرون بقلوبهم .

﴿خذ العفو﴾ قال مجاهد: يقول: خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير [تحسُّس] ^(١).

قال محمد: العفو في كلام العرب: ما أتى بغير كُلفة ^(٢).
﴿وأمر بالعرف﴾ بالمعروف ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ يعني: المشركين.
وقوله: ﴿أعرض﴾ منسوخ، نسخهُ القتال ^(٣).
﴿وإما يترغّبك من الشيطان نزع﴾ قال الحسن: النزغ: الوسوسة.
قال محمد: وأصل النزغ: الحركة؛ تقول: قد نزغته؛ إذا حرّكته ^(٤).

﴿إن الذين اتقوا إذا مسَّهم طائف من الشيطان تذكروا﴾ قال الحسن: طائف من الطوفان؛ أي: يطوف عليهم بوساوسه؛ يأمرهم بالمعصية ﴿فإذا هم مبصرون﴾ أي: تأثبون من المعصية ﴿وإخوانهم﴾ يعني: إخوان المشركين من الشياطين ﴿يمدونهم﴾ (ل ١١٥) أي: يزيدونهم ﴿في الغي ثم لا يقصرون﴾ في هلكتهم.

قال محمد: هو من المدد الذي يمدونهم ﴿في الغي﴾: بأسباب الغي، يقال: [مددته] ^(٥) بالسلاح، وأمددته بكذا؛ لما يمدّه به. ولبعضهم يذكر الأموات:

- (١) في «ر»: تجسّس بالجيم المعجمة. وهما بمعنى واحد.
- (٢) لسان العرب (عفو).
- (٣) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/٣٠٨). وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة. اهـ وقال القرطبي في تفسيره (٧: ٣٤٧). وقال مجاهد وقتادة هي محكمة. وهو الصحيح. اهـ. وانظر تفسير الطبري (٩/١٥٤) ونواسخ القرآن (٤٠٦).
- (٤) لسان العرب (نزغ).
- (٥) في الأصل: أمددته - بهمة التغدية، والمراد أن (مدّ) و(أمدّ) بمعنى. ينظر: لسان العرب (مدد).

نمدهم كل يوم من بقيتنا ولا يثوب إلينا منهم أحد^(١).
﴿وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها﴾ أي: هلا جئت بها من عندك. قال
الله: ﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر﴾
يعني: القرآن.

قال محمد: واحد البصائر: بصيرة؛ وهي كلمة: تتصرف على وجوه،
وأصلها بيان الشيء وظهوره^(٢).
﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا﴾ قال الحسن: كانوا يتكلمون في
الصلاة حتى نزلت هذه الآية.

﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة﴾ أي: مخافة منه.
﴿ودون الجهر من القول بالغدو والآصال﴾ يعني: العشيات. وهذا حين
كانت الصلاة ركعتين غدوة، وركعتين عشية قيل أن تفرض الصلوات
الخمس.

﴿ولا تكن من الغافلين﴾ عن الله، وعن دينه .
﴿إن الذين عند ربك﴾ يعني: الملائكة ﴿لا يستكبرون عن عبادته
ويسبحونه وله يسجدون﴾.



(١) البيت من بحر البسيط ولم أجد له نسبة . ينظر: ديوان الحماسة (١/٣٦٩).
(٢) وأطلق على القرآن (بصائر) إما مبالغة، وإما لأنه سبب البصائر، وإما على حذف مضاف،
أي: ذو بصائر. ينظر: لسان العرب (بصر)، الدر المصون (٣/٣٩١).

تفسير سورة الأنفال وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾

قوله: ﴿يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول...﴾ الآية.

قال الكلبي: «بلغنا أن رسول الله ﷺ لما صاف^(١) المشركين يوم بدر، قال - ليحرض الناس على القتال - : إن الله وعدني أن يفتح لي بدرًا، وأن يغنمني عسكرهم؛ فمن قتل قتيلاً، فله كذا وكذا من غنيمتهم - إن شاء الله . فلما توافدوا أدخل الله في قلوب المشركين الرعب فانهمزموا، فأتبعهم سرعان^(٢) من الناس؛ فقتلوا سبعين، وغنموا العسكر وما فيه، وأقام وجوه الناس مع رسول الله في مصافه، فلم يشذ عنه منهم أحد، ثم قام أبو اليسر بن عمرو الأنصاري من بني سلمة، فكلم رسول الله، فقال: يا رسول الله، إنك وعدت من قتل قتيلاً أو أسر أسيراً من غنيمة القوم الذي وعدتهم، وإنا قتلنا سبعين، وأسروا سبعين. ثم قام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله، إنه ما منعنا أن نطلب كما طلب هؤلاء زهادة في الأجر، ولا جُبْنٌ عن العدو، ولكننا خفنا أن نعري صفك فتعطف عليك خيل المشركين. فأعرض عنهما رسول الله. ثم قال أبو اليسر مثل كلامه الأول، وعاد سعد فتكلم مثل كلامه الأول. وقال: يا رسول الله، الأسارى والقتلى كثير، والغنيمة قليلة، وإن تُعطِ هؤلاء

(١) أي: وقفوا صفوفًا مستعدين للقتال، ينظر لسان العرب (صفف).

(٢) سرعان الناس: أوائلهم المستبقون إلى الأمر، ينظر لسان العرب (سرع).

الذي ذكرت لهم، لم يبق لسائر أصحابك كبير شيء. فنزلت هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ فقسمه رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار^(١).

قال قتادة: والأنفال: الغنائم. ومعنى قوله: ﴿لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ يقول: ذلك كله لله، وجعل حكمه إلى رسوله.

قال محمد: واحد الأنفال: نَفْلٌ، ومنه قول لبيد:

إِنْ تَقَوَّى رَبَّنَا خَيْرَ نَفْلٍ وبإذن الله ربني وعَجَل^(٢)

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ

إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾

أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾
قوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: رقت مخافة

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٥٠/١ - ٢٥١) ومصنفه (٢٣٩/٥) رقم (٩٤٨٤) عن معمر عن الكلبي بنحوه.

وذكره البغوي في تفسيره (٣٢٣/٣) فقال: قال أهل التفسير... فذكره.

ورواه سفيان الثوري في تفسيره (١١٥) رقم (٢٩٥) وعنه عبد الرزاق في تفسيره (٢٤٩/١) -

(٢٥٠) ومصنفه (٢٣٩/٥) رقم (٩٤٨٣) وإسماعيل بن إسحاق - كما في تفسير القرطبي (٨/

٢) - وأبو نعيم في الحلية (١٠٢/٨ - ١٠٣) عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس موصلاً.

وقال أبو نعيم: مشهور من حديث الثوري.

ونسبه السيوطي في الدر المنثور (١٧٣/٣) لعبد بن حميد وابن مردويه أيضاً.

ووقع في هذه الرواية أن القائل «سعد بن عباد» بدل «سعد بن معاذ» وقد ساقه البغوي كسياق

المؤلف، وفيه «سعد بن معاذ» كما هنا، والله أعلم.

(٢) البيت من بحر المديد، ينظر: ديوان لبيد (١٣٩)، ومجاز القرآن (٢٤٠/١)، وتفسير الطبري

(٣٦٦/١٣).

عذابه ﴿وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ يعني: كلما نزل من القرآن شيء صدقوا به .

﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يعني: في الجنة على قدر أعمالهم .

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا بَيَّنَّ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ يقول: أخرجك من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى قتال أهل بدر.

﴿وإن فريقًا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق﴾ يعني: في القتال؛ ومعنى مجادلتهم: أنهم كانوا يريدون العير، ورسول الله يريد ذات الشوكة؛ هذا تفسير الحسن ﴿بعد ما تبين﴾ لهم، قال الحسن: يقول لهم بعد ما أخبرهم الله أنهم منصورون.

(ل١٦٦) ﴿كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون﴾ قال محمد: كانوا في خروجهم إلى القتال كأنما يساقون إلى الموت؛ لقلة عددهم وأنهم رجالة^(١). وروي أنه إنما كان فيهم فارسان فخافوا.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ

(١) واحدها: (راجل)؛ وهو الماشي على رجله، ويجمع (راجل) أيضًا على (رجال)، ينظر لسان العرب (رجل).

تكون لكم ﴿ ومعنى الشوكة: السلاح والحرب. قال قتادة: الطائفتان: إحداهما: أبو سفيان أقبل بالغير من الشام، والطائفة الأخرى: أبو جهل معه نفير قريش، فكره المسلمون القتال، وأحبوا أن يضموا العير، وأراد الله ما أراد^(١) ﴿ ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ﴾ يعني: بوعده الذي وعد بالنصر ﴿ ويقطع دابر الكافرين ﴾ يعني: أصل الكافرين.

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِئَةِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدَفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ ﴾ مقويكم ﴿ بِالْفِئَةِ ﴾ من الملائكة مردفين ﴿ يعني: متابعين؛ في تفسير قتادة، وقرأ مجاهد (مُردفين) بفتح الدال^(٢)؛ بمعنى: أن الله أردف المسلمين؛ أي: أمدهم.

قال محمد: ومن قرأ (مُردفين) بكسر الدال، فهو من قولهم: أزدفت الرجل؛ إذا جثت بعده؛ ومنه قول الشاعر:

إذا الجوزاء أزدفت الشرياً ظننتُ بآل فاطمة الظنوناً^(٣)

قوله: ﴿ وما جعله الله ﴾ يعني: المدد من الملائكة ﴿ إلا بشري ولتطمئن به قلوبكم ﴾ أي: تسكن.

(١) هناك حاشية على الأصل غير واضحة.

(٢) وهي قراءة نافع، أما قراءة الكسر؛ أي: كسر دال ﴿ مردفين ﴾ فهي قراءة الباقيين، أي: غير نافع. ينظر: السبعة (٣٠٤)، التيسير (١١٦)، النشر (٢/٢٧٥).

(٣) البيت من بحر الوافر، وهو لخزيمة بن مالك بن نهد، وفاطمة المذكورة في البيت هي فاطمة بنت يذكر بن عترة، أحد القارطين. ينظر: اللسان (ردف)، تفسير القرطبي (١٣/٢٣٠).

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمُ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ۝١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝١٣﴾ ذَلِكَكُمْ فَذُوقُوا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۝١٤﴾

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ...﴾ إلى قوله: ﴿سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ تفسير الكلبي: قال: «بلغنا أن المشركين سبقوا رسول الله إلى ماء بدر، فقدم رسول الله، فنزل حِيَالُهُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُم الْوَادِي، ونزل على غير ماء؛ فحذف الشيطان في قلوب المؤمنين أَمْرًا عَظِيمًا، فقال: زعمتم أنكم عباد الله، وعلى دين الله؛ وقد غلبكم المشركون على الماء، وأنتم تصلون مُحَدِّثِينَ مُجَنِّبِينَ، فأحب الله أن يذهب من قلوبهم رجز الشيطان، فغشى المؤمنين نَعَاسًا أَمَنَةً مِنْهُ، وأنزل من السماء ماءً ليطهرهم به من الأحداث والجنابة، ويذهب عنهم رجز الشيطان؛ ما كان قَذْفُهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وليربط على قلوبهم ويثبت به الْأَقْدَامَ، وكان بطن الوادي فيه رَمْلَةٌ تَغِيبُ فِيهَا الْأَقْدَامَ، فلما مَطَرَ الْوَادِي اشْتَدَّتِ الرَّمْلَةُ فَمَشَى عَلَيْهَا الرِّجَالُ، واتَّخَذَ رَسُولُ اللَّهِ حِيَاضًا عَلَى الْوَادِي، فشرب المسلمون منها، واستَقَوْا، ثُمَّ صَفُّوا، وأوحى ربك إلى الملائكة ﴿أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾»^(١).

﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ قال الحسن: يعني: فاضربوا الأعناق ﴿وَاضْرِبُوا

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٨٦/٣) لابن مردويه عن ابن عباس.

منهم كل بنان ﴿يعني: كل عضو﴾ ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ﴿قال قتادة: الشقاق: الفراق﴾ ذلكم فذوقوه ﴿يعني: القتل﴾ وأن للكافرين ﴿بعد القتل﴾ عذاب النار ﴿في الآخرة﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفًا﴾ قال محمد: الزحف جماعة يزحفون^(١) إلى عدوهم بمرة^(٢) - أي: ينقضون - وقد يكون الزحف مضدرًا من قولك: زحفت^(٣).

﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ أي: لا تنهزموا ﴿ومن يولوهم يومئذ دبره﴾ قال قتادة: يعني: يوم بدر ﴿إلا متحرفًا لقتال﴾ قال الحسن: يعني يدع موقف مكان لمكان ﴿أو متحيزًا إلى فئة﴾ أي: ينحاز إلى جماعة ﴿فقد باء بغضب من الله﴾ أي: استوجب.

قال محمد: يجوز أن يكون النصب في قوله: ﴿إلا متحرفًا لقتال﴾ على الحال^(٤)؛ أي: إلا أن يتحرف فلان بقتال، وكذلك ﴿أو متحيزًا﴾. ويجوز أن يكون النصب فيهما على الاستثناء^(٥)؛ أي: إلا رجلًا متحرفًا،

(١) وعليه فالزحف هنا تسمية بالمصدر، وجمعه: زحوف. لسان العرب (زحف).

(٢) أي: مرة واحدة على سبيل الفجأة.

(٣) يقال: زحفت أزحف زحفًا وزحوفًا وزحفًا. لسان العرب (زحف).

(٤) ينظر البحر المحيط (٤/٤٧٥).

(٥) أي: الاستثناء من المولين. وفي هذين الوجهين استطراد نحوي واسع. ينظر: البحر المحيط (٤/٤٧٥)، الدر المصون (٣/٤٠٨).

أو يكون منفردًا لينحاز فيكون مع المقاتلة. يقال: تحيَّزْتُ وتحوَّزْتُ، يعني: انحزْتُ^(١).

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن [...] ^(٢) «أن عمر بن الخطاب (ل) (١١٧) بلغه (قتل أبي عبيدة وأصحابه بالقادسية) ^(٣) قال: يرحم الله أبا عبيدة؛ لو انحاز إليّ لكنت له فئة» ^(٤).

يحيى: عن الربيع بن صُبَيْح، عن الحسن قال: «ليس الفرار من الزحف من الكبائر، إنما كان ذلك يوم بدر» ^(٥).

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِئْسَ

(١) التحيُّز والتحَوُّز هو الانضمام؛ ومنه: حُزْتُ الشيء إذا ضممته، ووزن (متحيَّز): متفعل لا متفعل؛ لأن أصله: متحيوز. ينظر: لسان العرب (حوز) (حيز)، الدر المصون (٣/٤٠٨).
(٢) طمس في الأصل.

(٣) كذا، والصواب قتل أبي عبيدة وأصحابه قبل القادسية، وهو أبو عبيد بن مسعود بن عمرو الثقفي - والد المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب - وكان قتله في موقعة شهيرة تسمى موقعة جسر أبي عبيد، وكانت قبل القادسية، انظر تاريخ الطبري (٣/٤٥٤ - ٤٥٩) والكامل لابن الأثير (٢/٢٨٦ - ٢٨٨) وغيرهما، وترجمة أبي عبيد في أسد الغابة (٦/٢٠٥).

(٤) روى ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/٧٣٣ رقم ٢) (٨/٨ رقم ٦) وابن المبارك في الجهاد (١٧٢) وابن الأثير في أسد الغابة (٦/٢٠٥) وغيرهم من طريق محمد بن سيرين قال: «لما بلغ عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قتل أبي عبيد، قال: إن كنت له لفئة لو انحاز إليّ».

(٥) رواه البغوي في مسند علي بن الجعد (٢/١١١٨ رقم ٣٢٨٦) والطبري في تفسيره (٩/٢٠٢) من طريق الربيع بن صبيح به.

قلت: ويعارضه قول النبي ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات».

رواه البخاري (٥/٤٦٧ رقم ٢٧٦٦) ومسلم (١/٩٢ رقم ٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر تفسير القرطبي (٧/٣٨٢ - ٣٨٣).

الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ۖ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدُ
الْكَافِرِينَ ﴿٨﴾ إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ
تَعُودُوا نَعُدُّ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فُتُوحُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ ۚ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩﴾

﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكنه الله رمى﴾ قال
الكلبي: «لما صاف رسول الله المشركين، دعا بقبضة من خضباء الوادي
وترابه، فرمى بها في وجوه المشركين، فملا الله منها وجوههم وأعينهم ترابا،
وقذف في قلوبهم الرعب فانهمزوا، وأتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم».
﴿وليليلي المؤمنين منه بلاء حسنًا﴾ ينعم على المؤمنين بقتلهم المشركين.
﴿ذلكم وأن الله موهن كيد^(١) الكافرين﴾ أي: مضعف.

﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾ قال الكلبي: بلغنا أن المشركين لما
صافوا رسول الله ﷺ يوم بدر قالوا: اللهم ربنا أيُّنا كان أحب إليك وأرضى
عندك فأنصره، فنصر الله نبيه، وقال: ﴿إن تستفتحوا﴾ يعني: تستنصروا
﴿فقد جاءكم الفتح﴾ النصر؛ يعني: أن الله قد نصر نبيه ﴿وإن تنتهوا﴾ يعني:
عن قتال محمد.

﴿فهو خير لكم وإن تعودوا نعد﴾ عليكم بالهزيمة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا

(١) هكذا ضبطت القراءة في الأصل؛ حيث قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ﴿موهن﴾ بسكون
الواو وتخفيف الهاء، أما قراءة ﴿موهن كيد﴾ بالإضافة فهي قراءة حفص عن عاصم، وقرأ
ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿موهن كيد الكافرين﴾ بفتح الواو وتشديد الهاء والتنوين، ونصب
(كيد).

تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمُّ
 الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ
 مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
 وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا
 تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

﴿ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون﴾ يعني: الحجة ﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون﴾ الهدى ﴿إن شر الدواب﴾ الخلق ﴿عند الله الصم﴾ عن الهدى فلا يسمعون ﴿البكم﴾ عنه فلا ينطقون به ﴿الذين لا يعقلون﴾ الهدى .

﴿ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ هي كقوله: ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ (١) .

﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ يريد: القرآن ﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ تفسير الضحاك بن مزاحم: يحول بين قلب المؤمن وبين معصيته، وبين قلب الكافر وبين طاعته .

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ أي: أنها إذا نزلت تعم الظالم وغيره . قال الحسن: خاطب بهذا أصحاب النبي ﷺ .

﴿وَأذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخطفَكُمُ النَّاسُ فَتَأْتِيَكُمْ
 وَيَدَكُم بِضُرٍّ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحُونُوا

اللَّهُ وَالرَّسُولَ وَتَحُونُوا أَمْنَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ
فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ
فُرْقَانًا وَيُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

﴿واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض﴾ أي: مهجورون في أرض
«مكة» ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ يعني: كفار أهل «مكة».

﴿فأواكم﴾ ضمكم إلى «المدنية» ﴿وأيدكم﴾ أعانكم على المشركين.
﴿ورزقكم من الطيبات﴾ يعني: الحلال من الرزق.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم﴾.

قال السدي: نزلت في رجل من أصحاب النبي أشار إلى بني قريظة بيده؛
ألا تنزلوا على الحكم، فكانت خيانة منه وذنباً ﴿وأنت تعلمون﴾ أنها خيانة
﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ بلية، ابتلاكم الله بها لتطيعوه فيما
ابتلاكم فيه.

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً﴾ قال السدي: يعني:
مخرجاً في الدين من الشبهة والضلالة.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ
وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذْ ثُلَّى عَلَيْهِمُ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ
هَذَا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا
مِنْ عِنْدِكَ فَامْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَتْ
اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾ الآية، قال الكلبي: بلغنا أن عصابة من قريش اجتمعوا في دار الندوة يمكرون بني الله، فدخل معهم إبليس عليه ثياب، له أظفار في صورة شيخ كبير، فجلس معهم، فقالوا: ما أدخلك في جماعتنا بغير إذننا؟ فقال لهم: أنا رجل من أهل «نجد» قدمت «مكة» فأحييت أن أسمع من حديثكم، وأقتبس منكم خيراً، ورأيت وجوهكم حسنة وريحكم طيبة؛ فإن أحببتم جلست معكم، وإذا كرهتم مجلسي (ل) (١١٨) خرجت. فقال بعضهم لبعض: هذا رجل من أهل نجد ليس من أهل تهامة، فلا بأس عليكم [منه] ^(١) تتكلموا بالمكر بيني الله، فقال البخترى بن هشام - أحد بني أسد ابن عبد العزى - : أما أنا فأرى لكم من الرأي أن تأخذوا محمداً، فتجعلوه في بيت، ثم تسدوا عليه بابه، وتجعلوا فيه كوة ^(٢) يدخل إليه منها طعامه وشرابه، ثم تذرّوه فيه حتى يموت، فقال القوم: نعم الرأي رأيت. فقال إبليس: بشس الرأي رأيتم، تعمدون إلى رجل له فيكم صغو ^(٣) وقد سمع به من حولكم فتحبسونه، وتطعمونه وتسقونه، فيوشك الصغو الذي له فيكم أن يقاتلوكم عليه فتفسد فيه جماعتكم، وتسفك فيه دماؤكم. فقالوا: صدق والله. ثم تكلم أبو الأسود - وهو هاشم بن عمير بن ربيعة أحد بني عامر بن لؤي - فقال: أما أنا، فأرى أن تحملوا محمداً على بعير، ثم تخرجوه من أرضكم فيذهب حيث شاء، ويليه غيركم. فقالوا: نعم الرأي رأيت. فقال إبليس: بشس الرأي رأيتم، تعمدون إلى رجل أفسد جماعتكم، واتبعته منكم

(١) طمس في الأصل.

(٢) الكوة والكوة: الفتحة أو الخرق في الجدار. والجمع: كَوَات وكَوَى. ينظر لسان العرب (كرو).

(٣) أي: يَضَعُ إليه الناس ويستمعون قوله. ينظر لسان العرب (صغو).

طائفة، فتخرجونه إلى غيركم، فيأتيهم فيفسدهم كما أفسدكم، يوشك والله أن يميل بهم عليكم. قالوا: صدق والله. ثم تكلم أبو جهل فقال: أما أنا فأرى من الرأي أن تأخذوا من كل بطن من قريش رجلاً، ثم تعطوا كل رجل منهم سيفاً فيأتونه [فيضربونه]^(١) جميعاً فلا يدري قومه من يأخذون به، وتودي قريش ديته. فقال إبليس: صدق والله هذا الشاب؛ إن الأمر لكما. قال: فاتفقوا على ذلك. فنزل جبريل على النبي ﷺ فأخبره، وأمره بالخروج. فخرج من ليلته إلى المدينة، فدخل الغار قال الله: ﴿ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

قال محمد: والمكر من الله: الجزاء والمثوبة؛ أن يجازيهم جزاء مكرهم. ومعنى: ﴿ليثبتوك﴾ أي: ليحبسوك، ومنه يقال: فلان مثبت وجعاً إذا منع من الحركة.

قوله: ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ قال الكلبي: لما قصَّ رسول الله على قومه شأن القرون الأولى، قال النضر بن الحارث - أحد بني عبد الدار - : لو شئت لقلت مثل هذا، إن هذا إلا أساطير الأولين: كذب الأولين وباطلهم. قال محمد: الأساطير: واحدها: أسطورة^(٢).

﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك﴾ أي: إن كان ما يقول محمد حقاً ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾.

قال محمد: القراءة على نصب: ﴿الحق﴾ على خبر كان^(٣)، ودخلت

(١) في الأصل: فيضربوه. والمثبت هو الصواب.

(٢) ويقال في واحدها أيضاً: إسطار، وإسطارة، وإسطير، وإسطيرة، وأسطور. لسان العرب (سطر).

(٣) وهي قراءة العامة. وقرأ الأعمش وزيد بن علي برفع (الحق) ينظر: البحر المحيط (٤/ ٤٨٨)، الدر المصون (٣/ ٤١٤).

(هو) للتوكيد^(١).

﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ قال الحسن: أي: حتى نخرجك من بين أظهرهم.

﴿وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ يقول: إن القوم لم يكونوا يستغفرون، ولو استغفروا الله لما عذبوا.

﴿وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾
 ﴿وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه﴾ زعم مشركو العرب أنهم أولياء المسجد الحرام، فقال الله: ﴿وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية﴾ قال الحسن: المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق؛ يقول: يفعلون ذلك مكان الصلاة.
 قال مجاهد: وكانوا يفعلونه ليعطلوا على النبي ﷺ الصلاة.
 ﴿فذوقوا العذاب﴾ يعني: القتل بالسيف قبل عذاب الآخرة ﴿بما كنتم تكفرون﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لِيَمِزَ اللَّهُ

(١) أي: ضمير فصل للتوكيد، وهو ما يسميه الكوفيون بالعماد. ينظر الكلام عليه من: الكتاب (٣٩٤/١ - ٣٩٥)، معاني القرآن للفراء (٤٠٩/١ - ٤١٠).

الْخَيْثَ مِنَ الطَّيْبِ وَيَجْعَلِ الْخَيْثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي
 جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ
 سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
 وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَاهَا اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ
 تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَانَكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَنْفِقُونَهَا...﴾
 الآية.

لما هزم رسول الله أهل بدر، رجعوا إلى مكة، فأخذوا ما جاءت به العير
 من الشام، فجهزوا به لقتال النبي، واستنصروا بقبائل من قبائل العرب،
 فأوحى الله إلى نبيه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ...﴾ إلى قوله:
 (١١٩) ﴿لِيُمِيزَ اللَّهُ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيْبِ﴾ يعني: نفقة المؤمنين من نفقة
 الكافرين ﴿وَيَجْعَلِ الْخَيْثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾
 معهم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ قال محمد: تقول: أَزْكُمُ الشَّيْءَ رَكْمًا؛ إِذَا
 جَعَلْتَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ، وَالرُّكَامُ الْأَسْمُ (١).

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا﴾ لقتال
 محمد ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَةُ الْأَوَّلِينَ﴾ بالقتل والاستئصال في قريش يوم بدر، وفي
 غيرهم من الأولين ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ شرك؛ وهذه في مشركي
 العرب خاصة ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ يعني: الإسلام.
 ﴿فَإِنْ آتَاهَا﴾ عن كفرهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(١) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (ركم).

﴿وإن تولوا﴾ يعني: أبوا إلا القتال ﴿فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير﴾.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّلَاقِ أَتَجْمَعُونَ لِلَّهِ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدِّينِ وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَخَتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ قال الحسن: هذا عند القتال ما غنموا من شيء، فله خمسة يُرفعُ الخمس فيرده الله على الرسول، وعلى قرابة الرسول وعلى اليتامى والمساكين وابن السبيل؛ ذلك لهم على قدر ما يصلحهم، ليس لذلك وقت. وأربعة أخماس لمن قاتل عليه.

قال محمد: ذكر يحيى في قسمة الخمس اختلافاً؛ ولهذا موضعه من كتب الفقه.

﴿إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان﴾ قال قتادة ومجاهد: هو يوم بدر فرّق الله فيه بين الحق والباطل؛ فنصر الله نبيه، وهزم عدوّه ﴿يوم التقي الجمعان﴾ جمع المؤمنين، وجمع المشركين. ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى﴾.

قال قتادة: العدوتان: شفير الوادي؛ كان المسلمون بأعلاه، والمشركون

بأسفله ﴿والركب أسفل منكم﴾ قال الكلبي: يعني: أبا سفيان والعيبر؛ كان أبو سفيان والعيبر أسفل من الوادي - زعموا بثلاثة أميال - في طريق الساحل لا يعلم المشركون مكان عيرهم، ولا يعلم أصحاب العير مكان المشركين.

قال محمد: القراءة (أسفل) بالنصب^(١)؛ على معنى: والركب مكاناً أسفل منكم^(٢).

﴿ولو تواعدتم﴾ أنتم والمشركون ﴿لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولاً﴾ أي: فيه نصركم، والنعمة عليكم ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾ يعني: بعد الحجّة.

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُمْ عَلَيْكَ يَذَاتُ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَالُ لَكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لَيَقْبِضَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ بَيَّأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ قال الكلبي: «إن رسول الله ﷺ لما سار إلى بدر، وأخبره الله بسير المشركين، أراه المشركين في منامه قليلاً، فقال رسول الله: أبشروا؛ فإن الله أراني المشركين في منامي قليلاً».

(١) وهي قراءة العامة. وقرأ زيد بن علي (أسفل) بالرفع؛ وذلك على سبيل الاتساع في الظرف. ينظر: البحر المحيط (٥٠٠/٤)، الدر المصون (٤٢٣/٣).

(٢) أي أن (أسفل) صفة موصوف محذوف، وأقيمت صفته مقامه، فانتصب (أسفل) على الظرف. كشف المشكلات (١/ ٥٠١ - ٥٠٢).

﴿ولو أراهم كثيرًا لفشلتهم﴾ أي: لجبئتم ﴿ولتنازعتم في الأمر﴾ أي: اختلفتم في أمر الله ورسوله ﴿ولكن الله سلم﴾ من ذلك.

﴿إنه﴾ ^(١) إن الله ﴿عليه بذات الصدور﴾ أي: بما فيها، يقول: من علمه بما في صدوركم قللهم في أعينكم، وأذهب الخوف الذي كان في صدوركم.

﴿وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا ويقللكم في أعينهم﴾ قال الكلبي: إن المسلمين لما عاينوا المشركين يوم بدر رأوهم قليلًا؛ فصدقوا رؤيا رسول الله، وقلل الله المسلمين في أعين المشركين، فاجترأ المؤمنون على المشركين، واجترأ المشركون على المؤمنين ﴿ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا﴾ أي: فيه نصركم.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ يعني: من المشركين ﴿فاثبتوا﴾ في صفوفكم. ﴿واذكروا الله كثيرًا﴾ قال قتادة: افترض الله ذكره عند الضراب بالسيوف.

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ ^(٤٦) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيعَةً النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ^(٤٧) وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفُتَيَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ^(٤٨)

(١) ليست في الأصل.

﴿ولا تنازعوا﴾ أي: لا تختلفوا ﴿فتفشلوا﴾ أي: تَجِبُوا. ﴿وتذهب ربحكم﴾ أي: نصركم ..

(ل ١٢٠) ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس...﴾ إلى قوله: ﴿والله شديد العقاب﴾ قال الكلبي: إن المشركين لما خرجوا من «مكة» إلى بدر أتاهم الخبر وهم بالجُحفة قبل أن يصلوا إلى بدر أن غيرهم قد نجت، فأراد القوم الرجوع، فأتاهم إبليس في صورة سُرَاقَة بن مالك بن جُعْشَم، فقال: يا قوم، لا ترجعوا حتى تستأصلوهم؛ فإنكم كثير، وعدوكم قليل فتأمن غيركم، وأنا جارٌ لكم على بني كنانة، ألا تمرؤا بحي من بني كنانة إلا أمدكم بالخيـل والرجال والسلاح. فمضوا كما أمرهم للذي أراد الله من هلاكهم، فالتقوا هم والمسلمون ببدر، فنزلت الملائكة مع المسلمين في صف، وإبليس في صف المشركين في صورة سُرَاقَة بن مالك فلما نظر إبليس إلى الملائكة نكص على عقبيه، وأخذ الحارث بن هشام المخزومي بيده، فقال: يا سُرَاقَة، على هذه الحال تخذلنا؟! قال: إني أرى ما لا ترون؛ إني أخاف الله والله شديد العقاب. فقال له الحارث: ألا كان هذا القول أُمس؟ فلما رأى إبليس أن القوم قد أقبلوا إليهم دفع في صدر الحارث فخرًا، وانطلق إبليس وانهزم المشركون، فلما قدموا مكة قالوا: إنما انهزم بالناس سُرَاقَة ونقض الصف، فبلغ ذلك سُرَاقَة، فقدم عليهم مكة، فقال: بلغني أنكم تزعمون أنني انهزمت بالناس! فوالذي يحلف به سُرَاقَة، ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم. فجعلوا يذكرونه؛ أما أتيتنا يوم كذا، وقلت لنا كذا. فجعل يحلف، فلما أسلموا علموا أنه الشيطان.

قال الكلبي: وكان صادقًا في قوله: ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ وأما قوله:

﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ فكذب .

﴿إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾

﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أي : شك ﴿غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾ قال الكلبي : بلغنا أن المشركين لما نفروا من «مكة» إلى بدر، نفر معهم أناسٌ قد كانوا تكلموا بالإسلام، فلما رأوا قلة المؤمنين، ارتابوا ونافقوا وقاتلوا مع المشركين، وقالوا : ﴿غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ﴾ يعنون : المؤمنين . قال الله : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في نقمته ﴿حَكِيمٌ﴾ في أمره .

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ قال الضحاك بن مزاحم : هذا يوم بدر .

﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ يعني : كفعل . قال الحسن : فيها إضممار : فعلوا كفعل آل فرعون ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الكفار ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ .

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُعْزِبُوا مَا بِيَدِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ

كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْزٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَتَّقَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَإِنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْرِضُونَ ﴿٥٩﴾

﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾
يعني: إذا جحدوا الرسل، أهلكهم الله.

﴿إن شر الدواب عند الله﴾ يعني: الخلق عند الله ﴿الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾ هؤلاء الذين يموتون على كفرهم ﴿الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة﴾.

قال الكلبي: هؤلاء قوم ممن كان وادع رسول الله ﷺ وكانوا ينقضون العهد، فأمر الله فيهم بأمره، فقال: ﴿فإنما تتقنهم في الحرب﴾ أي: تظفر بهم.

﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ أي: فعظ بهم من سواهم ﴿لعلهم يذكرون﴾ يقول: لعلهم يؤمنون؛ مخافة أن يتزل بهم ما نزل بالذين نقضوا العهد ﴿وإنما تخافن﴾ أي: تعلمن ﴿من قوم خيانة﴾ يعني: نقضاً للعهد ﴿فانبذ إليهم على سواء﴾ أي: أعلمهم أنك حرب، ويكون الكفار كلهم عندك سواء ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ لا يعينهم إذا نقضوا العهد.

﴿ولا تحسبن﴾^(١) الذين كفروا سبقوا﴾ أي: فاتوا. ثم ابتدا وقال: ﴿إنهم لا

(١) قرأ ابن عامر وحفص وحزمة ﴿يحسبن﴾ بالياء، والباقون ﴿تحسبن﴾ بالتاء. النشر (٢/٢٧٧)
وتفسير القرطبي (٨/٢٣) وإتحاف الفضلاء (٢٩٩).

يعجزون ﴿ لا يفوتون الله حتى لا يقدر عليهم .

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظْلُمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾

﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ قال زيد بن أسلم: القوة ها هنا: القتل ﴿ومن رباط الخيل ترهبون به﴾ أي: تخيفون ﴿عدو الله وعدوكم﴾ .

يحيى: عن [...] ^(١) عن سليمان بن عبد الرحمن (ل ١٢١) الدمشقي، عن القاسم مولى عبد الرحمن، عن عمرو بن عبسة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رمى العدو بسهم فبلغ سهمه؛ أصاب العدو أو أخطأ - فهو كعتق رقبة» ^(٢) .

يحيى: عن المعلّى، عن عمرو بن عبد الله، عن مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «من ارتبط فرساً في سبيل الله، فهو كالباسط يده بالصدقة» ^(٣) .

(١) طمس في «الأصل» .

(٢) رواه ابن ماجه (٢/ ٩٤٠ رقم ٢٨١٢) والحاكم (٢/ ٩٦) والبيهقي في السنن (٩/ ١٦٢) من طريق ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن سليمان بن عبد الرحمن به، أخرجه الحاكم شاهداً. وللحديث طرق أخرى.

(٣) رواه ابن حبان (١٠/ ٥٣٠ رقم ٤٦٧٤) والطبراني في الكبير (٢٢ / ٣٣٩ رقم ٨٤٩) وأبو عوانة (٤/ ٤٤٩ رقم ٧٢٩٤) والحاكم (٢/ ٩١) عن أبي كبشة الأنماري بنحوه، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه الزيادة ورواه الإمام أحمد (٤/ ١٧٩ - ١٨٠) وأبو داود (٤/ ٤١٥ - ٤١٦ رقم ٤٠٨٦) والطبراني في الكبير (٦/ ٩٤ - ٩٥ رقم ٥٦١٦ ، ٥٦١٧) والحاكم (٢/ ٩١ - ٩٢) عن سهل ابن الحنظلية بنحوه، أخرجه الحاكم شاهداً .

﴿وآخرين من دونهم﴾ من دون المشركين؛ يعني: المنافقين ﴿لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾.

قال محمد: (وآخرين) عطف على: ﴿ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾ وترهبون به آخرين من دونهم^(١).

﴿وإن جنحوا﴾ مالوا ﴿للسلم فاجنح لها﴾.

قال محمد: السلم ها هنا: الصلح؛ ومنه قول الشاعر:

السلم تأخذ منها ما رضىت به

والحرب يكفيك من أنفاسها جُرْع^(٢)

﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾

وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ

أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

قوله: ﴿وإن يريدوا أن يخدعوك﴾ قال الحسن: يعني: المشركين، يقول:

إن هم أظهروا لك الإيمان وأسروا الكفر؛ ليخدعوك بذلك؛ لتعطيهم حقوق

المؤمنين، وتكف عن دماءهم وأموالهم ﴿فإن حسبك الله هو الذي آتاك

أعانك﴾ بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم﴾ يعني: المؤمنين ﴿لو أنفقت ما

= وروى ابن حبان (٥٣٠/١٠) رقم (٤٦٧٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل المتفق على الخيل كالمثقف بالصدقة» فسنل معمر: ما المثقف بالصدقة؟ قال: الذي يعطى بكفيه.

(١) البحر المحيط (٥١٣/٤)، الدر المصون (٤٣٢/٣).

(٢) البيت لعباس بن مرداس، وهو من بحر البسيط. ينظر: خزانة الأدب (١٨/٤) حاشية يس

(٢٨٦/٢)، البحر المحيط (١٢٠/٢).

في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴿ يعني: أنهم كانوا أهل جاهلية يقتل بعضهم بعضاً متعادين؛ فألف الله بين قلوبهم حتى تحابوا، وذهبت الضغائن التي كانت بينهم بالإسلام.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ٦٥﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٦٦﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُشْرِكَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٦٧﴾ لَوْلَا كَتَبَ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٦٨﴾ فَكُلُوا مِنَّمَا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَنفِقُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ٦٩﴾

﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ أي: وحسب من اتبعك.

﴿يا أيها النبي حرّض المؤمنين﴾ حُثِّمُهُم ﴿على القتال﴾ بما وعد الله الشهداء والمجاهدين.

قال محمد: التحريض في اللغة: أن يحث الإنسان على الشيء حتى يعلم منه أنه حارّض إن تخلف عنه، والحارّض: الذي قد قارب الهلاك^(١).

﴿إن يكن منكم عشرون صابرون...﴾ إلى قوله: ﴿والله مع الصابرين﴾ قال الحسن: كان الله قد فرض على المسلمين في هذه الآية أن يصبروا لعشرة

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (حرّض).

أمثالهم، ثم نسخها ﴿الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفًا فإن تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله﴾ فأمر الله المسلمين أن يصبروا لمثلهم؛ إذا لقوهم فلم يقبض رسول الله ﷺ حتى أظهر الله الدين وأعزه، وصار الجهاد تطوعًا.

قال ابن عباس: «فَمَنْ فَرَّ مِنْ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَمْ يَفِرَّ، وَمَنْ فَرَّ مِنْ اثْنَيْنِ فَقَدْ فَرَّ، وَلَا يَنْبَغِي لِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَفِرَّ مِنْ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ». ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض...﴾ إلى قوله: ﴿عذاب عظيم﴾.

قال الكلبي: يقول: ما كان لنبي قبلك يا محمد أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ﴿تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة﴾ كان هذا في أسرى بدر، يقول: فأخذتم الفداء من الأسرى في أول وقعة كانت في المشركين من قبل أن تثخنوا في الأرض.

قال الحسن: ولم يكن أوحى إلى النبي في ذلك شيء؛ فاستشار المسلمين، فأجمعوا رأيهم على قبول الفداء. قال محمد: الإثخان في الشيء (قوة) (١) الشيء (٢)، ومعنى يثخن في الأرض أي يتمكن (٣).

﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ أنكم أنتم الذين تأكلون الغنائم. ﴿لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ قال قتادة: لم تحل الغنيمة إلا لهذه

(١) هكذا في الأصل، ولعل الصواب: تقوية.

(٢) وهو مأخوذ من ثَخُنَ يَثْخُنُ ثُخُونًا وَثَخَانَةً؛ أي: غَلِظَ وَصَلَبَ. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (ثخن).

(٣) ويقال: أثخن في الأرض: بالغ في قتل أعدائه. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (ثخن).

الامة؛ كانت تجمع فتزل عليها النار من السماء فتأكلها.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٥﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾

﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾ يعني: إسلاماً ﴿يؤتكم خيراً﴾ (١٢٢) (١) أسروا يوم بدر ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ يعني: فقد كفروا بالله من قبل ﴿فأمكن منهم﴾ حتى صاروا أسرى في بدر .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنَ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا وهاجروا﴾ إلى «المدينة» يعني: المهاجرين ﴿والذين آووا ونصروا﴾ يعني: الأنصار؛ آووا المهاجرين، ونصروا الله ورسوله ﴿أولئك

بعضهم أولياء بعض ﴿ يعني: المهاجرين والأنصار.

﴿والذين آمنوا [ولم يهاجروا]﴾^(١) ما لكم من ولايتهم من شيء ﴿ يعني: في الدين ﴾ حتى يهاجروا ﴿ قال قتادة: نزلت هذه الآية، فتوارث المسلمون بالهجرة زماناً، وكان لا يرث الأعرابي المسلم من قريبه المهاجر المسلم شيئاً، ثم نسخ ذلك في سورة الأحزاب؛ فقال: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾^(٢) فخلط الله المسلمين بعضهم ببعض، وصارت الموارث بالملل^(٣).

﴿وإن استنصروكم في الدين﴾ يعني: الأعراب ﴿فعليكم النصر﴾ لهم؛ لحرمة الإسلام.

﴿إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ يعني: أهل المودعة والعهد من مشركي العرب. قال قتادة: نهى المسلمون عن نقض ميثاقهم.

﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ نزلت حين أمر النبي بقتال المشركين كافة، وكان قوم من المشركين بين رسول الله وبين قريش؛ فإذا أرادهم رسول الله قالوا: ما تريد منا ونحن [...] ^(٤) عنكم وقد نرى ناركم؟ وكان أهل الجاهلية يعظمون النار؛ لحرمة قرب الجوار؛ لأنهم إذا رأوا نارهم فهم جيرانهم، وإذا أرادهم المشركون قالوا: ما تريدون منا ونحن على دينكم؟ فأنزل الله: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ أي: فالحقوا المشركين

(١) سقط من الأصل.

(٢) الأحزاب: ٦.

(٣) أي المسلمين يرث بعضهم بعضاً فيتوارث الأعراب والمهاجرون، ولا يتوارث أهل ملتين. وأثر قتاده رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٦٢/١) والطبري (٥٣/١٠، ٥٤) وغيرهما.

(٤) طمس في الأصل.

بعضهم ببعض حتى يكون حكمكم فيهم واحداً.

﴿إلا تفعلوه تكن فتنة﴾ أي: شرك ﴿في الأرض وفساد كبير﴾ لأن الشرك إذا كان في الأرض فهو فساد كبير.

﴿والذين آمنوا من بعد﴾ يعني: من بعد فتح «مكة» وبعد ما انقطعت الهجرة وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم».

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن أبي الزبير، عن طاوس «أن صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل قدموا المدينة؛ فقال لهم النبي: ما جاء بكم؟ فقالوا: سمعنا أنه لا إيمان لمن لم يهاجر، فقال: إن الهجرة قد انقطعت، ولكن جهاد ونية حسنة. ثم قال لصفوان بن أمية: أقسمت عليك أبا وهب لترجعن إلى أباطيح مكة»^(١).

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ قال محمد: أي: في فرض الله؛ ذكره بعض المفسرين.

﴿إن الله بكل شيء عليم﴾.

سعيد، عن قتادة؛ أن أبا بكر الصديق قال: «إن هذه الآية التي ختم الله بها سورة الأنفال هي فيما جرّت الرحم من العصبه».

قال محمد: ﴿أولو الأرحام﴾ واجدُهُم: (ذو) من غير لفظه^(٢).



(١) رواه سعيد بن منصور في سننه (١٣٧/٢) رقم (٢٣٥٢) عن عمرو بن دينار عن طاوس بنحوه.

(٢) حيث إن (أولي) مُلحقة بجمع المذكر السالم. ويجمع (ذو) على (ذوون). ينظر: شذا العرف (٧١)، لسان العرب (ذو).

تفسير سورة براءة وهي مدنية كلها

قال يحيى: وحديثي أبو الجراح المهري، عن عوف، عن يزيد الفارسي، عن ابن عباس قال: «قلت لعثمان بن عفان: كيف جعلتم الأنفال وهي من المثين مع براءة وهي من الطوال، ولم تكتبوا بينهما سطر «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال: إن رسول الله ﷺ كانت تنزل عليه الثلاث الآيات والأربع الآيات، وأقل من ذلك وأكثر؛ فيقول: اجعلوا آية كذا وكذا في سورة كذا وكذا من موضع كذا وكذا. وإنه قبض ولم يقل لنا في الأنفال شيئاً، ونظرنا فرأينا قصصهما متشابهاً، فجعلناها معها ولم نكتب بينهما سطر: بسم الله الرحمن الرحيم» (١).

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۖ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ۖ﴾ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ

(١) رواه الإمام أحمد (٥٧/١، ٦٩) وأبو داود (٥٠٨/١ - ٥٠٩ رقم ٧٨٢، ٧٨٣) والنسائي في الكبرى (١٠/٥ رقم ٨٠٠٧) والترمذي (٢٥٤/٥ رقم ٣٠٨٦) وابن أبي داود في المصاحف (٣٩ - ٤٠) - ومن طريقه الضياء في المختارة (٤٩٤/١ - ٤٩٥ رقم ٣٦٥، ٣٦٦) - وابن حبان (٢٣٠/١ - ٢٣١ رقم ٤٣) والحاكم (٢٢١/٢، ٣٣٠) والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢٠١/١ - ٢٠٢) والبخاري في مسنده (٨/٢ رقم ٣٤٤) والبيهقي في السنن (٤٢/٢) وفي الدلائل (١٥٢/٧ - ١٥٣) من طرق عن عوف الأعرابي به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم في الموضع الأول: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وقال في الموضع الثاني: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن رسول الله ﷺ إلا من هذا الوجه، ولا نعلم

رواه عن رسول الله ﷺ إلا عثمان، ولا روى ابن عباس عن عثمان إلا هذا الحديث.

لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا لَلِئِهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤﴾

(١٢٣) قوله: ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ يقول لنبي الله وأصحابه: براءة العهد الذي كان بين رسول الله وبين مشركي العرب ﴿فسيحوا في الأرض﴾ أي: اذهبوا ﴿أربعة أشهر﴾ يقول لأهل العهد من المشركين ﴿واعلموا أنكم غير معجزى الله﴾ سابقي الله حتى لا يقدر عليكم ﴿وأن الله مخزي الكافرين﴾.

﴿وأذان من الله ورسوله﴾ أي: وإعلام من الله ورسوله.

﴿إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ وهو يوم النحر ﴿أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾ إن لم يؤمنوا.

تفسير مجاهد: أقبل رسول الله من تبوك حين فرغ منها؛ فأراد أن يحج. ثم قال: إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة، ولا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك. فأرسل أبا بكر وعليًا فطافا في الناس بذي المجاز، وبأمكنهم التي كانوا يتبايعون فيها، وبالموسم كله، فأذنوا أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة [أشهر]^(١) من يوم النحر إلى عشر ليال يمضين من شهر ربيع الآخر، ثم لا عهد.

وقال قتادة: إن أبا بكر أمر على الحاج يومئذ، ونادى عليّ فيه بالأذان، وكان عامًا حج فيه المسلمون والمشركون.

(١) سقط من الأصل.

وقال الحسن: كان النبي قد أمر أبا بكر أن يؤذن الناس بالبراءة، فلما مضى دعاه، فقال: إنه لا يبلغ عني في هذا الأمر إلا من هو من أهل بيتي^(١).

قال محمد: قال بعض العلماء: إنما أمر النبي ﷺ عليًا بذلك دون أبي بكر؛ لأن العرب كانت جرت عاداتهم في عقد عهودها لو نقضتها أن يتولّى ذلك على القبيلة رجلٌ منها، فكان جائزًا أن تقول العرب: [إذن عليك]^(٢) نقض العهود من الرسول، هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود؛ فأزاح ﷺ العلة، وكان هذا في سنة تسع من الهجرة، بعد افتتاح مكة بسنة.

قال محمد: قوله: ﴿براءة﴾ يجوز الرفع فيها على وجهين: أحدهما: على خبر الابتداء؛ على معنى هذه الآيات: ﴿براءة من الله ورسوله﴾.

وعلى الابتداء، ويكون الخبر ﴿إلا الذين عاهدتم﴾^(٣). قوله: ﴿فإن تبتم﴾ يقول للمشرّكين: فإن تبتم من الشرك ﴿فهو خير لكم وإن توليتم﴾ عن الله ورسوله.

﴿فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾ يعني: القتل قبل عذاب الآخرة، ثم رجع إلى قصة أصحاب العهد؛ فقال: ﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً﴾ أي: لم يضرّوكم ﴿ولم يظاهروا﴾ يعاونوا ﴿عليكم أحدًا﴾ من المشركين ﴿فأتوا إليهم عهدهم إلى مدّتهم﴾.

(١) ورد عن أنس وعلي وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، انظر الدر المنثور (٣/٢٢٦ - ٢٢٨).

(٢) هكذا بالأصل.

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٣/٢)، البحر المحيط (٥/٤ - ٦)، معاني القرآن للفراء (١/٤٢٠).

﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ
اتَّبِعْهُ بِمَأْمُورٍ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ قال الحسن: رجع إلى قصة أصحاب العهد، والأشهر الحرم في هذا الموضع: هي الأشهر التي أجلوا آخر عشر ليالٍ يمتد من شهر ربيع الآخر، وسماها حرماً؛ لأنه نهى عن قتالهم فيها وحرمة.

﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مَرْصِدٍ﴾ يعني: على كل طريق تأمرون بقتالهم في الحل والحرم وعند البيت.

قال محمد: قوله: ﴿وخذوهم﴾ معناه: وأسروهم؛ يقال للأسير: أخِذْ، ومعنى ﴿واحصروهم﴾: احبسوهم؛ الحَصْرُ: الحبس^(١).

﴿فإن تابوا﴾ يعني: من الشرك ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ يعني: أقروا بها ﴿فخلوا سبيلهم﴾.

﴿وإن أحد من المشركين استجارك﴾ ليسمع كلام الله ﴿فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ فإن أسلم أسلم، وإن أبى أن يسلم فأبلغه ﴿بمأمنه﴾ أي: لا تحركه حتى يبلغ مأمنه.

قال الحسن: هي مُحْكَمَةٌ إلى يوم القيامة.

(١) لسان العرب (أخذ)، (حصر).

﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ
عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾
كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى
قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِعَايِنَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ
إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَتُفْصِلُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند
المسجد الحرام﴾ أي: ليس العهد إلا لهؤلاء الذين لم ينكثوا.
﴿فما استقاموا لكم﴾ على العهد ﴿فاستقيموا لهم﴾ عليه.
﴿إن الله يحب المتقين﴾.

﴿كيف وإن يظهروا عليكم﴾ (١٢٤) أي: كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله، وإن يظهروا عليكم ﴿لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة﴾
الإل: الجوار، والذمة: العهد ﴿اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا﴾ يريد: متاع
الدنيا ﴿فصدوا عن سبيله﴾.

﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقللوا أيمه الكفر﴾
إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقْلُبُونَ قَوْمًا نَكثُوا أَيْمَانَهُمْ
وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّوْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ اتَّخَذْتَهُمْ فُلُوكَ أَنَّ تَخْشَوْهُ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم...﴾ إلى قوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ تفسير الكلبي: أن رسول الله ﷺ كان وادع أهل مكة سنة؛ وهو يومئذ بالحديبية، فحبسوه عن البيت، ثم صالحوه؛ على أنك ترجع عامك هذا ولا تطأ بلدنا، ولا تنحر البدن من أرضنا، وأن نخليها لك عامًا قابلاً ثلاثة أيام، ولا تأتينا بالسلاح إلا سلاحًا تجعلها في قِراب^(١) وأنه من صبا منا إليك فهو إلينا ردًّا. فصالحهم رسول الله على ذلك، فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا، ثم إن حلفاء رسول الله من خِزاعة قاتلوا حلفاء بني أمية من بني كنانة؛ فأمدت بنو أمية حلفاءهم بالسلاح والطعام، فركب ثلاثون رجلًا من حلفاء رسول الله من خِزاعة فيهم بديل بن ورقاء، فناشدوا رسول الله الحلف، فأمر رسول الله ﷺ أن يعين حلفاءه وأنزل الله على نبيه: ﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم﴾: لا عهد لهم ﴿لعلهم يتتهون﴾.

﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم﴾ نكثوا عهدهم ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾ قال الحسن: من المدينة ﴿وهم بدءوكم أول مرة﴾ فاستحلوا قتال حلفائكم ﴿أتخشونهم﴾ على الاستفهام؛ فلا تقاتلونهم ﴿فألا أحق﴾ أولى ﴿أن تخشوه﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿يعني﴾: إذا كنتم مؤمنين.

﴿قَتَلُوهُمْ يَعْذِبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّمُ عَلَيْهِمْ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ وَيَذْهَبُ غَيْظُ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا

(١) هو غمد السيف ونحوه. والجمع: قُرْب وأقربة. لسان العرب (قرب).

رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ يعني: القتل ﴿ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم﴾ والقوم المؤمنون الذين شفى الله صدورهم : حلفاء رسول الله من مؤمني خزاعة، فأصابوا يومئذ وهو يوم فتح مكة مقيس بن صبابه في خمسين رجلاً من قومه ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ ليس بجواب لقوله: ﴿قاتلوهم﴾ ولكنه مستأنف^(١).

قوله: ﴿أم حسبتم أن تركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ . قال محمد: قد علم الله قبل أمرهم بالقتال من يقاتل ممن لا يقاتل، لكنه كان يعلم ذلك غيباً؛ فأراد الله العلم الذي يجازي عليه، وتقوم به الحجة؛ وهو علم الفعال.

﴿ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ ببطانة . قال محمد: ﴿وليجة﴾ مأخوذة من: الولوج^(٢)؛ وهو أن يتخذ رجل من المسلمين دخیلاً من المشركين وخليطاً.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾

(١) ينظر: البحر (١٧/٥)، الدر المصون (٤٥٢/٣).

(٢) وتجمع (وليجة) على: (ولائج) ينظر: لسان العرب (ولج).

هذا حين نفي المشركون عن المسجد الحرام.

قال محمد: ﴿شاهدين﴾ حال؛ المعنى: ما كانت لهم عمارة المسجد في حال إقرارهم بالكفر.

﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر...﴾ الآية و﴿عسى﴾ من الله واجبة.

﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام﴾ قال مجاهد: أمروا بالهجرة، فقال عباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا حاجب الكعبة؛ فلا نهاجر. فنزلت هذه الآية إلى قوله: ﴿إن الله عنده أجرٌ عظيم﴾ وكان هذا قبل فتح مكة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبِغَارٌ تَحْشُونَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْفِكَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان...﴾.

﴿فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ قال مجاهد: يعني: فتح مكة.
 ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ المشركين الذين يموتون على شركهم.
 ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَرِّبِينَ﴾
 ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَيِّئَتَهُ عَلَى رُسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَّا تَرَوُهَا وَعَذَبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾

﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة﴾ يعني: يوم بدر، والأيام التي نصر الله فيها النبي والمؤمنين.

﴿ويوم حنين﴾ أي: وفي يوم (١٢٥هـ) حنين نصركم الله فيه ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا...﴾ الآية، وذلك أن رسول الله لما ذهب إلى حنين بعد فتح مكة، فلقي بها جمع هوازن وثقيف، وهم قريب من أربعة آلاف، ورسول الله - فيما ذكر بعضهم - في اثني عشر ألفاً، فلما التقوا قال رجل من أصحاب رسول الله: لن تغلب اليوم من قلة. فوجد^(١) رسول الله ﷺ من كلمته وجداً شديداً، وخرجت هوازن ومعها دُرَيْدُ بْنُ الصُّمَّةِ^(٢) وهو

(١) وجد: أي: حزن وغضب، لسان العرب (وجد).

(٢) هو: دريد بن الصمة الجشمي البكري من هوازن، من المعمرين في الجاهلية، وقتل مشركاً يوم حنين، في العام الثامن للهجرة. ينظر: الأعلام (٢/٣٣٩).

شيخ كبير. فقال دريد: يا معشر هوازن، أمعكم من بني كلاب أحد؟ قالوا: لا. قال: أفمن بني كعب أحد؟ قالوا: لا. قال: أفمن بني عامر أحد؟ قالوا: لا. قال: أما والله أن لو كان خيرًا ما سبقتموهم إليه؛ فأطيعوني فارجعوا. فَعَصَوْهُ، فاقتتلوا فانهمزم أصحاب رسول الله^(١) قال رسول الله ﷺ: إليَّ عباد الله. وأخذ العباس بشعر بغلة^(٢) رسول الله، ثم نادى: يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة، ويا معشر الأنصار الذين آووا ونصروا؛ إن هذا رسول الله ﷺ هلُمَّ لكم، وكان العباس رجلًا صَيِّتًا؛ فَاسْمَعَ الفريقين كليهما فأقبلوا، فأما المؤمنون فأقبلوا لنصر الله ورسوله، وأما المشركون فأقبلوا ليطفئوا نور الله، فالتقوا عند رسول الله ﷺ فاقتتلوا قتالًا شديدًا ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ يعني: الملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وهو القتل قبل عذاب الآخرة.

﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٢٨﴾ فَنِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ﴿٢٩﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ أي: قذر.

(١) وضع بعدها الناسخ بعدها علامة إلحاق، ولم يظهر بالحاشية شيء.

(٢) الثَّغْر: الفم والأسنان، والثَّغْرَة: نُقْرَة النحر. لسان العرب (نغر).

قال محمدٌ: يقال لكل مستقذرٍ: نجس، فإذا ذكرت الرُّجسَ، قلت: هو رجسٌ نجسٌ^(١).

﴿فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾ هو العام الذي حج فيه أبو بكر، ونادى فيه عليٌّ بالأذان.

﴿وإن خفتم عيلةً فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء﴾ كان لأهل مكة مَكْسَبَةٌ ورفقٌ^(٢) ممن كان يحج من المشركين، فلما عُزلوا عن ذلك اشتد عليهم، فأعلمهم الله أنه يعوضهم من ذلك.

قال محمدٌ: العيلة: الفقر؛ يقال: عال الرجل يعيل؛ إذا افتقر^(٣)، ومنه قول الشاعر:

وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل^(٤)

قوله عز وجل: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...﴾ الآية، فأمر بقتال أهل الكتاب؛ حتى يسلموا، أو يقروا بالجزية.

قال محمدٌ: قوله: ﴿عن يدٍ﴾ يقال: أعطاه عن يدٍ، وعن ظهر يدٍ؛ أي: أعطاه ذلك مبتدئاً غير مكافئ.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَسَلِّهِمْ اللَّهُ أَنْ

(١) أي: على الإتياع، وهو مسموع عن العرب.

(٢) أي: انتفاع. لسان العرب (رفق).

(٣) عال الرجلُ يَعيِلُ عَيْلاً وَعَيْلَةً: إذا افتقر. لسان العرب (عيل).

(٤) البيت لأحيحة بن الجلاح، وهو من بحر الوافر. ينظر: لسان العرب (عيل)، البحر المحيط (٤٦٨/٨).

يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُهُمْ إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ قال الله - عز وجل - : ﴿ذلك قولهم بأفواههم﴾ .

قال محمد: المعنى: أنه قولٌ بِفَمٍّ؛ أي: لا برهان عليه، ولا صحة تحته .
﴿يضاهئون﴾ يشابهون؛ يعني: النصارى ﴿قول الذين كفروا من قبل﴾
يعني: اليهود؛ أي: ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم؛ قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله ﴿قاتلهم الله﴾ أي: لعنهم الله .
قال محمد: وقيل: ﴿قاتلهم﴾ بمعنى: قتلهم .

﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يُقْلَبُونَ عن الحق ويصرفون ؟!

﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم﴾ أي: واتخذوا المسيح ابن مريم رباً ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿عما يشركون﴾ .

﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم﴾ يعني: ما يدعون إليه من اليهودية والنصرانية، وما حرّفوا من كتاب الله - عز وجل - ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ قال ابن عباس: يعني: شرائع الدين كله، فلم يُقبَضْ رسول الله ﷺ (ل١٢٦) حتى أظهر الله - عز وجل -

ذلك كله .

وفي تفسير الحسن: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ : حتى يكون الحاكم على أهل الأديان كلها؛ فكان ذلك حتى ظهر على عبدة الأوثان، وحكم على اليهود والنصارى؛ فأخذ منهم الجزية، ومن المجوس .

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُفْقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخْمَلُ عَلَيْهِمَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُوفٌ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُفُوهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأخبار والرهبان يأكلون أموال الناس بالباطل﴾ يعني: ما كانوا يأخذون من الرشا في الحكم، وعلى ما حرقوا من كتاب الله - عز وجل .

﴿والذين يكتزون الذهب والفضة...﴾ إلى قوله: ﴿فذوقوا ما كنتم تكزون﴾ يعني: من وجب عليه الإنفاق في سبيل الله .

قال يحيى: وسمعتهم يقولون: نسخت الزكاة كل صدقة كانت قبلها .

يحيى: عن خالد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدى الزكاة، فقد أدى حق الله - عز وجل - في ماله، ومن ازداد فهو خير له»^(١) .

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٩/٣ رقم ١٦) وأبو داود في المراسيل (ص ١٤١ رقم ١٣٠) والبيهقي في سننه (٨٤/٤) من طريقين عن الحسن به مرسلًا . قلت: ورواه سلام بن أبي خبزة - قال النسائي: متروك الحديث - عن سعيد بن أبي عروبة =

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِقُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾.

قال الحسن: يعني: في كتاب الله الذي تنسخ منه كتب الأنبياء وفي جميع كتب الله ﴿منها أربعة حرم﴾ المحرم ورجب وذو القعدة وذو الحجة. ﴿ذلك الدين القيم﴾ يعني: أنه حرم على السنة أنبيائه هذه الأربعة الأشهر ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ تفسير قتادة: يقول: اعلموا أن الظلم فيهن أعظم خطيئة [وورزاً]^(١) فيما سواهن.

﴿وقاتلوا المشركين كافة﴾ أي: جميعاً، وهذا حين أمر بقتالهم جميعاً. ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر...﴾ الآية، تفسير الكلبي: النسيء: هو المحرم كانوا يسمونه صفر الأول، وكان الذي يحله للناس جُنَادَة بن عوف

= عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ متصلاً.

رواه ابن عدي في الكامل (٣١٢/٤) وقال: لا أعلم يرويه عن سعيد غير سلام هذا. ثم ذكر لسلام عدة أحاديث، وقال في آخر ترجمته: ولسلام بن أبي خبزة غير ما ذكرت عن ثقات الناس أحاديث، وعامة ما يرويه ليس يتابع عليه.

(١) طمس في الأصل. والمثبت من تفسير الطبري (١٢٧/١٠) وابن أبي حاتم (١٧٩٣/٦).

الكناني كان ينادي بالموسم: إن الصَّفر الأول حلالٌ، فيحله للناس، ويحرم صفر مكان المحرم؛ فإذا كان العام المقبل حَرَّمَ المحرَّم، وأحلَّ صفر. ومعنى ﴿ليواطئوا﴾: ليوافقوا ﴿عِدَّة ما حَرَّمَ اللَّهُ﴾ كانوا يقولون: هذه أربعة بمنزلة أربعة.

قال محمد: النسيء في اللغة: التأخير^(١)؛ يقول: تأخيرهم المحرم سنة وتحريم غيره سنة؛ فإذا كان في السنة الأخرى رده إلى التحريم فَنَسَوْهُم ذلك زيادة في كفرهم؛ وهو معنى قول الكلبي.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض﴾ هي مثل قوله: ﴿أخلد إلى الأرض﴾^(٢) يعني: الرضا بالدنيا ﴿إلا

(١) يقال: نَسَأْتُ نَسَاءً وَنَسَأْتُ لِسَانِ الْعَرَبِ (نَسَأَ).

(٢) الأعراف: ١٧٦.

تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ﴿١﴾ يقول: يهلككم بالعذاب، ويستبدل قوماً غيركم ﴿٢﴾ ولا تضروه شيئاً ﴿٣﴾ قال مجاهد: إن هذا حين أمروا بغزوة تبوك في الصيف حين طابت الثمار، واشتهوا الظل، وشق عليهم الخروج .

﴿١﴾ إلا تنصروه ﴿٢﴾ يعني: النبي ﷺ ﴿٣﴾ فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ﴿٤﴾ من مكة ﴿٥﴾ ثاني اثنين إذ هما في الغار ﴿٦﴾ وذلك أن قريشاً اجتمعوا في دار الندوة، فتآمروا بالنبي، فاجتمع رأيهم على ما قال عدو الله أبو جهل؛ وقد فسرنا ذلك في سورة الأنفال فأوحى الله - عز وجل - إليه؛ فخرج هو وأبو بكر ليلاً؛ حتى انتهى إلى الغار، فطلبه المشركون فلم يجدوه فطلبوا، [..] (١) وقد كان أبو بكر دخل الغار قبل رسول الله ﷺ فلمس الغار فنظر ما به؛ لئلا يكون فيه سبُع أو حية يقي رسول الله ﷺ بنفسه، ثم دخل رسول الله ﷺ الغار، وأخذت يمامة فوضعت على باب الغار فجعلوا يستمعان وقع حوافر دواب المشركين في طلبهما، فجعل أبو بكر يبكي، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا أبا بكر؟ قال: أخاف أن يظهر عليك المشركون فيقتلوك؛ فلا يُعبد الله - عز وجل - بعدك أبداً. فقال رسول الله ﷺ: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ وجعل أبو بكر يمسح (ل) (١٢٧) الدموع عن خده ﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ .

قال الحسن: السكينة: الوقار.

قال محمد: وهي من السكون (٢)؛ المعنى: أنه ألقى في قلبه ما سكن به،

(١) طمس في الأصل.

(٢) لسان العرب (سكن).

وعلم أنهم غير واصلين إليه.

﴿وأيده بجنود لم تروها﴾ يعني: الملائكة عند قتاله المشركين.

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿انفروا خفافا وثقالا﴾ قال المعنى: شبابا وشيوخا.

قال الكلبي: وذلك حين استنفر رسول الله ﷺ الناس إلى تبوك في حر شديد، وعُسرة من الناس، فكره بعض الناس الخروج، وجعلوا يستأذنون في المقام من بين [...] (١) ومن ليست به علة؛ فيأذن لمن شاء أن يأذن، وتخلف كثير منهم بغير إذن؛ فأنزل الله - عز وجل - فقال: ﴿لو كان عرضا قريبا﴾ يعني: غنيمة قريبة ﴿وسفرا قاصدا﴾ أي: قريبا ﴿لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ يعني: السفر ﴿وسيحلفون بالله لو استطعنا﴾ يعني: لو وجدنا سعة في المال ﴿لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم﴾ بالكذب ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ أي: إنما اعتلوا بالكذب.

﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَنْذِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَنْذِكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَزَابَتْ

قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَدَّرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿عفا الله عنك لما أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا﴾ يعني: من له عُدْرٌ ﴿وتعلم الكاذبين﴾ أي: من لا عذر له. قال قتادة: لما نزلت هذه الآية: ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ اشتدت عليهم، فأُنزل الله - عز وجل - بعد ذلك في سورة النور: ﴿فإذا استأنذوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ (١) فنسخت الآية التي في براءة.

﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾ فيتخلفوا عنك، ولا عذر لهم ﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ كراهيةً للجهاد ﴿وارتابت قلوبهم﴾ أي: شكت في الله - عز وجل - وفي دينه ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدَّة﴾ يعني: المنافقين. ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ خروجهم؛ لما يعلم منهم أنهم عيونٌ (٢) للمشركين على المؤمنين؛ ولما يمشون بين المؤمنين بالنميمة والفساد ﴿ثبَّطَهُمْ﴾ أي: صرفهم ﴿لو خرجوا فيكم﴾ يقوله للمؤمنين ﴿ما زادوكم إلا خبالًا ولا أوضعوا خلالكم﴾ أي: مشوا بينكم بالنميمة.

قال محمد: الوضع في اللغة: سرعة السير؛ يقال: وضع البعير

(١) النور: ٢٦.

(٢) واحدا: عَيْنٌ؛ والمراد: الجاسوس. لسان العرب (عين).

وأوضحته^(١).

﴿يبيغونكم الفتنة﴾ أي: يبيغون أن تكونوا مشركين، وأن يظهر عليكم المشركون ﴿وفيكُم سَمَاعُونَ لَهُم﴾ قال الحسن: يعني: المنافقين أنهم عيونٌ للمشركين عليكم يسمعون أخباركم، فيرسلون بها إلى المشركين.

﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَكْفُلُ أَذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾

﴿لقد ابتغوا الفتنة﴾ يعني: الشرك ﴿من قبل﴾ أي: من قبل أن تهاجروا ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ هو كقوله عز وجل: ﴿وإذ يمكركم الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾^(٢) وقد مضى تفسيره ﴿حتى جاء الحق﴾ القرآن ﴿وظهر أمر الله﴾ الإسلام ﴿وهم كارهون﴾ لظهوره.

﴿ومنهم من يقول ائذن لي﴾ يا محمد أقم في أهلي ﴿ولا تفتني﴾ تفسير مجاهد: قال: قال رسول الله ﷺ: «اغزوا تبوك تغنموا بنات الأصفر نساء الروم. فقال المنافقون: ائذن لنا ولا تفتننا بالنساء»^(٣) قال الله سبحانه: ﴿ألا

(١) يقال: وَضَعَ يَضَعُ وَضْعًا وَمَوْضِعًا بمعنى أَوْضَعَ؛ أي: أَسْرَعَ فِي السَّيْرِ. لسان العرب (وضع).

(٢) الأنفال: ٣٠.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٤٨/١٠) عن مجاهد.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٢٦٨/٣) لابن أبي شيبة وابن المنذر وأبي الشيخ. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٦٣ رقم ١١٠٥٢) من طريق جبارة بن المغلس عن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس. وقال الهيثمي في المجمع (٣٠/٧): رواه الطبراني، وفيه أبو شيبة إبراهيم بن عثمان، وهو ضعيف.

في الفتنة ﴿يعني: الهلة؛ وهو الشرك﴾ سقطوا ﴿أي: وقعوا.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَسْتَوِلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بَنًا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرْتَضِ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ يَأْتِيَنَا فَرَبِّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَلْسَفِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ يعني: النصر ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تلك الحسنة.

﴿وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ أي: نكبة من المشركين ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أخذنا الوثيقة في مخالفة محمد، والجلوس عنه ﴿وَيَسْتَوِلُوا﴾ إلى منازلهم ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ بالذي دخل على النبي ﷺ والمؤمنين من النكبة. قال الله - عز وجل - لبيه محمد: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾ ولينا.

﴿قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بَنًا﴾ تنتظرون بنا؛ يعني: المنافقين ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ أن يظهر على المشركين فنقتلهم ونغنمهم، أو نُقْتَلَ (١٢٨) فندخل الجنة ﴿وَنَحْنُ نَرْتَضِ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ يهلكهم به ﴿أَوْ يَأْتِيَنَا﴾ أي: نستخرج ما في قلوبكم من النفاق؛ حتى تظهروا الشرك فنقتلكم.

﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ يعني: مما يفرض عليكم من النفقة في الجهاد

﴿لَنْ يَتَقَبَّلَ^(١) مِنْكُمْ﴾ .

قال محمد: قوله: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا﴾ قال بعض النحويين فيه: هذا لَفْظُ أمر، ومعناه معنى الشرط والخبر^(٢)؛ أي: يقول: إن أنفقتم طائعين أو مكرهين، لن يتقبل منكم.

قال: ومثل هذا المعنى من الشعر قول كثير:

أسيئي بنا أو أحسيني لا مَلُومَةٌ لدينا ولا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتِ^(٣)
فلم يأمرها بالإساءة، لكن أعلمها أنها إن أساءت أو أحسنت فهو على عهدا.

قوله: ﴿وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله﴾ وأظهروا الإيمان ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ للإِنفاق في سبيل الله .

﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَخْدُونَ مَلَجَأًا أَوْ مَعْدَنَةً أَوْ مَدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا

(١) في الأصل (تقبل) وهو تحريف عن الصواب؛ إذ ليست (تقبل) بقراءة.

(٢) ينظر: البحر (٥٢/٥)، الدر المصون (٤٧٣/٣).

(٣) البيت لكثير عزة؛ وهو من بحر الطويل. ينظر: ديوانه (١٠١)، أمالي ابن الشجري (١/٤٩)، اللسان (حسن).

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا﴾ تفسير الحسن: يعني: أنهم يتفوقون أموالهم، ويشخصون أبدانهم يقاتلون أولياءهم المشركين مع أعدائهم المؤمنين؛ لأنهم يخفون لهم العداوة؛ فهو تعذيب لهم في الحياة الدنيا ﴿وتزهق أنفسهم﴾ أي: تذهب.

﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ فيما أظهروا من الإيمان ﴿وما هم منكم﴾ فيما يسرون من الكفر ﴿ولكنهم قومٌ يفرقون﴾ على دمائهم إن أظهروا الشرك. ﴿لو يجدون ملجأ﴾ يعني: حصناً يلجئون إليه ﴿أو مغارات﴾ يعني: غيراتنا^(١) ﴿أو مدخلًا﴾ أي: سرّاً ﴿لولوا إليه﴾ مفارقة للنبي ولدينه ﴿وهم يجمعون﴾ أي: يسرعون.

﴿ومنهم من يلمزك في الصدقات﴾ أي: يعيبك، ويطعنُ عليك ﴿فإن أعطوا منها رضوا...﴾ الآية، قال قتادة: «إن رجلاً حديث عهد بأعرابية أتى النبي ﷺ وهو يقسم ذهباً وفضة، فقال: يا محمد، إن كان الله - عز وجل - قد أمرك أن تعدل، فما عدلت منذ اليوم. فقال رسول الله ﷺ: ويلك فمن يغدل عليك بعدي؟! ثم قال: اخذوا هذا وأشباهه؛ فإن في أمتي أشباه هذا؛ قوم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم»^(٢).

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ

(١) واحدها: غار: وهو كل منخفض من الأرض، ومثل البيت المنقور في الجبل. لسان العرب (غور).

(٢) رواه البخاري (٦/٧١٤ - ٧١٥ رقم ٣٦١٠) ومسلم (٢/١٧٠ - ١٧١ رقم ١٠٦٤) عن أبي سعيد الخدري.

ورواه مسلم (٢/١٦٩ - ١٧٠ رقم ١٠٦٣) عن جابر بن عبد الله.

وَالْفَرِيقَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ أي: أعطاهم من فضله.

يعني: من فضل الله ﴿وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله...﴾ الآية. وهي تقرأ أيضًا: (ورسوله) بالنصب^(١)؛ أي: يؤتي رسوله. وفيها إضمار؛ أي: لكان خيرًا لهم مما أظهروا من النفاق.

﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ قال الحسن: الفقير: القاعد في بيته لا يسأل وهو محتاج، والمسكين الذي يسأل ﴿والعاملين عليها﴾ يعني: على الصدقات الذين يسعون في جمعها؛ جعل الله - عز وجل - لهم فيها سهمًا ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ ناسٌ كان النبي ﷺ يُعْطِيهِمْ يَتَأَلَّفُهُمْ بذلك لكي يسلموا، جعل الله - عز وجل - لهم سهمًا؛ منهم: أبو سفيان بن حرب، وعُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ﴿وفي الرقاب﴾ يعني: كل عبدٍ ﴿والغارمين﴾ من كان عليه دينٌ أو غُرْمٌ من غير فسادٍ ﴿وفي سبيل الله﴾ يُحْمَلُ من ليس له [. . .]^(٢) يُعْطَى منها ﴿وابن السبيل﴾ المسافرين إذا قُطِعَ به^(٣)؛ جعل الله لهؤلاء فيها سهمًا.

قال عليٌّ وابن عباس: إنما هو عَلَمٌ جعله الله - عز وجل - ففي أي صنف منهم جعلتها أجزأك.

(١) أي: بالنصب على المفعولية، ولم أجد هذه القراءة. أما قراءة العامة فهي على الرفع (ورسوله) عطفًا على لفظ الجلالة (الله).

(٢) طمس في الأصل.

(٣) وهو مُلَازِمٌ للبناء للمجهول، والمراد: عجز عن سفره لآتي سبب كان، وإذا انقطع رجاؤه، أو انقطع به الطريق، أو حيل بينه وبين ما يأمله. المعجم الوسيط (قطع).

﴿فريضة من الله﴾ وذلك في جميع الزكاة ﴿والله عليكم حكيم﴾ عليكم بخلقه، حكيم في أمره.
قال محمد: ﴿فريضة﴾ بالنصب على التوكيد^(١)، المعنى: فرض الله الصدقات لهؤلاء فريضة.

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٢٩ل)
﴿ومنهم الذين يؤذون النبي﴾ يعني: المنافقين. قال الحسن: كانوا يقولون: هذا الرجل أذن، من شاء صرفه حيث شاء ليست له عزيمة، فقال الله - عز وجل - لنبيه: ﴿قل أذن خير لكم يؤمن بالله﴾ وهي تقرأ (أُذُنٌ خير لكم)^(٢) أي: هذا الذي تزعمون أنه أذن خير لكم.

قال محمد: المعنى على هذه القراءة: قل من يستمع منكم ويكون قابلاً للعذر خير لكم ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ يصدق الله، ويصدق المؤمنين.

﴿ورحمة^(٣) للذين آمنوا منكم﴾ رحمهم الله به، فأنقذهم من الجاهلية وظلمتها.

(١) أي: مفعول مطلق مؤكّد للفعل. وقيل: انتصب على الحال من (فريضة) ينظر: الدر المصون (٤٧٦/٣).

(٢) قرأ الجمهور ﴿أُذُنٌ خير﴾، على جر ﴿خير﴾ بالإضافة، وقرأ الحسن ومجاهد وزيد بن علي وأبو بكر عن عاصم ﴿أُذُنٌ﴾ بالتثنية، و﴿خير﴾ بالتثنية أيضاً. ينظر: السبعة (٣١٥)، الحجة (١٧٦)، إتحاف الفضلاء (٢٤٣)، الدر المصون (٤٧٧/٣).

(٣) هكذا في الأصل بالنصب، وهي قراءة ابن أبي عبلة، وقرأ الجمهور ﴿ورحمة﴾ بالرفع، وقرأ حمزة والأعمش ﴿ورحمة﴾ بالجر. ينظر: الكشاف (١٩٩/٢)، البحر المحيط (٦٣/٥) الدر المصون (٤٧٧/٣).

﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٦٦) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَبَقَ لَهُمُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٦﴾

﴿يخلفون بالله لكم ليرضوكم﴾ بالكذب ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه﴾ بالصدق من قلوبهم ﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله﴾ أي: من يعاد الله ورسوله.

﴿فإن^(١) له نار جهنم﴾ .

قال محمد: قوله: ﴿من يحادد الله ورسوله﴾ معناه: من يكون في حد، والله ورسوله في حد؛ أي: جانب. وتقرأ (فإن له) بالفتح والكسر فمن كسر فعلى الاستئناف؛ كما تقول: فإن له نار جهنم، ودخلت (إن) مؤكدة. ومن قرأ بالفتح (فإن له)، فإنما أعاد (أن) الأولى توكيداً؛ لأنه لما طال الكلام كان إعادتها أوكد^(٢).

﴿يَحْذَرُ الْمُتَنَفِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِبْرَاهِيمَ إِذْ أَخْرَجَ مَا تَخَذَرُونَ﴾ (٦٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلِ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْزِدُوهُمْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَقَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ عُذْبٌ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُتَنَفِقُونَ

(١) هكذا في الأصل (فإن) بالكسر - وهي قراءة أبي عمرو. والجمهور على (فإن) بالفتح ينظر: معاني القرآن للأخفش (٣٣٤/٢) البحر المحيط (٦٥/٥)، الإملاء للعكبري (٩/٢) الدر المصون (٤٨٠/٣).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٦٥/٥)، الدر المصون (٤٧٩/٣).

وَالْمُنْفِقَتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْتُرُونَ بِالْمُكْرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ
أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾

﴿يحذرُ المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم﴾ من النفاق؛
أي: تبين؛ ففعل الله - عز وجل - ذلك بهم، فأخرج أضغانهم؛ وهو ما
كانوا يكونون في صدورهم.

قال قتادة: وكانت هذه السورة «براءة» تسمى: فاضحة المنافقين؛ لأنها
أنبات بمقالتهم وأعمالهم.

﴿قل استهزئوا﴾ بمحمد وأصحابه؛ وهذا وعيدٌ مثل قوله عز وجل: ﴿فمن
شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾^(١).

﴿إن الله مخرج ما تحذرون﴾ ففعل ذلك بهم، فأخرج أضغانهم؛ وهو ما
كانوا يكونون في صدورهم.

﴿ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب...﴾ إلى قوله: ﴿بأنهم كانوا
مجرمين﴾ قال الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك بينما هو يسير
إذا هو برهط^(٢) أربعة يسرون بين يديه؛ وهم يضحكون، فنزل جبريل على النبي
ﷺ فأخبره أنهم يستهزئون بالله - تعالى ذكره - ورسوله وكتابه. فبعث رسول
الله ﷺ عمار بن ياسر، فقال: أدركهم قبل أن يحترقوا، واسألهم: مم
يضحكون؟ فإنهم سيقولون مما يخوض فيه الركب إذا ساروا. فلحقهم عمار،

(١) الكهف: ٢٩.

(٢) الرهط: ما دون العشرة من الرجال لا يكون فيهم امرأة، وليس له واحد من لفظه، ويجمع
على: أرهط وأزهاط وأراهط وأراهيط. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح، القاموس
المحيط (رهط).

فقال: ممّ تضحكون؟ وما تقولون؟ فقالوا: مما يخوض فيه الركب إذا ساروا. فقال عمار (عرفناه) ^(١) الله - عز وجل - وبلغ الرسول احترقتم لعنكم الله وكان يسايرهم رجل لم ينهمهم، وجاءوا إلى النبي ﷺ يعتذرون؛ فأنزل الله - عز وجل - : ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: بعد إقراركم ﴿إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نَعَذِّبُ طَائِفَةً﴾ فيرجى أن يكون العفو من الله - عز وجل - لمن لم يمالئهم، ولم ينهمهم.

﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾ أي: بعضهم أولياء بعض ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ بالكفر بالله سبحانه ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ عن الإيمان بالله ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ يعني: لا يسطونها بالنفقة في الحق.

﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ أي: تركوا ذكره بالإخلاص من قلوبهم ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ فتركهم أن يذكرهم بما يذكر به المؤمنين من الخير ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ يعني: به فسق الشرك.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ٢٨ ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكْثَرَ أَمْوَالًا وَأُولَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٢٩ ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكِينَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ ٧٠

(١) مشتبهة في الأصل.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ...﴾ إلى قوله: ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ قال محمد: يقال: حسب فلان ما نزل به؛ أي: ذلك على قدر فعله.

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يعني: من الكفار ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ قال محمد: المعنى: وعدكم الله على الكفر (١٣٠) كما وعد الذين من قبلكم ﴿فَاسْتَمْتَعُوا بِخُلُقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخُلُقِكُمْ﴾ كما استمتع الذين من قبلكم بخُلُقِهِمْ.

تفسير الكلبي: يقول: فاستمتعتم في الدنيا بنصيبيكم من الآخرة، كما استمتع الذين من قبلكم بنصيبيهم من الآخرة ﴿وَحُضِّتُمْ﴾ في الكفر والتكذيب ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ إلى قوله: ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ يقول: بلى قد أتاهم خبرهم فيما أنزل الله - عز وجل - في كتابه ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ يعني: المنقلبات؛ وهي (قريات) ^(١) قوم لوط الثلاث؛ رفعها جبريل بجناحه ثم قلبها ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ بإهلاكه إياهم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بجحودهم وشركهم؛ يحذر هؤلاء ما فُعلَ بمن قبلهم.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ

(١) هكذا في الأصل. والمراد: قرى قوم لوط؛ حيث تجمع القرية على: (قرى) والقياس: (قراء)، كظنية وظباء. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (قرو).

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٦﴾

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ قال الحسن: (عدن) اسم من أسماء الجنة.
قال محمد: العدن في اللغة: الإقامة؛ يقال: عدنت بموضع كذا؛ أي: أقمت به^(١).

﴿وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرَ﴾ مما هم فيه من مُلكِ الجنة.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَرَأَوْا مَا فِيهَا قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمْ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا. قَالُوا: رَبَّنَا لَا شَيْءَ أَفْضَلَ مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ: بَلَى أَهْلَ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي»^(٢).

قال الحسن: يصل إلى قلوبهم من رضوان الله من اللذة والسرور ما هو ألدُّ عندهم وأقرُّ لأعينهم من كل شيء أصابوه من لذة الجنة.

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدُ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُئَسَّرُ الْمَصِيرُ﴾ ﴿٧٧﴾ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَتُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ﴿٧٨﴾

(١) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (عدن).

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة آل عمران، عند قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ الآية: ١٥.

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم﴾ تفسير الحسن: جاهد المنافقين بالسيف، واغلب على المنافقين بالحدود.

قال الحسن: كان أكثر من يصيب الحدود يومئذ المنافقون.

﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ قال الحسن: لقي رجل من المنافقين رجلاً من المسلمين؛ فقال: إن كان ما يقول محمد حقاً، فنحن شر من الحمرا! فقال المسلم: أنا أشهد أنه لحق، وأنت شر من حمار. ثم أخبر بذلك النبي ﷺ فأرسل النبي إلى المنافق؛ أقلت كذا؟ فحلف بالله ما قاله، وحلف المسلم لقد قاله؛ فأنزل الله - عز وجل - : ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم﴾^(١) بعد إقرارهم ﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ قال مجاهد: هم المنافق بقتل المؤمن؛ حيث قال للمنافق: فوالله إن ما يقول محمد كله حق، ولأنت شر من حمار.

﴿وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ يقول: لم ينقموا من الذي جاء به رسول الله ﷺ شيئاً، إلا أنهم أصابوا الغنى في الدنيا، ولو تمسكوا به لأصابوا الجنة في الآخرة.

قال محمد: المعنى: أي: ليس ينقمون شيئاً، ولا يتعرفون (حق الله - عز وجل - إلا الصنع)^(٢)، وهذا مما ليس ينقم.

﴿فإن يتوبوا﴾ أي: يرجعوا عن نفاقهم ﴿يك خيراً لهم وإن يتولوا﴾ عن التوبة، ويظهروا الشرك ﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً...﴾ الآية.

﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اِلٰهَ لَئِنْ ءَاتٰنَا مِنْ فَضْلِهٖ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنُ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ

(١) انظر الدر المشور (٣/ ٢٧٩ - ٢٨٢).

(٢) هكذا في الأصل.

﴿٧٥﴾ فَلَمَّا ءَاتَتْهُمْ مِّنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِم إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

﴿ومنها من عاهد الله لئن آتانا من فضله﴾ فأوسع علينا من الرزق ﴿لنصدقن﴾ يعني: الصدقة ﴿ولنكونن من الصالحين﴾ من يطيع الله - عز وجل - ورسوله ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به﴾ منعوا حق الله - عز وجل - ﴿وتولوا﴾ عن الصلاح ﴿وهم معرضون﴾ عن أمر الله ﴿فأعقبهم نفاقا في قلوبهم﴾ لا يتوبون منه ﴿إلى يوم يلقونه﴾.

﴿الم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم﴾ ما يتناجون به من النفاق [...] (١) إذ ذاك بما أنزل الله - عز وجل - في كتابه، وقامت به الحجة عليهم.

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾

(ل ١٣١) ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات﴾ قال قتادة: «ذكر لنا أن عبد الرحمن بن عوف جاء بنصف ماله إلى رسول الله ﷺ أحسبه قال: يا رسول الله، هذا نصف مالي أتيتك به، وتركت نصفه لعيالي،

فدعا الله أن يبارك له فيما أعطى وفيما أمسك، فلمزه^(١) المنافقون، قالوا: ما أعطى هذا إلا سُمعة ورياء، وأقبل رجل من فقراء المسلمين من الأنصار يقال له: أبو عقيل؛ فقال: يا رسول الله، بث الليلة أجز الجريز^(٢) على صاعين^(٣) من تمر؛ فأما صاع فأمسكه لأهلي، وأما صاع فهذا هو، فقال له نبي الله ﷺ خيراً، فقال المنافقون: والله إن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل، فأنزل الله - سبحانه - هذه الآية إلى قوله: ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾^(٤).

قال قتادة: «لما نزل في هذه الآية ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ قال رسول الله: «قد خيرني ربي، فوالله لأزيدنهم على السبعين. فأنزل الله - عز وجل - في سورة المنافقين: ﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم...﴾^(٥) الآية^(٦)».

قال محمد: وقوله عز وجل: ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ يعني: طاقتهم؛ الجهد: الطاقة، والجهد - بفتح الجيم - : المشقة؛ يقال: فعلت ذلك بجهدي؛ أي: بمشقة^(٧). وقوله - عز وجل - : ﴿سخر الله منهم﴾ أي: جازاهم جزاء السخرية.

(١) اللمز: العيب، وأصله الإشارة بالعين ونحوها. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (لمز).

(٢) الجريز: الحبل. وأراد أنه كان يستقي الماء بالحبل. لسان العرب (جرر).

(٣) الصاع: ما يكال به، وهو أربعة أمداد. والجمع: أصوع وأصع. ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (صوع).

(٤) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٨٣ - ٢٨٤) وابن جرير (١٠/ ١٩٥).

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٢٨٤): لابن عساكر أيضاً.

ورواه البخاري (٣/ ٣٣٢ رقم ١٤١٥) ومسلم (٢/ ٧٠٦ رقم ١٠١٨) عن ابن مسعود بنحوه.

(٥) المنافقون: ٦.

(٦) رواه ابن جرير (١٠/ ٢٠٠)، وانظر: الدر المنثور (٣/ ٢٨٦).

(٧) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (جهد).

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعِذْكَ بِالْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَ بِهِمُ فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله﴾ قال محمد: قيل: المعنى: بأن قعدوا لمخالفة رسول الله ﷺ.

﴿وقالوا لا تنفروا في الحر﴾ قال قتادة: خرج المؤمنون يومئذ إلى تبوك في لهبان الحر^(١)؛ قال الله - عز وجل - للنبي ﷺ: ﴿قل نار جهنم أشد حراً﴾ من نار الدنيا ﴿لو كانوا يفقهون﴾ قال الحسن: يقول: لو كانوا يفقهون لعلموا أن نار جهنم أشد حراً من نار الدنيا.

يحيى: عن النضر بن مَعْبَد، عن أبي قلابة قال: «بينما رسول الله ﷺ في مسير له في يوم شديد الحر إذ نزل منزلاً، فجعل الرجل منهم يتعل ثوبه من شدة حر الأرض؛ فقال رسول الله ﷺ: ألا أراكم تجزعون من حر الشمس وبينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام! فو الذي نفسي بيده لو أن باباً من أبواب جهنم فُتِحَ بالشرق، ورجُلٌ بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من منخرينه»^(٢).

(١) لهبان الحر: اتقاده وشدته، وكذا اللهب واللاهَب. لسان العرب، القاموس المحيط (لهب).

(٢) لم أقف عليه الآن بهذا اللفظ، والله أعلم.

﴿فليضحكوا قليلاً﴾ قال قتادة: يعني: في الدنيا ﴿وليسكوا كثيراً﴾ يعني: في النار.

يحيى: عن أبي أمية، عن قتادة؛ أن أبا موسى الأشعري قال: «إنه يسلط على أهل النار البكاء؛ فلو تُرْسِلُ السُّفْنُ في [...]»^(١) أعينهم لجرت»^(٢).
﴿فإن رجعت الله إلى طائفة منهم...﴾ بقوله للنبي، إلى قوله: ﴿فأفاعدوا مع الخالفين﴾ قال الكلبي: يعني: الأشرار.

قال محمد: واحد الخالفين: خالف؛ يقال للذي هو غير نجيب: فلان خالف أهله، وخالفه أهله^(٣).

﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا﴾ قال قتادة: ذكّر لنا أنه مات منافق فكفنه نبي الله في قميصه وصلى عليه ودّاه في قبره؛ فأنزل الله - عز وجل -

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١١٠/٤) وأبو نعيم في الحلية (٢٦١/١)، ١٠٣/٣ وغيرهما من طريق قسامة بن زهير عن أبي موسى بنحوه مطولاً.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٧/٣) لابن أبي شيبة وأحمد في الزهد.
ورواه الحاكم (٦٠٥/٤) من طريق أبي النعمان محمد بن الفضل عن سلام بن مسكين قال: حدث أبو بردة عن عبيد الله بن قيس به مرفوعاً.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.
وروى ابن ماجه (٤٤٦/٢ رقم ٤٣٢٤) وابن المبارك في مسنده (٧٥ رقم ١٢٥) وأبو يعلى (١٦١/٧ - ١٦٢ رقم ٤١٣٤) والعقيلي في الضعفاء (٣٠٧/٣) وابن عدي في الكامل (٥/٤٠٣) والمحاملي في أماليه (٩ رقم ٦) والبيهقي في تفسيره (٨٠/٤) وفي شرح السنة (١٥/٢٥٢ - ٢٥٣ رقم ٤٤١٨) من طريق يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك نحوه مرفوعاً.
قال العقيلي: هذا يروى بغير هذا الإسناد بإسناد أيضاً لين.

وقال الحافظ العراقي: رواه ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس، والرقاشي ضعيف.
تخريج الإحياء (٦/٢٥٧٠ رقم ٤١٨٤).

(٣) لسان العرب القاموس المحيط (خلف).

هذه الآية فيه .

﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَيْكِنَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾

﴿استأذنتك أولو الطول منهم﴾ أي: ذوو^(١) الغنى في التخلف عن الجهاد
﴿وقالوا ذرنا نكن مع القاعدین رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ يعني:
النساء؛ في تفسير العامة .

قال محمد: المعنى على هذا التفسير: رضوا بأن يكونوا في تخلفهم عن
الجهاد كالنساء، وقد قيل: إن الخوالف جمع خالفة^(٢) .

﴿وأولئك لهم الخيرات﴾ قال الحسن: يعني: النساء الحسان؛ مثل قوله:
﴿فيهن خيرات حسان﴾^(٣) .

قال محمد: وقد قيل: الخيرات: الفواضل من كل شيء؛ وواحدها:
خيرة^(٤) .

(١) في الأصل: (ذو). والمثبت هو الصواب.

(٢) لسان العرب القاموس المحيط (خلف).

(٣) الرحمن: ٧٠ .

(٤) قال الأخفش تعليقاً على الآية ﴿فيهن خيرات حسان﴾ قال: لما وُصِفَ به فقيل: فلان خير
أشبه الصفات، فأدخلوا فيه الهاء للمؤنث ولم يريدوا به أفعل - أى: أفعل التفضيل .
ينظر: لسان العرب ، مختار الصحاح (خلف).

﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَكُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ فَنِيطَ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾
 (١٣٢ل) ﴿وجاء المعذرون﴾ يعني: المعتذرين ﴿من الأعراب ليؤذن لهم﴾
 يعني: في القعود.

قال محمد: يقال: فلان معذر؛ أي: معتذر^(١)، وأدغمت التاء في الدال؛ لقرب مخرجيهما^(٢). ومن كلامهم أيضًا: عذرت الأمر إذ قصرت، وأعذرت إذا جددت^(٣).

﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ فيما أكثروا من النفاق؛ كان هذا في غزوة تبوك.

﴿ليس على الضعفاء﴾ قال السدي: يعني: العجزة الذين لا قوة لهم ﴿ولا على المرضى﴾ يعني: من كان به مرض ﴿ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾ إنهم في التخلف عن الغزو ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ إذا كان لهم عذر.

(١) في «الأصل»: فمعتذر. والمثبت هو الصواب.

(٢) ونقلت حركة التاء (الفتحة) إلى العين.

(٣) والمعتذر قد يكون محققاً وهو الذي له عذر، وقد يكون غير محقق؛ وهو المقصّر يعتذر بغير عذر. لسان العرب مختار الصحاح، القاموس المحيط (عذر).

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَسْتَذِنُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ بَيَّأَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عِلِّيِّ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُتَعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَنُرَضُوا عَنْهُمْ فإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾

﴿ثم تردون إلى عالم الغيب﴾ السر ﴿والشهادة﴾ العلانية.

﴿سيعلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم﴾ من غزاتكم ﴿لتعرضوا عنهم﴾ فأعرضوا عنهم ﴿ألا تقتلوهما﴾ ما أظهروا الإيمان، واعتذروا. ﴿يحلفون لكم﴾ بالكذب ﴿لترضوا عنهم﴾ فيما أظهروا من الإيمان والاعتذار ﴿فإن ترضوا عنهم﴾ لما يظهرون من الإيمان ﴿فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾ يعنيهم لما بطن منهم من النفاق.

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُودِ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَايِرَةٌ أَلْوَمٌ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَةً عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا يَأْتِيَ قُرْبَةً لَهُمْ سَبِّحَهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾

﴿الأعراب أشد كفرًا ونفاقًا﴾ يعني: أن منافقي الأعراب أشد من منافقي أهل المدينة في نفاقهم وكفرهم ﴿وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله﴾ قال قتادة: يقول: هم أقل علمًا بالسُنن.

﴿ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق﴾ في الجهاد ﴿مغرماً﴾ يعني: المنافقين؛ لأنهم ليست لهم نية.

قال محمد: قوله ﴿مغرماً﴾ يعني: غُرمًا وخسرانًا ^(١).

﴿ويتربص بكم الدوائر﴾ يعني: أن يهلك محمد والمؤمنون، فيرجع إلى دين مشركي العرب.

﴿عليهم دائرة السوء﴾ يعني: عاقبة السوء.

﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله﴾ أي: يتقرب به إلى الله - عز وجل - ﴿وصلوات الرسول﴾ أي: ويتخذ صلوات الرسول أيضًا قربة إلى الله. وصلوات الرسول: استغفاره ودعاؤه.

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى

النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١١٢﴾

﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ قال قتادة: من كان صلى

مع رسول الله ﷺ القبلتين ^(٢) فهو من السابقين الأولين ﴿وممن حولكم من

(١) والمغرّم والغرم والغرامة بمعنى واحد. لسان العرب (غرم).

(٢) أي: إلى القبلتين.

الأعراب﴾ يعني: حول المدينة ﴿منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق﴾ أي: اجترءوا عليه ﴿لا تعلمهم نحن نعلمهم﴾ قد أعلمهم الله رسوله بعد ذلك، وأسرهم النبي ﷺ إلى خديفة بن اليمان.

﴿سنعذبهم مرتين﴾ أما إحداهما: فبالزكاة أن تؤخذ منهم كُرْهًا، وأما الأخرى: فبعذاب القبر ﴿ثم يُردون إلى عذاب عظيم﴾ أي: جهنم.

﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٠٢) خَذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٣) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١٠٤) وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ إِلَىٰ عَلِيِّهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَنْتَضِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥) وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٠٦)

﴿وَأَخْرُونَ اعترفوا بذنوبهم...﴾ الآية، تفسير الحسن: هم نفر من المؤمنين كان عرض في همهم شيء، ولم يعزموا على ذلك، ثم تابوا من بعد ذلك، وأتوا رسول الله ﷺ فاعترفوا بذنوبهم.

﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾ وعسى من الله - جل وعز - واجبة.

﴿خذ من أموالهم﴾ أي: اقبل ﴿صدقة تطهرهم﴾ من الذنوب ﴿وتزكيهم بها﴾ وليست بصدقة الفريضة، ولكنها كفارة لهم ﴿وصل عليهم﴾ أي: استغفر لهم ﴿إن صلاتك سكن لهم﴾ يعني: طمأنينة لقلوبهم؛ يقوله الله - عز وجل - للنبي ﷺ.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ أي: يقبلها.

﴿وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ يعني: بما يطلعهم عليه.

يحيى: عن الصلت بن دينار، عن محمد بن سيرين، عن عثمان بن عفان قال: «لو أن رجلاً عمل في جوف سبعين بيتاً لكساه الله - عز وجل - رداء عمله خيراً أو شراً»^(١).

﴿وآخَرُونَ مُّرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ﴾ هم الثلاثة الذين في آخر السورة الذين خُلفوا، ثم تاب الله عليهم في الآية التي في آخر السورة.

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١٧٧) لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ حُجَّةً لِمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مِنْهُمْ قُلْ لِيُحْشَرَ لِللَّهِ فِئَةٌ مِمَّنْ بَارَئُوا رَبَّهُمْ وَأَلَا بَرَاءَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِنَّ اللَّهَ لَمُتَّبِعٌ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ

(١) رواه نعيم بن حماد في زيادات الزهد (٧٣) من طريق معبد الجهنني عن عثمان بنحوه. ورواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (٧٧٧) وابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٢/٨) من طريق أبي قلابة عن عثمان بنحوه.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٨٢/٨) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن عثمان. ورواه أبو داود في الزهد (١١٢ رقم ١٠٧) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن عثمان.

ورواه الطبري في تفسيره (١٣٣/١٦) من طريق قتادة عن عثمان. ورواه أبو داود في الزهد (١١١ رقم ١٠٦) والبيهقي في شعب الإيمان (٣٥٩/٥ رقم ٦٩٤١) من طريق آخر عن عثمان.

وقال البيهقي: هذا هو الصحيح موقوفاً على عثمان، وقد رفعه بعض الضعفاء.

مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنَ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

(ل١٣٣) ﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراباً...﴾ إلى قوله: ﴿والله عليم حكيم﴾ تفسير الحسن «أن رسول الله ﷺ كان حين غزوة تبوك نزل بين ظهرائي الأنصار وبنى مسجد قباء - وهو الذي أسس على التقوى - وكان المنافقون من الأنصار بنّوا مسجداً؛ فقالوا: نميل به فإن أئانا محمداً فيه وإلا لم [...]»^(١) ونخلوا فيه لحوائجنا ونبعث إلى أبي عامر الراهب - لمحارب من محاربي الأنصار كان يقال له: أبو عامر الراهب ، وكان رسول الله ﷺ أسرهُ - فيأتينا؛ فنستشيره في أمورنا، فلما بنّوا المسجد؛ وهو الذي قال الله - عز وجل - : ﴿الذين اتخذوا مسجداً ضراباً وكفراً وتفرقاً بين المؤمنين﴾ أي: بين جماعة المؤمنين ﴿وإرساداً لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ يعني: أبا عامر، فجعل رسول الله ﷺ ينتظر الوحي لا يأتيهم ولا يأتونه، فلما طال ذلك عليه دعا بقميصه ليأتيهم؛ فإنه ليزرّه عليه إذ أتاه جبريل، فقال: ﴿لا تقم فيه أبداً﴾ يعني: ذلك المسجد. ﴿لمسجد أسس على التقوى من أول يوم﴾ يعني: مسجد قباء ﴿أحق أن تقوم فيه﴾ .

قال محمد: قوله ﴿وإرساداً لمن حارب الله ورسوله﴾ أي: انتظاراً؛ يقال: أَرَصَدْتُ له بالشر، ورَصَدْتُهُ بالمعافاة. وقد قيل: أَرَصَدْتُ له بالخير والشر جميعاً^(٢).

(١) طمس بالأصل.

(٢) لسان العرب ، القاموس المحيط (رصد).

﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا واللّٰه يحب المطهرين﴾.

يحيى: عن همام، عن قتادة، عن شهر بن حوشب قال: «لما نزلت: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا واللّٰه يحب المطهرين﴾ قال رسول الله ﷺ: يا معشر الأنصار، إن الله قد أحسن عليكم الشاء في الطهور؛ فكيف طهوركم بالماء؟ قالوا: نغسل أثر الخلاء بالماء»^(١) من حديث يحيى بن محمد.

قال يحيى: وبلغنا أن رسول الله ﷺ دعا المنافقين الذين بنوا ذلك المسجد، فقال: ما حملكم على بناء هذا المسجد؟ فحلفوا بالله إن أردنا إلا الحُسنى، ﴿واللّٰه يشهد إنهم لكاذبون﴾.

﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من اللّٰه ورضوان خير أمّن أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ يعني: حَرْف جُرْف.

﴿فانهار به في نار جهنم﴾ أي: أن الذي أُسِّس بنيانه على تقوى من اللّٰه

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢٩/١١) من طريق همام به.
ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٨٨/١) والطبري في تفسيره (٢٩/١١) من طريق معمر عن قتادة معضلاً، لم يذكر شهر بن حوشب فيه.
ورواه الطبري في تفسيره (٢٩/١١) من طريق سعيد عن قتادة كذلك.
ورواه عبيد الله بن تمام عن داود بن أبي هند عن شهر عن أبي هريرة.
رواه الدارقطني في الأفراد، أطراف الغرائب (٣/٢٠٤ رقم ٥١٦٤) وقال الدارقطني: تفرد به عبيد الله بن تمام عن داود بن أبي هند عنه. اهـ.
وقال في العلل (٨/٣٣٤ رقم ١٦٠٤): يرويه داود بن أبي هند، واختلف عنه: فرواه عبيد الله بن تمام عن داود عن شهر عن أبي هريرة. وغيره يرويه عن شهر مرسلاً.
قال سيار أبو الحكم عن شهر عن محمد بن عبد الله بن سلام، واختلف عنه: فقال فيه سلمة بن رجاء: عن مالك بن مغول عن سيار عن شهر عن محمد بن عبد الله بن سلام عن أبيه عن النبي ﷺ وأرسله غيره. اهـ.
وللحديث طرق عن غير واحد من الصحابة والتابعين، انظر تفسير الطبري (٢٩/١١ - ٣١) الدر المشور (٣/٣٠١ - ٣٠٢).

قال محمد: قوله: ﴿على شفا جُرْف﴾ يعني: حرف جُرْف، والجُرْف: ما تجرف بالسيول من الأودية^(١)؛ يقال: جُرْف هَارٍ وهاتِرٍ؛ إذا كان متصدعاً؛ فإذا سقط قيل: انهار وتَهَوَّر^(٢).

قال محمد: ﴿وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ بالنصبِ على معنى: فَإِنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ، وَعَدَهُمْ إِيَّاهَا وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا^(٣).

﴿ لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم ﴾ أي : شكًا . ﴿ إلا أن تقطع قلوبهم ﴾ تفسير مجاهد : يقول : إلا أن يموتوا . قال يحيى : أخبر أنهم يموتون على النفاق .

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا بِيَعْيَكُمْ الَّذِي بَاعَكم بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ الشُّبُهَاتُ الْمَكِيدُونَ الْحَمِيدُونَ السَّابِقُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمِيرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

(۱) ويقال: الجرف - بضم الراء وسكونها. لسان العرب (جرف).

(۲) ويقال فيه أيضًا: هَوَّر. لسان العرب (هور).

(٣) أي: منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة. ينظر الدر المصون (٣/٥٠٦).

﴿التائبون﴾ تابوا من الشرك ﴿العابدون﴾ عبدوا الله مخلصين له
﴿الحامدون﴾ يحمدون الله على كل حال.

﴿السائحون﴾ هم الصائمون.

قال محمد: السائح أصله: الذاهب في الأرض^(١)، ومن ساء امتنع من
الشهوات، فشبه الصائم به؛ لإمساكه عن الطعام والشراب والنكاح.
﴿الراكعون الساجدون﴾ يقول: هم أهل الصلاة.

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ
بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ
حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ
إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَلَيْهِ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾ تفسير قتادة: قال:
كان أنزل في سورة بني إسرائيل ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾^(٢)
ثم أنزل في هذه الآية: ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا...﴾ الآية، فلا ينبغي
للمسلم أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين، ولا أن يقول: رب ارحمهما
(ل ١٣٤) وقوله عز وجل: ﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ أي:

(١) يقال: ساح في الأرض يسيح سباحاً وسباحةً وسباحاً؛ أي: ذهب. لسان العرب
(سبح).

(٢) الإسراء: ٢٤.

ماتوا على الكفر ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه...﴾ الآية.

قال قتادة: ذُكِرَ لنا «أن رجلاً قال لنبي الله ﷺ: إن من آبائنا من كان يحسن الجوار، ويصل الأرحام، ويفك العاني، وفي بالذمم؛ أفلا تستغفر لهم؟ قال: بلى، فوالله إني لأستغفر لوالدي؟ كما استغفر إبراهيم لأبيه. فأنزل الله - سبحانه - : ﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن مؤعدة وعدّها إياه﴾^(١).

﴿فلما تبين له أنه عدو لله﴾ أي: مات على شركه ﴿تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾ قال ابن عباس: الأواه: الموقن. وقال ابن مسعود: هو الدّعاء. قال محمد: وذكر أبو عبيد أن هذا التفسير أقرب في المعنى؛ لأنه من التأوّه، وهو من الصوت^(٢)، منه قول الشاعر:

فأوّه بذكرها إذا ما ذكرتها ومن بُعد أرض دونها وسما^(٣)

قال محمد: يقال: (أوّه) بتسكين الواو وكسر الهاء، و(أوّه) مشددة^(٤)، يقال: آه الرجل يئوه إذا قال: أوّه من أمر يشق عليه، ويقال: تأوّه الرجل، والمتأوّه: المتلهف.

﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم...﴾ الآية.

بلغنا أن ناساً من أصحاب النبي ﷺ ماتوا قبل أن تفرض الفرائض أو بعضها؛ فقال قوم من أصحاب النبي ﷺ: مات إخواننا قبل أن تفرض

(١) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤٣/١١).

(٢) أي: صوت التوجع والشكاية. لسان العرب (أوه)، و(أوو).

(٣) ويروى: فأوه لذكرها... وهو من بحر الطويل. ينظر: اللسان (أوه)، المحتسب (١/٣٩)، الخصائص (٨٩/٢)، (٣٨/٣).

(٤) يقال: أوّه، وأوّه، وأوّه، وأوّه، وأوتاه، لسان العرب، مختار الصحاح (أوه).

هذه الفرائض، فما منزلتهم؟ فأنزل الله - عز وجل - هذه الآية؛ فأخبر أنهم ماتوا على الإيمان.

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ بِهِمْ رُدُّوا رَجِيعٌ﴾ (١١٧)

﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ أي: في وقت العُسرة ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ أي: تميل عن الجهاد؛ فعصمهم الله - عز وجل - من ذلك؛ فمضوا مع النبي ﷺ قال قتادة: أصابهم في هذه الغزوة جهد شديد، حتى لقد بلغنا أن الرجلين كانا يشقان التمرة بينهما، وكان النفر يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا، ثم يشرب عليها من الماء، ثم يمصها الآخر.

﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١١٨) يَتَابُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)

﴿وعلى الثلاثة﴾ أي: وتاب على الذين خُلِفُوا عن غزوة تبوك؛ وهم الذين أُرْجُوا في الآية الأولى في قوله عز وجل: ﴿وآخرون مُّزَجَّونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ (١) وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرَّارَةُ بن ربيعة.

﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾ أي: بسعتها ﴿وظنوا﴾ علموا

﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ بَلَّغْنَا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَمَرَ النَّاسَ أَلَّا يَكْلُمُوهُمْ وَلَا يَجَالِسُوهُمْ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَهْلِهِمْ أَلَّا يُزَوِّهِمْ وَلَا يَكْلُمُوهُمْ؛ فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ نَدَمُوا وَجَاءُوا إِلَى سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَأَوْثَقُوا أَنْفُسَهُمْ؛ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - تَوْبَتَهُمْ فِي هَذِهِ الْآيَةِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ تَفْسِيرُ بَعْضِهِمْ: خَاطَبَ بِهَذَا مَنْ لَمْ يَهَاجِرْ، لِيَهَاجِرُوا إِلَى النَّبِيِّ بِالْمَدِينَةِ.

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْثُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١١٠)

﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ وَهَذَا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ ﴿وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾ يَعْنِي: مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ.

﴿لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عَطَشٌ ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ فِي أَبْدَانِهِمْ ﴿وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾ جُوعٌ.

﴿وَلَا يَطْثُونَ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾.

يَحْيَى: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي الْمُصَبِّحِ قَالَ: «غَزَوْنَا مَعَ مَالِكِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْخَثْعَمِيِّ أَرْضَ الرُّومِ، فَسَبَقَ النَّاسَ رَجُلٌ، ثُمَّ نَزَلَ يَمْشِي وَيَقُودُ فَرَسَهُ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَلَا تَرَكِبُ؟! فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

يقول: من اغبرث قدماء في سبيل الله ساعة من نهار، فهما حرام على النار. قال: فلم أرَ نازلاً أكثر من يومئذ^(١).

يحيى: عن المسعودي، عن محمد بن عبد الرحمن، عن عيسى بن طلحة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع غبار

(١) رواه الإمام أحمد (٢٢٥/٥ - ٢٢٦) - ومن طريق ابن عساكر (٤٦٧/٥٦) - وابن المبارك في الجهاد (٣٣) والبغوي - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه (٤٦٧/٥٦) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به.

ورواه عبد الله بن المبارك في الجهاد (٣٢) من طريق حصين بن حرملة عن أبي المصباح به. وصرح باسم الصحابي، وهو جابر بن عبد الله.

ورواه من طريق ابن المبارك الإمام أحمد (٣٦٧/٣) والطائلي (٢٤٣ - ٢٤٤ رقم ١٧٧٢) وأبو يعلى (٥٧/٤ - ٥٨ رقم ٢٠٧٥) وابن حبان (٤٦٣/١٠ - ٤٦٤ رقم ٤٦٠٤) وابن أبي عاصم في الجهاد (٣٢٨/١ - ٣٢٩ رقم ١١٣) والبيهقي في سننه (١٦٢/٩) وابن عساكر في تاريخه (٤٦٧/٥٦ - ٤٦٨).

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٩٧/١٩) وعنه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٤٦٣/٥) من طريق العلاء بن زبير وابن جابر عن أبي المصباح عن مالك بن عبد الله الخثعمي عن النبي ﷺ، فأصبح من مسند مالك.

ورواه وكيع عن محمد بن عبد الله الشعيثي عن ليث بن المتوكل عن مالك بن عبد الله عن النبي ﷺ.

خرجه الإمام أحمد (٢٢٦/٥) ومن طريقه ابن عساكر (٤٦٦/٥٦) وابن أبي شيبة (٣١٠/٥) عن وكيع.

وقال ابن عساكر: كذا قال، والصواب متوكل بن الليث، قلبه وكيع، ومالك لم يسمع الحديث من رسول الله ﷺ إنما سمعه من رجل من الصحابة غزا معه حين كان يلي المغازي. اهـ

وقال ابن الأثير في أسد الغابة (٣٢/٥): كذا رواه وكيع، والصواب: المتوكل بن الليث، ومالك لم يسمع هذا الحديث من النبي ﷺ، إنما رواه عن جابر عن النبي ﷺ. وقد ذكرناه في كتاب الجهاد مستقصى. اهـ

وقال ابن حجر في الإصابة (٥٥/٩): وهذا هو الصواب أن الحديث لجابر بن عبد الله، وسمعه مالك منه. اهـ

في سبيل الله ودخان جهنم في منخري عبد مسلم أبداً»^(١).

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن يزيد، عن صفوان بن عبد الله بن صفوان قال: «ذكر لنا أن العمل في سبيل الله يضاعف؟ كما تضاعف الثقة سبعمائة ضعف».

﴿وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَهُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٢١) وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً

(١) رواه الإمام أحمد (٥٠٥/٢) وابن المبارك في الجهاد (٣٠) والطيالسي (٣٢١) رقم (٢٤٤٣) وهناد في الزهد (٤٦٥) والنسائي (٣١٩/٦) رقم (٣١٠٨) والترمذي (١٤٧/٤) رقم (١٦٣٣)، ٤٨١/٤ رقم (٢٣١١) والحاكم (٢٦٠/٤) والبيهقي في الشعب (٨٩/٣ - ٩٠ رقم (٧٧٩) والبخاري في شرح السنة (٣٦٤/١٤) رقم (٤١٦٨) وفي تفسيره (١٨٩/٤) وغيرهم من طريق المسعودي به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال البيهقي: رفعه المسعودي، ووقفه مسعر.

ورواه الحميدي (٤٦٦/٢) رقم (١٠٩١) وابن حبان (٤٦٧/١٠) رقم (٤٦٠٧) من طريق مسعر بن كدام عن محمد بن عبد الرحمن به.

ورواه وكيع في الزهد (٢٤٩/١ - ٢٥٠ رقم (٢٣) عن مسعر والمسعودي به موقوفاً.

ورواه النسائي (٣١٩/٦) رقم (٣١٠٧) وهناد في الزهد (٤٦٦) وابن أبي شيبة (٣٥١/١٣) رقم (١٦٥٥٧) والبيهقي في الشعب (٩٠/٣) رقم (٧٨٠) من طريق مسعر به موقوفاً.

ورواه ابن ماجه (٩٢٧/٢) رقم (٢٧٧٤) من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن عبد الرحمن مرفوعاً.

ولما سُئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (٣٣٦/٨) رقم (١٦٠٦): يرويه محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة عنه، واختلف عنه: فرواه مسعر عنه موقوفاً، واختلف عن المسعودي فرفعه عنه قوم، ووقفه وكيع عنه، وقيل: عن ابن عيينة عن مسعر مرفوعاً، ولا يثبت. اهـ.

قلت: وللحديث طرق أخر عن أبي هريرة وغيره.

فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٧٣﴾

﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة...﴾ الآية، تفسير بعضهم: أن رسول الله ﷺ حين رجع من تبوك وقد أنزل الله - عز وجل - في المنافقين الذين تخلفوا عنه ما أنزل - قال المؤمنون: لا والله لا يرانا الله - عز وجل - متخلفين عن الغزوة يغزوها رسول الله ﷺ أبداً ولا عن سرية. فأمر رسول الله ﷺ السرايا أن تخرج فنفر المسلمون من آخرهم، وترك نبي الله ﷺ وحده، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ أي: جميعاً، ويذكرك وحدك بالمدينة ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ ليتفقه المقيمون ﴿وينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ من غزائهم. أي: يعلم المقيم الغازي ما نزل بعده من القرآن.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَءَاعِلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿١٧٣﴾ وَإِذَا مَا أَنزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٧٥﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار...﴾ الآية، قال الحسن: نزلت قبل أن يؤمر بقتال المشركين كافة.

﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول﴾ يعني: المنافقين ﴿أيكم زادته هذه إيماناً﴾ يقوله بعضهم لبعض، قال الله - عز وجل - : ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً﴾ تصديقاً ﴿وهم يستبشرون﴾ بما يجيء من عند الله ﴿وأما

الذين في قلوبهم مرض ﴿شك﴾ ﴿فزادتهم رجسًا إلى رجسهم﴾ أي: زادهم تكذيبهم بها كفرًا إلى كفرهم ﴿وماتوا وهم كافرون﴾ يقول: إنهم يموتون على الكفر.

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾
﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين﴾ قال الحسن: يعني: يُبْتَلَوْنَ بالجهاد مع رسول الله ﷺ فيرون نَصْرَ الله - عز وجل - رسوله ﴿ثم لا يتوبون﴾ من نفاقهم ﴿ولا هم يذكرون﴾.

﴿وَإِذَا مَا أَنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يعني: المنافقين ﴿هل يراكم من أحد﴾ من المسلمين؛ يقوله بعضهم لبعض ﴿ثم انصرفوا﴾ قال الحسن: يعني: عزموا على الكفر ﴿صرف الله قلوبهم﴾ هذا دعاء ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ لا يرجعون إلى الإيمان.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ قال السدي: يعني من جنسكم ﴿عزير﴾ عليه ﴿أي: شديد عليه﴾ ﴿ما عنتم﴾ قال الحسن: يعني: ما ضاق بكم في دينكم ﴿حريص عليكم﴾ أن تؤمنوا ﴿فإن تولوا﴾ عن الله - جل وعز - وعمًا بعث به رسوله ﴿فقل﴾ يا محمد: ﴿حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو

رب العرش العظيم ﴿ قال قتادة: يقال: إن أخذت القرآن بالله عهدًا هاتان الآيتان ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم...﴾ إلى آخر السورة.



تفسير سورة يونس وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ (١) أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾

قوله عز وجل: ﴿الرَّ﴾ قال الحسن: لا أدري ما تفسير ﴿الرَّ﴾ وأشبه ذلك؛ غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

﴿تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب الحكيم﴾ المحكم.

﴿أكان للناس عجبًا﴾ على الاستفهام ﴿أن أوحينا إلى رجلٍ منهم أن أنذر الناس﴾ عذاب الله - عز وجل - في الدنيا والآخرة؛ إن لم يؤمنوا؛ وهذا جوابٌ من الله - عز وجل - لقول المشركين حين قالوا: ﴿إنَّ هذا لشيءٌ عجاب﴾ (١) إنه لشيءٌ عجب.

﴿وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ يعني: عملاً صالحاً يثابون عليه الجنة.

قال محمد: يقال: له عندي قدم صدق (٢). (ل ١٣٦) وقَدَمٌ سوءٌ، وله في

(١) ص: ٥ .

(٢) قال الأخفش: هو التقديم كأنه قَدَمٌ خيرًا وكان له فيه تقديم. لسان العرب، مختار الصحاح (قدم).

هذا الأمر قدم صالحة وقدم حسنة وكأنه (...) (١) قال ذو الرمة (٢):

لكم قدم لا ينكر الناس فضلها

مع الحسب العادي طمئت على البحر (٣)

أي: ارتفعت.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦﴾﴾ قوله عز وجل: ﴿إليه مرجعكم جميعاً﴾ يعني: البعث ﴿وعد الله حقاً﴾ في المرجع إليه ﴿إنه يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ أي: يحييه ثم يميته، ثم يبدؤه فيحييه ﴿ليجزى﴾ لكي يجزي ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط﴾ بالعدل يجزيهم الجنة ﴿والذين كفروا لهم شراب من حميم﴾ وهو الذي قد انتهى حره.

(١) طمس في «الأصل».

(٢) هو غيلان بن عقبة بن نهيس العدوي، من فحول الطبقة الثانية في عصره (٧٧ - ١١٧هـ). ينظر: الأعلام (١٢٤/٥).

(٣) وروى: لكم قدم لا ينكر الناس أنها * إلخ. والبيت من بحر الطويل. ينظر: ديوانه (٣٦١)، البحر (١٢٣/٥)، القرطبي (٣٠٦/٨) ورواه (العالي) بدلاً من (العادي).

﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نورًا وقدره منازل﴾ أي: جعل القمر (...)^(١) منازل من النجوم، وهي: ثمانية وعشرون منزلة في كل شهر (...)^(١) يعني: القمر ﴿لتعلموا عدد السنين والحساب﴾ بالليل والنهار ﴿ما خلق الله ذلك إلا بالحق﴾ أي: إن ذلك يصيرُ إلى المعاد ﴿يفصل الآيات﴾ بينها ﴿لقوم يعلمون﴾ وهم المؤمنون ﴿إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات﴾ من شمسها وقمرها ونجومها، وما خلق الله في الأرض من جبالها وأشجارها وثمارها وأنهارها ﴿آيات لقوم يتقون﴾ وهم المؤمنون.

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ۖ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

﴿إن الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي: لا يخافون البعث، وهم المشركون؛ لأنهم لا يقرون بالبعث ﴿ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها﴾ لا يقرون بثواب الآخرة.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ قال محمد: يعني: يكون لهم نورًا يمشون به.

﴿دعواهم فيها﴾ أي: قولهم في الجنة: ﴿سبحانك اللهم وتحييتهم فيها سلام﴾ يعني: يحيي بعضهم بعضًا بالسلام، وتحييهم الملائكة عن الله - عز

(١) طمس في «الأصل».

وجل - بالسلام ﴿وآخر دعواهم﴾ قولهم: ﴿أن الحمد لله رب العالمين﴾ أول كلامهم التسبيح ، وآخره الحمد .

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُلْهَمُونَ الْحَمْدَ وَالتَّسْبِيحَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ»^(١).

﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم﴾ وهو ما يدعو به الإنسان على نفسه وولده وماله ، ولو استجاب الله - عز وجل - له لأهلكه .

قال محمد: قيل: المعنى: لو عجل الله للناس الشر إذا دعوا به على أنفسهم عند الغضب، وعلى أهلهم وأولادهم واستعجلوا به كما يستعجلونه بالخير؛ إذا سألوه إياه؛ وهو معنى قول يحيى.

(١) روى مسلم في صحيحه (٤/٤٨٦ - ٤٨٧ رقم ٢٨٣٥) عن جابر عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ وَلَا يَتَلَوْنَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَطُّونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ. قَالُوا: فَمَا بِالْطَّعَامِ، قَالَ: جِشَاءَ وَرَشَحَ كَرَشَحَ الْمَسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ».

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ أي: وهو مضطجع على جنبه ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ يقول: أو دعانا قائمًا أو قاعدًا ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ أي: مر معرضًا عن الله - عز وجل - الذي كشف عنه الضر.

قال محمد: قيل: المعنى - والله أعلم - : مرّ في العافية على ما كان عليه قبل أن يبتلى، ومعني (كأن): كأنه .

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ يريد: من أهلك من القرون السالفة ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ لَمَّا أَشْرَكُوا ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ أخبر بعلمه فيهم ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين .

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ﴾ يعني: خلفاء ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ .

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٥) قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٦) ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّكُمْ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (١٧) ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث ﴿آتِ بقرآن غير هذا أو بدله﴾ أي: أو بَدِّلْ آية الرحمة آية العذاب، أو بَدِّلْ آية العذاب آية الرحمة . قال الله - عز وجل - لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ أي: من عندي .

﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ﴾ أي: ولا أعلمكم به ﴿فَقَدْ

لبث فيكم عمراً من قبله ﴿ من قبل القرآن لا أدعي هذه النبوة .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم﴾ إن لم يعبدوه ﴿ولا ينفعهم﴾ إن عبده ﴿ويقولون هؤلاء شفاعونا عند الله﴾ أي: أن الأوثان تشفع لهم - زعموا - عند الله ؛ ليصلح لهم معاشهم في الدنيا .

(١٣٧) [...] (١) بالبعث ﴿قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ أي: لا يعلم أن [...] (٢) في الأرض إلها غيره ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ من العلو ﴿عما يشركون﴾ .

﴿وما كان الناس إلا أمة واحدة﴾ يعني: على الإسلام ما بين آدم إلى نوح؛ في تفسير قتادة ﴿فاختلفوا﴾ لما أتتهم الأنبياء، وكفر بعضهم ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾ تفسير الحسن: يعني: المؤمنين والكافرين لولا أن الله - عز وجل - قضى ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحاسبهم في الدنيا؛ فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار.

﴿ويقولون لولا﴾ هَلَّا ﴿أنزل عليه آية من ربه﴾ يعنون: الآيات التي كانت

(١) طمس في «الأصل» نحو كلمتين.

الأمم تسألها أنبياءها ﴿فقل إنما الغيب لله﴾ كقوله: ﴿إنما الآيات عند الله﴾ (١) فإذا شاء أنزلها ﴿فانتظروا إني معكم من المنتظرين﴾ أي: فستعلمون بمن ينزل العذاب .

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسْتَهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكَ فِي الْبَرْحِ حَتَّى إِذَا كُنْتَ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغْيِكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ﴾ يعني: المشركين ﴿رحمة﴾ عافية ﴿من بعد ضراء مستهم﴾ يعني: من بعد مرض أو شدة أصابتهم ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ قال الحسن: يعني: جحودًا وتكذيبًا لدينا ﴿قل الله أسرع مكرًا﴾ قال الحسن: يعني: عذابًا ﴿إن رسلنا﴾ يعني: الحفظة ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ يعني: المشركين .

﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك﴾ في السفن يقول هذا للمشركين، ثم قال للنبي ﷺ: ﴿وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف﴾ أي: شديدة - الآية .

قوله عز وجل: ﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ أي: أنهم مغرقون ﴿دعوا الله...﴾ الآية ﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾ أي:

يكفرون ويعملون بالمعاصي.

قال محمد: أصل البغي: الترامي في الفساد، ومنه يقال: بغى الجرح إذا ترامى إلى فساد، وبغت المرأة إذا فجرت^(١).

﴿يا أيها الناس﴾ يعني: المشركين ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ يعني: ضراً عليكم؛ لأنهم يثابون عليه النار ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ يقول: إنما بغيكم وكفركم في الدنيا، ثم ينقطع فترجعون إلى الله سبحانه.

قال محمد: الرفع في قوله: ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ جائز على معنى أن يكون خبراً لقوله: ﴿بغيتكم على أنفسكم﴾^(٢) المعنى: أن الذي تنالونه بهذا الفساد والبغي إنما تتمتعون به في الدنيا.

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَىهَا أُنْزِلَتْهَا آمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ قال بعضهم: يعني: فأخرجت الأرض ألواناً من النبات ﴿حتى إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ يعني: حسنها ﴿وازَّيَّنَتْ﴾ يعني: تزينت نباتاتها من صُفْرة وخُضرة وخُمْرة.

(١) لسان العرب (بغى).

(٢) قرأ حفص (متاع) بالنصب، وقرأ الباقون (متاع) بالرفع. ينظر: السبعة (٣٢٥)، النشر (٢)

(٢٨٣)، التيسير (١٢١) وفي تأويل النصب والرفع أوجه نحوية تنظر من: البحر المحيط (٥)

(١٤٠)، الدر المصون (١٩/٤).

قال محمد: أصل (الزخرف): الذهب، ثم يقال للنقش وللنور والزينة، وكل شيء زين: زخرف^(١).

﴿وظن أهلها أنهم قادرون عليها﴾ أي: قادرون على الانتفاع بما فيها من زرع.

﴿أتأها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً﴾ أي: ذهب ما فيها.
 ﴿كان لم تغن بالأمس﴾ كان لم يكن ما كان فيها من زرع بالأمس قائماً.
 قال محمد: المعنى: كان لم تكن عامرة بالأمس، المغاني: المنازل، واحداً مغنى تقول: غنيت بالمكان؛ إذا أقمت به^(٢).

﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ يقول: فالذي أنبت هذا الزرع في الأرض الموات، حتى صار زرعاً حسناً، ثم أهلكه بعد حسنه وبهجته قادر على أن يحيي الموتى، وإنما يقبل ذلك ويعقله المتفكرون ﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ والسلام هو الله - سبحانه - وداره الجنة .

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِن عَاصِرٍ ۖ كَانَمَا أَغَشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝٢٧﴾

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ آمنوا ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿وزيادة﴾ النظر إلى وجه الله - عز وجل.

(١) لسان العرب (زخرف).

(٢) ويقال: المغاني: المواضع التي كان بها أهلها. لسان العرب، مختار الصحاح (غنى).

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن عامر بن [سعد]^(١) قال: «قرأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية - أو قرئت عنده - فقال: هل تدرون ما الزيادة؟ (ل ١٣٨) الزيادة هي النظر إلي وجه ربنا عز وجل»^(٢).

(١) في «الأصل»: سعيد. وهو خطأ، عامر بن سعد هو البجلي الكوفي روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وروى عنه أبو إسحاق السبيعي، ترجمته في التهذيب (٢٣/١٤ - ٢٥) وقد رواه الدارقطني في الرؤية من طريق يحيى بن سلام على الصواب.

(٢) رواه ابن أبي زمنين في أصول السنة بإسناده إلى يحيى بن سلام. ورواه الدارقطني في الرؤية (٢٩٠ رقم ١٩٥) من طريق يحيى بن سلام به. ورواه ابن النحاس في كتاب الرؤية (ق ٢٥٥ - أ) من طريق يونس بن أبي إسحاق به. ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/٢٥٧ رقم ٤٧٠) وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٠٦ رقم ٤٧٤) والطبري في تفسيره (١١/١٠٤) وابن خزيمة في التوحيد (٢/٤٥٠ - ٤٥١ رقم ٢٦٤) والدارقطني في الرؤية (٢٨٩ رقم ١٩٣، ٢٩٣ رقم ٢٠١) والآجري في الشريعة (٢/١٣ - ١٤ رقم ١٤ - ١٣ رقم ٦٣١، ٦٣٢) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/٤٥٨ رقم ٧٨٤) وابن منده في الرد على الجهمية (٩٥ رقم ٨٤) وغيرهم من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به.

ورواه عبد الله في السنة (١/٢٥٦ - ٢٥٧ رقم ٤٧٠) والدارقطني في الرؤية (٢٨٩ رقم ١٩٢) والآجري في الشريعة (٢/١٣ رقم ٦٣٠) من طريق زكريا بن أبي زائدة عن أبي إسحاق.

ورواه الدارقطني في الرؤية (٢٩٠ - ٢٩١ رقم ١٩٦) والبيهقي في الاعتقاد (ص ٦٢) من طريق محمد بن جابر عن أبي إسحاق به.

وخالفهم سفيان الثوري فرواه عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد قوله. ورواه الطبري في تفسيره (١١/١٠٥) وابن خزيمة في التوحيد (٢/٤٥٢ رقم ٢٦٥/١٠) ونعيم بن حماد في زوائد الزهد (١٢٧ رقم ٤٢٠) والدارقطني في الرؤية (٣٠٠ رقم ٢١٤، ٢١٥) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٣/٤٦١ رقم ٧٩٢، ٧٩٣) والدارمي في الرد على الجهمية (١٠٠ - ١٠١ رقم ١٩٤) وتابع الثوري عليه شعبة بن الحجاج، رواه عبد الله بن أحمد في السنة (١/٢٥٧ رقم ٤٧٢، ٤٩٧/٢ رقم ١١٤٥) والطبري في تفسيره (١١/١٠٥).

ورواه شريك بن عبد الله عن أبي إسحاق واختلفت الرواية عنه على ثلاثة أوجه: الأول: كرواية يونس وإسرائيل ومن معهما، ذكرها الدارقطني في العلل (١/٢٨٢). =

﴿ولا يرهق وجوههم﴾ أي: يغشى ﴿قتر﴾ .

قال محمد: القتر أصله: الغبرة التي فيها سواد^(١) .

﴿والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها﴾ أي: جزاء الشرك: النار

﴿كأنما أغشيت وجوههم قطعا﴾ جمع: قطعة ﴿من الليل مظلمًا﴾ أي: في

حال ظلمته .

= الثاني: عن أبي إسحاق عن سعيد بن نمران عن أبي بكر. رواه الدارمي في الرد على الجهمية (٩٩ رقم ١٩٠) وفي الرد على المريسي (٧١٣/٢ - ٧١٤) والطبري في تفسيره (١٠٦/١١). والدارقطني في الرؤية (٢٩٢ رقم ١٩٩).

الثالث: عن شريك عن أبي إسحاق قوله. رواه الطبري في تفسيره (١٠٥/١١) والدارقطني في الرؤية (٣٠٥ - ٣٠٦ رقم ٢٢٣) واللالكائي في أصول الاعتقاد (٤٦٢/٣ رقم ٧٩٤). ورواه قيس بن الربيع عن أبي إسحاق، واختلف عنه:

ف قيل: عن قيس عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر. كرواية إسرائيل ومن معه. خرجه الدارقطني في الرؤية (٢٩١ - ٢٩٢ رقم ١٩٨).

وقيل: عن قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن نمران عن أبي بكر الصديق.

خرجه الطبري في تفسيره (١٠٤/١١ - ١٠٥) والدارقطني في الرؤية (٢٩١ رقم ١٩٧ ، ٢٩٢ - ٢٩٣ رقم ٢٠٠).

وتابعه على هذا الوجه أبو الربيع السمان، خرجه ابن خزيمة في التوحيد (٤٥٣/٢ - ٤٥٤) وقال ابن خزيمة: رواه أبو الربيع أشعث السمان، وليس ممن يحتج أهل الحديث بحديثه؛ لفسوه حفظه. ثم قال ابن خزيمة: إسرائيل أولى هذا الإسناد من أبي الربيع.

ولما سئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (٢٨٢/١ - ٢٨٣ رقم ٧٣): هو حديث رواه إسرائيل بن يونس وأبوه يونس بن أبي إسحاق وشريك وزكريا بن أبي زائدة ومحمد بن جابر عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر.

وقال بعضهم: عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن سعيد بن نمران، عن أبي بكر.

وقال الثوري: عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد البجلي قوله، لم يذكر فوقه أحدًا.

والمحفوظ من ذلك قول إسرائيل ومن تابعه: عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر.

(١) وواحد القتر: قتر. لسان العرب (قتر).

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَصَلَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا لَكُمْ عَقْلٌ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَآذَا بَدَّ الْحَقُّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿ويوم نحشرهم﴾ يعني: المشركين وأوثانهم جميعاً ﴿ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاءكم﴾ يعني: الأوثان ﴿فزيلنا بينهم﴾ بالسيئات، يعني: المشركين على حدة، والأوثان على حدة ﴿وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون﴾ الأوثان تقول هذا للمشركين: ما كانت عبادتكم إيانا عن دعاء كان مِنَّا لكم، وإنما دعاكم إلى عبادتنا الشيطان.

قال محمد: يجوز النصب في قوله عز وجل: ﴿مكانكم﴾ على الأمر^(١)، كأنهم يقال لهم: انتظروا مكانكم حتى يفصل بينكم؛ وهي كلمة جرت على الوعيد؛ تقول العرب: (مكانك) تتوعد بذلك.

وقوله عز وجل: ﴿فزيلنا بينهم﴾ أي: ميزنا؛ يقال: أزلت الشيء من الشيء أزيله؛ أي: ميزته منه أميزه^(٢).

﴿فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا﴾ لقد كنا ﴿عن عبادتكم لغافلين﴾

(١) ينظر الدر المصون (٢٦/٤ - ٢٧).

(٢) ويقال: زلت الشيء من مكانه؛ لغة في (أزلت). لسان العرب، مختار الصحاح (زيل).

قال الحسن: يحشر الله - عز وجل - الأوثان المعبودة في الدنيا بأعيانها، فتخاصم من كان عبدها ﴿هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت﴾ قال مجاهد: يعني: تختبر ثواب ما أسلفت في الدنيا. وهي تقرأ على وجه آخر (تتلو)^(١) أي: تتبع.

قال ابن مسعود: هذا في البعث ليس أحد كان يعبد شيئاً من دون الله - عز وجل - إلا وهو مرفوع له ﴿ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق﴾ ربهم الحق، والحق اسم من أسماء الله عز وجل.

ثم قال للنبي ﷺ: ﴿قل﴾ لهم ﴿من يرزقكم من السماء والأرض﴾ وهو على الاستفهام ﴿أمن يملك السمع والأبصار﴾ أي: يذهبها أو يبقئها. ﴿ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي﴾ قال مجاهد: يعني: يخرج الناس الأحياء من النطف، والنطف من الناس الأحياء، والأنعام مثل ذلك، والنبات مثل ذلك. وقال الحسن: يعني: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن ﴿ومن يدبر الأمر﴾ فيما يحيي ويميت ويقبض ويبسط ﴿فسيقولون الله فقل أفلا تتقون﴾ وأنتم تقرون بالله - عز وجل - أنه هو الذي يفعل هذه الأشياء، ثم لا تتقونه وتعبدون هذه الأوثان من دونه!

﴿فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ يعني: أن أوثانكم ضلالٌ وباطلٌ ﴿فأنى تصرفون﴾ فكيف تصرف عقولكم فتعبدون غيره؟! ﴿كذلك حقت كلمات ربك﴾^(٢) أي: سبق قضاؤه ﴿على الذين فسقوا﴾

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر: السبعة (٣٢٥)، النشر (٢/٢٨٣)، الحجة (١٨١).

(٢) هكذا في «الأصل» (كلمات) جمعاً، وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون (كلمة) على الإفراد. ينظر: السبعة (٣٢٦) النشر (٢/٢٦٢)، الحجة (١٨١).

أنهم ﴿ لا يؤمنون ﴾ يعني: الذين يلقون الله بشركهم .

﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَسْبَدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَإِنَّ تَوْفِيقَهُ ۖ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۖ وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ۖ ﴾ (٣٦)

﴿ قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده ﴾ أي: من يخلق، ثم يميت، ثم يحيي؛ أي: أنها لا تقدر على ذلك .

﴿ قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون ﴾ فكيف تصرفون عنه؟!

﴿ قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق ﴾ أي: إلى الدين والهدى؛ أي: أنها لا تفعل ولا تعقل ﴿ قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى ﴾ أي: أن الذي يهدي إلى الحق أحق أن يتبع؛ وهو الله لا إله إلا هو .

قال محمد: قوله عز وجل: ﴿ لا يهدي ﴾ أي: لا يهتدي؛ فادغم التاء في الدال^(١) . وهي تقرأ أيضاً (يَهْدِي) خفيفة^(٢)؛ ومعناها: يهتدي؛ يقال: هديت الطريق؛ بمعنى: اهتديت^(٣) .

(١) لقرب مخرجيهما؛ أي: مخرج التاء والدال، ونقلت حركة التاء (الفتحة) إلى الهاء، ثم كسرت للمناسبة؛ أي: لمناسبة كسرة الدال. الدر المصون (٣١/٤).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر: السبعة (٣٢٦)، النشر (٢٨٣/٢) الحجة (١٨١).

(٣) وقد ورد (هدى) في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه: معدي بنفسه كقوله تعالى: ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ ومرة معدي باللام كقوله تعالى: ﴿قل الله يهدي للحق﴾، ومرة معدي بإلى؛ كقوله تعالى: ﴿اهدنا إلى سواء الصراط﴾ لسان العرب، مختار الصحاح (هدى) الدر المصون (٣٠/٤).

﴿فما لكم كيف تحكمون﴾ أي: أنكم تقولون بأن الله - عز وجل - هو الخالق والرازق (ل١٣٩) ثم تعبدون الأوثان من دونه!
 ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً﴾ أي: يعبدون الأوثان يتقربون بها إلى الله تعالى - زعموا - ليصلح لهم معاشهم في الدنيا، وما يفعلون ذلك إلا بالظن.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَىٰ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ
 الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٧) ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ
 اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣٨) ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ
 تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٩) ﴿وَمِنْهُمْ
 مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ (٤٠) ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي
 عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٤١) ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ
 إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الْأُصْمَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٢)

﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ يقول: لم يكن أحد يستطيع أن يفتريه؛ فيأتي به من قبل نفسه ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وتفصيل الكتاب﴾ من الحلال والحرام، والأحكام، والوعيد والوعيد ﴿لا ريب فيه﴾ لا شك فيه.

قال محمد: قوله: ﴿أن يفترى﴾ أي: لأن يفترى^(١)، يعني: يُخْتَلَق. ومن قرأ (تصديق)^(٢): هو تصديق^(٣)، ومن نصب فالمعنى: ولكن كان تصديق

(١) الدر المصون (٤/٣٣).

(٢) يعني: بالرفع.

(٣) أي: فالمعنى: هو تصديق.

الذي بين يديه^(١).

﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ أي: أن محمدًا افترى القرآن على الاستفهام؛ أي: قد قالوه قال الله - عز وجل - : يا محمد ﴿قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ مثل هذا القرآن ﴿وَادْعُوا﴾ يعني: استعينوا ﴿مَنْ اسْتَطَعْتُمْ﴾ أي: من أطاعكم ﴿مَنْ دُونَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: لستم بصادقين، ولا تأتون بسورة مثله.

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ أي: لم يكن لهم علم بما كذبوا ﴿وَلَمَّا﴾ أي: ولم يأتهم ﴿تَأْوِيلَهُ﴾ يعني: الجزاء به؛ ولو قد أتاهم تأويله لآمنوا به؛ حيث لا ينفعهم الإيمان ﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ كان عاقبتهم أن أهلكهم الله - عز وجل - بتكذيبهم رُسُلَهُمْ، ثم صيرَهُمْ إلى النار.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أي: ومن المشركين من سيؤمن بالقرآن، ومنهم من لا يؤمن به ﴿وَرَبِّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾. ﴿فَقُلْ لِيْ عَمَلِيْ وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: ليس عليكم من عملي شيء، وليس لي من عملكم شيء.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ﴾ يعني: جماعة يستمعون.

﴿أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ وهذا سمع القبول.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ

(١) قرأ الجمهور (تصديق) بالنصب، وقرأ عيسى بن عمر بالرفع. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٤٩)، البحر (١٥٧/٥) الدر المصون (٣٣/٤).

وفي تأويل النصب والرفع أوجه نحوية أخرى تنظر من البحر المحيط (١٥٧/٥).

لَا يُظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يُظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَانَ لَرَّ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا تُرِيتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُنَوِّتُكَ فَإِيتَانَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّخَذْتُمْ عَذَابِي يَوْمًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتَدْرَأَ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُكُمْ يَوْمَ ءَأْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾

﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ أي: يُقبل عليك بالنظر.

﴿أفأنت تهدي العمي﴾ يعني: عمى القلب ﴿ولو كانوا لا يبصرون﴾ كقوله: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾^(١).

﴿ويوم نحشرهم﴾^(٢) كأن لم يلبثوا﴾ أي: في الدنيا ﴿إلا ساعة من النهار﴾ في طول ما هم لا يثبون في النار ﴿يتعارفون بينهم﴾ أي: يعرف بعضهم بعضًا. قال الحسن: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةُ مَوَاطِنَ لَا يَسْأَلُ فِيهَا أَحَدٌ أَحَدًا: إِذَا وُضِعَتِ الْمَوَازِينُ؛ حَتَّى يَغْلَمَ أَثْقَلُ مِيزَانِهِ أَمْ يَخْفُ، وَإِذَا تَطَايَرَتِ

(١) القصص: ٥٦.

(٢) قرأ حفص ﴿يحشرهم﴾ بالياء، وقرأ الباقون «نحشرهم» بالنون. النشر (٢/٢٦٢) وإتحاف الفضلاء (٣١٣).

الكتب؛ حتى يعلم يأخذ كتابه يمينه أم بشماله، وعند الصراط؛ حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز»^(١).

(١) رواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٧٩ رقم ١٣٦١) من طريق حزم بن مهران عن الحسن.

وقد روي عن الحسين موصولاً:

رواه الإمام أحمد (١٠١/٦) من طريق القاسم بن الفضل، عن الحسن، عن عائشة رضي الله عنها.
ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده (٧٤٠/٣ رقم ١٣٤٩) وأبو داود (٢٥١/٥ رقم ٤٧٢٢) والحاكم (٥٧٨/٤) من طريق يونس بن عبيد، عن الحسن، عن عائشة رضي الله عنها.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الروايات أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة رضي الله عنها وأم سلمة. اهـ.
وقال العراقي: إسناده جيد. تخريج الإحياء (٢٦٨٣/٦).

ورواه الآجري في الشريعة (٢١٠/٢ رقم ٩٦١) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن مبارك، عن الحسن، عن عائشة رضي الله عنها.

ورواه البيهقي - كما في النهاية لابن كثير (٢٧/٢) - من طريق يزيد بن زريع عن الحسن عن عائشة رضي الله عنها.

ورواه الإمام أحمد (١١٠/٦) والآجري (٢٠٩/٢ رقم ٥٥١) من طريق ابن لهيعة عن خالد ابن أبي عمران و عن القاسم بن محمد، عن عائشة رضي الله عنها.
قال الهيثمي في المجمع (٣٥٩/١٠): رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وثق، وبقي رجاله رجال الصحيح.

وقال الزبيدي: إسناده ثقات سوى ابن لهيعة.

ورواه الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري في كتاب الزهد والرقائق من طريق عصام بن طليق - وهو وإه- عن داود، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها.
قاله الزبيدي، تخريج الإحياء (٢٦٨٣/٦ - ٢٦٨٤).

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٠/١٣ رقم ١٦٢٥) عن أبي خالد الأحمر، عن أبي الفضل، عن الشعبي، عن عائشة رضي الله عنها.

ورواه الآجري في الشريعة (٢١١/٢ - ٢١٢ رقم ٩٦٢) ويعقوب بن سفيان في فوائده - كما في تخريج الإحياء (٢٦٨٤/٦) - من طريق علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة رضي الله عنه.
قال الزبيدي: وإسناده وإه.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٨/٢) عن معمر عن قتادة مرسلاً.

﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب في الدنيا ﴿أو نتوفينك﴾ فيكون بعد وفاتك ﴿فإلينا مرجعهم﴾.

﴿ولكل أمة رسول﴾ فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط ﴿بالعدل﴾؛ فإذا جاء رسولهم؛ يعني: يوم القيامة، هو كقوله: ﴿وجيء بالنبين...﴾^(١).
﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ يقوله المشركون لما كان يعدُّهم به النبي ﷺ من عذاب الله - عز وجل - إن لم يؤمنوا، فكانوا يستعجلونه بالعذاب استهزاء وتكديفاً.

﴿قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً﴾ يخبرهم أن الذي يستعجلون به من العذاب ليس في يديه.

﴿لكل أمة أجل﴾ إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ﴿عن عذاب الله﴾ إذا نزل بهم ﴿ولا يستقدمون﴾ العذاب قبل أجله.

﴿قل رأيتم إن أتاكم عذابه بيّاتاً﴾ يعني: ليلاً ﴿أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون﴾.

قال محمد: ﴿بيّاتاً أو نهاراً﴾ منصوبٌ على الوقت^(٢)، وقوله: ﴿ماذا يستعجل﴾ المعنى: أي شيء، وقد يجيء بمعنى: ما الذي يستعجل؟

﴿أثم إذا ما وقع﴾ قال السدي: يعني: حتى إذا ما نزل العذاب (ل ١٤٠)
﴿آتمتم به الآن وقد كنتم به تستعجلون﴾ أي: يقال لهم إذا آمنوا عند نزول العذاب الآن تؤمنون حين لا ينفعكم الإيمان.

(١) الزمر: ٦٩.

(٢) أي: على ظرف الزمان.

﴿وَيَسْتَنْبِثُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ آيَاتٌ وَإِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿ويستنبثونك﴾ أي: يستخبرونك ﴿أحق هو﴾ يعنون: القرآن ﴿قل إِي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين﴾ بسابقين فلا يقدر عليكم فيعذبكم .
﴿ولو أن لكل نفس ظلمت﴾ أشركت ﴿ما في الأرض﴾ من ذهب وفضة ﴿لافتدت به﴾ يوم القيامة من عذاب الله - عز وجل .

﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي: دخلوا فيه ﴿وقضي بينهم﴾ أي: فصل بينهم ﴿بالقسط﴾ بالعدل .

﴿ألا إن وعد الله﴾ الذي وعد في الدنيا ﴿حق﴾ من الوعد بالجنة، والوعيد بالنار ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: المشركين؛ وهم أكثر الناس .

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْلَى اللَّهُ تَقْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنْ أَلَّفُوا فَضْلَ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿وَشَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ يُذْهِبُ مَا فِيهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، ﴿وَهُدًى﴾ يَهْتَدُونَ بِهِ إِلَى الْجَنَّةِ ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فَأَمَّا الْكَافِرُونَ فَإِنَّهُ عَلَيْهِمْ عَذَابٌ.

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: فَضْلُ اللَّهِ: الْإِسْلَامُ، وَرَحْمَتُهُ: الْقُرْآنُ ﴿فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ تَفْسِيرُ بَعْضِهِمْ: فَلْيَفْرَحُوا؛ يَعْنِي: الْمُؤْمِنِينَ.

﴿هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ مِمَّا يَجْمَعُ الْكَافِرُ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ مَا حَرَّمُوا مِنَ الْأَنْعَامِ وَمِنْ زُرْعِهِمْ.

﴿قُلْ أَلَّهِ أَذُنٌ لَكُمْ﴾ أَي: أَمَرَكُمْ بِمَا صَنَعْتُمْ مِنْ ذَلِكَ؟ أَي: أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ ثُمَّ أَوَعَدَهُمُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ وَهُوَ عَلَى الْإِسْتِفْهَامِ؛ يَقُولُ: ظَنُّهُمْ أَنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُمْ، وَظَنُّهُمْ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ يَقِينٌ مِنْهُمْ؛ وَقَدْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا لَا يَقْرُونَ بِالْبَعْثِ؛ فَلَمَّا صَارُوا إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - سَيُعَذِّبُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بِمَا يَنْعُمُ عَلَيْهِمْ، وَبِمَا أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرِّسَالَ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ يَعْنِي: لَا يُؤْمِنُونَ.

﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ مِنْ حَوَائِجِكَ لِلدُّنْيَا ﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ خَاطِبٌ بِهَذَا النَّبِيُّ ﷺ ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ يَعْنِي: الْعَامَّةُ ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ يَخْبِرُهُمْ أَنَّهُ شَاهِدٌ لِأَعْمَالِهِمْ ﴿وَمَا يَعْزِبُ عَنْ رَبِّكَ﴾ أَي: يَغِيبُ عَنْ رَبِّكَ ﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ وَزَنَ ذَرَّةٍ ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ حَتَّى لَا يَعْلَمَهُ وَيَعْلَمَ مَوْضِعَهُ ﴿وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّنٌ عِنْدَ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ.

قال محمدٌ: من قرأ: ﴿وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ﴾ بالفتح ^(١) - فالمعنى: ما يعزبُ عن ربك من مثقال ذرة، ولا مثقال أصغر من ذلك ولا أكبر؛ وفتح لأنه لا ينصرف ^(٢). ومن رفع ^(٣)، فالمعنى: ما يعزبُ عن ربك مثقال ذرة ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

﴿إِنِّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ^(٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ^(٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لَهُمْ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ^(٦٤) وَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ^(٦٥)

﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾.

يحيى: عن أمية، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة «أن عبادة بن الصامت سأل نبي الله ﷺ عن هذه الآية، فقال: هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن، أو ترى له» ^(٤).

(١) وقراءة الفتح هي قراءة السبعة إلا حمزة. ينظر: السبعة (٣٢٨)، النشر (٢/٢٨٥)، الحجة (١٨٢).

(٢) وتفصيل ذلك ينظر من الدر المصون (٤٨/٤).

(٣) وقراءة الرفع هي قراءة حمزة. ينظر: السبعة (٣٢٨)، النشر (٢/٢٥٨) الحجة (١٨٢).

(٤) رواه الإمام أحمد (٣١٥/٥ ، ٣٢١) وابن ماجه (٢/١٢٨٣) رقم (٣٨٩٨) والدارمي في سننه (٢/١٦٥) رقم (٢١٣٦) والطبري في تفسيره (١١/١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦) والحاكم (٢/٣٤٠) من طريق يحيى بن أبي كثير به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه الطيالسي (٧٩ رقم ٥٨٣) والترمذي (٤/٤٦٣) رقم (٢٢٧٥) والحاكم (٤/٣٩١) والبيهقي في الشعب (٤/١٨٥) رقم (٤٧٥٣) من طريق يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، نبئت عن عبادة بن الصامت به.

وقوله: ﴿وفي الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾ النجاة العظيمة من النار .
 ﴿ولا يحزنك قولهم﴾ يقوله للنبي ﷺ لقول المشركين له: إنك مجنون، وإنك ساحر، وإنك كاذب، وإنك شاعر.
 ﴿إن العزة لله جميعاً﴾ فينصررك عليهم.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
 قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١٣٢/٢): ظاهر هذا اللفظ الانقطاع، فكيف يكون على شرط الشيخين أو صححاء في الجملة؟! قال ابن عساكر في أطرافه: وأبو سلمة لم يسمع من عبادة. والعجب من الذهبي كيف أقره على ذلك! اهـ.

وقال ابن حجر في تخريج الكشاف (ص ٨٤ رقم ١٨): رجاله ثقات إلا أنه معلول؛ فإن أبا سلمة لم يسمع من عبادة.

وقال ابن حجر في النكت الظراف (٢٦٣/٤ - ٢٦٤): أخرجه ابن منده في كتاب الروح من طريق الأوزاعي، عن يحيى، حدثني أبو سلمة، حدثني عبادة. أخرجه عن خيثمة بن سليمان، عن العباس بن الوليد بن مزيد، عن أبيه، عن الأوزاعي. ورجالهم ثقات. اهـ.
 قلت: لكن رواه الطبري في تفسيره (١٣٣/١١) حدثنا العباس بن الوليد به، وفيه: قال: «سأل عبادة بن الصامت رسول الله... فأرسله، والله أعلم.

ورواه الضياء في المختارة (٢٥٩/٨ - ٢٦٠ رقم ٣٥١) من طريق شيان، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن جابر بن عبد الله، عن عبادة.

ورواه الإمام أحمد (٣٢٤/٥) وابن أبي عاصم في السنة (٢١٣/١ - ٢١٤ - رقم ٤٨٧) من طريق حميد بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت.

ورواه الطبري في تفسيره (١٣٤/١١، ١٣٧ - ١٣٨) والطبراني في معجم الشاميين (٢/ ١١٨ - ١١٩ رقم ١٠٢٥، ١٠٢٦) وابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج الكشاف (٢/ ١٣٢ - ١٣٣) - والضياء في المختارة (٢٧٧/٨ - ٢٧٨) رقم ٣٣٩، ٣٤٠ من طريق حميد بن عبد الله عن عبادة.

وللحديث شواهد عن عدة من الصحابة، انظر: تخريج الكشاف (١٣٢/٢ - ١٣٥) ومختصره الكاف الشاف (٨٤ - ٨٥) والدر المثور (٣/ ٣٣٧ - ٣٣٨).

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَسْمَعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْتَعِينُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أُنْقُلُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَّعَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾.

قال محمد: (ألا) افتتاح كلام وتثنية؛ أي: له من في السموات ومن في الأرض، يفعل فيهم وبهم ما يشاء.

﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾ يقول: إن الذين تعبدون من دون الله ليسوا بشركاء لله تعالى.

﴿إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون﴾ يقول: يعبدون أوثانهم، ويقولون: إنها تقربهم إلى الله - عز وجل - زلفى، وما يقولون ذلك بعلم، إن هو منهم (ل ١٤١) إلا ظن، وإن هم إلا يكذبون ﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ يعني: لتستقروا فيه من النَّصَبِ^(١) ﴿والنهار مبصرًا﴾ أي: منيرًا لتبتغوا فيه معاشكم.

قال محمد: قيل: ﴿مبصرًا﴾ يعني: مبصرًا فيه؛ كما تقول: ليل نائم،

(١) النَّصَب: الثَّغْب. ينظر: لسان العرب (نصب).

وإنما يُتَنَامُ فيه^(١).

﴿إن عندكم من سلطان بهذا﴾ أي: ما عندكم من حُجَّة بهذا الذي قلتم
﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ أي: نَعَمْ، قد قلتم على الله ما لا تعلمون
﴿قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾ ثم انقطع الكلام ﴿متاع
في الدنيا﴾ يقول: الدنيا وما هم فيه متاعٌ يستمتعون به، ثم ينقطع إذا فارقوا
الدنيا.

قال محمد: ﴿متاع﴾ مرفوعٌ على معنى: ذلك متاعٌ في الدنيا^(٢).

﴿وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُوا إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي إِن بَيَّأْتُ
اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا
إِلَيَّ وَلَا تَنْظُرُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ
أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا
الَّذِينَ كَذَّبُوا بَيَآنِيَنَا فَنَنْظُرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُذْذَرِينَ ﴿٧٨﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى
قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَنْطَعُ عَلَى قُلُوبِ
الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي﴾ بالدعاء إلى الله - عز وجل -
﴿وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ أي:
وأجمعوا شركاءكم ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غُمَّة﴾ أي: في ستر، ليكن ذلك
علانية.

(١) أي: التعبير باسم الفاعل وإرادة اسم المفعول، وهذا كثير في اللغة.

(٢) وفيه وجه نحوي آخر ينظر: البحر المحیط (١٧٧/٥ - ١٧٨).

قال محمد: (غمّة) مشتقة من: الغمامة التي تَسْتُرُ؛ ومنه قوله: «غَمَّ الْهَلَالُ» وقد يجوز أن يكون قوله: (غُمَّة) أي: غَمًّا؛ يقال غَمَّ وغُمَّةٌ^(١).
قالت الخنساء^(٢):

وذي كُرْبَةِ رَاخِي ابْنُ عَمْرِو خِنَافَهُ
وَعُمَّتُهُ عَنْ وَجْهِهِ فَتَجَلَّتْ^(٣)
قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي: اجهدوا جُهدَكُم ﴿وَلَا تَنْظُرُونَ﴾
طرفة عين؛ أي: أنكم لا تقدرون على ذلك؛ وذلك حين قالوا: ﴿لَنْ لَمْ تَنْتَهَ
يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾^(٤).

﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ﴾ على ما أدعوكم إليه من
هذا الدين أجراً، فيحملكم ذلك على ترك ما أدعوكم إليه .
﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ في السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خُلَافَ فِي
الْأَرْضِ﴾ بعد الهالكين .

﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن يأتيهم العذاب
﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ المشركين .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا
مُجْرِمِينَ﴾^(٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مَبِينٌ^(٧٦) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ

(١) لسان العرب (غمم).

(٢) وهي تماضر بنت عمرو بن الحارث الرياحية السلمية. أشهر شواعر العرب، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في الجاهلية، وأدركت الإسلام فأسلمت. وتوفيت سنة ٢٤ للهجرة. ينظر الأعلام (٨٦/٢).

(٣) ويروى: ومُخْتَقٍ وَغُمِّيَّةٌ إلخ. وهو من بحر الطويل. ينظر: ديوان الخنساء (٣٤٠).

(٤) الشعراء: ١١٦ .

لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْحَرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ
 ءَابَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي
 بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا
 أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحَرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾
 وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾

﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعني: اليَد والعصا.

﴿قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا﴾ قال الله - عز وجل -:
 ﴿ولا يفلح الساحرون﴾.

﴿قالوا أجئتنا لنتلفتنا﴾ لتصرفنا وتحولنا ﴿عما وجدنا عليه آباءنا﴾ يعنون: أنا
 وجدناهم عبدة أوثان، فنحن على دينهم ﴿وتكون لكما الكبرياء﴾ أي: وتريد
 أن تكون لك ولهارون الملك والسلطان في الأرض.

قال محمد: إنما سمي الملك كبرياء؛ لأنه أكبر ما يطلب من أمر الدنيا،
 وأصل الكبرياء: العظمة^(١).

﴿قال موسى ما جئتم به السحر﴾ قال محمد: (ما) بمعنى الذي؛ أي:
 الذي جئتم به السحر^(٢).

﴿ويحق الله الحق﴾ الذي جاء به موسى ﴿بكلماته﴾ بوعده الذي وعد
 موسى يعني: قوله له: ﴿لا تخف إنك أنت الأعلى﴾^(٣).

(١) وكذا الكبر. ينظر: لسان العرب (كبر).

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع ينظر: البحر المحيط (٥/١٨٣)، الدر المصون (٤/٥٨ - ٥٩).

(٣) طه: ٦٨.

﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٢) وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمُ إِن كُنتُمْ ءَامَنُومٌ بِاللّٰهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنَا بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٥﴾

﴿فَمَا آمَنَ لموسى إلا ذرية من قومه﴾ قال مجاهد: يعني: أولاد الذين أرسل إليهم موسى ﴿على خوف من فرعون وملئهم﴾ يعني: أشرافهم ﴿أن يفتنهم﴾ أن يقتلهم فرعون ﴿وإن فرعون لعالٍ في الأرض﴾ أي: لباغٍ يبغي عليهم ويتعدى ﴿وإنه لمن المسرفين﴾.

﴿وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله﴾ وقد علم أنهم قد آمنوا وصدقوا، ولكنه كلام من كلام العرب؛ تقول: إن كنت كذا فاصنع كذا؛ وهو يعلم أنه كذلك، ولكنه يريد أن يعمل بما قال له.

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾ قال مجاهد: يقولون: لا تعذبنا بأيدي قوم فرعون، ولا بعذاب من عندك، فيقول فرعون وقومه: لو كانوا على حق ما عذبوا، ولا سلطنا عليهم؛ فيفتنوا بنا.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئُومُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

﴿وَأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصرَ بيوتًا واجعلوا بيوتكم
قبلة﴾ تفسير مجاهد: أمروا أن يجعلوا في بيوتهم مساجد مستقبلية القبلة
يصلون فيها [سراء، لما]^(١) خاف (ل ١٤٢) موسى ومن معه من فرعون أن
يصلوا في الكنائس الجامعة.

﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾ هذا دعاء عليهم؛ يقول: ربنا فأضلهم عن
سبيلك؛ وذلك حين جاء وقت عذابهم [...] ^(٢) عليهم.

﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾ فَمَسَحَتْ دنانيرهم ودراهمهم وزروعهم
حجارة ﴿واشدد على قلوبهم﴾ بالضلالة ﴿فلا يؤمنوا﴾ دعاء أيضًا ﴿حتى يروا
العذاب الأليم﴾ فحبل بينهم وبين أن يؤمنوا.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ
الْفَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّمْ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَكُنَّ وَقَدْ
عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ءَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ يَدُنَا لَنَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً
وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيًا وعدوًّا﴾ العَدُوُّ:
العدوان.

قال محمد: قوله: ﴿فأتبعهم فرعون﴾ أي: لحقهم؛ يقال: أتبعْتُ القوم:

(١) طمس في الأصل؛ والمثبت من تفسير ابن كثير (٢٢٤/٤).

(٢) طمس في الأصل.

لحقنهم، وتبعثهم: جئت في إثرهم^(١).

﴿حتى إذا أدركه الغرق...﴾ الآية يقول الله - عز وجل -: ﴿الآن وقد عصيت﴾ لأنه آمن في حين لا يقبل الله فيه الإيمان؛ وقد مضت سنة الأولين في الذين خلوا من قبل أنه لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب .

﴿فاليوم ننجيك بيدك﴾ تفسير مجاهد: بجسدك، فقفذه البحر عريانا على شاطئ البحر ﴿لتكون لمن خلقت﴾ لمن بعدك ﴿آية﴾ فيعلم أنك عبد ذليل قد أهلكك الله - عز وجل - وغرقك ﴿وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ يعني: المشركين لا يتفكرون فيها ولا ينظرون.

﴿ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق﴾ أي: أنزلناهم منزل صدق ﴿ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم﴾ هي كقوله: ﴿ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات﴾^(٢).

﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾^(٩٤) ﴿ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكفون من الخاسرين﴾^(٩٥) ﴿إن الذين حقن عليهم كلمت ربك لا يؤمنون﴾^(٩٦) ﴿ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾^(٩٧) ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ يعني: من آمن منهم.

(١) وقال الأخفش: تبعه وأتبعه بمعنى؛ مثل: ردّفه وأزده. ومنه قوله تعالى: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (تبع).

(٢) آل عمران: ١٠٥ .

قال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «لا أشك ولا أسأل»^(١).

﴿لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ يعني: الشاكين.

﴿إن الذين حقت عليهم (كلمات)^(٢) ربك لا يؤمنون﴾ الآية، هم الذين

يلقون الله - عز وجل - بكفرهم.

﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب

الخزي في الحيوة الدنيا ومنعناهم إلى حين^(٣) ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم

جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين^(٤)﴾

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها﴾ تفسير قتادة: يقولون: لم

يكن هذا في الأمم؛ لم ينفع قرية كفرت ثم آمنت حين عاينت عذاب الله - عز

وجل - ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي﴾ قال قتادة:

وذكر لنا أن قوم يونس كانوا بموضع من أرض «الموصل» فلما فقدوا نبيهم،

قذف الله - عز وجل - في قلوبهم التوبة، فلبسوا المسوخ^(٥)، وفرقوا بين كل

بهيمة وولدها، فعجوا^(٦) إلى الله أربعين ليلة، فلما عرف الله - عز وجل -

الصدق من قلوبهم، والتوبة والندامة منهم على ما مضى كشف عنهم العذاب

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٩٨/١) وفي المصنف (١٢٥/٦ - ١٢٦ رقم ١٠٢١١)

والطبري في تفسيره (١٦٨/١١) قال الزيلعي في تخريج الكشاف (١٤٠/٢): وهو معضل.

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره (١٩٨٦/٦ رقم ١٠٥٨٣) عن ابن عباس قال: «لم يشك

رسول الله ولم يسأل».

(٢) هكذا بالأصل جمعاً؛ وهي قراءة نافع وابن عامر، أما قراءة الأفراد «كلمة» فهي قراءة باقي

السبعة. ينظر: السبعة (٣٢٦)، النشر (٢٦٢/٢) التيسير (١٢٢).

(٣) واحداها: المسح؛ وهو ثوب من الشعر غليظ. ويجمع أيضاً على: أمساح. ينظر: لسان

العرب، القاموس المحيط (مسح).

(٤) العج: رفع الصوت أي: بالذكر والدعاء. لسان العرب (عجج).

بعد ما نزل عليهم.

قال يحيى: بلغني أنه كان بينهم وبين العذاب أربعة أميال.

وقوله: ﴿ومتعناهم إلى حين﴾ يعني: إلى الموت بغير عذاب.

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ أي: لا تستطيع فعل ذلك إنما يؤمن من يريد الله - عز وجل - أن يؤمن.

﴿وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمَرَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ

﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ

﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ

الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُتِجَى رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ

الَّذِي يَتَوَفَّنَكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾

﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا

يعقلون﴾ يعني: رجاسة الكفر.

﴿قل انظروا ماذا في السموات﴾ من شمسها وقمرها ونجومها، وما فيها من

العجائب ﴿والأرض﴾ من بحارها وشجرها وجبالها؛ ففي هذه آيات وحجج

عظام ﴿وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون﴾ إذا لم يقبلوها، ويتفكروا

فيها. ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ يعني: وقائع الله -

عز وجل - في الأمم السالفة التي أهلكهم بها حين كذبوا رسلهم.

﴿قل فانظروا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ أي: سينزل بكم ما نزل بهم؛

آخر الله - عز وجل - عذاب آخر كفار هذه الأمة إلى (١٤٣) النفخة الأولى

بها يكون هلاكهم، ولم يهلكهم حين كذبوا النبي بعذاب الاستئصال، كما أهلك من قبلهم بعذاب الاستئصال، فلم يبق منهم أحد.

﴿ثم ننجي رُسُلَنَا والَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقول: كنا إذا أهلكنا قومًا أنجينا النبي والمؤمنين، الآية.

﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شكٍّ من ديني﴾ يعني: المشركين ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله...﴾ الآية.

﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٥) وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٦) وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٠٧) قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨) إِلَيْكَ وَأَصِيرُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١٠٩)

﴿وَأَنْ أَقِمَّ وجهك﴾ أي: وجهتك إلى قوله عز وجل: ﴿فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين﴾ أي: ولست فاعلاً.

﴿يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم﴾ يعني: القرآن ﴿فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها﴾ وهي كقوله عز وجل: ﴿من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها﴾ (١).

﴿وما أنا عليكم بوكيل﴾ بحفيظ لأعمالكم؛ حتى أجازيكم بها، إنما أنا

منذرٌ أبلغكم رسالة ربي .

﴿واصبر﴾ على ما يقول لك المشركون ﴿حتى يحكم الله﴾ فيأمرك بالهجرة
والجهاد ﴿وهو خير﴾ أفضل ﴿الحاكمين﴾ .

* * *

تفسير سورة هود وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي
لَكُرْسِيُّ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُعْطِكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ
مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ
مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾﴾

قوله عز اسمه: ﴿الرَّ كِتَابٌ﴾ أي: هذا كتاب ﴿أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ يعني: القرآن ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بُيِّنَتْ؛ بَيَّنَّ فِيهَا حِلَالُهُ وَحُرَامُهُ وَطَاعَتُهُ وَمَعْصِيَتُهُ ﴿مِنْ لَدُنْ﴾ مِنْ عِنْدِ ﴿حَكِيمٍ﴾ أَحْكَمِهِ بِعِلْمِهِ ﴿خَبِيرٍ﴾ بِأَعْمَالِ الْعِبَادِ.
﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ يَقُولُهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ قُلْ: لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ؛ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ؛ أَنْذَرُكُمْ عِقَابَهُ إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا ﴿وَبَشِيرٌ﴾ بِالْجَنَّةِ لِمَنْ آمَنَ.

﴿وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ مِنَ الشَّرِكِ.

﴿يُعْطِيكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يَعْنِي: الْمَوْتَ، وَلَا يَهْلِكُهُمْ بِالْعَذَابِ.

﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ (١) ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ، فَيَكْذِبُوا بِهِ ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾.

(١) الأنعام: ١٣٢، الأحقاف: ١٩.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونَ صدورَهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ^١ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ بذَاتِ الصدورِ ﴿٥﴾﴾
﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونَ صدورَهُمْ لِيَسْتَخَفُوا مِنْهُ﴾.

قال الحسن: ينتون صدورهم على ما هم عليه من الكفر؛ ليستخفوا منه بذلك؛ يظنون أن الله - عز وجل - لا يعلم الذي يستخفون به. قال بعضهم: هم المنافقون.

قال محمد: معنى ﴿ينتون صدورهم﴾: يطؤون ما فيها ويسترونه.
﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ قال محمد: معنى ﴿يستغشون ثيابهم﴾: يستترون بها؛ يقال: استغشيت ثوبي وتغشيت^(١).
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ
مُبِينٍ ﴿٦﴾﴾

﴿ويعلم مستقرها ومستودعها﴾ تفسير ابن مسعود: مستقرها: الأرحام، ومستودعها: الأرض التي يموت فيها.

يحيى: عن صاحب له، عن الحسن بن دينار، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن ابن مسعود قال: «إذا أراد الله - عز وجل - أن يقبض عبداً بأرض جعل له بها حاجة؛ فإذا كان يوم القيامة قالت الأرض: رب هذا ما استودعني»^(٢).

(١) ويقال: استغشيت بثوبي، وتغشيت به؛ متعدياً بحرف الباء. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (غشى).

(٢) رواه سعيد بن منصور في تفسيره (٤٧/٥ رقم ٨٩٤) عن سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد به. =

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾

= ورواه الدارقطني في العلل (٢٣٩/٥) من طريق يحيى القطان عن إسماعيل به .
ورواه ابن ماجه (١٤٢٤/٢ رقم ٤٢٦٣) وابن أبي عاصم في السنة (١٧٣/١ رقم ٣٩٢)
والبزار في مسنده (٢٧٤/٥ - ٢٧٥ رقم ١٨٨٩) والحاكم في المستدرک (٤١/١) والبيهقي
في الشعب (١٧٢/٧ رقم ٩٨٨٩) من طريق عمر بن علي المقدمي عن إسماعيل بن أبي خالد
به مرفوعاً .

وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحداً رفعه إلا عمر بن علي المقدمي .
وقال الحاكم: قد احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم، وعمر بن علي المقدمي
متفق على إخرجه في الصحيحين، وقد تابعه محمد بن خالد الوهبي على سنده عن
إسماعيل . اهـ .

ثم رواه الحاكم (٤١/١ - ٤٢ ، ٣٦٧) من طريق محمد بن خالد الوهبي عن إسماعيل بن
أبي خالد به، وقال الحاكم: وقد أسنده هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد . اهـ .
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٨٦/١٠ رقم ١٠٤٠٣) والحاكم (٤٢/١) من طريق
موسى ابن محمد بن حيان عن ابن مهدي، عن هشيم به .

وقال الحاكم: فقد أسند هذا الحديث ثلاثة من الثقات عن إسماعيل ووقفه عنه سفيان بن
عيينة، فنحن على ما شرطنا في إخراج الزيادة من الثقة في الوصل والسند . اهـ .
وسأل ابن أبي حاتم أباه عن هذا الحديث من طريق محمد بن خالد الوهبي، فقال أبو حاتم:
الكوفيون لا يرفعونه . قال ابن أبي حاتم: هذا الحديث معروف بعمر بن علي بن مقدم، تفرد
به عن إسماعيل بن أبي خالد، وتابعه على روايته محمد بن خالد الوهبي . علل الحديث (١/
٣٦٢ رقم ١٠٧٣) .

ولما سئل الدارقطني عن هذا الحديث قال في العلل (٢٣٨/٥ - ٢٣٩ رقم ٨٤٨): يرويه
إسماعيل بن أبي خالد، فرفعه عنه عمرو بن علي المقدمي ومحمد بن خالد الوهبي وهشيم -
من رواية موسى بن حيان عن ابن مهدي عنه - وغيره يرويه عن هشيم ولا يرفعه .
وكذلك رواه ابن عيينة ويحيى القطان وغيرهما موقوفاً، وهو الصواب . اهـ .
وله شاهد عن أبي عزة مرفوعاً: «إن الله - تبارك وتعالى - إذا أراد قبض روح عبد بارئ
جعل له فيها - أو قال: بها - حاجة» .

رواه الإمام أحمد (٤٢٩/٣) - واللفظ له - والبخاري في الأدب المفرد (رقم ٧٨٠)
والترمذي (٣٩٤/٤ رقم ٢١٤٧) وابن حبان (١٩/١٤ رقم ٦١٥١) والحاكم (٤٢/١) وقال
الترمذي: هذا حديث صحيح . =

يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾
 ﴿لِيلُوكُمْ﴾ ليختبركم بالأمر والنهي ﴿أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيما ابتلاكُم به من الأمر والنهي.

قال محمد: المعنى: يختبركم الاختبار الذي يجازيكم عليه؛ وهو قد علم قبل ذلك أيهم أحسن عملاً.

﴿وَلَئِنْ أَخْرَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَّا أَنَّهُمْ مَعْدُودُونَ لَيَقُولَنَّ مَا يَحْسِبُهُ إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَدْقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُوشُ كُفُورًا ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَدْقْنَاهُ نَعْمَاءً بَعْدَ ضَرَاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِيَّاكَ وَضَاقُ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

﴿وَلَئِنْ أَخْرَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَىٰ أَمَةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى حين معدود.

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح وزواته عن آخرهم ثقات.

وألزم الدارقطني الشيخين إخراجهم في الإلزامات (ص ٨٦).

وله شاهد ثاني عن مطر بن عكاس رواه الترمذي (٣٩٤/٤) رقم (٢١٤٦) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٢٢٧/٥) والحاكم (٤٢/١) (٣٦٧) وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وله شاهد ثالث عن جندب بن سفيان، رواه الحاكم (٣٦٧/١). ورابع عن عروة بن مضر، رواه الحاكم (٣٦٧/١ - ٣٦٨).

قال محمدٌ: يقال: إنما سُمي الحين أُمَّة؛ لأنَّ الأُمَّة من الناس تنقرض في حين^(١).

﴿ليقولون ما يعجزُهُ﴾ قال الله - عز وجل - : ﴿ألا يوم يأتِيهم ليس مصروفًا عنهم﴾ أي: ليس يستطيع أحد أن يصرفه عنهم ﴿وحاق بهم﴾ أحاط بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني: عذاب الآخرة؛ في تفسير الكلبي .

﴿ولئن أذقنا الإنسان﴾ يعني: المشرك ﴿منا رحمة﴾ يعني: صحة وسعة في الرزق ﴿ثم نزعناها منه إنه ليثوس﴾ من رحمة الله (ل١٤٤) أن تصل إليه فيصبيه رخاء بعد شدة ﴿كفور﴾ لنعمة الله تعالى .

﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته﴾ أي: عافيناه من تلك الضراء التي نزلت به ﴿ليقولن ذهب السيئات عني﴾ ذهب الضر عني ﴿إنه لفرح﴾ بالدنيا ﴿فخور﴾ يقول: ليست له حِسْبَةٌ^(٢) عند ضراء، ولا شكر عند سراء ﴿إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات﴾ استثنى الله - عز وجل - أهل الإيمان؛ أي: أنهم لا يفعلون الذي بَيَّن من فعل المشركين .

﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ خاطب بهذا النبي ؛ فلا تبلغ عني مخافة قومك ﴿وضائق به صدرك أن يقولوا﴾ بأن يقولوا ﴿لولا أنزل عليه كنز﴾ هلا أنزل عليه مال؛ فإنه فقير ﴿أو جاء معه ملك﴾ فيخبرنا أنه رسول ﴿إنما أنت نذيرٌ والله على كل شيء وكيل﴾ حفيظ لأعمالهم؛ حتى يجازيهم بها .

(١) ومنه أيضًا قولُ الله - تعالى - : ﴿واذكر بعد أُمَّة﴾. لسان العرب، مختار الصحاح (أمم).
(٢) أي: احتساب الأجر وأذخاره عند الله، والصبر عليه. ينظر: لسان العرب القاموس المحيط (حسب).

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَئِمَّ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿أم يقولون افتراه﴾ افتري محمد القرآن: اختلقه؛ أي: قد قالوا ذلك.
﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله﴾
أي: استعينوا من أطاعكم من دون الله.

﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ فيأتوا بعشر سور مثله، ولن يفعلوا ﴿فاعلموا أنما أنزل بعلم الله﴾ أي: من عند الله.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها﴾ يعني: المشرك لا يؤمن بالآخرة
﴿نوف إليهم أعمالهم فيها﴾ يعني: جزاء حسناتهم ﴿وهم فيها لا يبخسون﴾
لا يُنْقَصُونَ حسناتهم التي عملوا.

﴿وحبط ما صنعوا فيها﴾ بطل ما عملوا في الدنيا من حسنات في الآخرة؛
لأنهم جاوزوا بها في الدنيا.

﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحِمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿أفمن كان على بينة من ربه﴾ أي : بيان و يقين ؛ يعني : محمدًا ﷺ ﴿ويتلوه شاهد منه﴾ تفسير الكلبي : جبريل شاهد من الله - عز وجل - ﴿ومن قبله﴾ من قبل القرآن ﴿كتاب موسى إمامًا ورحمة﴾ يعني : لمن آمن به .

يقول : أفمن كان علي بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ؛ هل يستوى هو ومن يكفر بالقرآن والتوراة والإنجيل؟! أي : أنهما لا يستويان عند الله عز وجل . قال محمد : يجوز النصب في قوله : ﴿إمامًا ورحمة﴾ على الحال (١) .

﴿أولئك يؤمنون به﴾ يعني : المؤمنين يؤمنون بالقرآن ﴿ومن يكفر به من الأحزاب﴾ قال قتادة : يعني : اليهود والنصارى ﴿فالنار موعده﴾ ﴿فلا تك في مرية منه﴾ في شك أن من كفر به ؛ فالنار موعده .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا﴾ أي : لا أحد أظلم منه ؛ وافتراؤهم على الله - تعالى - أن قالوا إن الله - عز وجل - أمرهم بما هم عليه من عبادة الأوثان ، وتكذيبهم بمحمد . ﴿أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد﴾ الأنبياء ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم...﴾ الآية .

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض﴾ يسبقونا حتى لا نبعثهم، ثم نعذبهم. ﴿وما كان لهم من دون الله من أولياء﴾ يمنعونهم من عذاب الله. ﴿يضاعف لهم العذاب﴾ في النار ﴿ما كانوا يستطيعون السمع﴾ سمع الهدى؛ يعني: سمع قبول إذ كانوا في الدنيا ﴿وما كانوا يبصرون﴾ الهدى. ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني: أوثانهم ضلت عنهم؛ فلم تغن عنهم شيئاً ﴿لا جرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ (لا جرم) كلمة وعيد. قال محمد: جاء عن ابن عباس؛ أنه كان يقول: معناها: حقاً. وذكر الزجاج عن سيويه أنه قال: (جرم) معناها: حق، ودخلت لا للنفي، كأن المعنى: لا ينفعهم ذلك حق أن لهم النار^(١).
وأنشد [...] (٢)

ولقد طَعَنْتَ أبا عَيْيَنَةَ طَعْنَةً جَرَمْتُ فزارة بعدها أن يغضبوا^(٣)
يقول: [أَحَقَّتْ الطَّعْنَةُ فزارة]^(٤) الغضب.

قال محمد: وأنشد قطرب^(٥): جرمت (فزارة بعدها أن يغضبوا)^(٦).

(١) قال الفراء: هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة لأبد ولا محالة، فجرت على ذلك، وكثرت حتى تحوَّلت إلى معنى القسم، وصارت بمنزلة (حقاً) فلذلك يجاب عنها باللام، كما يجاب بها عن القسم. لسان العرب، مختار الصحاح (جرم).
(٢) قطع في الأصل.

(٣) البيت من بحر الكامل. ويُنسب لأبي أسماء بن الضريبة، وقيل: هو لعطية بن عفيف. ينظر: اللسان (جرم)، الكتاب (٤٦٩/١)، المقتضب (٣٥١/٢).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من لسان العرب (جرم).

(٥) هو محمد بن المستير أبو علي النحوي، أخذ عن سيويه، وجماعة من البصريين (ت ٢٠٦هـ). ترجمته ومصادرها في إنباه الرواة (٢١٩/٣).

(٦) طمس بالأصل. والرواية برفع (فزارة) ينظر: لسان العرب (جرم)، الكتاب (٤٦٩/١).

(١٤٥) حق لهم الغضب .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وأخبتوا إلى ربهم﴾ أي: أنابوا مخلصين. ﴿مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً﴾ أي: لا يستويان مثل الكافر مثل الأعمى والأصم؛ لأنه أعمى أصم عن الهدى، والبصير والسميع مثل المؤمن؛ لأنه أبصر الهدى وسمعه؛ يقول: فكما لا يستوي عندكم الأعمى والأصم والبصير والسميع في الدنيا؛ فكذلك لا يستويان عند الله في الدين.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتَىٰ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ كَفُرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا مِّن فَضْلٍ بَلْ نَنظُّكَ كَكَاذِبٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَبْقَوُا آرَاءَيتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ يَتْنٍ مِّن رَّبِّي وَءَانِنِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَفُعِيتَ عَلَيْكُمْ أَنزَلْنَاهُمْ وَأَنزَلْنَا لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ سفلتنا ﴿بادي الرأي﴾ أي: فيما يظهر لنا ﴿وما نرى لكم علينا من فضل﴾ في الدين ﴿بل نظنكم كاذبين﴾ يعنون: نوحاً ومن آمن معه .

﴿قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي﴾ على بيان ﴿وآتاني رحمة من عنده﴾ يعني بالرحمة: النبوة ﴿فعميت عليكم﴾ أن تبصروها بقلوبكم

وتقبلوها ﴿أَنْلِزْكُمْوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ .

﴿وَيَقُولُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَتْلُوهُ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُوا مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدِرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ يعني : على ما أَدْعُوكُم إليه من الهدى ﴿ما لا﴾ فإنما يحملكم على ترك الهدى المال الذي أسألكموه .

﴿إِنْ أَجْرِي﴾ ثوابي ﴿إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ إنهم ملاقو ربهم ﴿فيحاسبهم بأعمالهم﴾ .

﴿ولا أقول لكم عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ أي : خزان علم الله ﴿ولا أقول للذين تزدري أعينكم﴾ .

قال محمد : (تزدري) أي : تستقل وتستخس^(١) .

﴿لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ في العاقبة ؛ أي : أنه سيؤتيهم بذلك خيراً ؛ إن كانت قلوبهم صادقة .

﴿قَالُوا يَنْتُحُ قَدْ جَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَإِنَّا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَفْعَلُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ

(١) ويقال فيه : زَرَى عليه ، وأزرى به ، وازدراه . لسان العرب (زرى) .

أَفَرَأَيْتُ قُلَّ إِنِّ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا يُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾
﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا﴾ مَارَيْنَا ﴿فأكثر جدالنا﴾.

﴿إن كان الله يريد أن يغويكم﴾ يضلكم.

قال محمد (يغويكم): أصله يهلككم؛ تقول العرب: أغويت فلاناً؛ أي: أهلكته، ومنه قولهم: غوى الفصيل؛ إذا فقد اللبن، فمات^(١).

﴿أم يقولون افتراه﴾ إن محمداً افترى القرآن ﴿قل إن افتريته فعليَّ إجماعي وأنا بريء مما تجرمون﴾ يقول: فعليَّ عملي، وأنا بريء مما تعملون.
قال محمد: الإجماع: الإقدام على الذنب؛ وهو مصدر أجمرت^(٢).

﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾ قال قتادة: ذلك حين دعا عليهم؛ فقال: ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾^(٣).
﴿فلا تبئس﴾ أي: لا تحزن لهم ﴿بما كانوا يفعلون﴾.

﴿وأصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ كما نأمرك بعملها ﴿ولا تخاطبني﴾ تراجعني ﴿في الذين ظلموا﴾ أنفسهم بشركهم.

﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ

(١) لسان العرب (غوى).

(٢) ويقال منه: جَرَم، وأَجْرَم، واجْتَرَم. لسان العرب (جرم).

(٣) نوح: ٢٦.

مُقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴿ويصنع الفلك﴾ السفينة ﴿وكلما مرَّ عليه مَلَأْ من قومه سَخَرُوا منه﴾ عمل نوحُ الفلك بيده، فكان يمر عليه المَلَأْ من قومه فيقولون له استهزاءً به: يا نوحُ، بينما أنت تزعم أنك رسولُ ربِّ العالمين إذ صرْتَ نجارًا. ﴿قال إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون﴾ قال محمدٌ: المعنى: نستجهلكم كما تستجهلون.

قال يحيى: وكان الرجل من قومه يأخذ بيد ابنه، فيذهبُ به إلى نوح فيقول: أيُّ بُنْيَ، لا تطع هذا؛ فإنَّ أبي قد ذهب بي إليه وأنا مثلك فقال: أيُّ بُنْيَ لا تطع هذا.

﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ يعني: عذاب الدنيا ﴿ويحل عليه عذابٌ مقيمٌ﴾ دائمٌ.

﴿حتى إذا جاء أمرُنَا﴾ يعني: عذابنا ﴿وفار التنور﴾ (التنور) في تفسير الحسن: الباب الذي يجتمع فيه ماء السفينة، ففار منه الماء والسفينة على الأرض، فكان ذلك علامة لإهلاك القوم.

وقال بعضهم: التنور عين ماء كانت بالجزيرة، يقال لها: التنور، وبعضهم يقول: كان التنور في أقصى داره.

سعيدٌ: عن قتادة قال: كان التنورُ أعلى الأرض^(١).

(١) وقال مجاهد والشعبي: كان هذا التنور بالكوفة. وعن ابن عباس: عين بالهند. وعن قتادة: عين بالجزيرة: يقال لها: عين الوردة. تفسير ابن كثير (٤/٢٥٤).

﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي: احمل زوجين اثنين من (١٤٦ل) كل صنف، الواحد: زوج، والاثنان: زوجان^(١)، فحمل فيها من جميع ما خلق الله - عز وجل - من البهائم والهوام والسباع ودواب البر والطير والشجر، وشكوا إلى نوح في السفينة الزبل^(٢)؛ فأوحى الله - عز وجل - إلى نوح أن يمسح بيده على ذنب الفيل، ففعل فخرج منه خنزيران، فكانا يأكلان الزبل، وشكوا إلى الله الفأرة فأوحى الله - عز وجل - إلى الأسد - ألقى في قلبه - فعطس الأسد فخرج من منخريه سنوران^(٣)، فكانا يأكلان الفأرة، وشكوا إلى نوح عرامة^(٤) الأسد، فدعا عليه نوح فسلط الله - عز وجل - عليه الحمى.

قال الحسن: وكان طول السفينة فيما بلغنا ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستمائة ذراع.

يحيى: قال بعضهم: وكان رأسها مثل رأس الحمامة، وذنبها كذنب الديك مطبقة تسير ما بين المائتين: ماء السماء، وماء الأرض.

قال يحيى: وبلغني أنه كان في السفينة ثلاثة أبواب: باب للسباع والطير، وباب للبهائم، وباب للناس، وفصل بين الرجال والنساء: بجسد آدم حمله نوح معه.

(١) ويقال للثنين أيضًا: هما زوج؛ كما يقال: هما سيّان، وهما سَوَاء. لسان العرب، مختار الصحاح (زوج).

(٢) الزبل هو السرجين. لسان العرب (زبل).

(٣) السَّنُور: حيوان أليف، من رُثِيّة اللواحم، من خير مأكله الفأرة، ومنه أهلي وبري. والجمع: سنانير. ينظر المعجم الوسيط (سنر).

(٤) عَرْم يَغْرُمُ عَرَامَةً وَعَرَامًا: شرس واشتد. ولعل ذلك هو المراد في النص، والله أعلم. لسان العرب (عرم).

قوله عز وجل: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ الغضب؛ يعني: ابنه ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ أي: واحمل من آمن، قال الله - عز وجل -: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال السدي: يعني: ثمانين نفساً؛ أربعون رجلاً، وأربعون امرأة. قال قتادة: لم ينج في السفينة إلا نوحٌ وامرأته وثلاثة بنين له: سامٌ وحامٌ ويافث، ونساؤهم؛ فجميعهم ثمانية.

﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَرِّبُهَا مُرْسَلًا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤١) وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِي أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَوَاءٌ إِلَيَّ جَبَلٌ يَعْصِي مِنِّي الْمَاءُ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) وَقِيلَ يَتَازَضُ آدَمُ مَاءُكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلَى وَغِيصَ الْمَاءُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥)

﴿وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها﴾ قال قتادة: قد بين الله - عز وجل - كل ما تقولون؛ إذا ركبتم في البر، وإذا ركبتم في البحر؛ إذا ركبتم في البر قلتُم: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ (١) وإذا ركبتم في البحر قلتُم: ﴿بسم الله مجراها ومرساها﴾.

قال محمد: من قرأ: ﴿باسم الله مجراها ومرساها﴾ بضم الميمين جميعاً (٢) فمعنى ذلك: بالله إجراؤها، وبالله إرساؤها؛ يقال: جرت السفينة

(١) الزخرف: ١٣.

(٢) قرأ الأخوان وحفص (مجرها) بفتح الميم، والباقون بضمها، وقرأ الجمهور بضم ميم (مرساها)، وقرأ الثقفى وزيد بن علي والأعمش (مرساها) بفتح الميم، وقرأ ابن وثاب والكلبي والجحدري وغيرهم (مجرها ومرساها). ينظر: السبعة (٣٣٣)، النشر (٢/٢٨٩)، الحجة (١٨٧).

وأَجْرِيْتُهَا أَنَا مَجْرَى وَإِجْرَاءٌ فِي مَعْنَى وَاحِدٍ^(١)، وَرَسَتْ وَأَزْسَيْتُهَا مَزْسَى وَإِرْسَاءٌ^(٢).

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ يعني: الذين كانوا في السفينة.

قال محمد: ﴿لَا عَاصِمَ﴾ في معنى: لا معصوم^(٣)؛ كما قالوا: ماء [دافق]^(٤) بمعنى مدفوق.

﴿وغيض الماء﴾ أي: نقص.

قال محمد: يقال: غاض الماء يغيض إذا غاب في الأرض^(٥).

وقرأ بعضهم (غيض الماء) بإشمام الضم في الغين، ومن قرأ بهذا أراد الأَصْلَ فُعِلَ^(٦)، ومن كسر فَلَلياء التي بعد فاء الفعل^(٧).

﴿وقضي الأمر﴾ فُرِغَ منه؛ يعني: هلاك قوم نوح.

﴿واستوت على الجودي﴾ جبل بالجزيرة.

قال قتادة: وبلغني أَنَّ السفينة لما أرادت أن تقف، تطاولت لها الجبال كلُّ جبلٍ منها يحب أن تقف عليه، وتواضع الجودي^(٨)، فجاءت حتى وقفت عليه، وأبقاها الله - عز وجل - عبرةً وآيةً حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة،

(١) جرت السفينة جَزِيًا وَجَزِيَانًا وَمَجْرَى، وَأَجْرِيْتُهَا مُجْرَى وَإِجْرَاءٌ لسان العرب (جرى).

(٢) رَسَتْ السفينة رُسُوًا وَمَزْسَى، وَأَزْسَيْتُهَا مَزْسَى وَإِرْسَاءٌ. ينظر: لسان العرب (رسو).

(٣) أي: التعبير باسم الفاعل وإرادة اسم المفعول، وهذا كثير في الكلام.

(٤) سقط من «الأصل» وأثبتته تبعًا لسياق الكلام، ويدل له ما بعده.

(٥) وإذا قلَّ ونضب. لسان العرب (غيض).

(٦) وهي قراءة الكسائي من السبعة. ينظر: التيسير (٧٢)، النشر (٢٠٨/٢).

(٧) وهي قراءة السبعة إلا الكسائي. ينظر: التيسير (٧٢)، النشر (٢٠٨/٢).

(٨) هو جَبَلٌ بَارِضُ الجزيرة استوت عليه سفينة نوح ﷺ. مختار الصحاح (جود).

وبلغني أنها استقلت بهم في عشر خلون من رجب، وكانت في الماء خمسين ومائة يومًا، واستقرت بهم على الجودي شهرًا، وأهبطوا إلى الأرض في عشر خلون من المحرم .

قال قتادة: وذكر لنا أن نوحًا عليه السلام بعث الغراب لينظر إلى الماء؛ فوجد جيفة فوقع عليها، فبعث إليه [الحمامة] ^(١) فأتته بورق زيتون، فأعطيت الطوق الذي في عنقها وخضاب رجلها.

﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ^(٤٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ^(٤٧) قِيلَ يَنْحُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنَمِتُهُمْ فُتْمًا يَمْشِيهِمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ^(٤٨) ﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾ الذين وعدتك أن أنجيهم، وكان (ابنه) ^(٢) يظهر الإيمان ويسرُّ الشرك، ونوح لا يعلم؛ في تفسير الحسن. قال الحسن: ولولا ذلك لم يناده؛ وهو يعلم أن الله - عز وجل - مغرق الكفار، وأنه قضى أنه إذا نزل العذاب على قوم كذبوا رسولهم ثم آمنوا، لم يقبل منهم. ﴿إنه عمل غير صالح﴾ يقول: إن سؤالك إياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح (ل١٤٧) ﴿فلا تسألني ما ليس لك به علم﴾ قال الحسن أي: أنك لم تكن تعلم ما يسرُّ من النفاق.

(١) طمس بالأصل. والمثبت من تفسير ابن كثير (٢٥٧/٤).

(٢) طمس بالأصل والمثبت مفهوم من سياق الكلام. وانظر أقوال العلماء في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿إنه ليس من أهلك﴾ تفسير ابن كثير (٢٥٩/٤).

يحيى: عن حماد، عن ثابت البناني، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ هذا الحرف: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾»^(١).

(١) رواه الإمام أحمد (٤٥٤/٦ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠) والطيالسي (٢٢٦ - ٢٢٧ رقم ١٦٣١) وأبو داود (٣٧١/٤ - ٣٧٢ رقم ٣٩٧٨) وأبو عمر الدوري في قراءات النبي (٦٠ ، ٦١ ، ٩٨) من طريق حماد - وهو ابن سلمة - به.
ورواه الإمام أحمد (٢٩٤/٦ ، ٣٢٢) وأبو داود (٣٧٢/٤ رقم ٣٩٧٩) والترمذي (١٧٢/٤ رقم ٢٩٣١ ، ٢٩٣٢) والطيالسي (٢٢٣ رقم ١٥٩٤) ومسدد وابن أبي شيبة في مسنديهما - كما في إتحاف الخيرة (٢٢٠/٦ رقم ٥٧٣٠) - وأبو يعلى (٤٤٩/١٢ - ٤٥٠ رقم ٧٠٢٠) وأبو عمر الدوري (٦٣) والطبراني في الكبير (٣٣٥/٢٣ رقم ٧٧٤٤ - ٧٧٨ ، ٧٢٣/٣٣٨ رقم ٧٨٤) وأبو نعيم (٣٠١/٨) وغيرهم من طرق عن ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أم سلمة.

جعلوه من مسند أم سلمة ﷺ .

قال الترمذي: هذا حديث قد رواه غير واحد عن ثابت البناني نحو هذا، وهو حديث ثابت البناني، ورؤي هذا الحديث أيضًا عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد. قال: وسمعت عبد بن حميد يقول: أسماء بنت يزيد هي أم سلمة الأنصارية.

قال الترمذي: كلا الحديثين عندي واحد، وقد روى شهر بن حوشب غير حديث عن أم سلمة الأنصارية، وهي أسماء بنت يزيد، وقد روي عن عائشة عن النبي ﷺ نحو هذا. وقال صالح بن محمد الحافظ عن شهر بن حوشب: كان رجلاً يتنسك إلا أنه روى أحاديث يتفرد بها لم يشركه فيها أحد مثل حديث ثابت البناني عن شهر بن حوشب عن أم سلمة «أن النبي ﷺ قرأ: ﴿إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ﴾... فشهر يروي عن النبي ﷺ أحاديث في القراءات لا يأتي بها غيره. اه تهذيب الكمال (٥٨٥/١٢ - ٥٨٦).

وقال الطبري في تفسيره (٥٣/١٢) معلقاً على هذه القراءة: ولا نعلم هذه القراءة قرأ بها أحد من قراء الأمصار إلا بعض المتأخرين، واعتل في ذلك بخبر روي عن رسول الله ﷺ أنه قرأ كذلك غير صحيح السند، وذلك حديث روي عن شهر بن حوشب، فمرة يقول «عن أم سلمة» ومرة يقول «عن أسماء بنت يزيد» ولا نعلم أبت يزيد [يريد]، ولا نعلم لشهر سماعاً يصح من أم سلمة اه.

ووقع في رواية ابن أبي شيبة - في إتحاف الخيرة (٢٢٠/٦ رقم ٥٧٣٠) - عن وكيع عن هارون عن ثابت عن شهر بن حوشب مرسلًا.

﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ يعني: سلامةً من الغرق.
 ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ يعني: نسول^(١) من كان معه في
 السفينة ﴿وَأُمَّمٌ سَنَمْتَعُهُمْ﴾ في الدنيا يعني: أمماً من نسول من كان معه في
 السفينة .

﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا
 فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْفَوْرُ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا
 لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْرُوتٌ ﴿٥٠﴾ يَنْفَوْرُ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ
 أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْفَوْرُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ
 يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَنَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قَوْمِكُمْ وَلَا تَنْوَلُوا بُحَيْرِمِمْ ﴿٥٢﴾﴾
 ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يقول للنبي ﷺ حين انقضت قصة
 نوح: تلك من أخبار الغيب، يعني: ما قصص عليه ﴿ما كنت تعلمها أنت ولا
 قومك﴾ يعني: قريشاً ﴿من قبل﴾ هذا القرآن ﴿فاصبر﴾ على قولهم: إنك
 مجنون؟ وغير ذلك مما كانوا يقولونه له.

﴿وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ يقول: وأرسلنا إلى عادِ أخاهم هوداً، أخوهم في
 النسب، وليس بأخيهم في الدين.

= وقد رواه الإمام أحمد (٦/ ٢٩٤ ، ٣٢٢) عن وكيع به مسنداً، وكذا رواه الترمذي (٤/
 ١٧٢ رقم ٢٩٣) من طريق وكيع مسنداً، والله أعلم.

ورواه البخاري في تاريخه (١/ ٢٨٦ - ٢٨٧) والحاكم في المستدرک (٢/ ٢٤١) من طريق
 إبراهيم بن الزبرقان، عن أبي روق، عن محمد بن جحادة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها.
 قال الذهبي: قلت: إسناده مظلم.

(١) واحداً: نُسُل؛ والمراد به: الولد، ينظر: لسان العرب (نسل).

﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَحَدُّوا اللَّهَ ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مَفْتَرُونَ﴾ كل من عبد غير الله - سبحانه - فقد افترى الكذب على الله - تعالى - لَأَنَّ اللَّهَ - عز وجل - أمر العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. قال محمد: (غيره) مرفوع على معنى: ما لكم إله غيره^(١).

﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ أي: يُوسِّعُ لَكُمْ مِنَ الرِّزْقِ، وَإِنَّمَا أَرْزَاقُ الْعِبَادِ مِنَ الْمَطَرِ.

قال محمد: معنى (مِدْرَارًا) المبالغة^(٢)، ونصبه على الحال^(٣)؛ كأنه قال: يرسل السماء عليكم دَارَةً.

وذكر بعض المفسرين: أنه كان أصابَهُمْ جَذْبٌ.

﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ قال مجاهد: يعني: شدة إلى شِدَّتِكُمْ أي: في أبدانكم.

﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٣) إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوْرَةٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونَ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٦) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُمْ شَيْئًا إِنْ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٥٧)

(١) ينظر: الدر المصون (١٠٦/٤).

(٢) من الفعل: دَرَّ؛ بمعنى: كَثُرَ، (ومِدْرَار) صيغة مُبالغة قياسية على وزن (مِفْعَال). لسان العرب (در).

(٣) ينظر: الدر المصون (١٠٦/٤ - ١٠٧).

شَيْءٌ حَفِظُ ﴿٥٧﴾

﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾ أصابك ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ أي: بجنون؛ لأنك عبتها؛ يعنون: أوثانهم ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ أنتم وأوثانكم - أي: اجهدوا جهدكم ﴿ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾ طرفه عين؛ إن الله - عز وجل - سيمتحنني منكم؛ قال هذا وقد علم أن الأوثان لا تقدر على أن تكيد، وأنها لا تضر ولا تنفع ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هِيَ آخِذَةٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ أي: هي في قبضته وقدرته .

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿وَتِلْكَ ءَادَاءُ جَعَدُوا يُبَايِعُ رَبَّهُمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا إِنْ ءَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي: واتبع بعضهم بعضًا على الكفر، والعنيد: المجتنب للهدى المعاند له .

قال محمد: العنيد أضله في اللغة: الجائر، والعنيد عند العرب: الجانب، ف قيل للجائر: عنيد من هذا؛ لأنه مُجَانِبٌ للقصد^(١) .

﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أَلْحَقُوا ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ يعني: العذاب الذي عذبهم به ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: ولهم يوم القيامة أيضًا لعنة؛ يعني: عذاب جهنم ﴿أَلَا بُعْدًا لِعَادِ قَوْمِ هُودٍ﴾ .

قال محمد: (بُعْدًا) نصب على معنى: أبعدهم الله، فبعدوا بُعْدًا^(٢)؛ أي: من رحمة الله .

(١) لسان العرب، القاموس المحيط (عند).

(٢) أي: نصب على المصدر المؤكد. ينظر البحر الميظ (٥/٢٣٩).

﴿هو أنشأكم من الأرض﴾ يريد الخلق الأول خلق آدم ﴿واستعمركم فيها﴾ أي: جعلكم عمارها ﴿إن ربي قريب مجيب﴾ قريب ممن دعاه، مجيب له .
﴿وإِن تُمُودَ أَمَانَهُمْ صَلَاحًا قَالَ يَقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُهُ ثُمَّ قُوتُوا إِلَيْهِ إِن رَّبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾﴾ قَالَ يَقُومِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ يَبْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾﴾ وَيَقُومِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا بَنَيْنَا صَلَاحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِن خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئَرِهِمْ جَثِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ كَأَن لَّمْ يَقْنُوا فِيهَا آلَا إِن تُمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ آلَا بَعْدًا لِّشُعُودٍ ﴿٦٨﴾﴾
﴿قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًا قبل هذا﴾ أي: كُنَّا نرجو ألا تشتم آلهتنا، ولا تعبد غيرها .

﴿وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب﴾ من الريبة .
﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ نقصان؛ إن أجبتكم إلى ما تدعونني إليه .
﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية﴾ قال محمد: نصب (آية) على الحال^(١)؛

(١) ينظر تفصيل الكلام في نصبها من البحر المحيط (٥/٢٣٩ - ٢٤٠)، الدر المصون (٤/١١٠).

كانه قال: انتبهوا لها في هذه الحال.

﴿ولا تمسوها بسوء﴾ أي: لا تعقروها ﴿فياخذكم عذاب قريب فعقروها﴾ فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴿فقالوا له: ما آية ذلك حتى نعلم أنك صادق؟ فقال: آية ذلك أن وجوهكم تصبح أول يوم مصفرة، واليوم الثاني محمرة، واليوم الثالث مسودة، فلما كان ذلك عرفوا أنه العذاب، فتحنطوا وتكفنوا، فلما أمسوا بقوا في [...]^(١) ثم صبحهم العذاب في اليوم الرابع.

قال: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ (١٤٨) قال السدي: يعني: صيحة جبريل عليه السلام ﴿فأصبحوا في ديارهم جائمين﴾ أي: قد هلكوا.

﴿كان لم يغنوا فيها﴾ أي: لم يعيشوا.

قال محمد: وقيل كان لم ينزلوا فيها.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ يَعْجَلُ خَبِيرٌ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرُهُمْ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوْنَيْتَى ۚ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّكُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ قال قتادة: بإسحاق ﴿قالوا سلاماً﴾ قال سلام.

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

قال محمد: (سلامًا) منصوبٌ على معنى: سلّمنا سلامًا^(١)، وأما (سلامٌ) فمرفوعٌ على معنى: أمري سلامٌ^(٢).

﴿فما لبث أن جاء بعجلٍ حنيذٍ﴾ مشوي ﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾ أنكرهم ﴿وأوجس منهم خيفة﴾ أي: أضمر خوفًا إذ لم يأكلوا ﴿فقالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوطٍ﴾ لنهلكهم ﴿وامراته قائمة﴾ يعني: سارة امرأة إبراهيم ﴿فضحك﴾ قال الكلبي: لما رأت سارة فرق^(٣) إبراهيم عجبت من فرقه، فضحك^(٤) وهي لا تدري من القوم، فبشروها بإسحاق، وقالوا: نرجع إليك عامًا قابلاً، وقد ولدت لإبراهيم غلامًا اسمه: إسحاق، ويكون من وراء إسحاق يعقوب؛ أي: من بعد إسحاق.

﴿قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخاً﴾ وكانت قد قعدت عن الولد ﴿إن هذا لشيءٌ عجيبٌ قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيدٌ﴾ مستحمدٌ إلى خلقه، مجيدٌ كريمٌ.

قال محمد: من قرأ (يعقوب) بالرفع^(٥) فعلى معنى: ويعقوب يحدث لها من وراء إسحاق، ومن قرأ: (هذا بعلي شيخاً) فعلى الحال^(٦)؛ المعنى:

(١) أي: منصوب على المصدر (مفعول مطلق). ينظر البحر المحيط (٢٤١/٥)، الدر المصون (١١١/٤).

(٢) أي: مرفوع على الخبرية، والمبتدأ محذوف. ينظر البحر المحيط (٢٤١/٥)، الدر المصون (١١١/٤).

(٣) أي: خوف. وفعله: فرق من باب طرب. ويقال: رجل فروقة وامرأة فروقة. ينظر لسان العرب (فرق).

(٤) قيل: المعنى: حاضت، وقيل: فزعت، وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (١١٤/٤).

(٥) وهي قراءة الجمهور، وقرأ (يعقوب) بالفتح ابن عامر، وخمزة وحفص عن عاصم. ينظر: السبعة (٣٣٨)، النشر (٢٩٠/٢)، التيسير (١٢٥) الدر المصون (١١٤/٤).

(٦) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٥٩)، المحتسب (٣٢٤/١)، البحر (٥/٢٤٤).

انتبهوا له في هذه الحال .

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَىٰ مُجْدِلَتَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَأْتِيهِمْ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَمَنِهَمٌ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿فلما ذهب عن إبراهيم الرُّوعُ﴾ الفرق ﴿وجاءته البشري﴾ بإسحاق ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾ قال قتادة: وذكر لنا أن مجادلته إياهم أنه قال لهم: أرايتم إن كان فيهم خمسون من المؤمنين، أمعذبوهم أنتم؟ قالوا: لا. حتى صار ذلك إلى عشرة، قال: أرايتم إن كان فيهم عشرة من المؤمنين، أمعذبوهم أنتم؟ قالوا: لا.

﴿إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾ المنيب: المخلص، وقد ذكرنا الأواه قبل هذا^(١).

﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ قال الكلبي: سأل إبراهيم ربه ألا يهلك لوطاً وأهله، وأن يعفو عن قوم لوط، فقبل: يا إبراهيم، أعرض عن هذا ﴿إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُمْ قَوْمُهُ يُهَرِّغُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَنْفَوْرُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْعَتِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَنَعْلَمُ مَا تُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَىٰ إِلَيَّ رُكْنِي

(١) عند تفسير الآية: ١١٤ من سورة التوبة.

شَدِيدٌ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَنْلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسَرَّ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ الْبَيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكْثُ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ

مَنْصُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

﴿ولما جاءت رُسُلنا لوطًا سيء بهم﴾ قال الحسن: ساءه دخولهم؛ لما تخوف عليهم من قومه ﴿وضاق بهم ذرعًا﴾ قال الكلبي: لم يذر أين ينزلهم. قال: وكان قوم لوط لا يؤون ضيقًا بليل، وكانوا يعترضون من مرّ بالطريق نهارًا للفاحشة، فلما جاءت الملائكة لوطًا حين أمسوا، كرههم ولم يستطع دفعهم، فقال: ﴿هذا يوم عصيب﴾ شديد.

﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ أي: يُسرعون.

قال محمد: يقال: أهرع الرجل؛ أي: أسرع؛ على لفظ ما لم يسم فاعله^(١). ﴿ومن قبل كانوا يعملون السيئات﴾ يعني: يأتون الرجال في أدبارهم؛ وكان لا يفعل ذلك بعضهم ببعض، إنما كانوا يفعلونه بالغرباء ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ أحل لكم من الرجال، قال قتادة: أمرهم أن يتزوجوا النساء.

قال محمد: وذكر أبو عبيد عن مجاهد أنه قال: كل نبي أبو أمته، وإنما عنى بيناته: نساء أمته.

قال أبو عبيد: وهذا شبيه بما يروى عن قراءة أبي بن كعب: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم»^(٢).

(١) أي: مبني للمجهول. ومصدره: الإهراع. لسان العرب (هرع).

(٢) وتنتظر هذه القراءة من تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (١٤/١٢٣).

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ الضيف: يقال للواحد وللأثنين، ولأكثر من ذلك^(١) ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾.

﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ من حاجة ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ أي: إنا نريد أضيافك دون بناتك ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ قال قتادة: يعني: إلى عشيرة قوية (ل١٤٩) فدفعوه الباب، وقالت الملائكة: ﴿يَا لَوْطَ إِنَّا رَسَلْنَا رِبِّكَ لَنَ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ أي: سِرْ بهم في ظلمة من الليل ﴿وَلَا يَلْتَفَتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فقال: لا؛ بل أَهْلِكُوهُمْ الساعة! فقالوا: ﴿إِنْ مَوْعِدُكَ الصَّبْحُ أَلَيْسَ الصَّبْحُ بَقَرِيبٍ﴾ فطمس جبريل عليه السلام أعينهم بأحد جناحيه، فبقوا ليلتهم لا يبصرون ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ قال: فلما كان في السَّحَرِ، خرج لوطٌ وأهله، ورفع جبريل عليه السلام أرضهم بجناحه الآخر، حتى بلغ بها السماء الدنيا؛ حتى سمعت الملائكة نُبَاحَ كلابهم وأصوات دجاجهم، فقلبها عليهم، وكان قد عُهِدَ إلى لوطٍ ألا يَلْتَفَتَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتُكَ؛ فلما سمعت العجوز - عجوز السوء - الهُدَّةَ التفتت، فأصابها ما أصاب قومها، ثم اتبعت الحجارة من كان خارجاً من مدائنهم، قال قتادة: كانت ثلاثاً.

قال الحسن: فلم يبعث الله - سبحانه - بعد لوط نبياً إلا في عزٍّ من قومه، وكانت امرأة لوطٍ منافقة؛ تظهر الإسلام، وقلبها على الكفر ..

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ قال قتادة: من طين ﴿مَنْضُودٍ﴾ أي:

(١) وقد يُجمع على: أضياف، وضُيُوف، وضِيفَان. ويقال للمرأة: ضَيْفٌ وضَيْفَةٌ. لسان العرب، مختار الصحاح (ضيف).

بغضه على بعض ﴿مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: عَلَيْهَا سِيمَا^(١)؛ أَنَهَا لَيْسَتْ مِنْ حَجَارَةِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهَا مِنْ حَجَارَةِ الْعَذَابِ.

قَالَ: وَتِلْكَ السِّيمَا عَلَى الْحَجَرِ مِنْهَا مِثْلُ الْخَاتَمِ ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٌ﴾ يَقُولُ: وَمَا هِيَ مِنْ ظَالِمِي أَمْتِكَ يَا مُحَمَّدٌ بِبَعِيدٍ أَنْ يَحْصِبَهُمْ بِهَا^(٢).

يَحْيَى: عَنْ هَمَامِ بْنِ يَحْيَى، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَكْثَرَ مَا اتَّخَوْفَ عَلَى أَمْتِي عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ»^(٣).

(١) أَي: عَلَامَةٌ وَسِمَةٌ. لِسَانَ الْعَرَبِ، الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ (سُوم).

(٢) بَعْدَهَا لِحَقٍّ غَيْرٍ وَاضِحٍ فِي الْأَصْلِ.

(٣) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٨٢/٣) وَالتِّرْمِذِيُّ (٤٨/٤) رَقْمَ ١٤٥٧) وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٤/٣٥٧) وَالْأَجْرِيُّ فِي ذِمِّ اللُّوَاطِ (٤٦ رَقْمَ ١٣) مِنْ طَرِيقِ هَمَامٍ بِهِ.

وَرَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ (٨٥٦/٢) رَقْمَ ٢٥٦٣) وَأَبُو يَعْلَى (٩٧/٤) رَقْمَ ٢١٢٨) وَابْنُ حِبَانَ فِي الْمَجْرُوحِينَ (٤/٢) وَالْأَجْرِيُّ فِي ذِمِّ اللُّوَاطِ (٤٥ رَقْمَ ١٢) وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي ذِمِّ الْهُوِيِّ (ص ١٦٩) وَالْمِزِيُّ فِي تَهْذِيبِ الْكَمَالِ (٣٩٤/٢٣) مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ. وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ جَابِرٍ.

وَقَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

وَرَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ رَسْتَمٍ عَنْ هَمَامٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ بَنَتْهُ.

قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْعِلَالِ (٤٩/٥ - أ): وَوَهْمٌ فِيهِ، وَالصَّوَابُ عَنْ هَمَامٍ عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ جَابِرٍ.

وَقَالَ أَبُو الشَّيْخِ فِي فَوَائِدِ الْأَصْبَهَانِيِّينَ: أَخْطَأَ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ رَسْتَمٍ. لِسَانَ الْمِيزَانِ (١/١٤٤).

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي اللِّسَانِ أَيْضًا: وَقَدْ أَخْطَأَ إِبْرَاهِيمُ فِي سَنَدِهِ وَمَتْنِهِ جَمِيعًا.

وَرَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ - وَهُوَ مَتْرُوكٌ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَقِيلٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ بَنَتْهُ. خَرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي الْمَصْنُفِ (٧/٣٦٥ رَقْمَ ١٣٤٩٣) عَنْ إِبْرَاهِيمَ بِهِ.

﴿وَالِى مَدِيْنٍ اَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَقْوَمِمْ اَعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ اِنِّىْ اُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَّ اِنِّىْ اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ تُحْشَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَيَقْوَمِمْ اَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ اَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِى الْاَرْضِ مُفْسِدِيْنَ ﴿٨٥﴾ يَقِيْتُ اللّٰهُ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ وَمَا اَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيْظٍ ﴿٨٦﴾

﴿والى مدين﴾ أى: وأرسلنا إلى أهل مدين ﴿أخاهم شعيباً﴾ أخوهم فى النسب، وليس بأخيهم فى الدين .

﴿انى أراكم بخير﴾ أى: بخير من الله؛ يعنى: السعة والرزق، وكانوا أصحاب تطفيف فى الكيل، ونقصان من الميزان .

﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾ أى: لا تظلموا ﴿ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ قد مضى تفسير ﴿ولا تعثوا﴾ فى سورة البقرة^(١) .

﴿بقية الله خير لكم﴾ قال مجاهد: يعنى: طاعة الله ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ أحفظ عليكم أعمالكم حتى أجازيكم بها .

﴿قَالُوا يٰشُعَيْبُ اَصْلَحْ لَنَا نَأْمُرُكَ اَنْ تَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ اٰبَاؤُنَا اَوْ اَنْ تَفْعَلَ فِىْ اَمْرِنَا مَا نَشَآؤُا اِنَّكَ لَآتَ الْحَلِيْمِ الرَّشِيْدُ﴾ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقْوَمِمْ اَرَاَيْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْتَهٍ مِّنْ رِّقِيْ وَرَزَقْنِيْ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا اُرِيْدُ اَنْ اُخَالِفَكُمْ اِلَّا مَا اَنْهَيْتُكُمْ عَنْهُ اِنْ اُرِيْدُ اِلَّا الْاِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيْقِيْ اِلَّا بِاللّٰهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَاِلَيْهِ اُنِيْبُ ﴿٨٨﴾ وَيَقْوَمِمْ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيْ اَنْ

(١) عند قوله تعالى: ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين﴾ [البقرة: ٦٠] .

يُصِيبُكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ

﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ يعنون: أوثانهم.

قال الحسن: لم يبعث الله - عز وجل - نبياً إلا فرض عليه الصلاة والزكاة.

قال محمد: المعنى: أدينك يأمرك؛ وهو معنى ما ذهب إليه الحسن.

﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ أي: أو أن نترك أن نفعل.

﴿إنك لانت الحليم الرشيد﴾ أي: أنك لست بالحليم الرشيد.

﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ يعني: النبوة.

﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ فأفعله ﴿ويا قوم لا يجرمنكم

شقاقي﴾ أي: لا تحملنكم عداوتي ﴿أن يصيبكم﴾ بكفركم بي من عذاب

الله - عز وجل - ﴿مثل ما أصاب قوم نوح...﴾ الآية.

قال محمد: (يجرمنكم) أضله: يكسبنكم؛ تقول: جرمت كذا؛ بمعنى

كسبت^(١)، وأنشد بعضهم:

طريدٌ عشيرةٍ ورهينٌ ذنبٌ بما جرمتَ يدي وجئى لسانى^(٢)

قوله عز وجل: ﴿وما قوم لوطٍ منكم ببعيد﴾ يقول: العظة بقوم لوطٍ قريبة

(١) ويقال: معنى قوله: ﴿ولا يجرمنكم﴾: أي: لا يحملنكم. لسان العرب مختار الصحاح (جرم).

(٢) ويروى: ورهين جزم... إلخ. وهو من بحر الوافر. ويُنسب للهِزْدَانِ السَّعْدِيِّ أحد لصوص بني سعد. ينظر لسان العرب (جرم) تفسير القرطبي (٢٩/٩).

منكم؛ لأن إهلاك قوم لوط كان أقرب الإهلاكات التي عرفوها.

﴿إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ﴾ لمن استغفره، وتاب إليه ﴿وَدُودٌ﴾ محبٌ لأهل طاعته.

﴿قَالُوا يَسْعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (٩١) قَالَ يَنْقُورِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخِذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَائِلِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئْرِهِمْ جَثِمَيْنِ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِّإِمْدَيْنِ كَمَا بَعَدَتْ نُجُودُ (٩٥) ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ أي: إنا لا نقبل، وقد فهموه وقامت عليهم به الحجة ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ قال سفيان: كان أعمى ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ (ل ١٥٠) بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ بعظيم، وكان من أشرافهم.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرْهَطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخِذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرًا﴾ قال قتادة: يقول: أعزتم قومكم، وأظهرتم بربكم قال يحيى: أراه يعني: جعلتموه منكم بظهر.

قال محمد: يقال: ظهرت بحاجة فلان؛ إذا نبذتها ولم تعبأ بها^(١)، ومنه قول الفرزدق^(٢):

(١) لسان العرب، مختار الصحاح (ظهر).

(٢) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي، شاعر من الطبقة الأولى من الإسلاميين، وصاحب النفاض مع جرير والأخطل (ت ١١٠هـ). الأعلام (٨/ ٩٣).

تميم بن زيد لا تكونن حاجتي بظهر فلا يعنى علي جوابها^(١)

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ خير ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي: على دينكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على ديني ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ كقوله عز وجل: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٢) يخوفهم أنهم إن ثبتوا على دينهم، جاءهم العذاب ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾.

قال محمد: المعنى: أنهم قد بعدوا من رحمة الله - تعالى - ونصب (بُعْدًا) على المضدر^(٣)؛ يقال: بَعَدَ - بكسر العين - يَبْعُدُ؛ إذا كان بُعْدُ هَلَكَةٍ، وَبَعْدَ بضم العين يَبْعُدُ بُعْدًا؛ إذا نأى^(٤).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ۖ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۖ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَيُسَّ الَّارِدُ الْمَوْرُودُ ۖ وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُسَّ الَّرِفْدُ الْمَرْفُودُ ۖ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾^(٥)
﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ أي: بعلاماتنا التي تدل على صحة نبوته ﴿وسلطان مبين﴾ حجة بينة.

(١) ديوان الفرزدق (٨٦). وهو من بحر الطويل. ورواية الديوان هي:

تميم بن زيد لا تهونن حاجتي . لديك ولا يعي علي جوابها

(٢) الأعراف: ٧١ .

(٣) أي: المؤكد للفعل. ينظر: البحر المحيط (٢٥٨/٥).

(٤) حيث أرادت العرب أن تفرق بين المعنيين بتغيير البناء، فقالوا: بَعْدَ ضد القرب، وَبَعْدَ ضد السلامة. ينظر: الدر المصون (١٢٧/٤).

قال محمد: والسultan إنما سُمِّيَ سلطانًا؛ لأنه حُجَّةُ الله - عز وجل - في أرضه .

﴿وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة﴾ أي: يقودهم إلى النار؛ حتى يدخلها هو وقومه .

﴿وأتبعوا في هذه﴾ يعني: الدنيا ﴿لعنة﴾ يعني: العذاب الذي عذبهم به من الغرق ﴿ويوم القيامة﴾ أي: وأتبعوا يوم القيامة لعنة ﴿بشس الرشد المرفود﴾ قال عطاء: ترادفت عليهم من الله - عز وجل - لعنتان: لعنة بعد لعنة؛ لعنة الدنيا، ولعنة الآخرة .

قال محمد: وقيل: المعنى: بشس العطاء المعطى .

﴿ذلك من أبناء القرى نقصه عليك منها قائم﴾ تراه قد هلك أهله، ومنها حصيد﴾ لا ترى له أثرًا .

﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ أَخَذُ رَبُّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١١٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١١٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُّعَدُّورٍ ﴿١١٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَبِئْسَ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١١٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١١٧﴾﴾

﴿وما زادوهم غير تنيب﴾ غير تخسير ﴿وذلك يوم مشهود﴾ يشهده أهل

السماء وأهل الأرض ﴿فمنهم شقي وسعيد﴾ .

يحيى: عن فطر، عن أبي الطفيل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: قال رسول الله ﷺ: «إن خلق أحدكم يُجمَعُ في بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثم يكون أربعين يومًا علقة، ثم يكون أربعين يومًا مضغة، ثم يبعث الملك فيؤمر أن يكتب أربعًا: رزقه وعمله وأجله وأثره، وشقيًا أو سعيدًا. والذي لا إله غيره؛ إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع؛ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار حتى يدخلها، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبين النار إلا ذراع؛ فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها»^(١).

قوله عز وجل: ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾ قال قتادة: هذا حين يقول الله - عز وجل - لهم: ﴿اخشثوا فيها ولا تكلمون﴾^(٢) فينقطع كلامهم؛ فما يتكلمون بعدها بكلمة إلا هواء الزفير والشهيق؛ فشبّه أصواتهم بأصوات الحمير؛ أولها زفير، وآخرها شهيق. قال محمد: اختلف القول في الزفير والشهيق: ذُكِرَ عن الخليل^(٣)؛ أنه قال: الشهيق ردُّ النَّفْسِ، والزفير إخراج النفس. وقيل: الزفير صوت المكروب بالأنين، والشهيق أشد منه ارتفاعًا^(٤).

(١) لم أجده من طريق أبي الطفيل، ورواه البخاري (٦/٣٥٠ رقم ٣٢٠٨) ومسلم (٤/٣٤٠ رقم ٢٦٤٣) وغيرهم من طريق زيد بن وهب عن ابن مسعود.

(٢) المؤمنون: ١٠٨ .

(٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، أستاذ سيويه، وأشهر علماء العرب على الإطلاق (توفي نحو ١٧٥هـ) ترجمته ومصادرهما في إنباه الرواة (١/٣٤١).

(٤) ينظر ذلك بأكثر منه استطرادًا في لسان العرب (زفر)، (شهق).

﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾ الجنة في السماء، والنار في الأرض؛ وذلك ما لا ينقطع أبدًا ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني: ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم؛ قال: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾^(١) قال: زمرة تدخل بعد الزمرة.

وفي تفسير السدي: إلا ما شاء ربك لأهل التوحيد. الذين (١٥١) يدخلون النار؛ فلا يدومون فيها يُخْرَجُونَ منها إلى الجنة.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُورٍ﴾ (١٥٨) ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ (١٥٩) ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِي بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ (١٦٠) ﴿وَإِنْ كُلًّا لَمَّا لَوْفَيْنَاهُمْ رَبِّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُمْ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١٦١)

﴿وَأما الذين سعدوا...﴾ إلى قوله عز وجل: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني: ما سبقهم به الذين دخلوا قبلهم؛ قال: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾^(٢) قال: زمرة تدخل بعد الزمرة.

وفي تفسير السدي: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ يعني: ما نقص لأهل التوحيد الذين أخرجوا من النار.

﴿عطاء غير مجذوذ﴾ أي: غير مقطوع. ﴿فلا تك في مِرْيَةٍ﴾ في شك ﴿مما يعبد هؤلاء﴾ يعني: مشركي العرب.

(١) الزمر: ٧١.

(٢) الزمر: ٧٣.

﴿ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم﴾ أي: إلا ما كان يَغْبُدُ آباؤهم من قبل؛ أي: كانوا يعبدون الأوثان ﴿وإننا لموفوهم نصيبهم﴾ من العذاب ﴿غير منقوص﴾.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلِف فيه﴾ أي: آمن به قومٌ وكفر به قومٌ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ ألا يعذب بعذاب الآخرة في الدنيا. ﴿لقضي بينهم﴾ أي: لقضى الله بينهم في الدنيا؛ فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ولكن أخر ذلك إلى يوم القيامة.

﴿وإن كلاً لما ليوفيهم ربك أعمالهم﴾ يعني: الأولين والآخرين. قال محمدٌ: ومن قرأ (وإن كلاً لما) بتخفيف (إن ولما) ^(١) فالمعنى: إن كلاً ليوفيهم وتكون (ما) صلة، ونصب (كلاً) بإن؛ لأن من النحويين من يقول في (إن) الخفيفة: أصلها (إن) المشددة، فإذا أدخل عليها التخفيف نُصِبَ بها على تأويل الأصل ^(٢).

﴿فَأَسْتَفِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ^(١١٢) وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتَمَسَّكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ^(١١٣) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ ^(١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ^(١١٥) فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ

(١) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وفي هذه الآية قراءات كثيرة . ينظر: السبعة (٣٣٩)، النشر (٢٩٠ / ٢ - ٢٩١)، الحجة (١٩٠)، البحر (٢٦٦ / ٥).

(٢) وفي هذا الآية كلام كثير للنحاة لخصها السمين الحلبي في الدر المصون (١٣٥ / ٤ - ١٣٦).

الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١٦٦﴾

﴿فاستقم كما أمرت﴾ على الإسلام ﴿ومن تاب معك﴾ يعني: المؤمنين الذين تابوا من الشرك ﴿ولا تطغوا﴾ فترجعوا عن الإسلام. ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا﴾ قال قتادة: يقول: لا تلحقوا بالشرك، فتمسكم النار؛ أي: تدخلوها.

﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل﴾ يعني: الصلوات الخمس؛ أن تقام على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها. وطرفا النهار؛ في الطرف الأول صلاة الصبح، وفي الطرف الآخر الظهر والعصر ﴿وزلفاً من الليل﴾ يعني: صلاة المغرب وصلاة العشاء الآخر، وزُلف الليل: أدانيه - يعني: أوائله.

قال محمد: واحدُ الزُّلف: زلفة؛ يقال: أزلَفني عندك كذا؛ أي: أدناني^(١)، ونصب ﴿طرفي النهار وزلفاً من الليل﴾ على الظرف؛ كما تقول: جئت طرفي النهار وأوائل الليل^(٢).

﴿إن الحسنات﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿يذهبن السيئات﴾ يعني: ما دون الكبائر.

يحيى: عن الربيع بن صبيح، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا إن الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن؛ ما اجْتُنِبَت الكبائر»^(٣).

(١) وقزبني. لسان العرب (زلف).

(٢) أي: ظرف الزمان. والزلفة: أول ساعات الليل، قاله ثعلب. وقال الأخفش وابن قتيبة: الزلف ساعات الليل وآناؤه، وكل ساعة منه زلفة. فلم يُخصَّصْ بأول الليل. ينظر: الدر المصون (٤/ ١٤٥ - ١٤٦) لسان العرب (زلف).

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في زوائده (٤٩ رقم ١٠٥) - من طريق =

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿كان من القرون من قبلكم أولو بقية﴾ يعني: طاعة.
 ﴿ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم﴾ يقول: لم يكن ذلك إلا قليلاً ممن أنجينا من المؤمنين.
 ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ يعني: المشركين اتَّبَعُوا الدنيا، وما وسَّعَ الله - عز وجل - عليهم فيها.
 قال محمد: أصل الترفُّه: السَّعة في العيش، والإسراف في التنعيم.
 المعنى: اتبعوا ما أعطوا من الأموال وأنزوه^(١)؛ ففتنوا به.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ (١١٧) وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ^١ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾
 ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾ على الإيمان ﴿ولا يزالون مختلفين﴾ يعني: الكفار ﴿إلا من رحم ربك﴾ وهم المؤمنون؛ لا يختلفون في البعث كما اختلف الكفار فيه ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي: ولذلك خلق أهل الرحمة ألا يختلفوا.

= أبي الأشهب عن الحسن به.

ورواه الإمام أحمد (٤١٤/٢) والطيالسي في مسنده (٣٢٤) رقم (٢٤٧٠) وابن عبد البر في التمهيد (٤٩/٤ - ٥٠) من طرق عدة عن الحسن عن أبي هريرة متصلاً.

ورواه مسلم في صحيحه (٢٠٩/١) رقم (٢٣٣) من طريق عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة ومحمد بن سيرين وإسحاق مولى زائدة عن أبي هريرة به.

(١) مأخوذ من الثراء؛ وهو كثرة المال. لسان العرب (ثرو).

﴿وتمت كلمة ربك﴾ أي: سبقت ﴿لأملأَنَّ جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يعني: أهل النار من الجن والإنس .

﴿وكلاً نقصُّ عليك من أنباء الرسل﴾ من أخبار الرسل ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ [...] ^(١) أن الأنبياء قد لقيت من الأذى ما لقيت .

قال محمد: (كلًا) منصوبٌ بـ (نقصُّ) ^(٢) المعنى: كل ما تحتاج إليه من أنباء الرسل نقصه عليك، ومعنى تثبيت الفؤاد: تسكين القلب (ل١٥٢) من السكون، ولكن كلما كان الدلالة عليه والبرهان أكبر كان القلب أثبت أبدًا؛ كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ولكن ليطمئن قلبي﴾ ^(٣) .

﴿وجاءك في هذه الحق﴾ قال الحسن: وجاءك في هذه الدنيا .

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ﴾ ﴿وَأَنْظِرُوا إِنَّا مُنْظِرُونَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾

﴿وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم﴾ أي: على كفركم؛ يخوفهم العذاب؛ إن ثبتوا على كفرهم ﴿إنا عاملون وانتظروا﴾ ما ينزل من عذاب الله - عز وجل - ﴿إنا متظرون﴾ .

﴿ولله غيب السموات والأرض﴾ أي: لا يعلمه إلا هو ﴿وإليه يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ يوم القيامة .

﴿فاعبدوه وتوكلن عليه وما ربك بغافل عما تعملون﴾ .

(١) طمس في الأصل .

(٢) وفيه أوجه نحوية أخرى ينظر: البحر المحيط (٢٧٤/٥) الدر المصون (١٤٨/٤) .

(٣) البقرة: ٢٦٠ .

تفسير سورة يوسف وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾
 نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾

قوله: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ يعني: هذه آيات القرآن ﴿المبين﴾ البين
 ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ أي: بلسان عربي ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تعقلوا ما
 فيه فتؤمنوا ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ قال قتادة: من الكتب
 الماضية، وأمور الله السالفة في الأمم ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ أي:
 بوحينا إليك هذا القرآن ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: من قبل أن ينزل عليك
 القرآن ﴿لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ كقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت
 تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ (١).

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي
 سَاجِدِينَ﴾ (٤) قَالَ يَبْنَؤُ لَا نَقُصُّ رُءُوكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ
 لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَحْنِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُرِيكَ
 نِعَمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِنَّ رَبَّكَ
 عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا...﴾ الآية، فتأولها يعقوب أن أخوة يوسف - وكانوا أحد عشر رجلاً - وأبويه سيسجدون له.

﴿فِيكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ أي: يحسدونك ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رِبْكَ﴾ أي: يختارك للنبوة ﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ قال مجاهد: يعني: تغيير الرؤيا.

وقال الحسن: يعني: عواقب الأمور التي لا تُعلم إلا بوحى نبوة ﴿وَيَتِمُ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ﴾ وكان الله أعلمه أنه سيعطي ولد يعقوب كلهم النبوة.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْمَسْأَلِينَ﴾ (٧) إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْسًا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) أَفْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (١٠) قَالُوا يَبْنَآبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَنْصَحُونَ (١١) أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١٢) قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ (١٣) قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ (١٤) فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٥) وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦) قَالُوا يَبْنَآبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَيَتْرَكُنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْنَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (١٧)﴾

﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ أي: عبرة لمن كان سائلاً عن حديثهم ﴿إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا ونحن عصبة﴾ جماعة ﴿إن أبانا لفي ضلال مبين﴾ أي: من الرأي، ليس يعنون: ضلالة في الدين ﴿مبين﴾ بين ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم﴾ ولم يكونوا يوم قالوا هذه المقالة أنبياء ﴿وتكونوا من بعده قومًا صالحين﴾ يعنون: تصلح منزلتكم عند أبيكم؛ في تفسير الحسن.

وقال غيره: يعنون: تتوبون من بعد قتله ﴿قال قاتل منهم﴾ هو روبيل؛ في تفسير قتادة ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابات الجب﴾ أي: بعض نواحيها. قال محمد: كل شيء غيب عنك شيئاً فهو غيبة^(١)، وكذلك قرأ يحيى (غيابة الجب)^(٢).

﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ أي: بعض من يمر في الطريق .
﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب﴾ قال محمد: قرأه أهل المدينة ﴿يرتع﴾ بالياء وكسر العين، ﴿ويلعب﴾ بالياء أيضاً^(٣)؛ المعنى: كأنهم قالوا: يرعى ماشيته ويلعب في جمع السعة والسرور.
﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾ قال محمد: يقال: العُصبة من العشرة إلى الأربعين .

﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابات الجب﴾ أي: اتفقوا وألقوه

(١) لسان العرب (غيب).

(٢) وهي قراءة السبعة إلا نافعاً؛ فقد قرأ (غيايات) جمعاً. ينظر: السبعة (٣٤٥)، النشر (٢/ ٢٩٢)، الحجة (١٣٣).

(٣) وهي قراءة نافع وفي هذه الآية قراءات كثيرة. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٦٢)، التيسير (١٢٨)، السبعة (٣٤٥)، البحر (٥/ ٢٨٥).

في الجب ﴿وأوحينا إليه لتنبئهم بأمرهم هذا﴾ قال قتادة: أتاه وحى الله وهو في البئر بما يريدون أن يفعلوا به ﴿وهم لا يشعرون﴾ بما أطلع الله عليه يوسف من أمرهم.

﴿وجاءوا أباهم عشاءً يبكون﴾ قال محمد: (عشاء) منصوب على الظرف^(١).

﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنا صادقين﴾ أي: ولو صدقناك. قال محمد: قيل: المعنى: (ل ١٥٣) ولو كنا عندك من أهل الثقة والصدق لأنهمتنا في يوسف؛ لمحبتك فيه، وظننت أنا قد كذبتناك.

﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوُهُ قَالَ يَبُشْرَى هَذَا غُلْمٌ وَاسْرِؤْهُمْ ضَعُفٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرْأَتِي أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾ لطحوا قميصه بدم سخلة.

قال محمد: المعنى: دم مكذوب فيه :

﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾ أي: زينت ﴿أمراً فصبر جميل﴾ أي: ليس فيه جزع.

(١) أي: ظرف الزمان. وقيل: نصب على الحال باعتبار أن (عشاء) جمع (عاش)، مثل (قيام) جمع (قائم) ينظر الدر المصون (٤/١٦٢).

قال الحسن: وكان يعقوب قد علم بما أعلمه الله أن يوسف حي، ولكنه لم يعلم أين هو؟

قال محمد: (صبر جميل) مرفوع على معنى: فالذي اعتقده: صبر جميل، ويجوز أن يكون على معنى: (فصبري صبر جميل)^(١).

﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم﴾ الوارد: الذي يرد الماء؛ ليستقي للقوم ﴿فأدلى دلوه﴾ في الجب؛ وهي بئر بيت المقدس.

قال محمد: يقال: أدليت الدلو؛ إذا أرسلتها لتملأها، ودلوتها؛ إذا أخرجتها^(٢).

قال قتادة: فلما أدلى دلوه تشبث بها يوسف، فقال الذي أدلى دلوه: (يا بشراي)^(٣) يقول لصاحبه: ما البشري؟ قال له صاحبه: ما وراءك؟ أو ما عندك؟ قال: ﴿هذا غلام﴾ فأخرجوه ﴿وأسروه بضاعة﴾ قال مجاهد: صاحب الدلو ومن كان معه قالوا لأصحابهم: إنما استبضعناه خيفة أن يشركوهم فيه. ﴿وشروه﴾ أي: باعوه ﴿بثمانٍ بخس﴾ أي: حرام لم يكن يحل بيعه. ﴿دراهم معدودة﴾ قال مجاهد: باعوه باثنين وعشرين درهماً.

﴿وكانوا فيه من الزاهدين﴾ يعني: الذين التقطوه، وزهادتهم فيه أنهم لم يكونوا يعرفون منزلته من الله؛ فباعوه من ملك مضر.

﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامراته أكرمي مثواه﴾ أي: منزلته ﴿عسى أن

(١) ينظر: الدر المصون (٤/١٦٤).

(٢) لسان العرب (دلو).

(٣) وهي قراءة أبي عمرو، ونافع، وابن كثير، وابن عامر. وفيها قراءات كثيرة غير ذلك. ينظر: السبعة (٣٤٧)، النشر (٢/٢٩٣)، الحجة (١٩٤)، البحر (٥/٢٩٠).

ينفعنا أو نتخذه ولذا ﴿أي: نتبناه﴾ . قال الله: ﴿وكذلك مكننا ليوسف في الأرض﴾ يعني: أرض مصر، وما أعطاه الله .

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ۖ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَوَدَتْهُ الْمَوْتُ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ۖ وَعَلَّقَتِ الْأَثْرَبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجُلًا بَرَّهْنَ رَيْبَهُ ۖ كَذَلِكَ لَصِرَفَتْ عَنْهُ أَسْوَى ۖ وَالْفَحْشَاءُ إِنَّهُ مِنَ عِبَادِنَا الْمُتْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهُ مِنْ دُبُرٍ ۖ وَالْفَيَّا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي ۖ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ ۖ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ ۖ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ ۚ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ۖ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۚ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْفَاطِطِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ولما بلغ أشده﴾ يقال: بلغ عشرين سنة ﴿آتيناه حكمة وعلمًا﴾ يعني: الرسالة .

﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي: هلم لك .

وتقرأ: (هَيْتَ لَكَ) بفتح الهاء وتسكين الياء ^(١) .

(١) وهي لأبي عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وفيها قراءات كثيرة أخرى. ينظر: السبعة (٣٤٧)، النشر (٢/٢٩٣)، البحر (٥/٢٩٤)، المحتسب (١/٣٣٧ - ٣٣٨).

قال محمد: يقال: هَيْتَ فلانٌ بفلان؛ إذا صاح به^(١).

قال الشاعر:

قد رابني أن الكرى أسكتا لو كان مغنيا بها لهيئا^(٢)

قوله: ﴿قال معاذ الله إنه ربي﴾ أي: سيدي - يعني: العزيز ﴿أحسن مثواي﴾ أي: أكرم منزلتي.

قال أبو عبد الله الشامي: أول ما قالت له: يا يوسف ما أحسن شعرك! قال: أما إنه أول شيء يتلى مني.

﴿ولقد همّت به﴾ يعني: ما أرادته حين اضطجعت له ﴿وهم بها﴾ يعني: حلّ سراويله^(٣) ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ قال مجاهد: مثل له يعقوب فاستحي منه، فصرف الله عنه وأذهب كل شهوة كانت في مفاصله^(٤).

(١) لسان العرب (هيت).

(٢) البيت من الرجز، وقائله مجهول. ينظر لسان العرب (هيت)، تفسير القرطبي (١٦٥/٩).
(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٤٨/١٥ - ١٤٩) في كلامه على نبي الله يوسف ﷺ: وقد اتفق الناس على أنه لم تقع منه الفاحشة، ولكن بعض الناس يذكر أنه وقع منه بعض مقدماتها، مثل ما يذكرون أنه حل السراويل، وقعد منها مقعد الخاتن، ونحو هذا، وما ينقلونه في ذلك ليس هو عن النبي ﷺ، ولا مستند لهم فيه إلا النقل عن بعض أهل الكتاب، وقد عُرف كلام اليهود في الأنبياء وغضهم منهم، كما قالوا في سليمان ما قالوا، وفي داود ما قالوا، فلو لم يكن معنا ما يرد نقلهم لم نصدقهم فيما لم نعلم صدقهم فيه، فكيف نصدقهم فيما قد دل القرآن على خلافه؟! والقرآن قد أخبر عن يوسف من الاستعصام والتقوى والصبر في هذه القضية ما لم يذكر عن أحد نظيره.

راجع: مجموع الفتاوى (١٣٨/١٥ - ١٥٠)، وتفسير القرطبي (١٦٥/٩ - ١٦٩) وأضواء البيان (٤٩/٣ - ٦٠) وغيرها.

(٤) قال ابن كثير بعد أن ذكر أقوال المفسرين في تفسير ذلك البرهان (٥٧٤/٢): قال ابن جرير: والصواب أن يقال أنه رأى آية من آيات الله تزره عما كان هم به، وجائز أن يكون صورة يعقوب، وجائز أن يكون صورة الملك، وجائز أن يكون ما رآه مكتوبًا من الزجر عن ذلك، =

قال الله: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء...﴾ الآية، فولّى هارباً واتبعته ﴿واستبقا الباب﴾ فسبقها إليه ليخرج ﴿وقدت قميصه من دبر﴾ أي: شقته من خلفه. ﴿وألفيا سيدها﴾ أي: زوجها ﴿لدى الباب﴾ عند الباب. ﴿وشهد شاهد من أهلها﴾ قال قتادة: رجل حكيم كان من أهلها؛ قال: القميص يقضي بينهما؛ إن كان قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين.

﴿فلما رأى قميصه قد من دبر﴾ قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم ﴿ثم قال ليوسف:﴾ يوسف أعرض عن هذا ﴿أي: لا تذكره: احبسه، وقال لها:﴾ استغفري لذنبك ﴿^(١)﴾ من زوجك، واستغفيه ألا يعاقبك ﴿إنك كنت من الخاطئين﴾ يعني: الخطيئة.

قال محمد: يقال: خطى الرجل يخطأ خطأ؛ إذا تعمّد الذنب فهو خاطئ، والخطيئة منه ^(٢): أخطأ يخطئ؛ إذا لم يتعمّد، والاسم منه: الخطأ ^(٣).

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْلَهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَهَاتَتْ كُلَّ وَجْدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا

= ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك، والصواب أن يطلق كما قال الله تعالى. اهـ

وانظر تفسير ابن جرير الطبري (١٣/١٩١).

(١) هناك لحق على حاشية الأصل غير واضح.

(٢) أي: الاسم منه: الخطيئة.

(٣) قال الأموي: المخطئ من أراد الصواب، فصار إلى غيره، والخطأ: من تعمّد مالا ينبغي.

وقال أبو عبيدة: خطئ وأخطأ بمعنى. لسان العرب، مختار الصحاح (خطئ).

بَشْرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدُّهُ عَنْ نَفْسِهِ

فَأَسْتَعْصِمُ وَلَكِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لِيُسْجَنَنَّ وَلِيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾

(ل ١٥٤) ﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز﴾ يعني: عز الملك ﴿تراود

فتاها عن نفسه قد شغفها حباً﴾ قال مجاهد: أي: دخل حبه في شغافها. قال

الكلبي: الشغاف: حجاب القلب ﴿إنا لنراها في ضلال مبين﴾ قال السدي:

يعني: في خسران بين من حُب يوسف.

﴿فلما سمعت بمكرهن﴾ أي: بغيبتهن ﴿أرسلت إليهن﴾ وأرادت أن

توقعهن فيما وقعت فيه ﴿وأعتدت﴾ أي: أعدت ﴿لهن متكئاً﴾ قال مجاهد:

يعني: مجلساً وتكأة.

قال يحيى: وهي تقرأ (متكأ) قال بعضهم: هو الأترج^(١).

قال محمد: (المتكأ) بالثقل: هو ما اتكأت لحديث، أو طعام، أو

شراب^(٢).

﴿وآتت كل واحدة منهن سكينة﴾ ليقطعن ويأكلن، وقالت ليوسف: ﴿اخرج

عليهن فلما رأينه أكبرنه﴾ أي: أعظمه أن يكون من البشر. ﴿وقطعن أيديهن﴾

أي: حزنن لا يعقلن ما يضرعن ﴿وقلن حاش لله﴾ قال مجاهد: يعني: معاذ الله

﴿ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك﴾ من ملائكة الله ﴿كريم﴾ على الله.

(١) قال الفراء: واحدة المتك: متكة مثل بسر وبسرة؛ وهو الأترج. وقال مثل ذلك ابن سيده،

وحكاة الأخفش. ينظر لسان العرب (متك) وتُنسب هذه القراءة إلى ابن عباس وابن عمر

ومجاهد وقتادة، وغيرهم. ونسبها صاحب اللسان إلى أبي رجاء العطاردي. ينظر: البحر

(٣٠٢/٥)، المحشوب (٣٣٩/١)، معاني القرآن للفراء (٤٢/٢).

(٢) لسان العرب (وكأ).

قال محمد: يقال: حاش لله، وحاشى لله - يياء ويغير ياء -، وأضله في اللغة: البراءة^(١)؛ أي قد برأه الله من ذلك، وانتصب (بشراً) بخبر (ما) لأن (ما) في لغة أهل الحجاز معناه معنى (ليس) في النفي^(٢).

﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ أي: امتنع.

﴿وليكونا من الصاغرين﴾ أي: من الأذلاء.

﴿قَالَ رَبِّ النَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْكَاهِلِينَ﴾ (٣٣) ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٣٤) ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجُتُّنَّهُ حَتَّى جِئَ﴾ (٣٥)

﴿ولا تصرف عني كيدهن﴾ قال الحسن: قد كان من النسوة عون لها عليه ﴿أصب إليهن﴾ أي: أتابعهن.

قال محمد: المعنى: أمل إليهن مثل جهل وصبا؛ يقال: صبا فلان إلى اللهو يضبو صبا؛ إذا مال إليه^(٣). قال دريد بن الصمة^(٤):

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للبائل ابعدي^(٥)

(١) ولا يقال: حاش لك قياساً عليه، وإنما يقال: حاشاك، وحاشى لك. وعدّها النحويون من الأدوات المترددة بين الحرفية والفعلية فإن جرت فهي حرف، وإن نصبت فهي فعل وهي من أدوات الاستثناء لسان العرب، مختار الصحاح (حوش) الدر المصون (١٧٥/٤).

(٢) أي: ترفع الاسم وتنصب الخبر. ينظر: الدر المصون (١٧٩/٤).

(٣) وورد في لسان العرب: صبا يصبو صبوةً وصبواً. لسان العرب (صبو).

(٤) قتل يوم حنين مشركاً، في العام الثامن للهجرة، واختلف المؤرخون في مبلغ سته. ينظر المعمرون (٢٧ - ٢٨)، تاريخ الطبري (٧٩ - ٧٠/٣).

(٥) البيت من بحر الطويل. ينظر: ديوانه (٦٩)، جمهرة اللغة (٢٤٥/١)، المثل السائر لابن الأثير (٢٠٧/٢).

﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات﴾ قال مجاهد: يعني: قد القميص من دُبُر.

﴿ليسجنه حتى حين﴾ قال الكلبي: بلغنا أنها قالت لزوجها: صدقته وكذبتني، وفضحتني في المدينة، فأنا غير ساعية في رضاك إن لم تسجن يوسف، وتسمع به وتغذرنني؛ فأمر يوسف يحمل على حمار، ثم ضرب بالطليل: هذا يوسف العبراني، أراد سيده على نفسها فطوف به أسواق مصر كلها، ثم أدخل السجن.

﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَنِى أُعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَنِى أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِ خَيْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُزْقَاهُمَا إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّى إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِىَ ابْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِى السِّجْنِ ءَازِبَاتٌ مِّنْ فَتَوَاتٍ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمِعْتُمُوهُمَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِى السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّه نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِى عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَنَاهُ الْفُتْنَانَ ذَكَرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ فِى السِّجْنِ يَضَعَ سِجْنِ ﴿٤٢﴾﴾

﴿ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً﴾ وهي في قراءة ابن مسعود (أعصرُ عنبا) ^(١).

﴿وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً﴾ وهي في قراءة ابن مسعود (ثريدًا) أي: قضعةً من ثريد ^(٢).

﴿إنا نراك من المحسنين﴾ قال قتادة: كان إحسانه - فيما بلغنا - أنه كان يداوي جرحاهم، ويعزي حزينهم، ورأوا منه إحسانًا فأحبوه على فعله، وكان الذي قال: إني أراني أعصر خمراً ساقى الملك على شرابه، وكان الذي قال: إني أراني أحمل فوق رأس خبزًا خباز الملك على طعامه.

﴿قال لا يأتيكما طعامٌ ترزقانه إلا نبأكما بتأويله﴾ أي: بمجيئه ﴿قبل أن يأتيكما﴾ أي: من قبل أن يأتيكما ﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ أي: بما يطلعني الله عليه ﴿ذلك من فضل الله علينا﴾ يعني: النبوة التي أعطاهم ﴿وعلى الناس﴾ أي: وفضله على الناس؛ يعني: الإسلام ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ لا يؤمنون ﴿يا صاحبي السجن﴾ يعني: الفتين اللذين سُجنوا معه ﴿أربابٌ متفرقون﴾ يعني: الأوثان التي تعبدون من دون الله من صغير وكبير ووسط ﴿خيرٌ أم الله﴾ أي: أن الله خيرٌ منهم ﴿ما أنزل الله بها من سلطان﴾ من حجة ﴿يا صاحبي السجن﴾ أما أحكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر (ل ١٥٥) فيُضْلَب فتأكل الطيرُ من رأسه ﴿قال لساقى الملك: أما أنت فترد على عملك. وقال للخبار: وأما أنت فتُضْلَب فتأكل الطيرُ من رأسك.

قال الكلبي: لما عبّر لهما الرؤيا قال الخباز: يا يوسف، لم أر شيئاً! قال:

(١) وهي قراءة أبي بن كعب أيضاً. ينظر: البحر (٣٠٨/٥)، المحتسب (٣٤٣/١).

(٢) ينظر: البحر (٣٠٨/٥).

﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ أي: كالذي (قلته) ^(١) كذلك (يُقْضَى) ^(٢) لكما.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: اذكر أمري عند سيدك - يعني: الملك ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ يعني: يوسف حين رغب إلى الساقى أن يذكره عند الملك، وذلك بعد ما لبث في السجن خمس سنين يتضرع إلى الله ويدعوه ﴿فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قال قتادة: لبث في السجن بعد قوله: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سبع سنين عُقُوبَةً لِقَوْلِهِ ذَلِكَ ^(٣).

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَةٍ إِنِّي أُنَبِّئُكَ فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ ^(٤٣) قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ^(٤٤) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ^(٤٥) يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَةٍ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ^(٤٦) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ^(٤٧) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ ^(٤٨) ثُمَّ يَأْتِي

(١) في الأصل قلته.

(٢) في الأصل نقص.

(٣) هذا قول في تفسير الآية، والقول الثاني أن الضمير في قوله: ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ عائد على الناجي، قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد، قال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٤٧٩): هذا هو الصواب. اهـ.

ونصر هذا القول وأيده بالبراهين الساطعة شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٥/ ١١٢ - ١١٨) فراجع فإنه نفيس.

مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾

﴿وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف﴾ يعني: سبع بقرات عجاف ﴿وسبع سنبلات خضر﴾ أي: ورأيت سبع سنبلات خضر ﴿وأخرى يابسات﴾ أي: وسبعاً يابسات ﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ أي: أخلاط أحلام .

قال محمد: الأضغاث واحدها: ضِغْثٌ؛ وهي الحزمة من النبات يجمعها الرجل فيكون فيها ضروبٌ مختلفة^(١)؛ المعنى: رؤياك أخلاط ليست برؤيا بيّنة، وليس للرؤيا المختلطة عندنا تأويل .

﴿وقال الذي نجا منهما﴾ أي: من السجن ﴿وإذْكَرَ بعد أمة﴾ يقول: ذكر يوسف بعد حين، وكان ابن عباس يقرؤها: (وإذْكَرَ بعد أمة)^(٢) قال قتادة: يعني: بعد نسيان: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ وفيه إضمار، فأرسله الملك فأتى يوسف في السجن فقال: ﴿يوسف أيها الصديق﴾ يعني: الصادق ﴿أفتنا في سبع بقرات﴾ أي: أخبرنا عن سبع بقرات سمان، الآية؛ فأجابه يوسف فقال: أما السبعُ البقرات السمانُ، والسبعُ السنبلات الخضر فهي سبع سنين تُخْصِبُ، وأما السبعُ البقراتُ العجافُ والسنابلُ اليابسات فهي سبع سنين مجدبةٌ ﴿قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله﴾ أراد: أنه إذا كان في السُّبُل كان أبقى له .

قال محمد: الدأب: الملازمة للشيء والعادة؛ يقال منه: دأبتُ أدأبُ دأباً^(٣) .

(١) لسان العرب (ضغث).

(٢) وكذلك الحسن والضحاك، وقاتدة وأبو رجاء وغيرهم. ينظر: البحر (٣١٤/٥) المحتسب (٣٤٤/١)، إتحاف الفضلاء (٣٦٥).

(٣) دأبت أدأبُ دأباً ودءوتاً. لسان العرب (دأب).

﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبعٌ شداد﴾ يعني: سبع سنين مُجْدِبَةٌ ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ في السنين المخصبات ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ أي: تدخرون. ﴿ثم يأتي من بعد ذلك عامٌ فيه يفاث الناس وفيه يعصرون﴾ قال قتادة: يعني: يعصرون العنب والزيتون.

قال محمد: قوله: ﴿فيه يفاث الناس﴾ من جعله من الغَيْث فهو من قولك: غاث الله البلاد يَغِيثُهَا^(١)، ومن جعله من التلاقي والتدارك فهو من أغثت فلاناً أغيثه إغاثته^(٢).

وقيل أن (يعصرون) معناه: ينجون، العَصْرَةُ في اللغة: النجاة^(٣). قال: فلما أُخْبِرَ الملك أن يوسف هو الذي عبَّر الرؤيا قال اثتوني به.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (٥٠) قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَنِّي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْتُ خَشِيَ اللَّهُ مَا عُلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٥١) ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ ﴿وَمَا أَتَّبِعُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَعْتُ رَبِّي إِنَّ رَبِّيَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥٢) ﴿فلما جاءه الرسول﴾ قال له يوسف: ﴿ارجع إلى ربك﴾ أي: سيدك؛ هذا كان كلامهم يومئذٍ ﴿فاسأله ما بال النسوة اللاتي قَطَّعن أيديهن...﴾ الآية، قال قتادة: أراد ألا يخرج حتى يكون له عذر. فأرسل إليهن الملك

(١) والاسم منه: الغَيْث. لسان العرب (غيث).

(٢) والاسم منه: الغَوْثُ والغَيْثَات. لسان العرب (غوث).

(٣) لسان العرب (عصر).

فدعاهنَّ ﴿قال ما خطبكن﴾ ما حُجَّتْكُنَّ؟ ﴿إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حَاشَ لِلَّهِ ما علمنا عليه من سوء﴾ قال السدي: أي: من زنا ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق﴾ تبين ذلك ﴿ليعلم أنني لم أخنه بالغيب﴾ لما بلغ يوسف ذلك قال: ﴿ذلك ليعلم﴾ العزيز ﴿أنني لم أخنه بالغيب﴾ وكان الملك فوق العزيز ﴿وأنَّ الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ قال السدي: يعني: لا يصلح عمل الزناة، فلما قال هذا يوسف، قال له جبريل - فيما ذكر من (همهم) ^(١) يا يوسف، فما فعلت السراويل؟ فقال يوسف: ﴿وما (ل) (١٥٦) أبرئ نفسي...﴾ الآية ^(٢).

(١) كذا في الأصل ولعل المراد (هته).

(٢) هذا على أن قائل ﴿ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب...﴾ هو يوسف عليه السلام، وفي الآية قول آخر، أن ذلك من قول امرأة العزيز، قال الإمام ابن كثير في تفسيره (٢/٤٨١ - ٤٨٢): ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: تقول: الآن تبين الحق وظهر وبرز ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ أي: في قوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ ﴿ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب﴾ تقول: إنما اعترفت بهذا على نفسي؛ ليعلم زوجي أنني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر ولا وقع المحذور الأكبر، وإنما راودت هذا الشاب مراودة فامتنع؛ فلهذا اعترفت ليعلم زوجي أنني بريئة ﴿وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي﴾ تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإن النفس تتحدث وتتمنى، ولهذا راودته؛ لأن ﴿النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي﴾ أي: إلا من عصمه الله - تعالى - ﴿إن ربي غفور رحيم﴾ وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاها الماوردي في تفسيره، وانتدب لنصره الإمام أبو العباس بن تيمية رحمته الله فأفرد بتصنيف على حدة، وقد قيل: إن ذلك من كلام يوسف عليه السلام يقول ﴿ذلك ليعلم أنني لم أخنه﴾ في زوجته ﴿بالغيب...﴾ الآيتين - أي: إنما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز ﴿أنني لم أخنه﴾ في زوجته ﴿بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين...﴾ الآية، وهذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير ولا ابن أبي حاتم سواء اهـ. ثم ساقه من تفسير الطبري بإسناده عن ابن عباس، وقال: وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة وابن أبي هذيل والضحاك والحسن وقتادة والسدي، والقول الأول أقوى وأظهر؛ لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك؛ ولم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك اهـ.

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِي بِهَذَا اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِهِ فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَا نُجْزِي الْآخِرَةَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿إنك اليوم لدينا﴾ عندنا ﴿مكِين﴾ في المنزلة ﴿أمين﴾ من الأمانة، فوله الملك، وعزل العزيز ﴿قال﴾ يوسف: ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ يعني: أقوات أرض مصر ﴿إني حفيظ﴾ لِمَا وليت ﴿عليكم﴾ بما يصلحهم من ميرتهم ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض﴾ يعني: أرض مِصْر ﴿يتبأ منها حيث يشاء﴾ أي: ينزل. قال السدي: باع منهم قوتهم عامًا بكل ذهب عندهم، ثم باعهم عامًا بكل فضة عندهم، ثم باعهم عامًا بكل نحاس عندهم، ثم باعهم عامًا بكل رصاص عندهم، ثم باعهم عامًا بكل حديد عندهم، ثم باعهم عامًا بـرقاب أنفسهم؛ فصارت رقابهم وأموالهم كلها له ﴿ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يقول: ما يُعطي الله في الآخرة أوليائه خير من الدنيا.

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُؤْتِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفِي الْكِيلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهَذَا فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٦٣﴾﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ

قَبْلُ فَأَلَّه خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَزْهَمُ الرَّحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَابَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾

﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾ فأنزلهم وأكرمهم ﴿فلما جهزهم بجهازهم﴾ من الميرة^(١) ﴿قال اتنوني بأخ لكم من أبيكم﴾ قال قتادة: هو بنيامين أخو يوسف من أبيه وأمه ﴿وقال لفتياناه﴾ يعني: غلماناه ﴿اجعلوا بضاعتهم في رحالهم﴾ أي: دراهمهم في متاعهم ﴿لعلهم يرجعون﴾ يقول: إذا رُدَّتْ إليهم بضاعتهم، كان أخرى أن يرجعوا إليَّ ﴿قالوا يا أبانا مُنِعَ منا الكيلُ﴾ فيما نستقبل؛ إن لم نأته بأخيना ﴿ونمير أهلنا﴾ إذا أرسلته معنا ﴿ونزدادُ كيلَ بعيرٍ﴾ وكان يوسف وعدهم - في تفسير الحسن - إن هم جاءوا بأخيهم أن يزيدهم حمل بعير بغير ثمن، والبعير - في تفسير مجاهد - : الحمار؛ قال: وهي لغة لبعض العرب ﴿ذلك كيلٌ يسيرٌ﴾ قال السدي: يعني: سريعاً لا حبس فيه.

قال الحسن: وقد كان القوم يأتونه للمير، فيحبسون الزمان حتى يُكال لهم.

﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَبْنَئِ لَكُمْ بَابٌ وَاجِدُوا وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ

(١) هو الطعام الذي امتاروه. لسان العرب (مير).

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

﴿إلا أن يحاط بكم﴾ أي: تُغلبوا عليه .

﴿فلما أتوه موثقهم﴾ عهدهم ﴿قال الله على ما نقول وكيل﴾ أي: حفيظ لهذا العهد.

﴿وقال يا بني لا تدخلوا من بابٍ واحد﴾ قال قتادة: خشى على بنيه العين، وكانوا ذوي صورة وجمال .

﴿ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ يعني قوله: ﴿لا تدخلوا من بابٍ واحدٍ وادخلوا من أبوابٍ متفرقة﴾ .

قال محمد: (إلا حاجة) يعني: لكن حاجة^(١)؛ يقول: لو قدر أن تصيهم العين لأصابتهم وهم مفترقون؛ كما تصيهم مجتمعين، لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها.

﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ قال الحسن: يعني: لما آتيناه من النبوة .

﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا آلُ عِبرَ ءِ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا تَذَرُنَا وَالسَّقَايَةَ وَالْعِمَالَةَ إِنَّا نَنبَغِي عَلَيْكَ أَوْ عَنِ الْغُلَامِ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ فَتَقَدُّ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٣﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ

(١) انظر توجيه النصب لكلمة (حاجة) من الدر المصون (٤/١٩٧)، البحر المحيط (٥/٣٢٥) - (٣٢٦).

عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنَفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

﴿أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ أي: ضمه ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال الحسن: يقول: لا تغتم بما كان من أمرك ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ يعني: الميرة، ووفى لهم الكيل ﴿جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ والسقاية: إناء الملك الذي كان يُسْقَى فيه؛ وهو الصُّوَاع، وخرج إخوة يوسف وأخوهم معهم وساروا ﴿ثُمَّ أَدْنَى﴾ ^(١) مؤذن ﴿نَادَى مُنَادٍ

﴿أَيُّهَا الْعِيرُ﴾ يعني: أهل العير ﴿إِنكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ .

﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ كفيل .

﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجَدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ أي: يؤخذ به عبداً، وكذلك كان الحكم به عندهم؛ أن يؤخذ بسرقة عبداً يُسْتَعْدَمُ على قدر سرقة، وكان قضاء أهل مصر أن يغرم السارق ضعف ما أخذ، ثم يُرْسَل؛ فقصوا على أنفسهم بقضاء أرضهم مما صنع الله ليوسف؛ فذاك قوله: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: على قضاء

(١) في الأصل: فاذن.

ملك مصر [...] (١) القضاء إليه ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

قال محمد: قيل: يعني: إلا بعلّة كادها الله له (١٥٧) اعتلّ بها يوسف.

﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ قال الحسن: أجل والله لفوق كل ذي علم عليم؛ حتى ينتهي العلم إلى الذي جاء به وهو الله، وكل شيء فعله يوسف من أمر أخيه إنما هو شيء قبله عن الله.

﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يعنون: يوسف، وكان جده أبو أمه يعبد الأوثان؛ فقالت له أمه: يا يوسف، اذهب فخذ القفّة التي فيها أوثان أبي ففعل وجاء بها إلى أمه، فتلك سرقة التي أرادوا ﴿فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ ممّن قلتم له هذا، قال قتادة: هذه الكلمة ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ هي التي أسرّ في نفسه ولم يبدها لهم وهذا من مقادير الكلام ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: إنه كذب.

﴿قَالُوا يَتَّخِذِهَا الْحَمِيرُ إِنْ لَهُ أَبُو شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ إِنَّا نَرْنَكَ مِنْ

الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَطَلِمُونَ

﴿٧٩﴾ فَلَمَّا أَسْتَنْشَوْا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ

عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَنْبَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي

أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَتَّخِذُ أَبَاكُمْ

سَرَقًا وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي

كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا

فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾
 ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ قال الكلبي: إن يوسف كان العزيز بعد العزيز سيده
 الذي ملكه.

﴿فَخُذْ أَحَدُنَا مَكَانَهُ﴾ قال السُّدي: يعني احبس أحدنا مكانه.
 ﴿فَلَمَّا اسْتِيسُوا مِنْهُ﴾ يسوا من أن يرد عليهم أخاهم ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ أي:
 جعلوا يتناجون ويتشاورون فيما بينهم في ذلك.
 قال محمد: نجى لفظ واحد في معنى جميع^(١)؛ المعنى: اعتزلوا
 متناجين.

﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ وهو روبيل؛ في تفسير قتادة. وقال السُّدي: يعني:
 كبيرهم في الرأي والعلم، ولم يكن أكبرهم في السن.
 ﴿فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ يعني: أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ في الرجوع
 إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بالموت.
 ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾.

قال قتادة: يقول: ما كنا نرى أن يسرق ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أي أهل القرية
 ﴿الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ يعني: أهل مصر ﴿وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي: أهل العير.
 ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ أي: زينت ﴿أَمْرًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ
 جَمِيعًا﴾ يعني: يوسف وأخاه وروبييل.

(١) النجى على فعيل، والجمع: الاتجية. قال الأخفش: وقد يكون النجى جماعة كالصديق.
 وقال الفراء: وقد يكون النجى والنجوى اسمًا ومصدرًا. لسان العرب، مختار الصحاح
 (نجى).

﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَأْسَفَى عَلَى يَوْسُفَ وَأَيُّضَتَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾

﴿٨٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ

﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي

أَذْهَبُوا فَتَحَسَّنُوا مِنْ يَوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ

إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿وتولى عنهم﴾ أعرض عنهم ﴿وقال يا أسفى على يوسف﴾ أي: يا حزناً

﴿وابيضت عيناه﴾ أي: عمي من الحزن، وقد علم بما أعلمه الله بالوحي أن

يوسف حي، وأنه نبي، ولكنه لم يعلم حيث هو ﴿وهو كظيم﴾ قال الكلبي:

أي: كמיד.

قال محمد: (كظيم) هو مثل كاظم، والكاظم: المُمْسِكُ على حزنه لا

يظهره ولا يشكوه^(١).

﴿قالوا تالله﴾ قَسَمَ ﴿تفتأ تذكر يوسف﴾ قال قتادة: يعني لا تزال تذكر

يوسف ﴿حتى تكون حرَضًا﴾ أي: تبلى ﴿أو تكون من الهالكين﴾ أي:

تموت.

قال محمد: يقال: أحرضه الحزن إذا أذَقَّه^(٢).

﴿قال إنما أشكو بثِّي﴾ همي ﴿وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا

(١) كظيم: فعيل بمعنى فاعل. لسان العرب (كظم).

(٢) أي: أفسده، ويقال: رجل حَرَضٌ. قال أبو عبيدة: هو الذي أذابه الحزن، وهو في معنى

(مُحَرَضٍ). والحَرَضُ واحد وجمعه سواء؛ يقال: رجل حَرَضٌ، ورجال حَرَضٌ لسان

العرب، مختار الصحاح (حرض).

تعملون ﴿ قال الحسن: يقول: أعلم أن يوسف حي ﴿ يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ﴿ قال السدي: يعني تبحثوا عن خبرهما ﴿ ولا تئسوا من روح الله ﴿ يعني: رحمة الله .

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلْنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَنْصُرْكَ يُونُسُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَأَلَّه لَقَدْ ءَاثَرَكِ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُون ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَأَلَّه إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾

﴿ فلما دخلوا عليه ﴾ يعني: رجعوا إلى مصر، فدخلوا على يوسف وهم لا يعرفونه ﴿ قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ﴾ يعني: الحاجة ﴿ وجئنا ببضاعة مزجاة ﴾ أي: قليلة ﴿ فأوف لنا الكيل ﴾ ببضاعتنا ﴿ وتصدق علينا ﴾ قال قتادة: يعني: تصدق علينا بأخيना .

قوله: ﴿ إذ أنتم جاهلون ﴾ أي: أن ذلك كان منكم بجهالة، ولم يكونوا حين ألقوه في الجب أنبياء ﴿ قالوا أنك لأنت يوسف ﴾ على الاستفهام ﴿ قال أنا يوسف ﴾ .

﴿ قال لا تثريب عليكم اليوم ﴾ قال محمد: لا تغيير، وأصل

التثريب: الإفساد^(١).

﴿فألقوه على وجه أبي يأت بصيرًا﴾ أي: يرجع.

قال: ولولا أن ذلك علمه من وحي الله، لم يكن له به علم.

﴿ولما فصلت العير﴾ أي: خرجت الرفقة من مصر بالقميص وجد يعقوب ريح يوسف، قال: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ قال قتادة: وجد ريحه حين خرجوا (١٥٨ل) بالقميص من مصر، وهو بأرض كنعان، وبينهما ثمانون فرسخًا ﴿لولا أن تفندون﴾ يقول: لولا أن تقولوا: قد هرم، واختلط عقله؛ فتسفهوني؛ أي: تجهلونني ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ يعنون: خسرانك من حب يوسف.

﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَتَّبِعُنَا أَنْتَ وَنُوحٌ وَإِنَّا نَكُفِّرُ بِنَاكَ ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَابِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوَفِّي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّلَاحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا

(١) لسان العرب (ثرب).

أَتَرْتُمْ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١١٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾
 ﴿قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ قال الحسن: يعني:
 من فرج الله ونعمته، وكان الله قد أخبره أنه حيٌّ.

﴿قال سوف أستغفر لكم ربي﴾ أخر ذلك إلى السحر.
 ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه﴾ قال الحسن: أبوه وأمه التي ولدته.
 قال محمد: تقول: آوَيْتُ فلانًا؛ إذا ضممتُ إليك، وأوَيْت - بلا مدٍّ - إلى
 فلانٍ إذا انضممت إليه^(١).

﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أي: على سريرته؛ في تفسير قتادة ﴿وخروا له
 سُجَّدًا﴾ قال قتادة: وكان السُّجُود تحيةً من كان قبلكم، فأعطى الله هذه الأمة
 السلام؛ وهو تحية أهل الجنة.

﴿وجاء بكم من البدو﴾ وكانوا بأرض كنعان.
 ﴿توفني مسلمًا وألحقني بالصالحين﴾ يعني: أهل الجنة، قال قتادة: لمَّا
 جمع الله شمله وأقرَّ عينه^(٢)، ذكر الآخرة فاشتاق إليها؛ فتمنَّى [الموت]^(٣)
 ولم يتمنه نبي قبله.

﴿ذلك من أنباء الغيب﴾ يعني: ما قصَّ على النبي من قصَّتهم من أوَّل
 السورة إلى هذا الموضع ﴿وما كنت لديهم﴾ عندهم ﴿إذ أجمعوا أمرهم وهم
 يمكرون﴾ ييوسف.

(١) يقال: آوى إيواءً، وآوى يَأْوِي أَوْيًا وإِوَاءً. وعن أبي زيد: آواه وأواه، فعل وأفعل بمعنى
 واحد. لسان العرب، مختار الصحاح (أوى).

(٢) في الأصل بعينه.

(٣) طمس بالأصل، والسياق يقتضيه.

﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٤) ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ (١٠٥) ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾ (١٠٦) ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١٠٧)

﴿وما تسألهم عليه من أجرٍ﴾ يعني: على القرآن من أجر، فيحملهم على تركه الغُرم ﴿إن هو إلا ذكرٌ للعالمين﴾ يذكرون به الجنة والنار.

﴿وكاين من آية﴾ أي: وكنم من علامة ودليل ﴿في السموات والأرض﴾ أي: في خلق السموات والأرض تدلهم على توحيد الله ﴿يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ أي: لا يتعظون بها.

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ تفسير قتادة: قال: إيمانهم أنك لا تسأل أحدا منهم إلا أنباك أن الله ربّه؛ وهو في ذلك مشرك في عبادته. ﴿أفأمنوا﴾ يعني: المشركين ﴿أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾ يقول هذا على الاستفهام؛ أي: بأنهم ليسوا بآمنين ﴿أو تأتيهم الساعة بغتة﴾ فجأة ﴿وهم لا يشعرون﴾ أي: غافلون؛ يعني: الذين تقوم عليهم الساعة بالعذاب.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (١٠٩) ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١١٠) ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي

فَصَصِّهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾
 ﴿قل هذه سبيلي﴾ أي: ملّتي ﴿أدعو إلى الله على بصيرة﴾ على يقين ﴿وسبحان الله﴾ أمره أن ينزه الله عما قال المشركون.

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى﴾ قال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل البادية، ولا من النساء، ولا من الجن. ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ يقول: قد ساروا في الأرض، فرأوا آثار الذين أهلكهم الله من الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم، كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار؛ يُحَذِّرُهُمْ أَنْ يَنْزَلَ بِهِمْ مَا نَزَلَ بِالْقُرُونِ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿ولدار الآخرة خيرٌ للذين اتقوا﴾ خير لهم.

﴿حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾ كان الحسن يقرؤها بالثقل (كُذِّبُوا)^(١) وتفسيرها: حتى إذا استيئس الرسل؛ أي: يش الرسل أن يُجيبهم قومهم لشيء قد علموه من قبل الله وظنوا؛ أي: علموا؛ يعني: الرسل أنهم قد كذبوا، التكذيب الذي لا يؤمن القوم بعده أبداً، استفتحوا على قومهم بالدعاء عليهم؛ فاستجاب لهم فأهلكهم.

وكان ابن عباس يقرؤها (كُذِّبُوا) خفيفة^(٢)، وتفسيرها: حتى إذا استيئس

(١) وهي قراءة ابن كثير، وابن عامر، ونافع، وأبي عمرو؛ من السبعة. ينظر السبعة (٣٥١)، النشر (٢٩٦/٢)، الحجة (١٩٩).

(٢) خفيفة بالبناء للمعلوم. وتروى أيضاً عن مجاهد، والضحاك، وحמיד وقرأ (كُذِّبُوا) خفيفة بالبناء للمجهول وهي قراءة الكوفيين من السبعة. ينظر: البحر (٣٥٥/٥)، المحتسب (١/٣٥٠) الدر المصون (٢١٨/٤ - ٢١٩).

الرسل من قومهم أن يؤمنوا، وظن قومهم أن الرسل قد كَذَّبوا ﴿جاءهم نصرنا﴾ عَذَابُنَا.

﴿فنجي من نشاء﴾ يعني: النبي والمؤمنين ﴿ولا يُرد بأسنا﴾ عذابنا ﴿عن القوم المجرمين﴾ المشركين.

﴿لقد كان في قصصهم﴾ يعني: يوسف وإخوته ﴿عبرة﴾ معتبر ﴿لأولي الألباب﴾ العقول وهم المؤمنون.

﴿ما كان حديثاً يفترى﴾ أي: يُخْتَلَق ويصنع؛ هذا جواب لقول المشركين: (ل١٥٩) ﴿إن هذا إلا إفك افتراه﴾ (١) أي: كذبٌ اختلقه محمد.

﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ من التوراة والإنجيل ﴿وتفصيل﴾ أي: تبين ﴿كل شيء﴾ من الحلال والحرام والأحكام.

قال محمد: من قرأ ﴿تصديق﴾ بالنصب، فعلى معنى ما كان حديثاً يفترى، ولكن كان تصديق الذي بين يديه (٢).

﴿وهدى ورحمة﴾ يعني: القرآن ﴿لقوم يؤمنون﴾ يصدقون.

(١) الفرقان: ٤.

(٢) وهي قراءة الجمهور، وروي عن حمزة والكسائي القراءة بإشمام الصاد زايًا، مع النصب أيضًا. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٦٨)، البحر (٣٥٦/٥).

وتأويل النصب ينظر من البحر المحيط (٣٥٦/٥)، الدر المصون (٢٢١/٤).

تفسير سورة الرعد

وهي مكية كلها إلا آية واحدة وهي ﴿ولا يزال الذين كفروا...﴾ إلى آخرها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّتِي تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾
 ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
 كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي
 مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ
 النَّهَارُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾

قوله: ﴿الَّتِي﴾ قد مضى القول في حروف المعجم فيما تقدم ﴿تلك﴾
 آيات ﴿هذه آيات﴾ الكتاب ﴿القرآن﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ تفسير الحسن: فيها تقديم:
 رفع السموات ترونها بغير عمد. وتفسير ابن عباس: لها عمد، ولكن لا
 ترونها ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾ يعني: القيامة.
 وقال بعضهم: يجري مجرى لا يعدوه.

وقال محمد: ومعنى ﴿سخر الشمس والقمر﴾ أي: ذللها وقصرهما على
 ما أراد.

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يقضي القضاء في خلقه ﴿يفصل الآيات﴾ يبينها ﴿لعلكم

بلقاء ربكم توقنون ﴿١﴾ يعني: البعث؛ إذا سمعتموها في القرآن.

﴿وهو الذي مدَّ الأرض﴾ أي: بسطها ﴿وجعل فيها رواسي﴾ يعني: الجبال ﴿وأنهارًا ومن كل الثمرات جعل فيها﴾ أي: خلق فيها ﴿زوجين اثنين﴾ أي: صنفين.

قال محمد: قيل: إنه يعني: نوعين: حلوا وحامضًا، والزوج عند أهل اللغة: الواحد الذي له قرين.

﴿يغشي الليل النهار﴾ أي: يلبس الليل النهار فيذهب ﴿إنَّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ وهم المؤمنون .

﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجَعَتْ مِنَ الْأَعْنَابِ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُكُمْ إِذْ دَا كُنَّا تَرْبًا أَوَّنَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿وفي الأرض قطع متجاورات﴾ تفسير مجاهد: هي الأرض العذبة الطيبة تكون مجاورة أرضًا سبخة مالحة ^(١) ﴿وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان﴾ الصنوان من النخيل: النخلتان أو الثلاث من النخلات يكون أصلها واحدًا ^(٢) ﴿تسقى بماء واحد﴾ يعني: ماء السماء؛ في تفسير

(١) الأفصح (ملحة) قال صاحب مختار الصحاح: ولا يقال: (مالح) إلا في لغة رديئة. مختار الصحاح، لسان العرب (ملح).

(٢) والواحدة: صنو، والاثنان: صنوان، والجمع: صنوان. لسان العرب (صنو).

مجاهد ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ قال مجاهد: يقول: بعضها أطيب من بعض.

قال محمد: الأكل: كل ما يؤكل، والأكل مصدر أكلت^(١).

﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾ فيعلمون أن الذي صنع هذا قادر على أن يحيي الموتى.

﴿وإن تعجب فعجب قولهم...﴾ الآية، تفسير الحسن: إن تعجب يا محمد من تكذيبهم إياك، فتكذيبهم بالبعث أعجب، وقولهم: ﴿أنذا كنا تراباً﴾ أننا لفي خلق جديد ﴿فقولهم ذلك عجب﴾.

﴿وَسْتَجْلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾

﴿ويستعجلونك بالسيئة﴾ بالعذاب؛ وذلك منهم تكذيب واستهزاء ﴿قبل الحسنة﴾ يعني: قبل العافية ﴿وقد خلت من قبلهم المثلثات﴾ يعني: وقائع الله في الأمم السالفة ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ إذا تابوا إليه ﴿وإن ربك لشديد العقاب﴾ لمن أقام على شركه.

﴿ويقول الذين كفروا لولا﴾ هلاً ﴿أنزل عليه آية من ربه﴾ قال الله: ﴿إنما أنت منذر﴾ ولست من أن تأتيهم بآية في شيء ﴿ولكل قوم هاد﴾ أي: داع يدعوهم إلى الله؛ في تفسير قتادة.

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ

(١) والمصدر أيضاً: مأكلاً. لسان العرب (أكل).

بِمَقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ
وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَمْ تُعْقِبَتْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ
اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ من ذكر أو أنثى ﴿وما تغيض الأرحام وما
تزداد﴾ تفسير الحسن: قال: الغيضة أن تلد لأقل من تسعة أشهر ﴿وما
تزداد﴾ يعني: أن تلد لأكثر من تسعة أشهر، الغيضة: النقصان^(١).

﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ أي: بقدر ﴿عالم الغيب﴾ السر ﴿والشهادة﴾
العلانية ﴿الكبير﴾ يعني: العظيم ﴿المتعال﴾ عما قال المشركون ﴿سواء منكم
من أسر القول ومن جهر به﴾ يقول: ذلك عند الله سواء سره وعلانيته ﴿ومن
هو مستخف بالليل﴾ أي: يظله الليل ﴿وسارب بالنهار﴾ أي: ظاهر، يقول:
ذلك (ل ١٦٠) كله عند الله سواء.

قال محمد: قيل: ﴿سارب﴾ معناه: ظاهر^(٢). وأنشد بعضهم لشاعرٍ
يخاطب امرأة:

أَنْتِ سَرِيَّةٌ وَكُنْتِ غَيْرَ سَرُوبٍ وَتَقَرَّبُ الْأَخْلَامَ غَيْرَ قَرِيبٍ^(٣)

يقول: لم تكوني ممن يبرز ويظهر للناس، فكيف تخطيت البعد إلينا في

(١) لسان العرب (غيض).

(٢) يقال: سَرَبَ يَسْرُبُ سُرُوبًا: ظهر. لسان العرب (سرب).

(٣) البيت من بحر الكامل؛ وهو لقيس بن الخطيم. ينظر: تفسير القرطبي (٩/٢٩٠)، اللسان
(سرب).

سُراكَ؟! وقيل: معنى ﴿سارب﴾: ذاهب في حوائجه^(١)؛ ومن هذا قول القائل:
أَرَى كُلَّ قَوْمٍ قَارِبُوا قَيْدَ فَخْلِهِمْ وَنَحْنُ خَلَعْنَا قَيْدَهُ فَهُوَ سَارِبٌ^(٢)
أي: ذاهب .

﴿له معقبات﴾ لهذا المستخفي وهذا السارب معقبات: ملائكة ﴿من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ أي: بأمر الله، قال الحسن: هم أربعة أملاك: ملكان بالليل، وملكان بالنهار .

قال محمد: معنى ﴿معقبات﴾: أن يأتي بعضهم بِعَقِبِ بعض، وشُدَّتْ لتكثير الفعل^(٣).

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ المعنى: أن الله إذا بعث إلى قوم رسولاً فكذبوه، أهلكهم الله ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ يعني: عذاباً ﴿فلا مردَّ له وما لهم من دونه من والٍ﴾ يمنعهم من عذاب الله .
قال محمد: ﴿والٍ﴾ أي: ولي يتولاهم دون الله .

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۖ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَيِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ۖ﴾
﴿يريكُم البرق خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال قتادة: خوفًا للمسافر يخاف أذاه

(١) ويقال: ذاهب على وجهه في الأرض. مختار الصحاح (سرب).

(٢) البيت للأخضر بن شهاب التلبي ينظر: المفضليات (٢٠٨)، شرح ديوان الحماسة (٢/ ٧٢٨)، اللسان (سرب).

(٣) قال صاحب مختار الصحاح: هم ملائكة الليل والنهار؛ لأنهم يتعاقبون. وإنما أنث لكثرة ذلك منهم؛ كعلامة ونسابة. مختار الصحاح (عقب).

ومعرّته^(١)، وطمعًا للمقيم يرجو بركته ويطمع في رزق الله . والبرق ضوء خلقه الله علماً للمطر؛ في تفسير الحسن ﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ قال مجاهد: هي التي فيها الماء ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾ أي: والملائكة يسبحون أيضاً بحمده من خيفته.

قال الكلبي: هو ملك اسمه: الرعد، والصوت الذي يُسمعُ تنسيخه؛ يؤلف به السحاب بغضه إلى بعض، ثم يسوقه حيث أمر.

قال يحيى: وسمعت بعضهم يقول: البرق لمحة يلمحها إلى الأرض الملك الذي يزجر السحاب.

﴿ويرسل الصواعق﴾ وهي نارٌ تقع من السحاب؛ في تفسير السدي.

قال يحيى: وقال بعضهم: إن الملك يزجر السحاب بسوطٍ من نار، فربّما انقطع السوط؛ فهو الصاعقة.

﴿فيصيب بها من يشاء﴾ قال عبد الله بن أبي زكريا: بلغني أنه من سمع الرعد؛ فقال: سبحان ربي ويحمده، لم تصب صاعقة.

﴿وهم يجادلون في الله﴾ يعني: المشركين يجادلون نبي الله؛ أي: يخاضمونهم في عبادتهم الأوثان دون الله ﴿وهو شديد المحال﴾ قال مجاهد: يعني: القوة.

قال محمد: يقال: ماحلته مَحَالًا إذا قَاوَيْتُهُ؛ حتى يتبين لك أيكما أشد^(٢).

(١) المعرّة: المساء والمكره. لسان العرب (عرر).

(٢) ويقال: ماحلته مَحَالًا ومُحَالَةً. لسان العرب (محل).

وقد قيل: المحال^(١): الحيلة؛ ومن هذا قول ذي الرُّمَّة^(٢):

ولبس بنين أقوام وكلُّ
يعني: الكيد والمكر.

﴿لَمْ دَعُوهُ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَلْبِغُهُ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلُّهُمْ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَةُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾

﴿له دعوة الحق﴾ هي لا إله إلا الله ﴿والذين يدعون من دونه﴾ يعني: الأوثان ﴿لا يستجيبون لهم بشيءٍ إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾ هذا مثل الذي يعبد الأوثان رجاء الخير في عبادتها هو كالذي يرفع يده الإناء إلى فيه يرجو به الحياة، فمات قبل أن يصل إلى فيه؛ فكذلك المشركون حيث رجوا منفعة آلهتهم ضلَّت عنهم ﴿وما دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ آلهتهم ﴿إلا في ضلال﴾.

(١) بفتح الميم أي ميم (المَحَال)، والمراد: الحذق وجودة النظر، والقدرة على التصرف في الأمور وفتح ميم (المَحَال) إحدى القراءات. ينظر: لسان العرب (حول).

(٢) وهو غيلان بن عقبة العدوي (ت ١٢٤هـ) تنظر ترجمته ومصادرهما في الأعلام (١٢٤/٥).

(٣) ويروى: فكل..... إلخ. والبيت من بحر الوافر. ينظر ديوان ذي الرمة

(٤٤٥). وفي اللسان والصحاح (شغزب): (أقوامي) بدل (أقوام). وينظر: الجمهرة (٣/

٣١٠) وتاج العروس (شغزب) (١٥١/٣).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ الآية، تفسير الحسن: قال: ولله يسجد من في السموات، ثم انقطع الكلام، فقال: والأرض - أي: ومن في الأرض ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ أي: طائعا وكرها، قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «والله، لا يجعل الله من دخل في الإسلام طوعا كمن دخله كرها».

قال الحسن: وليس يدخل في الكره من ولد في الإسلام (١).

﴿وِظْلَالِهِمْ بِالْغَدُوِّ وَالْأَصَالِ﴾ الآصال: العشئ، تفسير السدي: إذا سجد (...)(٢) الأشياء سجد ظلّه معه.

﴿قُلْ (ل ١٦١) مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ فإذا أقروا بذلك فقل: ﴿أَفَتُخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: أوثانهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ وهذا استفهام على معرفة؛ أي: قد فعلتم.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ وهذا مثل الكافر والمؤمن؛ الكافر أعمى عن الهدى، والمؤمن أبصر الإيمان ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ على الاستفهام؛ أي: أن ذلك لا يستوي.

﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ تفسير الحسن: يقول: هل يدعون أن تلك الأوثان خلقت مع الله شيئا؛ فلم يدروا أي الخالقين يعبدون؛ هل رأوا ذلك؟ وهل يستطيعون أن يحتجوا به على الله يوم القيامة؟ أي: أنهم لا يدعون ذلك، وأنهم يقرون أن الله خلق كل شيء، فكيف عبدوا هذه الأوثان من دون الله؟! ثم قال الله: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

(١) لم أقف عليه الآن بهذا اللفظ.

(٢) طمس في الأصل.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُۥ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلِيٍّ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۝٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَهُمُ جَهَنَّمُ وَنُفْسٌ لِّلْمُتَّادِ ۝٨﴾

﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ الكبير بقدره، والصغير بقدره ﴿فاحتمل السيل زبداً رابياً﴾ يعني: عالياً فوق الماء، إلى قوله: ﴿كذلك يضرب الله الأمثال﴾ هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والكافر، فأما قوله: ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية﴾ فإنه يعني: الذهب والفضة؛ إذا أذنيا فعلاً خبثهما؛ وهو الزبد، وخلص خالصهما تحت ذلك الزبد ﴿أو متاع﴾ أي: وابتغاء متاع ما يستمتع به ﴿زبد مثله﴾ أي: مثل زبد الماء، والذي يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والنحاس والرصاص إذا صُفِّي ذلك أيضاً؛ فخلص خالصه، وعلا خبثه؛ وهو زبده ﴿فأما الزبد﴾ زبد الماء، وزبد الحلي، وزبد الحديد والنحاس والرصاص ﴿فيذهب جفاء﴾ يعني: لا يُنتفع به؛ فهذا مثل عمل الكافر؛ لا ينتفع به في الآخرة ﴿وأما ما ينفع الناس في الأرض﴾ فينتفع بالماء ينبت عليه الزرع والمرعى، وينتفع بذلك الحلي والمتاع؛ فهذا مثل عمل المؤمن يبقى ثوابه في الآخرة.

قال محمد: ﴿الجفاء﴾ في اللغة: هو ما رمى به الوادي إلى جنباته؛ يقال: جفاً الوادي غثاءً، وجفأت الرجل إذا صرعته ^(١)، وموضع ﴿جفاء﴾ نصب

(١) يقال: جفاً يَجْفَأُ جَفَاءً. لسان العرب (جفا).

على الحال (١)، ومعنى ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ يَصِفُهَا وَيُبَيِّنُهَا.

قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ آمنوا ﴿الْحَسَنَى﴾ قال قتادة: يعني: الجنة ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ﴾ يعني: الكفار ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ شدته ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ منزلهم جهنم ﴿وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ القرار.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (١٩) ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ (٢٠) ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾ (٢١) ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٢) ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ (٢٣) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (٢٤)

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ عنه؛ أي: أنهما لا يستويان؛ يعني: المؤمن والكافر ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ العقول؛ وهم المؤمنون ﴿الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ الذي أخذ عليهم في صلب آدم؛ حيث قال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ (٢)؛ يقول: أوفوا بذلك الميثاق ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ تفسير ابن عباس: الذي أمر الله به أن يوصل: الإيمان بالنبیین کلهم لا نفرق بین أحد منهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ يعني: الصلوات الخمس على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ يعني: الزكاة المفروضة؛ في تفسير الحسن ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يُسْتَحَبُّ

(١) البحر المحيط (٥/٣٨٠).

(٢) الأعراف: ١٧٢.

أن تعطى الزكاة علانية، والتطوع سرًا ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ يقول: يدفعون بالعفو والصفح القول القبيح والأذى ﴿أولئك لهم عقبى الدار﴾ يعني: دار الآخرة، والعقبى: الثواب؛ وهو الجنة ﴿جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم﴾ أي: من آمن ﴿سلام عليكم﴾ وهذه تحية أهل الجنة.

قال محمد: المعنى: يقولون: سلام عليكم؛ فأضمر القول؛ إذ في الكلام ما يدل عليه.

﴿بما صبرتم﴾ في الدنيا .

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ الْعَذَابُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۝٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۖ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ۝٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ سَمَاءَ الْوَعْدِ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ۝٢٧﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨﴾

﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء﴾ أي: يوسع عليه ﴿ويقدر﴾ أي: يضيق ﴿وفرحوا﴾ أي: رضوا ﴿بالحياة الدنيا﴾ (ل ١٦٢) يعني: المشركين ﴿وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع﴾ قال مجاهد: أي: يستمتع به، ثم يذهب ويقول الكافرون: ﴿لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ أي: هلاً ﴿ويهدي إليه من أناب﴾ من تاب وأخلص ﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ أي: تسكن ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾.

قال محمد: (ألا) حرف تنبيه وابتداء^(١)، والقلوب ها هنا قلوب المؤمنين؛

(١) ينظر- بتوسع- في دلالة (ألا) المخففة على التنبيه، مغني اللبيب (١/ ٨٠-٨١).

المعنى: إذا ذكر الله بوحديته، آمنوا به غير شاكين .

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَى ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِنِيسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾

﴿طوبى لهم﴾ قال عبد الله بن عبيد بن عمير: طوبى شجرة في الجنة، أصلها في دار محمد ﷺ، وليس في الجنة دار ولا غرفة إلا وغصن منها في تلك الدار ﴿وحسن ما أتى﴾ مرجع، يعني: الجنة .

﴿كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمة﴾ أي: كما أرسلنا في الأمم التي قد خلت من قبل هذه الأمة ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ كانوا يقولون: أما الله فنعرفه، وأما الرحمن فلا نعرفه ﴿قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾ يعني: التوبة .

﴿ولو أن قرآنًا سُيِّرَتْ به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى﴾ تفسير قتادة: ذكر لنا أن قريشًا قالت لنبي الله ﷺ: إن سرك أن نتبعك فسير لنا جبال تهامة، وزد لنا في حرمتنا؛ حتى نتخذ قطائع نحترف فيها، أو أخب لنا فلانًا وفلانًا وفلانًا - لأناس ماتوا في الجاهلية؛ فأنزل الله هذه الآية، يقول: لو فعل هذا بقرآن غير قرآنكم فعل بقرآنكم .

قال محمد: اختصر جواب (لو)؛ إذ كان في الكلام ما يدل عليه^(١).
﴿أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً﴾ أي: ألم يعرف؟

قال محمد: قيل: إنها لغة للنخع (ييأس) بمعنى: يعرف^(٢) قال الشاعر:
أقول لهم بالشعب إذ يأسروني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدهم^(٣)
أي: ألم تعلموا.

﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة﴾ هي السرايا سرايا رسول الله ﷺ يصيبهم الله منها بعذاب ﴿أو تحل﴾ أنت يا محمد ﴿قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله﴾ يعني: فتح مكة؛ في تفسير مجاهد وقتادة.

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَأَ رِئُوسٌ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾
﴿٣٢﴾ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَبْظَاهِرُ مِنْ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾

﴿فأملت﴾ أطلت ﴿للذين كفروا﴾ أي: لم أعذبهم عند استهزائهم

-
- (١) الدر المصون (٢/٢٤٢-٢٤٣) وفيه استطراد واسع.
(٢) وقال القاسم بن مَن - وهو من ثقات الكوفيين -: هي لغة هوازن. وقال ابن الكلبي: هي لغة حي من النخع. ينظر الدر المصون (٤/٢٤٣).
(٣) ويروى: أقول لهم بالشعب إذ يسرنني: إلخ. وهو من البحر الطويل، وقائله: سحيم بن وثيل الرياحي، ونُسب لابنه جابر بن سحيم. ينظر: لسان العرب (يسر)، البحر (٥/٣٩٢)، والمحتسب (١/٣٥٧).

بأنبيائهم، ولكن أخرتهم حتى بلغ الوقت. ﴿ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾
 أي: كان شديداً ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ تفسير قتادة:
 ذلكم الله.

قال محمد: المعنى: الله هو القائم على كل نفس بما كسبت؛ يأخذها بما
 جنت، ويثيبها بما أحسنت؛ على ما سبق في علمه.

﴿وجعلوا لله شركاء﴾ يقول: هل يستوي الذي هو قائم على كل نفس
 وهذه الأوثان التي يعبدونها؟! ﴿قل سموهم﴾ وقال في آية أخرى: ﴿إن هي
 ألا أسماء سميتوها﴾^(١) ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾ أي: قد فعلتم،
 ولا يعلم أن فيها إلهاً معه، ويعلم أنه ليس معه إله في الأرض ولا في السماء.
 ﴿أم بظاهر من القول﴾ يعني: أم بظن من القول؛ في تفسير مجاهد ﴿بل
 زين للذين كفروا مكرهم﴾ قولهم ﴿وصدوا عن السبيل﴾ عن سبيل الهدى.
 ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا﴾ يعني: مشركي العرب بالسيف يوم بدر،
 ولاحر كفار هذه الأمة بالنفخة الأولى ﴿ولعذاب الآخرة﴾ النار ﴿أشق﴾ من
 عذاب الدنيا.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا نَارٌ
 عُقبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾^(٢٥) وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا
 أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَهُهُ
 أَدْعُوا وَإِلَٰهَهُ مَثَابِ^(٢٦) وَكَذَلِكَ أُنزِلَتْهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ

مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾

﴿مثل الجنة﴾ أي: صفتها ﴿التي وعد المتقون أكلها﴾ ثمها ﴿دائم﴾ أي: لا ينفد ﴿وظلها﴾ .

قال محمد: (مثل الجنة) مرفوع بالابتداء (١) .

﴿تلك عقبى الذين اتقوا﴾ يعني: الجنة ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ .

﴿والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك﴾ تفسير قتادة: هم أصحاب النبي ﷺ ﴿ومن الأحزاب من ينكر بعضه﴾ الأحزاب ها هنا: اليهود والنصارى؛ ينكرون (ل ١٦٣) بعض القرآن، ويقرون ببعضه بما وافقهم .

﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾ يعني: القرآن .

﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ يعني: المشركين حتى لا تبلغ عن الله الرسالة .

﴿ما لك من الله من ولي ولا واق﴾ يغنيك من عذابه؛ إن فعلت، ولست بفاعل .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ ۖ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ

﴿٣٩﴾ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ

وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ نزلت حين قالت اليهود: لو كان محمدٌ رسولاً، لكان له همٌ غير النساء والتماس الولد ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ تفسير بعضهم: يُكْتَب كل ما يقول؛ فإذا كان كل يوم اثنين وخميس، مُحي عنه ما لم يكن خيراً أو شراً، وأُثِبَت ما سوى ذلك ﴿وعنده أم الكتاب﴾ يعني: اللوح المحفوظ، وتفسير أم الكتاب جملة الكتاب وأصله .
﴿ولما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك﴾ تفسير الحسن: أن الله أخبر محمداً أن له في أمته نعمة، ولم يخبره، أفي حياته تكون أم بعد موته؟ وفيها إضمار ﴿فإننا منهم منتقمون﴾.

﴿فإنما عليك البلاغ﴾ أن تبلغهم، ولست تستطيع أن تكرهمهم على الإيمان، إنما يؤمن من شاء الله أن يؤمن ﴿وعلينا الحساب﴾ يوم القيامة، ثم أمره بقتالهم .

﴿أو لم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها﴾ تفسير الحسن: أفلا يرون أن رسول الله ﷺ كلما بعث إلى أرض ظهر عليها وغلب أهلها؛ يقول: ننقصها بذلك أرضاً فأرضاً.

قال محمدٌ: المعنى: كأنه ينقص المشركين مما في أيديهم .

﴿والله يحكم لا معقب لحكمه﴾ أي: لإرادته .

قال محمدٌ: أصل التعقيب في اللغة: الكرُّ والرجوع ^(١)، فكأنه قال:

(١) لسان العرب (عقب).

لا راجع يرد حكمه.

﴿وهو سريع الحساب﴾ يعني: العذاب؛ إذا أراد أن يعذب قومًا من الذين كذبوا رسلهم كان عذابه إياهم أسرع من الطرف؛ يخوف بهذا المشركين. ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني: من قبل مشركي هذه الأمة ﴿فلله المكر جميعاً﴾ فمكر بهم، أهلكهم أحسن ما كانوا في دنياهم فعلاً ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ أي: تعمل ﴿وسيعلم (الكفار)﴾^(١) لمن عقبى الدار ﴿لمن الجنة﴾ ويقول الذين كفروا لست مرسلًا

قل يا محمد: ﴿كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ قال عبد الله بن سلام: في نزلت: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾. قال محمد: ﴿قل كفى بالله شهيداً﴾ المعنى: كفى الله شهيداً، و(شهيداً) منصوبٌ على التمييز^(٢).



(١) في الأصل: الكافر.

(٢) ينظر: البحر المحيط (٥/٤٠٠-٤٠١).

تفسير سورة إبراهيم

وهي مكية كلها إلا آيتين: قوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً...﴾ إلى قوله: ﴿القرار﴾^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ كِتَبٌ أُنزِلَتْهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَبَغَوْهَا عَوْجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿الر كتاب أنزلناه إليك﴾ أي: هذا كتاب أنزلناه إليك؛ يعني: القرآن ﴿لنخرج الناس﴾ من أراد الله أن يهديه ﴿من الظلمات إلى النور﴾ يعني: من الضلالة إلى الهدى ﴿بإذن ربهم﴾ بأمر ربهم ﴿إلى صراط﴾ إلى طريق ﴿العزیز﴾ في ملكه ونقمته ﴿الحمید﴾ استحمد إلى خلقه، واستوجب عليهم أن يحمده .

﴿الذين يستحبون﴾ يختارون ﴿الحياة الدنيا على الآخرة﴾ لا يقرون بالآخرة ﴿ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا﴾ يتغنون السبيل عوجًا؛ يعني: الشرك.

قال محمد: (السبيل) يذكر ويؤنث^(٢)، وكذلك (الطريق) فأما الزقاق

(١) الآيتان: (٢٨، ٢٩).

(٢) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (سبل).

فمذكّر. ونصب (عوجًا) على الحال^(١).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ. لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ❶ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ❷ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ ❸

﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه﴾ قال قتادة: يعني: بلغة قومه ﴿ليبين لهم فضل الله من يشاء ويهدي من يشاء﴾ بعد البيان .
﴿وذكرهم بأيام الله﴾ تفسير الكلبي: يذكرهم بنعم الله عليهم، ويذكرهم (ل ١٦٤) كيف أهلك قوم نوح وعادًا وثمود وغيرهم، يقول: ذكرهم هذا وهذا ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ وهو المؤمن .

﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رَجُبُكُمْ لَيْنِ شَكْرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ ❹ ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ حَمِيدٌ﴾ ❺ ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ ❻

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى: البحر (٥/٤٠٤)، الكشف (٢/٣٦٦).

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي: أعلمكم ﴿لئن شكرتم﴾ أمتم ﴿لأزيدنكم﴾ في النعم ﴿ولئن كفرتم﴾ إن عذابي لشديد ﴿في الآخرة﴾ .
 ﴿ألم يأتكم نبا الذين من قبلكم﴾ أي: خبرهم .
 ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ أي: لا يعلم كيف أهلكهم الله إلا الله .
 ﴿فردوا أيديهم في أفواههم﴾ أي: عضوا على أناملهم غيظا على الأنبياء؛ كقوله: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾^(١) .

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِ اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾^(١٠) قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١١) لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(١٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾^(١٣) وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبَدِ﴾^(١٤)

﴿قالت رسلهم﴾ أي: قالت لهم رسلهم: ﴿أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ خالقهما؛ أي: أنه ليس فيه شك، وأنتم تقرون أنه خالق السموات والأرض، فكيف تعبدون غيره؟! ﴿يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي:

ليغفر لكم ذنوبكم؛ إن آمتم ﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ يعني: إلى آجالهم بغير عذاب؛ فلا يكون موتهم بالعذاب.

﴿قالوا إن أنتم إلا بشرٌ مثلنا﴾ أي: لا يوحى إليكم.

﴿فأتونا بسلطان مبين﴾ بحجة بيّنة ﴿ولكن الله يمن على من يشاء من عباده﴾ بالنبوة؛ فيوحى إليه ﴿وقد هدانا سبلنا﴾ يعنون: سبل الهدى ﴿ولنضربن على ما آذيتمونا﴾ يعنون: قولهم للأنبياء: إنكم سحرة، وإنكم كاذبون.

﴿فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين﴾ وهذا حيث أذن الله للرسل فدعوا عليهم؛ فاستجاب لهم ﴿ولنسكتنكم الأرض من بعدهم﴾ أي: من بعد إهلاكهم ﴿ذلك لمن خاف مقامي﴾ يعني: المقام بين يدي الله للحساب.

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمِيتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿واستفتحوا﴾ يعني: الرسل؛ أي: دعوا على قومهم، حين استيقنوا أنهم لا يؤمنون.

قال محمد: معنى (استفتحوا): سألوا الله أن يفتح لهم؛ أي: ينصرهم، وكل نصر هو فتح؛ وهو معنى قول يحيى.

﴿وخاب﴾ أي: خسر ﴿كلُّ جبارٍ عنيدٍ﴾ الجبار: المتكبر، والعنيد: المجانب للقصد.

﴿من ورائه جهنم﴾ أي: من بعد هذا العذاب الذي كان في الدنيا ﴿جهنم﴾ أي: عذاب جهنم. وقد قيل: (من ورائه) أي: من أمامه.

﴿ويسقى من ماء صديدٍ﴾ الصديد: ما يسيل من جلود أهل النار من القئح والدَّم ﴿يتجرّعه ولا يكاد يسيغه﴾ من كراهيته له، وهو يسيغه لأبَدٍ له منه، فتقطع أمعاؤه.

قال محمد: معنى (يسيغه): يتلعه.

﴿ويأتيه الموت من كل مكانٍ﴾ وهي النار، ولكن الله قضى عليهم ألا يموتوا؛ هذا تفسير الحسن.

﴿ومن ورائه عذابٌ غليظٌ﴾ كقوله: ﴿فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾^(١).

﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرمادٍ اشتدت به الرياح﴾^(٢) في يوم عاصفٍ يعني: مما عملوا من حسن على سيئ في الآخرة، قد جوزوا به في الدنيا ﴿ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي: يصير الأمر إلى البعث والحساب والجنة والنار ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يستأصلكم بالعذاب ﴿ويأت بخلق جديد﴾ أي: آخرين ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ أي: لا يشق عليه.

﴿وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَشْرَ

(١) النبأ: ٣٠.

(٢) هكذا في الأصل: ﴿الرياح﴾؛ وهي قراءة نافع، وقرأ الباقون ﴿الريح﴾. ينظر: النشر (٢)

(٢٢٣)، التيسير (١٧٨).

مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءً عَلَيْنَا أَجْرُ عَنَّا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحَيِّيهِمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾

﴿ويرزوا لله جميعاً﴾ يعني: يوم القيامة ﴿فقال الضعفاء﴾ وهم الاتباع ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الرؤساء: ﴿إنا كنا لكم تبعاً﴾ لدعائكم إيانا إلى الشرك.

قال محمد: (تَبَعًا) جمعُ تابع^(١)، وجائز أن يكون مصدرًا سُمِّيَ به؛ أي: كنا ذوي تبع^(٢).

﴿سواءً علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص﴾ أي: مهرب، ولا معزل عن العذاب.

﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر﴾ أي: فصل بين العباد؛ فاستبان أهل الجنة من أهل النار ﴿إن الله وعدكم وعد الحق﴾ أي: وعدهم الجنة على التمسك بدينه ﴿ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان﴾ أستره بكم به ﴿إلا أن دعوتكم﴾ بالسوسة ﴿فاستجبتم لي﴾.

﴿ما أنا بمصرخكم﴾ بمغيثكم من عذاب الله (ل ١٦٥) ﴿وما أنتم بمصرخي﴾

(١) ويجمع (تابع) أيضًا على: تَبِعَ وَتَبَاعَ وَتَبَعَةٌ. لسان العرب (تابع).

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ١٨٢)، البحر (٥/ ٤١٦).

إني كفرت بما أشركتمون من قبل ﴿١﴾ أي: في الدنيا - يكفر بأن يكون شريكاً.
يحيى: عن ابن لهيعة، عن عبد الرحمن بن زياد، عن دُخَيْنِ الحجري،
عن عتبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين
والآخرين، وفرغ من القضاء بينهم قال المؤمنون: قد قضى بيننا ربنا؟ فمن
يشفع لنا إلى ربنا؟ قالوا: انطلقوا بنا إلى آدم؛ فإنه أبونا وخلق الله بيده
وكلمه، فيأتونه فيكلمونه أن يشفع لهم، فيقول آدم: عليكم بنوح؛ فيأتون
نوحاً فيدلهم على إبراهيم، ثم يأتون إبراهيم فيدلهم على موسى، ثم يأتون
موسى فيدلهم على عيسى، ثم يأتون عيسى فيقول: أدلكم على النبي الأمي؛
فيأتونني فيأذن الله لي أن أقوم إليه؛ فيفور من مجلسي أطيّب ريح شممها أحدٌ
حتى آتي ربي؛ فيشفّعي ويجعل لي نوراً من شعر رأسي إلى ظفر قدمي، ثم
يقول الكافرون: (هذا) ^(١) وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا؟! ما هو
إلا إبليس هو الذي أضلنا فيأتونه؛ فيقولون: قد وجد المؤمنون من يشفع
لهم؛ فقم فاشفع أنت لنا فإنك أنت أضللتنا! فيقوم فيفور من مجلسه أنتن ريح
شممها أحدٌ، ثم (يعظم لجهنم) ^(٢)، ثم يقول عند ذلك: ﴿إن الله وعدكم وعد
الحق ووعدتكم فأخلفتكم...﴾ الآية ^(٣).

(١) هكذا بالأصل، ولعلها محرفة عن (قد) والله أعلم.

(٢) هكذا بالأصل.

(٣) رواه نعيم بن حماد في زيادات الزهد (١١١ رقم ٣٧٤) والطبري في تفسيره (٢٠١/١٣) وابن
أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٤٠-٢٢٤١ رقم ١٢٢٤٥) والدارمي (٢/٤٢١-٤٢٢ رقم
٢٨٠٤) والطبراني في الكبير (١٧/٣٢٠-٣٢١ رقم ٨٨٧) والبغوي في تفسيره (٤/٣٤٥-
٣٤٦) من طريق عبد الرحمن بن زياد به.

قال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٧٦): رواه الطبراني، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم،
وهو ضعيف.

وزاد السيوطي في الدر المنثور (٤/٨٤) عزوه لابن مردويه وابن عساكر، وقال: بسند ضعيف.

﴿تحييتهم فيها سلام﴾ يقول: يسلم أهل الجنة بعضهم على بعض، وتحييهم الملائكة أيضًا عن الله بالسلام؛ حين تأتيهم من عند الله بالكرامة والهدية.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة﴾ هي لا إله إلا الله ﴿كشجرة طيبة﴾ وهي النخلة؛ وهي مثل المؤمن ﴿أصلها ثابت﴾ في الأرض ﴿وفرعها في السماء﴾ أي: رأسها الذي تكون فيه الثمرة ﴿تؤتي أكلها﴾ ثمرتها ﴿كل حين بإذن ربها﴾ أي: بأمره. تفسير الحسن: يقول: إن المؤمن لا يزال منه كلام طيب وعمل صالح؛ كما تؤتي هذه الشجرة أكلها في كل حين.

قال يحيى: (والحين) في تفسير بعضهم: السنة، وهي تؤكل شتاءً وصيفاً. قال محمد: (الحين) في اللغة: اسمٌ وقتٍ من أوقات الزمان يُستعملُ فيما طال وقصر (١).

﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ الشرك ﴿كشجرة خبيثة﴾ يعني: الحنظلة ﴿اجتثت من فوق الأرض﴾ أي: قطعت من أعلى الأرض ﴿ما لها من قرار﴾ أي: ليس لأصلها ثبات في الأرض؛ فذلك مثل عمل الكافر، ليس لعمله الحسن أصل

(١). ويجمع على أحيان وأحيان. لسان العرب (حين).

ثابت يُجزى به في الآخرة.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ تفسير ابن عباس: قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَرَجَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَأَجْلَسَهُ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: اللَّهُ، ثُمَّ يَقُولُ: فَمَا دِينُكَ؟ فيقول: الإسلام، ثُمَّ يَقُولُ: فَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فيقول: مُحَمَّدٌ، فيقال له: صَدَقْتَ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى النَّارِ، فيقال له: انْظُرْ هَذِهِ النَّارَ الَّتِي لَوْ أَنَّكَ كُنْتَ كَذَّابًا صِرْتَ إِلَيْهَا؛ قَدْ أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْهَا، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى الْجَنَّةِ فيقال له: انْظُرْ هَذِهِ الْجَنَّةَ، وَيُغَرِّضُ عَلَيْهِ مَنَزِلَهُ فِيهَا ثُمَّ يُوسِّعُ لَهُ قَبْرَهُ، فَلَا يَزَالُ يَأْتِيهِ مِنْ رِيحِ الْجَنَّةِ وَبَرْدِهَا حَتَّى تَأْتِيَهُ السَّاعَةُ. وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَرَجَعَ عَنْ أَصْحَابِهِ أَتَاهُ مَلَكٌ فَأَجْلَسَهُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فيقول: لَا أَدْرِي. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فيقول: لَا أَدْرِي! ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ نَبِيُّكَ؟ فيقول له: لَا أَدْرِي. فيقول له: لَا دَرِيَّتَ. ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ يَقَالُ لَهُ: هَذِهِ الْجَنَّةُ الَّتِي لَوْ كُنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ صِرْتَ إِلَيْهَا، لَنْ تَرَاهَا أَبَدًا. ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابَ إِلَى النَّارِ، فيقال له: هَذِهِ النَّارُ الَّتِي أَنْتَ صَائِرٌ إِلَيْهَا، ثُمَّ يَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرَهُ، ثُمَّ يَضْرِبُ ضَرْبَةً لَوْ أَصَابَتْ جَبَلًا (ل) (١٦٦) (...) (١) فيصيح عند ذلك صيحةً يسمعها كل شيءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ. قال: فهو قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ الآية.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَفَرُوا بِهَا أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ ۖ يُصَلُّونَهَا وَيُؤْتُونَ الْقَرَارَ ۚ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَدَادًا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ

مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ﴿٣١﴾

﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها﴾ هم المشركون من أهل بدر، جعلوا مكان نِعَمِ الله عليهم الكفر، وأخرجوا قومهم إلى قتال النبي بيدر؛ فقتلهم الله فحلوا في النار. والبوار: الفساد؛ أي: أن النار تفسد أجسادهم.

قال محمد: نصب (جهنم) بدلاً من قوله: (دار البوار)^(١)، والبوار أصله: الهلاك^(٢).

﴿وجعلوا لله أنداداً﴾ يعني: آلهتهم التي عدلوا بالله؛ فجعلوها آلهة ليضلوا عن سبيله ﴿أي: عن سبيل الهدى﴾.

﴿قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس؛ يحافظون عليها ﴿وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية﴾ يعني: الزكاة الواجبة. ﴿من قبل أن يأتي يومٌ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿لا بيع فيه﴾ أي: لا يتبايعون فيه ﴿ولا خلال﴾ أي: تنقطع فيه كل خلة إلا خلة المؤمنين.

قال محمد: الخلال مصدر؛ يقال: خاللت فلاناً؛ أي: صادفته خلالاً ومُخَالَةً، والاسم: الخُلة^(٣).

(١) وفيه أقوال نحوية أخرى لتوجيه نصبه. ينظر: البحر (٥/٤٢٤)، مجمع البيان (٣/٣١٣).

(٢) يقال: بار الشيء يَبُورُ بَوَازًا وَبَوْرًا؛ أي: هلك. لسان العرب (بور).

(٣) ويقال: (خاله) بالإدغام و(خاله) بفك الإدغام.

وسميت الصداقة: (خُلة) لأنها تخللت القلب، فصارت خلاله؛ أي: في باطنه. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (خل).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾
 ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ أي: يجريان إلى يوم القيامة ﴿وسخر لكم الليل والنهار﴾ يختلفان عليكم ﴿وآتاكم﴾ أعطاكم ﴿من كل ما سألتموه﴾ أي: وما لم تسألوه؛ هذا تفسير الحسن يقول: كل ما أعطاكم هو منه مما سألتكم، ومما لم تسألوا ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾.

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن، عن ^(١) أبي الدرداء قال: «من لم ير نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه، فقد قل علمه وحضر عذابه» ^(٢) من حديث يحيى بن محمد.

﴿إن الإنسان﴾ يعني: الكافر ﴿لظلوم﴾ لنفسه ﴿كفار﴾ بنعم ربه حين أشرك، وقد أجرى عليه هذه النعم.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۚ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا ۚ مِّنَ النَّاسِ فَمَن يَتَّبِعِ فَإِنَّهُ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣٥)

(١) زاد بعدها في الأصل: ابن. وهي زيادة مقحمة، وأبو الدرداء هو عويمر بن زيد بن قيس، حكيم هذه الأمة، ترجمته في السير (٣٣٥-٣٥٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ١٦٦) والبيهقي في الشعب (٤/١١٣ رقم ٤٤٦٧) من طريق الحسن عن أبي الدرداء به.

ورواه ابن المبارك في الزهد (١٣٤ رقم ٣٩٧) - ومن طريق الطبري في تفسيره (٣٤/١٩)، (١٣٨/٢٢) - عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن قوله.

﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا تُخْفِي وَمَا تُعْلِنُ وَمَا يُخْفِي عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾

﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً﴾ يعني: مكة ﴿واجنبنِي وبنِي أن نعبد الأصنام﴾.

قال محمد: أهل الحجاز يقولون: جَنَّبَنِي فلان شره، وأهل نجد يقولون: اجنَّبَنِي وجنَّبَنِي؛ أي: جعلني جانباً منه^(١).

﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ يعني: الأصنام أضللن كثيراً من الناس؛ يقول: ضلَّ المشركون بعبادتها؛ من غير أن تكون دعت هي إلى عبادة أنفسها ﴿فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني﴾ فعبد الأوثان، ثم تاب إليك بعد ذلك ﴿فإنك غفور رحيم﴾.

﴿ربنا إني أسكنت من ذُرِّيَّتِي﴾ يعني: إسماعيل ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: إنما أسكنتهم مكة، ليعبدوك ﴿فاجعل أفئدة﴾ أي: قلوباً ﴿من الناس تهوي إليهم﴾ تنزع إلى الحج، في تفسير الحسن. قال ابن عباس: «ولو كان قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم، لحجَّه اليهود والنصارى وكل أحد».

(١) ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (جنب).

﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن﴾ تفسير ابن عباس: «إن إبراهيم جاء بهاجر وإسماعيل؛ فوضعهما بمكة عند زمزم، فلما قفا^(١) نادته هاجر: يا إبراهيم؛ فالتفت إليها فقالت: من أمرك أن تضعني وابني بأرض ليس بها ضرع ولا زرع ولا أنيس؟! قال: ربي. قالت: إذن لن يضيعنا. فلما قفا إبراهيم، قال: ﴿ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن...﴾ أي: من الحزن، الآية.

﴿رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي﴾ أي: واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة.

﴿ربنا اغفر لي ولوالدي﴾ تفسير الحسن: دعا لأبيه أن يحوله الله من الكفر إلى الإيمان، ولم يغفر له؛ فلما مات كافراً تبرأ منه، وعرف أنه قد هلك.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ

الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفِئْدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾

﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ يعني: المشركين.

﴿إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار﴾ إلى إجابة (الداعي)^(٢) حين

يدعوهم من قبورهم ﴿مهطعين﴾ أي: مسرعين إلى (نحو)^(٣) الدعوة (ل١٦٧)

حين يدعوهم إلى بيت المقدس.

قال محمد: (مهطعين) منصوب على الحال^(٤).

(١) أي: رجع ذاهباً. لسان العرب (قفو).

(٢) في الأصل (الداع) بحذف الياء.

(٣) مشتبهة في الأصل.

(٤) ينظر: البحر (٥/٤٣٥-٤٣٦)، الدر المصون (٤/٢٧٧).

و﴿مقنعي رءوسهم﴾ أي: رافعيها ﴿لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم﴾ أي: يديمون النظر.

قال محمد: (طرفهم) يعني: نظرهم، وأصل الكلمة من قولهم: طرف الرجل يَطرِفُ طَرْفًا؛ إذا أطبق أحد جفنيه على الآخر؛ فسمي النظر طَرْفًا؛ لأنه به يكون^(١). ومنه قول الشاعر يذكر سهيلًا - النجم في السماء، وشبه اضطرابه بطرف العين.

أراقب لمحا من سهيل كأنه إذا ما بدا في دجنة الليل يطرِفُ^(٢)
قوله عز وجل: ﴿وأفئدتهم هواء﴾ بين الصدر والحلق؛ فلا تخرج من الحلق، ولا ترجع إلى الصدر؛ يعني: قلوب الكفار؛ هذا تفسير السدي.
قال محمد: وجاء عن ابن عباس: (هواء) أي: خالية من كل خير، وقال أبو عبيدة: وكذلك كل شيء أجوف خاوٍ، فهو عند العرب هواء^(٣).
وأشدد غيره:

كأن الرّحل منها فوق صعلٍ من الظّلّمان جُؤْجُؤُه هَواءٌ^(٤)
يقول: ليس لعظمه مخ.

﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِرْنَا إِنَّهُ أَجَلٌ قَرِيبٌ

(١) ويطلق الطرف على الواحد وغيره، وقد يثنى ويجمع. لسان العرب (طرف).
(٢) البيت من بحر الطويل، وهو لجران العود. ينظر: البيان والتبيين (١/٥٧٨)، أدب الكاتب (٧٣/١).
(٣) ويقال: قلب هواء؛ أي: فارغ؛ للواحد والجمع. لسان العرب (هوى).
(٤) البيت لزهير بن أبي سلمى؛ وهو من بحر الوافر. ينظر: البحر المحيط (٥/٤٣٠)، روح المعاني (٢٤٦/١٣).

تُحِبُّ دَعْوَتَكَ وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ أُولَئِكَ نَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾
 وَسَكَنتُمْ فِي مَسْكَانٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَبَيَّنَّا لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ
 وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ
 مَكْرُهُمْ لِنَزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾

قوله: ﴿وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب﴾ أي: أنذرهم ذلك اليوم .
 ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك﴾ سألوا الرجعة إلى الدنيا؛ حتى
 يؤمنوا .

قال الله: ﴿أو لم تكونوا أقسمتم من قبل﴾ أي: في الدنيا ﴿ما لكم من زوال﴾
 من الدنيا إلى الآخرة. ثم انقطع الكلام، ثم قال للذين بعث فيهم محمدًا:
 ﴿وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ بشركهم؛ يعني: من أهلك من الأمم
 السابقة ﴿وبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ كيف أهلكناهم؛ يخوفهم بذلك ﴿وضربنا
 لكم الأمثال﴾ يعني: وصفنا لكم عذاب الأمم الخالية؛ يخوف كفار مكة .

﴿وقد مكروا مكْرَهُمْ وعند الله مكْرَهُمْ﴾ أي: محفوظ لهم؛ حتى يجازيهم
 به ﴿وإن كان مكْرَهُمْ لتزول منه الجبال﴾ وهي في مصحف ابن مسعود: (وما
 كان مكْرَهُمْ لتزول منه الجبال)^(١) تفسير الكلبي: قال: «إن نمرود الذي بنى
 الصَّرح ببابل، أراد أن يعلم علم السماء؛ فعمد إلى تابوت فجعل فيه غلامًا،
 ثم عمد إلى نسور أربعة فأجاعها، ثم ربط كل نسور بقائمة من قوائم التابوت،

(١) ينظر البحر (٤٣٨/٥)، الكشاف (٣٨٣/٢)، ووردت القراءة في الأصل: (وإن كاد)، وهي
 ليست قراءة ابن مسعود؛ إنما تنسب لعمر وعلي وأبي وغيرهم. وقرأ علي وأبي وعمر أيضًا
 (وأن كان) بفتح همزة (أن). ينظر: الفخر الرازي (١٤٥/١٩) المحاسب (٣٦٥/١).

ثم رفع لهما لحمًا في أعلى التابوت، فجعل الغلام يفتح الباب الأعلى، فينظر إلى السماء فيراها كهيئتها، ثم يفتح الباب الأسفل فينظر إلى الأرض فيراها مثل اللجة، فلم يزل كذلك حتى جعل ينظر فلا يرى الأرض وإنما هو الهواء، وينظر فوق فيرى السماء كهيئتها، فلما رأى ذلك صوّب اللحم فتصوبت النُسور، فيقال - والله أعلم -: إنه مرَّ بجبل فخاف الجبل أن يكون أمرًا من الله، فكاد يزول من مكانه؛ فذلك قوله: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لَتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾^(١).

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدِهِ رُشْدُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ (٤٧) **يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** (٤٨) **وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ** (٤٩) **سَرَابِلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ** (٥٠) **لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** (٥١) **هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ** **وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ** (٥٢)

﴿فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله﴾ ما وعدهم من النصر في الدنيا. ﴿إن الله عزيز﴾ في نعمته ﴿ذو انتقام﴾ من أعدائه بعذابه.

﴿يوم تبذل الأرض غير الأرض والسموات﴾ قال محمد: أي: وتبدل السموات ﴿وبرزوا لله﴾ حفاة عراة ﴿الواحد القهار﴾ قهر عباده بالموت وبما شاء.

قال محمد: ومعنى تبديل السموات: تكوير شمسها، وخسوف قمرها، وانتثار كواكبها، وانفطارها، وانشقاقها.

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٤/١) عن معمر عن الكلبي.

يحيى: عن يونس بن^(١) أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود، قال: «تبدل الأرض بأرض بيضاء؛ كأنها فضة لم يعمل فيها خطيئة، ولم يسفك فيها محجمة دم حرام»^(٢).

﴿وترى المجرمين﴾ المشركين ﴿يومئذ مقرنين في الأصفاد﴾ يعني:

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب «عن يونس عن أبي إسحاق» فإن الحديث معروف من رواية «أبي إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود» كما سيأتي بيانه، والله أعلم.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٤/٢) والطبري في تفسيره (٢٤٩/١٣-٢٥٠) والطبراني في الكبير (٢٠٥/٩ رقم ٩٠٠١) وأبو الشيخ في العظمة (١٠٩٩/٣-١١٠٠ رقم ٥٩٨) والحاكم في المستدرک (٥٧٠/٤) وغيرهم من عدة طرق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله قوله.

قال الهيثمي في المجمع (٤٥/٧): وإسناده جيد.

وقال ابن حجر في الفتح (٣٨٣/١١): ورجاله رجال الصحيح، وهو موقوف.

ورواه الحاكم (٥٧٠/٤) من طريق هبيرة بن يريم عن ابن مسعود.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسنادين جميعًا على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

ورواه ابن المبارك في الزهد (١١٥ رقم ٣٨٨) والطبري في تفسيره (٢٥٠/١٣) من طريق عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود موقوفًا.

قال بن حجر في الفتح (٣٨٣/١١): ورجاله موثقون أيضًا.

ورواه البزار (٢٤٦/٥-٢٤٧ رقم ١٨٥٩) والطبراني في الكبير (١٠١/١٠ رقم ١٠٣٢٣) والأوسط (١٦٤/٧ رقم ٧١٦٧) وابن عدي في الكامل (٣٤٢-٣٤٣/٢) وأبو نعيم في الحلية (١٥٣/٤، ٣٤٨) من طريق جرير بن أيوب البجلي عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود مرفوعًا.

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه عن أبي إسحاق عن عمرو عن عبد الله مرفوعًا إلا جرير ابن أيوب، وجرير ليس بالقوي.

وقال الطبراني: لم يرفع هذا الحديث عن أبي إسحاق إلا جرير بن أيوب، تفرد به أبو عتاب.

وقال أبو نعيم: لم يروه عن أبي إسحاق مرفوعًا إلا جرير، ورواه أبو الأحوص وإسرائيل وزكرياء بن أبي زائدة موقوفًا على عبد الله.

وقال الهيثمي في المجمع (٤٥/٧): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه جرير بن أيوب البجلي، وهو متروك.

السلاسل (يقرن كل إنسان (ل١٦٨) وشيطانه الذي كان قرينه في الدنيا في سلسلة واحدة.

قال محمد: واحد الأصفاد: صفد^(١) يقال: صَفَدْتُ الرجل؛ إذا جعلته في صفد، وَأَصْفَدْتُهُ إذا أعطيته عطاء^(٢).

﴿سرايلهم من قطران﴾ أي: قُمْصهم، والقطران: هو الذي يُطلى به الإبل، وقال مجاهد: (سرايلهم من قطران) أي: من صُفِر^(٣) حار قد انتهى حره ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ هو كقوله: ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾^(٤) أي: يجرُّ على وجهه في النار ﴿ليجزى الله كل نفس ما كسبت﴾ ما عملت ﴿إن الله سريع الحساب﴾.

يحيى: سمعت بعض الكوفيين يقول: يقضى بين الخلق يوم القيامة في قدر نصف يوم من أيام الدنيا.

﴿هذا بلاغ للناس﴾ للمؤمنين؛ يعني: القرآن يبلغهم إلى الجنة ﴿وليُنذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد﴾ ليس له شريك ﴿وليذكر أولو الألباب﴾ وهم المؤمنون.



(١) تكرر في الأصل.

(٢) لسان العرب (صفد).

(٣) أي: نحاس أصفر. لسان العرب (صفر).

(٤) الزمر: ٢٤.

تفسير سورة الحجر وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيَ آلَ الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنْزِلُ الْمَلَكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا تُنْظَرِينَ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ بين ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾.

يحيى: عن عثمان، عن حماد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود قال: «يقول أهل النار لمن دخلها من أهل التوحيد: قد كان هؤلاء مسلمين، فما أغنى عنهم؟! قال: فيغضب لهم ربهم فيدخلهم الجنة، فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين^(١)».

﴿ذرهم يأكلوا﴾ يعني: المشركين، يأكلوا ﴿ويتمتعوا﴾ في الدنيا ﴿ويلهيهم الأمل﴾ الذي يأملون من الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ يوم القيامة؛ وهذا وعيد، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم، ثم أمر بقتالهم، ولا يذرهم حتى يُسلموا أو يُقتلوا؛ يعني: مشركي العرب.

(١) رُوي عن عدة من الصحابة موقوفاً ومرفوعاً، انظر: تفسير الطبري (١٤/٢-٥) والدر المشور (١٠٤-١٠٥/٤).

﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتابٌ معلومٌ﴾ يعني: الوقت الذي يهلكون فيه؛ يعني: من أهلك من الأمم السالفة بتكذيبهم رُسُلَهُمْ ﴿وما تسبق من أمة أجلها﴾ يعني: الأمم الخالية أجلها وقت العذاب ﴿وما يستأخرون﴾ عنه.

﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر﴾ يعني: القرآن؛ فيما تدَّعي ﴿إنك لمجنون﴾ يعنون: محمدًا ﴿لو ما﴾ أي: لولا ﴿تأتينا بالملائكة﴾ حتى تشهد أنك رسول الله ﴿إن كنت من الصادقين﴾ فنصدقك. قال الله: ﴿ما نزل الملائكة﴾ حتى تعاینونهم^(١) ﴿إلا بالحق﴾ يعني: بعدابهم واستصالحهم ﴿وما كانوا إذن منظرين﴾ طرفه عين بعد نزول الملائكة.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ٩ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ ١١ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ١١ ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ١٢ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ١٣ ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ ١٤ ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ ١٥ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ يعني: القرآن ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ حفظه الله من إبليس أن يزيد فيه شيئًا، أو ينقص منه.

﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين﴾ أي: في قرن؛ يعني: قوم نوح وسائر الأمم ﴿وما يأتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ كذلك نسلكه ﴿نسلك التكذيب﴾ في قلوب المجرمين ﴿يعني: المشركين.

قال محمد: تقول: سلكتُ فلانًا في الطريق وأسلكتُهُ بمعنى واحد^(٢).

(١) هكذا في الأصل، وهو خلاف الجادة، والصواب: حتى تعاینونهم.

(٢) وأيضًا سلكتُهُ. لسان العرب (سلك).

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعني: القرآن ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سَنَةُ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: وقائع الله في الأمم الخالية التي أهلكهم بها - يخوف المشركين بذلك.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا﴾ أي: ساروا ﴿فِيهِ يَعْرَجُونَ﴾ أي: يختلفون بين السماء والأرض، يعني: الملائكة^(١) ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكِرَتْ أَبْصَارُنَا﴾ أي: سُدَّتْ ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾ كقوله: ﴿وَأِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾^(٢).

قال محمد: من قرأ (سُكِرْتُ) بالثقل، فهو من سَكِرْتُ البصر إذا سدته، ويقال للسُّدِّ: السُّكْرُ. ومن قرأ (سُكِرْتُ) مخففة^(٣)، فالمعنى: تحيرت أبصارنا وسكنت عن النظر؛ تقول العرب: سَكِرْتُ الرِّيحُ تَسْكُرُ إذا سكنت^(٤) (...)^(٥).

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّظِيرِينَ﴾^(١٦) وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ^(١٧) إِلَّا مِنْ أَسْفَلِ السَّمَاءِ فَنَافِثُهُمْ فِيهَا شِهَابٌ مُبِينٌ^(١٨) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ^(١٩) وَجَعَلْنَا لَكُمُ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَأْسْتُمُ لَمْ يَرْزُقِينَ^(٢٠) وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ^(٢١) وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَافِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْفَيْتُكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُحْذَرِينَ^(٢٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي.

(١) كذا في الأصل.

(٢) القمر: ٢.

(٣) قرأ بالثقل مبنيًا للمفعول السبعة إلا ابن كثير؛ فقد قرأ بالتخفيف.

ينظر: السبعة (٣٦٦)، النشر (٣٠١/٢)، التيسير (١٣٥).

(٤) ينظر لسان العرب (سكر).

(٥) طمس في الأصل.

وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقِيدِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَعْرِضِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ بِحَشْرِهِمْ لَأَنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

(١٦٩ل) ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا﴾ يعني: نجومًا؛ في تفسير ابن عباس وقتادة ﴿وزيناها﴾ زينا السماء بالنجوم ﴿للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ ملعون رحمه الله باللعنة؛ في تفسير الحسن ﴿إلا من استرق السَّمْعَ﴾ فإنها لم تُحفظ منه إن تسمع الخبر من أخبار السماء، ولا تسمع من الوحي شيئًا. ﴿فأتبعه شهاب مبين﴾ مضيء.

﴿والأرض مددناها﴾ يعني: بسطناها ﴿وألقينا﴾ أي: جعلنا ﴿فيها رواسي﴾ وهي الجبال ﴿وأثبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ أي: مقدور بقدر؛ في تفسير مجاهد.

قال محمد: معنى قول مجاهد: أي: جرى على وزنٍ من قدر الله لا يجاوز ما قدره الله عليه.

﴿وجعلنا لكم فيها﴾ في الأرض ﴿معاش﴾ يعني: ما أخرج الله لهم فيها، ومما عمل بنو آدم ﴿ومن لستم له برازقين﴾ أي: جعلنا لكم، ولمن لستم له برازقين فيها معاش؛ يعني: البهائم وغيرها من الخلق ممن لا يمونه بنو آدم. ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه﴾ يعني: المطر؛ وهذه الأشياء كلها إنما تعيش بالمطر.

﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ يعني: للسحاب؛ في تفسير قتادة.

قال محمد: المعنى: أنها تضرب السحاب حتى تمطر، وواحدة اللواقح

من الرياح: لاقح؛ بمعنى: أنها ذات لقح^(١)، كقوله: ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾^(٢) أي: ذات رضا.

﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ أي: بحافظين ﴿وإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي﴾ أي: نخلق ﴿وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ يموت الخلق، واللّه الوارث الباقي بعد خلقه. ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدَمِينَ مِنْكُمْ﴾ تفسير قتادة: يعني: آدم، ومن مضى من ذريته ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ من بقى في أضلية الرجال. ﴿وَإِنْ رَبُّكَ هُوَ يُحْشِرُهُمْ﴾ يحشر الخلق يوم القيامة ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في أمره ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾^(٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْتَهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ^(٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ^(٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ^(٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَكِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ^(٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ^(٣١)

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ قال قتادة: يعني: التراب اليابس الذي يسمع له صلصلة ﴿مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ يعني: المتغير الرائحة. قال محمد: الحمأ جمع: حمأة^(٣)، ويقال لليابس من الطين الذي لم تُصبه نَارٌ: صلصال^(٤)؛ فإذا مسّته النار فهو فخّار^(٥).

(١) لسان العرب (لقح).

(٢) الحاقة: ٢١، والقارة: ٧.

(٣) والحمأ والحمأة بمعنى: لسان العرب (حمأ).

(٤) لسان العرب (صلصل).

(٥) لسان العرب (فخر).

﴿والجان﴾ يعني: إبليس؛ في تفسير قتادة ﴿خلقناه من قبل﴾ أي: من قبل آدم ﴿من نار السموم﴾ يعني: سموم جهنم.

قال محمد: والسموم من صفات جهنم وهو شدة حرها، والجان منصوب بفعل مضمر^(١)؛ المعنى: وخلقنا الجان خلقناه.

قوله عز وجل: ﴿فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين﴾ تفسير ابن عباس: «لو لم يكن إبليس من الملائكة، لم يؤمر بالسجود».

قال الحسن: أمره بالله بالسجود كما أمر الملائكة؛ فأبى أن يسجد معهم، وكان خلق إبليس من نار، وخلق الملائكة من نور.

قال محمد: (إلا إبليس) منصوب باستثناء ليس من الأول^(٢)؛ كما قال عز وجل: ﴿فإنهم عدو لي إلا رب العالمين﴾^(٣) المعنى: لكن إبليس أبى أن يكون هذا على مذهب من قال: إن إبليس لم يكن من الملائكة.

وقيل: إن إبليس كان اسمه: عزازيل، وإن الله لما لعنه وغضب عليه أبلس من رحمته؛ أي: يئس؛ فسماه: إبليس.

﴿قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ﴾ (٢٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِشَيْءٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلَٰوٰتٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٣) قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَٰجِعٌ (٢٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٢٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٢٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٢٧) إِلَى يَوْمِ

(١) أي: منصوب على الاشتغال. ينظر البحر: (٥/٤٥٣)، الدر المصون (٤/٢٩٦).

(٢) البحر (٥/٤٥٣).

(٣) الشعراء: ٧٧.

الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ جَهَنَّمُ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾

﴿وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ الحساب؛ يعني: يوم القيامة، وعليه اللعنة أيضًا يوم القيامة أبدًا.

﴿قال فإنك من المنظرين﴾ المؤخرين ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ يعني: النفخة الأولى التي يموت بها كل حي، وأراد عدو الله أن يؤخره إلى النفخة الآخرة التي يُبعث بها الخلق.

﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض﴾ يزين لهم الدنيا في أمرهم بها، ويخبرهم أنه لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار؛ يوسوس ذلك إليهم ﴿ولأغوينهم﴾ لأضلّهم ﴿أجمعين﴾ إلا عبادك منهم المخلصين ﴿الموحدّين﴾. ﴿قال هذا صراطٌ عليّ مستقيم﴾ (ل ١٧٠) تفسير مجاهد: يعني: أن الله هو الهادي لمن يشاء إلى صراط مستقيم ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ أي: لا تستطيع أن تضل من هدى الله ﴿إلا من اتبعك من الغاوين﴾ وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴿يعني: الغاوين﴾ لها سبعة أبواب ﴿بعضها تحت بعض مطبقة﴾ الباب الأعلى جهنم، ثم سقر، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم الجحيم، ثم الهاوية، وجهنم والنار يقْدُمان الأسماء^(١) ﴿لكل باب منهم جزء مقسوم﴾.

(١) وقال ابن جريج: سبعة أبواب: أولها جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم سعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية.

قال ابن رجب في التخويف من النار (ص ٥٩): خرجه ابن أبي الدنيا وغيره.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿إن المتقين في جناتٍ وعيون﴾ العيون: الأنهار ﴿ادخلوها بسلام آمين﴾ وذلك حين تلقاهم الملائكة؛ تقول لهم: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ (١) آمين من الموت .

﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ﴾ يعني: ما كان بينهم في الدنيا من الحسد والضغائن ﴿إخوانا على سُررٍ متقابلين﴾ قال بعضهم: هذا إذا زار بعضهم بعضاً .

قال محمد: (إخواناً) منصوبٌ على الحال (٢) .

﴿نَبِيٍّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوَجَّلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلَيْكَ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشْرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَا يُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بُشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمَنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَانَهُ قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾

﴿نبي عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ لا أغفر منه ولا أزحم؛ يغفر للمؤمنين

(١) الزمر: ٧٣ .

(٢) ينظر: إعراب القرآن (١٩٦/٢)، والبحر (٥/٤٥٧) .

ويرحمهم ويدخلهم الجنة ﴿وَأَنْ عَذَابِي﴾ يعني: النار ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ الموجع.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجُلُونَ﴾ أي: خائفون.

قال محمد: (سلامًا) منصوبٌ على المصدر؛ كأنه قال: فسلموا سلامًا^(١).

﴿قَالَ أَبَشِّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسْنِيَ الْكِبَرِ﴾ عَجِبَ مِنْ كِبَرِهِ وَكِبَرِ امْرَأَتِهِ ﴿فَبِمَ تَبَشِّرُونَ﴾.

قال محمد: الأصل في (تبشرون): تبشرونني؛ فحذفت أحد النونين؛ لاستثقال جمعهما^(٢) هذا فيمن قرأها بكسر النون^(٣).

﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانَتِينَ﴾ الْآيسِينَ ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ مَا أَمْرُكُمْ؟.

﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ يعني: أهله المؤمنين ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِمَنِ الْغَابِرِينَ﴾ يعني: الباقيين في عذاب الله.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ ﴿قَالُوا بَلْ جِئْتَنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ ﴿وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَذْبَرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ﴾

(١) أي: منصوب على المفعول المطلق. إعراب القرآن (١٩٧/٢)، البحر (٤٥٨/٥).

(٢) وقيل: الأصل: (تبشرونني) فحذف الياء، واجتزأ بالكسرة، وحذف نون الرفع؛ لاجتماع النونين. كشف المشكلات (٦٦٧/٢).

(٣) وهي قراءة نافع، وقرأ الباقون بالفتح، وشدد النون: ابن كثير، وخففها الباقون. السبعة (٣٦٧)، التيسير (١٣٦)، النشر (٣٠٢/٢).

الْأَمْرَ أَنْ دَايِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْغِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَأَقْوُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَنُوكَ إِنَّمْ لَفَى سَكْرَتِهِمْ بِعَمُوهٍ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لِبِسَابِلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴿فلما جاء آل لوط المرسلون﴾ يعني: الملائكة ﴿قال﴾ لوط ﴿إنكم قوم منكرون﴾ نكرهم ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ يشكون، من العذاب؛ كانوا يقولون: لا نُعَذَّب؛ حين كان يخوفهم بالعذاب إن لم يؤمنوا ﴿وأتيناك بالحق﴾ يعني: بعذابهم .

﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل﴾ أي: في طائفة من الليل؛ والسرى لا يكون إلا ليلاً.

قال محمد: ويقال منه: أسرى وسرى^(١).

﴿واتبع أدبارهم﴾ أي: كن آخرهم ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ لا ينظر وراءه إلى المدينة .

﴿وقضينا إليه ذلك الأمر﴾ أي: أعلمناه ﴿أن دابر هؤلاء﴾ أصلهم ﴿مقطوع مصبحين﴾.

قال محمد: (مصبحين) نصب على الحال^(٢).

﴿وجاء أهل المدينة يستبشرون﴾ بأضياف لوط؛ لما يريدون من عمل

(١) ومنه أيضًا: سارى واشترى بمعنى: لسان العرب (سرى).

(٢) إعراب القرآن (٢/٢٠١)، البحر (٥/٤٦١).

السوء ﴿قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ ﴿قالوا أو لم ننهك عن العالمين﴾ أي: أن تضيف أحداً ولا تنزله ﴿قال هؤلاء بناتي﴾ أمرهم بتزويج النساء ﴿إن كنتم فاعلين﴾ متزوجين.

﴿لعمرك﴾ قسم ﴿إنهم لفي سكرتهم﴾ يعني: ضلالتهم ﴿يعمّهون﴾ يتحIRON. قال محمد: العَمْرُ والعُمْرُ عند أهل اللغة بمعنى واحد؛ فإذا استعمل في القسم فتح أوله؛ لكثرة استعمالهم له؛ لأنَّ الفتح أخفُ^(١).

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ قال السُّدي: صيحة جبريل ﴿مشرقين﴾ حين أشرقت الشمس ﴿فجعلنا عاليها سافلها﴾ قد مضى تفسيره.

﴿إن في ذلك لآياتٍ للمتوسمين﴾ قال سفيان: يعني: للمتفرسين.

قال محمد: معنى التفرس: الاستدلال بصحة النظر؛ يقال: توسمت في فلان الخير، وتفرسته؛ أي: تبينته^(٢).

﴿وإنها لبسبيل مقيم﴾ يعني: قرية قوم لوط؛ أي: هي طريق واضح.

﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾^(٧٨) ﴿فأنقمنا منهم﴾ ﴿وإنهما لإمامر مبین﴾^(٧٩) ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾^(٨٠) ﴿وأنبئهم﴾ ﴿أيننا﴾ ﴿فكانوا عنها معرضين﴾^(٨١) ﴿وكانوا ينحون من الجبال بيوتاً مامين﴾^(٨٢) ﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾^(٨٣) ﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾^(٨٤)

﴿وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين﴾ يعني: الذين بعث إليهم شعيب (...)^(٣) والأيكة (...)^(١) كانوا أصحاب (...)^(١) كان عامة ثمرهم

(١) لسان العرب (عمر).

(٢) لسان العرب (فرس)، (وسم).

(٣) طمس في الأصل.

(ل١٧١) الْمُقْلُ؛ وهو الدَّوْمُ، فسَلَطَ اللَّهُ عليهم الحَرَ سبعة أيام فكان لا يأتيهم منه شيء، فبعث اللَّهُ عليهم سحابة فلجأوا تحتها يلتمسون الرِّوْحَ، فجعلها اللَّهُ نازًا فاضطربت عليهم.

قال محمدٌ: قرأ نافعٌ: (الأيكة)^(١) وكذلك قرأ التي في «قاف»^(٢) وقرأ التي في «الشعراء»^(٣) وفي «ص»^(٤): (لَيْكَة) بغير ألف ولام ولم يصرفهما^(٥) فيما ذكره أبو عُبيد، وقال: وجدنا في بعض التفاسير: أن (لَيْكَة) اسمُ القرية التي كانوا فيها، و(الأيكة)^(٦): البلادُ كلها.

﴿وإنهما ل بإمام مبين﴾ يقول: وإن منزل قوم لوط وأصحاب الأيكة لبطريق واضح.

قال محمدٌ: قيل للطريق: إمام؛ لأنه يؤتم به؛ أي: يهتدى به^(٧).
﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾ يعني: ثمود قوم صالح ﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتًا آمنين﴾.

قال محمدٌ: الحجرُ اسمُ وادٍ، وأصلُ النَخْتِ: القَطْعُ والنَجْرُ^(٨).

(١) أي: أن نافعًا قرأ (الأيكة): (ليكة)؛ فالتى في الحجر قرأها نافع وحده، والتي في الشعراء وص وقاف قرأها نافع وابن كثير وابن عامر. ينظر السبعة (٣٦٨، ٤٧٣).

(٢) ق: ١٤.

(٣) الشعراء: ١٧٦.

(٤) ص: ١٣.

(٥) للعلمية والتأنيث. الدر المصنوع (٣٠٦/٤) والمراد (ليكة) كما في «الشعراء» و«ص».

(٦) قال صاحب مختار الصحاح: فمن قرأ: (أصحاب الأيكة) فهي الفيضة، ومن قرأ: (أصحاب ليكة) فهي اسم القرية. وقيل: هما مثل بكة ومكة.

ينظر مختار الصحاح (أيك).

(٧) وجمعه: أئمة. لسان العرب (أمم).

(٨) لسان العرب (نحت).

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ﴾
 الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي
 وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ
 وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى
 الْمُقْسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا
 كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾

﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: للبعث
 ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ وهذا منسوخ بالقتال.

﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني﴾ تفسير قتادة: هي فاتحة الكتاب؛ وهي
 سبع آيات؛ وإنما سميت المثاني؛ لأنهن يثنين في كل ركعة.

قال محمد: قيل: المعنى -والله أعلم-: ولقد آتيناك سبعا مثاني، وتكون
 (من) صلة؛ كما قال الله - عز وجل - : ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾^(١)
 المعنى: اجتنبوا الأوثان، لا أن بعضها رجس.

﴿والقرآن العظيم﴾ أي: وآتيناك القرآن العظيم.

﴿لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم﴾ أصنافا؛ يعني: الأغنياء؛
 في تفسير مجاهد ﴿ولا تحزن عليهم﴾ يعني: المشركين إن لم يؤمنوا
 ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ أي: ألنه لمن آمن بك ﴿وقل إني أنا النذير
 المبين﴾ أي: أنذر الناس النار ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن

عضين ﴿ قال الحسن: يقول: أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا على المقتسمين، يعني: أهل الكتابين الذي اقتسموه، فجعلوه كتبًا بعد إذ كان كتابًا، وحرّفوه فجعلوه كالأعضاء.

قال محمد: المعنى: آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه، وتقول العرب: عَضَيْتَ الشيء؛ إذا وزعته، وعَضَيْتَ الذبيحة؛ إذا قطعتها أعضاء، والعِضَةُ: القطعة منها، والجميع: عضون في حال الرفع، وعِضَيْنِ في حال النصب والخفض^(١). قال رؤية^(٢): -

وليس دين الله بالمعضى^(٣)

قوله: ﴿فورك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر﴾ قال الكلبي: يعني: أظهر ما أمرت به.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾

﴿إنا كفيناك المستهزين﴾ قال الكلبي: هم خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث.

﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ يعني بقولهم أنك ساحر،

(١) وذلك لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. لسان العرب (عضو).

(٢) هو رؤية بن العجاج راجز مشهور مات سنة ١٤٥. ينظر ترجمته من الشعر والشعراء (٢/ ٥٩١)، الأغاني (٣١٢/٢٠).

(٣) البيت من الرجز. ينظر: ديوان رؤية (٨١)، مجاز القرآن (٣٥٥/١)، اللسان (عضو).

وأنك شاعرٌ، وأنك كاهنٌ، وأنك مجنونٌ، وأنك كاذبٌ ﴿فسبح بحمد ربك
وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ يعني: الموت.



تفسير سورة النحل

وهي من أولها إلى صدر هذه الآية: ﴿والذين هاجروا في الله...﴾ (١)
مكي، وسائرها مدني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ
مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا
هُوَ خَصِيدٌ مُّيْنٌ ﴿٤﴾ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْيَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّا
تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْإِغَالَ وَالْحَمِيرَ
لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقَ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

قوله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ تفسير الحسن: هذا جواب من الله
لقول المشركين للنبي ﷺ: ﴿اثننا بعذاب الله﴾ (٢)، ولقولهم: ﴿عجل لنا
قطنا﴾ (٣) وأشباه ذلك؛ فقال الله: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾ أي: أن
العذاب آت قريب ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ ارتفع عما يقول المشركون

(١) النحل: ٤١ .

(٢) العنكبوت: ٢٩ .

(٣) ص: ١٦ .

من الإشراف به ﴿ينزل الملائكة بالروح﴾ (في تفسير السدي)^(١) ﴿من أمره﴾ أي: بأمره.

قال محمد: (سمى (ل ١٧٢) الوحي روحًا لأن به)^(٢) حياة من الجهل. ﴿على من يشاء من عباده أن أنذروا﴾ بأن أنذروا ﴿أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ أن تعبدوا معي إلها.

﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ للبعث والحساب، والجنة والنار ﴿خلق الإنسان من نطفة﴾ يعني: المشرك؛ في تفسير الحسن ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ بين الخصومة.

﴿والأنعام خلقها لكم﴾ يعني: الإبل والبقر والغنم.

قال محمد: نصب (الأنعام) على فعل مضمر^(٣)؛ المعنى: وخلق الأنعام لكم. ﴿فيها دفء﴾ يعني: ما يصنع من الكسوة من أصوافها وأوبارها وأشعارها ومنافع في ظهورها؛ هذه الإبل والبقر وألبانها في جماعتها.

﴿ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون﴾ أي: حين تروح عليكم راجعة من الرعي ﴿وحين تسرحون﴾ بها إلى الرعي؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمد: راحت الماشية وأرختها، وسرحت وسرختها؛ الرواح بالعشي^(٤)، والسروح: بالغدو^(٥). ومعنى (لكم فيها جمال)^(٦) أي: إذا قيل:

(١) هكذا بالأصل. ولعل هناك كلامًا ساقطًا.

(٢) مشتبهة في الأصل ولعلها كما أثبت، والله أعلم.

(٣) أي: نصب على الاشتغال. الدر المصون (٤/٣١٢).

(٤) أي: من زوال الشمس إلى الليل. لسان العرب (روح).

(٥) أي: ما بين الفجر إلى طلوع الشمس. لسان العرب (سرح) و(غدو).

(٦) سقطت من الأصل، ويقتضيها سياق الآية.

هذا مال فلان .

﴿وتحمل أثقالكم﴾ يعني: الإبل والبقر ﴿إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس﴾ يقول: لولا أنها تحمل أثقالكم إلى البلد الذي تريدونه، لم تكونوا بالغي ذلك البلد إلا بمشقة على أنفسكم ﴿إن ربكم لرءوف رحيم﴾ يقول: فبرأفة الله ورحمته سخر لكم هذه الأنعام، وهي للكافر رحمة الدنيا ليرزقه فيها من النعم .

﴿والخيل﴾ يقول: وخلق الخيل ﴿والبغال والحمير لتركبوها وزينة﴾ في ركوبها؛ تفسير قتادة: خلقها الله للركوب وللزينة ﴿ويخلق ما لا تعلمون﴾ من الأشياء كلها مما لم يُذكر لكم .

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِئِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وعلى الله قصد السبيل﴾ يعني: طريق الهدى؛ كقوله: ﴿إن علينا للهدى﴾^(١) ﴿ومنها﴾ أي: وعنهما؛ يعني: السبيل ﴿جائر﴾ وهو الكافر جار عن سبيل الهدى ﴿ومنه شجرٌ فيه تسيمون﴾ أي: ترعون أنعامكم .

قال محمدٌ: تقول: أَسَمْتُ ماشيتي فسامت؛ أي: رعيتهَا فرعت^(١).
﴿يَنْبِتْ لَكُمْ بِهِ﴾ أي: بذلك الماء ﴿الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ...﴾ الآية، يقول:
فالذي يُنْبِتُ من ذلك الماء الواحد هذه الألوان المختلفة قادرٌ على أن يحيي
الأموات .

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾ خلق ﴿فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانَهُ﴾ تفسير قتادة: يعني: من
الدواب والشجر والثمار .

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً
تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
(١٤) وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥)
وَعَلَّمَكُم مَّا تَلْبَسُونَ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِنْ
تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتُمْ وَمَا
تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠)﴾

﴿وهو الذي سخر البحر﴾ أي: خلق ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ يعني:
الحياتان ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ يعني: اللؤلؤ ﴿وترى الفلك﴾
السفن ﴿مواخير فيه﴾ يعني: شقها الماء في وقت جريها .
قال محمدٌ: يقال: مخرت السفينة الماء؛ إذا شقته^(٢) .

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: طلب التجارة في السفن .
﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ يعني: الجبال ﴿أن تميد بكم﴾ لئلا تميد؛

(١) لسان العرب (سوم).

(٢) مخرت السفينة الماء مَخَرًا وَمُخَرًّا. لسان العرب (مخر).

أي: تتحرك ﴿وأنهاراً﴾ أي: وجعل فيها أنهاراً ﴿وسبلاً﴾ طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا الطرق ﴿وعلامات﴾ جعلها في الطرق تعرفونها بها ﴿وبالنجم هم يهتدون﴾ يعني: جماعة النجوم التي يهتدى بها .

﴿أفمن يخلق﴾ يعني: نفسه ﴿كمن لا يخلق﴾ يعني: الأوثان هل يستويان؟ أي: لا يستوي الله والأوثان ﴿أفلا تذكرون﴾ يقوله للمشركين .

﴿والذين تدعون^(١) من دون الله﴾ يعني: الأوثان ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ أي: يصنعون بالأيدي .

﴿أَمَوْتَ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٢١) ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ (٢٢) ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ (٢٣) ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤) ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ (٢٥)

﴿أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون﴾ متى يبعثون .

قال قتادة: تحشر الأوثان بأعيانها؛ فتخاصم عابديها عند الله؛ أنها لم تدعهم إلى عبادتها، وإنما كان دعاهم إلى ذلك الشياطين .

﴿وإذا قيل لهم﴾ إذا قال المؤمنون للمشركين: ﴿مآذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم؛ وارتفعت^(٢) لأنها حكاية على

(١) قرأ العامة: ﴿تدعون﴾ بالخطاب، وقرأ عاصم ﴿يدعون﴾ بالغيب. النشر (٢/٣٠٣) وإتحاف الفضلاء (٣٥٠).

(٢) أي: الأساطير.

معنى قالوا: إنه أساطير الأولين^(١) ﴿ليحملوا أوزارهم﴾ أي: آثامهم ﴿كاملة يوم القيامة﴾ يعني الذين قالوا: أساطير الأولين (ل١٧٣) ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾ أي: بش ما يحملون.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما داع دعا إلى هدى فأتبع عليه، فله مثل أجر من اتبعه، ولا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، وأيما داع دعا إلى ضلالة فأتبع عليها فعليه مثل وزر من اتبعه، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً»^(٢).

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فليس مَثْوًى لَلمُتَكِبِينَ﴾ (٢٩)

﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ يعني: الذين أهلك بالرجفة من الأمم السالفة رجفت بهم الأرض ﴿فخر عليهم السقف من فوقهم﴾ سقطت سقوف منازلهم عليهم.

(١) أي: ارتفعت على الخبرة، وحذف المبتدأ. ينظر: إعراب القرآن (٢/٢٠٨) البحر (٥/٤٨٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (٩٦/١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٨١-٢٢٨٢ رقم ١٢٥٠٧) عن الربيع بن أنس مرسلاً.

وروى مسلم (٤/٣٦٤ رقم ٢٦٧٤) عن أبي هريرة نحوه.

﴿ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ أي: تعادون فيهم، وعداوتهم لله: عبادتهم الأوثان من دونه، ومعنى (شركائي) أي: الذين زعمتم أنهم شركائي.

﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المؤمنون ﴿إن الخزي اليوم والسوء﴾ يعني: العذاب على الكافرين؛ وهذا الكلام يوم القيامة.

﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم﴾ تفسير الحسن: وفاة إلى النار؛ أي: حشر ﴿فألقوا السلم﴾ قال الحسن: يعني: أعطوا الإسلام واستسلموا؛ فلم يقبل منهم ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ قال الحسن: إن في القيامة موطن، فمنها موطن يقرون فيه بأعمالهم الخبيثة، ومنها موطن ينكرون فيه، ومنها موطن يختم على أفواههم، وتكلم أيديهم، وتشهد أرجلهم بما كانوا يعملون.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً﴾ أي أنزل خيراً. ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿للذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ الجنة ﴿ولدار الآخرة خير﴾ من الدنيا ﴿ولنعيم دار المتقين جنات عدن يدخلونها﴾. قال محمد: (جنات عدن) مرفوعة بإضمار (هي) (١).

(١) أي: على الخبرية، مع حذف المبتدأ. وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر الدر المصون (٣٢٤/٤).

﴿الذين تتوفاهم الملائكة﴾ تقبض أرواحهم ﴿طيبين﴾ يعني: أحياء وأمواتاً
﴿يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾.

يحيى: عن حيوة بن شريح قال: إن الملائكة تأتي وليَّ الله عند الموت
فتقول: السلام عليك يا وليَّ الله، الله يقرأ عليك السلام. وتبشره بالجنة.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا
عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣٤) وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ
دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (٣٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ
عَبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ
فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ (٣٦) إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ
فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرٍ﴾ (٣٧)

﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك﴾ تفسير الحسن:
يقول: هل ينتظرون إلا أن تأتيهم الملائكة بعذابهم؛ يعني: مشركي العرب،
أو يأتي أمر ربك؛ يعني: النفخة الأولى التي يهلك بها آخر كفار هذه الأمة
الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه قبل عذاب الآخرة. قال: ﴿كذلك فعل
الذين من قبلهم﴾ أي: كذلك كذب الذين من قبل مشركي العرب ﴿أو يأتي
أمر ربك﴾ يعني: النفخة الأولى؛ كما كذب مشركو العرب، فأهلكناهم
بالعذاب... الآية .

﴿فأصابهم سيئات ما عملوا﴾ ثواب ما عملوا ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: ثواب ما كانوا به يستهزئون بآيات الله وبالرسل.

﴿ولا حرمننا من دونه من شيء﴾ وهو ما حرموا على أنفسهم من البحيرة والسائبة وغير ذلك؛ فقال الله جواباً لقولهم: ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين﴾.

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا﴾ يعني: ممن أهلك بالعذاب ﴿أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ والطاغوت: الشيطان؛ هو دعاهم إلى عبادة الأوثان ﴿فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار.

﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل﴾ كقوله: ﴿من يضل الله فلا هادي له﴾^(١).

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢٨) ﴿إِسْنِينَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾^(٣٩) ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤٠) ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوِّتَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(٤١) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٤٢)

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت﴾ قال: ﴿بلى وعدا عليه حقا﴾ ليعتصمهم.

قال محمد: (وعدًا) مصدر^(١)؛ والمعنى: وعد بالبعث وعدًا.

﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾ أي: ما كانوا يختلفون في الدنيا؛ يعني: المؤمنين والكافرين ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ في قولهم في الدنيا: ﴿لا يبعث الله من يموت﴾^(٢).

﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له﴾ قبل أن يكون (ل) (١٧٤) ﴿كن فيكون﴾.

قال محمد: (فيكون) بالرفع على معنى: فهو يكون^(٣).

﴿والذين هاجروا في الله﴾ إلى المدينة ﴿من بعد ما ظلموا﴾ من بعد ما ظلمهم المشركون ﴿وأخرجوا ديارهم﴾ من مكة ﴿لنبوئتهم في الدنيا حسنة﴾ يعني: المدينة؛ في تفسير قتادة ﴿ولأجر الآخرة﴾ الجنة ﴿أكبر﴾ من الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن الجنة خير من الدنيا. ﴿الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون﴾ قال الحسن: وهم الذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيْ اِلَيْهِمْ فَمَسَّلُوْا اَهْلَ الذِّكْرِ اِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُوْنَ

﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا اِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ اِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَفْكُرُوْنَ

﴿٤٤﴾ اَفَاَمِنَ الَّذِيْنَ مَكَرُوْا السَّيِّئَاتِ اَنْ يَّخْسِفَ اِلَيْهِمُ الْاَرْضُ اَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُوْنَ ﴿٤٥﴾ اَوْ يَأْخُذْهُمْ فِيْ ثَغْلِيْهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِيْنَ ﴿٤٦﴾ اَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَاِنَّ

رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ رَّحِيْمٌ ﴿٤٧﴾ اَوَلَمْ يَرَوْا اِلَى مَا خَلَقَ اَللّٰهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَتِيْوْا ظِلَالَهُ عَنِ اَلْيَمِيْنِ

وَالسَّمَآءِ اِلَ سُبْحًا لِلّٰهِ وَهُمْ دَاخِرُوْنَ ﴿٤٨﴾ وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ

(١) أي: مصدر مؤكد. الدر المصون (٤/٣٢٦).

(٢) النحل: ٣٨.

(٣) تقدم الكلام عليه في سورة (البقرة الآية: ١١٧).

وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُوْنَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُوْنَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ ﴿٥٠﴾ ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم فاسألوا أهل الذكر﴾ يقوله للمشركين ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ وأهل الذكر: عبد الله بن سلام، وأصحابه الذين أسلموا؛ في تفسير السدي.

﴿بالبينات والزرير﴾ يعني: الكتب.

قال يحيى: فيها تقديم: وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزرير إلا رجالاً نوحى^(١) إليهم.

﴿وأنزلنا إليك الذكر﴾ القرآن.

﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ يعني: الشرك ﴿أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم﴾ أي: في أسفارهم في غير قرار ﴿فما هم بمعجزين﴾ بسابقين ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ تفسير الكلبي: يعني: على تنقص؛ أي: يبتليهم بالجهد حتى يرقوا ويقل عددهم.

قال محمد: يقال: تخوفته الدهور؛ أي: تنقصته^(٢).

قال بعض الشعراء - يصف ناقه - وأن السير نقص سنامها بعد تمكنه واكتنازه:

تخوف السير منها ثامكاً قرذاً كما تخوف عود النبعة السفن^(٣)

(١) في الأصل: يوحى. وهو تصحيف.

(٢) و(تخوف) مطاوع (خوف). لسان العرب (خوف).

(٣) ويروى: (تخوف الرجل.. إلخ). والبيت من بحر البسيط. وهو لأبي كبير الهذلي. ينظر البحر المحيط (٤٩٥/٥) ونسبه صاحب لسان العرب لابن عقيل (خوف)، والذي الرمة (سفن). وانظر روح المعاني (١٥٢/١٤).

التَّبَعُ: العُوْدُ الذي يُعْمَل منه السهام والقسي.

قوله: ﴿فَإِنْ رَبِّكُمْ لِرُءُوفٍ رَحِيمٍ﴾ أي: إن تابوا وأصلحوا.

﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُ﴾ أي: يرجع ﴿ظِلَالُهُ﴾ يعني: ظل كل شيء ﴿عَنِ اليمين والشمال﴾ تفسير الحسن: ربما كان الفيء عن اليمين، وربما كان عن الشمال ﴿سَجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون. قال محمد: يقال: دخر لله؛ أي: خضع^(١)، و﴿سَجَّدًا﴾ منصوبٌ على الحال^(٢).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ يعني: الملائكة ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادة الله؛ يعني: الملائكة. قال محمد: قيل لي قوله: (والملائكة) أي: تسجد ملائكة الأرض.

﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارَهُبُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ وَلَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَكُم مِّنْ قِصَّةٍ مِّنْ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَانِسْتُمْ مِنْهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٦٠﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْهَا كُنْتُمْ تَفَرُّونَ﴾ ﴿٦١﴾

﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ أي: لا تعبدوا مع الله غيره ﴿إنما هو إله واحد﴾ فيأي فارهبون ﴿فخافون﴾^(٣).

(١) لسان العرب (دخر).

(٢) حال من قوله تعالى: (ظلاله)، وهو جمع (ساجد) ينظر الدر المصون (٤/٣٣٢).

(٣) وحذف ياء (فخافون) والأصل: (فخافوني) على سبيل المشاكلة، أي: لقوله تعالى: (فارهبون).

﴿وله الدين واصباً﴾ أي: دائماً ﴿أفغير الله تتقون﴾ تعبدون؛ يقول هذا للمشركين على الاستفهام؛ أي: قد فعلتم، فعبدتُم الأوثان من دونه.

﴿وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر﴾ المرض والشدائد ﴿فإليه تجأرون﴾ تصرخون؛ أي: تدعونه ولا تدعوا الأوثان.

﴿ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريقُ منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا﴾ في الدنيا ﴿فسوف تعلمون﴾ هذا وعيد.

﴿ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً﴾ يعني: آلهتهم؛ أي: يجعلون لما لا يعلمون أنه خلق مع الله شيئاً، ولا أمات ولا أخيا ولا رزق معه شيئاً ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ يعني: قوله: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا﴾ ^(١) قال الله - عز وجل -: ﴿تالله﴾ قسم يقسم بنفسه ﴿لئن شئنا لما كتنم فتفرون﴾.

قال محمد: المعنى: تسألون عن ذلك - سؤال توبيخ - حتى تعترفوا به على أنفسكم، وتلزموا أنفسكم الحجة.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ ^(٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ^(٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ^(٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ^(٦٠) وَلَوْ يَوَاحِشُهُ اللَّهُ النَّاسَ يظْلِمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ^(٦١) ﴿ويجعلون لله البنات﴾ كان مشركو العرب يقولون: إن الملائكة بنات

اللَّهُ. قال الله: ﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه عما قالوا ﴿ولهم ما يشتهون﴾ أي: ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون؛ يعني: الغلمان ﴿وإذا بُشِّرَ أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًا﴾ أي: متغيرًا ﴿وهو كظيم﴾ أي: كظيم على الغيظ والحزن. (ل ١٧٥) قال محمد: وأصل الكظم: الحبس^(١).

﴿يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب﴾ يقول: يتفكر كيف يصنع بما بشر به؛ أيمسكه على هوانٍ - يعني: الابنة - أم يدفنها حيّة حتى تموت مخافة الفاقة ﴿ألا ساء﴾ بشس ﴿ما يحكمون﴾ وهذا مثل ضربه الله لهم في قولهم: الملائكة بنات الله. ثم قال: ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى﴾ يقول: ولله الإخلاص والتوحيد؛ في تفسير قتادة.

﴿ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾ أي: لحبس المطر؛ فأهلك حيوان الأرض ﴿ولكن يؤخرهم﴾ يؤخر المشركين ﴿إلى أجل مسمى﴾ إلى الساعة؛ لأن كفار آخر هذه الأمة آخر عذابها بالاستئصال إلى النفخة الأولى ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ بعذاب الله ﴿لا يستأخرون...﴾ عنه عن العذاب، الآية.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْمُسْئِيَّ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾ ٦٢ ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَزْنَاهُمْ لِهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ٦٣ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٦٤ ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ

(١) يقال منه: كَظَمَ يَكْظِمُ كَظْمًا فهو كاظم وكظيم. لسان العرب (كظم).

الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ ذِي قُرْنٍ وَذِي بَنَاءٍ خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ يجعلون له البنات، ويكرهونها لأنفسهم
﴿وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى﴾ يعني: البنين؛ في تفسير السدي
﴿لا جرم﴾ كلمة وعيد؛ وقد مضى تفسيرها ﴿أن لهم النار وأنهم مفرطون﴾ قرأها
الحسن بتسكين الفاء وفتح الراء^(١) - وكان تفسيرها: مُغْجَلُونَ إلى النار^(٢)، وقرأ
بعضهم (مُفْرَطُونَ) بفتح الفاء وتشديد الراء^(٣)؛ وصفهم بالتفريط.
قال محمد: وقراءة نافع ﴿مُفْرَطُونَ﴾ بتسكين الفاء وكسر الراء^(٤)؛ وهو من
الإفراط في معصية الله.

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة﴾
يقول: فيه هدى ورحمة ﴿لقوم يؤمنون﴾.

قال محمد: من قرأ (ورحمة) بالنصب، فالمعنى: ما أنزلناه عليك إلا
للبیان والهداية والرحمة^(٥).

﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ يعني: الأرض

(١) وهي قراءة السبعة إلا نافعاً. ينظر: السبعة (٣٧٤)، التيسير (١٣٨)، الدر المصون (٤/٣٣٩).

(٢) وهو قول قتادة أيضاً، واختاره الزجاج وابن قتبية وغيرهما. ينظر: تفسير ابن كثير (٤/٤٩٨) البحر (٥٠٦/٥)، مجمع التفسير (٦١٤/٣).

(٣) بكسر الراء المشددة وفتحها وهي قراءة أبي جعفر، ينظر: البحر (٥٠٦/٥)، الإعراب للنحاس (٢/٢١٥).

(٤) ينظر: السبعة (٣٧٤)، التيسير (١٣٨)، الدر المصون (٤/٣٣٩).

(٥) أي: انتصب مفعولاً لأجله. ينظر الدر المصون (٤/٣٤٠).

التي ليس فيها نبات؛ فيحييها بالمطر؛ فتنبت بعد إذ لم يكن فيها نبات ﴿إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ فيعلمون أن الذي أحيا هذه الأرض الميتة حتى أنبتت - قادرٌ على أن يحيي الموتى.

﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرثٍ ودمٍ لبنًا خالصًا سائغًا للشاربين﴾ يقول: في هذا اللبن الذي أخرجه الله من بين فرثٍ ودمٍ آية لقوم يعقلون؛ فيعلمون أن الذي أخرجه قادرٌ على أن يحيي الموتى. قال محمد: يقال: سقيته وأسقيته بمعنى واحد^(١). و(الأنعام) لفظه لفظٌ جميع، وهو اسمُ الجنس يذكر ويؤنث^(٢)، والفرث: ما في الكرش^(٣)، والسائغ: السهل في الشرب^(٤).

﴿ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً﴾ أي: وجعل لكم من ثمرات النخيل والأعناب ما تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً. تفسير مجاهد: السكر: الخمر قبل تحريمها، والرزق الحسن: الطعام.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذْ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَمَةٍ أَلَّهِ

(١) وأيضاً: (ساقيته) بنفس المعنى. لسان العرب (سقى).

(٢) ويقال: واحده: (التعم)، ويجمع أيضاً على (أناعيم). لسان العرب (نعم).

(٣) ويسمى أيضاً: (الفراثة)، ويجمع على: (فروث). لسان العرب (فرث).

(٤) ويقال: ماء سائغ، وسئغ. لسان العرب (سغ).

يَجْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفِيًا لِبَطْلِ يَوْمُونَ وَيَنْعَمَ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾

﴿وأوحى ربك إلى النحل﴾ أي: ألهما ﴿ومما يعرشون﴾ أي: يبنون ﴿فاسلكي سبل ربك﴾ يعني: طرق ربك التي جعل لك ﴿ذللاً﴾ قال مجاهد: يعني: ذلت لها السبل لا يتوَعَّرُ عليها مكان ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ يعني: العسل ﴿مختلف ألوانه فيه شفاء للناس﴾ أي: دواء .

﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً﴾ يقول: يصير بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئاً .

﴿والله فضل بعضكم على بعض...﴾ الآية، يقول: هل منكم من أحد يكون هو ومملوكه وأهله وماله شركاء سواء؛ أي: أنكم لا تفعلون ذلك بمملوكيكم؛ فالله أحق ألا يشرك به أحد من خلقه .

﴿أفبينما الله يجهلون﴾ على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا ذلك .

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ يعني: نساء ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ تفسير الحسن: الحفدة: الخدم؛ يعني: بذلك ولده وولد ولده؛ يقال: إنهم بنون وخدم .

قال محمد: وأصل الحفد^(١): الخدمة والعمل، ومنه يقال في القنوت:

(ل) (١٧٦) «وإليك نسعى ونحفد»^(٢) أي: نعمل بطاعتك .

(١) حَفَدٌ يَخْفُدُ حَفْدَانًا: أسرع في العمل. لسان العرب (حفد).

(٢) هو في قنوت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انظر مسند الفاروق (١/ ١٦٨ - ١٦٩).

﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ على الاستفهام؛ أي: قد آمنوا بالباطل، والباطل: إبليس ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ هو كقوله: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾^(١).

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون﴾ يعني: الأوثان التي يعبدون؛ هو كقوله: ﴿ولا يملكون لأنفسهم﴾ يعني: الأوثان ﴿ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾^(٢).

﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ فتشبهوا هذه الأوثان الميتة التي لا تحيي ولا تميت ولا ترزق بالله الذي يحيي ويميت ويرزق، ويفعل ما يريد.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٧٦)

﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾ تفسير قتادة: هذا مثل ضربه الله للكافر؛ رزقه الله مالاً فلم يقدم منه خيراً، ولم يعمل فيه بطاعة ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه﴾ وهذا مثل المؤمن أعطاه الله رزقاً حلالاً طيباً، فعمل فيه بطاعته وأخذه بشكر ﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي: أنهما لا يستويان ﴿الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ وهم المشركون.

(١) إبراهيم: ٢٨ .

(٢) الفرقان: ٣ .

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ﴾ أي: لا يتكلم؛ يعني: الوثن ﴿لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ على وليه الذي يتولاه ويعبده؛ أي: أنه عمله بيده وينفق عليه كسبه ﴿أَيْنَمَا يُوْجِهُهُ﴾ هذا العابد له؛ يعني: دعاء إياه ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي﴾ هذا الوثن ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ وهو الله ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو مثل قوله: ﴿إِنْ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١).

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ
 شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى
 الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا
 تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا أَثْنَاءَ مَتْنَعِكُمْ إِلَى
 حِينَ ﴿٨٠﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: يعلم غيب السموات وغيب الأرض ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ بل هو أقرب من لمح البصر، ولمح البصر أنه يلمح السماء؛ وهي على مسيرة خمسمائة عام.

قال محمد: قيل: إن الساعة اسم لإماتة الخلق وإحيائهم؛ فأعلم جلّ وعزّ أن البعث والإحياء في سرعة القدرة على الإتيان بهما كلمح البصر أو هو أقرب؛ ليس يريد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر، والله أعلم.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ كبد السماء ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾ ما يمسكهن

إلا الله ﴿يبين قدرته للمشركين؛ يقول: هل تصنع آلِهتكم شيئاً؟!﴾
 ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكناً﴾ تسكنون فيه ﴿وجعل لكم من جلود
 الأنعام﴾ يعني: من الشعر والصوف ﴿بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم﴾ يعني:
 في سفركم ﴿ويوم إقامتكم﴾ يعني: قراركم في غير سفر ﴿ومن أصوافها
 وأوبارها وأشعارها أثاثاً﴾ قال الأعمش: الأثاث: المال يستمتع به ﴿إلى
 حين﴾ إلى الموت.

قال محمد: وواحد الأثاث: أثاثه^(١)؛ يقال: قد أث الرجلُ يِثُّ أثاً؛ إذا
 صار ذا أثاثٍ، والأثاث: متاع البيت؛ عند أهل اللغة^(٢).

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ
 لَكُم سُرِيرًا بِقِيَمِكُمُ الْحَرَّ وَسَرِيرًا بِتَقِيَمِكُمُ بَأْسَكُم كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ
 آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ
 اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا
 يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْنَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ
 عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالاً﴾ قال قتادة: يعني: من الشجر وغيرها
 ﴿وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ يعني: الغيران التي تكون في الجبال تكنُّ من
 الحر والبرد ﴿وجعل لكم سراويل تقيكم الحر﴾ يعني: من القطن والكتان

(١) ويجمع الأثاث على: الأثاث.

(٢) يقال: أثَّ يِثُّ أثاً وأثوثاً وأثاثاً وأثاثَةً، فهو أثٌّ وأثيثٌ، والجمع: إثاث. لسان العرب
 (أث).

والصوف ﴿وسراييل تقيكم بأسكم﴾ يعني: دروع الحديد تقي القتال .
 ﴿كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾ لكي تسلموا؛ يقول: إن
 أسلمتم تمت عليكم النعمة بالجنة، وإن لم تسلموا لم تتم عليكم النعمة ﴿فإن
 تولوا فإنما عليك البلاغ المبين﴾ أي: ليس عليك أن تهديهم، وكان هذا قبل
 أن يؤمر بقتالهم .

﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ يقول: يعرفون ويقرون أن الله خلقهم،
 وخلق السموات والأرض، وأنه هو الرزاق، ثم ينكرون ذلك بتكذيبهم
 ﴿وأكثرهم الكافرون﴾ يعني: جماعتهم .

﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ يعني: نبياً يشهد عليهم (ل١٧٧) أنه قد
 بلغهم ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون﴾ هي موطن: لا يؤذن لهم
 في موطن في الكلام، ويؤذن لهم في موطن .

﴿وإذا رأى الذين ظلموا العذاب﴾ أي: دخلوا فيه؛ يعني: المشركين ﴿فلا
 يخفف عنهم﴾ العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ سألوا الله أن يؤخرهم، فيردهم
 إلى الدنيا حتى يتوبوا؛ فلم يؤخرهم .

﴿وإذا رآ الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركائنا الذين كنا ندعوا من
 دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَالْقَوَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامُ وَضَلَّ
 عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ
 الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ
 وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَرَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً
 وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ يعني: شياطينهم الذين كانوا يضلونهم في الدنيا ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا ندعو من دُونِكَ﴾ قالوا هذا؛ لأنهم هم الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان ﴿فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾ ألقى بنو آدم إلى شياطينهم القول؛ أي: حدثوهم؛ فقالوا لهم: ﴿إِنكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: أنكم كذبتُمونا في الدنيا وغررتمونا ﴿وَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ السَّلَمَ﴾ أي: استسلموا وآمنوا بالله، وكفروا بالشياطين والأوثان ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ تفسير ابن مسعود: حيات وعقارب لها أنياب مثل النخل الطوال.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ يعني: نبيهم؛ هو شاهد عليهم ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ يعني: أمته ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يعني: ما بين فيه من الحلال والحرام، وكل ما أنزل الله فيه.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩١) ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي تَقْضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٩٢) ﴿

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ يعني: حق القرابة.

قال الحسن: حق الرِّجْم ألا تحرمها ولا تهجرها ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ أي: يبغى بعضهم على بعض.

يحيى: عن خدّاش، عن عُيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنبٍ أجدر أن يُعَجَّل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يُدْخَرُ له في الآخرة من البغى وقطيعة الرحم»^(١).

﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ يعني: تشديدها وتغليظها ﴿ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً﴾ ينهاهم عن نكث العهد؛ يقول: فيكون مثلكم إن نكثتم العهد مثل التى نقضت غزلها من بعد ما أبرمتها، والمرأة التى ضربت مثلاً كانت تغزل الشعير؛ فإذا غزلته نقضته، ثم عادت فغزلته.

قال محمد: (أَنْكَاثًا) منصوب؛ لأنه في معنى المصدر^(٢)، وواحد الأنكاث: نكث^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (٣٦/٥، ٣٨) وابن المبارك في المسند (٩ رقم ١٥) والطيالسي (١٨ رقم ٨٨٠) ووكيع في الزهد (٢٤٣، ٤٢٩) وهناد في الزهد (١٣٩٨) والبخاري في الأدب المفرد (٢٣ رقم ٢٩، ٣٦ رقم ٦٧) وأبو داود (٥/٣١٤ رقم ٤٨٦٦) والترمذي (٤/٥٧٣ رقم ٢٥١١) وابن ماجه (٢/١٤٠٨ رقم ٢٤١١) والبخاري في مسنده (٩/١٢٨ رقم ٣٦٧٨) وابن حبان (٢/٢٠٠-٢٠١ رقم ٤٥٥، ٤٥٦) والحاكم (٢/٣٥٦، ٤/١٦٣) وغيرهم من طريق عيينة بن عبد الرحمن به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحداً يرويه عن النبي ﷺ إلا أبو بكرة، وله عن أبي بكرة طرق، وعيينة حدث عنه شعبة وغيره، بصري معروف.

(٢) إعراب القرآن (٢/٢٢٢)، البحر (٥/٥٣٠-٥٣١).

(٣) يقال: حَبَلَ نَكْثًا وَأَنْكَاثًا؛ أي: منكوث. لسان العرب (نكث).

﴿دَخَلَا بَيْنَكُم﴾ أي: خيانة وغدرًا ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي: أكثر؛ يقول: فتتقضوا عهد الله لقوم هم أكثر من قوم.
قال مجاهد: كانوا يحالفون قومًا فيجدون أكثر منهم وأعز، فينتقضوا حلف هؤلاء ويحالفون الذين هم أعز، فنهوا عن ذلك.
﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾ أي: يختبركم ﴿وَلِيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾ يوم القيامة ﴿مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ من الكفر والإيمان.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَسَلِّتَنَ عَنْمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٩٣) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُم فَتَرْزُلَ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسِنَةَ السَّوْءِ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤) وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّهُ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَانُكَ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)

﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ يعني: على ملة الإسلام.

﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم﴾ تفسير الحسن: يقول: لا تصنعوا كما صنع المنافقون، فتظهروا الإيمان وتسروا الشرك ﴿فتزل قدم بعد ثبوتها﴾ تزل إلى الكفر بعد ما كانت على الإيمان ﴿ولا تشتروا بعهد الله﴾ يعني اليمين

الكاذبة ﴿ثُمَّنَا قَلِيلًا﴾ من الدنيا.

﴿فلنحيينه حياة طيبة﴾ تفسير وهب بن منبه: يعني: القناعة.

﴿فإذا قرأت القرآن...﴾ الآية، قال الحسن: نزلت في الصلاة، ثم صارت سُنة في غير الصلاة؛ إذا أراد أن يقرأ.

﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا﴾ هو كقوله: ﴿ومن يهد الله فما له من مضل﴾^(١).

﴿إنما سلطانه على الذين يتولونه﴾ أي: يطيعونه من غير أن يستطيع أن يكرههم ﴿والذين هم به مشركون﴾ أي: بالله مشركون.

قال محمد (ل ١٧٨) قيل: المعنى: الذين هم من أجله مشركون بالله.

﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧١﴾ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٧٢﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾

﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر﴾ تفسير الحسن: كانت الآية إذا نزلت؛ فعمل بها وفيها شدة، ثم نزلت بعدها آية فيها لين قالوا: إنما يأمر محمد أصحابه بالأمر؛ فإذا اشتد عليهم صرفه إلى غيره، ولو كان هذا الأمر من عند الله لكان أمراً واحداً، وما اختلف ولكنه من قبل

(١) الزمر: ٣٧، ووردت في الأصل: ومن يهد الله فلا مضل له

محمد قال الله: ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ فأخبر أنه نزل به جبريل من عند الله، وأن محمداً لم يفتر منه شيئاً.

﴿ولقد نعلم أنهم يقولون﴾ يعني: مشركي العرب ﴿إنما يعلمه بشر﴾ يعنون: عبداً لابن الحضرمي، وكان رومياً صاحب كتاب - في تفسير قتادة - اسمه: حَبْرٌ.

وقال بعضهم: هو عداسُ غلام عتبة بن ربيعة.

قال الله: ﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾ أي: يميلون إليه ﴿أعجمي﴾ وهذا لسان عربي مبين ﴿فأكذبهم﴾.

﴿إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله﴾ هؤلاء الذين لا يريد الله أن يهديهم يلقونه بكفرهم.

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَافِقُونَ﴾ (١٠٨) لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّكَ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّكَ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٠)

﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ أي: راض به؛ نزلت في عمار بن ياسر وأصحابه؛ أخذهم المشركون، ووقفوهم على الكفر بالله ورسوله، فخافوا منهم؛ فأعطوهم ذلك بأنفواهم.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني: الذين يلقون الله بكفرهم .
 ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ تفسير الحسن: هم قوم كانوا بمكة، فعرضت لهم فتنة؛ فارتدوا عن الإسلام وشكوا في نبي الله، ثم إنهم أسلموا وهاجروا إلى رسول الله بالمدينة، ثم جاهدوا معه وصبروا .
 ﴿وَلَكِنْ مِنْ شَرِّ مَا كَفَرْتَ بِالْكَافِرِ﴾ قال محمد: يعني: فتح له بالقبول صدره .

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١١١) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا مِنْ مَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا لِنِعْمَتِ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥)﴾

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ تفسير الحسن: إن كل نفس توقف بين يدي الله للحساب، ليس يسألها عن عملها إلا الله ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أما الكافر فليس له من حسناته في الآخرة شيء قد استوفاهما في الدنيا، وأما سيئاته فيؤفاها في الآخرة يُجازى بها النار، وأما المؤمن فهو الذي يوفى الحسنات في الآخرة، وأما سيئاته فإن منهم من لم يخرج من الدنيا حتى ذهب سيئاته بالبلاء والعقوبة، ومنهم من يبقى عليه من سيئاته، فيفعل الله فيه ما يشاء .

﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة...﴾ إلى قوله: ﴿وهم ظالمون﴾ القرية: مكة، والرسول: محمد؛ كفروا بأنعم الله؛ فكذبوا رسوله ولم يشكروا. وقوله: ﴿فأذاقها الله لباس الجوع والخوف﴾ يعني: الجوع الذي عذبوا به بمكة قبل عذابهم يوم بدر، ثم عذبهم الله بالسيف يوم بدر، وأما الخوف: فبعد ما خرج النبي ﷺ عنهم.

﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ يعني: ما أحل من الرزق .
﴿وما أهل لغير الله به﴾ يعني: ذبائح المشركين، ثم أحل ذبائح أهل الكتاب ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد﴾ قد مضى تفسيره.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام﴾ .

قال محمد: المعنى: ولا تقولوا لوصف ألسنتكم الكذب: هذا حلال وهذا حرام؛ يعني: ما حرموا من الأنعام والحرث، وما استحلوها من أكل الميتة.
﴿متاع قليل﴾ أي: أن الذي هم فيه من الدنيا ذاهبٌ ﴿ولهم عذاب أليم﴾ في الآخرة ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا عليهم﴾ بكفرهم ﴿ما قصصنا عليك من قبل﴾ يعني: ما قص في سورة الأنعام ما حرم عليهم بقوله: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر...﴾^(١) الآية.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِنِعْمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (ل ١١٩) من بعد تلك الجهالة؛ إذا تابوا منها ﴿لغفور رحيم﴾ فكلُّ ذنبٍ عمله العبد فهو منه جهلٌ .

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ والأمة: السيد في الخير الذي يُعَلِّمُ الخير ﴿قَانِتًا﴾ مطيعًا ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مخلصًا .

﴿اجْتَبَاهُ﴾ اختاره ﴿وهداه إلى صراط مستقيم﴾ .

﴿وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ كقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾^(١) فليس من أهل دين إلا وهم يتولَّونه ويرضونه .

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَدِّثْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٧٨﴾

﴿إنما جعل السبب على الذين اتَّقَوْا فيه﴾ تفسير قتادة: استحل به بعضهم، وحرَّمه بعضهم ﴿وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة﴾ وحكمه فيهم أن يدخل المؤمنين منهم الجنة، ويدخل الكافرين النار .

﴿ادع إلى سبيل ربك﴾ دين ربك ﴿بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ يعني: القرآن ﴿وجادلهم بالتتي هي أحسن﴾ يأمرهم بما أمرهم الله به، وينهاهم عما نهاهم الله عنه .

﴿وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ تفسير ابن عباس: قال: «لما كان يوم أحد مثل المشركون بحمزة، وقطعوا مذاكره، فلما رآه النبي ﷺ جزع عليه جزعاً شديداً، فأمر به فغطى ببردة كانت عليه، فمدّها على وجهه ورأسه، وجعل على رجله إذخراً^(١)، ثم قال: لأمثلن بثلاثين من قريش. فأنزل الله: ﴿وإن عاقبتهم...﴾ إلى قوله: ﴿وما صبرك إلا بالله﴾ فصبر رسول الله ﷺ ونهى عن المثلّة^(٢) .

(١) هو حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب، وهمزتها زائدة. ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٣/١).

(٢) رواه العقيلي في الضعفاء (١/٢٤٠ - ٢٤١) والدارقطني في سننه (٤/١١٨ رقم ٤٧) والواحدي في أسباب النزول (ص ٢١٠) من طريق إسماعيل بن عياش، عن عبد الملك بن أبي غنية أو غيره، عن الحكم بن عتيبة، عن مجاهد، عن ابن عباس رضيهما الله عنهما. قال العقيلي: قال أبو عبد الرحمن - يعني: عبد الله بن الإمام أحمد - فحدثت أبي، فقال: هذا من حديث الحسن بن عمار، ليس من حديث ابن أبي غنية، هو اتقى لله من أن يحدث مثل هذا. اهـ.

وقال الدارقطني: لم يروه غير إسماعيل بن عياش، وهو مضطرب الحديث عن غير الشاميين. اهـ.

ورواه الإمام أبو قرّة موسى بن طارق الزبيدي في سننه عن الحسن بن عمار، عن الحكم بن

﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا؛ يعني: المشركين ﴿ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾ أي: لا يضيق صدرك بمكرهم وكذبهم عليك؛ فإن الله معك و﴿مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾.



= عتية مثله سواء. التعليق المغني على سنن الدارقطني (١١٨/٤).
ورواه الطبراني في الكبير (١١/٦٢ - ٦٣ رقم ١١٠٥١) من طريق أحمد بن أيوب بن راشد،
عن عبد الأعلى، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي والحكم بن عتية، عن
مقسم ومجاهد، عن ابن عباس.
قال الهيثمي في المجمع (١٢٠/٦): وفيه أحمد بن أيوب بن راشد، وهو ضعيف.
ورواه الدارقطني (٤/١١٦ رقم ٤٢) من طريق عبد العزيز بن عمران، عن أفلح بن سعيد،
عن محمد بن كعب، عن ابن عباس. وقال الدارقطني: عبد العزيز بن عمران ضعيف. اهـ
ورواه الطحاوي في شرح المعاني (٣/١٨٣) والبيهقي في الدلائل (٣/٢٨٨) والواحدي في
أسباب النزول (ص ٢١١) من طريق يحيى الحماني، عن قيس، عن ابن أبي ليلى وعن
الحكم، عن مقسم عن ابن عباس رضي الله عنه.
وله شاهد عن أبي هريرة، أشرت إلى من خرجه في تخريج تفسير أبي المظفر السمعاني (٣/٢١١).

نفسناير القرآن العزيز

لابن أبي زَمَنِين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين
(٣٢٤ - ٣٩٩ هـ)

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة محمد بن مصطفى الكمر

المجلد الثالث

الأسراء - الأحزاب

الناشر
المركز الثقافي العربي - بيروت - دمشق

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو إعادة
طبعه أو تصويره أو اختزان مادته العلمية
بأى صورة دون موافقة كتابية من الناشر .

الناشر : **الإذاعة والمطبعة والنشر**

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : **تفسير القرآن العزيز**

تأليف : **أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زَمَنِين**

تحقيق : **حسين بن عكاشة و محمد مصطفى الكنز**

رقم الإيداع: ١٧٧٧٦ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي: 977-5704-69-3

الطبعة : الأولى

سنة النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

طباعة : **الإذاعة والمطبعة والنشر**



تفسير سورة سبحان، وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي

بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾

قوله: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾ يعني: محمدًا ﷺ ﴿لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ يعني: بيت المقدس .

﴿لنريه من آياتنا﴾ يعني: ما أراه الله ليلة أسري به .

قال محمدٌ: معنى (أسري به) أي: سيره؛ ولا يكون السرى إلا لَيْلًا، وفيه لغتان: سرى وأسرى^(١).

يحيى: [عن حماد]^(٢) عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى، أن رسول الله ﷺ قال: «بينما أنا عند البيت؛ إذ أتيت فشُق النحر فاستخرج القلب، فغسل بماء زمزم، ثم أعيد مكانه، ثم أتيت بدابة أبيض، يقال له: البراق؛ فوق الحمار ودون البغل مضطرب الأذنين، يقع خطوه عند منتهى طرفه، فَحُمِلْتُ عليه، فسار بي نحو بيت المقدس فإذا مناد ينادي عن يمين

(١) يقال: سرى يسرى سُرَى ومُسْرَى. ولغة أهل الخجاز (أسرى) وجاء القرآن باللغتين جميعًا كما في قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده﴾، ويقولون: ﴿والليل إذا يسر﴾. لسان العرب، مختار الصحاح (سرى).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت مما تقدم في تفسير سورة البقرة؛ فقد أورد المؤلف هناك هذا الحديث مختصرًا، والله أعلم.

الطريق: يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ^(١)، يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، فمضيت ولم أعرج عليه، ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق: يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ^(٢)، فمضيت ولم أعرج عليه، ثم إذا أنا بامرأة على قارعة الطريق—أحسبه قال: حسناء—(حَمَلًا)^(٣) عليها من كل الحلي والزينة، ناشرة شعرها رافعة يديها تقول: يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، فمضيت ولم أعرج عليها، حتى انتهيت إلى بيت المقدس، فأوثقت الدابة بالحلقة التي توثق بها الأنبياء، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فأتاني جبريل بإناءين: إناء من لبن، وإناء من خمر، فتناولت اللبن، فقال: أصبت الفطرة، ثم قال لي جبريل: يا محمد، ما رأيت في رحلتك هذه؟ قال: سمعت منادياً ينادي عن يمين الطريق: يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ (ل ١٨٠) يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ قال: فما صنعت، قلت: مضيت ولم أعرج عليه. قال: ذاك داعية اليهود؛ أما إنك لو عرَّجْتَ عليه، لتهودت أمتك. قلت: ثم إذا أنا بمنادٍ ينادي عن يسار الطريق: يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، يا محمد، على رَسْلِكَ اسْلُكْ، فما صنعت؟ قال: مضيت ولم أعرج عليه. قال: ذاك داعية النصارى؛ أما إنك لو عرجت عليه لتنصرت أمتك. قلت: ثم إذا أنا بامرأة—أحسبه قال: حسناء—(حَمَلًا)^(٣) عليها من كل الحلي

(١) كذا ضبطت في الأصل، وفي مصادر التخريج: أسألك.

(٢) كذا في الأصل، تكررت هذه الجملة أربع مرات، ولعل الرابعة زائدة، والله أعلم.

(٣) هكذا في الأصل، ولعل صوابها: تحمل أو حاملة. والله أعلم.

والزينة، ناشرة شعرها رافعة يديها تقول: يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك، يا محمد، على رسلك اسلك. قال: فما صنعت؟ قلت: مضيت ولم أعرج عليها. قال: تلك الدنيا؛ إما أنك لو عرّجت عليها لملت إلى الدنيا. ثم أتينا بالمعراج؛ فإذا أحسن ما خلق الله، فقعنا فيه، فعرج بنا حتى انتهينا إلى سماء الدنيا، وعليها ملك يقال له: إسماعيل جُنْدُه سبعون ألف ملك، جند كل ملك سبعون ألف ملك، ثم تلا هذه الآية: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾^(١). فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بُعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحبًا به، وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاء. ففتح لنا فأتيت على آدم، فقلت: يا جبريل، من هذا؟ قال: هذا أبوك آدم. فرحب بي، ودعا لي بخير. قال: وإذا الأرواح تعرض عليه؛ فإذا مرّ به روح مؤمن، قال: روح طيب وريح طيبة، [وإذا]^(٢) مرّ به روح كافر قال: روح خبيث وريح خبيثة! قال: ثم مضيت فإذا أنا بأخاوين^(٣) عليها لحومٌ منتنة، وأخاوين عليها لحومٌ طيبة، وإذا رجالٌ ينهشون اللحوم المنتنة، ويدعون اللحوم الطيبة. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الزُّنَاة؛ يدعون الحلال ويتبعون الحرام. قال: ثم مضيت فإذا برجالٍ تُفَكُّ أَلْحِيَّتُهُمْ، وآخرون يجيئون بالصخور من النار، فيقذفونها في أفواههم، فتخرج من أديبارهم. قال: قلت: من هؤلاء

(١) المدثر: ٣١.

(٢) في الأصل: (فإذا).

(٣) واحدها: جَوَان - بالكسر - وهو الذي يؤكل عليه مُعَرَّب، والضم لغة فيه؛ نقلها الفارابي. قال: والكسر أفصح. ويجمع أيضًا على: أخوة، وخون. لسان العرب، مختار الصحاح (خون).

يا جبريل؟! قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (١)؛ ثم مضيت فإذا أنا بقوم يقطع من لحومهم بدمائهم فيضفزونها (٢) ولهم جوار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الهمّازون اللّمّازون. ثم تلا هذه الآية: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ (٣) وإذا أنا بنسوةٍ معلقاتٍ بثديهنَّ - وأحسبه قال: وإذا حيّاتٌ وعقاربٌ تنهشُنَّ - فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الطُّورَة (٤) يقتلن أولادهنَّ. قال: ثم أتيت على سابلة آل فرعون حيث ينطلق جمعٌ إلى النار يعرضون عليها غدواً وعشيا؛ فإذا رأوها قالوا: ربنا لا تقوم الساعة؛ لما يرون من عذاب الله، وإذا أنا برجال بطونهم، كالبيوت يقومون فيقعون لظهورهم وبطونهم، يأتي عليهم آل فرعون فيشردونهم بأرجلهم ثرداً، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء أكلة الربا. ثم تلا هذه الآية: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (٥) ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل. فقليل: من هذا؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أَوْ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به، وإنه لنعم المجيء جاء. ففتح لنا؛ فإذا أنا بابني الخالة: (ل ١٨١) يحيى وعيسى،

(١) النساء: ١٠.

(٢) أي: يدفعونها في أفواههم، ويلقمونها إياهم، يقال: ضفرت البعير إذا علفته الضفائر، وهي اللقم الكبار، الواحدة: ضفيرة. النهاية (٣/٩٤).

(٣) الحجرات: ١٢.

(٤) جمع ظئر، وهي المرضعة غير ولدها، ويطلق على زوجها أيضاً، أي على المذكر والمؤنث، ويجمع أيضاً على أَظْؤُرَ وَأَظَارَ.

(٥) البقرة: ٢٧٥.

فرحبا بي ودعوا لي بخير، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، ففتح لنا؛ فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أُعطي شطر الحُسن. قال: فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بُعث [إليه] ^(١) قال: نعم. قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا؛ فإذا أنا بإدريس، فرحّب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون وإذا بلحيته شطران: شطر أبيض وشطر أسود، فقلت: من هذا يا جبريل؟! قال: هذا المحبّب في قومه، وأكثر من رأيت تبعاً. قال: فرحّب بي ودعا لي بخير. قال: ثم عُرج بنا حتى انتهينا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم. قالوا: مرحباً به، ولنعم المجيء جاء، ففتح لنا؛ فإذا أنا بموسى، وإذا هو رجلٌ أشعر. فقلت: من هذا يا جبريل؟! قال: هذا أخوك موسى. قال: فرحّب بي ودعا لي بخير، قال: فمضيت، فسمعت موسى يقول: يزعم بنو إسرائيل أنني أكرم الخلق على الله، وهذا أكرم على الله مني. ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟

(١) في الأصل: عليه.

قال: محمد؟ قيل: أو قد بعث إليه، قال: نعم. قالوا: مرحبًا به، ولنعم المجيء جاء، ففتح لنا فأتيت على إبراهيم وإذا هو مستند إلى البيت المعمور. ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى أن تقوم الساعة. قلت: من هذا يا جبريل؟! قال: هذا أبوك إبراهيم. فسلمت عليه؛ فرحب بي ودعا لي بخير. وإذا أمتي عنده شطران: شطرٌ عليهم ثيابٌ بيض، وشطرٌ عليهم ثيابٌ رُمْدُ؛ فدخل أصحاب الثياب البيض، واحتبس الآخرون. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟! فقال: هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً وعملاً سيئاً، وكل على خير، ثم قيل: هذه منزلتك ومنزلة أمتك، ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنْ أُولَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِي الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) قال: ثم انتهينا إلى السُدرة المنتهى؛ فإذا هي أحسن ما خلق الله، وإذا الورقة من ورقها لو غُطيت بها هذه الأمة لغطتهم، ثم انفجر من تحتها السلسيل، ثم انفجر من السلسيل نهران: نهر الرحمة، ونهر الكوثر، فاغتسلت من نهر الرحمة فغفر الله لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، ثم أعطيت الكوثر فسلكته حتى إنه ليجري في الجنة؛ فإذا طيرها كالبيخت؟ قال: ونظرت إلى جارية، فقلت: لمن أنت يا جارية؟ فقالت: لزيد بن حارثة. قال: ثم نظرت إلى النار، (فإذا)^(٢) عذاب ربي لشديد لا تقوم له الحجارة ولا الحديد، قال: ثم رجعت إلى السدرة المنتهى، فغشيها من أمر الله ما غشى، ووقع على كل ورقة ملك، وأيدها الله بأيده، وفرض عليّ في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فرجعت إلى موسى، فقال: ماذا فرض عليك ربك؟ فقلت: فرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة. فقال: (ل ١٨٢) ارجع إلى ربك فسله التخفيف؛

(١) آل عمران: ٦٨ .

(٢) في الأصل: (فإذا إن).

فإن أمتك لا تطيق ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، فرجعت إلى ربي فقلت: أي ربي حُط عن أمتي؛ فإن أمتي لا تطيق ذلك، فحطّ عني خمسًا. قال: فرجعت إلى موسى فقال لي: ما فرض عليك ربك؟ قلت: حط عني خمسًا، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك، قال: فرجعت إلى ربي فحطّ عني خمسًا قال: فلم أزل أختلف ما بين ربي وموسى حتى قال: يا محمد، لا تبديل؛ إنه لا يبدّل القول لدي، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة؛ لكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة، قال: فرجعت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف. قلت: قد راجعته حتى استحييت^(١).

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده - كما في إتحاف الخيرة (١/١٤٧-١٥٠ رقم ١٤٦) -

عن داود بن المحبر عن حماد بن سلمة به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١/٣٦٥-٣٧٠) والطبري في تفسيره (١٥/١١-١٤) وابن أبي

حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٣) - والبيهقي في دلائل النبوة (٢/٣٩٠-٣٩٦)

(٣٩٦) - ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/٥٠٩-٥١٦) - والبغوي في تفسيره (١/٣٤١)

والأصبهاني - كما في الترغيب والترهيب (٣/٩) - من طرق عن أبي هارون العبدى.

وضعفه البيهقي، وقال المنذري في الترغيب (٣/٩): رواه الأصبهاني أيضًا من طريق أبي

هارون العبدى، واسمه: عمارة بن جوين، وهو واه.

وقال الذهبي في السيرة النبوية (٢٢٥ - ٢٢٦): هذا حديث غريب عجيب، وسياق مثل هذا

الحديث صار أبو هارون متروكًا.

وذكر ابن كثير في تفسيره (٣/١٣) أن فيه غرابة ونكارة، وأن أبا هارون العبدى اسمه: عمارة

ابن جوين، مضعف عند الأئمة.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (١/١٥٠): هذا حديث مداره على أبي هارون العبدى،

وهو ضعيف.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٤/١٥٨) لابن المنذر وابن مردويه أيضًا.

وروى الطبراني في المعجم الصغير (٢/٧٠) وأبو الشيخ في العظمة (٣/٨٦١ رقم ٤٠٢) من

طريق أبي هارون العبدى عن أبي سعيد «أن النبي ﷺ حين عرج به قال: إن في السماء لملكًا

يقال: له إسماعيل، على سبعين ألف ملك، كل ملك منهم على سبعين ألف ملك» فقط. =

﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿١﴾ ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٢﴾ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ﴿٣﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ رَّيِيَّةٍ وَجَعَلْنَكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٥﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَيُوهَمَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٦﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وجعلناه هدى لبني إسرائيل﴾ يعني: لمن آمن به ﴿ألا تتخذوا من دوني وكيلا﴾ يعني: رباً؛ في تفسير بعضهم ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ أي: يا ذرية؛ لذلك انتصب (١).

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أي: أعلمناهم ﴿لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلمن علواً كبيراً﴾ يعني: لتفهرن قهراً شديداً ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ يعني: أولى العقوبتين ﴿بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾ قال قتادة: عوقب القوم على علوهم وفسادهم، فُبِعِثَ عليهم في الأولى جالوت الخزري، فسبى وقتل وجاسوا خلال الديار.

= قال الهيثمي في المجمع (١/٨١): رواه الطبراني في الصغير، وفيه أبو هارون، واسمه عمارة بن جوين، وهو ضعيف جداً.

(١) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من: البحر (٦/٢-٣)، الدر المصون (٤/٣٧٠).

قال محمد: معنى (جاسوا): طافوا؛ الجَّوَسُ طلب الشيء باستقصاء^(١).
﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ كائنًا ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ أي: عددًا؛ ففعل ذلك بهم في زمان داود يوم طالوت .

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ يعني: آخر العقوبتين ﴿لِيسُوءِ وَأَوْجُوهِكُمْ﴾ وهي تقرأ (لِيسُوءٍ) أي: لیسوء الله وجوهكم^(٢) ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ يعني: بيت المقدس ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّوا مَا عَلُوا تُبِيرًا﴾ أي: وليفسدوا ما غلبوا عليه إفسادًا؛ يقال: إن إفسادهم الثاني: قتل يحيى بن زكريا، فبعث الله عليهم بختنصر، عدا به عليهم؛ فخرَّب بيت المقدس، وسبى وقتل منهم سبعين ألفًا.

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ قال قتادة: فعاد الله بعائده^(٣) قال: ﴿وإن عدتُم عدنا﴾ عليكم بالعقوبة، قال الحسن: (أعاده)^(٤) عليهم بمحمد؛ فأذلَّهم بالجزية.

﴿وجعلنا جهنم للكافرين حصيرًا﴾ قال قتادة: يعني: سجنًا.

﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ

(١) يقال: جاس يجوس جوسًا، ومثله: اجتاس. لسان العرب (جوس).

(٢) وهي قراءة ابن عامر وحزمة وأبي بكر عن عاصم، وانفرد أبو زرعة في (الحجّة) بذكر الكسائي. ينظر: السبعة (٣٧٨)، والنشر (٣٠٦/٢) الحجّة لأبي زرعة (٣٩٧)، الدر المصون (٣٧٣/٤).

(٣) العائدة: العطف والمنفعة؛ يقال: فلان ذو صفح وعائدة؛ أي: ذو عفو وتعطف. لسان العرب، مختار الصحاح (عود).

(٤) في الأصل: (عاده)، والمراد: أعاد العذاب والعقوبة.

لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ
الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوًا
آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ
وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾

﴿إن هذا القرآن يهدي﴾ أي: يدعو ﴿للتي هي أقوم﴾ أي: أصوب.
﴿ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير﴾ يقول: يدعو بالشر على نفسه وعلى
ولده وماله؛ كما يدعو بالخير؛ ولو استجاب الله له لأهلكه.
﴿وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل﴾ يقال: محي من ضوء القمر
من مائة جزء تسعة وتسعون جزءًا وبقي جزء واحد ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾
أي: منيرة ﴿لتبتغوا فضلًا من ربكم﴾ يعني: بالنهار ﴿ولتعلموا عدد السنين
والحساب﴾ بالليل والنهار ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلًا﴾ تفسير الحسن: فصلنا
الليل من النهار، وفصلنا النهار من الليل، والشمس من القمر، والقمر من
الشمس.

قال محمد: (كل) ^(١) منصوب بمعنى: وفصلنا كل شيء فصلناه ^(٢).

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ لِّزَمَتِهِ لَظْمُهُ فِي غُنْفِهِ وَيَخْرُجُ لَوْ يَوْمَ الْاِقْلَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾
أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن آهَتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا

(١) في الأصل: (كلًا) والصواب ما أثبتناه؛ لأن التعليق على قوله تعالى: ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلًا﴾.

(٢) ينظر: البحر المحيط (١٤/٦)، الدر المصون (٣٧٦/٤).

أَرَدْنَا أَنْ تُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٢﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٣﴾

﴿وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ قال الحسن: يعني: عمله..

قال محمد: المعنى: ألزمناه حظه من الخير والشر، وإنما قيل للحظ من الخير والشر: طائر؛ لقول العرب: جرى له طائر باليمن، وجرى بالشر، والعرب تقول لكل ما لزم الإنسان: قد لزم عنقه، وهذا لك في عنقي حتى أخرج منه؛ (ل ١٨٣) فخطبهم الله بما يستعملونه.

﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيياً﴾ قال قتادة: سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا.

قال محمد: (حسيياً) تميز^(١)؛ وهو في قول بعضهم بمعنى: محاسب^(٢).

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يقول: لا يحمل أحدٌ ذنب أحدٍ.

قال محمد: وأصل الوزر: الحمل، وكذلك الإثم وزر؛ لأنه ثقلٌ على صاحبه^(٣).

﴿وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا﴾ تفسير الحسن: لا يعذب قوماً بالاستئصال حتى يحتج عليهم بالرسول.

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ تفسير قتادة: أكثرنا جبابرتها،

(١) ينظر: البحر (١٥/٦)، الدر المصون (٣٧٧/٤).

(٢) أي: فعيل بمعنى فاعل، وهذا كثير في الكلام.

(٣) ينظر: لسان العرب (وزر).

(٤) قرأ العامة (أمرنا) بالقصر والتخفيف. وقرأ (أمرنا) بالمد علي بن أبي طالب وابن أبي إسحاق وأبو رجاء وغيرهم ورويت هذه القراءة عن نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وعاصم من السبعة. ينظر: السبعة (٣٧٩)، والنشر (٣٠٦/٢)، الدر المصون (٣٧٩/٤).

وكان الحسن يقرأها: (أمرنا)^(١) وهو من الكثرة أيضًا. قال قتادة: (أمرنا) مخففة على تقدير: فعلنا، وقراءة الحسن (أمرنا) ممدودة الألف.

قال يحيى: وكان ابن عباس يقرأها (أمرنا) بالثقل من قبل الإمارة^(٢).

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾

﴿من كان يريد العاجلة﴾ وهو المشرك لا يريد إلا الدنيا، لا يؤمن بالآخرة ﴿عجلنا له...﴾ إلى قوله: ﴿مدحورًا﴾ أي: مبعدا من رحمة الله ﴿كلًا نمد هؤلاء وهؤلاء...﴾ يعني: المؤمنين والمشركين إلى قوله: ﴿محظورًا﴾ أي: ممنوعًا.

قال محمد: (كلًا) منصوب بـ(نمد) و(هؤلاء) بدل من (كل) المعنى: نمد هؤلاء وهؤلاء.

﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الدنيا ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلًا﴾.

﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَحْذُورًا﴾ (٢٢) وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَمْرًا

(١) وهي قراءة علي أيضًا وأبي عثمان النهدي، ورويت عن عاصم وأبي عمرو من السبعة. ينظر: السبعة (٣٧٩) الدر المنون (٤/٣٧٩).

وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ وَذِكْرُكُمْ أَكْبَرُ يَمَا فِي نَفْسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَمَاتِذَا الْفَرْقِ حَقُّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا بُدَّز تَبَذَّرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا﴾ فِي نَقْمَةِ اللَّهِ ﴿مَخْذُولًا﴾ فِي عَذَابِ اللَّهِ .

﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا﴾ أي: وأمر بالوالدين إحسانًا؛ يعني: برًا ﴿إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف﴾ تفسير الحسن: يقول: إن بلغا عندك الكبر أو أحدهما، فوليت منهما ما وليا منك في صغرك فوجدت منهما ريحًا تؤذيك؛ فلا تقل لهما: أف. قال محمد: وقيل: المعنى: لا تقل لهما ما فيه أدنى تبرم.

﴿ولا تنهرهما﴾ لا تغلظ لهما القول ﴿وقل لهما قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: ليّنًا سهلًا ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ أي: لا تمتنع من شيء أحباه ﴿وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا﴾ هذا إذا كانا مسلمين، وإذا كانا كافرين فلا تقل: رب ارحمهما.

يحيى: عن سعيد بن عبد العزيز، عن مكحول؛ «أن رسول الله ﷺ أوصى بعض أهله فكان فيما أوصاه: أطع والدك، وإن أمراك أن تخرج من

(١) رواه عبد بن حميد في مسنده (٤٦٢ رقم ١٥٩٤) وأبو يعلى - كما في إتحاف الخيرة (٣/ ٤١٢ رقم ٣٠٠٢/٣) - والبيهقي في سننه (٣٠٤/٧) وغيرهم من طريق سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن أم أيمن رضي الله عنها.

وقال البيهقي: في هذا إرسال بين مكحول وأم أيمن.

مالك كله؛ فافعل^(١).

يحيى: عن المعلى، عن أبان بن أبي عيَّاش، عن محمد بن المنكدر، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أصبح مرضيًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أمسى مثل ذلك، وإن كان واحدًا^(٢) فواحد، ومن أصبح مسخطًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، ومن أمسى مثل ذلك،

= ورواه الطبراني في الأوسط (٥٨/٨ رقم ٧٩٥٦) عن معاذ بن جبل.
قال المنذري في الترغيب (٣٨٣/١): رواه الطبراني في الأوسط، ولا بأس بإسناده في المتابعات.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠٥/١): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عمرو بن واقد، ضعفه البخاري وجماعة، وقال الصوري: كان صدوقًا.

وقال ابن كثير في تفسيره (١٨٨/٢): وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه بسنده عن أبي الدرداء وعن عبادة بن الصامت كل منهما يقول: «أوصاني خليلي رسول الله ﷺ: أطع والديك وإن أمراك أن تخرج لهما من الدنيا فافعل» ولكن في إسنادهما ضعف، والله أعلم.

(١) أي: وإن كان أحد الأبوين.

(٢) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٣٥/١١ رقم ٢٠١٢٨) عن معمر عن أبان عن سعد بن مسعود أو غيره عن ابن عباس به.

ورواه هناد في الزهد (٢/٤٨٥ رقم ٤٨٦ رقم ٩٩٣) من طريق أبي سنان سعيد بن سنان عن رجل عن ابن عباس به.

ورواه البيهقي في الشعب (٢٠٦/٦ رقم ٧٩١٦) - ومن طريق ابن عساكر في تاريخه (٣٣/٣٦٥) من طريق عبد الله بن يحيى السرخسي عن سعيد بن يعقوب الطلقاني عن عبد الله بن المبارك عن يعقوب بن القعقاع عن عطاء عن ابن عباس.

قال العراقي في تخريج الإحياء (٢/٢٣٦): رواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس، ولا يصح. اهـ.

وذكره ابن حجر في لسان الميزان (٤/٣٧٣) في ترجمة عبد الله بن يحيى السرخسي، وقال: رجاله ثقات أثبات غير هذا الرجل؛ فهو آفته. اهـ.

ورواه أبو خيثمة زهير بن حرب عن شابة عن المغيرة بن مسلم عن عطاء عن ابن عباس به. وسئل عنه أبو زرعة فقال: المغيرة لم يسمع من عطاء شيئًا، وهو مرسل. علل الحديث لابن

أبي حاتم (٢/٢١١ رقم ٢١٢٣).

وإن كان واحدًا فواحد؛ وإن ظلمناه، وإن ظلمناه، وإن ظلمناه»^(١).

﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ من بر الوالدين ﴿إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا﴾ الأواب: الراجع عن ذنبه.

﴿وأت ذا القربى حقه﴾ يعني: ما أمر الله به من صلة القرابة ﴿والمسكين وابن السبيل﴾ نزلت قبل أن تسمى الأصناف الذين تجب لهم الزكاة ﴿ولا تبذر تبذيرًا﴾ يقول: لا تنفق في غير حق ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين﴾ يعني أنفقوا له ومن [أنفق]^(٢) لغير الله لا يقبله الله، وإنما هو لشیطان.

﴿وإما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهن قولا ميسورا﴾ ٢٨ ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا﴾ ٢٩ ﴿إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر إنهم كان يعبادوه خيرا بصيرا﴾ ٣٥ ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قلنهم كان خطئا كبيرا﴾ ٣١ ﴿ولا تَقْرُبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا كَانَ فَرْجًا وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ٣٢ ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنهم كان منصورا﴾ ٣٣ ﴿ولا تقرّبوا مال اليتيم إلا إلىٰ بهي أحسن حتىٰ يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان مشكولا﴾ ٣٤ ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقياس المستقيم ذلك خير

= ورواه الدولابي في الكنى (٢/ ٢٨٣ رقم ٢٧٢٥) من طريق مكبر - رجل من أهل الشام - عن

الوضين بن عطاء عن يزيد بن مرثد عن ابن عباس مرفوعا مختصرا.

ورواه البخاري في الأدب المفرد (١٥ رقم ٧) والبيهقي في الشعب (٦/ ٢٠٦ رقم ٧٩١٦) من

طريق سليمان التيمي عن سعد القيسي عن ابن عباس موقوفا.

ورواه الدارقطني في الأفراد أطرف الأفراد (٣/ ٨٤ رقم ٢٠١٥).

(١) زيادة من عندي يقتضيها السياق. لعلها سقطت من الأصل.

وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقُفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمِشْ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾

﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها﴾ يعني: انتظار رزق الله
﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾ يعني: أن يقول للسائل: يرزقنا الله وإياك ﴿ولا
تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾ قال الحسن: يقول: لا تكن [بخيلاً منوعاً] ^(١)
فيكون مثلك مثل الذي غُلَّتْ يده إلى عُنُقِهِ (ل ١٨٤) ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾
فتنفق في غير برٍّ ﴿فتتعد ملوماً﴾ في عباد الله لا تستطيع أن [تسع] ^(٢) الناس
﴿محسوراً﴾ أي: قد ذهب ما في يدك.

قال محمد: المحسور والحسير الذي قد بالغ في التعب والإعياء؛ المعنى:
تحسرك العطية وتقطعك ^(٣).

﴿إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي: يضيق ﴿ولا تقتلوا
أولادكم﴾ يعني: الموءودة ﴿خشية إملاق﴾ يعني: الفاقة ^(٤) ﴿إن قتلهم كان
خطأ﴾ ذنباً ﴿كبيراً﴾.

﴿ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً﴾ يعني: القود ^(٥)، إلا أن يعفو
الولي أو يرضى بالدية إن أعطيها ﴿فلا يسرف في القتل﴾ أي: لا يقتل غير
قاتله ﴿إنه كان منصوراً﴾ أي: ينصره السلطان حتى يُقَيِّدَهُ منه ﴿ولا تقربوا

(١) طمس في الأصل. والمثبت من تفسير ابن كثير (٦٧/٥).

(٢) في الأصل: (توسع).

(٣) وهو من الفعل: حَسَرَ يَحْسُرُ حسارة؛ أي: كلٌّ: فهو حسير. لسان العرب (حسر).

(٤) أي: الفقر والحاجة. لسان العرب (فوق).

(٥) القود: القصاص. لسان العرب (قود).

مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ يعني: أن يوفر ماله حتى إذا بلغ أشده دُفِعَ إليه ماله إن آنس منه الرشد.

قال قتادة: لما نزلت هذه الآية، اشتدت عليهم، فكانوا لا يخالطونهم في مطعم ولا نحوه؛ فأنزل الله بعد ذلك: ﴿وإن تخالطوهم فأخوانكم في الدين﴾^(١).

﴿وأوفوا بالعهد﴾ يعني: ما عاهدوا عليه فيما وافق الحق ﴿إن العهد كان مستولاً﴾ يُسأل عنه الذين أعطوه ﴿وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير﴾ إذا أوفيتم الكيل، وأقيمت الوزن ﴿وأحسن تأويلاً﴾ يعني: عاقبة الآخرة. ومعنى (القسطاس): العدل^(٢).

﴿ولا تقف ما ليس لك به علم...﴾ الآية، تفسير الحسن: لا تقف أخاك المسلم من بعده إذا مرّ بك؛ فتقول: إني رأيت هذا يفعل كذا، وسمعت هذا يقول كذا؛ لما لم تسمع ولم تر.

قال محمد: أصل الكلمة من قولك: قَفَوْتُ الأثرَ أَقْفُوهُ قَفْوًا؛ إذا اتَّبَعْتَهُ^(٣) فمعنى الآية: لا تتبعن لسانك من القول ما ليس لك به علم؛ وهو الذي أراد الحسن.

﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولاً﴾ يُسأل السمع عما سمع، والبصر عما أبصر، والقلب عما عزم عليه.

قال محمد: كل جمع أشرت إليه من الناس وغيرهم، ومن الموات فلفظه

(١) البقرة: ٢٢٠.

(٢) والقسطاس بضم القاف وكسرهما. وقيل: معناه: الميزان. لسان العرب (قسط).

(٣) لسان العرب (قفو).

(٤) أي: يشار بها إلى العقلاء وغيرهم، وفي ذلك المعنى اللغوي تفصيل واسع. ينظر الدر المصون (٣٩٠/٤).

(أولئك) (١).

﴿ولا تمش في الأرض﴾ يعني: على الأرض ﴿مرحًا﴾ كما يمشي المشركون.

قال محمد: أصل المرح: حركة الأشر والبطر (٢).

﴿إنك لن تخرق الأرض﴾ بقدمك إذا مشيت ﴿ولن تبلغ الجبال طولًا﴾ كل ذلك كان سيئه ﴿أي: خطيئته﴾ عند ربك مكروهًا.

﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ (٣٩) أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَقَائِلُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَأَبْتَفَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) نُسِخَ لَهُ السَّمُوتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسِخَّرَ بِهِمْ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا خَلِفًا لِّعَوْنِ اللَّهِ (٤٤)

﴿ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملومًا مدحورًا﴾ أي: ملومًا في نقمة الله مُبْعَدًا عن الجنة في النار.

﴿أفأصفاكم﴾ أي: خَصَّكُمْ ﴿ربكم بالبنيين واتخذ من الملائكة إنثًا﴾ على الاستفهام؛ أي: لم يفعل ذلك؛ لقولهم أن الملائكة بنات الله.

﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن ليعلموا﴾ أي: بينا لهم، وأخبرناهم أنا أهلكتنا القرون الأولى فلا ينزل بهم ما نزل بالأمم السابقة قبلهم من عذاب الله ﴿وما

(١) وهو أيضًا: العجب والاختيال. لسان العرب (مرح).

يزيدهم ﴿ذلك﴾ ﴿إلا نفوراً﴾ يعني: تركاً لأمر الله .

﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون﴾ وتقرأ بالياء والتاء ^(١) ﴿إذا لا بتغوا﴾ يعني: الآلهة ﴿إلى ذي العرش سيلاً﴾ قال قتادة: يقول: إذا لعرفوا فضله عليهم، ولا بتغوا ما يقربهم إليه.

﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يقولون علواً كبيراً﴾ .

﴿يسبح﴾ ^(٢) له السموات السبع﴾ يعني: ومن فيهن ﴿والأرض ومن فيهن﴾ من المؤمنين ومن يسبح له من الخلق ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ كان الحسن يقول: إن الجبل يسبح؛ فإذا قطع منه شيء لم يسبح المقطوع ويسبح الأصل، وكذلك الشجرة ما قطع منها لم يسبح، وتسبح هي، ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴿إنه كان حليماً غفوراً﴾ عن خلقه فلا يعجل (ل ١٨٥) كَعَجَلَةٍ بعضهم على بعض (غفوراً) لهم إذا تابوا وراجعوا أنفسهم.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بَالًا خَيْرَ حِجَابٍ مَّسْتُورًا ٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَالُكُمْ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّمْ وَلَوْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ٤٦﴾ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ٤٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ صَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ٤٨﴾ وَقَالُوا أَوَإِنَّا عِظْمًا وَرَفْنَا أَوْ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ٤٩﴾

(١) قرأ ابن كثير وحفص بالياء، وقرأ الباقون بالتاء. ينظر: السبعة (٣٨١)، والنشر (٣٠٧/٢)، التيسير (١٤٠) الدر المصون (٣٩٤/٤).

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر وأبو بكر وأبو الطيب عن التمار عن رويس بالياء على التذكير، وقرأ الباقون بالتاء على التأنيث. النشر (٣٠٧/٢)، إتحاف الفضلاء (٣٥٨).

﴿وَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ قال محمد: قيل: إن تأويل الحجاب: منع الله إياهم من النبي ﷺ و(مستورًا) في معنى (ساتر)^(١).

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ الوقر: يُقْلُ السمع^(٢) ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ أنه لا إله إلا هو ﴿وَلَوْ أَعْلَمَ عَلَى أَدْبَارِهِمْ نَفُورًا﴾ أي: أعرضوا عنه.

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ أي: يتناجون في أمر النبي ﷺ ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ أي: يقول ذلك المشركون للمؤمنين، وتقرأ: (يتبعون) بالياء^(٣).

قال محمد: ومعنى (مسحورًا) في قول بعضهم: مخدوعًا^(٤).

﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا﴾ بقولهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ قال مجاهد: يعني: مخرجًا ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا﴾ أي: ترابًا ﴿أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ على الاستفهام؛ أي: لا تُبْعَث.

قال محمد: أصل (الرفات): ما ترقّت؛ أي: تفتّت^(٥).

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مِمَّنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُوكَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَنْ

(١) أي: جاء اسم المفعول بمعنى اسم الفاعل؛ كما يجيء اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول؛ مثل (ماء دافق) بمعنى: مدفوق، وهذا كثير في اللغة.

(٢) يقال: وقرت أذنه تقرّ وقراً؛ أي: ثقلت أو صمت. لسان العرب (وقر).

(٣) لم أقف على هذه القراءة بالياء ويراجع لها البحر المحيط والمحتسب والندر المصون.

(٤) يقال: سحر فلانًا بالشيء سحرًا؛ أي: خدعه، فهو مسحور. لسان العرب (سحر).

(٥) الرفات: هو الحطام والفتات من كل ما تكسر واندق. لسان العرب، المعجم الوسيط (رفت).

يَكُونُ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾ ذِكْرُكُمْ أَكْبَرُ إِن يَشَأْ يُزَحِّمَكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَكْبَرُ يَمَنُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ وَمَا تَبَيَّنَا دَاوُدَ دَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴿

﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا﴾ لما قالوا: ﴿أنذا كنا عظامًا ورفاتًا...﴾ الآية.

قال الله - عز وجل - : ﴿قل كونوا حجارة أو حديدًا أو خلقًا مما يكبر في صدوركم﴾ يعني: الموت؛ يقول: إذا لأمتكم، ثم بعثكم يوم القيامة ﴿فسيقولون من يعيدنا﴾ خلقًا جديدًا ﴿قل الذي فطركم﴾ خلقكم ﴿أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم﴾ أي: يحركونها تكذيًا واستهزاء ﴿ويقولون متى هو﴾ يعنون: البعث ﴿قل عسى أن يكون قريبًا﴾ و(عسى) من الله واجبة، وكل ما هو آت قريب .

﴿يوم يدعوكم﴾ من قبوركم ﴿فتستجيبون بحمده﴾ قال قتادة: يعني: بمعرفته وطاعته، والاستجابة: خروجهم من قبورهم إلى الداعي صاحب الصور ﴿وتظنون﴾ في الآخرة ﴿إن لبثتم﴾ في الدنيا ﴿إلا قليلًا﴾ تصاغرَت الدنيا عندهم .

﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ هو أن يأمرهم بما أمرهم الله به، وينههم عما نهاهم الله عنه ﴿إن الشيطان ينزغ بينهم﴾ أي: يفسد ﴿إن الشيطان كان للإنسان عدوًا مبينًا﴾ بين العداوة .

﴿ربكم أعلم بكم﴾ يعني: بأعمالكم؛ خاطب بهذا المشركين ﴿إن يشأ يرحمكم﴾ أي: يتب عليكم، فيمنُّ عليكم بالإسلام ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ فبقايتكم على الشرك ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلًا﴾ أي: حفيظًا لأعمالهم حتى يجازيهم بها.

﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ تفسير الحسن: قال: كلَّم بعضهم، واتخذ بعضهم خليلًا، وأعطى بعضهم إحياء الموتى ﴿وآتينا داود زبورًا﴾ اسم الكتاب الذي أعطاه: الزبور. قال قتادة: كنا نُحدِّث أنه دعاء علمه الله داود وتحميد وتمجيد، ليس فيه حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود.

﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشَفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧) وَإِنْ مِنْ قَرِيبٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْفِ سَنَةٍ أَوْ مَعْدِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مَبْصُرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّثْيَا آلَ لُحْيِ أَرَبَكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (٦٠)

﴿قل ادعوا الذين زعتم من دونه﴾ يعني: الأوثان ﴿فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾ أن يحول ذلك الضر إلى غيره أهون منه.

﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ يعني: القُرْبَة، تفسير ابن مسعود: قال: نزلت في نَقَرٍ من العرب كانوا يعبدون نفرًا من الجن، فأسلم الجنيون ولم يعلم بذلك الثَّغر من العرب، قال الله: ﴿أولئك الذين يدعون﴾ يعني: الجنيين الذي يعبدون هؤلاء ﴿يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب...﴾ الآية .

قال محمد: (أيهم أقرب) (أيهم) رفع بالابتداء، والخبر (أقرب)^(١) المعنى: يطلبون الوسيلة إلى ربهم، وينظرون أيهم أقرب إليه؛ أي: بالأعمال الصالحة أقرب إليه يتوسَّلون به.

﴿وإن من قرية إلا نحن مهلكوها﴾ (ل١٨٦) يخوفهم بالعذاب ﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ أي: مكتوباً .

﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ إلى قومك يا محمد؛ وذلك أنهم سألوا الآيات ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ وكنا إذا أرسلنا إلى قوم بآية فلم يؤمنوا أهلكتناهم؛ فلذلك لم نرسل إليهم بالآيات؛ لأن آخر كفار هذه الأمة أخروا إلى النفخة.

قال قتادة: «إن أهل مكة قالوا للنبي ﷺ: إن كان ما تقول حقًا وسرك أن نؤمن؛ فحول لنا الصِّفا ذهبًا! فأتاه جبريل فقال: إن شئت كان الذي سألك قومك، ولكن إن هم لم يؤمنوا لم ينظروا، وإن شئت استأنيت بقومك. قال: لا؛ بل استأنيت بقومي»^(٢).

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر من البحر المحيط (٥٢/٦) الدر المصون (٤٠١/٤).

(٢) رواه الطبري في تفسيره (١٠٨/١٥)

ورواه الإمام أحمد (٢٥٨/١) والسنائي في السنن الكبرى (٦/٣٨٠ رقم ١١٢٩٠) والطبري في تفسيره (١٠٨/١٥) والحاكم (٣٦٢/٢) والبيهقي في الدلائل (٢٧١/٢) وغيرهم عن ابن عباس. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

قال محمدٌ: قوله: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ (أن) الأولى نصبٌ و (أن) الثانية رفعٌ^(١)؛ المعنى: ما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين.

﴿وأتينا ثمود الناقة مبصرة﴾ أي: بينة ﴿فظلموا بها﴾ أي: ظلموا أنفسهم بعقرها ﴿وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً﴾ يخوفهم بالآية؛ فيخبرهم أنهم إذا لم يؤمنوا عذبهم.

﴿وإذ قلنا لك﴾ أوحينا إليك ﴿إن ربك أحاط بالناس﴾ يعني: أهل مكة؛ أي: يعصمك منهم؛ فلا يصلون إليك حتى تبلغ عن الله الرسالة.

﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾ يعني: ما أراه الله ليلة أسرى به، وليس برؤيا المنام، ولكن بالمعينة ﴿إلا فتنة للناس﴾ للمشركين لما أخبرهم النبي ﷺ بمسيره إلى بيت المقدس، ورجوعه في ليلة كذب بذلك المشركون؛ فافتتوا لذلك ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ يقول: وما جعلنا أيضاً الشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس. قال الحسن ومجاهد: هي شجرة الزقوم؛ لما نزلت دعا أبو جهل بتمرٍ وزُبد؛ فقال: تعالوا تزقوموا؛ فما نعلم الزقوم إلا هذا!

قال الحسن: وقوله: ﴿الملعونة في القرآن﴾ أي: أن أكلتها ملعونون في القرآن قال: ﴿ونخوفهم﴾ بالشجرة الزقوم ﴿فما يزيدهم﴾ تخويفنا إياهم بها وبغيرها ﴿إلا طغياناً كبيراً﴾.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ

(٦١)

(١) ينظر تفصيل ذلك من تفسير الطبري (١٥/١٠٨)، البحر المحيط (٦/٥٣)، الدر المصون

إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُ مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾
وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَلْجِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾

﴿فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينًا﴾ أي: من طين - على الاستفهام - أي: لا أسجد له. ثم ﴿قال أرايتك هذا الذي كرمت علي﴾ وأمرني بالسجود له ﴿لئن أخرجني﴾^(١) إلى يوم القيامة لأحتكن ذريته إلا قليلًا ﴿تفسير الحسن: لأهلكهم بالإضلال﴾ إلا قليلًا ﴿يعني: المؤمنين.

قال الحسن: وهذا القول ظن منه؛ حيث وسوس إلى آدم فلم يجد له عزما أي: صبرا، قال: بنو هذا في الضعف مثله.

قال محمد: تقول العرب: قد احتنكت السنة أموالهم؛ إذا استأصلتها، واحتنك فلان ما عند فلان من العلم؛ إذا استقصاه^(٢).

وقوله: ﴿أرايتك﴾ هو في معنى: أخبرني، والجواب محذوف، المعنى: أخبرني من هذا الذي كرمت علي؛ لم كرمته علي وقد خلقتني من نار وخلقته من طين؟! فحذف هذا؛ لأن في الكلام دليلا عليه^(٣).

﴿فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا﴾ قال مجاهد: يعني: وافرا^(٤).

(١) أثبت الباء في الوصل المدنيان وأبو عمرو، وأثبتها في الحاليين ابن كثير ويعقوب. النشر (٢) / ٣٠٩ إتحاق الفضلاء (٣٥٩).

(٢) لسان العرب (حنك).

(٣) ينظر ذلك من الدر المصون (٤/ ٤٠٣-٤٠٤)، الكتاب (١/ ٢٣٩)، البحر المحيط (٦/ ٤٤-٤٥).

(٤) أي: التعبير باسم المفعول وإرادة اسم الفاعل. وقد سبق الكلام على مثل هذا.

قال محمد: يقال: وَقَزْتُ عَلَيْهِ مَالَهُ أَفْزَهُ فهو موفور؛ أي: مُوفَّرٌ^(١)، ومن هذا قول زُهَيْرٍ^(٢): -

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يَقْزُهُ ومن لا يتق الشُّمَّ يُشْتَمُ^(٣)
قوله: ﴿واستفز من استطعت منهم بصوتك﴾ تفسير الحسن: هو الدَّفْ والمزمارُ.

قال محمد: ومعنى (استفز): استخف^(٤).

﴿وأجلب عليهم بخلك ورجلك﴾ قال مجاهد: كلُّ راکب في معصية الله فهو من خيل إبليس، وكل ماشٍ في معصية الله فهو من رجل إبليس ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾ تفسير مجاهد: (في الأموال) يعني: ما كان من مال بغير طاعة الله، و(الأولاد) (ل ١٨٧) يعني: أولاد الزنا ﴿وعدهم﴾ بالأماني؛ فإنه لا بعث ولا جنة ولا نار، وهذا وعيد من الله للشيطان كقول الرجل لصاحبه: اذهب فاجهد عليَّ جُهدَكَ، وليس على وجه الأمر له به^(٥). قال: ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غرورًا﴾.

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ ﴿٦٥﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي

-
- (١) يقال: وَقَزْتُ لِفُلَانٍ الْمَالَ وَالْمَتَاعَ أَفْزَهُ وَقَرًا وَقِرَةً: كَثَرَتْهُ وَوَسَعَتْهُ. لسان العرب (وفر).
(٢) هو زهير بن أبي سلمى حكيم الشعراء في الجاهلية توفي (١٣ ق هـ). ينظر الأعلام (٣/ ٥٢).
(٣) البيت من بحر الطويل ينظر ديوانه، البحر المحيط (٦/ ٥٨)، روح المعاني (١٥/ ١١٠).
(٤) ومعنى (استفز) أيضًا: أثار وأزعج. المعجم الوسيط (فز).
(٥) أي أن الأمر في قوله تعالى: (وعدهم) ليس على بابه من الأمر الحقيقي؛ بل هو خارج عنه لغرض الوعيد والتهديد، وهذا من مباحث علوم البلاغة. ينظر في الكلام عليه مفتاح العلوم للسكاكي، تلخيص المفتاح للقزويني، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح لعبد المتعال الصعيدي باب الأساليب الإنشائية.

يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا
 مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَلَغَ لَكُمْ إِلَى الْبَرِّ آعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ
 كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمْسَيْتُمْ أَنْ يُخَسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ
 وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمْسَيْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ
 فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ نَبِيْعًا ﴿٦٩﴾

﴿إن عبادي﴾ يعني: من يلقي الله مؤمنًا ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ أن
 تضلهم ﴿وكفى بربك وكيلًا﴾ أي: حِرزًا ومانعًا لعباده المؤمنين.

﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك﴾ أي: يعجزها ﴿في البحر لتبتغوا من
 فضله﴾ يعني: طلب التجارة في البحر ﴿إنه كان بكم رحيمًا﴾ فبرأفته ورحمته
 سخر لكم ذلك، والرحمة للكافر في هذا رحمة الدنيا.

﴿وإذا مسكم الضر﴾ يعني: الأهوال ﴿في البحر ضل من تدعون﴾ يعني:
 ما تعبدون ﴿إلا إياه﴾ يقول: إلا إياه تدعون كقوله: ﴿بل إياه تدعون﴾^(١)
 تعلمون أنه لا ينجيكم من الغرق إلا هو ﴿فلما نجاكم إلى البر أعرضتم﴾ عن
 الذي نجاكم، ورجعتم إلى شرككم ﴿وكان الإنسان كفورًا﴾ يعني: المشرك.

﴿أفأمتم أن يخسف بكم جانب البر﴾ كما خسف بقوم لوط وبقارون ﴿أو
 يرسل عليكم حاصبًا﴾ قال قتادة: أي: حجارة من السماء يحصبكم بها كما
 فعل بقوم لوط ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلًا﴾ أي: منيعًا ولا نصيرًا ﴿أم أمتم أن
 يعيدكم فيه﴾ في البحر ﴿تارة أخرى﴾ أي: مرة أخرى ﴿فيرسل عليكم قاصفًا
 من الريح﴾ يعني: الريح الشديدة ﴿فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا

به تبعاً ﴿أي: أحداً يتبعنا بذلك فيستصر لكم .

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ٧٥﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْبِهِمْ فَمَنْ أُوْقَىٰ كِتَابُهُ يَمْسِكْهُ فَأُولَٰئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابُهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ قَبِيلًا ٧٦﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ٧٧﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوْحِيَٰنَا إِلَيْكَ لَيَفْتِنَنَّ عَلَيْنَا غَيْرُكَ وَإِذَا لَاتَخْذُوكَ خِيَلًا ٧٨﴾ وَلَوْلَا أَنْ تَبَشَّرْتَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ٧٩﴾ إِذَا لَذَقْنَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ٨٠﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا ٨١﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا غَوِيلًا ٨٢﴾ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ أي: فضّلنا بني آدم على البهائم والسباع والهوماء ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ يعني: طيبات الطعام والشراب؛ فجعل رزقهم أطيب من رزق الدواب والطيور والجنّ.

﴿يوم ندعو كل أناس بإمامهم﴾ تفسير قتادة ومجاهد: أي: بنيهم.

قال محمد: يجوز أن يكون نصب (يوم) على معنى: اذكر يوم ندعو كل أناس^(١).

﴿ولا يظلمون قبيلاً﴾ أي: قدر قتل، والقتيل: الذي يكون في بطن النواه^(٢).

(١) ينظر تفصيل ذلك من البحر (٦/٦٢)، الدر المصون (٤/٤٠٨).

(٢) لسان العرب (قتل).

﴿ومن كان في هذه أعمى﴾ تفسير قتادة: يقول: من كان في هذه الدنيا أعمى عمًا عاين فيها من نعم الله وخلقه وعجائبه، فيعلم أن له معادًا، فهو فيما يغيب عنه من أمر الآخرة أعمى ﴿وأضل سبيلاً﴾ أي: طريقًا.

قال محمد: وهذا من عمى القلب؛ أي: هو في الآخرة أشد عمى وأضل سبيلاً؛ لأنه لا يجد طريقًا إلى الهداية.

﴿وإن كادوا﴾ أي: قد كادوا ﴿ليفتنوك﴾ أي: يستزلونك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن ﴿لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً﴾ لو فعلت ذلك ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ عصمناك ﴿لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلًا إذا لأذقناك﴾ لو فعلت ﴿ضعف الحياة﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿وضعف الممات﴾ أي: عذاب الآخرة.

قال محمد: المعنى: ضعف عذاب الحياة، وضعف عذاب الممات. قال قتادة: ذكر لنا أن قومًا خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة يكلمونه ويفخمونه، وكان في قولهم أن قالوا: يا محمد، إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس، وأنت سيدنا وابن سيدنا... فما زالوا يكلمونه حتى كاد يقاربهم - يلين لهم - ثم إن الله عصمه من ذلك.

﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض﴾ يعني بالأرض: مكة ﴿ليخرجوك منها﴾ أي: يخرجونك منها بالقتل؛ في تفسير الحسن ﴿وإذا لا يلبثون (خلفك)﴾^(١) إلا قليلًا ﴿يعني: بعدك حتى يستأصلهم بالعذاب لو قتلوك﴾ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ﴿أنهم إذا قتلوا نبيهم، أهلكهم الله بالعذاب.

(١) هكذا في الأصل؛ وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وقرأ الأخوان وابن عامر وحفص ﴿خلافك﴾. ينظر: السبعة (٢٨٣) النشر (٣٠٨/٢)، التيسير (١٤١) الدر المصون (٤/٤١١).

قال محمد: يجوز أن يكون نصب (ل) (١٨٨) (سنة) بمعنى: أنا (سنت) السنة فيمن أرسلنا قبلك (١).

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكَ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴿أقم الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿لذالك الشمس﴾ أي: لزوالها في كبد السماء؛ يعني: صلاة الظهر والعصر ﴿إلى غسق الليل﴾ يعني: اجتماعه وظلمته؛ صلاة المغرب عند بُدُوِّ الليل، وصلاة العشاء عند اجتماع الليل، وظلمته إذا غاب الشفق ﴿وقرآن الفجر﴾ وهي صلاة الصبح ﴿إن قرآن الفجر كان مشهودًا﴾ تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

قال محمد: قوله: ﴿وقرآن الفجر﴾ المعنى: وأقم قرآن الفجر. ﴿ومن الليل فتعبد به نافلة لك﴾ يعني: عطية من الله لك. قال محمد: يقال: تهجد الرجل إذا سهر، وهجد إذا نام (٢). ﴿عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودًا﴾ وعسى من الله واجبة، والمقام المحمود: الشفاعة.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن صِلَةَ بن زُفَرٍ، عن حذيفة ابن اليمان قال: «يجمع الله الناس يوم القيامة في صعيد واحد حفاة عراة؛ كما

(١) وفيها توجيهات نحوية أخرى تنظر من البحر المحيط (٦/٦٧-٦٨) الدر المصون (٤/٤١٢).

(٢) هذا الفعل من الأضداد. ينظر: لسان العرب (هجد).

خلقوا يُسمعهم الداعي وينفذهم البصر، حتى يلجئهم العرق، ولا تكلم نفس إلا بإذنه. قال: فأول من يُدعى محمد ﷺ: يا محمد، فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، والسعيد من هديت، وعبدك بين يديك وبك وإليك، ولا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، وعلى عرشك استويت، سبحانه رب البيت. ثم يقال له: اشفع. قال: فذلك المقام المحمود الذي وعده الله» (١).

(١) رواه الطيالسي (٥٤ رقم ٤١٤) والنسائي في الكبرى (٦/٣٨١ رقم ١١٢٩٤) وابن جرير في تفسيره (١٥/١٤٥) ومسدد ومحمد بن يحيى بن أبي عمر وأبو يعلى - كما في إتحاف الخيرة (٦/٢٢٩-٢٣٠ رقم ٥٧٥٠) - والبزار (٧/٣٢٩ رقم ٢٩٢٦) والحاثر بن أبي أسامة - زوائده (٣٣٨ رقم ١١٣٦) - والحاكم (٢/٣٦٣-٣٦٤) وابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج الكشاف (٢/٢٨٦) - وأبو نعيم في الحلية (١/٢٧٨) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذه السياقة. وقال أبو نعيم: رفعه عن أبي إسحاق جماعة.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٧٧): رواه البزار موقوفاً ورجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في مختصر الإتحاف (٨/٣٨٧): رواه ثقات.

وعزه السيوطي في الدر (٤/٢١٧) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث والخطيب في المتفق والمفترق.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٧٦ رقم ٧٨٩) من طريق عبد الله بن المختار عن أبي إسحاق به مرفوعاً.

ورواه الطبراني في الأوسط (٢/٩ رقم ١٠٥٨) والحاكم (٤/٥٧٣) من طريق ليث بن أبي سليم عن أبي إسحاق به مرفوعاً أيضاً.

وقال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم محتج بهم غير ليث بن أبي سليم، وقد أخرجه مسلم شاهداً. المستدرک نسخة المكتبة الأزهرية الخطية (٤/ق ٢٥٥-ب) وسقط هذا الكلام من المستدرک المطبوع.

وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٣٧٧): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقيّة رجاله ثقات.

﴿وقل رب أدخلني مدخل صدق﴾ يعني: المدينة حين هاجر إليها؛ أمره الله بهذا الدعاء ﴿وأخرجني مخرج صدق﴾ أي: إلى قتال أهل بدر، وقد كان أعلمه الله أنه سيقا تل المشركين ببدر، ويظهره عليهم.

قال محمد: من قرأ ﴿مُدْخِل﴾ بضم الميم ^(١)، فهو مصدر أدخلته مُدْخِلًا ^(٢)، ومن قرأ: (مَدْخِل) ^(٣) بنصب الميم ^(٤)، فهو على أدخلته فدخل مُدْخِل صدق ^(٥). وكذلك شرح (مُخْرَج) مثله ^(٦) ﴿واجعل لي من لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿سلطانًا نصيرًا﴾ أي: حجة بيّنة؛ في تفسير مجاهد.

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ^(٨١) وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ^(٨٢) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّسُ ^(٨٣) قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ^(٨٤) وَتَسْتَلْزِمُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ^(٨٥) وَلَكِنْ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ^(٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَافٍ ^(٨٧) قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ^(٨٨) ﴿

(١) وهي قراءة العامة ينظر: البحر (٧٣/٦) إتحاف الفضلاء (٢٨٦)، الدر المصون (٤/٤١٥).

(٢) أي: مصدر ميمي، وليس المراد: المصدر القياسي الذي هو (إدخال).

(٣) في الأصل: مدخلًا. وهو مخالف لنص الآية.

(٤) وهي قراءة الحسن وقتادة وأبي حنيفة وغيرهم. ينظر: البحر (٧٣/٦)، إتحاف الفضلاء (٢٨٦)، الدر المصون (٤/٤١٥).

(٥) ينظر لسان العرب (دخل).

(٦) أي: بقراءة ضم الميم وفتحها. ينظر: البحر (٧٣/٦) إتحاف الفضلاء (٢٨٦)، الدر المصون (٤/٤١٥).

﴿وقل جاء الحق﴾ وهو القرآن ﴿وزهق الباطل﴾ وهو إبليس؛ هذا تفسير قتادة ﴿إن الباطل كان زهوقاً﴾ الزهوق: الداحضُ الذاهب.

﴿ولا يزيد الظالمين إلا خساراً﴾ كلما جاء من القرآن شيء كذبوا به، فازدادوا فيه خساراً إلى خسارهم.

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ يعني: المشرِك؛ أي: أعطيناه السلامة والعافية ﴿أعرض﴾ عن الله وعن عبادته ﴿ونأى بجانبه﴾ تباعد عن الله مستغنياً عنه ﴿وإذا مسه الشر﴾ الأمراض والشدائد ﴿كان يئوساً﴾ أي: يش أن يفرج ذلك عنه، لأنه ليست له نيَّة ولا حِسبة.

﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ قال قتادة: يعني: على ناحيته؛ لذا يقوى المؤمن على إيمانه، والكافر على كفره ^(١).

﴿ويسألونك عن الروح﴾ تفسير الكلبي: إن المشركين بعثوا رسلاً إلى المدينة، فقالوا لهم: سَلُوا اليهود عن محمد، وصِفُوا لهم نَعْتَهُ وقوله، ثم اثبتونا فأخبرونا. فانطلقوا حتى قدموا المدينة، فوجدوا بها علماء اليهود من كل أرضٍ قد اجتمعوا فيها - لعيدٍ لهم - فسألوهم عن محمد، ونعتوا لهم نَعْتَهُ، فقال لهم حَبْرٌ من أحبار اليهود: إنَّ هذا لنَعْتُ النبي الذي يُتحدَّث أن الله باعته في هذه الأرض. فقالت له رُسُل قريش: إنه فقير عائلٌ يَتِيْمٌ لم يتبعه من قومه من أهل الرأي أحدٌ، ولا من ذوي الأسنان ^(٢) فضحك الحَبْرُ. وقال: كذلك نجده. قالت له رُسُل قريش: إنه يقول قولاً عظيماً؛ يدعو إلى الرحمن

(١) وفي تفسير ابن كثير (١١١/٥) عند تفسير هذه الآية: قال ابن عباس: على ناحيته. وقال مجاهد: على حدته وطبيعته. وقال قتادة: على نيته. وقال ابن زيد: دينه.

(٢) أي: المقدمون في أقوامهم.

باليمامة الساحر الكذاب - يعنون: مسيلمة. فقالت لهم اليهود: اذهبوا (ل١٨٩) فسلوا صاحبكم عن خلال ثلاث؛ فإن الذي باليمامة قد عجز عنهن هما اثنان من الثلاث؛ فإنه لا يعلمهما إلا نبي، فإن أخبركم بهما فقد صدق، وأما الثالثة فلا يجترئ عليها أحد، فقالت لهم رسل قريش: أخبرونا بهن. فقالت لهم اليهود: سلوه عن أصحاب الكهف والرقيم - وقصوا عليهم قصتهم - وسلوه عن ذي القرنين - وحدثوهم بأمره - وسلوه عن الروح، فإن أخبركم فيه بشيء، فهو كاذب. فرجعت رسل قريش إليهم، فأخبروهم بذلك، فأرسلوا إلى نبي الله فلقبهم فقالوا: يا ابن عبد المطلب، إنا سائلوك عن خلال ثلاث، فإن أخبرتنا بهن فأنت صادق، وإلا فلا تذكرن آلهتنا بشيء. فقال لهم رسول الله ﷺ: وما هن؟ قالوا: أخبرنا عن أصحاب الكهف؛ إنا قد أخبرنا عنهم بآية بينة، وأخبرنا عن ذي القرنين؛ إنا قد أخبرنا عنه بأمر بين، وأخبرنا عن الروح، فقال رسول الله: أنظروني حتى أنظر ما يحدث إلي فيه ربي؟ قالوا: إنا نأظروك فيه ثلاثاً. فمكث رسول الله ثلاثة أيام لا يأتيه جبريل، ثم أتاه جبريل، فاستبشر به النبي ﷺ وقال: يا جبريل، قد رأيت ما سأل عنه قومي ثم لم تأتني! قال له جبريل: ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً﴾^(١) فإذا شاء ربك أرسلني إليك. ثم قال له جبريل: إن الله قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾^(٢): ثم قال له: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم...﴾^(٣) فذكر قصتهم، وقال: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين...﴾^(٤) فذكر قصته، ثم

(١) مريم: ٦٤ .

(٢) الإسراء: ٨٥ .

(٣) الكهف: ٩ - ٢٦ .

(٤) الكهف: ٨٣ - ٩٨ .

لقي رسول الله قريشاً في آخر اليوم الثالث، فقالوا: ما أحدث إليك ربك في الذي سألناك عنه؟ فقضه عليهم فعجبوا، وغلب عليهم الشيطان أن يصدقوه. قال قتادة: وقوله: ﴿وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾ يعني به: اليهود؛ أي: أنهم لم يحيطوا بعلمه.

قال يحيى: وبلغني عن بعض التابعين؛ أنه قال: الروح خلق من خلق الله لهم أيدٍ وأرجل.

﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن حتى لا يبقى منه شيء ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾ أي: ولياً يمنعك من ذلك. ﴿إلا رحمة من ربك...﴾ فيها إضمارٌ يقول: وإنما أنزلناه عليك رحمة من ربك، الآية. ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ أي: عويلاً^(١).

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾^(٨٩)
 وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تُفْعَرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا^(٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا^(٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالَهُ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلًا^(٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تُفَرِّقُ قُلُوبَ سُبْحَانَ رَبِّ هَلْ كُنْتَ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا^(٩٣) وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا^(٩٤) قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا^(٩٥)﴾

(١) المراد: مُعَيَّنًا، فهي فاعِلٌ بمعنى فاعِل. ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (عون).

﴿ولقد صرفنا للناس﴾ أي: ضربنا لهم ﴿في هذا القرآن من كل مثل﴾ .
 ﴿حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ أي: عَيْنًا ببلدنا هذا ﴿أو تكون لك
 جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها﴾ خلال تلك الجنة ﴿أو تسقط
 السماء كما زعمت علينا كسفاً﴾ قطعاً؛ في تفسير قتادة ﴿أو تأتي بالله
 والملائكة قبيلاً﴾ أي: عياناً؛ في تفسير قتادة .
 قال محمد: (قبيلاً) مأخوذ من المقابلة^(١) .

﴿أو يكون لك بيت من زخرف﴾ أي: من ذهب ﴿أو ترقى﴾ تصعد ﴿في
 السماء ولن نؤمن لرقيك﴾ لصعودك أيضاً؛ فإن السحرة قد تفعل ذلك، فتأخذ
 بأعين الناس حتى تبدل ﴿حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه﴾ إلى كل إنسان بعينه،
 من الله إلى فلان ابن فلان وفلان ابن فلان وفلان ابن فلان أن آمنوا بمحمد؛
 فإنه رسولي .

﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ أي: هل كانت الرسل تأتي
 فيما مضى بكتاب من الله إلى كل إنسان بعينه؟! أنتم أهون على الله من أن
 يفعل بكم هذا .

﴿وما منع الناس﴾ يعني: المشركين ﴿أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن
 قالوا أبعث الله بشراً رسولاً﴾ (ل ١٩٠) على الاستفهام؛ أي: لم يبعث الله
 بشراً رسولاً، فلو كان من الملائكة لآمنا به .

﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين﴾ أي: قد اطمأنت بهم
 الدار فهي مسكنهم ﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ ولكن فيها بشر؛

(١) وقيل: القليل هو الكفيل والضامن، وقيل: الجماعة. وقيل غير ذلك. ينظر لسان العرب (قبل).

فأرسلنا إليهم بشرًا مثلهم .

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ (٩٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبِكُمَا وَصَمَّتْ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا لَآ إِلَهَ إِلَّا مَا عَزَّمْنَا وَرَفَعْنَا أَعْنَاقًا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾

﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ قال محمد: المعنى: كفى الله شهيدًا، والنصب يجوز في قوله: (شهيدًا) على نوعين: إن شئت على التمييز؛ كفى الله من الشهداء، وإن شئت على الحال؛ كفى الله في حال الشهادة^(١).

﴿وما منع الناس أن يؤمنوا﴾ موضع (أن) نصب وقوله: ﴿إلا أن قالوا﴾ موضع (أن) رفع، المعنى: ما منعهم من الإيمان إلا قولهم^(٢).

﴿ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه﴾ أي: يمنعونهم من عذاب الله. ﴿ونحشرهم يوم القيامة﴾ قال السدي: يعني: نسوقهم بعد الحساب إلى النار ﴿على وجوههم عميًا وبكُمًا وصمًا﴾ أما (عميًا) فعموا في النار حين دخلوها فلم يبصروا فيها شيئًا وهي سوداء مظلمة لا يضيء لهبها، و(بكُمًا): خرسًا؛ انقطع كلامهم حين قال: ﴿أخسثوا فيها ولا تكلمون﴾^(٣) و(صمًا): أذهب الزفير والشهيق بسمعهم؛ فلا يسمعون معه شيئًا، وقال في آية أخرى:

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٢٦١)، الكتاب (١٧/ ١، ١٩)، شرح المفصل لابن يعيش (١٠/ ١٠٥).

(٢) وينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٤/ ٤٢٠)، البحر المحيط (٦/ ٦٧-٦٨).

(٣) المؤمنون: ١٠٨.

﴿وهم فيها لا يسمعون﴾^(١).

﴿كلما خبت زدنهم سعيًا﴾ تفسير مجاهد: كلما طفئت أسعرت.

قال محمد: خبت النار تخبو خُبُوا؛ إذا سكن لهبها^(٢)، فإن سكن اللهب ولم يطفأ الجمر، قيل: خمدت تخمد خمودًا^(٣)، وإن طفئت ولم يبق منها شيء قيل: همدت تهمد همودًا^(٤).

وقوله: (زدنهم سعيًا) أي: نازًا تسعر تتلهب.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾^(٥) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّيَ إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾^(٦)

﴿أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض﴾ وهم يقرون أنه خلق السموات والأرض ﴿قادرٌ على أن يخلق مثلهم﴾ يعني: البعث ﴿وجعل لهم أجلًا لا ريب فيه﴾ لا شك فيه؛ يعني: القيامة ﴿فأبى الظالمون﴾ المشركون ﴿إلا كفورًا﴾ بالقيامة.

﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ تفسير السدي: يعني: مفاتيح الرزق ﴿إذا لأمسكنم خشية الإنفاق﴾ خشية الفاقة ﴿وكان الإنسان قتورًا﴾ بخيلًا - يخبر أنهم بخلاء؛ يعني: المشركين.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَنَسَىٰ بَئِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ

(١) الأنبياء: ١٠٠.

(٢) يقال: خبت النار تخبو خُبُوا؛ سكنت. لسان العرب (خبو).

(٣) لسان العرب، مختار الصحاح (خمد).

(٤) لسان العرب، مختار الصحاح (همد).

إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَنْفِرْعَوْتُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ
الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾

﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ يده، وعصاه، والطوفان، والجراد،
والقمل، والضفادع، والدم ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من
الثمرات﴾.

﴿فاسأل بني إسرائيل إذ جاءهم﴾ يقول ذلك للنبي ﷺ ﴿فقال له فرعون
إني لأظنك يا موسى مسحورًا﴾ قال محمد يعني: مخدوعًا؛ في تفسير
بعضهم.

﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء﴾ يعني: الآيات؛ يقول هذا لفرعون ﴿إلا
رب السموات والأرض بصائر﴾ يعني: حججًا. مقرأ العامة: ﴿لقد علمت﴾
بفتح التاء؛ يعني: فرعون^(١)؛ كقوله: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً
وعلوًا وإني لأظنك يا فرعون مثبورًا﴾^(٢) أي: مهلكًا.

﴿فأراد أن يستفزهم من الأرض﴾ يعني: أرض مصر؛ أي: يخرجهم منها
بالقتل ﴿فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفًا﴾ يعني: بني إسرائيل وفرعون
وقومه، (لفيفًا) جميعًا.

قال محمد: اللفيف معناه في اللغة: الجماعات من قبائل شتى^(٣).

(١) وقرأ الكسائي (علمت) بضم التاء، ينظر الدر المصون (٤/٤٢٥).

(٢) الإسراء: ١٠٢.

(٣) ينظر: لسان العرب (لفف).

﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (١١٥) وَقَرَأْنَاكَ فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ نَزِيلًا (١١٦) قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١١٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١١٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١١٩) قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٢٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَمْ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا (١٢١)

﴿وبالحق أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ تنذر الناس .

﴿وقرأنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث﴾ أي: طول، ومن قرأها بالتخفيف^(١)، فالمعنى: فرق فيه بين الحق والباطل، والحلال والحرام، ومن قرأها بالثقل^(٢)، فالمعنى: فرق الله؛ فأنزله يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام منجماً يقرؤه به قلبك.

قال محمد: قوله (قرآنا) منصوب بفعل مضمر؛ المعنى: وفرقناه قرآناً^(٣).

(ل١٩١) ﴿قل آمنوا به﴾ يعني: القرآن يقوله للمشركين ﴿أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ قبل القرآن؛ يعني: المؤمنين من أهل الكتاب ﴿إذا

(١) أي: (فرقناه) وهي قراءة الجمهور. الدر المصون (٤/٤٢٦).

(٢) أي: (فرقناه) وهي قراءة ابن محيصن، وأبي، وعلي، وابن عباس، وغيرهم. ينظر: البحر (٨٧/٦)، المحتسب (٢/٢٣)، إتحاف الفضلاء (٢٨٧).

(٣) وفي توجيهات نحوية أخرى تنظر من معاني القرآن للفراء (٢/١٣٢) إعراب القرآن (٢/٢٦٣)، البحر (٨٧/٦).

يتلى عليهم ﴿القرآن﴾ يخرون للأذقان ﴿للووجه﴾؛ في تفسير قتادة ﴿سجدًا﴾ ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ﴿أي﴾: قد كان.

قال محمد: المعنى: كان وعد ربنا مفعولاً، ودخلت (إن) واللام للتوكيد^(١).

و(يخرون للأذقان) يعني: الوجوه.

﴿يكون ويزيدهم﴾ يعني: القرآن ﴿خشوعًا﴾ والخشوع: الخوف الثابت في القلب.

قال محمد: (الأذقان) واحدها: ذقن؛ وهو مجمع اللّخين؛ وهو عضو من أعضاء الوجه^(٢)، و(سجدًا) منصوبٌ على الحال^(٣).

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾ (...)^(٤).

﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيًا ما تدعو﴾ يقول: أيّ الاسمين دعوتموه ﴿فله الأسماء الحسنى﴾ أي: أنه هو الله وهو الرحمن.

﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلًا﴾ تفسير ابن عباس: يقول: هذا في الصلاة المكتوبة لا تجعلها كلها سرًا، ولا تجعلها كلها جهرًا، وابتغ بين ذلك سبيلًا.

قال يحيى: في تفسير الكلبي «أن رسول الله ﷺ إذ هو بمكة كان يجتمع إليه أصحابه؛ فإذا صلى بهم ورفع صوته سمع المشركون صوته فأذوه، وإن

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/١٦٠)، كشف المشكلات (٢/٧٣٧).

(٢) لسان العرب، مختار الصحاح (ذقن).

(٣) ينظر: الدر المصون (٤/٤٢٨)، البحر (٦/٨٨).

(٤) طمس في الأصل.

خفض صوته لم يُسمع من خلفه، فأمره الله أن يتغني بين ذلك سبيلًا.
﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا﴾ يتكثر به من القلّة ﴿ولم يكن له
شريك في الملك﴾ خلق معه شيئًا ﴿ولم يكن له ولي من الدّل﴾ يتعزز به
﴿وكبره تكبيرًا﴾ أي: عظمه تعظيمًا.



تفسير سورة الكهف، وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۖ فَيَمَّا يَلِيْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۖ ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ ﴿٥﴾ فَلَمَّا كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ لَهُمْ لَنُفُوسًا غَالِيَةً ۖ ﴿٦﴾ وَإِنَّا جَاعِلٌ مَّا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّمَن يَنْبَلُوهُمُ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَّا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۖ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿الحمد لله﴾ حمد نفسه، وهو الحميد ﴿الذي أنزل على عبده﴾ محمد ﴿الكتاب﴾ القرآن ﴿ولم يجعل له عوجًا﴾ يقول: لا عوج فيه ولا اختلاف ﴿ليُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَّدُنْهُ﴾ أي: بعذاب شديد من لدنه؛ أي: من عنده ﴿ويُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ عند الله في الجنة ﴿ماكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾.

﴿ما لهم به من علم﴾ أن لله ولدا ﴿ولا لآبائهم﴾ الذين كانوا في الشرك ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ (كلمة) بالنصب^(١)، وكان الحسن يقرؤها (كلمة) بالرفع^(٢)؛ وتفسيرها: كبرت تلك الكلمة كلمة أن قالوا أن لله ولدا.

(١) ينظر إعراب القرآن (٢/٢٦٥)، البيان (٢/١٠٠)، معاني القرآن للفراء (٢/١٣٤).

(٢) وهي قراءة ابن كثير في رواية القواس عنه. ينظر: البحر (٦/٩٧)، المحتسب (٢/٢٤)، الدر المصون (٤/٤٣٣).

قال محمد: ومن قرأها بالنصب، فهو على التمييز؛ بمعنى: كبرت مقالاتهم: اتخذ الله ولداً كلمة^(١).

﴿فلعلك باخع نفسك﴾ أي: قاتل نفسك ﴿على آثارهم﴾ أي: من بعدهم ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أسفا﴾ أي: حزناً عليهم.

قال محمد: (أسفاً) منصوبٌ مصدرٌ في موضع الحال^(٢).

﴿لنبلونهم﴾ لنختبرهم ﴿أيهم أحسن عملاً﴾ أي: أطوع لله.

﴿وإنا لجاعلون ما عليها﴾ ما على الأرض ﴿صعيداً جرزاً﴾ قال قتادة: الجُزْز: التي ليس فيها شجرٌ ولا نبات.

قال محمد: يقال: أرض جرز، وأراضون أجزاز^(٣)، والصعيد عند العرب: المستوي^(٤).

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ ٩ ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ ١٠ ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى ءُذُنِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ ١١ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ ١٢ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ ١٣ ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾

(١) وهي قراءة العامة. ينظر: إتحاف الفضلاء (٢٨٨)، البحر (٩٧/٦) وينظر في توجيه هاتين القراءتين البحر (٩٧/٦)، الدر المصون (٤٣٣/٤).

(٢) ينظر الدر المصون (٤٣٤/٤).

(٣) يقال: جُرْزٌ، وجُرْزٌ وجَرَزٌ بمعنى: لسان العرب، مختار الصحاح (جرز).

(٤) والصعيد: التراب. وقال ثعلب: هو وجه الأرض. لسان العرب. مختار الصحاح (صعد).

لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ
 سُلْطَانٌ بَيِّنٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ أَعَزَّلْنَاهُمْ مَا يَعْجَبُونَ
 إِلَّا اللَّهُ فَأَوْفُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾
 ﴿أم حسبت﴾ أي: أفحسبت ﴿أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
 عجبًا﴾ تفسير قتادة: يقول: قد كان في آياتنا ما هو أعجب من ذلك،
 والكهف: كهف الجبل، والرقيم: الوادي الذي فيه الكهف ﴿إذ أوى الفتية
 إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ أي: رزقا. ﴿وهيئ لنا من أمرنا
 رشدا﴾ .

قال محمد: المعنى: أرشدنا إلى ما يقرب منك.

قال يحيى: كانوا قوماً قد آمنوا، وفروا بدينهم من قومهم، وكان قومهم
 على الكفر، وخشوا على أنفسهم القتل.

قال: ﴿فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا﴾ .

قال محمد: (...).^(١) و(عددا) منصوب (ل) (١٩٢) على المصدر^(٢)؛ أي:
 تُعَدُّ عداً.

﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا﴾ قال محمد: (أمدا)
 منصوب على التمييز؛ المعنى: لنعلم أي الحزبين أحصى للبهيم في الأمد^(٣)،
 وقوله: ﴿ثم بعثناهم﴾ يعني: من نومهم، وكل شيء ساكن حرّكته للتصرف

(١) طمس في الأصل.

(٢) ينظر: البحر (١٠٢/٦)، معاني القرآن للفراء (١٣٥/٢)، تفسير القرطبي (٣٦٣/١٠).

(٣) وفيه أقوال أخر. ينظر: الدر المصون (٤٣٧/٤).

فقد بعثته .

﴿نحن نقص عليك نبأهم بالحق﴾ أي: خبرهم .

﴿وزدناهم هدى﴾ يعني: إيماناً .

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ بالإيمان . قال محمد: المعنى: ألهمناهم الصبر،

وثبتنا قلوبهم .

﴿لقد قلنا إذا شططاً﴾ قال قتادة: يعنون: جوراً .

﴿لولا﴾ هلاً ﴿يأتون عليهم بسلطان بين﴾ بحجة بينة؛ بأن الله أمرهم

بعبادتهم ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي: لا أحد أظلم منه .

﴿وإذا اعتزتموهم وما يعبدون إلا الله﴾ قال قتادة: هي في مصحف ابن

مسعود (وما يعبدون من دون الله)^(١) وهذا تفسيرها ﴿فأووا إلى الكهف﴾ أي:

فانتھوا إلى الكهف ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ أي: ييسط لكم من رزقه؛

في تفسير السدي .

﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُورُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ

الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ

فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً ظَالِمًا وَهُمْ رُفُودٌ وَتَقْلِبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ

الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ

مِنْهُمْ رُجُبًا ﴿٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِئْتُمْ قَالُوا

(١) وقرأ أيضاً عبد الله بن مسعود: (وما يعبدون من دوننا) ينظر البحر (٦/١٠٦)، الطبري (١٥/

لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَ فَاْبَعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور﴾ أي: تميل ﴿عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم﴾ أي: تتركهم ﴿ذات الشمال﴾ قال الحسن: يقول: لا تدخل الشمس كهفهم ﴿وهم في فجوة منه﴾ أي: في فضاء من الكهف. قال محمد: (تزاور) الأصل فيه: (تتاور) فأدغمت التاء في الزاي^(١)، و(تقرضهم) أصل القرض: القطع والفرقة^(٢)، والقراءة (تقرضهم) بكسر الراء^(٣) وفيه لغة أخرى (تقرضهم) بالضم^(٤). ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾ أي: صاحباً يرشده.

قال محمد: (المهتد) وقعت في المصحف في هذا الموضع بغير ياء^(٥)، ووقعت في الأعراف بالياء^(٦)، وحذف الياء جائز في الأسماء، ولا

(١) ينظر: مجمع البيان (٣/٤٥٥)، البيان (٢/١٠٢).

(٢) وقوله تعالى: ﴿تقرضهم ذات الشمال﴾؛ أي: تخلفهم شمالاً وتجاوزهم وتقطعهم وتتركهم عن شمالها. مختار الصحاح (قرض).

(٣) وهي قراءة الجمهور. الدر المصون (٤/٤٤٢).

(٤) أي: بضم الراء وليست هذه قراءة قرآنية، إنما هي لغة في (تقرضهم) ينظر لسان العرب (قرض).

(٥) وأثبت الياء وصلا المدنيان وأبو عمرو، وأثبتها في الحاليين يعقوب، ووردت عن ابن شنبوذ عن قنبل. النشر (٢/٣١٦) وإتحاف الفضلاء (٣٦٤).

(٦) الأعراف: ١٧٨.

يجوز في الأفعال^(١).

﴿وتحسبهم أيقاظًا﴾ أي: مفتحة أعينهم ﴿وهم رقود﴾ .

قال محمد: الأيقاظ: المتنبهون، والرقود: النيام.

﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ قال قتادة: في رقدتهم الأولى قبل

أن يموتوا.

قال أبو عياض: لهم في كل عام تقلبتان ﴿وكلبهم باسط ذراعيه

[بالوصيد]^(٢)﴾ أي: بفناء الكهف ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارًا

ولملت منهم رعبًا﴾ .

قال محمد: (فرارًا) منصوبٌ على المصدر؛ لأن معنى وليت: فررت^(٣)،

و(رعبًا) منصوبٌ على التمييز^(٤) .

﴿وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم﴾ قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يومًا أو

بعض يوم ﴿وكانوا دخلوا الكهف في أول النهار، قال: فنظروا فإذا هو قد بقي

من الشمس بقية، فقالوا: ﴿أو بعض يوم﴾، ثم إنهم شكوا؛ فردوا ذلك إلى

الله فقالوا: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه﴾ أي:

بдраهمكم ﴿إلى المدينة﴾ وكانت معهم دراهم ﴿فلينظر أيها أزكى طعامًا﴾

تفسير سعيد بن جبير: أيها أحل.

قال يحيى: وقد كان من طعام قومهم ما لا يستحلون أكله.

(١) ينظر: مجمع البيان (٤٥٥/٣) البيان (١٠٢/٢).

(٢) سقط من الأصل، والصواب إثباته؛ لأنه مشروحٌ بعد.

(٣) لسان العرب (ولي).

(٤) ينظر: البحر (١٠٩/٦)، التبيان (٨٤١)، مجمع البيان (٤٥٥/٣).

﴿فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعروا﴾ يعلمن ﴿بكم أحدا إنهم إن يظهرُوا عليكم﴾ أي: يطلعوا عليكم ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم بالحجارة ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ الكفر ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ إن فعلتم .

﴿وَكَذَلِكَ أَتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَأَيْتُمْ عَلَّمُوا بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرًّا ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾
 ﴿وكذلك أعرنا عليهم﴾ أي: أطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان الذي أحياهم الله فيه ﴿ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ﴿إذ يتنازعون بينهم أمرهم﴾ يعني: قومهم؛ كانت تلك الأمة الذين هربوا منهم قد بادت، وخلفت بعدهم أمة أخرى، وكانوا على الإسلام، ثم إنهم اختلفوا في البعث؛ فقال بعضهم: يُبعث الناس في أجسادهم - وهؤلاء المؤمنون كان الملك منهم - وقال بعضهم: تُبعث الأرواح بغير أجساد؛ فبعث الله أصحاب الكهف (ل ١٩٣) يُروون أنها تلك الأمة الذين فروا منهم. [ودخل] ^(١) المدينة وهي مدينة بالروم يقال لها: قيسوس ^(٢)، وأخرج الدراهم؛ ليشتري بها الطعام، فاستنكرت الدراهم، وأخذ فذهب به إلى ملك المدينة؛ فإذا الدراهم

(١) في الأصل: دخل - بدون الواو - وأثبتها لربط السياق.

(٢) وفي تفسير ابن كثير (١٤٢/٥): يقال لها: دقوس. ولم أجد قيسوس ولا دقوس في معجم البلدان ولا في معجم ما استعجم، والله أعلم.

دراهم الملك الذي فروا منه؛ فقالوا: هذا رجل وجد كنزًا، فلما خاف على نفسه أن يعذب أطلع على أصحابه، فقال لهم الملك: قد بين الله لكم ما اختلفتم فيه، فأعلمكم أن الناس ليبعثون في أجسامهم، فركب الملك والناس معه؛ حتى أتوا إلى الكهف وتقدمهم الرجل حتى إذا دخل على أصحابه فرآهم ورأوه ماتوا؛ لأنه قد كانت أتت عليهم آجالهم، فقال القوم: كيف نصنع بهؤلاء؟! ﴿فقالوا ابنوا عليهم بنيانًا﴾ .

﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ رؤساؤهم وأشرافهم ﴿لتتخذن عليهم مسجدًا﴾ .

قال الله: ﴿سيقولون﴾ سيقول أهل الكتاب: ﴿ثلاثة رابعهم كلهم ويقولون خمسة سادسهم كلهم رجماً بالغيب﴾ قال: السدي: يعني: رميًا بقول الظن. قال محمد: المعنى يقولون ذلك ظنًا بغير يقين. قال زهير:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم^(١)

قوله: ﴿ويقولون سبعة وثامنهم كلهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل﴾ قال قتادة: إلا قليل من الناس، وذكر لنا أن ابن عباس كان يقول: أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله؛ كانوا سبعة وثامنهم كلهم.

قال: ﴿فلا تمار فيهم﴾ يقول الله للنبي: فلا تمار أهل الكتاب في أصحاب الكهف ﴿إلا مرأى ظاهراً﴾ أي: إلا بما أخبرتك؛ في تفسير الحسن.

قال محمد: المعنى: أفيت في قصتهم بالظاهر الذي أنزل إليك.

﴿ولا تستفت فيهم﴾ في أصحاب الكهف ﴿منهم أحدًا﴾ من اليهود .

(١) البيت من بحر الطويل، وهو من معلقة زهير المشهورة. ينظر: خزانة الأدب (٣/٣٤٥)،

حاشية يس (٢/٦٢)، تفسير القرطبي (١٠/٣٨٣).

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۖ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۖ وَذَكِّرْكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۖ ﴿٢٤﴾ وَلِيُثْبِتْ فِي كَهْفِهِمْ تِلْكَ مِائَتَةَ سِنِينَ ۖ وَازْدَادُوا سِتْعًا ۖ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُثْبِتُوا ۖ لَمْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ ﴿٢٦﴾﴾
 ﴿ولا تقولن لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ يقول: إلا أن تستثني.

قال محمد: المعنى: إلا أن تقول: إن شاء الله؛ فأضمر القول؛ ذكره أبو عبيد.

وقوله: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾.

قال يحيى: «بلغنا أن اليهود لما سألت رسول الله عن أصحاب الكهف قال لهم رسول الله ﷺ: أخبركم عنها غداً. ولم يستثن؛ فأنزل الله هذه الآية»^(١).

قال الحسن: أمر ألا يقول لشيءٍ في الغيب: إني فاعلٌ ذلك غداً، دون أن يستثني: إلا أن يشاء الله، وأمر أن يستثني إذا ذكر؛ فكان الحسن يقول: إذا حلف الرجل على شيءٍ وهو ذاكرٌ للاستثناء، ولم يستثن فلا تُثْبِتْ له، وإن حلف على شيءٍ وهو ناسٍ للاستثناء فله تُثْبِتْ ما دام في مجلسه ذلك تكلم أو لم يتكلم.

(١) رواه البيهقي في الدلائل (٢/٢٦٩-٢٧١) من طريق ابن إسحاق عن رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس.
 وهو في سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق (١/٣٢٠-٣٢٢) بغير إسناد.

﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً﴾ قال محمد: قيل: المعنى: عسى ربي أن يعطيني من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشيد، وأدل من قصة أصحاب الكهف.

﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة﴾ ثم أخبر ما تلك الثلاثمائة، فقال: «سنين».

قال محمد: (سنين) عطف على ثلاثمائة؛ وهذا العطف يسميه التحويون: عطف البيان والتوكيد^(١).

قوله: ﴿وازدادوا تسعاً﴾ أي: تسع سنين. تفسير قتادة: قال: هذا قول أهل الكتاب، رجع إلى أول الكلام ﴿سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ ويقولون: ﴿لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين، وازدادوا تسعاً﴾. قال قتادة: فرد الله على نبيه فقال: ﴿قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض﴾ أي: يعلم غيب السموات والأرض ﴿أبصر به وأسمع﴾ يقول: ما أبصره وما أسمع!

قوله: ﴿ما لهم من دونه من ولي﴾ يمنعهم من عذاب الله ﴿ولا يشرك في حكمه أحداً﴾ أي: ولا يشرك الله في حكمه أحداً.

﴿وَأَنْتُمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُتَعَدِّلاً﴾ ٢٧ ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ

(١) إعراب القرآن (٢/ ٢٧١)، البحر (٦/ ١١٦-١١٧)، مجمع التفسير (٤/ ١٠١)، معاني القرآن للقرآء (٢/ ١٣٨).

وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٥﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِن أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِفِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣٦﴾

﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا يغير في الآخرة بخلاف ما قال في الدنيا ﴿ولن تجد من دونه ملتحدا﴾ (ل ١٩٤) قال قتادة: يعني [موثلاً] ^(١) قال: ملتحدا؛ أي: نصيراً؛ يقال: لحدث وألحدث بمعنى: عدلت ^(٢).

﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ قال قتادة: هما الصلاتان: صلاة الفجر، وصلاة العصر، وبعدهما فرضت الصلوات قبل خروج النبي من مكة إلى المدينة بسنة ﴿ولا تعد عينك عنهم﴾ مخقرة لهم ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾.

قال محمد: ومعنى (لا تعد): لا تصرف بصرك عنهم إلى غيرهم.

قال يحيى: نزلت في سلمان الفارسي وصهيب وخباب بن الأرت وسالم مولى أبي حذيفة؛ قال المشركون للنبي ﷺ: إن أردت أن نجالسك فاطرد عنا هؤلاء القوم.

(١) طمس بالأصل، والمثبت من تفسير الطبري (٢٣٣/١٥).

(٢) لسان العرب (لحد).

يحيى: عن أشعث، عن يعلى بن عطاء، عن (عمرو)^(١) بن عاصم، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطيم السيف في سبيل الله ومن إعطاء المال سحاً»^(٢)»^(٣).

يحيى: عن الربيع بن صبيح، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: «لأن أجالس أقواماً يذكرون الله بعد صلاة الصبح؛ حتى تطلع الشمس أحب إلي من كل ما تطلع عليه الشمس ولأن أجالس أقواماً يذكرون الله بعد صلاة العصر؛ حتى تغيب الشمس أحب إلي من أعتق ثمانية من ولد إسماعيل»^(٤).

(١) كذا في الأصل، والحديث معروف من رواية بشر بن عاصم عن عبد الله بن عمرو. أو عن بشر بن عاصم عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، ذكره البخاري في تاريخه (٧٧/٢) في ترجمته بشر بن عاصم، والله أعلم.

(٢) أي: كثيراً؛ يقال: سح يسح سحاً. لسان العرب (سحج).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧٢/٧ رقم ٥، ٨/٢٣٥ رقم ٢) والحسين المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٣٩٤ رقم ١١١٦) من طريق هشيم عن يعلى بن عطاء موقوفاً. قال البخاري في التاريخ (٧٧/٢) بشر بن عاصم عن عبد الله بن عمرو قوله في الذكر، قاله هشيم أخبرنا يعلى بن عطاء.

وقال كثير بن هشام: حدثنا أبو الربيع السمان عن يعلى بن عطاء عن بشر بن عاصم عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ «ذكر الله بالغداة والعشي أفضل» اهـ. ورواه ابن عدي في الكامل (٥٣٤/٣) عن الحسن بن علي العدوي، عن خراش، عن أنس ابن مالك.

وقال ابن عدي: وخراش هذا مجهول ليس بمعروف، وما أعلم حدث عنه ثقة أو صدوق إلا الضعفاء... فإذا لم يُعرف الرجل وكان مجهولاً كان حديثه مثله، والعدوي هذا كنا نتهمه بوضع الحديث، وهو ظاهر في الكذب. اهـ.

وقال العراقي في تخريج الإحياء (٣٥١/١): رويناه من حديث أنس بسند ضعيف في الأصل، وهو معروف من قول ابن عمر -كذا- كما رواه ابن عبد البر في التمهيد.

(٤) رواه الطيالسي (٢٨١ رقم ٢١٠٤) وأحمد بن منيع -كما في إتحاف الخيرة (٦/٣٧٣ رقم =

قوله: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾ يعني: شهوته
﴿وكان أمره فرطاً﴾ يعني: تضييعاً ﴿وقل الحق من ربكم﴾ قال قتادة: يعني:
القرآن.

قال محمد: المعنى: وقل الذي آتيتكم به الحق من ربكم.
﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ هذا وعيدٌ؛ أي: من آمن دخل
الجنة، ومن كفر دخل النار.

قوله: ﴿أحاط بهم سرادقها﴾ يعني: سورها ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل﴾ تفسير زيد بن أسلم: كَعَكْرٍ^(١) الزيت.

قال محمد: ما أذيب من الذهب والفضة، والصُّفْر والرصاص وما أشبه
ذلك فهو عند أهل اللغة: مُهْل^(٢).

﴿يشوي الوجوه﴾ أي: يحرقها إذا أهوى ليشربه ﴿بئس الشراب وساءت
مرتفعاً﴾ أي: منزلاً وماوى؛ وهذا وعيدٌ لمن كفر.

= ٣/٦٠٤٣- والحارث بن أبي أسامة في مسنده- زوائد (٣١٤ رقم ١٠٥٣، ١٠٥٤)-
وأبو يعلى في مسنده (١٢٨/٧-١٢٩ رقم ٤٠٨٧، ١٥٤/٧ رقم ٤١٢٥، ٤١٢٦) وابن
السني في عمل اليوم والليلة (٣١٦-٣١٧ رقم ٦٧٠) والطبراني في الدعاء (٥٢٥ رقم ١٨٧٩)
والبيهقي في السنن (٣٨/٨، ٧٩) وفي الشعب (٤٠٩/١ رقم ٥٦٠) وابن حجر في نتائج
الأفكار (٧-٩) من طريق يزيد الرقاشي به.

قال ابن حزم في المحلى (٣٩٤/١٠): يزيد الرقاشي ضعيف لا يحتج به.
وقال النووي في الأذكار: روي في كتاب ابن السني بإسناد ضعيف.
وقال ابن حجر في نتائج الأفكار (٨/٣): رجاله ثقات إلا الرقاشي، وهو يزيد بن أبان؛ فقد
ضعفوه.

- (١) العَكْر: هو دُرْدِيّ الزيت. لسان العرب، مختار الصحاح (عكر).
(٢) وقال أبو عمرو: المهمل: دردي الزيت. قال: والمهمل أيضاً: القيح والصدید. لسان العرب،
مختار الصحاح (مهمل).

قال محمد: (مرتفعًا) منصوبٌ على التمييز^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾.

يحيى: عَنْ ابْنِ لَهْيعة؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَوْ بَدَأَ إِسْوَارَهُ لَغَلَبَ عَلَى ضَوْءِ الشَّمْسِ»^(٢).

وقال سعيد بن المسيب: ليس من أهل الجنة أحدٌ إلا وفي يده ثلاثة أسورة: إسوارٌ من ذهب، وإسوارٌ من فضة، وإسوارٌ من لؤلؤ.

(١) ينظر: البحر المحيط (١٢١/٦)، الدر المصون (٤٥١/٤).

(٢) كذا ورد هذا الحديث في الأصل عن ابن لهيعة معضلاً.

ورواه الإمام أحمد (١٦٩/١، ١٧١) والترمذي (٥٨٥/٤) رقم ٢٥٣٨ ونعيم بن حماد في زوائد الزهد لابن المبارك (١٢٦ رقم ٤١٦) والبزار في مسنده (٣١٥/٣) رقم ١١٠٩ والدورقي في مسند سعد (٢٦) وأبو نعيم في صفة الجنة (٥٣/٢) رقم ٢١٠، ١١١/٢ رقم ٢٦٦ والبغوي في شرح السنة (٢١٤/١٥) رقم ٤٣٧٧ والضياء في المختارة (٢٠٢/٣) رقم ١٠٠٣ والمزي في تهذيب الكمال (٤٠٨-٤٠٩) من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده. وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة، وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبي حبيب وقال: عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ.

وقال البغوي: هذا حديث غريب.

وتابع ابن لهيعة عليه الليث؛ قال الدارقطني في العلل (٣٣٥-٣٣٦ رقم ٦٠٨) لما سئل عن هذا الحديث: يرويه يزيد بن أبي حبيب، واختلف عنه.

فرواه الليث عن يزيد عن داود بن عامر بن سعد عن أبيه عن جده. وخالفه يحيى بن أيوب؛ فرواه [عن] يزيد بن أبي حبيب عن عمر بن سعد. والأول أصح. اهـ. ولذا قال الضياء في المختارة: وما كتبت هذا الحديث من حديث ابن لهيعة إلا لقول الدارقطني: إن الليث قد رواه عن يزيد بن أبي حبيب.

ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٢٠٨/٦) والبزار في مسنده (٣١٥/٣) رقم ١١٠٩ من طريق يحيى بن أيوب، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عمر، عن سعد.

﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وهما نوعان من الحرير .
 قال محمد: قيل: إن السندس رقيق الديباج، والإستبرق ثخينه .
 ﴿مَتَكْنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَاثِكِ﴾ تفسير ابن عباس: الأرائك: السرر عليها
 الحجال^(١).

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا
 زُرْعًا ٢٣﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ٢٤﴾ وَكَانَ لَمْ تُرْمَرْ
 فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ٢٥﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ
 لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ٢٦﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي
 لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ٢٧﴾ قَالَ لَمْ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ
 مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ٢٨﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ٢٩﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ
 جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ٣٠﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ
 يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ٣١﴾

﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما
 بنخل﴾ قال محمد: يقول: جعلنا النخل مطبقاً بهما. وقوله: ﴿مثلاً رجلين﴾
 نصبهما على معنى المفعول^(٢)؛ أي: اضرب لهم رجلين مثلاً.

﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ أطعمت ثمرتها ﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ أي:

تنقص.

(١) واحدها: حَجَلَةٌ؛ وهي بيت يزَّين بالثياب والأبيرة والستور. لسان العرب، مختار الصحاح
 (حجل).

(٢) ينظر الدر المصون (٤/٤٥٤).

قال محمدٌ: قال: (آتت) ولم يقل: (آتتا)؛ لأنَّ المعنى كل واحدة منهما آتت أكلها^(١).

﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾ أي: بينهما ﴿وكان له ثمر﴾ أي: أصل ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي: يراجعه الكلام ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ يعني: رجالاً وناصرياً.

قال يحيى: كانا أخوين من بني إسرائيل ورثا عن أبيهما مالاً؛ فاقسماه فأصاب كل واحدٍ منهما أربعة آلاف دينار، فأما أحدهما فكان مؤمناً فأنفق في طاعة الله وقدمه لنفسه، وأما الآخر فكان كافراً اتخذ الأرضين والضياع والدور والرقيق (...)^(٢) فاحتاج المؤمن ولم يبق في يده شيء فجاء إلى أخيه يزوره، ويتعرض لمعروفه، فقال أخوه: وأين ما ورثت؟ قال: أقرضتُه (ل١٩٥) ربي وقدمته لنفسي؛ فقال له أخوه: لكني اتخذتُ به لنفسي ولولدي؛ ما قد رأيت.

قال الله: ﴿ودخل جنته وهو ظالمٌ لنفسه﴾ يعني: بشركه ﴿قال ما أظن﴾ أي: ما أوقن ﴿أنَّ تبديد هذه أبداً﴾ أي: تنفى، تفسير الحسن: ليس يعني: أنها لا تنفى فتذهب، ولكنه يعني: أنه يعيش فيها حتى يأكلها حياته ﴿وما أظن﴾ أي: وما أوقن أن ﴿الساعة قائمة﴾ يجحد بالبعث ﴿ولئن رُدِّدت إلى ربي لأجدنَّ خيراً منها﴾ أي: من جنتي ﴿مقلباً﴾ في الآخرة إن كانت آخرة. قال: ﴿ودخل جنته﴾ وقال: ﴿جعلنا لأحدهما جنتين﴾ كانت جنةً فيها نهر، فهي جنةٌ وهي جنتان ﴿قال له صاحبه﴾ المؤمن ﴿وهو يحاوره...﴾ إلى قوله:

(١) ينظر البحر المحيط (٦/١٢٣-١٢٤)، والدر المصون (٤/٤٥٤).

(٢) طمس في الأصل.

﴿لكننا هو الله ربّي ولا أشرك بربّي أحداً﴾.

قال محمد: (لكننا) كتبت - فيما ذكر أبو عبيد - بالالف في المصحف الذي يقال: هو مصحف عثمان^(١). قال: وقراها غير واحد مشددة على حذف الألف إذا وصلوا^(٢)، وأصلها فيما أرى (لاكن أنا) فالتقت النون فأدغمتا؛ فإذا وصلت القراءة حذفت الألف، وثبتت في الوقف^(٣)، وهذا كقولك: أن^(٤) فعلت ذلك، فالألف محذوفة، فإذا سكت عليها قلت: أنا - بإثبات الألف.

قال محمد: وذكر الزجاج أن من أثبت الألف في الوصل كما يشتها في الوقف - فهو على لغة من قال: أنا فعلت، قال: وإثباتها في الوصل شاذ^(٥).
﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ أي: فهلا إذ دخلت جنتك ﴿قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ ثم قال: ﴿إن ترني﴾^(٦) أنا أقل منك مالا وولداً فعسى ربّي أن يؤتين في الآخرة ﴿خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء﴾ قال السدي: يعني: ناراً من السماء.

(١) قراءة إثبات الألف وصلاً ووقفاً هي لابن عامر، ونافع في رواية عنه. ينظر السبعة (٣٩١)، النشر (٣١١/٢)، تفسير القرطبي (٤٠٥/١٠).

(٢) أي قراءة (لاكن) بغير ألف وصلاً ووقفاً وعزيت هذه القراءة للكسائي، ولأبي عمرو أيضاً. ينظر: البحر (١٢٨/٦)، القرطبي (٤٠٤/١٠) وابن مجاهد يقول في كتاب السبعة (٣٩١): لم يختلف في الوصل أنه بالالف، وإنما اختلف في الوصل. اهـ. وقال ابن الجزري في النشر (٣١١/٢): ولا خلاف في إثباتها في الوقف اتباعاً للرسم. اهـ.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء (١٤٤/٢)، إعراب القرآن (٢٧٥-٢٧٦)، البحر (١٢٧/٦-١٢٨).

(٤) أي: أنا، وحذفت الألف وصلاً.

(٥) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٦٩-١٧٠)، الخصائص (٣٣٣/٢)، (٩٢/٣)، شرح المفصل لابن يعيش (٦٢/٨، ٦٤).

(٦) أثبت الياء في الوصل أبو جعفر وأبو عمرو وقالون والأصبهاني عن ورش، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب. النشر (٣١٦/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٦٧).

قال محمد: وقيل: ﴿حَسْبَانَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: مرامي، واحدها: حُسْبَانَةٌ^(١). ومن قرأ: (أقل) بالنصب^(٢) فهو مفعول ثانٍ ل(تري)، ودخلت (أنا) للتوكيد^(٣).

قال: ﴿فَتَصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾ تفسير الحسن: يعني: ترابًا لا نبات فيه.
قال محمد: (الصعيد): المستوي، ويُسمى وجه الأرض: صعيدًا، ولذلك يقال للتراب: صعيد^(٤)؛ لأنه وجه الأرض^(٥)، و(الزلق): الذي تزلُّ عليه الأقدام.

﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُمُ طَلَبًا﴾ ٤١ ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ٤٢ ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَصْخَرُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرِفًا﴾ ٤٣ ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ ٤٤ ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقَدِّرًا﴾ ٤٥ ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ ٤٦ ﴿

﴿أَوْ يَصْبَحَ﴾ يعني: أو يصير ﴿مَأْوَاهَا غَوْرًا﴾ أي: ذاهبًا قد غار في الأرض ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾.

(١) لسان العرب (حسب).

(٢) وهي قراءة الجمهور، وقرأ عيسى بن عمر (أقل) بالرفع. ينظر: الدر المصون (٤/٤٥٨).

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء (٢/١٤٥)، إعراب القرآن (٢/٢٧٦)، البحر (٦/١٢٩).

(٤) في الأصل: صعيدًا.

(٥) وهو قول ثعلب. ينظر مختار الصحاح (صعد).

قال محمد: (غورًا) مصدرٌ وضع موضع الاسم، يقال: ماء غورٌ، ومياه غورٌ^(١).

﴿وأحيط بثمره﴾ من الليل.

قال محمد: معنى (أحيط): أهلك.

﴿فأصبح﴾ من الغد ﴿يقلب كفيه﴾ قال الحسن: يقول: يضرب إحداهما على الأخرى ندامة ﴿على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها﴾.

قال محمد: معنى (خاوية على عروشها) أي: خرابٌ على سقفها، والأصل في ذلك: أن يسقط السقفُ ثم تسقط الحيطان عليها.

﴿ويقول﴾ في الآخرة ﴿يا ليتني لم أشرك بربي﴾ في الدنيا ﴿أحدًا﴾.

﴿ولم تكن له فئة﴾ أي: عشيرة ﴿ينصرونه من دون الله﴾.

قال محمد: قوله: ﴿فئةٌ ينصرونه﴾ ولم يقل: تنصُرُه^(٢)؛ المعنى: ولم يكن له أقوامٌ ينصرونه.

﴿هنالك الولاية لله الحق﴾ تقرأ برفع (الحق) وبجره^(٣)، فمن قرأها بالرفع فيقول: هنالك الولاية الحقُّ لله، ومن قرأها بالجر يقول: لله الحقُّ، والحق اسم من أسماء الله؛ المعنى: هنالك يتولَّى الله كلُّ عبدٍ لا يبقى أحدٌ يومئذٍ إلا تولَّى الله، فلا يقبل ذلك من المشركين.

(١) قيل: ماء غور؛ أي: غائر. وصف بالمصدر؛ كذرهم ضرب. لسان العرب، مختار الصحاح (غور).

(٢) لأن معنى (فئة): طائفة؛ فهي واحد في اللفظ، جمع في المعنى. والجمع: فئات، وفئون. لسان العرب، مختار الصحاح (فيء)، (فأي).

(٣) قرأ السبعة إلا أبا عمرو، والكسائي بالجر، أما أبو عمرو والكسائي فقد قرأ بالرفع. ينظر: السبعة (٣٩٢)، النشر (٣١١/٢).

قال يحيى: قال السُّدي: الولاية بالفتح.

قال محمد: وقرأها حمزة والكسائي بكسر الواو، ذكره أبو عبيد^(١).

قوله: ﴿هو خيرٌ ثوابًا وخيرٌ عقبًا﴾ أي: عاقبة.

قال محمد: (ثوابًا وعقبًا) منصوبان على التمييز^(٢).

﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض﴾.

قال محمد: يعني: اندفع في النبات، فأخذ النبات زخرفه.

﴿فأصبح هشيماً تذروه الرياح﴾ فأخبر أن الدنيا ذاهبةٌ زائلة؛ كما ذهب ذلك

النبات بعد بهجته وزيته.

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات﴾ هي في تفسير

الحسن: [الفرائض]^(٣) ﴿خيرٌ عند ربك ثوابًا وخيرٌ أملًا﴾ يقول: هي جزاء ما

قدموه في الدنيا (ل١٩٦) أي يثابوه في الآخرة.

﴿وَيَوْمَ نُسِِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (٤٧) وَعَرَضُوا عَلَى

رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ

الْكِتَابُ فَفَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُبَوِّلُنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ

(١) قال ابن السكيت: الولاية - بالكسر -: السلطان، والولاية - بالفتح والكسر - النصر. وقال

سيبويه: الولاية - بالفتح -: المصدر، وبالكسر: الاسم. وقراءة الفتح هي قراءة السبعة إلا

حمزة والكسائي، فقد قرأ بالكسر. ينظر: السبعة (٣٩٢)، النشر (٢/٢٧٧)، التيسير

(١٤٣).

(٢) إعراب القرآن (٢/٢٧٨)، البحر (٦/١٣١)، التبيان (٨٤٩).

(٣) مشتبهة بالأصل؛ وانظر تفسير ابن كثير (٥/١٥٧).

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَيْنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ
وَدُرَيْتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾
﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة﴾ أي: مستوية ليس عليها بناء ولا
عمد.

قال محمد: يجوز النصب في قوله: (ويوم نسير)^(١) على معنى: واذكر يوم
نسير الجبال.

﴿وحشرناهم فلم تغادر منهم أحدا﴾ يقال: أحضروا؛ فلم يغب منهم أحد.
قال محمد: يقال: غادرت كذا وغذرت؛ أي: خلفته^(٢).
﴿وعرضوا على ربك صفًا﴾ (أي: صفوفًا)^(٣) ﴿لقد جثتمونا كما خلقناكم
أول مرة﴾ أي: حفاة عراة غرلا، يعني: غُلْفًا غير مُخْتَتِنِينَ.

يحيى: عن الأزهر بن عبد الله الأزدي «أن رسول الله لما قرأ هذه الآية
قالت عائشة: يا سوءتاه لك يا ابنة أبي بكر! فقال رسول الله: الناس يومئذ
أشغل من أن ينظر بعضهم إلى بعض؛ إن أول من يكسى إبراهيم خليل الله^(٤)»

(١) ينظر البحر المحيط (٦/١٣٤)، الدر المصون (٤/٤٦١).

(٢) لسان العرب (غدر).

(٣) مكرر في الأصل.

(٤) روى البخاري (١١/٣٨٥ رقم ٦٥٢٧) ومسلم (٤/٥٠٠ رقم ٢٨٥٩) عن عائشة قالت: قال
رسول الله ﷺ: تحشرون حفاة عراة غرلا. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال
والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال: الأمر أشد من أن يهملهم ذلك.
وروى البخاري (١١/٣٨٥ رقم ٦٥٢٦) ومسلم (٤/٢١٩٤ رقم ٢٨٦٠) عن ابن عباس أن
رسول الله ﷺ قال: «إن أول الخلاق يكسى يوم القيامة: إبراهيم خليل الله».

من حديث يحيى بن محمد .

﴿بل زعمتم﴾ يقول للمشركين ﴿أن لن نجعل لكم موعداً﴾ يعني : أن لن تُبعثوا .

﴿ووضع الكتاب﴾ يعني : ما كانت تكتب عليهم الملائكة في الدنيا ﴿فترى المجرمين﴾ يعني : المشركين ﴿مشفقين﴾ أي : خائفين ﴿مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ في كتبهم ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ .

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن﴾ قال الحسن : وهو أول الجن ؛ كما أنَّ آدم من الإنس ؛ وهو أول الإنس . وتفسير قتادة : كان من الجن قَبِيلٌ ^(١) من الملائكة ؛ يقال لهم : الجن ، وكان ^(٢) على خزانة السماء الدنيا ﴿ففسق عن أمر ربه﴾ أي : عصى أمره .

قال محمدٌ : الفسوق أصله : الخروجُ ؛ تقول العرب : فسقت الرُّطبة ؛ إذا خرجت من قشرها ^(٣) .

﴿أفتتخذونه وذريته﴾ يعني : الشياطين الذين دعوهم إلى الشرك ﴿أولياء من دوني﴾ .

﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ أي : بئس ما استبدلوا بعبادة ربهم طاعة إبليس .

(١) القبيل : الجماعة تكون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتى ، ويطلق على الأتباع . لسان العرب ، مختار الصحاح (قبل) .

(٢) أي : إبليس .

(٣) قال ابن الأعرابي : لم يُسمع قط في كلام الجاهلية ولا في شعرهم : فاسق . قال : وهذا عجب ، وهو كلام عربي . لسان العرب ، مختار الصحاح (فسق) .

﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝٥١﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمُجَدِّدِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۝٥٦﴾

﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ وذلك أن المشركين قالوا: إن الملائكة بنات الله؛ أي: ما أشهدتهم شيئاً من ذلك ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ أي: أعواناً ﴿وجعلنا بينهم﴾ يعني: وصلهم الذي كان في الدنيا ﴿موبقاً﴾ أي: مهلكاً؛ في تفسير بعضهم.

قال محمد: يقال: وبق الرجل يوبق وبقا، وأوبقه الله؛ أي: أهلكه^(١).

﴿ورأى المجرمون﴾ المشركون ﴿النار فظنوا﴾ أي: علموا ﴿أنهم موافعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ أي: مغدلاً إلى غيرها.

﴿ولقد صرّفنا﴾ أي: ضربنا ﴿في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾.

قال محمد: المعنى: ولقد بينا للناس من كل مثل يحتاجون إليه.

﴿وكان الإنسان﴾ يعني: الكافر ﴿أكثر شيء جدلاً﴾.

(١) هذا الفعل فيه لغات: وبق يبق وبقاً، ويقال: وبق يبق وبقاً، ويقال: وبق يوبق وبقاً؛ كله بمعنى. لسان العرب، مختار الصحاح (وبق).

قال محمد: هو كقوله: ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾.

﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم﴾ من شركهم ﴿إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾ يعني: ما عذب الله به الأمم السالفة ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ عياناً .

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين﴾ بالجنة ﴿ومنذرين﴾ من النار ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾ أي: ليذهبوه - فيما يظنون - ولا يقدرّون على ذلك .

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۖ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَحْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ۝٥٨﴾ وَتِلْكَ الْأَفْرَافُ أَهْلَكْتَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝٥٩ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْنَهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَتِلْغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠﴾

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ أي: لم يؤمن بها؛ أي: لا أحد أظلم منه .

﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ لئلا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ وهو الصمم عن الهدى ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا﴾ إذا أبداً يعني: الذين يموتون على شركهم .

﴿وربك الغفور ذو الرحمة﴾ يعني: لمن آمن .

﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مُوْتَلًّا﴾ قال الحسن: ملجأ.

قال محمد: يقال: وأل فلان إلى كذا؛ إذا لجأ، ويقال: لا وألث نفسك؛ أي: لا نجت، وفلان موائل؛ أي: (مُبادر)^(١) لينجُو، ومن هذا قول الشاعر:

[لا واءلت نفسك خليتها للعامرين ولم تُكَلِّمِ]^(٢)

(ل ١٩٧) قوله: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا وجحدوا رسلهم ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ أي: لعذابهم ﴿مَوْعِدًا﴾ أجلًا ووقتًا.

قال محمد: من قرأ: (لَمْهْلِكِهِمْ) بضم الميم وفتح اللام^(٣) - فهو مصدر أَهْلَكَه إِهْلَاكًا وَمُهْلَكًا^(٤). ومن قرأ: (لَمْهْلِكِهِمْ) بنصب الميم واللام^(٥)؛ أراد هَلَكُوا مَهْلَكًا^(٦).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ وهو يوشع بن نون ﴿لَا أُبْرَحُ﴾ أي: لا أزول ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ يعني: حيث التقيا. قال قتادة: يعني: بحر فارس والروم ﴿أَوْ أَمْضِيَ حَقْبًا﴾ الحقب: سبعون سنة، وقيل: ثمانون^(٧).

(١) طمس في الأصل، والمثبت من لسان العرب (وأل).

(٢) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل، واستدرسته من تفسير الطبري (٢٦٦/١٥) وتفسير القرطبي (٨/١١) وهو يناسب المعنى المتقدم. ينظر لسان العرب (وأل).

(٣) وهي قراءة السبعة إلا عاصمًا. ينظر: التيسير (١٤٤) النشر (٣١١/٢) الدر المصون (٤/٤٦٧).

(٤) (إِهْلَاكًا) مصدر قياسي، و(مُهْلَكًا) مصدر ميمي.

(٥) وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر عنه، وروى حفص بفتح الميم وكسر اللام. ينظر إتحاف الفضلاء (٢٩٢)، السبعة (٣٩٣) الدر المصون (٤/٤٦٧).

(٦) يقال: هَلَكَ الشَّيْءُ يَهْلِكُ هَلَاكًا وَهَلُوكًا وَمَهْلَكًا بفتح اللام وكسرها وضمها. لسان العرب (هلك).

(٧) وقيل غير ذلك، تنظر هذه الأقوال من ابن كثير (١٧٠/٥)، الدر المصون (٤/٤٦٩).

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۖ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءٌ لَّكَ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ۖ﴾ (٦٦) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۖ﴾ (٦٧) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ ءَآثَارِهِمَا قَصَصًا ۖ﴾ (٦٨) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءِتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۖ﴾ (٦٩) قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُسُلَنَا ۖ﴾ (٧٠) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ﴾ (٧١) وَكَيْفَ نَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۖ﴾ (٧٢) قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۖ﴾ (٧٣) قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلِنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۖ﴾ (٧٤) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخْرِقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۖ﴾ (٧٥) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۖ﴾ (٧٦) قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۖ﴾ (٧٧) فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا رَكِيَةً يَغْيِرُ نَفْسِي لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۖ﴾ (٧٨)

﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله﴾ يعني: الحوت ﴿في البحر سرَبًا﴾.

قال محمد: سرَبًا يعني: مذهبًا ومسلَكًا؛ وهو مصدر^(١)؛ المعنى: نسيا حوتهما؛ فجعل الحوت طريقه في البحر، ثم يَبْنِ كيف ذلك؛ فكأنه قال: سرب يسْرُبُ سرَبًا^(٢).

(١) أي: مصدر وضع موضع الاسم.

(٢) وقيل: سَرَب يسْرُبُ سرُوبًا. وقيل: السَّرَب بيت في الأرض. لسان العرب، مختار الصحاح (سرب).

قال يحيى: ذكر لنا أن موسى لما قطع البحر وأنجاه الله من آل فرعون جمع بني إسرائيل فخطبهم، فقال: أنتم اليوم خير أهل الأرض وأعلمهم، قد أهلك الله عدوكم، وأقطعكم البحر، وأنزل عليكم التوراة، قال: فقيل له: إن ها هنا رجلاً هو أعلم منك، فانطلق هو وفتاه يوشع يطلبانه وتزودا سمكة مملوحة في مكمل^(١) لهما، وقيل لهما: إذا نسيتما بعض ما معكما لقيتما رجلاً عالمًا يقال له: خضر.

قال يحيى: وذكر بعضهم أن موسى وفتاه لما أويا إلى الصخرة على ساحل البحر، باتا فيها، وكان عندها عين ماء؛ فأكلا نصف الحوت وبقي نصفه، فأدنى فتاه المكمل من العين، فأصاب الماء الحوت، فعاد فانسرب، ودخل في البحر، ومضى موسى وفتاه ﴿فلما جاوزوا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ أي: شدة ﴿قال أرأيت إذ أونا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾ ﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ موسى تعجب من أثر الحوت في البحر ﴿قال ذلك ما كنا نبغي﴾^(٢) أي: ذلك حيث أمرت أن أجد خضراً. ﴿فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ أي: رجعا حتى أتيا الصخرة.

قال محمد: المعنى: رجعا في الطريق الذي سلكاه، يقصان الأثر قصصاً. قال: فأتبعنا الأثر في البحر، وكان الحوت حيث مرّ جعل يضرب بذنبه يمينا وشمالاً في البحر، فجعل كل شيء يضربه الحوت بذنبه يئس، فصار كهية طريق في البحر، فأتبعنا أثره، حتى إذا خرجا إلى جزيرة فإذا هما بالخضر في

(١) هو شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعاً. مختار الصحاح (كتل).

(٢) أثبت الياء وصلّ المديان وأبو عمرو والكسائي، وأثبتها في الحاليين ابن كثير ويعقوب، وقرأ الباقر بغير ياء. النشر (٣١٦/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٦٩).

روضة يصلي، فأتياه من خلفه، فسلم عليه موسى، فأنكر الخضر التسليم في ذلك الموضع، فرفع رأسه فإذا هو بموسى فعرفه. فقال: وعليك السلام يا نبي بني إسرائيل، فقال موسى: وما يدريك أنني نبي بني إسرائيل؟ قال: أدراني بذلك الذي أدراك بي ﴿قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً قال إنك أن تستطيع معي صبراً﴾.

﴿فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال﴾ موسى: ﴿أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمراً﴾ أي: عظيماً من المنكر ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ وكان موسى ينكر الظلم، قال له موسى: ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ يعني: ذهب مني ذكره ﴿ولا ترهقني من أمري عسراً﴾.

قال محمد: (ترهقني) معناه: تُعَتِّني^(١)؛ أي: عاملني باليسر لا بالعسر. ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زاكية﴾^(٢) ﴿أي: لم تُذنب بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً﴾.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (٧٥) ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي فَدَ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذْرًا﴾ (٧٦) ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أُنْيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (٧٧) ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (٧٨) ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ

(١) وقيل: أرهقه عُسراً: كلَّفه إياه، يقال: لا ترهقني لا أرهقك الله، أي: لا تعسرني لا أعسرِكَ الله. مختار الصحاح (رهق).

(٢) هكذا في الأصل: زاكية. وهي قراءة نافع وابن كثير، وأبي عمرو. ينظر: السبعة (٣٩٥)، النشر (٣١٣/٢)، التيسير (١٤٤).

سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْفُلُّ فَأَمَّا أَبُوهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَّوْهُ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكِ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً﴾ أي: قد أعذرت فيما بيني وبينك ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾ أي: يسقط (١) .

قال محمد: الجدار (١) (١٩٨) يكون هذا على التشبيه، ومثل هذا مستفيض في كلام العرب وأشعارها؛ قال الراعي:

في مَهْمِهِ قَلَقْتُ بِهِ هَامَاتُهَا قَلَقَ الْفُؤُوسُ إِذَا أَرْذَنَ نُصُولًا (٢)

قوله: ﴿قال لو شئت﴾ موسى قاله ﴿لاتخذت عليه أجراً﴾ أي: ما يكفيها اليوم ﴿قال هذا فراق بيني وبينك﴾ .

قال محمد: المعنى: هذا فراق اتصالنا .

﴿أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم﴾ أي: أمامهم ﴿ملك يأخذ كل سفينة غصباً﴾ وهي في بعض القراءة

(١) طمس في الأصل.

(٢) ينظر ديوان الراعي (٢٢٢)، والطبري (١٨٧/١٥)، والقرطبي (٢٦/١١) والشرط الأول مطموس من الأصل، وأثبتته من ديوانه.

(كل سفينة صالحة) ^(١). قال محمد: يكون «وراء» بمعنى: بعد ^(٢)، وهو قوله ﴿ومن ورائه عذاب غليظ﴾ ^(٣) ومنه قول النابغة:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وليس وراءَ اللَّهِ للمرءِ مذهبٌ ^(٤)
أي: ليس بعد مذاهب الله للمرء مذهب.

وتكون بمعنى: أمام ^(٥)؛ ومن هذا قول القائل:

أَتَوَعِدُنِي وَرَاءَ بَنِي رِيَّاحٍ كَذَبْتُ لَتَقْصُرَنَّ يَدَاكَ عَنِّي ^(٦)
يريد أمام ^(٧) بني رياح.

قوله: ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾ قال قتادة: وفي بعض القراءة: (فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين) ^(٨).

﴿فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا﴾.

(١) وهي قراءة أبي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن جبير. ينظر: البحر (١٥٤/٦)، القرطبي (٣٤/١١).

(٢) وراء يكون بمعنى (خلف)، وبمعنى (قدام)، وهو من الأضداد. لسان العرب، ومختار الصحاح (وري).

(٣) إبراهيم: ١٧.

(٤) البيت من بحر الطويل، ينظر ديوانه (٥٥)، القرطبي (٢٦٦/٨).

(٥) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (وري).

(٦) البيت لجبر، وهو من بحر الوافر، ينظر: خزنة الأدب (٧/٨) وفيه: لتقصرن يداك دوني.

وقال صاحب الخزنة: ورياح - بكسر الراء بعدها مثناة تحتية - هو رياح بن يربوع بن حنظلة ابن مالك بن زيد مناة بن تميم.

(٧) وقال البغدادى في خزانته (٨/٨): ووراء بمعنى خلف.

(٨) وهي قراءة ابن عباس وأبي. ووردت القراءة في الأصل معكوسة أي: (وكان أبواه مؤمنين وكان كافراً) وهذه ليست قراءة. ينظر البحر (١٥٤/٦، ١٥٥).

قال محمدٌ: ومعنى يرهقهما: أي: يحملهما على الرهق وهو الجهل^(١).
﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة﴾ في التقوى ﴿وأقرب رحماً﴾ أي:
براً؛ في تفسير الحسن.

قال محمدٌ: الرُّحْمُ في اللغة: العطفُ والرحمة^(٢).

﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما﴾ قال
الحسن وقتادة: أي: مألٌ ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ إلى قوله:
﴿وما فعلته عن أمري﴾ أي: إنما فعلته عن أمر الله ﴿ذلك تأويل﴾ تفسير ﴿ما
لم تسطع عليه صبراً﴾.

قال محمدٌ: الأشدُّ يختلف؛ فأشدُّ الغلام أن يشتد خلقه ويتناهى في
النبات^(٣)؛ يقال: ذلك ثماني عشرة سنة^(٤) وأشدُّ الرجل: الاكتهال، وأن
يشتد رأيه وعقله وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة^(٥).

ونصبت (رحمةً) أي: فعلنا ذلك رحمةً^(٦)، ويجوز أن يكون على المصدر
بمعنى رحمهما بذلك رحمةً^(٧).

قال يحيى: بلغني أنهما لم يتفرقا حتى بعث الله طائراً؛ فطار إلى المشرق

(١) يقال: أرهقه طغياناً؛ أي: أغشاه إياه. مختار الصحاح (رهق).

(٢) وهو الرُّحْم أيضاً، لسان العرب (رحم).

(٣) أي: في النمو والقوة.

(٤) وفي مختار الصحاح (شدد): ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين. أي: بلوغ الأشد في هذه السن.

(٥) لسان العرب، مختار الصحاح (شدد).

(٦) أي: النصب على المفعول لأجله، وفيه توجيهات نحوية أخرى تنظر من الدر المصون (٤/٤٧٩).

(٧) أي: النصب على المفعول المطلق. ينظر الدر المصون (٤/٤٧٩).

ثم طار إلى المغرب، ثم طار نحو السماء ثم هبط إلى البحر، فتناول من ماء البحر بمنقاره وهما ينظران، فقال الخضر لموسى: أتعلم ما يقول هذا الطائر؟ يقول: ورب المشرق ورب المغرب، ورب السماء السابعة، ورب الأرض السابعة، ما علمك يا خضر وعلم موسى في علم الله إلا قدر هذا الماء الذي تناولته من البحر في البحر.

وذكر لنا أن نبي الله قال: إنما سُمِّيَ الْخَضِرُ؛ لأنه قعد على قردٍ^(١) بيضاء فاهتزت به خضراء.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنُ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾﴾

قال: ﴿ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكراً﴾ يعني: خبراً ﴿إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيء سبباً﴾ قال قتادة: يعني: علمه

(١) وهو الموضع المرتفع من للأرض، ويقال للأرض المستوية أيضاً: قردد. النهاية (قرد). قلت: والمشهور «على فروة بيضاء» كما رواه البخاري (٦/٤٩٩ رقم ٣٤٠٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، والفروة: الأرض اليابسة، وقيل: الهشيم اليابس من النبات. النهاية (فروة).

الذي أُعْطِيَ؛ بلغنا أنه ملك مشارق الأرض ومغاربها ﴿فَاتَّبَع سَبِيلًا﴾ قال قتادة: يعني منازل الأرض ومعالمها ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجدهَا تَغْرِبُ فِي عَيْنِ حَمِئَةٍ﴾ وهي تقرأ: (حامية)^(١) قال ابن أبي مُلَيْكَةَ: اختلف ابن عباس وعمرو بن العاص؛ فقال ابن عباس: (حمئة)^(٢) وقال عمرو بن العاص: (حامية)، فجعللا بينهما كعبًا الخَبْر؛ فقال كعبٌ: نجدها في التوراة: تغرب في ماءٍ وطين؛ كما قال ابن عباس.

يحيى: ومن قرأ: (حامية) فالمعنى: أي: ذات حَمَاءَةٍ؛ تقول: حَمِئْتُ البئر فهي حَمِئَةٌ^(٣) إذا صارت [فيها الحمأة فتكدرت وتغيّر رائحتها]^(٤)

(ل ١٩٩) ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تَعَذَّبَ﴾ يعني: القتل ﴿وَلِإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حَسَنًا﴾ يعني: العفو، في تفسير السُّدي، قال: فحكموه فحكم بينهم ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ يعني: من أشرك ﴿فَسُوفَ نَعَذِّبُهُ﴾ يعني: القتل ﴿ثُمَّ يَرُدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا﴾ عظيمًا في الآخرة ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جِزَاءٌ الْحَسَنَى﴾ تفسير مجاهد: الحسنى هي: لا إله إلا الله، والجزاء: الجنة.

وقال السدي: فله جزاء الحسنى؛ يعني: العفو.

قال محمد: لم يبين يحيى كيف كانت قراءة السدي والذي يدل عليه تفسيره

(١) وهي قراءة ابن عامر وحزمة والكسائي وأبي بكر عن عاصم من السبعة، ووردت القراءة في الأصل (حائمة) بالهمزة، ينظر السبعة (٣٩٨)، النشر (٣١٤/٢)، التيسير (١٤٥).

(٢) وهي قراءة باقي السبعة. ينظر المراجع السابقة.

(٣) حَمِئْتُ تَحْمًا حَفْنًا، وهو حيي، وهي حَمِئَةٌ. لسان العرب (حما).

(٤) ما بين المعقوفين مطموس من الأصل، والمثبت من لسان العرب والمعجم الوسيط (حما).

أنه كان يقرؤها: (فله جزاء)^(١) بالنصب والتنوين، وكذلك قرأها غير واحد؛ المعنى: فله الحسنى جزاء على التقديم والتأخير، و(جزاء) مصدر في موضع الحال؛ فله الحسنى مجزيًا بها جزاء^(٢).

﴿وسنقول له من أمرنا يُسرًا﴾ أي: معروفًا.

﴿ثم أتبع سببًا﴾ يعني: طرق الأرض ومعالمها ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليهم البناء، وأنهم يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا في معاشهم وحروثهم ﴿قال كذلك وقد أحننا بما لديه خبرا﴾ أي: هكذا كان ما قص من أمر ذي القرنين ﴿ثم أتبع سببًا﴾ طرق الأرض ومعالمها ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ قال قتادة: هما جبلان ﴿وجد من دونهما قومًا لا يكادون يفقهون قولًا﴾ يعني: كلام غيرهم، وهي تقرأ على وجه آخر: ﴿لا يكادون يفقهون قولًا﴾^(٣) أي: لا يفقه أحد كلامهم.

﴿قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ لَنَا بَيْنَهُمُ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ (٩٤) قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلُوا نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون: (جزاء الحسنى) بالرفع دون تنوين. ينظر السبعة (٣٩٨)، النشر (٣١٥/٢) الدر المصون (٤/٤٨٠).

(٢) ينظر معاني القرآن للفراء (١٥٩/٢)، إعراب القرآن (٢٩٢/٢)، مجمع البيان (٤٩١/٣).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي من السبعة، وقرأ الباقون (يَفْقَهُونَ). ينظر: السبعة (٣٩٩)، النشر (٣١٥/٢).

عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا أَسْتَطِعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُمْ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾

﴿قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾ أي: قاتلون الناس في الأرض؛ يعني: أرض الإسلام ﴿فهل نجعل لك خرجًا﴾ أي: جُعَلًا^(١). ﴿على أن تجعل بيننا وبينهم سدًا قال ما مكني فيه ربي خير﴾ من جعلكم.

قال محمد: من قرأ (مَكْنِي) ^(٢) فالمعنى: مكنتي، إلا أنه أدغم النون في النون؛ لاجتماع النونين، ومن قرأ (مَكْنِي) ^(٣) بإظهار النونين، فذلك جائز؛ لأنهما من كلمتين: الأولى من الفعل، والثانية تدخل مع الاسم المضمر ^(٤).

﴿فأعينوني بقوة﴾ يعني: عددًا من الرجال ﴿أجعل بينكم وبينهم ردما﴾.

قال محمد: الرَّدْمُ في اللغة: أكثر من السَّد؛ لأنَّ الرَّدْمَ ما جعل بعضه على بعض؛ يقال: ثوب مُرْدَمٌ؛ إذا كان قد رُقِعَ رُقْعَةٌ فوق رُقْعَةٍ ^(٥)، ويقال لكل ما كان مسدودًا خِلْقَةً: سُدٌّ، وما كان من عمل الناس فهو سَدٌّ بالفتح، وقد قيل: إنهما لغتان بمعنى واحد: سُدٌّ، وسَدٌّ بالفتح والضم ^(٦).

(١) وهو ما جعل للإنسان من شيء على فعل. وكذا الجَعَالَة والجَعِيلَة. لسان العرب، مختار الصحاح (جعل).

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير. ينظر: الحجة (٢٣٢)، النشر (٣١٥/٢).

(٣) وهي قراءة ابن كثير وحده. ينظر السبعة (٤٠٠)، التيسير (١٤٦).

(٤) ينظر الدر المصون (٤٨٢/٤).

(٥) لسان العرب، القاموس المحيط (ردم).

(٦) وقيل: السَّد - بالفتح والضم - : الجبل والحاجز. وقال بعضهم: السَّد - بالضم - : ما كان من خلق الله، وبالفتح: ما كان من عمل بني آدم. لسان العرب، مختار الصحاح (سد).

﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين﴾ يعني: رأس الجبلين؛ في تفسير مجاهد؛ أي: سَدَّ ما بينهما ﴿قال انفخوا﴾ أي: على الحديد ﴿حتى إذا جعله نارًا﴾ يعني: أحماه بالنار ﴿قال آتوني﴾ أعطوني ﴿أفرغ عليه قطرًا﴾ فيها تقديم: أعطوني ^(١) قطرًا أفرغ عليه، والقطر: النحاس ^(٢)؛ فجعل أساسه الحديد، وجعل ملاطه النحاس.

قال محمد: الملاط: هو الطين الذي يُجعل في البناء ما بين كل صفين ^(٣). ﴿فما استطاعوا أن يظهروه﴾ أي: يظهروا عليه من فوقه ﴿وما استطاعوا له نقبًا﴾ من أسفله ﴿قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي﴾ يعني: خروجهم ﴿جعله﴾ يعني: السدَّ ﴿دكًا﴾ ^(٤) قال قتادة: أي: يتعفر بعضه على بعض، وتقرأ على وجه آخر: «دكًا» ^(٥) ممدودة؛ أي: جعله أرضًا مستوية. يحيى: عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أبي رافع، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ يَخْرُقُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرُونَ شِعَاعَ الشَّمْسِ (ل) (٢٠٠) قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسْتَحْفَرُونَهُ غَدًا؛ فَيَعِيدُهُ اللَّهُ كَأَشَدَّ مَا كَانَ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ مَدَّتُهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ حَفَرُوا حَتَّى إِذَا كَادُوا يَرُونَ شِعَاعَ الشَّمْسِ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ: ارْجِعُوا فَسْتَحْفَرُونَهُ غَدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَيَغْدُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ،

(١) أي: والتقدير: أعطوني... إلخ.

(٢) لسان العرب، مختار الصحاح (قطر).

(٣) وفي المعجم الوسيط: يُجعل بين كل لبنتين أو أجرّتين أو حجرين. ينظر: المعجم الوسيط (ملط).

(٤) هكذا في «الأصل» دكًا. وهي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي وعاصمًا ينظر: السبعة (٤٠٢). التيسير (١٤٦).

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم. ينظر: النشر (٢/ ٢٧١) الحجة (١٦٣، ٢٣٣).

فيخرقونه، فيخرجون على الناس فينشفون المياه، ويتحصّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وفيها كهيئة الدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلّونا أهل السماء! فيبعث الله عليهم نغفاً^(١) في ألقائهم فيقتلهم بها^(٢).

(١) النَّغْفُ: دود يكون في أنوف الإبل والغنم، مفردة: نَغْفَةٌ: لسان العرب، مختار الصحاح (نغف).

(٢) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (١٢٠٥-١٢٠٦ رقم ٦٦٦) عن ابن أبي زئيم بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

ورواه الإمام أحمد (٥١٠-٥١١) وابن ماجه (١٣٦٤-١٣٦٥ رقم ٤٠٨٠) والطبري في تفسيره (٢١/١٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة.

ورواه الإمام أحمد (٥١١/٢) والترمذي (٢٩٣-٢٩٤ رقم ٣١٥٣) وابن حبان (١٥/٢٤٣-٢٤٢ رقم ٦٨٢٩) والحاكم (٤٨٨/٤) من طريق قتادة به

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه مثل هذا.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الصحيحين، ولم يخرجاه.

وقال ابن كثير في تفسيره (١٠٨/٣): وإسناده جيد قوي، ولكن متنه في رفعه نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روى عن كعب الأحبار. ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب الأحبار؛ فإنه كان كثيراً ما كان يجالسه ويحدثه، فحدث به أبو هريرة؛ فتوهم بعض الرواة عنه أنه مرفوع فرفعه، والله أعلم. ويؤيد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه، ومن نكارة هذا المرفوع؛ قول الإمام أحمد. حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان، عن أمها أم حبيبة، عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ - قال سفيان: أربع نسوة - قالت: «استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا. وحلق، قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخبث» هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على إخرجه من حديث الزهري. اهـ.

وقال ابن حجر في الفتح (١١٦/١٣): ورجاله رجال الصحيح إلا أن قتادة مدلس، وقد رواه بعضهم عنه فأدخل بينهما واسطة، أخرجه ابن مردويه، لكن وقع التصريح في رواية سليمان التيمي عن قتادة بأن أبا رافع حدثه، وهو في صحيح ابن حبان، وأخرجه ابن ماجه من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: «حدث أبو رافع» وله طريق آخر عن أبي هريرة، أخرجه عبد بن حميد من طريق عاصم عن أبي صالح عنه، لكنه موقوف اهـ

قال يحيى: وسُئِلَ علي بن أبي طالب عن ذي القرنين؛ فقال: كان عبدا صالحا دعا قومه إلى الإيمان فلم يجيبوه، فضربوه على قرنه فقتلوه، فأحياه الله، ثم دعا قومه أيضا، فضربوه على قرنه فقتلوه فأحياه الله، فُسِمِي: ذا القرنين.

﴿وَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَهُمْ جَمْعًا ۝٩٩ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۝١٠٢ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۝١٠٤ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ۝١٠٥ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي هُزُولًا ۝١٠٦﴾

﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ يعني: يوم يخرجون من السد و﴿نفخ في الصور فجمعناهم جمعا﴾ والصور: قرن ينفخ فيه صاحب الصور. ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري﴾ كانت على أعينهم غشاوة الكفر و﴿كانوا لا يستطيعون سمعا﴾ أي: لا يسمعون الهدى بقلوبهم.

﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ يعني: من عبد الملائكة، يقول: أفحسبوا أن تتولاهم الملائكة على ذلك؟ أي: لا يتولونهم؛ وليس بهذا أمرتهم، إنما أمرتهم أن يعبدوني لا يشركون بي شيئا ﴿إنا أعتدنا أعددا﴾ للكافرين نزلا. أي: منزلا.

قال محمد: يقال: أعتدت لفلان كذا؛ أي: اتخذته عتادا له، والعتاد أصله: ما اتخذ ليملك فيه.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ هم أهل الكتاب .
 ﴿فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ هي مثل قوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٧٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٧٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٧٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٨٠﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾.
 يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن أبي هريرة
 قال: «الفردوس جبلٌ في الجنة تنفجر منه أنهار الجنة»^(٢).

﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ أي: تحوّلًا.

قال محمد: يقال: قد حال من مكانه حِوَلًا^(٣).

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ القلم يستمد منه للكتاب^(٤) ﴿لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾
 أي: لعلم ربي ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾

(١) المؤمنون: ١٠٣ .

(٢) روى البخاري (١٤/٦ رقم ٢٧٩٠) عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ؛ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ - أَرَاهُ قَالَ: وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ - وَمِنْهُ تَنْفَجِرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».

(٣) يقال: حَالٌ يَحُولُ حَوَلًا - أي: تحوّل. وقيل: الحَوَلُ مصدر، وقيل: هو اسم بمعنى التَّنَقُّلِ من موضع إلى موضع. لسان العرب، مختار الصحاح (حول).

(٤) أي: للكتابة. يقال: كَتَبَ يَكْتُبُ كِتْبًا وَكِتَابًا وَكِتَابَةً. لسان العرب (كتب).

أي: آخر مثله من باب المدد^(١).

قال محمد: (مددًا) منصوب على التمييز^(٢).

﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إلهٌ واحد﴾ وذلك أن المشركين قالوا له: ما أنت إلا بشرٌ مثلنا. فقال الله: ﴿قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إلهٌ واحد فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ أي: يخاف البعث ﴿فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ أي: يخلص له العمل. يحيى: عن الفرات بن سلمان، عن عبد الكريم الجزري، عن طاوس، أن رجلاً قال: «يا رسول الله، إني رجلٌ أقف المواقف أريد وجه الله، وأحب أن يرى مكاني! فلم يرده عليه رسول الله ﷺ شيئاً، فنزلت هذه الآية: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه...﴾ إلى آخرها»^(٣).



(١) أي: العون والمساعدة. قال أبو زيد: مددنا القوم: صبرنا مددًا لهم، أما المداد فهو النفس؛ أي: الحبر اللازم للكتابة. لسان العرب، مختار الصحاح (مدد).

(٢) ينظر البحر المحيط (١٦٩/٦)، الدر المصون (٤٨٧/٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤١٤/١) وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (١١٢/٣) - من طريق معمر عن عبد الكريم الجزري به.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٠/٤): لابن أبي الدنيا في الإخلاص والطبراني والحاكم أيضًا.

تفسير سورة مريم وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿كَمِيعَصَ ١﴾ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرِيَّا ٢ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥ يَرَبُّنِي وَيَرْبُّ مِنْ عَالٍ يَقُوبُ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦ بَنَزَكِرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَكَ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ٧ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ٩ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ لَيْلًا سَوِيًّا ١٠ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بِكُرَّةٍ وَعَشِيًّا ١١﴾

قوله: ﴿كَمِيعَصَ﴾ كان الحسن يقول: لا أدري ما تفسيره، غير أن قوماً من أصحاب النبي ﷺ كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

قال يحيى: [ثم ابتداء] ^(١) الكلام فقال: ﴿ذكر رحمة ربك عبده زكريا﴾ يقول: ذكره لزكريا رحمة منه له ﴿إذ نادى ربه نداء خفياً﴾ (ل ٢٠١) أي: سرا ﴿قال رب إنني وهن العظم مني﴾ أي: ضعف ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾.

(١) في الأصل: غير أنه بدأ. والمثبت من «ر»

قال محمد: (شيئاً) منصوب على التمييز^(١).

﴿ولم أكن بدعائك رب شقياً﴾ أي: لم أزل بدعائي إياك سعيداً ﴿واني خفت الموالي من ورائي﴾ يعني: العصابة الذين [يرثوني]^(٢) ﴿من ورائي﴾ من بعدي؛ فأراد أن يكون من صُلْبِهِ من يرث ماله؛ في تفسير قتادة ﴿وكانت امرأتي عاقراً﴾ أي: لم تلد ﴿فهب لي من لدنك﴾ من عندك ﴿وليّاً﴾ يعني: ولداً ﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ أي: يرث ملكهم وسلطانهم؛ كانت امرأة زكريا من ولد يعقوب ليس يعني: يعقوب الأكبر؛ يعقوب دونه.

قال محمد: من قرأ (يرثني ويرث) بالرفع^(٣) جعله كالنعت للولي؛ المعنى: هب لي الذي يرثني.

ومن قرأها بالجزم^(٤) (يرثني ويرث من آل) فعلى جواب الأمر.

﴿اسمه يحيى﴾ قال قتادة: أحياء الله بالإيمان ﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾ قال قتادة: أي: لم يُسمَّ أحدٌ قبله يحيى ﴿قال رب أنى يكون لي غلام﴾ من أين يكون لي ولد ﴿وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ أي: (يُبْساً)^(٥).

قال محمد: يقال لكل شيءٍ قد يبس: عتا يَعتو عْتياً^(٦)، وعتوا.

﴿قال كذلك قال ربك هو عليّ هين﴾ قال له الملك: ﴿كذلك قال ربك هو

(١) إعراب القرآن (٢/٣٠١)، مجمع البيان (٣/٥٠٣)، البحر (٦/١٧٣).

(٢) في الأصل: يرثونه. والمثبت من «ر».

(٣) وهي قراءة السبعة إلا أبا عمرو والكسائي. ينظر: السبعة (٤٠٧)، التيسير (١٤٨)، النشر (٢/٣١٧).

(٤) وهي قراءة أبي عمرو والكسائي. ينظر المراجع السابقة.

(٥) في «ر»: يأساً.

(٦) بضم العين وكسرهما لغتان. لسان العرب، مختار الصحاح (عتو).

علي هين ﴿ أعطيك هذا الولد؛ وهو كلام موصول أخبر به الملك عن الله ﴿ قال ﴾ زكريا: ﴿ رب اجعل لي آية ﴾ علامة ﴿ قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً ﴾ يعني: صحيحاً لا يمنعك الكلام مرض. قال قتادة: إنما عوقب؛ لأنه سأل الآية بعد ما (شافهته الملائكة) ^(١) وبشرته يحيى، فأخذ عليه لسانه ^(٢)، فجعل لا يبين الكلام ﴿ فخرج على قومه من المحراب ﴾ يعني: المسجد ﴿ فأوحى إليهم ﴾ أشار إليهم ﴿ أن سبحوا بكرة وعشيا ﴾ أي: صلوا لله بالعبادة والعشي.

﴿ يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۚ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ ١٣ ۝ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً ۚ وَكَانَ تَقِيًّا ۝ ١٤ ۝ وَبَرًّا بِوَالَدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ۝ ١٥ ۝ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْثَرُ حَيًّا ۝ ١٦ ۝ ﴾

﴿ يا يحيى خذ الكتاب بقوة ﴾ أي: بجد ومواظبة ﴿ وآتيناه الحكم صبياً ﴾ يعني: الفهم والعقل.

قال يحيى: بلغنا أنه كان في صغره يقول له الصبيان: يا يحيى تعال نلعب. فيقول: ليس للعب خلقتنا!

﴿ وحناناً من لدنا ﴾ أي: أعطيناه رحمة من عندنا.

قال محمد: الحنان أصله: العطف والرحمة؛ ومنه قول الشاعر:

فَقَالَتْ حَنَانٌ مَا أَتَىٰ بِكَ هَا هُنَا أَدُو نَسَبٍ أَمْ أَنْتَ بِالْحَيِّ عَارِفٌ ^(٣)؟

(١) سقط من «ر».

(٢) أي: أُمسِك.

(٣) البيت من بحر الطويل، وهو لمنذر بن درهم الكلبي. ينظر تخريجه في الكتاب (١/ ٣٢٠)،

المقتضب (٣/ ٢٢٥)، شرح المفصل لابن يعيش (١/ ١١٨)، مع الهوامع (١/ ١٨٩)،

لسان العرب، تهذيب اللغة (حن).

قوله: (حنان)؛ أي: أمرنا حناناً: عطف ورحمة^(١).

﴿وزكاة﴾ قال قتادة: الزكاة: العمل الصالح ﴿وكان تقياً﴾.

يحيى: عن الربيع بن صبيح، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد من ولد آدم إلا قد أصاب ذنباً أو همٌّ به، غير يحيى بن زكريا لم يُصَبْ ذنباً، ولم يَهَمْ به»^(٢).

﴿وبراً بوالديه﴾ أي: مطيعاً لهما ﴿ولم يكن جباراً عصياً﴾ أي: مستكبراً عن عبادة الله ﴿وسلاماً عليه يوم ولد﴾ يعني: حين ولد ﴿ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾ يوم القيامة.

﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ ١٦ ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ ١٧ ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ ١٨ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ ١٩ ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بِبَغِيًّا﴾ ٢٠ ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ ٢١ ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ

(١) أي: مرفوع على الخبرية، والمبتدأ محذوف.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٥/٢) عن معمر عن قتادة عن الحسن مرفوعاً.

ورواه الحاكم في المستدرک (٥٩١/٢) والبيهقي في السنن (١٨٦/١٠) وابن عساکر في تاريخه (١٩٣/٦٤ - ١٩٤) من طريق حبيب بن الشهيد ويونس بن عبيد وحמיד عن الحسن. وللحديث طرق عن عدة من الصحابة موصولاً مرفوعاً وموقوفاً، وعن عدة من التابعين مرسلأً، وأسانيدھا فيها مقال، انظر: تاريخ دمشق (١٧٣/٦٤ - ١٧٤، ١٩٢ - ١٩٥) والدر المشور (٢٤/٢ - ٢٥) وتخريج تفسير أبي المظفر السمعاني (٢٧٩/٣ - ٢٨٠) فقد ذكرنا طرقاً منها هناك، والله أعلم.

بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتِ إِلَيْكِ الْجَنَّةَ تَسْقُطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

﴿واذكر في الكتاب﴾ يقول للنبي: اقرأ عليهم أمر مريم ﴿إذ انتبذت﴾ يعني: إذ انفردت ﴿من أهلها مكانا شرقيا...﴾ إلى قوله: ﴿تقيًا﴾ كان زكريا كفل مريم، وكانت أختها تحته، وكانت تكون في المحراب، فلما أدركت، كانت إذا حاضت أخرجها إلى منزله إلى أختها، وإذا طهرت رجعت إلى المحراب، فطهرت مرة، فلما فرغت من غسلها قعدت في مشرفة^(١) في ناحية الدار، وعُلقت عليها [ثوبًا]^(٢) سُترة؛ فجاء جبريل إليها في ذلك الموضع في صورة آدمي، فلما رآته قالت: ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيًا﴾ قال الحسن: تقول: إن كنت تقيًا لله فاجتنبني ﴿قال إنما أنا رسول ربك ليهب^(٣) لك غلامًا زكيًا﴾ أي: صالحًا ﴿قالت أني يكون﴾ من أين يكون ﴿لي غلام ولم يمسسني بشر﴾ أي: يجامعني زوج ﴿ولم أك بغيًا﴾ (ل ٢٠٢) أي: زانية ﴿قال كذلك قال ربك هو عليّ هين﴾ أن أخلقه ﴿ولنجعله آية للناس ورحمة منا﴾ أي: لمن قبل دينه ﴿وكان أمرًا مقضيًا﴾ يعني: كان عيسى أمرًا من الله مكتوبًا في اللوح المحفوظ أنه يكون. فأخذ جبريل جيها بأصبعه فنفخ فيه، فصار إلى بطنها، فحملت. قال الحسن: حملته تسعة أشهر في بطنها

(١) أي: شُرْفَة.

(٢) سقط من «ر».

(٣) كذا بالأصل؛ وهي قراءة أبي عمرو ويعقوب وورش، واختلفت الرواية عن قالون. وقرأ الباكون (لأهب). ينظر: النشر (٣١٧/٢).

﴿فانتبذت به مكانًا قصيًّا﴾ أي: انفردت به في مكان شاسع ﴿فأجاءها المخاض﴾ قال مجاهد: يعني: ألجأها.

قال محمد: وأصل الكلمة من: المجيء؛ يقال: (جاءت بي) ^(١) الحاجة إليك، وأجاءتني الحاجة إليك ^(٢)؛ قال زهير ^(٣):

وجارٍ سارٍ مُعْتَمِدًا عليكم
أجاءتُه المخافَةُ والزَّجاءُ ^(٤)

والمخاض: دُنو الولادة، يقال: مُخِضَتِ المرأةُ وَمَخِضَتِ ^(٥).

﴿قالت يا ليتني متُّ قبل هذا وكنت نسيًّا منسيًّا﴾ قال قتادة: تعني شيئًا لا يُعرف، ولا يُذكر؛ قالت هذا مِمَّا خَشِيتُ من الفضيحة.

قال محمد: النَّسْيُ في كلام العرب أضلُّه الشَّيْءُ الحَقِيرُ؛ الذي إذا أُلْقِيَ نُسِيَ غَفْلَةً عنه ^(٦).

﴿فناداها من تحتها﴾ قال قتادة: كنا نُحَدِّثُ أنه جبريل.

قال يحيى: وقال بعضهم: ﴿فناداها مَنْ تحتها﴾ يعني: عيسى.

قال محمد: لم يبين لنا [يحيى] ^(٧) كيف القراءة في قوله: (من تحتها) وذكر

(١) في «ر»: جئت في الحاجة إليك.

(٢) لسان العرب، مختار الصحاح (جيء).

(٣) هو زهير بن أبي سلمى ربعة الشاعر المشهور من المعمرين، مات عن مائة وعشرين عامًا، تنظر ترجمته في المعمرين لأبي حاتم السجستاني (٨٣)، الشعر والشعراء (١٣٧).

(٤) البيت من بحر الوافر، وهو لزهير بن أبي سلمى، ينظر ديوانه، شرح ديوان الحماسة (١/ ٣٠٢)، مجاز القرآن (٤/ ٢)، البحر (١٨٢/ ٦).

(٥) مخضت المرأة مَخَاضًا فهي ماخض. لسان العرب (مخض).

(٦) وقيل: النَّسْيُ: ما تلقى المرأة من خرق اعتلالها. لسان العرب، مختار الصحاح (نسي).

(٧) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

أبو عبيد: أنها تقرأ (مِنْ تَحْتِهَا) بكسر الميم والتاء التي بعد الحاء، وتقرأ أيضًا بفتحهما^(١)؛ فمن قرأ بالكسر؛ فتأويلها: أن جبريل ناداها، ومن قرأها بالفتح فتأويلها: عيسى هو الذي ناداها^(٢).

﴿ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ السري: الجدول، وهو النهز الصغير^(٣) ﴿وهزي إليك بجزع النخلة تساقط عليك رطبا جنياً﴾ أي: حين اجتني، وكان الجذع يابساً.

﴿فكُلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيلاً قَالُوا يَمْرُؤُا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً فَرِيّاً (٢٧) يَتَأَخَذَ هَؤُلَاءُ مَا كَانَ آبَاؤُهُمْ أَمْرًا سَوْءَ وَمَا كَانَتْ أُمَمٌ بِغِيّاً (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً (٣٠) وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً (٣١) وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً (٣٢) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٣) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٤) وَإِنَّ لِلَّهِ رِيعَ وَرَبِّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٥) فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٦) أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٧) ﴿فكُلي واشربي وقري عينا﴾.

(١) قرأ الأخوان ونافع وحفص عن عاصم بكسر الميم والتاء، وقرأ الباقون بفتح الميم والتاء.

ينظر: البحر المحيط (١٦٩/٦)، الدر المنصون (٤٩٩/٤) والنشر (٣١٨/٢).

(٢) ينظر تفصيل ذلك في الدر المنصون (٤٩٩/٤).

(٣) لسان العرب، مختار الصحاح (سرى).

قال محمد: يقال: قررتُ به عيناً أقرُّ - بفتح القاف - في المستقبل^(١) قُرُورًا، وقررتُ في المكان أقرُّ بكسر القاف^(٢)، و(عينا) منصوب على التمييز^(٣).

﴿فإما ترين من البشر أحدًا فقولي إني نذرت للرحمن صومًا﴾ أي: صمتًا ﴿فلن أكلم اليوم إنسيًا﴾ أذن لها في هذا الكلام، وكانت آية جعلها الله لها يومئذ .

قال محمد: يقال للممسك عن الطعام أو الكلام: صائم^(٤).

﴿لقد جئت شيئًا فريًا﴾ أي: عظيمًا.

قال محمد: يقال: فلانٌ يفري الفري إذا عمل عملًا أو قال قولًا فبالغ فيه؛ كان في خير أو شر^(٥)، وأنشد بعضهم:

ألا ربُّ من يدعو صديقًا ولو ترى مَقَالَتَهُ بالغيب سَاءَكَ مَا يَفْرِي^(٦)

قوله: ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء﴾ أي: ما كان زانيًا. قال قتادة: ليس بهارون أخي موسى، ولكنه هارون آخر كان يسمى هارون الصالح المحجَّب في عشيرته، المعنى: يا شبيهة هارون في عبادته وفضله .

﴿فأشارت إليه﴾ بيدها قال قتادة: أمرتهم بكلامه ﴿قالوا كيف نكلم﴾ أي:

(١) أي: في الفعل المضارع.

(٢) يقال: قَرَزْتُ به عيناً أقرُّ قَرَزًا وقُرُورًا. ويقال: قَرَزْتُ في المكان وبالمكان أقرُّ قَرَاةً. وقَرَزْتُ أيضًا أقرُّ قَرَاةً وقُرُورًا. لسان العرب، مختار الصحاح (قر).

(٣) ينظر: معاني القرآن للقراء (٢/١٦٦)، إعراب القرآن (٢/٣١١)، مجمع البيان (٣/٥١٠).

(٤) قال أبو عبيدة: كل مُمَسِّك عن طعام أو كلام أو سِرٍّ فهو صائم. لسان العرب، مختار الصحاح (صوم).

(٥) يقال: قَرَى يَفْرِي قَرِيًا والاسم: الفَرِيَّة، لسان العرب، مختار الصحاح (فرى).

(٦) البيت من بحر الطويل. ينظر البيان والتبيين (١/٥٨٩).

كيف نكلم ﴿من كان﴾ أي: من هو ﴿من المهد صبيًا﴾ والمهد: الحِجر؛ في تفسير قتادة.

﴿وجعلني مباركًا أينما كنت﴾ يقول: جعلني معلمًا مؤدبًا ﴿ولم يجعلني جبارًا﴾ أي: مستكبرًا عن عبادة الله ﴿والسلام عليَّ يوم ولدت...﴾ الآية، ولم يتكلم بعد ذلك بشيء حتى بلغ مبلغ الغلمان ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق﴾ قال الحسن: الحق: هو الله.

قال محمد: من قرأ (قَوْلُ) بالرفع^(١)؛ فالمعنى: هو قول الحق^(٢).

﴿الذي فيه يمترون﴾ قال قتادة: امترت فيه اليهود والنصارى؛ أمّا اليهود؛ فزعموا أنه ساحرٌ كذاب، وأمّا النصارى فزعموا أنه ابن الله وثالث ثلاثة [ولله]^(٣) ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولدٍ سبحانه﴾ (ل٢٠٣) ينزه نفسه عما يقولون ﴿إذا قضى أمرًا فإنما يقول له كن فيكون﴾ [يعني: عيسى]^(٣) كان في علمه أن يكون من غير أب.

قال محمد: قوله: ﴿أن يتخذ من ولدٍ﴾ المعنى: أن يتخذ ولدًا ومن مؤكدة^(٤). ﴿وإن الله ربي وربكم...﴾ الآية، هذا قول عيسى لهم ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ يعني: النصارى؛ فتجادلوا في عيسى؛ فقالت فرقة: هو ابن الله، وقالت فرقة: إن الله هو المسيح ابن مريم، وقالت فرقة: الله إله، وعيسى إله، ومريم إله.

(١) وهي قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن كثير، والكسائي. ينظر: الدر المصون (٤/٥٠٥)، السبعة (٤٠٩)، التيسير (١٤٩)، النشر (٣١٨/٢).

(٢) وينظر توجيه الرفع من البحر (٦/١٨٩)، مجمع البيان (٣/٥١٣).

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من ر.

(٤) ينظر: إعراب القرآن (٢/٣١٥)، مجمع البيان (٣/٥١٣)، البيان (٢/١٢٦).

قال الله: ﴿فويلٌ للذين كفروا من مشهد يوم عظيم أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا﴾ وذلك يوم القيامة يقول: ما أسمعهم يومئذ وما أبصرهم؛ سمعوا حين لم ينفعهم السَّمْعُ، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر .

﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۖ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ۖ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۖ ﴿٤٢﴾ يَتَابَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۖ ﴿٤٣﴾ يَتَابَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۖ ﴿٤٤﴾ يَتَابَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۖ ﴿٤٥﴾﴾

﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ يعني: إذ وجب العذاب فوق بآهل النار.

يحيى: عن صاحب له، عن سفيان^(١)، عن سلمة بن كهيل، عن أبي الزعراء، عن عبد الله بن مسعود؛ أنه ذكر حديثاً في البعث؛ قال: «فليس من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة وبيت في النار. قال: وهو يوم الحسرة، فيرى أهل النار البيت الذي في الجنة، قال: ثم يقال لهم: لو عملتم؛ فتأخذهم الحسرة، ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار، قال: فيقال لهم: لولا أن من الله عليكم^(٢)».

(١) في «ر»: سعيد.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٦٧٥ - ٦٧٧ رقم ١٨٣) عن ابن نمير، ورواه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٣١٤ - ٣١٦) من طريق أبي نعيم، ورواه الحاكم في المستدرک (٤/ ٤٩٦ - ٤٩٨) من طريق الحسين بن حفص؛ ثلاثتهم عن سفيان به في حديث طويل.

﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ في الدنيا؛ وهذا كلام مستقبل ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ .
 ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ أي: نهلك الأرض ومن عليها ﴿وإِلَيْنَا
 يَرْجِعُونَ﴾ يوم القيامة .

(١) ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: اقرأه عليهم ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ
 تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾ يعني: الأصنام ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ أي:
 إن عبادة الوثن عبادة الشيطان .

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾
 أي: إذا نزل بك العذاب لم تقبل توبتك، وما لم ينزل بك فتوبتك مقبولة إن
 تُبْتُ .

قال محمد: (يا أبت) الوقف عليه بالهاء: (يا أبة) الهاء عوض من ياء
 الإضافة (٢) .

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ (٤٦) قَالَ
 سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا آعَزَ لَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه .

وقال العقيلي: عبد الله بن هاني أبو الزعراء الكندي سمع ابن مسعود، وفيه كلام ليس في
 حديث الناس . حدثني آدم قال: سمعت البخاري قال: عبد الله بن هاني أبو الزعراء الكندي
 كوفي، سمع ابن مسعود، سمع منه سلمة بن كهيل في الشفاعة، ولا يتابع على حديثه .

(١) من أول هنا سقط من «ر» .

(٢) ويقال: يا أبتِ ويا أبتُ لغتان، ومن فتح أراد التذبة فحذف . لسان العرب، مختار الصحاح
 (أبو) .

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (٥١) ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْ تَعْبُدَهَا﴾ «لئن لم تنته» عن شتمها وذمها ﴿لَأَرْجِمَنَّكَ أَيُّ: بالحجارة فلاقتلنك بها.

وقال السدي: معنى (لأرجمَنَّكَ): لأشتمنك.

قال محمد: تقول العرب: فلانٌ يرمى فلانًا، وفلانٌ يرمي فلانًا؛ بمعنى واحد؛ يريدون الشتم^(١).

﴿واهجرتني مليًّا﴾ يعني: طويلًا ﴿قال سلام عليك﴾ إبراهيم يقوله، قال الحسن: هذه كلمة جَلَمٍ ﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيًّا﴾. قال الكلبي: يعني: رحيماً، وقال بعضهم: لطيفاً.

قال محمد: حَفِيٌّ فلانٌ بفلان حِفْوَةٌ وحِفَاوَةٌ؛ إذا برَّه وألطفه^(٢). ﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيًّا﴾ أي: عسى أن أسعد به ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب...﴾ إلى قوله: ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليًّا﴾ أي: رفيحاً، يعني: الشاء عليهم من بعدهم.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ (٥١) وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ يَمِيْنًا (٥٢) وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣) وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ

(١) يقال: رَجَمَهُ يَرْجُمُهُ رَجْمًا، فهو رَجِيمٌ ومرجوم. لسان العرب (رجم).

(٢) يقال: حَفِيٌّ - بالكسر - حِفْوَةٌ وحِفْيَةٌ وحِفَايَةٌ فهو حَافٍ؛ أي: صار يمشي بلا خُفٍّ ولا نعل.

ويقال: حَفِيٌّ - بالكسر - حِفَاوَةٌ فهو حَفِيٌّ؛ أي: بالغ في إكرامه وإلطافه. لسان العرب، مختار الصحاح (حفي).

وَالزَّكَاةَ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾

﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ أيمن الجبل ﴿وقربناه نجياً﴾ يعني: حين كلمه.

قال محمد: (نجياً) يعني: مناجياً^(١).

﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ جعله الله له وزيراً، وأشركه معه في الرسالة^(٢).

﴿إنه كان صادق الوعد﴾.

يحيى: عن أبان العطار «أن إسماعيل وعد رجلاً موعداً؛ فجاء للموعد فلم يجد الرجل، فأقام في ذلك الموضع حَوْلاً ينتظره».

﴿وكان عند ربه مرضياً﴾ أي: قد رضي عنه [إذ ابتلاه بالذبح]^(٣) ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ قال مجاهد: لم يمت إدريس، بل رفع كما رفع عيسى.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ خَلَفَ مِنْ بَدْرِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ

(١) أي: فعيل بمعنى فاعل. والجمع: أنجية. قال الأخفش: وقد يكون النجي جماعة كالصديق؛ قال الله ﴿خلصوا نجياً﴾ وقال الفراء: وقد يكون النجي اسماً ومصدرًا. لسان العرب، مختار الصحاح (نجو).

(٢) نهاية السقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

وَأَمِنْ وَعَمِلْ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٥﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعَدُوهَا مَا يَأْتِيَانِ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٧﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٨﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ وَمَا هُمْ بِبِغَالِيَةٍ وَمَا يَنْتَظِرُونَ إِلَّا نَزْلُكَ رَبِّكَ وَمَا يَكُنْ مِنْ حَافِلٍ ﴿٦٩﴾

﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾ بالنبوة ﴿من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح﴾ وكان إدريس من ولد آدم قبل نوح، وكان إبراهيم من ذرية نوح قال: ﴿وممن ذرية إبراهيم وإسرائيل﴾ وهو يعقوب ﴿وممن هدينا﴾ للإيمان ﴿واجتبتنا﴾ للنبوة؛ يعني: اخترنا ﴿إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ جمع: (باك) ^(١) (ل ٢٠٤) ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾ قال قتادة: يعني: اليهود ﴿أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا﴾ تفسير ابن مسعود (غيًا): وإد في جهنم، وقد مضى تفسير (الخلف) في سورة الأعراف ^(٢) ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئًا﴾ ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ الغيب: الآخرة؛ في قول الحسن المعنى: وعدهم في الدنيا الجنة في الآخرة.

قال محمد: وتقرأ: (جنات) بالرفع ^(٣) على معنى: هي جنات عدن ﴿إنه كان وعده مآتيًا﴾ قال محمد: يعني: آتيا؛ وهو مفعول من الإتيان؛ في معنى فاعل ^(٤).

(١) لسان العرب (بكي) وفي «ر»: بكاء.

(٢) الأعراف: ١٦٩.

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٣٢٠)، مجمع البيان (٣/ ٥٢٠)، البحر (٦/ ٢٠١).

(٤) وهو قول الفراء. ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/ ١٧٠)، مجمع البيان (٣/ ٥٢٠).

﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾ تفسير قتادة: قال: «هذا قول جبريل حين احتبس عن النبي ﷺ في بعض الوحي؛ فقال له نبي الله: ما جئت حتى اشتقت إليك؛ فقال جبريل: ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا﴾»^(٢) يعني: من أمر الآخرة ﴿وما خلفنا﴾ من أمر الدنيا؛ أي: إذا كنا في الآخرة. ﴿وما بين ذلك﴾ قال الكلبي: يعني: البرزخ؛ ما بين الفئختين .

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿١٥﴾﴾ وَقَوْلُ
الْإِنْسَانِ إِذَا مَا مِثْلُ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴿١٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ
شَيْئًا ﴿١٧﴾ فَوَرَّيْكَ لِنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿١٨﴾ ثُمَّ
لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ﴿١٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلَاتًا
﴿٢٠﴾﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ أَنْقَوْا وَإِنَّا لَنَدْرُ
الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٢٢﴾﴾

(٢) رواه الطبري (١٠٤/١٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٠/٢) والطبري (١٠٣/١٦) من طريق معمر عن قتادة نحوه.
وروى البخاري (٣٥٢/٦) رقم (٣٢١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ
لجبريل: ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟ قال: فنزلت: ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا
وما خلفنا...﴾ الآية.

﴿هل تعلم له سمياً﴾ أي: مثلاً؛ أي: أنك لا تعلمه، و(سمياً) هو من: المُسَامَاة^(١) ويقول الإنسان إنَّذا ما مت لسوف أخرج حياً﴾ هو المشرك يكذب بالبغث. قال الله ﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ فالذي خلقه، ولم يك شيئاً قادرٌ على أن يبعثه يوم القيامة، ثم أقسم بنفسه؛ فقال: ﴿فو ريك لنحضرنهم﴾ يعني: المشركين ﴿والشياطين﴾ الذين دعتهُم إلى عبادة الأوثان ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾ قال قتادة: يعني: على ركبهم.

قال محمد: (جثياً) جمع (جاثٍ)^(٢)، وهو نَضَبٌ على الحال^(٣). ﴿ثم لتزعن من كل شيعة﴾ يعني: من كل أمة ﴿أيهم أشدُّ على الرحمن عتياً﴾.

قال محمد: (أيهم) بالرفع، وهي أكثر القراءة؛ على معنى: الذين يقال لهم: أيهم أشدُّ^(٤). قيل: المعنى - والله أعلم - : فإنه يبدأ بالتعذيب بأشدِّهم عتياً، ثم الذي يليه ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً﴾ يعني: الذين يضلُّونها ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قال: «الصرائط على جهنم مثل حدِّ السيف، والملائكة معهم كَلَالِيْبٌ من حديد كلما وقع رجلٌ اختطفوه؛ فيمر الصف الأول كالبرق، والثاني كالريح، والثالث كأجودٍ

(١) ينظر: مجمع البيان (٣/٥٢٠)، البيان (٢/١٢٩)، البحر (٦/٢٠٤)، لسان العرب (سمو).

(٢) لسان العرب (جثو).

(٣) ينظر الدر المصون (٤/٥١٦).

(٤) ينظر: البيان (٢/١٣٠ - ١٣١)، البحر (٦/٢٠٨)، مجمع البيان (٣/٥٢٢ - ٥٢٣).

الخيّل، والرابع كأجود البهائم، والملائكة يقولون: اللهم سلّم سلّم^(١).
وتفسير الحسن: ﴿إلا واردها﴾ إلا داخلها، فيجعلها الله على المؤمنين
برزًا وسلامًا؛ كما جعلها على إبراهيم.

﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِتَنَزُّهِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۖ﴾ (٧٣) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا ۖ﴾ (٧٤) ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي
الصَّلَاةِ فَلْيَمْدَدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ
هُوَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَعُفُ جُندًا ۖ﴾ (٧٥) ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتِ الصَّلَاحَتُ
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ۖ﴾ (٧٦)

﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أيّ الفريقين﴾ نحن أو أنتم؟ ﴿خير مقامًا
وأحسن نديًّا﴾ المقام: المسكن، والندي: المجلس.

قال قتادة: رأوا أصحاب النبي في عيشهم خشونة، فقالوا لهم ذلك.
قال الله: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرنٍ هم أحسن أثانًا﴾ أي: متاعًا ﴿ورثيًّا﴾
أي: منظرًا؛ في قراءة من قرأها مهموزة، ومن قرأها بغير همزٍ (ورثيًّا)^(٢) فهو من

(١) رواه الطبري في تفسيره (١١٠/١٦) وآدم بن أبي إياس في تفسيره - كما في التخويف من
النار (ص ١٩٧) والحاكم في المستدرک (٣٧٥/٢ - ٣٧٦) من طريق إسرائيل عن أبي
إسحاق به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
وعزه السيوطي في الدر المنثور (٣٠٨/٤) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر أيضًا.
وروي هذا الحديث عن ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا، انظر التخويف من النار (١٩٦ - ١٩٧)
والدر المنثور (٣٠٨/٤).

(٢) ترك الهمز قالون عن نافع وابن عامر. السبعة (٤١١ - ٤١٢) التيسير (١٤٩).

قِيلَ الرِّوَاءُ^(١)، وإنما عيش الناس بالمطر تُثَبِّتُ زروعهم، وتعيش ماشيتهم^(٢) ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ هذا الذي يموت على ضلالته ﴿فَلْيَمْدَدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ هذا دعاء أمر الله النبي أن يدعو به؛ (ل ٢٠٥) المعنى: فأمد له الرحمن مدًّا. ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ﴾ يعني: إما العذاب في الدنيا قبل عذاب الآخرة، أو العذاب الأكبر؛ لم يبعث الله نبيًّا إلا وهو يحذّر أمته عذاب الله في الدنيا، وعذابه في الآخرة.

قال محمد: (العذاب) و(السَّاعَةُ) منصوبان على معنى البدل^(٣) من [ما]^(٤) يوعدون؛ المعنى: إذا رأوا العذاب أو رأوا الساعة، قال: فيسلمون عند ذلك.

﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ أهم المؤمنون ﴿وَأَضْعَفُ جَنَدًا﴾ في النصرة والمنعة؛ أي: ليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ يعني: يزيدهم إيمانًا ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ قال الحسن: هي الفرائض ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ جزاء في الآخرة ﴿وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ يعني: خير عاقبة من أعمال الكفار.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا﴾ ﴿أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿كَلَّا سَنَكُنُّبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ﴿وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ ﴿كَلَّا سَيَكْفُرُونَ

(١) وقيل: بل هو من الرّي ضد العطش. الدر المصون (٤/٥٢٠).

(٢) من هنا بدأ سقط آخر من «ر».

(٣) ينظر: البحر (٦/٢١٢)، إعراب القرآن (٢/٣٢٦)، مجمع البيان (٣/٥٢٥).

(٤) في «الأصل»: مما.

يَعْبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾
 فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَخْتَشِرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْنِ وَقَدْ ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ
 الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ
 الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ أي: في الآخرة ﴿أطلع
 الغيب﴾ على الاستفهام؛ أي: علم ما فيه؛ أي: لم يطلع ﴿أم اتخذ عند
 الرحمن عهدا﴾ أي: لم يفعل، والعهد: التوحيد؛ في تفسير بعضهم.
 ﴿كلّا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا﴾ هو كقوله: ﴿فذوقوا فلن
 نزيدكم إلا عذابا﴾^(١).

﴿ونرثه ما يقول﴾ أي: نرثه ماله وولده الذي قال ﴿ويأتينا فردا﴾ لا شيء

معه.

يحيى: عن صاحب له، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق،
 عن خباب بن الارت قال: «كنت قينا^(٢) في الجاهلية، فعملت للعاص بن
 وائل حتى اجتمعت لي عنده دراهم؛ فأتيته أتقاضاه فقال: واللّه لا أقضيك
 حتى تكفر بمحمد، فقلت: واللّه لا أكفر بمحمد؛ حتى تموت ثم تبعث.
 قال: وإني لمبعوث؟! قلت: نعم. قال: فسيكون لي ثم مال وولد فأقضيك،
 فأتيت النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية إلى قوله: ﴿ويأتينا فردا﴾^(٣).

﴿واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا﴾ هو كقوله: ﴿واتخذوا من

(١) النبا: ٣٠.

(٢) القين هو الحداد، وهو أيضا: العبد. والجمع: قيون: لسان العرب (قين).

(٣) رواه البخاري (٣٧٢/٤) رقم (٢٠٩١)، ومسلم (٢١٥٣/٤) رقم (٢٧٩٥) من طريق الأعمش

دون الله آلهة لعلهم ينصرون»^(١) وإنما يرجون منفعة أوثانهم في الدنيا، لا يقرون بالآخرة.

قال الله: ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾ في الآخرة ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ [قرناء في النار]^(٢) المعنى: يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض؛ في تفسير قتادة .

﴿أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً﴾ قال قتادة: يعني: ترعجهم إزعاجاً في معصية الله.

﴿فلا تعجل عليهم﴾ وهذا وعيد ﴿إنما نعدُّ لهم عدداً﴾ يعني: الأجل. قال سعيد بن جبیر: كتب في أول الصحيفة أجله، ثم يكتب أسفل من ذلك ذَهَبَ يوم كذا، وذهب يوم كذا؛ حتى يأتي على أجله^(٣).

﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾.

يحيى: بلغني عن جُوَيْر، عن الضحاك بن مزاحم، عن الحارث، عن علي «أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: هل يكون الوافدُ إلا الرَّاكِب؟ فقال: والذي نفسي بيده، إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بثوقٍ بيض لها أجنحة عليها رجائل الذهب، كل خطوة منها مدُّ البصر»^(٤).

(١) يس: ٧٤ .

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من ابن كثير (٢٥٧/٥).

(٣) نهاية السقط من «ر».

(٤) جوَيْر بن سعيد متروك؛ وقد اختلف عليه فيه:

فرواه عمرو بن هاشم الجنبی عن جوَيْر، عن الضحاك، عن ابن عباس «سأل علي بن أبي طالب رسول الله ﷺ...» فذكره.

خرجه ابن عدي في الكامل (٢٤٥/٦).

ورواه إسماعيل بن زياد عن جوَيْر عن الضحاك عن التزالي بن سبرة عن علي .

قال محمد: الوفد في كلام العرب: الرُّكبان المكرمون، واحدهم: وافد^(١)
﴿ونسوق المجرمين﴾ يعني: المشركين ﴿إلى جهنم وردًا﴾ أي: عطاشًا.
قال محمد: ﴿وردًا﴾ أضله في اللغة: الجماعة يردون الماء^(٢).
﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدًا﴾ قال بعضهم العهد:
التَّوْحِيد .

= خرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٢٨ رقم ٢٨١).
ورواه العقيلي في الضعفاء (١/٨٦) من طريق إسماعيل بن عبيد الله بن سلمان، عن أبيه،
عن الضحاك، عن الحارث، عن علي.
وقال العقيلي: حديث غير محفوظ.
ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند (١/١٥٥) وفي زوائد فضائل الصحابة رقم
(١٢٢٨) وهناد في الزهد (٨٦) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/١١٩) والطبري في التفسير
(١٦/١٢٦) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٤١) - والحاكم في
المستدرک (٢/٣٧٧) وابن مردويه والواحدي في تفسيريهما - كما في تخريج الكشاف (٢/
٣٣٨) - وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٢٩ - ١٣٠ رقم ٢٨١) والبيهقي في الشعب (٢/
٢١٢ رقم ٣٥٢) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق، عن النعمان بن سعد، عن علي موقوفًا.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.
وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: بل عبد الرحمن هذا لم يرو له مسلم ولا لخاله النعمان،
وضعه.

ورواه أبو بكر بن أبي داود في كتاب البعث عن عباد بن يعقوب الرواجني، عن محمد بن
فضيل، عن عبد الرحمن بن إسحاق به مرفوعًا.
ثم قال: لم يرفعه عن ابن فضيل إلا عباد. اهـ تخريج الكشاف (٢/٣٣٩).
ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/١٤١) - عن أبي معاذ البصري
عن علي مرفوعًا مطولًا.

قال ابن كثير: وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثًا غريبًا جدًا مرفوعًا عن علي... فذكره ثم
قال: هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعًا، وقد رويناه في المقدمات من كلام علي عليه
السلام بنحوه، وهو أشبه بالصحة، والله أعلم.

(١) ويُجمع الوَفْد على: أَوْفَاد، ووُفُود. لسان العرب (وفد).

(٢) وهو ضدُّ الصَّدْر. مختار الصحاح (ورد).

﴿وَقَالُوا أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ
يَنْفَطِرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۝٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩١﴾ وَمَا يَلْبِغِي
لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٣﴾
لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدًا ۝٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ
تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝٩٨﴾

﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا﴾ قال (مجاهد)^(١): يعني:
عظيما ﴿يكاد﴾^(٢) السموات يتفطرن منه ﴿أي: يتشققن منه﴾ و﴿تنشق الأرض وتخِرُ
الجبال هدا﴾ أي: سقوطا ﴿أَنْ دَعَوْا﴾ بأن دعوا ﴿لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ قال قتادة: بلغنا
أن كعبا قال: غضبت الملائكة، وسُغرت جهنم حين قالوا ما قالوا.
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ قال قتادة:
يعني: في قلوب أهل الإيمان.

(٢٠٦) يحيى: عن مندل بن علي، عن سُهَيْل بن أبي صالح، عن أبيه،
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جَبْرِيلَ،
فَقَالَ: إِنِّي أَحَبُّ فَلَانًا فَأَحَبَّهُ». قال: فينادي جبريل: (يا أهل السماء)^(٣) إِنَّ اللَّهَ

(١) في «ر»: محمد.

(٢) قرأ نافع والكسائي ﴿يكاد﴾ بالياء على التذكير، وقرأ الباقون ﴿تَكَادُ﴾ بالياء على التأنيث.
النشر (٣١٩/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٨٠).

(٣) في «ر»: في أهل السموات.

يحب فلانًا؛ فأحبوه. قال: ثم يُوضع له القبول - يعني: المودة - في الأرض^(١) قال سهيل: وأخسبه ذكر البغض مثل ذلك.

﴿فإنما يسرناه﴾ يعني: القرآن ﴿بلسانك﴾ يا محمد ﴿لتبشر به المتقين﴾ بالجنة ﴿وتنذر به﴾ بالنار ﴿قومًا لدا﴾ أي: ذوي لَدَدٍ وخصومة؛ يعني: قريشًا ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿من قرن هل تحس منهم من أحد﴾ أي: هل ترى ﴿أو تسمع لهم ركزا﴾ يعني: صوتًا؟ أي: إنك لا ترى منهم أحدًا، ولا تسمع لهم صوتًا.

قال محمد: الرُّكْزُ في اللغة: الصَّوْتُ الخفي^(٢).



(١) رواه مسلم في صحيحه (٢٠٣٠ - ٢٠٣١ رقم ٢٦٣٧) من طريق سهيل بن أبي صالح به. ورواه البخاري (٤٦٩/١٣ رقم ٧٤٨٥) من طريق عبد الله بن دينار عن أبي صالح به. ورواه البخاري (٣٥٠/٦ رقم ٣٢٠٩ ، ٤٧٦/١٠ رقم ٦٦٤٠) من طريق نافع عن أبي هريرة.

(٢) لسان العرب ، مختار الصحاح (ركز).

تفسير سورة طه وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طه﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿١﴾ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَن يَخْشَى ﴿٢﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٣﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٤﴾ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٥﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٧﴾ ﴿٨﴾

قوله: ﴿طه﴾ قال الحسن: يعني: يا رجلُ ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ وذلك أن المشركين قالوا للنبي: إنه شقي ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾ يقول: إنما (أنزله) ^(١) تذكرة لمن يخشى الله، وأما الكافر فلم يقبل التذكرة ﴿تنزيلًا﴾ (أي: أنزله تنزيلًا) ^(٢) ﴿ممن خلق الأرض والسّموات العلا﴾ يعني: نفسه. قال محمد: (العلا) جمع: العلّيا؛ يقال: سماءُ علّيا، وسّموات علّا ^(٣). ﴿له ما في السّموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ قال أبو رجاء العطاردي: الثرى: الأرض التي تحت الماء التي يستقر عليها؛ فهو يعلم ما تحت ذلك الثرى ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ قال قتادة: السر: ما حدثت به نفسك، وأخفى منه: ما هو كائن مما لم تحدث به نفسك. ﴿له الأسماء الحسنى﴾ لله تسعة وتسعون اسمًا.

(١) في «ر»: أنزلناه.

(٢) سقط من «ر».

(٣) لسان العرب (علو)، الدر المصون (٥/٧).

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي
 آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَّى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ
 فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾

﴿وهل أتاك حديث موسى﴾ أي: قد أتاك حديث موسى ﴿إذ رأى ناراً﴾ أي: عند نفسه (وإنما كانت نوراً) ^(١) ﴿فقال لأهله امكثوا إني آنست ناراً﴾ أي: رأيت ﴿لعلي آتيكم منها بقبسٍ أو أجد على النار هدى﴾ يعني: هداة يهدونه الطريق.

قال محمد: القَبَسُ: ما أخذته في رأس عودٍ من النار، أو في رأس فتيلة ^(٢).
 قال: ﴿فلما أتاها﴾ أي: النار التي ظنها ناراً ﴿نودي يا موسى إني أنا ربك﴾.

قال محمد: تقرأ: (أني) بالفتح والكسر ^(٣)؛ الفتح على معنى: نودي بأني، والكسر بمعنى: نودي: يا موسى، فقال الله له: ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ قال قتادة: كانتا من جلد حمارٍ ميت فخلعهما ﴿إنك بالواد المقدس طوى﴾ المقدس: المبارك، وطوى: اسْمُ الوادي.

قال محمد: القراءة عند أهل المدينة بضم أوله بغير تنوين ^(٤).

(١) سقط من «ر».

(٢) وهي الذبالة. مختار الصحاح (فتل).

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالفتح على تقدير الباء؛ أي: بأني، وقرأ الباقر بالكسر. ينظر: النشر (٣١٩/٢ - ٣٢٠)، الدر المصون (٩/٥).

(٤) قرأ الكوفيون وابن عامر (طوى) بضم الطاء والتنوين، والباقر بضمها من غير تنوين، وروي عن الحسن والأعمش بكسر الطاء منوناً، وقرأ أبو زيد عن أبي عمرو بكسرها غير منونة. ينظر النشر (٣١٩/٢) الإتحاف (٣٦٥)، البحر (٢٣١/٦)، الدر المصون (٩/٥).

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ (١٣) ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (١٤) ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (١٥) ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ﴾ (١٦) ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَّىٰ﴾ (١٧) ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ (١٨) ﴿قَالَ أَلْقَاهَا يَمْوَسَّىٰ﴾ (١٩) ﴿فَالْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ (٢٠) ﴿قَالَ حُذْهَا وَلَا تَحْطُ سَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾ (٢١) ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ءَايَةٌ أُخْرَىٰ﴾ (٢٢) ﴿لِرَبِّكَ مِنْ ءَايَاتِنَا الْكُبْرَىٰ﴾ (٢٣) ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٢٤) ﴿

﴿وَأَنَا اخترتك﴾ أي: لرسالتي ولكلامي ﴿فاستمع لما يوحى﴾ إليك ﴿واقم الصلاة لذكري﴾ في تفسير مجاهد: إذا صلى العبد ذكر الله ﴿إن الساعة﴾ يعني: القيامة ﴿آتية أكاد أخفيها﴾ قال قتادة: هي في قراءة أبي: (أكاد أخفيها من نفسي) ^(١) ﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾ يقول: إنما تجيء الساعة لتجزى كل نفس بما تعمل.

﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿من لا يؤمن بها﴾ .
﴿فتردى﴾ أي: تهلك .

﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾ سألته عن العصا التي في يده اليمنى، وهو أعلم بها. قال موسى: ﴿هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي﴾ قال قتادة: كان يخطب ^(٢) بها ورق الشجر.

﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ قال قتادة: يعني: حوائج.

(١) ينظر البحر (٢٣٣/٦)، الدر المصون (١١/٥).

(٢) أي: يضرب. لسان العرب (خط).

قال محمدٌ: واحد المآرب: مأربة، ومأربة أيضا^(١).

﴿فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ أي: تزحف على بطنها بسُرعة .

﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ أي: هيئتها الأولى؛ يعني: عصا ﴿واضمم

يدك إلى جناحك﴾ قال مجاهد: أمره أن يدخل كفّه تحت عضده (٢٠٧).

﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ قال قتادة: يعني: من غير برص^(٢).

قال الحسن: أخرجها - والله - كأنها مصباح، فعلم موسى أن قد لقي ربّه.

﴿آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾ كانت اليد أكبر من العصا.

قال محمدٌ: (آية) بالتّضب على معنى: نريك آية أخرى^(٣).

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا

قَوْلِي (٢٨) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَازِنًا أَخِي (٣٠) أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي

(٣٢) كَيْ تُسَمِّعَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَتَذَكِّرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ

يَمُوسَى (٣٦)

﴿قال﴾ موسى ﴿ربّ اشرح لي صدري﴾ دعا أن يشرح صدره للإيمان.

﴿ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي﴾ ففعل الله به ذلك،

وكانت العقدة التي في لسانه أنه تناول لحية فرعون وهو صغير فهمّ بقتله،

وقال: هذا عدوّ لي! فقالت له امرأته: إن هذا صغير لا يعقل؛ فإن أردت أن

تعلم ذلك، فادع بتمرّة وجمرة، فاعرضهما عليه، فأتي بتمرّة وجمرة فعرضهما

(١) ونقل الفارابي: (مأربة) أيضًا بالكسر، وبابه طرب. ينظر مختار الصحاح (أرب).

(٢) هو بياض يصيب الجلد. المعجم الوسيط (برص).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٣٣٦/٢)، مجمع البيان (٧/٤)، البيان (١٤١/٢).

عليه ، فتناول الجمرة فألقاها في فيه ، فمنها كانت [تلك] ^(١) العقدة في لسانه .

قال محمدٌ : يعني بالعقدة : رُتَّة ^(٢) .

﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ أي : عويّنا من أهلي ﴿هارون أخي اشدُّ به أزري﴾ أي : ظهري .

قال محمدٌ : يقال : أزرت فلاناً على الأمر ؛ أي : قوينته عليه ، فأما وازرته : فصرت له وزيراً ^(٣) .

﴿وأشركه في أمري﴾ دعاء من موسى لربه أن يشركه في أمره .

﴿قال قد أوتيت سؤلك﴾ أي : ما سألت ﴿يا موسى﴾ .

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ^(٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى ^(٣٨) إِنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْفَاقِذِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ^(٣٩) وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ^(٤٠) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ ^(٤١) فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمَمِكَ كَيْ تَفَرَّ عَيْنَهَا وَلَا تَحْزَنَ ^(٤٢) وَقُلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ^(٤٣) فَلَمَّ لَمَسْتَ مَوَدَّكَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَّى ^(٤٤) وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي ^(٤٥) أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبَأَ فِي ذِكْرِي ^(٤٦) أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ^(٤٧) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ ^(٤٨) أَوْ يَخْشَى ^(٤٩) قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ^(٥٠) قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي

(١) سقطت من الأصل ، والمثبت من «ر» .

(٢) الرُتَّة - بضم الراء - : العُجْمة في الكلام ، ورجل بين الرُتَّتِ ، وفي لسانه رُتَّة ؛ أي : عجمة .
لسان العرب ، مختار الصحاح (رتت) .

(٣) الأزر : القوة ، والوزير : الثقل ، ومنه الوزير ؛ لأنه يحمل عنه وزره ؛ أي : ثقله . لسان العرب ، مختار الصحاح (أزر) ، (وزر) .

مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأَيُّهَا فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْمُدَّثَّى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾

﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾ فذكره النعمة الأولى - يعني: قوله: ﴿إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى﴾ شيء قذف في قلبها ألهمته، وليس بوحى نبوة ﴿أن اقدفيه في التابوت﴾ أي: اجعليه ﴿فاقدفيه في اليم﴾ في البحر ﴿فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له﴾ يعني: فرعون ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ قال قتادة: ألقى الله عليه محبة منه، فأحبه حين رآوه ﴿ولتصنع على عيني﴾ أي: ولتغذى بمرأى مني.

﴿هل أدلكم على من يكفله﴾ أي: يضمه. قالوا: نعم. فجاءت بأمه، فقبل ثديها.

﴿وقتل نفساً﴾ يعني: القبطي الذي كان قتله خطأ ﴿فنجيناك من الغم﴾ قال الحسن: يعني: من الخوف؛ فلم يصل إليك القوم، وغفرنا لك ذلك الذنب ﴿وفتتاك فتوناً﴾ أي: ابتليناك ابتلاء؛ الابتلاء والاختبار بمعنى واحد ﴿فلبث سنين في أهل مدين﴾ أقام بمدين عشرين سنة ﴿ثم جئت على قدر يا موسى﴾ أي: على موعد؛ في تفسير مجاهد.

﴿واصطنعتك لنفسى﴾ اخترتك.

﴿ولا تنيا في ذكرى﴾ أي: لا تضعفا في الدعاء إليّ ﴿أذهباً إلى فرعون إنه طغى﴾ كفر ﴿فقولا له قولاً ليناً﴾ سمعت بعض الكوفيين يقول في تفسير ذلك: كنياه ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ قال السدي: الألف ها هنا

صلة^(١) يقول: لعله يتذكر ويخشى.

قال محمد: (لعل) في اللغة معناها: الترجي والطمع^(٢)، فالمعنى: اذهبوا على رجائكما وطمئكما؛ وقد علم الله - عز وجل - أنه لا يتذكر ولا يخشى.

﴿قَالَ رَبُّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾ أي: يعجل علينا عقوبة منه ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ فيقتلنا ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ يقول: ليس بالذي يصل إلى قتلكما.

﴿فَأَرْسَلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ﴾ كان بنو إسرائيل عند القبط بمنزلة أهل الجزية فينا ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ﴾ العصا واليد ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتْبَعِ الْهُدَى﴾.

قال يحيى: كان النبي ﷺ إذا كتب إلى المشركين كتب: «السلام على من أتبع الهدى»^(٣).

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

(١) يريد: أن (أو) بمعنى الواو في معنى الجمع، وانظر في دلالتها على معنى الواو - مغني اللبيب (٧٥/١).

(٢) أصل (لعل) في اللغة أنها كلمة شك، وأصلها: (عل)، واللام في أولها زائدة، وانظر في الكلام عليها مغني اللبيب (٣١٥/١ - ٣١٨).

(٣) رواه البخاري (٤٢/١ - ٤٤ رقم ٧) ومسلم (١٣٩٣/٤ - ١٣٩٧ رقم ١٧٧٣) عن أبي سفيان بن حرب رضى الله عنه في حديث هرقل الطويل.

مِنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٢﴾ كُلُّوْا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَانِ ﴿٥٣﴾

﴿قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾
 قال الكلبي: أعطاه شكله، أعطى الرجل المرأة، والجمل الناقة، والذكر
 الأنثى ﴿ثم هدى﴾ عرفه كيف يأتيها ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾ المعنى:
 دعاه موسى إلى الإيمان بالبعث، فقال له فرعون: فما بال القرون الأولى قد
 هلكت فلم تُبعث ﴿قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ لا
 يضلّه (٢٠٨ل) فيذهب، ولا ينسى ما فيه؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمد: من قرأ (يُضِلُّ) بفتح الياء^(١)، فهو من قولك: ضللت الشيء
 أضله؛ إذا جعلته في مكان لم تدري أين هو^(٢).

ومن قرأ (يُضِلُّ) بضم الياء^(٣)، فهو من قولك: أضللت الشيء، ومعنى
 أضللت: أضغته^(٤).

﴿الذي جعل لكم الأرض مهدياً﴾ أي: بساطاً ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾
 أي: جعل لكم فيها طرقاً ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا﴾ أضنافاً
 ﴿من نبات شتى﴾ أي: مختلف، فالذي ينبت هذه الأزواج الشتى قادر على
 أن يبعثكم بعد الموت.

(١) وهي قراءة العامة.

(٢) يقال: ضللت الشيء أضله ضلالاً وضلالة؛ وهي لغة أهل العالية، أما لغة أهل نجد، وهي
 الفصيحة: ضللت أضل. مختار الصحاح (ضلل) ومعاني الفراء (١٨١/٢).

(٣) وهي قراءة الحسن وقتادة والجحدري وغيرهم. ينظر: الإتحاف (٣٦٧) مختصر ابن خالويه
 (٨٧)، الدر المصون (٢٧/٥).

(٤) وقال ابن السكيت: أضللت بعيري؛ إذا ذهب منك، وضللت المسجد والدار؛ إذا لم تعرف
 موضعهما. لسان العرب، مختار الصحاح (ضلل) وينظر الإملاء (١٢٢/١).

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ العقول.

قال محمد: واحد النهى: نُهْيَةٌ، يقال: فلان ذو نُهْيَةٍ؛ أي: ذو عقل ينتهي به عن القبائح^(١).

﴿مِنْهَا خَلَقْنَكُمْ فِيهَا نَعِيْدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ ٥٥ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَإِنْ ٥٦ ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْوَسَى ٥٧ ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ٥٨ ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضَحَى ٥٩ ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى ٦٠ ﴿قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَرَبُّكُمْ لَا تَفَرُّوْا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ آفَتَرَى ٦١ ﴿فَنَنْزِعُوْا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَآسَرُوا النَّجْوَى ٦٢ ﴿قَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى ٦٣ ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ آتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ٦٤﴾

﴿ولقد أريناه آياتنا كلها﴾ يعني: التسع.

﴿فاجعل بيننا وبينك موعدًا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانًا سوى﴾ قال

مجاهد: يعني: منصفًا.

قال محمد: يعني: يكون النصف فيما بين المكانين.

﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ يعني: يوم عيد كان لهم يجتمعون فيه ﴿ضحى

فتولى فرعون فجمع كيده﴾ يعني: ما جمع من سحرة ﴿فيسحتكم بعذاب﴾

أي: يستأصلكم ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ أي: تناظروا؛ يعني: السحرة

(١) وسمى العقل نُهْيَةً؛ لأنه ينهى عن القبيح. لسان العرب، مختار الصحاح (نهی).

﴿وَأَسْرِوا النجوى﴾ أخفوا الكلام، قالت السحرة: إن كان هذا الرجل ساحراً؛ فإننا سنغلبه، وإن يك من السماء كما زعم فله أمرٌ .

﴿إن هذان لساحران﴾ يعني: موسى وهارون.

قال محمد: قوله: ﴿هذان﴾ بالرفع؛ ذكر أبو عبيدة أنها لُغَةٌ لِكِنَانَةٍ؛ يجعلون ألف الاثنين في الرفع والخفض والنصب على لفظ واحد، ولأهل العربية فيه كلام كثير، واختلافٌ يطول ذكره، غير الذي ذكر أبو عبيدة^(١).

﴿ويذهبا بطريقتكم المثلى﴾ أي: بعيشكم الأمثل؛ يعني: بني إسرائيل، وكان بنو إسرائيل في القبط بمنزلة أهل الجزية فينا؛ يأخذون منهم الخراج ويستعبدونهم ﴿فاجتمعوا كيدكم﴾ أي: سحركم، يقوله بعضهم لبعض ﴿ثم اتوا صفًا﴾ أي: تعالوا جميعاً ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ غلب .

﴿قَالُوا يَمْوَسَّىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِنَّمَا أَنْ تُكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ (٦٥) ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ إِنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ (٦٦) ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ﴾ (٦٧) ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ (٦٨) ﴿وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَّفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَىٰ﴾ (٦٩) ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ (٧٠) ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَايِرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُقِطَعُونَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ (٧١) ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع، يشمل القراءات القرآنية وتوجيهها. ينظر: إعراب القرآن (٣/٢٤٣)، البحر (٦/٢٥٥)، الخصائص (٣/٦٥)، الهمع (١/١٣٣).

قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٦﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٧﴾ إِنَّكُمْ مِنْ يَأْتِ رَبُّكُمْ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٨﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴿٧٩﴾ جَنَّاتٌ عِدْنُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٨٠﴾ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنِهَا تَسْعَى ﴿٨١﴾ أَي: أَنَّهَا حَيَاتٌ تَسْعَى ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ﴾ أَضْمَرَ .

﴿تَلَقَّفَ﴾ (١) ما صنعوا ﴿أَي: تَبَتَّلَعَهُ بِفِيهَا .

﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ أَي: أَنَّ الَّذِي صَنَعُوا ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ حَيْثُ كَانَ .

﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ﴾ فِي السِّحْرِ؛ أَي: عَالِمُكُمْ ﴿فَلَا قُطْعَنٌ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ مِنْ خَلَاَفِ﴾ الْيَدِ الْيُمْنَى وَالرَّجُلَ الْيُسْرَى ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا﴾ يَعْنِي: أَنَا أَوْ مُوسَى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ .

﴿قَالُوا لَنْ نُوْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ أَي: وَعَلَى الَّذِي خَلَقْنَا .

﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قَالَ السُّدِّي يَقُول: أَفْعَلْ فِي أَمْرِنَا مَا أَنْتَ فَاعِلٌ، إِنَّمَا تَفْعَلُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ مِنْكَ يَا فِرْعَوْنَ ﴿وَأَبْقَى﴾ .
﴿إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ أَي: مُشْرِكًا ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ .

(١) وهي قراءة العامة؛ أَي: بفتح اللام وتشديد القاف، وقرأ حفص وحده بإسكان اللام وفتح القاف. ينظر السبعة (٤٢٠)، التيسير (١٥٢)، النشر (٣٢١/٢).

﴿ومن يأت به مومنًا...﴾ إلى قوله: ﴿من تزكى﴾ أي: من آمن .

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا تَخْشَىٰ ۖ فَاتَّبِعْهُمْ فَرْعَوْنَ يَجُودُوهُ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۗ﴾ (٧٧) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ۖ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ۖ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ۖ وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ۚ﴾ (٧٨) وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ۚ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَىٰ وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ۚ﴾ (٧٩) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ۚ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَيسَفًا قَالَ يَقُومِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَقْتُمْ مَّوْعِدِي ۚ﴾ (٨٠) قَالُوا مَا أَخْلَقْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمُلْنَا آوَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقُومِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ۚ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمْ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۚ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ صَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ﴾ (٨١)

﴿فاضرب لهم طريقًا في البحر يبسًا﴾ قال الحسن: أناه جبريل على فرس؛ فأمره فاضرب البحر بعصاه، فصار طريقًا يبسًا.

قال محمد: يعني: ذا ييس.

قال يحيى: بلغني أنه صار اثني عشر طريقًا، لكل سبط^(١) طريق.

(١) السَّبْط واحدًا الأسباط؛ وهم ولد الولد. والأسباط من بني إسرائيل كالقبائل من العرب. مختار الصحاح (سبط).

﴿لا تخاف دركاً﴾ أن يدركك فرعون ﴿ولا تخشى﴾ الغرق أمامك ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾ قال محمد: يعني: لحقهم ﴿فغشيهم من اليم ما غشيهم﴾ يقول: فغرقوا.

﴿وواعدناكم﴾ يعني: مواعده لموسى ﴿جانب الطور الأيمن﴾ يعني: أيمن الجبل ﴿ونزلنا عليكم المن والسلوى﴾ وقد مضى تفسيره^(١).

﴿ولا تطغوا فيه﴾ أي: لا تعصوا الله في رفع المن والسلوى، وكانوا أمروا ألا يأخذوا منه لغد، وقد مضى تفسير هذا^(١) ﴿فيحل عليكم غضبي﴾ أي: (٢٠٩ل) فيجب ﴿ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى﴾ في النار.

﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ من الشرك ﴿وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾ مضى بالعمل الصالح حتى يموت.

﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾ قال بعضهم: يعني: السبعين الذين اختارهم؛ فذهبوا معه للميعاد ﴿قال هم أولاء على أثري﴾ أي: ينتظرونني بالذي آتيهم به، وليس يعني أنهم يتبعونه.

﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾ أي: ابتليناهم.

﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ أي: حزينا شديدا الحزن مع غضبه على ما صنع قومه من بعده ﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا﴾ في الآخرة على التمسك بدينه ﴿أفطال عليكم العهد﴾ يعني: الموعد ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكتنا...﴾ أي: بطاقتنا إلى قوله: ﴿فنسي﴾.

قال يحيى: كان وعدهم موسى أربعين ليلة، فعدوا عشرين يوماً وعشرين ليلة، فقالوا: هذه أربعون، فقد أخلفنا موسى الوعد، وكانوا استعاروا من

(١) البقرة: ٥٧، الأعراف: ١٦٠.

آل فرعون حُلِيًّا لهم [أظنه] ^(١) ليوم العيد، وكانوا قد أمروا أن يسري بهم ليلاً، فكره القوم أن يرثوا العواري ^(٢) على آل فرعون، فيفطنوا لهم، فأسروا من الليل والعواري معهم؛ وهي الأوزار التي قالوا: ﴿حُمِّلْنَا أَوْزَارًا﴾ أي: أثقالاً، فقال لهم السامري بعد ما مضت عشرون يوماً وعشرون ليلة: إنما ابتليتم بهذا الحلي فهاتوه. وألقى ما معه من الحلي، وألقى القوم ما معهم، فصاغه عجباً، ثم ألقى في فيه التراب الذي كان أخذه من تحت حافر فرس جبريل يوم جاز بنو إسرائيل البحر فجعل يخور خُوار ^(٣) البقرة؛ فقال عدو الله: ﴿هذا إلهكم وإله موسى فنسي﴾ أي: نسي موسى، المعنى: أن موسى طلب هذا ولكنه (نسيه) ^(٤) وخالفه في طريق آخر؛ قال الله: ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا﴾ يعني: العجل.

قال محمد: من قرأ (ألا يرجع) بالرفع ^(٥)، فالمعنى: أنه لا يرجع ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً.

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ ^(٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ^(٩١) قَالَ يَهْتَرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ^(٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ ^(٩٣) قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْجَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ^(٩٤) قَالَ فَمَا

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) واحدها: عارية: وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك. المعجم الوسيط (عور).

(٣) الخوار: الضياح. لسان العرب (خور).

(٤) في «ر»: نَبَّه.

(٥) وهي قراءة العامة، وقرأ أبو حيو بنصب (يرجع). ينظر البحر (٦/٢٦٩)، الدر المصون (٥/٤٨).

خَطْبُكَ يَسْمِعِي ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ
الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ
أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلِهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْبِفَنَّ فِي آلِ بَنِي إِسْرَءِيلَ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾ أي: من قبل أن يرجع إليهم موسى حين
اتخذوا العجل ﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾ يعني: العجل ﴿وإن ربكم الرحمن
فاتبعوني وأطيعوا أمري﴾ ﴿قالوا لن نبرح﴾ أي: لن نزال ﴿عليه عاكفين﴾
نعبده ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾.

﴿قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين
بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ أي: ولم تنتظر ميعادي، وقد استخلفتك
فيهم.

قال محمد: من قرأ (يا ابن أم) بفتح الميم ^(١) وموضعها جرّ فإنما ذلك؛
لأن (ابن وأم) جُعِلَا شَيْئًا وَاحِدًا، وَبُنِيَا عَلَى الْفَتْحِ مِثْلَ خَمْسَةِ عَشَرَ ^(٢).

﴿قال﴾ ثم أقبل موسى على السَّامِرِيِّ؛ فقال له: ﴿فما خطبك﴾ أي: ما
حُجَّتُكَ ﴿يا سامري قال بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ يعني: بني إسرائيل، وكان
الذي رأى: فرس جبريل.

قال محمد: يقول أهل اللغة: بَصُرَ الرَّجُلُ يَبْصُرُ؛ إِذَا صَارَ عَلِيمًا بِالشَّيْءِ،

(١) تقدم تخريج هذه القراءة في (الأعراف: ١٥٠).

(٢) ينظر البحر (٦/٢٧٣)، الدر المصون (٥/٤٩).

وَأَبْصِرْ يُبْصِرْ؛ إِذَا نَظَرَ^(١).

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ يعني: من تحت حافر فرس جبريل ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ أي: ألقيتها في العجل؛ يعني: حين صاغه، وكان صائغًا وكذلك سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ أي: وقع في نفسي أنني إذا ألقيتها في العجل خَارَ^(٢). قال قتادة: وكان السَّامِرِيُّ من عظماء بني إسرائيل، من قبيلة يقال لها: سامرة، ولكن نافق بعدما قطع البحر مع بني إسرائيل ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ﴾ (يعني: حياة الدنيا) ﴿أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ يعني: لا تخالط الناس، ولا يخالطونك^(٣) فهذه عقوبتك في الدنيا ومن كان على دينك إلى يوم القيامة، والسامرة صِنْفٌ من اليهود.

قال قتادة: يقال: السامرة حتى الآن بأرض الشام، يقولون: لا مِسَاسَ^(٤). قوله: ﴿وَإِنْ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تَخْلَفَهُ﴾ يعني: يوم القيامة فيجزيك الله فيه بأسوا عملك ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ﴾ أي: صِرْتَ عليه ﴿عَاكِفًا﴾ على عبادته (ل ٢١٠) ﴿لَنَحْرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾ . محمدٌ: النَّسْفُ: التَّذْرِيبُ^(٥).

قال الكلبي: ذبحه موسى، ثم أخرقه بالنار، ثم ذراه في البحر. ﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ قال قتادة: ملأ ربي كل شيءٍ ﴿عِلْمًا﴾ يقول: لا يكون

(١) بَصُرٌ يُبْصِرُ بَصْرًا؛ أي: عَلم، فهو بصير. وَأَبْصَرَ يُبْصِرُ ابْصَارًا؛ أي: رأى فهو مُبْصِرٌ. لسان العرب، مختار الصحاح (بصر).
(٢) أي: صاح. لسان العرب (خور).
(٣) سقط من «ر».
(٤) وقيل: المعنى: لا أَمْسُ ولا أَمْسٌ. مختار الصحاح: (مسس).
(٥) لسان العرب (نسف).

شيء إلا بعلم الله .

﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ ﴿١٠٠﴾ خَلِيدٍ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۖ ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُفْخَخُ فِي الْأُصُورِ وَنُحْشَرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقًا ۖ ﴿١٠٢﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ ﴿١٠٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ ﴿١٠٤﴾﴾

﴿كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق﴾ أي: من أخبار ما قد مضى ﴿وقد آتيناك﴾ أعطيناك ﴿من لدنا﴾ من عندنا ﴿ذكرًا﴾ يعني: القرآن ﴿من﴾ أعرض عنه ﴿عن القرآن﴾ لم يؤمن به ﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزرًا﴾ ثقلًا؛ يعني: الإثم ﴿خالدين فيه﴾ أي: في ثواب ذلك الوزر؛ وهي النار ﴿وساء لهم﴾ أي: وبئس لهم ﴿يوم القيامة حملًا﴾ يعني: ما يحملون على ظهورهم من الوزر.

قال محمد: (حملًا) منصوب على التمييز^(١)؛ المعنى: ساء الوزر لهم يوم القيامة حملًا، وسمى (الوزر حملًا)^(٢)؛ لأن صاحبه يحمل به ثقلًا^(٣).

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ والصور: قرن ينفخ فيه صاحب الصور؛ فينطلق كل روح إلى جسده، تُجعل الأرواح كلها في الصور؛ فإذا نُفِخَ فيه خرجت الأرواح مثل النحل كل روح إلى جسده ﴿ونحشر المجرمين﴾ المشركين؛ هذا حشر إلى النار ﴿يومئذٍ زُرْقًا﴾ أي: مسودة وجوههم ﴿يتخافتون بينهم﴾ أي:

(١) ينظر: البحر (٦/٢٧٨)، الإملاء (٢/١٢٧)، الدر المصون (٥/٥٤).

(٢) في «ر»: الإثم وزرًا.

(٣) ومنه سمي الوزر؛ لأنه يحمل عنه وزره؛ أي: ثقله. مختار الصحاح (وزر).

يتسارعون ﴿إِنْ لَبِثُمْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ يقللون لبثهم في الدنيا.
قال محمد: الخُفُوتُ أَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ: السُّكُونُ؛ يُقَالُ: خَفْتُ الْكَلَامَ
وَخَفْتُ الدَّعَاءَ؛ إِذَا سَكَنَ ^(١).

﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾ أَي: أَعْقَلَهُمْ.

قال محمد: يعني: أَغْقَلَهُمْ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِمَا يَقُولُ.

﴿إِنْ لَبِثُمْ﴾ أَي: مَا لَبِثُمْ ﴿إِلَّا يَوْمًا﴾ قَالَ قَتَادَةُ: هِيَ مُوَاطِنٌ، قَالُوا: إِلَّا
عَشْرًا، وَإِلَّا يَوْمًا، وَقَالُوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ^(٢) وَقَالَ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ يَقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يَحْلِفُ الْمُجْرِمُونَ ﴿مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ أَي: فِي
الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لِتَصَاغِرِ الدُّنْيَا عِنْدَهُمْ، وَقَلَّتْهَا فِي طَوْلِ الْآخِرَةِ.

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ ^(١٠٥) ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾ ^(١٠٦) ﴿لَا تَرَىٰ
فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ ^(١٠٧) ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ
فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ ^(١٠٨) ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ ^(١٠٩)
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ ^(١١٠) ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾
﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ ^(١١١) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا
هَضْمًا﴾ ^(١١٢) ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ
ذِكْرًا﴾ ^(١١٣)

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ أَي: يَذْرِيبُهَا تَذْرِيبًا مِنْ

(١) خَفَّتِ الصَّوْتُ يَخْفِتُ خُفُوتًا، أَي: سَكَنَ، وَمِنْهُ الْمُخَافَةُ، وَالتَّخَافُتُ. وَالْخُفْتُ: إِسْرَارُ
الْمُنْطِقِ. مَخْتَارُ الصَّحَاحِ (خَفْتُ).

(٢) الْمُؤْمِنُونَ: ١١٣.

أصولها، تصوير الجبال كالهباء^(١) المثور. ﴿فَيَذَرُهَا﴾ يعني: الأرض ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ القاع: الذي لا أثر عليه، والصفصف: المستوية التي ليس عليها نبات ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ قال ابن عباس: العوج: الوادي ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ قال مجاهد: يعني: ارتفاعًا ﴿يَوْمِئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ صاحب الصور؛ أي: يسرعون إليه حين يخرجون من قبورهم ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لا يتعوجون عن إجابته يمينًا ولا شمالًا ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: سكنت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ قال الحسن: يعني صوت الأقدام.

قال محمد: الهمس في اللغة: الشيء الخفي^(٢).

﴿يَوْمِئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ يعني: التوحيد.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا؛ أي: إذا صاروا في الآخرة ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ أي: ويعلم ما لا يحيطون به علمًا؛ أي: ما لا يعلمون ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ أي: ذلت، والقيوم: القائم على كل نفس.

قال محمد: يقال: عنا يَغْتَوُّ؛ إذا خضع^(٣).

﴿وَقَدْ خَابَ مِنْ حَمْلِ ظُلْمًا﴾ أي: شركًا.

(١) الهباء: دُقاق التراب. وقيل: هو الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس. لسان العرب، مختار الصحاح (هـو).

(٢) وهَمَسُ الْأَقْدَامُ أَخْفَى ما يكون من صوت الْقَدَم، وبابه: ضرب. لسان العرب، مختار الصحاح (هـمس).

(٣) عَنَّا يَغْتَوُّ عَتَا: وهو عَانٍ، وهم عَنَاءٌ، وَهْنٌ عَوَانٍ. مختار الصحاح، القاموس المحيط (عنو).

﴿ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً﴾ يعني: أن يُزاد عليه في سيئاته ﴿ولا هضمًا﴾ أن ينقص من حسناته .

﴿وصرفنا فيه من الوعيد﴾ أي: بينا؛ من يعمل كذا فله كذا ﴿لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾ تفسير السدي: المعنى: لعلهم يتقون، ويحدث لهم ذكراً؛ الألف ها هنا صلة ^(١) .

﴿فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُحْدِثْ لَهُمْ عَزْمًا ۝١١٥ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝١١٦ فَقُلْنَا يَنْتَادِمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ۝١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝١١٩ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَنْتَادِمُ هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٌ لَا يَبَلَىٰ ۝١٢٠ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢ قَالَ أَهْطَأَ مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَأَمَّا يَاإِثْمَكَم مِّنِي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَاى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ أَغْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسىٰ ۝١٢٦ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَقْبَىٰ ۝١٢٧﴾

(١) يريد أن (أو) في قوله تعالى: ﴿أو يحدث﴾ بمعنى الواو؛ وينظر في دلالة (أو) على معنى الواو - مغني اللبيب (١/٧٥).

﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه﴾ أي: لا تتله؛ حتى تنممه لك؛ كان النبي إذا نزل عليه الوحي يقرؤه ويذئب^(١) فيه نفسه؛ مخافة أن ينسى ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل﴾ يعني: ما أمر به: ألا يأكل من الشجرة ﴿فنسي﴾ يعني: فترك ما أمر به. ﴿ولم نجد له عزماً﴾ أي: صبراً.

﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ في الدنيا، يعني: الكد فيها ﴿إن لك ألا تجوع فيها﴾ يعني: في الجنة ﴿ولا تعرى﴾ كانا كسيًا الظفر ﴿وأنك لا تظمأ فيها﴾ أي: لا تعطش ﴿ولا تضحى﴾ أي: لا تصيبك شمس.

قال محمد: يقال: ضحى الرجل يضحى؛ إذا برز إلى الضحى، وهو حرُّ الشمس^(٢).

﴿وطفقا يخرصان عليهما من ورق الجنة﴾ (ل ٢١١) يعني: جعلاً يرقعانه كهيئة الثوب.

﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ ولم يبلغ بمعصيته الكفر ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه﴾ من ذلك الذنب ﴿وهدى﴾ أي: مات على الهدى.

﴿فمن اتبع هداي﴾ يعني: رُسُلِي وكتبي ﴿فلا يضل﴾ (في الدنيا)^(٣) ﴿ولا يشقى﴾ في الآخرة ﴿ومن أعرض عن ذكري﴾ فلم يؤمن ﴿فإن له معيشةً ضنكاً﴾.

يحيى: عن عبد الله بن عرادة، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿معيشةً ضنكاً﴾ يعني: عذاب

(١) أي: يجذ ويتعب. لسان العرب (دأب).

(٢) ضحى للشمس يضحى، وضحى يضحى ضحاً أي: برز لها. لسان العرب (ضحى).

(٣) سقط من «ر».

القبر»^(١).

قال محمدٌ: أصل الضَّنْكَ في اللغة: الضيق والشدة، يقال: ضَنَّكَ عَيْشُهُ ضَنْكًا، وضَنَّكَ، وقالوا: ﴿معيشة ضَنْكًا﴾ أي: شديدة^(٢).

يحيى : عن أبي أمية، عن يونس بن خباب، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب «أن رسول الله ﷺ اتبع جنازة رجل من الأنصار؛ فلما انتهى إلى قبره وجده لم يُلْحَدْ؛ فجلس وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطيرُ وبیده عودٌ وهو ينكت به في الأرض، ثم رفع رأسه فقال: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر - قالها ثلاثاً - إن المؤمن إذا كان في قُبُلٍ من الآخرة، وانقطع من الدنيا أنه ملائكةٌ وجوههم كالشمس بحنوطه وكفنه، فجلسوا بالمكان الذي يراهم (منه)^(٣)؛ فإذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض؛ وكل ملك في السموات، وفتحت أبواب السماء كل باب منها يُعْجبه أن يصعد روحه منه، فينتهي الملك إلى ربه، فيقول: يا رب،

(١) هذا مرسل، وعبد الله بن عرادة ضعفه البخاري وغيره، وقد خالفه حماد بن سلمة فرواه عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة موصولاً، خرجه الطبري في تفسيره (١٣/ ٢١٥) وفي تهذيب الآثار مسند عمر (٢/ ٥٠٥ رقم ٧٢٧) وابن حبان (٧/ ٣٨٨ - ٣٨٩ رقم ٣١١٩) والحاكم في المستدرک (١/ ٣٨١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٥٩ رقم ٥٧، ٥٨) وقال الحاكم: صحيح. كما في إتحاف المهرة (١٦/ ١/ ١٨٣ رقم ٢٠٦١٠).

وروي من طرق عن حماد بن سلمة وغيره، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مطولاً مرفوعاً وموقوفاً. خرجه عبد الرزاق في المصنف (٣/ ٥٦٧ - ٥٦٩ رقم ٦٧٠٣) والطبري في تفسيره (١٣/ ٢١٥ - ٢١٦) وفي تهذيب الآثار (٢/ ٥٠٦ - ٥٠٧ رقم ٧٢٨، ٧٢٩) وابن حبان (٧/ ٣٨٠ - ٣٨٢ رقم ٣١١٣) والحاكم (١/ ٣٧٩ - ٣٨١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٦١ - ٦٢ - رقم ٦٧) وغيرهم.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٤): إسناده جيد.

(٢) ينظر لسان العرب (ضنك).

(٣) في «ر»: فيه.

هذا رُوح عبدك، فيصلى عليه الله وملائكته، ويقول: ارجعوا بعدي فأروه ماذا أعددت له من الكرامة؛ فإني عهدت إلى عبادي أنني منها خلقتكم وفيها نعيدكم، فَيُرَدُّ إليه روحه حين^(١) يوضع في قبره، فإنه لَيَسْمَعَ قرع نعالكم حين تنصرفون عنه، فيقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، فيتهرانه انتهازاً شديداً، ثم يقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي .

فيناديه مناد: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٢) فيأتيه عمله في صورة حسنة وريح طيبة، فيقول: أبشر (بجنتك)^(٣) فيها نعيم مقيم؛ فقد كنت سريعاً في طاعة الله بطيئاً عن معصية الله، فيقول: وأنت بشرك الله بخير فمثل وجهك يبشر بالخير، ومن أنت؟ فيقول: أنا عمك الحسن. ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: كان هذا منزلك فأبدلك الله خيراً منه، ثم يفتح له في جانب قبره فيرى منزله في الجنة، فينظر إلى ما أعد الله له من الكرامة فيقول: يا رب، متى تقوم الساعة كي أرجع إلى أهلي ومالي؟! فيوسع عليه في قبره ويرقد. وأما الكافر فإذا كان في قبْل من الآخرة وانقطع من الدنيا؛ أثته ملائكة (سود الوجوه)^(٤) بسراويل من قطران، ومقطعات من نار، فجلسوا منه بالمكان الذي يراهم منه، فينزغ روحه - كما ينتزع السُّفود^(٥) الكثير شعبه من الصوف المبتل - من عروقه

(١) في «ر»: حتى.

(٢) إبراهيم: ٢٧.

(٣) في «ر»: حياة.

(٤) سقط من «ر».

(٥) هي الحديدية التي يُشوى بها اللحم. لسان العرب، مختار الصحاح (سند).

وقلبه؛ فإذا خرج روحه لعنه كل مَلَك بين السماء والأرض، وكل ملك في السموات، وغلقت أبواب السموات دونه، كل باب يكره أن يصعد روحه منه، فينتهي الملك إلى ربه فيقول: يا رب هذا روحُ عبدك فلان لا تقبله أرض ولا سماء! فيلعنه الله وملائكته، فيقول: ارجعوا بعبدِي فأروه ماذا أعددتُ له من الهوان؛ فإنني عهدت إلى عبادي أنني منها خلقتكم، وفيها أعيدكم، فترُدُّ^(١) إليه روحه حين يوضع في قبره، وإنه لَيَسْمَعُ قرع نعالكم حين تنصرفون^(٢) عنه، فيقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي، فينتهرانه انتهازًا شديدًا، ثم يقال له: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فيقول: لا أدري! فيقال له: لا دريت، ويأتيه عمله في صورة قبيحة وريح متنة، فيقول: أبشر بعذاب مقيم، فيقول: وأنت فبشرك الله بشرٌ فمثل وجهك يبشر بالشر. ومن أنت؟! فيقول: أنا عمك الخبيث. ثم يفتح له بابٌ من أبواب الجنة، فيقال له: كان هذا منزلك لو أطعت الله، ثم يفتح له منزله من النار، فينظر إلى ما أعدّه الله له من الهوان، ويقبض له أصمٌ أعمى، في يده مرزبة^(٣) لو توضع على جبلٍ لصار رُفَاتًا^(٤)، فيضربه ضربةً فيصير رُفَاتًا، ثم يعاد فيضربه بين عينيه ضربة يصيح منها صيحة يسمعها من على الأرض إلا الثقلين، وينادي منادٍ أن أفرشوه لَوْحِينَ من النار، فيفرش

(١) في «ر»: فيرد الله.

(٢) ويقال فيها أيضًا: الإرزبة؛ وهي التي يُكسر بها المَدَر. وقال صاحب مختار الصحاح: فإن قلتها بالميم - أي: المرزبة - خففت الباء. ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (رزب).

(٣) أي: حطامًا؛ تقول: رُفِت الشيء - على ما لم يُسم فاعله - فهو مرفوت. مختار الصحاح (رفت).

له لَوْحَيْنِ من نار، ويضيق عليه قبره؛ حتى تختلف أضلَاعُه»^(١).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٩٥/٤ - ٢٩٦) وعبد الرزاق في المصنف (٥٨٠/٣ - ٥٨٢ رقم ٦٧٣٧) وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٢٩٦/٤) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٧٥ رقم ١٧٦) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٤٥٩/٢) - والطبري في تفسيره (٢١٥/١٣) وفي تهذيب الآثار (٤٩٧/٢ - ٥٠٠ رقم ٧٢٢) والحاكم في المستدرک (٣٩/١) والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٤٠ رقم ٢٣، ٢٤) من طريق يونس بن خباب به. ورواه الإمام أحمد (٢٨٧/٤ - ٢٨٨) والطيالسي (١٠٢ - ١٠٣ رقم ٧٥٣) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٨٠ - ٣٨٢) وهناد بن السري في الزهد (٣٣٩) وأبو داود (٢٥٠/٥ - ٢٥١ رقم ٤٧٢٠ - ٤٧٢١) والمروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٤٣٠ - ٤٣٣ رقم ١٢١٩) والدارمي في الرد على الجهمية (٥٨ رقم ١١٠) والطبري في تفسيره (٢١٥/١٣) وفي تهذيب الآثار (٤٩١/٢ - ٤٩٧ رقم ٧١٨ - ٧٢١) وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٧٣ - ٢٧٤ رقم ١٧٥) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٤٥٩/٢) - والآجري في الشريعة (١٩٠ - ١٩٢ رقم ٩١٩ - ٩٢١) وابن منده في الإيمان (٩٦٢/٢ - ٩٦٤ رقم ١٠٦٤) وفي التوحيد (٢٧٨/٣ رقم ٨٥٠) والحاكم في المستدرک (٣٧/١ - ٣٩) واللالكائي في أصول الاعتقاد (١١٣٥/٦ - ١١٣٧ رقم ٢١٤٠) والبيهقي في الشعب (٢/٣١٦ - ٣١٩ رقم ٣٩٠) وفي عذاب القبر (٣٧ - ٣٩ رقم ٢٠، ٢١، ٤٠ - ٤١ رقم ٢٥ - ٢٧، ٥٠ - ٥٢ رقم ٤٤) من طريق الأعمش عن المنهال بن عمرو به.

ورواه الطبري في تهذيب الآثار (٢/٥٠٠ - ٥٠١ رقم ٧٢٣) وأبو عبد الله بن منده في كتاب الروح - كما في الروح لابن القيم (ص ٤٦) - والبيهقي في الشعب (٢/٣٢١ - ٣٢٢ رقم ٣٩١) من طريق عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء ورواه ابن منده من طريق مجاهد عن البراء. كما في كتاب الروح لابن القيم (ص ٤٧).

وقال ابن منده: هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء، ولذلك رواه عدة عن الأعمش وعن المنهال بن عمرو، والمنهال أخرجه البخاري ما تفرد به، وزاذان أخرجه عنه مسلم، وهو ثابت على رسم الجماعة، وروي هذا الحديث عن جابر وأبي هريرة وأبي سعيد وأنس بن مالك وعائشة رضي الله عنهم اهـ.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين؛ فقد احتجا جميعاً بالمنهال بن عمرو، وزاذان أبي عمر الكندي، وفي هذا الحديث فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة، ولم يخرجاه بطوله. اهـ.

وقال أبو نعيم الأصبهاني: وأما حديث البراء؛ رواه المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، فحديث مشهور؛ رواه عن المنهال الجم الغفير، ورواه عن البراء: عدي بن ثابت ومحمد بن =

قوله: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ عن حجته ﴿قال رب لم حشرتني

= عقبه وغيرهما، ورواه عن زاذان عطاء بن السائب. قال: وهو حديث أجمع رواة الأثر على شهرته واستفاضته. انتهى، نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص ٢٦٨). وقال البيهقي في الشعب: هذا حديث صحيح الإسناد.

وقال البيهقي في عذاب القبر (ص ٣٩): هذا حديث كبير صحيح الإسناد. وقال المنذري في الترغيب (٣٦٩/٤): هذا الحديث حديث حسن، ورواه محتج بهم في الصحيح كما تقدم، وهو مشهور بالمنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء. كذا قال أبو موسى الأصبهاني رحمه الله والمنهال روى له البخاري حديثاً واحداً، وقال ابن معين: المنهال ثقة. وقال أحمد العجلي: كوفي ثقة. وقال أحمد بن حنبل: تركه شعبة على عمد. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لأنه سمع من داره صوت قراءة بالتطريب. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: أبو بشر أحب إلي من المنهال، وزاذان ثقة مشهور لأنه بعضهم، وروى له مسلم حديثين في صحيحه. اهـ.

وقال القرطبي في التذكرة (ص ١١٩): وهو حديث صحيح له طرق كثيرة. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٩٠/٤): وهو حديث حسن ثابت. وقال الذهبي في العلو (٥١٩/١): إسناده صالح.

وأعله ابن حزم في المحلى (٢٢/١) وابن حبان في صحيحه (٣٨٧/٧) ورد قولهما ابن القيم في تهذيب السنن (٩٠/١٣ - ٩٣) وفي الروح (ص ٤٦) وقال في الروح: فالحديث صحيح لا شك فيه، وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان، منهم عدي بن ثابت ومحمد بن عقبة ومجاهد.

وقال ابن القيم في الروح (ص ٤٨): هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صحيحه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحداً من أئمة الحديث طعن فيه، بل روه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلاً من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ومساءلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها إلى بين يدي الله ثم رجوعها إلى القبر، وقول أبي محمد: لم يروه غير زاذان. فوهم منه؛ بل رواه عن البراء غير زاذان، ورواه عنه عدي بن ثابت ومجاهد بن جبر ومحمد بن عقبة وغيرهم، وقد جمع الدارقطني طرقه في مصنف مفرد، وزاذان من الثقات روى عن أكابر الصحابة كعمر وغيره، وروى له مسلم في صحيحه قال يحيى بن معين: ثقة. وقال حميد بن هلال - وقد سئل عنه - : هو ثقة؛ لا تسأل عن مثل هؤلاء. وقال ابن عدي: أحاديثه لا بأس بها إذا روى عن ثقة. اهـ.

وقال في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص ٤٦): وهو صحيح، صحيحه جماعة من الحفاظ. وقال الهيثمي في المجمع (٥٠/٣): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.

أعمى ﴿عن الحجة؛ في تفسير قتادة﴾ ﴿وقد كنت بصيراً﴾ عالمًا بحجتي في الدنيا؟! وإنما علمه ذلك عند نفسه؛ أنه كان يحتاج في الدنيا جاحداً لما جاءه من الله. قال الله: ﴿كذلك أتتك آياتنا﴾ في الدنيا ﴿فنسيها﴾ أي: فتركتها لم تؤمن بها ﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ أي: تترك في النار ﴿وكذلك نجزي من أسرف﴾ على نفسه بالشرك^(١) ﴿ولعذاب الآخرة أشد﴾ من عذاب الدنيا ﴿وأبقى﴾ أي: لا ينقطع أبداً.

﴿أَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلَكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾

﴿ألم يهْدِ لهم﴾ قال الحسن: يعني: نبين لهم؛ مُقْرَأَةً بالنون^(٢) ﴿كم﴾ أهلكنا قبلهم من القرون ﴿يحذرهم ويخوفهم العذاب إن لم يؤمنوا﴾ يمشون في مساكنهم ﴿تمشى هذه الأمة في مساكنهم؛ يعني: من مضى﴾ إن في ذلك لآياتٍ لأولي النهى ﴿العقول، وهم المؤمنون.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ ألا يعذب كفار آخر هذه الأمة إلا بالنفخة ﴿لكان لزاماً﴾ أي: لألزموا عقوبة كفرهم فأهلكوا جميعاً؛ لجحودهم ما جاء

(١) في «ر»: فأشرك.

(٢) وهي قراءة ابن عباس والسلمي وغيرهما، كما في تفسير القرطبي (١١/٢٦٠).

به النبي ﷺ ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ فيها تقديم وتأخير: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاماً.

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ أنك ساحر، وأنت شاعر، وأنت مجنون، وأنت كاهن، وأنت كاذب ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس﴾ قال قتادة: يعني: صلاة الصبح ﴿وقبل غروبها﴾ الظهر والعصر ﴿ومن آناء الليل﴾ يعني: ساعات الليل ﴿فسبح﴾ يعني: المغرب والعشاء. [قال محمد: (١)] واحد الآناء إني (٢) ﴿وأطراف النهار﴾ قال الحسن: يعني: التطوع ﴿لعلك ترضى﴾ أي: لكي ترضى في الآخرة ثواب عملك.

﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً﴾ أصنافاً منهم؛ يعني: الأغنياء. ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾ يعني: زينة ﴿للفتنتهم فيه﴾ أي: نختبرهم؛ أمره أن يزهده في الدنيا.

قال محمد: (زهرة) منصوبٌ بمعنى: جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة (٣). ﴿ورزق ربك﴾ في الجنة ﴿خير﴾ من الدنيا ﴿وأبقى﴾ يقول: لا نفاذ له ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾ أهله: أمته ﴿لا نسألك رزقاً﴾ أن ترزق نفسك ﴿والعاقبة للتقوى﴾ أي: لأهل التقوى، والعاقبة: الجنة.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّا

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) قال الأخفش: واحدها: إني؛ مثل: مئى. وقيل: واحدها: إئو وإئي؛ يقال: مضى من الليل: إئوان، وإئيان.

ينظر: لسان العرب، مختار الصحاح (أنى).

(٣) وفي نصبه أقوال نحوية أخرى. ينظر: إعراب القرآن (٣٦٢/٢)، البحر (٢٩١/٦)، البيان (١٥٥/٢).

أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ
 أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَى ﴿١٣٨﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنِ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ
 وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٣٩﴾

﴿وقالوا لولا﴾ هــا ﴿يأتينا بآية من ربه﴾ قال الله: ﴿أو لم تأتهم بينة﴾ قال
 محمد: يعني: آيات ﴿ما في الصحف الأولى﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿ولو
 أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾ يعني: من قبل القرآن ﴿لقالوا ربنا لولا﴾ هــا
 ﴿أرسلت إلينا رسولاً﴾.

﴿قل كل متربص﴾ نحن وأنتم؛ كان المشركون يتربصون بالنبي أن يموت،
 وكان النبي يتربص بهم أن يجيئهم العذاب ﴿فستعلمون من أصحاب الصراط
 السوي﴾ يعني: الطريق المعتدل ﴿ومن اهتدى﴾ أي: فستعلمون أن النبي
 والمؤمنين كانوا على [الصراط السوي، وأنهم ماتوا على الهدى] ^(١).

(١) سقطت من الأصل. والمثبت من «ر».

(٢١٣ل) تفسير سورة الأنبياء
وهي مكِّيَّة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٤) بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِسْنَا نِسَاءِ كَمَا أَرْسَلْنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾
قوله: ﴿اقترَب للناس حسابهم﴾ أي: أن ذلك قريب.

يحيى: عن خدّاش، عن أبي عامر، عن أبي عمران الجوني قال: قال رسول الله ﷺ: «حين بُعِثَ إليّ بُعِثَ إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه، وقَدِمَ رجلاً وآخر رجلاً، ينتظر متى يؤمر ينفخ؛ ألا فاتقوا النفخة» (١).

﴿وهم في غفلة﴾ يعني: المشركين عن الآخرة ﴿معرضون﴾ عن القرآن ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ يعني: القرآن ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾ يسمعونه بأذانهم، ولا تقبله قلوبهم ﴿لاهيَةً قلوبهم﴾ أي: غافلة (٢).
قال محمد: المعنى: استمعوه لأعبيّن لاهية قلوبهم.

(١) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٤/٧٦٤ - ٧٦٥ رقم ٣٧٧، ٦/١٢٨٢ - ١٢٨٣ رقم ٧١٨) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

(٢) في (١): في غفلة.

﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ أشركوا؛ يقول بعضهم لبعض، وأسروا ذلك فيما بينهم ﴿هل هذا﴾ يعنون: محمداً ﴿إلا بشر مثلكم﴾ أفتأتون السحر؟ يعنون: القرآن؛ أي: تصدقون به ﴿وأنتم تبصرون﴾ أنه سحر.

قال محمد: قوله: ﴿وأسروا النجوى الذين ظلموا﴾ فيه وجهان: يجوز أن يكون (الذين ظلموا) رفعا على معنى: هم الذين ظلموا أنفسهم، وقد يجوز أن يكون المعنى: أعني الذين ظلموا^(١).

﴿قل^(٢) ربي يعلم القول﴾ السرّ ﴿في السماء والأرض﴾.

﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾ أي: أخلاط أحلام؛ يعنون: القرآن ﴿بل افتراه﴾ يعنون: محمداً ﴿بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ كما جاء موسى وعيسى؛ فيما يزعم محمد.

﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ^(١) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ^(٢) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ^(٣) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ^(٤) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ^(٥) ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أن القوم إذا كذبوا رسلهم، وسألوه الآية فجاءتهم ولم يؤمنوا - أهلكهم الله؛ أفهم يؤمنون إن جاءتهم آية؛ أي: لا يؤمنون إن جاءتهم.

(١) وفيها تفصيل نحوي واسع ينظر من: إعراب القرآن (٣٦٦/٢)، مجمع البيان (٣٨/٤)، البحر (٢٩٦/٦)، الكتاب (٢٣٦/١).

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿قال﴾ بآلف على الخبر، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ بغير ألف على الأمر. النشر (٣٢٣/٢) وإتحاف الفضلاء (٣٩١).

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر﴾ قال قتادة: يعني: من آمن من أهل التوراة والإنجيل ﴿إن كنتم لا تعلمون﴾ وهم لا يعلمون ﴿وما جعلناهم جسداً﴾ يعني: النبين ﴿لا يأكلون الطعام﴾ أي: ولكن جعلناهم جسداً يأكلون الطعام؛ قال هذا لقول المشركين ﴿وما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾^(١).

﴿وما كانوا خالدين﴾ في الدنيا لا يموتون.

قال محمد: قوله: ﴿جسداً﴾ هو واحدٌ يُنبئ عن جماعة^(٢)؛ المعنى: وما جعلنا الأنبياء قبله ذوي أجسادٍ لا تأكل الطعام ولا تموت؛ فنجعله كذلك. ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ كانت الرسل تحذر قومها عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا، فلما لم يؤمنوا صدق الله رسله الوعد، فأنزل العذاب على قومهم.

قال: ﴿فأنجيناهم ومن نشاء﴾ يعني: النبي^(٣) والمؤمنين ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ المشركين.

﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً﴾ القرآن ﴿فيه ذكركم﴾ فيه شرفكم - يعني: قريشاً - لمن آمن به ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين.

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْلِكَ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(١١) فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَئِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ^(١٢) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنُكُمْ لَعَلَّكُمْ تُشْكِرُونَ^(١٣) قَالُوا يَنْوَلِنَا إِنْ أَرَادْنَا أَنْ نَبْذُلَ لَكُمْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ

(١) سورة الفرقان: ٧.

(٢) لسان العرب (جسد).

(٣) في حاشية الأصل: (النبيين).

حَصِيدًا خَمِيدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
لَهُوَ لَا نَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ
زَاهِقٌ وَلَكُمْ آلُؤُنْىُ الْمَا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ أهلكنا ﴿من قرية كانت ظالمة﴾ مشركة ^(١) يعني: أهلها
﴿وأنشأنا﴾ خلقنا .

﴿فلما أحسوا بأسنا﴾ رأوا عذابنا؛ يعني: قبل أن يهلكوا ﴿إذا هم منها﴾
من القرية ﴿يركضون﴾ يفرون، قال الله: ﴿لا تركضوا﴾ لا تفروا. ﴿وارجعوا﴾
إلى ما أترفتم فيه ﴿أي﴾ إلى دنياكم التي أترفتم فيها ﴿ومساكنكم لعلكم﴾
تسألون ﴿من دنياكم شيئاً﴾ أي: لا تقدرول على ذلك، ولا يكون ذلك؛ يقال
لهم هذا استهزاء بهم.

﴿قالوا يا ويلنا﴾ وهذا حين جاءهم العذاب ﴿إنا كنا ظالمين﴾ قال الله:
﴿فما زالت تلك دعواهم﴾ أي: فما زال ذلك قولهم؛ يعني: ﴿يا ويلنا إنا كنا﴾
ظالمين .

﴿حتى جعلناهم حصيداً خامدين﴾ أي: قد هلكوا وسكنوا.

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعين﴾ أي: إنما خلقناها
(ل٢١٤) للبعث والحساب، والجنة والنار ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾ قال
الحسن: اللهو [المرأة] ^(٢) بلسان اليمن ﴿لأتخذناه من لدنا﴾ أي: من عندنا
﴿إن كنا فاعلين﴾ أي: وما كنا فاعلين وذلك أن المشركين قالوا: إن الملائكة

(١) سقط من «ر».

(٢) طمس في الأصل والمثبت من «ر»، وينظر تفسير ابن كثير (٣٢٩/٥).

بنات الله ﴿بل نقذف بالحق﴾ بالقرآن ﴿على الباطل﴾ يعني: (الشرك)^(١) ﴿فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ ذاهب.

قال محمد: قوله: ﴿فيدمغه﴾ أي: يكسره، وأصل هذا إصابة الرأس والدماغ بالضرب، وهو مقتل^(٢).

﴿ولكم الويل﴾ العذاب ﴿مما تصفون﴾ قال قتادة: لقولهم: إن الملائكة بنات الله.

﴿وَلَكُمْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَن عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾
 ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾
 لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا
 يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلَٰهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعَى
 وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن
 رَّسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ
 بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا
 بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَن ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾
 ﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده﴾ يعني: الملائكة. ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ أي: يعيرون^(٣).

(١) في «ر»: المشركين.

(٢) يقال: دَمَغَهُ - من باب قطع - : شَجَّهَ حَتَّى بَلَغَتِ الشَّجَّةُ الدَّمَاعَ، واسمها: الدَّامِغَةُ؛ وهي
 عشرة الشَّجَاج. لسان العرب، مختار الصحاح (دمغ). وفي «ر»: مقتول.

(٣) أي: يتعبون ويعملون. ينظر لسان العرب (عيي)، وابن كثير (٣٢٩/٥).

﴿أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ﴾ أي: يُخَيِّونَ الموتى؛ (هذا على الاستفهام؛ أي: أنهم قد اتخذوا آلهة لا يحيون الموتى) ^(١).

قال محمد: يقال: أنشر الله الموتى فنشروا ^(٢).

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا﴾ يعني: في السموات والأرض ﴿آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ﴾ غير الله ﴿لَفَسَدَتَا﴾ لهلكتا ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ يَنْزُهُ نَفْسَهُ ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ يقولون: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ بعباده ﴿وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ والعباد يسألهم الله عن أعمالهم ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا، وهذا ^(٣) الاستفهام، وأشباهه استفهام على معرفة.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ يعني: حجتكم على ما تقولون: إن الله أمركم أن تتخذوا من دونه آلهة؛ أي: ليست عندهم بذلك حجة.

﴿هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ﴾ قال قتادة: يعني: القرآن ﴿وَذَكَرْ مِنْ قَبْلِي﴾ يعني: أخبار الأمم السالفة وأعمالهم؛ ليس فيها اتخاذ آلهة دون الله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ﴾ يعني: جماعتهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن الحق.

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ قال قتادة: قالت اليهود: إن الله صاهر إلى الجن، فكانت من بينهم الملائكة. قال الله: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ يَنْزُهُ نَفْسَهُ عَمَّا قَالُوا ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ يعني: الملائكة هم كرام على الله ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ فيقولون شيئاً لم يقبلوه عن الله ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ تفسير السُّدِّي: يعني: يعلم ما كان قبل خلق الملائكة، وما كان بعد خلقهم ﴿وَلَا

(١) سقط من «ر».

(٢) وفي مختار الصحاح (نشر): أنشرهم الله تعالى فَنَشَرُوا هم.

(٣) زاد بعدها في الأصل: على. وهي زيادة مقحمة.

يشفعون إلا لمن ارتضى ﴿٢٩﴾ أي: لمن رضي.

﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَلَذِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾
 ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَيْءٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْقِ أَفَاقِينَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه...﴾ الآية، قال قتادة: هذه في إبليس خاصة لما دعا إلى عبادة نفسه، وقال الحسن: ومن يقل ذلك منهم إن قاله، ولا يقوله أحد منهم؛ وكان يقول: إن إبليس لم يكن منهم.

﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقًا﴾ [قال السدي: أو لم يعلم] ^(١) قال الحسن: يعني: ملترقتين إحداهما على الأخرى ﴿ففتقناهما﴾ يقول: فوضع الأرض، ورفع السماء.

قال محمد: قوله: ﴿كانتا رتقًا﴾ لأن السموات يعبر عنها بالسماء بلفظ الواحد، وكذلك الأرض ^(٢)، ومعنى (رتقًا) أي: شيئًا واحدًا

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وتجمع (السماء) على: سموات، وأسمية؛ وهي تذكر وتؤنث. أما الأرض فهي مؤنثة، وهي اسم جنس، وكان حق الواحدة منها أن يقال: أرضة، ولكنهم لم يقولوا. وتجمع على: أرضات وأرضون، وأرضون، وأروض، وأراض. لسان العرب، مختار الصحاح (أرض، وسمو).

ملتحمًا^(١)؛ وهو معنى قول الحسن .

﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ أي: أن كل شيء حي فإنما خلق من الماء .

﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾ يعني: الجبال ﴿أن تميد بهم﴾ لئلا تحرك بهم ﴿وجعلنا فيها فجاجًا سبلًا﴾ يعني: أعلامًا طرقًا ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا الطرق ﴿وجعلنا السماء سقفا﴾ على من تحتها ﴿محفوظًا﴾ يعني: من كل شيطان رجيم . ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾ أي: لا يتفكرون فيما يرون؛ فيعرفون أن لهم معادًا فيؤمنون .

﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾ أي: يَجْرُونَ، تفسير الحسن: إن الشمس والقمر والنجوم في طاحونة بين السماء والأرض كهيئة فلكة المغزل^(٢) تدور فيها، ولو كانت ملتزقة بالسماء لم تُجَر .

﴿أفأين مت فهم الخالدون﴾ على (٢١٥) الاستفهام: أفهم الخالدون؟ أي: لا يخلدون .

﴿ونبلوكم بالشر والخير﴾ يعني: الشدة والرخاء ﴿فتنة﴾ أي: اختبارًا .
﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا إِتَّخَذُوا لَكُمْ آلًا مُّزْمًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغِ الْوَعْدَ الْمَرْغُوبَ﴾
﴿وَاللَّهُ يَكْفُرُ عَنْهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿حُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ

(١) الرُّتْق: ضد الفَتَق، والرُّتْق مصدر قولك: امرأة رَتْقاء؛ وهي التي لا يُسْتَطَاعُ جماعها لارتفاق ذلك الموضع منها. لسان العرب، مختار الصحاح (رتق) وفي «ر»: شيئًا واحدًا ملتصمًا.

(٢) القطعة المستديرة من الخشب ونحوه تجعل في أعلاه، وتثبت الصنارة من فوقها، وعود المغزل من تحتها. ينظر المعجم الوسيط (فلك).

ءَاتَيْنِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا يَقُولُهُ لِّلنَّبِيِّ ﴿٤١﴾ إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ﴿٤٢﴾ أَي: يعييبها ويشتمها، يقوله بعضهم لبعض. قال الله: ﴿٤٣﴾ وهم يذكرون الرحمن هم كافرون ﴿٤٤﴾.

﴿خلق الإنسان من عجل﴾ تفسير مجاهد: خلق عَجُولًا.

قال الله: ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ وذلك لما كانوا يستعجلون به النبي ﷺ من العذاب استهزاء منهم وتكذيبًا.

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ هذا قول المشركين للنبي؛ متى هذا الذي تعدنا به من أمر القيامة؟! قال الله: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار...﴾ الآية (وفيها تقديم؛ أي: أن الوعد الذي كانوا يستعجلون به في الدنيا هو يوم لا يكفون عن وجوههم النار) ^(١) ﴿ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ لو يعلم الذين كفروا ﴿بل تأتيتهم بغتة﴾ يعني: القيامة ﴿فتبتهتهم﴾ أي: تحيرهم ﴿فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾ يؤخرون.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رِيسِلًا مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٤١﴾ قُلْ مَن يَكْلَأُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَمْسَتْ إِلَهِةُ تَمْنَعُهُمْ مِّنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا

هُم مِّنَّا يَصْحَبُونَ ﴿١٣﴾ بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٤﴾

﴿ولقد استهزئ برسلي من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم﴾ أي: كذبوهم واستهزؤوا بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ يعني: العذاب الذي كانوا يكذبون به.

﴿قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن﴾ أي: هم من الرحمن؛ في تفسير قتادة؛ كقوله: ﴿يحفظونه من أمر الله﴾^(١) أي: هم من أمر الله، وهم ملائكة حَفَظَةَ لِبْنِي آدَمَ وَلأَعْمَالِهِمْ، وقد مضى تفسيره^(٢).

﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا﴾ أي: قد اتخذوا آلهة لا تمنعهم من دوننا. قال الحسن: يعني: لا تمنعهم من الله إن أراد عذابهم، وكان يقول: إنما تُعَذَّبُ الشياطين التي دعتهُم إلى عبادة الأصنام، ولا تُعَذَّبُ الأصنام. ﴿لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ يقول: لا تستطيع تلك الأصنام نصر أنفسها إن أراد أن يعذبها ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ قال الكلبي: يقول: ولا مَنْ عبدها منا يُجَارُونَ.

﴿بل مَنَعْنَا هَؤُلَاءِ﴾ يعني: قريشاً ﴿وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ لم يأتهم رسول حتى جاءهم محمد ﷺ ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ تفسير الحسن: أفلا يرون أن رسول الله كلما بعث إلى أرض ظهر عليها؛ أي: ينقصها بالظهور عليها أرضاً فأرضاً ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أي: ليسوا بالغالبين، ولكن رسول الله هو الغالب.

(١) الرعد: ١١.

(٢) عند تفسير سورة الرعد، الآية: ١١.

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ (٤٥) وَلَئِنْ
مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُنَوَّلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا
بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا
لِّلْمُنْقِبِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا
ذِكْرٌ مِّبَارَكٌ أُنزِلَتْهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُنْكِرُوا ﴿٥٠﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ بالقرآن، أُنذركم به عذاب الدنيا وعذاب الآخرة
— يعني: المشركين ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ﴾ يعني: النداء ﴿إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾
والصم ها هنا: الكفار^(١)؛ صموا عن الهدى ﴿وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ
رَّبِّكَ﴾ قال قتادة: يعني: عقوبة.

قال يحيى: يعني: النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة.

﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ (يعني: العدل)^(٢) ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْئًا﴾ لا تنقص من ثواب عملها ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ أي: وزن حبة ﴿مِّنْ
خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ قال الحسن: لا يعلم حساب مثاقيل الذر
والخردل إلا الله، ولا يحاسب العباد إلا هو.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ يعني: التوراة؛ وفُرْقَانُهَا أَنَّهُ فَرَّقَ فِيهَا
حلالها وحرامها.

﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: يذكر الرجل منهم ذنبه في الخلاء؛

(١) في «ر»: الكفر.

(٢) سقط من «ر».

فيستغفر الله منه .

﴿وهم من الساعة مشفقون﴾ خائفون من شر ذلك اليوم وهم المؤمنون .

﴿وهذا ذكر مبارك﴾ يعني : القرآن .

﴿فأنتم له منكرون﴾ يعني : المشركين على الاستفهام ؛ يعني : قد أنكرتموه .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَيُّهُ وَقَوْمِهِ مَا

هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادَةً ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ

كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ

بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ

لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدْرِيرِينَ ﴿٥٧﴾

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ يعني : النبوة ﴿وكنا به عالمين﴾ أنه سيبليغ عن الله الرسالة .

﴿ما هذه التماثيل﴾ يعني : الأصنام ﴿التي أنتم لها عاكفون﴾ (لـ ٢١٦) مقيمون على عبادتها .

﴿قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ يعني : المستهزئين .

﴿الذي فطرهن﴾ خلقهن ﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أنه ربكم ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم...﴾ الآية .

قال قتادة : [نرى] ^(١) أنه قال ذلك حيث لا يسمعون استدعاه قومه إلى عيد لهم ؛ فأبى وقال : ﴿إني سقيم﴾ اعتل لهم بذلك ، ثم قال لما ولّوا : ﴿تالله لأكيدن أصنامكم...﴾ الآية .

(١) في الأصل : يريد . والمثبت من «ر» .

﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٥٩) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (٦٠) قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦١) قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِإِلَهِنَا يَا ابْنِ هَاشِمِ (٦٢) قَالَ بَلْ فَعَلَهُمُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَشَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٣) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ثُمَّ تُكْسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٥) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أَفَبِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) ﴿

﴿فَجَعَلَهُمْ جُودًا﴾ أي: قطعاً؛ قطع أيديها وأرجلها، وفقاً أعينها، ونجر وجوهها ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ للآلهة؛ يعني: أعظمها في أنفسهم، ثم أوثق الفأس في [يد] (١) كبير تلك الأصنام؛ كاذبهم بذلك ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يبصرون فيؤمنون.

فلما رجعوا رأوا ما صُنِعَ بأصنامهم ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِإِلَهِنَا﴾ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يعيهم ﴿يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾.

قال محمد: (إبراهيم) رفع بمعنى يقال له: يا إبراهيم، أو المعروف به إبراهيم (٢).

﴿قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ أنه كسرهما، قال قتادة:

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر»..

(٢) وفيه أوجه نحوية أخرى تنظر من: الإملاء (١٣٤/٢) البحر (٣٢٤/٦)، الهمع (١٥٧/١)، الدر المصون (٩٦/٥).

كرهوا أن يأخذوه إلا بيته، فجاءوا به فقالوا: ﴿أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم﴾.

﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ قال قتادة: وهي هذه المكيدة ﴿ثم نكثوا على رؤوسهم﴾ أي: خزايا قد حجّهم؛ فقالوا: ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾.

﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾.

قال محمد: (أف) معناه: التغليظ في القول والتبرّم، وقيل: إن أصلها الشن؛ فكانه قال: نتنا لكم^(١).

﴿قالوا حرقوه... الآية﴾، قال الحسن: فجمعوا الحطب زماناً، ثم جاءوا بإبراهيم، فآلقوه في تلك النار.

قال يحيى: بلغني أنهم رمّوا به في المنجنيق؛ فكان ذلك أول ما صنع المنجنيق.

﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ٦٩ ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾

٧٠ ﴿وَبَيَّنَّاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ ٧١ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ ٧٢ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا

إِلَيْهِمْ فَعَلُوا الْخَيْرَاتِ ۖ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾ ٧٣

﴿قلنا يا نار كوني بردًا وسلامًا﴾ تفسير السدي: سلامة من حر النار، ومن

بردها. قال قتادة: إن كعبًا قال: ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس، وما

(١) قال صاحب مختار الصحاح: يقال: أفا له، وأفة؛ أي: قذّر له. وفيه ست لغات: أف، أف، أف، أف، أف، أف. مختار الصحاح (أفف).

أُخْرِقَتْ مِنْهُ إِلَّا وَثَاقُهُ^(١).

﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يعني: حرقَهُمْ إِيَّاهُ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ في النار خسروا أنفسهم وخسروا الجنة ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ يعني: الأرض المقدسة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ قال السدي: يعني: جميع العالمين ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ قال الحسن: أي: عطيةً .

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ قال قتادة: أي يُهْتَدَى بِهِمْ في أمر الله . ﴿وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْثِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ ^(٧٤) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ^(٧٥) وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ^(٧٦) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ^(٧٧) ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ يعني: النبوة ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ يعني: أن أهلها كانوا يعملون الخبائث ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾ مشركين .

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ﴾ وهذا حين أُمِرَ بالدعاء على قومه ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ قال قتادة: نُجِّيَ مَعَ نُوحٍ: امْرَأَتُهُ وَثَلَاثَةُ بَنِينَ لَهُ وَنِسَاءُهُمْ؛ وَجَمِيعُهُمْ ثَمَانِيَةٌ ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: الغرق .

قال محمد: (نوحًا) منصوبٌ على معنى: اذكر نوحًا، وكذلك داود وسليمان^(٢).

(١) هو القَيْدُ، وفيه لغة أخرى الوثاق بكسر الواو. لسان العرب، المعجم الوسيط (وثق).

(٢) ينظر: الإملاء (٢/١٣٥)، الدر المصنوع (٥/١٠٠)، الكتاب (٢/١٧٠).

﴿ونصرناه﴾ يعني: نوحاً ﴿من القوم﴾ يعني: على القوم؛ في تفسير السدي.

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٧٩) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِيُخَفِّيَكُمْ مِنَ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ (٨٠) وَسَلَّمْنَا الرَّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ (٨١) وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَفْضُوتُ لَهُمْ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ (٨٢)

﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه﴾ أي: وقعت فيه ﴿غنم القوم﴾ النفش بالليل (١).

قال الكلبي: إن أصحاب الحرث استغدوا على أصحاب الغنم، فنظر داود ثمن الحرث، فإذا هو قريب من ثمن الغنم، فقاضى بالغنم لأهل الحرث فمروا بسليمان فقال: كيف قضى فيكم (نبي الله) (٢)؟ فأخبروه، قال لهم: [نعم] (٣) ما قضى، وغيره كان أرفق بالفريقين كليهما، فدخل أصحاب الغنم على داود؛ فأخبروه فأرسل إلى سليمان، فقدم عليه لما حدثني كيف رأيت فيما قضيت؟ قال: تدفع الغنم إلى أهل الحرث، فيستفعون بلبنها وسمنها وأصوافها عامهم هذا، وعلى أهل الغنم أن يزرعوا لأهل الحرث مثل الذي أفسدت غنمهم فإذا

(١) قال صاحب مختار الصحاح: ولا يكون النفش إلا بالليل، والهمل يكون ليلاً ونهاراً. وقيل: نفشت الإبل والغنم؛ أي: رعت ليلاً بلا راع. مختار الصحاح (نفش).

(٢) سقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(بلغ) ^(١) مِثْلُهُ حين أفسد قبضوا غنمهم؛ فقال له داود: نِعم الرأي رأيت ^(٢).
(٢١٧) ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾ كانت جميع الجبال
وجميع الطير تسبح مع داود بالغداة والعشي، ويفقه تسييحها ﴿وكنا فاعلين﴾
أي: قد فعلنا ذلك.

قال محمد: يجوز نصب (الطير) من جهتين: إحداهما على معنى:
وسخرنا الطير، والأخرى على معنى: يسبحن مع الطير ^(٣).
﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم﴾ يعني: دروع الحرب ﴿لتحصنكم من
بأسكم﴾ يعني: القتال.

قال قتادة: كانت قبل داود صفائح، وأول من صنع هذه الحلقة
وسمّرها ^(٤): داود.

قال محمد: تقرأ ﴿ليحصنكم﴾ بالياء والتاء؛ فمن قرأ بالياء فالمعنى:
ليحصنكم اللبوس، ومن قرأ بالتاء ^(٥) فكأنه على الصنعة؛ لأنها أنثى.
﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح ﴿عاصفة﴾ لا تؤذيه
﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ يعني: أرض الشام.
﴿ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك﴾ (سوى
ذلك) ^(٦) الغوص، وكانوا يغوصون في البحر فيخرجون له اللؤلؤ، وقال في

(١) في «ر»: كان.

(٢) في «ر»: نعم ما قضيت.

(٣) ينظر الدر المصون (١٠٢/٥).

(٤) شدّها بالمسمار وثبته بدقة فيها. لسان العرب، المعجم الوسيط (سمر).

(٥) قرأ بالياء: ابن كثير ونافع وحزمة والكسائي وأبو عمرو، وقرأ بالتاء عاصم وابن عامر. وفيها
قراءات أخرى غير هاتين. ينظر: السبعة (٤٣٠)، التيسير (١٥٥)، البحر (٣٣٢/٦).

(٦) سقط من «ر».

آية أخرى: ﴿كل بناء وغواص﴾^(١).

﴿وكنا لهم حافظين﴾ حفظهم الله عليه ألا يذهبوا ويتركوه.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَعِندَنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾

﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر﴾ المرض ﴿وأنت أرحم الراحمين﴾ قال الحسن: إن أيوب لم يبلغه شيء يقوله الناس كان أشد عليه من قولهم: لو كان نبيا ما ابتلي بالذي ابتلي به، فدعا الله فقال: اللهم إن كنت تعلم أني لم أعمل حسنة في العلانية إلا عملت في السر مثلها؛ فاكشف ما بي من ضر وأنت أرحم الراحمين، فاستجاب الله له، فوقع ساجدا، وأمطر عليه فراش الذهب، فجعل يلتقطه ويجمعه ﴿[وآتيناه]^(٢) أهله ومثلهم معهم﴾ هذا مفسر في سورة «ص»^(٣) ﴿رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ أي: أن الذي كان ممن ابتلي به أيوب لم يكن من هوانه على الله، ولكن الله أراد كرامته بذلك، وجعل ذلك عزاء للعابدين^(٤) بعده.

﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ تفسير قتادة: أن ذا الكفل لم يكن نبيا، ولكنه كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح عند موته كان يصلي لله كل

(١) ص: ٣٧.

(٢) في الأصل و «ر»: ﴿ووهبنا له﴾ وهذا نص آية ص: ٤٣.

(٣) عند قوله تعالى: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا﴾ ص آية: ٤٣.

(٤) في «ر»: للعالمين.

يوم مائة صلاة؛ فأحسن الله عليه الشاء.

وتفسير مجاهد: أنه تكفل لني أن يقوم في قومه بعده بالعدل.

﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَرَكِبْنَا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَنْفَخُ فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾﴾

﴿وَذَا النون﴾ يعني: يونس، قال قتادة وغيره: النون: الحوت.

قال محمد: قوله: ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾ منصوب على معنى: واذكر^(١)، وكذلك قوله: ﴿وَذَا النون﴾.

﴿إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾ [لقومه]^(٢): ﴿فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ قال قتادة: يعني: أن لن نعاقبه بما صنع.

قال محمد: أصل الكلمة: الضيق؛ كقوله: ﴿فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾^(٣) أي: ضيق، ومن هذا قولهم: فلان مقدر عليه ومقتر^(٤).

(١) الدر المصون (١٠٤/٥).

(٢) في الأصل: لقوله. والمثبت من «و».

(٣) الفجر: ١٦.

(٤) لسان العرب، مختار الصحاح (قدر).

﴿فنادى في الظلمات﴾ يعني: في ظلمة البحر، وظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت ﴿أن لا إله إلا أنت...﴾ الآية.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن إبراهيم بن محمد بن سعد بن مالك، عن أبيه، عن جده سعد؛ أن رسول الله ﷺ قال: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ فإنه لم يدع بها مسلمٌ ربّه قط في شيء إلا استجاب له»^(١).

(١) رواه الإمام أحمد (١٧٠/١) والترمذي (٤٩٥/٥) رقم (٣٥٠٥) والنسائي في الكبرى (١٦٨/٦) رقم (١٠٤٩٢) وأبو يعلى (١١٠/٢ - ١١١ رقم ٧٧٢) والبخاري (١١٨٦ رقم ٢٥/٤) والطبراني في الدعاء (٥٦ رقم ١٢٤) والحاكم في المستدرک (٥٠٥/١، ٣٨٢/٢ - ٣٨٣) والبيهقي في الشعب (٥٢١/٢ - ٥٢٢ رقم ٦١١) والضياء في المختارة (٢٣٣/٣ - ٢٣٥ رقم ١٠٤٠ - ١٠٤٢) وفي العدة للكرب والشدّة (٥١ رقم ٢٠) من طريق يونس بن أبي إسحاق به. وقال الترمذي: وقد روى غير واحد هذا الحديث عن يونس بن أبي إسحاق عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن سعد، ولم يذكر فيه عن أبيه، وروى بعضهم عن يونس بن أبي إسحاق فقالوا: عن إبراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه عن سعد، وكان يونس بن أبي إسحاق ربما ذكر في هذا الحديث عن أبيه، وربما لم يذكره. وقال البخاري: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن محمد بن سعد إلا من رواية إبراهيم بن محمد ابن سعد عن أبيه عن جده. ولا يروى عن النبي ﷺ إلا من رواية سعد عنه، وقد روي عن سعد من وجهين.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ورواه النسائي (١٦٨/٦ رقم ١٠٤٩١) والحاكم (٥٠٥/١) من طريق عبيد بن محمد عن محمد بن مهاجر عن إبراهيم بن سعد به. ورواه أبو يعلى (٦٥/٢ رقم ٧٠٧) والبخاري (٣٦٣/٣ - ٣٦٤ رقم ١١٦٣) وابن عدي في الكامل (٢٠٦/٧) والحاكم (٥٨٤/٢) من طريق أبي خالد الأحمر، عن كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن مصعب بن سعد عن أبيه بنحوه. وقال البخاري: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا عن سعد عنه، وقد روي عن سعد من وجه آخر، وهذا الحديث لا نعلمه رواه عن كثير بن زيد إلا أبو خالد الأحمر، ولا روى المطلب عن أبيه - كذا - إلا هذا الحديث.

ورواه الحاكم (٥٠٥/١ - ٥٠٦) من طريق أحمد بن عمرو بن بكر السكسكي عن أبيه عن =

وتفسير قصة يونس (مذكور)^(١) في سورة الصافات^(٢).

﴿وأصلحنا له زوجه﴾ قال قتادة: كانت عاقراً؛ فجعلها الله ولوداً ﴿ووهبنا له﴾ منها ﴿يحيى﴾.

﴿ويدعوننا رغباً﴾ أي: طمعاً ﴿ورهباً﴾ أي: خوفاً.

﴿والتي أحصت فرجها﴾ جيب درعها عن الفواحش ﴿ففنخنا فيها من روحنا﴾ تناول جبريل بأصبعه جيبها فنفخ فيه؛ فسار إلى بطنها فحملت ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ يعني: أنها ولدت من غير رجل.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (٩٢) ﴿وَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَٰهِنَا رَجْعُوتٌ﴾ (٩٣) ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ أُوْزَةٍ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُمْ كَافُونَ﴾ (٩٤) ﴿يَرْجِعُونَ﴾ (٩٥)

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال قتادة: أي: دينكم ديناً واحداً.

= محمد بن يزيد عن سعيد بن المسيب عن سعد بنحوه.

ورواه الطبري في تفسيره (٨٢/١٧) من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن سعد بنحوه.

ورواه أبو يعلى في معجمه (٢٦٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٦٦ رقم ٣٤٣) وابن عدي (٢٥٧/٦) والضياء في العدة للكرب والشدة (٤٧ رقم ١٨) من طريق عمرو بن الحصين العقيلي عن معتمر بن سليمان عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن سعد عن سعد.

وقال ابن عدي: عمرو بن الحصين مظلم الحديث.

(١) في الأصل: مذكورة.

(٢) الصافات: ١٣٩ - ١٤٨.

قال محمدٌ: من قرأ ﴿أَمْتُكُمْ﴾ بالرفع، ونصب (أُمَّةً واحدةً)^(١) - فأمّتمكم رفعٌ خبر (هذه)، ونصب (أُمَّةً) لمجيء النكرة بعد تمام الكلام؛ هذا قول أبي عبيدة^(٢).

﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ يعني: أهل الكتاب؛ أي: فرقوا دينهم الذي أمروا به، يعني: الإسلام [فدخلوا في]^(٣) غيره.

﴿فلا كفران لسعيه﴾ لعمله ﴿وإنّا له كاتبون﴾ نحسب حسناته (ل) (٢١٨) حتى يُجزى بها الجنة.

قال محمدٌ: تقول العرب: غفرانك لا كفرانك؛ المعنى: لا نجحد^(٤).

﴿وحرامٌ على قريةٍ أهلكناها﴾ أي: واجب عليها ﴿أنهم لا يرجعون﴾ قال الحسن: [المعنى]^(٥) أنهم لا يتوبون، ولا يرجعون عن كفرهم. وتقرأ أيضًا ﴿وحِزْمٌ على قريةٍ﴾^(٦).

قال محمدٌ: حِزْمٌ وحرامٌ عند أهل اللغة بمعنى واحد؛ أي: واجب^(٧). قال الشاعر:

(١) وهي قراءة السبعة إلا أبا عمرو في رواية عنه؛ فقد قرأ (أُمَّةً واحدةً) على الرفع. ينظر: إتحاف الفضلاء (٣١٢)، البحر (٣٣٧/٦)، المحتسب (٦٥/٢)، تفسير القرطبي (٣٣٨/١١) - (٣٣٩).

(٢) وفيه تفصيل نحوي واسع. ينظر: الدر المصون (١٠٧/٥).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) الكُفْران والكُفْر ضد الشُكْرِ: جحود النعمة. لسان العرب، مختار الصحاح (كفر).

(٥) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٦) بكسر الحاء وإسكان الراء، من غير ألف، وهذه قراءة أبي بكر وحزمة والكسائي، ينظر السبعة (٤٣١)، النشر (٣٢٤/٢)، إتحاف الفضلاء (٣٩٤)، تفسير القرطبي (٣٤٠/١١).

(٧) ينظر في ذلك كلام ابن منظور؛ فقد استوفى هذه القراءة، ومعناها اللغوي لسان العرب (حرم)، وينظر حاشية تفسير ابن كثير (٣٦٦/٥).

فإن حرامًا لا أرى الدهر بأكيا على شجوه إلا بكيت على عمرو^(١)

﴿حَقَّ إِذَا فَتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ٩٦ ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَآ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ٩٧ ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾ ٩٨ ﴿لَوْ كَانَتْ هَتُولَاءُ إِلَهَةً مَا وَرَدُّوهُآ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ٩٩ ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ ١٠٠

قوله: ﴿حتى إذا فتحت﴾ أي: أُرسلت ﴿يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ قال قتادة: يعني: من كل أكمة^(٢) يخرجون. قال محمد: التَّسْلَانُ في اللغة: مقاربة الخطو مع الإسراع^(٣). ﴿واقترب الوعد الحق﴾ يعني: النفخة الآخرة ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ إلى إجابة الداعي.

﴿يا ويلنا﴾ يقولون: يا ويلنا ﴿قد كنا في غفلة من هذا﴾ يعنون: تكذيبهم بالساعة ﴿بل كنا ظالمين﴾ لأنفسنا ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله﴾ قال الحسن: يعني: الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان؛ لأنهم بعبادتهم الأوثان عابدون للشياطين ﴿حصب جهنم﴾ أي: يُرمى بهم فيها.

(١) البيت لعبد الرحمن بن جُمَانة المحاربي شاعر جاهلي، وهو من بحر الطويل. وورد في الأصل: (فإن حرامك... إلخ) وهو غير مستقيم الوزن. ينظر لسان العرب (حرم).

(٢) الأكمة: التل، والمراد المكان المرتفع، والجمع: أكَم وإكام وآكام. المعجم الوسيط (أكم) وفي «ر»: أكنة. والمراد: مَنْ كل مكان خفي يستترهم.

(٣) وهو أيضًا التَّسْل والتَّسْل بمعنى العدو. لسان العرب، القاموس المحيط (نسل).

قال محمد: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ ما أُلقي فيها؛ تقول: حَصَبْتُ فلانًا حَصْبًا بتسكين الصاد؛ أي: رميته، وما رميت فهو حَصَبٌ^(١).

﴿أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾ (يعني: الشياطين)^(٢) وكل فيها خالدون ﴿الْعَابِدُونَ وَالْمُعْبُدُونَ﴾ لهم فيها زفير ﴿قَدْ مَضَى تَفْسِيرُ الزَفِيرِ وَالشَّهْقِ﴾^(٣) ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ قال ابن مسعود: إذا بقي في النار من يُخَلَّدُ فيها جُعِلُوا في توايت من نار فيها مسامير من نار، ثم جعلت التوايت في توايت آخر، ثم جعلت تلك التوايت في توايت آخر؛ فلا يرون أن أحدًا يعذب في النار غيرهم. ثم قرأ ابن مسعود: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١١١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١١٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١١٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١١٤﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ﴾ يعني: الجنة ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا﴾ (يعني: النار)^(٤) ﴿مُبْعَدُونَ﴾ قال الكلبي: قام رسول الله ﷺ مقابل باب الكعبة، ثم اقترأ هذه الآية: ﴿إِنكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ فوجد منها

(١) لسان العرب (حصب).

(٢) سقط من «ر».

(٣) في تفسير سورة هود عند الآية: ١٠٦.

(٤) سقط من «ر».

أهل مكة وَجَدًا شَدِيدًا^(١)، فقال ابن الزُّبَيْرِ: يا محمد؛ أرايت الآية التي قرأت آنفًا أفينا وفي آلهتنا خاصة، أم في الأمم وآلهتهم؟ قال: لا؛ بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وآلهتهم. فقال: خَصَمْتُكَ والكعبة؛ قد عَلِمْتُ أن النصارى يعبدون عيسى وأمه، وإن طائفة من الناس يعبدون الملائكة، أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار؟! فسكت رسول الله، وضحكت قريش ولجؤا؛ فأنزل الله جواب قولهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ يعني: عَزِيزًا وعيسى والملائكة ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ يعني: صوتها إلى قوله: ﴿الْفَرْعُ الْأَكْبَرُ﴾ قال الحسن: يعني: النفخة الآخرة ﴿وَتَتْلَقَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ قال الحسن: تتلقاهم بالبشارة حين يخرجون من قبورهم، وتقول: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنتُمْ تُوْعَدُونَ﴾.

﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ﴾^(٢) قال قتادة: يعني: كطي الصحيفة فيها الكتاب ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نَعِيدُهُ﴾ قال الكلبي: إذا أراد أن يبعث الموتى، عاد الناس كلهم نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ثم لحمًا، ثم ينفخ فيهم الروح، فكذاك بدأهم.

وقال ابن مسعود: يرسل الله ماء من تحت العرش منيًا كمني الرجال فتنبت به جُسَمَانَهُمْ ولحمانهم؛ كما تنبت الأرض من الثرى.

(١) أي: حَزَنًا شَدِيدًا. لسان العرب (وجد).

(٢) هكذا في الأصل و«ر»: (للكتاب) وهي قراءة: ابن كثير، وابن عامر، ونافع، وأبي عمرو، وأبي بكر عن عاصم، وقرأ الباقون ﴿لِلْكِتَابِ﴾ على الجمع. ينظر: السبعة (٤٣١)، النشر (٢/٣٢٥)، التيسير (١٥٥)، إتحاف الفضلاء (٣٩٥).

﴿وَعَدَا عَلَيْنَا﴾ (يعني: البدء) ^(١) ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ أي: نحن فاعلون.
قال محمد: (وعدًا) منصوبٌ على المصدر؛ بمعنى: وعدناهم [هذا] ^(٢)
وعدًا ^(٣).

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾
^(١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ^(١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ^(١٠٧)
قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ^(١٠٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَقُلْ مَا دَنُّكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَى أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ^(١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ
الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ^(١١٠) وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ
جِبْرِ ^(١١١) قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ^(١١٢)

﴿ولقد كتبنا في الزُّبُور﴾ قال مجاهد: يعني: الكتب: التوراة والإنجيل
والقرآن ﴿من بعد الذكر﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿أن الأرض﴾ يعني: أرض
الجنة ﴿يرثها عبادي الصالحون﴾ إن في هذا ﴿يعني: القرآن ﴿لبلأغا﴾ إلى الجنة
﴿لقوم عابدين﴾ الذين يصلون [الصلوات الخمس] ^(٤) ﴿وما أرسلناك إلا
رحمة للعالمين﴾ (٢١٩) تفسير سعيد بن جبیر قال: من آمن بالله ورسوله
تمت عليه الرحمة في الدنيا والآخرة، ومن كفر بالله ورسوله عُوفي مما عذبت
به الأمم؛ وله في الآخرة عذاب النار.

(١) سقط من «ر».

(٢) سقط من الأصل.

(٣) وقد سبق الكلام على مثله آنفاً؛ فلا حاجة لتكراره.

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

قال يحيى: [إلا أن]^(١) تفسير الناس أن الله آخر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستتصال إلى النفخة الأولى، ثم يكون هلاكهم بعد هذا.

﴿فقل أذنتكم على سواء﴾ قال الحسن: يقول: من كذب بي فهو عندي سواء؛ أي: جهادكم كلكم عندي سواء.

قال محمد: ومعنى (أذنتكم): أعلمتكم^(٢).

﴿وإن أذري أقرب أم بعيد ما توعدون﴾ يعني: الساعة ﴿وإن أذري لعله فتنة لكم﴾ تفسير الحسن يقول: وإن أذري لعل ما أنتم عليه من السعة والرخاء وهو منقطع زائل ﴿فتنة﴾ بليّة لكم ﴿ومتاع﴾ تستمتعون به؛ يعني: المشركين ﴿إلى حين﴾ قال قتادة: يعني: إلى الموت.

قال محمد: ومعنى (وإن أذري): وما أذري^(٣).

﴿قل^(٤) رب احكم بالحق﴾ قال الحسن: أمره الله أن يدعوا أن ينصر أوليائه على أعدائه، فنصره الله عليهم ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ أي: تكذبون.



(١) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

(٢) واذن وتأذن بمعنى مثل أيقن وتيقن. مختار الصحاح (أذن).

(٣) حيث تأتي (إن) المكسورة المخففة بمعنى (ما) في النفي. انظر مغني اللبيب (١/٣٠).

(٤) قرأ حفص ﴿قال﴾ بالألف على الخبر، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ على الأمر من غير ألف. النشر

(٢/٣٢٥) وإتحاف الفضلاء (٣٩٥).

تفسير سورة الحج

وهي مدينة كلها إلا أربع آيات مكيات: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي...﴾ إلى قوله: ﴿عذاب يوم عقيم﴾^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

قوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ يعني: النفخة الآخرة ﴿يوم ترونها تذهل﴾ أي: تُغْرِضُ ﴿كل مرضة عما أرضعت...﴾ الآية.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: «بينا رسول الله في مسير له قد فرّق بين أصحابه السّير؛ إذ رفع صوته فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم...﴾ حتى انتهى إلى قوله: ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فلما سمعوا صوت نبيهم اغصصوا^(٢) به. فقال: هل تدرون أي يوم ذاكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذاكم يوم يقول الله لأدم: يا آدم، قم ابعث بعث النار. فيقول: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إنساناً إلى النار وواحد إلى الجنة. فلما سمعوا ما قال نبيهم أبلسوا^(٣) حتى ما يجلى رجل منهم عن واضحة، فلما رأى ذلك في

(١) الآيات من (٥٢ إلى ٥٥).

(٢) أي: اجتمعوا وصاروا عصابة واحدة. النهاية في غريب الحديث (٢٤٦/٣).

(٣) أي: أسكتوا وتحيروا. لسان العرب (بلس).

وجوههم، قال: اعملوا وأبشروا فوالذي نفسي بيده ما أنتم في الناس إلا كالرُقْمَةِ^(١) في ذراع الدابة، أو كالشَّامَةِ^(٢) في جنب البعير، وإنكم مع خليقتين^(٣) ما كانتا مع شيء قط إلا كثرتاه: يأجوج ومأجوج، ومن هلك - يعني: ومن كفر - من بني إبليس، وتُكْمَلُ العِدَّةُ من المنافقين^(٤).

(١) الرقمة: هنة نائمة تشبه الظفر في ذراع الدابة من الداخل. المعجم الوسيط (رقم).

(٢) هي العلامة في البدن يخالف لونها لون سائر. المعجم الوسيط (شيم).

(٣) أي: مخلوقين.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار مسند ابن عباس (١/٤٠٢ رقم ٧١٠) من طريق عوف عن الحسن بنحوه.

ورواه الإمام أحمد (٤٣٢/٤، ٤٣٥) والحميدي (٢/٣٦٧ رقم ٨٣١) والطيالسي (١١٢) رقم ٨٣٥ والترمذي (٥/٣٠٢ - ٣٠٣ رقم ٣١٦٨، ٣١٦٩) والنسائي في الكبرى (٦/٤١٠ رقم ١١٣٤٠) والطبري في تفسيره (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار (١/٤٠٠ - ٤٠٢ رقم ٧٠٧، ٧٠٨) والطبراني في المعجم الكبير (١٨/١٤٤ رقم ٣٠٦) والحاكم في المستدرک (١/٢٨ - ٢٩، ٢٣٣ - ٢٣٤، ٣٨٥، ٥٦٧/٤) من طريق الحسن بن عمران بن حصين بنحوه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن عمران بن حصين عن النبي ﷺ.

وقال الحاكم في الموضع الأول: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بطوله، والذي عندي أنهما قد تخرجا من ذلك خشية الإرسال، وقد سمع الحسن بن عمران بن حصين، وهذه الزيادات التي في هذا المتن أكثرها عند معمر عن قتادة عن أنس.

ورواه الطبري في تفسيره (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار (١/٤٠٢ رقم ٧٠٩) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/٢١٠) - والطبراني في الكبير (١٨/٢١٨ رقم ٥٤٦) من طريق العلاء بن زياد العدوي عن عمران بن حصين.

ورواه الطبري (١١١/١٧) وفي تهذيب الآثار (٢/٣٩٩ رقم ٧٠٦) من طريق قتادة عن صاحب له عن عمران.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣١) وعبد بن حميد (٣٥٨ رقم ١١٨٧) وأبو يعلى (٥/٤٣٠ - ٤٣١ رقم ٣١٢٢) والطبري في تفسيره (١٧/١١٢) وابن خزيمة في الأوهال من صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٢/٢٥٤) - وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣/٢١٠) - وابن حبان (١٦/٣٥٢ رقم ٧٣٥٤) والحاكم (١/٢٩، ٥٦٦/٤ - ٥٦٧) من طريق معمر عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

قال محمد: ومعنى قوله: ﴿وترى الناس سُكَّارِي﴾ أي: ترى أنت أيها

= وقال الحاكم: هو صحيح على شرطهما جميعًا، ولم يخرجاه ولا واحد منهما.

وقال في الموضع الثاني: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

ثم أسند الحاكم عن محمد بن يحيى الذهلي الإمام قوله: هذا الحديث عندنا غير محفوظ عن أنس، ولكن الم محفوظ عندنا حديث قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢١٩/٨) رقم (٧٨٢٣): رواه أبو يعلى الموصلي بسند صحيح، وأحمد بن حنبل والحاكم وصححه.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٢١٠/٣) والبزار - كشف الأستار (١٨٣/٤ - ١٨٤) رقم (٣٤٩٧) - والطبري في تهذيب الآثار (٣٩٦/١) رقم (١٦) والحاكم في المستدرک (٥٦٨/٤) من طريق هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقال البزار: لا نعلمه يروى عن ابن عباس إلا بهذا الإسناد.

وقال الطبري: وهذا خبر عندنا صحيح سنده، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيمًا غير صحيح لعلتين:

إحداهما: أنه خبر لا يُعرف له مخرج عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ يصح إلا من هذا الوجه، والخبر إذا انفرد به عندهم منفرد وجب الثبوت فيه.

والثانية: أنه من نقل عكرمة عن ابن عباس، وفي نقل عكرمة عندهم نظر يجب الثبوت فيه من أجله. اهـ.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح بهذه الزيادة، ولم يخرجاه.

وقال الهيثمي في المجمع (٣٩٤/١٠): رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير هلال بن خباب، وهو ثقة.

ورواه ابن مردويه في تفسيره - كما في تخريج أحاديث الكشاف (٣٧٨/٢) - من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه الطبري في تهذيب الآثار (٤٠٤/١ - ٤٠٥) رقم (٧١٤) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٧٧/٤) لابن مردويه عن أبي موسى رضي الله عنه بنحوه.

وروى البخاري (٤٤٠/٦) رقم (٣٣٤٨) ومسلم (٢٠١/١ - ٢٠٢) رقم (٢٢٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه نحوه مختصرًا.

وروى البخاري (٥٣٣/١١) رقم (٦٦٤٢) ومسلم (٢٠٠/١ - ٢٠١) رقم (٢٢١) عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه مختصرًا.

وروى البخاري (٣٨٥/١١) رقم (٦٥٢٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه مختصرًا أيضًا.

وروى الإمام أحمد (٤٤١/٦) عن أبي الدرداء رضي الله عنه نحوه مختصرًا أيضًا.

الإنسان الناس سُكَارَى من العذاب والخوف ﴿وما هم بسكارى﴾ من الشراب.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾
 ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ يعني: المشرك يلحد في الله، فيجعل معه إلهاً بغير علم أتاه من الله ﴿ويتبع كل شيطانٍ مرید﴾ أي: جريء على المعصية، والشياطين هي التي أمرتهم.
 ﴿كُتِبَ عليه﴾ أي: قُضِيَ على الشيطان ﴿أنه من تَوَلَّاهُ﴾ اتبعه ﴿فأنه يضلّه﴾.

قال محمد: (أنه من تَوَلَّاهُ) (أنه) في موضع رفع، (فأنه يضلّه) عطف عليه، وموضعه رفع أيضاً، وحقيقته أنها مكررة على جهة التوكيد؛ المعنى: كتب عليه أنه من تَوَلَّاهُ أضله^(١).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾
 ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب﴾ أي: في شك ﴿من البعث فإننا خلقناكم

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/٣٨٩)، مجمع البيان (٤/٧٠)، البحر (٦/٣٥١).

من تراب ﴿ وهذا خلق آدم ﴿ ثم من نطفة ﴿ يعني : نسل آدم ﴿ ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ﴿ تفسير مجاهد : هما جميعاً : السقط ^(١) مخلوق وغير مخلوق .

قال محمد : ومعنى ﴿ مخلقة وغير مخلقة ﴾ أي : من الخلق من تتم مضغته بخلق الأعضاء ، ومنهم من لا يتم الله خلقه .
﴿ لنبيّن لكم ﴾ أي : خلقكم ﴿ ونقر في الأرحام ﴾ أرحام النساء ﴿ ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ (ل ٢٢٠) يعني : منتهى الولادة .

قال محمد : تقرأ بالرفع على القطع ^(٢) [مما قبله] ^(٣) .

يحيى : عن صاحب له ، عن الأعمش عن [أبي وائل] ^(٤) عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوماً ، ثم يكون علقه أربعين يوماً ، ثم يكون مضغة أربعين يوماً ، ثم يؤمر الملك - أو قال : يأتي الملك - فيؤمر أن يكتب أربعاً : رزقه وعمله وأثره وشقياً أو سعيداً » ^(٥) .

(١) السَّقَط - بكسر السين وضمها وفتحها ثلاث لغات - هو ما يسقط من الولد قبل تمامه . لسان العرب (سقط) .

(٢) هكذا في الأصل ، و«ر» ولعل المراد بالرفع على القطع ؛ أي بالرفع على الخبرية ، والتقدير : (ما نشاء إلى أجل هو مسمى) . ولم أجد هذه القراءة وكل ما قيل في قراء هذا الحرف هو قراءة (مسمى) بالإمالة وقفاً ، وهي قراءة حمزة والكسائي . ينظر : الغيث للصفاسي (٣٩٥) وإن كان المراد بالرفع على القطع قراءة نقر ، فهي قراءة العامة ، والرفع لأنه مستأنف ، وليس علة لما قبله فينصب نسقاً على ما تقدم . ينظر الدر المصون (١٢٥/٥) . والله أعلم .

(٣) سقط من الأصل ، والمثبت من «ر» .

(٤) طمس في الأصل ، والمثبت من «ر» .

(٥) لم أجد من هذا الطريق ، ورواه البخاري (٤٨٦/١١) رقم ٦٥٩٤) ومسلم (٢٠٣٦/٤) رقم ٢٦٤٣) من طريق الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود رضي الله عنه .

﴿ثُمَّ نَخْرِجَكُم مِّنْ أَفْئِدَتِكُمْ﴾ يعني: الاحتلام.
 ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَّقَى﴾ وفيها إضمارٌ ؛ أي: يَتَّقَى من قبل أن يبلغ أرذل
 العمر ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعَمَرِ﴾ يعني: الهرم ﴿لَكِي لَا يَعْلَمُ مِنْ بَعْدِ
 عِلْمٍ شَيْئًا﴾ أي: يصير بمنزلة الصبي الذي لا يعلم شيئًا.
 قال محمدٌ: (طفلاً) في معنى: أطفال^(١)؛ كأن المعنى: يخرج كل واحدٍ
 منكم طفلاً.

وقوله: (لكي لا) هو بمعنى حتى لا^(٢).
 ﴿وَنَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ قال قتادة: يعني: (غبراء)^(٣) مُتَهَشِّمَةً.
 قال محمدٌ: هامة حقيقتها جافة، ومن ذلك: همود النار إذا طُفِئَتْ
 فذهبت، وهو معنى قول قتادة.
 ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ وفيها تقديم، وربت للنبات؛ أي:
 انتفخت، واهتزت بالنبات؛ إذا أنبت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي: من كل
 لون ﴿بِهَيْجٍ﴾ أي: حسن.
 قال محمدٌ: (بهيج) في معنى باهج؛ تقول العرب: امرأة ذات خلق
 باهج^(٤).

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا

(١) الطفل: المولود، والجمع أطفال، وقد يكون واحداً وجمعاً؛ مثل الجُنُب. مختار الصحاح (طفل).

(٢) ينظر: الدر المصون (١٢٦/٥ - ١٢٧).

(٣) في «ر»: غير.

(٤) أي: فاعيل بمعنى فاعل، ويقال: بهيج، وبهيج. لسان العرب (بهج).

رَبِّ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى... الآية، يقول: إن الذي أخرج من هذه الأرض الهامدة ما أخرج من النبات قادر على أن يحيي الموتى.

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى﴾ آتاه من الله ﴿ولا كتاب منير﴾ مضىء لعبادة الأوثان ﴿ثاني عطفه﴾ أي: عنقه. تفسير مجاهد: يقول: هو معرض عن الله.

قال محمد: (ثاني) منصوب على الحال؛ المعنى: لا وِثَا عَنْقُهُ^(١)؛ وهذا مما يوصف به المتكبر.

﴿له في الدنيا خزي﴾ يعني: القتل، قال الكلبي: نزلت في النضر بن الحارث؛ فقتل يوم بدر.

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَكَانَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ مَنْ كَانَتْ يَطْنُ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا

(١) ينظر إعراب القرآن (٢/٣٩١)، مجمع البيان (٤/٧٢)، البحر (٦/٣٥٤).

وَالْآخِرَةُ فَلَئِمَدَدٌ سَبَبٌ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيَقْطَعَ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾
 ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ تفسير مجاهد وقتادة: على شك.
 ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ أي: رضي ﴿وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه﴾ أي: ترك ما كان عليه، هو المنافق؛ إن رأى في الإسلام رخاء وطمأنينة طابث نفسه بما يصيب من ذلك الرخاء، وقال: أنا منكم وأنا معكم، وإذا رأى في الإسلام شدة أو بليّة لم يصبر على مصيبتها، وانقلب على وجهه كافرًا، وترك ما كان عليه.

﴿يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ﴾ يعني: الوثن ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾.

﴿يَدْعُو لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ يعني: الوثن أيضًا؛ يعني: أنه ينفق عليه وهو كلٌّ عليه ﴿لبئس المولى﴾ يعني: الوثن ﴿ولبئس العشير﴾.

﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يعني: المنافق؛ أي: أنه أيس من أن ينصر الله محمدًا، لا يصدق بما وعد الله رسوله من نصره في الدنيا والآخرة، ونصره في الآخرة: الجنة ﴿فَلَئِمَدَدٌ سَبَبٌ﴾ أي: بحبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ يقول: فليعلق حبلًا من السماء؛ يعني: سقف البيت ثم ليقطع ليختنق حتى يموت ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يَذْهَبَنَّ كَيْدُهُ﴾ أي: فعله ﴿مَا يَغِيظُ﴾ أي: أن ذلك لا يذهب غيظه.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿١٧﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ

فِي الْأَرْضِ وَالسَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالْدَّوَابِّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾
 ﴿وكذلك أنزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿آياتٍ بينات﴾ أي: بين فيه الحلال والحرام.

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾ تهودوا ﴿والصابئين﴾ وهم قومٌ يعبدون الملائكة، ويقرءون الزبور ﴿والنصارى والمجوس﴾ وهم عبدة الشمس والقمر والنيران ﴿والذين أشركوا﴾ وهم عبدة الأوثان ﴿إن الله يفصل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه﴾ في الدنيا فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل [جميع هؤلاء النار على ما أعد لكل قوم.

﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض﴾ يعني: جميع أهل السماء يسجدون وبعض أهل الأرض. كان الحسن لا يعود السجود إلا من المسلمين^(١) ﴿والشمس والقمر والنجوم﴾ كلها ﴿والجبال﴾ [كلها]^(١) ﴿والشجر﴾ [كله]^(١) ﴿والدواب﴾ كلها ثم رجع إلى صفة الإنسان، فاستثنى فيه، فقال ﴿وكثير من الناس﴾ يعني: المؤمنين ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ من لم يؤمن.

﴿هَذَانِ خَصِمَانِ اٰخَصَمُوْا فِي رَیِّهِمَا فَاَلَّذِيْنَ كَفَرُوْا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيْمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهٖۤ مَا فِيْ بُطُوْنِهِمْ وَالْجُلُوْدُ ﴿٢٠﴾ مَّقْلَعٌ مِّنْ حَٰدِيْدٍ ۚ كُلَّمَا اَرَادُوْا اَنْ يَخْرُجُوْا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ اُعِيْدُوْا فِيْهَا وَذُوقُوْا عَذَابَ الْحَرِيْقِ ﴿٢١﴾ اِنَّ

(١) طمس في الأصل في آخر اللوحة (٢٢٠) وأول اللوحة (٢٢١) والمثبت من «ر».

اللَّهُ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدًى إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدًى إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَامٍ يُظْلَمِ تُدْفَعُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾

﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ تفسير قتادة: اختصم المسلمون وأهل الكتاب؛ فقال أهل الكتاب: نبينا قبل نبيكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن خير منكم. وقال المسلمون: كتابنا يقضي على الكتب كلها، ونبينا خاتم النبيين، ونحن أولى بالله منكم، فأفلج^(١) الله أهل الإسلام؛ فقال: ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار...﴾ إلى آخر الآية. وقال: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾ الآية، وقال: ﴿خصمان﴾: أهل الكتاب خصم، والمؤمنون خصم، ثم قال: (اختصموا)^(٢) يعني: الجميع.

﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ وهو الحار الشديد الحر .

﴿يَصْهَرُ بِهِ﴾ أي: يذاب به ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ أي: وتتحرق به الجلود ﴿وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ من نار ﴿كَلِمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ قال الحسن: ترفعهم بلهبها؛ فإذا كانوا في أعلاها قمعتهم

(١) أي: فضّلهم وأظهرهم. لسان العرب (فلج).

(٢) ولفظ (الخصم) يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع؛ لأنه في الأصل: مصدر، ومن العرب

من يثنيه ويجمعه، فيقول: خصمان وخصوم.

وينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (١٣٤/٥).

الملائكة بمقامع من حديد من نارٍ فيهون فيها سبعين خريقاً.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾.

قال محمد: من قرأ: ﴿لُؤْلُؤًا﴾ بالنصب^(١) فالمعنى: ويحلون لُؤْلُؤًا^(٢).

﴿وَهَدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ هو لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿وَهَدُوا﴾ أَي: فِي الدُّنْيَا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَي: وَيَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ﴾ (قَبْلَةً)^(٣) ﴿سِوَاءَ الْعَاكِفِ فِيهِ﴾ يَعْنِي: أَهْلَ مَكَّةَ ﴿وَالْبَادِي﴾^(٤) يَعْنِي: مَنْ يَتَّبَعُهُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ لِلْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ يَقُولُ: هُمْ سِوَاءٌ فِي حَرَمِهِ وَمَسَاكِنِهِ وَحَقُوقِهِ.

قال محمد: (سِوَاءٌ) الْقِرَاءَةُ فِيهِ بِالرَّفْعِ؛ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ^(٥).

﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلَمٍ﴾ أَي: بِشَرِّهِ، وَالْإِلْحَادُ: الْمِيلُ، الْمَعْنَى: وَمَنْ يَرِدُ أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ فِيهِ.

قال محمد: ﴿بِالْحَادِ﴾ الْبَاءُ فِيهِ زَائِدَةٌ^(٦).

(١) وهي قراءة نافع وعاصم، وقرأ باقي السبعة بالجر. ينظر: السبعة (٤٣٥)، البحر (٣٦١/٦)، التيسير (١٥٦)، النشر (٣٢٦/٢).

(٢) أي: بالنصب على المفعولية. البحر (٣٦١/٦).

(٣) سقط من «ر».

(٤) أثبت الباء في الوصل أبو جعفر وأبو عمرو وورش، وأثبتها في الحالين ابن كثير ويعقوب. النشر (٣٢٧/٢).

(٥) وهي قراءة السبعة إلا حفصاً؛ فقد قرأها ﴿سِوَاءَ﴾ بالنصب. ينظر: السبعة (٤٣٥)، التيسير (١٥٧)، النشر (٣٢٦/٢)، إتحاف الفضلاء (٣٩٨)، تفسير القرطبي (٣٤/١٢).

(٦) ينظر: إعراب القرآن (٣٩٦/٢)، البحر (٣٦٢/٦)، مجمع البيان (٧٩/٤).

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى
كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَكَ مِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي: أعلمناه .

﴿وطهر بيتي﴾ أي: من عبادة الأوثان وقول الزور والمعاصي ﴿وطهر بيتي
لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ قال قتادة: يعني بالقائمين: أهل مكة ﴿والركع السجود﴾
هم الذين يصلون إليه .

﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً﴾ أي: مُشاةً ﴿وعلى كل ضامرٍ﴾
أي: وركباً على ضُمَرٍ^(١) من طول السَّفَرِ ﴿يأتين من كل فجٍ عميقٍ﴾ بعيد .
قال محمد: (رجالاً) جمع راجل، مثل صاحب وصحاب^(٢)، وقال
(يأتين) على معنى جماعة الإبل^(٣) .

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن ابن عباس
قال: «قام إبراهيم النبي ﷺ عند البيت؛ فأذن في الناس بالحج، فسمع أهل
المشرق وأهل المغرب»^(٤) .

وفي تفسير قتادة: أن إبراهيم نادى: يا أيها الناس، إن لله بيتاً فحجوه .
﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ

(١) واحدها: ضامر وضامرة؛ وهي الناقة قليلة اللحم الرقيقة . ويجمع أيضاً على: ضوامر . لسان
العرب (ضمر) .

(٢) والراجل: ضد الفارس، ويُجمع على رَجُلٍ، ورجالة ورجال ورجال . لسان العرب (رجل) .

(٣) ينظر البحر (٣٦٤/٦)، البيان (١٧٤/٢)، إعراب القرآن (٣٩٩/٢) .

(٤) روى الطبري (١٧/١٤٤) من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه .

بِهَيْمَةٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلِيَطَوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ يعني: الأجر في الآخرة، والتجارة في الموسم ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ وهي عشر ذي الحجة، آخرها يوم النحر.

﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ يعني: إذا نحر وذبح.
قال محمد: وقيل: إن الأيام المعلومات: يوم النحر^(١)، ويومان بعده.
﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ قال الحسن: ولا بأس أن يطعم منها قبل أن يأكل، وإن شاء لم يأكل منها وتصدق بها.
قال محمد: البائس الذي ناله بؤس، وهو [شديد]^(٢) الفقر يقال: قد بؤس الرجل وبئس إذا صار ذا بؤس؛ أي: شدة^(٢).
﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ تفسير الحسن: التفث: تقشف الإحرام، وبرميهم

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) يقال: بؤس الرجل فهو بئيس، وبئس فهو بائس؛ اشتدت حاجته. لسان العرب (بئس).

الجمرة يوم النحر يحل لهم [كل شيء] .

قال محمد: معنى تكشف الإحرام: كل ما لا يجوز للمحرم فعله مثل^(١)
(ل ٢٢٢) قص الشارب وتقليم الأظفار [وتنف الإبطين، وحلق العانة]^(٢)
وغير ذلك مما نهى عنه المحرم من الطيب وغيره .

﴿وليوفوا نذورهم﴾ تفسير مجاهد: ما نذر الإنسان على نفسه من شيء
يكون في الحج ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ تفسير قتادة: أعتقه الله من
الجبابرة؛ كم من جبار صار إليه يريد أن يهدمه؛ فحال الله بينه وبينه ﴿ومن
يعظم حرمان الله﴾ تفسير مجاهد: الحرمات: مكة والحج والعمرة، وما نهى
الله عنه من معاصيه كلها ﴿وأحل لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم﴾ في سورة
المائدة وقد مضى تفسيره^(٣) .

﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان﴾ يقول: اجتنبوا الأوثان؛ فإنها رجس
﴿واجتنبوا قول الزور﴾ يعني: الشرك ﴿حنفاء لله﴾ أي: مخلصين .
﴿ومن يشرك بالله...﴾ الآية، قال الحسن: شبه الله أعمال المشركين
بالذي يختر من السماء؛ فتخطفه الطير، فلا يصل إلى الأرض ﴿أو تهوي به
الريح في مكان سحيق﴾ بعيد، فيذهب فلا يوجد له أصل، ولا يرى له أثر.
يقول: ليست لأعمال المشركين عند الله قرار لهم به عنده خير في الآخرة.
﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ تفسير مجاهد: يعني: استعظام البُدن،
واستسمانها .

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر» .

(٢) طمس في الأصل والمثبت من «ر» .

(٣) المائدة: ١ .

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تفسير ابن عباس قال: الأجل المسمى: إلى أن تُقْلَدَ وتُشْعَرُ ﴿ثُمَّ مَحْلَاهَا﴾ إذا قلدت وأشعرت ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِتَذْكُرُوا بِأَسْمِ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقْتَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالذِّكْرُ لِلَّهِ وَحِجْدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِّنْ شَعْتِيرٍ اللَّهُ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَادْكُرُوا أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَفْوَ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُخْسِتِينَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ولكل أمة﴾ (ولكل قوم) ^(١) ﴿جعلنا منسكا﴾ قال قتادة: يعني: حجبا وذبيحا.

﴿وبشر المخبتين﴾ يعني: الخاشعين.

قال محمد: واشتقاق الكلمة من: الخبت؛ وهو المكان المنخفض من الأرض ^(٢).

﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ أي: خافت ﴿والمقيمي الصلاة﴾ يعني: المفروضة ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني: الزكاة المفروضة.

(١) سقط من «ر».

(٢) وقيل: هو المتسع من بطون الأرض، ومنه أخذ الإخبات، وهو الخشوع. القاموس المحيط (خبت).

﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير﴾ أي: أجر في نحرها، والصدقة منها يتقربون بها إلى الله.

قال محمد: من قرأ (البدن) بالنصب^(١) فعلى فعل مضمر؛ المعنى: وجعلنا البدن^(٢).

﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ تفسير مجاهد يعني: معلقة قيامًا. وهي في قراءة ابن مسعود (صوافن)^(٣).

قال محمد: من قرأ (صواف) مشددة^(٤)؛ فالمعنى: صُفَّت قوائمها، والنصب فيها على الحال، ولا تنون؛ لأنها لا تنصرف^(٥) ومن قرأ (صوافن) فالصافن: الذي يقوم على ثلاث؛ يقال: صفن الفرس؛ إذا رفع إحدى رجله؛ فقام على طرف الحافر، والبعير إذا أرادوا نحره تُعقل إحدى يديه فهو الصافن والجميع: صوافن^(٦). وقُرئت (صوافي) بالياء والفتح بغير تنوين^(٧)، وتفسيره: خوالص^(٨)؛ أي: خالصة لله لا يشرك بالله - جلّ وعزّ - في

(١) وهي قراءة الجمهور. ينظر: إتحاف الفضلاء (٣١٥)، الإعراب للنحاس (٤٠٣/٢)، جامع القرطبي (٦٠/١٢).

(٢) أي: بالنصب على المفعولية. البحر (٣٦٩/٦).

(٣) وهي أيضًا قراءة ابن عمر وابن عباس وقتادة وغيرهم. ينظر: المحتسب (٨١/٢)، البحر (٣٦٩/٦)، الإعراب للنحاس (٤٠٣/٢).

(٤) وهي قراءة الجمهور.

(٥) ينظر: لسان العرب (صفف)، البحر (٣٦٩/٦)، إعراب القرآن (٤٠٣/٢)، مجمع البيان (٨٦/٤)، والدر المصون (١٤٩/٥ - ١٥٠).

(٦) وقيل: هو القائم على ثلاث قوائم، وقد أقام الرابعة على طرف الحافر. مختار الصحاح (صفن).

(٧) أي وفتح الياء، وهي قراءة الحسن، وأبي موسى الأشعري ومجاهد، وغيرهم. ينظر: البحر (٣٦٩/٦)، المحتسب (٨١/٢)، الإملاء (٧٩/٢).

(٨) يقال: أصفاه الود: أخلصه له، وصافاه وتصافيا: تخالصا. لسان العرب (صفو).

التسمية على نحرها أحد. وقد ذكر يحيى هذه القراءات ولم يلخصها هذا التلخيص.

قال: ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ أي: أسقطت للموت ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ قال الحسن: القانع: السائل، والمعتر: الذي يتعرض ويقبل إن أعطي شيئاً.

قال محمد: يقال: قَنَعَ يَقْنَعُ من السؤال، وقَنِعَ يَقْنَعُ من الرضا^(١) والمعتر: الذي يعترك؛ أي: يُلْمُ لَتُعْطِيَهُ ولا يسأل^(٢).

﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها﴾ يقول: لا يصعد إلى الله لحومها ولا دماؤها، وقد كان المشركون يذبحون لآلهتهم، ثم ينضحون دماءها حول البيت.

﴿لكن يناله التقوى منكم﴾ يضعده إليه؛ يعني: ممن آمن. ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ السُّنَّة إذا ذبح أو نحر أن يقول: بسم الله والله أكبر^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨) ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُوا بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَلَدَّتْ صَنَابِعُ وَيْبَعٍ﴾

(١) قَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعًا: سأل وتذلل فهو قانع وقنيع، وقَنِعَ يَقْنَعُ قَنَاعَةً: رضي بالقسمة فهو قَنِيع وقنوع. لسان العرب (قنع).

(٢) ينظر: مختار الصحاح (عرر).

(٣) رواها البخاري (٢٠/١٠) رقم ٥٥٥٨ ومسلم (٣/ ١٥٥٦ - ١٥٥٧) رقم ١٩٦٦ عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلِيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْأُمُورِ ﴿٤١﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تفسير الحسن: يدافع عنهم، فيعصمهم من الشيطان [في دينهم] ^(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.

﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ قال قتادة: هم (أصحاب نبي الله، أذن لهم بالقتال؛ بعد ما أخرجهم المشركون، وشددوا عليهم، حتى لحق طوائف منهم بالحبشة.

قال محمد: أذن ^(٢) (٢٢٣) للذين يقاتلون أن يقاتلوا. وقيل: إنها أول آية نزلت في (الجهاد) ^(٣).

﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حقٍ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي: أنهم أخرجوا؛ لأنهم قالوا: ربنا الله ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد﴾ قال قتادة: الصوامع (للصَّابِئِينَ) ^(٤)، والبيع للنصارى؛ يعني: الكنائس، والصلوات لليهود ومساجد؛ يعني: مساجد المسلمين ﴿يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ يعني: المساجد ﴿وليَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: من ينصر دينه. معنى (وصلوات) أي: بيوت صلوات ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ يعني: أصحاب النبي ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) في «ر»: القتال.

(٤) في «ر»: للنصارى.

وأمرُوا بالمعروف ﴿٤٢﴾ بعبادة الله ﴿٤٣﴾ ونهوا عن المنكر ﴿٤٤﴾ عن عبادة الأوثان .

﴿وَأَن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُا مَّعْتَطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْأَلْؤُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾
﴿فأملت للكافرين﴾ أي: لم أهلكهم عند تكذيبهم رسلهم حتى جاء الوقت الذي أردت أن أهلكهم فيه ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعذاب حين جاء الوقت ﴿فكيف كان نكيرى﴾^(١) أي: عقابي، أي: كان شديدًا - يحذر بذلك المشركين .

﴿فكأين من قرية﴾ أي: فكم من قرية ﴿أهلكناها وهي ظالمة﴾ يعني: أهلكنا أهلها ﴿فهي خاوية على عروشها﴾ سقفاها، فصار أعلاها أسفلها ﴿وبثر معطلة﴾ [أي: قد باد أهلها]^(٢) ﴿وقصر مشيد﴾ قال الكلبي: أي: حصين . قال محمد: يقال: هو ما بُني بالشيد، وهو الجص^(٣) . وقيل: معنى (مشيد) مطول^(٤) ﴿أفلم يسيرا في الأرض﴾ يعني: المشركين ﴿فتكون لهم

(١) أثبت الياء في الوصل ورش، وأثبتها يعقوب وصلًا ووقفًا، وقرأ الباقون بغير ياء . النشر (٢) / (٣٢٧) .

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر» .

(٣) وقيل: الشيد: هو كل شيء طليت به الحائط من جص أو بلاط . مختار الصحاح (شيد) .

(٤) قيل: المَشِيد - بالتخفيف - : المعمول بالشيد، والمَشِيد - بالثقل - : المطول . وقال الكسائي: المَشِيد للواحد، ومنه قوله تعالى: ﴿وقصر مشيد﴾، والمَشِيد للجمع، ومنه قوله تعالى: ﴿في بروج مشيدة﴾ لسان العرب ، مختار الصحاح (شيد) .

قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ﴿أي: لو صاروا فتفكروا فحذروا ما نزل بإخوانهم من الكفار، فيتوبون لو كانت لهم قلوب يعقلون بها﴾ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴿أي: إنما أوتوا من قبل قلوبهم.

﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿٤٧﴾ وَكَأَنِّنَ مِنْ قَرِيبَةٍ أُمْلِيتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَأَلْزَمُوا مَآثِمَهُ وَالصَّالِحِينَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ وذلك منهم تكذيب واستهزاء بأنه لا يكون ﴿ولن يخلف الله وعده﴾ تفسير الحسن: يعني: هلاكهم بالساعة قبل عذاب الآخرة.

﴿وإن يومًا عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ يومٌ من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ أي: كذبوا ﴿معاجزين﴾ أي: يظنون أنهم يُعْجِزُونَا فيسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم؛ هذا تفسير الحسن. وتفسير مجاهد: (معاجزين): مثبطين للناس عن الإيمان.

قال محمد: لم يبين يحيى قراءة مجاهد، والقراءة على تفسيره: (مُعْجِزِينَ) مثقلة^(١).

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ.

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة. ينظر السبعة (٤٣٩) النشر (٢/٣٢٧)، التيسير (١٥٨)، إتحاف الفضلاء (٤٠٠).

فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ
 مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ وَلِأَنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي
 شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ
 فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾
 أَلَمْ تَرَ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ
 النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنى﴾ أي: تلا؛ في
 تفسير قتادة. قال قتادة: بينا رسول الله يصلي عند المقام إذ نعس، فألقى
 الشيطان على لسانه كلمة؛ فتكلم بها فتعلقها المشركون عليه؛ فإنه قرأ
 ﴿أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ فألقى الشيطان على لسانه
 ونعس: (فإن شفاعتها هي المُرْتَجى وإنها لمن الغرائق العلى) فحفظها
 المشركون، وأخبرهم الشيطان أن نبي الله قد قرأها فزلت ألسنتهم بها، وأنزل
 الله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبي إلا إذا تمنى...﴾ الآية (١).
 قال محمد: قيل: إن (تمنى) بمعنى تلا (٢) وأنشد [بعضهم] (٣):

(١) قصة الغرائق قصة مشهورة وفيها نكارة ظاهرة، وقد أنكرها كثير من أهل العلم، وقد توسع
 في تفسير هذه الآية الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان» (٧٢٧/٥ - ٧٣٥) توسعاً حميداً
 فراجعه فإنه نفيس، وللشيخ الألباني رحمه الله «نصب المنجنيق لنسف قصة الغرائق».
 (٢) وبمعنى (قرأ). لسان العرب (منى).
 (٣) سقط من الأصل.

تَمْنَى كِتَابَ اللَّهِ آخِرَ لَيْلَةٍ تَمْنَى دَاوُدُ الزُّبُورَ عَلَى رِشْلِ^(١)

قوله: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِم﴾ يعني: المشركين ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿لَفَى شِقَاقٍ﴾ أي: فراق ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِي أَوْتُوا الْعِلْمَ﴾ يعني: المؤمنين.

﴿أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أي: يصدقوا به قوله: ﴿فَتَخَبْتُ لَهُ قُلُوبِهِم﴾ أي: تخشع ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَةٍ مِنْهُ﴾ [أي: شك؛ يعني: من القرآن]^(٢) ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ [يعني الذين تقوم عليهم الساعة، الدائنين]^(٣) (ل ٢٢٤) بدين أبي جهل و[أصحابه]^(٣) ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ أي: عذاب يوم بدر.

قال محمد: [أصل العقيم]^(٤) في الولادة؛ يقال: امرأة عقيم، ورجل عقيم إذا كان لا يولد له، وريح عقيم التي لا تأتي [بسحاب فتمطر]^(٥).

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِيتٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾
﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتَلُوا﴾ في سبيل الله بعد الهجرة [أو

(١) البيت من بحر الطويل، وهو غير منسوب لأحد في اللسان (منى)، وينظر: شواهد القرطبي (٦/٢)، وشواهد الزمخشري (٩٩/٤) منسوباً إلى حسان بن ثابت، ولم أجده في ديوانه.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) في الأصل: أصل العقيم. والمثبت من «ر».

(٥) طمس في الأصل، وفي لسان العرب (عقم): ربح عقيم التي لا تأتي بمطر.

ماتوا ﴿ على قروحهم بعد الهجرة ﴾^(١) ﴿ ليرزقهم الله رزقًا حسنًا ﴾ يعني: الجنة.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴾^(٦٠) ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾^(٦١) ذَٰلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَبْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَبْ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾^(٦٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾^(٦٣) لَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ الْحَمِيدُ ﴾^(٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَاءً فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَّكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾^(٦٥) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾^(٦٦) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأُمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٦٧) وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾

﴿ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ﴾ يعني: مشركي العرب أنهم عوقبوا؛ فقتلهم الله بجحودهم النبي وظلمهم إياه وأصحابه وبغيهم عليهم ﴿ لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴾ النصر في الدنيا: الظهور^(٢) على المشركين، والحجة عليهم في الآخرة.

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: الظفر.

﴿ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة﴾ أي: بالنبات إذا أنبت، وليس يعني من ليلتها ﴿وإن الله لهو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ استوجب على خلقه أن يحمده ﴿ويمسك السماء أن تقع﴾ يعني: لئلا تقع ﴿وهو الذي أحياكم﴾ من النطف ﴿ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ يعني: البعث ﴿لكل أمة جعلنا منسكاً﴾ أي: حجة وذبحاً ﴿هم ناسكوه فلا ينازعتك في الأمر﴾ أي: لا يحولنك المشركون عن هذا الذي أنت عليه يقوله للنبي ﷺ .

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُتِبَ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (٦٩) ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (٧٠) ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٧١) ﴿وَإِذَا نُتِيَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ نَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادُرُونَ يُسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذِكْرِ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ (٧٢)

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُتِبَ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ يعني: ما اختلف فيه المؤمنون والكافرون، فيكون حكمه أن يدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ أي: هين حين كتبه ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ يعني: حجة لعبادتهم ﴿وما ليس لهم به علم﴾ أن الأوثان خلقت مع الله شيئاً، ولا رزقت شيئاً ﴿يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم﴾

آياتنا ﴿أي: يكادون يقتلون أنبياءهم﴾ ﴿قل أفأنبئكم بشرًا من ذلكم﴾ ﴿بشر من قتل أنبيائهم﴾ ﴿النار﴾ هي شرٌّ مما صنعوا ^(١) (بأنبيائهم؛ يعني: من قتلهم إياهم).

قال محمد: من قرأ (النار) بالرفع ^(٢)، فعلى معنى: هي النار.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾

﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾ أي: وُصِفَ ﴿فاستمعوا له﴾ يعني: المشركين ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني: الأوثان ﴿لن يخلقوا ذبابًا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئًا لا يستنقذوه منه﴾.

إن الذباب يقع على تلك الأوثان فينقر أعينها وجوهها فيسلبها ما أخذ من وجوهها وأعينها.

وسمعت بعضهم يقول: إنهم كانوا يطلونها بخلق ^(٣). قال الله: ﴿ضعف الطالب﴾ يعني: الوثن ﴿والمطلوب﴾ يعني: الذباب ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ أي: ما عظموه حق عظمتهم؛ بأن عبدوا الأوثان من دونه التي إن سلبها

(١) من هنا بدأ سقط من نسخة «ر» حتى الآية: ٢ من سورة المؤمنون.

(٢) وهي قراءة الجمهور. ينظر البحر (٣٨٩/٦) القرطبي (٩٦/١٢).

(٣) الخلق: ضَرْبٌ مِنَ الطَّب. لسان العرب (خلق).

الذباب الضعيف لم تستطع أن تمتنع منه ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ من أمر الآخرة ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الدنيا إذا كانوا في الآخرة .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٧٨)

﴿وجاهدوا في الله حقَّ جهاده﴾ هي مثل قوله: ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾ (١) وهما منسوختان؛ نسختهما الآية التي في التغابن ﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ (٢).

﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ أي: من ضيق.

﴿ملة أَيْكُمْ إبراهيم هو سماكم المسلمين﴾ يقول الله: سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ من قبل؛ أي: من قبل هذا القرآن في الكتب كلها وفي الذكر، ﴿وفي هذا القرآن.

قال محمد: (ملة أَيْكُمْ) المعنى: اتبعوا ملة أَيْكُمْ (٣).

﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم﴾ بأنه قد بلغ ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾

(١) آل عمران: ١٠٢ .

(٢) التغابن: ١٦ . وذهب قوم إلى أن الآية محكمة غير منسوخة. انظر تفسير القرطبي (٩٩/١٢) ونواسخ القرآن (٤٦٦ - ٤٦٧) .

(٣) أي: بالنصب على المفعولية. ينظر: إعراب القرآن (٤١١/٢ - ٤١٢)، مجمع البيان (٤/٩٦)، البحر (٣٩١/٦)، معاني القرآن للفراء (٢/٢٣١) .

بأن الرسل قد بلغت قومها.

﴿واعتصموا بالله﴾ أي: بدين الله ﴿هو مولاكم﴾ وليكم ﴿فنعم المولى﴾
الولي ﴿ونعم النصير﴾ وعدهم النصر على أعدائهم من المشركين.



تفسير سورة المؤمنين
وهي مكّية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ ذُعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾

(ل ٢٢٥) قوله: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ يعني: بالله [....] ^(١) عن سعيد، عن قتادة: قال: ذُكِرَ لنا أن كعباً قال: «إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الجنة بيده، ثم قال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون» ^(٢).

قوله: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾.

(١) طمس في الأصل.

(٢) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٤٣/٢) - ومن طريقه الطبري في تفسيره (١/١٨) - عن معمر عن قتادة عن كعب.

وقد روي مرفوعاً، وقد أشرت إلى بعض طرقه في تخريج أحاديث تفسير أبي المظفر السمعاني (٢/٢١٤ ، ٣/٤٦٥).

يعحي: عن خدّاش، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين قال^(١):
«كانوا يلتفتون في صلاتهم حتى نزلت هذه الآية، فغضوا أبصارهم، فكان
أحدهم ينظر إلى موضع سجوده»^(٢).

- (١) إلى هنا ينتهي السقط من نسخة «ر»، والذي بدأ من الآية (٧٢) من سورة الحج.
- (٢) رواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) من طريق الحجاج الصواف عن ابن سيرين بنحوه.
وعزه السيوطي في الدر المنثور (٤/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.
ورواه أبو داود في المراسيل (٩٦ رقم ٤٥) والطبري في تفسيره (٢/١٨) والبيهقي في السنن
(٢/٢٨٣) من طريق ابن عون عن محمد بن سيرين قال: «كان رسول الله ﷺ إذا قام في
الصلاة نظر هكذا وهكذا، فلما نزلت: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾
نظر هكذا - يبصره نحو الأرض».
- قال البيهقي: وروى ذلك عن أبي زيد سعيد بن أوس عن ابن عون عن ابن سيرين موصولا.
والصحيح هو المرسل.
- ثم رواه البيهقي موصولا من هذا الطريق.
- ورواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) وسعيد بن منصور - ومن طريقه البيهقي في سننه (٢/٢٨٣) -
من طريق إسماعيل ابن عليّ عن أيوب عن محمد «نبت أن رسول الله ﷺ بنحوه».
- وقال البيهقي: هذا هو المحفوظ مرسل، وقد روي عن إسماعيل بن إبراهيم - هو ابن عليّ
- موصولا، ورواه حماد بن زيد عن أيوب مرسلا، وهذا هو المحفوظ.
- ورواه من هذا الطريق موصولا: الحاكم (٢/٣٩٣) والبيهقي (٢/٢٨٣) والواحدي في
أسباب النزول (ص ٢٣١).
- وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد؛ فقد قيل
عنه مرسلًا، ولم يخرجاه.
- ورواه الطبري في تفسيره (٢/١٨) من طريق خالد عن ابن سيرين مرسلا بنحوه.
- ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/٢٤٠ رقم ٤٠٨٢) من طريق حبرة الإسكندراني،
عن ابن وهب، عن جرير بن حازم، عن ابن عون، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.
- وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن عون إلا جرير، ولا عن جرير إلا ابن وهب،
فرد به حبرة.
- قال الحافظ ابن رجب في فتح الباري (٤/٣٣٨): خرجه الطبراني من رواية ابن سيرين عن
أبي هريرة، والمرسل أصح.
- ومال ابن التركماني في الجوهر النقي (٢/٢٨٣ - ٢٨٤) لتصحيح الموصول.

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالةٍ من طين﴾ خلق الله آدم من طين (ثم جعل نسله بعد من سلالةٍ من ماء مهين؛ يعني: النطفة) ^(١) ﴿ثم جعلناه نطفةً في قرارٍ مكين﴾ يعني: الرحم ﴿ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغة﴾ يكون في بطن أمه نطفةً أربعين ليلة، ثم يكون علقة أربعين ليلة، ثم يكون مضغة أربعين ليلة ﴿فخلقنا المضغة عظاماً﴾ يعني: جماعة العظام.

قال محمد: (علقة) واحدة: العلق؛ وهو الدم ^(٢)، و(المضغة): اللحمية الصغيرة سميت بذلك؛ لأنها بقدر ما يمضغ ^(٣).

﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ يعني: ذكرًا أو أنثى؛ في تفسير الحسن ﴿فتبارك الله﴾ هو من باب البركة ﴿أحسن الخالقين﴾ إن العباد قد يخلقون، ويُسبَّهون بخلق الله، ولا يستطيعون أن ينفخوا فيه الروح.

يحيى: عن الربيع بن صبيح ^(٤)، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «المصوِّرون يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتُم» من حديث يحيى بن محمد.

يحيى: عن أبي أمية بن يعلى الثقفي، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «قال الله: من أظلم ممن يخلق كخُلقي» ^(٥)، فليُخلقوا

(١) سقط من «ر».

(٢) أي: الدم الغليظ. لسان العرب (علق).

(٣) لسان العرب (مضغ).

(٤) كذا في الأصل مقيداً بضم الصاد، وتكرر كذلك في مواضع، وجاء في «ر» في مواضع مقيداً بفتح الصاد وقد ضبطه عبد الغني بالفتح. انظر حاشية الإكمال (١٦٦/٥).

(٥) في «ر»: فمن ادعى بخلق كخُلقي.

ذُبَابًا أَوْ ذَرَّةً أَوْ بَعُوضَةً»^(١).

﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾ تفسير مجاهد: يعني: سبع سموات بعضها فوق بعض.

قال محمد: (طرائق) جمع: طريقة؛ يقال: طارقت الشيء؛ إذا جعلت بعضه فوق بعض، ومنه قولهم: ريش طراق^(٢).

﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ يعني: أن نزل عليهم ما يخيبهم، وما يصلحهم من هذا المطر؛ في تفسير الحسن .

﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾^(١٨) لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاقٍ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ^(١٩) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٍ لِّلْأَكْلَيْنِ^(٢٠) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُسْقِيَهُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَتَعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ^(٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ^(٢٢) ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ تفسير الكلبي: يعني: الأنهار والعيون والآبار. ﴿فأنشأنا لكم به﴾ أي: أنبتنا ﴿جنانٍ من نخيل...﴾ الآية ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾ [هي الزيتون]^(٣)، والطور [الجبل]^(٣) و﴿شجرة﴾ معطوف (لـ ٢٢٦) على قوله: ﴿فأنشأنا لكم به جنات﴾^(٤).

(١) رواه البخاري (٣٩٨/١٠) رقم ٥٩٥٣ ومسلم (١٦٧١/٣) رقم ٢١١١ من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة بنحوه.

ورواه الإمام أحمد (٢٥٩/٢، ٤٥١، ٥٢٧) من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة بنحوه. وفي الباب عن غير واحد من الصحابة، والله أعلم.

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط (طرق).

(٣) طمس بالأصل، والمثبت من «ر».

(٤) ينظر: مجمع البيان (١٠٢/٤)، البحر (٤٠١/٦)، البيان (١٨٢/٢).

قوله: ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ قال مجاهد: يعني: تثمر به.

قال محمد: يقال: نبت الشجر وأنبت في معنى واحد^(١).

﴿وَصَبِغْ لِلْأَكْلِينَ﴾ أي: يأتدمون به ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾
(لحجة)^(٢) ﴿نَسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهِ﴾ يعني: اللبن ﴿ولكم فيها منافع كثيرة﴾
يعني: ما يتتفع به من ظهورها وغير ذلك.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزَّةٌ فَلَا تَتَّقُونَ﴾
(٢٣) ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَكَوْ
شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزِلَ عَلَيْكَ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٢٤) ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ
فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٢٥) ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ (٢٦) ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ
الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ
أَثْنَيْنِ وَاهْلِكِ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ
مُغْرَقُونَ﴾ (٢٧)

﴿ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾ أي: بالرسالة.

﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين﴾ أن رجلاً ادعى النبوة ﴿إن هو إلا رجل
به جنة﴾ أي: جُنُونٌ ﴿فتربصوا به حتى حين﴾ أي: حتى يموت؛ في تفسير
بعضهم.

﴿فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين﴾ قد مضى

(١) لسان العرب (نبت).

(٢) في «ر»: يعني لآية.

تفسيره في سورة هود^(١).

﴿وأهلك﴾ أي: واحمل فيها أهلك ﴿إلا من سبق عليه القول منهم﴾ يعني: الغضب ﴿ولا تخاطبني﴾ أي: لا تراجعني ﴿في الذين ظلموا﴾ أشركوا.

﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَاحِ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَجَّعَنَا مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢٨) وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠) ﴿وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً﴾ قال هذا لنوح حين نزل من السفينة. قال محمد: تقرأ ﴿مُنْزَلًا﴾ و﴿مُنْزَلًا﴾^(٢)؛ فالمُنْزَل: اسم لما نزلت فيه^(٣)، والمُنْزَل: المصدر؛ بمعنى الإنزال^(٤).

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ في أمر قوم نوح وغرقهم ﴿لآيَاتٍ﴾ لمن بعدهم. ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ يعني: ما أرسل به الرسل من عبادته، ومعنى الابتلاء: الاختبار.

﴿ثُمَّ أَشْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ۚ آخِرِينَ﴾ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢) وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ ۖ وَاتْرَفْتُهُمْ فِي

(١) عند تفسير قوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين﴾ هود: ٤٠.

(٢) قرأ السبعة إلا أبا بكر عن عاصم (مُنْزَلًا) بضم الميم، وقرأ أبو بكر عن عاصم (مُنْزَلًا) بفتحها. ينظر: السبعة (٤٤٥)، التيسير (١٥٩)، البحر (٤٠٢/٦).

(٣) أي: اسم مكان من الفعل (نزل) ينظر: الدر المصون (١٨٠/٥ - ١٨١)، لسان العرب (نزل).

(٤) أي: مصدر ميمي. ينظر: الدر المصون (١٨٠/٥ - ١٨١).

الْحَيَوَةُ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾
وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيْدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا
أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هِيَاتَ هِيَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا
وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾
قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ
بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴿

﴿وأترفناهم في الحياة الدنيا﴾ يقول: وسَّعنا عليهم في الرزق ﴿هيات هيات لما توعدون﴾ تباعد البعث في أنفُس القوم.

قال محمد: من كلام العرب: هيات لما قلت؛ يعنون: بُعْدًا لقولك،
ويقال: أيها؛ بمعنى: هيات^(١).

﴿عما قليل ليصبحن نادمين﴾ يعني: عن قليل والميم صلة، في تفسير
السدي.

قال محمد: هي صلة زائدة؛ بمعنى التوكيد.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ يعني: العذاب؛ في تفسير الحسن ﴿فجعلناهم غُثَاءً﴾
يعني: مثل النبات إذا تهشَّم بعد إذ كان أخضر.

قال محمد: الغُثَاءُ في اللغة: هو ما علا السَّيْلُ من ورق الشجر^(٢).

المعنى: جعلناهم هلكى كالغُثَاء؛ لأن الغُثَاء يتفرَّق ويذهب.

(١) وهي مبنية على الفتح دائمًا، والبعض يكسرونها على كل حال. ينظر لسان العرب (هيه)،
مختار الصحاح (أيه، هيه).

(٢) ويقال فيه أيضًا: الغُثَاء - بالتشديد. ينظر لسان العرب (غثو).

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾ (٤٧) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٩﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٥٠﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٥١﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدَدُونَ ﴿٥٢﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٥٤﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٥﴾

﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ يعني: الوقت الذي يهلكها فيه ﴿وما يستأخرون﴾ عن الوقت ساعة، ولا يستقدمون ساعة قبل الوقت ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾ قال قتادة: يعني: تباعاً؛ بعضهم على إثر بعض.

قال محمد: وهو من التواتر، وقيل: الأصل في تترى: وتثرى؛ فقلبت الواو تاء؛ كما قلبوها في التخمة والتكلان^(١).

﴿كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً﴾ يعني: العذاب الذي أهلكناهم^(٢) به أمة بعد أمة ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدهم.

﴿وكانوا قوماً عالين﴾ أي: مستكبرين في الأرض على الناس ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثِلنا وقومهما لنا عابدون﴾ وكانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، ووضعوا عليهم الجزية، وليس يعني: أنهم يعبدوننا.

(١) (وترى) فيها لغتان: تُتَوَّن، ولا تُتَوَّن، فمن ترك صرفها في المعرفة جعل ألفها للتأنيث، وهو أجود. ومن نونها جعل ألفها ملحقة. ينظر: لسان العرب (وتر)، (وخم - وكل)، البحر (٤٠٧/٦)، إعراب القرآن (٤١٩/٢).

(٢) في الأصل: جاءهم. والمثبت من «ر».

﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ عبرة خُلِقَ لا والد له ﴿وآويناها إلى ربوة﴾ قال قتادة: الربوة ها هنا: بيت المقدس. قال يحيى: ذكر لنا أن كعباً كان يقول: هي أدنى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً. قال محمد: كل ما ارتفع وزاد فقد رباً^(١).

﴿ذات قرار﴾ قال ابن المسيب: ذات جنان^(٢) ﴿ومعين﴾ قال عكرمة: المعين: الظاهر.

قال محمد: هو على هذا التفسير مفعول من العين، والأصل فيه: مَعْيُون^(٣).

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٥١) وَلَئِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣) فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ (٥٤) أَيْخَسِبُونَ أَنَّمَا نُضِيَّهُمْ بِهَؤُلَاءِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ (٥٥) نَسَاجُ لَهْمٌ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦) ﴿

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرسل كلوا من الطيبات﴾ [يعني: الحلال من الرزق]^(٤) ﴿واعملوا صالحاً...﴾ الآية.

قال محمد: خاطب [بهذا النبي]، على مذهب العرب في مخاطبة الواحد

(١) وتُسَمَّى أيضاً: الرابية، والزبوة، أما الربوة فهي بضم الراء وفتحها وكسرهما. مختار الصحاح (ربو).

(٢) بكسر الجيم، وواحدتها: جنة، أما الجنان بفتح الجيم فهو الفؤاد. ينظر لسان العرب (جنن). وفي «ر»: ذات منازل.

(٣) يقال: حفر حتى عان، من باب باع؛ أي: بلغ العيون، والماء معين، ومعيون، وأعينت الماء: مثله. لسان العرب، مختار الصحاح (عين).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

خطاب الجميع، وتضمن (٢٢٧) هذا^(١) الخطاب إلى الرسل جميعاً؛ كذا أمروا.

﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾ أي: ملة واحدة؛ يعني: الإسلام.
قال محمد: من قرأ: ﴿وأن هذه﴾ بفتح الألف فالمعنى: لأن هذه أمتكم^(٢).

﴿فتقطعوا أمرهم بينهم﴾ يعني: دينهم الذي أمر الله به ﴿زُبْراً﴾ وهي تقرأ على وجهين ﴿زُبْراً﴾ بفتح الباء ورفعها؛ فمن قرأها بالفتح^(٣) فالمعنى: قطعاً، ومن قرأها بالرفع^(٤) فالمعنى: كُتِبَا، يقول: فرقوا كتاب الله فحرّفوه وبدّلوه، وكتبوه على ما حرّفوا ﴿كل حزب﴾ أي: قوم منهم ﴿بما لديهم﴾ بما عندهم مما اختلفوا فيه ﴿فرحون﴾ أي: راضون ﴿فذرهم في غمرتهم﴾ أي: غفلتهم حتى حين﴾ يعني: إلى آجالهم. وهي منسوخة بالقتال.

﴿أيحسبون أنما نمدهم به من مال﴾ أي: نعطيهم من مال ﴿وبنينا﴾ لهم في الخيرات﴾ أي: ليس لذلك نمدهم بالمال والبنين ﴿بل لا يشعرون﴾ أنا لا نعطيهم ذلك مسارعةً لهم في الخيرات، وأنهم يصيرون إلى النار؛ يعني: المشركين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّقُونَ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِإِثَابِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) قرأ بفتح الهمزة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون بكسرها، وخفف ابن عامر وحده النون، فقرأ (أن) وشددها الباقون. ينظر السبعة (٤٤٦)، التيسير (١٥٩).

(٣) وهي قراءة ابن عامر وأبي عمرو، في رواية عنه. ينظر: الحجة (٢٥٧)، جامع القرطبي (١٣٠/١٢)، الإملاء (٨٢/٢).

(٤) وهي قراءة الباقيين. ينظر المراجع السابقة.

وَالَّذِينَ هُمْ بِهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكْلَفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا يُخَشَرُوا الْيَوْمَ إِلَهُكُم مِّنَ لَا تُشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي عَلَيْكُمْ فَكَنتُمْ عَلَىٰ أَغْفَلِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ ممدودة^(١) ﴿وقلوبهم وجلة﴾ أي: خائفة ﴿أنهم إلى ربهم راجعون﴾ تفسير الحسن قال: كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البر، ويخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم. قال محمد: ومعنى أنهم إلى ربهم راجعون: أنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى ربهم.

﴿أولئك يسارعون في الخيرات﴾ قال الحسن: يعني: فيما افترض الله عليهم ﴿وهم لها سابقون﴾ أي: وهم بالخيرات سابقون. ﴿ولا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ إلا طاقتها ﴿ولديننا﴾ عندنا ﴿كتاب ينطق بالحق﴾ يريد: الكتاب الأول.

﴿بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ قال قتادة: يعني: في غفلة مما ذكر من أعمال المؤمنين في الآية الأولى ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ يقول: لهم

(١) وهي قراءة الجمهور. وثُرثت (آتوا) بالقصر، ورُوِيَ ذلك عن: عائشة، وابن عباس، وقاتادة؛ وغيرهم.

ينظر البحر (٦/٤١٠)، المحتسب (٢/٩٥)، القرطبي (١٢/١٣٢).

أعمال لم يعملوها سيعملونها.

قال محمد: المعنى على هذا التفسير: أن الله أعلم أنهم سيعملون أعمالاً تُبْعِدُ من الله غير الأعمال التي ذُكِرُوا بها.

﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾ يعني: أبا جهل وأصحابه الذين قتلوا يوم بدر ﴿إذا هم يجأرون﴾ قال الحسن: يصرخون إلى الله بالتوبة فلا تُقبل منهم. ﴿فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ أي: تستأخرون عن الإيمان بالله ﴿مستكبرين به﴾ أي: بالحرم ﴿سامراً تهجرون﴾ أي: تتكلمون بهجر القول^(١) ومنكره.

قال قتادة: يعني بهذا: أهل مكة؛ كان سامرهم لا يخاف شيئاً؛ كانوا يقولون: نحن أهل الحرم؛ فلا نُقرب - لما أعطاهم الله من الأمن، وهم مع ذلك يتكلمون بالشرك والبهتان.

والقراءة على تفسير قتادة: بضم التاء وكسر الجيم^(٢). وكان الحسن يقرؤها: (تَهْجُرُونَ) بنصب التاء ورفع الجيم^(٣)؛ وتأويلها: الصَّدُّ والهَجْرَان. يقول: قد بلغ من أمانكم أن سامركم [يَسْمُرُ]^(٤) بالبطحاء؛ يعني: سمر الليل، والعرب يقتل بعضها بعضاً، وَيَسْبِي بعضها بعضاً، وأنتم في ذلك تهجرون كتابي ورسولي.

قال محمد: يقال: هذا سامر الحي؛ يراد المتحدثون منهم ليلاً^(٥).

(١) الهَجْر من القول: الفاحش الرديء. لسان العرب (هجر).

(٢) وهي قراءة نافع. ينظر: البحر (٤١٣/٦)، السبعة (٤٤٦)، النشر (٣٢٩/٢).

(٣) وهي قراءة الباقرين. ينظر المراجع السابقة.

(٤) في الأصل: يسمرن. ولعله انتقل نَظَرُ بما بعده، والمثبت من «ر».

(٥) مأخوذ من السَّمَر والمُسَامرة. ويُطلق السَّامِر على الواحد والجماعة. لسان العرب (سمر).

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمُ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّتُ ﴿٧٤﴾﴾

﴿أفلم يدبروا القول﴾ يعني: القرآن ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ أي: لم يأتهم إلا ما أتى آباءهم الأولين.

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ يعني: محمداً ﴿فهم له منكرون﴾ بل يعرفون وجهه ونسبه ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾ يعني: جماعة من لم يؤمن منهم ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ يعني: أهواء المشركين ﴿لفسدت السموات والأرض﴾ تفسير الحسن يقول: لو كان الحق في أهوائهم لوقعت أهواؤهم على إهلاك السموات والأرض ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ أي: بشرفهم؛ هو شرف لمن آمن به ﴿فهم عن ذكرهم﴾ [عن شرفهم] ^(١) ﴿معرضون﴾.

﴿أم تسألهم خرجاً﴾ [أي: أجراً على ما جتتهم به، لأنك لا تسألهم أجراً ﴿فخرج ربك﴾] ^(١) (٢٢٨ج) يعني: ثوابهم في الآخرة خير من أجرهم لو أعطوك في الدنيا أجراً ﴿وهو خير الرازقين﴾ وقد يجعل الله رزق العباد بعضهم من بعض يُرزق هذا على يدي هذا يرزق الله إياهم ﴿وهو خير الرازقين﴾ يعني: أفضلهم.

﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ أي: تاركون له .

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُؤُا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٧٥) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

﴿ولو رحمانهم وكشفنا ما بهم من ضرٍ﴾ نزلت في أهل مكة؛ وذلك حين أخذوا بالجوع سبع سنين؛ حتى أكلوا الميتة والعظام وأجهدوا؛ حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء دخاناً، وهو قوله: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ (١) نزلت هذه الآية قبل أن يؤخذوا بالجوع، ثم أخذوا به، فقال الله (وهم في ذلك الجوع): ﴿ولو رحمانهم وكشفنا ما بهم من ضرٍ للجوا في طغيانهم يعمهون﴾ يترددون ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ يعني: ذلك الجوع في السبع السنين (٢) ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ يقول: لم يؤمنوا، وقد سألو أن يرفع ذلك عنهم فيؤمنوا، فقالوا: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾ (٣) وهو ذلك الجوع ﴿إنا مؤمنون﴾ (٣) فكشف عنهم، فلم يؤمنوا ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذابٍ شديداً﴾ يعني: يوم بدرٍ قُتلوا بالسيف ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ يشسوا من كل خير.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَنَبْعُوهُمْ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

(١) الدخان: ١٠ .

(٢) تقديم وتأخير في در.

(٣) الدخان: ١٢ .

قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْفَعُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِيرُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴿وهو الذي أنشأ لكم﴾ أي: خلق .

﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أقلكم من يشكر؛ أي: يؤمن .

﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين، يذكرهم نعمته عليهم - يقول: فالذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة، ويحيى ويميت، وله اختلاف الليل والنهار قادر على أن يحيى الموتى ﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾ ثم أخبر بذلك القول؛ فقال: ﴿قالوا أنذا متنا وكنا تراباً...﴾ إلى قوله: ﴿أساطير الأولين﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم؛ فأمر الله نبيه أن يقول لهم: ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون﴾ وقال: ﴿سيقولون لله﴾ أي: فإذا قالوا ذلك ف﴿قل﴾ أفلا تذكرون ﴿فتؤمنوا، وأنتم تقولون أن الأرض ومن فيها لله﴾ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ﴿فإذا قالوا ذلك ف﴿قل﴾ أفلا تتقون﴾ وأنتم تقولون أن الله خالق هذه الأشياء وربها، وقد كان مشركو العرب يقرون بهذا .

قال محمد: قراءة يحيى (سيقولون لله) وهي قراءة أهل البصرة - فيما ذكر أبو عبيد^(١). قال: وعامة القراء يقرءونها: (سيقولون لله)^(٢).

(١) وهي قراءة أبي عمرو من السبعة . ينظر: البحر (٦/٤١٨)، السبعة (٤٤٧)، النشر (٢/٣٢٩).

(٢) وهي قراءة الباقيين. ينظر المراجع السابقة.

قال: وكان الكسائي^(١) يحكي عن العرب أنه يقال للرجل: من رب هذه الدار؟ فيقول: لفلان؛ بمعنى: هي لفلان^(٢).

﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾ أي: ملك كل شيء ﴿وهو يجير﴾ من يشاء، فيمنعه فلا يوصل إليه ﴿ولا يجار عليه﴾ أي: من أراد أن يعذبه لم يستطع أحد منعه ﴿سيقولون لله﴾.

قال محمد: واختلف القراء أيضًا في قوله: ﴿سيقولون لله﴾ وهي في التأويل مثل التي قبلها.

﴿فأني تسحرون﴾ أي: فكيف تسحرون عقولكم؟ فشبهم بقوم مسحورين.

قال محمد: وقيل: المعنى: كيف تُخدعون وتُضرفون عن هذا؟!.

﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٩٠) مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلِيِّهِ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ (٩١) عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤) وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيدَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥) أَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨) ﴿

﴿بل أتيناهم بالحق﴾ يعني: القرآن ﴿وإنهم لكاذبون﴾ وهي تقرأ: (بل

(١) في «ر»: الكلبي.

(٢) الرب في اللغة: المالك، ولا يقال في غير الله - تعالى - إلا بالإضافة، وأطلق الرب في الجاهلية على الملك. لسان العرب (رب).

أَتَيْتَهُمْ^(١) يقول للنبى ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق﴾ يقول: لو كان معه آلهة إذا لذهب كل إله بما خلق ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ يقول: لطلب بعضهم ملك بعض حتى يَغْلُو عليه؛ كما يفعل ملوك الدنيا .

﴿عالم^(٢) الغيب والشهادة﴾ قال الحسن: الغيب ها هنا: ما لم [يَحْضُرْ] من غيب الآخرة، والشهادة: ما أعلم به العباد. قل يا محمد: ﴿فتعالى عما يشركون﴾^(٣) (٢٢٩ ل) ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب ﴿رب فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾ تفسيره: أي: [لا تهلكني]^(٤) معهم إن أرّيتني ما يوعدون ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ تفسير السّدي: يقول: ادفع بالعفو والصفح القول القبيح؛ وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم^(٥).

﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ وهو الجنون ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ فأطيع الشيطان فأهلك؛ أمره الله أن يدعوا بهذا.

قال محمد: وقيل: (همزات الشياطين): نَحْسُهَا وطغُئُهَا بالوسوسة؛ حتى تشغل عن أمر الله. والقراءة (رَبُّ) بكسر الباء^(٦) [وحذف الياء]^(٣)؛ حذفت

(١) بفتح التاء الثانية، وهي قراء ابن أبي إسحاق، ونسبها ابن خالويه في مختصره (٩٨) إلى أبي حيوة، وأبي البرهسم، وابن قطيب. ينظر: البحر (٤١٨/٦)، الكشف (٤٠/٣).

(٢) بضم الميم وهي قرأ المدنيان وحزمة والكسائي وخلف وأبي بكر، واختلف عن رويس حالة الابتداء، وقرأ الباقر ﴿عالم﴾ بكسر الميم. النشر (٣٢٩/٢)، إتحاف الفضلاء (٤٠٦).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من: «ر».

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من: «ر».

(٥) ينظر الناسخ والمنسوخ (٦٧).

(٦) وهي قراءة العامة، وليس فيها قراءات أخرى.

الياء للنداء؛ المعنى: أعوذ بك يا رب، وإثبات الياء جائز.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۚ (١٠٠) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ۚ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۚ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۚ (١٠٣) تَلَفَحَ وَجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ۚ (١٠٤)﴾

﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت﴾ قال رب ارجعون ﴿قال الحسن: ليس أحد من خلق الله، ليس لله بولي إلا وهو يسأل الرجعة إلى الدنيا عند الموت بكلام يتكلم به وإن كان أخرس لم يتكلم في الدنيا بحرف قط؛ وذلك إذا استبان له أنه من أهل النار، سأل الرجعة ولا يسمعه من يليه﴾ ﴿لعلِّي أعمل صالحًا فيما تركت﴾ يعني: فيما ضيعت. قال الله: لست براجع إلى الدنيا، ثم قال: ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ يعني: هذه الكلمة: ﴿رب ارجعون لعلِّي أعمل صالحًا فيما تركت﴾.

﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ قال السدي: البرزخ: ما بين النفختين.

قال محمد: وكل شيء بين شيئين فهو برزخ^(١).

﴿فإذا نفخ في الصور﴾ قد مضى تفسيره^(٢) ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ ولا

(١) وهو أيضًا ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ. مختار الصحاح (برزخ).

(٢) الأنعام: ٧٣، الكهف: ٩٩، وطه: ١٠٢.

يتساءلون ﴿ تفسير الحسن: يقول: فلا أنساب بينهم يتعاطفون عليها؛ كما كانوا يتعاطفون عليها في الدنيا، ولا يتساءلون عليها أن يحمل بعضهم عن بعض؛ كما كانوا يتساءلون في الدنيا بأنسابهم؛ كقول الرجل: أسألك بالله وبالرحم.

﴿ تفلح وجوههم النار وهم فيها كالحن ﴾.

يحيى: عن صاحب له، عن يحيى بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «شفته السفلى ساقطة على صدره، والعليا قالصة» (١) قد غطت وجهه» (٢).

﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُنَالِ عَلَيْهِمْ فَكَتُتْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴾ (١٥) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ

(١) أي: مرتفعة، وقيل: شفة قالصة؛ أي: ناقصة. لسان العرب (قلص). وفي «ر»: قائمة.
(٢) لم أقف عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وروى ابن المبارك في الزهد (٨٤ رقم ٢٩٢) عن سعيد بن يزيد أبي شجاع، عن أبي السمح، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ في قوله: ﴿وهم فيها كالحن﴾ قال: «تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته حتى تضرب سرتة». ورواه الإمام أحمد (٨٨/٣) والترمذي (٦١٠/٤ رقم ٢٥٨٧، ٣٠٧/٥ رقم ٣١٧٦) وأبو يعلى (٥١٦/٢ رقم ١٣٦٧) والحاكم (٢٤٦/٢، ٣٩٥) وأبو نعيم في الحلية (١٨٢/٨) والبخاري في تفسيره (٤٣٠/٥) وفي شرح السنة (١٥١/١٥ - ١٥٢ رقم ٤٤١٦) وغيرهم من طريق ابن المبارك به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح من إسناده المصيرين، ولم يخرجاه.

وقال أبو نعيم: تفرد به أبو شجاع عن أبي السمح.

وقال البخاري: هذا حديث حسن غريب.

خَيْرَ الرَّجِيمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قُلْ كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَيْتَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ ﴿

﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾ التي كُتبت علينا ﴿ربنا أخرجنا منها فإن عُدنا فإننا ظالمون﴾ فيسكت عنهم قدر عمر الدنيا مرتين، ثم يَرُدُّ عليهم ﴿اخشسوا فيها ولا تكلمون﴾ أي: اضغروا؛ في تفسير الحسن. قال: فوالله ما تكلم القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق.

قال محمد: معنى ﴿اخشسوا﴾ في اللغة: تباعدوا، ويقال: خَسَأْتُ الكلب أَخْسُوهُ؛ إذا زجرته ليتباعد^(١).

﴿وأنت خير الراحمين﴾ يعني: أفضل من رحم، وقد يجعل الله الرحمة في قلب من يشاء؛ وذلك من رحمة الله. ﴿فاتخذتموهم سُخْرِيًّا﴾ كانوا يسخرون بأصحاب الأنبياء، ويضحكون منهم.

قال محمد: الأجودُ في قراءة (اتخذتموهم) إدغام الذال في التاء^(٢)؛ لقرب المخرجين في الذال والتاء، وإن شئت أظهرت. وتقرأ: (سُخْرِيًّا) بالضم

(١) خَسَأَتِ الكلب: طردته، من باب قطع، وخَسَأَ هو بنفسه من باب خضع. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (خسأ).

(٢) قراءة الإدغام هي قراءة السبعة إلا ابن كثير وحفصًا. ينظر النشر (١٥/٢ - ١٦)، إتحاف الفضلاء (٣٢٠).

والكسر في معنى الاستهزاء^(١)، وقد قال بغض أهل اللغة: ما كان من الاستهزاء فهو بالكسر، وما كان من جهة التسخير فهو بالضم^(٢).

﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ ليس يعني: أن أصحاب الأنبياء أنسوا ذكر الله؛ فأمرهم ألا يذكره، ولكن جحودهم واستهزاؤهم، وضحكهم منهم هو الذي أنساهم ذكر الله.

﴿إني جزيتهم اليوم بما صبروا﴾ في الدنيا ﴿أنهم﴾ بأنهم ﴿هم الفائزون﴾ الناجون من النار، وتقرأ بالكسر ﴿إنهم﴾^(٣).

قال محمد: ومن كسر فالمعنى: أني جزيتهم بما صبروا، ثم أخبر فقال: إنهم هم الفائزون.

﴿قال كم لبثتم﴾ يقوله لهم في الآخرة ﴿في الأرض عدد سنين﴾ أي: كم عدد السنين التي لبثتم في الأرض [يريد بذلك أن يعلمهم قلة]^(٤) (ل ٢٣٠) بقائهم في الدنيا [فتصاغر الدنيا]^(٤) عندهم ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ وذلك لتصاغر الدنيا عندهم ﴿فاسأل العادين﴾ قال قتادة: يعني: الحُساب الذين كانوا يحسبون آجالنا. مثل قوله: ﴿إنما نعد لهم عدداً﴾^(٥) وهي آجالهم ﴿قال إن لبثتم إلا قليلاً﴾ أي: أن لبثكم في الدنيا في طول ما أنتم لابثون في

(١) قرأ بالضم: نافع، وحزمة، والكسائي، وقرأ بالكسر الباقون. ينظر البحر (٦/٤٢٣)، السبعة (٤٤٨)، النشر (٢/٣٢٩ - ٣٣٠).

(٢) ينظر لسان العرب (سخر).

(٣) وهي قراءة حمزة، والكسائي، ونافع. ينظر: البحر (٦/٤٢٣) السبعة (٤٤٩)، النشر (٢/٣٢٩ - ٣٣٠).

(٤) طمس في الأصل والمثبت من: «ر».

(٥) مريم: ٨٤.

النار كان قليلاً ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ يقول: لو أنكم كنتم علماء لم تدخلوا النار.

قال محمد: (عدد) منصوب بكنم^(١)، وقوله: ﴿إن لبشتم﴾ معناه: ما لبشتم.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعْرِضْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ أي: لغير بعث ولا حساب ﴿وأنكم إلينا لا ترجعون﴾ وهو على الاستفهام؛ أي: قد حسبت ذلك؛ ولم تخلقكم عبثاً، إنما خلقناكم للبعث والحساب ﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ على الله. وبعضهم يقرأها بالرفع^(٢) يقول: الله الكريم. ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾ أي: لا حجة له بذلك ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ يعني: فإنما جزاؤه عند ربه ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ وهي تقرأ: (إنه) بالكسر^(٣) على معنى: فإنما حسابه عند ربه أن يدخله النار، ثم قال: ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾.

(١) ينظر: البحر (٤٢٤/٦)، مجمع البيان (١٣٠/٤)، إعراب القرآن (٤٣٠/٢).

(٢) رويت عن ابن كثير من السبعة. ينظر إتحاف الفضلاء (٣٢١)، البحر (٤٢٤/٦)، جامع القرطبي (١٥٧/١٢).

(٣) وهي قراءة العامة. ينظر: الإملاء (٨٣/٢)، الكشف (٤٥/٣)، البحر (٤٢٥/٦)، المحتسب (٩٨/٢).

قال محمدٌ: ومن قرأها بالفتح^(١)، فالمعنى: بأنه.
﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خيرُ الراحمين﴾ يعني: وأنت أفضلُ من
يرحم؛ أمر الله النبي ﷺ بهذا الدعاء.

* * *

(١) ورويت هذه القراءة عن الحسن وقتادة. ينظر المراجع السابقة.

تفسير سورة النور وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحَرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)

قوله: ﴿سورة أنزلناها﴾ (أي: هذه سورة أنزلناها) (١) ﴿وفرضناها﴾ يعني: ما فرض في هذه السورة، وخذ فيها من حدوده، وتقرأ: (فرضناها) بالثقل (٢)؛ يعني: بيّناها ﴿وأنزلنا فيها آياتٍ بيناتٍ لعلكم تذكرون﴾ لكي تذكروا ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما مائة جلدة﴾ هذا في الأحرار إذا لم يكونا محصنين؛ فإن كانا محصنين رُجما.

قال محمد: من قرأ (الزانية) بالرفع فتأويله الابتداء (٣). قال الحسن: والرجم في مصحف أبي بن كعب، وهو في مصحفنا أيضًا في سورة المائدة في قوله: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا

(١) تكررت هذه العبارة في الأصل.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو من السبعة. ينظر السبعة (٤٥٢) النشر (٣٣٠/٢) التيسير (١٦١).

(٣) وهي قراءة العامة، وقرأ عيسى الثقفي ويحيى بن يعمر وغيرهما بالنصب. ينظر: البحر (٦/٤٢٧)، المحتسب (١٠٠/٢)، الإملاء (٨٣/٢).

للذين هادوا والربانيون والأخبار^(١) حيث رجم رسول الله اليهوديين حين ارتفعوا إليه^(٢).

يحيى: عن المعلى، عن عاصم بن بهدلة، عن زر بن حبیش قال: «قال لي أبي بن كعب: يا زُرُّ، كم تقرأون سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثاً وسبعين آية. قال: قط؟ قلت: قط. قال: فوالله إن كانت لتوازي سورة البقرة، وإن فيها لآية الرِّجْم. قلت: وما آية الرجم يا أبا المنذر؟ قال: «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم»^(٣).

(١) المائدة: (٤٤).

(٢) رواه البخاري (٣/٢٣٧ رقم ١٣٢٩) ومسلم (٣/١٣٢٦، ١٣٢٧ رقم ١٦٩٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه مسلم (٣/١٣٢٧ رقم ١٧٠٠) عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

ورواه مسلم (٣/١٣٢٨ رقم ١٧٠١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وفي الباب عن عدة من أصحاب النبي ﷺ.

(٣) رواه الطيالسي (٧٣ رقم ٥٤٠) وعبد الرزاق في مصنفه (٣/٣٦٥ رقم ٥٩٩٠، ٣٢٩/٧ - ٣٣٠ رقم ١٣٣٦٣) وأحمد بن منيع - كما في إتحاف الخيرة (٦/٢٥٧ رقم ٥٧٩٢/٢) - وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٥/١٣٢) والنسائي في الكبرى (٤/٢٧١-٢٧٢ رقم ٧١٥٠) والطبري في تهذيب الآثار (٢/٨٧٢-٨٧٤ رقم ١٢٢٦-١٢٣١) وابن حبان (١١/٢٧٤-٢٧٣ رقم ٤٤٢٨، ٤٤٢٩) والحاكم (٢/٤١٥، ٣٥٩) والبيهقي في السنن (٨/٢١١) وابن حزم في المحلى (١١/٢٣٤-٢٣٥) والضياء في المختارة (٣/٣٧٠-٣٧١ رقم ١٦٦٤-١٦٦٦) وابن حجر في موافقة الخبر الخبر (٢/٣٠٣ - ٣٠٤) من طرق عن عاصم ابن أبي النجود به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال ابن حزم: هذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمض فيه.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٤٨١): وهذا إسناد حسن.

وقال ابن حجر في الموافقة: هذا حديث حسن.

وله شاهد من حديث زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة. فقال عمر: لما أنزلت آيت رسول الله ﷺ فقلت: أكتبنيها - فكانه =

المسعودي: عن القاسم بن عبد الرحمن «أن عمر بن الخطاب حمد الله ثم

= كره ذلك قال عمر: ألا ترى أن الشيخ إذا لم يُحصن جُلد، وأن الشاب إذا زنى وقد أحصن رُجم». رواه الإمام أحمد (١٨٣/٥) والطيالسي - كما في إتحاف الخيرة (٢٥٧/٦) رقم (٥٧٩٣) - والنسائي في الكبرى (٢٧٠/٤) رقم (٧١٤٥) والدارمي (٢٣٤/٢) رقم (٢٣٢٣) والطبري في تهذيب الآثار (٢/٨٧٠ رقم ٣٧) والحاكم (٣٦٠/٤) والبيهقي في الكبرى (٢١١/٨) وابن حزم في المحلى (٢٣٥/١١) وغيرهم.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال ابن حزم: هذا إسناد جيد.

وقال الطبري: هذا خبر عندنا صحيح سنده لا علة فيه توهمه ولا سبب يضعفه؛ لعدالة من بيننا وبين رسول الله ﷺ من نقلته، وقد يجب أن يكون على مذهب الآخرين سقيماً غير صحيح، لعل:

إحدهما: أن هذا الحديث لا يعرف له مخرج عن عمر عن رسول الله ﷺ بهذا اللفظ، إلا من هذا الوجه.

والثانية: أن قتادة من أهل التدليس، ولا يحتج عندهم من حديث المدلس في الدين إلا بما قال فيه «سمعت» أو «حدثنا» وما أشبه ذلك، وليس ذلك كذلك في هذا الخبر.

والثالثة: أن فيه مما أنزل من القرآن الذي كان يُقرأ، ولو كان ذلك كذلك لكان موجوداً في مصاحف المسلمين، وفي عدم ذلك في مصاحفهم الدليل الواضح على وهائه. اهـ.

وقد أفاض الطبري في بيان ما تضمنه هذا الحديث من الأحكام في تهذيب الآثار (٢/٨٧٥-٨٨٠) وكان فيما قال رحمه الله: أما خبر زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ في أمره برجم الشيخ والشيخة «فارجموهما ألبة إذا زنيا» فإن معناه: فارجموهما ألبة إذا كانا قد أحصنا. فإن قالوا:

وما البرهان على أن ذلك كذلك، وليس ذلك موجوداً في الخبر؟ قيل: البرهان على أن ذلك كذلك إجماع الجميع من أهل العلم - قديمهم وحديثهم - على أن حكم الشيخ والشيخة إذا زنيا قبل الإحصان الجلد دون الرجم، وفي إجماع جميعهم على ذلك أوضح البيان على أن معنى ما ذكرنا عن زيد بن ثابت عن رسول الله ﷺ في الشيخ هو ما قلناه دون غيره.

وأما قول عمر: «لما أنزلت آيت رسول الله ﷺ فقلت: أكتبنها - وكأنه كره ذلك» ففيه بيان واضح أن ذلك لم يكن من كتاب الله المنزل كسائر آي القرآن؛ لأنه لو كان من القرآن لم يتمتع ﷺ من إكتابه عمر ذلك، كما لم يتمتع من إكتابه من أراد تعلم شيء من القرآن ما أراد تعلمه، وفي إخبار عمر عن رسول الله ﷺ أنه كره كتابة ما سألته إلا كتابه إياه من ذلك؛ الدليل البين على أن حكم الرجم وإن كان من عند الله - تعالى ذكره - فإنه من غير القرآن الذي يُتلى ويصطر في المصاحف. اهـ.

قال: أما بعد؛ فإن هذا القرآن نزل على رسول الله فكتنا نقراً: « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفرٌ، وآية الرجم، وإني قد خفت أن يقرأ القرآن قومٌ يقولون: لا رجم! وإن رسول الله قد رجم ورجمنا؛ والله لولا أن يقول الناس: إن عمر زاد في كتاب الله لأبثتها، ولقد نزلت وكتبناها»^(١).

﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ في حكم الله، قال قتادة: يعني: أن يجلد الجلد الشديد.

يحيى: عن الخضر بن مرة، عن يحيى بن أبي كثير «أن رسول الله ﷺ أتاه رجلٌ فقال: أصبت حدًا؛ فأقمه عليّ! فدعا بسوط، فأتي بسوط شديد. فقال: سوط دون هذا. فأتي بسوط منكسر العجز، فقال: فوق هذا. فأتي

= وروى الإمام مالك في الموطأ (٢/٦٢٨-٦٢٩ رقم ١٠) عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن عمر قال: «إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم، أن يقول قائل: لا نجد حدين في كتاب الله! فقد رجم رسول الله ﷺ ورجمنا، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله - تعالى - لكتبها: «الشيخ والشيخة فارجموها ألبتة» فلما قد قرأناها».

قال مالك: قوله الشيخ والشيخة يعني: الشيب والشيبة.

قال ابن عبد البر في التمهيد (٢٣/٩٣): هذا حديث مسند صحيح.

وذهب إلى أن هذا الحديث يستند من وجوه صحاح ثابتة من حديث ابن عباس عن عمر. وقال نحوه في الاستذكار (٢٤/٦٨) وقال ابن حجر في الموافقة: هذا حديث حسن صحيح. وروى الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/٣٥٠ رقم ٨٦٧) والحاكم (٤/٣٥٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/٣٤٠٣) عن العجماء رضي الله عنها قالت: «لقد أقرأنا رسول الله ﷺ آية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها ألبتة بما قضيا من اللذة».

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة.

وجوّد إسناده ابن كثير في تحفة الطالب (٣٨٤) وحسّنه ابن حجر في الموافقة (٢/٣٠٤). (١) رواه البخاري (١٢/١٤٠ رقم ٦٨٢٩) ومسلم (٣/١٣١٧ رقم ١٦٩١) من طريق عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب بنحوه.

بسوط بين السوطين فأمر به فجلد [جلدًا بين الجلدين]»^(١).

﴿وليشهد عذابهما﴾ أي: جلدتهما ﴿طائفة من المؤمنين﴾ يقال: (ل) (٢٣١) الطائفة رجل فصاعدًا.

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية...﴾ الآية، تفسير بعضهم يقول: نزلت في كل زانٍ وزانية، ثم نُسخَت.

يحيى: عن نصر بن طريف قال: قال سعيد بن المسيب: «نسختها ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾»^(٢)»^(٣).

[«وحرّم ذلك على المؤمنين» يريد لا يحل للمؤمن أن يتزوج زانية مشهورة بالزنا، ولا عبدة الأصنام، ولا يحل لمؤمنة أن تتزوج مشركًا من عبدة الأصنام، ولا مشهورًا بالزنا]»^(٤).

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَأُجْلِدُوهُنَّ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَدَةٌ

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (٣٦٩/٧) رقم (١٣٥١٥) ومن طريقه ابن حزم في المحلى (١٧١/١١) عن معمر عن يحيى بن أبي كثير به. وما بين المعكوفين مطموس في الأصل و«ر».

(٢) النور (٣٢).

(٣) رواه سفيان الثوري في تفسيره (٢٢١ رقم ٧١٢) وعبد الرزاق في تفسيره (٥١/٢) والطبري في تفسيره (١٥-١٤/١٨) والبيهقي في السنن (١٥٤/٧) وابن الجوزي في نواسخ القرآن (٤٦٩ - ٤٧٠) من طريق يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب.

ورواه ابن أبي حاتم (٢٥٨١/٨) رقم (١٤٤٤٤) من طريق أبي جعفر الرازي عن قتادة عن سعيد ابن المسيب.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٢٢/٥) لسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبي داود وأبي عبيدة وابن المنذر.

(٤) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾
وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاحَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرُأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ
تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿والذين يرمون﴾ أي: يقذفون بالزنا ﴿المحصنات﴾ يعني: الحرائر
المسلمات ﴿ثم لم يأتوا بأربعة شهداء﴾ يجيئون جميعاً يشهدون عليها بالزنا
﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ يجلد بالسوط ضرباً بين ضربين، وكذلك من
قذف حراً مسلماً. ﴿ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾
العاصون، وليس بفسق الشرك؛ وهي من الكبائر ﴿إلا الذين تابوا من بعد
ذلك...﴾ الآية، تفسير الحسن وسعيد بن المسيب قالاً: توبته فيما بينه وبين
الله ولا شهادة له.

﴿والذين يرمون أزواجهم...﴾ إلى قوله: ﴿والخامسة أن غضب الله﴾ (١)
عليها إن كان من الصادقين ﴿قال يحيى: هذا إذا ارتفعوا إلى الإمام، وثبت على
قذفها؛ قال أربع مرات عند الإمام: أشهد بالله إنني لصادق، ثم يقول في
الخامسة: لعنة الله عليّ إن كنت من الكاذبين، وتقول هي أربع مرات: أشهد
بالله إنه لكاذب -تعني زوجها- ثم تقول في الخامسة: غضب الله عليّ إن
كان من الصادقين.

(١) قرأ نافع بإسكان النون مخففة، وكسر الضاد من ﴿غضب﴾ ورفع لفظ الجلالة بعده، وقرأ
باقي السبعة بتشديد النون ونصب ﴿غضب﴾ مضافاً إلى لفظ الجلالة. النشر (٢/ ٣٣٠ -
٣٣١) وإتحاف الفضلاء (٤٠٩).

قال محمد: من قرأ (أربع) بالنصب، فالمعنى: فعلیهم أن يشهد أحدهم أربع شهادات ^(١) وهي تقرأ بالرفع على خبر الابتداء ^(٢)؛ المعنى: فشهادة أحدهم التي تدرأ حدّ القذف أربع شهادات.

﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ تفسیر السّدي: يقول: لولا فضل ^(٣) الله عليكم ونعمته لأهلك الكاذب من المتلاعنين ﴿وأن الله تواب حكيم﴾ تواب على من تاب من ذنبه، حكيم في أمره.

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسَّكَرٌ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾

﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة﴾ جماعة ﴿منكم﴾ تفسیر قتادة: قال: هذا كان في شأن عائشة، وما أذيع عليها أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، فأخذ الناس في الرحيل، وانقطعت قلادة لها؛ فطلبتها في المنزل ومضى الناس، وقد كان صفوان بن معطل تخلف عن المنزل قبل ذلك، ثم أقبل

(١) وهي قراءة ابن كثير، ونافع، وابن عامر، وأبي عمرو، وعاصم. ينظر السبعة (٤٥٢)، البحر (٤٣٤/٦)، النشر (٢٣٠/٢).

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي. ينظر المراجع السابقة.

(٣) في «ر»: لولا ما من.

فوجد الناس قد ارتحلوا وهو على بعيره، وإذا هو بعائشة فجاء ببعيره وولأها ظهره حتى ركبت، ثم قادها فجاء وقد نزل الناس، فتكلم في ذلك قوم فأنهموها^(١).

قال يحيى: «بلغني أن عبد الله بن أبي ابن سلول وحسان بن ثابت ومسطحاً وحمئة بنت جحش هم الذين تكلموا في ذلك، ثم شاع ذلك في الناس؛ فزعموا أن رسول الله ﷺ لما أنزل الله عذرها جلد كل واحد منهما الحد»^(٢).

«لا تحسبوه» يعني: عائشة وصفوان «شراً لكم» يعني: ما قيل فيهما «بل هو خير لكم لكل امرئ منهم» يعني: الذين قالوا ما قالوا «ما اكتسب من الإثم» على قدر ما أشاع «والذي تولى كبره» يعني: بدأ به منهم «له عذاب عظيم» قال بعضهم: هو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق «له عذاب عظيم» جهنم.

﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾^(١٦)
يَعِظُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

(١) حديث الإفك رواه البخاري (٢٦٣٧، ٢٦٦١، ٢٨٧٩، ٤٠٢٥، ٤١٤١، ٤٦٩٠، ٦٦٦٢، ٧٥٠٠، ٧٥٤٥) ومسلم (٢٧٧٠) عن عائشة رضيها مطولاً.

(٢) روى الإمام أحمد (٣٥/٦) وأبو داود (١١٨/٥ رقم ٤٤٦٩) والترمذي (٣١٤/٥) والنسائي في الكبرى (٣٢٥/٤ رقم ٧٣٥١) وابن ماجه (٨٥٧/٢ رقم ٢٥٦٧) وغيرهم عن عائشة قالت: «لما نزل عذري قام رسول الله ﷺ على المنبر فذكر ذلك، وتلا القرآن، فلما نزل أمر برجلين وامرأة فضربهم حدهم».

وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

ورواه أبو داود (١١٨/٥ رقم ٤٤٧٠) عن عمرة مرسلاً، فسمي حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة، وقال النفيلى: ويقولون: المرأة حمئة بنت جحش.

حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾

﴿لولا﴾ هلا ﴿إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم﴾ أي:
ياخوانهم ﴿خيرًا وقالوا هذا إفك﴾ كذب ﴿مبين﴾ بين ﴿ولولا فضل الله
عليكم ورحمته﴾ [في الدنيا والآخرة] ^(١) لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم
فيها تقديم؛ يقول: ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما أفضتم فيه
عذاب عظيم في الدنيا والآخرة، والإفاضة فيه كان إذا لقي الرجل الرجل،
فيقول: أما بلغك ما قيل من أمر عائشة وصفوان ﴿إذ تلقونه بأستكم﴾ يعني:
يرويه بعضهم عن بعض.

﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾ أي: كذب.

(ل ٢٣٢) ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾ يعني: أن تنتشر ^(٢) ﴿في
الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ وهم المنافقون؛ كانوا يحبون
ذلك، ليعيبوا به النبي ﷺ ويغيظوه، وعذاب الدنيا للمنافقين أن تؤخذ منهم
الزكاة وما ينفقون في الغزو كرها ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ أي:
لأهلككم؛ فاستأصلكم؛ يعني: الذين قالوا ما قالوا، وليس يعني بالفضل
وبالرحمة: عبد الله بن أبي ابن سلول فيهم، وقد ذكر بعد هذه الآية أنه في
النار. قال: ﴿وأن الله رءوف رحيم﴾ بالمؤمنين.

(١) سقط من الأصل.

(٢) في «ر»: أن يظهر الزنا.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ أمر الشيطان ﴿ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه﴾ فإن الشيطان ﴿يأمر بالفحشاء والمنكر﴾ .

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تُشْهِدُ عَلَيْهِمْ سِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ولا يأتل﴾ أي: ولا يحلف ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ يعني: الغني ﴿أن يؤتوا أولي القربى...﴾ الآية، تفسير قتادة: قال: «أنزلت في أبي بكر الصديق ومسطح، وكان بينه وبين أبي بكر قرابة، وكان يتيمًا في حجره، وكان ممن أذاع على عائشة ما أذيع؛ فلما أنزل الله براءتها وعذرها تألى^(١) أبو بكر ألا يوليه خيرًا أبدًا، فأنزل الله هذه الآية، وذكر لنا أن نبي الله دعا أبا بكر فتلاها عليه، ثم قال: ألا تحب أن يعفو الله عنك؟ قال: بلى. قال: فاعف

(١) أي: حلف، ومثله: أئلى، وآلى بمعنى حلف، مأخوذ من الألية، وهو اليمين. لسان العرب (الو).

وتجاوز. فقال أبو بكر: لا جرم، والله لا أمنعه معروفًا كنت أوليه إياه قبل اليوم»^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ يعني: العفاف ﴿الْغَافِلَاتِ﴾ يعني: أنهن لم يفعلن ما قذفن به ﴿لَعَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾ إلى قوله: ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قال يحيى: بلغني أنه يعني بذلك: عبد الله بن أبي ابن سلول في أمر عائشة.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ تفسير السدي: يعني: حسابهم العدل. ﴿الْخَبِيثَاتِ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ [تفسير قتادة: الخبيثات من القول والعمل للخبثين من الناس، والخبثون من الناس للخبثات من القول والعمل]^(٢) ﴿وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ مثل ذلك؛ وهذا في قصة عائشة ﴿أُولَئِكَ مَبْرُءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الجنة.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٧﴾
قوله: ﴿تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ حتى تستأذنوا؛ في تفسير قتادة. وفيها تقديم وتأخير: حتى تسلموا [وتستأذنوا]^(٣).

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٣/١٥٠ رقم ٢٢٤) وقال الهيثمي في المجمع (٧/٩٩): وإسناده جيد.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٥/٣٨) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) في الأصل: وتستأذنوا.

قال محمد: الاستئناس في اللغة معناه: الاستعلام؛ تقول: استأنستُ فما رأيت أحداً؛ أي: استعلمت وتعرفت^(١). قال النابغة:

كَانَ رَحْلِي وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ بِنَا
بِذِي الْجَلِيلِ عَلَى مُسْتَأْنَسٍ وَحْدِ^(٢)
يعني: ثوراً أبصر شيئاً فخافه فهو فزع^(٣).

يحيى: عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير قال: «سئل جابر بن عبد الله أيستأذن الرجل على والدته وإن كانت عجوزاً، أو على أخته؟! قال: نعم».

يحيى: عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب؛ أن علياً قال: «يستأذن الرجل على كل امرأة إلا على امرأته».

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿فإن لم تجدوا فيها أحداً﴾ يعني: البيوت المسكونة ﴿فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم﴾ قال قتادة: لا تقف على باب قوم قد ردوك عن بابهم؛ فإن للناس حاجات ولهم أشغال ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة﴾ يعني: الفنادق ﴿فيها متاع لكم﴾ قال السدي: يعني: منافع لكم من الحر والبرد؛ فليس عليه (أن يستأذن)^(٤) فيها؛ لأنه ليس لها أهل يسكنونها .

(١) ويقال فيه: استأنس وتأنس. لسان العرب (أنس)

(٢) البيت من بحر البسيط، ينظر ديوان النابغة (١٧)، الخصائص (٢/٢٦٦)، شرح المفصل لابن يعيش (١٦/٦).

(٣) انظر خزانة الأدب (٣/١٨٧ - ١٨٨).

(٤) في «ر»: إذن.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ
بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا
لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي
إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيْنَ
غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ
بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾ (٣١)

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ يعني: يغضون أبصارهم عن جميع
المعاصي، (مِنْ) ها هنا صلة زائدة (١).

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن يونس بن عبيد، عن أبي زرعة بن عمرو
ابن جرير البجلي، عن أبيه قال: «سألت رسول الله ﷺ عن النظر فجاءه،
فقال: اصرف بصرك» (٢).

(١) وفيه أوجه نحوية أخرى، تنظر من الدر المصون (٥/٢١٦).

(٢) هكذا وقع هذا الإسناد في الأصل و«ر»: «عن يونس بن عبيد عن أبي زرعة» والحديث
معروف برواية «يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة»، وقوله هنا: «عن أبيه»
يعني جده جريرا جعله أباً تجاوزاً، والله أعلم.

والحديث رواه الطيالسي في مسنده (٩٣ رقم ٦٧٢) - ومن طريقه الخطيب في الموضح (٢/
٣٢١-٣٢٢) - عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد عن سعيد الأصلع عن أبي زرعة بن
عمرو بن جرير عن جرير.

قال أبو حاتم الرازي: هذا خطأ، إنما هو يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد، عن أبي زرعة بن
عمرو بن جرير عن جرير عن النبي ﷺ. علل ابن أبي حاتم (٢/٣٤٤-٣٤٥ رقم ٢٥٥٨). =

قوله: ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عما لا يحل لهم .

﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ عما لا يحل لهن من النظر
﴿ويحفظن فروجهن﴾ مما لا يحل لهن وهذا في الأحرار والمماليك (ل٢٣٣)
﴿ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ وهذا في الحرائر. تفسير ابن عباس
وقتادة: ما ظهر منها: هو الكحل والخاتم. وتفسير ابن مسعود والحسن: هي
الثياب.

قال يحيى: وهذه في الحرائر، وأما الإماء فقد حدثنا سعيد وعثمان، عن

= ورواه الإمام أحمد (٣٥٨/٤، ٣٦١) ومسلم (١٦٩٩/٣) رقم (٢١٥٩) ووكيع في الزهد (٤٨١) وهناد في الزهد (١٤١٧) وابن أبي شيبة (٣٢٤/٤) وأبو داود (٤٩/٣) رقم (٢١٤١) والترمذي (٩٤-٩٣/٥) رقم (٢٧٧٦) والنسائي في الكبرى (٣٩٠/٥) رقم (٩٢٣٣) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٦٧/٤) - والطحاوي في شرح المعاني (١٥/٣) وفي شرح المشكل (١٢٤-١٢٦/٥) رقم (١٨٦٨-١٨٧١) وابن حبان (٣٨٣/١٢) رقم (٥٥٧١) والطبراني في المعجم الكبير (٣٣٧/٢) رقم (٢٤٠٤-٢٤٠٦، ٢٤٠٨) والحاكم (٣٩٦/٢) والبيهقي في السنن (٨٩/٧-٩٠) وغيرهم من طرق عن يونس بن عبيد، عن عمرو بن سعيد، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جرير به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وقد أخرجه مسلم.

وقال الدارقطني بعد أن ذكر اختلافًا في هذا الحديث في علله (١٠٤ق/٤-أ): والصحيح حديث الثوري ومن تابعه عن يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة عن جرير. اهـ ورواه الطبراني في الكبير (٣٣٧/٢) رقم (٢٤٠٧) عن المقدم بن داود عن أسد بن موسى عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد عن عمرو بن سعيد عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبيه «أن جريرًا سأله... فزاد في إسناده» عن أبيه.

ورواه الطبراني في الكبير (٣٣٧/٢) رقم (٢٤٠٣) وتما في الفوائد (٧٣٩) من طريق أشعث بن سوار عن علي بن مدرك عن أبي زرعة عن جرير.

ورواه مصعب بن المقدم عن الثوري عن يونس عن الحسن عن جرير. خرجه الدارقطني في الملل (١٠٤ق/٤-ب) وخطاه.

قتادة، عن أنس بن مالك «أن عمر بن الخطاب رأى أمةً عليها قناعٌ، فضربها بالدرّة - في حديث سعيد. وقال عثمان: فتناولها بالدرّة - وقال: اكشفي عن رأسك. وقال سعيد: ولا تشبهي بالحرائر»^(١).

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ تسدل الخمار على جيوبها تستر به نحرها ﴿ولا يبدین زینتھن﴾ وهذه الزينة الباطنة ﴿إلا لبعولتهن﴾ يعني: أزواجهن إلى قوله: ﴿أو نسائهن﴾ يعني: المسلمات يرين منها ما يرى ذو المحرم، ولا ترى ذلك منها اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ﴿أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة﴾ يعني: الحاجة إلى النساء، تفسير قتادة: هو الرجل الأحق الذي لا تشتهيه المرأة، ولا يغار عليه الرجل.

قال محمد: من قرأ (غير) بالخفض^(٢)، فعلى أنه صفة للتابعين^(٣)؛

(١) رواه عبد الرزاق (٣/١٣٦ رقم ٥٠٦٤) عن معمر عن قتادة.

ورواه ابن أبي شيبة (٢/٢٣٠-٢٣١) من طريق شعبة عن قتادة.

ورواه ابن أبي شيبة (٢/٢٣١) من طريق الزهري عن أنس.

ورواه ابن أبي شيبة (٢/٢٣١) من طريق المختار بن فلفل عن أنس بنحوه.

ورواه ابن أبي شيبة (٢/٢٣١) عن أبي قلابة قال: «كان عمر بن الخطاب لا يدع في خلافته

أمة تقنع. قال: قال عمر: إنما القناع للحرائر؛ لكيلا يؤذين».

ورواه عبد الرزاق (٣/١٣٦ رقم ٥٠٦٢) والبيهقي (٢/٢٣٦-٢٣٧) من طريق صفية بنت أبي عبيد عن عمر مطولاً.

وقال البيهقي: والآثار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك صحيحة، وإنها تدل على أن رأسها ورقبتها وما يظهر منها في حال المهنة ليس بعورة.

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن عامر وعاصم. ينظر البحر (٦/٤٤٩)، السبعة (٤٥٥)، النشر (٢/٣٣٢).

(٣) أو على البدل. ينظر البحر (٦/٤٤٩)، إعراب القرآن (٢/٤٣٩) معاني القرآن للفراء (٢/٢٥٠).

المعنى: لكل تابع غير أولي الإربة، ومن نصب (غير)^(١) فعلى الحال^(٢)؛
المعنى: أو التابعين لا مريدين النساء في هذه الحال.

قال يحيى: فهذه ثلاث حُرْم بعضها أعظم من بعض، منهن الزوج الذي يحل له كل شيء [منها]^(٣) فهذه حرمة ليست لغيره.

ومنهن الأب، والابن، والأخ، والعم، والخال، وابن الأخ، وابن الأخت، والرضاع في هذا بمنزلة النسب؛ فلا يحل لهؤلاء - في تفسير الحسن - أن ينظروا إلى الشعر والصدر والساق وأشياء ذلك. وقال ابن عباس: ينظرون إلى موضع القرطين والقلادة والسوارين والخلخالين.

وحرمة ثالثة فيهم أبو الزوج، وابن الزوج، والتابع غير أولي الإربة ومملوك المرأة؛ لا بأس أن تقوم بين يدي هؤلاء في درع صفيق وخمار صفيق بغير جلباب.

قوله: ﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾ قال قتادة: يعني: من لم يبلغ الحلم ولا النكاح.

﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾ قال قتادة: كانت المرأة تضرب برجليها إذا مرت بالمجلس ليُسمع قعقة الخلخالين، فنهين عن ذلك.
﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾ من ذنوبكم ﴿أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ لكي تفلحوا فتدخلوا الجنة.

﴿وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ مِن عِبَادِكُم وَإِمَائِكُم إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن

(١) وهي قراءة ابن عامر وعاصم كما تقدم.

(٢) أو الاستثناء. ينظر البحر (٤٤٩/٦)، إعراب القرآن (٤٣٩/٢).

(٣) من (أ).

فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ ﴿٣٧﴾ وَلَيْسَتَعْفُفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيْنَكُمْ عَلَى الْإِغَاءِ إِنْ أَرَدَنْ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرْضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنَهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرِهِهِنَّ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايٰتٍ مُّبَيِّنٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِيْنَ ﴿٣٩﴾ ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ يعني: كل امرأة ليس لها زوج.

قال محمد: يقال: امرأة أيم، ورجل أيم^(١)، ورجل أرمل، وامرأة أرملة^(٢).

﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ﴾ يعني: المملوكين المسلمين ﴿وَأَمْثَالِكُمْ﴾ المسلمين، وهذه رخصة وليس على الرجل بواجب أن يُزَوِّج أُمته وعبدَه ﴿إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءَ يَغْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

(يحيى: عن عبد العزيز بن أبي رَوَاد؛ أن رسول الله ﷺ قال: «اطلبوا الغنى في هذه الآية: ﴿إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءَ يَغْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾»^(٣))(٤).

يحيى: عن سعيد، عن قتادة؛ أن عمر بن الخطاب كان يقول: «ما رأيت مثل رجلٍ لم يَلْتَمِسِ الغنى في الباءة، والله يقول: ﴿إِنْ يَكُونُوا فَقَرَاءَ يَغْنَهُمُ﴾»

(١) الأيم: الذي لا زوج له من الرجال والنساء، سواء كان تزوج من قبل أو لم يتزوج، وامرأة أيم بكراً كانت أو ثيباً. مختار الصحاح (أيم).

(٢) لسان العرب (رمل).

(٣) لم أقف عليه من هذا الطريق المعضل، وله طرق أخرى بنحوه، انظر تخريج الكشاف (٢/ ٤٤٣-٤٤٤).

(٤) سقط من «ر».

اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿١﴾ .

﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً﴾ تفسير الحسن: إن علمتم عندهم مالاً. وقال قتادة: إن علمتم عندهم صدقاً ووفاء وأمانة.

قوله: ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ قال قتادة: أن يترك لهم طائفة من مكسبته ﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ [البغاء: الزنا]^(٢) ﴿تَحَصُّنًا﴾ أي: عفة وإسلامًا.

وبلغنا عن الزهري قال: نزلت في أمة كانت لعبد الله بن أبي ابن سلول كان يكرهها على رجل من قریش يريد لها لنفسه رجاء أن تلد منه، فيفدي ولده، فذلك (٢٣٤) الغرض الذي كان ابن أبي سلول يبتغي ﴿ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ وكذلك هي في حرف ابن مسعود ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ يعني: القرآن ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ يعني: أخبار الأمم السابقة.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبَاحُ فِي زُجْجَةٍ الزُّجْجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٥) فِي يَوْمٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٦/١٧٣ رقم ١٠٣٩٣) عن معمر عن قتادة به .

ورواه أيضًا (٦/ ١٧٠-١٧١ رقم ١٠٣٨٥) عن هشام بن حسان عن الحسن عن عمر.

(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

فِيهَا بِالْفُؤْدِ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾

﴿الله نور السموات والأرض﴾ يعني: بنوره يهتدي من في السموات والأرض ﴿مثل نوره﴾ الذي أعطى المؤمن في قلبه ﴿كمشكاة﴾ تفسير ابن عمر قال: المشكاة: الكوة^(١) في البيت التي ليست بنافذة ﴿فيها مصباح﴾ يعني: السراج ﴿المصباح في زجاجة﴾ يعني: القنديل ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ أي: منير ضخم.

قال محمد: من قرأ (دُرِّي) بلا همز، فهو منسوب إلى الدر^(٢)، ومن قرأ (دِرِّي) بالهمز وكسر الدال^(٣)؛ فهو من النجوم الدراري^(٤).

قوله: ﴿يُوقَدُ﴾ يعني: المصباح ﴿من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية﴾ قال قتادة: يعني: لا يفيء عليها ظلٌ شرق ولا غرب هي صاحبة للشمس، وهي أقصى الزيت وأعذبه قال بعضهم: هي في سفح جبل ﴿يكاد زيتها﴾ يعني: الزجاجة ﴿يضيء﴾ ولو لم تمسه نارٌ وهذا مثل قلب المؤمن، يكاد يعرف الحق من قبل أن يتبين له فيما يذهب إليه من موافقة الحق فيما أمر به، وفيما يذهب إليه من كراهيته ما ينهى عنه ﴿نورٌ على نور﴾ قال مجاهد: نور الزجاجة ونور الزيت ونور المصباح؛ فكذاك قلب المؤمن إذا تبين له الحق صار نورًا على نور.

﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾ تفسير مجاهد: أن تُبْنَى؛ يعني: المساجد.

(١) في حاشية الأصل: الفتحة. وفي لسان العرب: الكوة: ثقب البيت، وهي بفتح الكاف وضمها، والجمع كَوَاءً بالمد والقصر. لسان العرب (كوى).

(٢) واحدها: دُرَّة؛ وهي اللؤلؤة، وتجمع أيضًا على دُرَات، ودُرر. لسان العرب (درر).

(٣) وهي قراءة أبي عمرو، والكسائي. ينظر السبعة (٤٥٦) البحر (٤٥٦/٦)، النشر (٣٣٢/٢).

(٤) واحدها: دُرِّي؛ وهو الثاقب المضيء. لسان العرب (درر).

يحيى: عن مندل بن علي، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ «من بنى مسجدًا لله ولو مثل مفحص قطاة بُني له بيت في الجنة»^(١).

(١) تابع مندل بن علي عليه جماعة:

منهم: قطبة بن عبد العزيز، عند ابن أبي شيبة في مسنده - كما في المطالب العالية (١/١٧٢) رقم ٣٦٢/٥ - وأبي يعلى - كما في المطالب العالية (١/١٧٢) رقم ٣٦٢/٨ - والطبراني في الصغير (٢/١٣٨) وابن حبان في صحيحه (٤/٤٩٠) رقم ١٦١٠ وأبي نعيم في الحلية (٤/٢١٧) والبيهقي في السنن (٢/٤٣٧).

ومنهم: أبو بكر بن عياش، عند البزار (٩/٤١٢) رقم ٤٠١٧ وأبي يعلى - كما في إتحاف الخيرة (٢/١٢) رقم ٧/٩٣٨ والطحاوي في المشكل (٤/٢١٠) رقم ١٥٥٠ والرويانى - كما في المطالب (١/١٧١) رقم ٣/٣٦٢ - والبيهقي (٢/٤٣٧) والقضاعي في مسند الشهاب (١/٢٩١) رقم ٤٧٩ من طريق أحمد بن عبد الله بن يونس عن أبي بكر بن عياش.

وقال أحمد بن يونس: ما رفعه أحد من أصحاب الأعمش غير أبي بكر. قال أحمد: فقل لأبي بكر: إنه لم يرفعه غيرك! قال: سمعته من الأعمش وهو شاب.

ومنهم: يعلى بن عبيد، من رواية أخيه محمد بن عبيد عنه، عند ابن حبان (٤/٤٩١) رقم ١٦١١ والطحاوي في المشكل (٤/٢١١) رقم ١٥٥٢.

قال الدارقطني في الأفراد: غريب من حديث الأعمش مرفوعاً إلى النبي ﷺ وغريب من حديث يعلى بن عبيد عنه، تفرد به أخوه محمد، وعنه محمد بن حرب. أطراف الغرائب (٥/٥٤). ومنهم: سفيان الثوري، من رواية سلم بن جنادة عن وكيع عنه، عند البزار (٩/٤١٢) رقم ٤٠١٦.

قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم أحداً رواه عن سفيان مرفوعاً إلا سلم بن جنادة عن وكيع، ولا نعلم أن سلم بن جنادة توبع على هذا الحديث، وإنما يعرف هذا الحديث مرفوعاً من حديث أحمد بن يونس عن أبي بكر بن عياش، ورواه يحيى بن آدم عن يزيد بن عبد العزيز. وقال الدارقطني: غريب من حديث الثوري عن الأعمش عنه مرفوعاً، وغريب من حديث وكيع عنه، تفرد به أبو السائب سلم بن جنادة. أطراف الغرائب (٥/٥٤).

ورواه مؤمل عن سفيان الثوري عن الأعمش مرفوعاً، عند الطحاوي في المشكل (٤/٢٠٩) رقم ١٥٤٩.

ومنهم: شريك من رواية علي بن حكيم عنه، عند الطحاوي في المشكل (٤/٢١٠) رقم ١٥٥١.

﴿يسبح له فيها بالغدو والآصال﴾ الغدو: صلاة الصبح، والآصال: العشي: الظهر والعصر، وقد ذكر في غير هذه الآية المغرب والعشاء، وجميع الصلوات الخمس .

﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ تَحَرُّوْا وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَابِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا

= قال أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان: هكذا رواية عدة من أصحاب شريك فلم يرفعوه، والصحيح عن أبي ذر من حديث شريك موقوف. قال أبو حاتم: ورواه أبو بكر بن عياش عن الأعمش ورفعه، ونفس الحديث موقوف، وهو أصح. قال ابن أبي حاتم: وحدثني أبي قال: حدثنا حماد بن زاذان قال: سمعت ابن مهدي قال: حديث الأعمش «من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة» ليس من صحيح حديث الأعمش. علل ابن أبي حاتم (١/٩٧ رقم ٢٦١).

ومنهم: سفيان بن عيينة من رواية مؤمل بن إسماعيل عنه، عند الطبراني في المعجم الصغير (٢/١٢٠).

وقال الطبراني: لم يروه عن ابن عيينة إلا مؤمل.

وخالفهم جماعة كثيرة فأوقفوه، رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/٣٠٩-٣١٠) عن أبي معاوية، ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب - (١/١٧١ رقم ٣٦٢) - عن عيسى بن يونس وجريز وأبي معاوية، ورواه الطيالسي في مسنده (٢٢ رقم ٤٦١) عن قيس ابن الربيع، ورواه أبو نعيم في الحلية (٤/٢١٧) من طريق الفريابي وأبي حذيفة النهدي عن الثوري، ورواه البيهقي (٢/٤٣٧) من طريق يعلى بن عبيد، كلهم عن الأعمش به موقوفًا.

ورواه الحكم بن عتيبة عن يزيد بن شريك عن أبي ذر رضي الله عنه موقوفًا، خرجه أحمد بن منيع في مسنده - كما في المطالب (١/١٧١ رقم ٣٦٢) - والطحاوي في المشكل (٤/٢١٢).

ورواه إسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (١/١٧٣ رقم ٣٦٢) - عن المعتمر بن سليمان، عن حجاج عن الحكم بن عتيبة عن إبراهيم التيمي مرسلاً.

وبسط الدارقطني في العلل (٦/٢٧٤-٢٧٦ رقم ١١٣٤) الاختلاف فيه، ثم قال: والموقوف أشبههما بالصواب. اهـ.

قلت: وهذا المتن متواتر؛ قال ابن حجر في المطالب (١/١٧٢): وقد جمعت طرقه في جزء كبير، كتبت فيه عن نيف وثلاثين صاحبًا.

نَقَلَبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ يَفْبِقُهُ يَفْبِقُهُ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَفْشِلُهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ۚ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ ۚ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع﴾ التجارة: الجالب [للمتاع]^(١) والبيع: الذي يبيع على يديه ﴿عن ذكر الله﴾ ذكر الله في هذا الموضع: الأذان؛ كانوا إذا سمعوا المؤذن تركوا بيعهم وقاموا إلى الصلاة ﴿وإقام الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿وإيتاء الزكاة﴾ يعني: المفروضة ﴿يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ يعني: قلوب الكفار وأبصارهم، وتقلب القلوب: أن القلوب انتزعت من أماكنها، فغصت بها الحناجر فلا هي ترجع إلى أماكنها ولا هي تخرج، وأما تقلب الأبصار فالزرق بعد الكحل، والعمى بعد البصر ﴿ليجزئهم الله أحسن ما عملوا﴾ (ثواب ما عملوا)^(٢) يجزئهم به الجنة ﴿ويزيدهم من فضله﴾ فأهل الجنة أبداً في مزيد ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ تفسير بعضهم: يقول: لا يحاسبهم أبداً بما أعطاهم الله .

﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ قال مجاهد: وهو القاع القرقرة^(٣)

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

(٣) أي: المنخفض اللين، وقيل: الأملس الذي لا شجر فيه ولا حجارة. لسان العرب (قرقر).

﴿يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ﴾ العطشان ﴿مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ والعطشان مثل الكافر، والسراب (مثل عمله؛ يحسب أنه يُغني عنه شيئًا حتى يأتيه الموت؛ فإذا جاءه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئًا)^(١) إلا كما ينفع السراب العطشان.

قال محمد: القيعة والقاع عند أهل اللغة: ما انبسط من الأرض، ولم يكن فيه نبات^(٢) - وهو الذي أراد مجاهدًا - فالذي [يسير]^(٣) فيه نصف النهار يرى كأن فيه ماء يجري، وذلك هو السراب.

قوله: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فُوفَاهُ حِسَابَهُ﴾ يعني: ثواب عمله، وهو النار يوم القيامة ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: قد جاء الحساب ﴿أَوْ كَظَلَمَاتٍ فِي بَحْرِ لَجِيٍّ﴾ أي: عميق^(٤) (ل ٢٣٥) ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ يعني: ظلمة البحر وظلمة السحاب وظلمة الليل، هذا مثل الكافر؛ يقول: قلبه مظلم في صدرٍ مظلم في جسدٍ مظلم ﴿إِذَا أُخْرِجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا﴾ من شدة الظلمة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْطَّيْرِ صَفَّتٍ كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُمْ وَتَسْبِيحُهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (٤١) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ زُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنْ

(١) سقط من «ر».

(٢) ويجمع على: أقوع، وأقواع، وقيعان. وقيل: القيعة مثل القاع، وبعضهم يقول: هو جمع قاعة). مختار الصحاح (قوع).

(٣) في الأصل (يصير) وهو تحريف عن الصواب.

(٤) يقال: غمره الماء؛ أي: علاه، والعمر: الكثير منه، وأعمر: الشدائد. لسان العرب (غمر) وفي «ر»: أي: عميق.

السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ

بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾

﴿ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات﴾
 بأجنحتها ﴿كلُّ قد علم صلاته وتسبيحه﴾ تفسير مجاهد: الصلاة للمؤمنين،
 والتسبيح [لما سوى ذلك] ^(١) من الخلق ﴿ألم تر أن الله يُزجي﴾ أي: ينشئ
 ﴿سحاباً ثمَّ يؤلف بينه﴾ أي: يجمع بعضه إلى بعض ﴿ثمَّ يجعله ركاماً﴾ بعضه
 على بعض ﴿فترى الودق﴾ يعني: المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من خلال
 السحاب ﴿وينزل من السماء من جبال فيها من بردٍ﴾ ينزل من تلك الجبال التي
 هي من بردٍ ^(٢) ﴿فيصيب به من يشاء﴾ فيهلك الزرع ﴿ويصرفه عمن يشاء﴾ .
 يصرف ذلك البرد ﴿يكاد سنا برقه﴾ أي: ضوء برقه.

﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ
 فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا
 يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ
 ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
 مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ
 يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُمْ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) طمس في الأصل والمثبت من «ر».

(٢) البرد: حب الغمام، ويقال: سحاب برد؛ أي: صار ذا برد، وسحابة بردة أيضاً. لسان
 العرب (برد).

إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾
يُطِيعُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَى اللَّهَ وَيَتَّقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ
لَنْ أَمْرَهُمْ لِيُخْرِجَنَّ قُلَّ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةً مَعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ كقوله: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾^(١) هو أخذ كل واحد منهما من صاحبه .

﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ يعني: النطفة ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾
الحية ﴿ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء﴾ أي: ومنهم من يمشي على أكثر من ذلك .

﴿ويقولون آمنا بالله...﴾ إلى قوله: ﴿معرضون﴾ يعني: المنافقين
يظهرون الإيمان، ويسرون الشرك ﴿وإن يكن لهم الحق...﴾ الآية، تفسير
الحسن قال: كان الرجل يكون له على الرجل الحق على عهد النبي؛ فإذا قال
له: انطلق معي إلى النبي، فإن عرف أن الحق له ذهب معه، وإن عرف أنه
يطلب باطلاً أبى أن يأتي النبي ﷺ فأنزل الله: ﴿وإذا دعوا إلى الله...﴾
إلى قوله: ﴿مذعنين﴾ أي: سراعاً ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ وهو الشرك ﴿أم
ارتابوا﴾ شكوا في الله وفي رسوله؛ قاله على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا ذلك
﴿أم يخافون أن يحيف الله﴾ أي: يجور الله ﴿عليهم ورسوله﴾ أي: قد خافوا
ذلك ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله﴾ فيما مضى من ذنوبه ﴿وبتقته﴾ فيما
بقي ﴿فأولئك هم الفائزون﴾ أي: الناجون .

﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ يعني: المنافقين ﴿لئن أمرتهم ليخرجن﴾

(١) الحج: ٦١، ولقمان: ٢٩، وفاطر: ١٣، والحديد: ٦ .

إلى الجهاد، قال الله: ﴿قُلْ لَا تَقْسَمُوا﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي: طاعة معروفة خير مما تسرون من النفاق، وهذا من الإضمار.

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوا فَتَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْمَيْتِ ۝٥٤ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٥٥ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٥٦ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ۝٥٧﴾

﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ يعني: المنافقين، ثم قال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ يعني: فإن أعرضتم عنهما ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ﴾ يعني: الرسول ﴿مَا حُمِّلَ﴾ من البلاغ ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ من طاعته ﴿وَإِن تُطِيعُوا﴾ يعني: النبي ﷺ ﴿تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ كقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾^(١) تحفظ عليهم أعمالهم حتى تجازيهم بها .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأنبياء والمؤمنين ﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ﴾ أي: سينصرهم بالإسلام؛ حتى يظهرهم على الدين كله؛

(١) الأنعام: ١٠٧ .

فيكونوا الحكام على أهل الأديان^(١).

يحيى: عن عبد الرحمن بن يزيد، عن [سليم]^(٢) بن عامر الكلاعي قال: سمعت المقداد بن الأسود يقول: سمعت رسول الله يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر^(٣) ولا وبر^(٤)، إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذلّ ذليل؛ إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها، وإما يذلهم^(٥) فيدينون لها»^(٦).

(١) في «ر»: الأوثان.

(٢) تشبه أن تكون في الأصل و«ر»: سليمان. والمثبت هو الصواب. سليم بن عامر الكلاعي هو أبو يحيى الحمصي، ترجمته في تهذيب الكمال (٣٤٤/١١) والحديث حديثه وسيأتي من رواه من طريقه، والاختلاف عليه فيه، وسيأتي على الصواب في تفسير سورة الصف، الآية: ٩.

(٣) واحدها: مدرّة؛ وهي القرية المبنية بالطين واللبن. وأهل المدر: سكان البيوت المبنية خلاف البدو سكان الخيام. ينظر لسان العرب (مدر).

(٤) وأهل الوبر: هم أهل البادية؛ لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر، وهو الصوف. لسان العرب (وبر).

(٥) في «ر»: يضلهم.

(٦) رواه الإمام أحمد (٤/٦) والبخاري في التاريخ الكبير (١٥١/٢). والطبراني في الكبير (٢٠/٢٥٤-٢٥٥ رقم ٦٠١) وفي مسند الشاميين (٣٢٤-٣٢٥ رقم ٥٧٢) وابن حبان في صحيحه (٩١/٩٢-٩٢ رقم ٦٦٩٩) والحاكم في المستدرک (٤/٤٣٠) وابن منده في الإيمان (٢/٩٨١-٩٨٢ رقم ١٠٨٤) والبيهقي في السنن (٩/١٨١) وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (١/٢١٩ رقم ٣٠٣) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليم بن عامر عن المقداد به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وخالف صفوان بن عمرو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر؛ فرواه عن سليم بن عامر عن تميم الداري.

خرجه الإمام أحمد (٤/١٠٣) والبخاري في التاريخ الكبير (٢/١٥٠) ويعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/٣٣١) والطحاوي في مشكل الآثار (١٥/٤٥٨-٤٥٩ رقم ٦١٥٥) والطبراني في مسند الشاميين (٢/٧٩ - ٨٠ رقم ٩٥١) والحاكم (٤/٤٣١-٤٣٠) وابن منده في الإيمان (٢/٩٨٢ رقم ١٠٨٥) والبيهقي (٩/١٨١).

من حديث يحيى بن محمد.

﴿وليبذلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾ [يقول: من أقام على كفره بعد هذا الذي أنزلت] ^(١) يعني: فسق الشرك (ل/٢٣٦) ﴿لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض﴾ أي: لا تحسبنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فيحاسبهم.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْزَنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْفُؤُوا الْحِلْمَ مِنْكُمْ لَلَّذِينَ

= وقال الحاكم: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وتابع معاوية بن صالح صفوان عليه.

خرجه الطبراني في المعجم الكبير (٥٨/٢) رقم (١٢٨٠).

وله شاهد يرويه أبو فروة يزيد بن سنان عن عروة بن رويم عن أبي ثعلبة الخشني. خرجه الحاكم (٤٨٨-٤٨٩) وأبو نعيم في الحلية (٣٠/٢)، (١٢٣-١٢٤) وقال الحاكم: هذا حديث رواه مجمع عليهم بأنهم ثقات إلا أبو فروة يزيد بن سنان.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث عروة تفرد به أبو فروة.

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٣٧/٤٠) من طريق يحيى بن سعيد القرشي عن أبي فروة يزيد بن سنان عن عروة بن رويم عن عقبة بن يريم عن أبي ثعلبة الخشني.

قال البخاري في تاريخه الكبير (٤٣٦/٦) عقبة بن يريم عن أبي ثعلبة، روى عنه عروة بن رويم الشامي، في صحة خبره نظر. اهـ

وقال ابن عساكر: روى إبراهيم بن سعيد الجوهري هذا الحديث عن يحيى بن سعيد الأموي عن أبي فروة عن عقبة بن يريم الدمشقي. اهـ

قلت: رواه الحاكم (١٥٥/٣) من طريق البغوي عن يحيى بن سعيد الأموي حدثني أبي، حدثني يزيد بن سنان، ثنا عقبة بن رويم، قال سمعت أبا ثعلبة الخشني به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. فتعقبه الذهبي فقال: قلت: يزيد ابن سنان هو الراوي، ضعفه وقال أحمد وغيره، وعقبه نكرة، لا يعرف. اهـ

وقال الهيثمي في المجمع (٢٦٣/٨): رواه الطبراني، وفيه يزيد بن سنان أبو فروة، وهو مقارب الحديث مع ضعف كثير.

(١) طمس في حاشية الأصل، والمثبت من «ر».

مَرَّتْ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ هم المملوكون من الرجال [والنساء]^(١) الذين يخدمون الرجل في بيته ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ يعني: الأطفال الذين يحسنون الوصف إذا رأوا شيئاً ﴿ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ وهو نصف النهار عند القائلة^(٢) ﴿ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم﴾ فلا ينبغي لهؤلاء الكبار والذين يحسنون الوصف أن يدخلوا إلا بإذن، إلا ألا يكون للرجل إلى أهله حاجة، ولا ينبغي له إذا كانت له إلى أهله الحاجة أن يطأ أهله ومعه في البيت من هؤلاء أحد؛ فلذلك لا يدخلون في هذه الثلاث الساعات إلا بإذن ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ من بعد هذه الثلاث ساعات، أن تدخلوا بغير إذن ﴿طوافون عليكم بعضكم على بعض﴾ أي: يطوف بعضكم على بعض؛ أي: يدخلون بغير إذن.

قال محمد: (طوافون) مرفوع بمعنى: هم طوافون عليكم بعضكم على بعض؛ أي: يطوف بعضكم على بعض^(٣).

﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

(١) في الأصل: والإماء. والمثبت من «ر».

(٢) القائلة: الظهيرة، والقيلولة: النوم الظهيرة، ويقال: قيلولة، ومَقِيل. لسان العرب (قيل).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/٤٥٣)، مجمع البيان (٢/١٩٩)، البحر (٦/٤٧٢).

كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفِنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

﴿فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني: من احتلم ﴿كذلك﴾ أي: هكذا ﴿يبين الله لكم آياته والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في أمره ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً﴾ أي: قد كبرن عن ذلك ولا يردنه ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة﴾ يعني: غير متزينة ولا متشوفة^(١).

قال قتادة: رخص للتي لا تحيض، ولا تحدث نفسها بالأزواج أن تضع جلبابها، وأما التي قد قعدت عن المحيض ولم تبلغ هذا الحد فلا ﴿وأن يستغفن﴾ يعني: اللاتي لا يرجون نكاحاً عن ترك الجلباب ﴿خير لهن﴾.

قال محمد: القواعد واحدها: قاعد بلا هاء؛ ليدل بحذف الهاء على أنه قعود الكبير^(٢)، كما قالوا: امرأة حامل بلا هاء ليدل بحذف الهاء على أنه حمل حبل، وقالوا في غير ذلك: قاعدة في بيتها، وحاملة على ظهرها^(٣).

﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِهْنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

(١) أي: متزينة، ومتطلعة. لسان العرب (شوف).

(٢) أي: القعود عن الولد والحيض. أما القعود الذي هو من القيام؛ فالمفرد: قاعدة، والجمع: قاعدات. لسان العرب (قعد).

(٣) ينظر لسان العرب (حمل).

إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالَكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

﴿ليس على الأعمى حرج﴾ تفسير قتادة قال: منعت البيوت زمانًا كان الرجل لا يتضيف أحدًا ولا يأكل في بيت غيره تأثمًا من ذلك.

قال يحيى: بلغني أن ذلك حين نزلت هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾^(١) قال قتادة: فكان أول من رخص الله له الأعمى والأعرج والمريض، ثم رخص الله للعامة المؤمنين ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم...﴾ إلى قوله: ﴿أو صديقكم﴾ فقوله: ﴿أو ما ملكتم مفاتيحه﴾ قال بعضهم: هم المملوكون الذين هم خزنة على بيوت مواليتهم. وقوله: ﴿صديقكم﴾ قيل للحسن: الرجل يدخل على الرجل -يعني: صديقه- فيخرج الرجل من بيته ويرى الآخر الشيء من الطعام في البيت؛ فيأكل منه؟ فقال: كُلْ من طعام أخيك.

قال يحيى: لم يذكر الله في هذه الآية بيت الابن، فرأيت أن النبي ﷺ إنما قال: «أنت ومالك لأبيك»^(٢) من هذه الآية.

(١) النساء: ٢٩.

(٢) روي هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص وجابر بن عبد الله وعائشة أم المؤمنين وعمر ابن الخطاب وسمرة بن جندب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم. أما حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه فرواه الإمام أحمد (١٧٩/٢، ٢٠٤، ٢١٤) وأبو داود (١٩١/٤) رقم ٣٥٢٤ وابن ماجه (٧٦٩/٢) رقم ٢٢٩٢ وابن الجارود في المتقى (٩٩٥) والطحاوي في شرح المعاني (١٥٨/٤) والبيهقي في السنن (٤٨٠/٧) من طريق عمرو بن =

قال محمد: وقيل في قوله: ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾: أنه أراد من أموال نسائكم ومن ضيعة^(١) منازلكم والله أعلم.

﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾ تفسير قتادة: قال: كان بنو كنانة يرى أحدهم أن محرماً عليه أن يأكل [وحده]^(٢) في [الجاهلية]^(٢) حتى إن كان الرجل ليسوق [الذود الحفل]^(٢) وهو جائع حتى يجد من (ل ٢٣٧) يؤاكله ويشاربه، وكان الرجل يتخذ الخيال إلى جنبه إذا لم يجد من يؤاكل ويشارب، فأنزل الله هذه الآية.

﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ أي: يسلم بعضكم على بعض، وإذا دخل الرجل بيته سلم عليهم، وإذا دخل بيتاً لا أحد فيه فليقل: سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

قال قتادة: حدثنا أن الملائكة تردُّ عليه، وإذا دخل على قوم سلم عليهم، وإذا خرج من عندهم سلم وإن مرَّ بهم أو لقيهم سلم عليهم، وإن كان رجلاً واحداً سلم عليه وإذا دخل المسجد قال: بسم الله سلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنبي؛ وافتح لي باب رحمتك، فإن كان مسجداً كثير الأهل سلم عليهم يسمع نفسه، وإن كانوا قليلاً أسمعهم التسليم وإن لم يكن فيه أحد

= شعيب عن أبيه عن جده.

وأما حديث عائشة رضي الله عنها فرواه ابن حبان في صحيحه (١٤٢/٢ رقم ٤١٠) قال ابن الملقن في البدر المنير (٥/٢٨٢-ب) هذا الحديث مروي من طرق أصحها طريق عائشة. قلت: باقي أحاديث الباب الكلام عليها مستفيض، انظر البدر المنير (٥/٢٨٢-٢٨٤) ونصب الراية (٣/٣٣٧-٣٣٩) وغيرهما.

(١) وفي مختار الصحاح (ضيع): قال الأزهرى: الضيعة عند الحاضرة: النخل والكرم والأرض، والعرب لا تعرف الضيعة إلا الحرقة والصناعة.

(٢) ما بين الأقواس مطموس في الأصل، وأثبتته من «ر».

قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام علينا من ربنا.

يحيى: عن الخليل بن مرة، أن ابن مسعود قال: «إن السلام اسم من أسماء الله وضعه في الأرض؛ فأفشوه بينكم، فإن المرء المسلم إذا مرّ بالقوم فسلم عليهم فردوا عليه (كانت له عليهم فضيلة درجة؛ فإنه ذكرهم السلام، فإن لم يردوا عليه ردّ عليه)»^(١) من هو خير منهم وأطيب: الملائكة»^(٢).

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ

(١) سقط من «ر».

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٣٧٤ رقم ١٠٤١) وابن أبي شيبة في المصنف (٤٣٨/٨) رقم ٥٧٩٦ وابن عبد البر في التمهيد (٢٩٢-٢٩٣/٥) والخطيب في الموضح (٤٠٩-٤١٠) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦) رقم ٨٧٧٩ من طرق عن الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفًا.

ورواه البزار (١٧٤-١٧٥ رقم ١٧٧٠) والطبراني في الكبير (١٨٢/١٠) رقم ١٠٣٩٢ وابن حبان في روضة العقلاء (ص ٧٤) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦) رقم ٨٧٨٠ من طريق ورقاء بن عمر الشكري عن الأعمش به مرفوعًا. وضعفه البيهقي من هذا الوجه.

ورواه البزار (١٧٤-١٧٥ رقم ١٧٧١) والبيهقي في الشعب (٤٣٢/٦) رقم ٨٧٨٢ من طريق عبد الرحمن بن شريك عن أبيه عن الأعمش به مرفوعًا. ورواه الطبراني في الكبير (١٨٢/١٠) رقم ١٠٣٩١ والبيهقي في الشعب (٤٣٢-٤٣٣ رقم ٨٧٨١، ٨٧٨٣) من طريق أيوب بن جابر عن الأعمش به مرفوعًا. وضعفه البيهقي من هذا الوجه أيضًا.

وقال البزار: وهذا الحديث قد رواه غير واحد موقوفًا، وأسنده ورقاء وشريك وأيوب بن جابر.

وقال الدارقطني في العلل (٧٦/٥): والموقوف أصح.

وقال ابن حجر في الفتح (١٥/١١): أخرجه البزار والطبراني من حديث ابن مسعود موقوفًا ومرفوعًا، وطريق الموقوف أقوى.

شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إنك الله عفو رحيم ﴿١٦٢﴾
 ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم
 يذهبوا حتى يستأذنوه﴾ يستأذنوا الرسول ﴿إن الذين يستأذنونك أولئك الذين
 يؤمنون بالله ورسوله﴾ أي: مخلصين غير منافقين ﴿فإذا استأذنوك لبعض
 شأنهم فأذن لمن شئت منهم﴾ وذكر قتادة: أنها نسخت الآية في براءة ﴿عفا
 الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ ^(١) وهي
 عنده في الجهاد؛ فرخص الله للمؤمنين أن يستأذنوا إذا كان لهم عذر .

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ
 يَسْلُلُونَ مِنْكُمْ لُؤَادًا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب
 أليم﴾ ﴿١٦٣﴾ ﴿إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ
 إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿١٦٤﴾

﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا﴾ قال مجاهد: أمرهم
 أن يدعوه: يا رسول الله؛ في لين وتواضع، ولا يقولوا: يا محمد ﴿قد يعلم
 الله الذين يتسللون منكم لوادًا﴾ يعني: المنافقين؛ يلوذ بعضهم ببعض استتارًا
 من النبي حتى يذهبوا.

قال محمد: اللواد مصدر: لاوذت (فعل اثنين) ^(٢) ولو كان مصدرًا للذت
 لكان ليادًا ^(٣).

(١) التوبة: ٤٣، وينظر الناسخ والمنسوخ ص ٥٢ .

(٢) في «ر»: على اثنين.

(٣) يقال: لاذ يلوذ لوذاً ولياداً. ولاوذ: ملاوذة، ولواداً. لسان العرب (لوذ).

﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ عن أمر الله، يعني: المنافقين ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ بليّة ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ أن يستخرج الله ما في قلوبهم من النفاق حتى يظهروه شركاً؛ فيصيبهم بذلك القتل ﴿ألا إن لله ما في السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه﴾ يعني: المنافقين ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يرجع إليه المنافقون يوم القيامة ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ من النفاق والكفر ﴿والله بكل شيء عليم﴾.



تفسير سورة الفرقان وهي مكتبة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ دَعَىٰ نَفِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا شُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾

قوله: ﴿تبارك﴾ [هو من] (١) البركة.

قال محمد: ومعنى البركة عند أهل اللغة: الكثرة في كل ذي خير (٢).
 ﴿الذي نزل الفرقان﴾ يعني: القرآن، وفرقانه: حلاله وحرامه.
 قال محمد: وقيل: سمي فرقاناً؛ لأنه فرق بين الحق والباطل، وهو معنى قول يحيى.

﴿على عبده﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿ليكون للعالمين﴾ يعني: الإنس والجن ﴿نذيراً﴾ ينذرهم عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿واتخذوا

(١) غير واضحة في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب، القاموس المحيط (برك).

من دونه ﴿من دون الله﴾ يعني: الأوثان ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ أي: يصنعونها بأيديهم كقوله: ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾^(١) ﴿ولا يملكون لأنفسهم﴾ يعني: الأوثان ﴿ضرراً ولا نفعاً...﴾ الآية .

﴿إن هذا﴾ يعنون: القرآن ﴿إلا أفك﴾ كذب ﴿افتراه﴾ اختلقه؛ يعنون: محمداً ﴿وأعانه عليه قوم آخرون﴾ قال الكلبي: يعنون عبد ابن الحضرمي وعداساً غلام عتبة. قال: ﴿فقد جاءوا ظلماً﴾ أي: شركاً ﴿وزوراً﴾ كذباً. (ل٢٣٨) قال محمد: نصب (ظلماً وزوراً) على معنى: فقد جاءوا بظلم ويزور، فلما سقطت الباء عُدِّي الفعل فنصب^(٢).

﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ أي: أحاديث الأولين ﴿اكتبها﴾ محمد من عبد ابن الحضرمي وعداس ﴿فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾. قال محمد: (أساطير) خبر ابتداء محذوف؛ المعنى: وقالوا: الذي جاء به أساطير الأولين^(٣)، وواحد الأساطير: أسطورة^(٤).

﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُوبُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ (٧) ﴿أَوْ يُنْفَخَ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ (٨) ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (٩) ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ (١٠) ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ

(١) الصافات: ٩٥ .

(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/٢٤٢)، البحر المحيط (٦/٤٨١).

(٣) ينظر: البحر (٦/٤٨٢)، مجمع البيان (٤/١٦١).

(٤) الأساطير: الأباطيل. الواحدة: أسطورة، وإسطارة. لسان العرب (سطر).

كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

﴿وقالوا مال هذا الرسول﴾ فيما يدعي ﴿يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا﴾ هلاً ﴿أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾ يصدقه بمقالته ﴿أو يلقي إليه كنز﴾ فإنه فقير ﴿أو تكون له جنة يأكل منها﴾.

قال محمد: تأويل هذا الاستفهام^(١) ونُصِبَ (فيكون) على الجواب بالفاء^(٢)، ولا يجوز النصب في ﴿تكون له﴾ لأنه عطف على الاستفهام^(٣)؛ المعنى: لولا أنزل إليه ملك أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة.

﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ يعني: قولهم: إن هذا إلا إفك افتراه، وقولهم: ﴿أساطير الأولين﴾ وقولهم: ﴿مال هذا الرسول...﴾ إلى قوله: ﴿مسحوراً﴾.

﴿فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً﴾ يعني: مخرجاً من الأمثال التي ضربوا لك؛ في تفسير مجاهد.

﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وإنما قالوا: هي جنة واحدة ﴿ويجعل لك قصوراً﴾ مشيدة في الدنيا، وهذا على مقرا من لم يرفعها، ومن قرأها بالرفع؛ فالمعنى: وسيجعل لك قصوراً في الآخرة^(٤).

(١) أي: أن تأويل هذه الآية يكون على الاستفهام.

(٢) أي: نصب بعد فاء السببية.

(٣) أي: أنه مرفوع؛ لأنه ليس معطوفاً على (فيكون) المنصوب. ينظر: إعراب القرآن (٢/٥٥٨، البحر (٦/٤٨٣).

(٤) قرأ بالرفع ابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر، وقرأ الباقون بالجزم. ينظر السبعة (٤٦٢)، التيسير (١٦٣)، النشر (٢/٣٣٣).

قال محمد: من قرأ بالجزء، فهو على جواب الجزاء؛ المعنى: إن يشأ يجعل لك جنات، ويجعل لك قصوراً في الآخرة^(١).

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا﴾ (١٢) ﴿وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرِنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ (١٣) ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ (١٤) ﴿قُلْ أَدْلَاكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا﴾ (١٥) ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولا﴾ (١٦)

﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ مسيرة خمسمائة سنة^(٢) ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا﴾ عليهم ﴿وزفيرًا﴾ صوتاً ﴿وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقْرِنِينَ﴾ تفسير قتادة: ذكر لنا أنَّ عبد الله بن عمرو كان يقول: «إن جهنم لتضيق على الكافر؛ كضيق الزُّج^(٣) على الرمح». ومعنى (مقرنين): يقرن هو وشيطانه الذي كان يدعوه إلى الضلالة في سلسلة واحدة، يلعن كل واحد منهما صاحبه، ويتبرأ كل واحد منهما من صاحبه ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ يعني: ويلًا وهلاكًا.

قال محمد: (ثُبُورًا) نصب على المصدر؛ كأنهم قالوا: تُبِرْنَا ثُبُورًا^(٤).

﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾.

قال محمد: (ثُبُورًا) للقليل والكثير على لفظ الواحد؛ لأنه مصدر^(٥).

(١) ينظر تفصيل ذلك نحويًا من إعراب القرآن (٢/٤٥٩)، البحر (٦/٤٨٤)، مجمع البيان (٤/١٥٩-١٦٠).

(٢) في «ر»: مائة سنة.

(٣) الزج: الحديدية التي في أسفل الرمح والجمع: زججة، وزجاج. لسان العرب (زجج).

(٤) ينظر: الدر المصون (٥/٢٤٦).

(٥) لسان العرب (ثبر).

﴿أذلك خيرٌ أم جنة الخلد﴾ قاله على الاستفهام؛ أي: أن جنة الخلد خيرٌ من ذلك.

﴿كان على ربك وعدًا مسئولا﴾ سأل المؤمنون الله الجنة؛ فأعطاهم إياها.

﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل﴾ (١٧) قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء

ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً ﴿١٨﴾ فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً ﴿١٩﴾ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلوا الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة فمن أنصرون وكان ربك بصيراً ﴿٢٠﴾

﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء﴾ على الاستفهام، وقد علم أنهم لم يضلوه. قال مجاهد: يقوله لعيسى وعزير والملائكة ﴿أم هم ضلوا السبيل قالوا سبحانه﴾ ينزهون الله عن ذلك ﴿ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ أي: لم تكن نوايلهم على عبادتهم إيانا ﴿ولكن متعتهم وآباءهم﴾ في عيشهم في الدنيا بغير عذاب ﴿حتى نسوا الذكر﴾ حتى تركوا الذكر لما جاءهم في الدنيا ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ أي: هلكاً.

قال محمد: يقال: رجل بور، وقوم بور؛ لا يجمع ولا يشئ. هذا الاختيار فيه (١)، وأصل البائر: الفاسد؛ يقال: أرض باثرة؛ أي: متروكة من أن يزرع

(١) وقيل: (بور) جمع (بائر) مثل حائل وحول. وقيل: إنه لغة لا جمع لبائر، كما يقال: أنت بشر، وأنتم بشر. لسان العرب (بور).

فيها شيء، وبارت الأيم: إذا لم يُرغب فيها^(١).

﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ أنهم آلهة ﴿فما يستطيعون صرفاً ولا نصراً﴾ لا تستطيع لهم آلهتهم صرفاً للعذاب ولا نصراً.

﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ وهذا جوابٌ للمشركين (٢٣٩) حين قالوا: مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟!

﴿وجعلنا بعضهم لبعض فتنة﴾ تفسير بعضهم: يعني: الأنبياء وقومهم ﴿أتصبرون﴾ يعني: الرسل على ما يقول لهم قومهم.

قال محمد: في هذا إضمار: أتصبرون اصبروا؛ كذلك قال ابن عباس.

﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَقُ السَّمَاءُ دُخَانًا وَيُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ نَزِيرًا ﴿٢٥﴾ أَلَمَلِكٌ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾

﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ يعني: لا يخشون البعث ﴿لولا﴾ هلا ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ فيشهدوا أنك رسول الله ﴿أو نرى ربنا﴾ معاينة؛ فيخبرنا أنك رسول الله قال الله: ﴿لقد استكبروا في أنفسهم...﴾ الآية .
﴿يوم يرون الملائكة﴾ وهذا عند الموت ﴿لا بشرى يومئذٍ للمجرمين﴾ للمشركين بالجنة ﴿ويقولون حجراً محجوراً﴾ تفسير قتادة: حراماً محرماً على الكافرين البشرى يومئذ بالجنة.

(١) ينظر لسان العرب (بور).

قال محمد: (يوم يرون) منصوبٌ على معنى: يقولون يوم يرون الملائكة^(١)، ثم أخبر فقال: ﴿لَا بَشَرِي...﴾ الآية، وإنما قيل للحرام: حجر^(٢)؛ لأنه حجر عليه بالتحريم، ثم يقال: حجرت حجراً، واسم ما حُجِرَ عليه حجر.

﴿وقدمنا﴾ أي: عمدنا ﴿إلى ما عملوا من عمل﴾ أي: حسن ﴿فجعلناه هباءً منثوراً﴾ في الآخرة. تفسير مجاهد: هو الشعاع الذي يخرج من الكوّة. قال محمد: واحد الهباء: هباءة، والهباء: المنبث ما سطع من سناكب الخيل، وهو من الهبوة والهبوة: الغبار^(٣).

﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً﴾ من مستقر المشركين ﴿وأحسن مقيلاً﴾ ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ هذا بعد البعث فتراها واهية متشققة كقوله: ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾^(٤) ويكون الغمام سُترةً بين السماء والأرض ﴿ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ مع الرحمن ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾ يقول: تخضع الملائكة يومئذ لملك الله، والجابرة لجبروت الله.

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾^(٢٧) يَوَلَّيْتَنِي لَيْتَنِي لَوْ أَخَذْتُ فَلَانًا خَلِيلاً^(٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا^(٢٩) وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا^(٣٠) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا^(٣١) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا

(١) ينظر إعراب القرآن (٢/٤٦٢-٤٦٣)، البحر (٦/٤٩٢).

(٢) الحجر - بكسر الحاء وضمها وفتحها - الحرام. والكسر أنضح. لسان العرب (حجر).

(٣) وقيل: الهباء: دقاق التراب، والهبة: الغبرة. لسان العرب (هبو).

(٤) النبأ: ١٩.

نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾
 ﴿ويوم بعض الظالم﴾ يعني: أبي بن خلف ﴿على يديه﴾ أي: يأكلها
 ندامة.

قال مجاهد: كان أبي بن خلف يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة بن
 أبي معيط عن ذلك، فهو قول أبي بن خلف في الآخرة.
 ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول﴾ يعني: محمدًا ﴿سبيلًا﴾ إلى الله باتباعه
 ﴿يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا﴾ يعني: عقبة بن أبي معيط ﴿لقد أضلني
 عن الذكر﴾ يعني: القرآن ﴿بعد إذ جاءني﴾ قال الله: ﴿وكان الشيطان للإنسان
 خذولًا﴾ يأمره بمعصية الله، ثم يخذله في الآخرة ﴿وقال الرسول يا رب إن
 قومي﴾ يعني: من لم يؤمن به ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجورًا﴾ تفسير مجاهد:
 يقول: يهجرون بالقول فيه.

قال محمد: معنى قول مجاهد: جعلوه بمنزلة الهجر، والهجر: الهذيان
 وما لا ينتفع به من القول؛ يقال: فلان يهجر في منامه؛ أي: يهذي^(١).
 ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوًا من المجرمين﴾ يعني: المشركين يعزّي نبيه
 ﴿وكفى بربك هاديًا﴾ إلى دينه ﴿ونصيرًا﴾ للمؤمنين على أعدائهم ﴿وقال
 الذين كفروا لولا﴾ هلاً ﴿نزل عليه القرآن جملة واحدة﴾ أي: كما نزل على
 موسى وعلى عيسى، قال الله: ﴿كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا﴾
 يعني: وبيّناه تبينًا.

(١) والهجر بفتح الهاء وضمها: الهذيان. وضم الهاء: الاسم من الإهجار، وهو الخنى
 والإفحاش في المنطق. لسان العرب، القاموس المحيط (هجر).

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ (٣٣) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَبَرُّيًا ﴿٣٩﴾

قال قتادة: نزل في ثلاث وعشرين سنة ﴿ولا يأتوك بمثل﴾ يعني: المشركين فيما كانوا يحاجونه به ﴿إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً﴾ تبييناً ﴿أولئك شرٌّ مكاناً﴾ من أهل الجنة ﴿وأضل سبيلاً﴾ طريقاً في الدنيا؛ لأن طريقهم إلى النار وطريق المؤمنين إلى الجنة ﴿وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ أي: عوناً وعضداً وشريكاً في الرسالة .

﴿فدمرناهم﴾ أي: فكذبوهمما ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ أهلكناهم إهلاكاً ﴿وقوم نوح﴾ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿لما كذبوا الرسل﴾ يعني: نوحاً ﴿وعاداً وثموداً﴾^(١) أي: وأهلكنا عاداً وثموداً ﴿وأصحاب الرِّسِّ﴾ قال مجاهد: الرِّسُّ بئر كان عليها ناسٌ^(٢) .

قال يحيى: وبلغني أن الذي أرسل إليهم شعيب [وأنه]^(٣) أرسل إلى أهل مدين، وإلى [أهل]^(٣) الرِّس جميعاً .

(١) قرأ حفص وحزمة ويعقوب ﴿ثموداً﴾ بغير تنوين، وقرأ الباقون ﴿ثموداً﴾ بالتنوين . النشر (٢) / ٢٨٩ - ٢٩٠) وإتحاف الفضلاء (٤١٧) .

(٢) والرس في اللغة: هو البئر المطوية بالحجارة . لسان العرب (رسس) .

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» .

﴿وقرونا بين ذلك كثيراً﴾ أي: وأهلكنا قروناً يعني: أمماً. قال قتادة: القرن: سبعون سنة^(١) ﴿وكللاً﴾ يعني: من ذكر ممن مضى (ل ٢٤٠) ﴿ضربنا به الأمثال﴾ أي: خوفناهم العذاب ﴿وكللاً تبرنا﴾ أهلكنا ﴿تتيراً﴾ إهلاكاً بتكذيبهم رسلهم .

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا السَّوَاءَ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَرْوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهْذًا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَن أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ ﴿٤٣﴾

﴿ولقد أنزلنا﴾ يعني: مشركي العرب ﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ يعني: قرية قوم لوط، ومطر السوء: الحجارة التي رُمي بها من السماء من كان خارجاً من المدينة، وأهل السفر منهم قال: ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ فيتفكروا ويحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم؛ أي: بلى قد أنزل عليها ورأوها. ﴿بل كانوا لا يرجون﴾ لا يخافون ﴿نشوراً﴾ بعثاً ولا حساباً.

﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ على عبادتها، قال الله: ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب﴾ إذ يرون العذاب في الآخرة ﴿من أضل سبيلاً﴾ أي: من كان أضل سبيلاً في الدنيا؛ أي: سيعلمون أنهم كانوا أضل سبيلاً من محمد ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾.

(١) وقيل: ثمانون سنة. وقيل: ثلاثون سنة. وقيل: مائة سنة. وقيل: غير ذلك. مختار الصحاح، المعجم الوسيط (قرن).

قال محمد: يقول: يتبع هواه ويدع الحق؛ فهو له كالإله ﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ حفيظاً تحفظ عليه عمله حتى تجازيه به؛ أي: أنك لست برب، إنما أنت نذير.

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٤٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُنْخِشَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُشْفِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾

﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾ يعني: جماعة المشركين ﴿إن هم إلا كالأنعام﴾ فيما يعبدونه ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ يعني: أخطأ طريقاً ﴿ألم تر إلى ربك كيف مَدَّ الظل﴾ مَدَّه من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ أي: دائماً لا يزول ﴿ثم جعلنا الشمس عليه﴾ أي: على الظل ﴿دليلاً﴾ أي: تتلوه وتتبعه حتى تأتي عليه [كله] ^(١) ﴿ثم قبضناه﴾ يعني: الظل ﴿إلينا قبضاً يسيراً﴾ أي: يسيراً علينا ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾ يعني: سكتاً يسكن فيه الخلق ﴿والنوم سباتاً﴾ يسبت النائم حتى لا يعقل. قال محمد: أصل السَّبْتِ: الراحة ^(٢).

﴿وجعل النهار نشوراً﴾ ينشر فيه الخلق لمعايشهم وحوائجهم ﴿وهو الذي

(١) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وكذلك السَّبات، ويجمع السَّبْتُ على سُبُوت، وأسبُت. لسان العرب (سبت).

أرسل الرياح نُشْرًا^(١) بين يدي رحمته ﴿يعني: المطر.

قال محمد: (نُشْرًا) بالضم جمع: نُشُور؛ مثل: رُسُول ورُسُل^(٢).

﴿وأنزلنا من السماء ماء﴾ يعني: المطر ﴿طهّورًا﴾ للمؤمنين يتطهرون به من الأحداث والجنابة ﴿لنحيي به بلدة ميتًا﴾ يعني: اليابس التي لا نبات فيها.

قال محمد: (ميتًا) ولفظ (البلدة) مؤنث؛ لأن معنى البلد والبلدة واحد^(٣).

﴿ونسقيه مما خلقنا أنعامًا وأناسي كثيرًا﴾

قال محمد: (أناسي) جمع إنسي؛ مثل: كرسي وكراسي^(٤).

﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآيَةَ أَكْثَرِ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي

كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعَ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ

الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾

﴿ولقد صرفناه بينهم﴾ أي: قسمناه؛ يعني: المطر؛ مرة لهذه البلدة، ومرة

لبلدة أخرى ﴿ليذكروا﴾ بهذا المطر؛ فيعلموا أن الذي أنزل من المطر الذي

(١) هكذا في الأصل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ونافع، ويؤيد هذه القراءة (نُشْرًا) بضم النون والشين ما ورد بعدها من قول محمد. ويحتمل أن تكون القراءة (نُشْرًا) بضم النون وإسكان الشين؛ لأن رسول يجمع على رسل ورُسُل؛ بضم السين وإسكانها، وهذه قراءة ابن عامر. وكذلك القول في آية الأعراف: ٥٧.

(٢) ومفرد (نُشْرًا): نُشْر ونَاشِر؛ مثل شاهد وشهد وشهود. ينظر لسان العرب (نُشْر).

(٣) الدر المصون (٢٥٧/٥) وقد تقدم مثل هذا.

(٤) والإنسي نسبة إلى الإنس، وهو أيضًا واحد الإنس. لسان العرب (أنس).

يعيش به الخلق، وينبت به النبات في الأرض اليابسة - قادر على أن يحيي الموتى ﴿فأبى أكثر الناس إلا كفوراً﴾ قال سفيان الثوري: يقولون: مُطَرْنَا بنوء كذا.

﴿ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً﴾ رسولاً ﴿فلا تطع الكافرين﴾ فيما ينهونك عنه من طاعة الله ﴿وجاهدكم به﴾ بالقرآن، وهذا الجهاد باللسان من قبل أن يؤمر بقتالهم .

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أي: أفاض أحدهما في الآخر ﴿هذا عذب فرات﴾ أي: حلوة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي: مرٌّ ﴿وجعل بينهما برزخاً﴾ أي: حاجزاً لا يرى؛ لا يغلب المالح على العذب، ولا العذب على المالح. ﴿وحجراً محجوراً﴾ حراماً محرماً أن يغلب أحدهما على الآخر^(١).

﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً﴾ خلق من النطفة إنساناً ﴿فجعل له نسباً وصهراً﴾ . . .

قال محمد: يعني: قرابة النسب وقرابة النكاح.

﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ أي: عويئاً؛ يقول: يظهر الشيطان على ترك أمر ربه.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَيْنَا سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى

(١) الحجر - بضم الحاء وفتحها وكسرها -: الجرام، والكسر أفصح. لسان العرب (حجر).

عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسْتَلِ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾

﴿وما أرسلناك إلا مبشراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا ﴿قل لا أسألكم عليه﴾ على القرآن ﴿من أجرٍ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ يقول: إنما جئتكم بالقرآن ليتخذ به من آمن بربه سبيلاً بطاعته ﴿الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ أي: خبيراً [بالعباد] ^(١).

قال محمد: من قرأ (الرحمن) بالرفع ^(٢) فعلى الابتداء ^(٣) (والخبر) فاسأل به.

﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً﴾ أي: زادهم قولهم اسجدوا للرحمن ^(٤) (ل ٢٤١) نفوراً عن القرآن.

﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ (أي: نجومًا؛ يعني: نفسه جل وعز) ^(٤) ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ يعني: الشمس ﴿وقمراً منيراً﴾ مضيئاً ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً﴾ تفسير الحسن: يقول: من عجز في الليل كان له في النهار مستعتب، ومن عجز في

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وهي قراءة العامة، وقرأ زيد بن علي بالجر. ينظر: البحر (٥٠٨/٦)، الكشاف (٩٨/٣).

(٣) ينظر: البحر (٥٠٨/٦)، مجمع البيان (٢٠٧/٢)، الدر المصون (٢٦٠/٥).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

النهار كان له في الليل مستعتب.

قال محمد: قوله: ﴿خَلْفَهُ﴾ يعني: يخلف هذا هذا، ومثله قول زهير:

بِهَا الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْتَمٍ^(١)

الريم: ولد الطيبي، وجمعه: آرام^(٢)، يقول: إذا ذهب فوج جاء فوج.

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا

﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا

عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ

إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا﴾ تفسير الحسن: مدح

الله المؤمنين وذم المشركين؛ فقال: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على

الأرض هونًا﴾ أي: حلمًا، يعني: المؤمنين، وأنتم أيها المشركون لستم

بحلماء، والهون في كلام العرب: اللين والسكينة^(٣).

﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾ تفسير مجاهد قالوا: سدادًا

﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ يعني: يصلون، وأنتم أيها المشركون لا

تصلون.

قال يحيى: بلغني أنه من صلى من الليل ركعتين، فهو من الذين يبيتون

لربهم سجداً وقياماً.

(١) البيت من بحر الطويل. ينظر ديوان زهير (١٠٣).

(٢) وأيضاً أَرَام. لسان العرب (رأَم).

(٣) لسان العرب (هون).

﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لزامًا.

قال محمد: الغرام في اللغة: أشد العذاب، ومنه قولهم: فلان مغرم بالنساء؛ أي: مهلك بهن^(١).

﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ أي: بشس المستقر هي والمنزل.

قال محمد: (مستقرًا ومقامًا) منصوبان على التمييز؛ المعنى: أنها ساءت في المستقر والمقام^(٢).

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ تفسير قتادة: الإسراف: النفقة في معصية الله، والإقتار: الإمساك عن حق الله.

﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ وهذه نفقة الرجل على أهله.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾﴾

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ أي: لا يعبدون ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ قال الحسن: خاف قوم أن يؤخذوا بما عملوا في الجاهلية؛ فأتوا رسول الله وذكروا الفواحش، وقالوا: قد قتلنا وفعلنا؛ فنزل الله ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ﴾ أي: لا يعبدون ﴿مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ يعني:

(١) لسان العرب (غرم).

(٢) ينظر: الدر المصون (٢٦٣/٥)، البحر (٥١٤/٦).

بعد إسلامهم ﴿ولا يزنون﴾ يعني: بعد إسلامهم ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثامًا﴾ قال قتادة: يعني: نكالًا ﴿يضاعف له العذاب﴾.

قال محمد: تأويل الأثام في اللغة: المجازاة على الشيء، يقال: قد لقي أثام ذلك؛ أي جزاء ذلك، ومن قرأ ﴿يضاعف له العذاب﴾ بالجزم فلأن مضاعفة العذاب لقي الأثام. ومن قرأ: (يضاعف)^(١) بالرفع فعلى معنى التفسير؛ كأن قائلًا قال: ما لقي الأثام، فقل: يضاعف للأثم العذاب . .
﴿إلا من تاب وعمل صالحًا﴾ قال قتادة: ﴿إلا من تاب﴾ أي: رجع من ذنبه ﴿وآمن﴾ بربه ﴿وعمل صالحًا﴾ فيما بينه وبين الله ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ فأما التبديل في الدنيا: فطاعة الله بعد عصيانه، وذكر الله بعد نسيانه ﴿ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى الله متابًا﴾ أي: يقبل توبته إذا تاب قبل الموت .

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فَرَّةً أُغْنِ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۖ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۖ﴾

﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ الشرك ﴿وإذا مروا باللغو﴾ الباطل وهو ما فيه المشركون ﴿مروا كرامًا﴾ أي: ليسوا من أهله ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾ يعني: القرآن ﴿لم يخرؤا عليها صمًّا وعميانًا﴾ أي: لم يصموا عنها،

(١) قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع الفاء، وقرأ الباقون بجزمها. النشر (٢/ ٣٣٤)، واتحاف الفضلاء (٤١٨ - ٤١٩).

ولم يعمّوا عنها .

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ أي: يرونهم مطيعين لله ﴿واجعلنا للمتقين إماما﴾ يؤتم بنا في الخير . ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾ كقوله: ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾^(١) . ﴿ويلقون فيها تحيةً وسلاماً﴾ التحية: السلام.

﴿قل ما يعبؤا بكم﴾ ما يفعل بكم ﴿ربي لولا دعاؤكم﴾ لولا توحيدكم ﴿فقد كذبتهم﴾ يعني: المشركين ﴿فسوف يكون لزاماً﴾ أي: أخذاً بالعذاب يعدهم يوم بدر؛ فالزمهم الله يوم بدر عقوبة كفرهم وتكذيبهم فعذبهم بالسيف.



(٢٤٢ل) تفسير سورة طسم الشعراء
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسّر﴾ (١) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢) لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣) إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٤) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٥) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٦) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَّمْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زوجٍ كَرِيمٍ (٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

قوله: ﴿طسم﴾ قال الحسن: لا أدري ما تفسيرها، غير أن قومًا من السلف كانوا يقولون فيها: أسماء السور وفواتحها ﴿تلك آيات الكتاب﴾ هذه آيات القرآن ﴿المبين﴾ البين ﴿لعلك باخع نفسك﴾ أي: قاتل نفسك إن لم يؤمنوا بهذا القرآن؛ أي: فلا تفعل ﴿إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم﴾ يعني: فصارت أعناقهم ﴿لها خاضعين﴾ قال مجاهد: وذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بآية، فهذا جواب لقولهم.

قال محمد: (فظلت) معناه: فتظل أعناقهم؛ لأن الجزاء يقع فيه لفظ الماضي في معنى المستقبل؛ تقول: إن تأتني أكرمتك؛ معناه: أكرمك^(١). ﴿وما يأتيهم من ذكر﴾ يعني: القرآن ﴿من الرحمن محدث إلا كانوا عنه

(١) ينظر معاني القرآن للفراء (٢/٢٧٦-٢٧٧)، البحر (٧/٥-٦) مجمع البيان (٤/١٨٤).

(١) قرأ العامة بالرفع، وقرأ بالنصب يعقوب والأعرج وطلحة وغيرهم. ينظر البحر (٧/٧)، النشر (٣٣٥/٢)، الإملاء (٩٠/٢).

ولا ينطلق لساني.

قال محمد: ومن قرأهما بالرفع فعلى الابتداء^(١).

﴿فأرسل إلى هارون﴾ [كقوله]^(٢) ﴿وأشركه في أمري﴾ ﴿ولهم عليّ ذنب﴾ أي: ولهم عندي؛ يعني: القبطي الذي قتله خطأ حيث وكزه، قال الله: ﴿كلا﴾ أي: ليسوا بالذين يصلون إلى قتلك؛ حتى تبلغ عني الرسالة؛ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿فأذهباً بآياتنا إنا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين﴾ يقوله لموسى وهارون، وهي كلمة من كلام العرب، يقول الرجل للرجل: من كان رسولك إلى فلان؟ فيقول: فلان، وفلان، وفلان.

قال محمد: الرسول قد يكون بمعنى الجميع؛ وإلى هذا ذهب يحيى، وقد يكون أيضاً بمعنى الرسالة^(٣)؛ ومنه قول الشاعر:

لقد كَذَّبَ الْوَأَشُونَ مَا فَهَتْ عِنْدَهُمْ بسوءٍ ولا أَرْسَلْتَهُمْ بِرَسُولٍ^(٤)

أي: برسالة؛ فمن تأول: (إنا رسول) على معنى: رسالة، يقول: المعنى: إنا ذوّا رسالة رب العالمين.

﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ فلا تمنعهم من الإيمان، ولا تأخذ منهم الجزية ﴿قال ألم نربك فينا وليدا﴾ أي: عندنا صغيراً.

(١) البحر (٧/٧-٨)، مجمع البيان (٤/١٨٦)، القرطبي (١٣/٩٢).

(٢) من «ر»، والآية من سورة طه، رقم: ٣٢.

(٣) ينظر لسان العرب (رسل).

(٤) البيت من بحر الطويل، وهو لكثير عزة. ويروى... (ما بُخِت)... إلخ. بدل (ما فهت).

ويروى (بسر) بدل (بسوء). ينظر ديوانه (١١٠)، واللسان (رسل). وروي فيه (بليلى) بدل

(بسر)، وفي الديوان (برسيل) مكان (برسول).

قال ابن عباس: لما دخل موسى على فرعون عرفه عدو الله، فقال: ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين لم تدع هذه النبوة.

﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٩) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ

﴿٢٠﴾ فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا

عَلَى أَنْ عَبَّدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ يعني: وقتلت النفس التي قتلت.

قال محمد: الأجود في القراءة والأكثر: (وفعلت فعلتك) بفتح الفاء^(١)؛

لأنه يريد: قتلت النفس قتلتك؛ على مذهب المرأة الواحدة^(٢).

﴿وأنت من الكافرين﴾ يعني: لنعمتنا، أي: إنا ربيناك صغيراً، وأحسناً

إليك ﴿قال فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾ (ل٢٤٣) تفسير قتادة: يعني: من

الجاهلين، وكذلك هي في بعض القراءة^(٣) ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ يعني:

النبوة ﴿وجعلني من المرسلين وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾

موسى يقوله لفرعون، أراد: ألا يسوغ عدو الله ما امتن به عليه؛ يقول: أتمنئ

علي بأن اتخذت قومي عبيداً وكانوا أحراراً، وأخذت أموالهم فأنفقت علي

منها وربيتني بها، فأنا أحق بأموال قومي منك.

قال محمد: قوله: ﴿عبدت﴾ يقال منه: عبدت معبداً ومُسْتَعْبِداً، وعبدتُ

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ الشعبي بكسر الفاء. ينظر: البحر (١٠/٧)، المحتسب (١٢٧/٢)، الجامع للقرطبي (٩٤/١٣).

(٢) أي: اسم المرأة. ينظر الدر المصون (٢٧٠/٥).

(٣) وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس. ينظر البحر (١١/٧) معاني القرآن للفراء (٢٧٩/٢)، جامع القرطبي (٩٥/١٣).

الغلام وأعبده؛ أي: اتخذته عبداً^(١). وقال حاتم^(٢):

إِذَا كَانَ بَعْضُ الْمَالِ رَبًّا لِأَهْلِهِ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ مَالِي مُعَبَّدٌ^(٣)

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٣) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَعِينُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ أَلَدَىٰ أَرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ بِالْغَلِيظِ لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْكَ رِشْيٌ مِّمَّنْ ﴿٣٠﴾ قَالَ قَاتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَّبِعْ فِي الدُّنْيَا حَشِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تُؤَلُّوكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِيَقْتُلَ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَبْجُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَىٰ

(١) لسان العرب (عبد).

(٢) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي القحطاني أبو عدي شاعر جاهلي، فارسي جواد، يضرب به المثل في الجود، توفي حوالي (٤٦ق هـ) ينظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (١٥١/٢)

(٣) ينظر: ديوانه (ص ١٤)، والأغاني (١٧/٣٨٧).

السَّحَرَةُ سَجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَاِبِرٌ مِمَّنْ عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَئِنْ لَمْ تُخَفُوا لَأُفْطِنَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

قوله: ﴿قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم﴾ فيما يدعي ﴿لمجنون﴾.

﴿فألقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين...﴾ إلى قوله: ﴿ولأصلبناكم أجمعين﴾ قد مضى تفسير قصتهم في سورة الأعراف^(١) ﴿قالوا لا ضير لنا لا ضير لنا﴾.

قال محمد: ﴿لا ضير﴾ وهو من: ضاره يضوره ويضيره؛ بمعنى: ضره؛ أي: لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا^(٢).

﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا﴾ بأن كنا ﴿أول المؤمنين﴾ من السحرة.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِتَّكِرَ مْتَّبِعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْنَا فِي الْمَلَأَيْنِ فَخَرَيْنِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَغَايَطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَادِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَعْمَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾

(١) الأعراف: ١٢٣ - ١٢٧.

(٢) لسان العرب (ضور).

فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
وَأَرْلَفْنَا نَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَبْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾ أي: يتبعكم فرعون وقومه ﴿إن هؤلاء لشرزمة قليلون﴾ أي: هم قليل في كثير.
قال محمد: معنى ﴿شرزمة﴾: طائفة، وأصل الكلمة: القِلَّةُ^(١).

قال قتادة: ذكر لنا أن بني إسرائيل الذين قطع موسى بهم البحر كانوا ستمائة ألف مقاتل.

قال الحسن: سوى الحشم. وكان مقدمة فرعون ألف ألف حصان، ومائتي ألف حصان ﴿وإنهم لنا لغائظون وإننا لجمع حذرون^(٢)﴾ وتقرأ: ﴿حاذرون﴾.
قال محمد: والحاذر عند أهل اللغة: المستعد، والحذر: المتيقظ^(٣).

﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز﴾ أي: أموال ﴿ومقام كريم﴾ منزل حسن ﴿كذلك﴾ أي: هكذا كان الخبر. ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿وأورثناها بني إسرائيل﴾ رجعوا إلى مصر بعد ما أهلك الله فرعون وقومه؛ في تفسير الحسن ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾ يعني: حين أشرقت الشمس؛ رجع إلى أول القصة.

(١) أي الجماعة القليلة، والجمع: شراذم. لسان العرب (شرذم).

(٢) وهي قراءة ابن عامر، ونافع، وأبي عمرو، وابن كثير. وقرأ الباقون (حاذرون).

ينظر: السبعة (٤٧١)، النشر (٢٣٥/٢)، التيسير (١٦٥).

(٣) ويقال أيضاً: رجل حذر وحاذرة؛ أي: متيقظ. لسان العرب (حذر).

قال محمد: معنى ﴿اتَّبِعُوهُمْ﴾: لحقوهم^(١)، ويقال: أشرقنا؛ أي: دخلنا في الشروق؛ كما يقال: أمسينا وأصبحنا: دخلنا في المساء والصباح، ويقال: شَرَقَتِ الشمس إذا طلعت، وأشرقَت إذا أضاءت وصَفَّت^(٢).

﴿فلما تراءى الجمعان﴾ جمع موسى وجمع فرعون ﴿قال أصحاب موسى إنا لمدركون﴾ ﴿قال﴾ موسى ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ إلى الطريق ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر﴾ جاء جبريل على فرس، فأمره أن يضرب البحر بعصاه؛ فضربه ﴿فانفلق﴾ البحر ﴿فكان كل فرق كالطود العظيم﴾ والطُودُ: الجبل^(٣).

قال قتادة: صار اثني عشر طريقًا لكل سَبِطٍ طريق، وصار ما بين كل طريقين منه مثل القناطير ينظر بعضهم إلى بعض ﴿وأزلفنا ثَمَّ الآخرين﴾ قال قتادة: يقول: أَذْنَيْتَنَا فرعون وجنوده إلى البحر. قال قتادة^(٤): يقال: أزلفني كذا؛ أي: أدناني منه^(٥) ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّعِبْرَةٍ لِّمَنۢ يَعْتَبِرْ وَحَذِرَ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ مَا نَزَلَ بِهِمْ

﴿وَأَنۢزَلۡنَا عَلَیۡهِمۡ بَنَآءَ إِبْرَهِیمَ﴾ ﴿٦٩﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبْنِیۡهِ وَقَوْمِہٖ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلۡنَا عَلَیۡكُمۡ فَنَظَّلَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسْمَعُونَکُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٧﴾ أَوْ یَفْعَلُونَکُمۡ أَوْ یَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلۡ وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا کَذَٰلِکَ یَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَیۡتُمۡ مَا کُنتُمۡ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَاٰبَاؤُکُمۡ

(١) لسان العرب (تبع).

(٢) ينظر ذلك كله من لسان العرب (شرق).

(٣) أي: الجبل العظيم الذاهب ضَعْدًا في الجو، ويشبه به غيره من كل مرتفع أو عظيم أو راسخ، والجمع: أطواد، وطَوْدَة. لسان العرب (طود).

(٤) في «ر»: محمد.

(٥) ينظر لسان العرب (زلف).

الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ
يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾
وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقْنِي
بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

﴿ فنظّل لها عاكفين ﴾ أي: نصير مقيمين على عبادتها.

﴿ قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون ﴾ أي: أنها لا
تسمع ولا تنفع ولا تضر ﴿ فإنهم عدوٌ لي إلا رب العالمين ﴾ أي: إلا من عبد
رب العالمين من آبائكم الأولين؛ فإنه ليس لي بعدو؛ هذا تفسير الحسن
﴿ الذي خلّقي فهو يهدين ﴾ يعني: الذي خلّقي وهداني ﴿ والذي أطمع ﴾
وهذا طمع يقين ﴿ أن يغفر لي خطيئتي ﴾ يعني: قوله: ﴿ إني سقيم ﴾ ^(١) وقوله:
﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ ^(٢) وقوله لسارة: إن سألوك فقلولي أنك أختي ﴿ يوم
الدين ﴾ يريد: يدين الله الناس فيه بأعمالهم (ل ٢٤٤) أي: يجازيهم ﴿ رب
هب لي حكماً ﴾ أي: ثبتني على النبوة ﴿ وألحقني بالصالحين ﴾ يعني أهل
الجنة.

﴿ وَاجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْ لِّي مِنْ وَرَثَةٍ جَنَّةَ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِي
إِنَّكَ كَانَتْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى
اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَزَلَفْتُ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزْتُ الْجَحِيمَ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا
كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكَبَّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾

(١) الصافات: ٨٩.

(٢) الأنبياء: ٦٣.

وَجُنُودٌ إِبِلَيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَأْتُوهُمُ الْغُلَامُ يَمْشُونَ عَلَى الْأَعْقَابِ ﴿٩٧﴾ وَإِذْ تُسَوِّدُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتُخَرِّقُ فِيهَا أَلْسِنًا كَمَا كُنَّا كَاذِبِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ فليس من أهل دين إلا وهم يتولّونه ويحبّونه ﴿واجعلني من ورثة جنة النعيم﴾ وهو اسم من أسماء الجنة.

﴿واغفر لأبي إنه كان من الضالين﴾ قال هذا في حياة أبيه، وكان في طمع من أن يؤمن، فلما تبين له أنه من أهل النار لم يدع له ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ من الشرك.

﴿وأزلفت الجنة﴾ أي: أدنيت ﴿وبُرزت الجحيم﴾ أظهرت ﴿للالغاوين﴾ للمشركين.

﴿وقيل لهم﴾^(١) أين ما كنتم تعبدون من دون الله؟ يعني: الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة من عبدوا من دون الله ﴿هل ينصرونكم﴾ يعني: هل يمنعونكم من عذاب الله؟ ﴿أو يتصرون﴾ يمتنعون.

﴿فككبوا فيها﴾ أي: قذفوا فيها؛ يعني: المشركين ﴿هم والغاوون﴾ يعني: الشياطين.

قال محمد: ﴿فككبوا﴾ أصله: كَبَّوْا؛ من قولك: كَبَّيتَ الإِنَاءَ، فأبدل من الباء الوُسْطى كافًا؛ استِثْقَالًا لاجتماع ثلاث باءات^(٢).

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل.

(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥/٢٨٠).

﴿قالوا﴾ قال المشركون للشياطين ﴿وهم فيها يختصمون﴾ وخصومتهم تبرؤ بعضهم من بعض، ولعن بعضهم بعضاً ﴿تالله إن كنا﴾ في الدنيا. أي: لقد كنا في الدنيا ﴿لفي ضلالٍ مبين﴾ بين.

﴿إذ نسويكم رب العالمين﴾ أي: نتخذكم آلهة ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾ يعني: الشياطين ﴿فما لنا من شافعين﴾ يشفعون لنا اليوم عند الله ﴿ولا صديق حميم﴾ قريب القرابة، فيحمل عنا؛ كما كان يحمل الحميم عن حميمه في الدنيا؛ قالوا هذا حين شُفِعَ للمذنبين من المؤمنين؛ فأخرجوا منها ﴿فلو أن لنا كرة﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فנקون من المؤمنين﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١١٥ ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نُنْفِقُونَ﴾ ١١٦ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ ١١٧ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١١٨ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١١٩ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ١٢٠ ﴿قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ ١٢١ ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٢٢ ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ ١٢٣ ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٢٤ ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ١٢٥ ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ ١٢٦ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾ ١٢٧ ﴿فَأَفْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجَّيْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٢٨ ﴿فَأَلْبَسْنَاهُ مِن مَّعْوٍ فِي الْفُلِّ﴾ ١٢٩ ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ ١٣٠ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٣١ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١٣٢

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ يعني: نوحاً ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾ أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين.

﴿وما أسألكم عليه﴾ على ما جئتكم به من الهدى ﴿أجراً﴾.

﴿إن أجري﴾ ثوابي ﴿إلا على رب العالمين﴾.

﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ يعني: السَّفَلَةُ ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بما يعملون، إنما نقبل منهم الظاهر، وليس لي بباطن أمرهم علم.

﴿قَالُوا لئن لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ قال قتادة: يعني: بالحجارة فلنقتلنك بها ﴿فافتح بيني وبينهم فتحاً﴾ أي: اقض بيني وبينهم قضاء؛ وهذا حين أُمِر بالدعاء عليهم، فاستجيب له فأهلكهم الله.

﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَانْقَبُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى رِبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَانْقَبُوا لِلَّهِ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَانْقَبُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَحَنْتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٣﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٤﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٥﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٩﴾ ﴿أَتَبْنُونَ﴾ على الاستفهام؛ أي: قد فعلتم ﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ بكل فج ﴿آيَةً﴾ أي: علماً ﴿تَعْبَثُونَ﴾ أي: تلعبون.

قال محمد: الريع: الارتفاع من الأرض^(١).

قال الشماخ^(٢):

(١) وقيل: المرتفع من الأرض. والجمع: رُيُوع وأزباع، ورياع. ينظر: لسان العرب (ريع).

(٢) هو الشماخ بن ضرار الذبياني من طبقة التابعة، كان من أرجز الناس على البديهة (ق ٢٢هـ) تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (١٧٥/٣).

سقى دار سغدى حيث شط بها النوى فأنعم منها كل ربيع وفدقد^(١)
 قوله: ﴿وتتخذون مصانع﴾ يعني: القصور؛ ويقال: مصانع (للماء)^(٢)
 ﴿لعلكم تخلدون﴾ في الدنيا؛ أي: لا تخلدون فيها، وفي بعض القراءة
 (كأنكم خالدون)^(٣).

﴿وإذا بطشتم﴾ بالمؤمنين ﴿بطشتم جبارين﴾ يعني: قتالين بغير حق .
 ﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾ يقول: خلّقه الكذب، وتقرأ: إن هذا إلا
 (خلق الأولين)^(٤) أي: هكذا كان الخلق قبلنا ونحن مثلهم، عاشوا ما عاشوا،
 ثم ماتوا ولا بعث عليهم ولا حساب .

﴿كَذَبَتْ نَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿أَلَا تُنْقَوْنَ﴾ ﴿١٤٢﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ﴾
 أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾
 أَتُزَكُّونَ فِي مَا هُمْ بِأَمِينٍ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُورِعَ وَنَخْلٍ فَلَمَّا
 هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنَجَّيْتُمْ مِنَ الْجِبَالِ يَوْمَاقٍ فَهَيْهَاتَ ﴿١٤٩﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَاطِيعُونَ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا
 أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾
 مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّمَّا
 شَرِبْتُ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمَ مَقْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا يَسُوءَ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾

(١) لم أجده في ديوان السماخ، والبيت من بحر الطويل.

(٢) في «ر»: مصانع لها.

(٣) هي ليست منسوبة إلى قارئ فيما وقفت عليه من مصادر، ينظر: البحر (٣٢/٧)، جامع
 القرطبي (١٢٤/١٣).

(٤) بفتح الخاء وإسكان اللام من (خلق)، وهي قراءة أبي عمرو، وابن كثير، والكسائي. ينظر:
 السبعة (٤٧٢)، التيسير (١٦٦)، النشر (٣٣٥/٢).

فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

﴿أتركون فيما ها هنا آمنين﴾ على الاستفهام؛ أي: لا تتركون فيه ﴿ونخل طلعها هضيم﴾ هسيم؛ أي: إذا مُسَّ تهشم للينه^(١)؛ هذا تفسير مجاهد ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ قال مجاهد: يعني: شرهين وهو من شَرِه النَّفْس ﴿إنما أنت من المسحَّرين﴾ تفسير الحسن ومجاهد: يعني: من المسحورين.

قال محمد: كأنه فُعِلَ ذلك به مرة بعد مرة، ولذلك شُدِّدَ^(٢).

﴿ما أنت إلا بشرٌ مثلنا فاتِ بآية إن كنت من الصادقين﴾ قالوا له: إن كنت صادقاً فأخرج لنا من هذه الصخرة ناقةً، وكانت صخرة يحلبون عليها اللبن في ستهم؛ فدعا الله فتصدَّعت الصخرة (٢٤٥٧) فخرجت منها ناقة عُشراء فتجت فصيلاً.

قال محمد: (عُشراء) يعني: حاملاً قرية الولادة^(٣).

﴿قال هذه ناقة لها شربٌ ولكم شرب يوم معلوم﴾ كانت تشرب الماء يوماً ويشربونه يوماً؛ حتى إذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله، وإذا كان يوم شربهم كان لأنفسهم ومواشيهم وأرضهم، وكان سبب عقرهم إياها: كانت تضر بمواشيهم كانت المواشي إذا رأتها هربت منها؛ فإذا كان الصَّيْف صافت الناقة بظهر الوادي في برده وخصبه، وهبطت مواشيهم إلى بطن الوادي في جذبه

(١) لسان العرب (هضم).

(٢) يقال: سَحَّرَ فلاناً: أي: سحره مرة بعد مرة حتى تخبِّل عقله. لسان العرب (سحر).

(٣) وقيل: العُشراء: ما مضى على حملها عشرة أشهر. والجمع: عُشار. لسان العرب (عشر).

وحزّه، وإذا كان الشتاء شتّت الناقة في بطن الوادي في دفته وخصبه، وصعدت مواشيتهم إلى ظهر الوادي في جذبه وبزده؛ حتى أضرب ذلك بمواشيتهم للأمر الذي أراد الله، فبينما قوم منهم يوماً يشربون الخمر، ففني الماء الذي يمزجون به، فبعثوا رجلاً؛ ليأتيهم بالماء، وكان يوم شرب الناقة فرجع إليهم بغير ماء، وقال: حالت الناقة بيني وبين الماء! ثم بعثوا آخر؛ فقال مثل ذلك. فقال بعضهم لبعض: ما تنتظرون؟ فقد أضربت بنا وبمواشينا؟! فانبعث أشقاها فقتلها، وتصايحوا وقالوا: عليكم الفصيل^(١). وصعد الفصيل الجبل فقال لهم صالح: ﴿تمتعوا في داركم ثلاثة أيام﴾^(٢).

قال قتادة: ذكر لنا أن صالحاً حين أخبرهم أن العذاب يأتيهم لبسوا الأنطاع^(٣) والأكسية واطلّوا^(٤)، وقال لهم: آية ذلك أن تصفرّ وجوهكم في اليوم الأول، وتحمرّ في الثاني، وتسودّ في اليوم الثالث. فلما كان في اليوم الثالث استقبل الفصيل القبلة، فقال: يا رب، أمي! يا رب، أمي! يا رب، أمي! فأرسل الله عليهم العذاب عند ذلك.

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

(١) المراد: ولد الناقة. لسان العرب (فصل).

(٢) هود: ٦٥.

(٣) واحدها: نطع - بفتح النون وكسرهما، وبإسكان الطاء وفتحها وكسرهما؛ لغات فيه - وهو بساط من الجلد، وهو أيضاً نوع من الأكسية ويجمع على: أنطاع ونطوع وأنطع. لسان العرب (نطع).

(٤) أي: أدهنوا. لسان العرب (طلى).

عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَه يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

قوله: ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾ يعني: أقبال^(١) النساء ﴿بل أنتم قوم عادون﴾ أي: مجاوزون لأمر الله ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ من قريتنا؛ أي: نقتلك ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ يعني: المبغضين ﴿إلا عجوزًا في الغابرين﴾ يعني: الباقيين في عذاب الله .

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نَنْقُوْنَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾

﴿كذب أصحاب لكة المرسلين﴾ والأليكة: الغنضة^(٢).

قال محمد: قراءة أهل المدينة في هذه السورة، وفي سورة «ص»^(٣) بغير ألف، وقد ذكرت ما قاله أبو عبيد^(٤) في الفرق، بين لكة والأليكة في

(١) أي: فروجهن، الواحد: قُبْل. لسان العرب (قبل).

(٢) وهي الشجر الكثير الملتف، والجمع: أَيْك. لسان العرب (أيك).

(٣) ص: ١٣ .

(٤) كذا في الأصل وفيما تقدم في تفسير سورة الحجر، وفي «ر» هنا: أبو عبيدة .

سورة الحجر (١).

﴿أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين﴾ يعني: المتقصين لحقوق الناس
 ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾ يعني: العدل ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾
 أي: لا تنقصوهم الذي لهم، وكانوا أصحاب نقصان في الميزان ﴿ولا تعثوا
 في الأرض مفسدين﴾ قد مضى تفسيره (٢).

﴿وَاتَّقُوا الَّذِيَ خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ الْأُولَى﴾ (١٨٦) ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (١٨٥) ﴿وَمَا أَنْتَ
 إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ نُنْظِنُكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾ (١٨٦) ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنْ
 الصَّادِقِينَ﴾ (١٨٧) ﴿قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١٨٨) ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ
 عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (١٨٩) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٩٠) ﴿وَلِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (١٩١)

﴿واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولى﴾ يعني: الخليفة ﴿فأسقط علينا
 كسفاً من السماء﴾ أي: قطعاً ﴿فأخذهم عذابٌ يوم الظلة﴾ قال قتادة: كانوا
 أهل غيضة وشجر، وكان أكثر شجرهم الدوم (٣)، فسلط الله عليهم الحر سبعة
 أيام، فكان لا يكتئهم (٤) ظلٌّ، ولا ينفعهم منه شيء، فبعث الله عليهم سحابة

(١) عند تفسير الآية ٧٨ وقد ذكر الألوسي (١١٧/١٩) أن أبا عبيدة قال: وجدنا في بعض كتب
 التفسير أن (ليكة) اسم للقرية، و(الأيكة) البلاد كلها كمكة وبكة. وقد قرأ نافع وابن كثير
 وابن عامر: (ليكة)، وقرأ الباقون: (الأيكة). ينظر: السبعة (٤٧٣)، النشر (٣٣٦/٢) وقد
 سبق التعليق على هذه القراءة.

(٢) البقرة: ٦٠، والأعراف: ٧٤، وهود: ٨٥.

(٣) وهو شجر عظام من الفصيلة النخيلية، ويعرف بالمفل والأبلم، وثمرته في غلط التفاحة ذات
 قشر صلب أحمر. المعجم الوسيط (دوم).

(٤) لا يستريحهم ولا يحفظهم. المعجم الوسيط (كن).

فلجئوا تحتها يلتمسون الرُّوح؛ فجعلها الله عليهم عذاباً، جعل تلك السحابة ناراً، فاضطربت عليهم، فأهلكهم بذلك.

﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٧﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٨﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٩﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٢٠٠﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠١﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ مَالِيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٠٢﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٠٣﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٤﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٥﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠٦﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٧﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٨﴾ أَفِعْدَايَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٩﴾﴾

﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني: القرآن ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ يعني: جبريل ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يا محمد ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبْرِ الْأَوَّلِينَ﴾ كُتِبَ الْأَوَّلِينَ؛ يقول: نعت محمد وأُمته في كتبهم؛ يعني: التوراة والإنجيل ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ مَالِيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ يعني: من آمن منهم؛ أي: قد كان لهم في إيمانهم به آية.

(يكن) تقرأ بالتاء والياء^(١). فمن قرأها بالتاء، قال: (آية) بالرفع؛ أي: قد كانت لهم آية، ومن جعلها عملاً في باب كان^(٢).

قال محمد: من قرأ: (آية) بالنصب، جعلها عملاً لكان، والاسم (أن

(١) قرأ بالتاء ورفع (آية): ابن عامر، وقرأ الباقون بالياء ونصب (آية)، وعليها التلاوة في المصحف. ينظر: السبعة (٤٧٣)، النشر (٣٣٦/٢)، التيسير (١٦٦)، البحر (٤١/٧).

(٢) ينظر التفصيل النحوي لذلك من إعراب القرآن (٥٠١/٢)، البحر (٤١/٧)، مجمع البيان (٢٠٣/٤).

يعلمه) (ل٢٤٦) ومن قرأ ﴿آية﴾ بالرفع جعلها اسمًا لكان و (أن يعلمه) خبرها وعملها، وهذا الذي أراد يحيى.

﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾ يقول: لو أنزلناه بلسان أعجمي إذا لم يفقهوه.

قال محمد: الأعجمين جمع أعجم، والأثنى عجماء؛ يقال: رجل أعجم؛ إذا كانت في لسانه عجمة، وإن كان عربي اللسان^(١)، ورجل أعجمي إذا كان من العجم وإن كان فصيح اللسان^(٢).

﴿كذلك سلكناه﴾ أي: سلكننا التكذيب به ﴿في قلوب المجرمين﴾ المشركين ﴿لا يؤمنون به﴾ بالقرآن ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ يعني: قيام الساعة ﴿فيقولوا﴾ عند ذلك: ﴿هل نحن منظرون﴾ أي: مردودون إلى الدنيا فنؤمن ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾ أي: قد استعجلوا به.

﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرْنَاهَا وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلْنَا بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَبْغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّْي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ

(١) في «ر»: عربي النسب.

(٢) ينظر لسان العرب (عجم)، وكشف المشكلات (٢/٩٩٨).

السَّيِّعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٥﴾

﴿أفرايت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾ يعني: العذاب
﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يُمَتَّعون﴾.

﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ أي: إلا من بعد الحجّة والرسل
والإغذار ﴿ذكرى وما كنا ظالمين﴾ أي: ما كنا لنعذبهم إلا من بعد البيّنة
والحجّة.

قال محمد: ﴿ذكرى﴾ قد تكون نَصْبًا وتكون رفعًا، فالنَّصْبُ على المضدر
على معنى: ﴿إلا لها منذرون﴾؛ أي: مذكرون ذِكرًا، والرفع على معنى: إنذارنا
ذكرى؛ أي: تذكرة^(١)؛ يقال: ذكرته ذكرى بألف التانيث، وذِكرًا وتذكيرًا
وتذكرة^(٢).

﴿وما تنزلت به﴾ يعني: القرآن ﴿الشياطين وما ينبغي لهم﴾ أن ينزلوا به؛
أي: لا يستطيعون ذلك.

﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ وكانوا من قبل أن يبعث النبي يستمعون
أخبارًا من [أخبار]^(٣) السماء، فأما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن
يسمعه؛ فلما بُعث النبي ﷺ مُنعوا من تلك المقاعد التي كانوا يستمعون
فيها، إلا ما يسترق أحدهم فيرمى بالشهاب ﴿وانذر عشيرتَك الأقربين﴾ تفسير
الكلبي: «أن رسول الله ﷺ خرج حتى قام على الصفا وقريش في

(١) ينظر تفصيل ذلك من البحر المحيط (٧/٤٤ - ٤٥)، الدر المصون (٥/٢٩١).

(٢) إنما يقال: ذَكَرْتُهُ ذِكرى وذِكرًا وتذَكَرًا. ويقال: ذَكَرْتُهُ تذكيرًا وتذكرة. لسان العرب،
القاموس المحيط (ذكر).

(٣) من «ر».

المسجد، ثم نادى: يا صباحاه^(١)! ففرع الناس فخرجوا، فقالوا: ما لك يا ابن عبد المطلب؟! فقال: يا آل غالب. قالوا: هذه غالبٌ عندك. ثم نادى يا آل لؤي. ثم نادى يا آل مُرَّة. ثم نادى يا آل كعب. ثم نادى يا آل قصي. فقالت قريش: أنذر الرجل عشيرته الأقربين انظروا ماذا يريد، فقال له أبو لهب: هؤلاء عشيرتك قد حضروا فما تريد؟ فقال رسول الله: رأيتم لو أنذرتكم أن جيشاً يصبحونكم أصدقتموني؟ قالوا: نعم. قال: فإني أنذركم النار، وإني لا أملك لكم من الدنيا منفعة، ولا من الآخرة نصيباً، إلا أن تقولوا: لا إله إلا الله. فقال أبو لهب: تباً لك^(٢)! فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ ففترقت عنه قريش وقالوا: مجنونٌ يَهْذِي من أم رأسه^(٣).

﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ كقوله: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾^(٤).

قال محمد: من كلام العرب: اخفض جناحك؛ يعني: ألن جناحك^(٥).
﴿فإن عصوك﴾ يعني: المشركين ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾.

(١) هذه كلمة يقولها المستغيث، وأصلها إذا صاحوا للغارة؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح، ويسمون يوم الغارة يوم الصباح؛ فكان القائل: يا صباحاه يقول: قد غشنا العدو. وقيل: إن المتقاتلين كانوا إذا جاء الليل يرجعون عن القتال؛ فإذا عاد النهار عاودوه، فكانه يريد بقوله: يا صباحاه: قد جاء وقت الصباح، فتأهبوا للقتال. ينظر لسان العرب (صبح)، النهاية في غريب الحديث (٧/٣).

(٢) أي: خُسرانا وهَلَاكًا. لسان العرب (تب).

(٣) روى البخاري (٨/٣٦٠ رقم ٤٧٧٠) ومسلم (١/٢٠٢ رقم ٢٠٨) عن ابن عباس نحوه. وفي الباب عن غير واحد من الصحابة، انظر الدر المنثور (٥/١٠٤ - ١٠٦).

(٤) آل عمران: ١٥٩.

(٥) وتواضع لهم. لسان العرب (خفض).

﴿الذي يراك حين تقوم﴾ في الصلاة وَخَذَكَ ﴿وتقبلُكَ في الساجدين﴾
يعني: في صلاة الجماعة؛ في تفسير بعضهم .

﴿هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿٢٧١﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ
وَأَكْثَرَهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٧٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٧٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٧٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٧٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٧٧﴾
﴿هل أتيتكم﴾ ألا أتيتكم ﴿على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾
أثيم﴾ يعني: الكهنة ﴿يلقون السمع﴾ كانت الشياطين تصعد إلى السماء
تستمع، ثم تنزل إلى الكهنة فتخبرهم، فتحدث الكهنة بما تنزلت به الشياطين،
وتخلط به الكهنة كذبًا كثيرًا، فيحدثون به الناس، وأما ما كان من سمع
السماء، فيكون حقًا، و [أما] ^(١) ما [كان] ^(١) خلطوا به من الكذب يكون كذبًا
﴿وأكثرهم كاذبون﴾ يعني: جماعتهم ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ يعني:
الشياطين ﴿ألم تر أنهم في كل وادٍ﴾ أي: من أودية الكذب ﴿يهيمون﴾.
قال محمد: يعني: يذهبون.

﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال قتادة: (ل٢٤٧) يعني: يمدح قومًا
بباطل، ويذم قومًا بباطل، ثم استثنى فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا
الصلالحات﴾ .

قال قتادة: استثنى الله الشعراء من المؤمنين؛ منهم: حسان بن ثابت ^(٢)،

(١) من «ر».

(٢) هو شاعر الرسول ﷺ، أسلم بعد الهجرة، وعمر بعد وفاة النبي ﷺ وتوفي نحو سنة ٥٤ هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥١٢/٢) طبقات فحول الشعراء (٣١٥).

وعبد الله بن رواحة^(١) وكعب بن مالك^(٢) وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴿أي: انتصروا بالكلام؛ يعني: [هَجَّوْا]^(٣) عن نبي الله من بعد ما ظلمهم المشركون ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ أشركوا من الشعراء وغيرهم ﴿أي منقلبٍ ينقلبون﴾ من بين يدي الله يوم القيامة؛ أي: أنهم سينقلبون من بين يديه إلى النار.

قال محمد: ﴿أي﴾ بالنصب؛ لأنها من أسماء الاستفهام، لا يعمل فيها ما قبلها^(٤).



(١) هو أبو محمد عبد الله بن رواحة، الصحابي الفارس الشاعر أنصاري خزرجي، من المسلمين الأوائل. استشهد سنة ٨ هـ. ينظر الجرح والتعديل (٥٠/٥) حلية الأولياء (١١٨/١)، العبر للذهبي (٩/١) تهذيب التهذيب (٢١٢/٥).

(٢) وهو الأنصاري الخزرجي، أحد شعراء الرسول ﷺ ومن السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة، ومن الثلاثة المخلفين في تبوك الذين تاب الله عليهم وشهد مع رسول الله أكثر الوقائع. ينظر: شذرات الذهب (٥٦/١)، العبر (٥٦/١)، تهذيب التهذيب (٤٤٠/٨).

(٣) في الأصل (هاجوا)، وهو تحريف عن الصواب.

(٤) ينظر: إعراب القرآن (٥٠٦/٢)، البحر (٤٩/٧ - ٥٠)، مجمع البيان (٢٠٧/٤)، البيان (٢١٧/٢).

تفسير سورة النمل وهي مكتبة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخِرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾

قوله: ﴿طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين﴾ بين ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾ يهتدون به، ويبشرون بالجنة ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس يحافظون على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها ﴿ويؤتون الزكاة﴾ المفروضة ﴿وإنك لتلقى القرآن﴾ أي: لتأخذه ﴿من لدن﴾ أي: من عند ﴿حكيم﴾ في أمره ﴿عليم﴾ بخلقه؛ يعني: نفسه تبارك وتعالى.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْتِيكُمْ بِهِ بِسَبَابٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْسُحُ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْشِي لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ يَصْصَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾﴾

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ .

قال محمدٌ: قيل: المعنى: اذكر إذ قال موسى لأهله.

﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ أي: أبصرت ﴿سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبْرٍ﴾ الطريق وكان على

غير طريق ﴿أَوْ آتِيَكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لِّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ لكي تصطلوا.

قال محمدٌ: كلُّ ذي نور فهو شهاب في اللغة^(١)، والقبس: النار تُقْبَسُ؛

تقول: قَبَسْتُ النارَ قَبَسًا، واسم ما قَبِسَتْ: قَبَسٌ^(٢).

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ لَكَ﴾ بأن بُورك ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ يعني: نفسه، ولم

تكن نَارًا، وإنما كان ضوء نور رب العالمين وكان موسى يرى أنها نارٌ ﴿وَمِنْ

حَوْلِهَا﴾ يعني: الملائكة، وهي في مصحف أبي بن كعب: «نودي أن بُوركت

النار ومن حولها»^(٣).

﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدَبِّرًا﴾ من الفَرْق ﴿وَلَمْ يَعْقِبْ﴾ يعني:

ولم يرجع.

قال محمدٌ: قال ها هنا ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ والجان: الصغير من الحيَّات^(٤).

وقال في موضع آخر: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾^(٥) والثُعبان: الكبير من

الحيَّات. قيل: فالمعنى - والله أعلم - أن خَلَقَهَا خلق الثُعبان العظيم

(١) ويجمع على: شُهَب، وشُهَبَان، وأشُهَب. لسان العرب (شهب).

(٢) أي: أن القَبَس هو المصدر، والقَبَس هو الاسم. لسان العرب (قبس).

(٣) وهي قراءة أبي، وابن عباس، ومجاهد. ينظر: جامع القرطبي (١٥٨/١٣)، الإعراب للنحاس (٥٠٩/٢)، الكشف (١٣٧/٣).

(٤) وهذا النوع من الحيَّات أكحل العينين، يضرب إلى الصُّفْرة، لا يؤذى والجمع: جِثَّان، وجَوَّان. المعجم الوسيط (جنن).

(٥) الأعراف: ١٠٧، والشعراء: ٣٢.

واهتزازها وحركتها كاهتزاز الجآن؛ وهذا من عظيم القدرة.

﴿يا موسى لا تخف إني لا يخاف لديّ المرسلون﴾ أي: عندي ﴿إلا من ظلم ثم بدّل حسناً بعد سوء﴾ تفسير الحسن: لا يخاف لدي المرسلون في الآخرة وفي الدنيا ﴿إلا من ظلم ثم بدّل حسناً بعد سوء﴾ فإني غفورٌ رحيمٌ أي: فإنه لا يخاف عندي. وكان موسى ممّن ظلم، ثم بدّل حسناً بعد سوء، فغفر الله له؛ وهو قتل ذلك القبطي لم يتعمّد قتله، ولكن تعمّد وكزه.

قال محمد: قوله: ﴿إلا من ظلم﴾ قيل: هو استثناء ليس من الأول^(١)؛ المعنى - والله أعلم - : لكن من ظلم من المرسلين وغيرهم، ثم تاب.

﴿وأدخل يدك﴾ أي: في جيبك؛ أي: في جيب قميصك ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ قال الحسن: أخرجها - والله - كأنها مصباح ﴿في تسع آيات﴾ يعني: يده، وعصاه، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين، ونقص الأموال والأنفس والثمرات.

قال محمد: وقوله: ﴿في تسع﴾ أي: من تسع ﴿في﴾ بمعنى (من)^(٢). فلما جاءتهم آياتنا مبصرة ﴿أي: بيّنة

﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ أنها من عند الله، قال قتادة: والجحد لا يكون إلا من بعد المعرفة ﴿ظُلْمًا﴾ لأنفسهم ﴿وعُلُوًّا﴾. قال محمد: يعني: ترفّعًا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى.

(١) ينظر: البحر الميوط (٥٧/٧)، الدر المصون (٢٩٨/٥).

(٢) ينظر تفصيل ذلك من إعراب القرآن (٥١١/٢)، مجمع البيان (٢١٢/٤)، البحر (٥٨/٧).

﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾ كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٥) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عُلْمَنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٦) وَخُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٧) حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَتَاءَتِيهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٨) فَنَبَسَرَهُ مِنْ حِجَابٍ مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) ﴿

(٢٤٨J) ﴿وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ على كثير من أهل زمانهما من المؤمنين ﴿وورث سليمان داود﴾ قال قتادة: يعني: ورث نبوته وملكه.

قال محمد: روي أنه كان لداود تسعة عشر ولداً، فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه.

﴿وأوتينا من كل شيء﴾ يعني: كل شيء أوتي منه ﴿فهم يوزعون﴾ أي: يُدْفَعُونَ أَلَا يَتَقَدَّمُهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ في تفسير الحسن، قال قتادة: على كل صنف منهم وَرَعَةٌ^(١) تَرُدُّ أَوْلَاهُمْ عَلَىٰ أَخْرَاهُمْ ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل﴾ قال قتادة: هو وادٍ بالشام.

(١) واحدها: وازع، وتجمع أيضاً على: وُزَاع. لسان العرب (وزع).

﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾
 قَالَ اللَّهُ: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَنْ سُلَيْمَانُ يَفْهَمُ كَلَامَهُمْ.
 قَالَ مُحَمَّدٌ: لَفْظُ النَّمْلِ أَجْرِي هَا هُنَا مُجْرَى لَفْظِ الْآدَمِيِّينَ حِينَ نَطَقُوا؛ كَمَا
 يَنْطِقُ الْآدَمِيُّونَ.

﴿تَبَسَّمَ﴾ سُلَيْمَانُ ﴿ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ الْهِنْيَ.
 قَالَ مُحَمَّدٌ: تَأْوِيلُ (أَوْزِعْنِي): كُفِّنِي عَنِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنِ شُكْرِ نِعْمَتِكَ.
 ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَٰذِهِدْ أَمْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (٢٠) ﴿لَأَعَذِّبَنَّهٗ﴾
 عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ (٢١) ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ﴾
 أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينُ﴾ (٢٢)
 ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ﴾ قَالَ قَتَادَةُ: ذَكَرَ لَنَا أَنَّ سُلَيْمَانَ أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ مَفَازَةً فَدَعَا
 بِالْهَٰذِهِدِ لِيَعْلَمَ لَهُ مَسَافَةَ الْمَاءِ، وَكَانَ قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْبَصَرِ بِذَلِكَ مَا لَمْ يَغْطِهِ
 غَيْرُهُ مِنَ الطَّيْرِ، وَقَالَ الْكَلْبِيُّ: كَانَ يَدُلُّهُ عَلَى الْمَاءِ إِذَا نَزَلَ النَّاسُ، فَيُخْبِرُهُ كَمْ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ مِنْ قَامَةٍ (١) ﴿لَأَعَذِّبَنَّهٗ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ قَالَ قَتَادَةُ:
 وَعَذَابُهُ أَنْ يَنْتَفِ رِيشُهُ وَيَذَرُهُ فِي الْمَنْهَلِ (٢)؛ حَتَّى يَأْكُلَهُ الذَّرُّ (٣) وَالنَّمْلُ ﴿أَوْ﴾
 لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿بَعْدَ بَيْنٍ﴾ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ أَيُّ: رَجَعَ مِنْ سَاعَتِهِ
 ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ قَالَ الْحَسَنُ: يَقُولُ: عَلِمْتُ مَا لَمْ تَعْلَمْ
 ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينُ﴾ أَيُّ: بِخَبَرِ حَقٍّ. (وَسَبَأٌ) فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ

(١) وهي وحدة قياس طولها ست أقدام، تستخدم عادة في قياس أعماق البحر. والجمع: قَامَات. المعجم الوسيط (قوم).

(٢) هو المورد؛ أَي: الموضع الذي فيه المشرب، وقيل: المفاضة. لسان العرب (نهل).

(٣) هو صغار النمل. لسان العرب (ذرر).

وقتادة: أرض باليمن، وقال ابن عباس: «سُئِلَ رسول الله ﷺ عن سبٍ، فقال: هو رجل»^(١).

قال محمد: ذكر أبو عبيد؛ أن الحسن كان يقرأ: ﴿من سباً﴾ منصوبة غير مجرأة^(٢): قال: وتفسيرها: اسم مؤنث لامرأة أو قبيلة، والذي يُجرى يذهب إلى أنه اسم رجل^(٣).

(١) رواه الإمام أحمد (٣٣٦/١) وعبد بن حميد - كما في تفسير ابن كثير (٥٤٧/٣) - وابن عدي في الكامل (٢٥١/٥) من طريق عبد الله بن لهيعة، عن عبد الله بن هبيرة السبائي، عن أبي وعلة المصري، عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقال ابن عدي: وهذا لا أعلمه يرويه غير ابن لهيعة بهذا الإسناد.

وقال ابن كثير: وهذا إسناد حسن، ولم يخرجوه.

ورواه الحاكم (٤٢٣/٢) من طريق عبد الله بن عياش القتباني، عن عبد الله بن هبيرة السبائي به. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٢٤٠ رقم ١٢٩٩٢) من طريق ابن لهيعة، عن علقمة ابن وعلة، عن ابن عباس - وسقط من المطبوع: «عن ابن عباس» به.

وقال الهيثمي في المجمع (٩٤/٧): رواه أحمد والطبراني، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف، وبقية رجالهما ثقات.

ورواه أبو داود (٣٧٤/٤ رقم ٣٩٨٤) والترمذي (٣٣٦/٥ - ٣٣٧ رقم ٣٢٢٢) والبخاري في تاريخه (١٢٦/٧ - ١٢٧) والطبراني (١٨/٣٢٣ - ٣٢٦ رقم ٨٣٤ - ٨٣٦، ٨٣٨) والحاكم (٤٢٤/٢) عن فروة بن مسيك رضي الله عنه.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقال ابن عبد البر في ترجمة فروة بن مسيك من الاستيعاب: حديثه في سبٍ حديث حسن.

وقال ابن كثير في تفسيره (٥٤٨/٣): وهذا أيضاً إسناد حسن.

وفي الباب عن عدة من الصحابة، منهم تميم الداري - وقيل: إنه تميم آخر - ويزيد بن حصين. انظر تفسير ابن كثير (٥٤٧/٣ - ٥٤٨) والدر المنثور (٢٥١/٥)، والمجمع (٧/٩٤)، والإصابة (٤/٢ - ٥).

(٢) غير مجرأة؛ أي: غير منونة؛ وهي قراءة أبي عمرو والبزي، وروى قبل بإسكان الهمزة، وقرأ الباقر بالجر والتونين. ينظر: السبعة (٤٨٠)، التيسير (١٦٧)، النشر (٣٣٧/٢)، البحر (٦٦/٧).

(٣) ينظر: البحر (٦٦/٧)، إعراب القرآن (٥١٦/٢ - ٥١٧)، البيان (٢٢١/٢).

قال محمدٌ ومن قال: هو اسمُ رجل، فالمعنى: أن القبيلة أو الأرض سميت باسم ذلك الرجل.

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنُنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ يَكْتُمِي هَذَا فَالْقَهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ قَوْلَ عَنْهُمْ فَأَنْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وأوتيت من كل شيء﴾ أي من كل شيء أوتيت منه ﴿ولها عرش عظيم﴾ أي: سرير حسن. قال قتادة: كان من ذهب، وقوائمه لؤلؤ وجوهر، وكان مستتراً بالدياج والحريز، وكانت عليه سبع مغاليق، وكانت دونه سبعة أبيات مغلقة.

﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ قال الحسن: كانوا مجوساً ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل﴾ . ألا يسجدوا لله ﴿أي: فصدهم عن الطريق بتركهم السجود لله﴾ الذي يخرج الخبء ﴿يعني: الخبيثة^(١)﴾ في السموات والأرض ﴿أي: يعلم السر في السموات والأرض﴾ قال ستنظر أصدقت... إلى قوله: ﴿يرجعون﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنها امرأة من أهل اليمن، كانت في بيت مملكة يقال لها: بلقيس ابنة

(١) هو في اللغة: المدخر والمخبوء، والمراد في الآية بالخبء الذي في الأرض: النبات، وبالخبء الذي في السماء: المطر. لسان العرب، المعجم الوسيط (خبأ).

شُرَّخِيل، فهلك قومها فَمَلَكْتَ، وأنها كانت إذا رقدت غلقت الأبواب، فلما غلقت الأبواب وأَوَّتْ إلى فراشها، أتاها الهدهد حتى دخل من كُوَّة بيتها، فقذف الصحيفة على بطنها؛ فأخذت الصحيفة فقرأتها فقالت: ﴿يا أيها المَلَأُ إني أُلقي إلي كتاب كريم...﴾ حسن؛ أي: حسن ما فيه، الآية.

﴿ألا تعلوا عليّ﴾ أي: لا تتخلفوا عني ﴿وأتوني مسلمين﴾ قال الكلبي: أي مُسْتَسْلِمِينَ؛ ليس يعني: الإسلام.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ (٢٩) إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرَ حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَاؤُا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿قالت يا أيها المَلَأُ...﴾ إلى قوله: ﴿ماذا تأمرين﴾ قال قتادة: ذكر لنا أنه كان لها ثلاثمائة (٢٤٩) وثلاثة عشر رجلاً أهل مشورتها كل رجل منهم على عشرة آلاف.

قال محمد: القراءة في قوله: ﴿حتى تشهدون﴾ بكسر النون^(١)، وأصله: (تشهدونني) فحذفت النون الأولى للنصب، وحذفت الياء؛ لأنها آخر آية، والكسرة تدل عليها.

﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ قال

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ يعقوب (تشهدونني) وصلًا ووقفًا. ينظر: الإتحاف (٣٦٦)، النشر (٢٤٠/٢).

الله: ﴿وكذلك يفعلون﴾.

﴿واني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ تقول: إن قبل هديتنا فهو من الملوك، وليس من أهل النبوة؛ كما يتحل.

قال مجاهد: بعثت إليه بجوارٍ قد لبستهنّ لبسة الغلمان، ويغلمان قد ألبستهم لبسة الجواري؛ فخلص سليمان بعضهم من بعض، ولم يقبل هديتها. قال محمد: قوله (بم) بحذف الألف؛ لأن حروف الجر مع (ما) في الاستفهام تحذف معها الألف من (ما) ليفصل بين الخبر والاستفهام^(١).

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أَسِدُّوَنِي بِمَالٍ فَمَا ءَاتَيْنِءَ اللّٰهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَكُمۡۖ بَلْ أَنتُمۡ بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفَرُّوۡنَ ﴿٣٦﴾ اَرْجِعۡ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمۡ بِجُنُودٍ لَاۤ قِبَلَ لَهُمۡ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا ءَآذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا الْمَلَأُوۡا۟ أَيْكُمۡ بِأَتِينِيۡ بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِيۡ مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَآيِكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيۡ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَآيِكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِيۡ رَوِّىۡ لِبَلَوِّىۡ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۚ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦٓ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَوِّىۡ عَنِّيۡ كَرِيۡمٌ ﴿٤٠﴾﴾ ارجع إليهم﴾ قال قتادة: يعني: الرسل ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها﴾ أي: لا طاقة.

﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها﴾ يعني: سريرها ﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾ أي: مقرّين بالطاعة؛ في تفسير الكلبي ﴿قال عفريت من الجن﴾ أي: مارد.

(١) ينظر: البحر (٧/٧٤)، القرطبي (١٣/١٩٧)، الطبري (١٩/٩٨) الدر المصون (٥/٣١٣).

قال محمد: يقال: عَفَرٌ وَعِفْرِيَّتٌ، وَعِفْرِيَّةٌ وَعُقَارِيَّةٌ؛ إذا كان شديدًا وثيقًا^(١).

﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ قال قتادة: ومقامه: مَجْلِسُهُ الذي كان يقضي فيه، فأراد ما هو أعجل من ذلك ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ وكان رجلًا من بني إسرائيل؛ يقال له: آصَفُ، يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب ﴿قال أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ وطرفه: أن يبعث رسولًا إلى منتهى طرفه، فلا يرجع إليه، حتى يؤتى به؛ فدعا الرجل باسم الله الأعظم ﴿فلما رآه﴾ رأى سليمان السرير ﴿مستقرًا عنده﴾ قال هذا من فضل ربي ليلوني أشكر أم أكفر؟ أي: أشكر النعمة أم أكفرها؟ ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾.

يحيى: عن المَعْلَى، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «إن صاحب سليمان الذي قال: أنا آتيك به كان يُحْسِنُ الاسمَ الأكبر، فدعا به وكان بينه وبينه مسيرة شهرين، وهي منه على فرسخ، فلما جاءه العرش كأن سليمان وجد في نفسه - مثل الحسد له - ثم فكر، فقال: أليس هذا الذي قدر على ما لم أقدر عليه مسخرًا لي؟! هذا من فضل ربي ليلوني أشكر أم أكفر»^(٢).

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ

(١) وأيضًا: العِفْرُ. لسان العرب (عفر).

(٢) لم أقف عليه، وأرى فيه نكارة، والله أعلم.

عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرَخَ مُمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ فَقَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

﴿قال نكروا لها عرشها﴾ قال قتادة: وتنكيره: أن يزداد فيه، ويُنْقَص منه ﴿ننظر أنهتدي﴾ أي: أنعرفه ﴿أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ أي: أم لا تعرفه ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو﴾ قال قتادة: شبهته به، وكانت قد تركته خلفها، فوجده أمامها.

﴿وأوتينا العلم من قبلها﴾ سليمان يقوله؛ يعني: النبوة ﴿وصدها ما كانت تعبد من دون الله﴾ صدها أن تهتدي للحق ﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾. قال محمد: من قرأ ﴿إنها﴾ بكسر الألف^(١)، فهو على (الاستئناف)^(٢).

﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾ تفسير الكلبي: إن الجن استأذنوا سليمان، فقالوا: دَرْنَا فَلْتَبْنِ لَهَا صَرْحًا - أي: قصرًا - من قوارير فننظر كيف عقلها، وخافت الجن أن يتزوجها سليمان فتطلعه على أشياء كانت الجن تخفيها منه. قال يحيى: بلغني أن أحد أبويها كان جنياً، فلذلك تخوفوا ذلك منها.

قال الكلبي: فأذن لهم فعمدوا إلى الماء ففجروه في أرض فضاء، ثم أكثروا فيه من الحيتان والضفادع^(٣)، ثم بَنَوْا عليه سترة من زجاج، ثم بنوا^(٤) حوله صَرْحًا مُمَرَّدًا من قوارير، والممرَّد: الأملس، ثم أدخلوا [عرش سليمان

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ سعيد بن جبير وابن أبي عتبة بفتح الهمزة (أنها) ينظر: البحر (٧/٧٩)، القرطبي (٢٠٨/١٣)، الإملاء (٩٤/٢).

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/٢٩٥)، البحر (٧/٧٩)، مجمع البيان (٤/٢٢٤)، الدر المصون (٣١٦/٥). وفي «ر»: الاستفهام.

(٣) في الأصل زيادة: فظنت أنه معذبها لتغرق.

(٤) زاد في «ر»: عليه.

وعرشها وكراسي عظماء الملوك، ثم دخل سليمان، ودخل معه عظماء جنوده^(١) ثم (ل ٢٥٠) قيل لها: ادخلي الصرح وفتح الباب؛ فلما أرادت الدخول إذا هي بالحيتان والضفادع، فظنت أنه مكر بها لتغرق، ثم نظرت فإذا هي بسليمان على سريره، والناس عنده على الكراسي؛ فظنت أنها بمخاصة^(٢)، فكشفت عن ساقها وكان بها برص؛ فلما رآها سليمان كرهاها، فلما عرفت الجن أن سليمان قد رأى منها ما كانت تكتم من الناس، قالت لها الجن: لا تكشفني عن ساقك، ولا عن قدميك؛ فإنما هو صرخ من قوارير. قال محمد: كل بناء مطول: صرح^(٣)، والممرّد يقال منه: مزدت الشيء إذا بلطته أو ملسته، ومن ذلك الأمرد الذي لا شعر في وجهه^(٤).

﴿قالت رب إني ظلمت نفسي﴾ أي: نقصتها؛ يعني: ما كانت عليه من الكفر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾^(٤٥)
 قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
 ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَيَمَن مَّعَكَ قَالَ طَعْتِكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَعَةٌ رَّهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ مَكَرًا وَمَكْرًا

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وهي أيضًا المخاصة: والمراد: الموضع القليل الماء الذي يُغبر فيه الناس النهر مُشاةً وركبانًا، والجمع: مخاوض. لسان العرب (صرح).

(٣) لسان العرب (خوض).

(٤) والجمع: مُزّد. لسان العرب (مرد).

مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْحِصْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

﴿فإذا هم فريقان يختصمون﴾ قال قتادة: يقول: إذا القوم بين مصدق ومكذب؛ هذه كانت خصومتهم ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾ والسيئة: العذاب؛ لقولهم: ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين﴾^(١) والحسنة: الرحمة ﴿قالوا أطيرنا بك وبمن معك﴾ قال الحسن: كان قد أصابهم جوع، فقالوا: بشؤمك، وبشؤم الذين معك أصابنا هذا ﴿قال طائرکم عند الله﴾ يعني: عملکم.

قال محمد: المعنى: ليس ذلك مني، وإنما هو من الله ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ قال الحسن: يعني: تصرفون عن دينكم الذي أمركم الله به ﴿وكان في المدينة تسعة رهط﴾ قال قتادة: كانوا من قوم صالح ﴿قالوا تقاسموا بالله﴾ أي: تحالفوا ﴿لنبيته﴾ لنبيته صالحاً وأهله؛ يعني: الذين على دينه ﴿ثم لنقولن لوليه﴾ أي: لرهطه ﴿ما شهدنا مهلك﴾^(٢) أهله ومكروا مكرًا يعني: الذي أرادوا بصالح ﴿ومكرنا مكرًا﴾ قال قتادة: دُكر لنا أنه بينا هم معانين إلى صالح ليفتكوأ به؛ إذ بعث الله عليهم صخرة فأهدمتهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم﴾ بالصخرة ﴿وقومهم أجمعين﴾ بعد ذلك بالصيحة.

(١) الأعراف: ٧٧.

(٢) هكذا في الأصل بفتح اللام، وقد اختلف القراء فيها: قرأ أبو بكر ﴿مهلك﴾ بفتح الميم واللام، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام، وقرأ الباقون بضم الميم وفتح اللام. انظر: النشر (٣١١/٢)، وإتحاف الفضلاء (٤٢٩).

قال محمد: من قرأ (إنا) بكسر الألف^(١)، فالمعنى: فانظر أي شيء كان عاقبة أمرهم، ثم فسر فقال: ﴿إنا دمّرناهم﴾^(٢).

﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾ يقول: ليس فيها أحد، وكانوا بموضع يقال له: الحجر.

قال محمد: من قرأ ﴿خاوية﴾ بالنصب^(٣) فهو على الحال^(٤).

﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ ٥٤ ﴿أَيُّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ﴾ ٥٥ ﴿فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَبْطِهُرُونَ﴾ ٥٦ ﴿فَأَبْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٥٧ ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ ٥٨ ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أنها الفاحشة.

﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم﴾ إنهم أناس يتطهرون أي: يتنزهون عن أعمال قوم لوط.

﴿إلا امرأته قدرناها من الغابرين﴾ يعني: الباقي في عذاب الله ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ قد مضى تفسيره^(٥).

(١) وهي قراءة ابن عامر، وأبي عمرو، وابن كثير، ونافع. ينظر: السبعة (٤٨٤)، النشر (٢/ ٣٣٨)، التيسير (١٦٨).

(٢) البحر (٨٦/٧)، إعراب القرآن (٥٢٧/٢ - ٥٢٨)، مجمع البيان (٢٢٦/٤).

(٣) وهي قراءة العامة، وقرأ عيسى بن عمر، والجحدري بالرفع. ينظر: البحر (٨٦/٧)، الإملاء (٩٤/٢)، جامع القرطبي (٢١٨/١٣).

(٤) ينظر: الدر المصون (٣٢١/٥).

(٥) في تفسير سورة هود، الآيات: ٨١ - ٨٣، وسورة الحجر، الآيات: ٧٣، ٧٤.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) آمَنَ
 خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأُنْزِلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ
 بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠) آمَنَ
 جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ
 حَاجِزًا ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١) آمَنَ يُحِبُّ الْمَضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ
 وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٦٢) آمَنَ
 يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَوَلَمْ مَعَ
 اللَّهِ تَعْلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣)

﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ۗ الله خير﴾ على
 الاستفهام ﴿أما تشركون﴾^(١) أي: أن الله خير من أوثانهم التي يعبدون
 ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ أي: حسنة. قال الحسن: والحدائق: النخل
 ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ أي: أن الله هو أنبتها ﴿إله مع الله﴾ على
 الاستفهام؛ أي: ليس معه إله ﴿بل هم قوم يعدلون﴾ يقول: يعدلون الأوثان
 بالله، فيعبدونها.

﴿وجعل بين البحرين حاجزا﴾ تفسير الكلبي: يعني: بحر فارس والروم،
 والحاجز: الخلق الذي بينهما فلا يبغي أحدهما على صاحبه ﴿بل أكثرهم لا
 يعلمون﴾ يعني: جماعتهم.

﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ يعني: خلفا من بعد خلف ﴿قليلا ما

(١) قرأ البصريان وعاصم ﴿يشركون﴾ بالغيب، وقرأ الباقون ﴿تشركون﴾ بالخطاب. النشر (٢) /
 (٢٣٨) إتحاف الفضلاء (٤٣٠).

تذكرون ﴿ يقول: أفلهم المتذكر؛ يعني: من يؤمن .

﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ يعني: في أهوال البر والبحر
﴿ومن يرسل الرياح نشرًا﴾^(١) بين يدي رحمته ﴿ يعني: المطر .

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ قُلْ هَآتُوا
بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا
يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَذْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا
عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءُ لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا
نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾
﴿أمن يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ يعني: البعث .

﴿قل هاتوا برهانكم﴾ أمر الله النبي ﷺ أن يقول للمشركين: هاتوا
حُجَّتْكُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن هذه الأوثان خلقت خلقًا أو صنعت شيئًا من
هذا، وهذا كله (٢٥١) تبع للكلام الأول ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَا يَشْكُرُونَ﴾ أي: أن
الله يفعل هذا كله وهو خيرٌ من أوثانهم .

﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ والغيب ها هنا:
القيامة؛ لا يعلم مجيئها إلا الله ﴿وما يشعرون﴾ وما يشعر جميع الخلق ﴿أَيَّانَ
يُبْعَثُونَ﴾ متى يبعثون ﴿بل أذكرك﴾ أي: تدارك ﴿علمهم في الآخرة﴾ (يقول:
علموا في الآخرة أن الأمر كما قال الله، فآمنوا حين لم ينفعهم علمهم)^(٢)

(١) بالنون وهي قراءة نافع وغيره، وتقدم الكلام عليها في سورة الأعراف.

(٢) سقط من (ر).

أي: إيمانهم ﴿بل هم في شك منها﴾ يعني: الآخرة ﴿بل هم منها عمون﴾ أي: عموا عنها لا يَدْرُونَ ما الحساب فيها وما العذاب .

﴿وقال الذين كفروا أنذا كنا ترابًا وأبأؤنا﴾ على الاستفهام ﴿أئنا لمخرجون﴾ لمبعوثون؛ أي: لا نبعث . وهذا استفهام منه على إنكار .

قال محمد: قراءة نافع (إذا كنا) بكسر الألف على الخبر، وفيها اختلاف بين القراء . ومن قرأ: (أئذا) اختلس الياء، ولم يخلص لفظها^(١) .

﴿لقد وعدنا هذا نحن وأبأؤنا من قبل﴾ هذا قول مشركي العرب، أي: قد وعدت أبأؤنا من قَبْلُ بالبعث كما وعدنا محمد، فلم نرها بُعثت؛ يعني: من كان من العرب على عهد موسى .

﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أي: كذب الأولين وباطلهم .

﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾ المشركين كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار؛ يحذرهم أن ينزل بهم من عذاب الله ما نزل بمن كان قبلهم من المشركين ﴿ولا تحزن عليهم﴾ إن لم يؤمنوا ﴿ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾ أي: لا يضيق عليك أمرك بما يمكرون بك وبدينك؛ فإن الله سينصرك عليهم ويذلهم لك .

قال محمد: أكثر القراءة: (في ضيق) بفتح الضاد^(٢) .

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ

(١) ينظر: السبعة (٤٨٥)، البحر (٩٤/٧) التيسير (١٦٩)، الجامع القرطبي (٢٢٨/١٣)، وروح المعاني للآلوسي (١٠٥/١٣) في تفسير الآية رقم (٥) من سورة الرعد .

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير؛ فقد قرأ ﴿ضييق﴾ بكسر الضاد . ينظر: البحر (٩٤/٧)، السبعة (٤٨٥)، والنشر (٣٠٥/٢)، الإتحاف (٣٣٩)، التيسير (١٦٩) .

الَّذِي سَتَعْمِلُونَ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقُتَمَ الدَّعَاءَ ۚ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ ۚ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ الذي تعدنا به من عذاب الله إن كنت من الصادقين قال الله للنبي: ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ قال قتادة: يعني: اقترب منكم.

قال محمد: (رَدِفَ لكم) اللام فيه زائدة عند أهل اللغة؛ المعنى: رَدِفْكم؛ كما تقول: ركبكم، وجاء بعدكم^(١).

﴿بعض الذي تستعجلون﴾ قال الحسن: يعني: قيام الساعة الذي يهلك به آخر كفار هذه الأمة ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ فبفضل الله يتقلب الكافر في الدنيا، ويأكل ويشرب ﴿ولكن أكثرهم لا يشكرون﴾ يعني: من لا يؤمن ﴿وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم﴾ يعني: المشركين من عداوة رسول الله ﴿وما يعلنون﴾ من الكفر.

﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾ يَبِينُ؛ يعني: اللوح

(١) ينظر: البحر (٩٥/٧)، الدر المصون (٣٢٦/٥).

المحفوظ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ يعني: الذين أدركوا النبي ﷺ ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يعني: ما اختلف فيه أوائلهم، وما حرفوا من كتاب الله، وما كتبوا بأيديهم، ثم قالوا: هذا من عند الله.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ﴾ فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل الكافرين النار ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ يعني: الذين يلقون الله بكفرهم ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ﴾ يقول: إن الأصم^(١) لا يسمع الدعاء إذا ولَّى مدبراً.

قال قتادة: هذا مثل ضربه الله، فالكافر لا يسمع الهدى ولا يفهمه؛ كما لا يسمع الميت، ولا يسمع الأصم الدعاء إذا ولَّى مدبراً.

﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ يعني: الذين يموتون على كفرهم ﴿إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ يعني: من أراد الله أن يؤمن؛ وهذا سَمْعُ القبول، فأما الكافر تسمع أذناه ولا يعقله^(٢) قلبه.

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿٨٧﴾

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: وجب الغضب ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ وفي بعض القراء: (تحدثهم)^(٣) ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ قال بعضهم: تقول: إن الناس كانوا بي لا يوقنون.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة؛ أن ابن عباس كان يقول: «هي دابة ذات

(١) في «ر»: الأصنام.

(٢) في «ر»: يسمع.

(٣) وهي قراءة يحيى بن سلام. ينظر: البحر (٩٧/٧)، تفسير الطبري (١١/٢٠).

رَغَبٌ^(١) وریش، ولها أربع قوائم، تخرج من بين أودية تهامة^(٢).

سعيد (ل ٢٥٢) عن قتادة، عن العلاء بن (زياد)^(٣) أن عبد الله بن عمرو، قال: «لا تقوم الساعة؛ حتى يجتمع أهل البيت على الإناء الواحد، فيعرفوا مؤمنهم من كافرينهم. قالوا: كيف ذلك؟! قال: إن الدابة تخرج حين تخرج وهي دابة الأرض؛ فتمسح كل إنسان على مسجده^(٤)، فأما المؤمن فتكون نكتة بيضاء؛ فتفشو في وجهه حتى يبيض لها وجهه، وأما الكافر فتكون نكتة سوداء؛ فتفشو في وجهه حتى يسود لها وجهه؛ حتى إنهم ليتبايعون في أسواقهم يقول هذا: كيف تباع هذا يا مؤمن؟ ويقول هذا: كيف تباع هذا يا كافر؟ فما يرد بعضهم على بعض^(٥).

﴿وَيَوْمَ نَخْتَرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ وَقَالَ أَكُذِّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَازَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِسَكْنُوتٍ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي

(١) هو صغار الريش والشعر، الواحدة: رَغَبَة. لسان العرب (زغب).

(٢) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٦/ ١٢٥٧ رقم ٧٠٠) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٨٨) - وعنه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٨ رقم ١٣٨٢) والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٥) - عن معمر عن قتادة به.

(٣) في «ر»: زيد. والعلاء بن زياد هو أبو نصر العدوي البصري، ترجمته في التهذيب (٢٢/ ٤٩٧ - ٥٠٦).

(٤) أي: على مكان سجوده.

(٥) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٦/ ١٢٥٤ - ١٢٥٥ رقم ٦٩٧) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٨٨) - وعنه نعيم بن حماد في الفتن (٤٤٨ رقم ١٣٨٢) والطبري في تفسيره (٢٠/ ١٥ - ١٦) - عن معمر عن قتادة عن عبد الله بن عمرو مختصراً.

ذَٰلِكَ لَا يَلْبَسُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ يعني: كفار كل أمة ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة: لهم وَزَعَةٌ تَرُدُّ أُولَاهُمْ عَلَى أَخْرَاهُمْ ﴿حتى إذا جاءوا قال﴾ الله ﴿أَكذَّبْتُمْ بآيَاتِي وَلَمْ تحيطوا بها علماً﴾ أي: لم تحيطوا علماً بأن ما عبدتم من دوني خلقوا معي شيئاً، ولا رزقوا معي شيئاً، وإن عبادتكم إياهم لم تكن منكم بإحاطة علم علمتموه، إنما ذلك كان منكم على الظن ﴿أماذا كنتم تعملون﴾ يستفهمهم، وهو أعلم بذلك منهم؛ يحتج عليهم ﴿ووقع القول عليهم﴾ أي: حقَّ الغضب ﴿بما ظلموا﴾ أشركوا.

﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُمْ خَيْرٌ ﴿٨٨﴾ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾ وهذه النفخة الأولى.

يحيى: عن خالد، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عُمارة بن غُرَاب قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إلا من شاء الله﴾: الشهداء؛ يقولون: ما أحسن هذا الصوت^(١).

﴿وكل أتوه داخرين﴾ أي: صاغرين؛ يعني: النفخة الآخرة.

يحيى: عن المبارك، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «بين النفختين

(١) لم أقف عليه، وعُمارة بن غُرَاب تابعي ليست له صحبة، ترجمته في التهذيب (٢٥٨/٢١)، وأسد الغابة (١٤٢/٤)، والإصابة (٢٤/٨).

أربعون سنة؛ الأولى يميت الله بها كل حي، والأخرى يحيي الله بها كل ميت»^(١).
«وترى الجبال تحسبها جامدة» ساكنة «وهي تمر مر السحاب» تكون
كالعُهن المنفوش^(٢) وتكون كثيباً مهيلاً^(٣)، وتُبْسُ بساً^(٤)؛ كما يُبْسُ
السويق^(٥). وتكون سراباً^(٦)، ثم تكون هباءً منبثاً^(٧)؛ وذلك حين تذهب من
أصولها، فلا يرى منها شيء؛ فتصير الأرض كلها مستوية «صنع الله الذي
أتقن كل شيء».

قال محمد: القراءة (صُنِعَ الله) بالنضب^(٨)؛ على معنى: المصدر؛ كأنه
قال: صَنَعَ الله ذلك صُنْعاً^(٩).

(١) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٦/ ١٢٨٥) رقم (٧٢١) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن
سلام به.

وعزه ابن حجر في الفتح (٣٧٧/١١) لابن المبارك في الرقائق.
وروى البخاري (٨/ ٤١٤) رقم (٤٨١٤) ومسلم (٤/ ٢٢٧٠ - ٢٢٧١) رقم (٢٩٥٥) عن أبي
هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفتخين أربعون - قالوا: يا أبا هريرة، أربعون
يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت - ثم
ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل. قال: وليس من الإنسان شيء إلا يبلو إلا
عظماً واحداً، وهو عجب الذنب؛ ومنه يُركب الخلق يوم القيامة».

(٢) يريد قوله تعالى: «وتكون الجبال كالعهن المنفوش» القارة: ٥.
(٣) يريد قوله تعالى: «وكانت الجبال كثيباً مهيلاً» المزمّل: ١٤.
(٤) يريد قوله تعالى: «وتُبْسُ الجبال بساً» الواقعة: ٥.
(٥) وهو طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير، وسمي بذلك؛ لانسياقه في الحلق. والجمع:
أسوقة. لسان العرب (سوق).

(٦) يريد قوله تعالى: «وسيرت الجبال فكانت سراباً» النبأ: ٢٠.
(٧) يريد قوله تعالى: «فكانت هباءً منبثاً» الواقعة: ٦.
(٨) وهي قراءة العامة، وليس فيها إلا هذه القراءة. ينظر البحر (٧/ ١٠٠).
(٩) وهو قول سيويه والمبرد والنحاس وأبي علي. ينظر كشف المشكلات (٢/ ١٠١٧)، البحر
(٧/ ١٠٠)، إعراب القرآن (٢/ ٥٣٧)، مجمع البيان (٤/ ٢٣٧).

﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ (٨٩) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ
وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ
هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَمْ كُلْ مِنْهُ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا
الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَأَتَمَّا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءَاتِيهِمْ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿من جاء بالحسنة﴾ بـ «لا إله إلا الله» مخلصاً ﴿فله خيرٌ منها﴾ فيها تقديم:
فله منها خيرٌ؛ أي: حظ؛ يعني: الجنة ﴿ومن جاء بالسَّيِّئَةِ﴾ يعني: الشرك
﴿فكُتِبَتْ وجوههم في النار﴾ أي: ألقوا فيها على وجوههم ﴿هل تجزون إلا ما
كنتم تعملون﴾ في الدنيا؛ يقال لهم ذلك في الآخرة ﴿إنما أمرت﴾ أي: قل:
يا محمد: ﴿إنما أمرت﴾ أن أعبد رب هذه البلدة ﴿يعني: مكة﴾ الذي
حرَّمها.

﴿فقل إنما أنا من المنذرين﴾ أي: لا أستطيع أن أكرهكم ﴿سيركم آياته
فتعرفونها﴾ في الآخرة على ما قال في الدنيا من وعده؛ في تفسير الحسن
﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾.



تفسير سورة القصص وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿طسّم ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

قوله: ﴿طسّم تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب المبين﴾ البين ﴿نتلو عليك﴾ من نبي موسى ﴿من خبر موسى﴾ وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ﴿يصدقون﴾ إن فرعون علا في الأرض ﴿أي: بغى﴾ وجعل أهلها شيعة ﴿أي: فرقا﴾ يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ﴿يعني: بني إسرائيل الذين كانوا بمصر في يدي فرعون، والطائفة التي كان يذبح: الأبناء، والطائفة التي كان يستحيي: النساء، وقد كان يفعل هذا فرعون.

﴿و﴾ نحن ﴿نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿ونجعلهم أئمة﴾ قال قتادة: أي: ولاية (في الأرض) ^(١) (ل ٢٥٣) ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ أي: يرثون الأرض بعد فرعون وقومه، ففعل الله ذلك بهم ﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم﴾ من بني إسرائيل ﴿ما كانوا

(١) في «ر»: الأمر .

يحذرون ﴿ قال قتادة: ذُكِرَ لنا أن حازراً حزر^(١) له، فقال: إنه يُولَدُ في هذا العام غلامٌ يسلبك مُلكك، فتتبع أبناءهم يقتلهم حذراً ممّا قال له الحازر.

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ قُودُ أُمِّ مُوسَىٰ فَدَرَا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِاخْتِي قُصِيَّةٌ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَيْكَ أُمِّهِ كَيْ تَفَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِنَعْلَمَ أَنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ أي: قذف في قلبها، وليس بوحي النبوة ﴿أن أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ﴾ الطلب ﴿فالْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ في البحر ﴿ولا تخافي﴾ عليه الضيعة ﴿ولا تحزني﴾ أن يُقتل ﴿إنا رادوه إليك﴾ قال قتادة: فجعلته في تابوت، ثم قذفه في البحر ﴿فالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾ قال يحيى: بلغني أن الغسالات على النيل التَّقَطْنَه ﴿ليكون لهم عدوا﴾ في دينهم ﴿وحزناً﴾ يحزنهم به.

قال محمد: قوله: ﴿ليكون لهم عدوا وحزناً﴾ أي: ليصير الأمر إلى ذلك؛

(١) أي: خمن. لسان العرب (حزر).

لا أنهم طلبوه وأخذوه لذلك، ومثله من الكلام قولهم للذي كسب مالاً؛ فأذاه ذلك إلى الهلاك: إنما كسب فلانٌ لِحَتْفِهِ، وهو لم يطلب المال لِحَتْفِهِ، ولكن صار الأمر إلى ذلك وهذه اللام يسميها بعض النحويين لام الصيرورة^(١).

﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك﴾ تقوله لفرعون. قال قتادة: أُلْقِيَتْ عليه^(٢) رحمته حين أَبْصَرْتَهُ ﴿لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولذا وهم لا يشعرون﴾ أن هلاكهم على يديه وفي زمانه ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ تفسير قتادة: أي: فارغاً من كل شيء، غير ذكر موسى لا تذكر غيره ﴿إن كادت لتبدي به﴾ قال قتادة: لتبين أنه ابنتها من شدة وجدها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ بالإيمان.

قال محمد: الربط على القلب: إلهام الصبر وتشديده وتقويته^(٣).

﴿وقالت﴾ أم موسى ﴿لأخته﴾ لأخت موسى ﴿قصيه﴾ أي: اتبعي أثره ﴿فبصرت به عن جُنُب﴾ أي: من بعيد ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنها أخته؛ جعلت تنظر إليه، وكأنها لا تريده ﴿وحرمنا عليه المراضع من قبل﴾ قال قتادة: جعل لا يؤتى بامرأة إلا لم يأخذ ثديها ﴿فقال هل أدلكم﴾ ألا أدلكم ﴿على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ أي: يضمونه فيرضعونه ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾ يعني: الذي قذف في قلبها ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: جماعتهم.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٤ ﴿وَدَخَلَ

(١) وتسمى هذه اللام لام العاقبة. ينظر: إعراب القرآن (٢/٥٤٣)، البحر (٧/١٠٥)، مجمع البيان (٤/٢٤٠)، البيان (٢/٢٢٩).

(٢) في «ر»: عليها.

(٣) لسان العرب، المعجم الوسيط (ربط).

الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى اأَتَرِيدُ أَن نَقْتُلَكَ كَمَا قُتِلَتْ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴿ولما بلغ أشده﴾ تفسير مجاهد: بلغ عشرين سنة ﴿واستوى﴾ بلغ أربعين سنة ﴿آتيناه حكمًا وعلمًا﴾.

﴿ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها﴾ تفسير الحسن: يوم عيد لهم، وهم في لهوهم ولعبهم ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ من بني إسرائيل ﴿وهذا من عدوه﴾ (قبطي)^(١) من قوم فرعون ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه﴾ قال قتادة: أراد القبطي أن يُسَخَّرَ الإسرائيلي؛ ليحمل حطبًا لمطبخ فرعون فأبى فقاتله، فوكزه موسى ولم يتعمد قتله، ولم يكن يحل قتل الكافر يومئذ.

قال محمد: يقال: لكزه ووكزه (ولهزه)^(١) بمعنى واحد: إذا دفعه^(٢).

(١) سقط من «ر».

(٢) ويقال: لكزه: ضربه بجمع كفه في صدره.

ولهزه: ضربه بجمع كفه في لهازمه ورقبته.

ووكزه: ضربه بجمع كفه في ذقنه.

ينظر: لسان العرب، والمعجم الوسيط (لكز، لهز، وكز).

﴿قال﴾ موسى ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌ مضلٌ مبين﴾ بين العداوة ﴿قال﴾ موسى ﴿رب إنني ظلمت نفسي﴾ يعني: بقتل القبطي ﴿فلن أكون ظهيراً﴾ أي: عويناً ﴿للمجرمين﴾.

قال قتادة: يقول: فلن أعين بعدها على فجرة ﴿فأصبح في المدينة خائفاً يترقب﴾ من قتله النفس، يترقب أن يؤخذ.

قال محمد: معنى (يترقب): ينتظر سوءاً يناله^(١).

﴿فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ أي: يستعينه ﴿قال له موسى﴾ للإسرائيلي ﴿إنك لغوي مبين﴾ أي: بين الغواء [ثم أدركت موسى الرافة عليه]^(٢) ﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدوٌ لهما﴾ (٢٥٤ل) بالقبطي خلى الإسرائيلي عن القبطي ﴿وقال يا موسى﴾ الإسرائيلي يقوله: ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد﴾ ما تريد ﴿إلا أن تكون جباراً﴾ أي: قتالاً.

قال محمد: وقيل المعنى: فلما أن أراد المستصرخ أن يبطش موسى بالذي هو عدوٌ لهما، ولم يفعل موسى، وقال للمستصرخ: ﴿إنك لغوي مبين﴾ قال له المستصرخ: ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني...﴾ الآية، فإله أعلم. وأصل الجبار في اللغة: المتعظم^(٣) الذي لا يتواضع لأمر الله - عز وجل - [في الأرض]^(٤).

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُوتُ رَجُلٌ كَلِمَاتُكَ يَأْتِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾

(١) لسان العرب (رقب).

(٢) طمس في الأصل. و المثبت من «ر».

(٣) وهو أيضاً المتكبر المتسلط. والجمع: جبابرة. لسان العرب (جبر).

(٤) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ ﴿وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى﴾ أي: يسرع ﴿قال يا موسى إن الملأ يأتُمرون بك ليقتلوك﴾.

قال محمد: (يأتُمرون) هو يفتعلون من الأمر؛ المعنى: يأمر بعضهم بعضًا بقتلك^(١).

قال قتادة: وذلك أن القبطي [الآخر]^(٢) لما سمع قول الإسرائيلي لموسى: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسًا بالأمس - أفشى عليه، فاتتمر الملأ من قوم فرعون ليقتلوه، فبلغ ذلك مؤمن آل فرعون وهو الذي جاء من أقصى المدينة، فأخبر موسى.

﴿فخرج منها﴾ من المدينة ﴿خائفًا يترقب﴾.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّكَاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿ولما توجه تلقاه مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ يعني: الطريق إلى مدين، وكان خرج ولا يعرف الطريق إلى مدين.

﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ وفي بعض القراءة (تذودان الناس عن

(١) ينظر: الدر المصون (٥/٣٣٧).

(٢) في الأصل: الأخير.

شيانهما^(١) أي: تمنعان غنمهما أن تختلط بأغنام الناس ﴿قال﴾ لهما موسى ﴿ما خَطْبُكُما﴾ ما أَمْرُكُما ﴿قالتا لا نسقي حتى يُضِدِرَ الرِّعاء﴾ أي: حتى يسقي الناس، ثم نَسَبَعُ فُضَّالَتَهُمْ؛ هذا تفسير الحسن.

قال محمد: من قرأ: (حتى يُضِدِرَ) بضم الياء وكسر الدال^(٢)، فالمعنى: لا نُقَدِّرُ أن نَسْقِيَ حتى يَرُدَّ الرِّعاءُ غَنَمَهُمْ وقد شَرِبَتْ^(٣)، والرِّعاء جمع: راع^(٤).

﴿فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير﴾ يعني: الطعام .

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَى اسْتَجِرُّهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ فَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾﴾

﴿قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ قال الحسن: ويقولون: هو شُعَيْبٌ، وليس بشعيب، ولكنه كان سيد أهل الماء يومئذ. وقال ابن

(١) لم أجد هذه القراءة، وكل ما وجدته من قراءات لها هو قراءة «امراتين حابستين تذودان» بدون نسبة . ينظر جامع القرطبي (٢٦٨/١٣).

(٢) وهي قراءة السبعة إلا ابن عامر وأبا عمرو؛ فقد قرأ «يُضِدِرُ». ينظر السبعة (٤٩٢)، البحر (١١٣/٧)، التيسير (١٧١)، النشر (٣٤١/٢).

(٣) ينظر: البحر (١١٣/٧)، إعراب القرآن (٥٥٠/٢)، البيان (٢٣١/٢).

(٤) يقال فيه: رعاء، ورعاة ورُعِيان. كل ذلك جمع (راع) ينظر لسان العرب (رعى).

عباس: اسْمُ خَتَنِ مُوسَى: يَثْرَى ﴿إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينُ﴾ تفسير بعضهم في قوله: (القوي): أنه سألهما: هل ها هنا بئرٌ غير هذه؟ فقالتا: نعم، ولكن عليها صخرة لا يرفعها إلا أربعون رجلاً، فرفعها موسى وحده. وتفسير الحسن: أن الأمانة التي رأت منه؛ أنها حين جاءته تدعوه. قال لها: كوني ورائي - وكره أن يستدبرها.

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: في الرفق بك ﴿قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيتُ﴾ يعني: أي الأجلين قضيت، و(ما) زائدة^(١) ﴿فلا عدوان﴾ أي: فلا سبيل عليّ.

قال محمد: (عُدْوَان) منصوبٌ بـ (لا)^(٢) وأصل الكلمة من العداء؛ وهو الظلم^(٣)؛ كانه قال: أي الأجلين قضيت فلا تعتد عليّ؛ بأن تلزمني أكثر منه. ﴿والله على ما نقول وكيل﴾ أي: شهيد.

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ قال ابن عباس: قضى أوفاهما وأبرهما: العشر.

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء (٢/٣٠٥)، البحر (٧/١١٥ - ١١٦)، إعراب القرآن (٢/٥٥١)، البيان (٢/٢٣١).

(٢) ينظر المراجع السابقة.

(٣) يقال: عَدَاً عليه يَغْدُو غَدَاً وَغَدَاً وَغَدَاً وَغَدَاً: ظلمه وتجاوز الحد. لسان العرب (عدو).

﴿وسار بأهله﴾ قال مجاهد: أقام بعد أن قضى الأجل عشر سنين ﴿أنس من جانب الطور نازاً﴾ قد مضى تفسيره^(١) ﴿أو جذوة من النار﴾ يعني: أضل شرر^(٢) ﴿لعلكم تصطلون﴾ وكان (شأيتاً)^(٣) ﴿نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى﴾.

قال محمد: (أن) في موضع نصب؛ المعنى: نودي بأنه يا موسى، وكذلك ﴿وأن ألق عصاك﴾ عطف عليها^(٤).

﴿وَأَن أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَاجِرُ كَانَتْهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمَّ يَعْقِبْ يَمْوُئِي أَقْبَلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرُّجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنُنْذِرُ عَضْدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيْنِتَا أَنْتُمْ وَمِمَّنْ أَتَّبَعُكُمْ أَلْغَلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿كانها جانٌّ﴾ كانها حيّة ﴿ولّى مدبراً﴾ هارباً منها ﴿ولم يعقب﴾ أي: يرجع؛ في تفسير مجاهد ﴿اسلك يدك في جيبك﴾ اسلك؛ أي: أدخلها في جيبك [أي: قميصك]^(٥) ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾.

(١) مريم ٦٤، وطه: ٨٠.

(٢) في «ر»: أصل الشجرة.

(٣) في «ر»: شتاء.

(٤) ينظر الدر المصون (٥/٣٤١).

(٥) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

قال محمد: يقال: سَلَكْتُ (ل٢٥٥) يدي وَأَسَلَكْتُهَا^(١).

﴿واضمم إليك جناحك﴾ يعني: يدك ﴿من الرهب﴾ [أي: من الرعب]^(٢) يقول: اضممها إلى صدرك؛ فيذهب ما فيه من الرعب، وكان قد دخله فزع من آل فرعون ﴿فذا لك برهانان من ربك﴾ أي: بيانان؛ يعني: العصا واليد.
﴿فأرسله معي ردءاً﴾ أي: عوناً ﴿يصدقني﴾ أي: يكون معي في الرسالة ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾.

قال محمد: يقال: رَدَّأْتُهُ عَلَى كَذَا؛ أي: أَعْتَهُ^(٣)، ومن قرأ (يصدقني) بالجزم فهو على جواب المسألة^(٤): أَرْسَلُهُ يُصَدِّقُنِي، ومن رفع (يصدقني) فالمعنى: ردءاً مُصَدِّقاً لِي^(٥).

وذكر ابن مجاهد أن نافعا وحده قرأ (ردءا) منونةً بغير همز، وأن سائر القراء يقرءون: (ردءا) بالهمز^(٦).

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِيهِ وَمَن تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٧) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَدُنَّ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطْلِعُ إِلَٰهَ مُوسَى

(١) وَسَلَكْتُهَا. بمعنى واحد. لسان العرب (سلك).

(٢) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٣) يقال: رَدَّأْتُهُ أَرَدَّوْهُ: أَعْتَهُ وقوته. لسان العرب (ردأ).

(٤) أي: على جواب الأمر.

(٥) قرأ بالرفع عاصم وحزمة، وقرأ الباقون بالجزم. ينظر: السبعة (٤٩٤)، التيسير (١٧١) النشر

(٣٤١/٢)، وينظر في التوجيه النحوي: إعراب القرآن (٥٥٣/٢)، البحر (١١٨/٧).

(٦) ينظر: السبعة (٤٩٤)، البحر (١١٨/٧)، التيسير (١٧١).

وإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾

﴿وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ أي: إني أنا جئت بالهدى من عنده ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ دار الآخرة؛ يعني: الجنة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ المشركون ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري﴾ قال الحسن: تعمّد الكذب ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ أي: فاطبخ لي آجراً^(١)؛ فكان أول من طبخ الآجر ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ أي: ابن لي قصرًا؛ فبنى له صرحًا عاليًا، وقد علم فرعون أن موسى رسول الله، وهذا القول منه كذب .

﴿وَأَسْتَكَبرَ هُوَ وَجَحْدُوهُمْ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْحَقَّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِنَّا لَا يُرْجَعُونَ﴾
 ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجْهَهُمْ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَدِّ فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ
 ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُبْصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

﴿وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾ يوم القيامة ﴿فانظر﴾ يا محمد ﴿كيف كان عاقبة الظالمين﴾ أي: دمر الله عليهم، ثم صيرهم إلى النار .

﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ أي: يتبعهم من بعدهم من الكفار ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ يعني: الغرق الذي عذبهم به ﴿ويوم القيامة

(١) هو اللبن المحترق الممد للبناء. وهو معرب. ويقال فيه: الآجر والآجر، والآجر والآجر، والآجر. المعجم الوسيط، القاموس المحيط (أجر).

هم من المقبوحين ﴿٤٣﴾ يقول: أهل النار مشوهون سُودٌ زُرْقٌ ﴿٤٤﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب ﴿٤٥﴾ التوراة؛ وهو أول كتاب نزل فيه الفرائض والحدود والأحكام بصائر للناس .

﴿٤٦﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٨﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب الغربي﴾ يعني: غربي الجبل ﴿إذ قضينا﴾ إلى موسى الأمر ﴿يعني: الرسالة﴾ ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ أي: لم تشاهد ذلك ﴿ولكننا أنشأنا قرونًا فتطاول عليهم العمر﴾ كان بين عيسى ومحمده خمسمائة سنة، وقيل: ستمائة سنة ﴿وما كنت ثاويًا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا﴾ أي: لم تكن يا محمد مقيمًا بمدين؛ فتعلم كيف كان أمرهم، فتخبر أهل مكة بشأنهم وأمرهم ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ قال بعضهم: نودي: يا أمة محمد، أجبتمكم قبل أن تدعوني، وأعطيتكم قبل أن تسألوني ﴿ولكن رحمة من ربك لتنذر قومًا﴾ يعني: قريشًا؛ في تفسير السدي ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكروا.

قال محمد: من قرأ (رحمة) بالنصب^(١)، فالمعنى: فعلنا ذلك للرحمة؛ كما تقول: فعلت ذلك ابتغاء الخير؛ أي: لا ابتغاء الخير^(٢).

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ عيسى وأبو حنيفة (رحمة) بالرفع، ينظر: البحر (٧/١٢٣)، الكشاف (١٨٢/٣).

(٢) أي: مفعول لأجله. ينظر الدر المصون (٥/٣٤٦).

﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ يعني: العذاب ﴿بما قدمت أيديهم﴾ بالذي هم عليه من الشرك ﴿فيقولوا ربنا لولا أرسلنا إليك رسولاً فتتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ فقالوا: ربنا لولا: هلا ﴿أرسلنا إليك رسولاً فتتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ فقطع الله عذرهم بمحمد؛ فكذبوه. قال الله: ﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾ يعني: القرآن ﴿قالوا لولا أوتي﴾ يعنون: النبي ﷺ ﴿مثل ما أوتي موسى﴾ أي: هلاً أنزل عليه القرآن جملة واحدة؛ كما أنزل التوراة على موسى جملة واحدة.

قال الله: ﴿أو لم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ وقد كان كتاب موسى عليهم حجة؛ في تفسير الحسن ﴿قالوا ساحران^(١) تظاهرا﴾ موسى ومحمد؛ في تفسير الحسن؛ وهذا قول مشركي العرب ﴿وقالوا إنا بكل كافرون﴾ يعني: بالتوراة والقرآن.

(١) قرأ الكوفيون ﴿سبحران﴾ بكسر السين وإسكان الحاء من غير ألف قبلها، وقرأ الباقون ﴿ساحران﴾ بفتح السين وألف بعدها وكسر الحاء. النشر (٣٤١/٢ - ٣٤٢) وإتحاف الفضلاء (٤٣٦ - ٤٣٧).

قال الله: ﴿قل فاتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ من التوراة والقرآن ﴿أتبعه﴾ .

﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ ليأتوا به، ولا يأتون به؛ ولكنها حجة عليهم ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (٢٥٦) يعني: المشركين الذين يؤمنون على شركهم.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٥١) الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُولَٰئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْلَغِي الْجَاهِلِينَ (٥٥)﴾

﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ أخبرناهم بأننا أهلكتنا من الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لكي يتذكروا، فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم فيؤمنوا ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿هم به﴾ بالقرآن ﴿يؤمنون﴾ يعني: من كان مستمسكاً بأمر موسى وعيسى، ثم آمن بمحمد ﴿وإذا يتلى عليهم﴾ القرآن ﴿قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله﴾ من قبل القرآن به ﴿مسلمين﴾ ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا﴾ على دينهم ﴿ويدرءون بالحسنة السيئة﴾ تفسير السدي: يدفعون بالقول المعروف والعفو الأذى والأمر القبيح ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني: الزكاة الواجبة ﴿وإذا سمعوا اللغو﴾ يعني: الشتم والأذى من كفار قومهم ﴿أعرضوا عنه﴾ أي: لم يزدوا عليهم ﴿وقالوا﴾ للمشركين: ﴿لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام﴾

عليكم ﴿كلمة حلم عن المشركين، وتحية بين المؤمنين ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ أي: لا نكون منهم.

قال محمد: وقيل: معنى ﴿سلام عليكم﴾ ها هنا؛ أي: بيننا وبينكم المسالمة، وكان هذا قبل أن (يؤمروا بقتالهم) ^(١).

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجِئَ إِلَيْهِ شَرٌّ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَالَكَ مَسْكِنُهُمْ لَمْ تُسْكِنْ مِنْ بَعْدِهِ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب، حيث أراحه النبي ﷺ على أن يقول: لا إله إلا الله؛ فأبى ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ أي: من قُدِّر له الهدى ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك﴾ يعني: التوحيد ﴿نتخطف من أرضنا﴾ لقلتنا في كثرة العرب، وإنما ينفي الحرب عنا أنا على دينهم؛ فإن آمنا بك واتبعناك خشينا أن يتخطفنا الناس؛ قال الله للنبي: ﴿أو لم نمكن لهم حرماً آمناً... الآية. يقول: قد كانوا في حرمي يأكلون رزقي ويعبدون غيري وهم آمنون، فيخافون إن آمنوا أن أسلط عليهم من يقتلهم ويسبيهم؟! ما كنت لأفعل﴾ ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴿يعني: من لم يؤمن منهم﴾ وكم أهلكتنا من

(١) في «ر»: يؤمر بالقتال.

قرية بطرت معيشتها ﴿ هو كقوله: ﴿فكفرت بأنعم الله﴾^(١) .

قال محمد: قيل: إن معنى ﴿بطرت معيشتها﴾ أي: [٢] أشرت في معيشتها، ونصب (معيشتها) بإسقاط (في)^(٣) .

﴿وما كان ربك مهلك القرى﴾ أي: معذبهم؛ يعني: هذه الأمة ﴿حتى يبعث في أمها﴾ يعني: مكة ﴿رسولاً﴾ والرسول: محمد ﴿إلا وأهلها ظالمون﴾ مشركون ﴿وما عند الله خير وأبقى﴾ الجنة ﴿أفلا تعقلون﴾ يقوله للمشركين، ثم قال على الاستفهام:

﴿وَمَا أُولَئِكَ مِن شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ

﴿٦٥﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَئِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٦﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِنَاءً يُعْبَدُونَ ﴿٦٨﴾

﴿أفمن وعَدناه وعدًا حسنًا﴾ يعني الجنة ﴿فهو لاقية﴾ كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين [٤] ﴿أي: أنهما لا يستويان. يقال: نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جهل بن هشام﴾ قال الذين حق عليهم القول الغضب؛ يعني: الشياطين الذين دعوهم إلى عبادة الأوثان: ﴿ربنا

(١) النحل: ١١٢ .

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر» .

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٥٥٥ - ٦٥٦)، البيان (٢/ ٢٣٥)، البحر (٧/ ١٢٦)، مجمع البيان (٤/ ٢٥٩) .

(٤) سقط من الأصل .

هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم ﴿أضلّلناهم﴾ ﴿كما غوينا﴾ ضللنا ﴿تبرأنا إليك﴾ ما كانوا إيانا يعبدون ﴿أي: بسلطان كان لنا عليهم استكرهناهم به، وإنما دعوناهم بالسوسة؛ كقول إبليس: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾^(١).

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾^(٦٤)
 وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعِمِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْإِلَهَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِضِيَاءٍ أَوْ لَآ تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾

﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾ يعني: الأوثان ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب﴾ أي: ودخلوا العذاب ﴿لو أنهم كانوا يهتدون﴾ أي: لو أنهم كانوا مهتدين في الدنيا ما دخلوا العذاب.

﴿ويوم يناديهم﴾ يعني: المشركين ﴿فيقول ماذا أجبتُم المرسلين﴾ يستفهمهم؛ يحتج عليهم، وهو أعلم بذلك، ولا يسأل العباد عن أعمالهم إلا الله وحده ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ الحُجُجُ؛ في تفسير مجاهد ﴿يومئذ فهم لا يتساءلون﴾ أن يحمل بعضهم عن بعض من ذنوبهم شيئاً؛ في تفسير الحسن.

﴿فأما من تاب﴾ من شريكه ﴿وآمن﴾ أي: أخلص الإيمان لله ﴿وعمل صالحاً﴾ في إيمانه ﴿فعسى أن يكون من المفلحين﴾ و(عسى) من الله واجبة ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار﴾ من خلقه للنبوة.

﴿ما كان لهم الخيرة﴾ يعني: أن يختاروا هم [الأنبياء (٢٥٧)] فيتبعونهم^(١).

﴿سبحان الله﴾ (ينزه نفسه)^(٢) ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يشركون﴾.

[﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً﴾ أي: دائماً لا ينقطع، أمره يقولو للمشركين ﴿إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾]^(٣).

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً﴾ أي: دائماً لا ينقطع، أمره أن يقولو للمشركين ﴿من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه﴾ أي: يسكن فيه الخلق.

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه﴾ يعني: في الليل ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ بالنهار؛ وهذا رحمة من الله للمؤمن والكافر؛ فأما المؤمن فستم عليه رحمة الله في الدنيا والآخرة، وأما الكافر فهي رحمة له في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب.

﴿ونزعنا من كل أمة شهيداً﴾ أي: أحضرنا رسولاً ﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ حجتكم بأن الله أمركم بما كنتم عليه من الشرك ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ يعني: أوثانهم التي كانوا يعبدونها.

﴿إِنَّ قُرُونَكُمْ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمْ وَعَايِنَهُمْ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنِ مَفَاحَهُمْ لَنَسُوا بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُمُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْفِينِ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّكُمْ لَذُرُّ حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ كان ابن عمه؛ أخيه أبيه ﴿فبعى عليهم﴾ كان عاملاً لفرعون؛ فتعدى عليهم وظلمهم ﴿وآتيناه من الكنوز﴾ أي: من الأموال؛ يعني: قارون ﴿ما إن مفاتحه﴾ يعني: مفاتيح خزائنه؛ في تفسير بعضهم ﴿لتنوء بالعصبة﴾ أي: لتثقل العصبة ﴿أولي القوة﴾ يعني: الشدة؛ وهم ها هنا أربعون رجلاً.

قال محمد: يقال: نأت بالعصبة؛ أي: مالت بها، وأثأت العصبة؛

أي: أمالتها^(١).

قوله: ﴿لا تفرح﴾ لا تبطر ﴿إن الله لا يحب الفرحين﴾ يعني: البطرين؛ وهم المشركون الذين لا (يشكرون)^(٢) الله فيما أعطاهم.

قال محمد: من الفرح ما يكون معناه: الأشر والبطر. قال الشاعر:

ولست بمفراح إذا الدهر سَرَنِي ولا جازع من صَرْفِهِ المتحوِّل

يقول: لست بأشِر ولا بطر؛ ليس هو من الفرح الذي معناه السرور.

﴿وابتغ فيما آتاك الله﴾ من هذه النعم ﴿الدار الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿ولا

تنس نصيبك من الدنيا﴾ يقول: اعمل في دنياك لآخرتك.

﴿وأحسن﴾ فيما افترض الله عليك ﴿قال﴾ قارون ﴿إنما أوتيته﴾ يعني: ما

أعطي من الدنيا ﴿على علم عندي﴾ أي: بقوتي وعلمي.

قال محمد: قيل: إنه كان [أقرأ بني إسرائيل للتوراة]^(٣) ولذلك ادعى أن

المال أعطيه لعلمه. قال الله: بل هي فتنة: بلية.

﴿أو لم يعلم﴾ يعني: قارون ﴿أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو

أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾ من الجنود والرجال؛ أي: بلى قد علم ﴿ولا يُسأل

عن ذنوبهم المجرمون﴾ المشركون لتعلم ذنوبهم من عندهم ﴿فخرج على

قومه﴾ يعني: قارون ﴿في زيبته﴾ تفسير الكلبي: أنه خرج وعليه ثياب حمراء

على بغلة بيضاء، ومعه أربعمائة جارية عليهن ثياب حمراء على بغال بيض ﴿قال

(١) مأخوذ من الثأى؛ وهو البعد. ينظر لسان العرب (نأى).

(٢) في «ر»: يشركون. وهو تحريف عن الصواب.

(٣) مطبوس في الأصل، والمثبت من «ر» وفي تفسير ابن كثير: أنه كان عالماً بالكيمياء. (٦/

الذين يريدون الحياة الدنيا ﴿ وهم المشركون ﴾ ﴿ يا ليت لنا مثل ما أوتي
قارون... ﴾ الآية.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا
يُلْقِيهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٨٠) ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِمُ وَبِدَارِهِمُ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ فَتَةٍ يَصْطُرُونَهَا
مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ الْمُتَنَصِّرِينَ ﴾ (٨١) ﴿ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ
وَيَكَانُ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا
وَيَكَانَهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٨٢) ﴿

﴿ وقال الذين أوتوا العلم ﴾ وهم المؤمنون للمشركين ﴿ ويلكم ثواب الله ﴾
يعني: الجنة ﴿ خير ﴾ ﴿ ولا يلقاها ﴾ يعطاها؛ يعني: الجنة ﴿ إلا الصابرون ﴾
وهم المؤمنون.

﴿ فخسفنا به ﴾ بقارون ﴿ وبداره ﴾ يعني: مسكنه، فهو يخسف به كل يوم
قائمة إلى يوم القيامة؛ في تفسير قتادة ﴿ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس
يقولون ويكان الله ﴾ أي: أن الله ﴿ يسطر الرزق لمن يشاء ﴾ .
﴿ ويكانه لا يفلح الكافرون ﴾ أي: وإنه لا يفلح الكافرون.

قال محمد: قوله: ﴿ ويكان الله ﴾ قال أبو عبيدة: سبيلها سبيل: (ألم تر)
وقد رأيت بين النحويين وأصحاب اللغة في هذه اللفظة (ويكانه) اختلافا
كثيرا؛ فالله أعلم بما أراد^(١).

(١) قرأ الكسائي بالوقف على (وي)، وقرأ أبو عمرو بالوقف على (ويك)، وقرأ الأصهباني،
وروش بتسهيل الهمزة، ينظر: إتحاف الفضلاء (٣٤٤)، التبيان (٨/١٦٠)، النشر (٢/
١٥١).

﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخِرَةُ يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ
 لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا
 السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ
 قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾
 ﴿لا يريدون علوا في الأرض﴾ يعني: شركا ﴿ولا فسادا﴾ قتل الأنبياء
 والمؤمنين ﴿من جاء بالحسنة﴾ لا إله إلا الله ﴿فله خير منها﴾ أي: فله منها
 خير.

﴿ومن جاء بالسئنة﴾ بالشرك ﴿فلا يجزي الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا
 يعملون﴾ يقول: جزاؤهم النار خالدين فيها.

﴿إن الذي فرض﴾ يعني: أنزل ﴿عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ .
 قال يحيى: بلغني «أن النبي ﷺ حين هاجر نزل عليه جبريل وهو بالجحفة
 موجه من مكة إلى المدينة، فقال: أشتقت يا محمد إلى بلادك التي ولدت بها
 فقال: نعم. فقال: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ يعني إلى
 مولدك^(١) الذي خرجت منه، ظاهرا على أهله^(٢).

﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى﴾ أي: محمد جاء بالهدى، فأمن به
 المؤمنون (ل/٢٥٨) ﴿ومن هو﴾ أي: أعلم بمن هو ﴿في ضلال مبين﴾.

(١) أي: مكان مولدك.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٠٢٦/٩ رقم ١٧٢٠٥) عن الضحاك بنحوه، وعزاه السيوطي
 في الدر المنثور (١٥٢/٥) لابن مردويه عن علي بن الحسين بن واقد بنحوه أيضا.
 وروى البخاري (٣٦٩/٨ رقم ٤٧٧٣) عن ابن عباس «لرادك إلى معاد﴾ قال: إلى مكة.

﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ (٨٦) وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك﴾ يعني النبي ﷺ .

﴿أن يلقى إليك الكتاب﴾ يعني: أن ينزل عليك [وقوله: ﴿ترجو﴾] يقوله للنبي ﷺ [١] ﴿إلا رحمة من ربك﴾ يقول: [ولكن] (٢) نزل عليك الكتاب رحمة من ربك ﴿فلا تكونن ظهيرا﴾ عويناً ﴿للكافرين﴾ .

﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ يعني: إلا هو .

قال محمد: ﴿وجهه﴾ منصوب على الاستثناء، المعنى: إلا إياه (٣)؛ وهو مذهب يحيى .

﴿له الحكم﴾ القضاء ﴿وإليه ترجعون﴾ .

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر» .

(٢) طمس بالأصل، والمثبت من «ر» ..

(٣) ينظر الدر المصون (٣٥٦/٥)، البحر المحيط (١٣٧/٧) .

تفسير سورة العنكبوت

وهي مكية كلها إلا عشر آيات مدنية من أولها إلى قوله: ﴿وليعلمن المنافقين﴾ (١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

قوله: ﴿الم﴾ قد مضى (القول فيه) (٢) في أول سورة البقرة ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ يعني: يتلون بالجهاد في سبيل الله؛ هم قوم كانوا بمكة ممن أسلم كان قد وُضِعَ عنهم الجهاد والنبي ﷺ بالمدينة بعد ما افترض الجهاد، وقُبِلَ منهم أن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ولا

(١) اختلف في عد ﴿الم﴾ آية، أو بعض آية، فمن عدّها آية، صارت هذه الآيات إحدى عشرة آية، والله أعلم.

(٢) في (ر): تفسيره.

يجاهدوا، ثم أُذِنَ لهم في القتال حين أخرجهم أهل مكة؛ فلما أمروا بالجهاد كرهوا القتال ﴿ولقد فتنا﴾ اخترنا ﴿الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ بما أظهروا من الإيمان ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ يعني: الذين يظهرون الإيمان وقلوبهم على الكفر وهم المنافقون، وهذا علمُ الفعال.

قال محمدٌ: معنى علم الفعال: العلم الذي تقوم به الحجة وعليه يكون الجزاء، وقد علم الله الصادق والكاذب قبل خلقهما.

﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ يعني: الشرك ﴿أن يسبقونا﴾ حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم أي: قد حسبوا ذلك وليس كما ظنوا ﴿ساء ما﴾ أي: بش ما ﴿يحكمون﴾ أن يظنوا أن الله خلقهم، ثم لا يبعثهم فيجزئهم بأعمالهم، ثم قال: ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ يقول: من كان يخشى البعث، وهذا المؤمن ﴿فإن أجل الله لآت﴾ يعني: البعث ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ يقول: يُعطيه الله ثواب ذلك.

﴿إن الله لغني عن العالمين﴾ أي: عن عبادتهم.

﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ يعني: جميع الناس بوالديه ﴿حسناً﴾ أي: برّاً ﴿وإن جاهدك لتشرك بي﴾ أي: أراداك على أن تشرك بي ﴿ما ليس لك به علم﴾ أي: أنك لا تعلم أن معي شريكاً؛ يعني: المؤمنين ﴿فلا تطعهما﴾.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا

سَيَلْنَا وَلَنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ ﴿١٢﴾ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٤﴾
 ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾ (يعني: مع الصالحين) ^(١) وهم أهل الجنة ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ رجعت القصة إلى الكلام الأول ﴿الم أحسب الناس﴾ ^(٢) إلى قوله: ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ ^(٣) فوصف المنافق في هذه الآية الآخرة، فقال: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ أي: إذا أمر بالجهاد في سبيل الله فدخل عليه فيه أذى، رفض ما أمر به. وأقام عن الجهاد، وجعل ما يدخل عليه من البلية في القتال إذا كانت بلية كعذاب الله في الآخرة؛ لأن الله قد خوفه عذاب الآخرة وهو لا يقرُّ به ﴿ولئن جاء نصر من ربك﴾ يعني: نصرًا على المشركين ﴿ليقولون﴾ يعني: جماعتهم ﴿إنا كنا معكم﴾ يطلبون الغنيمة، قال الله: ﴿أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي: أنه يعلم أن هؤلاء المنافقين في صدورهم التكذيب بالله وبرسوله وهم يظهرون الإيمان ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم﴾ أي: ما كان فيه من إثم فهو [علينا] ^(٤) وهذا منهم إنكارٌ للبعث والحساب.

قال محمد: (ولنحمل) هو أمرٌ في تأويل الشرط والجزاء ^(٥)، المعنى: إن تتبعوا سبيلنا حملنا خطاياكم أي إن كان فيه إثم فنحن نحمله وإلى هذا

(١) سقط من «ر».

(٢) العنكبوت: ٢.

(٣) العنكبوت: ٣.

(٤) في الأصل: عليهم. والمثبت من «ر».

(٥) ينظر: البيان (٢/٢٤١)، الدر المصون (٥/٣٦١).

(ل ٢٥٩) ذهب يحيى .

﴿وما هم﴾ يعني: الكافرين ﴿بحاملين من خطاياهم﴾ يعني: خطايا المؤمنين ﴿من شيء﴾ لو أتبعوهم ﴿وإنهم لكاذبون﴾ .
 ﴿وليحملن أثقالهم﴾ يعني: آثام أنفسهم ﴿وأثقالاً مع أثقالهم﴾ يقول: يحملون من ذنوب من اتبعهم على الضلالة، ولا ينقص ذلك من ذنوب الذين اتبعوهم شيئاً.

يحيى: عن خالد، عن الحسن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أئماً داع دعا إلى هدى^(١) فأتبع عليه، كان له مثل أجر من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم^(٢) شيء، وأئماً داع دعا إلى ضلالة فأتبع عليها، كان له مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيء^(٣)» .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿١٤﴾ فَأَتَيْنَهُ الْفِيلُ وَأَصْحَابُ السِّفِينَةِ وَجَعَلْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾

(١) في «ر»: الهدى .

(٢) في «ر»: أجورهم .

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ٥٠٤ - ٥٠٥) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١/ ٥٢ رقم ٧) من طريق سفيان بن حسين عن الحسن به .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٥/ ١٥٥) لعبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن مراسلاً . ورواه الإمام أحمد (٢/ ٣٩٧) ومسلم (٤/ ٢٠٦٠) رقم ٢٦٧٤ وأبو داود (٥/ ١٩٣ - ١٩٤ رقم ٤٦٠١) والترمذي (٥/ ٤٢ رقم ٢٦٧٤) وابن ماجه (١/ ٧٥ رقم ٢٠٦) وابن حبان (١/ ٣١٨ رقم ١١٢) وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه . وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح .

ورواه الإمام أحمد (٢/ ٥٢٠ - ٥٢١) وابن ماجه (١/ ٧٤ رقم ٢٠٤) والطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ١١٦ رقم ٢٦٧٧) من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة .

وَأَنذَرِهِمْ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾
 إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾
 وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ قال كعب: لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا، ثم لبث بعد الطوفان ستمائة سنة ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ...﴾ إلى قوله: ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ قد مضى تفسير هذه القصة في سورة هود^(١).

قال محمد: والطوفان من كل شيء ما كان كثيرًا مهلكًا للجماعة؛ كالغرق المشتمل على جماعة والقتل الذريع والموت الجارف.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي: تقولون كذبًا ﴿وَإِن تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ أي: فأهلكهم الله، يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لم يؤمنوا ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي: ليس عليك أن تكره الناس على الإيمان.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ ﴿وَمَا أَسْتَعِزُّ بِمُعْجِزَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

﴿أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق﴾ بلى قد رأوا أن الله قد خلق العباد ﴿ثم يعيده﴾ يخبر أنه يبعث العباد ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ خلقهم وبعثهم ﴿ثم الله ينشيء﴾ يخلق ﴿النشأة الآخرة﴾ يعني: البعث ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾ يعني: ما أنتم بسابقي الله بأعمالكم الخبيثة ففتوتونه هرباً؛ يقوله للمشركين .

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعَنَّ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَمَأْوَسُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن تَلْوِينٍ ﴿٢٥﴾ فَامَنَ لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

﴿فما كان جواب قومه﴾ رجع إلى قصة إبراهيم ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ أي: فيما صنع الله لإبراهيم خليله وما نجاه من النار، وإنما يعتبر المؤمنون .

قال محمد: من قرأ (جواب) بالنصب^(١) جعل (أن قالوا) اسم كان^(٢) .

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ الحسن وعمر بن دينار (جواب) بالرفع. ينظر: البحر (١٤٨/٧)، جامع القرطبي (٣٣٨/١٣).

(٢) ينظر: الدر المصون (٣٦٤/٥).

﴿ثم قال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم﴾ أي: يحب بعضكم بعضاً على عبادة الأوثان في الحياة الدنيا.

قال محمد: (مودّة) منصوبٌ بمعنى: اتخذتم هذا للمودّة^(١).

﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ أي: يتبرأ بعضكم من بعض ﴿وقال إني مهاجرٌ إلى ربي﴾ إبراهيم يقوله؛ هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام ﴿وآتيناه أجره﴾ في الدنيا فليس من أهل دين إلا وهم يتولّونه ويحبونه.

﴿ولو طّا إذ قال لقومه﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَأَنْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

﴿ولو طّا﴾ أي: وأرسلنا لو طّا ﴿إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة﴾ يعني: إتيان الرجال في أذبارهم ﴿أننكم لتأتون الرجال﴾.

قال محمد: (أننكم) لَفْظُهُ لَفْظُ الاستفهام، والمعنى معني التقرير والتوبيخ. ﴿وتقطعون السبيل﴾ كانوا يتعرضون الطريق يأخذون الغرباء؛ فيأتونهم في أذبارهم، ولا يفعله بعضهم ببعض ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ في مجمعكم المنكر؛ يعني: فعلهم ذلك.

﴿ولما جاءت رُسُلنا إبراهيم بالبشرى﴾ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/٥٦٨)، البحر (٧/١٤٨ - ١٤٩)، جمع البيان (٤/٢٧٨)، البيان (٢/٢٤٢ - ٢٤٣).

أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَانَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَهُمْ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرَانَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾

﴿ولما أن جاءت رسلنا﴾ يعني: الملائكة ﴿إبراهيم بالبشرى﴾ بإسحاق ﴿قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية﴾ يعنون: قرية لوط ﴿إن أهلها كانوا ظالمين﴾ مشركين ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا﴾ لما تخوفه عليهم من فعل قومه، وهو يظن أنهم آدميون.

﴿وقالوا لا تخف ولا تحزن﴾ الملائكة قائله للوط ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون﴾ يشركون ﴿ولقد تركنا منها آية﴾ (ل ٢٦٠) بينة ﴿أي﴾: [عبرة] ^(١) ﴿لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون، وقد مضى تفسير قصة قوم لوط ^(٢).

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُوا اللَّهِ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادَا وَنَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ أَعْمَانَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ينظر الأعراف (٨٠ - ٨٤)، هود: (٧٧ - ٨٣)، الحجر: (٦١ - ٧٤)، الشعراء: (١٦٠ -

١٧٤)، النمل: (٥٤ - ٥٨).

﴿وإلى مدين﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين ﴿أخاهم شعيباً﴾ أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر﴾ أي: صدقوا به ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾ العذاب؛ في تفسير الحسن ﴿فأصبحوا في دراهم جاثمين﴾ أي: هالكين.

﴿وعاداً وثموداً﴾ ^(١) أي: وأهلكنا عاداً وثموداً ﴿وقد تبين لكم من مساكنهم﴾ يعني: ما رأوا من آثارهم ﴿وكانوا مستبصرين﴾ في الضلالة.

﴿وَفَرَعُونَ وَفِرْعَوْنُ وَهَمْنٌ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيْنَ ﴿٢٩﴾﴾ فكللاً أخذنا بذنبيهم فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴿٣٠﴾﴾

﴿وقارون﴾ أي: وأهلكنا قارون وهامان وما كانوا سابقين ﴿أي: يسبقوننا؛ حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم﴾ فكللاً أخذنا بذنبه ﴿يعني: من أهلك من الأمم السابقة﴾ فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ﴿يعني: قوم لوط الذين رجموا بالحجارة؛ من كان خارجاً من مدينتهم، وأهل السفر منهم.

﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ ثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ يعني: مدينة قوم لوط وقارون ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ قوم نوح، وفرعون وقومه.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ

(١) بالتثنية وهي قراءة نافع وغيره، وتقدم ذكر القراءات فيها في سورة الفرقان.

مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتُلُّ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقْبِرَ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾ يعني: أوثانهم التي عبدوها من دون الله ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت﴾ أضعف البيوت ﴿لبيت العنكبوت﴾ أي: إن أوثانهم لا تغني عنهم شيئاً كما لا يكتن بيت العنكبوت من حرٍّ ولا برد ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن أوثانهم لا تغني عنهم شيئاً ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ أي: نصفها ونبيئها ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾ يعني: المؤمنين ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾ أي: للبعث والحساب ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعمرة للمؤمنين، أي: أن الذي خلق السموات والأرض يبعث الخلق يوم القيامة.

﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ تفسير الكلبي: إن العبد ما دام في صلاته لا يأتي فحشاً ولا منكراً ﴿ولذكر الله أكبر﴾ تفسير الحسن: قال الله: ﴿فاذكروني أذكركم﴾^(١) فإذا ذكر الله العبد ذكره الله، فذكر الله العبد أكبر من ذكر العبد إياه.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَاللَّهُنَّ وَاللَّهُمَّ وَحِيدٌ وَنَحْنُ لَمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ

أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ قال بعضهم: يعني: من قاتلك منهم ولم يعطك الجزية فقاتله، وإنما أمر بقتالهم بالمدينة، وهذا مما نزل بمكة؛ ليعملوا به بالمدينة [نسختها آية القتال] ^(١).

﴿فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ يعني: من آمن منهم ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني: مشركي العرب ﴿من يؤمن به﴾ يعني: القرآن ﴿وما كنت تتلو من قبله﴾ من قبل القرآن ﴿من كتاب ولا تحطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون﴾ لو كنت تقرأ وتكتب، و(المبطلون) في تفسير بعضهم: من لم يؤمن من أهل الكتاب. قال محمد: المعنى على هذا التفسير: أي: أنهم يجدونك في كتبهم أمياً فلو كنت تكتب لارتابوا.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي صُورِ الَّذِينَ أُوْتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر». وانظر الناسخ والمنسوخ (٧٣).

﴿بل هو آياتٌ بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني: (النبي)^(١) والمؤمنين ﴿وقالوا لولا﴾ هلاً ﴿أنزل عليه آيات من ربه﴾ كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بالآيات، قال الله: ﴿قل إنما الآيات عند الله﴾ إذا أراد الله أن ينزل آية أنزلها ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ أي: تتلوه وأنت لا تقرأ ولا تكتب، فكفاهم ذلك لو عقلوا ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً﴾ أني رسوله وأن هذا الكتاب من عنده؛ وأنكم على الكفر ﴿والذين آمنوا بالباطل﴾ والباطل: إبليس.

﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٣﴾ يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٥٥﴾ يَعْجَذِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّا أَرْضِي وَسِعَةً فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمِلِينَ ٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٦٠﴾

﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾ كان النبي ﷺ يخوفهم العذاب إن لم يؤمنوا؛ فكانوا يستعجلون به استهزاء وتكديفاً. قال الله: ﴿ولولا أجل مسمى﴾ (ل ٢٦١) النفخة [الأولى]^(٢) ﴿لجاءهم العذاب﴾ إن الله أخر عذاب كفار آخر هذه الأمة بالاستئصال إلى النفخة الأولى؛ بها يكون هلاكهم ﴿يوم يغشاهم

(١) سقط من «ر».

(٢) طمس في الأصل.

العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ﴿كقوله: ﴿لهم من جهنم مهادٌ ومن فوقهم غواشٍ﴾^(١).

﴿ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون﴾ أي: ثواب ما كنتم تعملون في الدنيا ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾ أمرهم في هذه الآية بالهجرة إلى المدينة ﴿فإياي فاعبدون﴾ أي: في تلك الأرض التي أمركم أن تهاجروا إليها؛ يعني: المدينة.

قال محمد: (فإياي) منصوبٌ بفعلٍ مضمر الذي ظهر تفسيره؛ المعنى: فاعبدوا إياي: فاعبدون^(٢).

﴿لنبؤنهم﴾ أي: لنسكنهم ﴿من الجنة غرفاً... نعم أجرُ العاملين﴾ نعم ثواب العاملين في الدنيا؛ يعني: الجنة ﴿وكأين﴾ أي: وكم ﴿من دابةٍ لا تحمل رزقها﴾ يعني: تأكل بأفواهها، ولا تحمل شيئاً لغدٍ.

﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَنَنْ يُؤْفَكُونَ﴾^(١١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنْ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ^(١٢) وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ^(١٣) ﴿

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض... إلى قوله: ﴿فأنى يؤفكون﴾ يقول: فكيف يصرفون بعد إقرارهم بأن الله خلق هذه الأشياء [﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له﴾ أي: يقرر. ﴿إن الله بكل

(١) الأعراف: ٤١ .

(٢) ينظر الدر المصون (٥/٣٦٨).

شيء عليهم.

﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيي به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ أي: أنهم قد أقروا بأن الله خالق هذه الأشياء^(١)، ثم عبدوا الأوثان من دونه!؟.

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَلِئِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَاةُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْتَعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾ أي: إن أهل الدنيا أهل لهو ولعب؛ يعني: المشركين هم أهل الدنيا لا يقرون بالآخرة ﴿وإن الدار الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿لهي الحيوان﴾ أي: يبقى فيها أهلها لا يموتون ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يعني: المشركين لعلموا أن الآخرة خير من الدنيا ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ إذا خافوا الغرق ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ كقوله: ﴿بدلوا نعمة الله كفراً﴾^(٢).

﴿وليستمتعوا﴾ في الدنيا ﴿فسوف يعلمون﴾ إذا صاروا إلى النار؛ وهذا وعيد.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُونًا وَسَخَطُفُ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ

(١) لحق غير واضح بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) إبراهيم: ٢٨.

الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً﴾ أي: بلى قد رأوا ذلك ﴿ويتخطفُ الناس من حولهم﴾ يعني: أهل الحرم، يقول: إنهم آمنون، والعرب حولهم يقتل بعضهم بعضاً ﴿أفالباطل يؤمنون﴾ أفيابليس يصدقون؟! أي: بما وسوس إليهم من عبادة الأوثان، وهي عبادته ﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ يعني: ما جاء به النبي ﷺ من الهدى، وهذا على الاستفهام؛ أي: قد فعلوا.

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فعبد الأوثان دونه ﴿أو كذب بالحق﴾ بالقرآن ﴿لما جاءه﴾ أي: لا أحد أظلم منه ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ أي: منزل ﴿للكافرين﴾ أي: بلى فيها مثوى لهم ﴿والذين جاهدوا فينا﴾ يعني: عملوا لنا. ﴿لنهديهم سبلنا﴾ يعني: سبل الهدى. ﴿وان الله لمع المحسنين﴾ يعني: المؤمنين.



تفسير سورة الروم وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْعَمَّ﴾ ١ ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ ٢ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ ٣ ﴿فِي يَضْعَ سِنِينَ﴾ ٤ ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ٥ ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٦ ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٧ ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ﴾ ٨ ﴿قوله: ﴿الم﴾ قد مضى القول فيه ﴿غلبت الروم﴾ غلبتهم فارس ﴿في أدنى الأرض﴾ أرض الروم بأذرعَات من الشام؛ بها كانت الوقعة، فلما بلغ ذلك مشركي العرب شمتوا، وكان يعجبهم أن يظهر المجوس على أهل الكتاب، وكان المسلمون يعجبهم أن يظهر الروم على فارس؛ لأن الروم أهل كتاب، قال الله: ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ فارس ﴿في بضعة سنين لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ من قبل أن تهزم الروم، ومن بعد ما هزمت ﴿ويومئذ﴾ يوم يغلب الروم فارس ﴿يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء...﴾ إلى قوله: ﴿لا يعلمون﴾ فقال أبو بكر للمشركين: لم تشمتون؟ فوالله لتظهرن الروم على فارس إلى ثلاث سنين. وقال أبي بن خلف: أنا أبايعك ألا تظهرن الروم على فارس إلى ثلاث سنين. فتبايعا على خَطَرٍ^(١) بسبع من الإبل. ثم رجع أبو بكر إلى رسول الله فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: اذهب فبايعه

(١) الْخَطَرُ: هو ما يُرَاهَن عليه. لسان العرب (خطر).

إلى سبع سنين، مُدٌّ في الأجل وزِدٌّ في الخَطَرِ [ولم يكن حرام ذلك يومئذ، وإنما حرم القمار - وهو الميسر - بعد] ^(١) غزوة الأحزاب، فرجع أبو بكر إليهم (ل ٢٦٢) قال: اجعلوا (الوعد) ^(٢) إلى سبع سنين وأزيدكم في الخطر. ففعلوا فزادوا فيه ثلاثاً فصارت عشراً من الإبل، وصارت السنون سبعاً؛ فلما جاءت سبع سنين ظهرت الروم على فارس، وكان الله وعد المؤمنين إذا غلبت الروم فارس أظهرهم على المشركين، فظهرت الروم على فارس، والمؤمنون على المشركين في يوم واحد يوم بذر، وفرح المسلمون بذلك؛ وبأن الله صدق قوله وصدق رسوله ^(٣).

قال محمد: (وَعَدَ اللَّهُ) منصوبٌ على أنه مصدرٌ مؤكد؛ المعنى: وعد الله وعداً ^(٤).

﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: المشركين ﴿لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ قال الحسن: يقول: يعلمون حين زرعهم، وحين حصادهم، وحين نتاجهم ﴿وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ لا يقرون بها.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منكم قوة وأناروا الأرض وعمروها

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في «ر»: الوقت.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٢٠/٢١) عن ابن مسعود بنحوه، وانظر تخريج أحاديث الكشاف (٥٤/٣ - ٥٥).

(٤) ينظر: إعراب القرآن (٥٨١/٢)، البحر (١٦٢/٧)، البيان (٢٤٩/٢).

أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِلَّهِ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عِقَابَ الَّذِينَ أُصْحُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾ أي: لو تفكروا في خلق السموات والأرض لعلموا أن الذي خلقهما يبعث الخلق يوم القيامة ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ يعني: المشركين ﴿بلقاء ربهم لكافرون﴾.

﴿كانوا أشد منهم قوة﴾ أي: بطشاً ﴿وأثاروا الأرض﴾ أي: حرثوها ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ أكثر مما عمر هؤلاء ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ يعني: كفار الأمم الخالية فيعذبهم على غير ذنب ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بكفرهم وتكذيبهم؛ أي: قد [ساروا]^(١) في الأرض ورأوا آثار الذين من قبلهم يخوفهم أن ينزل بهم ما نزل بهم إن لم يؤمنوا.

﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾ أشركوا ﴿السوأى﴾ يعني: جهنم ﴿أن كذبوا بآيات الله﴾ يعني: بأن كذبوا.

قال محمد: من قرأ: (عاقبة) بالرفع^(٢) جعل (السوأى) خبراً لكان^(٣)، وأصل الكلمة الفُعْلَى من السوء^(٤) قال الشاعر:

(١) في الأصل (صاروا).

(٢) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمر، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: السبعة (٥٠٦)، النشر (٣٤٤/٢)، البحر (١٦٤/٧)، التيسير (١٧٤).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٥٨٢/٢)، البحر (١٦٤/٧)، مجمع البيان (٢٩٦/٤)، البيان (٢/٢٤٩).

(٤) والسوأى مؤنث الأسوأ. ينظر لسان العرب (سوء).

أم كيف يجزؤنني السؤاى من الحسن (١)

﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

قوله: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ يعني: البعث ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ﴾ يوم القيامة ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: يياسُ المشركون من الجنة ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ﴾ يعني: أوثانهم ﴿شُفَعَاءُ﴾ يومئذ يتفرقون: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ يكرمون .

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ (١٦) فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًا وَحِينَ يُظَاهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ الصلوات الخمس كلها في هذه الآية؛ في تفسير الحسن.

(١) هذا عجز بيت للشاعر أفتون التغلبي ، صدره :

أتى جزوا عامراً سوى يفعلهم

وهو من بحر البسيط. ينظر شرح شواهد المغني (٥٣) ، الخصائص (١٨٤/٢) ، (٣/

١٠٧) ، وأمالى ابن الشجري (٣٧/١) ، الحجة لابن خالويه (١٢٨/٤) .

﴿فَسَبِّحْهُنَّ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تَصْبِحُونَ﴾ صلاة الفجر ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر ﴿وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾ صلاة الظهر.
قال محمدٌ: تقول: أظهرنا؛ أي: دخلنا في الظهيرة؛ وهو وقت الزوال^(١).

قال يحيى: «نزلت هذه الآية بعد ما أُسْرِيَ بالنبِيِّ ﷺ وفرضت عليه الصلوات الخمس، وكل صلاة ذكرت في المكي من القرآن قبل أن تفرض الصلوات الخمس فهي ركعتان غدوة^(٢)، وركعتان عشية^(٣)».

﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ تفسير الحسن: يخرج المؤمن من الكافر، ويخرج الكافر من المؤمن ﴿وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يحييها بالنبات بعد إذ كانت يابسة.

﴿وَكَذَلِكَ تَخْرُجُونَ﴾ يعني: البعث؛ يرسل الله مطراً مَيِّئاً كَمَيِّئِ الرِّجَالِ، فتنبت به جُسمَانُهُمْ وَلُحْمَانُهُمْ؛ كما تنبت الأرض الثرى.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ السِّنِّكُمْ وَالْوَبْأُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ

(١) وقيل: أظهرنا: سبنا في الظهيرة. لسان العرب (ظهر).

(٢) ويقال فيها: الغداة، وهي الوقت ما بين الفجر وطلوع الشمس. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (غدو).

(٣) وهي الوقت من زوال الشمس إلى المغرب، أو من صلاة المغرب إلى العتمة. وصلاتا العشي: صلاة الظهر وصلاة العسر. لسان العرب، المعجم الوسيط (عشى).

مَنْ فَضَّلَهُ إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

﴿ومن آياته﴾ تفسير السدي: يعني: ومن علامات الرب أنه واحد ﴿أن﴾ خلقكم من تراب ﴿يعني﴾: الخلق الأول: خلق آدم ﴿ثم﴾ إذا أنتم بشرٌ تتشربون ﴿وتنبتون﴾ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا ﴿يعني﴾: المرأة هي من الرجل ﴿لتسكنوا إليها﴾ أي: تستأنسوا بها ﴿وجعل بينكم مودةً﴾ محبة ﴿ورحمة﴾ يعني: الولد.

﴿واختلاف ألستكم وألوانكم﴾ تفسير الكلبي: اختلاف ألستكم للعرب كلام، ولفارس كلام، وللروم كلام (سائرهم من الناس) ^(١) كلام ﴿وألوانكم﴾ أبيض وأحمر وأسود.

﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله﴾ (ل ٢٦٣) كقوله: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ ^(٢) من رزقه بالنهار ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يسمعون﴾ وهم المؤمنون سمعوا عن الله ما أنزل عليهم ﴿يريكُم البرق خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ خوفًا للمسافر يخاف أذاه ومعرفته، وطمعًا للمقيم في المطر ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون عقلوا عن الله ما أنزل عليهم.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا

(١) في «ر»: ولسائرهم.

(٢) القصص: ٧٣.

أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَكُمْ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّكُمْ قَلْبُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴿

﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ كقوله: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾^(١).

﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ يعني: النفخة الآخرة، وفيها تقديم: إذا دعاكم دعوة إذا أنتم من الأرض تخرجون^(٢) ﴿كل له قانتون﴾ تفسير الكلبي: كل له مطيعون في الآخرة؛ فلا يقبل ذلك من الكفار. ﴿وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده﴾ بعد الموت؛ يعني: البعث.

﴿وهو أهون عليه﴾ أي: وهو أسرع عليه بدء الخلق خلقًا بعد خلق، ثم يبعثهم بمرة^(٣) واحدة.

قال محمد: قال أبو عبيدة: المعنى: وهو هَيِّنٌ عليه^(٤)؛ كما قالوا: الله أكبر بمعنى الكبير، وكما قالوا: أجهل؛ بمعنى: جاهل، وأنشد:

وقد أُعْتِبَ ابن العمِّ إن كان ظالمًا وأُغْفِرَ عنه الجهل إن كان أجهلاً^(٥)

﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا

(١) فاطر: ٤١.

(٢) ينظر: مجمع البيان (٣٠٠/٤)، البحر (١٦٨/٧)، البيان (٢٥٠/٢).

(٣) أي: مرة، وهو تعبير لغوي فصيح.

(٤) أي: أن (أفعل) بمعنى (فعليل)، وهو كثير في الكلام.

(٥) البيت من بحر الطويل، ويروى البيت: ولا أعتب... إن كان عاتبًا... إلخ. ينظر مجمع الأمثال (٣٦٩/١).

رَزَقْنَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾

قوله: ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ أي: ليس له نِدْ ولا شِئْنة ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾ ثم ذكر ذلك المثل فقال: ﴿هل لكم﴾ يعني: الكم؟ ﴿مما ملكت أيما نكم﴾ يعني: عبيدكم ﴿من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء﴾ أي: هل يشارك أحدكم مملوكه في زوجته وماله؟ ﴿تخافونهم﴾ تخافون لائمهم ﴿كخيفتكم أنفسكم﴾ يعني: كخيفة بعضكم بعضاً؛ أي: أنه ليس أحد منكم هكذا؛ فأننا أحق ألا يشرك بعبادتي غيري ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نبيئها ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ أتاهم من الله بعبادة الأوثان ﴿فمن يهدي من أضل الله﴾ أي: لا أحد يهديه. ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينَ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُبِينٍ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿فأقم وجهك﴾ أي: وجهتك ﴿للدِّينِ حنيفاً﴾ أي: مخلصاً.

﴿فطرت الله التي فطر﴾ خلق ﴿الناس عليها﴾.

قال محمد: (فطرت الله) نصب بمعنى: اتبع فطرة الله^(١).

(١) إعراب القرآن (٥٨٨/٢)، البحر (١٧١/٧)، مجمع البيان (٣٠٢/٤).

قال يحيى: وهو قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾^(١) الآية. إن أول ما خلق الله القلم؛ فقال: اكتب. قال: رب ما أكتب! قال: ما هو كائن. قال: فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة؛ فأعمال العباد تُعْرَضُ كُلَّ يَوْمٍ اثْنَيْنِ وَخَمِيسَ عَرْضَةٍ (فيجدونها)^(٢) على ما في الكتاب. ثم مسح بعد ذلك على ظهر آدم فأخرج (منها)^(٣) كل نسمة هو خالقها، فأخرجهم مثل الذر. فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ قالوا بلى شهدنا ﴿ثم أعادهم في صلب آدم، ثم يكتب العبد في بطن أمه: شقيًا أو سعيدًا، على الكتاب الأول، فمن كان في الكتاب الأول شقيًا عمر حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم بالشرك، ومن كان في الكتاب الأول سعيدًا غمّر حتى يجري عليه القلم [فيؤمن]^(٤) فيصير سعيدًا، ومن مات صغيرًا من أولاد المؤمنين قبل أن يجري عليه القلم؛ فيكونون مع آبائهم في [الجنة من ملوك]^(٥) أهل الجنة، ومن كان من أولاد المشركين، فمات قبل أن يجري عليه القلم، فليس يكونون مع آبائهم في النار؛ لأنهم ماتوا على الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، ولم ينقضوا الميثاق.

قال يحيى: وقد حدثني الوليد بن (...)^(٥) عن الربيع بن صبيح، عن يزيد

(١) الأعراف: ١٧٢، ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ على الجمع، وهي قراءة: نافع وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الكوفيون وابن كثير: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بالإنفراد. ينظر: النشر (٢/٢٧٣)، البحر (٤/٤١٨) - (٤١٩)، الدر المصنوع (٣/٣٦٩ - ٣٧٠).

(٢) في «ر»: فيحمدونه.

(٣) أي: من المسححة التي مسحها على ظهر آدم.

(٤) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) لم استطع قراءتها من الأصل، وفي «ر»: «الوليد عن ابن بزغ» ولم اهتم لضبط هذا الإسناد، والله أعلم.

الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: «سُئِلَ رسولُ الله عن أولاد المشركين؟ فقال: لم تكن لهم حسنات؛ فيجزوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة، ولم تكن لهم سيئات؛ فيُعاقبوا بها فيكونوا من أهل النار؛ فهم خدم لأهل الجنة»^(١).

- (١) رواه الطيالسي (٢٨٢ رقم ٢١١١) عن الربيع بن صبيح به.
- ورواه أبو نعيم في الحلية (٣٠٨/٦) من طريق الثوري عن الربيع بن صبيح به.
- وروى أبو يعلى (١٣٠/٧ - ١٣١ رقم ٤٠٩٠) وابن عبد البر في التمهيد (١١٨/١٨) وغيرهم من طريق الأعمش، عن يزيد الرقاشي، عن أنس قال رسول الله ﷺ: «الأطفال خدم أهل الجنة».
- ورواه البزار - كما في تخريج الكشاف (٤٠٥/٣) - والطبراني في الأوسط (٢٩٤/٥) رقم ٥٣٥٥ من طريق مبارك بن فضالة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أنس مثله.
- وقال ابن القيم في طريق الهجرتين (ص ٥٨٤): يزيد الرقاشي وإه.
- وقال الهيثمي في المجمع (٢١٩/٧): رواه أبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفي إسناده أبي يعلى: يزيد الرقاشي، وهو ضعيف، وقال فيه ابن معين: رجل صدق. وثقه ابن عدي، وبقية رجالهما رجال الصحيح.
- وقال ابن حجر في الفتح (٢٩٠/٣): حديث ضعيف، أخرجه أبو داود الطيالسي وأبو يعلى.
- وروى البخاري في تاريخه (٤٠٧/٦ - ٤٠٨) والبزار - كما في تخريج الكشاف (٤٠٤/٣) - والطبراني في الكبير (٢٤٤/٧ رقم ٦٩٩٣) والرويان في مسنده (٦٤/٢ رقم ٨٣٨) وغيرهم من طريق عيسى بن شعيب، عن عباد بن منصور، عن أبي رجاء، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال النبي ﷺ: «أطفال المشركين خدم أهل الجنة».
- وقال الهيثمي في المجمع (٢١٩/٧): رواه الطبراني في الكبير والأوسط والبزار، وفيه عباد ابن منصور، وثقه يحيى القطان، وفيه ضعف، وبقة رجاله ثقات.
- وقال ابن حجر في الفتح (٢٩٠/٣): وإسناده ضعيف.
- وقال ابن منده في المعرفة (٢٦١/٢ - ١) - كما في السلسلة الصحيحة (٤٥٢/٣ رقم ٤٦٨) - حدث إبراهيم بن المختار عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعد عن أبي مالك قال: «سئل النبي ﷺ عن أطفال المشركين، قال: هم خدم أهل الجنة».
- قال أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٠٧/٦ رقم ٦٩٨١): كذا قال عن أبي مالك؛ والمشهور عن يزيد عن سنان عن أنس بن مالك. قال ابن حجر في الإصابة (٦/١٢): وهو كذلك.

يحيى: (عن ابن أبي ذئب)^(١) عن الزهري [عن عطاء بن يزيد]^(٢) عن أبي هريرة قال: «سُئِلَ رسول الله عن أولاد المشركين، فقال: الله أعلم (ل) (٢٦٤) بما كانوا عاملين»^(٣).

قال يحيى: يعني: لو بلغوا.

قوله: ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ يعني: لدين الله كقوله ﴿من يهد الله فهو المهتدي﴾ لا يستطيع أحد أن يضلّه ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ وهم المشركون.

﴿منيين إليه﴾: أي مقبلين بالإخلاص.

قال محمد: قال الزجاج: (منيين إليه) نصب على الحال^(٤) بفعل (فأقم وجهك) قال: وزعم جميع النحويين أن معنى هذا: فأقيموا وجوهكم؛ لأن

(١) في «ر»: عن أبي دينار. وهو تحريف.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) رواه الطيالسي (٣١٤ رقم ٢٣٨٢) عن ابن أبي ذئب به.

ورواه الإمام أحمد (٢٥٩/٢) ومسلم (٣٥٣/٤) والبخاري (٢٦٥٨) والبيهقي (١٥٣ رقم ٨٣) من طريق ابن أبي ذئب.

ورواه الإمام أحمد (٢٦٨/٢) والبخاري (٢٨٩/٣) ومسلم (٣٥٣/٤) والبيهقي (٢٦٥٨) والنسائي (٥٨/٤) وابن حبان (٣٤٠/١) والبخاري (١٣١) والبيهقي (١٥٣/١) وغيرهم من طرق عن الزهري به.

وقال البخاري: هذا حديث متفق على صحته.

وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وغيره من الصحابة.

وانظر الكلام على أولاد المشركين مفصلاً في التمهيد لابن عبد البر (١١١/١٨ - ١٣٣) وطريق الهجرتين لابن القيم (٥٧٠ - ٥٩٥) وفتح الباري لابن حجر (٢٩٠/٣ - ٢٩١) وغيرها.

(٤) وفي ذلك تفصيل نحوي، حيث اختلف النحاة في عامل النصب في الحال. ينظر: إعراب القرآن (٥٨٩/٢)، مجمع البيان (٣٠٤/٤)، البحر (١٧١/٧).

مخاطبة النبي ﷺ تدخل فيها الأمة^(١).

﴿ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا﴾ فرقا؛
يعني: أهل الكتاب ﴿كل حزب﴾ كل قوم ﴿بما لديهم﴾ أي: بما هم عليه
﴿فرحون﴾ أي: راضون .

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ
سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ
تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتَتْ ذَا الْقُرْنَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ
ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ أي: مخلصين في الدعاء
﴿ثم إذا أذاقهم منه رحمة﴾ يعني: كشف عنهم ذلك ﴿إذا فريق منهم بربهم
يشركون ليكفروا بما آتيناهم﴾ أي: يكفروا بما آتيناهم من النعم حيث أشركوا
﴿فتمتعوا﴾ إلى موتكم ﴿فسوف تعلمون﴾ وهذا وعيد ﴿أم أنزلنا عليهم
سلطانا﴾ أي: حجة ﴿فهو يتكلم﴾ أي: فذلك السلطان يتكلم ﴿بما كانوا به
يشركون﴾ أي: لم تنزل عليهم حجة بذلك تأمرهم أن يشركوا ﴿وإذا أذقنا
الناس رحمة﴾ يعني: عافية وسعة ﴿فرحوا بها وإن تصيبهم سيئة﴾ يعني: شدة
عقوبة ﴿بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون﴾ يياسون من أن يصيبهم رخاء بعد

(١) ينظر الكلام على ذلك من الدر المصون (٣٧٨/٥)، كشف المشكلات (١٠٥٠/٢).

تلك الشدة؛ يعني: المشركين ﴿فَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾.

قال الحسن^(١): بعض هذه الآية تطوع، وبعضها مفروض؛ فأما قوله: ﴿فَأَتَا ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ فهو تطوع، وهو ما أمر الله به من صله القرابة، وأما قوله: ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ فيغني: الزكاة.

قال يحيى: حدثونا أن الزكاة فرضت بمكة، ولكن لم تكن شيئاً معلوماً. ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّتَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرِبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾ (٣٩) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

﴿وما آتيتم من رباً لتربوا﴾^(٢) في أموال الناس فلا يربوا عند الله ﴿تفسير الضحاك بن مزاحم: قال: تلك الهدية تهديها ليهدى إليك خير منها ليس لك فيها أجر، وليس عليك فيها وزر، وبعضهم يقرؤها: ﴿لتربوا﴾ أي: ليربو ذلك الربا ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله﴾ يعني: تريدون به الله ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ يعني: الذين يضاعف الله لهم الحسنات.

قال محمد: يقال: رجل مُضْعِفٌ؛ أي: ذو أضعافٍ من الحسنات؛ كما يقال: رجلٌ مَوسِرٌ؛ أي: ذو يسارٍ^(٣).

(١) في «ر»: محمد. وأظنها الصواب، والله أعلم.

(٢) هكذا في الأصل و«ر»: (لتربوا) وهي قراءة نافع وحده من السبعة، وقرأ الباقون (ليربوا) ينظر: السبعة (٥٠٧)، البحر (١٧٤/٧)، التيسير (١٧٥)، النشر (٣٤٤/٢).

(٣) ينظر: لسان العرب (ضعف)، و(يسر).

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ تفسير بعضهم: الفساد: الهلاك، يعني: من أهلك من الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم أهلكهم الله في بر الأرض وبحرها ﴿لعلهم يرجعون﴾ لعل من بعدهم أن يرجعوا عن شركهم إلى الإيمان ويتعظوا بهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار.

﴿فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصْدَعُونَ﴾ (٤٣) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّونَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَنْ ءَابَىٰ عَنْهُ أَنْ يُرْسَلَ الرِّيحُ مُبَشِّرَتٍ وَلِيُذِيقَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَقَدْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْفَقْنَا مِنَ الَّذِينَ أُجْرِمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤٧)

﴿فاقم وجهك﴾ أي: وجهتك ﴿للدن القيم﴾ الإسلام ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ يعني: يوم القيامة ﴿يومئذ يصدعون﴾ يتصدعون؛ أي: يتفرون: فريق في الجنة وفريق في السعير ﴿من كفر فعليه كفره﴾ يُثَاب عليه النار ﴿ومن عمل صالحًا فلأنفسهم يمهدون﴾ يعني: يُوطَّئُون في الدنيا القرار في الآخرة ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ أي:

بفضله يدخلهم الجنة .

﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بالمطر ﴿وليديقمكم من رحمته﴾ يعني: المطر ﴿ولتجري الفلك﴾ يعني: السفن ﴿بأمره ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: طلب التجارة في البحر .

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُبْرِسُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَنَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مِنْ يَسَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْسِلِينَ ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَى ءَاتِرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ أي: قطعًا ﴿فترى الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ من خلال السحاب .

﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ المطر ﴿من قبله لمبلسين﴾ أي: يائسين عاجزين .

قوله: ﴿من قبل أن ينزل عليهم من قبله﴾ (ل ٢٦٥) هو كلام من كلام العرب مثني مثل قوله: ﴿وهم بالآخرة هم كافرون﴾^(١) . قال محمد: تكرير (قبل) على جهة التوكيد^(٢) .

﴿فانظر إلى آثار رحمت الله﴾ يعني: المطر ﴿كيف يحيي الأرض بعد

(١) هود: ١٩، ويوسف: ٣٧، وفصلت: ٧ . ووردت في الأصل: ﴿وهم بآياتنا هم كافرون﴾ .

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع، ينظر من إعراب القرآن (٢/ ٥٩٤)، مجمع البيان (٤/ ٣٠٩)، البحر (٧/ ١٧٨) .

موتها ﴿يعني: النبات؛ أي: فالذي أنبت هذا النبات بذلك المطر قادرٌ على أن يبعث الخلق (يَوْمَ)﴾^(١) القيامة .

﴿وَلَيْنَ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾^(٥١) فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقُصَّةَ الدَّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ﴾^(٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمِّيِّ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٥٣) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾^(٥٤) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُشَوَّا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾^(٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٥٦) فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾^(٥٧)

﴿ولئن أرسلنا ريحًا فاهلكنا به ذلك الزرع﴾ فرأوه ﴿يعني: الزرع﴾ مصفرًا لظلوا من بعده ﴿[لصاروا]﴾^(٢) من بعد ذلك المطر ﴿يكفرون﴾ .

﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ يعني: الكفار الذين يموتون على كفرهم ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ [يقول: إن الصم لا يسمعون الدعاء إذا ولوا مدبرين] ^(٢) وهذا مثل الكفار أنهم إذا تولوا عن الهدى لم يسمعه سَمْعٌ قبول .

قال: ﴿وما أنت بهاد العُمِّي﴾ يعني: الكفار هم عُمِّي عن الهدى ﴿إن

(١) ما بين القوسين مكرر في الأصل .

(٢) سقط من الأصل والمثبت من «ر» .

تسمع ﴿ إن: يقبل منك ﴾ إلا من يؤمن بآياتنا ﴿.

قال محمد: (إن تسمع) أي: ما تُسمع^(١).

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾^(٢) يعني: نطفة الرجل ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة﴾ يعني: الشبية^(٣).

﴿يقسم المجرمون﴾ يحلف المشركون ﴿ما لبثوا﴾ في الدنيا في قبورهم ﴿غير ساعة﴾ كذلك كانوا يؤفكون ﴿يُصَدُّونَ فِي الدُّنْيَا عَنِ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ﴾ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث ﴿وهذا من مقادير الكلام﴾^(٤). يقول: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان: لقد لبثتم إلى يوم القيامة؛ يعني: لبثهم الذي كان في الدنيا وفي قبورهم إلى أن بُعِثُوا ﴿فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم﴾ في الدنيا ﴿لا تعلمون﴾ أن البعث حق ﴿فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿معذرتهم ولا هم يستعتبون﴾ لا يُردون إلى الدنيا فيعتبون؛ أي: يؤمنون.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾^(٥٨) كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٥٩)

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي: ليذكروا ﴿ولئن

(١) (إن) المخففة نافية بمعنى (ما). انظر في ذلك مغني اللبيب (١/٣٠).

(٢) بضم الضاد، قرأ عاصم وحزمة بفتح الضاد، واختلف عن حفص، وقرأ الباقون بالضم. النشر (٢/٣٤٥) وإتحاف الفضلاء (٤٤٥).

(٣) أي: الشباب. لسان العرب (شباب).

(٤) أي: أن الكلام به تقديم وتأخير. ينظر الكلام عليه من الدر المصون (٥/٣٨٣).

جئتكم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون ﴿ وكذلك أنهم كانوا يسألون النبي أن يأتيهم بآية ﴾ كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴿ يعني : الذين يلقون الله بشركهم ﴾ فاصبر إن وعد الله حق ﴿ الذي وعدك أنه سينصرك على المشركين .

﴿ ولا يستخفك الذين لا يوقنون ﴾ أي : لا تتابع المشركين إلى ما يدعونك إليه من ترك دينك .



تفسير سورة لقمان وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الذِّكْرُ ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاطٌ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

قوله: ﴿الم تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ هذه آيات الكتاب الحكيم المحكم؛ أحكمت آياته بالحلال والحرام، والأمر والنهي ﴿هدى ورحمة للمحسنين﴾ للمؤمنين.

قال محمد: من قرأ: ﴿ورحمة﴾^(١) بالنصب فعلى الحال^(٢).

﴿الذين يقيمون الصلاة﴾ المفروضة ﴿ويؤتون الزكاة﴾ المفروضة ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ تفسير السُّدي: يختار باطل الحديث على القرآن.

وقال الكلبي: نزلت في النضر بن الحارث من بني عبد الدار؛ وكان رجلاً راويةً لأحاديث الجاهلية وأشعارهم ﴿ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾ أنه من

(١) وهي قراءة السبعة إلا حمزة، فقد قرأها بالرفع. ينظر: البحر (١٨٣/٧)، السبعة (٥١٢)، النشر (٣٤٦/٢)، التيسير (١٧٦).

(٢) البحر (١٨٣/٧)، إعراب القرآن (٥٩٩/٢)، البيان (٢٥٣/٢).

اللَّهُ بما هو عليه من الشرك ﴿ويتخذها﴾ يتخذ آيات الله القرآن ﴿هزوا﴾ .

قال محمد: من قرأ: ﴿ويتخذها﴾ بالرفع ^(١) فعلى الابتداء ^(٢) .

﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً﴾ أي: جاحداً ﴿كأن لم يسمعها﴾ أي: قد سمعها بأذنيه، ولم يقبلها قلبه وقامت عليه بها الحجة. ﴿كأن في أذنيه وقراً﴾ صمماً .

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾

﴿خلق السموات بغير عمدٍ ترونها﴾ فيها تقديم في تفسير الحسن: خلق السموات ترونها بغير عمدٍ، وتفسير ابن عباس: لها عمدٌ ولكن لا ترونها ^(٣) ﴿وألقي في الأرض رواسي﴾ يعني: الجبال أثبت بها الأرض ﴿أن تميد بكم﴾ أي: لئلا تحرك بكم ﴿وبث فيها﴾ خلق ﴿من كل دابة﴾ .

﴿فأروني ماذا خلق﴾ يقوله للمشركين (ل٢٦٦) ﴿ماذا خلق الذين من دونه﴾ يعني: الأوثان ﴿بل الظالمون﴾ المشركون ﴿في ضلالٍ مبين﴾ بين .
﴿ولقد ءاتينا لقمن الحكمة أن أشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر﴾

(١) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم. وقرأ حمزة والكسائي بالنصب. ينظر: السبعة (٥١٢)، البحر (١٨٤/٧)، النشر (٣٤٦/٢)، التيسير (١٧٦).

(٢) ينظر البحر (١٨٤/٧).

(٣) ينظر: البحر (١٨٦/٧)، مجمع البيان (٣١٤/٤ - ٣١٥)، البيان (٢٥٤/٢).

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴿

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ قال مجاهد: يعني: الفقه والعقل، والإصابة في القول في غير نبوة ﴿أن اشكر لله﴾ النعمة.

﴿ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه﴾ وهو المؤمن ﴿ومن كفر﴾ يعني: كفرها ﴿فإن الله غني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ استوجب عليهم أن يحمده ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾ يعني: يظلم به المشرك نفسه وينقصها.

﴿حملته أمه وهنًا على وهن﴾ أي: ضعفًا على ضعف.

قال محمد: المعنى: لزمها لحملها إياه أن تضعف مرة بعد مرة.

﴿وإن جاهداك﴾ يعني: أراداك ﴿على أن تشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أي أنك لا تعلم أن لي شريكًا؛ يعني: المؤمن ﴿فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ﴾ طريق من أقبل إليّ بقلبه مخلصًا ﴿يا بني﴾ رجع إلى كلام لقمان ﴿إنها إن تك مثقال حبة﴾ أي: وزن حبة ﴿من خردل﴾.

قال محمد: من قرأ (مثقال) بالرفع^(١) مع تأنيث (تلك) فلأن مثقال حبة من

(١) وهي قراءة نافع، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: السبعة (٥١٣) البحر (٧/١٨٧)، النشر (٢/٤٢٣)، التيسير (٥٥١).

خردل راجع إلى معنى خردلة؛ فهو بمنزلة: إن تك حبة من خردل فتكن في صخرة^(١).

قال يحيى: بلغنا أنها الصخرة التي عليها الحوت الذي عليه قراز الأرض^(٢).

﴿أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله﴾ أي: احذر؛ فإنه سيحصى عليك عملك ويعلمه؛ كما علم هذه الحبة من الخردل ﴿إن الله لطيف﴾ باستخراجها ﴿خير﴾ بمكانها.

﴿يَبْنِي أَعْمَرَ الصَّلَاةَ وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبَرَ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (١٩) ﴿وَأَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بالتوحيد ﴿وانه عن المنكر﴾ الشرك ﴿إن ذلك من عزم الأمور﴾ والعزم أن يصبر ﴿ولا تصاعر^(٣) خدك للناس﴾ لا تعرض بوجهك عنهم استكبارًا.

قال محمد: ومن قرأ (تُصَعِّرُ)^(٤) فعلى وجه المبالغة، وأصل الكلمة من قولهم: أصاب البعير صَعْرًا؛ إذ أصابه داء فلوى منه عنقه^(٥).

(١) ينظر: البحر (١٨٧/٧)، إعراب القرآن (٦٠٢/٢)، البيان (٥٥٢/٢).

(٢) هذا من الإسرائيليات، والله أعلم.

(٣) هذه قراءة نافع، وأبي عمرو، والكسائي، وحمزة. ينظر البحر (١٨٨/٧)، السبعة (٥١٣)، النشر (٣٤٦/٢).

(٤) وهذه قراءة باقي السبعة.

(٥) الصُّعْر: داء في العنق لا يُسْتَطَاع معه الالتفات. المعجم الوسيط (صعر).

قال المتلمس^(١):

وكنا إذا الجبار صغر خذه أقمنا له من رأسه فتقو^(٢)ما
قوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ أي: تعظماً ﴿إن الله لا يحب كل
مختال فخور﴾ أي: متكبر فخور، يعني: يزهى بما أعطي، ولا يشكر الله
﴿واقصد في مشيك﴾ كقوله: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾ ﴿واغضض من
صوتك إن أنكر الأصوات﴾ يعني: أقبح ﴿لصوت الحمير﴾.

قال محمد: معنى (اغضض): انقض^(٣)؛ المعنى: عرّفه قبح رفع الصوت
في المخاطبة والملاحاة^(٤) بقبح أصوات الحمير؛ لأنها عالية.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهِرَةً
وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى
عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٣﴾ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى
وَلِإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٤﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ﴾ يعني: شمسها وقمرها
ونجومها، وما ينزل منها من ماء ﴿وما في الأرض﴾ من شجرها وجبالها

(١) هو جرير بن عبد العزى من بني ضبيعة شاعر جاهلي، وهو خال طرفة بن العبد، توفي حوالي (٥٠ ق هـ) تنظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (١١٩/٢).

(٢) البيت من بحر الطويل، ويروى: أقمنا له من مئله فتقوما. ينظر: البحر (١٨٢/٧)، مجاز القرآن (١٢٧/٢) منسوباً لعمر بن حُئي التغلبي، وفي لسان العرب (صعر) منسوباً إلى المتلمس، وهو كذلك في ديوانه: (٢٤).

(٣) لسان العرب (غضض).

(٤) المنازعة والمخاصمة. لسان العرب (لحي).

وأَنهارها وبحارها وبهائمها ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ أَي: فِي بَاطِنِ أَمْرِكُمْ وَظَاهِرِهِ ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ فَيَعْبُدُ الْأَوْثَانَ دُونَهُ ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ أَنَاهُ مِنَ اللَّهِ ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ بَيِّنٌ بِمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ.

﴿بَلْ نَتَّبِعْ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ يَعْنُونَ: عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ ﴿أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أَي: أَتَتَّبِعُونَ مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ آبَاءَهُمْ، وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ؛ أَي: قَدْ فَعَلُوا.

﴿وَمَن يَسْلَمْ وَجْهَهُ﴾ يَعْنِي: وَجْهَتَهُ فِي الدِّينِ ﴿إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿وَالِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ يَعْنِي: مُصِيرُهَا فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشَكُم إِلَّا كَفَفٌ وَاحِدٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴿نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا﴾ فِي الدُّنْيَا؛ يَعْنِي: إِلَىٰ مَوْتِهِمْ.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ يَكْتُبُ بِهَا عِلْمَهُ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ

أبحر؛ يُسَمِّدُ منه للأقلام لانكسرت الأقلام ونَفِدَ البحر ولمات الكتاب، وما نفدت كلمات الله يعني بما خلق.

قال محمد: من قرأ: ﴿والبحر﴾ بالرفع فهو على الابتداء^(١).

﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ قال المشركون: يا محمد، خلقنا الله (٢٦٧ل) أطوارًا: نطفًا ثم علقًا ثم مضغًا ثم عظامًا ثم لحمًا، ثم أنشأنا خلقًا آخر كما تزعم، وتزعم أننا نبعث في ساعة واحدة؟! فأنزل الله جوابًا لقولهم: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ إنما يقول له كن فيكون.

قال محمد: من قرأ (فيكون) بالرفع فعلى معنى: فهو يكون^(٢).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَاجٌ كَاطِلٌ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَحَتْهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَلَمَّتْهُمْ مَقْنَصُهُمْ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾

(١) وقراءة الرفع هي قراءة السبعة إلا أبا عمرو؛ فقد قرأ بالنصب . ينظر: السبعة (٥١٣)، البحر (١٩١/٧)، النشر (٣٤٧/٢).

وينظر في توجيه الرفع نحويًا من . إعراب القرآن (٦٠٦/٢)، البحر (١٩٠/٧ - ١٩١)، البيان (٢٥٦/٢).

(٢) هكذا في الأصل ودره وهو يشعر أن قوله ﴿إنما يقول له كن فيكون﴾ جزء من إحدى آيات سورة لقمان، وليس كذلك؛ ولا أدري ما سبب هذا الإقحام وسبب التعليق على قراءاته!

﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ هو أخذ كل واحد منهما من صاحبه ﴿ليريكم من آياته﴾ يعني: جري السفن.
﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ وهو المؤمن ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل﴾ كالجبال .

﴿فمنهم مقتصد﴾ هذا المؤمن، وأما الكافر فعاد في كفره ﴿وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار﴾ أي: غدار ﴿كفور﴾ يقول: أخلص له في البحر للمخافة من الغرق، ثم غدر.

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ انْقِرَاءَ رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾
(٣٣) إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

﴿واخشوا يومًا لا يجزي والد عن ولده﴾ أي: لا يفديه من عذاب الله .
﴿إن وعد الله حق﴾ يعني: البعث والحساب، والجنة والنار. ﴿ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ الشيطان، وتقرأ: (الغرور)^(١) برفع الغين؛ يعني: غرور الدنيا، وهو أباطيلها .

﴿إن الله عنده علم الساعة﴾ علم مجيئها ﴿وينزل الغيث﴾ المطر ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ من ذكر أو أنثى وكيف صورته ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم﴾ بخلقه ﴿خير﴾ بأعمالهم .

(١) وهي قراءة سماك بن حرب، وأبي حيو، وابن السميع. ينظر البحر (١٩٤/٧)، جامع القرطبي (٨١/١٤)، المحتسب (١٧٢/٢).

تفسير الم السجدة وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْم ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ أي: لا شك فيه أنه من رب العالمين.

قال محمد: ﴿تنزيل﴾ رفع على خبر الابتداء على إضمار: الذي تلو تنزيل الكتاب، ويجوز أن يكون رفعه على الابتداء، ويكون خبر الابتداء ﴿لا ريب فيه﴾ (١).

﴿أم يقولون افتراه﴾ يعني: المشركين يقولون: إن محمدًا افترى القرآن، أي: قد قالوه وهو على الاستفهام ﴿ما أتاهم من نذير من قبلك﴾ يعني: قريشًا ﴿لعلهم يهتدون﴾ لكي يهتدوا ﴿في ستة أيام﴾ اليوم منها ألف سنة. ﴿ما لكم من دونه من ولي﴾ يمنعكم من عذابه إذ أراد عذابكم ﴿ولا شفيع﴾ يشفع لكم عنده؛ حتى لا يعذبكم.

(١) ينظر: الدر المصون (٥/٣٩٣).

﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض﴾ أي: ينزله مع جبريل من السماء إلى الأرض ﴿ثم يعرج إليه﴾ أي: يصعد؛ يعني: جبريل إلى السماء ﴿في يوم كان مقداره ألف سنة﴾ من أيام الدنيا.

قال يحيى: بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة، فينزل مسيرة خمسمائة سنة، ويصعد مسيرة خمسمائة سنة في يوم وفي أقل من يوم، وربما سئل النبي ﷺ عن الأمر يحضره، فينزل في أسرع من الطرف.

﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٦ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ٧ ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ٨ ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ ٩ ﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ﴾ ١٠ ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ١١

﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ وهذا تبع للكلام الأول ﴿لا ريب فيه من رب العالمين﴾ ثم قال: ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾ يعني: نفسه و﴿الغيب﴾: السر و﴿الشهادة﴾: العلانية ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ يعني: آدم ﴿ثم جعل نسله﴾ نسل آدم بعد ﴿من سلالة من ماء مهين﴾ ضعيف؛ يعني: النطفة ﴿ثم سواه﴾ يعني: سوى خلقه كيف شاء ﴿قليلًا ما تشكرون﴾ أي: أقلكم من يشكر ﴿وقالوا أنذا ضللنا في الأرض﴾ أي: إذا كنا رُفَاتًا وترابًا ﴿أئننا لفي خلق جديد﴾ وهذا استفهام على إنكار؛ أي: أنا لا نبعث بعد الموت ﴿قل يتوفاكم﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم﴾ جعلت الأرض لملك الموت مثل الطنست يقبض أرواحهم، كما يلتقط

الطير الحب.

قال يحيى: وبلغني أنه يقبض روح كل شيء في البر والبحر.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (١٧) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٨) ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٩)

﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾ خزيا نادمين ﴿ربنا أبصرنا وسمعنا﴾ سمعوا حين لم ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر ﴿فارجعنا﴾ إلى الدنيا ﴿نعمل صالحا إنا موقنون﴾ بالذي أتى به محمد أنه حق.

﴿ولكن حق القول مني﴾ أي: سبق ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ يعني: المشركين من الفريقين ﴿فذوقوا﴾ يعني: عذاب جهنم ﴿بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ (٢٦٨ل) يعني: بما تركتم الإيمان بلقاء يومكم هذا ﴿إنا نسيناكم﴾ أي: تركناكم في العذاب.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١٥) ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (١٦) ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٧) ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ تفسير الحسن قال: يعني: قيام الليل ﴿يدعون ربهم خوفا﴾ من عذابه ﴿وطمعا﴾ في رحمته؛ يعني: الجنة.

قال محمد: معنى ﴿تتجافى﴾: تفارق^(١).

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ يعني: الزكاة المفروضة ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ على قدر أعمالهم .

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨) ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٩) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (٢٠)

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ يعني: مشركًا ﴿لا يستوون﴾ .
﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ يقول: إذا كانوا في أسفلها رفعتهم بلهيبها؛ حتى إذا كانوا في أعلاها رجوا أن يخرجوا منها فضربوا بمقامع من حديد؛ فهُوُوا إلى أسفلها .

﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ (٢٢) وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ (٢٣) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٢٥)

﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ الأقرب؛ يعني: بالسيف يوم بذر؛ في تفسير الحسن ﴿دون العذاب الأكبر﴾ عذاب النار ﴿لعلهم﴾ لعل من يبقى

(١) لسان العرب (جفو).

منهم ﴿يرجعون﴾ من الشرك إلى الإيمان .

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾ التوراة ﴿فلا تكن﴾ يا محمد ﴿في مرية من لقائه﴾ تفسير الكلبي: فلقية النبي في السماء السادسة ليلة أسري به ﴿وجعلناه هدى﴾ يعني: موسى ﴿هدى لبني إسرائيل﴾ .

﴿وجعلنا منهم أئمة﴾ يعني: أنبياء ﴿يهدون﴾ أي: يدعون ﴿بأمرنا﴾ .

﴿إن ربك هو يفصل بينهم...﴾ الآية، يفصل بين المؤمنين والمشركون ﴿فيما اختلفوا فيه﴾ من الإيمان والكفر؛ فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أو لم يهد لهم﴾ يعني: بين لهم ﴿كم أهلكنا من قبلهم من القرون﴾ يعني: ما قص مما أهلك به الأمم السالفة؛ حين كذبوا رسلهم ﴿يمشون في مساكنهم﴾ أي: يمرون؛ منها ما يرى، ومنها ما لا يرى؛ كقوله: ﴿منها قائم﴾ تراه ﴿وحصيد﴾^(١) لا تراه ﴿أفلا يسمعون﴾ يعني: المشركين ﴿إلى الأرض الجرز﴾ يعني: اليابسة؛ أي: فالذي أخيا هذه الأرض بعد موتها قادر على أن يحييهم بعد موتهم .

﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ يعني: القضاء بعذابهم؛ قالوا ذلك استهزاء وتكذيباً بأنه لا يكون ﴿قل يوم الفتح﴾ القضاء ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم﴾ ليس أحدٌ من المشركين يرى العذاب إلا آمناً؛ فلا يقبل منهم. ﴿فأعرض عنهم وانتظر﴾ بهم العذاب ﴿إنهم منتظرون﴾ نزلت قبل أن يؤمر بقتالهم^(١).



(١) قيل: نسختها آية السيف، وقيل: هي غير منسوخة؛ إذ قد يقع الإعراض مع الأمر بالقتال ينظر الناسخ والمنسوخ (٧٤)، نواسخ القرآن (٤٨٨)، تفسير القرطبي (١٤/١٢).

تفسير سورة الأحزاب
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطِيعَ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا
(١) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى
اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ
الَّتِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ
يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ
تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ
وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ (١) اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَطِيعَ الْكَافِرِينَ﴾ في الشرك بالله
﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ أي: ولا تطع المنافقين ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي
جَوْفِهِ﴾ تفسير الكلبي: أن رجلاً من قريش يقال له: جميل كان حافظاً لما
سمع، فقالت قريش: ما يحفظ جميل ما يحفظ بقلب واحد؛ إن له لقلبين!
فأكذبهم الله في ذلك.

﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ يعني: إذا قال

(١) قرأ نافع ﴿النبيء﴾ بالهمز . النشر (٣٤٧/٢) و إتحاف الفضلاء (٤٥١).

الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، لم تكن مثل أمه في التحريم أبداً، ولكن عليه كفارة الظهار ﴿وما جعل أدياءكم أبناءكم﴾ وكان الرجل في الجاهلية يكون ذليلاً فيأتي الرجل ذا القوة والشرف فيقول: أنا ابنك، فيقول: نعم، فإذا قبله واتخذه ابناً أصبح أعزّ أهله؛ وكان زيد بن حارثة منهم كان رسول الله ﷺ تبنّاه يومئذٍ على ما كان يُصْنَعُ في الجاهلية، وكان مولى لرسول الله؛ فلما جاء الإسلام أمرهم الله أن يلحقوهم بأبائهم؛ فقال: ﴿وما جعل أدياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ يعني: ادّعاءهم هؤلاء، وقول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي.

﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ أي: أعدل ﴿فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾ يقول: قولوا: [ولينا فلان]^(١)، وأخونا فلان. ﴿وليس عليكم جناح﴾ إنتم ﴿فيما أخطأتم به﴾ (ل ٢٦٩) إن أخطأ الرجل بعد النهي فنسبه إلى [الذي]^(١) تبنّاه ناسياً؛ فليس عليه في ذلك إنتم ﴿ولكن ما تعمدت قلبوكم﴾ أن تدعوهم إلى غير آبائهم.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَيَّ أُولِيَّائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَتْ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ تفسير مجاهد: يعني: هو أبوهم ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أي: هن في التحريم مثل أمهاتهم.

يحيى: عن سفيان الثوري، عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، عن

(١) مطموس في الأصل، ومثبت من «ر».

عائشة «أن امرأة قالت لها: يا أمه. فقالت: لست لك بأُم! إنما أنا أم رجالكم»^(١).

﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾ تفسير قتادة: كان نزل قبل هذه الآية في سورة الأنفال: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾^(٢) فتوارث المسلمون بالهجرة وكان لا يرث الأعرابي المسلم من قريبه المهاجر المسلم شيئاً، ثم نسخ ذلك في هذه السورة فصارت الموارث بالملل .

﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم﴾ يعني: من أهل الشرك ﴿معروفًا﴾ يعني: بالمعروف: الوصية، ثم رجع إلى قوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾ فقال: ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورًا﴾ أي: مكتوبًا: لا يرث كافرٌ مسلمًا، وقد قال النبي ﷺ: «لا يرث المسلم الكافر»^(٣).

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ۚ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ۚ سَعِدَتْ أَعْيُنُكَ آلِ الْكَافِرِينَ ۖ وَعَذَابُ

أَلِيمًا ﴿٨﴾

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٦٧/٨) عن الفضل بن دكين عن سفيان الثوري به .
ورواه ابن سعد أيضًا (١٧٨/٨ ، ٢٠٠) عن الواقدي عن الثوري به ، وزاد: قال الواقدي: فذكرت ذلك لعبد الله بن موسى المخزومي فقال أخبرني مصعب بن عبد الله بن أبي أمية عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: «أنا أم الرجال منكم والنساء» .
ورواه ابن سعد (٦٤/٨) والبيهقي في السنن الكبرى (٧٠/٧) من طريق أبي عوانة عن فراس به .

ورواه الداوقني في المؤلف والمختلف (٩٣٦/٢) من طريق خرقاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .
(٢) الأنفال: ٧٢ .

(٣) رواه البخاري (٥١/١٢) رقم ٦٧٦٤ ومسلم (٨٨/٣) رقم ١٦١٤ عن أسامة بن زيد .

﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ قال مجاهد: يعني: في ظهر آدم ﴿وَمِنْكَ﴾ ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقًا غليظًا ﴿تَبْلِيغُ الرِّسَالَةِ﴾.

كان قتادة إذا تلا هذه الآية: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ قال: قال رسول الله: «كنت أول النبيين في الخلق، وآخرهم في البعث»^(١). قوله: ﴿لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ﴾ يعني: النبيين ﴿عَنْ صَدَقِهِمْ﴾ أي: عن تبليغ الرسالة إلى قومهم من الله .

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٢٥/٢١) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا. ورواه الطبري أيضًا (١٢٥/٢١ - ١٢٦) من طريق أبي هلال عن قتادة مرسلًا . ورواه أبو نعيم في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢٩٨/٢) - من طريق شيان عن قتادة مرسلًا.

وقد وصله عن قتادة سعيد بن بشير وخليد بن دعلج . فرواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٤٦٩/٣) - وابن عدي في الكامل (٤٨٨/٣ - ٤٨٩، ٤١٦/٤ - ٤١٧) وتمام الرازي في الفوائد (١٥/٢) رقم (١٠٠٣) وأبو نعيم في دلائل النبوة (٤٢/١) رقم (٣) وابن شاهين في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢٨٥/٢) - واليخوي في تفسيره (٣٢١/٦) من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه .

ورواه ابن عدي في الكامل (٤٨٨/٣ - ٤٨٩) وأبو نعيم في دلائل النبوة - كما في البداية والنهاية (٢٩٨/٢) - من طريق خليد بن دعلج عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال ابن عدي: وهذا يرويه عن قتادة سعيد بن بشير وخليد بن دعلج .

وقال ابن كثير في تفسيره: سعيد بن بشير فيه ضعف، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلًا، وهو أشبه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا، والله أعلم .

وقال ابن كثير - في البداية والنهاية - عن المرسل: وهذا أثبت وأصح، والله أعلم، وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملأ الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح؛ لأن علم الله - تعالى - بذلك سابق قبل خلق السموات والأرض لا محالة، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملأ الأعلى، والله أعلم .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه ﴿فأرسلنا عليهم ريحًا﴾ قال مجاهد: وهي الصَّبا، كانت تكبهم على وجوههم وتنزع الفساطيط^(١) حتى أظعتهم ﴿وجنودًا لم تروها﴾ يعني: الملائكة.

﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ تفسير الحسن: جاءوا من وجهين: من أسفل المدينة، ومن أعلاها ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ من شدة الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ يعني: المنافقين ظنوا أن محمدًا سيقتل وأنهم سيهلكون. قال الله: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: اختبروا ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ أي: حُركوا^(٢) بالخوف، وأصابتهم الشدة ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ وهم المنافقون، المرضُ في تفسير قتادة: النفاق ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ فيم يزعم أنه رسوله ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾ أي: وعدنا الله النصر فلا تُرانا نُصْر وتُرانا نقتل ونُهْزَم، ولم يكن فيما وعدهم الله ألا يقتل منهم أحدٌ، وألا يُهْزَموا في بعض الأحيان، وإنما وعدهم النصر في العاقبة.

(١) واحدها: فسطاط، وهو البيت يتخذ من الشعر. لسان العرب (فسط).

(٢) في «ر»: خرجوا.

﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَبْتَأْهُلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَتْ طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا﴾ قال الكلبي: لما رأى المنافقون الأحزاب جبنوا، فقال بعضهم لبعض: لا والله ما لكم مقام مع هؤلاء؟ فارجعوا إلى قومكم - يعنون: المشركين - فاستأمنوهم.

﴿إِنَّ بيوتنا عورة﴾ أي: خالية نخاف عليها السرق^(١). قال الله: ﴿وما هي بعورة﴾ إن الله يحفظها ﴿إن يريدون إلا فرارا ولو دخلت عليهم من أقطارها﴾ يقول: لو دخل عليهم أبو سفيان ومن معه من نواحيها ﴿ثم سئلوا الفتنة﴾ يعني: الشرك ﴿لآتوها﴾ لجاءوها وتقرأ: (لآتوها) بالمد^(٢)، المعنى: لأعطوها.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ إِلَّا ذُبُرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَّنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَحِذُّونَ لَهُمْ مِّنْ دُوْبِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾

﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون إلا ذبورا﴾ أي: ينهزمون ﴿وكان عهد الله مسئولا﴾ يعني: يسألهم عن العهد الذي لم يفوا به.

(١) السَّرْق والسَّرقة بمعنى: لسان العرب (سرق).

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير ﴿لآتوها﴾ بغير مد، واختلف عن ابن ذكوان، وقرأ الباقون بالمد. النشر (٢/٣٤٨) إتحاف الفضلاء (٤٥٣).

يحيى: عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: «بايعنا رسول الله على أن لا نفر، ولم نبأه على الموت»^(١).

- (١) رواه الإمام أحمد (٣/٣٥٥) ومسلم (٣/١٤٨٣) رقم ٦٧/١٨٥٦ والنسائي في الكبرى (٦/٤٦٤) رقم ١١٥٠٩ والدارمي (٢/٢٩٠) رقم ٢٤٥٤ وأبو عوانة في صحيحه (٤/٤٢٧) رقم ٧١٩١ والطبري في تفسيره (٢٦/٨٧) وابن حبان (١١/٢٣١) رقم ٤٨٧٥ وغيرهم من طريق الليث بن سعد عن أبي الزبير به.
- ورواه الإمام أحمد (٣/٣٨١) والحميدي (٢/٥٣٦) رقم ١٢٧٥ ومسلم (٣/١٤٨٣) رقم ١٨٥٦/٦٨ والترمذي (٤/١٢٨) رقم ١٥٩٤ والنسائي (٧/١٤٠ - ١٤١ - رقم ٤١٦٩) وأبو يعلى (٣/٣٦٩) رقم ١٨٣٨ وأبو عوانة (٤/٤٢٧) رقم ٧١٨٩، ٧١٩٠ والطبري في تفسيره (٢٦/٨٧) وغيرهم من طريق سفيان بن عيينة عن أبي الزبير سمع جابراً رضي الله عنه به.
- وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
- ورواه الإمام أحمد (٣/٣٩٦) من طريق موسى بن عقبة عن أبي الزبير به.
- ورواه أبو يعلى (٣/٤٢٠) رقم ١٩٠٨، ١٩٧/٤ - ١٩٨ رقم ٢٣٠١ والطبري في تفسيره (٢٦/٨٧) من طريق أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه.
- ورواه الطبري في تفسيره (٢٦/٨٧) من طريق محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه.
- ورواه ابن سعد في الطبقات (٢/١٠٠) من طريق وهب بن منبه عن جابر رضي الله عنه.
- ورواه الترمذي (٤/١٢٧) رقم ١٥٩١ والطبراني في الأوسط (٢/٢١٠) رقم ١٧٥٧، ٦/٣٠٦ رقم ٦٤٨٢ عن سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر رضي الله عنه.
- وقال الترمذي: وقد روي هذا الحديث عن عيسى بن يونس عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: قال جابر بن عبد الله . ولم يذكر فيه أبو سلمة.
- وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الأوزاعي إلا عيسى، تفرد به سعيد.
- وله شاهد عن معقل بن يسار، رواه مسلم (٣/١٤٨٥) رقم ١٨٥٨.
- وروى البخاري (٦/١٣٦ - ١٣٧) رقم ٢٩٦٠ ومسلم (٣/١٤٨٦) رقم ١٨٦٠ عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت لسلمة - يعني: ابن الأكوع - : «على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت».
- وروى البخاري (٦/١٣٦) رقم ٢٩٥٩ ومسلم (٣/١٤٨٦) رقم ١٨٦١ عن عبد الله بن زيد نحوه.
- والمراد بالمبايعة على الموت أن لا يفروا ولو ماتوا، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد. انظر فتح الباري (٦/١٣٧) وغيره، والله أعلم.

﴿وَإِذَا لَا تَمْتَعُونَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: إلى آجالكم ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ (٢٧٠) أي: يمنعكم ﴿مَنْ اللَّهُ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا﴾ يعني: القتل والهزيمة؛ في تفسير السُّدي ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ قال السُّدي: يعني: النصر والفتح.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾
 ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ آبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا﴾ يأمر بعضهم بعضاً بالفرار؛ وهو التعويق ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ يعني: القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: بغير حِسْبَةٍ، وإنما قل؛ لأنه كان لغير الله.

قال محمد: المعنى: إلا إتياناً قليلاً^(١)؛ وهو الذي أراد يحيى.

﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ يقول: لا يتركون لكم من حقوقهم من الغنيمة شيئاً ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ يعني: القتال ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفاً من القتال ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ﴾ أي: صاحوا عليكم ﴿بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾ قال محمد: قيل: المعنى خاطبوكم أشدَّ مخاطبة

(١) وقيل: إلا زماناً قليلاً. ينظر: التبيان (١٠٥٣)، مجمع البيان (٤/٣٤٧).

وأبلغها في الغنيمة، يقال: خطيب مسلاق وسلاق إذا كان بليغاً^(١).

﴿أشحة على الخير﴾ الغنيمة ﴿أولئك لم يؤمنوا﴾ أي: لم تؤمن قلوبهم ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يود﴾ المنافقون ﴿لو أنهم بادون في الأعراب﴾ أي: في البادية مع الأعراب ﴿يسألون عن أنبائكم﴾ وهو كلام موصول.

قال محمد: قوله: ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ قيل: المعنى: يحسبون الأحزاب بعد انهزامهم وذهابهم لم يذهبوا؛ لجبنهم وخوفهم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٢١) ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (٢٢)

﴿وذكر الله كثيراً﴾ وهذا ذكر التطوع ليس فيه وقت.

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه تحازبوا على الله ورسوله ﴿قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ كان أنزل الله في سورة البقرة: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة...﴾ (٢) إلى قوله: ﴿ألا إن نصر الله قريب﴾ فلما نزلت هذه الآية قال أصحاب النبي ﷺ: ما أصابنا هذا بغد؛ فلما كان يوم الأحزاب أنزل الله: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب...﴾ إلى قوله: ﴿إيماناً وتسليماً﴾ يعني: تصديقاً وتسليماً لأمر الله.

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ

(١) ومِسْلَقٌ أيضًا. لسان العرب (سلق).

(٢) البقرة: ٢١٤.

يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ حين بايعوه على ألا يفروا وصدقوا في لقائهم العدو؛ وذلك يوم أحد.

﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ يعني: أجله؛ في تفسير بعضهم ﴿ومنهم من ينتظر﴾ أجله ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ كما بدل المنافقون .

قال محمد: أصل النخب: النذر^(١)؛ كأن قوماً نذورا إن لقوا العدو أن يقاتلوا؛ حتى يُقتلوا أو يفتح الله، فقتلوا قتل: فلان قضى نحبه؛ إذا قُتل.

﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء﴾ أي: يموتوا على نفاقهم فيعذبهم ﴿أو يتوب عليهم﴾ فيرجعوا من نفاقهم .

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ

قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً﴾ يعني: لم يصيبوا ظفراً ولا غنيمة من المسلمين، وكان ذلك عندهم خيراً لو نالوه ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والجنود التي أرسل عليهم ﴿وأنزل الذين ظاهروهم﴾ يعني: عاونوهم ﴿من أهل الكتاب﴾ يعني: قريظة والنضير ﴿من صياصيحهم﴾ يعني: حصونهم.

(١) لسان العرب (نخب).

قال محمد: أصل الكلمة: قرون البقر؛ لأنها تمتنع بها وتدفع عن أنفسها، فليل للحصون: صياصي؛ لأنها تمتنع وصيصية الديك شوكتة؛ لأنه يتحصن بها^(١).

﴿وَأَرْضًا لَمْ تَطْثُوهَا﴾ وهي خير؛ فتحت عَنَوَة.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٢٨) وَلَئِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٢٩) يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِّنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك...﴾ إلى قوله: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ قال قتادة: إنما خيرهن بين الدنيا والآخرة، ولم يخيرهن الطلاق ﴿يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة﴾ يعني: الزنا؛ في تفسير السدي ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ قال الحسن: يعني: في الآخرة.

قال محمد: معنى (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي: يُجْعَلُ مِثْلَيْنِ؛ الضعف في اللغة: المثل، يقال: هذا ضِعْفُ هذا؛ أي: مثله^(٢).

﴿وَمَنْ يَفْعَلْ مِثْلَ مَا تُؤْتِيهَا أَجْرًا مَّرْتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ (٣١) يٰۤاَيُّهَا النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَالْحَدِ مِنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَحْضَعْنَ بِالْقَوْلِ ۖ يُطْمَعُ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا (٣٢)

(١) والجمع أيضًا: صَيَاصٍ. لسان العرب (صيص).

(٢) لسان العرب (ضعف).

﴿ومن يقنت منكم لله ورسوله﴾ أي: تطع الله ورسوله ﴿نؤتها أجراها مرتين﴾ قال الحسن: يعني: في الآخرة ﴿وأعتدنا﴾ أعددنا ﴿لها رزقاً كريماً﴾ يعني: الجنة.

﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول﴾ قال الكلبي: (٢٧١) هو الكلام الذي فيه ما يهوى المريب.

قال محمد: قال: ﴿كأحد من النساء إن اتقيتن﴾ ولم يقل: كواحدة لأن أحداً معنى عام من المذكر والمؤنث والواحد والجماعة^(١).

﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي: فجور؛ في تفسير بعضهم.

قال الحسن: وكان أكثر من يصيب الحدود في زمان النبي ﷺ المنافقون.

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٣٣) وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ (٣٤)

﴿وقرن في بيوتكن﴾ من قرأها بالفتح^(٢)؛ فهو من القرار^(٣).

قال محمد: والأصل فيه: (اقررن) فحذف الراء الأولى لثقل التضعيف،

(١) أي: يستوي فيه المفرد والمفردة وفروعهما. وأصله (وحد). ينظر لسان العرب (وحد).

(٢) وهي قراءة نافع وعاصم، وقرأ باقي السبعة بكسر القاف. ينظر: السبعة (٥٢٢)، البحر (٧/٢٣٠)، التيسير (١٧٩)، النشر (٣٤٨/٢).

(٣) يقال: قر بالمكان قرأ وقرأوا وقروراً؛ أي: أقام وسكن. لسان العرب (قرر).

وألقى حركتها على القاف؛ فصارت: (وقرن)^(١).

قال يحيى: وتقرأ: (وقِزن) بكسر القاف، وهو من الوقار.

قال محمد: وقر في منزله يَقْرُ وُقُورًا^(٢).

﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي: قبلكم؛ في تفسير الحسن، وليس يعني: أنها كانت جاهلية قبلها؛ كقوله: ﴿عَادًا الْأُولَى﴾^(٣).

وبعضهم يقول: يعني الجاهلية التي وُلِدَ فيها إبراهيم قبل الجاهلية التي وُلِدَ فيها محمد ﴿وأقمن الصلاة﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿وآتين الزكاة﴾ يعني: المفروضة ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ فيما أمركن ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ يعني: الشيطان.

وقال بعضهم: الرجس: الإثم.

وقال محمد: الرجس في اللغة: كل مستنكر مُسْتَفْذَر من مأكول أو عمل أو فاحشة^(٤)، و(أَهْلَ الْبَيْت) منصوبٌ على وجهين: على معنى: أعنى أهل البيت، وعلى النداء^(٥).

﴿ويطهركم تطهيرًا﴾.

يحيى: عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبي داود، عن أبي الحمراء، قال:

(١) وقيل: حذفت الراء الثانية، ونقلت حركة الراء الأولى إلى القاف، فحذفت همزة الوصل استغناءً عنها فصارت (قرن) ينظر الدر المصون (٤١٥/٥).

(٢) يقال: وقر فلان وقارًا وقِرة: رزن. ويقال: وقر في بيته وَقَرًا وُقُورة: أقام. لسان العرب (وقر).

(٣) النجم: ٥٠.

(٤) والجمع: أَرْجَاس. لسان العرب (رجس).

(٥) ينظر: إعراب القرآن (٦٣٦/٢)، البحر (٢٣١/٧)، البيان (٢٦٩/٢).

«رابطت المدينة سبعة أشهر مع النبي ﷺ ، وسمعت النبي إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي وفاطمة فقال: الصلاة - ثلاثاً - ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾»^(١).

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِتِينَ وَالصَّامِتَاتِ

(١) رواه ابن أبي شيبة في مسنده - كما في المطالب العالية (١٤٤/٤) رقم ٣٦٩٩ / ٢ - والطبري في تفسيره (٦/٢٢) وابن عدي في الكامل (٣٢٩/٨) وأبو أحمد الحاكم في الكنى (٤/١٩٨) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٨٧٠/٥) رقم ٦٧٥٢ من طريق يونس بن أبي إسحاق به.

ورواه ابن أبي شيبة - كما في المطالب (١٤٤/٤) رقم ٣٦٩٩ / ١ - وأبو أحمد الحاكم في الكنى (٤/١٩٩ - ٢٠٠) من طريق يحيى بن يعلى الأسلمي عن يونس بن خباب عن نافع - وهو أبو داود - به.

ورواه عبد بن حميد (١٧٣ رقم ٤٧٥) عن الضحاك بن مخلد عن أبي داود به. ورواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢/٢٤٨ رقم ٧٧٥) من طريق أبي عاصم النبيل - الضحاك بن مخلد - عن عبادة بن مسلم عن أبي داود به. وعلقه البخاري في الكنى (٢٥ - ٢٦) عن الضحاك به.

ورواه الطبراني في الكبير (٣/٥٦ رقم ٢٦٧٢ ، ٢٢/٢٠٠ رقم ٥٢٥) من طريق منصور بن أبي الأسود عن أبي داود به. وقال أبو أحمد في الكنى (٤/٢٠٠) قال محمد بن إسماعيل الجعفي: أبو الحمراء يقال له صحبة ، ولا يصح حديثه.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣/٥٠٠): أبو داود الأعمى هو نفع بن الحارث، كذاب. وقال الهيثمي في المجمع (٩/١٢١): رواه الطبراني، وفيه أبو داود الأعمى، وهو كذاب. وقال ابن حجر في المطالب (٤/١٤٥): أبو داود هو نافع - وقيل: نفع الأعمى - كذبه قتادة، وهو ضعيف جداً.

وله شاهد من حديث أنس رواه الترمذي (٥/٣٢٨ رقم ٣٢٠٦) - وقال: حسن غريب - وأحمد (٣/٢٥٩ ، ٢٨٥)، وعبد بن حميد (٣٦٧ - ٣٦٨ رقم ١٢٢٣)، والطبري في تفسيره (٦/٢٢) والطبراني (٣/٥٦ رقم ٢٦٧١) والحاكم (٣/١٥٨) وصححه على شرط مسلم.

وَالصَّابِرِينَ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظِينَ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾ هو كلام واحد؛ كقوله: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾^(١) والإسلام هو اسم الدين، قال: ﴿ومن يتبع غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه﴾^(٢) وهو الإيمان بالله ﴿والقانتين والقانتات﴾ القنوت: الطاعة ﴿والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات﴾ على ما أمرهم الله به ﴿والخاشعين والخاشعات﴾ وهو الخوف الثابت في القلب ﴿والمتصدقين والمتصدقات﴾ يعني: الزكاة المفروضة ﴿والصائمين والصائمات﴾.

قال يحيى: بلغني أنه من صام رمضان وثلاثة أيام من كل شهر فهو من الصائمين والصائمات ﴿والحافظين فروجهم والحافظات﴾ مما لا يحل لهن. ﴿والذاكرين الله كثيرًا والذاكرات﴾ يعني: باللسان؛ وليس في هذا الذكر وقت.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾^(٣٦) وَإِذْ يَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفِي النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(٣٧) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ

(١) الذاريات: ٣٦ .

(٢) آل عمران: ٨٥ .

فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ
يَلْعَنُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَاسِبًا ﴿٢٩﴾
﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً﴾ يعني: إذا فرض الله
ورسوله شيئاً ﴿أن تكون لهم الخيرة﴾ يعني: التخير ﴿من أمرهم﴾ ومن يعصى
الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً ﴿أراد رسول الله ﷺ أن يزوج زينب بنت
جحش زيد بن حارثة؛ فأبت وقالت: أزوج نفسي رجلاً كان عبدك بالأمس.
وكانت ذات شرف، فلما أنزلت هذه الآية جعلت أمرها إلى رسول الله فزوجها
إياه، ثم صارت سنة بعد في جميع الدين، ليس لأحد خيار على قضاء رسول الله
وحكمه.

قال محمد: كانت زينب بنت جحش بنت عمه رسول الله ﷺ.

﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق
الله﴾ [قوله: ﴿وأنعمت عليه﴾ يعني: زيداً]^(١).

قال الله للنبي: ﴿وتخفى في نفسك ما الله مبديه﴾ أي: مظهره ﴿وتخشى
الناس والله أحق أن تخشاه﴾ أي: تخشى عيبة^(٢) الناس ﴿فلما قضى زيد منها
وطراً﴾ الوطر: الحاجة ﴿زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في
أزواج أديعائهم﴾ قال المشركون للنبي: يا محمد، زعمت أن حليلة الابن لا
تحل للأب وقد تزوجت حليلة ابنك زيد! فقال الله: ﴿لكي لا يكون على
المؤمنين حرج...﴾ الآية (٢٧٢) قال الكلبي: إن رسول الله أتى زيداً
زائراً فأبصرها قائمةً فأعجبته، فقال رسول الله: سبحان الله مقلب القلوب.

(١) من «ر».

(٢) العيبة والعيب بمعنى. لسان العرب (عيب).

فرأى زيد أن رسول الله هويها^(١). فقال: يا رسول الله، ائذن لي في طلاقها؛ فإن فيها كبراً، وإنها لتؤذيني بلسانها! فقال له رسول الله: اتق الله وأمسك

(١) هذا القول لا يصح - والله أعلم - رواية ولا دراية، وهو في غاية النكارة: فأما رواية فقال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٣/٤٩١): ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا آثاراً عن بعض السلف رضي الله عنه أحبين أن تضرب عنها صفحاً لعدم صحتها؛ فلا نوردها. اهـ. وقال ابن حجر في الفتح (٨/٣٨٤): وردت آثار أخرى أخرجه ابن أبي حاتم والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها. اهـ. وأما دراية فقال القرطبي في تفسيره (١٤/١٩١): فأما ما روي أن النبي ﷺ هوي زينب امرأة زيد - وربما أطلق بعض المجان لفظ: عثيق - فهذا إنما يصدر عن جاهل بعصمة النبي ﷺ عن مثل هذا، أو مستخف بجرمته. اهـ.

وقال البغوي في تفسيره (٦/٣٥٥): وروى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال: سألتني علي بن الحسين زين العابدين: ما يقول الحسن في قوله: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ قلت: يقول: لما جاء زيد إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله، إني أريد أن أطلق زينب فأعجبه ذلك، فقال: أمسك عليك زوجك واتق الله. فقال علي بن الحسين: ليس كذلك، كان الله تعالى - قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها، فلما جاء زيد. وقال: إني أريد أن أطلقها. قال: أمسك عليك زوجك، فعاتبه الله، وقال: لِمَ قُلْتَ: أمسك عليك زوجك؟! وقد أعلمت أنك ستكون من أزواجك. وهذا هو الأولى والأليق بحال الأنبياء، وهو مطابق للتلاوة؛ لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه، ولم يظهر غير تزويجها منه، فقال: ﴿زوجناكها﴾ فلو كان الذي أضمره رسول الله ﷺ محبتها أو إرادة طلاقها؛ لكان يظهر ذلك؛ لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره؛ فدل على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له، وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد: التي تحتك وفي نكاحك ستكون امرأتي، وهذا قول حسن مرض، وإن كان القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها، لا يقدح في حال الأنبياء؛ لأن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المأثم؛ لأن الود وميل النفس من طبع البشر، وقوله: «أمسك عليك زوجك واتق الله» أمر بالمعروف، وهو خشية لا إثم فيه. اهـ.

وهذا القول الذي حسنه البغوي وارتضاه - وهو حقيق أن يُحسن ويرتضى - قال عنه القرطبي في تفسيره (١٤/١٩٠ - ١٩١): وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي عليه أهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين؛ كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم. اهـ.

عليك زوجك. فأمسكها زيد ما شاء الله ثم طلقها، فلما قضت عدتها أنزل الله نكاحها رسول الله من السماء، فقال: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ . . . إِلَى قَوْلِهِ: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فدعا رسول الله عند ذلك زيداً؛ فقال: انت زينب، فأخبرها أن الله قد زوّجنيها. فانطلق زيد، فاستفتح الباب؛ فقيل: من هذا؟ قال: زيد. قالت: وما حاجة زيد إليّ وقد طلقني؟! فقال: إن رسول الله أرسلني إليك؛ فقالت: مرحباً برسول رسول الله، ففتح له؛ فدخل عليها وهي تبكي، فقال زيد: لا يبكي الله عينك، قد كنتِ نعمت المرأة - أو قال: الزوجة - إن كنت لتبرين قسماً، وتطيعين أمري، فقد أبدلك الله خيراً مني. قالت: مَنْ؟ لا أبا لك؟ فقال: رسول الله. فخرّت ساجدةً.

قوله: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ يعني: ﴿أَحَلَّ﴾ سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَرَجٌ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ، وَقَدْ أَحَلَّ لِدَاوُدَ مِائَةَ امْرَأَةٍ، وَلِسُلَيْمَانَ ثَلَاثِمِائَةَ امْرَأَةٍ وَسَبْعِمِائَةَ سُرِّيَّةٍ. قال محمد: نصب (سُنَّة) على المصدر؛ المعنى: سَنَّ اللَّهُ سُنَّةً^(١).

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ ﴿وَسِيحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ﴿٤٣﴾

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ يعني: أَن مُحَمَّدًا لَمْ يَكُنْ أَبًا لَزَيْدٍ، وَإِنَّمَا كَانَ زَيْدٌ دَعِيًّا لَهُ ﴿وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾.

(١) ينظر. إعراب القرآن (٢/٦٣٨)، البيان (٢/٢٧٠)، البحر (٧/٢٣٦).

قال محمدٌ: من قرأ (رسولَ الله) بالنصب^(١) فعلى معنى: ولكن كان رسول الله^(٢).

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ يعني: باللسان، وهذا ذكرٌ ليس فيه وقتٌ.

يحيى: عن خدّاش، عن ميمون بن عجلان، عن ميمون بن سيّاه، عن أنس ابن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه، إلا ناداهم منادٍ من السماء: قوموا مغفوراً لكم، قد بُدِّلَتْ سيئاتكم حسنات»^(٣). من حديث يحيى بن محمد.

- (١) وهي قراءة العامة، وقرأ زيد بن علي، وابن أبي عبلّة برفع (رسول). ينظر: البحر (٧/٢٣٦)، الإعراب للنحاس (٦٣٩/٢) جامع القرطبي (١٩٦/١٤).
- (٢) ينظر: البحر (٧/٢٣٦)، التبيان (١٠٥٨)، إعراب القرآن (٦٣٩/٢).
- (٣) رواه الإمام أحمد (١٤٢/٣) وأبو يعلى (١٦٧/٧) رقم (٤١٤١) والبزار - كشف الأستار (٤/٤) رقم (٣٠٦١) - والطبراني في المعجم الأوسط (١٥٤/٢) رقم (١٥٥٦) وابن عدي في الكامل (٨/١٦٠) وأبو نعيم في الحلية (١٠٧/٣ - ١٠٨) والضياء في المختارة (٧/٢٣٤ - ٢٣٦) رقم (٢٦٧٥ - ٢٦٧٨) من طريق ميمون بن عجلان به.
- وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٢/٤٠٣ - ٤٠٤): رواه أحمد، ورواه محتج بهم في الصحيح إلا ميمون المرائي، وأبو يعلى والبزار والطبراني.
- وقال العراقي في تخريج الإحياء (١/٣٥٢): أخرجه أحمد وأبو يعلى والطبراني، بسند ضعيف.
- وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٧٦). رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني في الأوسط، وفيه ميمون المرثي، وثقه جماعة، وفيه ضعف، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.
- وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/٣٧٧) رقم (٦٠٥١): هذا إسناد رجاله ثقات.
- ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٦/٢١٢) رقم (٦٠٣٩) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٣/١٣١١) رقم (٣٢٩٠) عن سهل - وقيل: سهيل - بن الحنظلية العبشمي رضي الله عنه.
- ورواه عبد الرزاق في مصنفه (١٠/٣٠٨) رقم (٩٥٢٩) عنه موقفاً.
- ورواه البيهقي في الشعب (٢/٤٣٠ - ٤٣١) رقم (٥٣٠) عن أبي الوازع جابر بن عمرو عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه.

﴿وسبحوه بكرة وأصيلاً﴾ تفسير ابن عباس: هذا في الصلاة المكتوبة ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ تفسير ابن عباس قال: صلاة الله: الرحمة، وصلاة الملائكة: الاستغفار.

﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ يعني: من الضلالة إلى الهدى .

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ۖ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝٤٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ إِلَى اللَّهِ يَازِّنُهُ ۖ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ۝٤٦ وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨﴾

﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ يقول: تحييمهم الملائكة عن الله بالسلام ﴿وأعد لهم أجراً كريماً﴾ يعني: الجنة.

﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ على أمتك تشهد عليهم في الآخرة أنك قد بلغتهم ﴿ومبشراً﴾ في الدنيا بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من النار ﴿وداعياً إلى الله بإذنه﴾ يعني: بالوحي ﴿وسراجاً منيراً﴾ مضيئاً ﴿ويشير المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً﴾ يعني: الجنة ﴿ودع أذانهم﴾ قال مجاهد: يقول: اصبر عليه .

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعَتَّدُونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ۝٤٩﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ...﴾ إلى قوله: ﴿فمتعهن﴾ المتاع منسوخ إذا كان قد سمي لها صداقاً إلا أن يكون لم يُسمه لها، فيكون لها المتعة ولا صداق لها إذا طلقها قبل أن يدخل بها نسختها الآية التي في

البقرة ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن...﴾ إلى قوله: ﴿فنصف ما فرضتم﴾^(١) هذا قول العامة أنها منسوخة.

وكان الحسن يقول: لها المتاع؛ وليست بمنسوخة وإذا مات الرجل قبل أن يدخل بامرأته توارثا ولها الصداق كاملاً، وإنما يكون لها النصف إذا طلقها ﴿وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ إلى أهليهن لا تكون المرأة والرجل في بيت واحد وليس بينهما حرمة .

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَلَلِيكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ يعني: صدقاتهن ﴿وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي خالصة لك﴾ (ل ٢٧٣) يقوله للنبي ﷺ ﴿من دون المؤمنين﴾ لا تكون الهبة بغير صداق إلا للنبي في تفسير الحسن؛ إن النبي ﷺ قد تطوع لتلك المرأة التي وهبت نفسها، فأعطاهها الصداق.

ومقرأ العامة: (أن وهبت) بفتح (أن) وتفسيرها على هذا المقرأ: كانت امرأة واحدة، ومن قرأ بكسر الألف فعلى المستقبل^(٢).

(١) البقرة: ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٢) إنما قراءة العامة: ﴿إن وهبت﴾ بكسر الهمزة، وقرأ الحسن والشعبي وعيسى بفتح الهمزة. =

قال محمد: ومن قرأ ﴿أَنْ﴾ بالفتح فالمعنى: لأن، و﴿خالصة﴾ منصوبٌ على الحال.

﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم﴾ أي: أوحينا ﴿في أزواجهم﴾ [ألا تنكح إلا بولي وشهداء وصدق، ولا ينكح الرجل أكثر من أربع]^(١) ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ يقول: يتزوج أربعاً إن شاء، ويطأ بملك يمينه ما شاء ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ أي: إنتم.

﴿تُرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتُؤْوَى إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَءَ أَعْيُنُهُمْ وَلَا يَحْزَنَ وَبِرَضَايَ ابْنَتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِنْسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

﴿ترجي من تشاء منهم﴾ رجع إلى قصة النبي.

تفسير الحسن: يذكر النبي ﷺ المرأة للتزويج ثم يُزجيهما؛ أي: يتركها، فلا يتزوجها، وكان إذا ذكر امرأة ليتزوجها لم يكن لأحد أن يعرض لذكرها؛ حتى يتزوجها أو يتركها.

﴿وتؤوي إليك من تشاء﴾ أي: تتزوج من تشاء ﴿ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك﴾ يقول: ليست [عليك]^(٢) لهن قسمة ﴿ذلك أدنى أن تقر

= ينظر: البحر (٢٤٢/٧)، إتحاف الفضلاء (٣٥٦)، المحتسب (١٨٢/٢)، جامع القرطبي (٢٠٩/١٤) الإملاء (١٠٤/٢) وينظر التوجيه النحوي من إعراب القرآن (٦٤٢/٢)، مجمع البيان (٣٦٤/٤)، البيان (٢٧١/٢)، البحر (٢٤٢/٧).

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) من «ر».

أعينهن ﴿إذا علمن أنه من قبل الله﴾ ولا يحزن ﴿على أن تخصّ واحدة منهن دون الأخرى﴾ ويرضين بما آتيتهن ﴿من الخاصة التي تخص منهن لحاجتك﴾.
 ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهن من أزواج﴾ يعني: أزواجه التسع، قال الحسن: لما خير رسول الله نساءه، فاخترن الله ورسوله قصره عليهن ﴿ولو أعجبك حُسْنُهُنَّ﴾ يعني: حسن غير ما أحل الله له من النساء؛ على ما مضى من تفسير الحسن ﴿إلا ما ملكت يمينك﴾ يطأ بملك يمينه ما شاء ﴿وكان الله على كل شيء رقيياً﴾ يعني: حفيظاً.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسِينِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً ﴿٥٢﴾﴾ إِنَّ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴿٥٣﴾﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَأَقْفَيْنَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً ﴿٥٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه﴾ قال مجاهد: يعني: متحيين حينه ^(١).

قال محمد: المعنى: غير منتظرين وقت إدراكه؛ وهو معنى قول مجاهد

(١) الإثني في اللغة: الحين. لسان العرب (أنى).

و﴿غير﴾ منصوبة على الحال^(١).

﴿ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا﴾ أي: تفرقوا ﴿ولا مستأنسين لحديث﴾ يعني: بعد أن تأكلوا ﴿إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق﴾ يُخبرهم أن هذا يؤذي النبي.

﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ يعني: من الريبة والدنس؛ في تفسير السدي ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً﴾ قال ناسٌ من المنافقين: لو قد مات محمد تزوجنا نساءه، فأنزل الله هذه الآية، وقال: ﴿إن تبدوا شيئاً أو تخفوه﴾ يعني ما قالوا: لو قد مات تزوجنا نساءه.

﴿فإن الله كان بكل شيء عليمًا﴾ ثم استثنى من يدخل على أزواج النبي في الحجاب فقال:

﴿لا جناح عليهن في آبائهن...﴾ إلى قوله: ﴿ولا نسائهن﴾ يعني: المسلمات ﴿ولا ما ملكت أيماهن﴾ وكذلك الرضاع بمنزلة الذي ذكر ممن يدخل على أزواج النبي في الحجاب.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي﴾ يعني: إن الله يغفر للنبي، وتستغفر له الملائكة ﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه﴾ يعني: استغفروا له ﴿وسلموا تسليماً﴾.

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/٦٤٥)، البحر (٧/٢٤٦)، البيان (٢/٢٧٢).

يحيى: عن الخليل بن مرة، عن أبي هاشم - صاحب الرمان - عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «جاءني كعب بن عجرة، فقال: ألا أهدي لك هدية، بينما نحن عند رسول الله إذ قال رجل: يا رسول الله، قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد؛ كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد»^(١).

يحيى: عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثرُوا عليَّ (ل ٢٧٤) الصلاة يوم الجمعة»^(٢).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا

(١) رواه الإمام أحمد (٤/٢٤١، ٢٤٣، ٣٤٤) والبخاري (٦/٤٦٩ - ٤٧٠ رقم ٣٣٧٠) ومسلم (١/٣١٦ - ٣١٧ رقم ٤٠٦) والحميدي (٢/٣١٠ - ٣١١ رقم ٧١١، ٧١٢) وعبد الرزاق (٣/٢١٢ رقم ٣١٠٥) وعبد بن حميد (١٤٤ رقم ٣٦٨) والطبراني (١٤٢ - ١٤٣ رقم ١٠٦١) والدارمي (١/٣٥٦ رقم ١٣٤٢) وأبو داود (٢/٥٤ - ٥٥ رقم ٩٦٨ - ٩٧٠) والترمذي (٢/٣٥٢ - ٣٥٣ رقم ٤٨٣) والنسائي (٣/٤٧ - ٤٨ رقم ١٢٨٦ - ١٢٨٨)، وابن ماجه (١/٢٩٣ رقم ٩٠٤) وغيرهم من طرق عن عبد الرحمن بن أبي ليلى به. ولم أجد الحديث من طريق أبي هاشم صاحب الرمان عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، والله أعلم.

وللحديث طرق عن كعب بن عجرة، وعن عدة من الصحابة أيضًا، انظر: «القول البديع في الصلاة على النبي الشفيع» للسخاوي (ص ٥٢ - ٥٩).

(٢) رواه مسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (٣/٨ رقم ٣٣٤٧) - وابن أبي شيبة في مصنفه (٢/٥١٧) من طريق أبي حرة عن الحسن به.

وعزاه السخاوي في القول البديع (ص ٢٣٤) لسعيد بن منصور في سننه. وفي الباب عن عدة من الصحابة مرفوعًا وعن بعض التابعين مرسلًا، انظر القول البديع (ص ٢٣٠ - ٢٣٥).

﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ هؤلاء المنافقون كانوا يؤذون رسول الله، ويستخفون بحقه، ويرفعون أصواتهم عنده ويكذبون عليه ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾ يعني: جَنَؤا؛ وهم المنافقون ﴿فقد احتملوا بهتانًا﴾ كذبًا ﴿وإثمًا مبينًا﴾ بينًا.

يحيى: عن النضر بن بلال، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ خرج يومًا فنادى بصوت أسمع العواتق في الخدور: يا معشر من أسلم بلسانه ولم يُسلم بقلبه، ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تغتابوهم، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من تتبّع عورة أخيه المسلم تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته فضحه في بيته»^(١).

(١) أبان بن أبي عياش وإه، ولم أجد الحديث من هذا الطريق. وقد اختلف على أبان فيه أيضًا. فرواه معمر عن أبان وغيره مرسلاً. خرجه عبد الرزاق في جامع معمر (١١/١٧٦ رقم ٢٠٢٥١).

ورواه فضيل بن عياض وحماة بن زيد عن أبان بن أبي عياش عن سعيد بن عبد الله عن أبي برزة. قاله الدارقطني في العلل (٦/٣١٠).

وتابع الأعمش أبان على هذا الوجه.

خرجه الإمام أحمد (٤/٤٢٠ - ٤٢١) وأبو داود (٥/٣٠٥ رقم ٤٨٤٦) وأبو يعلى (١٣/٤١٩ - ٤٢٠ رقم ٧٤٢٣ ، ٧٤٢٤) وابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٨) والرويانى في مسنده (٢/٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ١٣١٢) واللالكائى في شرح أصول الاعتقاد (٤/٨١٤ رقم ١٤٩٧ ، ١٤٩٨)، والبيهقى في الشعب (٥/٢٩٦ رقم ٦٧٠٤) وفي السنن (١٠/٢٤٧) وغيرهم من طريق أبي بكر ابن عياش عن الأعمش به.

قال البخارى في التاريخ (٣/٤٨٧): سعيد بن عبد الله بن جريج عن أبي برزة عن النبي ﷺ «لا تغتابوا المسلمين» قاله أبو بكر بن عياش عن الأعمش. وقال يوسف بن راشد: حدثنا ابن

﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَّا رُؤُوسَ لَهَا وَتَنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَنَاقِبُ لَمْ يَكُنْ لَهَا قَبْلُ حَلِيبٌ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَعْرِفَ فَلَا يُؤْذِنُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ والجلباب الرداء؛ يعني: يتقنعن به ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ أي: يعرف أنهن حرائر مسلمات عفائف فلا يؤذين؛ أي: فلا يعرض لهن بالأذى، وكان المنافقون هم الذين كانوا يتعرضون للنساء.

قال الكلبي: كانوا يلتمسون الإماء، ولم يكن تُعرف الحرة من الأمة بالليل؛ فلقي نساء المؤمنين منهم أذى شديداً؛ فذكرن ذلك لأزواجهن، فرفع ذلك إلى النبي؛ فنزلت هذه الآية.

يحيى: عن سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك «أن عمر بن الخطاب رأى أمة عليها قناع، فعلاها بالدرّة، وقال: اكشفي رأسك ولا تشبهي بالحرائر!»^(١).

مغراء، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثني رجل من البصرة عن أبي برزة عن النبي ﷺ وقال ابن فضيل عن الأعمش عن عبد الرحمن بن جريج عن أبيه عن النبي ﷺ ولا يصح. اهـ. وقال الدارقطني في العلل (٣٠٩/٦ - ٣١٠): حدث به كذلك أبو بكر بن عياش وعبد الله ابن عبد القدوس وفضيل بن عياض.

وقال ثابت بن محمد عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي برزة.

وخالفهم عبد الرحمن بن مغراء؛ فرواه عن الأعمش عن رجل لم يسمه عن أبي برزة. والقول قول أبي بكر بن عياش وفضيل ومن تابعهما. اهـ.

قلت: تابع عبد الرحمن بن مغراء قطبة عند الإمام أحمد (٤٢٤/٤) وحفص بن غياث عند ابن أبي الدنيا في الصمت (١٦٩).

وفي الباب عن عدة من الصحابة، انظر تخرج أحاديث الكشاف (٣/٣٤٤ - ٣٤٦).

(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النور.

﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠) ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتْلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٦١)

﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة﴾ وهم المنافقون يرجفون بالنبي وأصحابه يقولون: يهلك محمد وأصحابه! ﴿لنغريتكم بهم﴾ أي: لنسلطنكم عليهم ﴿ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ملعونين﴾.

قال محمد: ﴿ملعونين﴾ منصوب على الحال^(١)؛ المعنى: لا يجاورونك إلا وهم ملعونون.

﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ أي: من أظهر الشرك قبل، وهذا إذا أمر النبيون بالجهاد.

قال محمد: ﴿سنة الله﴾ مصدر؛ المعنى: (سن)^(٢) الله سنة.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكُفْرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (٦٣) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً وَلَا نَصِيرًا﴾ (٦٤) ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (٦٥) ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (٦٨)

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٦٥٠)، البحر (٧/ ٢٥١)، البيان (٢/ ٢٧٢).

(٢) في الأصل (سن)، وهو خطأ؛ لأن مصدره (تسنين). والمثبت من «ر» وهو الصواب.

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: لا يعلم متى مجيئها إلا الله ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ أي: أنها قريبٌ ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ وإنما صارت ﴿الرَّسُولَ﴾ و ﴿السَّيْلَ﴾؛ لأنها مخاطبة وهذا جائزٌ في كلام العرب، إذا كانت مخاطبة.

قال محمد: الاختيار عند أهل العربية: (السَّيْلَ) بالالف وأن يوقف عليها؛ لأن أواخر الآي وفواصلها يجري فيها ما يجري في أواخر أبيات الشعر ومصارعها^(١)؛ لأنه إنما خوطبَ العرب بما يعقلونه في الكلام المؤلف، فيدل بالوقف على هذه الأشياء وزيادة الحروف نحو ﴿الظُّنُونَا﴾ و ﴿السَّيْلَا﴾ و ﴿الرَّسُولَا﴾ أن ذلك الكلام قد تم وانقطع وأن ما بعده مستأنف.

﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ وهي تقرأ على وجه آخر: ﴿سَادَاتِنَا﴾^(٢) والسادة جماعة واحدة، والسادات جماعة الجماعة^(٣) ﴿وَكِبْرَاءَنَا﴾ أي: في الضلالة ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: مثليْن. ﴿وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ وتقرأ (كثيرًا)^(٤).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾

(١) في «ر»: مصارفها.

(٢) وهي قراءة ابن عامر، وقرأ باقي السبعة (ساداتنا). ينظر: السبعة (٥٢٣)، البحر (٣٥٢/٧)، النشر (٣٤٩/٢).

(٣) ينظر: الدر المصون (٤٢٦/٥)، لسان العرب (سود).

(٤) وهي قراءة حمزة، والكسائي، ونافع، وابن كثير، وأبي عمرو، وابن عامر، وقرأ عاصم وحده (كثيرًا).

ينظر: السبعة (٥٢٣)، البحر (٢٥٢/٧)، التيسير (١٧٩)، النشر (٣٤٩/٢).

وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٧﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى...﴾ الآية.

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس بن مالك «أن اليهود كانوا يقولون: إن موسى آذر^(١)، وكان إذا دخل الماء ليغتسل وضع ثوبه على صخرة. قال: فدخل الماء يومًا ووضع ثوبه على صخرة فتدهث^(٢)، فخرج يتبعها فرأوه، فبرأه الله مما قالوا^(٣)».

﴿وقولوا قولاً سديداً﴾ أي: عدلاً؛ وهو: لا إله إلا الله ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ لا يقبل العمل إلا ممن قال: لا إله إلا الله، مخلصاً من قلبه.

﴿إنا عرضنا الأمانة...﴾ الآية، تفسير الكلبي عرض العباداة على السموات والأرض والجبال أن يأخذوها بما فيها، قلن: وما فيها؟ قيل: إن أحسنتن جوزيتن (ل ٢٧٥) وإن أسأتن عوقبتن ﴿فأبين أن يحملنها﴾ وعرضها على الإنسان - والإنسان: آدم - فقبلها.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن «أنه قرأ هذه الآية: ﴿إنا عرضنا الأمانة...﴾ إلى قوله: ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين

(١) من الأذرة؛ وهي انتفاخ الخصيتين لتسريب سائل في غلافهما أو كبر الضغن من تجمع سائل بداخله. والجمع: أذر. المعجم الوسيط (أذر).

(٢) أي: تدهرجت. لسان العرب (دهده).

(٣) روى البخاري (٥٠٢/٦ رقم ٣٤٠٤) ومسلم (٢٦٧/١ رقم ٣٣٩) عن أبي هريرة عن النبي

والمشركات ﴿ فقال: هما اللذان ظلماهما، هما اللذان خاناهما: المنافق والمشرک ﴾^(١).

﴿وكان الله غفوراً﴾ لمن تاب من شركه ﴿رحيماً﴾ للمؤمنين.

(١) رواه الطبري في تفسيره (٥٨/٢٢) من طريق أبي الأشهب به.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٤٥/٥) لعبد بن حميد في تفسيره.

نفسناير القرآن العزيز

لابن أبي زَمَنِين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين
(٣٢٤ - ٣٩٩ هـ)

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة محمد بن مصطفى الكمر

المجلد الرابع

سبأ. الطلاق

الناشر
إفازوق الخاشي للكتاب والنشر

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو إعادة
طبعه أو تصويره أو اختزان مادته العلمية
بأى صورة دون موافقة كتابية من الناشر .

المؤلف : الفاضل الشيخ العلامة الشيخ

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : تفسير القرآن العزيز

تأليف : أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زَمَنِين

تحقيق : حسين بن عكاشة و محمد مصطفى الكنز

رقم الإيداع: ١٧٧٧٧ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي: 977-5704-70-7

الطبعة : الأولى

سنة النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

طباعة : الفاضل الشيخ العلامة الشيخ



تفسير سورة سبا وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ (١) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ (٥) ﴿

قوله: ﴿الحمد لله﴾ حمد نفسه، وهو أهل الحمد ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم﴾ في أمره أحكم كل شيء ﴿الخبير﴾ بخلقه ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ من المطر ﴿وما يخرج منها﴾ من النبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من المطر وغير ذلك ﴿وما يعرج فيها﴾ أي: يصعد يعني: ما تصعد به الملائكة ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ لمن آمن.

قال محمد: يقال: عَرَجَ يعرجُ إذا صَعِدَ، وعَرَجَ - بالكسر - يعرجُ إذا صار أعرجَ (١).

(١) يقال: عَرَجَ يعرجُ عُرُوجًا إذا صعد، فهو عريج. ويقال: عرج يعرج عَرَجًا وعَرَجَانًا؛ أي: كان في رجله شيء خَلَقَهُ فجعله يغمز بها، فهو أعرج. لسان العرب، المعجم الوسيط (عرج).

﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة﴾ القيامة ﴿قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب﴾ من قرأها بالرفع رجع إلى قوله: ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ عالم الغيب، ومن قرأها بالجر: (عالم الغيب) يقول: بلى وربى عالم الغيب، وفيها تقديم^(١)، والغيب في تفسير الحسن في هذا الموضع: ما لم يكن ﴿لا يعزب عنه﴾ أي: لا يغيب ﴿مثقال ذرة﴾ أي: وزن ذرة يقول: ليعلم ابن آدم أن عمله الذي عليه الثواب والعقاب لا يغيب عن الله منه مثقال ذرة ﴿أولئك لهم مغفرة﴾ لذنوبهم ﴿ورزق كريم﴾ يعني: الجنة ﴿والذين سعوا﴾ عملوا ﴿في آياتنا معاجزين﴾ تفسير الحسن: مسابقين؛ أي: يظنون أنهم يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم ونعذبهم.

قال محمد: يقال: ما أنت بمعاجزي؛ أي: بمُسابقي، وما أنت بمعجزي؛ أي: بسابقي^(٢).

﴿أولئك لهم عذاب من رجز﴾ والرجز: العذاب؛ أي: لهم عذاب من عذاب ﴿أليم﴾ موجه.

﴿وَبَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنَاقِبِكُمْ إِذَا مَنَّتُمْ كُلُّ مَنَّانٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ

(١) قرأها بالرفع: نافع وابن عامر، وقرأ بالجر: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وقرأ حمزة والكسائي ﴿علام﴾ ينظر: السبعة (٥٢٦)، البحر (٢٥٧/٧ - ٢٥٨)، النشر (٣٤٩/٢).

(٢) لسان العرب (عجز).

وَالْأَرْضُ إِن نَّشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطَ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّا فِي ذَلِكَ
لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّتَبِعٍ ﴿٩﴾

﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ يعني: المؤمنين ﴿الذي أنزل إليك من ربك هو
الحق﴾ أي: يعلمون أنه هو الحق ﴿ويهدي﴾ أي: ويعلمون أن القرآن يهدي
﴿إلى صراط﴾ إلى طريق ﴿العزیز الحمید﴾ المستحمد إلى خلقه .

﴿وقال الذين كفروا﴾ قاله بعضهم لبعض ﴿هل نذلكم﴾ ألا نذلكم ﴿على
رجل﴾ يعنون: محمداً ﴿ينبئكم﴾ يخبركم ﴿إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي
خلقٍ جديد﴾ أي: إذا متم وتفرقت عظامكم وكانت رُفَاتًا أنكم لمبعوثون خلقاً
جديداً - إنكاراً للبعث؟ قال الله: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب
في الآخرة﴾ والضلال ﴿في﴾ (الدين) ^(١) ﴿البعيد﴾ من الهدى ﴿أفلم يروا إلى ما
بين أيديهم﴾ يعني: أمامهم ﴿وما خلفهم﴾ يعني: وراءهم ﴿من السماء
والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾
الكسف: القطعة ^(٢) .

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٍ أَوْيٍ مَّعْمُ وَالطَّيْرِ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ
سِيعَتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾
﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً﴾ يعني: النبوة ﴿يا جبال أوبي﴾ قلنا: يا جبال
أوبي معه؛ أي: سبحي .

(١) في «ر»: الدنيا.

(٢) هكذا في الأصل و«ر». والصواب: الكسفة: القطعة. والجمع: كسف وكسف. لسان
العرب (كسف).

قال محمدٌ: ذكر ابن قتيبة^(١) أنَّ أصل الكلمة من التأويب في السفر. قال: وهو أن [يسير]^(٢) النهار كله وينزل ليلاً كأن المعنى: أُوْبِي النهار كله بالتسييح^(٣).

وذكر الزجاج: أن أصل الكلمة من آب يثوب؛ إذا رجع، كأنه أراد: سبّحي معه ورَجَّعي التسييح^(٤)؛ فالله أعلم ما أراد.

﴿والطير﴾ هو كقوله: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير﴾^(٥) أي: وسخرنا له الطير ﴿وألنا له الحديد﴾ لأنه الله له؛ فكان يعمل به بلا نارٍ ولا مطرقة بأصابعه الثلاثة ﴿أن اعمل سابغات﴾ وهي الدروع ﴿وقدر في السرد﴾ تفسير مجاهد: لا تصغر المسمار وتعظم الحلقة؛ فيسلس، ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فتتفصم الحلقة^(٦).

قال محمدٌ: السابغ: الذي يغطي كل ما تحته حتى [يفضل وذكر]^(٧) (٢٧٦ل) لأنها تدل على الموصوف ومعنى السرد: التّشجُّ، ويقال للحرز أيضاً: سرْدٌ، ويقال لصانع الدُّرع: سرّاد وزرّاد؛ تبدل من السين: الزاي^(٨).

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ) من أئمة الأدب واللغة، له أدب الكاتب، والمعارف، وعيون الأخبار وغير ذلك.

ينظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (١٣٧/٤).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) ينظر لسان العرب (أوب)، معاني القرآن للفراء (٣٥٥/٢)، البحر (٢٦٢/٧).

(٤) لسان العرب (أوب)، البيان (٢٧٥/٢).

(٥) الأنبياء: ٧٩.

(٦) رواه الطبري في تفسيره (٦٨/٢٢) عن مجاهد.

(٧) في كشف المشكلات: (وحذف دروعاً؛ لأنها تدل على الموصوف) ينظر: كشف

المشكلات (١٠٩٣/٢)، وينظر أيضاً: البحر المحيط (٢٦٣/٧)، وإعراب القرآن (٢/

٦٥٨)، والبيان (٢٧٦/٢).

(٨) ينظر لسان العرب (سرد)، و(زرد).

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِئذِ رَبُّهُ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرٍ نَّذِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ وَتَمْثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْمَلُونَ الْغَيْبَ مَا لِنُؤَا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾

﴿ولسليمان الريح﴾ أي: وسخرنا لسليمان الريح ﴿غُدُوها شهرٌ ورواحها شهرٌ﴾ قال الحسن: وكان سليمان إذا أراد أن يركب جاءت الريح فوضع سريره مملكته عليها، ووضع الكراسي والمجالس على الريح، وجلس وجوه أصحابه على منازلهم في الدِّين من الجن والإنس يومئذٍ، والجن يومئذٍ ظاهرة للإنس يَحُجُّونَ جميعًا ويصلون جميعًا، والطير ترفرف على رأسه ورءوسهم، والشياطين خرسه لا يتركون أحدًا يتقدَّم بين يديه ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ يعني: الصُّفْر؛ في تفسير مجاهد سالت له مثل الماء ﴿ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ يعني: الشُّخْرة التي سخرها الله له ﴿ومن يزغ منهم عن أمرنا﴾ يعني: عن طاعة الله وعبادته ﴿نذقه من عذاب السعير﴾ في الآخرة ﴿يعملون له ما يشاء من محارِبٍ﴾ يعني: المساجد والقصور؛ في تفسير الكلبي.

قال محمد: يقال لأشرف موضع في الدار أو في البيت: محراب^(١).

(١) والجمع: محارِب. لسان العرب (حرب).

قوله: ﴿وتماثيل﴾ يعني: صورًا من نحاس.

قال الحسن: ولم تكن الصور يومئذ محرمة ﴿وجفان كالجوابي﴾^(١) يعني: صحافًا كالحياض.

قال محمد: الجوابي جمع: جابية.

﴿وقدور راسيات﴾ أي: ثابتات في الأرض عظام لا تحوّل عن أماكنها
﴿اعملوا آل داود شكرًا﴾ أي: توحيدًا. قال بعضهم: لما نزلت لم يزل إنسان
منهم قائمًا يصلي.

قال: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ أي: أقل الناس المؤمن ﴿فلما قضينا﴾
أنزلنا ﴿عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض﴾ وهي الأرضة؛ في
تفسير مجاهد: ﴿تأكل منسأته﴾ أي: عصاه.

قال محمد: وأصل الكلمة من قولك: نسأت الدابة؛ إذا سُقَّتْهَا، فقليل
للعصاة: منسأة^(٢).

وأنشد بعضهم:

إذا دببت على المنسأة من كبر فقد تباعد منك اللهو والغزل^(٣)
وفيه لغة أخرى ﴿تأكل منسأته﴾ مهموزة^(٤).

(١) أثبت الياء وصلًا أبو عمرو وورش، وانفرد الحنبلي عن عيسى بن وردان بذلك، وأثبتها في
الحالين ابن كثير ويعقوب، النشر (٣٥١/٢).

(٢) يقال: منشأة بالهمزة وهي لغة تميم، و(منسأة) بدون الهمز؛ وهي لغة الحجاز. ينظر لسان
العرب (نساء)، الدر المصون (٥/٤٣٥ - ٤٣٦).

(٣) البيت من بحر البسيط، ويروى: فقد تباعد عنك ...

ينظر: المحتسب (١٨٧/٢)، البحر المحيط (٧/٢٥٥)، معاني القرآن للفراء (٢/٣٥٦).

(٤) قرأ بهزمة ساكنة ابن عامر في رواية عنه، وبألف محضة نافع وأبو عمرو، وبهمزة مفتوحة
الباقون. ينظر: السبعة (٥٢٧)، البحر (٧/٢٦٧)، النشر (٢/٣٤٩ - ٣٥٠).

قال يحيى: مكث سليمان حولاً وهو متوكئ على عصاه لا يعلمون أنه مات. وذلك أن الشياطين كانت تزعم للإنس أنهم يعلمون الغيب، فكانوا يعملون له حولاً لا يعلمون أنه مات.

قال: ﴿فلما خر﴾ سليمان؛ أي: سقط ﴿تبيّنت الجن﴾ للإنس ﴿أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين﴾ يعني: الأعمال [التي] ^(١) سخرهم فيها.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَمْ بَلَدَةٍ طَيِّبَةٍ وَرَبِّ غَفُورٍ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾﴾

﴿لقد كان لسبأ في مساكنهم ^(٢) آية﴾ أي: لقد تبين لأهل سبأ؛ كقوله: ﴿واسأل القرية﴾ ^(٣) أي: أهل القرية.

قال محمد: قد مضى القول في (سبأ) في تفسير سورة النمل، واختلاف القراءة فيه، والتأويل ^(٤).

قال يحيى: ثم أخبر بتلك الآية؛ فقال: ﴿جنتان عن يمين وشمال﴾ جنة

(١) في الأصل: الذي. والمثبت من «ر».

(٢) وهي قراءة: نافع وعاصم وأبي عمرو، وابن كثير، وابن عامر. وقرأ حمزة وحفص: ﴿مسكنهم﴾ بسكون السين وفتح الكاف على الأفراد، وقرأ الكسائي: ﴿مسكنهم﴾ بسكون السين وكسر الكاف. ينظر: السبعة (٥٢٨)، البحر (٢٦٩/٧)، النشر (٣٥٠/٢).

(٣) يوسف: ٨٢.

(٤) وذلك عند قوله تعالى: ﴿وجنتك من سبأ بنيا يقين﴾ [النمل: ٢٢] وينظر: السبعة (٤٨٠)، النشر (٥٢٨)، النشر (٣٣٧/٢)، التيسير (١٦٧).

عن يمين، وجتّه عن شمال ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ لمن آمن.
قال محمد: ﴿جنتان﴾ بدل من ﴿آية﴾ و ﴿رب غفور﴾ مرفوع على معنى و
الله رب غفور.

﴿فأعرضوا﴾ عما جاءت به الرسل ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ والعرم:
الجزر يُحبس به الماء، وكان سداً قد جعل في موضع من الوادي [تجتمع]^(١)
فيه المياه.

قال مجاهد: إن ذلك السيل الذي أرسل الله عليهم من العرم ماء أخمر،
أتى الله به من حيث شاء، وهو شق السدّ وهدمه. وحفر بطن الوادي عن
الجتّين؛ فارتفعتا وغاز عنهما الماء فيستا قال: ﴿وبدلناهم بجنتيهما جنتين
ذواتي أكل﴾ أي: ثمرة ﴿خميطة﴾ وهو الأراك^(٢) ﴿وأثل﴾.
قال محمد: والأثل شبيه^(٣) بالطرفاء، واختلف أهل اللغة في مد الطرفاء
وقصره، وأكثرهم على المد^(٤).

﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي﴾ أي: نعاقب ﴿إلا الكفور﴾.
قال محمد: قيل معنى المجازاة ها هنا: أنه لا يغفر له، وإنما المغفرة لأهل
الإيمان.

﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيراً

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) أي: شجر المسواك: المعجم الوسيط (أرك).

(٣) في المعجم الوسيط (أثل): الأثل: شجر من الفصيلة الطرفاوية، طويل، مستقيم يعمر، كثير الأغصان، دقيق الورق. والواحدة أثلة. ينظر مادة (أثل).

(٤) ينظر ذلك من لسان العرب، القاموس المحيط (طرف).

فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ

أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

﴿وجعلنا بينهم﴾ أي: وكنا جعلنا بينهم ﴿وبين القرى التي باركنا فيها﴾

يعني: أرض الشام ﴿قرى ظاهرة﴾ أي: متصلة؛ ينظر بعضها إلى بعض

﴿وقدرنا فيها السير﴾ (٢٧٧) تفسير الكلبي: يعني المقل والميت ﴿سيروا

فيها ليالي وأيامًا آمنين﴾ كانوا يسرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك

بعضهم بعضًا، ولو لقي الرجل قاتل أبيه لم يحركه ﴿فقالوا ربنا باعد بين

أسفارنا﴾ قال الحسن: ملوا النعمة؛ كما ملّت بنو إسرائيل المن والسلوى.

قال الله: ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بشركهم ﴿فجعلناهم أحاديث﴾ لمن بعدهم

﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي: بددنا عظامهم وأوصالهم [فأكلهم] ^(١) الثأب.

قال محمد: وقد قيل في قوله: ﴿ومزقناهم كل ممزق﴾ أي: مزقناهم في

البلاد؛ لأنهم لما أذهب الله جنتهم وغرق مكانهم تبددوا في البلاد؛ فصارت

العرب تتمثل بهم في الفرقة فتقول: تفرقوا أيدي سبأ، وأيادي سبأ؛ إذا أخذوا

في وجوه مختلفة ^(٢).

﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار﴾ على أمر الله ﴿شكور﴾ لنعمة الله وهو

المؤمن.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنُّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ

عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُوَفِّي بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ينظر لسان العرب، القاموس المحيط (سبأ).

حَفِظْتُ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي

السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَكُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾
 ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ يعني: جميع المشركين ﴿فاتبعوه إلا
 فريقًا من المؤمنين﴾ قال بعضهم: قال إبليس: خُلِقْتُ من نارٍ وَخُلِقَ آدم من
 طين، والنار تأكل الطين! فلذلك ظن أنه سيضل عامتهم^(١).

قال محمد: ومن قرأ: ﴿صَدَقَ﴾ بالتخفيف^(٢) نصبَ الظنَّ مضدرًا على
 معنى: صَدَقَ عليهم إبليسُ ظنًا ظنه^(٣)، وصدق في ظنه.

﴿وما كان له عليهم من سلطان﴾ هو كقوله: ﴿فإنكم وما تعبدون ما أنتم
 عليه بفاتنين﴾ يقول: لستم بمضلي أحدٍ ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾^(٤).

قوله: ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة﴾ وهذا علم الفاعل ﴿ممن هو منها في
 شكٍ﴾ وإنما جحد المشركون الآخرة ظنًا منهم وشكًا ﴿وربك على كل شيء
 حفيظ﴾ حتى يجازيهم في الآخرة.

﴿وما لهم فيهما﴾ يعني: السموات والأرض ﴿من شرك﴾ أي: ما خلقوا
 شيئًا مما فيهما ﴿وما له منهم﴾ أي: وما لله من أوثانهم ﴿من ظهير﴾ أي:
 عوين .

﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ

(١) هناك حاشية على الأصل قدر سطر من قول يحيى غير واضحة.

(٢) وهي قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن كثير، وابن عامر. ينظر: السبعة (٥٢٩)، البحر (٧/ ٢٧٣)، النشر (٢/ ٣٥٠).

(٣) ينظر إعراب القرآن (٢/ ٦٦٩)، البحر (٧/ ٢٧٣)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٦٠).

(٤) الصافات: ١٦١ - ١٦٣ .

رَبِّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ
اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ لِيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾
﴿ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ عند الله ﴿إلا لمن أذن له﴾ أي: لا يشفع
الشافعون إلا للمؤمنين.

﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم...﴾ الآية.

قال يحيى: إن أهل السموات لم يسمعوا الوحي فيما بين عيسى ومحمد؛
فلما بعث الله جبريل بالوحي إلى محمد سمع أهل السموات صوت الوحي
مثل جر السلاسل على الصخور - أو الصفا - فصعق أهل السموات مخافة أن
تقوم الساعة، فلما فرغ من الوحي، وانحذر جبريل جعل كلما يمر بأهل سماء
فرع عن قلوبهم - يعني: خلّي عنها - فسأل بعضهم بعضاً - يسأل أهل كل
سماء الذين فوقهم إذا خلّي عن قلوبهم ماذا قال ربكم؟ فيقولون الحق؛ أي:
هو الحق - يعنون: الوحي.

قال محمد: وقيل: إن تأويل ﴿فرغ عن قلوبهم﴾ أي: كشف الله الفرع عن
قلوبهم.

﴿وإنا أو إياكم لعلّى هدى أو في ضلالٍ مبين﴾ بيّن، وهي كلمة عربية؛
يقول الرجل لصاحبه: إن أحدنا لصادق - يعني: نفسه - وكقوله: إن أحدنا
لكاذب؛ يعني: صاحبه^(١) - أي: نحن على الهدى وأنتم في ضلالٍ مبين،
وكان هذا بمكة وأمر المسلمين يومئذ ضعيف.

﴿قُلْ لَا تُشْكِرُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُشْكِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ

(١) ينظر: البحر المحيط (٧/٢٨٠)، الدر المصون (٥/٤٤٣).

يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿قل لا تسألون عما أجزمنا ولا تسأل عما تعملون﴾ كقوله: ﴿قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون﴾^(١) ﴿ثم يفتح بيننا بالحق﴾ أي: يقضي ﴿وهو الفتاح﴾ القاضي ﴿العليم﴾ بخلقه.

﴿قل أروني الذين ألحقتهم به شركاء﴾ أي: جعلتموهم شركاء؛ فعبدتموهم، يقول: أروني ما نفعوكم وأجابوكم به! كلاً لستم بالذين تأتون بما نفعوكم وأجابوكم به إذ كنتم تدعونهم؛ أي: أنهم لم ينفعوكم ولم يجيبوكم، ثم استأنف الكلام؛ فقال: ﴿كلأ بل هو الله العزيز الحكيم﴾ أي: هو الذي لا شريك له ولا ينفع إلا هو.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ يعني: جماعة الإنس وإلى جماعة الجن ﴿بشيراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من النار ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ومجازون.

﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن﴾ لن نصدق ﴿بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه﴾ يعنون: التوراة والإنجيل.

﴿ولو ترى إذ الظالمون﴾ أي: المشركون ﴿موقوفون عند ربهم﴾ يوم القيامة ﴿يقول الذين استضعفوا﴾ وهم السفلة (٢٧٨) ﴿للذين استكبروا﴾ وهم الرؤساء.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا اَنْتُمْ صَدَدْتُمْ عَنْ اِهْدَى بَعْدَ اِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمِينَ﴾ (٣٢) ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوْا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اِذْ تَأْمُرُونَنَا اَنْ نَّكْفِرَ بِاللّٰهِ وَنَجْعَلَ لَهُ اَنْدَادًا وَاَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَاُوا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْاَغْلَلَ فِيْ اَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوْا هَلْ يُحْزَنُ اِلَّا مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ﴾ (٣٣) ﴿وَمَا اَرْسَلْنَا فِيْ قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيْرٍ اِلَّا قَالْ مُتْرَفُوْهَا اِنَّا بِمَا اُرْسِلْتُمْ بِهِءٍ كَافِرُوْنَ﴾ (٣٤) ﴿وَقَالُوْا نَحْنُ اَكْثَرُ اَمْوَالًا وَّاَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِيْنَ﴾ (٣٥) ﴿قُلْ اِنْ رَّبِّيْ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَّشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُوْنَ﴾ (٣٦) ﴿

﴿بل مكر الليل والنهار﴾ أي: بل قولكم لنا بالليل والنهار ﴿إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً﴾ يعني: أوثانهم عدلوها بالله فعبدوها دونه ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها﴾ يعني: أهل السعة والنعمة ﴿قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي: يقتر ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: جماعة المشركين ﴿لا يعلمون﴾.

﴿وَمَا اَمْوَالُكُمْ وَلَا اَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ اِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَاُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءٌ الْفَيْضُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ﴾ (٣٧) ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيْ ءَايَاتِنَا

مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ رِئَیْ یَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ یَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَیْءٍ فَهُوَ یُخْلِفُهُ وَهُوَ خَیْرُ الرَّزَاقِ ﴿٢٩﴾

﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى﴾ الزلفى: القربة^(١)
﴿إلا من آمن﴾ أي: ليس القربة عندنا إلا لمن آمن وعمل صالحاً ﴿فأولئك﴾
لهم جزاء الضعف يعني: تضعيف الحسنات؛ كقوله: ﴿من جاء بالحسنة فله
عشر أمثالها﴾^(٢) ثم نزل بعد ذلك بالمدينة: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في
سبيل الله كمثل حبة أُنبتت سبع سنابل...﴾^(٣) الآية.

﴿والذين يسعون﴾ يعملون ﴿في آياتنا معاجزين﴾ أي: يظنون أنهم يسبقوننا
حتى لا نقدر عليهم فنعذبهم ﴿فأولئك في العذاب محضرون﴾ مُدْخِلُونَ ﴿وما
أنفقتُمْ مِنْ شَیْءٍ﴾ أي: في طاعة الله ﴿فهو يخلفه﴾ تفسير السّدي: ﴿فهو
يخلفه﴾؛ يعني: في الآخرة؛ أي: يعوضهم به الجنة.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُؤَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٤٠﴾ قَالُوا
سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلَيْسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ قَالِيَوْمَ
لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا
تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ يعني: المشركين وما عبدوا ﴿ثم نقول﴾^(٤)

(١) وهي أيضًا القرى. لسان العرب (قرب).

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) البقرة: ٢٦١.

(٤) قرأ يعقوب وحفص ﴿يَحْشُرُهُمْ ثُمَّ يَقُولُ﴾ بالياء فيهما، وقرأ الباقون ﴿نَحْشُرُهُمْ ثُمَّ يَقُولُ﴾
بالنون فيهما. النشر (٣٥١/٢) إتحاف الفضلاء (٤٦١).

للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ﴿ يجمع الله يوم القيامة بين الملائكة ومن عبدها، فيقول للملائكة: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ على الاستفهام وهو أعلم بذلك منهم ﴾ قالوا ﴿ قالت الملائكة: ﴿سبحانك﴾ ينزهون الله عما قال المشركون.

﴿ أنت ولينا من دونهم ﴾ أي: أنا لم نكن نوالهم على عبادتهم إيانا ﴿ بل كانوا يعبدون الجن ﴾ الشياطين هي التي دعته إلى عبادتنا؛ فهم بطاعتهم الشياطين عابدون لهم ﴿ بل أكثرهم ﴾ يعني: جماعة المشركين ﴿ بهم ﴾ أي: بالشياطين ﴿ مؤمنون ﴾ مصدقون بما وسوسوا إليهم بعبادة من عبدوا؛ فعبدوهم ﴿ ونقول للذين ظلموا ﴾ أشركوا ﴿ ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون ﴾ وهم جميعاً قرناء في النار: الشياطين، ومن أضلوا؛ يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض .

﴿ وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَابَتْنَا يَتَذَكَّرُ أَلَمْ يَأْمُرْهُمْ أَن يَسْجُدُوا لِمَا هَذَا ﴾ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكَ عَنْكَ كَانَ يَعْبُدُ ءَابَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِنْكَ مَفْتَرٍ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾

﴿ وما آتيناهم من كتب يدرسونها ﴾ أي: يقرءونها بما هم عليه من الشرك ﴿ وكذب الذين من قبلهم ﴾ من قبل قومك يا محمد؛ يعني: من أهلِكَ من الأمم السالفة .

﴿ وما بلغوا معشار ﴾ ما بلغ هؤلاء معشار؛ أي: عشر ﴿ ما آتيناهم ﴾ من الدنيا؛ يعني: الأمم السالفة .

﴿فكيف كان نكيرى^(١)﴾ عقابي؛ أي: كان شديدًا؛ يحذرهم أن ينزل بهم

ما نزل بهم.

قال محمد: (نكير) المعنى: نكيرى، وحذفت الياء؛ لأنه آخر آية^(٢).

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ شُغُرٍ ۚ ثُمَّ تَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ

مِنْ جَنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۚ﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ

لَكُمْ إِنْ أَجَرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۚ﴾ قُلْ إِنْ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ

ۙ﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۙ﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ

أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّى إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ۙ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً﴾ ب (لا إله إلا الله) يقوله للمشركين ﴿أن تقوموا

للّه مثنى وفردى﴾ أي: واحدًا واحدًا، أو اثنين اثنين ﴿ثم تفكروا ما

بصاحبكم من جنة﴾ أي: ما بمحمد من جنون ﴿إن هو إلا نذير لكم بين يدي

عذاب شديد.

قال محمد: المعنى: ينذركم أنكم إن عصيتم لقيتم عذابًا شديدًا.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ أي: الذي سألتكم من أجر ﴿فهو لكم إن

أجرى﴾ ثوابي ﴿إلا على الله﴾ ﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ أي: ينزل الوحي

﴿علام الغيوب﴾ غيب السماء: ما ينزل منها من المطر وغيره، وغيب الأرض

ما يخرج منها من النبات وغيره.

(١) أثبت الياء في الوصل ورش، وفي الحالين يعقوب. النشر (٣٥١/٢).

(٢) ورويت القراءة (نكيرى) بإثبات الياء وصلًا عن ورش، وإثباتها وصلًا ووقفًا عن يعقوب.

ينظر: إتحاف الفضلاء (٣٦٠)، التيسير (١٨٦)، النشر (٣٥١/٢).

وينظر التوجيه النحوي من: البحر (٢٩٠/٧)، البيان (٢٨٢/٢)، مجمع البيان (٣٩٥/٤).

قال محمد: من قرأ ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ بالرفع^(١)، فعلى معنى: هو علام الغيوب^(٢).

﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ [يعني: إبليس]^(٣) ﴿وَمَا يَعْبُدُ﴾ أي: ما يخلق أحداً ولا يبعثه ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ...﴾ الآية؛ أي: أنكم أنتم الضالون، وأنا على الهدى.

﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا فُتُكَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿وَقَالُوا ءَأَمْنَا بِهِ وَأَنْتَ لَهُمْ أَلْتَنَاشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ ﴿٥٤﴾

﴿ولو ترى إذ فزعوا﴾ تفسير الحسن: يعني النفخة الأولى التي يُهْلَكُ بها كفار آخر هذه الأمة ﴿فلا فوت﴾ أي: لا يفوت أحد منهم دون أن يهلك بالعذاب ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ يعني: النفخة الآخرة. قال الحسن: وأي شيء أقرب من أن [كانوا]^(٤) في بطن الأرض فإذا هم على ظهورها.

قال محمد: قيل: من مكان قريب: قريب على الله يعني: القبور.

(ل٢٧٩) وهو معنى ما ذهب إليه الحسن ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ يعني: الآخرة، والتناوش: التناول، قال الحسن يعني: وأنى

(١) وهي قراءة العامة، وروي عن زيد بن علي، وابن أبي عتبة، وأبي حيوه القراءة بنصبها. ينظر: البحر (٢٩٢/٧) جامع القرطبي (٣١٣/١٤) الإعراب للنحاس (٦٨٠/٢).

(٢) ينظر الدر المصون (٤٥٣/٥)، وفيه تفصيل نحوي واسع.

(٣) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

لهم الإيمان.

قال محمد: المعنى: وأنى لهم تناول ما أرادوا من التوبة؛ أي: إدراكه من مكان بعيد من الموضع الذي تقبل فيه التوبة، وهو معنى قول الحسن، والتناوش يُهمز ولا يُهمزُ يقال: نشئ ونأشئت^(١).

﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ كذبوا [بالبعث]^(٢) وهو اليوم عندهم بعيد؛ لأنهم لا يقرون به.

﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ تفسير بعضهم: ما يشتهون من الإيمان، ولا يقبل منهم عند ذلك.

﴿كما فُعل بأشياعهم من قبل﴾ يعني: من كان على دينهم - الشرك - لما كذبوا رسلهم جاءهم العذاب، فأمنوا عند ذلك؛ فلم يقبل منهم ﴿إنهم كانوا﴾ قبل أن يجيئهم العذاب ﴿في شكٍ مريب﴾ من الريية؛ وذلك أن جحودهم بالقيامة، وبأن العذاب لا يأتيهم؛ إنما ذلك ظن منهم [وشك ليس]^(٢) عندهم فيه علم.



(١) يقال: نأش يتأش نأشاً، ويقال: تناوش وتناوش. لسان العرب (نأش).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

تفسير سورة الملائكة^(١)
وهي مكتة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنَحَةٍ مثنى وثلاث وربع﴾
يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ
لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾

قوله: ﴿الحمد لله﴾ حمد نفسه، وهو أهل الحمد ﴿فاطر﴾ خالق
﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ جعل من شاء منهم لرسالته إلى
الأنبياء ﴿أولي﴾ ذوي ﴿أجنحة مثنى وثلاث وربع﴾ تفسير قتادة: منهم من له
جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة.

قال محمد: (وثلاث وربع) في موضع خفض، وكذلك (مثنى) إلا أنه فتح
ثلاث وربع؛ لأنه لا ينصرف لعلتين: إحداهما: أنه معدول عن ثلاثة ثلاثة،
وأربعة أربعة، واثنين اثنين، فهذه علّة، والثانية: أن عدله وقع في حال
النكرة^(٢).

﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ تفسير الحسن: يزيد في أجنحة الملائكة ما يشاء
﴿ما يفتح الله للناس﴾ تفسير الكلبي: ما يقسم الله للناس ﴿من رحمة﴾ من
الخير والرزق ﴿فلا مُمْسِكَ لَهَا﴾ أي: لا أحد يستطيع أن يمسك ما يقسم من

(١) أي: سورة فاطر.

(٢) ينظر التفصيل في ذلك من البحر (٧/٢٩٨)، إعراب القرآن (٢/٦٨٣)، البيان (٢/٢٨٥).

رحمة ﴿وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾ يعني: نفسه، تبارك اسمه.
قال محمد: ﴿يفتح﴾ في موضع جزم على معنى الشرط والجزاء، وجواب
الجزاء ﴿فلا ممسك لها﴾^(١).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ (٣) وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾

﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من
السماء والأرض﴾ يعني: ما ينزل من السماء من المطر، وما ينبت في الأرض
من النبات ﴿لا إله إلا هو﴾ يقوله للمشركين يحتج به عليهم، وهو استفهام؛
أي: لا خالق ولا رازق غيره، وأنتم تقرون بذلك وتعبدون من دونه الآلهة!
قال محمد: تقرأ ﴿غير﴾ بالرفع والكسر؛ فمن قرأ بالرفع فعلى معنى: هل
خالق غير الله وتكون ﴿من﴾ مؤكدة، ومن كسر جعله صفة للخالق^(٢).

﴿فأنى تؤفكون﴾ يقول: فكيف تُصرف عقولكم فتعبدون غير الله؟! ﴿وإن
يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك﴾ يعزیه بذلك، ويأمره بالصبر.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَفْرَكُكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُودُ ﴿٥﴾
إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ

(١) ينظر الدر المصون (٥/٤٥٨).

(٢) قرأ حمزة والكسائي بالجهر، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: البحر (٧/٣٠٠)، التيسير (١٨٢)،

النشر (٢/٣٥١) وينظر التوجيه النحوي من البحر (٧/٣٠٠)، الدر المصون (٥/٤٥٨) -

كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ
زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ
عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾

﴿يا أيها الناس إن وعد الله حق﴾ يعني: ما وعد من الثواب والعقاب ﴿فلا
تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ الشيطان ﴿إنما يدعو حزبه﴾
يعني: الذين أضلّ ووسوس إليهم بعبادة الأوثان ﴿ليكونوا من أصحاب
السعير﴾ والسعير اسم من أسماء جهنم ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنًا﴾
كمن آمن وعمل صالحًا؛ أي: لا يستويان، وفيه إضمار ﴿فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات﴾ يقول: لا تتحسر عليهم إذ لم يؤمنوا .

﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَابًا فُسْقَنَ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا
كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ
الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يُبْورُ ﴿١٠﴾ وَاللَّهُ
خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا
يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه﴾ يعني: سقنا الماء في
السحاب ﴿إلى بلد ميت﴾ أي: إلى أرض ليس فيها نبات .

ولما قال: ﴿إلى بلد﴾ قال: ﴿ميت﴾؛ لأن البلد مذكّر، والمعنى على
الأرض ^(١) ﴿كذلك النشور﴾ أي: (هكذا) ^(٢) تخيّن بعد الموت بالماء يوم

(١) أي: أن التذكير محمول على اللفظ لا على المعنى . ينظر الدر المصون (٥/٤٦٠) .

(٢) في «ر»: كذلك .

القيامة كما تخيا الأرض بالماء فتنبت، يرسل الله مطراً منياً كمني الرجال؛ فتنبت به جسمانهم ولحمانهم كما تُنبت الأرض من الثرى يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه، فينطلق كل روح (٢٨٠) إلى جسده حتى يدخل فيه، فيجيئوا إجابة رجل واحد سراعاً إلى صاحب الصور إلى بيت المقدس ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ تفسير قتادة يقول: من كان يريد العزة؛ فليتعزز بطاعة الله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ هو التوحيد ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ التوحيد؛ لا يرتفع العمل إلا بالتوحيد ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ أي: يعملونها ﴿ومكر أولئك﴾ أي: عمل أولئك ﴿هو بيور﴾ أي: يفسد عند الله؛ لأنه لا يقبل العمل الصالح إلا من المؤمن ﴿والله خلقكم من تراب﴾ يعني: خلق آدم ﴿ثم من نطفة﴾ يعني: نسل آدم ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ يعني: ذكراً وأنثى؛ والواحد: زوج ﴿وما يُعمر من معمرٍ ولا ينقص من عمره﴾ تفسير الحسن: وما يعمر من معمر؛ حتى يبلغ أرذل العمر، ولا ينقص من آخر عمر المعمر فيموت قبل أن يبلغ أرذل العمر ﴿إلا في كتاب﴾ إن ذلك على الله يسير ﴿هين﴾.

قال سعيد بن جبیر: كُتب في أول الصحيفة أجله، ثم كُتب أسفل من ذلك ذهب يوم كذا، وذهب يوم كذا حتى يأتي على أجله.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَرَاتٌ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لَبَتَقُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ

تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكِكُمْ وَلَا يَنْبِتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فراتٌ﴾ أي: حلو ﴿سائع شرابه﴾ ﴿وهذا ملحٌ أجاج﴾ أي: مالح ^(١) مرٌّ ﴿ومن كل﴾ يعني: من العذب والمالح ﴿تأكلون لحمًا طريًا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ يعني: اللؤلؤ.

قال محمد: وإنما تستخرج الحلية من الملح دون العذب، إلا أنهما لما كانا مختلطين جاز أن يقال: تستخرجون الحلية منهما؛ كقوله ﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ ^(٢).

﴿وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله﴾ ^(٣) يعني: طلب التجارة في السفن ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ هو أخذ أحدهما من الآخر ﴿وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجلٍ مسمى﴾ لا يعدوه، قال السدي: وهو مطالع الشمس والقمر إلى غاية لا يجاوزانها في شتاءٍ ولا صيفٍ ﴿والذين تدعون من دونه﴾ يقوله للمشركين يعني: أوثانهم ﴿ما يملكون من قطمير﴾ قال مجاهد: القِطْمِير: لفافة النواة ^(٤).

قال محمد: يقال: لِفَافَةٌ وفُوفَةٌ، والفُوفَةُ أفصح ^(٥).

(١) الأفصح: ملح. أما (مالح) فهي لغة رديئة. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (ملح) وفي «ر»: أجاج.

(٢) الرحمن: ٢٢. قلت: هذا الذي قاله المؤلف رحمته الله قاله جماعة من المفسرين، وخالفهم غيرهم، فقالوا: إن الحلية تستخرج من البحرين جميعًا، وسيأتي نقل بعض أقوالهم عند تفسير هذه الآية من سورة الرحمن - إن شاء الله تعالى..

(٣) فاطر: ١٢.

(٤) ويُطلق القطمير على الشيء الحقير الهين. لسان العرب (قطمر).

(٥) وتجمع (لفافة) على لفائف، وتجمع (فُوفه) على (فُوف). ينظر لسان العرب (فوف، لف).

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ يعني: تنادوهم ﴿لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ يعني: بعبادتكم إياهم ﴿وَلَا يَبْنِيكَ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ يعني: نفسه تبارك وتعالى .

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (١٥) ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٦) ﴿ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَعِزُّ﴾ (١٧) ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (١٨) ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بعباد الاستئصال ﴿وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ هو أطوع^(١) له منكم ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَعْزِزُ﴾ أي: لا يشق عليه .

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحمل حاملة ذنب نفس أخرى ﴿وَأَنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾ أي: من الذنوب ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: لا يحمل قريب عن قريبه شيئاً من ذنوبه .
قال محمد: المعنى ولو كان المدعو ذا قريب .

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ أي: إنما يقبل نذارتك ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ في السر حيث لا يطلع عليهم أحد ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَمَنْ تَزَكَّىٰ﴾ أي: عمل صالحاً ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ﴾ أي: يجد ثوابه .

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ (١٩) ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ﴾ (٢٠) ﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ﴾ (٢١) ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي

(١) أي: متقادون له طائعون . لسان العرب (طوع).

الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ وهذا تبع لقوله: ﴿وما يستوي البحران﴾^(١)، ﴿ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ هذا كله مثل المؤمن والكافر؛ أي: كما لا يستوي ما ذكر؛ فكذلك لا يستوي المؤمن والكافر.

قال محمد: الحرور: (استيقاد)^(٢) الحر ولفحه بالليل والنهار^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أي: يهديه للإيمان ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ أي: وما أنت بمسمع الكفار سمع قبول؛ كما أن الذين في القبور لا يسمعون. ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ أي: من أمة ممن أهلكها إلا خلا فيها نذير، يحذر المشركين أن ينزل بهم ما نزل بهم إن كذبوا النبي ﷺ ﴿وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ قال السدي: يعني الآيات (ل ٢٨١) التي كانت تجيء بها الأنبياء ﴿وبالزبر﴾ يعني أحاديث [الكتاب]^(٤) ما كان [من قبلهم]^(٥) من المواعظ ﴿وبالكتاب المنير﴾ البين، يعني: الكتاب الذي يجيء به النبي منهم إلى قومه ﴿فكيف كان نكير﴾ أي: كان شديدًا.

(١) فاطر: ١٢.

(٢) سقط من «ر».

(٣) ويجمع على: حرائر. لسان العرب (حرر).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) في الأصل: لهم، والمثبت من «ر».

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ بَحْرَةً لَّنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [وطعمها في الإضممار] ^(١) ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ﴾ أي: [طرائق] ^(٢) بَيَضٌ ﴿وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ﴾ والغريب: الشديد السواد. قال محمد: قالوا: أَسْوَدُ غَرِيبٌ يؤكدون السواد ^(٣)، والجُدَد واحدُها: جُدَّة ^(٤).

﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ﴾ أي: كما اختلفت ألوان ما ذكر من الثمار والجبال ثم انقطع الكلام، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ وهم المؤمنون.

قال ابن عباس: يعلمون أن الله على كل شيء قدير ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ السِّر: التطوع؛ والعلانية:

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل وأثبت من الدر المصون (٤٦٦/٥) وفي «ر»: طريق.

(٣) ينظر لسان العرب (غرب).

(٤) وهو جزء الشيء يخالف لونه لون سائره. وقيل: هي الطريقة. لسان العرب (جدد).

الزكاة المفروضة، يستحب أن تُعطى الزكاة المفروضة علانية، والتطوع سرًا ﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ أي: تفسد ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ يعني: ثوابهم في الجنة ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يضاعف لهم الثواب .

﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٣١) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ يعني: التوراة والإنجيل ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ اخترنا ﴿مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ...﴾ إلى قوله: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾..

يحيى: عن النضر بن بلال، عن أبان بن أبي عياش، عن جعفر بن زيد وذكر حديثاً فيه: أن أبا الدرداء قال: «سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾ إلى قوله: ﴿جَنَّاتٍ عِدْنُ يَدْخُلُونَهَا...﴾ إلى آخر الآية، قال: فيجيء هذا السابق بالخيرات فيدخل الجنة بلا حساب، ويجيء هذا المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً ثم يتجاوز الله عنه، ويجيء هذا الظالم لنفسه فيوقف ويعير ويوتخ ويعرف ذنوبه، ثم يدخله الله الجنة بفضل رحمته، فهم الذين قالوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَا الْحُزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ (١) غفر الذنب الكبير، وشكر العمل اليسير» (٢).

(١) فاطر: ٣٤ .

(٢) لم أقف عليه من هذا الطريق ولا من الطريق الآتي بعد أثر عمر رضي الله عنه .

وروى الإمام أحمد (٥/ ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٤٤٤/٦) والطبري في تفسيره (٢٢/ ١٣٧) والحاكم (٢/ ٤٢٦) والبيهقي في البعث (٥٨) والبيهقي في تفسيره (٦/ ٤٢١) عن أبي الدرداء نحوه . وفيه اختلاف ذكره البخاري في الكنى (١٧ - ١٨) وأشار الحاكم إلى بعضه .

يحيى: عن أبي أمية، عن ميمون بن سيّاه، عن شهر بن حوشب؛ أن عمر ابن الخطاب قال: «سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له»^(١).

ومن حديث يحيى بن محمد، عن إبراهيم بن محمد، عن صالح مولى التوءمة، عن أبي الدرداء قال: «قرأ رسول الله هذه الآية، فقال: أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يحاسب حسابًا يسيرًا، وأما الظالم لنفسه فيحبس في طول المحشر، ثم يتجاوز الله عنه».

﴿جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾

(١) رواه سعيد بن منصور في سنه (١٢٠/٢) رقم (٢٣٠٨) ومن طريقه البيهقي في البعث والنشور كما في تخريج الكشاف (١٥٣/٣) - عن فرج بن فضالة عن أزهر بن عبد الله عن سمع عمر رضي الله عنه به.

وقد اختلف في إسناد حديث ميمون بن سيّاه عليه. فرواه حفص بن خالد عن ميمون بن سيّاه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعًا. خرجه البيهقي في البعث والنشور - كما في تخريج الكشاف (١٥٣/٣) - والرافعي في التدوين في أخبار قزوين (٣٣١/٣).

وقال البيهقي: فيه إرسال بين ميمون وعمر. وقال ابن حجر في الكاف الشاف (١٣٩): وهذا منقطع. ورواه الفضل بين عميرة الطفاوي - من طريق عمرو بن الحصين عنه - عن ميمون بن سيّاه عن أبي عثمان النهدي عن عمر رضي الله عنه.

خرجه العقيلي في الضعفاء (٤٤٣/٣) - والإسماعيلي - كما في مسند الفاروق لابن كثير (٦٠٣/٢) - وابن مردويه في تفسيره، والواحد في الوسيط والشعبي - كما في تخريج الكشاف (١٥٣/٣) - والبخاري في تفسيره (٤٢١/٦).

وقال العقيلي: الفضل بن عميرة الطفاوي عن ميمون بن سيّاه، ولا يتابع على حديثه. ثم روى الحديث، وقال: وهذا يروى من غير هذا الوجه بنحو هذا اللفظ بإسناد أصح من هذا.

وقال ابن كثير عن عمرو بن الحصين: وهو متروك. وقال ابن حجر في الكاف الشاف (١٣٩): فيه الفضل بن عميرة، وهو ضعيف.

﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ ﴿يَحْلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤَا﴾ ليس من أهل الجنة أحدٌ إلا وفي يديه ثلاثة أسورة: سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ. وقال ها هنا: ﴿من أساور من ذهب ولؤلؤا﴾ وقال في آية أخرى ﴿وحلوا أساور من فضة﴾^(١).

قال محمد: من قرأ: (ولؤلؤا)^(٢) فعلى معنى: (يحلون لؤلؤا)^(٣) وأساوِر جمع: أسورة، واحداها: سِوَارٌ^(٤).
﴿ولباسهم فيها حرير﴾.

يحيى: عن حماد بن سلمة، عن أبي المهزم، عن أبي هريرة قال: «دار المؤمن ذرةٌ مُجَوِّفةٌ في وسطها شجرة تُثَبِّتُ الحُلُلَ، ويأخذ بأصبعه - أو قال:

(١) الإنسان: ٢١ .

(٢) قد سبق التعليق على هذه القراءة . ينظر (الحج: ٢٣) .

(٣) ينظر: البحر (٧/٣١٤)، إعراب القرآن (٢/٩٩٨) .

(٤) ويقال: سوار بضم السين وكسرهما؛ وهو جليةٌ من الذهب مستديرة كالحلقة تلبس في المعصم أو الزند. لسان العرب، المعجم الوسيط (سور) .

بأصابه - سبعين حُلَّةً منظَّمة باللؤلؤ والمرجان^(١).

﴿الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصبٌ ولا يمسنا فيها لغوبٌ﴾ إغْيَاء.

قال محمد: المُقَامَةُ والإِقَامَةُ واحدٌ^(٢).

﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا﴾.

قال محمد: من قرأ (فيموتوا)^(٣) يجعله جواب الفاء للنفي في أوله^(٤).

﴿وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمل﴾
أي: ازْدُذْنَا في الدنيا نعمل صالحًا! قال الله: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ يعني: النبي ﷺ. [قال قتادة]^(٥) (ل ٢٨٢) نزلت هذه الآية وفيها ابن ثمانى عشرة .

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ

(١) رواه ابن المبارك في الزهد - زوائد نعيم بن حماد (٧٤ رقم ٢٦٢) عن حماد بن سلمة به ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٩/١٣ رقم ١٥٨٨٧) وهناد في الزهد (١٢٥) وأبو نعيم في صفة الجنة (٥٠/٢ رقم ٢٠٥) من طريق حماد به.

وأبو المهزم اسمه يزيد بن سفيان متروك الحديث، ترجمته في التهذيب (٣٢٧ - ٣٢٩) وقال ابن عدي في الكامل (١٤٩/٩): وقد روى حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة أحاديث كلها غير محفوظة.

(٢) وكذلك المُقَام؛ كله بمعنى موضع الإقامة. لسان العرب (قوم).

(٣) وهي قراءة العامة، وروي عن الحسن وعيسى الثقفى: ﴿فيموتون﴾ ينظر: البحر (٣١٦/٧)، المحتسب (٢٠١/٢) جامع القرطبي (٣٥٢/١٤).

(٤) ينظر: إعراب القرآن (٦٩٩/٢ - ٧٠٠)، البحر (٣١٦/٧) البيان (٢٨٩/٢).

(٥) طمس في الأصل والمثبت من «ر» وقال السيوطي في الدر (٢٧٦/٥): أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: «اعلموا أن طول العمر حجة؛ فنعوذ بالله أن نغير بطول العمر، قال: نزلت وإن فيهم لابن ثمان عشرة سنة».

عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقَالًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا
فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾ أي: خلفا بعد خلف ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ قال السُّدِّي: يعني: في الأرض ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ أي: لم يخلقوا منها مع الله شيئا ﴿أم آتيناهم كتابا﴾ بما هم عليه من الشرك ﴿فهم على بينات^(١) منه﴾ أي: لم يفعل ﴿بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا﴾ يعني: الشياطين التي دعتهم إلى عبادة الأوثان، والمشركين الذين دعا بعضهم بعضا إلى ذلك.

قال محمد: (الغرور) الأباطيل التي تغر^(٢)، ومعنى (إن يعد): ما يعد و(بعضهم) بدل من (الظالمين)^(٣).

﴿إِنَّ اللَّهَ يُمِصُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ
بَعْدِي إِنَّهُمْ لَكَاِلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ
أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ
وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَحْدُ

(١) بينات بالجمع، وهي قراءة شعبة عن عاصم، وابن عامر، ونافع والكسائي. وفي «ر»: «بينت» وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وحزمة وحفص. ينظر: السبعة (٥٣٥)، البحر (٧/٣١٨)، التيسير (١٨٢)، النشر (٣٥٢/٢).

(٢) أي: بضم الغين، أما الغرور - يفتحها - فهو كل ما يغر الإنسان من مال أو جاه أو شهوة أو شيطان أو غير ذلك. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (غرر).

(٣) وينظر في دلالة (إن) المحققة - على النفي -: مغني اللبيب (٣٠/١) وقد سبق مثل هذا.

لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿١٣﴾

﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ [يعني: لئلا تزولا] ^(١) ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ﴿ وهذه صفة؛ يقول: إن زالتا، ولن تزولا ﴾ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ﴿ نبي ﴾ ليكونن أهدى من إحدى الأمم ﴿ كقوله: ﴿ وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكنا عباد الله المخلصين ﴾ ^(٢) .

قال الله: ﴿ فلما جاءهم نذير ﴾ محمد ﴿ ما زادهم ﴾ ذلك ﴿ إلا نفوراً ﴾ عن الإيمان ﴿ استكباراً في الأرض ﴾ عن عبادة الله ﴿ ومكر السيئ ﴾ يعني: الشرك وما يمكرون برسول الله وبدينه ﴿ ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله ﴾ وهذا وعيد لهم.

قال محمد: (استكباراً) منصوبٌ مفعولٌ له؛ المعنى: ما زادهم إلا نفوراً للاستكبار ^(٣) .

﴿ فهل ينظرون ﴾ ينتظرون ﴿ إلا سنة الأولين ﴾ أي: سنة الله في الأولين أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكتهم ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾ لا يبدل الله بها غيرها ﴿ ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ أي: لا تحوّل؛ وأخر عذاب كفار آخر هذه الأمة إلى النفخة الأولى بالاستئصال؛ بها يكون هلاكهم، وقد عذب أوائل مشركي هذه الأمة بالسيف يوم بدر.

(١) من «ر».

(٢) الصافات: ١٦٧ - ١٦٩ .

(٣) أي: مفعول لأجله، وفيه أقوال أخرى. ينظر: إعراب القرآن (٧٠٣/٢) البيان (٢/٢٨٩)، البحر (٣١٩/٧ - ٣٢٠).

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُم مِّن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيمًا قَدِيرًا
﴿٤٤﴾ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَأَرْسَلَ اللَّهُ كَانَ يَعْبَادُهُ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾
﴿أو لم يسيروا في الأرض﴾ أي: بلى قد ساروا ﴿فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم﴾ كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار؛
يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم ﴿وما كان الله ليعجزه﴾ ليسبقه ﴿من شيء﴾
في السموات ولا في الأرض ﴿حتى لا يقدر عليه﴾ ولو يواخذ الله الناس بما
كسبوا ﴿بما عملوا﴾ ما ترك على ظهرها من دابة ﴿يقول: لَحَبَسَ عَنْهُمْ الْقَطَرُ
فهلك ما في الأرض من دابة﴾ ولكن يؤخرهم ﴿يعني: المشركين﴾ إلى أجل
مسمى ﴿الساعة بها يكون هلاك كفار آخر هذه الأمة﴾ فإذا جاء أجلهم
الساعة ﴿فإن الله كان بعباده بصيرًا﴾.



تفسير سورة يس وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ قوله: ﴿يس﴾ تفسير قتادة: يا إنسان، يقوله للنبي ﷺ .

قال محمد: قيل: إنها بلغة طيء^(١).

﴿والقرآن الحكيم﴾ المحكم ﴿إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ أقسم للنبي بالقرآن أنه من المرسلين على دين مستقيم ﴿تنزيل﴾ أي: هو تنزيل، يعني: القرآن ﴿العزیز الرحيم﴾ ﴿لتنذر قومًا﴾ يعني: قريشا ﴿ما أنذر آبائهم﴾ قال بعضهم: يعني: الذي أنذر آبائهم ﴿فهم غافلون﴾ يعني: في غفلة من البعث ﴿لقد حق القول﴾ سبق ﴿على أكثرهم﴾ يعني: من لا يؤمن منهم ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالًا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾ [مغلولون]^(٢) يقول: هم فيما ندعوهم إليه من الهدى بمنزلة الذي في عنقه

(١) وكذلك فسرها الكلبي، وروى ذلك عن ابن عباس وعكرمة والضحاك والحسن وسفيان بن عيينة. وقال سعيد بن جبیر: هو كذلك في لغة الحبشة. ينظر: تفسير الطبري (٩٧/٢٢)، تفسير ابن كثير (٥٤٨/٦)، الدر المصون (٤٧٤/٥).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

الْغُلَّ^(١)، فهو لا يستطيع أن يسط يده، أي: أنهم لا يقبلون الهدى و(المُفْمَح) في تفسير الحسن: الطَّامَح يبصره الذي لا يبصر حيث يطأُ بقدمه؛ أي: أنهم لا يبصرون الهدى.

قال محمد: قوله: ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ (فهي) كناية عن الأيدي لا عن الأعناق؛ لأن الغلَّ يجعل اليد تلي الذَّن والعُنق^(٢). والمُفْمَح في كلام العرب: الرافع رأسه الغاضُّ بصره. وقيل: (...)^(٣) أقماح؛ لأن الإبل إذا وردت الماء ترفعُ رءوسها لشدة برودته^(٤).

قال الشاعر - يذكر سفينة -:

[ونحن على جوانبها قعود]^(٥) نغض الطرف كالإبل القماح

واحد القماح: قامح (ل ٢٨٣) ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ هو كقوله: ﴿وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة﴾^(٦) [قال: كان ناسٌ من المشركين من قريش يقول بعضهم: لو قد رأيتُ محمداً لقد فعلتُ كذا وكذا! ويقول بعضهم: لو قد رأيته لفعلتُ به كذا وكذا! فأتاهم النبي ﷺ في حَلقة من المسجد، فوقف عليهم فقرأ عليهم: ﴿يس والقرآن

(١) بضم الغين أي: القيد في العنق أو اليد. ينظر: لسان العرب (غلل).

(٢) أي: أن الضمير في (فهي) يعود على الأيدي، وقيل: يعود على الأغلال. انظر تفصيل ذلك من البحر المحيط (٣٢٤/٧)، الدر المصون (٥/٤٧٥ - ٤٧٦).

(٣) كلمتان غير واضحتين في الأصل و«ر» وانظر لسان العرب (قمح)، البحر المحيط (٣٢٤/٧)، الدر المصون (٥/٤٧٦).

(٤) ينظر المراجع السابقة.

(٥) ما بين المعقوفين مطموس في الأصل، وأثبتته من «ر» والبيت من بحر الوافر، وهو لبشر بن أبي خازم. ينظر - بالإضافة إلى المراجع السابقة - ديوانه (٤٨)، مجاز القرآن (١٥٧/٢).

(٦) الجاثية: ٢٣. وفي الأصل: (وختم على سمعهم). وهو ليس بآية أو جزء منها. إنما الآية ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم...﴾ [البقرة: ٧].

الحكيم... ﴿ حتى بلغ: ﴿فهم لا يبصرون﴾ ثم أخذ تراباً؛ فجعل يذروه على رؤوسهم، فما رفع رجل إليه طرفه ولا تكلم كلمة. ثم جاوز النبي ﷺ فجعلوا ينفضون التراب عن رؤوسهم ولحاهم وهم يقولون: واللّه ما سمعنا، وما أبصرنا، وما عقلنا!﴾^(١).

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (١٠) ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنََ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (١١) ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (١٢)

﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ يعني: الذين لا يؤمنون ﴿إنما تنذر﴾ إنما يقبل نذارتك ﴿من اتبع الذكر﴾ القرآن ﴿إننا نحن نحي الموتى﴾ يعني: البعث ﴿ونكتب ما قدموا﴾ أي: ما عملوا من خير أو شر ﴿وآثارهم﴾ تفسير قتادة: يعني الخطأ، لو كان الله مغفلاً شيئاً من شأنك يا ابن آدم لا تُخصيه لأغفل هذه الآثار التي [تعفوها]^(٢) الرياح ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ بين؛ يعني: اللوح المحفوظ.

قال محمد: (كل) نُصِب على معنى: أحصينا كل شيء أحصيناه^(٣) ﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية﴾ وهي أنطاكية ﴿إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث﴾ أي: قوّيناهما بثالث.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (١٣) ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ (١٤) ﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا

(١) سقط من الأصل، وأثبتته من «ر».

(٢) في الأصل (تعفوها) بالراء، وهو تحريف. والمراد بـ (تعفوها الرياح): تمحو آثارها. لسان العرب (عفو).

(٣) ينظر: الدر المصون (٥/٤٧٧).

أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتَ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطْهَرُكَ بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾

قال محمد: معنى قوله: ﴿واضرب لهم مثلاً﴾ أي: اذكر لهم مثلاً (أصحاب القرية) بَدَلٌ من قوله: (مثلاً)^(١) وقوله: (فعززنا) يقال: منه عزز من قلبه؛ أي: قوى^(٢)، وتعزز لحم الناقة إذا صَلَبَ^(٣).

وفي تفسير مجاهد: أنه أُرْسِلَ إليهم نبيان قبل الثالث فقتلوهما ثم أرسل الله الثالث قال: فقالوا: يعني: الأولين قبل الثالث، والثالث بعدهما: ﴿إنا إليكم مرسلون﴾.

﴿قالوا إنا تطيرنا بكم﴾ أي: تشاء منا ﴿لئن لم تنتهوا لنرجمنكم﴾ لنقتلنكم ﴿قالوا﴾ قالت لهم رسلهم ﴿طائركم معكم﴾ [أي عملكم معكم].

قال محمد: شؤمكم معكم أي عملكم به تصابون^(٤) ﴿أئن ذكرتم﴾ يعني: ذكرناكم بالله تطيرتُم بنا.

قال محمد: قراءة نافع (أين) بهمزة بعدها ياء. واختلف عليه في المد^(٥).

(١) ينظر: الدر المصون (٥/٤٧٧). وتقدم مثل هذا مراوًا.

(٢) في الأصل (قو) بدون الياء، وليس له معنى.

(٣) ينظر: لسان العرب، القاموس المحيط (عزز).

(٤) طمس بحاشية الأصل، والمثبت من «ر».

(٥) لم أر من نسب هذه القراءة إلى نافع إلا ها هنا، وإنما تُنسب قراءة (أين) إلى عيسى بن عمر، والحسن البصري وقتادة والأعمش وغيرهم. وأما قراءة نافع التي رويت عنه فهي (أئن) بتسهيل الهمزة الثانية بلا فصل، وقرأها أيضًا (إن)، وقرأها أيضًا (آن).

ينظر: البحر (٧/٣٥٧)، السبعة (٥٤٠)، جامع القرطبي (١٥/١٧) الإعراب للنحاس (٢/٧١٤).

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقَوِرَ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢٠) ﴿أَتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٢١) ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٢) ﴿أَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ﴾ (٢٣) ﴿إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٤) ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ (٢٥) ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٧)

﴿وجاء من أقصى المدينة﴾ أنطاكية ﴿رجل يسعى﴾ يسرع، وهو حبيب النجار.

تفسير مجاهد قال: كان [رجلاً] (١) من قوم يونس وكان به جذام (٢)، فكان يطيف بالهتهم يدعوها فلم يُغن ذلك عنه شيئاً، فبينما هو يوماً إذ هو بجماعة فدنا منهم؛ فإذا نبي يدعوهم إلى الله وقد قتلوا قبله اثنين، فدنا منه، فلما سمع كلام النبي قال: يا عبد الله، إن معي ذهباً، فهل أنت آخذ مني وأتبعك وتدعو الله لي؟ قال: لا أريد ذهبك ولكن اتبعني فلما رأى الذي به دعا الله له فبرأ (٣)، فلما رأى ما صُنِعَ به قال: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً﴾ لما كان عرض عليه من الذهب فلم يقبله منه ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني...﴾ إلى قوله: ﴿فاسمعون﴾ أي: فاسمعوا مني قولي، دعاهم إلى الإيمان فلما سمعوه قتلوه، فقبل له: ادخل الجنة. قال مجاهد: أي:

(١) في الأصل و «ر» (رجل) بالرفع؛ وهو خلاف الجادة.

(٢) داء يصيب الجلد والأعصاب الطرفية، يسبب فقداً بقعياً، وقد تساقط منه الأطراف. المعجم الوسيط (جذم).

(٣) بَرَأَ بَرَاءً؛ أي: شَفِيَ، وغير أهل الحجاز يقولون: بَرِئَ بَرَاءً؛ أي: شَفِيَ. ينظر لسان العرب (برئ).

وجبت لك الجنة ﴿قال يا ليت قومي يعلمون...﴾ الآية .

﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨) **﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾** (٢٩) **﴿يَحْصِرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾** (٣٠) **﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾** (٣١) **﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَمًا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾** (٣٢)

قال الله: ﴿وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ يعني: رسالة - في تفسير مجاهد -؛ أي: انقطع عنهم الوحي؛ فاستوجبوا العذاب **﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾** والصَّيْحَةُ عند الحسن: العذاب **﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾** قد هلكوا **﴿يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ﴾** أخبر الله أن تكذيبهم الرسل حسرة عليهم.

قال محمد: من قرأ: (إلا صيحة واحدة) بالنصب^(١)، فالمعنى: ما كانت عقوبتهم إلا صيحة واحدة^(٢).

والحسرة: أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيرًا.

يقال منه: حَسِرَ الرجل، وتحسّر^(٣).

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني: مشركي قريش **﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾** أي: لا يرجعون إلى الدنيا؛ يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم

(١) وهي قراءة العامة، ورويت قراءة الرفع عن أبي جعفر، وشيبة، والأعرج. ينظر: البحر (٧/ ٣٣٢)، جامع القرطبي (٢١/ ١٥)، النشر (٢/ ٣٥٣).

(٢) ينظر: البحر (٧/ ٣٣٢)، الدر المصون (٥/ ٤٨٠).

(٣) بمعنى أَيْف وحزن، فهو حَسْرَان، وهي حَسْرَى. لسان العرب (حسر).

﴿وإن كل لما جميع لدينا محضرون﴾ يوم القيامة.

قال محمد: من قرأ (لَمَّا) بالتخفيف^(١) ف «ما» زائدة مؤكدة؛ المعنى: وما كل إلا جميع^(٢).

﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ (٢٣) وَحَلَّلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٢٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَيُّ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٢٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٢٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٥﴾

﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ يعني: التي لا نبات فيها أحياناها بالنبات؛ أي: فالذي أحيائها بعد موتها قادرٌ على أن يحيي الموتى.

قال محمد: ﴿آيَةُ﴾ رفع بالابتداء، وخبرها ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾^(٣) ومعنى آية: علامة^(٤).

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لم تعمله أيديهم ﴿سبحان الذي

(١) وهي قراءة نافع، وابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي. ينظر: التيسير (١٢٦) البحر (٧/٣٣٤)؛ النشر (٢/٢٩١).

(٢) وينظر: الدر المصون (٥/٤٨٣) وتقدم مثله في (هود ١١١).

(٣) ينظر الدر المصون (٥/٤٨٣).

(٤) والجمع: آي وآيات. المعجم الوسيط (أبي).

خلق الأزواج كلها﴾ يعني: الأصناف ﴿مما تنبت الأرض ومن أنفسهم﴾
يعني: الذكر والأنثى ﴿ومما لا يعلمون﴾ مما خَلَقَ في البر والبحر ﴿وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار﴾ (ل ٢٨٤) أي: نُذْهِبُ منه النهار ﴿والشمس تجري
لمستقر لها﴾ لا تجاوزه، وهذا بعد مسيرها، ثم ترجع منازلها إلى يوم القيامة
حيث تُكَوَّرُ ويذهبُ ضوؤها ﴿والقمر قدرناه منازل﴾ أي: يجري على منازلها؛
يَزِيدُ وينقص ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ كَعِدْقِ النخلة اليابس؛ يعني: إذا
كان هَلَالًا.

قال محمد: من قرأ (والقمر) بالرفع^(١)، فعلى معنى: وآية لهم القمر^(٢).
﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ تفسير الحسن: لا الشمس ينبغي
لها أن تدرك القمر ليلة الهلال خاصة لا يجتمعان في السماء، وقد يُرَيَانِ جميعًا
ويجتمعان في غير ليلة الهلال، وهو كقوله: ﴿والقمر إذا تلاها﴾^(٣) إذا تبعها
ليلة الهلال خاصة ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ أي: يأتي عليه النهار، كقوله:
﴿يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً﴾^(٤).

﴿وكل في فلك يسبحون﴾ يعني: الشمس والقمر.

قال الحسن: الفَلَكُ: طاحونة مستديرة كَفَلَكَةِ المِغْزَلِ بين السماء والأرض
تجري فيها الشمس والقمر والنجوم، وليست بملتصقة بالسماء، ولو كانت
ملتصقة ما جرث.

(١) وهي قراءة: نافع وابن كثير، وأبي عمرو. وقرأ باقي السبعة بالنصب. ينظر: السبعة (٥٤٠)،
التيسير (١٨٤)، البحر (٣٣٦/٧).

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٧٢١/٢)، البحر (٣٣٦/٧) البيان (٢٩٥/٢).

(٣) الشمس: ٢.

(٤) الأعراف: ٥٤.

﴿وَأَيُّ لَهِمَّ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ (٤١) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ
 (٤٢) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ
 (٤٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ ءَايَةٍ
 مِنْ ءَابَتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ
 كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)
 ﴿وَأَيُّ لَهِمَّ أَنَا حَمَلْنَا (ذرياتهم)﴾ (١) في الفلك المشحون﴾ يعني: نوحًا وبنيه
 الثلاثة: سام وحام ويافث، منهم ذُرِّيٌّ (٢) الخلق بعد ما غَرِقَ قومُ نوح؛
 والمشحون: المُوَقَّر، يعني: مما حمل نوح معه في السفينة ﴿وخلقنا لهم من
 مثله﴾ من مثل الفلك ﴿ما يركبون﴾ يعني: الإبل ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريح
 لهم﴾ أي: فلا مُغِيث لهم ﴿ولا هم يُنْقَذُونَ﴾ من العذاب ﴿إلا رحمةً منا
 ومتاعًا إلى حين﴾ فبرحمتنا نمتّعهم إلى يوم القيامة، ولم نهلكهم بعذاب
 الاستئصال، وسيهلك كفّار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى ﴿وإذا قيل لهم اتقوا
 ما بين أيديكم وما خلفكم﴾ تفسير الكلبي: ﴿ما بين أيديكم﴾ من أمر الآخرة
 اتقوها واعملوا لها، ﴿وما خلفكم﴾ يعني: الدنيا إذا كنتم في الآخرة فلا
 تغتروا بالدنيا؛ فإنكم تأتون الآخرة ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾
 وهذا تطوُّع ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ فإذا
 لم يشأ الله أن يطعمه لِمَ نطعمه؟! ﴿إن أنتم إلا في ضلالٍ مبين﴾ يقوله
 المشركون للمؤمنين.

(١) ﴿ذرياتهم﴾ بالجمع، وهي قراءة نافع، وابن عامر. ينظر: السبعة (٥٤٠)، البحر (٧)

(٣٣٨)، النشر (٢٧٣/٢).

(٢) أي: خَلِيق. لسان العرب (ذرا).

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٤٨ ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ
وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ٤٩ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٥٠ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ ٥١ ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ
الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ٥٢ ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا
مُحْضَرُونَ﴾ ٥٣ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٥٤ ﴿
﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ أي: هذا العذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ يكذبون
به. قال الله ﴿ما ينظرون﴾ أي: ما ينتظر كفار آخر هذه الأمة الدائنين بدين أبي
جهل وأصحابه (إلا صيحة واحدة) يعني: النفخة الأولى من إسرافيل بها
يكون هلاكهم ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾ أي: يختصمون في أسواقهم
وحوائجهم ﴿فلا يستطيعون توصية﴾ أن يوصوا ﴿ولا إلىٰ أهلهم يرجعون﴾
من أسواقهم وحيث كانوا ﴿ونفخ في الصور﴾ هذه النفخة الآخرة، والصُّور:
قرنٌ تُجعل الأرواح فيه، ثم يُنفخ فيه صاحبُ الصُّور، فيذهب كلُّ روحٍ إلى
جسده ﴿فإذا هم من الأجداث﴾ القبور ﴿إلى ربهم ينسلون﴾ أي: يخرجون
سِرَاعًا ﴿قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾ قال قتادة: تكلم بأول هذه الآية
أهلُ الضلالة، وبآخرها أهلُ الإيمان. قال أهلُ الضلالة: ﴿يا ويلنا من بعثنا
من مرقدنا﴾ قال المؤمنون: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾.

وقولهم: ﴿من مرقدنا﴾ هو ما بين النفختين لا يُعذبون في قبورهم ما بين
النفختين، ويقال: إنها أربعون سنة، الأولى يميئُ الله بها كلَّ حي، والأخرى
يحيي الله بها كلَّ ميت ﴿إن كانت﴾ يعني: ما كانت ﴿إلا صيحة واحدة﴾
يعني: النفخة الثانية ﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾ المؤمنون والكافرون.

قال محمد: من قرأ: (صبيحة) بالنصب^(١)، فعلى معنى: إن كانت تلك إلا صبيحة^(٢).

﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونٍ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إن أصحاب الجنة اليوم﴾ يعني: في الآخرة ﴿في شغل﴾ قال قتادة في: افتضاض العذارى ﴿فاكهون﴾ أي: مسرورون؛ في تفسير الحسن (ل ٢٨٥) ﴿هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك﴾ يعني: السرور في الحجال.

يحيى: عن خالد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة يدخلونها كلهم نساءً وهم ورجالهم من عند آخرهم أبناء ثلاث وثلاثين سنة، على طول آدم؛ طوله ستون ذراعاً - الله أعلم بأي ذراع - جُرْذًا^(٣) مُرْذًا مُكْحَلِينَ يأكلون ويشربون، ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يَمْتَخِطُونَ، والنساء غُرْبًا أَثْرَابًا لَا يَحِضْنَ، وَلَا يَلِدْنَ وَلَا يَمْتَخِطْنَ وَلَا يُيْلَنُ وَلَا يَقْضِينَ حَاجَةً»^(٤).

﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون﴾ أي: يشتهون قال: يكون في فم أحدهم الطعام، فيخطر على باله آخر؛ فيتحوّل ذلك الطعام في فيه، يأكل من ناحية البسرة بُسْرًا^(٥)، ثم يأكل من الناحية الأخرى عنبًا إلى عشرة ألوان، وما شاء

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ أبو جعفر بالرفع. ينظر: الكشاف (٣/ ٣٢٦)، النشر (٢/ ٣٥٣).

(٢) تقدم مثل هذا.

(٣) واحده: أجرد؛ وهو الذي خلا جسمه من الشعر. لسان العرب (جرد).

(٤) لم أقف عليه، وانظر صفة الجنة لأبي نعيم (٢/ ٧٨ - ١٠٩).

(٥) كذا في الأصل، وفي «ر»: من ناحية من البسرة يسرا!!

اللَّهُ من ذلك. وتصفُ الطيرُ بين يديه؛ فإذا اشتهى الطائر منها اضطرب ثم صار بين يديه نَضِيجًا بغضه شواءً وبغضه قَدِيدًا^(١)، وكلُّ ما اشتته أنفسهم وجدوه.

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ يأتي المَلَكُ من عند الله إلى أحدهم فلا يدخل عليه، حتى يستأذن عليه يطلب الإذن من البواب الأول؛ فيذكره للبواب الثاني، ثم كذلك حتى ينتهي إلى البواب الذي يليه، فيقول البواب له: ملكٌ على الباب يستأذن! فيقول: ائذن له فيدخل بثلاثة أشياء: بالسلام من الله، والتحية، وبأنَّ الله عنه راضٍ.

قال محمد: قوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا﴾ منصوبٌ على معنى: لهم سلامٌ يقوله الله قولًا^(٢).

﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ﴾ المشركون؛ أي: تميزوا عن أهل الجنة إلى النار.

قال محمد: المعنى انقطعوا عن المؤمنين، يقال: ميزت الشيء عن الشيء إذا عزلته عنه، فامتازَ وامتازَ وميزته فتميز^(٣).

﴿أَلَمْ آغْضِ إِلَيْكُمْ يَنْبِئُ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٥) وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٦) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِثْلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٦٧) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٨) أَصَلَوْهَا آلِیَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٩)

(١) القَدِيدُ: هو الذي يُقَطَّعُ ويُمْلَحُ، ويُجَفَّفُ في الهواء والشمس. ينظر: المعجم الوسيط (قدد).

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢/٧٢٩)، البحر (٧/٣٤٣)، مجمع البيان (٤/٤٣٩).

(٣) ينظر لسان العرب (ميز).

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ
نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾

﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان﴾ لأنهم عبدوا الأوثان بما وسوس إليهم الشيطان؛ فأمرهم بعبادتهم فإنما عبدوا الشيطان ﴿هذا صراط مستقيم﴾ أي: دين ﴿ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً﴾ أي: خلقاً كثيراً ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ في الدنيا أن لم تؤمنوا ﴿اليوم نختم على أفواههم﴾ [وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم] تفسير بعضهم: لما قالوا: واللّه ربنا ما كنا مشركين. ختم الله على أفواههم^(١) ثم قال للجوارح: انطقي فأول ما يتكلم من أحدهم فخذّه. قال الحسن: وهذا آخر مواطن يوم القيامة، إذا ختمت أفواههم لم يكن بعد ذلك إلا دخول النار.

﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ يعني: المشركين ﴿فاستبقوا الصراط﴾ الطريق ﴿فأنى يبصرون﴾ فكيف يبصرون إذا أعميناهم؟!

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ تَعَمَّرَهُ نَكَسْنَاهُ فِي خَلْقِهِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحَقِّقَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ أي: لأقعدناهم على أرجلهم ﴿فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾ أي: إذا فعلنا ذلك بهم لم يستطيعوا أن يتقدموا ولا يتأخروا ﴿ومن نعمره﴾ أي: إلى أزدل العمر ﴿ننكسه في الخلق﴾ فيكون

(١) لحق غير واضح بالأصل، والمثبت من «ر».

بمنزلة الصبي الذي لا يَعْقِلُ ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ يعني: المشركين، أي: فالذي خلقكم ثم جعلكم شباباً ثم جعلكم شيوخاً ثم نكسكم في الخلق فردكم بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئاً - قادرٌ على أن يبعثكم يوم القيامة ﴿وما علمناه الشعر﴾ يعني: النبي ﷺ ﴿وما ينبغي له﴾ أن يكون شاعراً ولا يروي الشعر، هذا لقولهم في النبي أنه شاعرٌ.

قال قتادة: وقالت عائشة: «لم يتكلم رسول الله ببيت شعر قط؛ غير أنه أراد مرة أن يتمثل ببيت شعر فلم يُقِمه» وقال بعضهم إن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله طرفه^(١) حيث يقول:

سَبْدِي لَكَ الْيَأْمُ مَا كُنْتُ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمْ تُزِدْ بِالْأَخْبَارِ
قيل له: إنه قال:

ويأتيك بالأخبار من لم تزود^(٢)

فقال: سواء^(٣).

(١) هو طرفه بن العبد بن سفيان بن سعد البكري الوائلي، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، ولد في بادية البحرين، وتنقل في بقاع نجد. (٨٦ - ٦٠ ق هـ) تنظر ترجمته ومصادرها من الأعلام (٢٢٥/٣).

(٢) البيت من بحر الطويل. ينظر ديوان طرفه (٦٦)، تفسير ابن كثير (٥٧٥/٦).

(٣) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٥/٢ - ١٤٦) والطبري في تفسيره (٢٧/٣٠) من طريق معمر عن قتادة.

ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٥٩٧/٣) - من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.

ونسبه السيوطي في الدر المنثور (٢٩١/٥) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما. وقد ورد أن النبي ﷺ تمثل بعجز هذا البيت لطرفة.

فروى الإمام أحمد (٣١/٦، ١٣٨، ١٤٦، ١٥٦، ٢٢٢) والبخاري في الأدب المفرد (٣٠٢) رقم (٨٦٧) والترمذي (١٢٨/٥) رقم (٢٨٤٨) والنسائي في الكبرى (٢٤٧/٦) رقم ١٠٨٣٣ =

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ تفسير بعضهم: إِنْ هُوَ إِلَّا تَفَكَّرْ فِي ذَاتِ اللَّهِ ^(١) ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ يَبَيِّنُ ﴿لِتُنذِرَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ أَي: مُؤْمِنًا هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ نَذَارَتَكَ ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ﴾ الْغَضَبُ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ (٧١) ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (٧٢) ﴿وَهُمْ فِيهَا مَتَفِعٌ وَمَشَارِبٌ أَفْلا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣) ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُبْصِرُونَ﴾ (٧٤) ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْضَرُونَ﴾ (٧٥) ﴿فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ تَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٦) ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧)

﴿أَو لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ (ل ٢٨٦) أَي: قَوْتَنَا فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ ^(٢) [أَي: بِقُوَّة] ^(٣) ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ أَي: مَا يَرْكَبُونَ.

قال محمد: (الرُّكُوب) بفتح الراء اسمُ ما يركب، والرُّكُوب المصدَّرُ، ويقال: مَكَانٌ رُكُوبٌ، يريدون الاسم ^(٤).

= (١٠٨٣٤) وإسحاق بن راهويه في مسنده (٣/ ٨٩٨ رقم ١٥٨٢) والطحاوي في شرح المعاني (٤/ ٢٩٧) وفي شرح المشكل (٨/ ٣٧٤ - ٣٧٦ رقم ٣٣١٩، ٣٣٢٠) والبنوي في تفسيره (٧/ ٢٦) وغيرهم من طرق عن عائشة قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَرَاثَ الْخَبَرَ تَمَثَّلَ بَيْتَ طَرْفَةٍ: وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودَ».

وقال الترمذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(١) فِي «ر»: كِتَابُ اللَّهِ.

(٢) الذَّارِيَاتُ: ٧٤.

(٣) طَمَسَ فِي الْأَصْلِ، وَالْمَثْبُتُ مِنْ «ر».

(٤) لِسَانُ الْعَرَبِ (رُكُوب).

﴿ولهم فيها منافع﴾ في أصوافها، وأوبارها، وأشعارها، ولحومها ﴿ومشارب﴾ يشربون من ألبانها ﴿أفلا يشكرون﴾ أي: فليشكروا ﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون﴾ يمنعون ﴿لا يستطيعون نصرهم﴾ لا تستطيع آلهتهم التي يعبدون نصرهم ﴿وهم لهم جند محضرون﴾ معهم في النار؛ في تفسير قتادة ﴿فلا يحزنك قولهم﴾ أنك ساحر، وأنت شاعر [وأنت كاهن] ^(١) وأنت مجنون، وأنت كاذب ﴿إنا نعلم ما يسرون﴾ من عداوتهم لك ﴿وما يعلنون﴾ فيعصمك الله منهم ويذلهم لك، ففعل الله ذلك به .

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٩) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (٨٠) ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ (٨١) ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٨٢) ﴿فَسُبْحَنَّ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٣) ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي: وقد علم أنا خلقناه؛ أي: فكما خلقناه كذلك نعيده ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ أي: رُفات.

قال محمد: يقال: رم العظم فهو رميم ورمام ^(٢).

قال مجاهد: «أتى أبي بن خلف إلى النبي ﷺ بعظم نخِر ففتنه بيده؛ فقال: يا محمد، أيعحي الله هذا وهو رميم؟!» ^(٣).

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) لسان العرب (رمم).

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٣/٣٠).

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٥/٢٩٣) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم.

قال يَحْيَى : فبلغني أن النبي ﷺ قال له : «نعم يحييك الله بعد موتك ، ثم يدخلك النار»^(١) ؟ فأنزل الله ﴿قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا﴾ خلقها ﴿أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ .

﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا﴾ يعني : كُلَّ عودٍ تزند^(٢) منه النار ، فهو من شجرة خضراء ﴿الذي بيده ملكوت﴾ (أي : ملك)^(٣) ﴿كل شيء وإليه ترجعون﴾ يوم القيامة .



(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (١٤٦/٢) والطبري في تفسيره (٣٠/٢٣) عن قتادة مرسلاً .

وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٣/٥) : لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما .

(٢) في الأصل : (تزيد) ، وهو تحريف عن الصواب . والله أعلم .

(٣) سقط من «ر» .

تفسير سورة الصافات وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾ ① ﴿فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا﴾ ② ﴿فَالسَّيِّدَاتِ ذِكْرًا﴾ ③ ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ ④
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ⑤ ﴿إِنَّا زَيْنًا أَسْمَاءُ الدُّنْيَا يُزِينُهُ الْكَوْكَبُ﴾
 ⑥ ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ ⑦ ﴿يَسْمَعُونَ إِلَى آلَمِلَا الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾
 ⑧ ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ ⑨ ﴿إِلَّا مَنْ خِطَفَ الْخُطْفَةَ فَاتَّبَعَهُ يَشْهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ ⑩ ﴿
 قوله: ﴿والصافات صفا﴾ قال قتادة: يعني: صفوف الملائكة.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر قال: قال رسول الله ﷺ: «أُطِيتُ^(١) السماء وحُقَّ لها أن تنطَّ، ليس فيها موضع شبرٍ إلا وعليها ملكٌ قائمٌ أو راکعٌ أو ساجدٌ»^(٢).
 قال محمد: الأُطِيطُ: الصوت.

﴿فالزاجرات زجراً﴾ يعني: الملائكة، ومنهم الرعد الملك الذي يزجر السحاب؛ وقال في آية أخرى: ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾^(٣) يعني: النفخة

(١) أي: صوّتت. لسان العرب (أطط).

(٢) لم أقف عليه من هذا الطريق المرسل، ورواه الإمام أحمد (١٧٣/٥) والترمذي (٤/٤٨١ - ٤٨٢ رقم ٢٣١٢) وابن ماجه (١٤٠٢/٢) رقم ٤١٩٠ والحاكم في المستدرک (٢/٥١٠ - ٥١١، ٥٤٤/٤) وغيرهم عن أبي ذر رضى الله عنه.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٣) الصافات: ١٩، والنازعات: ١٣.

الآخرة ينفخها صاحبُ الصُّور ﴿فالتاليات ذكراً﴾ الملائكة تتلوا الوحي الذي تأتي به الأنبياء؛ أقسم بهذا كله ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ تفسير قتادة قال: هي ثلاثمائة وستون مَشْرِقاً، وثلاثمائة وستون مَغْرِباً.

﴿إِنَّا زِينَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا﴾ أي: وجعلناها يعني: الكواكب حِفْظًا لِلسَّمَاءِ ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾ أي: مجترئ على المعصية ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أي: لئلا يسمعون^(١) ﴿إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ يعني: الملائكة في السماء، وكانوا يسمعون قبل أن يُنْعِثَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَارًا مِنْ أَخْبَارِ السَّمَاءِ، فأما الوحي فلم يكونوا يقدرُونَ على أن يسمعوه ﴿وَيُقَذَّفُونَ﴾ أي: يُزْمَنُ ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا﴾ أي: طَرْدًا ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي: دائم ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ﴾ أي: لحقه ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ مضىء، رجع إلى أول الكلام ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ يعني: استمع الاستماع.

قال ابن عباس: إذا رأيتم الكوكب قد رُمِيَ به فتواری؛ فإنه يخرق ما أصاب ولا يقتل.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (١١) ﴿بِكُلِّ عَجَبَةٍ وَيَسْخَرُونَ﴾ (١٢) ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾ (١٣) ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ (١٤) ﴿وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ

(١) هكذا في الأصل (يسمعون) بإثبات النون؛ وهو أحد الأوجه النحوية في إعراب هذا الفعل، حيث يذهبون إلى أن قوله تعالى: (لا يسمعون) أصله (لئلا يسمعون) وحذفت اللام، وارتفع الفعل. ولا يخفى مما في هذا الرأي من تعسف. ينظر تفصيل ذلك من الدرر المصون (٤٩٦/٥).

مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوَدَا مِنَّا وَكَأَنَّ رُبَابًا وَعَظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

﴿فاستفتحهم﴾ يعني: المشركين، أي: فاسألهم على الاستفهام؛ يُحاجُّهم بذلك ﴿أهم أشد خلقًا أم من خلقنا﴾ أم السماء أي: أنها أشد خلقًا منهم ﴿إنا خلقناهم من طين لازبٍ﴾ واللازب: الذي يلصق باليد؛ يعني: خلق آدم. قال محمد: يقال: لازب ولازم، بمعنى واحد^(١).

﴿بل عجبت﴾ يا محمد أن أعطيت هذا القرآن ﴿ويسخرون﴾ يعني: المشركين ﴿وإذا ذكروا﴾ بالقرآن ﴿لا يذكرون﴾ (٢٨٧) ﴿وإذا رأوا آية﴾ إذا تليت عليهم آية ﴿يستسخرون﴾ من السُّخْرِيَّةِ ﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾ أي: صاغرون ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ النفخة الآخرة ﴿فإذا هم ينظرون﴾ أي: خرجوا من قبورهم [ينظرون]^(٢).

﴿أخشروا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقَفَّوهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانْ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْتَكُمُ إِنَّا كُنَّا غَالِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَنبَتَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ

(١) لسان العرب (لذب).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

نَفَعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا تَارِكُوا آلَ الْهَيْتَا لِسَاعِرٍ يَمُوتُونَ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مَكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾

﴿احشروا﴾ أي: سوقوا ﴿الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿وأزواجهم﴾ قال الحسن: يعني: الشياطين الذين دَعَوْا إلى عبادة الأوثان.

قال محمد: تقول العرب: زَوَّجْتُ إِبْلِي إِذَا قَرَنْتَ وَاحِدًا بآخر^(١).

﴿فاهدوهم﴾ أي: اذعوهم ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿الجحيم﴾ والجحيم اسم من أسماء جهنم ﴿وقفوهم﴾ أي: احبسوهم، وهذا قبل أن يدخلوا النار ﴿إنهم مسئولون﴾ عن لا إله إلا الله.

قال محمد: يقال: وقفت الدابة وَقْفًا وَوُقُوفًا، ومن هذا المعنى قوله: ﴿وقفوهم﴾ ويقال: أوقفْتُ الرجل على الأمر إِقَافًا^(٢).

﴿ما لكم لا تنصرون﴾ يقال لهم: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا؟! قال الله: ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ أي: استسلموا ﴿وأقبل بعضهم على بعضٍ﴾

(١) لسان العرب (زوج).

(٢) ينظر: لسان العرب (وقف).

يتساءلون ﴿يعني: الكفار والشياطين﴾ قالوا ﴿قال الكفار للشياطين: ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ قال مجاهد: أي: من قبل الدين؛ فصددتمونا عنه﴾ قالوا ﴿يعني: الشياطين للمشركين من الإنس﴾ بل لم تكونوا مؤمنين ﴿.

﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ نفهركم به على الشرك ﴿بل كنتم قومًا طاغين﴾ أي: ضالين ﴿فحق علينا قول ربنا﴾ الشياطين تقول هذا، قال الله: ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ يُقرن كل واحد منهم هو وشيطانه في سلسلة واحدة ﴿ويقولون﴾ يعني: المشركين إذا دعاهم النبي إلى الإيمان ﴿أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ يعنون: النبي ﷺ، أي: لا نفعل. قال الله ﴿بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ قبله ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ استثنى المؤمنين ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ الجنة.

﴿على سرر متقابلين﴾ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض.

تفسير بعضهم: وهذا في الزيارة إذا تزاوروا ﴿يُطَاف عليهم بكأس﴾ وهي الخمر.

قال محمد: الكأس اسم يقع لكل إناء مع شرابه^(١).

﴿من معين﴾ والمعين: الجاري الظاهر^(٢) ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ أي: إذا شربوها لا يسكرون؛ فتذهب عقولهم.

قال محمد: يقال: الخمر غول للحلم، والحرب غول للنفوس؛ أي: تذهب بها^(٣). وذكر أبو عبيد أن قراءة نافع (ينزفون) بفتح الزاي في هذه، وفي

(١) وهي مؤنثة، وقد تُطلق على الشراب الذي في الإناء. والجمع: كنوس، وأكؤس. لسان العرب (كأس).

(٢) والجمع: (مُعَن). ينظر: المعجم الوسيط (عين، معن).

(٣) لسان العرب (غول).

التي في الواقعة^(١).

قال محمد: ويقال للسكران: نَزِيفٌ وَمَنْزُوفٌ^(٢).

ومن قرأ ﴿يَنْزِفُونَ﴾ بكسر الزاي^(٣) فهو من: أَنْزَفَ الْقَوْمُ إِذَا حَانَ مِنْهُمْ النَّزْفُ وَهُوَ السُّكْرُ؛ كما يقال: أَحْصَدَ الزَّرْعُ إِذَا حَانَ حَصَادُهُ، وَأَقْطَفَ الْكَرْمُ إِذَا حَانَ قَطَافُهُ.

قوله: ﴿قَاصِرَاتِ الطُّرَفِ﴾ يعني: الأزواج قَصُرْنَ طَرْفَهُنَّ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ لَا يَرُدْنَ غَيْرَهُمْ. ﴿عَيْنٌ﴾ عظام العيون، الواحدة مِنْهُنَّ: عَيْنَاءٌ^(٤).

﴿كَانَهُنَّ بِيضٌ مَكْنُونٌ﴾ تفسير بعضهم يعني بالبيض: اللؤلؤ، كقوله: ﴿وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللَّوْلُؤِ﴾^(٥) مَكْنُونٌ فِي أَصْدَافِهِ.

﴿فَاقْبَلْ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يعني: أهل الجنة.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾^(٥١) يَقُولُ أَيْنَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ^(٥٢) أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا

تُرَابًا وَعِظْلًا أَيْنَا لِمَدِينُونَ^(٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُطْلِعُونَ^(٥٤) فَأَطْلَعَ قَرَاءَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ^(٥٥)

قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ^(٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ^(٥٧) أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ

﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفُورُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾

(١) وهي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي. ينظر: البحر (٧/ ٣٦٠) السبعة (٥٤٧)، النشر (٢/ ٣٥٧)، التيسير (١٨٦). والآية التي في الواقعة هي قوله تعالى: ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩].

(٢) لسان العرب (نزف).

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٤) ويقال: هو أعَيْن، وهي عَيْنَاء، لِمَنْ اتَّسَعَتْ عَيْنُهُ وَحُسِنَتْ. لسان العرب (عين).

(٥) الواقعة: ٢٢.

﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ صاحبٌ في الدنيا .
﴿يقول أثنتك لمن المصدقين﴾ على الاستفهام ﴿أثنا لمدينون﴾ لمحاسبون؛
أي: لا تُبْعَثْ ولا تُحَاسَبْ.

قال يحيى: وهما اللذان في سورة الكهف في قوله: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين...﴾^(١) إلى آخر قصتهما.

﴿قال﴾ المؤمن منهما: ﴿هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم﴾
يعني: في وسط الجحيم ﴿قال تالله إن كدت لتردين﴾ أي: تباعدني من
الله.

قال محمد: يقال: رَدِي الرجل يَزْدِي زَدًى؛ إذا هلك، وأزْدَيْتُهُ:
أهلكته^(٢).

﴿ولولا نعمة ربي﴾ يعني: الإسلام ﴿لكنت من المحضرين﴾ معك في
النار ﴿أفما نحن بميتين إلا مَوْتُنَا الأولى﴾ وليس هي إلا مَوْتٌ واحدة التي
كانت في الدنيا ﴿وما نحن بمعذبين﴾ على الاستفهام، وهذا استفهام على
سرور (٢٨٨)، قد أَمِنَ ذلك، ثم [قال]:^(٣) ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾
النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

﴿لَيْسَ هَذَا فَلَيعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾^(٦١) أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزَلَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ^(٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا
فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ^(٦٣) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ^(٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُئُوسُ

(١) الكهف: ٣٢ - ٤٤ .

(٢) فهو رَدِي أي: هالك. لسان العرب (ردى).

(٣) طمس في الأصل. والمثبت من «ر».

الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوَابًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْقَوْا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

قال الله: ﴿لمثل هذا﴾ يعني: ما [وصف فيه] ^(١) أهل الجنة ﴿فليعمل العاملون﴾ ثم قال: ﴿أذلك خيرٌ نزلًا أم شجرة الزقوم﴾ أي: أنه خير نزلًا. ﴿إنا جعلناها فتنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ للمشركين.

قال قتادة: لما نزلت هذه الآية، جاء أبو جهل بتمر وزبد، وقال: تزقّموا فما نعلم الزقوم إلا هذا، فأنزل الله ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾. قال يحيى: [بلغني] ^(١) أنها في الباب السادس، وأنها تجيء بلهب النار؛ كما تجيء الشجرة ببرد الماء، فلا بد لأهل النار من أن ينحدروا إليها، أعني: من كان فوقها؛ فيأكلوا منها.

قوله: ﴿طلعها﴾ يعني: ثمرتها ﴿كانه رءوس الشياطين﴾ يقبحها بذلك. قال محمد: الشيء إذا استقبح يقال: كأنه وجه شيطان، وكأنه رأس شيطان، والشيطان لا يرى، ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء لو نظر إليه، وهذا كقول امرئ القيس ^(٢).

أَيَقْتُلْنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَسُمِرَ الْقَنَا حَوْلِي كَأَنِّيَابِ أَغْوَالٍ ^(٣)

(١) طمس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق (ت ٨٠ ق).

هـ. ترجمته ومصادرها في الأعلام (١١/٢).

(٣) البيت من بحر الطويل. ويروى: ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال. ينظر ديوانه (٣٣)،

معاهد التنصيص (١٣٤/١)، الكامل (٩٦/٣).

ولم يَرِ الغُولَ ولا نَابَهَا.

﴿ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم﴾ أي: لمزاجا من حميم، وهو الماء الذي لا يُسْتَطَاعُ من حرّه.

قال محمد: (الشوبُ) المصدرُ، و(الشوبُ) الاسم؛ المعنى: إن لهم على أكلها لخلطا ومزاجا من حميم.

﴿فهم على آبارهم يهرعون﴾ يُسرِعُونَ.

قال محمد: يقال: هُرِعَ الرجل وأهرِعَ إذا استُحِجَّتْ وأسرع^(١).

﴿ولقد أرسلنا فيهم﴾ في الذين قبلهم ﴿منذرين﴾ يعني: الرسل ﴿فانظر كيف كان عاقبة المنذرين﴾ أي: كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار.

﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) ﴿وَنَحْنُ أَهْلُهُ مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦) ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (٧٧) ﴿وَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨) ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٠) ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨١) ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (٨٢) ﴿وَأَتَتْ مِنْ شَيْعَنِيهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ (٨٣) ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٤) ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٨٥) ﴿أَفِئْكَاءَ إِلَهِةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (٨٦) ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٧) ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ (٨٨) ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨٩) ﴿فَقُولُوا عَنْهُ مُنْذِرِينَ﴾ (٩٠) ﴿فَرَأَى إِلَٰهَهُمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ﴾ (٩١) ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ (٩٢) ﴿فَرَأَى عَلَيْهِمْ ضَرَبًا بِالْإِمِينِ﴾ (٩٣) ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْقُونَ﴾ (٩٤) ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ يعني: حيث دعا على قومه ﴿فلنعم المجيبون﴾ له

(١) ويقال: هُرِعَ الرجل وأهرِعَ؛ إذا مشى في اضطراب وسرعة. لسان العرب (هرع).

أَجْبَنَاهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يعني: الْغَرَقَ .
﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ فالناس كلهم ولد سام وحام وياثث ﴿وَتَرَكْنَا
عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ يعني: أَبْقَيْنَا لَهُ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي
الْعَالَمِينَ﴾ يعني: مَا كَانَ بَعْدَ نُوحٍ .

﴿وَإِنْ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ﴾ تفسير مجاهد: عَلَى مِنْهَاجِهِ وَسُنَّتِهِ ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿أَنْفَكَ﴾ كَذَبًا ﴿آلِهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ﴾ عَلَى
الِاسْتِفْهَامِ أَي: قَدْ فَعَلْتُمْ؛ فَعَبَدْتُمُوهُمْ دُونَهُ ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أَي:
أَنَّهُ مَعَذَّبُكُمْ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ فِي الْكَوَاكِبِ ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أَي:
مَطْعُونٌ ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ إِلَى عَيْدِهِمْ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ اسْتَتَبَعُوهُ لَعِيدِهِمْ - فِي
تَفْسِيرِ الْكَلْبِيِّ - فَعَصَبَ رَأْسَهُ، وَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي النُّجُومِ أَنِّي سَاطِعُنْ
غَدًا! وَكَانُوا يَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ هَذَا كِرَاهِيَّةٌ مِنْهُ لِلذَّهَابِ مَعَهُمْ،
وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ بِأَلْهَتِهِمْ كَادَهُمْ بِذَلِكَ ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: مَالَ عَلَى أَلْهَتِهِمْ
﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ فَكَسَرَهَا إِلَّا كَبِيرَهُمْ، وَقَدْ مَضَى تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ ^(١)
﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾ إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿يَزْفُونَ﴾ أَي: يَبْتَدِرُونَهُ .

قال محمد: مَنْ قَرَأَ (يَزْفُونَ) بَفَتْحِ الْيَاءِ وَتَشْدِيدِ الْفَاءِ ^(٢) فَالْمَعْنَى: يَسْرِعُونَ
وَأَصْلُهُ مِنْ: زَفِيفِ النَّعَامِ، يُقَالُ: زَفَّتِ النَّعَامُ تَزْفُ زَفِيفًا، وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى:
أَزَفَّتْ زَفَافًا ^(٣) .

(١) الْأَنْبِيَاءُ: ٥٧ - ٦٧ .

(٢) وَهِيَ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ إِلَّا حَمَزَةً، فَقَدْ قَرَأَ ﴿يَزْفُونَ﴾ يَنْظُرُ: السَّبْعَةُ (٥٤٨)، الْبَحْرُ (٣٦٦/٧)،
الشَّرْ (٣٥٧/٢) .

(٣) يُقَالُ: زَفَّتِ النَّعَامُ تَزْفُ زُفُوفًا وَزَفِيفًا. يَنْظُرُ: لِسَانُ الْعَرَبِ (زَفَفَ) .

﴿قَالَ اتَّبِعُونِ مَا نُنْحِثُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُكَ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

﴿قال﴾ لهم إبراهيم ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ يعني: أصنامهم ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ أي: خلقكم وخلق ذلك الذي تنحتون بأيديكم ﴿قالوا ابنوا له بنياناً﴾ يقوله بعضهم لبعض ﴿فألقوه في الجحيم﴾ أي: في النار؛ فجمعوا الحطب زماناً، ثم جاءوا بإبراهيم، فألقوه في تلك النار ﴿فأرادوا به كيداً﴾ بحرقتهم إياه ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ في النار ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ يعني: سيهديني ^(١) الطريق، هاجر من أرض العراق إلى أرض الشام [رب هب لي من الصالحين] يريد: ولداً تقيّاً صالحاً ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ يريد إسماعيل ^(٢) ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ [يريد العمل لله - تعالى - وهو الاحتلام] ^(٣)، تفسير الحسن يعني: سعي العمل وقيام الحجة ^(٣).

[﴿قال﴾ إسماعيل ﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾ يريد ما أوحى إليك ربك ﴿ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ على بلاء الله.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يُتَابِعَهُ يُسُ ﴿١٠٤﴾﴾ قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَّابٌ

(١) في «ر»: يريد: سيرشدني.

(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(٣) أي: التكليف.

نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَقَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرْكْنَا عَلَيْهِ
فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَشَرَّزْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرْكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ
دُرَيْتِهِمَا مُحْسِنٌ وَعَلَّامٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

﴿فلما أسلما﴾ يريد إبراهيم وإسماعيل، يريد: أسلم إبراهيم طوعاً لله -
تبارك وتعالى - أن يذبح ابنه وبكره وواحد؛ وكذلك هو في التوراة:
(جادلني) ^(١) بكره وواحد. وأسلم إسماعيل نفسه لله ^(٢)؛ أي: استسلما
لأمر الله، رضي إبراهيم بذبح ابنه، ورضي ابنه بأن يذبحه أبوه ﴿وتله
للجبين﴾ (ل ٢٨٩) أي: أضجعه؛ ليذبحه وأخذ الشفرة وعليه قميص أبيض
قال: يا أبت إنني ليس لي ثوبٌ تكفني فيه [غير هذا] ^(٢) فاخلعه حتى تكفني
فيه. ﴿وتله للجبين﴾ يريد: أضجعه على جنبه إلى الأرض ^(٢).

﴿ونادياه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ .

قال يحيى: ناداه به الملك من عند الله ﴿أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾
بوحى من الله - عز وجل - ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ يريد: هكذا نجزي
الموحدين ^(٢) ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ [يريد الذي ابتليتك به عظيم أن تذبح
لي بكرك وواحدك] ^(٢) يعني: النعمة البيّنة عليك من الله؛ إذ لم تذبح ابنك.
قال محمد: (ونادياه) ذكر بعض العلماء أنه جواب ﴿فلما أسلما وتله
للجبين﴾ والواو زائدة ^(٣). والله أعلم.

(١) كذا في «ر».

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) ينظر الدر المصون (٥/٥١٠)، البحر (٧/٣٧٠).

قال: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ [يريد الكبش الذي تقرب به هابيل ابن آدم إلى الله، فتقبله، وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله - جل ذكره - إسماعيل^(١)] قال مجاهد: أي متقبل. قال ابن عباس: فالتفت إبراهيم؛ فإذا هو بكبش أبيض أقرن فذبحه.

قال يحيى: وابنه الذي أراد ذبحه: قال الحسن: هو إسحاق^(٢).

﴿وتركنا عليه﴾ أبقينا عليه ﴿في الآخرين﴾ الثناء الحسن؛ [يريد الذكر الحسن لإكرامه لإسماعيل، ألا يذكر من بعده إلا بخير إلى يوم القيامة وذلك أن إبراهيم ﷺ قال في سورة باع^(٣) ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ يقول: لا أذكر في جميع الأمم من بعدي إلا بذكر حسن.

﴿سلام على إبراهيم﴾ في العالمين ﴿كذلك نجزي المحسنين﴾ يريد الموحدين ﴿إنه من عبادنا المؤمنين﴾ يريد: المصدقين الموحدين ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ يريد: من صالح الأنبياء ﴿وباركنا عليه وعلى

(١) سقط من الأصل، والمثبت من (ر).

(٢) وهذا القول يخالف ظاهر القرآن؛ فإن الله بعد أن ذكر قصة الذبيح وتسليمه نفسه لله - تعالى - وإقدام إبراهيم على ذبحه وفرغ من قصته قال بعدها: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ فشكر الله - تعالى - له استسلامه لأمره وبذله ولده له وجعل من إثابته على ذلك أن آتاه إسحاق، فنجى إسماعيل من الذبح وزاده عليه إسحاق.

وقد بين العلامة ابن القيم أن القول بأن الذبيح إسحاق من تحريف أهل الكتاب لكتبهم، وأظهر بطلانه من عشرة أوجه، انظرها في إغاثة اللهفان (٢/٣٢٣ - ٣٢٥).

وقال ابن القيم في زاد المعاد (١/٧١): وأما القول بأنه إسحاق فباطل من أكثر من عشرين وجهاً، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب، مع أنه باطل بنص كتابهم. اهـ. وانظر تفسير ابن كثير (٤/١٧ -

١٩) وتفسير البغوي (٧/٤٦ - ٤٧) وأضواء البيان (٦/٦٩١ - ٦٩٣).

(٣) يريد سورة الشعراء: الآية ٨٤.

إِسْحَاقُ ﴿يُرِيدُ: عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾^(١) ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ [يُرِيدُ: ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ]^(١) ﴿مُحْسِنٌ﴾ [يُرِيدُ: مُوَحِّدًا، يَعْنِي:]^(١) ﴿مُؤْمِنٌ﴾ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴿مُشْرِكٌ﴾ [مُبِينٌ] بَيْنَ الشَّرْكِ.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ١١٤ ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ ١١٥ ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْفَأُواهُمْ أَلْفَلِيلِينَ﴾ ١١٦ ﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَبِينَ﴾ ١١٧ ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ١١٨ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ ١١٩ ﴿سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ ١٢٠ ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ١٢١ ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٢٢ ﴿

﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ يُرِيدُ أَعْطَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا﴾ يُرِيدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْاِثْنَى عَشَرَ سَبْطًا ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ يُرِيدُ: الظُّلْمَ الْعَظِيمَ ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْفَأُواهُمْ أَلْفَلِيلِينَ﴾ يُرِيدُ: لِفِرْعَوْنَ ﴿وَأَيَّدْنَاهُمَا بِالْكِتَابِ الْمُسْتَبِينَ﴾ يُرِيدُ: التَّوْرَةَ وَمَا فِيهَا مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ يُرِيدُ: الدِّينَ الْقَوِيمَ الْوَاضِحَ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ يُرِيدُ: الثَّنَاءَ الْحَسَنَ ﴿سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ يُرِيدُ: الْمُؤَحِّدِينَ ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ يُرِيدُ الْمُصْذِقِينَ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ.

﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٢٣ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تُتَّقُونَ﴾ ١٢٤ ﴿أَنذَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقَيْنِ﴾ ١٢٥ ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٢٦ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْتُمْ لَمُخْضَرُونَ﴾ ١٢٧ ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ ١٢٨ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ١٢٩ ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ ١٣٠ ﴿إِنَّا

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

﴿وإن إلياس لمن المرسلين﴾^(١) إذ قال لقومه ألا تتقون ﴿يريد: ألا تخافون﴾^(١) ﴿أتدعون بعلاً﴾ يريد صنماً ما كان لهم أن يعبدوه، يقال له: البعل السيد.

تفسير الحسن: كان اسم صنمهم: بَعْلًا ﴿وتذرون أحسن الخالقين﴾ .
﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ من قرأها بالرفع؛ فهو كلام مستقبل، ومن قرأها بالنصب؛ فالمعنى وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين^(٢).

﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ يريد أنهم لمبعوثون ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يريد: الذين صدقوا وأخلصوا لله بالتوحيد ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يريد: الثناء الحسن^(١) ﴿سلام على إل ياسين﴾ [يريد: إلياس ومن آمن معه]^(١)، من قرأها موصولة يقول هو اسمه: آل ياسين، وإلياس، ومقرأ الحسن: الياسين قال: يعنيه ومن آمن من أمته^(٣).

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) قرأ بالرفع: ابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، ونافع، وابن عامر. وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالنصب. ينظر: السبعة (٥٤٩)، البحر (٣٧٣/٧)، النشر (٣٦٠/٢)، التيسير (١٨٧).

وينظر في توجيه هاتين القراءتين نحوياً: إعراب القرآن (٧٦٥/٢) البحر (٣٧٣/٧)، البيان (٣٠٧/٢).

(٣) وممن قرأها موصولة أيضاً: أبو رجاء وابن محيصن. وقرأ نافع وابن عامر: (آل ياسين) وقرأ باقي السبعة (إل ياسين). وفيها قراءات أخرى غير ذلك. ينظر: البحر (٣٧٣/٧)، السبعة (٥٤٩)، جامع القرطبي (١١٨/١٥)، المحتسب (٢٢٥/٢)، مختصر شواذ القراءات (١٢٨) وينظر في توجيه هذه القراءات ومعانيها الدر المصون.

﴿وَإِنْ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ بَخَّسَتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٣﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّا لَنُتِمُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْبَيْتِ أَفَلًا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾
 ﴿وَإِنْ لَوْطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ يريد بأهله: بناته
 أجمعين^(١) ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ يعني: الباقيين في عذاب الله [يريد: امرأته،
 ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ يريد: الفائين، يريد: بقيت حتى أهلكتها فيمن أهلكت ولم أنجها
 ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ يريد: دمرت على من بقي، ودمرت عليها معهم^(١)
 ﴿وَإِنكُمْ﴾ [يا معشر المشركين]^(١) ﴿لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ [على منازلهم]^(١)
 ﴿مُصْبِحِينَ﴾ أي: نهارًا [يريد: في النهار إلى الشام في ذهابكم إلى الشام،
 وإقبالكم بالتجارة، وترون ما صنعت بهم]^(١) ﴿وَبِاللَّيْلِ﴾ [يريد: تمرن بهم
 أيضًا]^(١) ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ يقوله للمشركين، يحذرهم أن ينزل بهم ما نزل بهم.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ
 الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَمَعَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ
 فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ
 يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾
 ﴿وَإِنْ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ﴾ أي: فرَّ من قومه ﴿إِلَى الْفُلْكِ
 الْمَشْحُونِ﴾ يعني: الموقر.

قال يحيى: بلغنا - والله أعلم - أن يونس دعا قومه إلى الله، فلما طال
 ذلك عليه وأبوا أوحى الله إليه أن العذاب يأتيهم يوم كذا وكذا، فلما دنا
 الوقت تنحى عنهم، فلما كان قبل الوقت بيوم جاء فجعل يطوف بالمدينة وهو
 يبكي ويقول: غدا يأتيكم العذاب! فسمعه رجلٌ منهم، فانطلق إلى الملك

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

فأخبره أنه سمع يونس يبكي. ويقول: يأتاكم العذاب غدًا، فلما سمع ذلك الملك دعا قومه، فأخبرهم بذلك، وقال: إن كان هذا حقًا فسيأتيكم العذاب غدًا، فاجتمعوا حتى ننظر في أمرنا، فاجتمعوا فخرجوا من المدينة من الغد، فنظروا فإذا بظلمة وريح شديدة قد أقبلت نحوهم، فعلموا أنه الحق، ففرقوا بين الصبيان وأمهاتهم وبين البهائم وبين أمهاتها، ولبسوا الشعر وجعلوا الرماد والتراب على رؤوسهم تواضعًا لله، وتضرعوا إليه وبكوا وآمنوا، فصرف الله عنهم العذاب، واشترط بعضهم على بعض ألا يكذب أحدهم كذبة إلا قطعوا لسانه، فجاء يونس من الغد فنظر فإذا المدينة على حالها، وإذا الناس داخلون وخارجون؛ فقال: أمرني ربي أن أخبر قومي أن العذاب يأتيهم غدًا فلم يأتيهم، فكيف ألقاهم؟! فانطلق حتى أتى ساحل البحر؛ فإذا بسفينة في البحر؛ فأشار إليهم فأتوه فحملوه ولا يعرفونه، فانطلق إلى ناحية من السفينة فتقاع ورقد، فما مضوا إلا قليلًا حتى جاءتهم ريح كادت السفينة تغرق، فاجتمع أهل السفينة ودعوا الله ثم قالوا: أيقظوا الرجل يدعو معنا! ففعلوا فدفع الله عنهم تلك الريح، ثم انطلق إلى مكانه فرقد، فجاءت ريح كادت السفينة تغرق، فأيقظوه ودعوا الله فارتفعت الريح، فتفكر العبد الصالح فقال: هذا من خطيئتي! أو كما قال، فقال لأهل السفينة (شُدوني)^(١) وثاقًا وألقوني في البحر، فقالوا: ما كنا لنفعل وحالك حالك، ولكننا نقترع فمن أصابته القرعة ألقيناه في البحر، فاقترعوا فأصابته القرعة، فقال: قد أخبرتكم. فقالوا: ما كنا لنفعل ولكن اقترعوا، فاقترعوا الثانية فأصابته القرعة، ثم اقترعوا الثالثة؛ فأصابته القرعة وهو قول الله: ﴿فساهم فكان من المدحضين﴾ [يريد: المسهومين]^(٢) أي: وقع السهم عليه.

(١) هكذا في الأصل و«ر» والمراد: شدوا عليّ، والله أعلم.

(٢) سقط من الأصل. والمثبت من «ر».

(ل ٢٩٠) قال محمدٌ: المعنى: فقورع فكان من المقروعين وهو الذي أراد يحيى، وأصل الكلمة من قولهم: أدحض الله حُجَّتَه فدحضت؛ أي: أزالها فزال^(١).

قال يحيى: فانطلق إلى صدر السفينة ليلقي بنفسه في البحر؛ فإذا هو بحوت فاتح فاه، فانطلق إلى ذنب السفينة؛ فإذا هو بالحوت فاتحاً فاه ثم جاء إلى جانب السفينة؛ فإذا هو بالحوت فاتحاً فاه، ثم جاء إلى الجانب الآخر؛ فإذا هو بالحوت فاتحاً فاه، فلما رأى ذلك ألقى نفسه، فالتقمه الحوت، وهو قول الله: ﴿فالتقمه الحوت وهو مليم﴾ [يريد: أن الله كان له لائماً حيث أبق]^(٢).

قال محمدٌ: يقال: قد ألام الرجلُ إلامَةً فهو مليمٌ، إذا أتى ما يجب أن يُلام عليه^(٣).

قال يحيى: فأوحى الله إلى الحوت ألا يأكل عليه ولا يشرب، وقال: إني لم أجعله لك رزقاً، ولكني جعلت بطنك له سِجِّناً. فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة ﴿فنادى في الظلمات﴾ كما قال الله: ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾^(٤) والظلمات: ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، قال الله: ﴿فاستجبنا له...﴾^(٥) الآية، وقال: ﴿فلولا أنه كان من المسبحين...﴾ الآية [يريد: في بطن الحوت]^(٦) قال الحسن: أما والله

(١) لسان العرب (دحض).

(٢) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) لسان العرب (لوم).

(٤) الأنبياء: ٨٧.

(٥) الأنبياء: ٨٨.

ما هو بالتسبيح قبل ذلك، ولكنه لما التقمه الحوت جعل يقول: سبحان الله، سبحان الله... ويدعو الله.

قال يحيى^(١): فأوحى الله إلى الحوت أن يلقيه إلى البر، وهو قوله: ﴿فنبذناه بالعراء وهو سقيم﴾ [يريد على ساحل قرية من قرى الموصل يقال لها: بَلْد^(٢) بالعراء] عريان قد بلي لحمه، وكل شيء منه، مثل الصبي المولود ﴿وهو سقيم﴾ يريد الصبي المولود^(٣).

قال محمد: العراء ممدود وهو المكان الخالي، وإنما قيل له: عراء؛ لأنه لا شجر فيه ولا شيء يغطيه، وكأنه من: عَرِيَ الشيء، والعري - مقصور - الناحية^(٤).

قال يحيى: فأصابته حرارة الشمس؛ فأنبت الله عليه شجرة من يقطين - وهي القرع [تظله بورقها، ويشرب من لبنها]^(٥) فأظلمته، فنام فاستيقظ [وقام من نومه]^(٦) وقد يبست فحزن عليها، فأوحى الله إليه: أحزنت على هذه الشجرة وأردت أن أهلك مائة ألف من خلقي [كما قال الله - عز وجل - : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ يريد أكثر من مائة ألف، الله أعلم الأكثرين منهم]^(٧) ﴿أو يزيدون﴾ أي: بل يزيدون.

قال محمد: قيل: المعنى: ويزيدون، الألف صلة زائدة^(٨).

(١) وفي «ر»: قال الحسن.

(٢) وربما قيل لها: بلط بالطاء، وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل، بينهما سبعة فراسخ. معجم البلدان (١/ ٥٧٠).

(٣) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) ويُجمع العراء على: أغراء. لسان العرب (عري).

(٥) ينظر: إعراب القرآن (٢/ ٧٧٣)، معاني القرآن للفراء (٢/ ٣٩٣)، البحر (٧/ ٣٧٦)، البيان (٢/ ٣٠٨).

قال يحيى: وبلغنا أنهم كانوا عشرين ومائة ألف، فعلم عند ذلك أنه قد ابتلي فانطلق، فإذا هو بذود^(١) من غنم فقال للراعي: اسقني لبنًا. فقال: ليس ها هنا شاة لها لبن، فأخذ شاة منها، فمسح بيده على ضرعها فدرت فشرب من لبنها؛ فقال له الراعي: من أنت يا عبد الله؟! قال: أنا يونس؛ فانطلق الراعي إلى قومه فبشرهم به فأخذوه وجاءوا معه إلى موضع الغنم، فلم يجدوا يونس؛ فقالوا: إنا شرطنا ألا يكذب أحدٌ إلا قطعنا لسانه؛ فتكلمت الشاة بإذن الله؛ فقالت: قد شرب من لبني. وقالت شجرة - كان استظل تحتها - : قد استظل بظلي. فطلبوه فأصابوه فرجع إليهم، فكان فيهم حتى قبضه الله، وكانوا بمدينة يقال لها: نينوى، من أرض الموصل، وهي على دجلة.

قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ قال الحسن: فأعاد الله له الرسالة، فأمنوا [يريد: صدقوا]^(٢) كلهم قال الله: ﴿فَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ يعني: إلى آجالهم، ولم يهلكهم.

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ (١٤٩) أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَلِئِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾.

﴿فاستفتهم﴾ [يا محمد، أهل مكة]^(٢) - يعني: المشركين - يقول: فاسألهم ﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾ وذلك لقولهم أن الملائكة بنات الله [يقول الله سبحانه: أنى يكون له ولد، وقال]^(٢) ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا﴾

(١) هو القطيع من الإبل أو الغنم بين الثلاث إلى العشر؛ وهو مؤنث. لسان العرب، المعجم الوسيط (ذود).

(٢) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

[يريد تسألهم يا محمد: أخلقنا الملائكة إناثاً؟^(١)! ﴿وهم شاهدون﴾ لخلقهم كما قال في الزخرف: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون﴾^(٢)]^(١).

﴿ألا إنهم من إفكهم﴾ كذبهم ﴿ليقولون ولد الله﴾ أي: ولد البنات؛ يعنون: الملائكة ﴿أصطفى﴾ أختار ﴿البنات على البنين﴾ أي: لم يفعل. قال محمد: تفسير يحيى يدل على أن قراءته (أصطفى) مهموز، وفي هذا الحرف اختلاف بين القراء^(٣).

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (١٥٤) ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (١٥٥) ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ (١٥٦) ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٥٧) ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِجَالًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ (١٥٨) ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١٥٩) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٦٠) ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (١٦١) ﴿مَا أَنتَ عَلَيْهِ بِقَلِيلٍ﴾ (١٦٢) ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾ (١٦٣) ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (١٦٤) ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ﴾ (١٦٥) ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ الْمُسْتَبْرَحُونَ﴾ (١٦٦) ﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ﴾ (١٦٧) ﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٦٨) ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (١٦٩) ﴿فَكْفَرُوا بِهِ﴾ (١٧٠) ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (١٧١).

[﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ يريد: هكذا تحكمون؟! تجعلون لأنفسكم البنين، وتجعلون لله البنات ﴿أفلا تذكرون﴾ يريد: تتعظون]^(١) ﴿أم لكم سلطان مبين﴾ حجة بينة.

(١) سقطت من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) الزخرف: ١٩.

(٣) قرأ حمزة ونافع بوصل الهمزة في الوصل، وقرأ حمزة أيضًا والكسائي بالإمالة وقفًا، ورويت القراءة بالتقليل وقفًا عن الأزرق وورش، ورويت القراءة (أصطفى) بالمد غير منسوبة. وقرأ باقي السبعة (أصطفى). ينظر: البحر (٣٧٧/٧)، السبعة (٥٤٩) إتحاف الفضلاء (٣٧١)، الإملاء (١١٢/٢).

﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذي فيه حجتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن الملائكة بنات الله؛ أي: ليس لكم بذلك حجة ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ تفسير بعضهم: يقول: قال مشركو العرب: إنه صاهر إلى الجن، والجن صنف من الملائكة، فكانت له منهم بنات ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ [يريد: لمعذبهم على هذا]^(١)؛ أي: مدخلون في النار ﴿سبحان الله﴾ ينزه نفسه ﴿عما يصفون﴾ [عما يقولون من الكذب]^(١) ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ وهذا من مقادير الكلام ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين، سبحان الله عما يصفون ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ يريد: الموحدين، يريد: أصحاب النبي ﷺ ومن آمن مثلهم^(٢).

﴿فإنكم وما تعبدون...﴾ (ل ٢٩١) الآية، يقول: ﴿فإنكم﴾ يعني: المشركين ﴿وما تعبدون﴾ يعني: ما عبدوا [يريد: فإنكم وألهتكم التي تعبدون من دون الله]^(١) ﴿ما أنتم عليه﴾ على ما تعبدون ﴿بفاتنين﴾ يريد: ما تقدرون لا أنتم، ولا من تعبدون أن تضلوا أحداً من عبادي إلا من كان في سابق علمي وقضائي وقدرتي^(١) ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾ [يريد: أنه قد كان في سابق علمي أنه يصلي الجحيم]^(٢).

قال محمد: القراءة في (صال الجحيم) بكسر اللام على معنى: صالي - بالياء - والياء محذوفة في المصحف^(٣).

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) في الأصل: إلا من قدر له أن يصلي الجحيم. والمثبت من «ر».

(٣) قرأ العامة (صالي). وقرأ الحسن وابن أبي عبة (صال)، وروي عنهما أيضاً (صالوا) وقرأ يعقوب (صالي) وفقاً. ينظر: الإتحاف (٣٧١)، البحر (٣٧٩/٧)، الإملاء (١١٢/٢) النشر (١٣٨/٢). وينظر في التوجيه النحوي واللفوي: البحر (٣٧٩/٧).

﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [يريد: منذ خلقوا إلى النفخة الأولى، يسبحون الله ويهللونه، ويحمدونه، ويسجدون له، لا يعرفون من يداني عبادتهم وقالت الملائكة: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾^(١) أي: إلا له مكان يعبد الله فيه. هذا قول الملائكة؛ أي: ينزهون الله، حيث جعلوا بينه وبين الجنة نسبا] ﴿وإننا لنحن الصافون﴾ في التسييح والتهيل والتكبير ﴿وإننا لنحن المسبحون﴾ يريد: أصحاب التسييح^(٢) ﴿وإن كانوا ليقولون﴾ يعني [وإن كان أهل مكة ليقولون قبل أن يبعث محمد ﷺ]^(٣) ﴿لو أن عندنا ذكرا من الأولين﴾ [يريد: قرآنا من لدن إبراهيم وإسماعيل]^(٤) أي: كتابا مثل كتاب موسى وعيسى ﴿لكننا عباد الله المخلصين﴾ المؤمنين [يريد: التوحيد]^(٥) قال الله: ﴿فكفروا به﴾ بالقرآن؛ [يريد: بما جاء محمد ﷺ]^(٦) ﴿فسوف يعلمون﴾ [تهديدا]^(٧).

قال محمد: ذكر قطرب أن بعض القراء قرأ (مخلصين) كل ما في القرآن بكسر اللام. قال: قرأ بعضهم كل ما في القرآن ﴿مخلصين﴾ ﴿إنه كان مخلصا﴾ كل ذلك بالفتح^(٨) إلا ﴿مخلصين له الدين﴾^(٩) حيث [وقع]^(١٠) فإنه مكسور.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى جِئَ ﴿١٧٤﴾ وَأَنْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُصِيرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى جِئَ ﴿١٧٨﴾ وَأَنْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُصِيرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر بكسر اللام، وقرأ الباقون بفتحها. ينظر: التيسير (١٢٨)، النشر (٢/٢٩٥)، جامع القرطبي (٧٦/١٥)، (١١٨).

(٤) الأعراف: ٢٩، يونس: ٢٢، العنكبوت: ٦٥، لقمان: ٣٢، غافر: ١٤، ٦٥، البينة: ٥.

سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٧٩﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾

﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون﴾ في الدنيا، وبالْحِجَّةِ فِي الْآخِرَةِ. تفسير الحسن: لَمْ يُقْتَلْ مِنَ الرِّسْلِ مِنْ أَصْحَابِ الشَّرَائِعِ أَحَدٌ قَطْ.

[﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾ يريد: حزبه، مثلما قال في (قد سمع الله): ﴿أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾^(١)].^(٢)

﴿فتولّ عنهم حتى حين﴾ نسختها آية القتال^(٣) [يريد: القتل ببدن، وهو منسوخ بآية السيف]^(٢) ﴿وأبصرهم فسوف ييصبون﴾ أي: فسوف يرون العذاب [أيضاً يقولوا: أنتظر بهم]^(٢) ﴿فإذا نزل بساحتهم﴾ [أي: نزل بدارهم]^(٢) ﴿فساء صباح المنذرين﴾ [يريد: قريظة والنضير]^(٢) تفسير الحسن: يعني: النفخة الأولى؛ بها يهلك الله كفار آخر هذه الأمة ﴿وتولّ عنهم﴾ [يا محمد]^(٢) ﴿حتى حين﴾ إلى آجالهم؛ [يريد: يوم بدر]^(٢)، وهذا منسوخ نسخته القتال^(٤) ﴿وأبصر﴾ انتظر ﴿فسوف ييصبون﴾ [وعيداً من الله وتهديداً، أي: فسوف]^(٢) يرون العذاب :

﴿سبحان ربك﴾ ينزه نفسه ﴿رب العزة عما يصفون﴾ يكذبون يا محمد، إنه سيعزك وأصحابك [يريد: من اتخاذ البنات والنساء]^(٢) ﴿وسلام على

(١) المجادلة: ٢٢ .

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) ينظر الناسخ والمنسوخ (٧٦).

(٤) أي: آية القتال، التوبة: ٢٩ .

المرسلين ﴿الذين يبلغون رسالتي وقاموا بديني وحجتي﴾^(١) ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ [يريد: والحمد لله، وأنا رب العالمين، يريد الأولين والآخرين]^(١).

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن أبي هارون العبدى قال: «سألت أبا سعيد الخدرى: بم كان رسول الله ﷺ يختم صلاته؟ فقال: بهذه الآية: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾»^(٢).



(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣٠٣/١) وفي مسنده - كما في المطالب العالية (١/٢٣٠) رقم ٢/٥٥١ وعبد بن حميد (٢٩٦ - ٢٩٧ رقم ٩٥٤، ٩٥٦) والهارث بن أبي أسامة - كما في زوائده (٦٦ - ٦٧ رقم ١٨٥) - وأبو يعلى في مسنده (٢/٣٦٣ رقم ١١١٨) من طريق أبي هارون العبدى به.

قال ابن كثير في تفسيره (٢٥/٤): إسناده ضعيف.

وقال ابن حجر في المطالب العالية (١/٢٣٠): تفرد به أبو هارون العبدى، وهو ضعيف.

وقال البوصيرى في إتحاف الخيرة (٢/٢٢٥): قلت: مدار حديث أبي سعيد الخدرى على أبي هارون، وهو ضعيف، واسمه عمارة بن جوين.

تفسير سورة ص وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ (١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَرِهَ أَهْلُكُمَا مِنْ قَبْلِهِمْ
 مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَوْلَا حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَيَجْعَلُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَاذِبُونَ هَذَا سِحْرٌ
 كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَنُوا
 وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ الْهَيْكَلِ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا
 اخْتِلَافٌ ﴿٧﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَدُورُوا عَذَابٍ ﴿٨﴾
 قوله: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ البيان، أقسم بالقرآن [ذِي الذِّكْرِ] ذِي
 الشرف، مثل قوله: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذِكْرُكُمْ﴾ (١) ويقال: فيه ذكر ما
 قبله من الكتب [٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ يعني: في حمية وفراق
 للنبي؛ هذا تفسير السُّدي.

قال محمد: ذكر قطرب أن الحسن كان يقرأ (صَادٍ) بالخفض (٣) من المصاداة
 وهي المعارضة؛ المعنى: صَادٍ القرآن بعملك؛ أي: عارضه به، قال: وتقول
 العرب: صَادِيَتِكَ بمعنى عارضتك، وتصَدَيْتُ لَكَ؛ أي: تعرَّضْتُ (٤).

(١) الأنبياء: ١٠.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٣) وقرأها غير الحسن بالخفض أبى، وابن أبي إسحاق وابن أبي علبه، وأبو السمال وغيرهم.
 وروى عن الحسن أنه قرأها: (صَاذٌ) بالرفع. ينظر: البحر (٧/٣٨٣)، جامع القرطبي (١٥/

(١٤٢)، المحتسب (٢/٢٣٠).

(٤) لسان العرب (صدي).

[﴿شفاق﴾ يريد عداوة ومباعدة]^(١).

﴿كم أهلكنا من قبلهم﴾ من قبل قومك يا محمد ﴿فنادوا﴾ بالتوبة ﴿ولات حين مناص﴾ أي: ليس حين فرار، ولا حين تقبل التوبة فيه، [﴿ولات حين مناص﴾ يريد لا حين مهرب، والنوص: التأخر في كلام العرب، والبوص: التقدم]^(٢) قال امرؤ القيس:

أَمِنْ ذِكْرِ لَيْلَى إِذْ نَأَتْكَ تَنُوصُ وَتَقْصُرُ عَنْهَا خَطْوَةٌ وَتَبُوصُ^(٣)
قال ابن عباس: ليس حين نزو ولا فرار]^(١).

﴿وعجبوا﴾ رجع إلى قوله: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ أخبر كيف أهلكهم، ثم قال: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ يعني: محمداً، ينذر من النار ومن عذاب الله في الدنيا ﴿وقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾ يعنون: محمداً ﴿أجعل الآلهة﴾ على الاستفهام منهم ﴿إلهًا واحدًا﴾ أي: قد فعل حين دعاهم إلى عبادة الله وحده ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ عجب [عجاب وعجيب واحد، مثل طوال وطويل، وعراض وعريض، وكبار وكبير]^(١).

﴿وانطلق الملائكة منهم...﴾ الآية وذلك أن رهطاً من أشراف قريش مشوا إلى أبي طالب؛ فقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا وسيدنا، وقد رأيت ما فعلت هذه السفهة - يعنون: المؤمنين - وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك! فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فقال: هؤلاء قومك يسألونك السواء^(٤)؛ فلا تمل

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) ينظر لسان العرب (نوص، بوص).

(٣) تفسير الطبري (١٢٠/٢٣) ولسان العرب (نوص).

(٤) السَّوَاءُ والسَّوَى: العَدْلُ. لسان العرب (سوى).

كل الميل على قومك، فقال رسول الله: ماذا تسألونني؟ فقالوا له: ارفضنا من ذكرك وارفض آلهتنا، وندعك وإلهك، فقال رسول الله: أُمُغِطِي أَنْتُمْ كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم؟ فقال أبو جهل: لله أبوك نعم، وعشرًا معها. فقال رسول الله: قولوا: لا إله إلا الله. فنفروا منها وقاموا وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾. وانطلقوا وهم يقولون: [من علم أن نبيًا يخرج في زماننا هذا] ^(١) ﴿أَنْ أَمْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ تفسير الحسن يقولوا: ما كان عندنا [من هذا من علم أن] ^(٢) يخرج (ل ٢٩٢) في زماننا هذا ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ أي: كذب اختلقه محمد ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ﴾ يعنون: القرآن على الاستفهام ﴿مَنْ بَيْنَنَا﴾ أي: لم ينزل عليه، قال الله: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ من القرآن ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابٌ﴾ أي: لم يأتهم عذابي بعد، وقد أخرج عذاب كفار آخر هذه الأمة إلى النفخة الأولى، وقد أهلك أوائلهم بالسيف يوم بدر.

﴿أَمْرٌ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ ٩ ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ ١٠ ﴿جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ ١١ ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْدَادِ﴾ ١٢ ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْلَى أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ ١٣ ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ ١٤ ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ ١٥ ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ ١٦

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) طمس في الأصل.

﴿أَمْ أَعندهم خزائن رحمة ربك﴾ قال السُّدي: يعني: مفاتيح النبوة، فيعطوا النبوة من شاءوا، ويمنعوا من شاءوا؛ أي: ليس ذلك عندهم.

﴿أَمْ لَهُمْ ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ على الاستفهام؛ أي: ليس لهم من ذلك شيء ﴿فليرتقوا﴾ فليصعدوا ﴿في الأسباب﴾ قال السُّدي: يعني: في الأبواب؛ أبواب السموات إن كانوا يقدرّون على ذلك؛ أي: لا يقدرّون عليه.

قال محمد: المعنى إذا ادّعوا شيئاً من هذه الأشياء التي لا يملكها إلا الله فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء.

﴿جندٌ ما هنالك﴾ أي: جندٌ هنالك، و«ما» صلة رائدة^(١) ﴿مهزومٌ من الأحزاب﴾ يُخبر بأنَّ محمداً ﷺ سيهزمهم يوم بدر ﴿كذّبت قبلهم قوم نوح وعادٌ وفرعون ذو الأوتاد﴾ تفسير قتادة: كان إذا غضب على أحدٍ أوتد له أربعة أوتاد على يديه ورجليه ﴿وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة﴾ يعني: قوم شعيب، والأيكة: الغيضة ﴿أولئك الأحزاب﴾ يعني به كفار من ذكر تحزّبوا على أنبيائهم ﴿إن كلَّ﴾ يعني: من أهلك ممن (مضى)^(٢) من الأمم السالفة. ﴿إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾ يعني: عقوبته إياهم بالعذاب ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ يعني: كفار آخر هذه الأمة ﴿إلا صيحة واحدة﴾ يعني: النفخة الأولى بها يكون هلاكهم ﴿ما لها من فواق﴾ قال الكلبي: يعني ما لها من نظرة؛ أي: من تأخير.

قال محمد: تُقرأ (فُواق) بضم الفاء وفتحها^(٣) وهو ما بين حلبيتي الناقة،

(١) ينظر: إعراب القرآن (٧٨٦/٢)، البحر (٣٨٦/٧)، البيان (٣١٣/٢).

(٢) في «رو»: قصّ.

(٣) قرأ بضم الفاء حمزة والكسائي، وقرأ باقي السبعة بفتحها. ينظر البحر (٣٨٩/٧)، التيسير (١٨٧)، السبعة (٥٥٢)، النشر (٣٦١/٢).

وذلك أن تُحَلَّب وتترك ساعة؛ حتى ينزل شيء من اللبن، ثم تحلب فما بين الحلبتين فُواق؛ فاستُعير الفُواق في موضع الانتظار^(١).

﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب﴾ تفسير الكلبي: قالوا ذلك حين ذكر الله في كتابه: (فمن أوتي كتابه بيمينه، ومن أوتي كتابه بشماله)^(٢) والِقِطُّ: الصحيفة المكتوبة^(٣)؛ أي: عجل لنا كتابنا الذي يقول محمدٌ حتى نعلم أبايماننا نأخذ كتبنا أم بشمائلنا - إنكارًا لذلك واستهزاء.

قال محمدٌ: وجمع القط: قطوط.

﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (١٧) إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٨) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (١٩) وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ (٢٠)

﴿أصبر على ما يقولون﴾ يأمر نبيه بذلك ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد﴾ يعني: ذا القوة في أمر الله؛ في تفسير قتادة ﴿إنه أَوَّابٌ﴾ أي: رجاء منيب ﴿يسبحن بالعشي والإشراق﴾ قال الحسن: كان الله قد سخر مع داود جميع جبال الدنيا تسبح معه وكان يفقه تسبيحها ﴿والطير محشورة﴾ أي: تحشر بالغداء والعشي تسبح معه.

قال محمدٌ: الإشراق: طلوع الشمس وإضاءتها، يقال: شرقت الشمس إذا

(١) وهو بضم الفاء وفتحها، يقال: فُواق، وفُواق. لسان العرب (فوق).

(٢) هما آيتان:

﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه﴾ [الحاقة: ١٩].

وقوله: ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه﴾ [الحاقة: ٢٥].

(٣) والجمع: قِطَاط وقِطْطَة. لسان العرب (قطط).

طلعت، وأشرقت إذا أضاءت؛ هذا الاختيار عند أهل اللغة^(١).

﴿كُلُّ لَهُ أَوَابٍ﴾ أي: مطيع.

قال محمد: وقيل المعنى كل يُرْجِعُ التسييح مع داود؛ أي: يجيبه كلما سَبَحَ سَبَّحَتْ؛ يعني: الجبال والطيور ﴿وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة﴾ يعني النبوة. ﴿وفصل الخطاب﴾ قال الحسن: يعني: العدل في القضاء.

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجْمَةً وَلِيَ نَجْمَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجْمِكَ إِلَى نَجْمِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لِيَبْغِيَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لِمَ عِنْدَنَا لَازِلَةً وَحُسْنَ مِثَافٍ (٢٥) يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٦)﴾

﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ خبر الخصم أي: أنك لم تعلمه؛ حتى أعلمتك ﴿إذ تسوَّروا المحراب...﴾ المسجد إلى قوله: ﴿وأنا ب﴾ تفسير الحسن: أن داود جمع عبَّاد بني إسرائيل؛ فقال: أيكم كان يمتنع من الشيطان يومًا لو وكله الله إلى نفسه؟ فقالوا: لا أحد إلا أنبياء الله؛ فكأنه عرض في الهم بشيء فينما هو يصلي إذا بطائر حسن قد وقع على شُرْفَةٍ من شرف^(٢) المحراب.

(١) لسان العرب (شرق) وقد سبق شرح هذا المعنى.

(٢) هو الموضع العالي يُشرف على ما حوله. المعجم الوسيط (شرف).

قال يحيى: سمعت بعضهم يقول: طائر جَوْجُوهُ^(١) من ذهب، وجناحاه ديباج، ورأسه ياقوته حمراء فأعجبه - وكان له بني يحبه - فلما أعجبه حُسْنُهُ وقع في نفسه أن يأخذه ويعطيه ابنه. قال الحسن: فلما انصرف إليه (لـ ٢٩٣)، فجعل يطير من شُرْفَةٍ إلى شُرْفَةٍ ولا يؤيسه؛ حتى ظهر فوق المحراب، وخلف المحراب حائط تغتسل فيه النساء الحَيض إذا طَهَرْنَ لا يشرف على ذلك الحائض أحدٌ إلا من صعد فوق المحراب. لا يضعده أحدٌ من الناس قال: فصعد داود خلف ذلك الطائر ففاجأته امرأة جاره لم يعرفها تغتسل، فرآها فجأة ثم غَضَّ بصره عنها وأعجبته؛ فأتى بابها، فسأل عنها وعن زوجها قالوا: زوجها في أجناد داود فلم يلبث إلا يسيراً حتى بعثه عامله بريداً إلى داود فأتى داود بكتبه ثم انطلق إلى أهله فأخبر أن نبي الله داود أتى بابه فسأل عنه وعن أهله، فلم يصل الرجل إلى أهله حتى رجع إلى داود مخافة أن يكون حدث من الله في أهله أمرٌ فأتى داود وقد فرغ من كتبه، وكتب إلى عامل ذلك الجند أن يجعله على مقدمة القوم؛ فأراد أن يقتل الرجل شهيداً ويتزوج امرأته حلالاً، إلا أن النية كانت مذخولة، فجعله على مقدمة القوم فقتل ذلك الرجل قال: فبينما داود في محرابه والحرس حوله إذ تسور عليه المحراب ملكان في صورة آدميين، ففزع منهما فقالا: ﴿لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ أي: لا تجز ﴿واهدنا﴾ أرشدنا ﴿إلى سواء الصراط﴾ أي: إلى قصد الطريق؛ فقال: قُضِيَ قَصْتُكُمَا، فقال أحدهما: ﴿إن هذا أخي﴾ يعني: صاحبي ﴿له تسع وتسعون نعجةً ولي نعجةً واحدة فقال أكفلنيتها﴾ أي: ضمها إليَّ ﴿وعزني﴾ قهرني ﴿في الخطاب﴾ في الخصومة

(١) هو مجتمع رؤس عظام الصدر، والجمع: جآجى. ينظر المعجم الوسيط (جأجأ).

﴿قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾^(١).

قال محمد: المعنى: مضمومة إلى نعاجه؛ فاختصر مضمومة^(٢) وإنما سُميت: نعجة؛ لأنها رخوة، النعج في اللغة اللين، والنعج أيضًا الفتون في العين^(٣).

﴿وظن داود﴾ أي: علم.

قال محمد: معنى ﴿ظن﴾ أيقن، إلا أنه ليس بيقين عيان؛ فأما العيان فلا يقال فيه إلا: علم^(٤).

﴿أنما فتناه﴾ ابتليناه ﴿فاستغفر ربه وخرّ راكعًا﴾ أي: ساجدًا أربعين يومًا لا يرفع رأسه إلا للصلاة مكتوبة يقيمها أو لحاجة لا بد له منها أو لطعام يتبلّغ به،

(١) هذه القصص من الإسرائيليات المنكرة، قال القاضي عياض في «الشفاء بالتعريف بحقوق المصطفى»: لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله المفسرون، ولم ينص الله - تعالى - على شيء من ذلك في كتابه، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص عليه في قصة داود ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت. اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١٢/٢): وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف هنا قصصًا وأخبارًا أكثرها إسرائيلية، ومنها ما هو مكذوب لا محالة تركنا إيرادها في كتابنا قصداً؛ اكتفاءً واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. اهـ.

وقال نحوه في تفسيره (٣١/٤) وزاد: ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه. اهـ وقال الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان (٢٤/٧): واعلم أن ما يذكره كثير من المفسرين في تفسير هذه الآية الكريمة مما لا يليق بمنصب داود - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - كله راجع إلى الإسرائيليات؛ فلا ثقة به ولا معول عليه، وما جاء منه مرفوعاً إلى النبي ﷺ لا يصح منه شيء. اهـ.

(٢) ينظر: البحر (٣٩٣/٧)، مجمع البيان (٤٧٠/٤)، الدر المصون (٥٣١/٥ - ٥٣٢).

(٣) لسان العرب (نعج).

(٤) لسان العرب (ظن، علم).

فأتاه ملكٌ من عند الله فقال: يا داود، ارفع رأسك؛ فقد غفر الله لك. فعلم أن الله قد غفر له، ثم أراد أن يعلم كيف يغفر له؛ فقال: أي رب، كيف تغفر لي وقد قتلت - يعني: بالنية؟! فقال: أستوبه نفسه فيهبها لي فأغفرها لك. فقال: أي رب، قد علمت أنك قد غفرت لي. قال الله: ﴿فغفرنا له ذلك وإنَّ له عندنا لزلفى﴾ يعني: لقربة في المنزلة ﴿وحسن مآب﴾ مرجع ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض...﴾ إلى قوله: ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ يعني: فيستزلك الهوى عن طاعة الله في الحكم، وذلك من غير كُفر ﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحساب﴾ أي: تركوه ولم يؤمنوا به .

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ءَايَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾
﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾ أي: ما خلقناهما إلا للبعث والحساب، والجنة والنار، وكان المشركون يقولون: إن الله خلق هذه الأشياء لغير بعث. قال: ﴿ذلك ظن الذين كفروا﴾ أنهم لا يبعثون وأن الله خالق هذه الأشياء باطلاً ﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ كالمشركين في الآخرة أي: لا نفعل.
﴿كتاب﴾ أي: هذا كتاب، يعني: القرآن ﴿أنزلناه إليك﴾ .
﴿أولو الألباب﴾ أي: ذوو العقول وهم المؤمنون .

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِثَتُ الْإِجَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوَهَا عَلَيَّ

فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

﴿الصابغات الجياد﴾ يعني: الخيل السراع الواحد منها: جواد^(١)، والصابغ في تفسير مجاهد: الفرس إذا رفع إحدَى رجليه؛ حتى تكون على طرف الحافر^(٢). عُرِضَتْ على سليمان فجعلت تجري بين يديه فلا يستبين منها قليلًا ولا كثيرًا من سرعتها وجعل يقول: ردّوها عليّ؛ ليستبين منها شيئًا ﴿حتى توارت﴾ غابت؛ يعني: الشمس ﴿بالحجاب﴾ ففاته صلاة العصر قال الحسن: فقال سليمان في آخر ذلك (ل) (٢٩٤) ﴿ردّوها عليّ فطفق مسحًا بالسوق والأعناق﴾ فضرب أعناقها وعراقيبها أنها شغلته عن الله.

قال محمد: معنى (فطفق) أي: أقبل^(٣)، والسوق جمع ساق^(٤)، والصابغ من الخيل: القائم الذي لا يثنى إحدى يديه أو إحدى رجليه حين يقف بها على سُنْبِكِهِ^(٥) وهو طرف الحافر.

﴿إني أحبيت حب الخير﴾ يعني: الخيل، وكذلك في قراءة ابن مسعود: (إني أحبيت حب الخيل)^(٦).

قال محمد: معنى أحبيت: أثرت.

(١) لسان العرب (جود) ويجمع جواد أيضًا على أجواد وأجاويد.

(٢) لسان العرب (صفن).

(٣) وجعل. لسان العرب (طفق).

(٤) ويجمع الساق أيضًا على: سيقان، وأسوق. لسان العرب (سوق).

(٥) هو طرف الحافر، ويجمع على: سنابك. لسان العرب (سنبك).

(٦) لم أجد هذه القراءة. وكل ما وجدته أن معنى (الخير) في الآية: الخيل عند الأكثرين. ينظر:

مجمع البيان (٤/٤٧٥)، البحر (٧/٣٩٦)، مجاز القرآن (٢/١٨٢)، القرطبي (١٥/

١٩٤)، كشف المشكلات (٢/١١٤٦).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يُبَغِّى لِحَدِيدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَصَحَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيْطَانِ كُلِّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ لَمْ عِنْدَنَا لُزُفٌ وَحُسْنُ مَقَابٍ ﴿٤٠﴾﴾

﴿ولقد فتنا سليمان﴾ أي: ابتلينا ﴿وألقينا على كرسيه جسدًا﴾ يعني: الشيطان الذي خلفه في ملكه؛ تلك الأربعين ليلة، قال بعضهم: كان اسمه صخرًا. قال سليمان عليه السلام - قال للشيطان الذي خلفه -: كيف تفتنون الناس؟ قال: أرني خاتمك أخبرك، فلما أعطاه إياه شده في البحر، فساح سليمان. قال الكلبي: كانت له امرأة من أكرم نسائه عليه وأحبهن إليه، فقالت: إن بين أبي وبين رجل خصومة فزينت حُجَّةً أبيها فلما جاءا يختصمان إليه جعل يحب أن تكون الحجة لختنه، فابتلاه الله بما كان من أمر الشيطان الذي خلفه وأذهب ملك سليمان، وذلك [أنه]^(١) كان إذا أراد أن يدخل الخلاء دفع الخاتم إلى امرأة من نسائه كان يثق بها فدفعه إليها يومًا ثم دخل الخلاء، فجاءها ذلك الشيطان في صورته فأخذ الخاتم منها، فلما خرج سليمان طلب الخاتم منها فقالت: قد أعطيتكه، وذهب الخيث وجلس على كرسي سليمان وألقي عليه شبه سليمان وبهجته وهيئته، فخرج سليمان فإذا هو بالشيطان على كرسيه، فذهب في الأرض وذهب ملكه.

قال يحيى: في تفسير الحسن: إن الشيطان قعد على كرسي سليمان - وهو سرير ملكه - لا يأكل ولا يشرب ولا يأمر ولا ينهى وأذهب الله ذلك من

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

أذهان الناس؛ فلا يرون إلا أن سليمان في مكانه يصلي بهم ويقضي بينهم.
 قال يحيى: وفي تفسير مجاهد: أن الشيطان مُنِعَ نساء سليمان أن يقربهن.
 قال الكلبي: فلما انقضت أيام الشيطان ونزلت الرحمة من الله لسليمان
 عمد الشيطان إلى الخاتم؛ فألقاه في البحر فأخذه حوث، وكان سليمان يؤاجر
 نفسه من أصحاب السفن ينقل السمك من السفن إلى البر على سمكتين كل
 يوم، فأخذ في أجره يوماً سمكتين فباع إحداهما برغيفين، وأما الأخرى فشقَّ
 بطنها وجعل يغسلها؛ فإذا هو بالخاتم فأخذه فعرفه الناس، واستبشروا به
 وأخبرهم أنه إنما فعله به الشيطان، فاستغفر سليمان ربه ﴿قال رب اغفر لي
 وهب لي ملكاً...﴾ الآية، ﴿فسخرنا له الريح﴾.

﴿والشياطين﴾ وسُخر له الشيطان الذي فعل به الفعل، فأخذه سليمان
 فجعله في نختٍ من رخام ثم أطبق عليه وشدَّ عليه بالنحاس ثم ألقاه في عرض
 البحر، فمكث سليمان في ملكه راضياً مطمئناً؛ حتى قبضه الله إليه^(١).

(١) هذا من الإسرائيليات المنكرة جداً؛ قال القاضي عياض في «الشفاء» (٨٣٦/٢): ولا يصح ما
 نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به، وتسلمه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه؛
 لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا، وقد عَصَمَ الأنبياء من مثله. اهـ.
 وقال القرطبي في تفسيره (٢٠١/١٥): وقد ضعف هذا القول من حيث إن الشيطان لا يتصور
 بصورة الأنبياء، ثم من المحال أن يلتبس على أهل مملكة سليمان الشيطان بسليمان حتى
 يظنوا أنهم مع نبيهم في حق، وهم مع الشيطان في باطل. اهـ.
 وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٤/٢): ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من
 المفسرين ههنا آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف، وأكثرها - أو كلها - متلقاة من
 الإسرائيليات، وفي كثير منها نكارة شديدة قد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير، واقتصرنا
 ههنا على مجرد التلاوة. اهـ.

وانظر تفسير ابن كثير (٣٦/٤).

وقال الشيخ الشقيطي (٣٤/٧ - ٣٥): قد قدمنا الكلام على هذه الآية وعلى ما يذكره
 المفسرون فيها من الروايات التي لا يخفى سقوطها، وأنها لا تليق بمنصب النبوة، في سورة=

قوله: ﴿تجري بأمره رخاء﴾ قال الحسن: ليست بالعاصف التي تؤذيه، ولا بالبطيئة التي تقصرُ به دون حاجته.

قال محمد: معنى رخاء في اللغة: لينه، ويقال: ريحٌ رخوةٌ، بكسر الراء وفتحها، والكسر أفصح^(١).

= الكهف في الكلام على قوله تعالى: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ وما رُوي عن السلف من جملة تلك الروايات أن الشيطان أخذ خاتم سليمان وجلس على كرسيه وطرده سليمان إلى آخره يوضح بطلانه قوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ واعتراف الشيطان بذلك في قوله: ﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾. اهـ.

وانظر أضواء البيان (٤/ ٨٤ - ٨٥) وفيه بعد أن ذكر حديث الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «قال سليمان بن داود - عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام - : لأطوفن الليلة على سبعين امرأة - وفي رواية: تسعين امرأة، وفي رواية: مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلاماً يقاتل في سبيل الله. فقيل له - وفي رواية قال له الملك - : قل: إن شاء الله! فلم يقل، فطاف عليهن فلم تلد منهن إلا امرأة واحدة: نصف إنسان، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده، لو قال إن شاء الله لم يخش، وكان دركاً لحاجته - وفي رواية: ولقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

قال الشنقيطي: فإذا علمت هذا فاعلم أن هذا الحديث الصحيح بين معنى قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً...﴾ الآية وأن فتنة سليمان كانت بسبب تركه قوله «إن شاء الله» وأنه لم يلد من تلك النساء إلا واحدة نصف إنسان، وأن ذلك الجسد الذي هو نصف إنسان هو الذي ألقى على كرسيه بعد موته في قوله تعالى ﴿والقينا على كرسيه جسداً...﴾ الآية، فما يذكره المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان...﴾ الآية؛ من قصة الشيطان الذي أخذ الخاتم وجلس على كرسى سليمان وطرده سليمان عن ملكه، حتى وجد الخاتم في بطن السمكة التي أعطاهما من كان يعمل عنده بأجر مطرود عن ملكه... إلى آخر القصة، لا يخفى أنه باطل لا أصل له، وأنه لا يليق بمقام النبوة؛ فهو من الإسرائيليات التي لا يخفى أنها باطلة.

والظاهر في معنى الآية هو ما ذكرنا، وقد دلت السنة الصحيحة عليه في الجملة، واختاره

بعض المحققين، والعلم عند الله - تعالى.

(١). ويقال أيضاً: رُخوة - بضم الراء - لغة ثالثة فيه. ينظر: لسان العرب (رخو).

﴿حيث أصاب﴾ قال قتادة: يعني: حيث أراد، وهي بلسان هجر^(١) والشياطين كل بناءٍ وغواصٍ يغوصون في البحر يستخرجون له اللؤلؤ ﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ في السلاسل، ولم يكن يُستخر منهم ويستعمل في هذه الأشياء ولا يصفد إلا الكفار؛ فإذا آمنوا حلّهم من تلك الأصفاد ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ تفسير بعضهم: فامتنن فأعط من شئت أو أمسك عمن شئت بغير حساب (ل٢٩٥) أي: فلا حساب عليك في ذلك ولا حرج ﴿وإن له عندنا لزلفى﴾ يعني: القربة في المنزلة ﴿وحسن مآب﴾ أي: وحسن مرجع؛ يعني: الجنة .

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه . . .﴾ الآية، قال الحسن: إن إبليس قال: يا رب هل من عبيدك عبدٌ إن سلّطتني عليه امتنع مني؟ قال: نعم؛ عبدي أيوب. فسلطه الله عليه؛ ليجهد جهده ويضله، فجعل يأتيه بوساوسه وحبائله وهو يراه عياناً؛ فلا يقدر منه على شيء، فلما امتنع منه قال الشيطان: أي رب، إنه قد امتنع مني؛ فسلطني على ماله! فسلطه الله على ماله فجعل يهلك ماله صنفاً صنفاً، فجعل يأتيه وهو يراه عياناً فيقول: يا أيوب، هلك مالك في كذا وكذا! فيقول: الحمد لله اللهم أنت أعطيتني وأنت أخذته مني، إن تبقى لي نفسي أحمذك على بلائك. ففعل ذلك حتى أهلك ما له كله، فقال إبليس: يا رب، إن أيوب لا يبالي بماله فسلطني على جسده! فسلطه الله عليه، فمكث سبع سنين وأشهرًا حتى وقعت الأكلة في جسده.

(١) وقيل: بلسان حمير. ينظر: الدر المصون (٥/٥٣٦)، لسان العرب (صوب).

قال يحيى: وبلغني أن الدودة كانت تقع من جسده فيردّها مكانها، ويقول: كلي مما رزقك الله.

قال الحسن: فدعا ربّه ﴿أني مسني الشيطان بنصبٍ وعذاب﴾ يعني: في جسده، وقال في الآية الأخرى: ﴿أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾^(١).
قال محمد: النَّصْبُ والنَّصَبُ واحدٌ مثل حُزْنٍ وحَزَنٍ، وهو العياء والتَّعَبُ^(٢).

قال الحسن: فأوحى الله إليه أن اركض برجلك، فركض برجله ركضة وهو لا يستطيع القيام؛ فإذا عينٌ فاغتسل منها، فأذهب الله ظاهر دائه ثم مشى على رجله أربعين ذراعاً، ثم قيل له: اركض برجلك أيضاً، فركض ركضةً أخرى، فإذا عينٌ فشرب منها، فأذهب الله باطن دائه وردّ عليه أهله وولده وأمواله من البقر والغنم والحيوان وكل شيء هلك بعينه، ثم أبقاه الله فيها حتى وهب له من نسولها أمثالها، فهو قوله: ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمةً منا﴾ وكانوا ماتوا غير الموت الذي أتى على آجالهم تسليطاً من الله للشيطان؛ فأحياهم الله فوقاهم آجالهم.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَتْ إِنََّّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ٤٤﴾
وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ٤٥ إِنََّّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ
ذَكَرَى الدَّارِ ٤٦ وَلَهُمْ عِنْدَنَا لِمَنْ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ٤٧ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا
الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ٤٨ ﴿

(١) الأنبياء: ٨٣.

(٢) لسان العرب (نصب).

﴿وخذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنث﴾ قال الحسن: إن امرأة أيوب [كانت] ^(١) قاربت الشيطان في بعض الأمر، ودعت أيوب إلى مُقَارِبَتِهِ؛ فحلف بالله لئن الله عافاه أن يجلدّها مائة جلدة، ولم تكن له نية بأي شيء يجلدّها، فمكث في ذلك البلاء حتى أذن الله له في الدعاء، وتمّت له النعمة من الله والأجر، فاتاه الوحي من الله، وكانت امرأته مسلمة قد أحسنت القيام عليه، وكانت لها عند الله منزلة، فأوحى الله إليه أن يأخذ بيده ضغثًا - والضغث: أن يأخذ قبضة، قال بعضهم: من (السُّنْبُل) وكانت مائة سُنْبُلَة ^(٢) وقال بعضهم: من الأسَل، والأسَل: السَّمَار ^(٣) - فيضربها به ضربة واحدة ففعل. قال محمد: روي أن امرأة أيوب قالت له: لو تقرّبت إلى الشيطان فذبحت له عناقًا ^(٤). فقال: ولا كفًا من تراب، فلهذا حلف أن يجلدّها إن عوفي. ﴿واذكر عبادنا﴾ يقوله للنبي ﷺ ﴿أولي الأيدي﴾ يعني: القوة في أمر الله ﴿والأبصار﴾ في كتاب الله.

قال محمد: (الأيدي) بالياء وهو الاختيار في القراءة ^(٥).

﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ يعني: الدار الآخرة، والذكرى: الجنة.

(١) سقط من الأصل والمثبت من «ر».

(٢) سقط من «ر».

(٣) وهو نبات من الفصيلة الأسلية، ينبت في المناقع والأراضي الرطبة، ويستعمل في صناعة الحصر والسُّلال. المعجم الوسيط (أسل، سمر).

(٤) الأنثى من أولاد المعز والغنم من حين الولادة إلى تمام حول. والجمع: أعنق، وعُنُق، وعُنُوق. ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (عنق).

قلت: وهذه الحكاية من الإسرائيليات المنكرة، والله أعلم.

(٥) وهي قراءة العامة. وقرأ الحسن وعبد الله بن مسعود، والأعمش وغيرهم (الأيد) بدون الياء. ينظر: البحر (٤٠٢/٧)، جامع القرطبي (٢١٧ / ١٥ - ٢١٨)، المحتسب (٢٣٣/٢).

قال محمد: الاختيار في القراءة (بخالصة) غير منونة^(١) وعلى هذه القراءة فسر يحيى الآية.

﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾ يعني: المختارين، اختارهم الله للنبوة.
﴿واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل﴾ قال مجاهد: إن ذا الكفل كان رجلاً صالحاً وليس بنبي تكفل لنبي بأن يكفل له أمر قومه، ويقضي بينهم بالعدل.

﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَكَابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْهُنَّ لَهُمُ الْآبُوتُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهْمٍ كَثِيرٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُم مِّن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

(٢٩٦ل) ﴿هذا ذكر﴾ يعني: القرآن ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾ مرجع جنات عدن مفتحة لهم الأبواب.

قال محمد: (جنات عدن) بدل من (حسن مآب)^(٢) ومعنى (مفتحة لهم الأبواب): أي منها^(٣).

﴿متكئين فيها﴾ أي: على السرر فيها إضمام^(٤) ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ يقصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ﴿أتراب﴾ على سنٍّ واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة ﴿هذا ما توعدون﴾ يعني: ما وُصف في الجنة ﴿ما له من نفاد﴾ انقطاع.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ باقي السبعة بالجهر والتنوين. ينظر: السبعة (٥٥٤) البحر (٤٠٢/٧) النشر (٣٦١/٢).

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٧٨٠/٢)، البحر (٤٠٥/٧) معاني القرآن للفراء (٤٠٨/٢)، مجمع البيان (٤٨٠/٤).

(٣) أي: من الجنة.

(٤) أي: حذف ذكر السرر للعلم به، والله أعلم.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِيْنَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَيَلْسَنُ الْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴿٥٧﴾ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ�ۥ أَزْوَاجٌ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَلْسَنُ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾﴾

﴿هذا وإن للطاغين﴾ (للمشركين) ^(١) ﴿لشر مآب﴾ أي: مرجع ﴿هذا فليذوقوه حميمٌ وعساقٌ﴾ فيها تقديم: هذا حميمٌ وعساقٌ فليذوقوه «الحميم: الحارُّ الذي لا يُستطاع من حرِّه، قال عبدُ الله بن عمرو: والعساق: القيح الغليظ لو أن جرَّة ^(٢) منه تُهراق ^(٣) في المغرب لأنتنت أهلُ المشرق، ولو أن تهراق في المشرق لأنتنت أهلُ المغرب ﴿وآخر﴾ يعني: الزمهرير ^(٤) ﴿من شكله﴾ من نحوه؛ أي: من نحو الحميم ﴿أزواج﴾ ألوان.

﴿هذا فوجٌ مقتحمٌ معكم...﴾ إلى قوله: ﴿فيلس القرار﴾ تفسير بعضهم يقول: جاءت الملائكة بفوج إلى النار فقالت للفوج الأول الذين دخلوا قبلهم: هذا فوجٌ مقتحمٌ معكم! قال الفوج الأول: ﴿لا مرحبًا بهم إنهم صالوا النار﴾ قال الفوج الآخر: ﴿بل أنتم لا مرحبًا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار﴾ قال الله: ﴿قالوا ربنا من قدَّم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا في النار﴾. قال محمد: قوله: ﴿من قدَّم لنا هذا﴾ أي: من سنَّه وشرعه.

(١) سقط من «ر».

(٢) هو الإناء من الخزف. والجمع: جَرٌّ، وجَزَار. لسان العرب، المعجم الوسيط (جرر). وفي «ر»: جرعة.

(٣) أي: تراق. ويقال: أراق، وهرَّق، وأهرَّق وهَرَّاق وأهراق. لغات فيه. لسان العرب (ريق، هرق).

(٤) هو شدة البرد. لسان العرب (زمهر).

وقوله: ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أي: زده على عذابه عذابًا آخر.

﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾ (٦٢) ﴿أَتَخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ (٦٣) ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ (٦٤) ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ (٦٥) ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ (٦٦) ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٧) ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ (٦٨) ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٦٩) ﴿إِنْ يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ (٧٠)

﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالاً﴾ لما دخلوا النار لم يروههم معهم فيها فقالوا: ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار﴾ في الدنيا ﴿أتخذناهم سخرياً﴾ فأخطأنا ﴿أم زاغَتْ عنهم الأبصار﴾ أي: أم هم فيها ولا تراههم؟ هذا تفسير مجاهد. قال: علموا بعد أنهم ليسوا معهم فيها.

قال محمد: تقرأ (سخرياً) بضم السين وكسرها بمعنى واحد من الهُزء^(١). وقد قيل: من ضمَّ أوله جعله من السُّخرة، ومن كسر جعله من الهُزء^(٢). وقرأ نافع ﴿أتخذناهم﴾ بالالف الاستفهام^(٣) قال الله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ يعني: قول بعضهم لبعض في الآية الأولى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ﴾ من النار ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار﴾ قهر العباد بالموت، وبما شاء من أمره

(١) قرأ نافع وحزمة والكسائي بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: السبعة (٥٥٦)، البحر (٤٧/٧)، جامع القرطبي (٢٢٥/١٥) النشر (٣٢٩/٢).

(٢) ينظر: الألويسي (٢١٨/٢٣). وقد تقدم التعليق على مثل ذلك عند قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيًّا﴾ [المؤمنون: ١١٠].

(٣) وهي أيضاً قراءة ابن عامر وعاصم. وقرأ باقي السبعة (أتخذناهم) موصولة الألف. ينظر: البحر (٤٠٧/٧)، التيسير (١٨٨)، النشر (٣٦١/٢ - ٣٦٢).

﴿رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ ﴿لمن آمن﴾^(١) ..
 ﴿قل هو نبيّ عظيم﴾ يعني: القرآن ﴿أنتم عنه معرضون﴾ يعني: المشركين
 ﴿ما كان لي من علم بالملا الأعلى﴾ يعني: الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ تفسير
 الحسن: اختصموا في خلق آدم؛ قالوا فيما بينهم: ما الله خالق خلقاً هو أكرم
 عليه منا.

قوله: ﴿إن يوحى إليّ إلا أنما أنا نذير مبين﴾ كقوله: ﴿إنما أنت منذر
 ولكل قوم هاد﴾^(٢) النبي المنذر، والله الهادي.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (٧١) ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي
 فَقَعُوا لَهُم سَاجِدِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ (٧٣) ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ
 الْكَافِرِينَ﴾ (٧٤) ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ
 ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّمَّنْ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُم مِّن طِينٍ﴾ (٧٦) ﴿قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ (٧٧)
 ﴿وَأَن عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٧٨) ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٧٩) ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ
 الْمُنْظَرِينَ﴾ (٨٠) ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (٨١) ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ
 مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ (٨٣) ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ (٨٤) ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن يَبْعَكَ مِنْهُمْ
 أَجْمَعِينَ﴾ (٨٥)

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ...﴾ إلى قوله: ﴿وكان
 من الكافرين﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة^(٣) ﴿قال يا إبليس ما منعك أن

(١) في «ر»: لمن تاب.

(٢) الرعد: ٧.

(٣) البقرة: ٣٠ - ٣٨.

تسجد لما خلقت بيدي ﴿ قال قتادة: إن كعباً قال: إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الجنة بيده ﴿استكبرت﴾ يعني: تكبرت.

قال محمد: الاختيار في القراءة (استكبرت) بفتح الألف على الاستفهام^(١).
﴿فاخرج منها﴾ من السماء ﴿فإنك رجيم﴾ أي: ملعون (رُجم باللعنة)^(٢)
﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ وأبداً في ملعون ﴿قال رب فأنظرني﴾ أي:
أخزني ﴿إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين﴾.

قال محمد: ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ يعني: النفخة الأولى، وأراد عدو الله أن يؤخر إلى النفخة الآخرة.

﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾.

قال محمد: من قرأ (المخلصين) بكسر اللام أراد: الذين أخلصوا دينهم لله، ومن قرأ بالفتح؛ فالمعنى: الذين أخلصهم الله لعبادته^(٣).

﴿قال فالحق والحق أقول﴾ تفسير الحسن هذا قسم؛ يقول: (ل ٢٩٧) حقاً حقاً لأملأن جهنم.

وقرأ الحكم بن عتيبة^(٤): ﴿قال فالحق والحق أقول﴾ بمعنى: الله الحق،

(١) وهي قراءة السبعة إلا ابن كثير؛ فقد قرأ ﴿استكبرت﴾ بآلف الوصل. ينظر: السبعة (٥٥٦)، البحر (٧/٤١٠)، جامع القرطبي (١٥/٢٢٨).

(٢) سقط من «ر».

(٣) وقد تقدم التعليق على هذه القراءة، وبيان وجوها. ينظر (يوسف: ٢٤)، و(الصفات: ٤٠).

(٤) هو أبو محمد الكندي الكوفي. ثقة ثبت فقيه من الخامسة. مات سنة (٢٣ هـ) أو ما بعدها، وله نيف وستون. ينظر: تقريب التهذيب (ص ١٧٥). وفي «ر»: عتية.

ويقول الحق وهو قسم أيضًا (١).

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ (٨٦) **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾** (٨٧)

وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على القرآن ﴿من أجر وما أنا من المتكلفين إن هو﴾

أي: القرآن ﴿إلا ذكر﴾ أي: تفكر ﴿للعالمين﴾ يعني الغافلين ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ (أي ذلك يوم القيامة) (٢).

(١) ينظر: البحر (٤١١/٧)، جامع القرطبي (٢٢٩/١٥)، إتحاف الفضلاء (٨٠٦/٢)، الكشف (٣٨٤/٣).

(٢) في «ر»: بعد الموت.

سورة الزمر وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

قوله: ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ يعني: القرآن أنزله مع جبريل على محمد ﷺ.

قال محمد: يجوزُ الرفع في ﴿تنزيل﴾ على معنى: هذا تنزيل^(١). ﴿فاعبد الله مخلصاً له الدين﴾ أي: لا تشرك به شيئاً ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ يعني: الإسلام ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي: يتخذونهم آلهة يعبدونهم من دون الله ﴿ما نعبدهم﴾ أي: قالوا ما نعبدهم، فيها إضمار ﴿إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ قربى؛ زعموا أنهم يتقربون إلى الله بعبادة الأوثان لكي يصلح لهم معاشهم في الدنيا، وليس يقرون بالآخرة.

قال مجاهد: قريش يقولونه للأوثان، ومن قبلهم يقولونه للملائكة ولعيسى ابن مريم ولعزير.

﴿إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾ يحكم بين المؤمنين

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر: البحر (٧/٤١٤)، الدر المصون (٣/٦).

والمشركين يوم القيامة، فیدخل المؤمنین الجنة، ویدخل المشركین النار ﴿١٠﴾ إن الله لا یهدی من هو كاذبٌ كفارٌ ﴿١١﴾ یعنی: من یموت علی كفره .

﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ أَلِيلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى أَلِيلٍ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿١٣﴾﴾

﴿لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه﴾ ينزه نفسه أن يكون له ولد ﴿الواحد القهار﴾ فخر العباد بالموت وبما شاء من أمره .

﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ يعني: أخذ كل واحدٍ منهما من صاحبه ﴿وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسمى﴾ يعني: إلى يوم القيامة ﴿ألا هو العزيز الغفار﴾ لمن آمن .

﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَآتَاكُمْ مِنْهَا ذُرِّيَّةً ذَكَرًا وَأُنْثَىٰ وَرَبُّكُمْ يَرْجِعُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنِي تُصَرِّفُونَ ﴿١٤﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّكُمْ عَلَيْكُمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥﴾﴾

﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ آدم ﴿ثم جعل منها زوجها﴾ حواء؛ من ضلعٍ

من أضلاعه القصيري من جنبه الأيسر ﴿وأنزل لكم﴾ أي: وخلق لكم ﴿من الأنعام ثمانية أزواج﴾ أصناف الواحد منها زوج، هي الأزواج الثمانية التي ذكر في سورة الأنعام^(١) ﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقًا من بعد خلق﴾ يعني: نقطة ثم علقه ثم مضغه ثم عظامًا ثم يكسي العظام اللحم ثم الشعر ثم ينفخ فيه الروح ﴿في ظلمات ثلاث﴾ يعني: البطن والمشيمة والرحم ﴿فأنى تصرفون﴾ أي: أين يذهب بكم فتعبدون غيره وأنتم تعلمون أنه خلقكم وخلق هذه الأشياء؟! ﴿إن تكفروا فإن الله غني عنكم﴾ أي: عن عبادتكم ﴿ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا﴾ تؤمنوا ﴿يرضه لكم﴾.

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ يعني: لا يحمل أحد ذنب أحد ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ يعني: بما في الصدور .

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَنِيتُ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

﴿وإذا مس الإنسان ضر﴾ يعني: مرضًا ﴿دعا ربه منيبًا إليه﴾ أي: دعاه بالإخلاص أن يكشف عنه ﴿ثم إذا خوله نعمة منه﴾ أي: عافاه من ذلك المرض ﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ هو كقوله: ﴿مر كان لم يدعنا إلى

ضر منه^(١).

قال محمد: كل شيء أعطيته فقد خولته^(٢) ومن هذا قول زهير:

هنالك إن يستخولوا المال يُخولوا وإن يسألوا يعطوا وإن يَيسرُوا يُغَلوا^(٣)

ويقال: فلان يخول أهله إذا رعى غنمهم، أو ما أشبه ذلك.

﴿وجعل لله أندادا﴾ يعني: الأوثان؛ النذ في اللغة: العذل^(٤) ﴿ليُضل عن سبيله﴾ أي: يتبعه على ذلك غيره ﴿قل﴾ يا محمد للمشرك: ﴿تمتع﴾ في الدنيا ﴿بكفرك قليلا﴾ أي أن بقاءك في الدنيا قليل ﴿إنك من أصحاب النار﴾.

﴿أمن هو قانت﴾ يعني (مُصل)^(٥) ﴿آناء الليل﴾ يعني: ساعات الليل ﴿ساجداً وقائماً يحذر الآخرة﴾ أي: يخاف عذابها ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ يعني: الجنة يقول: ﴿أمن هو قانت...﴾ إلى آخر الآية، كالذي جعل لله أندادا فعبد الأوثان دوني، ليس مثله.

قال محمد: أصل القنوت الطاعة، وقرأ نافع (أمن) بالتخفيف^(٦).

(ل٢٩٨) ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ أي: هل يستوي هذا المؤمن الذي يعلم أنه ملاق ربه، وهذا المشرك الذي جعل لله

(١) يونس؛ ١٢.

(٢) أي كل شيء أعطيته من غير مقتضى، ولا يستعمل في الجزاء، بل في ابتداء العطية. لسان العرب (خول).

(٣) ينظر ديوانه (١١٢)، مجاز القرآن (١٨٨/٢)، القرطبي (٢٣٧/١٥) اللسان (خول).

(٤) العذل بكسر العين: المثل والنظير، وهو أيضاً التثديد. لسان العرب (عدل، ندد).

(٥) سقط من «ر».

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وحزمة. ينظر: السبعة (٥٦١)، البحر (٤١٨/٧)، التيسير (١٨٩)، النشر (٣٦٢/٢).

الأنداد؛ أي: أنهما لا يستويان ﴿إنما يتذكر﴾ إنما (يقبل) ^(١) التذكرة ﴿أولو الألباب﴾ أصحاب العقول؛ وهم المؤمنون .

﴿للذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿في هذه الدنيا حسنة﴾ أي: في الآخرة؛ وهي الجنة ﴿وأرض الله واسعة﴾ هو كقوله: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة﴾ فإياي فاعبدون ^(٢) في الأرض التي أمركم أن تهاجروا إليها؛ يعني: المدينة ﴿إنما يؤفى الصابرون﴾ يعني: الذين صبروا على طاعة الله ﴿أجرهم﴾ الجنة ﴿بغير حساب﴾ يقول: لا حساب عليهم في الجنة، كقوله: ﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ ^(٣) .

﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لِّدِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُمْ يَكْعَادُونَ ﴿١٦﴾ فَأَتَقُونَ ﴿١٦﴾

﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾ من هذه الأمة .

﴿قل إنني أخاف إن عصيت ربي﴾ بمتابعتكم على ما تدعونني إليه من عبادة الأوثان ﴿عذاب يوم عظيم﴾ يعني: جهنم ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ وهذا وعيد؛ أي: أنكم إن عبدتم من دونه عذبكم ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم...﴾ الآية، جعل الله لكل أحد منزلاً في الجنة وأهلاً؛ فمن عمل

(١) في «ر»: يتقبل .

(٢) العنكبوت: ٥٦ .

(٣) غافر: ٤٠ .

بطاعة الله كان له ذلك المنزل والأهل، ومن عمل بمعصية الله صيره الله إلى النار، وكان ذلك المنزل والأهل ميراثاً لمن عمل بطاعة الله إلى منازلهم وأهليهم التي جعل الله لهم، فصار جميع ذلك لهم.

﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ كقوله: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾^(١).

﴿ذلك﴾ الذي ﴿يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون﴾.

قال محمد: قوله: ﴿ذلك يخوف الله به عباده﴾ موضع (ذلك) رفع بالابتداء المعنى ذلك الذي ذكرنا من العذاب يخوف الله به عباده، وقوله (يا عباد) قراءة نافع بحذف الياء؛ وهو الاختيار عند أهل العربية^(٢).

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقُوا رَبَّهُمْ هُمْ عُرِفُوا بِفَوْقِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْوَعْدَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبُيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَلًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾
﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ (يعني: الشياطين)^(٣) ﴿أن يعبدوها﴾ وذلك أن الذين يعبدون الأوثان إنما يعبدون الشياطين؛ لأنهم هم دعوهم إلى عبادتها

(١) الأعراف: ٤١ .

(٢) وهي أيضاً قراءة: حمزة وعاصم والكسائي وابن عامر. ينظر: السبعة (٥٦١)، النشر (٢)

(٣٦٤)، التيسير (٦٧ ، ١٨٩).

(٣) سقط من (ر).

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أقبلوا مخلصين إليه ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ يعني الجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمْعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ أي: بشرهم بالجنة، والقول كتاب الله، واتباعهم لأحسنه أن يعملوا بما أمرهم الله به فيه، ويتتبعوا عما نهاهم الله عنه فيه.

﴿أَفَمَن حَقَّ عَلَيْهِ﴾ أي: سبقت عليه ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأنتَ تَنقِذُ مِن فِي النَّارِ﴾ أي: تهدي من وجب عليه العذاب؛ أي: لا تهديه ﴿لَهُمْ غُرْفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرْفٌ مَّبْنِيَةٌ﴾.

قال محمد: قيل المعنى: لهم؛ منازل في الجنة رفيعة وفوقها منازل أرفع منها ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ الذي وعد المؤمنين، يعني الجنة.

قال محمد: القراءة ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ بالنصب بمعنى وعدهم الله وعداً^(١). ﴿فَسَلَكَ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ والينابيع: العيون^(٢) ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زُرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فتراها مصفراً ثم يجعله حطاماً﴾ كقوله: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُم مِّثْلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَتْرَكْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾^(٣).

قال محمد: قوله: ﴿ثُمَّ يَهِيَجُ﴾ أي: يجف، يقال للنبت إذا تم جفافه: قد هاج النبات يهيج، وهاجت الأرض إذا ذوى ما فيها من الخضر^(٤) والحطام: ما تفتت وتكسر من النبات وغيره^(٥).

(١) وهي قراءة العامة، وقد تقدم مثله مراراً. وينظر الدر المصون (١٢/٦).

(٢) واحدها ينبوع. لسان العرب (نبع).

(٣) الكهف: ٤٥. ووردت في الأصل و «ر»: إنما مثل الحياة الدنيا ... إلخ.

(٤) لسان العرب (هيج).

(٥) لسان العرب (حطم).

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ العقول؛ وهم المؤمنون يتذكرون فيعلمون أن ما في الدنيا ذاهب .

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِٗٓ فَوَيْلٌ لِلْفَاسِقِينَ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٢) ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ﴾ (٢٣) ﴿أَفَمَن يَنْفَىٰ بَوَاجِهِ سُوٓءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٢٤) ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَاَنتَهُمُ الْعَذَابُ مِّن حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٢٥) ﴿فَآذَقَهُمُ اللَّهُ الْحَزْنَ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٢٦) ﴿

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ أي: وسَّع ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: ذلك النور في قلبه ﴿فَوَيْلٌ لِلْفَاسِقِينَ قُلُوبُهُمْ...﴾ الآية؛ أي: أن الذي شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ليس كالفاسي قلبه الذي هو في ضلال مبين عن الهدى؛ يعني: المشرك وهذا على الاستفهام يقول: ﴿هل يستويان﴾ أي: أنهما لا يستويان .

﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني: القرآن ﴿كِتَابًا مُّتَشَابِهًا﴾ يعني: يشبه بعضه بعضًا في نوره وصدقه وعدله ﴿مَّثَانِي﴾ يعني: ثنى الله فيه القصص عن الجنة في هذه السورة، وثنى ذكرها في سورة أخرى، وذكر النار في هذه (٢٩٩) السورة ثم ذكرها في غيرها من السور؛ هذا تفسير الحسن .

قال محمد: ﴿مَّثَانِي﴾ نعت قوله (كتابًا) ولم ينصرف؛ لأنه جمع ليس على

مثال الواحد^(١).

﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ إذا ذكروا وعيد الله [فيه]^(٢) ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ إذا ذكروا أعمالهم الصالحة، لانت قلوبهم وجلودهم إلى وعد الله الذي وعدهم.

قال محمد: وقيل: المعنى: إذا ذكرت آيات العذاب، اقشعرت جلود الخائفين لله، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إذا ذكرت آيات الرحمة.

﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾ أي: شدته أول ما تصيب منه النار إذا ألقي فيها وجهه؛ لأنه يكب على وجهه ﴿خير أمن يأتي أمناً﴾ أي: أنهما لا يستويان ﴿وقيل للظالمين﴾ المشركين: ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ أي: جزاء ما كنتم تعملون ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ يعني: من قبل قومك يا محمد. ﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ جاءهم فجأة ﴿وللعذاب الآخرة أكبر﴾ من عذاب الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿قَدْ أَنَا عَرِيبٌ أَذِلَّةٍ ذِي عَوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَنْفَعُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ﴿٣٠﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِمُونَ﴾ ﴿٣١﴾

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لكي

(١) ينظر تفصيل ذلك في الدر المصون (١٣/٦).

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

يتذكروا؛ فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بالذين من قبلهم ﴿قَرَأْنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عَوْجٍ﴾ أي: ليس [فيه عوج] ^(١) ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ لكي يتقوا .

قال محمد: (عربيًّا) منصوبٌ على الحال، المعنى: ضربنا للناس في هذا القرآن في حال عربيته وبيانه، وذكر (قَرَأْنَا) توكيدًا ^(٢).

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا﴾ يعني: المشرك ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ يعني: أوثانًا؛ هم شتى .

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ يعني: المؤمن يعبد الله وحده ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ أي: أنهما لا يستويان .

قال محمد: ﴿مُتَشَاكِسُونَ﴾ معناه: مختلفون لا يتفقون ^(٣).

ويقال للعسير ^(٤): شَكِسَ الرجل شَكْسًا ^(٥)، ومن قرأ (ورجلًا سَلَمًا) فالمعنى: ذا سلمٍ وهو مصدرٌ وُصِفَ به، وأصلُ الكلمة من الاستسلام ^(٦).

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ تفسير الحسن: يخاصم النبي والمؤمنون المشركين .

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) وفي ذلك تفصيل نحوي ينظر: المصدر السابق.

(٣) وقيل: مختلفون عَيَّرُوا الأخلاق. والواحد: مُتَشَاكِس. لسان العرب (شكس).

(٤) العسير: هو شيء الخلق. لسان العرب (عسر). وفي «ر»: للعسير.

(٥) فهو شَكْسٌ، وقوم شَكْسٌ، وحكى الفراء: رجل شَكِسَ بكسر الكاف وهو القياس. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (شكس).

(٦) قرأ ابن عامر، ونافع، وحزمة والكسائي (سَلَمًا) بفتح السين واللام، وقرأ سعيد بن جبير وعكرمة (سَلَمًا) بكسر السين وإسكان اللام. وهاتان القراءتان يؤيدهما المعنى الذي ساقه المصنف بقَدْ أما بقية السبعة فقد قرءوا (سَالَمًا).

ينظر: السبعة (٥٦٢)، التيسير (١٨٩)، البحر (٤٢٤/٧) وينظر التوجيه النحوي من البحر

(٤٢٤/٧)، الدر المنصور (١٥/٦).

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۚ﴾ (٣٢) ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤) ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٥) ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ۚ﴾ (٣٦)

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ فعبد الأوثان، وزعم أن عبادتها تقرب إلى الله ﴿وكذب بالصدق إذ جاءه﴾ يعني: القرآن الذي جاء به محمد؛ أي: لا أحد أظلم منه ﴿اليس في جهنم مثوى﴾ أي: منزلاً ﴿للكافرين﴾ أي: بلى فيها منزل للكافرين ﴿والذي جاء بالصدق﴾ محمد جاء بالقرآن ﴿وصدق به﴾ يعني: المؤمنين؛ صدقوا بما جاء به محمد ﴿أولئك هم المتقون﴾.

﴿اليس الله بكافٍ عبده﴾ يعني: محمدًا؛ يكفيه المشركين حتى لا يصلوا إليه ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ يعني: الأوثان.

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ۚ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ تُمْسِكُ بِرَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٣٨) ﴿قُلْ يَتَقَوَّمُوا عَمَلُهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ۖ إِنَّي عَمَلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٩) ﴿مَنْ يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (٤٠)

﴿قل أفأرىتم ما تدعون من دون الله...﴾ يعني: أوثانهم، الآية.

يقول: لا يقدرن أن يكشفن ضرًا، ولا يمسكن رحمة ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ أي: فكيف تعبدون الأوثان من دونه، وأنتم تعلمون أنه هو الذي خلق السموات والأرض ﴿قل يا قوم اعملوا على مكاتكم﴾ أي: على شرككم ﴿إني عامل﴾ على ما أنا عليه من الهدى ﴿فسوف تعلمون﴾ وهذا وعيد ﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ يعني: النفخة الأولى التي يهلك بها كفار آخر هذه الأمة ﴿ويحل عليه عذاب مقيم﴾ في الآخرة .

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْتْ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ (٤١) ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٤٢) ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذْنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (٤٣) ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٤٤)

﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ أي: بحفيظ لأعمالهم حتى تجازيهم بها، والله هو الذي يجزيهم بها ﴿والتي لم تمت في منامها﴾ أي: ويتوفى التي لم تمت؛ أي: يتوفاها في منامها ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ أي: فيميتها . قال محمد: (فيمسك) بالرفع هي قراءة نافع (١).

﴿ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ إلى الموت؛ وذلك أن الإنسان إذا نام خرجت النفس وتبقى الروح فيكون بينهما مثل شعاع الشمس، وبلغنا أن

(١) وهي قراءة العامة. ينظر: البحر (٧/٤٣١)، البيان (٢/٣٢٤).

الأحلام التي يرى النائم هي في تلك الحال؛ فإن كان ممن كتب الله عليه الموت في منامه خرجت الروح إلى النفس، وإن كان ممن لم يحضر أجله رجعت النفس إلى الروح فاستيقظ.

﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾ وهم المؤمنون ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ أي: قد اتخذوهم؛ ليشفعوا لهم (ل ٣٠٠) زعموا ذلك لدنياهم ليصلحها لهم ولا يقرون بالآخرة ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿أو لو كانوا﴾ (يعني: أوثانهم) ^(١) ﴿لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾ [أي: أنهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون] ^(١) ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ أي: لا يشفع أحد يوم القيامة إلا بإذنه، يأذن لمن يشاء من الملائكة والأنبياء والمؤمنين أن يشفعوا للمؤمنين فيشفعهم فيهم.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ﴾ انقبضت ﴿قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذُكِرَ الذين من دونه﴾ أي: الذين يعبدون من دونه؛ يعني: الأوثان ﴿إذا هم يستبشرون﴾.

(١) سقط من (ر).

قال محمد: يقال لمن دُعر من شيء: اشماز اشمزازاً^(١).

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب: السر، والشهادة: العلانية ﴿أنت تحكم بين عبادك﴾ يعني: المؤمنين والمشركين؛ فيكون حكمه بينهم أن يدخل المؤمنين الجنة ويدخل المشركين النار.

﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ يعني: لم يكونوا يحتسبون أنهم مبعوثون ومعذبون.

﴿وحاق بهم﴾ وجب عليهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: جزاء ذلك الاستهزاء وهي جهنم بعد عذاب الدنيا.

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَحْمُ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٤٩ ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٥٠ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ٥١ ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٢ ﴿

﴿ثم إذا خولناه﴾ أعطيناه ﴿نعمة منا﴾ أي: عافية ﴿قال إنما أُوتيتُهُ﴾ أعطيته ﴿على علم﴾ تفسير مجاهد يقول: هذا [بعلمي]^(٢) (كقوله: ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي﴾^(٣) أي: أنا محقوق بهذا)^(٤).

(١) وشمازينة. لسان العرب (شمز).

(٢) في الأصل: بعلمي.

(٣) فصلت: ٥٠.

(٤) سقط من (ر).

قال الله: ﴿بل هي فتنة﴾ يعني: بليّة ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: جماعة المشركين.

قال محمد: قيل: المعنى: تلك العطية بلوى من الله يتلي بها العبد ليشكر أو يكفر.

﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ من المشركين؛ يعني: هذه الكلمة.

﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ من أموالهم ﴿فأصابهم سيئات ما كسبوا﴾ ما عملوا من الشرك؛ يقول: نزل بهم جزاء أعمالهم؛ يعني: الذي أهلك من الأمم ﴿والذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿من هؤلاء﴾ يعني: هذه الأمة ﴿سيصيبهم سيئات ما كسبوا﴾ يعني: الذين تقوم عليهم الساعة كفار آخر هذه الأمة، وقد أهلك أوائلهم؛ أبا جهل وأصحابه بالسيف يوم بدر ﴿وما هم بمعجزين﴾ أي: بالذين يسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنبعثهم ثم نعذبهم ﴿أو لم يعلموا أن الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي: بلى قد علموا.

﴿قُلْ يَبَادِيُ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٢﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُوا ﴿٥٣﴾ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ وَإِن كُنتَ لَمِنَ السَّخِرِينَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ بالشرك ﴿لا تقنطوا...﴾ تياسوا. الآية.

تفسير الحسن قال: لما نزل في قاتل المؤمن والزاني وغير ذلك ما نزل

خاف قوم أن يؤخذوا بما عملوا في الجاهلية، فقالوا: أينما لم يفعل فأنزل الله: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [بالشرك] ^(١) ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا﴾ التي كانت في الشرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وأنزل ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ أي: بعد إسلامهم ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: بعد إسلامهم ﴿وَلَا يَزْنُونَ...﴾ أي: بعد إسلامهم إلى قوله: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا...﴾ الآية ^(٢)، وقد مضى تفسيرها ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ يقوله للمشركين: أَقْبِلُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ بِالْإِخْلَاصِ لَهُ ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وهو أن يأخذوا بما أمرهم الله به، ويتتبعوا عما نهاهم الله عنه ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.

﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: في أمر الله ﴿وَأَنْ كُنْتَ لِمَنِ السَّاحِرِينَ﴾ أي: كنت أسخر في الدنيا بالنبي والمؤمنين. قال محمد: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ معناه: خَوْفٌ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ إِذَا صَارَتْ إِلَىٰ (حال) ^(٣) الندامة، والاختيار في القراءة: (يا حسرتا) ^(٤).

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ أَيْتِي فَكَذَّبْتَ

(١) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

(٢) الفرقان: ٦٨.

(٣) في «ر»: حين.

(٤) وهي قراءة السبعة، وأمالها حمزة والكسائي. ينظر: البحر (٧/٤٣٥)، النشر (٢/٣٦٣)، إتحاف الفضلاء (٣٧٦).

بِهَا وَاسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ
 وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا
 بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ
 هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾

﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾ حين تدخل في العذاب: ﴿لو أن لي كرة﴾
 إلى الدنيا ﴿فأكون من المحسنين﴾ يعني: المؤمنين، قال الله: ﴿بلى قد
 جاءتك آياتي...﴾ الآية .

﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة﴾ .
 [قال محمد: ﴿وجوههم مسودة﴾] ^(١) رفع على الابتداء، ولم يعمل
 الفعل والخبر ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ (ل ٣٠١) عن عبادة الله بلى
 لهم فيها مثوى يثوون فيها أبداً ^(٢) .
 ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ بمنجاتهم ﴿وهو على كل شيء
 وكيل﴾ حفيظ ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ يعني: مفاتيح .
 قال محمد: واحد المقاليد: إقليد ^(٣) .

(١) سقط من الأصل

(٢) سقط من «ر» والمراد أن الفعل (رأى) بصري لا علمي، فلم ينصب مفعولين. وعليه لم
 ينتصب (مسودة) بل رفع على الابتداء. ينظر: إعراب القرآن (٢/٨٢٧)، البحر (٧/٤٣٧)،
 البيان (٢/٣٢٥).

(٣) ويقال: واحد: مقلاد أو مقلد، أما إقليد فهو واحد أقاليد، وهو فارسي معرب. ينظر لسان
 العرب (قلد)، الدر المصون (٦/٢١).

﴿قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

﴿قل أغفر الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ يعني: المشركين دَعُوهُ إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

قال محمد: قدمضى في سورة الأنعام ذكر الاختلاف في قراءة ﴿تأمروني﴾^(١).
﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ ما عظموا الله حق عظمته إذ عبدوا الأوثان من دونه ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾.

يحيى: عن عثمان البري، قال: حدثني نافع، قال: حدثني عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله يقول: «إن الرحمن يطوي السموات يوم القيامة بيمينه، والأرضين بالأخرى ثم يقول: أنا الملك، أنا الملك، أنا الملك»^(٢).

(١) قرأ نافع: (تأمروني)، وقرأ ابن كثير (تأمروني)، وقرأ ابن عامر (تأمرؤني)، وقرأ أيضاً (تأمرؤني)، وقرأ الباقون: (تأمرؤني). ينظر السبعة (٥٦٣)، البحر (٤٣٩/٧)، النشر (٢/٣٦٣ - ٣٦٤)، الإتحاف (٣٧٧).

وانظر كلام المصنف عليها في تفسير سورة الأنعام، الآية: ٨٠.

(٢) رواه البخاري (٤٠٤/١٣) رقم ٧٤١٢ والطبري في تفسيره (٢٧/٢٤) وأبو الشيخ في العظمة (٤٤٠/٢ - ٤٤٢ رقم ١٣٢، ٤٥٨/٢ - ٤٥٩ رقم ١٤٠) واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤١٧/٣ - ٤١٨ رقم ٧٠٢، ٧٠٣) من طرق عن نافع به.

ورواه الإمام أحمد (٧٢/٢) ومسلم (٢١٤٨/٤ - ٢١٤٩ رقم ٢٧٨٨) والنسائي في الكبرى (٤٠٠/٤) رقم ٧٦٨٩، ٤٠٢/٤ رقم ٧٦٩٥، وابن ماجه (٧١/١ - ٧٢ رقم ١٩٨، ١٤٢٩/٢ رقم ٤٢٧٥) والطبري في تفسيره (٢٦/٢٤ - ٢٧) وابن خزيمة في التوحيد (١/١٧٠ - ١٧٣ رقم ٩٥، ٩٧) وابن حبان (١٦/٣١٦ رقم ٧٣٢٤، ١٦/٣٢٢ رقم ٧٣٢٧) =

﴿سبحانه﴾ ينزه نفسه ﴿وتعالى﴾ ارتفع ﴿عما يشركون﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ونفخ في الصور﴾ والصور قرن نفخ فيه صاحب الصور ﴿فصعق﴾ أي: فمات ﴿من في السموات ومن في الأرض﴾ وهذه النفخة الأولى ﴿إلا من شاء الله﴾ تفسير الحسن: استثنى طوائف من أهل السماء يموتون بين النفختين. قال يحيى: وبلغني أن آخر من يبقى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يموت جبريل وميكائيل وإسرافيل، ثم يقول الله لملك الموت: **مُتْ فَيَمُوتُ^(١)**.

= وابن منده في الرد على الجهمية (٧٤ - ٧٥ رقم ٤٦) وغيرهم من طريق عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ورواه مسلم (٢١٤٨/٤ رقم ٢٧٨٨/٢٤) وأبو داود (٢٤١/٥ رقم ٤٦٩٩) وعبد بن حميد (٢٤١ - ٢٤٢ رقم ٧٤٢) وابن أبي عاصم في السنة (٢٤١/١ رقم ٥٤٧) والطبري في تفسيره (٢٨/٢٤) وغيرهم من طريق سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وقال ابن منده: وهذا حديث ثابت باتفاق.

ورقله البخاري (١٣/ ٤٠٤ رقم ٧٤١٣) من هذا الطريق.

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة، خرجتها في تخريجي لأحاديث التوحيد لابن خزيمة.

(١) هذا لا أعلمه ورد إلا في حديث الصور الطويل، وقد رواه إسحاق بن راهوية في مسنده (١/

٨٤ - ٩٥ رقم ١٠) والطبراني في الأحاديث الطوال (٢٥/٢٦٦ - ٢٧٧ رقم ٢٦) وغير

واحد من الأئمة، وقال عنه ابن كثير في تفسيره (٢/١٤٩): قال: هذا حديث مشهور، وهو

غريب جدًا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعضه ألفاظه نكارة، تفرد به =

﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾ وهذه النفخة الآخرة ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾ وبين النفختين أربعون سنة ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب﴾ الذي كتبه الملائكة عليهم ﴿وجيء بالنبيين﴾ الذين بعثوا إليهم ﴿والشهداء﴾ يعني: الملائكة الحفظة ﴿وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون﴾.

قال يحيى: بلغنا أنهم يقومون مقدار ثلاثمائة سنة قبل أن يفصل بينهم. ﴿ووفيت كل نفس ما عملت﴾ أما المشركون فليس يعطون في الآخرة بأعمالهم الحسنة شيئاً: قد جوزوا بها في الدنيا، وأما المؤمنون فيوفون حسناتهم في الآخرة^(١)، وأما سيئاتهم فإنه يحاسب العبد بالحسنات

= إسماعيل بن رافع قاص أهل المدينة وقد اختلف فيه، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك. وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء.

قلت: وقد اختلف عليه في إسناده هذا الحديث على وجه كثيرة، قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً، ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً؛ فأنكر عليه بسبب ذلك، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزني يقول أنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث؛ فאלله أعلم. اهـ.

وانظر النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (٢/٢٢٣ - ٢٢٤) وفتح الباري (١١/٣٧٦). وروى الطبري في تفسيره (٢٤/٢٩) من طريق الفضل بن عيسى، عن عمه يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ نحوه.

وضعه ابن حجر في الفتح (١١/٢٧٨)، وذكر له طريقاً آخر عند البيهقي وابن مردويه وضعف سنده أيضاً.

وانظر الدر المشور (٥/٣٧٠).

(١) روى الإمام أحمد (٣/١٢٣) ومسلم (٤/٢١٦٢ - ٢١٦٣ رقم ٢٨٠٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعطى بها في الدنيا ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها».

والسيئات؛ فإن فضلت حسناته سيئاته بحسنة واحدة ضاعفها الله له، وهو قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يضاعفها﴾^(١) وإن استوت حسناته وسيئاته فهو من أصحاب الأعراف يصير إلى الجنة، وإن زادت سيئاته على حسناته فهو في مشيئة الله.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُم بِمَثْوًى السَّاعَةِ﴾^(٧٦)

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً...﴾ أي: فوجاً فوجاً، إلى قوله: ﴿بئس مثوى المتكبرين﴾ يعني: عن عبادة الله.

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُرَّارًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٧﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٨﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧٨)

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً...﴾ إلى قوله: ﴿سلام عليكم طبتم﴾.

يحيى: عن نعيم بن يحيى، عن زكريا بن أبي زائدة، عن أبي إسحاق

الهمداني، عن عاصم بن ضمرة، عن علي قال: «إذا توجهوا إلى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان؛ فيشربون من إحداهما^(١)، فتجري عليهم بنصرة النعيم، فلا تُعَبَّرُ أبشارهم ولا تشعث أشعارهم بعدها أبداً، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى، ثم تستقبلهم الملائكة - خزنة الجنة - فتقول لهم: ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾»^(٢).

(١) كذا في الأصل و«ر»، وهو خلاف الجادة.

(٢) ورواه المروزي في زوائد الزهد لابن المبارك (٥٠٨ - ٥٠٩ رقم ١٤٥٠) من طريق زكريا بن أبي زائدة به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (١٧٦/٢) وابن أبي شيبة في المصنف (١١٢/١٣ - ١١٤ رقم ١٥٨٥١) وإسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (١٣٤/٥ - ١٣٥ رقم ٤٥٩٢) والبيهقي في الجعديات (٩٢٦/٢ - ٩٢٧ رقم ٢٦٦٣) والمروزي في زوائد الزهد (٥٠٨ - ٥٠٩ رقم ١٤٥٠) والطبري في تفسيره (٣٥/٢٤) وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٢٣ - ١٢٧ رقم ٢٨٠، ٢٨١) والضياء في المختارة (١٦٠/٢ - ١٦٣ رقم ٥٤١، ٥٤٢) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي به.

وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (١٣٥/٥): هذا حديث صحيح، وحكمه حكم المرفوع؛ إذ لا مجال للرأي في مثل هذه الأمور.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٣٢/٨): رواه إسحاق بن راهويه بسند صحيح، وحكمه حكم المرفوع؛ إذ ليس للرأي فيه مجال.

قلت: لهذا خرجه الحافظ الضياء في المختارة، وذكر عن الحاكم قوله: قد اتفقا - يعني: البخاري ومسلماً - أن تفسير الصحابي حديث مسند. اهـ.

ورواه الطبري في تفسيره (٣٥/٢٤ - ٣٦) من طريق السدي قال: ذكر أبو إسحاق عن الحارث عن علي عليه السلام... فذكره مطولاً.

ورواه أبو نعيم في صفة الجنة (١٢٧/٢) من طريق حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي عليه السلام.

فخالف السدي وحمزة الزيات - في روايته هذه - الجماعة الذين روه عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي - ومنهم السفينان، وإسرائيل وزهير بن معاوية ومعر - فجعلاه عن الحارث الأعور عن علي عليه السلام.

﴿وأورثنا الأرض﴾ يعني: أرض الجنة ﴿نتبوا من الجنة حيث نشاء﴾ أي: ننزل ﴿فنعم أجر العاملين﴾ في الدنيا ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ أي: مُخَدِّقِينَ ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي: فُصِّلَ ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ قاله المؤمنون؛ حمدوا الله على ما أعطاهم.



تفسير حم المؤمن^(١) وهي مكينة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرَكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾

قوله: ﴿حَمَّ﴾ قال الحسن: ما أدري ما تفسير (حم) و(طسم) وأشبهه ذلك، غير أن قوماً من السلف كانوا يقولون: أسماء السور وفواتحها.

﴿تنزيل الكتاب﴾ القرآن ﴿من الله العزيز﴾ في ملكه ﴿العليم﴾ بخلقه ﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب﴾ لمن لم يؤمن ﴿ذو الطول﴾ الغنى ﴿ما يجادل﴾ (٣٠٢) يماري ﴿في آيات الله﴾ فيجحدوها ﴿إلا الذين كفروا﴾ فلا يغرك تقلبهم ﴿إقبالهم وإدبارهم﴾ في البلاد يعني: الدنيا بغير عذاب؛ فإن الله معذبهم.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدُوا بِالبَاطِلِ يُدْحِضُونَ بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦﴾

﴿كذبت قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾ يعني: عاذاً وثمود، ومن بعدهم الذين أخبر بهلاكهم لتكذيبهم رسلهم

﴿وهمت كل أمة برسولهم لياخذوه﴾ فيقتلوه ﴿وجادلوا﴾ خاصموا ﴿بالباطل﴾
بالشرك جادلوا به الأنبياء والمؤمنين ﴿ليدحضوا به﴾ أي: يذهبوا به ﴿الحق﴾
يعني: الإيمان.

﴿فأخذتهم بالعذاب فكيف كان عقاب﴾ أي: كان شديدًا ﴿وكذلك حقت
كلمات^(١) ربك﴾ أي: سبقت .

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ
عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ
وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ
السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُتَادَرَكُونَ لِمَقَدُّ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتَبِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ
﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا أَتْنَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ
سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَمْ يَأْتِيهِمْ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ يُشْرِكُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ
الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ أي: ومن حول العرش ﴿ويستغفرون
للذين آمنوا﴾ يقولون: ﴿ربنا وسعت كل شيء﴾ أي: ملأت كل شيء ﴿رحمةً
وعلمًا فاغفر للذين تابوا﴾ من الشرك ﴿واتبعوا سبيلك﴾ يعني: الإسلام .

(١) هكذا في الأصل: (كلمات) جمعًا؛ وهي قراءة نافع وابن عامر. ينظر: البحر (٧/ ٤٥٠)،
السبعة (٥٦٧)، التيسير (١٢٢)، الإتحاف (٣٧٧).

﴿ومن صلح﴾ أي: من آمن ﴿من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم﴾.

﴿وقهم السيئات﴾ يعني: جهنم هي جزاء الشرك ﴿ومن تق السيئات﴾ أي: تصرف عنه ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ وهم في النار: ﴿لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم﴾ أي: لمقت الله إياهم في معصيته أكبر من مقتهم أنفسهم في النار، وذلك أن أحدهم يمقت نفسه ﴿إذ تدعون إلى الإيمان﴾ في الدنيا ﴿فتكفرون﴾ ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ وهو قوله في سورة البقرة: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ (١).

يقول: كنتم أمواتاً في أصلبة آبائكم نطفاً ﴿فأحياكم﴾ يعني: هذه الحياة الدنيا ﴿ثم يميتكم﴾ يعني: موتهم ﴿ثم يحييكم﴾ يعني: البعث.

﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ تفسير الحسن: فيها إضمار (قال الله: لا) ثم قال: ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرک به تؤمنوا﴾ تصدقوا بعبادة الأوثان.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ (١٣) ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١٤) ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ (١٥) ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (١٦)

قوله: ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ ما أراه العباد من قدرته ﴿ويُنزل لكم من السماء رزقاً﴾ المطر؛ يعني: فيه أرزاق العباد ﴿وما يتذكر إلا من ينيب﴾ يخلص لله ﴿رفيع الدرجات﴾ هو رفيع الدرجات درجات المؤمنين في الجنة

﴿ذو العرش﴾ رب العرش ﴿يلقي الروح﴾ ينزل الوحي ﴿لينذر يوم التلاق﴾
[يوم القيامة]^(١) يوم يلتقى فيه الخلائق: أهل السماء وأهل الأرض عند الله.
قال محمد: الاختيار في القراءة بالياء، وقرأ نافع بغير ياء^(٢).

﴿يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء لمن الملك اليوم﴾ يقول:
لمن الملك اليوم؟ يسأل الخلائق فلا يجيبه أحد، فيرد على نفسه فيقول: ﴿لله
الواحد القهار﴾ قهر العباد بالموت، وبما شاء من أمره قال بعضهم: هذا بين
النفختين حين لا يبقى أحد غيره.

﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٧)
وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ
يُطَاعُ ﴿٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

﴿اليوم﴾ يعني: في الآخرة ﴿تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾ إن
الله سريع الحساب ﴿سمعت بعض الكوفيين يقول: يفرغ من حساب الخلائق
في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا إذا أخذ في حساب الخلائق وعرضهم.
﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ يعني: القيامة ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾
قال قتادة: انتزعت القلوب فغضت بها الحناجر، فلا هي تخرج ولا هي ترجع
إلى أماكنها.

(١) سقط من الأصل والمثبت من «و».

(٢) وقرأ نافع أيضاً بإثبات الياء في «التلاق» وصلا في رواية ورش عنه، وقيل عن قالون عنه
أيضاً. انظر النشر (٣٦٦/٢) والكثر (٢٣٢)، والإتحاف (٤٨٤).

يحيى: عن أبان بن أبي عياش، عن أبي العالية الرياحي، عن أبي بن كعب قال: «يجيء الرب - تبارك وتعالى - يوم القيامة في ملائكة السماء السابعة، لا يعلم عددهم إلا الله، فيؤتى بالجنة مفتحة أبوابها يراها كل بر وفاجر، عليها ملائكة الرحمة حتى توضع عن يمين العرش، فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام. قال: ويؤتى بالنار تُقَاد بسبعين ألف زمام يقود كل زمام سبعون ألف ملك (مفتحة)^(١) أبوابها، عليها ملائكة سود، معهم السلاسل الطوال، والأنكال^(٢) الثقال وسرايل القطران، ومقطعات النيران، لأعينهم لمع كالبرق، ولوجوههم لهب كالنار، شاخصة أبصارهم، لا ينظرون إلى ذي العرش [تعظيمًا له]^(٣)، فإذا (ل ٣٠٣) دنت النار فكان بينها وبين الخلائق مسيرة خمسمائة سنة زفرت زفرة، فلا يبقى أحد إلا جثا على ركبته، وأخذته الرعدة وصار قلبه متعلقًا في حنجرتة لا يخرج ولا يرجع إلى مكانه، وذلك قوله: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ﴾ وينادي إبراهيم: رب لا تهلكني بخطيئتي! وينادي نوح ويونس، وتوضع النار عن يسار العرش، ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدي الجبار، ثم يدعى الخلائق للحساب».

قال محمد: إنما قيل للقيامة: آزفة؛ لأنها قريبة وإن استبعد الناس مداها. يقال: أَزَفْتُ تَأَزَفُ أَرْفًا، وقد أَرَفَ الأمر إذا قُرِبَ^(٤)، وكاظمين منصوب على الحال^(٥)، وأصل الكظم: الحبس^(٦).

(١) في «ر»: مصفرة.

(٢) واحدها النكل؛ وهو القيد. لسان العرب (نكل).

(٣) مطموس في الأصل، والمثبت من «ر».

(٤) لسان العرب (أزف).

(٥) وفيه تفصيل نحوي، ينظر: إعراب القرآن (٧/٣)، مجمع البيان (٤/٥١٨)، البحر (٧/٤٥٦)، التبيان (١١/٧).

(٦) لسان العرب (كظم).

﴿ما للظالمين﴾ للمشركين ﴿من حميم﴾ أي: شفيق يحمل عنهم من ذنوبهم شيئاً ﴿ولا شفيع يطاع﴾ أي: لا يشفع لهم أحد؛ إنما الشفاعة للمؤمنين ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ قال مجاهد: يعني: نظر العين إلى ما نهى عنه.

قال محمد: الخائنة والخيانة واحد^(١).

﴿والذين تدعون من دونه﴾ يعني: أوثانهم ﴿لا يقضون بشيء﴾.
 ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوةً وآثاراً في الأرض فأخذهم الله يدؤبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ (٢١)
 ذلك بأنهم كانت ثأنيهم رسلهم بالبينت فكفروا فأخذهم الله إنه قوي شديد العقاب (٢٢) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين (٢٣) إلى فرعون وهنمن وقرون فقالوا سحر كذاب (٢٤) فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين إلا في ضلال (٢٥)
 ﴿كانوا هم أشد منهم﴾ من مشركي العرب ﴿قوة﴾ أي: بطشاً ﴿وآثاراً في الأرض﴾ يعني: ما عملوا من المدائن وغيرها من آثارهم ﴿وما كان لهم من الله من واق﴾ يقيهم من عذاب الله ﴿إنه قوي شديد العقاب﴾ للمشركين.
 ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين﴾ حجة بينة ﴿قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾ أي: صدقوه ﴿واستحيوا نساءهم﴾ أي: لا تقتلوهن ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ يذهب فلا يكون شيئاً؛ أي: في العاقبة.

(١) والخائنة من المصادر التي جاءت على لفظ الفاعلة، كالعاقبة. لسان العرب، المعجم الوسيط (خون).

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٢٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بَيُّوتِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾

﴿وقال فرعون ذروني اقتل موسى﴾ يقوله لأصحابه؛ أي: خلوا بيني وبينه فاقته ولم يخف أن يمتنع منه ﴿وليدع ربه﴾ أي: وليستعن ربه؛ أي إن ربه لا يغني عنه شيئاً ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾ قال الحسن: كانوا عبدة أوثان ﴿وأن﴾ (١) يظهر في الأرض﴾ يعني: أرض مصر ﴿الفساد﴾.

﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ من قوم فرعون ﴿يكتُم إيمانه﴾ قال الحسن: قد كان مؤمناً قبل أن يأتيهم موسى .

﴿وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾؛ يعني: الآيات التي جاءهم بها موسى . ﴿يصببكم بعض الذي يعدكم﴾ كان موسى يعدهم عذاب الله في الدنيا والآخرة إن لم يؤمنوا، وقد كان مؤمن آل فرعون علم أن موسى على الحق . ﴿يَقَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ

(١) قرأ الكوفيون ويعقوب ﴿أو أن﴾ بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو وإسكان الواو، وقرأ الباقون بغير ألف. النشر (٢/٣٦٥).

يَقْوَمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقْوَمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تَوَلَّوْنَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

﴿ظاهرين في الأرض﴾ يعني: غالبين على أرض مصر في القهر لهم ﴿فمن ينصرنا﴾ يمنعنا ﴿من بأس الله﴾ عذابه ﴿إن جاءنا﴾ يقوله على الاستفهام - أي: أنه لا يمنعنا منه أحد.

﴿قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى﴾ أي: ما أرى لنفسي ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ يعني: جحود ما جاء به موسى والتمسك بما هم عليه. ﴿إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ يعني: مثل عذاب الأمم الخالية، ثم أخبر عن يوم الأحزاب؛ فقال: ﴿مثل داب قوم نوح وعاد وثمود...﴾ الآية الداب: الفعل؛ المعنى: إني أخاف عليكم مثل عقوبة فعلهم وهو ما أهلكهم الله به.

قال محمد: (الداب) عند أهل اللغة: العادة^(١)؛ المعنى: إني أخاف عليكم أن تقيموا على كفركم، فينزل بكم من العذاب مثل ما نزل بالأمم السالفة المكذبة رسلهم؛ وهو الذي أراد يحيى.

﴿إني أخاف عليكم يوم التنادي﴾ قال قتادة: يوم ينادي أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً، وينادي أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء.

قال محمد: من قرأ: (التناد) مخففة؛ فهي بلا ياء في الوصل والوقف،

(١) ويقال: الداب - بسكون الهمزة وتحريكها بالفتح . ينظر لسان العرب (داب).

وقد قرئت أيضًا بالياء في الوصل والوقف^(١).
﴿يوم تولون مدبرين﴾ يعني: عن النار، أي: فارين غير معجزين الله، في تفسير مجاهد.

﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَنْتَهُمْ كَبُرَ مَقَامًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ فِرْعَوْنَ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ وصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل﴾ أي: من قبل موسى ﴿بالبينات حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ أي: أنه لم يكن برسول، فلن ﴿يبعث الله من بعده رسولاً﴾ كذلك يضل الله من هو مسرف ﴿مشرک﴾ مرتاب ﴿في شك من البعث.

﴿بغير سلطان أتهم﴾ بغير حجة أتهم من الله بعبادة الأوثان ﴿كبر مقاماً عند الله﴾.

(١) قرأ نافع - في رواية ورش عنه - ﴿التنادي﴾ وصلًا، وقرأ ابن كثير ﴿التنادي﴾ وصلًا ووقفًا، وقرأ أبو عمرو ﴿التناذ﴾ وصلًا، وروى عن ابن عباس ﴿التناذ﴾. وقرأ باقي السبعة ﴿التنادي﴾.

ينظر: البحر (٤٥٥/٧)، جامع القرطبي (١٥ / ٣١١ - ٣١٢)، السبعة (٥٦٨)، التيسير (١٩٢)، الإعراب للنحاس (١٠/٣).

﴿ابن لي صرحاً﴾ قال الكلبي: يعني: قصراً ﴿لعلي أبلغ الأسباب﴾ يعني: الأبواب ﴿فأطلع إلى إله موسى﴾ الذي يزعم ﴿وإني لأظنه كاذباً﴾ ما في السماء أحد تعد الكذب.

قال الله: ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل﴾ عن طريق الهدى ﴿وما كيد فرعون إلا في تباب﴾ خسار.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَقَوْمِ اتَّيْعُونَ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ ۝٣٨﴾ يَتَقَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۝٣٩ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنفَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠﴾

﴿إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ يُسْتَمْتَع به، ثم يذهب فيصير الأمر إلى الآخرة.

﴿من عمل سيئة﴾ والسيئة ها هنا: الشرك ﴿فلا يجزى إلا مثلها﴾ النار ﴿ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن﴾ لا يقبل الله العمل الصالح إلا من المؤمن.

﴿يرزقون فيها بغير حساب﴾ قال السدي: يعني: بغير متابعة ولا من عليهم فيما يُعطون.

﴿وَيَتَقَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجَوُّعِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۝٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرُ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْفَقِيرِ ۝٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبْ

الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفْوِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾

﴿ما لي أدعوكم إلى النجاة﴾ إلى الإيمان بالله ﴿وتدعونني إلى النار﴾ إلى الكفر الذي يدخل به صاحبه النار.

﴿وأشرك به ما ليس لي به علم﴾ أي: ليس عندي علم بأن مع الله شريكاً، ولكنه الله وحده لا شريك له ﴿وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾ لمن آمن ﴿لا جرم أن ما تدعونني إليه﴾ أن أعبده ﴿ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة﴾ أي: لا يجيب من دعاه في الدنيا، ولا ينفعه في الآخرة.
قال محمد: قد مضى تفسير ﴿لا جرم﴾^(١).

﴿وأن المسرفين﴾ المشركين ﴿هم أصحاب النار﴾ ﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ إذا صرتم إلى النار ﴿وأفوض أمري إلى الله﴾ أي: أتوكل على الله ﴿إن الله بصير بالعباد﴾ أي: بأعمالهم ومصيرهم .

﴿فَوَقَدَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنَوْنَ عَنَّا بِضَيْبٍ مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ أي: عصمه من ذلك الكفر الذي دعوه إليه،

(١) ينظر: (هود: ٢٢)، (النحل: ٢٣ ، ٦٢ ، ١٠٩) .

وعصمه من القتل والهلاك الذي هلكوا به ﴿وحاق بآل فرعون﴾ وجب عليهم ﴿سوء العذاب﴾ يعني: شدته ﴿النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا﴾ قال مجاهد: يعني: ما كانت الدنيا^(١).

يحيى: عن حماد (عن)^(٢) أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ ذكر في حديث ليلة أسري به «أنه أتى على سابلة آل فرعون، حيث ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدوًا وعشيًا؛ فإذا رأوها قالوا: ربنا لا تقوم الساعة! لما يرون من عذاب الله»^(٣).

﴿ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون﴾ يعني: أهل ملته، وفرعون معهم ﴿أشد العذاب﴾.

﴿وإذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء﴾ يعني: السفلة ﴿للمذين استكبروا﴾ يعني: الرؤساء في الضلالة ﴿إنا كنا لكم تبعًا﴾ أي: دعوتونا إلى الضلالة فاطعنكم ﴿فهل أنتم مغنون عنا نصيبًا﴾ أي: جزءًا ﴿من النار﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَأْتِكُمْ رُسُلَكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۖ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ ﴿٥٢﴾﴾

(١) أي: مدة دوام الدنيا.

(٢) تحرفت في «ر» إلى: بن .

(٣) تقدم تخريجه في آخر تفسير سورة البقرة، عند تفسير قوله تعالى ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ وفي أول تفسير سورة الإسراء مطولا جدًا.

﴿ادعوا ربكم﴾ أي: سلوه ﴿يخفف عنا يومًا من العذاب قالوا﴾ يعني: خزنة جهنم ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات...﴾ الآية ﴿قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾.

يحيى: عن الحارث بن نبهان، عن سلميان التيمي قال: «إن أهل النار يدعون خزنة النار، فلا يجيبونهم مقدار أربعين سنة، ثم يكون جوابهم إياهم: ﴿أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات...﴾ الآية، ثم ينادون مالكا فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة، ثم يكون جواب مالك إياهم: ﴿إنكم ماكثون﴾ ثم يدعون ربهم فلا يجيبهم مقدار الدنيا مرتين ثم يكون جوابه إياهم: ﴿اخشثوا فيها ولا تكلمون﴾».

(كل كلام ذكر في القرآن من كلامهم كله فهو قبل أن يقول: ﴿اخشثوا فيها ولا تكلمون﴾^(١)^(٢) وقد مضى تفسيره.

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ يعني: النصر والظفر على عدوهم ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ يعني: يوم القيامة، والأشهاد: الملائكة الحفظة يشهدون للأنبياء بالبلاغ، وعليهم بالتكذيب^(٣) ﴿يوم لا ينفع الظالمين﴾ المشركين ﴿معذرتهم﴾.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ۖ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ

(١) المؤمنون: ١٠٨.

(٢) سقط من «ر».

(٣) والمفرد: شاهد ويُجمع على شهد، مثل صاحب وصخب، ويُجمع شهد على شهود وأشهاد. ينظر: لسان العرب والمعجم الوسيط (شهد).

رَبِّكَ بِالْعِشَىٰ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾

﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب﴾ بعد القرون الأولى.

﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾ يعني: ما وعده أن يعطيه في الآخرة (ل٣٠٥)، ويعطي من آمن به ﴿واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾ وهي صلاة مكة قبل أن تفترض الصلوات الخمس حين كانت الصلاة ركعتين غدوة وركعتين عشية.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ هُمُ السَّامِعُونَ﴾ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٨﴾

﴿بغير سلطان أتاهم﴾ بغير حجة أتتهم ﴿إن في صدورهم﴾ أي: ليس في صدورهم ﴿إلا كبر ما هم بباليغ﴾ يعني: أملهم^(١) في محمد وأهل دينه أن يهلك ويهلكوا.

﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ أي: أشد، يعني: شدة خلقها وكثافتها وعرضها وطولها؛ أي: فأنتم أيها المشركون تقرون بأن الله هو الذي خلقها، وتجددون بالبعث ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ﴿وما يستوي الأعمى الكافر عمي عن الهدى﴾ ﴿والبصير﴾ المؤمن

(١) في «ر»: إمامهم.

أبصر الهدى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء﴾ المشرك ﴿قليلاً ما يتذكرون﴾^(١) أي: أقلهم المتذكر؛ يعني: من يؤمن .
قال محمد: (ولا المسيء) المعنى: والمسيء، و(لا) زائدة^(٢).

﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٥٩) وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾^(٦٠)

﴿إن الساعة﴾ القيامة ﴿لآتية لا ريب فيها﴾ لا شك فيها ﴿ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ بالساعة.

﴿وقال ربكم ادعوني استجب لكم...﴾ إلى قوله: ﴿داخرين﴾ يعني: صاغرين.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم من دعائه على إحدى ثلاث: إما أن يعطى مسألته وإما أن يعطى مثله من الخير، وإما أن يصرف عنه مثله من الشر ما لم يدع يائماً أو قطيعة رحم أو يستعجل. قالوا: يا رسول الله، إذا نكث. قال: الله أكثر»^(٣).

(١) قرأ الكوفيون بالخطاب «تذكرون»، وقرأ الباقون بالغيب «يتذكرون» النشر (٢/٣٦٥).

(٢) ينظر: البيان (٢/٣٣٣)، الدر المصون (٦/٤٩).

(٣) لم أقف عليه من مراسيل الحسن.

ورواه الإمام أحمد (١٨/٣) والبخاري في الأدب المفرد (٢٤٥ - ٢٤٦ رقم ٧١٠) وابن أبي شيبه في المصنف (١٠/٢٠١ رقم ٩٢١٩) وعبد بن حميد (٢٩٢ رقم ٩٣٧) وأبو يعلى (٢/٢٩٦ رقم ١٠١٩) والبخاري - كشف الاستار (٤/٤١ رقم ٣١٤٤) - والطبراني في الصغير (٢/٩٢) والحاكم (١/٤٩٣) وأبو نعيم في الحلية (٦/٣١١ - ٣١٢) وابن عبد البر في التمهيد (٥/٣٤٣ - ٣٤٥) والبيهقي في الشعب (٢/٤٧ - ٤٨ رقم ١١٢٨ - ١١٣٠) =

الحسن بن دينار عن الحسن عن النبي ﷺ نحو ذلك قال: «قالوا: يا رسول الله، كيف يستعجل؟ قال: يقول قد دعوت الله فما أجابني وسألته فما أعطاني الله» (١).

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦١) ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَئِ تَوْفَكُونَ﴾ (٦٢) ﴿كَذَٰلِكَ يُؤَفِّكُ الَّذِينَ كَانُوا يَتَّيَبَتِ اللَّهُ يَجْحَدُونَ﴾ (٦٣) ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٤) ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٦٥)

﴿الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه﴾ يعني: تستقروا من النَّصَبِ ﴿والنهار مبصرًا﴾ أي: مضيئًا ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ لا يؤمنون ﴿فأني توفكون﴾ فكيف تصرفون عن الهدى؟! ﴿كذلك يؤفك﴾ يصرف ﴿الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾.

= وغيرهم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي.

وقال المنذري في الترغيب (٤٧٨/٢ - ٤٧٩): رواه أحمد والبخاري وأبو يعلى بأسانيد جيدة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة، انظر الترغيب (١٧٨/٢ - ١٧٩).

(١) روى مسلم (٢٠٩٥/٤ رقم ٢٧٣٥) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي».

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ مثل قوله: ﴿بَسَاطًا﴾^(١)
و﴿مَهَادًا﴾^(٢) ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ كقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾^(٣).

قال محمد: كل ما ارتفع على الأرض فالعرب تسميه بناء^(٤).

﴿وَصُورَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ أي: جعل صوركم أحسن من صور البهائم والطيور.

﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ قال السُّدِّي^(٥): يقول جعل رزقكم أطيب من رزق الدواب والطيور والجن ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ تبارك من البركة.

﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَن يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٨)

﴿هو الذي خلقكم من تراب﴾ يعني: خلق آدم ﴿ثم من نطفة﴾ نسل آدم ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ الاحتلام ﴿ثم لتكونوا شيوخًا﴾ يعني: من يبلغ حتى يكون شيخًا ﴿ومنكم من يتوفى﴾ من قبل أن يكون شيخًا ﴿ولتبلغوا أجلًا مسمى﴾ الموت ﴿ولعلكم تعقلون﴾ لكي تعقلوا.

(١) يريد قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا﴾ نوح: ١٩ .

(٢) يريد قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهَادًا﴾ النبا: ٦ .

(٣) الذريات: ٤٧ .

(٤) والجمع أبنية، وجمع الجمع: أبنيتات. ينظر لسان العرب (بنى).

(٥) في «ر»: قال الحسن.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنِّي بَصَفُّونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ
وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ
﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَى مَا كُنْتُمْ تَشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ
اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ
بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا فَبَشِّرْهُم بِمَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيدُكَ بَعْضَ
الَّذِي نَعْلَمُ أَوْ نَتَوَفَّيَكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾ يعني: يجحدون بآيات الله
﴿أنى يصرفون﴾ كيف يصرفون عنها؟! ﴿فسوف يعلمون﴾ إذا الأغلال في
أعناقهم والسلاسل يسحبون ﴿تسحبهم الملائكة﴾ أي: تجرهم على وجوههم
﴿في الحميم ثم في النار يسجرون﴾ أي: توقد بهم النار .

﴿أين ما كنتم تشركون من دون الله﴾ كقوله: ﴿أين ما كنتم تعبدون من دون
الله﴾^(١) ﴿قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً﴾ ينفعنا ولا يضرنا، قال
الله: ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ ثم رجع إلى قصتهم فقال: ﴿ذلكم بما كنتم
تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ الفرح والمرح واحد؛ أي:
بما كنتم بطرين أشرين ﴿فبئس مثوى﴾ منزل ﴿المتكبرين﴾ .

﴿فإما نريدك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب ﴿أو نتوفيك﴾ فيكون بعد
وفاتك^(٢) ﴿فإلينا يرجعون﴾ يوم القيامة .

(١) الشعراء: ٩٢ - ٩٣ .

(٢) أي: فيكون عذابهم بعد وفاتك .

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِيَرْكَبُوا مِنْهَا وَتَأْكُلُوا ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى أَفْئَالِكُمْ تَحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ أي: حتى يأذن الله له فيها، وذلك أنهم كانوا يسألون النبي ﷺ أن يأتيهم بآية وأن الآية إذا جاءت فلم يؤمن القوم أهلهم الله.

قال: ﴿فإذا جاء أمر الله﴾ قضاؤه^(١) ﴿قضي بالحق﴾ أي: أهلهم الله بتكذيبهم ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ [حين جاءهم]^(٢) (٣٠٦) العذاب ﴿المبطلون﴾ المشركون.

﴿ولتبغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ يعني: الإبل والحاجة: السفر ﴿ويريكم آياته﴾ يعني: من السماء والأرض، والخلائق وما في أنفسكم من الآيات، وما سخر لكم من شيء ﴿فأي آيات الله تنكرون﴾ أنه ليس من خلقه.

﴿أَلَمْ تَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾

(١) في «ر»: العذاب.

(٢) سقط من الأصل، والمثبت من «ر».

فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿فرحوا بما عندهم من العلم﴾ يعني: علمهم عند أنفسهم هو قولهم لن نبعث ولن نعذب ﴿وحاق بهم﴾ وجب عليهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ أي: عقاب استهزائهم.

﴿فلما رأوا بأسنا﴾ عذابنا في الدنيا ﴿قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ أي: بما كنا به مصدقين من الشرك.

قال الله: ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ عذابنا ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ المشركين أنهم إذا كذبوا رسلهم أهلكهم بالعذاب، ولا يقبل إيمانهم عند نزول العذاب، قال: ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾.

قال محمد: ﴿سنة الله﴾ منصوبٌ على معنى: سنَّ الله هذه السنة في الأمم كلها؛ ألا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب.

تفسير (حم السجدة)^(١)
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ءَايَتُهُمْ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٧﴾
قوله: ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ يعني: القرآن ﴿كتاب فصلت﴾
أي: فُتِرت ﴿آياته﴾ بالحلال والحرام، والأمر والنهي ﴿قرآنًا عربيًا لقوم يعلمون﴾ يؤمنون ﴿بشيرًا﴾ بالجنة ﴿ونذيرًا﴾ من النار.
قال محمد: ﴿تنزيل﴾ رفع بالابتداء، وخبره ﴿كتاب﴾ وجائز أن يرفع بإضمار هذا تنزيل، و﴿قرآنًا عربيًا﴾ نصبٌ على الحال^(٢).

﴿فأعرض أكثرهم﴾ أي: عنه ﴿فهم لا يسمعون﴾ الهدى؛ سمع قبول ﴿وقالوا قلوبنا في أكنة﴾ أي: في غُلفٍ^(٣) ﴿مما تدعوننا إليه﴾ يا محمد؛ فلا نعله ﴿وفي آذاننا وقْر﴾ صَمَمَ عنه فلا نسمعه ﴿ومن بيننا وبينك

(١) في «ر»: «سورة فصلت».

(٢) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (٥٥/٦).

(٣) في «ر»: «غفلة».

حجَابٌ ﴿ فلا نفقه ما تقول ﴾ فاعمل إننا عاملون ﴿؛ أي: اعمل بدينك؛
فإننا عاملون بديننا.

قال الله للنبي: ﴿ قل إنما أنا بشرٌ مثلكم يوحى إليّ ﴾ غير أنه يوحى إليّ
﴿ أنما إلهكم إلهٌ واحد فاستقيموا إليه ﴾ أي: فوحدوه ﴿ واستغفروه ﴾ من الشرك
﴿ وويل للمشركين ﴾ في النار.

﴿ الذين لا يؤتون الزكاة ﴾ أي: لا يوحدون الله.

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ ﴿٨﴾ قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ
بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ فِيهَا رَوَاسٍ مِنْ
فَوْقَهَا وَنَزَرَ فِيهَا اقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ
وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ غير ممنون ﴾ تفسير الحسن:
أي لا يمنٌ عليهم من أذى.

﴿ قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ﴾ يقوله على الاستفهام؛
أي: قد فعلتم ﴿ وتجعلون له أندادًا ﴾ أعدالاً تعدلونهم به؛ فتعبدونهم دونه
﴿ وجعل فيها رواسي من فوقها ﴾ يعني: فوق الأرض، والرواسي: الجبال
حتى لا تحرك بكم ﴿ وبارك فيها ﴾ أي: جعل فيها البركة؛ يعني: الأرزاق
﴿ وقدر فيها أقواتها ﴾ أرزاقها ﴿ في أربعة أيام ﴾ في تتمة أربعة أيام، يعني:
خلق الأرض في يومين، وأقواتها في يومين، ثم جمع الأربعة الأيام فقال:
﴿ في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ يعني: لمن كان سائلاً عن ذلك، وهي تقرأ

(في أربعة أيام سواء) ^(١) أي: مستويات ^(٢) يعني: الأيام.

قال محمد: من نصب ﴿سواء﴾ ^(٣) فعلى المصدر استوت استواء ^(٤).

﴿ثم استوى إلى السماء﴾ قال محمد: يعني: عمد لها وقصد ﴿وهي دخان﴾ ملتصقة بالأرض؛ في تفسير الحسن ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها﴾ على وجه السخرة والقدرة؛ قال هذا لهما قبل خلقه إياهما ﴿قالتا أتينا طائعين﴾ يعني: بما فيهما.

قال محمد: ﴿طوعاً أو كرها﴾ بمنزلة: أطيعا طاعة، أو تكرهان كرها ^(٥).

﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا

بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٧﴾﴾

﴿فقضاهن﴾ يعني: خلقهن ﴿سبع سموات﴾ في يومين ﴿وأوحى في كل سماء أمرها﴾ قال مجاهد: يعني: أمره الذي جعل فيها مما أراد ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ يعني: النجوم ﴿وحفظاً﴾ أي: جعلنا النجوم حفظاً للسماء من الشياطين لا يسمعون الوحي، وذلك بعد بعث محمد ﷺ.

(١) قرأ بالرفع - أي: رفع ﴿سواء﴾ - أبو جعفر، وقرأ بالجر يعقوب والحسن وزيد بن علي وغيرهم. ينظر البحر (٤٨٦/٧)، الإتحاف (٣٨٠)، جامع القرطبي (٣٤٣/١٥)، النشر (٣٦٦/٢).

(٢) لسان العرب (سوى).

(٣) وهي قراءة العامة. ينظر: الإتحاف (٣٨٠)، النشر (٣٦٦/٢)، البحر (٤٨٦/٧).

(٤) قاله مكي وأبو البقاء العكبري. ينظر: إعراب القرآن (٢٨/٣ - ٢٩)، البحر (٤٨٦/٧)، الدر المصون (٥٧/٦) وفي الأصل: استوت سواء.

(٥) ينظر: إعراب القرآن (٢٩/٣)، مجمع البيان (٦/٥)، البحر (٤٨٦/٧ - ٤٨٧)، البيان (٢/٣٣٧).

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدْفِعَهُمْ عَذَابَ الْخَزْزِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿فإن أعرضوا﴾ يعني: المشركين. ﴿فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عادٍ وثمرود﴾ يعني: العذاب. ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم﴾ أي: أنذروهم عذاب الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة﴾ أي: يخبروننا أنكم رسل الله؛ يقوله كل قوم لرسولهم.

قال الله: (٣٠٧J) ﴿فأما عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشدُّ منا قوة﴾ عجبوا من شدتهم، قال الله: ﴿أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشدُّ منهم قوة﴾.

﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ يعني: شديدة البرد؛ وهي الدبور^(١). قال محمد: الصرصر: الشديدة البرد التي لها صوت، وهي الصرّة أيضاً^(٢).

(١) وهي ريح تهب من المغرب، وتُقابل القَبُول، وتُسمى ريحُ القبول: الصَّبَا. والجمع: دُبُر، وذابائر. لسان العرب (دبر).

(٢) وقيل (صرصر) أصلها: صَرَّر؛ من الصَّرَّ، فأبدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل. ينظر لسان العرب (صرر، وصرصر).

﴿فِي أَيَّامِ نَحْسَاتٍ﴾ أي: مشنومات، وهي الثمانية الأيام التي في الحاقة^(١)، كان أولها يوم الأربعاء إلى الأربعاء الآخر.

قال محمد: قراءة نافع (نحسات) بتسكين الحاء^(٢)، واحدا نَحْسُ المعنى: هي نحسات عليهم.

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَبَجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وَأَمَّا ثمود فهديناهم﴾ أي: بينا لهم سبيل الهدى وسبيل الضلال ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ أي: اختاروا الضلالة على الهدى ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ من: الهوان^(٤) ﴿فهم يوزعون﴾ قال قتادة: لهم وزعة ترد أولاهم على أخراهم.

قال محمد: وأصل الكلمة من: وزعته إذا كففته^(٥).

﴿يوم يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم﴾ جوارحهم.

قال محمد: وأصل الكلمة: أن الجلود كناية عن الفروج.

(١) يعني قول الله - تعالى - : ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧٠].

(٢) وهي أيضًا قراءة أبي عمرو وابن كثير. ينظر: السبعة (٥٧٦)، البحر (٧/٤٩٠)، التيسير (١٩٣)، النشر (٢/٣٦٦).

(٣) ويجمع (نحس) أيضًا على نُحُوسٍ وَأُنْحُسٍ. ينظر لسان العرب (نحس).

(٤) يقال: هان فلان يهون هُونًا وَهَوَانًا وَمَهَانَةً؛ أي: ذلٌ. ينظر لسان العرب (هون).

(٥) يقال: وَزَعٌ يَزَعُ وَزَعًا. لسان العرب (وزع).

﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ انقطع ذكر كلامهم ها هنا، قال الله: ﴿وهو خلقكم أول مرة﴾ يقوله للأحياء ﴿والإله ترجعون﴾.

﴿وما كنتم تستترون﴾ أي: تتقون؛ في تفسير مجاهد ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم﴾ حسبتم ﴿أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ أهلككم ﴿فأصبحتم﴾ يعني: فصرتم ﴿من الخاسرين﴾.

﴿وإن يستعتبوا﴾ أي: يطلبوا إلى الله أن يخرجهم من النار؛ فيردهم إلى الدنيا ليؤمنوا ﴿فما هم من المعتبين﴾ أي: لا يستعتبون.

﴿وَقِضْنَا لَهُمْ قُرْآنَهُمْ فَزَيَّنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغِنَى وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْغِنَى وَالْإِنْسِ

نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾ يعني: شياطين ﴿فَزِينُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ قال الحسن: ما بين أيديهم، يعني: حب ما كان عليه آباؤهم من الشرك وتكذيبهم الرسل، وما خلفهم: تكذيبهم بالبعث ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ أي: وجب عليهم الغضب؛ في تفسير قتادة ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: مع أمم.

﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ﴾ قال السدي: نزلت في أبي جهل بن هشام كان يقول لأصحابه: إذا سمعتم قراءة محمد؛ فارفعوا أصواتكم بالأشعار حتى تلتبس على محمد قراءة ته ﴿لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ لعل دينكم يغلب دين محمد.

قال محمد: اللغو في اللغة: الكلام الذي لا يُحصل منه على نفع ولا على فائدة، ولا تفهم حقيقته، يقال منه لغا، وفيه لغة أخرى: لغى^(١).

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار ﴿رَبَّنَا أَرْنَا﴾ يعني: الرؤية، ومن قرأها (أرنا) بتسكين الراء^(٢)، فالمعنى: أعطنا^(٣) ﴿الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ يعنون إبليس، وقاتل ابن آدم الذي قتل أخاه ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ في النار يقولون ذلك من شدة الغيظ عليهم.

(١) يقال: لغا يَلْغُو لَغْوًا، وَلَغْيٌ يَلْغَى لَغًا بمعنى واحد. لسان العرب (لغو).

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر، وعاصم من رواية أبي بكر عنه. ينظر: السبعة (٥٧٦) النشر (٢/٢٢٢)، التيسير (١٩٣) وتفسير القرطبي (٣٥٧/١٥).

(٣) ورد في الكشف: أرنا بالكسر للاستبصار، وبالسكون للاستطاء ونقله عن الخليل. ينظر الكشف (٤٥٢/٣).

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ مخلصين له ﴿ثم استقاموا﴾ عليها ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ عند الموت ﴿ألا تخافوا...﴾ الآية.

تفسير الحسن: أن قول الملائكة لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا؛ تستقبلهم بهذا إذا خرجوا من قبورهم ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ أي: نحن كنا أولياءكم إذ كنتم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة، قال بعضهم: هم الملائكة الذين كانوا يكتبون أعمالهم ﴿ولكم فيها ما تدعون﴾ أي: ما تشتهون ﴿نزلًا من غفور رحيم﴾.

قال محمد: (نزلًا) منصوب بمعنى أبشروا بالجنة تنزلونها نزلًا^(١)، ومعنى نزلًا: رزقًا^(٢).

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

(١) ينظر: البحر (٤٩٧/٧)، البيان (٣٣٩/٢ - ٣٤٠)، إعراب القرآن (٣٩/٣)، مجمع البيان (١٢/٥ - ١٣).

(٢) وقال الأخفش: هو من نزول الناس بعضهم على بعض، يقال: ما وجدنا عندكم نزلًا. لسان العرب، مختار الصحاح (نزل).

وَمَا يَزْعَمُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ أَيْتَهُ
الْأَيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ
لَهُ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ ﴿٣٨﴾

﴿ومن أحسن قولاً...﴾ الآية، وهذا على الاستفهام؛ أي: لا أحد
أحسن قولاً منه ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ الحسنة في هذا الموضع
العفو والصفح، والسيئة ما يكون بين الناس من الشتم والبغضاء.
قال محمد: المعنى: ولا تستوي الحسنة والسيئة و(لا) زائدة^(١).

﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ (٣٠٨ل) يقول: ادفع بالعفو والصفح القول
القيح والأذى، كان ذلك فيما بينهم وبين المشركين قبل أن يؤمروا بقتالهم.
يحيى: عن فطر، عن أبي إسحاق الهمداني، عن أبي الأحوص، عن أبيه
قال: «قلت: يا رسول الله، إن لي جازاً وإنه يسيء مجاورتي؛ أفأفعل به كما
يفعل بي؟ قال: لا، إن اليد العليا خير من اليد السفلى»^(٢).

(١) ينظر: تفصيل ذلك في الدر المصون (٦٧/٦).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/٢٨٠ - ٢٨١ رقم ٦١٧) من طريق فطر بن خليفة عن
أبي إسحاق بنحوه.

وروى الإمام أحمد (٤٧٣/٣) والترمذي (٣٢٤/٤) رقم ٢٠٠٦ والطيالسي (١٨٤) رقم
١٣٠٤ وابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٤٦٢/٢) رقم ١٤٦٢ وابن حبان (١٢/٢٣٤)
رقم ٥٤١٦ والحاكم (٤/١٨١) والطبراني في المعجم الكبير (١٩/٢٧٦) رقم ٦٠٦ ، ١٩/
٢٧٧ رقم ٦٠٨ ، ١٩/٢٧٨ رقم ٦١٠ ، ١٩/٢٧٩) رقم ٦١٣ ، ١٩/٢٨١ رقم ٦١٨ ،
١٩/٢٨٢ رقم ٦٢١) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٢٤٥٩) رقم ٦٠٠١ والبيهقي في
السنن (١٠/١٠) وفي الشعب (٦/٢٥٩ - ٢٦٠ رقم ٨٠٧٥) وغيرهم من طرق عن =

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: قريب قرابته ﴿وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ فيقول: لا يعفو العفو الذي يقبله الله إلا أهل الجنة، وهي الحظ العظيم ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ قال قتادة: النزغ: الغضب^(١).

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ من علامات توحيده ﴿الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ خلق آياته ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾ يعني: المشركين عن السجود لله ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يعني: الملائكة ﴿يَسْبَحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ أي: يملئون. قال (مجاهد)^(٢): سألت ابن عباس عن السجدة في «حم» فقال: اسجدوا بالآخرة من الآيتين. قال ابن عباس: وليس في المفصل سجود.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي

= أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن أبيه قال: «قلت: يا رسول الله، أرايت رجلاً نزلت به فلم يكرمني ولم يقربي، ثم نزل بي، أجزيه بما صنع أم أقره؟ قال: اقره». وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وأبو الأحوص اسمه عوف بن مالك بن نضلة الجشمي.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وروى الإمام أحمد (٤٧٣/٣) وأبو داود (٣٦٨/٢) رقم (١٦٤٦) وابن خزيمة في صحيحه (٩٧/٤ - ٩٨ رقم ٢٤٤) وفي التوحيد (١٥٨/١) رقم (٨٨) وابن حبان (١٠٥/٥) رقم (٣٣٦٢) والحاكم (٤٠٨/١) والبيهقي (١٩٨/٤) وغيرهم من طريق أبي الزعراء، عن أبي الأحوص، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «الأيدي ثلاثة: بيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى؛ فأعط الفضل، ولا تعجز عن نفسك».

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. (١) وقيل: نزغ الشيطان: وسوسه ونخسه في القلب بما يُسَوِّل للإنسان من المعاصي، يعني: يُلقِي في قلبه ما يفسده على أصحابه. لسان العرب (نزغ).

(٢) في «ر»: محمد.

أَحْيَاهَا لِمَتِّى أَلْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمَنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكُنتُمْ عِزِّزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

قوله: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ يعني: غبراء متهشمة ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ يعني: انتفخت [فيها تقديم ﴿ربت﴾] ^(١) للنبات ﴿واهتزت﴾ نباتها إذا أنبت ﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى﴾ وهذا مثل للبعث ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا﴾ قال الكلبي: يعني: يميلون إلى غير الحق.

قال محمد: معنى يلحدون يجعلون الكلام على غير جهته، وهو مذهب الكلبي، ومن هذا اللحد؛ لأنه الحفر في جانب القبر، يقال: لحد وألحد [بمعنى] ^(٢) واحد ^(٣).

﴿أفمن يلقي في النار خيرٌ أمَّن يأتي آمَنًا يوم القيامة﴾ أي إن الذي يأتي آمَنًا خيرٌ ﴿اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير﴾ وهذا وعيدٌ ﴿إن الذين كفروا بالذكر﴾ يعني: القرآن.

﴿وإنه لكتاب عزيز﴾ أي: منيع ﴿لا يأتیه الباطل﴾ يعني: إبليس ﴿من بين يديه ولا من خلفه﴾ تفسير الكلبي ﴿لا يأتیه من بين يديه﴾ يعني: من قبل

(١) من «ر».

(٢) في الأصل: في معنى.

(٣) ينظر لسان العرب (لحد).

التوراة، ولا من قبل الإنجيل ولا الزبور، ليس منها شيء يكذب بالقرآن ولا يطله، ﴿ولا من خلفه﴾ لا يأتيه من بعده كتاب يطله ﴿تنزيل من حكيم﴾ في أمره ﴿حميد﴾ استحمد إلى خلقه؛ أي: استوجب عليهم أن يحمده.

﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ٤٤ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ٤٥ مِّنْ عَمَلٍ صَالِحٍ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ٤٦﴾

﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ يعني: ما قال لهم قومهم من الأذى، كانوا يقولون للرسول: إنك مجنون، وإنك ساحر، وإنك كاذب ﴿إن ربك لذو مغفرة﴾ لمن آمن ﴿وذو عقاب﴾ لمن لم يؤمن.

﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا﴾ هلا ﴿فصلت آياته﴾ أي: بينت ﴿أعجمي وعربي﴾ أي: بالعجمية والعربية على مقرا من قراها بغير استفهام ومن قراها على الاستفهام مذهبها ﴿أعجمي وعربي﴾^(١) أي: لقالوا: كتاب أعجمي (ونبي)^(٢) عربي يحتجون بذلك؛ أي: كيف يكون هذا؟!

(١) قرأ حمزة والكسائي ﴿أعجمي﴾ وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر، وأبو عمرو ﴿أعجمي﴾ وقرأ ابن عامر ﴿أعجمي﴾. ينظر: البحر (٥٠٢/٧)، السبعة (٥٧٧)، التيسير (١٩٣)، الإتحاف (٣٨١).

(٢) في «ر»: ولسان.

قال محمد: من قرأها بلا مد فالمعنى: جعل بعضه بياناً للعجم، وبعضه بياناً للعرب^(١).

قال الله: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ لصدورهم يشفيهم مما كانوا فيه من الشك والشرك ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أي: صمم عن الإيمان ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ [يزدادون عمى]^(٢) إلى عماهم إذ لم يؤمنوا ﴿أُولَئِكَ يَنَادُونَ﴾ بالإيمان ﴿مَنْ مَكَانٌ بَعِيدٌ﴾ تفسير بعضهم [بعيد من]^(٣) قلوبهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ عمل به قوم، وكفر به قوم ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ ألا يحاسب بحساب الآخرة في الدنيا لحاسبهم في الدنيا، فأدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وهذا تفسير الحسن ﴿وَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من العذاب ﴿مَرِيبٌ﴾ من الزيبة.

﴿إِلَيْهِ يَرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أَدْذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَيْءٍ﴾ (٤٧) ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجٍّ﴾ (٤٨) ﴿لَا يَسْتَعْمِلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (٤٩) ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا إِلَى وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (٥٠)

(١) ينظر: تفصيل هذه القراءة وتوجيهها في الدر المصون (٦/٦٩ - ٧٠).

(٢) سقط من الأصل.

(٣) مطموس في الأصل.

﴿إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمراتٍ من أكمامها﴾ تفسير الحسن هذا في النخل خاصة حين (ل٣٠٩) يطلع لا يعلم أحدٌ كيف يخرجهُ الله ﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه﴾ (يقول: لا يعلم وقت قيام الساعة، وما تخرج من ثمرات من أكمامها، وما تحمل من أنثى ولا تضع؛ إلا هو لا إله إلا هو) ^(١).

قال محمدٌ: الاختيار في القراءة «وما يخرج» بالياء؛ لأن ما ذكر مذكر، المعنى: والذي يخرج ^(٢).

قوله: ﴿من أكمامها﴾ يعني: المواضع التي كانت فيه مسترة، وغلاف كل شيء كُتمه، ومن هذا قيل: كم القميص ^(٣).

﴿ويوم يناديهم﴾ يعني: المشركين ﴿أين شركائي الذين زعمتم﴾ أنهم شركائي ﴿قالوا آذناك﴾ سمعناك ﴿ما منا من شهيد﴾ يشهد اليوم أن معك آلهة. قال الله: ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ في الدنيا؛ ضلت عنهم أوثانهم التي كانوا يعبدون، فلن تستجيب لهم.

قال محمدٌ: (آذناك) حقيقته في اللغة: أعلمناك ^(٤).

﴿وظنوا﴾ علموا ﴿ما لهم من محيص﴾ من ملجأ.

(١) سقط من (ر).

(٢) هكذا في الأصل، ولم أجد هذه القراءة، أما قراءة العامة فهي على وما (تخرج) بالتاء وينظر البحر (٥٠٤/٧)، مجمع البيان (١٨/٥)، إعراب القرآن (٤٦/٣).

(٣) ويجمع على: أكمَام وكِمَمَة. لسان العرب (كمم)، وقيل: الكم بكسر الكاف: ما يغطي الثمرة، بضم الكاف: ما يغطي اليد من القميص. كذا ضبط الزمخشري والراغب. ينظر الدر المصون (٧١/٦).

(٤) ومنه: أذان المؤذن الصلاة؛ أي نادى بها وأعلم، وأيضاً أذن بالصلاة، بتشديد الذال. لسان العرب (أذن).

﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ﴾ أي: لا يملُ ﴿وإن مسّه الشر فيثوس قنوط﴾ فالخير عند المشرك: الدنيا والصحة فيها والرخاء ﴿وإن مسّه الشر﴾ في ذهاب مالٍ، أو مرضٍ لم تكن له حِسْبَةٌ ^(١)، ولم يرجُ ثوابًا في الآخرة، ولا أن يرجع إلى ما كان فيه من الرخاء ﴿ولئن أذقناه رحمة﴾ يعني: رخاء وعافية ﴿من بعد ضراء﴾ أي: شدة ﴿مسته﴾ في ذهاب مالٍ، أو مرضٍ ﴿ليقولن هذا لي﴾ أي: بعلمي، وأنا محقّق بهذا! ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أي: ليست بقائمة ﴿ولئن رجعت إلى ربي﴾ كما يقولون ﴿إن لي عنده للحسنى﴾ للجنة؛ إن كانت جنة.

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِنْهُ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُخْبِطُونَ ﴿٥٤﴾﴾

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾ أي: تباعد ﴿وإذا مسّه الشر﴾ الضّر ﴿وذو دعاءٍ عريض﴾ أي: كبير.

﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ يعني: القرآن ﴿ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق﴾ في فراقٍ للنبي وما جاء به ﴿بعيد﴾ من الحق، أي: لا أحد أضل منه.

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم﴾ قال الحسن: يعني: ما أهلك به

(١) في «ر»: حسنة.

الأمم السالفة في البلدان، فقد رأوا آثار ذلك ﴿وفي أنفسهم﴾ أخبر بأنهم
تصبيهم البلايا، فكان ذلك كما قال فأظهره الله عليهم، وابتلاهم بما ابتلاهم
به.

قال يحيى: يعني: من الجوع بمكة، والسيف يوم بدر.
﴿حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ يعني: القرآن ﴿أو لم يكف بربك أنه على كل
شيء شهيد﴾ أي: شاهد على كفرهم وأعمالهم، أي: بلى كفى به شهيداً
عليهم.

قال محمد: المعنى: أو لم يكف [بربك]^(١).
﴿ألا إنهم في مرية﴾ في شك ﴿من لقاء ربهم﴾ يقولون: لا نبعث ولا نلقى
الله ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ أحاط علمه بكل شيء.



(١) من «ر»، ولعل المراد: أو لم يكفك ربك، والباء مزيدة في الفاعل. ينظر أصل هذا المعنى
من الدر المصون (٧١/٦).

تفسير سورة «حم عسق»^(١)
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝١ عَسَقٌ ۝٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ قوله: ﴿حم عسق﴾ قد مضى القول في حروف المعجم ﴿كذلك يوحى إليك﴾ أي: هكذا يوحى إليك ﴿والى الذين من قبلك﴾ من الأنبياء ﴿الله العزيز﴾ في نعمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿يكاد﴾^(٢) السموات يتفطرن ﴿أي: يتشققن﴾ من فوقهن ﴿يعني: من مخافة من فوقهن، وبلغني أن ابن عباس كان يقرأها﴾ يَتَفَطَّرْنَ من فوقهن ﴿٣﴾.

﴿ويستغفرون لمن في الأرض﴾ أي: من المؤمنين.

﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء﴾ يعني: آلهة يعبدونها من دون الله ﴿الله

(١) سورة الشورى.

(٢) في الأصل ودرء ﴿يكاد﴾ بالياء، وهي قراءة نافع والكسائي. ينظر: السبعة (٥٨٠)، النشر (٣١٩/٢)، التيسير (١٥٠)، جامع القرطبي (٤/١٦).

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وعاصم من رواية أبي بكر عنه. ولم أر من نسبها إلى ابن عباس إلا المصنف.

ينظر: الإتحاف (٣٨٢ - ٣٨٣)، التيسير (١٩٤)، الحجة لابن خالويه (٢٣٩ ، ٣١٨)، السبعة (٥٨٠)، النشر (٣١٩/٢).

حفيظٌ عليهم ﴿أي: يحفظُ عليهم أعمالهم؛ حتى يجازيهم بها﴾ وما أنت عليهم بوكيل ﴿بحفيظ تحاسبهم وتجازيهم بأعمالهم.

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَبَّ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾

﴿لننذر أم القرى﴾ مكة منها دُحيت الأرض ﴿ومن حولها﴾ يعني: الآفاق كلها ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ يوم القيامة؛ يجتمع فيه الخلائق: أهل السموات، وأهل الأرض ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ على الإيمان ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾ يعني: في دينه؛ وهو الإسلام ﴿والظالمون﴾ المشركون ﴿ما لهم من ولي﴾ يمنعهم (ل ٣١٠) من عذاب الله.

﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾ أي: قد فعلوا ﴿فالله هو الولي﴾ يعني: الرب دون الأوثان ﴿وهو يحيي الموتى﴾ وأوثانهم لا تحيي الموتى.

﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾ يعني: ما اختلفتم^(١) فيه من الكفر والإيمان ﴿فحكمه إلى الله﴾ فيدخل المؤمنين الجنة، ويدخل المشركين النار ﴿ذلكم الله ربي﴾ يقولوا للنبي ﷺ قل لهم: ذلكم الله ربي.

قال محمد: ذكر ابنُ مجاهد أن الياء ثابتة في ﴿ربي﴾ لأنها إضافة قال:

(١) في «ر»: ما اختلفوا.

ولم يختلف القراء في ثبوتها^(١).

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمَنْ الْإِنْعَامِ أَزْوَاجًا
يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا
وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ
وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾

﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ يعني: النساء.

﴿ومن الأنعام أزواجًا﴾ ذكرًا وأنثى، الواحد منها زوج^(٢).

﴿يذروكم فيه﴾ أي: يخلقكم فيه نسلاً بعد نسل ﴿ليس كمثله شيء﴾.

قال محمد: هذه الكاف مؤكدة؛ المعنى: ليس مثله شيء^(٣).

﴿له مقاليد﴾ مفاتيح؛ في تفسير قتادة.

﴿شرع لكم﴾^(٤) أي: فرض؛ في تفسير الحسن ﴿من الدين ما وصى به﴾

ما أمر به ﴿نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به﴾ أمرنا به ﴿إبراهيم وموسى

(١) أي: لأنها مضافة إلى ياء المتكلم، وهي قراءة العامة. ينظر: إعراب القرآن (٣/٥١)، البيان (٢/٣٤٥)، البحر (٧/٥٠٩)، التبيان (١١٣١).

(٢) الزوج في اللغة: كل واحد معه آخر من جنسه والجمع: أزواج، وزوجة. لسان العرب، المعجم الوسيط (زوج).

(٣) ينظر: إعراب القرآن (٣/٥٢)، البحر (٧/٥١٠)، مجمع البيان (٥/٢٤)، البيان (٢/٣٤٥).

(٤) إلى هنا انتهت المقابلة على نسخة المتحف البريطاني «ر»؛ حيث لم نثر على بقية النسخة.

وعيسى أن أقيموا الدين ﴿يعني: الإسلام﴾.

﴿كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ من عبادة الله وترك عبادة الأوثان.
﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾ أي: يختار لنفسه؛ يعني: الأنبياء ﴿ويهدي إليه﴾
إلى دينه ﴿من ينب﴾ من يخلص له .

﴿وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ
﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا
حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿وما تفرقوا﴾ يعني: أهل الكتاب ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا
بينهم﴾ أي: حسداً فيما بينهم، أرادوا الدنيا ورخاءها؛ فغيروا كتابهم، فأحلوا
فيه ما شاءوا وحرموا ما شاءوا، فترأسوا على الناس يستأكلونهم؛ فاتبعوهم
على ذلك .

قال محمد: قوله: ﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾ المعنى إلا عن علم بأن
الفرقة ضلالة، ولكنهم فعلوا ذلك بغياً؛ أي: للبغي .

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى﴾ يعني: القيامة أخروا إليها
﴿لقضي بينهم﴾ في الدنيا؛ فأدخل المؤمنين الجنة، وأدخل الكافرين النار
﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ يعني: اليهود والنصارى من بعد
أوائلهم ﴿لفي شك منه﴾ من القرآن ﴿مریب﴾ من الريبة ﴿فلذلك﴾ لما شكوا
فيه وارتابوا من الإسلام والقرآن ﴿فادع واستقم كما أمرت﴾ على الإسلام .

﴿وَأَمَرْتُ لَأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ أي: لا نظلم منكم أحداً ﴿لَا حِجَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ تفسير مجاهد: لا خصومة بيننا وبينكم في الدنيا ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم القيامة ﴿وَالِيهِ الْمَصِيرُ﴾ المزعج؛ نجتمع عنده فيجزينا ويجزيكم .

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جَحِشُهُمْ دَاخِضَةً عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ (١٦) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (١٨)

﴿والذين يحاجون في الله﴾ يعني: المشركين؛ يحاجون المؤمنين ﴿من بعد ما استجيب له﴾ يعني: من بعد ما استجاب له المؤمنون ﴿حجتهم﴾ خصومتهم ﴿داخضة﴾ باطلة ﴿عند ربهم﴾ قال مجاهد: طمع رجال بأن تعود الجاهلية .

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بالحق والميزان﴾ يعني: العدل ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾ .

قال محمد: ﴿قريب﴾ يجوز أن يكون على معنى: لعل مجيء الساعة قريب، وقد يكون بمعنى: لعل البعث قريب^(١) . والله أعلم بما أراد .

﴿يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها﴾ استهزاء وتكديفاً ﴿والذين آمنوا مشفقون منها﴾ أي: خائفون ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾ يكذبون بها ﴿لفي ضلالٍ بعيد﴾ من الحق .

(١) وقيل: ذكر ﴿قريب﴾ في معنى الوقت، وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٧/٦)، البحر المحيط (٧/٥١٣ - ٥١٤).

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ (١٩) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَمْ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ أي: فبلطفه ورحمته خُلِقَ الكافر ورزق وعوفي وأقبل وأدبر.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ يعني: العمل الصالح ﴿نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ وهو تضعيف الحسنات؛ في تفسير الحسن ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ يعني: في الجنة ﴿مِنْ نَصِيبٍ﴾ وهو المشرك لا يريد إلا الدنيا وقوله: ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ يعني: من الدنيا وليس كل ما أراد من الدنيا، لا (...)(١) يؤتى، كقوله: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ (٢).

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ هذا على (ل ٣١١) الاستفهام - أي: نعم لهم شركاء؛ يعني: الشياطين - جعلوهم شركاء فعبدوهم؛ لأنهم دعوهم إلى عبادة الأوثان ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ لا يعذب بعذاب الآخرة في الدنيا ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ فأدخل المؤمنين الجنة،

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) الإسراء: ١٨.

وأدخل المشركين النار ﴿ترى الظالمين﴾ المشركين ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿مما كسبوا﴾ عملوا في الدنيا ﴿وهو واقع بهم﴾ أي: الذي خافوا منه - من عذاب الله.

﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَعْرِفْ حَسَنَةً نَّذِلْ لَهَا فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَبِمَتَّ اللَّهُ ابْتِطَالَ وَبُحْبُوحِ الْحَقِّ يَكَلِّمَنِيهِ إِنَّمَا عَلَّمْتُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا﴾ يبشرهم في الدنيا بروضات الجنات.

﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ تفسير الحسن قال: إلا أن يتقربوا إلى الله بالعمل الصالح.

قال يحيى: كقوله: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجرٍ إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ (١) بطاعته.

﴿ومن يعترف﴾ أي: يعمل ﴿حسنة نزل له فيها حسناً﴾ يعني: تضعيف الحسنات ﴿إن الله غفور﴾ للذنوب ﴿شكور﴾ للعمل ﴿أم يقولون افترى﴾ محمد ﴿على الله كذباً﴾ أي: قد قالوه ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾

فيذهب عنك النبوة التي أعطاكها، هذا على القدرة؛ ولا يتزع منه النبوة ﴿ويمح الله الباطل﴾ فلا يجعل لأهله في عاقبته خيراً ﴿ويحق الله الحق بكلماته﴾ فينصر النبي والمؤمنين.

قال محمد: ﴿ويمحو﴾ الوقوف عليها بواو وألف، المعنى: والله يمحو الباطل على كل حال، وكُتبت في المصحف بغير واو؛ لأن الواو تسقط في اللفظ؛ لالتقاء الساكنين على الوصل، ولفظ الواو ثابت^(١).

﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ إذا تابوا. ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ أي: يستجيبون لربهم يؤمنون به ﴿ويزيدهم من فضله﴾ يعني: تضعيف الحسنات.

﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٧) ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٨) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَتْ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ (٢٩) ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ (٣٠) ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (٣١) ﴿ولو بسط الله الرزق...﴾ الآية.

يحيى: عن الخليل بن مرة أن علياً قال: «إن هذا الرزق ينتزل من السماء كقطر المطر إلى كل نفس بما كتب الله لها».

﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ المطر ﴿من بعد ما قنطوا﴾ يشوا ﴿وينشر﴾

(١) وقرأ بالوقف على ﴿يمح﴾ بالواو: يعقوب، وقنبل وابن شبنوذ. ينظر: إتحاف الفضلاء (٣٨٣).

رحمته ﴿وهو المطر﴾ وهو الولي الحميد ﴿الرب المستحمد إلى خلقه﴾ وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴿يعني: أنه يجمعهم﴾^(١) يوم القيامة ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ فبما عملت أيديكم ﴿ويعفو عن كثير﴾.

قال محمد: قرأ يحيى ﴿فبما﴾ وأهل المدينة يقرءون ﴿بما﴾ بغير فاء^(٢).

﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ يقوله للمشركين ما أنتم بساقي الله حتى لا يبعثكم ثم يعذبكم ﴿وما لكم من دون الله من ولي﴾ يمنعكم من عذابه ﴿ولا نصير﴾ يتصر لكم .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾^(٣٢) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٣٣) أَوْ يُوقِفَهُنَّ يَمًا كَسُورًا وَيَعْفَ عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّجِيصٍ﴾^(٣٥) فَأَوتَيْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَفُتِنَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٣٦) وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كَثِيرَ الْإِنَّمِ وَالْفُتُوحِشَ وَإِذَا مَا عَصَبُوا هُم بِغَفْرُونَ﴾^(٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٣٨) وَالَّذِينَ إِنَّا آصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾^(٣٩) ﴿ومن آياته الجوار السفن في البحر كالأعلام﴾ كالجبال.

قال محمد: ذكر ابن مجاهد أن نافعا قرأ ﴿الجواري﴾ بياء في الوصل وبغير بياء في الوقف^(٣).

(١) أي: أن (على) في الآية بمعنى اللام.

(٢) قرأ نافع وابن عامر ﴿بما﴾، وقرأ الباقون ﴿فبما﴾.

ينظر: السبعة (٥٨١)، البحر (٥١٨/٧)، التيسير (١٩٥)، النشر (٣٦٧/٢).

(٣) قرأ ﴿الجواري﴾ وضلاً - نافع وأبو عمرو، وقرأها (الجواري) وضلاً ووفقاً نافع وابن كثير وأبو عمرو.

ينظر: البحر (٥٢٠/٧)، التيسير (١٩٥)، النشر (٣٦٨/٢)، السبعة (٥٨١).

﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾^(١) فيظللن﴾ يعني: السفن ﴿وَرَوَاكِدْ﴾ سواكن ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ على ظهر البحر ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أي: لكل مؤمن ﴿أَوْ يُوقِظُهَا﴾ يغرّقهن؛ يعني: السفن ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ عملوا؛ يعني: أهل السفن.

﴿وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ يجحدونها ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّجِصٍ﴾ أي: ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله.

قال محمد: يقال: حاص عن الشيء؛ أي: تنحى عنه^(٢)، وتقرأ: ﴿وَيَعْلَمُ﴾ برفع الميم، وتقرأ بالنصب، وقراءة نافع بالرفع^(٣).

﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ يعني: المشركين ﴿فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ينفذ ويذهب ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ يعني: الجنة.

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ أي: ويجتنبون الفواحش ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يعني: يغفرون للمشركين، وهو منسوخ نسخه القتال، وصار ذلك العفو بين المؤمنين.

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أي: آمنوا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كانت الصلاة يوم نزلت هذه الآية ركعتين غدوة، وركعتين عشية قبل أن تفرض الصلوات الخمس ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ تفسير الحسن أي: يتشاورون في (...)^(٤)

(١) قرأ نافع وأبو جعفر ﴿الرياح﴾ بالجمع، وقرأ الباقر ﴿الريح﴾ بالإفراد. النشر (٢٢٣/٢) وإتحاف الفضلاء (٤٩٢).

(٢) يقال: حاص يَحِصُّ حِصًّا وَحِصَانًا وَمَحِصًّا. لسان العرب (حيص).

(٣) قرأ نافع وابن عامر بالرفع، وقرأ الباقر بالنصب. ينظر: البحر (٥٢١/٧)، السبعة (٥٨١)، النشر (٣٦٧/٢).

(٤) كلمتان غير واضحتين في الأصل.

﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ ولم يكن يومئذ شيء مؤقتاً .

(ل٣١٢) ﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾ إذا بغى عليهم المشركون فظلموهم

﴿هم ينتصرون﴾ بالسستهم لم يكونوا أمروا بقتالهم يومئذ .

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (٤٠)

وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ

وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ

لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا

الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٤)

﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ يعني: ما يسيء إليهم المشركون أن يفعلوا بهم

ما يفعلون هم .

قال محمد: قوله: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ فالأولى سيئة في اللفظ

والمعنى، والثانية سيئة في اللفظ وعاملها ليس بمسيء ولكنها سميت سيئة؛

لأنها مجازاة لسوء على مذهب العرب في تسمية الشيء باسم الشيء إذا كان

من سببه (١) .

﴿فمن عفا وأصلح﴾ يقول: فمن ترك مظلمته ﴿فأجره﴾ ثوابه ﴿على الله﴾

إنه لا يحب الظالمين ﴿المشركين﴾ ولمن انتصر بعد ظلمه ﴿بعد ما ظلم﴾

﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ أي: من حجة .

(١) وهو ما يعرف بالمشاكلة، وهو مبحث من مباحث علم البديع، حيث يُذكر الشيء بلفظ غيره

لوقوعه في ضيقه، كقوله تعالى: ﴿نسوا الله فنسيهم﴾ التوبة: ٦٧ . وقوله: ﴿ومكروا

ومكر الله﴾ آل عمران: ٥٤ .

﴿إنما السبيل﴾ الحجة ﴿على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق﴾ يعني: بكفرهم وتكذيبهم ﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾ موجه ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور﴾ وهذا كله منسوخ فيما بينهم وبين المشركين نسخه القتال.

﴿فما له من ولي من بعده﴾ من بعد الله يمنعهم من عذاب الله ﴿وترى الظالمين﴾ المشركين ﴿لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مرد﴾ إلى الدنيا ﴿من سبيل﴾ فنؤمن.

﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الْذَلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَالَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاءُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فََرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿ينظرون من طرف خفي﴾ أي: يسارقون النظر ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ خسروا أنفسهم أن يغنموها؛ فصاروا في النار، وخسروا أهليهم من الحور العين، وقد فسرناه في سورة الزمر^(١) ﴿ومن يضلل الله فما له من سبيل﴾ إلى الهدى ﴿استجيبوا لربكم﴾ أي: آمنوا ﴿من قبل أن يأتي يوم

(١) عند قوله تعالى ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة﴾ الزمر: ١٥.

لا مرد له ﴿ يوم القيامة، أي: لا يرده أحد بعد ما حكم الله به وجعله أجلاً ووقتاً.

﴿وما لكم من نكير﴾ أي: نصير ﴿فإن أعرضوا﴾ أي: لم يؤمنوا. ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ تحفظ عليهم أعمالهم؛ حتى تجازيهم بها ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾ وليس عليك أن تكرهمهم وقد أمروا بقتالهم بعد. ﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان﴾ يعني: المشرك ﴿منا رحمة﴾ وهذه رحمة الدنيا، وما فيها من الرخاء والعافية ﴿فرح بها﴾ كقوله: ﴿وفرحوا بالحياة الدنيا﴾ (١) لا يقرون بالآخرة ﴿وإن تصبهم سيئة﴾ من ذهاب مال، أو مرض ﴿بما قدمت﴾ عملت ﴿أيديهم فإن الإنسان كفور﴾ يعني: المشرك ليس له صبر على المصيبة ولا حسبة؛ لأنه لا يرجو ثواب الآخرة.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكُورَ﴾ (٤٩) ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَاقِبَةً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (٥٠) ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ (٥١) ﴿وكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٥٢) ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ (٥٣)

﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾ يعني: الجواري ﴿ويهب لمن يشاء الذكور أو

يزوجهم ﴿ يعني: يخلط بينهم.

قال محمد: المعنى: يجعل بعضهم ذكوراً وبعضهم إناثاً؛ تقول العرب: زوجت إبلي إذا قرنت بعضها إلى بعض، وزوّجت الصغار بالكبار إذا قرنت كبيراً بصغير^(١) وهو الذي أراد مجاهد.

﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ فكان موسى ممن كلمه الله وراء حجاب ﴿أو يرسل رسولا﴾ جبريل ﴿فيوحى بإذنه ما يشاء﴾.

قال محمد: قيل ﴿إلا وحياً﴾ يعني: إلهاماً، وتقرأ ﴿أو يرسل﴾ بالرفع والنصب؛ فمن قرأها بالنصب فالمعنى: ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا بأن يوحى أو أن يرسل، ومن قرأ بالرفع فالمعنى: أو هو يرسل^(٢).

﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً﴾ يعني: القرآن ﴿من أمرنا﴾.

قال محمد: معنى ﴿روحاً﴾ أي: ما يهتدي به الخلق؛ فيكون حياة [من الضلال]^(٣).

﴿ما كنت تدري﴾ قبل أن نوحيه إليك ﴿ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه﴾ يعني: القرآن ﴿نوراً﴾ أي: ضياء من الظلمة ﴿وإنك لتهدى﴾ لتدعو ﴿إلى صراط﴾ طريق ﴿مستقيم صراط الله﴾ طريق الله ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ يعني: أمور الخلائق.



(١) لسان العرب (زوج).

(٢) قرأ بالرفع نافع وابن عامر، وقرأ الباقون بالنصب. ينظر: البحر (٥٢٧/٧)، السبعة (٥٨٢)، النشر (٣٦٨/٢)، التيسير (١٩٥).

(٣) غير واضحة في حاشية الأصل، ولعلها كما أثبتتها.

تفسير سورة الزخرف وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّمَا فِي أَزْرِ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾

قوله: ﴿حَمْدٌ﴾ والكتاب المبين ﴿البيان﴾ وهذا قسم ﴿إنا جعلناه﴾ يعني: القرآن ﴿قرآنًا عربيًا لعلكم تعقلون﴾ لكي تعقلوا ﴿ولانه﴾ يعني: القرآن ﴿في أم الكتاب لدينا﴾ عندنا ﴿لعلي﴾ رفيع ﴿حكيم﴾ محكم، و﴿أم الكتاب﴾: (ل٣١٣) اللوح المحفوظ، وتفسير أم الكتاب: جملة الكتاب وأصله.

قال محمد: ومعنى ﴿جعلناه﴾ بيّناه، كذلك قال غير يحيى.

﴿أفنضرب عنكم الذكر﴾ يعني: القرآن ﴿صفحًا﴾ تفسير الكلبي يقول: أَنَذَرُ^(١) الذِّكْرَ من أجلكم؟! ﴿أن كنتم قوماً مسرفين﴾ مشركين أي: لا نذره. قال محمد: اقرأ ﴿أن كنتم﴾ بالفتح وبالكسر، فمن فتح فالمعنى: لأن كنتم ومن كسر فعلى الاستقبال؛ المعنى: إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر^(٢).

ويقال: ضربتُ عنه الذكر وأضربتُ بمعنى واحد إذا أمسكت^(٣). وقوله:

(١) أي: أترك. لسان العرب (وذر).

(٢) قرأ نافع وحزمة والكسائي بالكسر، وقرأ الباقون بالفتح. ينظر: السبعة (٥٨٤)، البحر (٨/

٦)، التيسير (١٩٥)، النشر (٣٦٨/٢).

(٣) لسان العرب (ضرب، صفح).

﴿صفحة﴾ أي: إعراضاً يقال: صفحت عن فلان أي: أعرضت عنه، والأصل في ذلك أنك توليه صفحة عنقك (١).

﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾ (٦) ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٧) ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨) ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ (٩) ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (١٠)

﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾ أي: كثيراً ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً﴾ يعني: أشد من مشركي العرب قوة ﴿ومضى مثل الأولين﴾ يعني: وقائعه في الأمم السالفة بتكذيبهم رسلهم ﴿ولئن سألتهم﴾ يعني: المشركين ﴿من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ ثم قال: ﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً﴾ أي: بساطاً وفراشاً ﴿وجعل لكم فيها سبلاً﴾ طرقاً ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا الطرق .

﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ (١١) ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ (١٢) ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِبِينَ﴾ (١٣) ﴿وَإِنَّا إِلَٰك رَبِّنَا لَمُقِلُونَ﴾ (١٤) ﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ .

يحيى: عن عاصم بن حكيم، عن سليمان التيمي، عن الحسن بن مسلم،

(١) يقال: صَفَحَ عنه يَصْفَحُ صَفْحًا: أعرض. وصفحة العنق: جانبه. لسان العرب (صفح).

عن ابن عباس قال: «ما عامٌّ بأكثر مطرًا من عامٍ - أو قال: ماءٌ - ولكن الله يصرفه حيث يشاء»^(١).

﴿فأنشرنا به﴾ يعني: فأحيينا به ﴿بلدة ميتًا﴾ اليابسة التي ليس فيها نبات ﴿كذلك تخرجون﴾ يعني: البعث يرسل الله مطرًا ميتًا؛ كمضي الرجال فتنبت به جسمانهم ولحمانهم؛ كما ينبت الأرض الثرى ﴿والذي خلق الأزواج كلها﴾ تفسير الحسن: يعني: الشتاء والصيف، والليل والنهار، والسماء والأرض، وكل اثنين، فالواحد منهما زوج.

قال محمد: وقيل: معنى الأزواج: الأصناف، تقول: عندي من كل زوج أي: من كل صنف.

﴿وجعل لكم﴾ أي: خلق لكم ﴿من الفلك والأنعام ما تركبون لتستوا على ظهوره﴾ ظهور ما سخر لكم؛ أي: تركبوه.

﴿وما كنا له مقرنين﴾ يعني: مطيقين، قال: تقول: أنا مقرنٌ لك؛ أي مطيقٌ لك؛ وقيل: إن اشتقاق اللفظة من قولهم: أنا قرْنٌ لفلان إذا كنت مثله في الشدة، فإذا أردت السن قلت: قرْنُهُ بفتح القاف^(٢).

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧٠٦/٨) رقم (١٥٢٤٧) والطبري في تفسيره (٢٢/١٩) وابن أبي الدنيا في المطر (٦٧ - ٦٨ رقم ٢٤، ١٠١ رقم ٧٥) والحاكم (٤٠٣/٢) والبيهقي (٣/٣٦٣) من طرق عن سليمان التيمي، عن الحسن بن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. قلت: زادوا في الإسناد: «سعيد بن جبير» والحسن بن مسلم هو ابن يثاق المكي يروي عن سعيد بن جبير ونحوه، ولم يذكر له المزي في التهذيب (٣٢٥/٦) رواية عن ابن عباس، والله أعلم.

(٢) ينظر لسان العرب (قرن).

قال قتادة: قد بين الله لكم ما تقولون إذا ركبتُم في البر، وما تقولون إذا ركبتُم في البحر؛ إذا ركبتُم في البر قلتُم: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ وإذا ركبتُم في البحر قلتُم: ﴿بسم الله مجراها ومرساها...﴾^(١) الآية.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن أيوب بن موسى، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ كان يقول: إذا ركب راحلته: بسم الله اللهم ازرنا^(٢) الأرض وهون علينا السفر، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر^(٣) وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال»^(٤).

(١) هود: ٤١.

(٢) أي: اقض واجمع. لسان العرب (زوى).

(٣) أي: شدته ومشقته، وأصله من الوعث، وهو الرمل، والمشي فيه يشتد على صاحبه ويشق، يقال: رمل أوعث، وزملة وعثاء. النهاية (٢٠٦/٥).

(٤) رواه الإمام أحمد (٤٣٣/٢) وأبو داود (٢٥٥/٣) رقم (٢٥٩١) والنسائي في الكبرى (٦/١٢٨ رقم ١٠٣٣٤) والطبراني في الدعاء (٢٥٦ رقم ٨٠٨) والبيهقي في الدعوات الكبير (٢/١٦٨ رقم ٣٩٩) وابن عبد البر في التمهيد (٣٥٦/٢٤ - ٣٥٧) من طريق محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه، ليس فيه «بسم الله».

ورواه الإمام أحمد (٤٠١/٢) والترمذي (٤٦٣/٥) رقم (٣٤٣٨) والنسائي (٨/٢٧٣ - ٢٧٤ رقم ٥٥١٦) والطبراني في الدعاء (٢٥٦ رقم ٨٠٧) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٣٥ رقم ٤٩٨) والحاكم (٩٩/٢) وابن عبد البر في التمهيد (٢٤/٣٥٤) من طريق أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وذكره الإمام مالك في الموطأ (٧٤٤/٢) رقم (٣٤) بلاغاً عن النبي ﷺ مثل حديث الكتاب. قال ابن عبد البر في التمهيد (٣٥٢/٢٤): وهذا يستند من وجوه صحاح من حديث عبد الله ابن سرجس، ومن حديث أبي هريرة، وحديث ابن عمر، وغيرهم. اهـ.

قلت: رواه مسلم (٩٧٨/٢) رقم (١٣٤٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه.

ورواه مسلم (٩٧٩/٢) رقم (١٣٤٣) عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه بنحوه.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مِنْ يَنْشَأُ فِي الْحُلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾

﴿وجعلوا له﴾ يعني: المشركين ﴿من عباده جزءاً﴾ قال مجاهد: يعني: الملائكة حيث جعلوهم بنات الله ﴿إن الإنسان لكفورٌ مبين﴾ يعني: الكافر ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ على الاستفهام ﴿وأصفاكم بالبني﴾ أي: لم يفعل ﴿وإذا بُشِّرَ أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً﴾ أي: بالأنثى لما كانوا يقولون أن الملائكة بنات الله؛ فألحقوا البنات به، فيقتلون بناتهم ﴿ظل وجهه مسوداً﴾ أي: مغيراً ﴿وهو كظيم﴾ يعني: كُظِمَ على الغيظ والحزن، أي: رضوا لله ما كرهوا لأنفسهم.

قال محمد: الكظم أصله في اللغة: الحبس^(١).

﴿أو من ينشأ في الحلية﴾ وهذا تبعٌ للكلام الأول ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾ يقول: أنتخذ من ينشأ في الحلى - يعني: النساء - بنات؟! ﴿وهو في الخصام﴾ الخصومة.

﴿غير مبين﴾ أي: لا تبين عن نفسها من ضعفها (ل٣١٤) ﴿وأصفاكم

(١) لسان العرب (كظم).

بالبنين ﴿أي: لم يفعل﴾ وجعلوا الملائكة ﴿قال السدي: يعني: وصفوا. قال محمد: الجعل ها هنا في معنى القول، والحكم تقول: جعلت فلاناً أعلم الناس؛ أي: قد وصفته بذلك وحكمت به﴾^(١).

﴿الذين هم عند﴾^(٢) الرحمن إنائاً، كقوله: ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته﴾^(٣) وقرأ ابن عباس: ﴿الذين هم عباد الرحمن﴾ كقوله سبحانه: ﴿بل عباد مكرمون﴾^(٤) ﴿أشهدوا خلقهم﴾ أي: أنهم لم يشهدوا خلقهم ﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾ عنها يوم القيامة ﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ أي: لو كره الله هذا الدين الذي نحن عليه لحولنا عنه إلى غيره، ولكن الله لم يكرهه. قال الله: ﴿ما لهم به من علم﴾ بأني أمرت أن يعبدوا غيري، إنما قالوا ذلك على الشك والظن.

﴿أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾^(٥) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن فيه ما يدعون من قولهم أن الملائكة بنات الله [وقولهم]^(٥): لو كره الله ما نحن عليه لحولنا عنه إلى غيره

(١) ينظر: لسان العرب، المعجم الوسيط (جعل).

(٢) قرأ المدنيان وابن كثير وابن عامر ويعقوب ﴿عند﴾ بنون ساكنة وفتح الدال من غير ألف على أنه ظرف، وقرأ الباقون ﴿عباد﴾ بالباء وألف بعدها ورفع الدال، جمع عبد. النشر (٣٦٨/٢) وإتحاف الفضلاء (٤٩٤).

(٣) الأنبياء: ١٩.

(٤) الأنبياء: ٢٦.

(٥) في الأصل: وقوله.

﴿فهم﴾ بذلك الكتاب ﴿مستمسكون﴾ يحاجوننا به أي: لم نؤتهم كتاباً فيه ما يقولون ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ ملة، وهي ملة الشرك ﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾ أي: أنهم كانوا على هدى ونحن نتبعهم على ذلك الهدى، قال الله: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير﴾ نبي ينذرهم العذاب ﴿إلا قال مترفوها﴾ وهم أهل السُّمعة^(١) والقادة في الشرك ﴿وإنا على آثارهم مقتدون﴾ أي: أنهم كانوا مهتدين فنحن نقتدي بهداهم.

﴿قُلْ أُولُو جِنَّتِكُمْ يَأْهَدِي مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾
 ﴿٢٤﴾ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾

قال الله للنبي ﷺ: ﴿قل^(٢)﴾ أو لو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ثم رجع إلى قصة الأمم، فأخبر بما قالوا لأنبيائهم ﴿قالوا﴾ لهم: ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾.

قال محمد: قوله: ﴿قل أو لو جنتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ المعنى: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جنتكم بأهدى منه؟!

﴿فانتقمنا منهم﴾ يعني: الذين كذبوا رسلهم ﴿فانظر كيف كان عاقبة

(١) أي: أهل الشهرة والصيت.

(٢) قرأ ابن عامر وحفص ﴿قال﴾ على الخبر، وقرأ الباقون ﴿قل﴾ على الأمر. النشر (٢/٣٦٩) وإتحاف الفضلاء (٤٩٥).

المكذبين ﴿أي: كان عاقبتهم أن دُمِّر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار﴾ وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني ﴿لكن أعبد الذي فطرني: خلقي﴾ فإنه سيهدين ﴿أي: يثيني على الإيمان.

قال محمد: قوله ﴿براء﴾ بمعنى بريء، والعرب تقول للواحد منها: أنا البراء منك، وكذلك الاثنان والجماعة، والذكر والأنثى يقولون: نحن البراء منك، والخلاء منك، لا يقولون: نحن البراء منك ولا نحن البراءون منك، المعنى: أنا ذو البراء منك، ونحن ذوو البراء منك، كما تقول: رجلٌ عدلٌ، وامرأةٌ عدلٌ، وقومٌ عدلٌ؛ المعنى: ذو عدل، و[ذات] (١) عدل هذا أفصح اللغات.

﴿وجعلها كلمة﴾ يعني: لا إله إلا الله ﴿باقية في عقبه﴾ تفسير مجاهد: في ولده ﴿لعلهم يرجعون﴾ لكي يرجعوا إلى الإيمان ﴿بل تمتع هؤلاء وآباءهم﴾ يعني: قريشاً لم أعذبهم ﴿حتى جاءهم الحق ورسول مبين﴾ محمد ﷺ.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ (٣٦) أَمْرٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٧) وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٨)

﴿وقالوا لولا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم﴾ القريتين: مكة والطائف أي لو كان هذا القرآن حقاً لكان هذان الرجلان أحق

(١) في الأصل: ذوات. والصواب ما أثبتنا؛ لأنه يعود على قوله: (امرأة عدل)؛ حيث يقال: هو ذو عدل وهي ذات عدل، وهم ذوو عدل، وهن ذوات عدل.

به منك يا محمد؛ يعنون: الوليد بن المغيرة المخزومي وأبا مسعود الثقفي؛
في تفسير قتادة.

قال محمد: ﴿على رجل من القريتين﴾ المعنى: على رجل من رَجُلَيِ
القريتين عظيم.

قال الله: ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ يعني: النبوة؛ أي: ليس ذلك في
أيديهم فيضعون النبوة حيث شاءوا ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ في
الرزق ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيًّا﴾ أي: يملك بعضهم من باب السُّخْرَةِ^(١)
﴿ورحمة ربك﴾ النبوة ﴿خير مما يجمعون﴾ خير مما يجمع المشركون من
الدنيا.

قال محمد: المعنى: فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق وفي المنزلة
كذلك (ل٣١٥) اصطفينا للرسالة من نشاء.

﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ تفسير الحسن: لولا أن تجتمعوا على
الكفر.

﴿لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها﴾ أي:
درج ﴿عليها يظهرون﴾ أي: يرقون إلى ظهور بيوتهم .

﴿وَلِبِیُوتِهِمْ أَبْوَابٌ وَسُرُرٌ عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفٌ وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعَ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا
فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا
جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَلْسُ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ

(١) وينظر في ذلك قول ابن أبي زمنين عند تفسير سورة المؤمنون الآية (١١٠).

ظَلَمْتُمْ أَتْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾

﴿ولبيوتهم﴾ أي: لجعلنا لبيوتهم ﴿أبواباً﴾ من فضة ﴿وسرراً﴾^(١) من فضة عليها يتكئون وزخرفاً والزخرف: الذهب ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا﴾ يُسْتَمْتَع به ثم يذهب ﴿والآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿عند ربك للمتقين﴾. قال محمد: واحد المعارج: مَعْرَجٌ^(٢)، ويقال: ظهرت على البيت إذا علوت سطحه^(٣).

﴿ومن يعيش عن ذكر﴾ أي: ومن يعم عن ذكر ﴿الرحمن﴾ أي: المشرك. قال محمد: قراءة يحيى ﴿يَغْشَ﴾ بفتح الشين، ومن قرأ ﴿يَعِشْ﴾ بضم الشين^(٤) فالمعنى: ومن يعرض عن ذكر الرحمن، هذا قول الزجاج، قال ابن قتيبة المعني: يظلم بصره كقوله: ﴿الذين كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكرى﴾^(٥) قال: والعرب تقول: عشوت إلى النار؛ إذا استدلت إليها يبصر ضعيف^(٦)، وأنشد للحطيث^(٧):

(١) في الأصل (وسرر).

(٢) قال الأخفش: إن شئت جعلت الواحد مَعْرَج ومَعْرَج بكسر الميم وفتحها. وواحد المعارج أيضاً: معراج. لسان العرب، مختار الصحاح (عرج).

(٣) ينظر لسان العرب (ظهر).

(٤) قراءة الضم هي قراءة العامة، وقرأ بالفتح يحيى بن سلام، وعكرمة وابن عباس، ينظر البحر (١٦/٨)، الجامع للقرطبي (٨٩/١٦).

(٥) الكهف: ١٠١.

(٦) ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (عشو).

(٧) هو جرول بن أوس بن مالك العبسي شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، لم يكذب يسلم من هجائه أحد، حتى هجا أباه وأمه ونفسه. توفي نحو (٤٥ هـ). تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (١١٨/٢).

متى تأتاه تغشوا إلى ضوء ناره تجد خير نارٍ عندها خيرٌ مُوقد^(١)
 قوله: ﴿وإنهم ليصدونهم عن السبيل﴾ سبيل الهدى ﴿حتى إذا جاءنا﴾ يعني:
 هو وقرينه: شيطانه ﴿قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين﴾.
 يحيى: عن أبي الأشهب، عن أبي مسعود الجريري^(٢) قال: «إن الكافر إذا
 خرج من قبره، وجد عند رأسه شيطانه، فيأخذ بيده فيقول: أنا قرينك حتى
 أدخل أنا وأنت جهنم».
 قال محمد: عند ذلك يقول: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس
 القرين!

قال محمد: قيل: معنى المشرقين ها هنا المشرق والمغرب؛ كما قالوا:
 سُنَّةُ العمرين؛ يراد أبو بكر وعمر^(٣)، ومثل هذا من الشعر:
 لنا قمرها والنجوم الطوالع^(٤)

-
- (١) البيت من بحر الطويل. ينظر ديوان الخطيئة (٥١)، مجالس ثعلب (٤٦٧) المقتضب (٢/٦٣)، ابن الشجري (٢/٢٧٨)، وشواهد العيني (٤/٤٣٩).
 ونسب هذا البيت في نهاية الأرب (٣/٢١٨) للشماخ، غير أن محقق ديوان الشماخ ردَّ هذه النسبة، ينظر الديوان (٤/٤٣٦).
 (٢) بعدها في الأصل: «عن» ثم كلمة غير واضحة، والأثر رواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/١٩٦) والطبري في تفسيره (٢٥/٧٤ - ٧٥) من طريق معمر عن سعيد الجريري - وهو أبو مسعود - قال: «بلغنا أن الكافر... فذكره».
 وعزه السيوطي في الدر المنثور (٦/٢٠) لابن المنذر في تفسيره أيضًا.
 (٣) وهو ما يعرف بالتغليب، تقول: القمران وتريد الشمس والقمر، وتقول: الأبوان، وتريد الأب والأم، وتقول: العمران، وتريد أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب. ينظر لسان العرب، المعجم الوسيط (غلب).
 (٤) هذا عجز بيت للفرزدق، وصدرة: أخذنا بأفاق السماء عليكم. وهو من بحر الطويل ينظر: ديوانه (٤١٩)، المقتضب (٤/٢٢٦)، مجال العلماء (٣١)، ابن الشجري (١/١٤)، (٢/١٦٠).

يريد : الشمس والقمر .

قوله : ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ إِذْ أَشْرَكْتُمْ ﴿أَنْكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾ يقرن هو وشيطانه في سلسلة واحدة ، يتبرأ كل واحد منهما من صاحبه ، ويلعن كل واحد منهما صاحبه .

قال محمد : ذكر محمد بن يزيد المبرّد أن معنى هذه الآية : أنهم مُنِعُوا رَوْحَ التَّاسِي ؛ لأن التَّاسِي يُسَهِّلُ المصيبة ، فأعلموا أنه لا ينفعهم الاشتراك في العذاب . وأنشد للخنساء :

ولولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي
فما يكون مثل أخي ولكن أعزّي النفس عنه بالتأسي^(١)

﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٤١) ﴿فَأَمَّا نَذَبَ بِكَ فَأَنَا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ﴾ (٤٢) أَوْ نُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَأَنَا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٣) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٤) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٦) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٧)﴾

قوله : ﴿أَفَأَنْتَ تسمع الصُّمَّ﴾ يعني : النبي ، تسمع الصم عن الهدى ﴿أَوْ تَهْدِي الْعُمْى﴾ عن العمى ، يقوله على الاستفهام ، أي : أنك لا تسمعهم ولا تهديهم يعني : من لا يؤمن .

(١) ينظر ديوان الخنساء (٨٧) ، القرطبي (٩١/١٦) .

﴿فإما نذهبن بك...﴾ أي: نتوفينك إلى قوله: ﴿مقتدرون﴾ أنزل الله آيات في المشركين هذه وأشباهها مما وعدهم به من العذاب؛ فكان بعض ذلك يوم بدر، وبعضه يكون مع قيام الساعة بالنفخة الأولى؛ بها يكون هلاك كفار آخر هذه الأمة.

﴿فاستمسك بالذي أوحى إليك﴾ القرآن ﴿إنك على صراطٍ مستقيم﴾ وهو الإسلام.

﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ يعني: قريشاً، أي شرف لك ولقومك ﴿وسوف تُسألون﴾ يوم القيامة، قال بعضهم: عن أداء شكره.
﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾ تفسير بعضهم: كان هذا ليلة أسري به.

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون وملأه﴾ يعني: قومه.
﴿إذا هم منها يضحكون﴾ استهزاء وتكديباً.

﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَتَأْتِيَ السَّاحِرُ أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوِي آلِ يَاسِينَ مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُفْتَرِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾

﴿وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها﴾ تفسير الحسن: كانت اليد أكبر من العصا ﴿وأخذناهم بالعذاب لعلمهم﴾ لعل مَنْ بعدهم مَتْنٌ كان على دينهم من الكفار ﴿يرجعون﴾ إلى الإيمان ﴿وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك﴾ سَلْ لنا ربك ﴿بما عهد عندك﴾ فيمن آمن ممن كشف العذاب عنهم لعلمهم يؤمنون ﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾ (ل٣١٦) أي: ينقضون عهدهم. ﴿ونادى فرعون في قومه﴾ حين جاءه موسى يدعوه إلى الله ﴿قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾ أي: في ملكي ﴿أفلا تبصرون﴾ ثم استأنف الكلام فقال: ﴿أم أنا خير﴾ أي: بل أنا خير ﴿من هذا الذي هو مهين﴾ ضعيف ﴿ولا يكاد يبين﴾ يعني: العقدة التي كانت في لسانه من الجمرة التي ألقاها في فيه وهو صغير حين تناول لحية فرعون، وقد ذكرنا ذلك قبل هذا^(١) ﴿فلولا﴾ فهلاً، يقوله فرعون ﴿ألقي عليه﴾ على موسى ﴿أساورة^(٢)﴾ من ذهب ﴿تفسير الحسن: مالٌ من الذهب. قال محمد: قيل: أساورة جمع: أسورة^(٣)﴾.

﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ يمشون جميعاً عياناً يصدقونه بمقالته بأنه رسول الله.

﴿فلما آسفونا﴾ أغضبونا ﴿فجعلناهم سلفاً ومثلاً﴾ قال مجاهد: يقول: جعلنا كفارهم سلفاً لكفار أمة محمد ﴿ومثلاً للآخرين﴾ أي: عبرة لمن بعدهم.

(١) في تفسير سورة طه عند قوله ﴿واحلل عقدة من لساني﴾ الآية: ٢٧ .
(٢) قرأ حفص ﴿أسورة﴾ بإسكان السين من غير ألف، وقرأ باقي السبعة ﴿أساورة﴾ بفتح السين وبعدها ألف. ينظر السبعة (٥٨٧)، النشر (٣٦٩/٢)، القرطبي (١٠٠/١٦).
(٣) المفرد: سوار، وجمعه: أسورة، وجمع الجمع: أساورة. وقيل: (أساورة) جمع (أساور). وقال أبو عمرو: واحدها إسوار. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (سور).

قال محمد: ومعنى ﴿سَلَفًا﴾ أي: قدمًا تقدّموا؛ في قراءة من قرأها بفتح السين واللام^(١).

﴿وَلَمَّا ضَرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (٥٧) وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾ ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدّون﴾ أي: يضحكون؛ في قراءة من قرأها بكسر الصاد، ومن قرأها برفعها ﴿يصدّون﴾ فهو من الصدود؛ أي: يفرون^(٢).

تفسير الكلبي: «لما نزلت: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾^(٣) قام رسول الله مقابل باب الكعبة، ثم اقترأ هذه الآية، فوجد منها أهل مكة وجدًا شديدًا؛ فدخل عليهم ابن الزبير الشاعر وقريش يخوضون في ذكر هذه الآية، فقال: أمحمد تكلم بهذه؟! قالوا: نعم، قال: والله إن اعترف لي بهذا لأخصمته، فلقبه فقال: يا محمد، رأيت الآية التي قرأت آنفًا، أفينا وفي آلهتنا نزلت خاصّة أم في الأمم وآلهتهم؟ قال: لا؛ بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم وآلهتهم. فقال: خصمته ورب الكعبة! أليس تُثني على عيسى ومريم والملائكة خيرًا، وقد علمت أن النصارى تعبد عيسى

(١) وهي قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي، فقد قرأ ﴿سَلَفًا﴾. ينظر: البحر (٨/ ٢٣ - ٢٤)، السبعة (٥٨٧)، التيسير (١٩٧)، النشر (٢/ ٣٦٩)، القرطبي (١٦/ ١٠٢).
(٢) قرأ بضم الصاد نافع وابن عامر والكسائي، وقرأ الباقون بكسرها. ينظر: السبعة (٥٨٧)، البحر (٨/ ٢٥)، التيسير (١٩٧)، النشر (٢/ ٣٦٩)، القرطبي (١٦/ ١٠٣).
(٣) الأنبياء: ٩٨.

وأمه، وأن طائفة من الناس يعبدون الملائكة، أفليس هؤلاء مع آلهتنا في النار؟! فسكت رسول الله وضحكت قريش وضجوا، وقالوا: ﴿آلهتنا خير أم هو﴾ يعنون عيسى. قال الله للنبي ﷺ ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً﴾ وأنزل في عيسى وأمه والملائكة ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾^(١).

وقد مضى تفسير هذا^(٢).

قال محمد: قوله ﴿إلا جدلاً﴾ أي: طلباً للمجادلة، يقال: جدل الرجل جدلاً فهو صاحب جدل^(٣).

﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه﴾ بالنبوة؛ يعني: عيسى ﴿وجعلناه مثلاً﴾ يعني: عبرة ﴿لبنی إسرائيل﴾ تفسير مجاهد: جعله الله عبرة لهم بما كان يصنع من تلك الآيات، مما يرى الأكمه والأبرص ومما علمه الله. ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ أي: يغمرون الأرض بدلاً منكم.

﴿وَإِنَّكُمْ لَعَلَّمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّكُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي﴾

(١) وقد روي هذا الحديث من طرق عن ابن عباس، انظر تخريج الكشاف (٢/٣٦٩ - ٣٧١ رقم ٨٠٥) والدر المنثور (٤/٣٧١ - ٣٧٢).

(٢) في تفسير سورة الأنبياء، الآيات: ١٠١ - ١٠٣.

(٣) يقال: جدل الرجل يجدل جدلاً: اشتدت خصومته، فهو جدل ومجدل، ومجدال، لسان العرب (جدل).

وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلَيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾

﴿وإنه لعلم للساعة﴾ رجع إلى ذكر عيسى، قال قتادة: يعني: نزول عيسى ﴿فلا تمترن بها﴾ لا تشكن فيها.

قال محمد: قوله: ﴿لعلم للساعة﴾ في قراءة من قرأ بكسر العين^(١)، المعنى: نزوله؛ يُعلم به قرب الساعة.

قوله: ﴿واتبعون هذا صراط مستقيم﴾ وهو الإسلام ﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتمكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾ يعني: من تبديلهم التوراة، وكان من البينات إحياءه الموتى بإذن الله وإبرأؤه الأكمه والأبرص، وما كان يخبرهم به مما كانوا يأكلون ويدخرون في بيوتهم، ومن البينات التي جاء بها أيضًا: الإنجيل؛ فيه ما أمروا به ونهوا عنه، قال: ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾ يقوله عيسى لهم ﴿إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾ يعني: الإسلام ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾ يعني: النصارى.

قال قتادة: «ذكر لنا أنه لما رفع عيسى انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهاءهم فقالوا للأول: ما تقول في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرض، فخلق ما خلق، وأحيا ما أحيا، ثم صعد إلى السماء. فتابعه على ذلك أناس (٣١٧) فكانت اليعقوبية من النصارى، فقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب! فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ فقال: هو ابن الله فتابعه على ذلك

(١) وهي قراءة العامة. ينظر: البحر (٢٦/٨)، جامع القرطبي (١٠٥/١٦).

أناس، فكانت النسطورية من النصارى، فقال الاثنان الآخران: نشهد إنك كاذب! فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ فقال: هو إله وأمه إله والله إله. فتابعه على ذلك أناس من الناس، فكانت الإسرائيلية من النصارى، فقال الرابع: أشهد أنك كاذب! ولكنه عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه. فاختصم القوم، فقال المسلم: أنشدكم الله، هل تعلمون أن عيسى كان يطعم الطعام، وأن الله لا يطعم الطعام؟! قالوا: اللهم نعم. قال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام، وأن الله لا ينام؟! قالوا: اللهم نعم. فخصمهم المسلم؛ فاقتتل القوم، فذكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذ وأصيب المسلم^(١). قال الله: ﴿قَوِيلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا...﴾ ﴿أشركوا، الآية.

﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٦٧﴾ يَتَّبِعُونَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ استثنى من الأخلاء المتقين، فقال: إلا المتقين منهم؛ فإنهم ليسوا بأعداء بعضهم لبعض ﴿يَا

(١) رواه الطبري في تفسيره (٨٥/١٦ - ٨٦) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٨/٢) عن معمر عن قتادة بنحوه.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٢٩٨/٤) لابن أبي حاتم أيضًا.

وروى النسائي في الكبرى (٤٨٩/٦ - ٤٩٠ رقم ١١٥٩١) والطبري في تفسيره (٩٢/٢٨) عن ابن عباس نحوه.

عبادي لا خوف عليكم اليوم ﴿١﴾ يقوله يوم القيامة .

قال محمد: تقرأ ﴿يا عبادي﴾ بإثبات الياء وحذفها، وقد تقدم القول في مثل هذا (١).

﴿ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم﴾ يعني: وحلائلكم ﴿تحبرون﴾ تكرمون.

قال محمد: الخبر في كلام العرب المبالغة في الإكرام، والخبرة أيضًا المبالغة فيما وصف بالجمال (٢).

﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾ يطوف على أذنانهم منزلة سبعون ألف غلام بسبعين ألف صحيفة من ذهب، يُغدى عليه (٣) بها، في كل واحدة منها لون ليس في صاحبها؛ يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها لا يشبه بعضه بعضًا، ويراح عليه بمثلها، ويطوف على أرفعهم منزلة كل يوم سبعمئة ألف غلام، مع كل غلام سبعمئة ألف صحيفة من ذهب فيها لون من الطعام ليس في صاحبها، يأكل من آخرها كما يأكل من أولها، ويجد طعم آخرها كما يجد طعم أولها، ولا يشبه بعضه بعضًا، قال: ﴿وأكواب﴾ أي: ويطاف عليهم بأكواب، قال قتادة: الكوب: المدور القصير العنق القصير العروة، والإبريق الطويل العنق الطويل العروة (٤) ﴿وفيها ما تشتهي الأنفس﴾ ما خطر على بالهم من شيء أتاها من غير أن

(١) ينظر سورة الزمر، آية: ٥٣ .

(٢) وهو أيضًا: الجبر. قال الأصمعي: هو الجمال والبهاء وأثر النعمة. لسان العرب، مختار الصحاح (جبر).

(٣) أي: على أذنانهم.

(٤) وقيل: الكوب: هو الكوز الذي لا عروة له، ويجمع على أكواب وأكؤب، والإبريق فارسي معرب. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (برق، كوب).

يدعوا به، وإن أحدهم ليكون في فمه الطعام، فيخطر على باله طعام غيره، فيتحول ذلك الطعام في فيه.

قال محمد: تقرأ (تشتهي) و(تشتهيه) بإثبات الهاء، وأكثر المصاحف بغير هاء، وفي بعضها الهاء. ذكره الزجاج^(١).

﴿وتلك الجنة﴾ التي وصف ﴿أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ على قدر أعمالهم، ورث الله المؤمنين منازل الكفار التي أعدت لهم لو آمنوا مع منازلهم، وهي مثل التي في المؤمنين ﴿أولئك هم الوراثة﴾^(٢).
﴿لكم فيها فاكهة كثيرة﴾.

يحيى: عن عثمان، عن نعيم بن عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فرشهم فما تصل إلى في أحدهم؛ حتى يبدل الله مكانها أخرى»^(٣).

﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (٧٤) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا بِمَكَائِكُمْ لِيُقَضَّ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَنَكُوتُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ قُرْآنًا مَّعْرُومًا ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

﴿إن المجرمين﴾ المشركين ﴿في عذاب جهنم خالدون لا يُفتر عنهم﴾

(١) قرأ نافع وابن عامر وحفص ﴿تشتهيه﴾ وقرأ الباقون ﴿تشتهي﴾. ينظر: السبعة (٥٨٩)، النشر (٣٧٠/٢)، التيسير (١٩٧)، البحر (٢٦/٨).

(٢) المؤمنون: ١٠.

(٣) لم أقف عليه من هذا الطريق، وانظر صفة الجنة لأبي نعيم (١٨٥/٢ رقم ٣٤٥) وتخريج الكشاف للزيلعي (٥٥/١ رقم ٣٣).

العذاب ﴿وهم فيه مبلسون﴾ يائسون من أن يخرجوا منها، قال: ﴿وما ظلمناهم﴾ يعني: كفار الأمم كلها؛ فنعذبهم في الآخرة بغير ذنب ﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾ لأنفسهم بكفرهم.

قال محمد: ﴿هم الظالمين﴾ هم ها هنا صلة؛ فلا موضع لها في الإعراب^(١).

﴿ونادوا يا مالك﴾ وهو خازن النار مَلَكٌ من الملائكة (٢) ﴿ليقض علينا ربك﴾ (ل ٣١٨) أي: يمتنا، يدعون مالكا؛ فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة، ثم يكون جواب مالك إياهم: ﴿إنكم ماكثون﴾.

﴿لقد جئناكم بالحق﴾ بالقرآن؛ يقوله للأحياء ﴿ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ يعني: من لا يؤمن ﴿أم أبرموا أمرا﴾ كادوا كيدا بمحمد ﴿فإنا مبرمون﴾ كائدون لهم بالعذاب، وذلك ما كانوا اجتمعوا له في دار الندوة في أمر النبي ﷺ في قوله: ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا...﴾^(٣) الآية، وقد مضى تفسير ذلك في سورة الأنفال.

﴿أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم﴾ ما كانوا يتناجون فيه من أمر النبي ﴿بلى ورسلنا﴾ (الملائكة)^(٤) الحفظة ﴿لديهم﴾ عندهم ﴿يكتبون﴾ أعمالهم.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالِدِينَ﴾ ﴿سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ

(١) ينظر تفصيل ذلك من الدر المصون (١٠٧/٦).

(٢) طمس في الأصل نحو نصف سطر.

(٣) الأنفال: ٣٠.

(٤) مشتبهة في الأصل، ولعلها كما أثبت.

الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٣﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ
الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَمْلِكْ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾

﴿قل إن كان للرحمن ولدٌ﴾ أي: ما كان للرحمن ولدٌ، ثم انقطع الكلام،
ثم قال: ﴿فأنا أول العابدين﴾ تفسير بعضهم: فأنا أول الدائنين من هذه الأمة
بأنه ليس له ولدٌ.

﴿سبحان رب السموات والأرض﴾ ينزه نفسه ﴿رب العرش عما يصفون﴾
عما يكذبون.

﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا﴾ فقد أقمت عليهم الحجة ﴿حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون﴾ يوم القيامة، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم.

﴿وهو الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ﴾ هو إله أهل السماء، وإله أهل
الأرض ﴿وهو الحكيم﴾ في أمره ﴿العليم﴾ بخلقه.

قال محمدٌ: المعنى: هو المُوَحَّدُ في السماء وفي الأرض؛ وإليه ذهب
يحيى.

﴿وعنده علم الساعة﴾ علم مجيء الساعة، لا يعلم علم مجيئها غيره.
﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه﴾ يعني: الأوثان لا تملك أن تشفع
لعابدها ﴿إلا من شهد بالحق﴾ يقول: إنما الشفاعة لمن شهد بالحق في الدنيا
﴿وهم يعلمون﴾ أنه الحق؛ تشفع لهم الملائكة.

﴿فَأَنى يُوَفِّكُون﴾ يُصدون فيعبدون غيره.

﴿وَقِيلَهُ يَنرِبِ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿٨٨﴾ فَأَصْفَح عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ

يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

﴿وقيله يا رب إن هؤلاء قوم لا يؤمنون﴾ هذا قول النبي يشكو قومه إلى الله.

قال يحيى: وهي تُقرأ على ثلاثة أوجه: ﴿قِيلَهُ﴾ و ﴿قِيلَهُ﴾ و ﴿قِيلَهُ﴾^(١) فمن قرأها بالنصب رجع إلى قوله: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ولا نسمع قِيلَهُ، ومن قرأها بالجر رجع إلى قوله: ﴿وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة﴾ وعلم قيله، ومن قرأها بالرفع فهو كلام مبتدأ يُخبر بقوله^(٢).

قال الله: ﴿فأصْفَح عَنْهُمْ﴾ وهي منسوخة نسختها القتال ﴿وقل سلام﴾ كلمة حلم، وكان ذلك أيضًا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فسوف تعلمون﴾^(٣) يوم القيامة، وهي كلمة وعيد.

(١) قرأ بالجر عاصم وحزمة، والباقون بالنصب، وقرأ الأعرج وأبو قلابة ومجاهد والحسن بالرفع.

ينظر: السبعة (٥٨٩)، التيسير (١٩٧)، النشر (٣٧٠/٢).

(٢) ينظر التوجيه التحوي لهذه القراءات من البحر (٣٠/٨) الدر المصون (١٠٩/٦ - ١١٠)، إعراب القرآن (١٠٣/٣) مجمع البيان (٥٨/٥).

(٣) قرأ المدنيان وابن عامر ﴿تعلمون﴾ بالخطاب، وقرأ الباقر ﴿يعلمون﴾ بالغيب. النشر (٢/٣٧٠) وإتحاف الفضلاء (٤٩٨).

تفسير سورة الدخان وهي مكتبة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾
 فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾
 قوله: ﴿حَمْدٌ والكتاب المبين﴾ قسم أقسم بالقرآن ﴿إنا أنزلناه﴾ يعني:
 القرآن ﴿في ليلة مباركة﴾ يعني: ليلة القدر.

يحيى: عن همام بن يحيى، عن الكلبي، عن أبي صالح [عن^(١)] ابن عباس قال: «نزل القرآن ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم جعل بعد ذلك ينزل نجومًا ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات وأقل من ذلك وأكثر. ثم تلا هذه الآية ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾»^(٢).

(١) سقطت من الأصل، وأبو صالح هو باذام مولى أم هانئ، وهذا إسناد الكلبي بتفسير ابن عباس، قال أبو عاصم النبيل: زعم لي سفيان الثوري، قال: قال لنا الكلبي: ما حدثت عن أبي صالح عن ابن عباس فهو كذب؛ فلا ترووه. انظر ترجمة الكلبي في التهذيب (٢٥٦/٢٤٦ - ٢٥٣).

(٢) هذا إسناد واهٍ، وقد روي بأسانيد أخرى:
 فرواه النسائي في السنن الكبرى (٤٨٠/٦ رقم ١١٥٦٥) والحاكم (٤٧٧/٢) والبيهقي في الشعب (٤١٥/٢ رقم ٢٢٥٠) من طريق حصين بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه به.
 وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. =

﴿إنا كنا منذرين﴾ العباد من النار ﴿فيها﴾ يعني: ليلة القدر ﴿يفرق كل أمرٍ حكيم﴾ أي: يفصل، قال الحسن: ما يريد الله أن ينزل من الوحي وينفذ من الأمور في سمائه وأرضه وخلقه تلك السنة، ينزله في ليلة القدر إلى سمائه، ثم ينزله في الأيام والليالي على قَدَرٍ حتى يحول الحول من تلك الليلة.

قوله: ﴿أمرًا من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ الرسل إلى العباد ﴿رحمة من ربك...﴾ الآية.

قال محمد: قوله: ﴿أمرًا﴾ منصوبٌ على الحال؛ المعنى: إنا أنزلناه أمرين أمرًا^(١). وقوله: ﴿رحمة من ربك﴾ أي: أنزلناه رحمة.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

= ورواه الطبري في تفسيره (٢٧/٢٠٣) من طريق حصين، عن حكيم بن جبير، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/٤٤ رقم ١٢٤٢٦) من طريق شريك عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه.

قال الهيثمي في المجمع (٧/١٢٠): رواه الطبراني، وفيه حكيم بن جبير، وهو متروك. ورواه الطبري في تفسيره (٣٠/٢٥٨) من طريق حصين عن حكيم بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه الطبري في تفسيره (٣٠/٢٥٩) والحاكم (٢/٢٢٢) من طريق منصور، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرطهما، ولم يخرجاه.

ورواه النسائي في الكبرى (٥/٧ رقم ٧٩٩١) والحاكم (٢/٢٢٣) من طريق حسان بن حريث، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه النسائي في الكبرى (٥/٦ رقم ٧٩٨٩ ، ٧٩٩٠) والطبري في تفسيره (٣٠/٢٥٨) والحاكم (٢/٢٢٢) من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنه.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(١) وفي نصبه أقوال أخرى. ينظر الدر المنصور (٦/١١١).

رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ أَفَنُكْفِرُكَ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكَ عَائِدُونَ ﴿١٤﴾ تَمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ ﴿١٥﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكَ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴿فارتقب﴾ أي: فانتظر ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ يبين ﴿يغشى الناس﴾ تفسير مجاهد: يعني: الجذب وإمساك المطر عن [كفار قريش] ^(١).

يقولون: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب﴾.

قال الله: ﴿أنى لهم الذكرى﴾ أي: كيف لهم الذكرى؟ (٣١٩ ل) يعني: الإيمان بعد وقوع هذا البلاء ﴿وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون﴾ يُعَلِّمُهُ عَبْدُ [لَبْنِي] ^(٢) الحضرمي، وكان كاهنًا؛ في تفسير الحسن. وقال بعضهم: عداس غلام عتبة بن ربيعة؛ كان يقرأ الكتب، قال الله: ﴿إنا كاشفو العذاب قليلاً﴾.

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْقِمُونَ﴾ ﴿١٦﴾

﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾.

قال محمد: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ﴾ منصوبٌ بمعنى: واذكر يوم نبطش، ويقال: يبطش بالرفع أيضًا، مثل: عَكَفَ يَغْكُفُ وَيَغْكُفُ، ومثل هذا كثير ^(٣). يحيى: عن المعلى، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن أبي الضحى ^(٤).

(١) طمس في الأصل، والمثبت من تفسير الطبري (١١٣/٢٥).

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من تفسير الطبري (١٧٨/١٤)، انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/٢٣٠٣)، الدر المنثور (٤/١٤٦).

(٣) ينظر الدر المصون (١١٤/٦)، إعراب القرآن (١١٠/٣)، البيان (٣٥٨/٢).

(٤) كذا وقع هذا الإسناد «الأعمش عن أبي وائل عن أبي الضحى» والحديث معروف من رواية =

عن مسروق، عن عبد الله بن مسعود أنه قيل له: «ها هنا رجل يزعم أنه يأتي دخان قبل يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام، وكان متكئا فغضب؛ فجلس فقال: يا أيها الناس من علم علما فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول العبد لما لا يعلم: الله أعلم، وقد قال الله لنبيه: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين﴾^(١) وسأخبركم عن الدخان: إن قريشا لما أبطثوا عن الإسلام، دعا عليهم رسول الله؛ فقال: اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف. فأصابهم الجوع؛ حتى أكلوا الميتة والعظام، حتى كان أحدهم يرى ما بينه وبين السماء دخانا من الجهد، فذلك قوله: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين...﴾ إلى قوله: ﴿إنا مؤمنون﴾ فسألوا أن يكشف عنهم العذاب فيؤمنوا، قال الله: ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين...﴾ إلى قوله: ﴿منتقمون﴾ فكشف عنهم فعادوا في كفرهم؛ فأخذهم يوم بدر، فهو قوله: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ فكان عبد الله بن مسعود يقول: قد مضت البطشة والدخان^(٢) واللزام

= «الأمش عن أبي الضحى» - كما سيأتي - ولم يذكر العزي في التهذيب (١٢/٥٤٩ - ٥٥٠) لأبي وائل رواية عن أبي الضحى، وقد رواه الداني من طريق يحيى بن سلام، وفيه كما في الأصل، والله أعلم.

(١) ص: ٨٦.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٤/١٣٨-١٣٩): وقد وافق ابن مسعود رضي الله عنه على تفسير الآية بهذا وأن الدخان مضى جماعة من السلف كمجاهد وأبي العالية وإبراهيم النخعي والضحاك وعطية العوفي، وهو اختيار ابن جرير... وقال آخرون: لم يمض الدخان بعد؛ بل هو من أمارات الساعة كما تقدم من حديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: «أشرف علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذكر الساعة فقال ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو تحشر الناس - تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا» تفرد بإخراجه مسلم في صحيحه. اهـ.

والروم والقمر»^(١).

قال محمد: قيل للجوع: دخان، لئیس الأرض في سنة الجذب، وانقطاع النبات وارتفاع الغبار، فشبّه ما يرتفع منه بالدخان، ومن كلامهم: جوعٌ أغبرٌ وسنةٌ غبراء لسنة المجاعة^(٢).

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّ لَكَ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩﴾ وَإِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿١٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزُّ لِي ﴿١١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَبْ لَاءَ قَوْمٍ مُّجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ يَعْبادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبَعُونَ ﴿١٣﴾ وَأَتْرِكُ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿١٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ﴿١٦﴾ وَنَعْمَ كَانُوا فِيهَا فِتْنَكِيمٍ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿ولقد فتنا قبلهم﴾ أي: اخترنا قبلهم ﴿قوم فرعون﴾ بالدين؛ كقوله: ﴿وإن كنا لمبتلين﴾^(٣) لمختبرين بالدين.

(١) رواه الداني في الفتن (١٠٠٣/٥ - ١٠٠٥ رقم ٥٣٦) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام.

ورواه الإمام أحمد (١/٣٨٠ - ٣٨١، ٤٤١)، والحميدي (١/٦٣ - ٦٤ رقم ١١٦) والطيالسي (٣٨ رقم ٢٩٣) والبخاري (٢/٥٧٢ رقم ١٠٠٧، ٢/٥٩٢ رقم ١٠٢٠، ٨/٢١٤ رقم ٤٦٩٣، ٨/٣٧٠ رقم ٤٧٧٤، ٨/٤٩ رقم ٤٨٠٩، ٨/٤٣٤ - ٤٣٥ رقم ٤٨٢١، ٨/٤٣٥ رقم ٤٨٢٢، ٨/٤٣٦ رقم ٤٨٢٣) ومسلم (٤/٢١٥٥ - ٢١٥٦ رقم ١٧٩٨) والترمذي (٥/٣٥٣ - ٣٥٤ رقم ٣٢٥٤) والنسائي في الكبرى (٦/٤٥٥ رقم ١١٤٨١، ٦/٤٥٦ رقم ١١٤٨٣) والطبري في تفسيره (٢٥/١١١) وابن حبان (١٤/٥٤٨ - ٥٤٩ رقم ٦٥٨٥) وغيرهم من طريق الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) لسان العرب (غبر).

(٣) المؤمنون: ٣٠.

﴿وجاءهم رسول كريم﴾ على الله، يعني: موسى ﴿أن أدوا إليّ عباد الله﴾ أرسلوا معي بني إسرائيل؛ في تفسير مجاهد ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على ما أتاني من الله، لا أزيد فيه شيئاً ولا أنقص منه شيئاً.

﴿وأن لا تعلوا على الله﴾ أي: لا تستكبروا عن عبادة الله ﴿إني آتيكم﴾ أي: قد أتيتكم ﴿بسلطان مبين﴾ بحجة بينة ﴿وإني عذتُ بربي وربكم أن ترجمون﴾ يعني: القتل بالحجارة ﴿وإن لم تؤمنوا لي﴾ تصدقوني ﴿فاعتزلون﴾ حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قال محمد: قيل: المعنى: فإن لم تؤمنوا لي؛ فلا تكونوا عليّ ولا معي. ﴿فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون﴾ مشركون.

قال محمد: من قرأ (إن) بالكسر فعلى معنى: قال: إن هؤلاء، ويجوز الفتح بمعنى: بأن هؤلاء^(١).

﴿فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون﴾ أي: يتبعكم فرعون وجنوده ﴿واترك البحر رهوا﴾ قال مجاهد: يعني: ساكناً بعد أن ضربه موسى بعصاه.

﴿ومقام كريم﴾ أي: منزل حسن ﴿ونعمة كانوا فيها فاكهين﴾ أي: مسرورين. قال الله: ﴿كذلك﴾ أي: هكذا كان الخبر ﴿وأورثناها قومًا آخرين﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾.

يحيى: عن حماد، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: «للمؤمن بابان في السماء، أحدهما يصعدُ منه عمله، والآخر ينزل منه رزقه، فإذا مات

(١) العامة على الفتح بإضمار حرف الجر؛ أي: دعاه بأن هؤلاء، وابن أبي إسحاق وعيسى والحسن بالكسر على إضمار القول عند البصريين، وعلى إجراء (دعا) مجرى القول عند الكوفيين. الدر المصون (١١٤/٦) البحر المحيط (٣٤/٨).

بكيا عليه»^(١).

قال أبان العطار: بلغني أنهما يكيان عليه أربعين صباحًا.

﴿وما كانوا منظرين﴾ من العذاب يعني: الغرق .

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا نَبِيًّا إِسْرَافِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَنبَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَكَؤًا مُبِيتٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَنذَرْنَا نَبَأَآئِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهَمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبِيعَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ

(١) هذا موقوف، وقد روي مرفوعًا؛ فرواه الترمذي (٣٥٤/٥ - ٣٥٥ رقم ٣٢٥٥) وأبو يعلى (١٦٠/٧ - ١٦١ رقم ٤١٣٣) وأبو نعيم في الحلية (٣٢٧/٨) والخطيب في تاريخه (١١/٢١٢) والبغوي في تفسيره (٢٣٢/٧) من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي ﷺ فرفعه.
ورواه أبو نعيم في الحلية (٥٣/٣) من طريق صفوان بن سليم عن يزيد الرقاشي به مرفوعًا.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد ابن أبان يضعفان في الحديث.
وقال الهيثمي في المجمع (١٠٥/٧): رواه أبو يعلى، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

وقال ابن حجر في المطالب (١٥٥/٤): هذا إسناد ضعيف.
وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢٦٩/٦): هذا إسناد ضعيف؛ لضعف يزيد الرقاشي وموسى بن عبيدة الربذي.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٣/٦) لابن أبي الدنيا في ذكر الموت، وابن أبي حاتم وابن مردويه.

ورواه الطبري في تفسيره (١٢٤/٢٥ - ١٢٥) عن ابن عباس ؓ موقوفًا.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣٣/٦) لعبد بن حميد وابن المنذر، والبيهقي في شعب الإيمان.

إِنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

(ل ٣٢٠) ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عاليًا من المسرفين﴾ أي: المتكبرين ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين﴾ على عالم زمانهم الذي كانوا فيه ﴿وآتيناهم﴾ يعني: أعطيناهم ﴿من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ نعمة بيّنة.

﴿إن هؤلاء﴾ يعني: مشركي العرب ﴿ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين.

قال محمد: يقال: أنشَر الله الموتى؛ فنشروا^(١).

﴿فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾ أي: فأحيوا لنا آباءنا، حتى نصدقكم بمقالتكم أن الله يحيي الموتى. قال الله: ﴿أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم﴾ من الكفار أي: أنهم ليسوا بخير منهم؛ يخوفهم بالعذاب.

﴿ما خلقناهما إلا بالحق﴾ للبعث وللحساب، وللجنة والنار ﴿ولكن أكثرهم﴾ جماعة المشركين ﴿لا يعلمون﴾ أنهم مبعوثون ومحاسبون ومجازون.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْعَبُ ﴿٤١﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٢﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ

(١) لسان العرب (نشر).

أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿إن يوم الفصل﴾ يعني: القضاء ﴿مِقاتهم أجمعين﴾ أي: مِقات بعثهم ﴿يوم لا يغني مولى عن مولى﴾ ولي عن ولي ﴿شيئاً﴾ أي: لا يحمل من ذنوبهم شيئاً ﴿ولا هم ينصرون﴾ يُمنعون من العذاب ﴿إلا من رَحِمَ اللَّهُ﴾ قال الحسن: يعني: من المؤمنين يشفع بعضهم لبعض؛ فينفعهم ذلك عند الله. ﴿إن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ المشرك ﴿كالمهل﴾ المهل: ما كان ذاتاً من الفضة والنحاس وما أشبه ذلك.

قال محمد: وقيل: المهل: عكر الزيت الشديد السواد^(١).

﴿تغلي^(٢) في البطون كغلي الحميم﴾ يعني: الماء الشديد الحر ﴿خذوه فاعتلوه﴾ قال الحسن: يعني: فجرؤوه ﴿إلى سواء الجحيم﴾ وسط الجحيم. قال محمد: العتلُ في اللغة أن يُمضَى به بعثٌ وشدة، يقال منه: عتلَ يَعتُلُ، وفيه لغة أخرى: يَعتُلُ^(٣).

﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ كقوله: ﴿يُصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد﴾^(٤) يُقَمَعُ بالمقمة، فتحرق رأسه، فيُصبُّ على رأسه الحميم، فيدخل في فيه

(١) وقيل: دردي الزيت، وقيل: عكر القطران، وقيل غير ذلك. انظر: الدر المصون (٦/١١٨)، لسان العرب (مهل).

(٢) هكذا في الأصل، وهي قراءة السبعة، إلا ابن كثير وعاصم؛ فقد قرأ بالياء؛ فالتاء لتأنيث (شجرة) والياء لتذكير (المهل) ينظر: السبعة (٢٩٢)، التيسير (١٩٨)، كشف المشكلات (١٢٢٢/٢).

(٣) ينظر لسان العرب (عتل).

(٤) الحج: ٢١.

حتى يصل إلى جوفه .

﴿ذوق إنك أنت العزيز الكريم﴾ يعني : المنيع الكريم عند نفسك ، إذ كنت في الدنيا ولست كذلك ، قال بعضهم : نزلت في أبي جهل كان يقول : أنا أعز قریش وأكرمها ﴿إن هذا﴾ يعني : (العذاب) ^(١) ﴿ما كنتم به تمترون﴾ تشكون في الدنيا أنه كائن .

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوتٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَلِبِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمُ الْجِجَمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَزْنَقَبْ إِنَّهُمْ مُّرتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿إن المتقين في مقام﴾ في منزل ﴿أمين﴾ أي : هم آمنون فيه من الغير ^(٢) .

قال محمد : من قرأ ﴿مقام﴾ برفع الميم فهو من قولهم : أقام مقامًا ، ومن قرأ بفتح الميم فهو من قولهم : قام يقوم ^(٣) .

﴿يلبسون من سندس وإستبرق﴾ تفسير الحسن : هما جميعًا حرير .

قال محمد : قيل الإستبرق : الديباج الصفيق الكثيف ، والسندس : الرقيق ^(٤) .

(١) مشتبهة في الأصل ، ولعلها كما أثبتة .

(٢) أي : حوادث الدهر ونوازله . لسان العرب (غير) .

(٣) قرأ نافع وابن عامر ﴿مقام﴾ بضم الميم ، وقرأ الباقر : ﴿مقام﴾ بفتح الميم . النشر ٢/

(٣٧١) إتحاف الفضلاء (٥٠٠) القرطبي (١٥٢/١٦) .

(٤) لسان العرب (برق) ، (إستبرق) ، (سندس) .

قال كعب: في الجنة شجر تُثَبِّتُ الإستبرق والحريز؛ منه يكون لباس أهل الجنة.

قوله: ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض إذا تزاوروا؛ في تفسير بعضهم.

﴿كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ تفسير الحسن، أي: كذلك حكم الله لأهل الجنة بهذا؛ والْحُورُ^(١): البيضُ؛ في تفسير قتادة، والعِينُ^(٢): عظامُ العيون.

قال محمد: قوله: ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ﴾ أي: قَرَّنَاهُمْ بهن.

﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ أي: يأتيهم ما يشتهون فيها ﴿آمِنِينَ﴾ من الموت ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ وليس ثمَّ مَوْتَةٌ، إنما هي هذه المَوْتَةُ الواحدة في الدنيا.

﴿فَضَلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ النجاة العظيمة من النار إلى الجنة.

قال محمد: ﴿فَضَلًا﴾ منصوبٌ بمعنى: وذلك بفضلٍ من الله، أي: فعل ذلك منه فضلًا^(٣).

﴿فَإِنَّمَا يُسْرِنَا﴾ يعني: القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ يعني: النبي، لولا أن الله يسره

بلسان محمد ما كانوا ليقرووه ولا يفقهوه ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ لكي يتذكروا ﴿فَارْتَقِبْ﴾ فانتظر العذاب، فإنه واقعٌ بهم ﴿إِنَّهُمْ مَرْتَقِبُونَ﴾ منتظرون.



(١) والواحدة: حوراء، لسان العرب (حور).

(٢) والواحدة: عيناء. لسان العرب (عين).

(٣) أي: مفعول لأجله. ينظر: إعراب القرآن (٣/١٢٠)، البيان (٢/٣٦٢).

تفسير سورة الجاثية وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَأَخْلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ؕ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥ نَذَرَ ؕ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَابَتِهِ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

﴿حَمْدٌ تنزيل الكتاب [من الله العزيز الحكيم إن في السموات والأرض آيات للمؤمنين وفي خلقكم وفي ما يبتث في خلقكم]﴾^(١) [٣٢١ ل] من تراب؛ يعني: خلق آدم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة، وفي الأسماع والأذان وما لا يحصى من خلق الله في الإنسان. ﴿وما يبتث﴾ يخلق.

قال محمد: (يبث) فيه لغتان تقول: بئثك ما في نفسي، وأبئثك أي: بسطته لك^(٢).

﴿آيات لقوم يوقنون﴾.

قال محمد: من قرأ (آيات) بالرفع فعلى الاستثناء^(٣) والمعنى: وفي خلقكم آيات^(٤).

(١) سقطت من الأصل.

(٢) لسان العرب (بثث).

(٣) هكذا في الأصل وهو تحريف عن الصواب، والمراد: الابتداء. وينظر: إعراب القرآن (٣/ ١٢٤)، البيان (٢/ ٣٦٣ - ٣٦٤)، البحر المحيط (٨/ ٤٢).

(٤) قرأ حمزة والكسائي (آيات) بالكسر، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر السبعة (٥٩٤)، التيسير (١٩٨).

﴿واختلاف﴾ أي: وفي اختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزقٍ يعني: المطر فيه أرزاق الخلق ﴿فأحيا به الأرض بعد موتها﴾ بعد إذ كانت يابسة لا نبات فيها.

﴿وتصريف﴾ أي: وتلوين ﴿الرياح﴾ في الرحمة والعذاب ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ وهم المؤمنون .

﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ يصدقون أي: ليس بعد ذلك إلا الباطل.

﴿وَبَلَّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنْزِلُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرُهُ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَاتِنَا شَيْئًا أَخَذَهَا هُمُومًا أَوْلَتْكَ لَمْ يَعْلَمْ مُهَيِّئٌ ﴿٩﴾ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا أُخْذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءُ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَعْلَمُوا عَذَابٌ مِّنْ رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾﴾
﴿وبل لكل أفَّاكٍ أثيم﴾ أي: كذاب ﴿أثيم﴾ يعني: المشرك.

﴿ثم يصر﴾ على ما هو عليه ﴿مستكبراً﴾ عن عبادة الله ﴿كأن لم يسمعها﴾ يعني: آيات الله، أي: بلى قد سمعها، وقامت عليه الحجة بها.

﴿من ورائهم جهنم﴾ يعني: أمامهم وهي كلمة عربية، تقول للرجل: من ورائك كذا؛ لأمر سيأتي عليه^(١).

قال محمد: وقد يكون «وراء» بمعنى بُعد^(١)، وقد تقدم ذكر هذا^(٢).
﴿ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئاً﴾ تفسير الحسن: ما عملوا من الحسنات،

(١) لسان العرب (وراء).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه﴾ [البقرة: ٩١].

يبتل الله أعمالهم في الآخرة ﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾ آلهة؛
يعني: الأوثان التي عبدوها لا تغني عنهم شيئاً.

قوله: ﴿هذا﴾ يعني: القرآن ﴿هذى﴾ يهتدون به .

قوله: ﴿لهم عذاب من رجز أليم﴾ أي: موجع .

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِيَجْزِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ﴾

﴿ولتبتغوا من فضله﴾ يعني: طلب التجارة في السفر ﴿ولعلكم تشكرون﴾
(لكي تشكروا)^(١) أي: تؤمنوا ﴿وسخر لكم﴾ [أي]^(٢) خلق لكم ﴿ما في
السموات وما في الأرض جميعاً منه﴾ أي: كل ذلك تفضل منه؛ يعني: مما
سخر في السموات: الشمس والقمر والنجوم والمطر، وبما سخر في
الأرض: الأنهار والبحار وما ينبت في الأرض من النبات، وما يستخرج من
الذهب والفضة وغير ذلك مما يُنتفع به، فذلك كله بتسخير الله .

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾
﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ يعني: المشركين؛ فأمر
الله المؤمنين أن يغفروا لهم ﴿ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون﴾ يعملون؛
يجزي المؤمنين بحلمهم عن المشركين، ويجزي المشركين بشركهم، وكان

(١) تكرار في الأصل.

(٢) مطموس في الأصل والسياق يقتضيه.

هذا قبل أن يؤمروا بقتالهم، ثم نسخ ذلك بالقتال.
 ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾ أي: يجده عند الله ﴿ومن أساء فعليها﴾ أي:
 فعلى نفسه.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَأَتَيْنَاهُم بِبَنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا
 يَبْهَتُهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾﴾
 ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب﴾ أي: أنزلناه عليهم ﴿والحكم﴾ قال
 قتادة: يريد الحكمة، وهي السُّنة ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ ما أحل لهم
 ﴿وفضلناهم على العالمين﴾ يعني: عالمي زمانهم ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما
 جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ أرادوا الدنيا ورخاءها، فغيروا كتابهم وأحلوا فيه ما
 شاءوا وحرموا ما شاءوا، فترأسوا على الناس يستأكلونهم ﴿إن ربك يقضي
 بينهم...﴾ الآية، فيكون قضاؤه فيهم أن يدخل المؤمنين منهم الذين تمسكوا
 بدينهم الجنة، ويدخل الكافرين النار.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾
 إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُكَ لِلنَّاسِ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا
 السَّيِّئَاتِ أَن نَّبْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءٌ نَّحْيِيهِمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا
 يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلَئِذَا جِزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر﴾ تفسير الحسن: الشريعة: الفريضة

﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يعني: المشركين ﴿إِنَّهُمْ لَنُيْغْوُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: إن اتبعت أهواءهم عذبتك ولم يغيروا عنك شيئاً، وقد [عصمه] ^(١) الله من ذلك، وقضى أن يثبت على ما هو عليه ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في الدنيا، وهم أعداء في الآخرة؛ يتبرأ بعضهم من بعض. ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ يعني: القرآن ﴿وَهَدًى﴾ يهتدون به ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

قال محمد: واحد البصائر: بصيرة ^(٢).

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾ اكتسبوا ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ الشرك.

قال محمد: فمعنى ﴿اجْتَرَحُوا﴾: [اكتسبوا] ^(٣) ويقال: فلان جارح أهله، وجارحه أهله، أي: [كاسبهم] ^(٣) (٣٢٢ل) ومنه قيل لذوات الصيد: جوارح. ﴿أَنْ نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: لا نجعلهم مثلهم، الذين آمنوا وعملوا الصالحات في الجنة، والمشركون في النار، وهذا لقول أحدهم: ﴿وَلْتَنْ رُجِعَتْ إِلَى رَبِّي﴾ كما يقولون: ﴿إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ﴾ ^(٤) يعني: الجنة؛ إن كانت جنة ﴿سواء﴾ محياهم ومماتهم ﴿مقرأ﴾ مجاهد بالرفع: ﴿سواء﴾ مبتدأ، المعنى: المؤمن مؤمن في الدنيا والآخرة والكافر كافر، ومقرأ الحسن بالنصب: ﴿سواء﴾ على معنى: أن يكونوا سواء، أي: ليسوا سواء ^(٥) ﴿سواء ما﴾ بثما ﴿يحكمون﴾ أن يجعلهم سواء ﴿وخلق الله

(١) لم يظهر منها في الأصل إلا حرف العين، ولعلها كما أثبتته، والله أعلم.

(٢) لسان العرب (بصر).

(٣) طمس في الأصل، وانظر لسان العرب (جرح).

(٤) فصلت: ٥٠.

(٥) قرأ بالنصب: حمزة والكسائي وحفص عن عاصم، وقرأ الباقون بالرفع، ينظر: السبعة

(٥٩٥)، التيسير (١٩٨)، النشر (٣٧٢/٢)، البحر (٤٨/٨).

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ ﴿٢١٤﴾ أَي: لِلْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٢١٣) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢١٤﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ هو المشرك، اتخذ هواه إلهاً؛ فعبد الأوثان من دون الله.

قوله: ﴿وأضله الله على علم وختم على سمعه﴾ فلا يسمع الهدى من الله، يعني سَمِعَ قبول ﴿وقلبه﴾ أي: وختم على قلبه؛ فلا يفقه الهدى. ﴿وجعل على بصره غشاوة﴾ فلا يبصر الهدى ﴿فمن يهديه من بعد الله﴾ أي: لا أحد ﴿أفلا تذكرون﴾.

قال محمد: غشاوة: غطاء، ومنه غاشية السَّرج^(١)، وأنشد بعضهم:
صَحْبَتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشَاوَةٌ فَلَمَّا انْجَلَتْ قَطَعْتُ نَفْسِي أَلْوَمَهَا^(٢)
ويقال: غشاوة برفع الغين، وغشاوة بفتحها بغير ألف^(٣)، وقد قرئ بهما^(٤).

(١) لسان العرب: (غشو).

(٢) البيت للحرث المخزومي. وهو من بحر الطويل. ويروى: (تبعتك) بدل (صحبتك) ويروى (أذيمها) بدل (ألومها) ينظر: البحر المحيط (٤/٢٦٥)، لسان العرب (غشو)، مجاز القرآن (٣١/١).

(٣) وفيها لغات: غَشْوَةٌ وِغْشَاوَةٌ وِغْشَاوَةٌ. ينظر لسان العرب (غشو).

(٤) قرأ الأخوان: (غَشْوَةٌ)، والأعمش وابن مصرف: (غَشْوَةٌ)، وباقي السبعة: (غِشَاوَةٌ)، وابن مسعود: (غِشَاوَةٌ)، والحسن وعكرمة: (غِشَاوَةٌ) وهي لغة عكيلة. ينظر: الدر المصون (٦/١٣٠).

وقوله: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: نموت ونولد. قال محمد: المعنى: يموت قومٌ ويحيا قومٌ؛ وهو الذي أراد يحيى. ﴿وَمَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ الزمان، أي: هكذا كان من قبلنا، وكذلك نحن. قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ بأنهم لا يبعثون ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ إن ذلك منهم إلا ظن.

قال محمد: (إن) بمعنى (ما) ^(١) أي: ما هم إلا يظنون.

﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْسَوْنَ مَا كَانُوا حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ^(٢٥) قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ ثُمَّ يُمِيزُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ^(٢٦) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْشَرُ الْمَبْطُلُونَ ^(٢٧) وَرَأَى كُلُّ أَتَمَةٍ جَثِيَّةً كُلُّ أَتَمَةٍ نَدَعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ^(٢٨)﴾

قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ إشارات ما كان حجتهم إلا أن قالوا اتَّبَعْنَا آبَاءَنَا أحيوا آباءنا حتى يصدقوكم بمقاتلتكم، بأن الله يحيي الموتى، قال الله جواباً لقولهم: ﴿قُلِ اللَّهُ يَحْيِيكُمْ﴾ يعني: هذه الحياة ﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ﴾ يعني: الموت ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك فيه؛ يعني: البعث ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مبعوثون.

قال محمد: من قرأ ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ بالنصب جعل اسم كان (أن) مع صِلَتِهَا، ويكون المعنى: ما كان حجتهم إلا مقاتلتهم، ومن قرأ ﴿حُجَّتَهُمْ﴾ بالرفع جعل (حُجَّتَهُمْ) اسم كان و﴿أَنْ قَالُوا﴾ خبر كان ^(٢).

(١) مغني اللبيب (٣٠/١).

(٢) قرأ العامة بالنصب، وقرأ زيد بن علي وعمرو بن عبيد وعبيد بن عمرو بالرفع، وفي توجيه النصب والرفع تأويلات نحوية أخرى. ينظر: الدر المصون (١٣١/٦).

قوله: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾ المكذبون بالبعث ﴿وترى كل أمة﴾ يعني: كفارها؛ في تفسير الحسن.

﴿جاثية﴾ على الركب؛ في تفسير قتادة ﴿كل أمة تدعى إلى كتابها﴾ إلى حسابها، وهو الكتاب الذي كتبت عليهم الملائكة.

قال محمد: يقال: جثا فلان يجثو إذا جلس على ركبته، ومثله جدًا يجذو، والجذو أشد استقرارًا من الجثو؛ لأن الجذو أن يجلس صاحبه على أطراف أصابعه^(١).

ومن قرأ ﴿كل أمة﴾ بالرفع رفع (كل) بالابتداء، والخبر ﴿تدعى إلى كتابها﴾ ومن نصب جعله بدلًا من (كل) الأول، المعنى: وترى كل أمة ﴿تدعى إلى كتابها﴾^(٢).

﴿اليوم تجزون﴾ أي: يقال لهم: اليوم تجزون.

﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ

آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ

كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنَادِي عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾

﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ أي: ننسخ ما في كتب الحفظة، وثبت عند الله - عز وجل.

يحيى: عن نعيم بن يحيى، عن الأعمش، عن أبي ظبيان، عن ابن عباس

(١) ينظر لسان العرب (جثو) (جذو).

(٢) العامة على الرفع، ويعقوب قرأ بالنصب. وفي التوجيه النحوي أقوال أخرى. ينظر: النشر (٣٧٢/٢)، كشف المشكلات (١٢٣٢/٢)، البحر (٥٠/٨).

قال: «أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب. قال: رب؛ ما أكتب؟! قال: ما هو كائن. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»^(١).

(١) رواه وكيع في نسخته عن الأعمش (٥٦ - ٥٧ رقم ٤) وعبد الرزاق في تفسيره (٣٠٧/٢) والطبري في تفسيره (١٤/٢٩) وفي تاريخه (٣٣/١ ، ٥٠ ، ٥١) وأبو الشيخ في العظمة (٤/١٣٨٠ رقم ٨٩٧) وابن منده في التوحيد (٩٣/١ - ٩٤ رقم ١٤ ، ١٥) والحاكم (٢/٤٩٨) والآجري في الشريعة (١/٢٢٨ رقم ١٩٧ ، ١/٣٥٩ رقم ٣٨٨) وابن بطة في الإبانة في كتاب القدر (١/٣٣٨ - ٣٣٩ رقم ١٣٧٢) والخطيب في تاريخ بغداد (٩/٥٩) والبيهقي في سننه (٣/٩) وفي الأسماء والصفات (٢/٢٣٩ رقم ٨٠٤) من طريق الأعمش به.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.
ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٤٠١ رقم ٨٧٢) والخطيب في تاريخ بغداد (١٤/٢٠٥) من طريق الحكم بن عتيبة عن أبي ظبيان به.

ورواه الضياء في المختارة (١٠/١٨ رقم ٧) من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه به.
ورواه الطبري في تفسيره (١٤/٢٩) وفي تاريخه (١/٣٣) من طريق شريك، عن الأعمش، عن أبي ظبيان - أو مجاهد - عن ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه الطبري في تفسيره (١٥/٢٩) وفي تاريخه (١/٣٤) من طريق معمر، عن الأعمش عن ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٤٠١ رقم ٨٧١ ، ٢/٤١٠ رقم ٨٩٤) والطبري في تفسيره (١٥/٢٩) وفي تاريخه (١/٣٤ ، ٥١ - ٥٢) والآجري في الشريعة (١/٢٢٨ - ٢٢٩ رقم ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١/٣٥٨ - ٣٥٩ رقم ٣٨٦ ، ٣٨٧) وابن بطة في الإبانة (١/٣٣٦ - ٣٣٧ رقم ١٣٦٧ - ١٣٦٩) وغيرهم من طريق عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١١/٤٣٣ رقم ١٢٢٢٧) من طريق مؤمل بن إسماعيل، عن حماد بن زيد، عن عطاء بن السائب، عن أبي الضحى، عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً.
قال الطبراني: لم يرفعه عن حماد بن زيد إلا مؤمل بن إسماعيل.

قال الهيثمي في المعجم (٧/١٢٨) قلت: ومؤمل ثقة كثير الخطأ، وقد وثقه ابن معين وغيره، وضعفه البخاري وغيره، وبقي رجاله ثقات.

ورواه ابن أبي عاصم في السنة (١/٥٠ رقم ١٠٨) وأبو يعلى (٤/٢١٧ رقم ٢٣٢٩) وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/٣٩٣ رقم ٨٥٤) والدارمي في الرد على الجهمية (١٢١ رقم ٢٥٣) والطبري في تفسيره (١٦/٢٩) وفي تاريخه (١/٣٢) والطبراني في المعجم =

فأعمال العباد تُعرض كلَّ يوم اثنين وخميس، فيجدونه على ما في الكتاب .
 قوله: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ يقول الله لهم يوم
 القيامة: ألم تكن آياتي تتلى عليكم في الدنيا؟! ﴿فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
 مُّجْرِمِينَ﴾ مشركين .

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا
 وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ ﴿٢٢﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٣﴾
 ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ﴾ يعني: القيامة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ لا
 شك فيها ﴿قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾ ما نشك إلا شكًا ﴿وَمَا
 نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ ﴿ل٢٢٣﴾ أن الساعة آتية .

قال محمد: [(الساعة) ترفع وتنصب فمن] ^(١) رفع فعلى معنى [الابتداء] ^(١)،

= الكبير (١٢/٦٨ - ٦٩ رقم ١٢٥٠٠) وابن بطة في الإبانة (١/٣٣٣ رقم ١٣٦١) وأبو نعيم
 في الحلية (٨/١٨١ - ١٨٢) والبيهقي في سننه (٩/٣) وفي الأسماء والصفات (٢/٢٣٧ -
 ٢٣٨ رقم ٨٠٣) وغيرهم من طريق عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبیر
 عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعاً .

قال ابن كثير في تفسيره (٤/٤٠٢): غريب من هذا الوجه، ولم يخرجوه .

وقال الهيثمي في المجمع (٧/٩٠): رواه الطبراني، ورجاله ثقات .

وخالف عمر بن حبيب هشام الدستوائي؛ فرواه عن القاسم بن أبي بزة عن عروة بن عامر عن
 ابن عباس رضي الله عنه قوله، فخالفه في الإسناد، وأوقف الحديث .

خرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٢/٤١١ رقم ٨٩٨) والطبري في تفسيره (٢٥/٤٨) .

وللحديث طرق أخرى عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً، انظر تفسير الطبري (٢٩/١٥ - ١٧)

وتاريخه (١/٣٥) والشريعة للأجري (١/٢٢٩ ، ٣٥٨ - ٣٦٠) .

وله شواهد عن ابن مسعود وعبادة بن الصامت وأبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهم .

(١) طمس في الأصل، والسياق يقتضي ما أثبتناه. وينظر الدر المصون (٦/١٣٢) .

ومن نصبها عطف على (الوعد)^(١)، المعنى: إذا قيل: إن وعد الله حق وأن الساعة [آتية].

قوله: ﴿إِنْ نَظُنُّ إِلَّا^(٢) ظَنًّا﴾ قيل: المعنى: ما نعلم ذلك إلا شكًا ولا نستيقنه؛ لأن الظن قد يكون بمعنى العلم كقوله: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾^(٣) أي: علموا^(٤) ومثل هذا في الشعر - لم يثبت لأحد:-

فَقُلْتُ: لَهُمْ ظُنُّوا بِالْفَنِي مُدَجِّجٍ
سَرَاتُهُمْ بِالْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ^(٥)
وقد يكون الظن أيضًا بمعنى الشك.

قوله: ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا﴾ أي: حين غضب عليهم علموا أن أعمالهم تلك سيئات، ولم يكونوا يرون أنها سيئات.
﴿وحاق بهم﴾ نزل بهم ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ كانوا يستهزئون بالنبي والمؤمنين؛ فحاق بهم عقوبة ذلك الاستهزاء، فصاروا في النار.

﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَفِيسُكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوُكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرٍ﴾^(٣٤)
ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اخْتَدَعْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ هُزُؤًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ

(١) قرأ حمزة بنصب (الساعة)، وقرأ الباقون برفعها. وفي توجيهات الرفع والنصب أقوال أخر.
ينظر: البحر المحيط (٥٠/٨)، الدر المصون (١٣٢/٦)، السبعة (٥٩٥)، النشر (٢/٣٧٢).

(٢) طمس في الأصل، والسياق يقتضي ما أثبتناه. وينظر الدر المصون (١٣٢/٦).

(٣) الكهف: ٥٣.

(٤) لسان العرب (ظنن).

(٥) البيت لدريد بن الصمة، وهو من بحر الطويل. ينظر: لسان العرب (ظنن)، شرح المفصل (٨١/٧)، الأصمعيات (١٠٧).

يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٢٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿كما نسيتكم﴾ كما تركتكم، وقيل: المعنى في (ننساكم): نترككم ﴿لقاء
يومكم هذا﴾ فلم تؤمنوا ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾ كنتم لا تقرون بالبعث
﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾ من النار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أي: لا يستعتبوا
ليعتبوا؛ أي: ليؤمنوا.

﴿وله الكبرياء﴾ العظمة ﴿وهو العزيز﴾ في نعمته ﴿الحكيم﴾ في أمره.

* * *

تفسير سورة الأحقاف
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَبِّئُ بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾

﴿حَم تنزيل الكتاب﴾ القرآن ﴿من الله العزيز الحكيم﴾ العزيز في نعمته، الحكيم في أمره ﴿قل أرايتم ما تدعون من دون الله﴾ يعني: أوثانهم ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض﴾ أي: لم يخلقوا منها شيئاً ﴿أم لهم شرك في السموات﴾ هل خلقوا منها شيئاً؟ أي: لم يخلقوا ﴿أتنبئ بكتاب من قبل هذا﴾ فيه أن هذه الأوثان خلقت من الأرض شيئاً أم من السموات ﴿أو أثارة من علم﴾ بهذا ﴿إن كنتم صادقين﴾ أي: ليس عندكم بهذا كتاب (ولا أثرة من علم) في مقراً الحسن، وهي تقرأ (أثرة) و(أثارة) فمن قرأ ﴿أثارة﴾ يعني: رواية، ومن قرأ ﴿أثرة﴾ يعني: خاصة^(١). قوله: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم

(١) قرأ العامة: (أثارة) وقرأ علي وابن عباس وزيد بن علي وعكرمة وآخرون: (أثرة) وقرأ الكسائي: (أثرة وإثرة)، وقرأ السلمي: (أثرة) ينظر: الدر المصون (٦/١٣٥).

القيامة ﴿يعني: أوثانهم﴾ وهم عن دعائهم غافلون ﴿يعني: الأوثان عن دعاء من عبدها غافلون.

قال محمد: قال (من) ^(١) وهو لغير ما يعقل؛ لأن الذين عبدوها أجروها مجرى ما يميز، فخطبوا على مخاطبتهم ^(٢)؛ كما قالوا: ﴿ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ^(٣).

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ ^(٦) وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ^(٧) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ^(٨) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ^(٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَامَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ^(١٠)

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً...﴾ الآية، قال الحسن: إن الله يَجْمَعُ يوم القيامة بين كل عابِدٍ ومعبود، فيوقفون بين يديه، ويحشرها ^(٤) الله بأعيانها، فينطقها فتخاصم من كان يعبدها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ محمد قال الله: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِنْ افْتَرَيْتَهُ فَلَا

(١) في قوله تعالى: ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ﴾.

(٢) وقيل: تعود على (من) في قوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ﴾ وقيل: تغليبا للعقلاء، فقال: (من) ينظر: الدر المصون (٦/١٣٥).

(٣) الزمر: ٣.

(٤) أي: الأصنام والأوثان التي كانت تُعْبَدُ من دون الله.

تملكون لي من الله شيئاً ﴿١٠﴾ أي: سوف يعذبني ولا تستطيعون أن تمنعوني من عذابه ﴿١١﴾ هو أعلم بما تفيضون فيه ﴿١٢﴾ من الشرك أي: تتكلمون به ﴿١٣﴾ كفى به شهيداً بيني وبينكم ﴿١٤﴾ أي: جئت بالقرآن من عنده وإنني لم أفتريه ﴿١٥﴾ وهو الغفور الرحيم ﴿١٦﴾ لمن آمن.

﴿١٧﴾ قل ما كنت بدعاً من الرسل ﴿١٨﴾ أي: ما كنت أولهم؛ قد كانت الرسل قبلي ﴿١٩﴾ وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ﴿٢٠﴾ تفسير الكلبي: إن النبي قال: «لقد رأيت في منامي أرضاً أخرجُ إليها من مكة. فلما اشتد البلاء على أصحابه بمكة قالوا: يا نبي الله، حتى متى نلقى هذا البلاء، ومتى نخرج إلى الأرض التي أريت؟ فقال رسول الله ﷺ: ما أدري ما يفعل بي ولا بكم، أنموت بمكة أم نخرج منها؟». ﴿٢١﴾ إن أتبع إلا ما يوحى إليّ ﴿٢٢﴾ قل أرأيتم إن كان من عند الله ﴿٢٣﴾ يعني: القرآن ﴿٢٤﴾ وكفرتكم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله ﴿٢٥﴾ على مثل القرآن؛ يعني: التوراة. قال الحسن: يعني بالشاهد: عبد الله بن سلام ﴿٢٦﴾ فأمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٢٧﴾ المشركين؛ يعني: الذين يلقون الله بشركهم.

﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّنُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣١﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾

﴿٣٣﴾ وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه ﴿٣٤﴾ [....] (ل)

(٣٢٤) [...] (١).

﴿ومن قبله﴾ من قبل القرآن ﴿كتاب موسى إماماً﴾ يعني: التوراة؛ يهتدون به (٢) ﴿ورحمة﴾ لمن آمن به ﴿وهذا كتاب﴾ يعني: القرآن ﴿مصدق﴾ للتوراة والإنجيل ﴿لساناً عربياً لتنذر﴾ (٣) الذين ظلموا ﴿أشركوا﴾ وبشرى للمحسنين ﴿المؤمنين بالجنة﴾.

قال محمد: ﴿إماماً﴾ منصوبٌ على الحال، و﴿رحمة﴾ عطف عليه، و﴿لساناً عربياً﴾ منصوبٌ أيضاً على الحال، المعنى: مصدقٌ لما بين يديه عربياً وذكر (لساناً) تأكيداً (٤).

قوله: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ على ذلك ﴿فلا خوف عليهم...﴾ الآية.

يحيى: عن يونس بن إسحاق، عن أبي إسحاق، عن [عامر] (٥) بن سعد البجلي قال: «قرأ أبو بكر الصديق هذه الآية، فقالوا: وما الاستقامة يا خليفة رسول الله؟ قال: لم يشركوا» (٦).

(١) طمس في الأصل نحو ست كلمات.

(٢) أي: كتاب موسى.

(٣) قرأ المدنيان وابن عامر ويعقوب ﴿لتنذر﴾ بالخطاب، واختلف عن البزي، وقرأ الباقون ﴿لينذر﴾ بالغيب. النشر (٢/٣٧٢ - ٣٧٣) وإتحاف الفضلاء (٥٠٣).

(٤) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع. ينظر الدر المصون (٦/١٣٧).

(٥) في الأصل: عمر. والمثبت هو الصواب، وعامر بن سعد البجلي الكوفي ترجمته في التهذيب (٢٣/٢٥ - ٢٥) وذكر المزي أن روايته عن أبي بكر الصديق مرسلة، وسيأتي أن بعض الرواة زاد بينهما سعيد بن نمران، والله أعلم.

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد (١١٠ رقم ٣٢٦) وعبد الرزاق في تفسيره (٢/١٨٧) ومسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (٤/١٥١ رقم ٣٧١٥) - وأبو داود في الزهد (٦٠ رقم ٣٩) والطبري في تفسيره (٢٤/١١٤) من طريق سفيان الثوري - وهو في تفسيره (٢٧٦) - =

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾^(١) يعني: برأ ﴿حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً﴾ حملته بمشقة، ووضعته بمشقة ﴿وحمله﴾ في البطن ﴿وفصاله﴾ فطامه ﴿ثلاثون شهراً﴾.

قال محمد: ﴿حسناً﴾ نصب على المصدر، المعنى: أمرناه بأن يحسن

= ٢٧٧ رقم ٨٩٣ - عن أبي إسحاق، عن عامر بن سعد البجلي، عن سعيد بن نمران، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وعزاه السيوطي في الدر المشور (٣/٩٩/٥) للفريابي وسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال الدارقطني في العلل (١/٢٧٣): حدث به سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن عامر ابن سعد البجلي، عن سعيد بن نمران، عن أبي بكر.

وتابعه عبيد الله بن موسى عن إسرائيل.

ورواه أبو الأحوص ويحيى بن أبي بكير عن إسرائيل، عن أبي إسحاق عن سعيد بن نمران. لم يذكر فيه عامر بن سعد.

وقول الثوري أصح . اهـ. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٦/٢٦٥): هذا إسناد ضعيف؛ لجهالة سعيد بن نمران.

قلت: والوجه الثالث من الخلاف على أبي إسحاق رواية يحيى بن سلام عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر بإسقاط سعيد بن نمران.

(١) هكذا في الأصل، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون: ﴿إحساناً﴾ ينظر: السبعة (٥٩٦)، التيسير (١٩٩)، النشر (٢/٣٧٣).

إليهما إحساناً. و﴿كرها﴾ منصوب بمعنى: حملته أمه على مشقة، ووضعت على مشقة^(١).

﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ يعني: احتلم، وبعضهم يقول: عشرين سنة. قال محمد: وجاء في الأشد ها هنا أنه بضع وثلاثون سنة، وهو الأكثر. قوله: ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ أي: في سنه ﴿قال رب أوزعني﴾ يعني: ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك...﴾ الآية. ﴿أولئك الذين يُقبل^(٢) عنهم﴾ أي: يتقبل الله منهم ﴿أحسن ما عملوا﴾. ﴿في أصحاب الجنة﴾ مع أصحاب الجنة ﴿وعد الصدق الذي كانوا يوعدون﴾ في الدنيا.

قال محمد: ﴿وعد الصدق﴾ منصوب مصدر مؤكد لما قبله^(٣).
﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَلَدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرِ قَدْ خَلَتِ مِنْ قَبْلِهِم مِّنَ الْإِنِّ وَالْإِنِّ إِنَّهُمْ كَانُوا خَمِيرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلُهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ يُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ

(١) وفي ذلك تفصيل نحوي. ينظر البحر المحيط (٦٠/٨) كشف المشكلات (١٢٣٧/٢).
(٢) بضم الياء وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر، على البناء للمفعول ورفع ﴿أحسن﴾ وقرأ الباقون بالتون المفتوحة على البناء للفاعل، ونصب ﴿أحسن﴾ على المفعولية. ينظر: النشر (٣٧٣/٢) القرطبي (١٩٦/١٦).
(٣) الدر المصون (١٣٩/٦).

تَسْتَكَرُّونَ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرَ الْحَقُّ بِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج﴾ أن أبعث ﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾ فلم يبعثوا.

قال محمد: (أف) كلمة تبرم، وقد مضى تفسيرها واشتقاقها بأكثر من هذا في سورة سبحان^(١) وسورة الأنبياء^(٢).

قال: ﴿وهما يستغيثان الله ويلك آمن﴾ أي: يقولان له ذلك ﴿إن وعد الله حق﴾ القيامة ﴿فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين﴾ كذب الأولين وباطلهم، نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل أن يسلم، وفي أبويه: أبي بكر الصديق وامراته: أم رومان.

قال الله: ﴿أولئك الذين حق عليهم القول﴾ وجب عليهم الغضب ﴿في أمم﴾ أي: مع أمم ﴿قد خلت من قبلهم من الجن والإنس﴾ صاروا إلى النار. ﴿ولكل درجات مما عملوا﴾ المؤمنون والمشركون؛ للمؤمنين درجات في الجنة على قدر أعمالهم، وللمشركين درجات في النار على قدر أعمالهم. ﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾ وعرضهم في تفسير الحسن: دخولهم ﴿أذهبتم﴾ وتقرأ أيضًا بالاستفهام بمد: (أذهبتم طياتكم في حياتكم الدنيا) فمن قرأها بغير مد يقول: قد فعلتم، ومن قرأها بمد فهي على الاستفهام (...)^(٣) أي: قد فعلتم، المعنى: أنكم أذهبتم^(٤) ﴿طياتكم﴾

(١) عند قوله تعالى: ﴿فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما﴾ الإسراء: ٣ .

(٢) عند قوله تعالى: ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾ الأنبياء: ٦٧ .

(٣) كلمة لم أستطع قراءتها.

(٤) قرأ ابن كثير وابن عامر بهمزيين، والباقون بهمزة واحدة. ينظر: البحر (٦٣/٨) ، الدر

المصون (١٤٠/٦).

في الجنة بشرككم ﴿واستمتعتم بها﴾ يعني: بالدنيا ﴿وبما كنتم تفسقون﴾ يعني: فسق الشرك.

قال محمد: قراءة نافع ﴿أذهبتم﴾ بلا مد على الخبر، وهو الذي أراد يحيى.

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) قَالُوا أَجِئْنَا لِنُؤْفِكَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَإِنَّا بِمَا نَعْبُدُونَ إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَئِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطْرُنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا وَإِنْ أَفْعَدْتُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٢٦) ﴿واذكر أخا عاد﴾ يعني: هودًا؛ أخوهم في النسب، وليس بأخيهم في الدين ﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾ وكانت منازلهم.

قال محمد: الأحقاف في اللغة واحدها: حُقْفٌ، وهو من الرمل ما أشرف من كتابانه واستطال، وقد قيل: إن الأحقاف ها هنا: جبل بالشام^(١).

﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ وهو بدء كلام مستقبل، يخبر الله أن النذر قد مضت من بين يدي هود؛ أي: من قبله ﴿ومن خلفه﴾ أي:

(١) وقيل: هو الرمل المستطيل المعوج. لسان العرب (حقف).

ومن بعده يدعون إلى ما دعا إليه هود ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾^(١) ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ رجع إلى قصتهم (ل ٣٢٥) أي: قد فعلت ﴿فَأَتْنَا بِمَا تَعَدُّنَا﴾ كان يعدهم [بالعذاب]^(١) إن لم يؤمنوا.

﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ علمٌ متى يأتيكم العذاب.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ رأوا العذاب ﴿عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ قالوا هذا عارض ممطرنا ﴿حَسْبُوهَ سَحَابًا﴾ وكان قد أبطأ عنهم المطر، قال الله: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ لما كانوا يستعجلون به هودًا من العذاب استهزاءً وتكذيبًا ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ موجه.

قوله تعالى: ﴿تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ أي: تدمر كل شيء أمرت به، وهي رِيحُ الدُّبُورِ^(٢) ﴿فَأَصْبَحُوا لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ﴾^(٣) يقوله للنبي، أي: لا تُبْصِرُ إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ ﴿وَلَقَدْ مَكَنَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَاكُمْ فِيهِ﴾ أي: فيما لم نمكنكم فيه كقوله: ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا﴾^(٤).

﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾ نزل بهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ نزل بهم عقوبة استهزائهم، يعني: ما عذبهم به.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكِ إِفْكَهُمُ وَمَا

(١) طمس في الأصل.

(٢) وهي رِيح تهب من المغرب، وتقابل القَبُول؛ وهي رِيح الصَّبَا. لسان العرب (دبر).

(٣) هكذا ضبطت القراءة في الأصل ﴿لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِنَهُمْ﴾ وهي قراءة السبعة إلا حمزة وعاصمًا؛ فقد قرأ: ﴿لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾. ينظر: البحر (٦٥/٨)، الدر المصون (٦/١٤٢).

(٤) التوبة: ٦٩.

كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

﴿ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى﴾ يقوله لأهل مكة وهي أم القرى، منها دُحيت الأرض، وما حولها البلاد كلها أخبر الله بهلاك من أهلك ﴿وصرفنا الآيات لعلهم [يرجعون]﴾^(١) ﴿لعل من بعدهم أن يرجعوا إلى الإيمان؛ يحذرهم.

﴿فلولا﴾ فهلا ﴿نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة﴾ يعني: آلهتهم التي عبدوها، زعموا أنها تقربهم إلى الله زلفى، يقول: فهلا نصرهم إذ جاءهم العذاب.

قال محمد: المعنى: اتخذوهم آلهة يتقربون بهم إلى الله، وهو معنى قول يحيى.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ يَنْقُمُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُمُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾ أي: وجَّهنا ﴿يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾ يقوله بعضهم لبعض ﴿فلما قُضِيَ﴾ لما قرأه النبي عليهم ﴿ولوا﴾ رجعوا ﴿إلى قومهم منذرين﴾ وهم جن نصيين ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا﴾ يعنون: القرآن ﴿أنزل من بعد موسى﴾ كانوا على اليهودية

﴿مصدقًا لما بين يديه﴾ من الكتاب.

﴿ومن لا يجب داعي الله﴾ يعني: النبي؛ أي: لا يؤمن ﴿فليس بمعجز في الأرض﴾ فليس بالذي يسبق الله حتى لا يبعث.

يحيى: عن الصلت بن دينار، عن حبيب بن أبي فضالة، عن عون بن عبد الله بن عتبة، عن عبد الله بن مسعود قال: «خرجنا حاجين - أو معتمرين - حتى إذا كنا بالطريق هاجت ريحٌ، فارتفعت عجاجة^(١) من الأرض، حتى إذا كانت على رءوسنا تكشفت عن جان بيضاء - يعني: حية - فنزلنا، وتخلّف صفوان بن المعطل فأبصرها، فصب عليها من مطهرته، وأخرج خرقة من عيّته^(٢) فكفنها فيها، ثم دفنها ثم اتبعنا، فإذا بنسوة قد جئن عند العشاء فسلمن، فقلن: أيكم دفن عمرو بن جابر؟ قلنا: والله ما نعرف عمرو بن جابر! فقال صفوان: أبصرت جانًا بيضاء فدفنتها. قلت: فإن ذلك عمرو بن جابر بقيّة من استمع إلى رسول الله قراءة القرآن من الجن، التقى زحفان من الجن: زحف من المسلمين، وزحف من الكفار، فاستشهد رحمه الله^(٣).

(١) هي الغبار. لسان العرب (عجج).

(٢) وعاء من آدم ونحوه يكون فيه المتاع، والجمع: عيّب، وعيّاب. لسان العرب (عيب).

(٣) لم أقف عليه من هذا الطريق، والصلت بن دينار متروك الحديث، ترجمته في التهذيب (١٣/ ٢٢١ - ٢٢٦).

ورواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٣١٢/٥) وأبو بكر بن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٨٨/٣ رقم ١٤٠٧) والطبراني في المعجم الكبير (٥٣/٨ رقم ٧٣٤٥) والحاكم (٥١٩/٣) من طريق سلم بن قتيبة عن عمر بن نبهان عن سلام أبي عيسى عن صفوان بن المعطل بنحوه.

وعزه ابن حجر في الإصابة (٩٢/٧) للباوردي وابن مردويه في تفسيره أيضًا. وقال الهيثمي في المجمع (٢/١٠): رواه عبد الله بن أحمد والطبراني، وفيه عمر بن نبهان، وهو متروك.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَصْبَرَ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلُغَ فُهْلُ يُهُلِكَ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله: ﴿أو لم يروا﴾ يعني: المشركين ﴿أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهم﴾ كقوله: ﴿وما مسنا من لغوب﴾^(١) ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾.

قال محمد: دخلت الباء في خبر (أن) بدخول (أو لم) في أول الكلام، المعنى: أليس الله بقادر على أن يحيي الموتى^(٢).

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق﴾ يقال لهم وهم في

= قلت: وقع في المستدرك المطبوع: «عمر بن سنان» وهو تحريف، وهو في إتحاف المهرة (٣٠٧/٦) على الصواب؛ وعمر بن نيهان من رجال التهذيب، والله أعلم.

وقال القرطبي في تفسيره (٢١٤/١٦) ومنهم - أي: من الجن الذين بايعوا النبي ﷺ - عمرو ابن جابر؛ ذكره ابن سلام من طريق أبي إسحاق السبيعي عن أشياخه عن ابن مسعود... فذكر نحوه مختصراً.

وقال ابن حجر في الإصابة (٩٢/٧): وروى الحكيم الترمذي في نوادره من طريق سفيان عن أبي إسحاق عن ثابت بن قطة الثقفي قال: «جاء رجل إلى ابن مسعود... فذكر نحوه مختصراً.

قلت: ويراجع كتاب «أكام المرجان في أحكام الجان» للقاضي بدر الدين الشبلي، وكتاب «لقط المرجان في أحكام الجان» للسيوطي، لعل فيهما فائدة زائدة في الكلام على هذا الحديث؛ فإن يدي لا تطولهما الآن وعهدي بهما بعيد، والله أعلم.

(١) ق: ٣٨.

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٣/١٦١ - ١٦٢)، البيان (٢/٣٧٣)، البحر المحيط (٨/٦٨).

النار: أليس هذا بالحق الذي كنتم توعدون في الدنيا؟ ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ تفسير الكلبي يعني: من أمر بالقتال من الرسل ﴿ولا تستعجل لهم﴾ يعني: المشركين بالعذاب.

﴿كانهم يوم يرون ما يوعدون﴾ يعني: العذاب ﴿لم يلبثوا إلا ساعة من نهارٍ بلاغ﴾ [...] (٣٢٦) ...^(١) ﴿فهل يهلك﴾ بعد البلاغ ﴿إلا القوم الفاسقون﴾ المشركون.



(١) طمس في الأصل.

تفسير سورة محمد ﷺ
وهي مدنية كلها

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۖ﴾ (١) ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۖ﴾ (٢) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ۖ﴾ (٣) قوله: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾ سبيل الهدى؛ يعني: الإسلام ﴿أضل أعمالهم﴾ أحبط أعمالهم في الآخرة؛ يعني: ما عملوا من حسن ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد﴾ صدقوا به؛ يعني: القرآن ﴿وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم﴾ غفرها لهم ﴿وأصلح بالهم﴾ حالهم؛ يعني: يدخلهم الجنة ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ يعني: إبليس؛ اتبعوا وسوسته بالذي دعاهم إليه من عبادة الأوثان ﴿كذلك يضرب الله﴾ أي: يبين ﴿للناس أمثالهم﴾ يعني: صفات أعمالهم.

قال محمد: معنى قول القائل: ضربت لك مثلاً؛ أي: بينت لك صنفاً من الأمثال (١).

﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاكَ فَمَا مَتَّ بَعْدَ وَإِنَّمَا فِدَاءُ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ﴾ (٤) ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَيْنَاكُمْ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لَّيَبْلُوًا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا

(١) لسان العرب (ضرب).

فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُكُمْ ﴿٤﴾ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَكُمْ خُزُنًا وَنُجَاتًا ۖ وَسَيَرْحَمُ اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ الَّتِي كَانُوا يَعْرِفُونَ ﴿٦﴾ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ ۖ﴾

يحيى: عن المسعودي، عن القاسم بن عبد الرحمن «أن رسول الله ﷺ بعث سرية إلى حي فأصابوهم، فصعد رجل منهم شجرة ملتفة أغصانها قال الذي حضر: قطعناها فلا شيء، ورميناها فلا شيء؟ قال: فجاءوا بنار فأضرمت فيها فخر الرجل ميتاً فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فتغير وجهه تغيراً شديداً، ثم قال: إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله! ولكن بُعث بضرب الأعناق والوثاق»^(١).

قوله: ﴿حتى إذا أنخثتموهم فشدوا الوثاق﴾ وهذا في الأسرى ﴿فإما مئاً بعد وإما فداء﴾ لم يكن لهم حين نزلت هذه الآية إذا أخذوا أسيراً إلا أن يقادوه أو يمنون^(٢) عليه فيرسلوه، وهي منسوخة نسختها ﴿فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم...﴾^(٣) الآية؛ فإن شاء الإمام قتل الأسير، وإن شاء جعله غنيمة وإن شاء فاداه، وأما المنُّ بغير فداء فليس ذلك له.

قال محمد: قوله: ﴿أنخثتموهم﴾ يعني: أكثرتم فيهم القتل^(٤) كقوله: ﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا﴾^(٥) أي: يبالغ في القتل.

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢/٣٩٠ رقم ١٤٠٩١) والطبري في تفسيره (٩/١٩٨) من طريق وكيع عن المسعودي.

(٢) هكذا في الأصل، وهو خلاف الجادة. والصواب: يمنوا.

(٣) الأنفال: ٥٧.

(٤) لسان العرب (ثخن).

(٥) الأنفال: ٦٧.

وقوله: ﴿فَضْرِبِ الرِّقَابَ﴾ منصوبٌ على الأمر؛ أي: فاضربوا الرقاب^(١).
وقوله: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ يعني: مُنُّوا مَنًّا، وافدوا فداءً ﴿حَتَّى تَضَعَ
الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ تفسير مجاهد: حتى لا يكون دينٌ إلا الإسلام.

قال يحيى: وفيها تقديم؛ يقول: فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
حتى تضع الحرب أوزارها.

قال محمد: المعنى: حتى يضع أهل الحرب السلاح؛ وهو الذي ذهب إليه
مجاهد، وأصل الوزر ما حملته، فسمي السلاح: أوزاراً؛ لأنه يُحْمَلُ^(٢)، قال
الأعشى:

وَأَعْدَدْتُ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا رِمَاحًا طَوَالًا وَخَيْلًا دُكُورًا^(٣)

يحيى: عن ابن لهيعة، عن أبي الزبير قال: «سألت جابر بن عبد الله قلت:
إذا كان عليّ إمامٌ جائزٌ فلقيتُ معه أهل ضلالة أقاتل أم لا، ليس بي حبه ولا
مظاهرته؟ قال: قاتل أهل الضلالة أينما وجدتهم، وعلى الإمام ما حُمِلَ،
وعليك ما حملت»^(٤).

يحيى: عن عمار الدُهْنِي، عن جسر المصيصي، عن الحسن قال: قال
رسول الله ﷺ «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى ثَلَاثٍ: الْجِهَادُ مَاضٍ مِنْذُ بَعَثَ اللَّهُ نَبِيَّهُ إِلَى
آخِرِ فِتْنَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ تَكُونُ هِيَ الَّتِي تَقَاتِلُ الدَّجَالَ؛ لَا يَنْقُضُهُ جَوْرٌ مِنْ جَارٍ،

(١) ينظر: البحر المحيط (٧٤/٨)، كشف المشكلات (١٢٤٢/٢).

(٢) لسان العرب (وزر).

(٣) البيت من بحر المتقارب. ينظر: ديوان الأعشى (٧١)، التهذيب، اللسان (وزر)، الكشف
(٣٧٧/٤).

(٤) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٣٩٢/٢ - ٣٩٣ رقم ١٣٥) عن ابن أبي
زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

والكف عن أهل لا إله إلا الله أن تكفروهم بذنوب، والمقادير خيرها وشرها من الله»^(١).

﴿ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ بغير قتال (...) ^(٢) ﴿ولكن ليلبوا﴾
يبتلي ﴿بعضكم ببعض﴾.

﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم﴾ (ل٣٢٧) لن يحبطها الله
(...) ^(٢) ﴿فإن أحسنوا غفر لهم﴾ سيهديهم ويصلح بالهم ﴿حالهم﴾ ويدخلهم
الجنة عرفها لهم ﴿تفسير مجاهد: يعرفون منازلهم في الجنة [ويهدون]»^(٣)
إليها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصَرُّوْاَ اللَّهُ يَضُرَّكُمْ وَئِئْتِ أَقْدَامُكُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمُ

(١) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٣/٧٥٠ رقم ٣٧٠) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام.

ورواه ابن أبي زمنين في أصول السنة (١٤٣) من طريق آخر عن الحسن، وفيه من لم يسم.
ورواه عبد الرزاق في المصنف (٥/٢٧٩ رقم ٩٦١١) عن عبد القدوس عن الحسن.
وروى سعيد بن منصور في سننه (٢/١٤٣ رقم ٢٣٦٧) وأبو عبيد في الإيمان (٢٧) وأبو داود
(٣/٢٢٨ رقم ٢٥٢٤) وابن أبي زمنين في أصول السنة (٢١٦) والبيهقي في سننه (٩/٥٦)
من طريق جعفر بن برقان عن يزيد بن أبي نشبة عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً نحوه.

قال المنذري: يزيد بن أبي نشبة في معنى المجهول. وقال عبد الحق: يزيد بن أبي نشبة هو
رجل من بني سليم، لم يروه عنه إلا جعفر بن برقان. نصب الراية (٣/٣٧٧).

وروى الطبراني في الأوسط (٥/٩٥ - ٩٦ رقم ٤٧٧٥) وأبو نعيم في الحلية (٣/٧٣) عن
علي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله رضي الله عنه مرفوعاً نحوه.

قال الهيثمي في المجمع (١/١٠٦): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه إسماعيل بن يحيى
التيامي، كان يضع الحديث.

(٢) طمس في الأصل.

(٣) طمس في الأصل، وروى الطبري في تفسيره (٢٦/٤٤) في تفسير هذه الآية عن مجاهد قال:

يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم وحيث قسم الله لهم لا يخطئون؛ كأنهم سكانها منذ
خلقوا لا يستدلون عليها أحداً.

وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم﴾ نصرتهم النبي نصره لله .
 ﴿والذين كفروا فتعسّ لهم﴾ تفسير الحسن: أن التعسّ شتم من الله لهم، وهي كلمة عربية^(١).

قال محمد: قيل: إن معنى (تعسّ لهم): بُعِداً لهم، وقالوا: تعسّ الرجل، وفيها لغة أخرى تعسّ بفتح العين، وأتعسّته أنا؛ أي: أشقيته^(٢)، وتعسّا منصوب على معنى: أتعسهم الله^(٣).

﴿وأضل أعمالهم﴾ أحبط ما كان منها حسناً.

﴿ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله﴾ القرآن ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾ أي: أهلكهم الله ﴿وللّكافرين أمثالها﴾ يعني: عاقبة الذين تقوم عليهم الساعة: كفار آخر هذه الأمة؛ يهلكون بالنفخة الأولى.

قال محمد: المعنى: وللّكافرين أمثالها؛ أي: أمثال تلك العاقبة.

﴿ذلك بأن الله مولى﴾ يعني: ولّى ﴿الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى

(١) وقيل: التعسّ: الهلاك، وقيل: الجر على الوجه، وقيل غير ذلك. ينظر: الدر المصون (٦/١٤٨)، لسان العرب (تعس).

(٢) لسان العرب (تعس).

(٣) وفيه تفصيل نحوي واسع. ينظر: إعراب القرآن (٣/١٦٩)، البيان (٢/٣٧٤)، معاني القرآن للفراء (٣/٥٨).

لهم ﴿ لا وليَّ لهم إلا الشيطان؛ فإنه وليُّهم، وقوله في غير هذه السورة: ﴿ ثم رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق ﴾ ^(١) فمعناه: مالِكهم؛ وليس هو من باب ولاية الله للمؤمنين.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ۖ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَنبُوتٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ ۖ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ ﴾ (١٤)

﴿ والذين كفروا يتمتعون ﴾ في الدنيا ﴿ ويأكلون كما تأكل الأنعام ﴾ وهي غافلة عن الآخرة ﴿ والنار مَثْوًى لهم ﴾ أي: منزل، يعني: الذين كفروا. ﴿ وكأين من قرية ﴾ أي: وكم من قرية ﴿ هي أشد قوة ﴾ أهلها أشد قوة ﴿ من قريتك ﴾ من أهل قريتك ﴿ التي أخرجتك ﴾ أخرجك أهلها؛ يعني: مكة. ﴿ أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعا أهواءهم ﴾ وهذا المشرك؛ أي: ليسا بسواء.

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَلِيدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ۖ ﴾ (١٥) ﴿ ومنهم من يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَايَأُ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ۖ ﴾ (١٦) ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ ﴾ (١٧)

﴿مِثْلُ الْجَنَّةِ﴾ صفة الجنة ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أي: متغير.
قال محمد: يقال: آسَنَ الْمَاءُ يَأْسُنُ أَسُونًا وَأَسْنًا^(١).
﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ أي: لم يخرج من ضلوع المواشي فيتغير
﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾.
قال محمد: قوله: ﴿لَذَّةٍ﴾ أي: لذیذة، يقال: شرابٌ لَذٌّ إِذَا كَانَ طَيِّبًا.
﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ لم يخرج من بطون النحل ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ...﴾ إلى قوله: ﴿فَقُطِعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾ وهذا على الاستفهام، يقول:
أهؤلاء المتقون الذين وَعِدُوا الجنة فيها ما وصف ﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ﴾
على ما وصف؟! أي: ليسوا بسواء.
﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني: المنافقين ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ
قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا﴾ كانوا يأتون النبي ﷺ يستمعون حديثه
من غير حِسْبَةٍ وَلَا يَفْقَهُونَ حَدِيثَهُ؛ فَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ قَالُوا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ
مَسْعُودٍ: مَاذَا قَالَ مُحَمَّدٌ آنفًا؟ لَمْ يَفْقَهُوا مَا قَالَ النَّبِيِّ.
قال محمد: ﴿آنفًا﴾ معناه: الساعة^(٢).
قال الله للنبي: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾.
﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ كلما جاءهم من الله شيء صدقوه؛ فزادهم
ذلك هُدًى ﴿وَأَتَاهُمُ﴾ أعطاهم ﴿تَقْوَاهُمْ﴾ جعلهم متقين.
﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُوا لِذَنبِكُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ

(١) يقال: آسَنَ الْمَاءُ يَأْسُنُ أَسْنًا وَأَسْنًا، وَاِسْنٌ يَأْسُنُ أَسْنًا. لسان العرب (أسن).

(٢) لسان العرب (أنف).

وَمَثُونُكُمْ ﴿١٩﴾

﴿فهل ينظرون﴾ أي: فما ينتظرون ﴿إلا الساعة﴾ النفخة الأولى التي يهلك الله بها كفار آخر هذه الأمة ﴿أن تأتيهم بغتة﴾ فجأة ﴿فقد جاء أشراتها﴾ كان النبي ﷺ من أشراتها، وأشراتها كثير، منها انشقاق القمر، ورجم الشياطين بالنجوم.

قال محمد: معنى (أشراتها): أعلامها، الواحد منها شَرَطٌ - بالتحريك (١) - وأنشد بعضهم:

فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرْمَعْتَ بِالْضَّرَمِ يَنْتَنَّا فَقَدْ جَعَلْتَ أَشْرَاطُ أَوَّلِهِ تَبْدُو (٢)

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل الساعة [كهاتين]. فما فضل إحداهما على الأخرى، وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي يقول الناس: السبابة» (٣) (٤).

(١) الواحد: شَرَطٌ وشَرَطٌ. لسان العرب (شرط).

(٢) البيت لأبي الأسود، وهو من بحر الطويل. ينظر: البحر (٧٠/٨)، الكشف (٣٢٣/٤).

(٣) سقطت من الأصل، وأثبتها مما يأتي في تفسير سورة القمر، الآية: ١، ومثله في كتاب السنن الواردة في الفتن لأبي عمرو الداني.

(٤) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٧٦١/٤) رقم (٣٧٣) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين - ويشير بأصبعيه». رواه البخاري (١١/ ٣٥٥ رقم ٦٥٠٤) ومسلم (٤/ ٢٢٦٨ - ٢٢٦٩ رقم ٢٩٥٠) عن أنس رضي الله عنه.

ورواه البخاري (١١/ ٣٥٥ رقم ٦٥٠٣) عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

ورواه البخاري (١١/ ٣٥٥ رقم ٦٥٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه مسلم (٢/ ٥٩٢ رقم ٨٦٧) عن جابر رضي الله عنه.

وفي الباب عن عدة من الصحابة رضي الله عنهم.

(٣٢٨ل) يحيى: عن خدّاش، عن أبي عامر، عن أبي عمران الجوني قال: قال رسول الله ﷺ: «حين بُعِثَ إِلَيَّ بُعِثَ إِلَى صَاحِبِ الصُّورِ فَأُهَوِي بِهِ إِلَى فِيهِ، وَقَدِّمَ رَجُلًا وَآخَرَ أُخْرَى، يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ يَنْفُخُ، أَلَا فَاتَقُوا النَّفْخَةَ»^(١).

﴿فَأَنى لَهُم إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ أي: فكيف لهم توبتهم إذا جاءتهم الساعة؟! أي: أنها لا تقبل منهم ﴿وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ﴾ في الدنيا ﴿وَمُثَوَّاكُمْ﴾ إذا صرتم إليه، والمثوى: المنزل الذي يثوون فيه لا يزولون عنه^(٢).

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ طَٰعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾
﴿ويقول الذين آمنوا لولا﴾ هلا ﴿نزلت سورة﴾ ﴿محكمة﴾ أي: مفروض فيها القتال.

﴿رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾ يعني: المنافقين ﴿ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ خوفاً وكراهية للقتال ﴿فأولى لهم﴾ هذا وعيد من الله لهم، ثم انقطع الكلام.

قوله: ﴿طاعة﴾ أي: طاعة لله ورسوله ﴿وقول معروف﴾ خير مما أضمرنا

(١) رواه أبو عمرو الداني في الفتن (٤/٧٦٤ - ٧٦٥ رقم ٣٧٧، ٦/١٢٨٢ - ١٢٨٣ رقم ٧١٨)

عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به.

وتقدم هذا الحديث في أول تفسير سورة الأنبياء.

(٢) لسان العرب (ثوى).

من النفاق ﴿فإذا عزم الأمر﴾ بالجهاد في سبيل الله ﴿فلو صدقوا الله﴾ فكان باطن أمرهم وظاهره صدقاً ﴿لكان خيراً لهم﴾ يعني: به المنافقين.

قال: ﴿فهل عسيتم إن توليتم﴾ عما في قلوبكم من النفاق حتى تظهروه شركاً ﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ أي: تقتلوا قرابتكم.

قال محمد: قرأ نافع ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين، وقرأ غير واحد من القراء بالفتح، وهي أعلى اللغتين وأفصحهما؛ ذكره أبو عبيد^(١).

﴿أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم﴾ عن الهدى ﴿وأعمى أبصارهم﴾ عنه ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ أي: أن على قلوبهم أقفالها؛ وهو الطبع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٦) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَصْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ (٢٨) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ (٢٩) ﴿إن الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ من بعد ما أعطوا الإيمان، وقامت عليهم الحجة بالنبى والقرآن، يعني: المنافقين ﴿الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ﴾ زَيَّنَ لَهُمْ ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ قال الحسن: يعني: وسوس

(١) قرأ نافع: ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بالكسر، وقرأ الباقر بفتحها. النشر (٢/ ٢٣٠)، وإتحاف الفضلاء (٢٠٧) وتفسير القرطبي (٣/ ٢٤٤) قال القرطبي: ﴿عَسَيْتُمْ﴾ بالفتح والكسر لغتان، وبالثانية قرأ نافع، والباقر بالأولى، وهي الأشهر.

إليهم أنكم تعيشون في الدنيا بغير عذاب، ثم تموتون فتصيرون إلى غير عذاب ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر﴾ أي: في الشرك وافقوهم على الشرك؛ في السر ﴿والله يعلم أسرارهم﴾.

قال محمد: من قرأ بفتح الألف فهو جمع (سر) (١).

﴿فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ تفسير الحسن: ﴿توفتهم الملائكة﴾ حشرتهم إلى النار ﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ في النار.

قال محمد: المعنى: فكيف تكون حالهم إذا فعلت الملائكة هذا بهم؟! ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ وهم المنافقون ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ يعني: ما يكونون في صدورهم من الشرك.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَنَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَعْبَارَكُمْ﴾ ﴿٣١﴾

﴿ولو نشاء لأريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم﴾ يعني: نعمتهم من غير أن تعرفهم ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ يعني: نعللهم وما كانوا يعتذرون به من الباطل في الغزو، وفيما يكون منهم من القول، ثم أخبره الله بهم، فلم يخف على رسول الله بعد هذه الآية منافق، وأسره النبي إلى حذيفة.

قال محمد: (في لحن القول) أي: في لحن كلامهم ومعناه، وأصل الكلمة

(١) قرأ الأخوان وحفص بكسر الهمزة مضدراً، وقرأ الباقون بفتحها جمع (سر) ينظر: الدر المصون (١٥٦/٦).

من قولهم: لَحِثْتُ أَي: بَيَّنْتُ، وَالْحِثُّ الرَّجْلُ فَلَحِحَ؛ أَي: فَهَمَّتْهُ فَفَهِمَ^(١).
﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ من قبل أن تعملوا.

﴿وَنُبَلِّغُكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ وهذا علم الفَعَالِ
﴿وَنُبَلِّغُوا أَخْبَارَكُمْ﴾ أَي: نَخْتَبِرُكُمْ؛ فَنَعْلَمُ مَنْ يَصْدُقُ فِيمَا أُعْطِيَ مِنَ الْإِيمَانِ
وَمَنْ يَكْذِبُ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى
لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِيطُ أَعْمَالُهُمْ﴾ (٣٢) ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ (٣٤) ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ
وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (٣٥)

﴿وشاقوا الرسول﴾ فارقه وعادوه ﴿من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ من بعد
ما قامت عليهم الْحُجَّةُ ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بكفرهم ﴿وسيحيط أعمالهم﴾
(...)(٢).

﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ تفسير السُّدي: لا تُخْبِطُوا أَعْمَالَكُمْ (...)(٣).
﴿فلا تهنوا﴾ (٣٢٩) لا تضعفوا في الجهاد ﴿وتدعوا إلى السلم﴾
الصلح، أَي: لا تدعوا إلى الصلح ﴿وأنتم الأعْلَوْنَ﴾ أَي: منصورون؛ يقوله
للمؤمنين ﴿واللَّهُ معكم﴾ ناصركم ﴿ولن يترككم أعمالكم﴾ أَي: لن ينقصكم

(١) اللَّحْنُ: الفطنة إلى الْحُجَّةِ، وَاللَّحْنُ: الْخَطَأُ فِي الْإِعْرَابِ وَمُخَالَفَةُ وَجْهِ الصَّوَابِ. لِسَانُ الْعَرَبِ (لَحَنَ).

(٢) طمس في الأصل بمقدار ثلاث كلمات تقريباً.

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل.

شيئاً من ثواب أعمالكم.

قال محمد: يقال: وَتَرَنَيْ حَقِّي؛ أي: بَخَسْتِيهِ، وهو الوثر بكسر الواو والتَّزُّة أيضاً^(١).

يحيى: عن همام، عن قتادة، عن أنس بن مالك؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ الْمُؤْمِنَ حَسَنَةً يُثَابُ عَلَيْهَا الرِّزْقُ فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ»^(٢) من حديث يحيى بن محمد.

﴿إِنَّمَا لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ لَا تُؤْمِنُوا وَتَتَّبِعُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾^(٣٦) **﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْجِ أَصْغَانَكُمْ﴾**^(٣٧) هَآأَنَّهُ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾^(٣٨) قوله: «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ» أي: إن أهل الدنيا؛ يعني: المشركين الذين لا يريدون غيرها أهل لهُوٍ ولعبٍ.

﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ لَا تُؤْمِنُوا وَتَتَّبِعُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ﴾ ثوابكم ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ يعني: النبي ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ﴾ بالمسألة ﴿تَبَخَّلُوا﴾ أي: لو سألكم أموالكم لبخلتكم بها ﴿وَبُخْجِ أَصْغَانَكُمْ﴾ عداوتكم.

(١) ويقال: الوثر بفتح الواو أيضاً. ينظر: لسان العرب (وتر).

(٢) رواه ابن المبارك في الزهد (١١١ رقم ٣٢٧) عن همام بن يحيى به.

ورواه الإمام أحمد (١٢٣/٣، ١٢٥، ٢٨٣) وعبد بن حميد (٣٥٥ رقم ١١٧٨) والبخاري في خلق أفعال العباد (٤٣٢) ومسلم (٢١٦٢/٤) وابن حبان (١٠١/٢ - ١٠٢ رقم ٣٧٧) من طريق همام به.

ورواه الطيالسي (٢٦٩ رقم ٢٠١١) ومسلم (٢١٦٢/٤ - ٢١٦٣ رقم ٢٨٠٨/٥٧) والطبري في تفسيره (٨٩/٥، ٢٧٠/٣٠) من طرق عن قتادة به.

قال محمد: يقال: أخفاني بالمسألة؛ أي: ألخ^(١).

﴿ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من يبخل﴾ بالنفقة في سبيل الله؛ يعني: المنافقين ﴿ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغني﴾ عنكم ﴿وأنتم الفقراء﴾ إليه؛ يعني: جماعة الناس ﴿وإن تتولوا﴾ عن الإيمان ﴿يستبدل قومًا غيركم﴾ ويهلككم بالاستئصال ﴿ثم لا يكونوا أمثالكم﴾ أي: يكونوا خيرًا منكم؛ يقوله للمشركين.



(١) أي: ألخ عليه في السؤال وجهده، وردد الكلام واستقصاه. لسان العرب (حفي).

تفسير سورة الفتح وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَينصرك الله نصراً عزيزاً ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا...﴾ إلى قوله: ﴿مُسْتَقِيمًا﴾.

يحيى^(١): عن قتادة، عن أنس بن مالك «أن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ عند مَرْجعه من الحُدَيْيَةِ، وأصحابه مخالطو الحزن والكآبة، قد حيل بينهم وبين مناسكهم ونحروا الهدى بالحديبية. فقال: لقد نزلت عليَّ آيةٌ لهي أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعاً! فلما تلاها عليهم، قال رجلٌ من القوم: هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله، قد بينَ الله لنا ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله: ﴿ليدخل المؤمنين والمؤمنات والمؤمنات...﴾ إلى قوله: ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٢).

(١) وضع بعدها الناسخ علامة لحق، ولم يظهر في الحاشية شيء، وإنما سقط من الإسناد شيخ يحيى الذي يروى هذا الحديث عن قتادة، وقد روى هذا الحديث عن قتادة جماعة - سيأتي بيانهم إن شاء الله - وأظن يحيى رواه عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة؛ لأن لفظ الكتاب أقرب ما يكون إلى رواية سعيد، والله أعلم.

(٢) رواه الإمام أحمد (٢١٥/٣) ومسلم (١٤١٣/٣) (١٧٨٦) وأبو يعلى (٣٠٨/٥) رقم ٢٩٣٢، ٤٧٢/٥، ٣٢٠٢، ٤٧٢/٥ - ٤٧٣ - رقم ٣٢٠٤ والطبري (٦٩/٢٦ - ٧٠) =

قال محمد: قوله: ﴿فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ قيل: المعنى: قضينا لك بإظهار دين الإسلام والنصرة على عدوك، وحكمنا لك بذلك، ويقال للقاضي: الفتح^(١)، والحديبية اسمُ بئر يُسمَّى به المكان^(٢).

= وابن حبان (٩٢/٢ - ٩٣ رقم ٣٧٠) والبيهقي (٢٢٢/٩) والواحدي في أسباب النزول (ص ٢٨١ - ٢٨٢) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.
ورواه الإمام أحمد (٣/١٢٢ ، ١٣٤ ، ٢٥٢) ومسلم (٣/١٤١٣ رقم ١٧٨٦) والطبري (٢٦/٦٩) وأبو عوانة (٤/٢٩٩ رقم ٦٨١١) والواحدي في أسباب النزول (ص ٢٨١) من طريق همام بن يحيى عن قتادة به.
ورواه الإمام أحمد (٣/١٩٧) وعبد الرزاق في تفسيره (٣/٢٢٥) والترمذي (٥/٣٥٩ - ٣٦٠ رقم ٣٢٦٣) وأبو يعلى (٥/٣٨٥ رقم ٣٠٤٥) من طريق معمر عن قتادة به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
ورواه مسلم (٣/١٤١٣ رقم ١٧٨٦) وعبد بن حميد (٣٥٨ رقم ١١٨٨) وأبو عوانة (٤/٢٩٩ رقم ٦٨١٠) من طريق شيان عن قتادة.
ورواه مسلم (٣/١٤١٣ رقم ١٧٨٦) والطبري (٢٦/٦٩) وأبو عوانة (٤/٢٩٨ - ٢٩٩ رقم ٦٨٠٩) والواحدي في أسباب النزول (٢٨١) من طريق معتمر بن سليمان عن قتادة.
ورواه الحاكم (٢/٤٦٠) من طريق الحكم بن عبد الملك عن قتادة، وفيه زيادة.
قال الذهبي: قلت: الحكم ضعيف.
ورواه الإمام أحمد (٣/١٧٣ - ١٧٤) والبخاري (٧/٥١٦ رقم ٤١٧٢) وأبو يعلى (٦/٢١ - ٢٢ رقم ٣٢٥٢) وأبو عوانة (٤/٣٠٠ رقم ٦٨١٥) والبيهقي (٩/٢٢٢) من طريق شعبة عن قتادة، قال شعبة: فأتيت الكوفة فحدثتهم بهذا الحديث عن قتادة عن أنس، فلما رجعنا إلى البصرة، سألت عنه قتادة فقال: أما الأول فتح الحديبية فهو فعن أنس، وأما هذا قول أصحابه: «هنيئًا لك» هذا عن عكرمة. انتهى وهذا لفظ أبي عوانة.
قلت: ولم يذكر الإمام مسلم رحمته الله هذه الزيادة المدرجة في رواياته، وقد بين هذا الإدراج بطرقه وأسانيده الخطيب البغدادي رحمته الله في الفصل للوصل المدرج في النقل (١/٤٦٠ - ٤٧٣ رقم ٤٦) أتم بيان.

ورواه ابن حبان (٢/٩٣ - ٩٤ رقم ٣٧١) من طريق الحسن عن أنس رضي الله عنه بتمامه.

(١) لسان العرب (فتح).

(٢) معجم البلدان (٢/٢٦٥).

قوله: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ يذلُّ به أعداءك ﴿هو الذي أنزل﴾ يعني: أثبت ﴿السكينة﴾ الوقار، في تفسير الحسن ﴿في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانًا مع إيمانهم﴾ أي: تصديقًا مع تصديقهم، يعني: يصدقونه بكل ما أنزل من القرآن.

﴿ولله جنود السموات والأرض﴾ ينتقم لبعضهم من بعض.

﴿وكان ذلك عند الله فوزًا عظيمًا﴾ وهي النجاة من النار إلى الجنة.

﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمَاتِ بِاللَّهِ ظَلَمَ السَّوْءَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ ﴿٦﴾ ﴿لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ﴿٧﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿٨﴾ ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ﴿٩﴾

قوله: ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَ السَّوْءِ﴾ كانوا يقولون: يهلك محمد وأصحابه ودينه ﴿عليهم دائرة السوء﴾ يعني: الهلاك في الآخرة ﴿وساءت مصيرًا﴾ أي: وبشت المصير.

﴿وكان الله عزيزًا﴾ في نعمته ﴿حكيماً﴾ في أمره.

﴿إنا أرسلناك شاهداً﴾ على أمتك ﴿ومبشراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ من النار ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ يقوله للناس ﴿وتعزروه﴾ أي: وتنصروه ﴿وتوقروه﴾ أي: وتعظموه؛ يعني: النبي ﷺ في تفسير الكلبي ﴿وتسبحوه﴾ تسبحوا لله: تصلوا له ﴿بكراً وأصيلاً﴾ بكرة: صلاة الصبح، وأصيلاً: صلاة الظهر والعصر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ

عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمًا ﴿١٥﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ
 مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَعْلَوْنَا فَنَسْتَبَغِرُ لَكَ يَقُولُونَ يَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ
 فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 خَبِيرًا ﴿١٦﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي
 قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنًّا أَلْسُو وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٧﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا
 أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٨﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ من بايع رسول الله فإنما يبايع الله، وهذا يوم الحديبية، وهي بيعة الرضوان؛ بايعوه على ألا يفروا ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ تفسير السدي يقول: فعل الله بهم الخير أفضل من فعلهم في أمر البيعة.

يحيى: عن ابن لهيعة (....) (ل ٣٣٠) (١) يوم بيعة رسول الله تحت الشجرة «أن رسول الله بعث عثمان بن عفان إلى قريش بمكة يدعوهم إلى الإسلام، فلما رآه عليه - أي: أبطأ عليه - ظن رسول الله أن عثمان قد غدر به فقتل؛ فقال لأصحابه: إني لا أظن عثمان إلا قد غدر به؛ فإن فعلوا فقد نقضوا العهد، فبايعوني على الصبر وألا تفروا».

قوله: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ أي: فمن نكث؛ يعني: يرجع (....) (٢) محمد فإنما ينكث على نفسه ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ عَظِيمًا﴾ يعني: الجنة.

(١) طمس في الأصل نحو نصف سطر، ولم أجد الحديث بهذا اللفظ، والله أعلم.

(٢) طمس في الأصل قدر ثلاث كلمات.

﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب﴾ يعني: المنافقين المتخلفين عن الجهاد؛ في تفسير الحسن ﴿شغلنا أموالنا وأهلونا﴾ خِفْنَا عَلَيْهِم الضَّيْعَةَ، فذلك الذي منعنا أن نكون معك في الجهاد.

﴿فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ أي: يعتذرون بالباطل ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضرّاً﴾ أن يهلككم بنفاقكم فيدخلكم النار ﴿أو أراد بكم نفعاً﴾ أن يرحمكم بإيمان يَمُنُّ به عليكم، وقد أخبر نبيه بعد هذه الآية أنه لا يتوب عليهم في قوله: ﴿لن يغفر الله لهم﴾^(١).
﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهلهم أبداً﴾ كان المنافقون يقولون: لن يرجع محمدٌ إلى المدينة أبداً ﴿وكنتم قوماً بوراً﴾ يعني: فاسدين.

قال محمدٌ: البور في بعض اللغات: الفاسد، يقال: أصبحت أعمالهم بوراً؛ أي: مُبْطَلَة، وأصبحت ديارهم بوراً؛ أي: معطلة خراباً^(٢).

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١٤) سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِ لِنَأْخُذْهَا ذُرُوءًا نَنِيْعَكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١٥)

﴿ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾ ولا يشاء أن يغفر إلا لمن تاب من الشرك وبرئ من النفاق، ويعذب من أقام عليه حتى

(١) المنافقون: ٦ .

(٢) لسان العرب: (بور).

يموت ﴿وكان الله غفوراً رحيمًا﴾ (لمن) (١) آمن.

﴿سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها﴾ وهم المنافقون: ﴿ذرونا﴾ يقولونه للمؤمنين ﴿تبتغكم﴾ وهذا حين أرادوا أن يخرجوا إلى خيبر أحبوا الخروج ليصيبوا من الغنيمة، وقد كان الله وعدها النبي ﷺ فلم يترك ﷺ أحدًا من المنافقين يخرج معه إلى خير أمره الله بذلك، وإنما كانت لمن شهد بيعة الرضوان يوم الحديبية ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا﴾ أي: لن تخرجوا معنا ﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ ألا تخرجوا ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ إنما تمنعوننا من الخروج معكم للحسد، قال الله: ﴿بل كانوا لا يفقهون إلا قليلًا﴾ عن الله، ثم استثنى المؤمنين فقال: ﴿إلا قليلًا﴾ فهم الذين يفقهون عن الله.

﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾ ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ والبأس: القتال.

﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ أي: تقاتلونهم على الإسلام. قال الحسن ومجاهد: هم أهل فارس ﴿فإن طيعوا يؤتكم الله أجرًا حسنًا وإن تتولوا كما توليتم من قبل﴾ قال الكلبي: يوم الحديبية.

(١) تكررت في الأصل.

عَذَرَ اللَّهُ عند ذلك أهلَ الزَّمانَةِ^(١) فقال: ﴿ليس على الأعمى حرجٌ﴾ ثم ﴿ولا على الأعرج حرجٌ﴾ أن يتخلفوا عن الغزوة ﴿ولا على المريض حرجٌ﴾ فصارت رخصة لهم في الغزو، ووضع عنهم.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلُّوا الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿٢٣﴾

﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ قال جابر بن عبد الله: «كانت سُمْرة^(٢) بايعناه تحتها وكنا أربع عشرة مائة - يريد ألفاً وأربعمائة - وعمر أخذ بيده فبايعناه كلنا غير جد بن قيس اختبأ تحت إبطه غيره. قال جابر: ولم نبايع عند شجرة إلا الشجرة التي بالحديبية»^(٣).

قال: ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ أنهم صادقون ﴿فأنزل السكينة عليهم﴾ تفسير الحسن: السكينة: الوقار ﴿وأثابهم فتحة قريباً﴾ خير ﴿ومغانم كثيرة

(١) أي: المرض الشديد الملازم زماناً، والذي أقعدهم دون الغزو.

(٢) ضرب من الشجر العظيم وجمعه: سُمْر، وأسْمُر. لسان العرب (سمر).

(٣) رواه مسلم (٤/١٤٨٣ - ١٤٨٤ رقم ١٨٥٦) وبعضه في صحيح البخاري (٣٥٧٦ ،

٤١٥٢ ، ٤١٥٣ ، ٤١٥٤ ، ٤٨٤٠ ، ٥٦٣٩).

يأخذونها ﴿يأخذها المؤمنون إلى يوم القيامة﴾ وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها (...) ^(١) .

﴿وكف أيدي الناس عنكم﴾ وهم أسد وغطفان كانوا (...) ^(٢) خير، وكان (ل ٣٣١) الله قد وعد نبيه خير؛ فأمر رسول الله ﷺ أن يوجهوا راياتهم إذا هموا إلى غطفان وأسد (...) ^(٢) ذلك، فألقى الله في قلوبهم الرعب، فهربوا من تحت ليلتهم ^(٣) فهو قوله: ﴿وكف أيدي الناس عنكم...﴾ إلى آخر الآية؛ هذا تفسير الكلبي.

قوله: ﴿وأخرى لم تقدروا عليها﴾ بعد ﴿قد أحاط الله بها﴾ يقول: أعلم أنكم ستظفرون بها وتفتحونها؛ يعني: كل غنيمة يلغنها المسلمون إلى يوم القيامة ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ في تلك الحال ﴿لولوا الأدبار ثم لا يجدون ولياً﴾ يمنعهم من ذلك القتل الذي يقتلهم المؤمنون ﴿ولا نصيراً﴾ ينتصر لهم ﴿سنة الله التي قد خلت من قبل﴾ أي: بقتل من أظهر الشرك، إذ أمر النبي بالقتال.

قال محمد: ﴿سنة الله﴾ منصوب بمعنى: سن الله سنة.

﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ وكان الله بما تعملون بصيراً ﴿٢٤﴾ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو نزلنا لعذبنا الذين كفروا

(١) طمس في الأصل نحو أربع كلمات.

(٢) طمس في الأصل.

(٣) هكذا في الأصل: ولعل المراد: هربوا تحت ظلام الليل. والله أعلم.

مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾

﴿وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم﴾ قال الكلبي: كان هذا يوم الحديبية؛ فإن المشركين من أهل مكة كانوا قاتلوا رسول الله ﷺ وكان شيء من رمي نبل وحجارة بين الفريقين ثم هزم الله المشركين وهم ببطن مكة، فهزموا حتى دخلوا مكة، ثم كف الله بعضهم عن بعض.

﴿هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ صدّ المشركون رسول الله ﷺ عن البيت، فنحر ونحر أصحابه الهدي بالحديبية، وهو قوله: ﴿والهدي معكوفاً﴾ أي: محبوساً ﴿أن يبلغ محله﴾.

قال محمد: يقال: عَكَفْتُهُ عن كذا إذا حَبَسْتُهُ، ومنه: العاكف في المسجد، إنما هو الذي يَحْبِسُ نفسه فيه^(١): والمِجْلُ: المَنْحَرُ^(٢). ونصب (والهدي) على معنى: صدوكم وصدوا الهدي معكوفاً^(٣).

﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ بمكة يدينون بالتقية ﴿لم تعلموهم أن تطئوهم﴾ فتقتلوهم ﴿فتصيبكم منهم معرة﴾ إثم ﴿بغير علم﴾ أي: فتقتلوهم بغير علم ﴿ليدخل الله في رحمته﴾ يعني: الإسلام ﴿من يشاء﴾

(١) لسان العرب (عكف).

(٢) لسان العرب (حلل).

(٣) وفيه تفصيل نحوي واسع. ينظر: إعراب القرآن (١٩٣/٣) البيان (٣٧٨/٢)، البحر (٨/٩٨).

فيسلموا، وقد فعل الله ذلك.

قال الله: ﴿لَوْ تَرَىٰٓهُمْ سَبَّحُوا بُكْرَةً أُثْرَىٰ﴾ أي: زال المسلمون من المشركين، والمشركون من المسلمين، فصار المشركون مَحْضًا ﴿لَعَذَبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: لسلطانكم عليهم فقتلتموهم.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ هم المشركون؛ صدوا نبيَّ الله يوم الحديبية عن المسجد الحرام، وحَسِبَ الهدي أن يبلغ محله، وإنما حملهم على ذلك حَمِيَّةُ الجاهلية والتَّمَأْسُكُ بها ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾ لا إله إلا الله ﴿وَكَانُوا أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا﴾ في الدنيا، وعليها وقع الثواب في الآخرة.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون﴾ كان رسول الله ﷺ - في تفسير الكلبي - رأى في المنام في خروجه إلى المدينة كأنه بمكة، وأصحابه قد حلقوا وقصروا؛ فأخبر رسول الله بذلك المؤمنين، فاستبشروا وقالوا: وَخِيَ . فلما رجع رسول الله من الحديبية ارتاب ناس؛ فقالوا: رأى فلم يكن الذي رأى، فقال الله - عز وجل - : ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين﴾.

قال محمد: ذكر بعض العلماء أن العرب تستثنى في الأمر الذي لا بُدَّ منه، ومنه قول الله - عز وجل - : ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ فعزم لهم بالدخول، واستثنى فيه.

قال يحيى: وكان رسول الله صالح المشركين على أن يرجع عامه ذلك، ويرجع من قابل، ويقيم بمكة ثلاثة أيام، فنحر رسول الله ﷺ وأصحابه الهدى بالحُدَيْبِيَّة، وحلقوا وقصروا ثم أدخله الله العام المقبل مكة وأصحابه آمنين فحلقوا وقصروا.

﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ فتح خبير.

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (ل ٣٣٢) الإسلام ﴿ليظهره على الدين كله﴾ تفسير الحسن: حتى يحكم على الأديان. وتفسير ابن عباس: حتى يظهر النبي على الدين كله؛ أي: على شرائع الدين كلها، فلم يقبض رسول الله حتى أتمَّ الله ذلك.

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْجٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَتَزَرَّوْهُ فَاسْتَقْلَطُ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِظَ يَوْمَ الْكُفَّارِ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (٢٩)

﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ يعني: متوادين ﴿تراهم ركعًا سجدًا﴾ يعني: الصلوات الخمس ﴿يبتغون فضلًا من الله ورضوانًا﴾ بالصلاة والصوم والدين كله ﴿سيماهم في وجوههم من أثر السجود﴾ قال بعضهم: سيماهم في الآخرين يقومون غرًا مُحَجَّلِينَ من أثر الوضوء ﴿ذلك مثلهم في التوراة﴾

أي: نَغْتَهُمْ ﴿ومثلهم في الإنجيل﴾ أي: ونعتهم في الإنجيل ﴿كزراع أخرج شطأه﴾ النعت الأول في التوراة، والنعت الآخر في الإنجيل و (شطأه): فِراخه ﴿فآزره﴾ فشده ﴿فاستغلظ﴾ أي: فاشتد ﴿فاستوى على سوقه﴾ أي: أصوله.

قال محمد: يقال: قد أشطأ الزرع فهو مُشْطِئٌ إذا أفرخ^(١).

ومعنى (آزره): أعانه وقوّاه^(٢)، و(السوق) جمع: ساق^(٣).

﴿يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ أي: يخرجون فيكونون قليلاً كالزراع حين يخرج ضعيفاً فيكثرون ويَقْوُونَ، فشبههم بالزراع يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار. يقول: إنما يفعل ذلك بهم ليغيظ بهم الكفار ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾ يعني: الجنة.



(١) لسان العرب (شطأ).

(٢) لسان العرب (وزر).

(٣) لسان العرب (سوق).

تفسير سورة الحجرات
وهي مدينة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَانْفُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾
يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ
عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقَاةِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾
قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله...﴾ الآية،
تفسير مجاهد: تفتاتوا على رسول الله بشيء حتى يقضيه الله على لسانه.

قال محمد: يقال: فلان يقدم بين يدي الإمام وبين يدي أبيه؛ أي: يعجل
بالأمر والنهي^(١).

﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم...﴾ الآية، تفسير الحسن: أن
ناساً من المنافقين كانوا يأتون النبي فيرفعون أصواتهم فوق صوته، يريدون
بذلك أذاه والاستخفاف به، فنسبهم إلى ما أعطوا من الإيمان في الظاهر،
فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض﴾ يقول: لا تقولوا: يا محمد، وقولوا: يا رسول
الله، ويا نبي الله ﴿أن تحبط أعمالكم﴾.

قال محمد: المعنى: فيكون ذلك سبباً لأن تحبط أعمالكم.

(١) لسان العرب (قدم).

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغْضَوْنَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ فيَعْظُمُونَهُ بِذَلِكَ؛ فَلَا يَرْفَعُونَهَا عِنْدَهُ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أَخْلَصَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴿لِلتَّقَى﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾﴾

قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ...﴾ الآية، تفسير الكلبي: بلغنا أن ناسًا من بني العنبر، وكان رسول الله وأصحابه قد أصابوا من ذراريهم فأقبلوا ليقادوهم، فقدموا المدينة ظَهْرًا فإذا هم بذراريهم عند باب المسجد، فبكى إليهم ذراريهم فنهضوا فدخلوا المسجد، وعجلوا أن يخرج إليهم النبي، فجعلوا يقولون: يا محمد، اخرج إلينا.

قال الله: ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرًا لهم﴾ تفسير الحسن: ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم؛ فعظموك ووقروك، لكان لهم خيرًا.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ...﴾ الآية، تفسير الكلبي: بلغنا أن رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق وهم حي من خزاعة؛ ليأخذ منهم صدقاتهم، ففرحوا بذلك وركبوا يَلْتَمِسُونَهُ، فبلغه أنهم قد

ركبوا يتلقونه، وكان بينهم وبين الوليد ضغنٌ في الجاهلية، فخاف الوليد أن يكونوا إنما ركبوا إليه ليقتلوه، فرجع إلى رسول الله ولم يلقيهم فقال: يا رسول الله، إن بني المصطلق منعوا صدقاتهم، وكفروا بعد إسلامهم (...)^(١) قالوا: يا رسول الله، (...)^(٢) إلينا (ل ٣٣٣) (...)^(٣) إنما رده غصبة غضبته علينا؛ فإننا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله. فأنزل الله [عذرهم]^(٤) في هذه الآية.

﴿واعلموا أن فيكم رسول الله﴾ مقيماً بينكم؛ فلا تضلون ما قبلتم منه ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم﴾ أي: في دينكم، العنت: الحرج والضيق^(٥) ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ بما وعدكم عليه من الثواب ﴿وكره إليكم الكفر والفسوق﴾ الفسوق والعصيان واحد ﴿وأولئك هم الراشدون﴾ الذين حبب إليهم الإيمان ﴿فضلاً من الله ونعمة﴾ أي: بفضل من الله ونعمته فعل ذلك بهم ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ في أمره.

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْضُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ تفسير الكلبي: بلغنا

(١) طمس في الأصل نحو نصف سطر.

(٢) طمس في الأصل قدر ثلاث كلمات.

(٣) طمس في الأصل قدر سطر.

(٤) مشتبهة في الأصل، ولعلها كما أثبت.

(٥) لسان العرب (عنت).

«أن رسول الله ﷺ أقبل على حمارٍ حتى وقف في مجلس من مجالس الأنصار؛ فكره بعض القوم موقفه، وهو عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، فقال له: خل لنا سبيل الريح من نتن هذا الحمار، أف! وأمسك بأنفه، فمضى رسول الله ﷺ وغضب له بعض القوم، وهو عبد الله بن رواحة فقال: أرسول الله قلبت هذا القول؟! فوالله لحِمَارُهُ أَطْيَبُ رِيحًا منك! فاستبًا ثم اقتتلا واقتتل عشائرهما، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأقبل يصلح بينهما؛ فكانهم كبرهوا ذلك، فنزلت هذه الآية: ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾^(١).

قال محمد: قوله: ﴿اقتتلوا﴾ يريد جماعتهم، وقوله: ﴿بينهما﴾ يريد الطائفتين^(٢).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بََعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(١٢)

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ تفسير مجاهد: لا يهزأ قوم بقوم ورجال من رجال ﴿عسى أن يكونوا خيرًا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرًا منهن ولا تلمزوا أنفسكم﴾ أي: لا يطعن بعضكم على بعض ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ تفسير الحسن: يقول الرَّجُلُ للرجل - قد كان يهوديًا

(١) روى البخاري (٣٥١/٥) رقم (٢٦٩١)، ومسلم (١٤٢٤/٣) رقم (١٧٩٩) عن أنس بن مالك رضي الله عنه نحوه.

(٢) ينظر الدر المصون (١٧٠/٦).

أو نصرانيًا؛ فأسلم - : يا يهودي، يا نصراني، أي: يدعونه باسمه الأول، ينهى الله المؤمنين عن ذلك وقال: ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ بئس الاسم: اليهودية والنصرانية بعد الإسلام.

قال محمد: الألقاب والأنباز واحد^(١)، المعنى: لا تتداعوا بها، وهو تفسير الحسن.

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم﴾ تفسير الحسن: إذا ظننت بأخيك المسلم ظنًا حسنًا؛ فأنت مأجور، وإذا ظننت به ظنًا سيئًا؛ فأنت آثم ﴿ولا تجسسوا﴾ لا يتبع الرجل عورة أخيه المسلم.

يحيى: عن النضر بن بلال، عن أبان بن أبي عيَّاش، عن أنس بن مالك «أن رسول الله ﷺ خرج يومًا فنادى بصوت أسمع العواتق في الخدور: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تعيئوهم ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته؛ ومن يتبع الله عورته فضحه في بيته»^(٢).

قوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه﴾ قال الكلبي: «إن رسول الله ﷺ قال لقوم اغتابوا رجلين: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا بعدما يموت؟! فقالوا: لا والله يا رسول الله، ما نستطيع أكله ولا نجبه. فقال رسول الله: فاكرهوا الغيبة».

يحيى: عن عثمان، عن نعيم بن عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال

(١) الدر المصون (٦/١٧١).

(٢) تقدم الكلام عليه في تفسير سورة الأحزاب، الآية: ٥٨، وأنه اختلف فيه على أبان بن أبي عيَّاش، وأن له شواهد عن عدة من الصحابة.

رسول الله ﷺ : «إذا ذكرت أخاك بما فيه فقد اعتبته، وإذا ذكرتَه بما ليس فيه فقد بهته» (١).

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهُ يَدِينُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وجعلناكم شعوبًا وقبائل﴾ تفسير بعضهم: الشعوب: الأجناس،

(١) رواه الإمام أحمد (٢/٢٣٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤٥٨) والبخاري في الأدب المفرد (٤٢٥) ومسلم (٤/٢٠٠١ رقم ٢٥٨٩) وأبو داود (٥/٣٠٣ رقم ٤٨٤١) والترمذي (٤/٢٩٠ رقم ١٩٣٤) والنسائي في الكبرى (٦/٤٦٧ رقم ١١٥١٨) والدارمي (٢/٣٨٧ رقم ٢٧١٤) والطبري في تفسيره (٢٦/١٣٥ - ١٣٦): وغيرهم من طريق العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

ورواه ابن عدي في الكامل (٩/١٩٨ - ١٩٩) وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (١/٤٣٩ - ٤٤١ رقم ٧٩ ، ٨٠) وأبو نعيم في تاريخ أصبهان (٢/٤٥) من طريق أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولما سئل أبو حاتم عن هذا الطريق قال: هذا حديث منكر. علل الحديث (٢/١٣٠ رقم ١٨٨١).

والقبائل: قبائل العرب.

قال محمد: واحد الشعوب: شَعْب - بفتح العين^(١) - والشَّعْب بالكسر: الطريق؛ يعني: في الجبل^(٢).

﴿لتعارفوا﴾ ثم انقطع الكلام، ثم قال: ﴿إن أكرمكم عند الله﴾ يعني: في المنزلة ﴿أتقاكم﴾ (في الدنيا)^(٣).

﴿قالت الأعراب آمنا﴾ يعني: المنافقين (ل ٣٣٤) من (...) ^(٤) ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ تفسير قتادة: ولكن قولوا: (...) ^(٥) السيف ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله﴾ في السر والعلانية ﴿لا يلتكم﴾ لا ينقصكم ﴿من أعمالكم شيئاً﴾.

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ يشكوا ﴿وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾ بما أعطوا من الإيمان مخلصه به قلوبهم، ليس كما صنع المنافقون.

﴿قل أتعلمون الله بدينكم﴾ يعني: المنافقين أي: إن دينكم الذي تضمرون هو الشرك.

(١) هكذا في الأصل. والصواب: بفتح الشين؛ لأن واحد الشعوب: شَعْب - بإسكان العين - أما الشَّعْب بتحريك العين بالفتحة فهو بُعْد ما بين المنكين، وما بين القرنين. وقيل: الشعوب في العجم، والقبائل في العرب، والأسباط في العجم. ينظر: القاموس المحيط (شعب) الدر المصون (١٧١/٦).

(٢) ويُجمع الشَّعْب على: شِعَاب، والشَّعْب على: شعوب. لسان العرب (شعب).

(٣) مشتبهة في الأصل، ولعلها كما أثبتها.

(٤) طمس في الأصل قدر كلمة.

(٥) طمس في الأصل قدر كلمتين.

﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ تفسير الحسن: هؤلاء مؤمنون وليسوا بمنافقين، ولكنهم كانوا يقولون لرسول الله: أسلمنا قبل أن يسلم بنو فلان، وقاتلنا معك قبل أن يقاتل بنو فلان؛ فأنزل الله: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمَنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: إن كنتم صادقين عُرِفْتُمْ بالصدق، إن المنة لله ولرسوله عليكم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سر السموات والأرض ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.



تفسير سورة ق وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝٥ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَرَزَقْنَاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝٦ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝١٠ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝١١﴾

قوله: ﴿قَ﴾ تفسير بعضهم: هو جبل محيط بالدنيا^(١).

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢٢١/٤): ﴿قَ﴾ حرف من حروف الهجاء المذكورة في أوائل السور، كقوله ﴿صَ﴾ و ﴿نَ﴾ و ﴿مَ﴾ و ﴿حَمَ﴾ و ﴿طَسَ﴾ ونحو ذلك، قاله مجاهد وغيره وقد أسلفنا الكلام عليها في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته، وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ﴿قَ﴾ جبل محيط بجميع الأرض يقال له: جبل قاف، وكان هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس؛ لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه التي من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم، كما افترى في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها - أحاديث عن النبي ﷺ وما بالعهد من قدم، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى، وقلة الحفاظ النقاد فيهم، وشربهم الخمر وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه، وتبديل كتب الله وآياته؟! وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله: «وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» فيما قد يجوزه العقل، فأما فيما تحيله العقول، ويحكم فيه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه، فليس من هذا القبيل - والله أعلم - وقد أكثر كثير من السلف =

قال محمدٌ: وروي عن ابن عباسٍ أنه قال: هُوَ جبل أخضر من زمرد، خضرة السماء منه. وذكر قطرب أن قراءة الحسن ﴿ق﴾ بالجزم^(١).

قال يحيى: وبَعْضُهُمْ يجر قاف والقرآن المجيد؛ يجعله على القسم، ومعنى (المجيد): الكريم على الله، ومن جزم جعل القسم من (والقرآن المجيد)^(٢).

قال الحسن: وقع القسم على تعجب المشركين مما جاء به محمدٌ. قوله: ﴿بل عجبوا﴾ أي: لقد عجبوا؛ يعني: المشركين ﴿أن جاءهم منذرٌ منهم﴾ يعني: النبي ﷺ منهم في التَّسَبُّبِ ينذر من عذاب الله ﴿فقال الكافرون هذا شيءٌ عجيب﴾ أي: عجب ﴿أئذا متنا وكنا تراباً﴾ على الاستفهام ﴿ذلك رجعٌ بعيد﴾ ينكرون البعث؛ أي: إنه ليس بكائن، قال الله: ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ ما تأكل الأرض منهم إذا ماتوا، تأكل كل شيءٍ إلا عَجَبَ الذَّنْبِ^(٣) ﴿وعندنا كتابٌ حفيظ﴾ تفسير بعضهم: يقول: هو اللوح المحفوظ ﴿فهم في أمرٍ مريب﴾ مُلْتَبِسٍ؛ يعني: في شكٍ من البعث.

﴿كيف بنيناها وزيناها﴾ يعني: بالكواكب ﴿وما لها من فروج﴾ من شقوق. ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ الرواسي: الجبال أثبت بها الأرض ﴿وأثبتنا فيها من كل زوج بهيج﴾ حسن، وكل ما ينبت في الأرض فالواحد منه زوج ﴿تبصرة﴾

= من المفسرين وكذا طائفة كثيرة من الخلف من الحكاية عن كتب أهل الكتاب في تفسير القرآن المجيد، وليس بهم احتياج إلى أخبارهم، والله الحمد والمنة.

(١) كذا في الأصل، عزا قراءة الجزم للحسن، والمعروف أن قراءة الجزم للعامة، وقرأ الحسن بالكسر. انظر الجامع للقرطبي (١٧/ ٢-١) وإتحاف الفضلاء (٥١٤).

(٢) إعراب القرآن (٣/ ٢١١)، البيان (٢/ ٣٨٤)، البحر (٨/ ١٢٠).

(٣) مؤخرته عند رأس المُضْطَعِّص. المعجم الوسيط (عجب).

أي: يتفكر فيه المؤمن، فيعلم أن الذي خلق هذا قادرٌ على أن يحيي الموتى، وأن ما وعد الله من الآخرة حق.

قال محمد: (تبصرة) منصوبٌ بمعنى: فضلنا ذلك للتبصرة، وليدل على القدرة^(١).

﴿وذكرى لكل عبدٍ منيب﴾ مقبل إلى الله بإخلاص له ﴿فأنبتنا به جنات وحب الحصيد﴾ وهو كل ما يحصد؛ في تفسير الحسن.

قال محمد: (حب الحصيد) المعنى: الحب الحصيد، فأضاف الحب إلى الحصيد؛ كما يقال: صلاة الأولى؛ يراد الصلاة الأولى، ومسجد الجامع؛ يراد المسجد الجامع^(٢).

قوله: ﴿والنخل باسقات﴾ يعني: طوالاً.

قال محمد: يقال: بسق الشيء بُسُوقًا إذا طال^(٣).

﴿لها طلع نضيد﴾ أي: منضودٌ بغضه فوق بعض ﴿رزقاً للعباد﴾ أي: أنبتناه رزقاً للعباد ﴿وأحينا به﴾ بالمطر ﴿بلدة ميثا﴾ يابسة ليس فيها نبات فأنبت ﴿كذلك الخروج﴾ البعث. يرسل الله مطراً ميثاً كمني الرجال ينبت به جسمانهم ولحمانهم، كما ينبت الأرض الثرى.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّيْسِ وَشَمُودُ ﴿١١﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٢﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدُ ﴿١٤﴾ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ

(١) أي: مفعول لأجله. ينظر: إعراب القرآن (٣/٢١٣)، البيان (٢/٣٨٥) البحر المحيط (٨/١٢١).

(٢) وهو مذهب البصريين؛ لئلا يلزم إضافة الشيء إلى نفسه. ينظر: الدر المصون (٦/١٧٥).

(٣) لسان العرب (بسق).

جَدِيدٌ ﴿١٥﴾

﴿كذبت قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿قوم نوح وأصحاب الرس﴾ الرّس: بئر كان (ل ٣٣٥) عليها قومٌ فنسبوا إليها.

﴿وإخوان لوط﴾ إخوان في النسب لا في الدين ﴿وأصحاب الأيكة﴾ الغيضة وقد فسّرنا أمرهم في سورة الشعراء (١) ﴿وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد﴾ يقول: جاءتهم الرسل يدعونهم إلى الإيمان، ويحذرونهم العذاب، فكذبوهم فجاءهم العذاب، يحذر بهذا مشركي العرب ﴿أفعمينا بالخلق الأول﴾ تفسير الحسن: يعني: خلق آدم، أي: لم يعي به ﴿بل هم في لبس﴾ في شك ﴿من خلق جديد﴾ يعني: البعث.

قال محمد: المعنى: لم يعي بالخلق الأول، وكذلك لا يعي بالخلق الثاني وهو البعث، وهو الذي أراد الحسن، ويقال: عَيَّ بأمره يَعْي عَيَاءً، وأَعْيَا في المشي إَعْيَاءً (٢).

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ (١٦) إِذْ يَنْتَلَى الْمُلْتَقَيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾

﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ ما تحدث به نفسه

(١) الشعراء: ١٧٦ .

(٢) لسان العرب (عبي).

﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ وهو نياط القلب.
قال محمد: الوريد عرق في باطن العنق، والحبل هو الوريد؛ فأضيف إلى نفسه لاختلاف لفظي اسمه^(١).

قوله: ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾ يعني: الملكين الكاتبين.
قال محمد: يعني: يتلقيان ما يعمله ويكتبانه.

﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ أي: رصيّد يرصده ﴿ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيب عتيد﴾ أي: حافظ حاضر يكتبان كل ما يلفظ به.

قال محمد: ﴿قعيد﴾ أراد قعيداً من كل جانب^(٢)، فاكفَى بذكر واحد إذ كان دليلاً على الآخر، وقعيد بمعنى قاعد، كما يقال: قدير وقادر^(٣).

﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ بالبعث؛ أي: يموت ليعث.

قوله: ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾ تهرب، قال الحسن: هو الكافر لم يكن شيء أبغض إليه من الموت ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ يعني: الموعود ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾ سائق يسوقها إلى الجنة أو النار، وشاهد يشهد عليها بعملها، وتفسير بعضهم: هو ملكه الذي كتب عمله في الدنيا هو شاهد عليه بعمله.

﴿لقد كنت في غفلةٍ من هذا فكشفنا عنك غطاءك﴾ غطاء الكفر ﴿فبصرك اليوم﴾ يعني: يوم القيامة ﴿حديد﴾ أي: بصير.

(١) الدر المصون (١٧٧/٦) وجامع القرطبي (٩/١٧).

(٢) أي: يراد به الثنية؛ لأن صيغة (فعل) يستوي فيها الواحد والثنية والجمع. ينظر كشف المشكلات (١٢٦٥/٢).

(٣) ينظر: البحر المحيط (١٢٣/٨)، مجمع البيان (١٤٤/٥)، المخصص (٢٩/١٧).

قال محمدٌ: ﴿حديد﴾ في معنى: حاد، كما يقال: حفيظٌ وحافظ، ويقال: حدٌّ بصره^(١).

﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَيْنِي﴾ (٢٣) ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (٢٤) ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَّريبٍ﴾ (٢٥) ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ (٢٦) ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (٢٧) ﴿قَالَ لَا تَخْصِمُوهُ لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ (٢٨) ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (٢٩) ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ (٣٠) ﴿وقال قرينه﴾ هو الملك الذي كان يكتب عمله ﴿هذا ما لدي﴾ أي: عندي ﴿عتيد﴾ أي: حاضر؛ يعني: ما كتب عليه.

قال محمدٌ: (عتيدٌ) يجوز الرفع فيه بمعنى هو عتيدٌ^(٢).

قال الله: ﴿ألقيا في جهنم كل كفار عنيد﴾ أي: مُعاند للحق مُجْتَنِبُهُ ﴿مناعٍ للخير﴾ للزكاة (مُعْتَدٍ) هو من قَبِلَ العُدوان^(٣) ﴿مريبٍ﴾ أي: في شكٍ من البعث.

قال محمدٌ: قوله: ﴿ألقيا في جهنم﴾ قيل: يحتمل - والله أعلم - أن يكون عَنَى السائق والشهيد؛ لقوله: ﴿معها سائق وشهيد﴾ فيكونا هما المأمورين، ويحتمل أن يكون واحدًا، وهي لغة بني تميم تقول: اذهب يا رجل، واذهب يا قوم^(٤)، وقال الشاعر:

(١) ينظر المراجع السابقة، ولسان العرب (حد).

(٢) ينظر: البيان (٣٨٦/٢)، البحر (١٢٦/٨)، إعراب القرآن (٣/٢٢٠).

(٣) لسان العرب (عدو).

(٤) ينظر: كشف المشكلات (١٢٦٦/٢)، مجمع البيان (١٤٥/٥)، البحر (١٢٦/٨).

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَا ابْنَ مَرْوَانَ أَزْذِجْزُ وَإِنْ تَدْعَانِي أَخْمِ عِزًّا مُمْنَعًا^(١)
 وجاء عن ابن عباس في قوله: ﴿فَقُلْنَا اذْهَبَا﴾^(٢) قال: يريد موسى وحده.
 قال ابن عباس: وقوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ هو من هذا.
 ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ يعني: شيطانه ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتَهُ﴾ أي: ما أضللتته بسُلطان كان
 لي عليه ﴿وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ من الهدى ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدِيَ﴾
 عندي ﴿وَقَدْ قَدِمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ في الدنيا ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدِيَ﴾ أي: قد
 قضيت ما أنا قاضٍ ﴿يَوْمَ يَقُولُ﴾^(٣) لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد
 تفسير مجاهد: وعدّها ليملاها، فقال: أوفيتك؟ فقالت: أو هل من مسلك؟
 أي: قد امتلأت.

قال محمد: ﴿يَوْمَ﴾ نصب على معنى [واذكر] ^(٤) يوم يقول، وقد يكون
 على معنى: ما يبدل القول لدي في ذلك اليوم ^(٥). واللّه أعلم بما أراد.
 ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾^(٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ^(٣٢) مَنْ خَشِيَ
 الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ يَقْلِبٌ مُنِيبٌ^(٣٣) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ^(٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا
 وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ^(٣٥)

(١) البيت من بحر الطويل، ويروى: (يا بن عفان) بدل (يا بن مروان) وهو لسويد بن كراع.
 ينظر: الصاحبي (١٨٦)، شرح شواهد الشافية (٤٨٤) الدر المصون (١٧٨/٦).

(٢) الفرقان: ٣٦.

(٣) قرأ نافع وأبو بكر: ﴿يقول﴾ بالياء، وقرأ الباقون: ﴿تقول﴾ بالنون. النشر (٣٧٦/٢)
 وإتحاف الفضلاء (٥١٤) وتفسير القرطبي (١٨/١٧).

(٤) طمس في الأصل، والمثبت من الدر المصون (١٧٩/٦).

(٥) أي: أن النصب على الظرف أو المفعول به. ينظر: البحر (١٢٥/٨) الدر المصون (٦/٦).
 (١٧٩).

﴿وأزلفت الجنة﴾ أي: أدنيت ﴿للمتقين﴾ .

﴿هذا ما توعدون﴾ يعني: الجنة ﴿لكل أواب حفيظ﴾ (ل٣٣٦) الأواب: الراجع عن ذنبه ﴿وجاء بقلب منيب﴾ أي: لقي الله (...) (١).

﴿ادخلوها بسلام﴾ تفسير السدي: تقوله لهم الملائكة ﴿ذلك يوم الخلود﴾ .

يحيى: عن عثمان، عن نافع، عن ابن عمر قال: سمعتُ رسول الله يقول: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة، خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت» (٢).

﴿لهم ما يشاءون فيها﴾ إذا اشتهوا الشيء جاءهم من غير أن يدعوا به ﴿ولدينا مزيد﴾ .

يحيى: عن المسعودي، عن المنهال بن عمرو، عن أبي عبيدة بن عبد الله ابن عتبة (٣)، عن ابن مسعود قال: «سارعوا إلى الجمع في الدنيا؛ فإن الله -

(١) طمس في الأصل قدر كلمتين .

(٢) رواه الإمام أحمد (١٣٠/٢) وعبد بن حميد (٢٤٥ رقم ٧٦١) والبخاري (١١/٤١٤) رقم ٦٥٤٤ ومسلم (٤/٢١٨٩ رقم ٤٢/٢٨٥٠) وغيرهم من طريق نافع به .

ورواه الإمام أحمد (١١٨/٢ ، ١٢٠ - ١٢١) والبخاري (١١/٤٢٣ رقم ٦٥٤٨) ومسلم (٤/٢١٨٩ رقم ٤٣/٢٨٥٠) وابن حبان (١٦/٥١٥ رقم ٧٤٧٤) وغيرهم من طريق محمد ابن زيد عن ابن عمر رضي الله عنهما به .

ورواه البخاري (٨/٢٨٢ رقم ٤٧٣٠) ومسلم (٤/٢١٨٨ - ٢١٨٩ رقم ٢٨٤٩) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

ورواه البخاري (١١/٤١٤ رقم ٦٥٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) كذا في الأصل، وكذا نقله القرطبي في تفسيره (١٧/٢١ ، ١١٨/١٨) وفي التذكرة (٥٧٧) عن يحيى بن سلام به، وقد جاء في كل الكتب التي روت الحديث «عن أبي عبيدة» مهملاً، إلا المختار من الإبانة فقيه: «عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود» وسيأتي في كلام =

عز وجل - يبرز لأهل الجنة في كل يوم جمعة في كتيب من كافور أبيض، فيكونون منه في القرب كمسارعتهم إلى الجمع في الدنيا، فيحدث لهم من الكرامة شيئاً لم يكونوا رأوه قبل ذلك»^(١).

قال يحيى: وسمعتُ غير المسعودي يزيد فيه: وهو قوله: ﴿ولدينا مزيد﴾.

يحيى: عن خالد، عن عمرو بن عُبيد، عن بكر بن عبد الله المزني، قال:

= المنذري والهيثمي أنه «أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود»، وذكره ابن حجر في إتحاف المهرة (٥٣٤/١٠ - ٥٣٥ رقم ١٣٣٦٨) في أحاديث أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، قال: ولم يسمع منه.

(١) رواه ابن المبارك في الزهد - زوائد نعيم بن حماد (١٣١ رقم ٤٣٦) - ومن طريقه عبد الله ابن أحمد في السنة (٢٥٩/١ رقم ٤٧٦) والدارقطني في الرؤية (٢٦٨ رقم ١٦٥) - عن المسعودي به.

ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٣٨/٩ رقم ٩١٦٩) من طريق أبي نعيم عن المسعودي به.

ورواه أبو نعيم الأصبهاني في صفة الجنة (٢٢٧/٢ - ٢٢٨ رقم ٣٩٦) من طريق أبي النضر عن المسعودي به.

ورواه ابن خزيمة في التوحيد (٨٩٣/٢ رقم ٦٠٢) من طريق أبي داود الطيالسي عن المسعودي به.

ورواه الدارقطني في الرؤية (٢٦٨ - ٢٦٩ رقم ١٦٦) وابن بطة في الإبانة - المختار من الإبانة (٤٢ - ٤٣ رقم ٣١) - من طريق شباية بن سوار عن المسعودي به.

ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ق ١٣ - أ) من طريق يحيى بن كثير عن المسعودي به. قال المنذري في الترغيب (٥٠٣/١): رواه الطبراني في الكبير، وأبو عبيدة اسمه عامر، ولم يسمع من أبيه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقيل: سمع منه.

وقال الذهبي في العلو (٥٨٥/١): موقوف حسن.

وقال الهيثمي في المجمع (١٧٨/٢): رواه الطبراني في الكبير، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه.

وقال ابن حجر في إتحاف المهرة (٥٣٥/١٠): قلت: فيه علتان.

«إن أهل الجنة ليرَوْن ربهم في مقدار كل عيد هو لكم - كأنه يقول: في كل سبعة أيام - مرة، فيأتون ربَّ العزة في حُلُلٍ خُضر (وجوههم مشرقة)»^(١) وأساور من ذهب مُكَلَّلَةٌ بالدرُّ والزُّمُرْد وعليهم أكاليل (الدر)^(٢) ويركبون نجايبهم^(٣) ويستأذنون على ربهم فيدخلون عليه؛ فيأمر لهم ربنا بالكرامة»^(٤).

قال يحيى: وأخبرني رجلٌ من أهل الكوفة، عن داود بن أبي هند، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم في كل يوم جمعة في كتيب من كافور لا يُرى طرفاه، وفيه نهر جارٍ حافتاه المِسْك عليه جوارٍ يقرآن القرآن بأحسن أصوات سمعها الأولون والآخرون؛ فإذا انصرفوا إلى منازلهم أخذ كل رجل ما شاء منهم، ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ إلى منازلهم، فلولا أن الله يهديهم إلى منازلهم ما اهتدوا إليها؛ لما يحدث الله لهم في كل يوم جمعة»^(٥).

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾
 ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ (٣٦) وَلَقَدْ
 خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾
 وقوله: ﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ يعني: قبل مشركي العرب ﴿من قرن هم

(١) في التذكرة: وجوه مشرقة.

(٢) في التذكرة: الذهب.

(٣) النجيب: الفاضل من كل حيوان، وقد تُجِبُّ يَتَجَبُّ نجابة؛ إذا كان نفيساً في نوعه. النهاية (١٧/٥).

(٤) عزاه القرطبي في التذكرة (ص ٥٧٧) ليحيى بن سلام فقط.

(٥) ذكره القرطبي في التذكرة (ص ٥٧٦ - ٥٧٧) عن يحيى بن سلام بإسناده إلى الحسن.

أشد منهم بطشاً ﴿يعني: قوة﴾ ﴿فَنَقَبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: جَوَّلُوا؛ في قراءة من قرأها بالثقل، يقول: جَوَّلُوا في البلاد حين جاءهم العذاب، ومن قرأها بالتخفيف يقول: فجالوا في البلاد^(١) ﴿هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ هل من ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله، فلم يجدوا ملجأ حتى هَلَكُوا.

قال محمد: ﴿نَقَبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: طافوا وفَتَّشُوا^(٢)، وهو الذي أراد يحيى، ومثله قول امرئ القيس:

وَقَدْ نَقَبْتُ فِي الْأَفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(٣)

قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ وهو المؤمن ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ وهو شهيد ﴿تفسير مجاهد: أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾، والقلب شهيد.

قال محمد: المعنى: استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساهٍ، وهذا ما أراد مجاهد.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ واليوم منها ألف سنة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ من إعياء؛ وذلك أن اليهود - أعداء الله - قالت: لما فرغ الله من خلق السموات والأرض أعيا فاستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى استراح. فأنزل الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾ الآية، ليس كما قالت اليهود.

قال محمد: الأجود في القراءة (لُغُوب) بضم اللام^(٤) يقال منه: لَغَبَ -

(١) ينظر البحر المحيط (١٢٩/٨)، الدر المصون (١٨١/٦).

(٢) لسان العرب (نقب).

(٣) البيت من بحر الوافر. ينظر: ديوانه (٩٩)، الكامل (١٤٣/٢)، العمدة (١٠٣/١).

(٤) العامة على ضم لام (لغوب)، وقرأ علي وطلحة والسلمي ويعقوب بفتحها. ينظر الدر المصون (١٨١/٦)، البحر (١٢٩/٨).

بفتح الغين - لَغَبًا وَلُغُوبًا، وفيه لغة أخرى: لَغَبٌ - بكسر الغين = واللُّغُوبُ: الإعياء^(١).

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ الشُّجُورِ ﴿٤٠﴾﴾

﴿فاصبر على ما يقولون﴾ ما يقول لك قومك: أنك ساحر، وأنتك شاعر، وأنتك كاهن، وأنتك مجنون، وأنتك كاذب ﴿وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾ تفسير الحسن: يعني: صلاة الصبح والظهر والعصر ﴿ومن الليل فسبحه﴾ يعني: صلاة المغرب وصلاة العشاء (٣٣٧ل) ﴿إدبار السجود﴾.

يحيى: عن عثمان، عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحارث، عن علي قال: «سئل رسول الله ﷺ عن ﴿إدبار السجود﴾ فقال: هما (الركعتين)^(٢) بعد صلاة المغرب، وسئل عن ﴿إدبار النجوم﴾^(٣) فقال: هما الركعتان قبل صلاة الصبح»^(٤).

(١) لسان العرب (لغب).

(٢) هكذا في الأصل. والصواب: الركعتان.

(٣) الطور: ٤٩.

(٤) رواه مسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (٤/١٦١ رقم ٣٧٣٨) - عن عبد الوارث،

عن محمد بن إسحاق، عن أبي إسحاق به

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٦/١٢١) لابن المنذر وابن مردويه في تفسيريهما أيضًا.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٦/١٨٠) من طريق عنبسة وسفيان والأجلح - من رواية مصعب

ابن سلام عنه - كلهم عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي رضي الله عنه موقوفًا.

ولما سئل الدارقطني على هذا الحديث قال في العلل (٣/١٧٧ رقم ٣٤٠): يرويه

أبو إسحاق السبيعي، واختلف عنه:

رواه ابن عينة والعلاء بن المسيب وإسرائيل والثوري عن أبي إسحاق موقوفًا.

واختلف عن الأجلح: فرواه يعلى بن عبيد وأبو معاوية عن الأجلح عن أبي إسحاق =

قال محمد: ومن قرأ ﴿وإدبار﴾^(١) بكسر الألف فعلى المصدر، يقول: أدبر إدبارًا.

﴿وَأَسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

قوله: ﴿واستمع﴾ أي: إنك ستسمع ﴿يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ والمنادي: صاحب الصور، ينادي من الصخرة من بيت المقدس؛ في تفسير

= موقوفًا أيضًا.

وخالفهما محمد بن كثير الكوفي رواه عن أجلح، ورفعاه إلى النبي ﷺ. وكذلك رواه محمد بن إسحاق عن أبي إسحاق - من رواية عبد الوارث عنه - مرفوعًا أيضًا. والصحيح موقوف . اهـ.

وقال البوصيري في مختصر الإتحاف (٢/٤٠٦): رواه مسدد بسند ضعيف؛ لضعف الحارث الأعور، وتدليس ابن إسحاق.

ورواه الترمذي (٣٦٦/٥) رقم ٣٢٧٥ والطبري في تفسيره (٢٦/١٨١) وابن عدي في الكامل (٤/٦٧) والحاكم (١/٣٢٠) من طريق محمد بن فضيل، عن رشدين بن كريب، عن أبيه، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كريب.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. فتعقبه الذهبي بقوله: رشدين ضعفه أبو زرعة والدارقطني.

وضعف هذا الحديث ابن كثير في تفسيره (٤/٢٣٠) وابن رجب في فتح الباري (٣/١٨) وابن حجر في الفتح (٨/٤٦٣).

(١) قرأ نافع وابن كثير وحزمة ﴿إدبار﴾ بكسر الهمزة، والباقون بالفتح (أدبار) جمع (دبر). ينظر البحر المحيط (٨/١٣٠)، الدر المصون (٦/١٨٢)، النشر (٢/٣٧٦).

قتادة. قال: وهي أقرب الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلاً.

﴿تشقق الأرض عنهم سراعاً﴾ إلى المنادي - صاحب الصور - إلى بيت المقدس قال عز وجل: ﴿ذلك حشرٌ علينا يسير﴾ هَيِّنْ ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ أنك شاعرٌ، وأنك ساحرٌ، وأنك كاهنٌ، وأنك كاذبٌ، وأنك مجنونٌ؛ أي: فسيجزئهم بذلك النار ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ ربُّ تجبرهم على الإيمان.

قال محمدٌ: وقد قيل: ليس هو من: أجبرت الرجل على الأمر إذا قهرته عليه، لا يقال من ذلك فعَّالٌ؛ والجبار: الملك، سمي بذلك؛ لتجبره^(١)، فالمعنى على هذا: لست عليهم بِمَلِكٍ مُسَلِّطٍ، إنما يؤمن من يريد الله أن يؤمن، وهذه منسوخة نسختها القتال^(٢).

﴿فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي﴾^(٣) وهو المؤمن يقبل التذكرة، أي: إنما يقبل نذارتك بالقرآن من يخاف وعيدي؛ أي: وعيدي بالنار.



(١) انظر: تفسير الطبري (١٨٥/٢٦) وتفسير القرطبي (٢٨/١٧).

(٢) الناسخ والمنسوخ (٨٦).

(٣) أثبت الباء وصلًا ورش، وأثبتها في الحاليين يعقوب، النشر (٣٧٦/٢).

تفسير سورة والذاريات
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَأَلْحَمِلَتْ وَقرًا ﴿٢﴾ فَأَلْجَرِيَتْ يُسرًا ﴿٣﴾ فَأَلْمُقَسِدَتْ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تَوَعْدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعُ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُتَخِلِّفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُلِ الْمُحَرَّضُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي عَمَرِهِ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْتَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الَّذِينَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفَنُّونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾
قوله: ﴿والذاريات ذروا﴾ وهي الرياح، ذروها: جزيها ﴿فالحاملات وقرًا﴾ السحاب ﴿فالجاريات يسرًا﴾ السفن تجري بتيسير الله ﴿فالمقسمات أمرا﴾ الملائكة.

قال محمد: يقال: ذَرَبَ الرِّيحُ تَذَرُو ذَرْوًا إِذَا فَرَّقَتِ التُّرَابَ وَغَيْرَهُ فِيهِ ذَارِيَّةٌ. وفيه لغة أخرى: أَذَرَتْ فِيهِ مُذْرِيَّةً وَمُذْرِيَّاتٍ لِلْجَمَاعَةِ^(١).

ومعنى ﴿فالحاملات وقرًا﴾: أن السحاب تحمل الوقر^(٢) من الماء. ورأيت في تفسير ابن عباس أن معنى: ﴿فالمقسمات أمرا﴾ أن الله قسم للملائكة الفعل.

قال يحيى: أقسم بهذا كله ﴿إِنْ مَا تَوَعْدُونَ لَصَادِقٌ﴾ لصادق، يعني: يوم البعث ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لكائن.

(١) لسان العرب (ذرو).
(٢) الوقر: كل ما يُوقر؛ أي: يُحمل. لسان العرب (وقر) الدر المصون (٦/١٨٣).

﴿والسما ذات الحبك﴾ تفسير ابن عباس: يعني: استواءها. وتفسير غيره مثل حُبْك الماء إذا هاجت الريح، ومثل حبك الزرع إذا أصابته الريح. قال محمد: الحبك عند أهل اللغة: الطرائق (الإناء القائم)^(١) إذا ضربته الريح فصارت فيه طرائق له حُبْك، وكذلك الرمل إذا هبَّت عليه الريح فرأيت فيه الطرائق فذلك حُبْكه، واحدها: حَبَاكٌ مثل مِثَال ومُثَل، ويكون واحدها أيضًا: حبيكة مثل: طريقة وطرق^(٢).

﴿إنكم لفي قول مختلف﴾ أي: لفي اختلاف من البعث ﴿يؤفك عنه من أفك﴾ يُصَدُّ عنه من صُدَّ عن الإيمان به ﴿قتل﴾ أي: لُعِنَ ﴿الخراصون﴾ الذين يكذبون بالبعث وذلك منهم تخرص ﴿الذين هم في غمرة﴾ أي: في غفلة. وقيل: في حيرة ﴿ساهون﴾ أي: لاهون لا يُحَقُّونه.

قال محمد: تقول: تخرص على فلان الباطل إذا كذب، ويجوز أن يكون الخراصون الذين يتظنون الشيء لا يُحَقُّونه؛ فيعملون بما لا يدرون صحته^(٣). ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ أي: متى يوم الدين؟ وذلك منهم استهزاء وتكذيب، أي: لا يكون. قال الله: ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ يحرقون بها.

قال محمد: (يوم) منصوب بمعنى: يقع الجزاء ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾^(٤).

(١) هكذا في الأصل. وفي كتب اللغة: طرائق الماء. لسان العرب (حبك).

(٢) ينظر الدر المصون (٦/١٨٤)، لسان العرب (حبك).

(٣) لسان العرب (خرص).

(٤) وفي نصبه أقوال أخرى. ينظر: إعراب القرآن (٣/٢٣١)، مجمع البيان (٥/١٥٢)، البيان (٣٨٩/٢)، البحر (٨/١٣٥).

﴿ذوقوا فتنتكم﴾ حريقكم ﴿هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾ في الدنيا، لما كانوا يستعجلون بالعذاب في الدنيا استهزاء وتكديفاً.

قال محمد: يقال للحجارة السود التي يحرق بها قد احترقت بالنار الفتين (١).

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَأْتِيهِم مِّنْ يَسْتَفْهِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُتَوَقِّينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ قَرِيبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾﴾
﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ وهي الأنهار ﴿آخذين ما آتاهم﴾ أعطاهم ﴿ربهم﴾ في الجنة.

قال محمد: (آخذين) نصب على الحال المعنى: في جنات وعيون في حال أخذهم ما آتاهم (ل ٣٣٨) ربهم (٢).

﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ تفسير الحسن: يقول: كانوا لا ينامون منه إلا قليلاً.

﴿وبالأسفار هم يستغفرون﴾.

يحيى: عن خالد، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله: «قال الله: إن من أحب أحبائي إلي المشائين إلى المساجد المستغفرين بالأسفار

(١) هكذا في الأصل. وفي لسان العرب (فتن): الفتين: الأرض الحرّة السوداء، كأن حجارتها مُخرقة.

(٢) الدر المصون (٦/ ١٨٥).

المتحابين في، أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بسوء فذكرتهم صرفته عنهم بهم^(١).

قال محمد: قوله: ﴿ما يهجعون﴾ جائز أن تكون (ما) مؤكدة صلة، وجائز أن يكون ما بعدها مصدرًا، المعنى: كانوا قليلًا من الليل هُجُوعُهُمْ^(٢).

﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ السائل: الذي يسأل، والمحروم في تفسير الحسن: المتعفف القاعد في بيته الذي لا يسأل.

قوله: ﴿وفي الأرض آيات﴾ أي: فيما خلق الله فيها آيات ﴿للموقنين﴾. ﴿وفي أنفسكم﴾ أي: في بذر خلقكم من تراب؛ يعني: آدم ثم خلق نسله من نطفة ﴿أفلا تبصرون﴾ يقوله للمشركين ﴿وفي السماء رزقكم﴾ المطر فيه أرزاق الخلق ﴿وما توعدون﴾ تفسير بعضهم يعني: من الوعد والوعيد من

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

وروى ابن عدي في الكامل (٩٤/٥) من طريق سعيد بن أشعث عن صالح المري عن جعفر ابن زيد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الله - عز وجل - يقول: إني لأهم بأهل الأرض عذابًا فإذا نظرت إلى عمار بيوتي وإلى المتحابين في وإلى المستغفرين بالأسفار صرفته عنهم».

وقال ابن عدي في آخر ترجمة صالح المري: ولصالح غير ما ذكرت، وهو رجل قاص حسن الصوت من أهل البصرة، وعامة أحاديثه التي ذكرت والتي لم أذكر منكرات ينكرها الأئمة عليه، وليس هو بصاحب حديث، وإنما أتى من قلة معرفته بالأسانيد والمتون، وعندي مع هذا لا يتعمد الكذب؛ بل يغلط بيئًا.

ورواه البيهقي في الشعب (٢٠٩/٦ - ٢١٠ رقم ٢٦٨٥) من طريق معاذ بن خالد، عن صالح، عن جعفر بن زيد وأبان وثابت، عن أنس رضي الله عنه.

ورواه البهاء بن عساكر في المستقصى - كما في تفسير ابن كثير (٣٤٠/٢) - من طريق منصور بن صقير عن ثابت عن أنس رضي الله عنه.

وقال ابن عساكر: حديث غريب.

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢٣٣/٣)، مجمع البيان (١٥٥/٥)، البحر (١٣٥/٨).

السماء ﴿فورب السماء والأرض إنه﴾ أقسم بنفسه إن هذا القرآن ﴿لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾.

قال محمد: من نصب (مثل) فجائز أن يكون على التوكيد بمعنى: إنه لحق حقًا مثل نطقكم^(١).

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (٢٤) ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ (٢٥) ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ (٢٦) ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢٧) ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ (٢٨) ﴿فَأَقْبَلَ كَأَنَّهُ لَا يَسْمَعُ الْكَلَامَ مِنَ الْمُنْكَرِينَ﴾ (٢٩) ﴿فَأَنبَأَ الْكَلِيمَ أَنََّّهُ لَا يَمَسُّهُ الْفُتُورُ وَنَادَىٰ مِنْ خِلْفِهِ فَأَبَىٰ الْفِتْنَةَ﴾ (٣٠) ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي: قد أتاك ﴿حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ عند الله بالمنزلة والقربة؛ يعني: الملائكة الذين نزلوا به فبشروه بإسحاق، وجاءوا بعذاب قوم لوط ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ في صورة الآدميين ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾ أي: سلموا عليه ﴿قال سلام﴾ رد عليهم ﴿قوم منكرون﴾ أنكرهم حين لم يأكلوا من طعامه.

قال محمد: ﴿قالوا سلامًا﴾ منصوب [بتقدير]^(٢): سلمنا عليك سلامًا^(٣). وقوله: ﴿قال سلام﴾ مرفوع بمعنى: قال: سلام عليكم، ويجوز أن يكون على معنى: أمرنا سلام^(٣).

قوله: ﴿فراغ﴾ فمال ﴿إلى أهله فجاء بعجل سمين﴾ فلم يأكلوا.

(١) ينظر: إعراب القرآن (٢٣٥/٣)، البيان (٣٩١/٢)، البحر (١٣٦/٨)، مجمع البيان (٥/١٥٤).

(٢) علامة لحق في الأصل، ولم يظهر بالحاشية شيء. والمثبت موافق لما في كتب إعراب القرآن.

(٣) ينظر: الدر المصون (١٨٨/٦).

قال محمد: معنى (راغ): عدل إليهم في خُفْيَةٍ، قالوا: ولا يكون الرَوَاغُ إلا أن تخفي مجيئك وذهابك^(١).

﴿قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم﴾ إسحاق.

قال محمد: (أوجس) - معناه: أضمر^(٢).

﴿فأقبلت امرأته في صرة﴾ صيحة ﴿فصكت وجهها﴾ جبينها ﴿وقالت عجوزٌ عقيمٌ﴾ قالت ذلك تعجبًا؛ أي: كيف تلد وهي عجوز؟!

وقال محمد: (عجوزٌ) مرفوع بمعنى: أنا عجوز^(٣)، ويقال: عَقَمَتِ المرأةُ عُقْمًا وَعَقَمًا فهي بَيْنَةُ الْعُقُومَةِ، ورجلٌ عقيمٌ أيضًا^(٤).

﴿قالوا كذلك قال ربك﴾ أي: تلدي^(٥) غلامًا اسمه: إسحاق.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ قَوْمَ نُجْرَمِينَ﴾ (٣٢) ﴿لِتُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَابَةً مِّن طِينٍ﴾ (٣٣) ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (٣٤) ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَمَا وَحَدَّا فِيهَا عِزِّ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦) ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣٧) ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨) ﴿فَتَوَلَّىٰ بِرْكَيْهِ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ بَجْنٌ﴾ (٣٩) ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤٠) ﴿

(١) لسان العرب (روغ).

(٢) لسان العرب (وجس).

(٣) الدر المصون (١٨٩/٦).

(٤) يقال: عَقَمَتِ المرأةُ والرجلُ عُقْمًا وَعَقَمًا، وَعَقَمَتِ عُقْمًا وَعَقَمًا. فهو عقيم، والجمع: عُقَمَاءَ وَعُقَام. وهي عَقِيمٌ والجمع: عَقَائِمٌ وَعُقُم. لسان العرب (عقم).

(٥) هكذا في الأصل، وهو خلاف الجادة. والصواب: تلدين.

﴿قال فما خطبكم﴾ فما أمركم؟! ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾
 مشركين؛ يعنون: قوم لوط ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ قال ها هنا:
 ﴿من طين﴾ وقال في آية أخرى: ﴿من سجيل﴾^(١).

قال محمد: تفسير ابن عباس ﴿من سجيل﴾: من آجر.
 ﴿مسومة﴾ أي: مُعلّمة أنها من حجارة العذاب، كان في كل حجر منها مثل
 الطابع.

﴿فأخرجنا﴾ فأنجينا ﴿من كان فيها﴾ في قرية لوط ﴿من المؤمنين﴾.
 ﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ يعني: أهل بيت لوط في
 القرابة، ومن كان معه من المؤمنين.

قال: ﴿وتركنا فيها﴾ أي: في إهلاكنا إياها ﴿آية للذين يخافون العذاب
 الأليم﴾ فيحذرون أن ينزل بهم ما نزل بهم ﴿وفي موسى﴾ أي: وتركنا في أمر
 موسى ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسُلطان مبین﴾ يبين ﴿فتولى بركنه﴾ قال
 الكلبي: يعني: بجنوده ﴿وقال ساحرٌ أو مجنون﴾ يعني: موسى.
 قال محمد: المعنى: هذا ساحرٌ أو مجنون.

﴿فنبذناهم في اليم﴾ في البحر ﴿وهو مليم﴾ مُذنبٌ، وذنبه: الشرك.
 قال محمد: يقال: ألأم الرجل إذا أتى بذنب يُلَامُ عليه^(٢).

﴿وفي عادٍ إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ ﴿٤١﴾ مَا نَذَّرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ
 كَالرَّيْسِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ

(١) هود: ٨٢ ، الحجر: ٧٤ .

(٢) لسان العرب (لوم).

الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْصَرِّينَ ﴿٤٥﴾ ﴿وفي عادٍ﴾ أي: وتركنا في عادٍ أيضًا آيةً، وهي مثل الأولى ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ التي لا تدع سحابًا ولا شجرًا وهي الدبور ﴿ما تذر من شيء أتت عليه﴾ (٣٣٩ل) مما مرت به، وهو الإنسان ﴿إلا جعلته كالرميم﴾ كرميم الشجر. ﴿وفي ثمود﴾ وهي مثل الأولى ﴿إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ إلى آجالكم بغير عذاب إن آتتم، وإن عصيتم عذبتم ﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾ تركوا أمره ﴿فأخذتهم الصاعقة﴾ العذاب ﴿وهم ينظرون﴾ إلى العذاب ﴿فما استطاعوا من قيام﴾ تفسير السدي: فما أطاقوا أن يقوموا للعذاب ﴿وما كانوا منتصرين﴾ ممتنعين.

﴿وَقَوْمٌ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (٤٦) وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَبْدُوءَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴿٥٢﴾ اتَّوَصَوْا بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴿وقوم نوح...﴾ الآية.

قال محمد: من قرأ ﴿قَوْمٌ نُوحٍ﴾ بالنصب فعلى معنى: فأخذناه وجنوده، وأخذنا قوم نوح^(١).

﴿والسمااء بنيناها بأيدي﴾ بقوة.

(١) قرأ الأخوان وأبو عمرو بجر الميم، والباقون بنصبها. وفي توجيه القراءتين تأويلات نحوية كثيرة. ينظر: الدر المصون (٦/١٩١).

قال محمد: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنِينَا﴾ المعنى: بنينا السماء بنيناها^(١).

﴿وإنا لموسعون﴾ في الرزق ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي: وفرشناها كقوله: ﴿جعل لكم الأرض فراشا﴾^(٢) و﴿بِسَاطًا﴾^(٣) و﴿مِهَادًا﴾^(٤) ﴿فنعم الماهدون﴾.

قال محمد: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ أي: وفرشنا الأرض فرشناها، وقوله: ﴿فنعم الماهدون﴾ أي: فنعم الماهدون نحن.

﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ تفسير الكلبي: هو كقوله ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾^(٥) الذكر زوج، والأنثى زوج ﴿لعلكم تذكرون﴾ لكي تذكروا فتعلموا أن الذي خلق هذه الأشياء واحد صمد، جعلها لكم آية فتعتبروا ﴿ففروا إلى الله﴾ إلى دين الله، أمر الله النبي ﷺ أن يقول لهم: ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾.

﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم﴾ من قبل قومك يا محمد، أي: هكذا ما أتى الذين من قبلهم ﴿من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون﴾.

قال محمد: المعنى: إلا قالوا: هذا ساحر أو مجنون.

﴿أتواصوا به﴾ على الاستفهام، أي: لم يتواصوا به؛ لأن الأمة الأولى لم تدرك الأمة الأخرى، قال: ﴿بل هم قوم طاغون﴾ مشركون.

(١) أي: النصب على الاشتغال. ينظر الدر المصون (٦/١٩٢).

(٢) البقرة: ٢٢.

(٣) نوح: ١٩.

(٤) النبأ: ٦.

(٥) النجم: ٤٥.

﴿قَوْلٌ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ٥٤ وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥ وَمَا خَلَقْتُ
الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ٥٧ إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ٥٩
قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠﴾

﴿قَوْلٌ عَنْهُمْ﴾ أي: فأعرض عنهم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فَمَا أَنْتَ
بِمَلُومٌ﴾ في الحجّة؛ فقد أقمتها عليهم ﴿وَذَكَرَ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾
إنما يقبل التذكرة المؤمنون ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي:
ليقروا لي بالعبودية^(١) في تفسير ابن عباس.

قال يحيى: كقوله: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لِيَقُولُوا اللَّهُ﴾^(٢) ﴿مَا أُرِيدُ
مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ أي: يرزقوا أنفسهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ أي: يطعموا
أحدًا ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ الذي لا تضعف قوّته ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ
ظَلَمُوا﴾ أشركوا ﴿ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾ يعني: من مضى قبلهم من
المشركين، تفسير سعيد بن جبّير: الذُّنُوبُ: السَّجَلُ.
قال يحيى: والسَّجَلُ: الدَّلُؤُ^(٣).

يحيى: عن تمام بن نجّيح، عن الحسن، عن أنس بن مالك قال: قال

(١) كتب الناسخ قبالتها بالحاشية: «بالربوبية» كأنه يريد أن يثبتها في الأصل، والمعروف عن ابن
عباس - رواية علي بن طلحة - في تفسير هذه الآية: «إلا ليقروا بالعبودية طوعًا وكرهًا».
رواه الطبري في تفسيره (١٢/٢٧) ورجحه في تفسير الآية.

(٢) الزخرف: ٨٧.

(٣) ويجمع الذُّنُوبُ على: أَذْنِيَّةٍ وَذَنَائِبٍ، والسَّجَلُ على: سُجُولٍ وَسِجَالٍ، والدَّلُؤُ على: أَذِلٍ
وِدَلَاءٍ وَذُلِّيٍّ. ينظر لسان العرب (ذنب - سجل - دلو).

رسول الله ﷺ: «لو أن غَرْبًا من جهنم وُضِعَ بالأرض لآذَى حَرُّهُ ما بين المشرق والمغرب»^(١). قال تمام: والغَرْبُ: الدَّلُّو العَظِيمُ^(٢).

قال محمد: الدُّنُوبُ في اللغة: الحَظُّ والنصيبُ، وأصله: الدَّلُّو العَظِيمَةُ، وكانوا يستقون فيكون لكل واحدٍ دُنُوبٌ، فَجُعِلَ الدُّنُوبُ مكانَ الحَظِّ والنصيب^(٣)، قال أبو ذؤَيْبٍ:

لَعَمْرُكَ وَالْمَنَائِيَا غَالِيَاتٍ لِكُلِّ بَنِي أَبٍ مِنْهَا دُنُوبٌ^(٤).

قوله: ﴿فلا يستعجلون﴾ أي: فلا يستعجلون بالعذاب لما كانوا يستعجلون به من العذاب استهزاءً وتكديباً ﴿فويل للذين كفروا﴾ في النار ﴿من يومهم الذي يوعدون﴾ في الدنيا.



(١) رواه ابن عدي في الكامل (٢/٢٨٠) من طريق يحيى بن سلام به .
ورواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/٨٧ - ٨٨ رقم ٣٦٨١) من طريق مبشر بن إسماعيل عن تمام بن نجيع به .

وقال ابن عدي: وهذا الحديث أيضًا يرويه تمام عن الحسن .
وذكر ابن عدي لتمام بن نجيع عدة أحاديث، ثم قال: ولتمام غير ما ذكرت من الروايات شيء يسير، وعامة ما يرويه لا يتابعه الثقات عليها . اهـ .
وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن الحسن إلا تمام بن نجيع .
وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/٤٦٢): رواه الطبراني، وفي إسناده احتمال للتحسين .

وقال الهيثمي في المجمع (١/٣٨٧): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه تمام بن نجيع، وهو ضعيف وقد وثق، وبقي رجاله أحسن حالاً من تمام .

(٢) لسان العرب (غرب).

(٣) لسان العرب (ذنب).

(٤) البيت من بحر الوافر . ينظر لسان العرب (ذنب).

تفسير سورة الطور وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٌ ٢ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤
وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ مَا لَمْ مِنْ دَافِعٍ
٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١
الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ هَٰذَا النَّارُ
الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾

قوله: ﴿والطور﴾ الطُّور: الجبل.

قال محمد: روي عن الحسن أنه قال: كل جبل يُدعى طُورًا.

﴿وكتاب مسطور﴾ مكتوب ﴿في رق منشور﴾ تفسير الحسن: القرآن في أيدي السُّفَرَةِ ﴿والبيت المعمور﴾ تفسير ابن عباس قال: البيت المعمور: بيت في السماء حيال الكعبة، يُحْجَّه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه [...] (١).

قال قتادة: قال الله - عز وجل - لآدم: [أهبط معك] (٢) (٣٤٠ل) بيتي يطاف حوله؛ كما يطاف حول عرشي، فحجَّه آدم ومن بعده من المؤمنين، فلما كان زمان الطوفان رفعه الله وطهره من أن تصيبه عقوبة أهل الأرض؛

(١) طمس في الأصل قدر نصف سطر، ولعلها: «إلى يوم القيامة يسمى: الضراح» والله أعلم.

(٢) طمس في الأصل، والمثبت من تفسير الطبري (٥٤١/١) وانظر مصنف عبد الرزاق (٩٣/٥)

رقم (٩٠٩٦) وتفسير الطبري (٨/٤ ، ١٤٢/١٧ ، وتاريخه (٨٠/١).

فصار معمور السماء، فتتبع إبراهيم الأساس فبناه على أساس قديم كان قبله. ﴿والسقف المرفوع﴾ يعني: السماء بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام ﴿والبحر المسجور﴾ تفسير علي بن أبي طالب: البحر المسجور في السماء. قال محمد: المسجور معناه في اللغة: المملوء^(١)، قال التمر يصف وعلاً: إِذَا شَاءَ طَالَعَ مَسْجُورَةً تَرَى حَوْلَهَا الثَّبَعَ وَالسَّاسِمَا^(٢) أي: عينا مملوءة. أقسم بهذا كله.

﴿إن عذاب ربك لواقع﴾ بالمشركون ﴿ما له﴾ ما للعذاب ﴿من دافع﴾ يدفعه من الله ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ فيها تقديم: إن عذاب ربك لواقع بهم ﴿يوم تمور السماء موراً﴾ أي: تحرك تحركاً ﴿وتسير الجبال سيراً﴾ كقوله: ﴿وإذا الجبال سيرت﴾^(٣).

قال محمد: المعنى: أنها تسير عن وجه الأرض، وهو الذي أراد يحيى. ﴿فويلٌ يومئذٍ للمكذابين الذين هم في خوضٍ يلعبون﴾ وخوضهم التكذيب.

قال محمد: (الويل) كلمة تقولها العرب في كل من وقع في هلكة. ﴿يوم يُدْعُونَ﴾ يُدْفَعُونَ ﴿إلى نار جهنم دُعاً﴾ دَفْعاً ﴿هذه النار﴾ يقال لهم: هذه النار ﴿التي كنتم بها تكذبون﴾ في الدنيا أنها لا تكون.

﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَأَصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ

(١) لسان العرب (سجر).

(٢) البيت من بحر المتقارب، وهو للتمر بن تولب. ينظر: مجاز القرآن (٢/ ٢٣٠) خزانة الأدب (٤٣٤/٤)، الكتاب (١١٣/١).

(٣) التكويز: ٣.

إِنَّمَا يُجِزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكَفَيْهِمْ بِمَا ءَانَتْهُمْ
رَبُّهُمْ وَوَقَّهَتْهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكَبِّرِينَ
عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

﴿أفسحز هذا﴾ يقال لهم ذلك على الاستفهام ﴿أم أنتم لا تبصرون﴾ يعني:
في الدنيا إذ كنتم تقولون: هذا سحر، أي: ليس بسحر ﴿اصلوها﴾ يعني:
النار ﴿فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم﴾ كقوله: ﴿سواء علينا أجزعنا أم
صبرنا﴾ (١).

قال محمد: (سواء) مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف، فالمعنى: سواء
عليكم الصبر والجزع (٢).

﴿إن المتقين في جناتٍ ونعيمٍ فاكهين﴾ أي: مسرورين ﴿بما آتاهم ربهم﴾
أي: أعطاهم.

قال محمد: ﴿فاكهين﴾ نضب على الحال (٣).

﴿كلوا واشربوا هنيئًا بما كنتم تعملون﴾.

قال محمد: ﴿هنيئًا﴾ منصوب، وهي صفة في موضع المصدر، المعنى:
يقال لهم: كلوا واشربوا هنيئتم هنيئًا (٤).
﴿متكئين على سررٍ مصفوفة﴾.

(١) إبراهيم: ٢١ .

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٢٥١/٣)، البحر (١٤٨/٨).

(٣) ينظر: الدر المصون (١٩٧/٦).

(٤) وفي إعرابها أقوال أخر. ينظر: إعراب القرآن (٢٥١/٣)، البحر (١٤٨/٨).

يحيى: عن صاحب له، عن أبان بن أبي عياش، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل من أهل الجنة ليتنعم في نُكَّاةٍ واحدة سبعين عامًا، فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى: أما لنا منك دولة بعد؟ فيلتفت إليها فيقول: من أنت؟! فتقول: أنا من اللاتي قال الله: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾^(١) فيتحوّل إليها فيتنعم معها سبعين عامًا في نُكَّاةٍ واحدة، فتناديه أبهى منها وأجمل من غرفة أخرى فتقول: أما لنا منك دولة بعد؟ فيلتفت إليها فيقول: من أنت؟ فتقول: أنا من اللاتي قال الله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢) فيتحوّل إليها، فيتنعم معها في نُكَّاةٍ واحدة سبعين عامًا، فهم كذلك يَدُورُونَ»^(٣).

﴿وزوجناهم بحورٍ عين﴾ الحور: البيض؛ في تفسير قتادة والعامّة. والعين: عظام العيون.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٢١) وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ^(٢٢) يَسْتَرْعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيهِ^(٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكَوْنٌ^(٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ^(٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ^(٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَدْنَا

(١) ق: ٣٠.

(٢) السجدة: ١٧.

(٣) نقله القرطبي في التذكرة (ص ٥٨٤) عن يحيى بن سلام بإسناده.

ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ق ٢٨ / أ - ب) من طريق جعفر بن سليمان عن شيخ من أهل البصرة عن شهر بن حوشب قال: «إن الرجل من أهل الجنة ليتكىء... فذكر نحوه مختصرًا؛ فجعله من كلام شهر بن حوشب.

عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْنَا
 أَنْتَ يَنْعَمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾
 ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(١).

يحيى: عن (سعيد)^(٢) عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: «إن الله ليرفع للمؤمن ولده في درجته في الجنة، وإن كانوا دونه في العمل؛ لتقر بهم عينه»^(٣).

(١) كذا بالأصل، وهي قراءة نافع؛ أي: قرأ «واتبعتهم ذريتهم... ذرياتهم» وقراهما بالجمع أبو عمرو وابن عامر، وقراهما بالقون بالإنفراد.

وقرأ أبو عمرو وحده (واتبعناهم). ينظر: السبعة (٦١٢)، النشر (٣٧٧/٢).

(٢) مشتبهة في الأصل، وتحتمل أن تكون «سفيان» وقد روى هذا الحديث عن عمرو بن مرة - فيما وقفت عليه - سفيان الثوري وشعبة وقيس بن الربيع، والله أعلم.

(٣) رواه سفيان الثوري في تفسيره (٢٨٣ رقم ٩١١) عن عمرو به.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢٤٧/٢) ومن طريقه الحاكم (٤٦٨/٢) والبيهقي في الكبرى

(١٠/٢٦٨) والنحاس في الناسخ والمنسوخ (٦٩٠) عن الثوري به.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٤/٢٧) من طريق مؤمل بن إسماعيل ومهران، عن الثوري به.

وقال البيهقي: لم يسمعه الثوري من عمرو، وإنما رواه غيره عن الثوري عن سماعة عن عمرو. اهـ.

قلت: قد روي عن الثوري عن شيخ له - يقال له: سماعة - عن عمرو بن مرة، واختلف عنه فيه، فرواه محمد بن بشر عنه، واختلف عليه أيضاً، فرواه موسى بن عبد الرحمن المسروقي عن محمد بن بشر عن الثوري عن سماعة عن عمرو بن مرة به موقوفاً. خرجه الطبري في تفسيره (٢٥/٢٧).

ورواه أحمد بن شبيب الكوفي عن محمد بن بشر عن الثوري به مرفوعاً. خرجه الطحاوي في شرح المشكل (١٠٦/٣ رقم ١٠٧٥) والنحاس (٦٩٠).

ورواه الفريابي عن الثوري عن سماعة به موقوفاً. خرجه الطحاوي في المشكل (١٠٧/٣) أيضاً.

وتابع شعبة سفيان على الوجه الأول الموقوف؛ فرواه عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنه موقوفاً.

وكذلك الآباء يُرْفَعُونَ للآبناء؛ إذا كانت الآباء دون الأبناء في العمل.
 قوله: ﴿وما ألتناهم﴾ أي: وما نقصناهم ﴿من عملهم من شيء كل امرئ﴾
 يعني: أهل النار ﴿بما كسب﴾ من عمل ﴿رهين﴾.

= خرجه هناد في الزهد (١٧٩) والطبري في تفسيره (٢٤/٢٧، ٢٥) والطحاوي في المشكل (١٠٥/٣) والبيهقي في الكبرى.

قال الطحاوي: هكذا يحدث شعبة بهذا الحديث عن عمرو بن مرة لا يتجاوز به ابن عباس، وأما الثوري فكان يُحدث به عن شيخ له يقال له سماعة، عن عمرو بن مرة، فيروي محمد بن بشر العبدي عنه أنه رفعه إلى النبي ﷺ، ويروي محمد بن يوسف الفريابي عنه أنه أوقفه على ابن عباس.

ورواه قيس بن الربيع، واختلف عنه أيضًا:

فرواه الفريابي، عن قيس، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا. خرجه الطحاوي في المشكل (١٠٧/٣).

ورواه جبارة بن المغلس، عن قيس، عن عمرو به مرفوعًا.

خرجه ابن عدي في الكامل (١٦٢/٧) وأبو نعيم في الحلية (١٠٢/٤) والبخاري في تفسيره (٣٨٩/٧).

وقال أبو نعيم: غريب من حديث عمرو وسعيد، تفرد به عنه قيس بن الربيع.
 وتابع الحسن بن حماد جبارة عليه، خرجه البزار في مسنده - كما في تفسير ابن كثير (٤/٢٤٢ - ٢٤١).

وقال البزار: هذا حديث لا نعلم أحدًا أسنده إلا قيس، وقد رواه الثوري، عن عمرو بن مرة، عن سعيد، عن ابن عباس موقوفًا. كذا نقله الزيلعي في تخريج الكشاف (٣/٣٧٢)، وفي مختصر زوائد البزار لابن حجر (١٠٨/٢ رقم ١٥٠٨): لا نعلم أسنده إلا الحسن عن قيس، وقد رواه الثوري عن عمرو موقوفًا، والثوري أحفظ من قيس وأوثق.
 وقال الهيثمي في المجمع (١١٧/٧): رواه البزار وفيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري، وفيه ضعف.

قلت: وذهب الطحاوي والنحاس إلى أن هذا الموقوف له حكم الرفع، قال الطحاوي في المشكل (١٠٧/٣): وهذا الحديث فنحن نحيط علمًا لو لم نجد أحدًا من رواه رفعه إلى النبي ﷺ أن ابن عباس لم يأخذه إلا عن النبي ﷺ، إذ كان الذي فيه إخبار عن الله - عز وجل - بمراده في الآية المذكورة فيه، وذلك مما لا يؤخذ من غير النبي ﷺ. اهـ. وقال النحاس نحوه.

﴿وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهِةٍ﴾.

يحيى: عن [عثمان، عن^(١) نعيم [بن^(١) عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن أهل الجنة ليتناولون من قطوفها وهم متكئون على فرشهم ما تصل إلى يد [أحدهم حتى يبدل الله مكانها أخرى^(٢)».

(ل ٣٤١) ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا﴾ أي: لا يتعاطون فيها ﴿كَأَسَا﴾ والكأس: الخمر ﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ تفسير مجاهد: لَا يَسْتَبُونَ فِيهَا، وَلَا يَأْتُمُونَ فِي شَيْءٍ.

قال محمد: الكأس في اللغة: الإناء المملوء؛ فإذا كان فارغاً فليس بكأس^(٣). وتقرأ: ﴿لَا لَغْوَ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ﴾ بالتَّضْبِيع^(٤)، إلا أن الاختيار عند النحويين إذا كررت «لا» في مثل هذا الموضع الرفع، والنصب جائز، فمن رفع فعلى الابتداء و«فيها» هو الخبر، ومن نصب فعلى النفي والتبرئة^(٥).

قوله: ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ غُلَمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ﴾ يعني: صفاء ألوانهم والمكنون في أصدافه ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يُسَائِلُ بعضهم بعضاً عن شفقتهم في الدنيا من عذاب الله ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي الدُّنْيَا﴾ في أهلنا مشفقين ﴿مِنْ عَذَابِ النَّارِ﴾ فمن الله علينا ووقانا عذاب

(١) سقطت من الأصل، والمثبت مما تقدم في تفسير سورة الزخرف، الآية: ٧٣، ونقله القرطبي في التذكرة (ص ٥٨٥) عن يحيى بن سلام بإسناده.

(٢) بياض في الأصل، والمثبت مما تقدم.

(٣) ينظر لسان العرب (كأس). والجمع: أَكْؤُسُ وَكُؤُوسٌ.

(٤) أي: بالبناء على الفتح؛ وهي قراءة أبي عمرو وابن كثير، وقرأ الباقر بالرفع. ينظر: السبعة (٦١٢)، النشر (٢/٢١١).

(٥) ينظر تفصيل الكلام على ذلك في: إعراب القرآن (٣/٢٥٣)، البحر (٨/١٤٩ - ١٥٠).

السموم ﴿ النار ﴾ إنا كنا من قبل ندعوه ﴿ أن يقينا عذاب السموم ﴾ إنه هو البر الرحيم ﴿ برّ بالمؤمنين رحيماً بهم .

قوله : ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك . . . ﴾ الآية .

قال محمد : هو كما تقول : ما أنت بحمد الله .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ (٣٠) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمَتَرَبِّصِينَ ﴿ (٣١) ﴾

﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ أي : قد قالوا : نتربص به الدهر حتى يموت . في تفسير الحسن قال الله للنبي : ﴿ قل تربصوا فإنني معكم من المتربصين ﴾ كانوا يتربصون بالنبي أن يموت ، وكان النبي يتربص بهم أن يأتيهم العذاب .

و﴿ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴾ في تفسير مجاهد : حوادث الدهر (١) .

قال محمد : المنون عند أهل اللغة : الدهر ، ورَيْبُهُ : حَوَادِثُهُ وأوجاعه ومصائبه ، والعرب تقول : لا أَكَلَمُكَ آخِرَ الْمَنُونِ (٢) . وأنشد بعضهم قَوْلَ أَبِي ذُؤَيْبٍ :

أَمِنَ الْمَنُونِ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مَّنْ يَجْزَعُ (٣)
يعني : أَمِنَ الدَّهْرُ وَرَيْبِهِ تَتَوَجَّعُ ؟!

﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلُمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴾ (٣٢) أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿ (٣٣) ﴾ فَلْيَأْنُوا

(١) لأن حوادث الدهر لا تدوم على حال ، كالرب وهو الشك فإنه لا يبقى بل هو متزلزل .

(٢) ينظر : لسان العرب (رب - من) .

(٣) ينظر : ديوان أشعار الهذليين (١/١) ، المفضليات (٥٨٠) ، الدر المصون (٢٠١/٦) .

يَحْدِثُ مِثْلَهُ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ
سُلْمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعِمُّهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ نَسَاهُمْ
أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ
الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

قوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾ بالكذب، أي: ليست لهم أحلام ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: بل هم قوم طاغون يقول: إن الطغيان - وهو الشرك - يأمرهم بهذا ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقُولُهُ﴾ محمد، يعني: القرآن؛ أي: قد قالوه ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ مثل القرآن ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أي: لا يأتون بمثله، وليس ذلك عندهم ﴿أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي: لم يخلقوا من غير شيء، خلقناهم من نطفة وأول ذلك من تراب ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: ليسوا بالخالقين وهم مخلوقون ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: لم يخلقوها ﴿بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ﴾ يعني: علم الغيب ﴿أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ﴾ يعني: الأرباب، أي: إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّبُّ - تبارك اسمه.

قال محمد: يقال: تَصِيطَرْتُ عَلَى، أي: اتخذتني خَوْلًا^(١). ويكتب بالسين والصاد، والأصلُ السين وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صَادًا^(٢).

قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ﴾ درج ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ إلى السماء، والسُّلْمُ أيضًا

(١) والخَوْلُ يُطْلَقُ عَلَى الْعِيْدِ وَالْإِمَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْآتِبَاعِ وَالْحَشَمِ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ وَالذِّكْرِ وَالْأُنْثَى. يَنْظُرُ لِسَانُ الْعَرَبِ (خَوْل).

(٢) يَنْظُرُ لِسَانُ الْعَرَبِ (سِيطَر).

السَّبَبُ وقوله (فيه) بمعنى: ^(١) عَلَيْهِ ﴿فَلَيَاتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بِحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الشَّرْكِ، أَي: لَيْسَ عِنْدَهُمْ بِذَلِكَ حُجَّةٌ ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ﴾ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِمْ: إِنْ الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ. وَجَعَلُوا لِأَنْفُسِهِمُ الْغُلَمَانَ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ عَلَى الْقُرْآنِ ﴿فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ فَقَدْ أَثْقَلَهُمُ الْغُرْمُ، أَي: إِنَّكَ لَا تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ يَعْنِي: عِلْمُ غَيْبِ الْآخِرَةِ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَتَخَيَّرُونَ؛ لِقَوْلِ الْكَافِرِ: ﴿وَلَوْ أَنَّ رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ﴾ ^(٢) يَعْنِي لِلْجَنَّةِ إِنْ كَانَتْ جَنَّةً، أَي: لَيْسَ عِنْدَهُمْ عِلْمُ غَيْبِ الْآخِرَةِ ﴿أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بِالنَّبِيِّ، أَي: قَدْ أَرَادُوهُ ^(٣) (...) ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ ^(٤) (...) ﴿لَأَرْيَهُمْ جَزَاءَ كَيْدِهِمْ وَهُوَ الْعَذَابُ قَالَ﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ ﴿أَيِ (...)﴾ ^(٥) (٣٤٢) ﴿شَاعِرٌ نَتَرِئُصُ بِهِ﴾ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ كَالِاسْتِفْهَامِ وَكَذَبِهِمْ بِهِ كُلَّهُ .

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ ^(٤٤) فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ^(٤٥) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ^(٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ^(٤٧) وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ^(٤٨) وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُورِ ^(٤٩) ﴿

(١) وينظر في دلالة (في) على معنى (على). مغني اللبيب (١/١٩١).

(٢) فصلت: ٥٠ .

(٣) طمس في الأصل نحو أربع كلمات.

(٤) الطارق: ١٥ - ١٦ .

(٥) طمس في الأصل قدر سطر.

﴿وإن يروا كسفاً من السماء﴾ والكِسْفُ: القطعة^(١) ﴿ساقطاً يقولوا سحب مركوم﴾ بعضه على بعض، وذلك أنه قال في سورة سبأ: ﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾^(٢) فقالوا للنبي: لن نؤمن لك حتى تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً؛ فأنزل الله: ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحب مركوم﴾ أي: ولم يؤمنوا.

قال الله: ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾ أي: يموتون، وهي النفخة الأولى؛ في تفسير الحسن، يعني: كفار آخر هذه الأمة الذين يكون هلاكهم بقيام الساعة.

﴿يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً﴾ لا تغني عنهم عبادة الأوثان ولا ما كادوا للنبي شيئاً ﴿ولا هم ينصرون﴾ إذا جاءهم العذاب.

قال: ﴿وإن للذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿عذاباً دون ذلك﴾ بالسيف؛ يعني: من أهلك يوم بدر؛ في تفسير الحسن ﴿ولكن أكثرهم﴾ أي: جماعتهم ﴿لا يعلمون﴾ يعني: من لا يؤمن به.

﴿واصبر لحكم ربك﴾ أي: لما حكم الله عليك، فأمره بقتالهم ﴿فإنك بأعيننا﴾ أي: نرى ما تصنع وما يصنع بك، فسنجزيك ونجزيههم.

﴿وسبح بحمد ربك حين تقوم﴾ من مقامك، يعني: صلاة الصبح؛ في تفسير الحسن.

﴿ومن الليل فسبحه﴾ يعني: صلاة المغرب وصلاة العشاء ﴿وإدبار النجوم﴾.

(١) وقيل: الكِسْفَةُ: القطعة من الشيء. والجمع: كِسْفٌ وكِسْفٌ. قال الأخفش: من قرأ (كِسْفًا) جعله واحدًا، ومن قرأ (كِسْفًا) جعله جمعًا. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (كسف).

(٢) سبأ: ٩.

يحيى: عن عثمان، عن أبي إسحاق الهمداني، عن الحارث، عن علي قال: «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَادْبَارِ النُّجُومِ﴾. فَقَالَ: هُمَا الرُّكْعَتَانِ قَبْلَ صَلَاةِ الصُّبْحِ»^(١).

* * *

(١) تقدم في تفسير سورة «ق» (الآية: ٤٠) تخريجه، وبيان أنه زوي مرفوعاً وموقوفاً، والراجح وقفه، مع ضعف الحارث الأعور، وأن له شاهداً عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند ضعيف، والله أعلم.

تفسير سورة والنجم وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ بِالْأَفْئِقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَسْمُرُونَ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾

قوله: ﴿والنجم إذا هوى﴾ تفسير ابن عباس قال: يقول: والوحي إذا نزل، وفي تفسير الحسن: يعني: الكواكب إذا انتشرت. والنجم عنده: جماعة النجوم (١) أقسم به ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى﴾ يعني: محمدا ﷺ، يقوله للمشركين ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو﴾ إن القرآن الذي ينطق به محمد ﴿إلا وحي يوحى﴾.

قال محمد: (إن) بمعنى (ما) (٢) أي: ما هو إلا وحي يوحى.

﴿علمته﴾ علم محمدًا ﴿شديد القوى﴾ يعني: جبريل شديد الخلق ﴿ذو مِرَّةٍ﴾ وهو من شدة الخلق أيضًا ﴿فاستوى﴾ استوى جبريل عند محمد؛ أي: رآه في صورته، وكان محمد يرى جبريل في غير صورته.

(١) وفيه أقوال أخرى. ينظر: الدر المصون (٦/٢٠٣).

(٢) وفي دلالة (إن) على النفي. ينظر مغني اللبيب (١/٣٠).

﴿وهو بالأفق الأعلى﴾ وجبريل بالأفق الأعلى، وهو المشرق.
 ﴿ثم دنا فتدلى﴾ جبريل بالوحي إلى محمد ﴿فكان﴾ إليه ﴿قاب قوسين﴾
 أي: قدر ذراعين ﴿أو أدنى﴾ أي: بل أدنى.

قال محمد: قيل: إن القوسَ في لغة أزدٍ شنوءة: الذراع^(١).

﴿فأوحى إلى عبده﴾ إلى عبد الله ﴿ما أوحى﴾ ما كذب الفؤاد ما رأى
 وهي تقرأ على وجهين: بالثقل والتخفيف، من قرأها بالثقل يقول: ما
 كذب فؤاد محمد ما رأى؛ أي: في ملكوت الله وآياته، ومن قرأها بالتخفيف
 يقول: ما كذب فؤاد محمد ما رأى؛ أي: قد صدق الرؤية فائتبتها^(٢).

﴿أفتمارونه﴾ يقول للمشركين؛ أفتمارون محمدًا على ما يرى؟! ﴿ولقد رآه
 نزلة أخرى﴾ يعني: مرة أخرى رأى جبريل في صورته مرتين ﴿عند سدره
 المنتهى﴾ قال ابن عباس: سألت كعبًا عن سدره المنتهى. فقال: يُنتهى إليها
 بأزواح المؤمنين إذا ماتوا لا يجاوزها روح مؤمن؛ فإذا قبض المؤمن تبعه
 مُقَرَّبُو أهل السموات حتى يُنتهى به إلى السُدرة فيوضع، ثم تصف الملائكة
 المقربون فيصلون عليه كما تصلون على موتاكم أنتم ها هنا، فذلك قوله:
 ﴿سدره المنتهى﴾.

سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ يذكر في حديث
 ليلة أسري به: «ثم رفعت لنا السدره المنتهى، فإذا ورقها مثل آذان الفيلة، وإذا

(١) أي: الذراع: التي يقاس بها، نقل ذلك عن ابن عباس، ونقل عنه أن ذلك لغة الحجازيين.
 والقوس مؤنثة. ينظر اللسان (قوس)، الدر المصون (٢٠٦/٦).

(٢) قرأ هشام بتشديد الذال، والباقون بتخفيفها. ينظر: البحر (١٥٩/٨)، الدر المصون (٦/٢٠٦).

نَبَقْهَا مِثْلَ قِلَالِ هَجَرٍ، وَإِذَا أَرْبَعَةٌ أَنْهَارٌ يَخْرُجُونَ [مِنْ أَصْلَها نَهْرَانِ] ^(١) بَاطْنَانِ
[وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ] ^(١)، قُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَذِهِ الْأَنْهَارُ؟ فَقَالَ: أَمَّا الْبَاطْنَانِ
فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ [وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ] ^(١) (ل٣٤٣) فَالْنِيلُ وَالْفِرَاتُ ^(٢).

(١) بَيَاضٌ فِي الْأَصْلِ، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ رَوَايَاتِ الْحَدِيثِ.

(٢) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢١٠/٤) وَابْنُ خَرَّازٍ (٣٤٨/٦ - ٣٥٠ رَقْم ٣٢٠٧) وَمُسْلِمٌ (١٤٩/١ -
١٥١ رَقْم ٢٦٤/١٦٤) وَهَنَادٌ فِي الزُّهْدِ (١١٧) وَالتِّرْمِذِيُّ (٤١٢/٥ - ٤١٣ رَقْم ٣٣٤٦)
وَالنَّسَائِيُّ فِي الْكِبَرِيِّ (١٣٨/١ - ١٤٠ رَقْم ٣١٣) وَابْنُ خَزِيمَةَ فِي صَحِيحِهِ (١٥٣/١ -
١٥٥ رَقْم ٣٠١) وَأَبُو عَوَانَةَ فِي صَحِيحِهِ (١٠٧/١ - ١١٢ رَقْم ٣٣٧، ٢٣٨) وَالتَّبْرَانِيُّ
(٢٧٠/١٩ - ٢٧٤ رَقْم ٥٩٩) وَابْنُ مَنْدَهٍ فِي الْإِيمَانِ (٧٢٥/٢ - ٧٢٨ رَقْم ٧١٦) وَأَبُو نَعِيمٍ
فِي الْمُسْتَدْرَجِ عَلَى صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٢٣٢/١ - ٢٣٤ رَقْم ٤٢٠) وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي الدَّلَائِلِ (٢/
٣٧٣ - ٣٧٧) وَغَيْرُهُمْ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدٍ - وَهُوَ ابْنُ أَبِي عَرُوبَةَ - عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ
مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فَزَادُوا فِي الْإِسْنَادِ: «مَالِكُ بْنُ صَعْصَعَةَ» وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ عَنْ
قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا.

وَرَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٦٤/٣) وَعَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي تَفْسِيرِهِ (٢٥١/٢ - ٢٥٢) وَأَبُو يَعْلَى (٥/
٤٦٠ رَقْم ٣١٨٥) وَالدَّارِقُطْنِيُّ (٢٥/١ رَقْم ٢٩) وَالحَاكِمُ (٨١/١) مِنْ طَرِيقِ مَعْمَرٍ، عَنْ
قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا.

وَقَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يَخْرُجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ، وَلَهُ
شَاهِدٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ، صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يَخْرُجَاهُ. اهـ.

وَرَوَاهُ ابْنُ طَهْمَانَ فِي مَشِيبَتِهِ (١١٩) - وَمِنْ طَرِيقِهِ أَبُو عَوَانَةَ (١٣٨/٥ رَقْم ٨١٣٤)
وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ (١٣١/٢) وَالحَاكِمُ (٨١/١) - عَنْ شُعْبَةَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ
ﷺ. وَعَلَّقَهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٧٣/١٠ رَقْم ٥٦١٠) عَنْ ابْنِ طَهْمَانَ بِهِ.

قَالَ الْبُخَارِيُّ: وَرَوَاهُ هِشَامٌ وَسَعِيدٌ وَهَمَامٌ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ
عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْأَنْهَارِ نَحْوَهُ.

وَقَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْعِلَلِ (٢٣٤/٦ - ٢٣٥): وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ
مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَأَتَى بِهِ بِطَوْلِهِ.

وَرَوَى بَعْضُهُ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قِصَّةَ النَّهْرَيْنِ، حَدَّثَ بِهِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
طَهْمَانَ عَنْ شُعْبَةَ.

قوله: ﴿عندها جنة المأوى﴾ والجنة عندها السُدرة والمأوى: مأوى المؤمنين ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ تفسير بعضهم: قال: غشيها فراش من ذهب ﴿ما زاغ البصر﴾ بصر النبي ﷺ فلم يثبت ما رأى، ﴿وما طغى﴾: ما قال ما لم ير .

﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ يعني: ما قصص مما رأى، ثم قال للمشركين:

﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۖ (١٩) وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ ۚ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا فِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا أَنْتُمْ وَعِبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ (٢٣) أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ (٢٥)﴾

﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ بعد الاثنتين: اللات كانت لثقيف، والعزى لقريش، ومناة لبني هلال ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ على الاستفهام؛ وذلك أنهم جعلوا الملائكة بنات الله - عز وجل - وجعلوا لأنفسهم الغلمان، وقالوا: إن الله صاحب بنات، فسموا هذه الأصنام

= ويشبه أن يكون الأقاويل كلها صحاحاً؛ لأن روايتهم أثبات. وقد روى خالد بن قيس، عن قتادة، عن أنس عن النبي ﷺ: «فرضت علي الصلاة» وهو صحيح عنه.

وكذلك عمرو بن الحارث عن عبد ربه بن سعيد عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ. اهـ. ولما ذكر أبو نعيم حديث الإسراء في معرفة الصحابة (٢٤٥٢/٥ - ٢٤٥٣) من طريق شيبان، عن قتادة، عن أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة، قال: رواه هشام وهمام وشعبة وسعيد ابن أبي عروبة وأبو عوانة وعمران القطان والخليل بن مرة ومجاعة بن الزبير في آخرين عن قتادة ومنهم من طوله ومنهم من اختصره. اهـ.

فجعلوهن إناثًا، قال الله: ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾ أي: ليس ذلك كذلك.
 ﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾ جائزة أن جعلوا لله البنات ولهم الغلمان هذا
 تفسير الحسن.

قال محمد: يقال: ضِرْتُ في الحُكْم أي: جُرْتُ، وضازَه يضيِّزه إذا نقصه
 حقه (١).

وأنشد بعضهم لامرئ القيس:

ضَارَتْ بَنُو أَسَدٍ بِحُكْمِهِمْ إِذْ يَجْعَلُونَ الرَّأْسَ كَالذَّنْبِ (٢)

وأصل ضيزى ضوزا فكسرت الضاد للياء وليس في النعوت فعلى (٣).

﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم﴾ يعني اللات والعزى ومناة ﴿ما
 أنزل الله بها من سلطان﴾ من حجة بأنها آلهة ﴿إن يتبعون﴾ يعني: المشركين
 ﴿إلا الظن﴾ أي: ذلك منهم ظنٌّ ﴿وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم
 الهدى﴾ القرآن، قال الكلبي: «كان النبي ﷺ يصلي عند البيت والمشركون
 جلوس فقرأ: ﴿والنجم إذا هوى﴾ فحدث نفسه حتى إذا بلغ ﴿أفرأيتم اللات
 والعزى ومناة الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان على لسانه: فإنها من الغرائق
 العلوى - يعني: الملائكة - وإن شفاعتها ترتجى أي: هي المرتجى. فلما
 انصرف النبي من صلاته قال المشركون: قد ذكر محمدٌ آلهتنا بخير، فقال
 النبي: والله ما كذلك نزلت عليّ. فنزل عليه جبريل فأخبره النبي، فقال:
 والله ما هكذا علمتُك وما جئت بها هكذا، فأنزل الله: ﴿وما أرسلنا من قبلك

(١) لسان العرب (ضيز).

(٢) البيت من بحر البسيط. ينظر: البحر (١٦٢/٨)، الدر المصون (٢٠٩/٦).

(٣) لمزيد من التفصيل راجع الدر المصون (٢٠٩/٦)، إعراب القرآن (٢٦٩/٣)، مجمع البيان (١٧٦/٥).

من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته... ﴿ الآية وقد مضى تفسير هذا (١) .

قوله: ﴿ أم للإنسان ما تمنى ﴾ وذلك لفرح المشركين بما ألقى الشيطان على لسان النبي من ذكر آلهتهم.

﴿ وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (٢٦) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْئُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴿ ٢٧ ﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿ ٢٨ ﴾ فَأَعْرَضَ عَنْ مَّن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ يُرِيدُ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿ ٢٩ ﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّٰ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن آمَنَ ﴿ ٣٠ ﴾

قوله: ﴿ وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا ﴾ لا تنفع شفاعتهم المشركين شيئا، إنما يشفعون للمؤمنين ولا يشفعون ﴿ إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى ﴾ .

﴿ وما لهم به من علم ﴾ بأنهم إناث ولا بأنهم بنات الله ﴿ إن يتبعون إلا الظن ﴾ أي: إن ذلك منهم ظن.

﴿ فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ﴾ هذا منسوخٌ نسخه القتال (٢) .

﴿ ذلك مبلغهم من العلم ﴾ أي: إن علمهم لم يبلغ الآخرة.

(١) في تفسير سورة الحج، الآية: ٥٢، ولا تصح هذه القصة، ولفضيلة العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله رسالة «نصب المنجنيق لنسف قصة الغرائيق» فراجعها.

(٢) الناسخ والمنسوخ (ص ٨٧).

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحَسَنِ﴾ (٣١) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٣٢)

﴿ليجزى الذين أساءوا﴾ أشركوا ﴿بما عملوا﴾ يجزئهم النار ﴿ويجزى الذين أحسنوا﴾ آمنوا ﴿بالحسن﴾ يعني الجنة.

قوله عز ذكره: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم﴾ تفسير الحسن: إلا اللمة يلثم بها من الذنوب.

قال محمد: المعنى: إن الله - عز وجل - وعد المغفرة من اجتنب الكبائر، ووعد المغفرة أيضا من ألم بشيء منها، ثم تاب من ذلك واستغفر الله. والإلمام في اللغة معناه: ألا يتعمق في الشيء ولا يلزمه^(١)، وهذا معنى ما ذهب إليه الحسن.

قوله: ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم﴾ خلقكم ﴿من الأرض﴾ يعني: خلق (...)(٢) والأجنة من باب الجنين في بطن أمه.

قوله: ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ (...)(٣).

يحيى: عن ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن ثابت بن الحارث (ل٣٤٤) الأنصاري قال: «كانت اليهود تقول إذا هلك صبي صغير: هذا صديق. فبلغ ذلك رسول الله فقال: كذبت يهود، ما من نسمة خلقها الله في

(١) لسان العرب (لمم)، الدر المصون (٦/٢١١).

(٢) بياض في الأصل نحو خمس كلمات.

بطن أمها إلا أنه شقي أو سعيد. فأنزل الله عند ذلك هذه الآية ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض...﴾ إلى آخرها^(١). من حديث يحيى بن محمد.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدُ عِلْمِ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُبْنِا بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَّا نَزِدُّ بِرِزْقٍ وَزَرٍّ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى ﴿٤١﴾ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾ وَأَنْتُمْ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ وَأَنْتُمْ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنْتُمْ خَلَقَ الرَّجُلَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ تُطْفِئَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنْ عَلَيْهِ الشَّعَاةُ الْأُخْرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنْتُمْ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنْتُمْ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنْتُمْ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَتَمُودًا مِمَّا بَقِيَ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَى ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤَفِّكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَفَعَّلْنَهَا مَا عَشَى ﴿٥٤﴾﴾

﴿أفرأيت الذي تولى﴾ يعني: المشرك تولى عن الإيمان، ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ تفسير عكرمة قال: أعطى قليلاً ثم قطعه.

قال محمد: وأصل الكلمة من كذبة البثر، وهي الصلابة فيها، وإذا بلغها الحافر يشس من حفرها؛ فقطع الحفر، فقليل لكل من طلب شيئاً فلم يبلغ آخره وأعطى ولم يتمم: أكدى^(٢).

قال يحيى: قوله: ﴿أعطى قليلاً﴾ إنما قل؛ لأنه كان لغير الله.

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢/٨١ - ٨٢ رقم ١٣٦٨) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١/٤٧٨ رقم ١٣٦٢) والواحد في أسباب النزول (ص ٢٩٣) من طريق ابن لهيعة به.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٦/١٤٢) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه أيضاً. (٢) لسان العرب (كدو)، الدر المصون (٦/٢١٢).

﴿أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ يختار لنفسه الجنة إن كانت جنة. كقوله:
﴿وَلَوْ أَنَّ رَجَعْتَ إِلَى رَبِّي إِنْ لِي عِنْدَهُ لِلْحَسَنِ﴾^(١) للجنة إن كانت جنة هذا
تفسير الحسن ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ يعني:
وفى ما فرض الله عليه في تفسير مجاهد.

﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ ما عمل ﴿وَأَنْ سَغِيهَ سَوْفَ يُرَى﴾.

قال محمد: قيل: المعنى: يرى عمله في ميزانه.

﴿وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ يعني: المصير ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ أي:
خلق الضحك والبكاء. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ * وأنه خلق الزوجين الذكر
والأنثى ﴿الوَاحِدُ مِنْهُمَا: زَوْجٌ﴾ * من نطفة إذا تُمْنِي ﴿إِذَا يَمِينُهَا الذَّكَرُ﴾ ﴿وَأَنْ
عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخَرَى﴾ * وأنه هو أغنى وأقنى ﴿أَغْنَى عَبْدَهُ، وَأَقْنَاهُ مِنْ قَبْلِ
الْقِنْيَةِ﴾^(٢).

قال محمد: تقول: أَقْنَيْتُ كَذَا أَي: عملتُ على أنه يكون عندي لا أخرجهُ
من يدي؛ فكأنَّ معنى (أَقْنَى) جعل الغنى أصلاً لصاحبه ثابتاً^(٣).

﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى﴾ الكوكب الذي خلف الجوزاء كان يَعْبُدُهَا قَوْمٌ^(٤)
﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وهي عادٌ واحدة، لَمْ يَكُنْ قَبْلُهَا عَادٌ^(٥) قال:

(١) فصلت، الآية: ٥٠.

(٢) بضم القاف وكسرهما، ويقال فيها: القنوة بضم القاف وكسرهما أيضًا. لسان العرب (قنى)،
المفردات للراغب (٦٥٢).

(٣) لسان العرب (قنى).

(٤) هم خزاعة. ينظر الدر المصون (٦/٢١٤).

(٥) وقيل: إن عادًا الأولى عاد بن إرم، وهم الذين أهلكوا بريح صرصر عاتية، وعادًا الآخرة قوم
هود، وقيل: إن عادًا الأولى قوم هود، والآخرة قوم كانوا بحضرموت، قاله قتادة. انظر
تفسير الماوردي (٥/٤٠٥) وتفسير القرطبي (١٧/١٢٠).

﴿وَنُوحًا^(١)﴾ فَمَا أَبْقَى﴾ أَهْلَكَهُمْ فَلَمْ يَبْقِهِمْ ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ﴾ أَي: وَأَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ
 ﴿مَنْ قَبْلَ إِنْهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى﴾ كَانُوا أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ الرُّسُلَ.
 ﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾ يَعْنِي قَرَى قَوْمَ لُوطَ رَفَعَهَا جَبْرِيلُ بِجَنَاحِهِ، حَتَّى سَمِعَ
 أَهْلَ سَمَاءِ الدُّنْيَا ضَوَاغِي كَلَابِهِمْ ثَمَّ قَلْبَهَا، وَالْمُؤْتَفِكَةَ: الْمُنْقَلَبَةَ.
 قَالَ مُحَمَّدٌ: أَهْوَى: أَسْقَطَ. يُقَالُ: هَوَى وَأَهْوَاهُ اللَّهُ: أَسْقَطَهُ^(٢).
 قَالَ: ﴿فَغَشَاها مَا غَشَى﴾ يَعْنِي: الْحِجَارَةُ الَّتِي رُمِيَ بِهَا مِنْ كَانَ مِنْهُمْ
 خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَهْلَ السَّفَرِ مِنْهُمْ.

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ ﴿٥٥﴾ أَرَفَتِ الْآزِفَةَ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ
 لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ
 سَيِّدُونَ ﴿٦١﴾ فَاعْبُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

قَالَ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ يَعْنِي نِعْمَاءَ ﴿رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾ تَشْكُ أَي: إِنَّكَ لَا تَشْكُ
 ثُمَّ قَالَ لِلنَّاسِ: ﴿هَذَا نَذِيرٌ﴾ يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﴿مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِ﴾ أَي: جَاءَ بِمَا
 جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ الْأَوَّلَى ﴿أَرَفَتِ الْآزِفَةَ﴾ أَي: دَنَتْ الْقِيَامَةُ ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ
 اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ كَأَنَّ الْمَعْنَى: لَيْسَ لَهَا وَقْعَةٌ كَاشِفَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ﴿أَفَمِنْ هَذَا
 الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ﴾ يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ، أَي: قَدْ فَعَلْتُمْ ﴿وَلَا
 تَبْكُونَ﴾ أَي: يَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَبْكُوا ﴿وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ قَالَ: غَافِلُونَ ﴿فَاسْجُدُوا
 لِلَّهِ﴾ فَصَلُّوا لِلَّهِ ﴿وَاعْبُدُوا﴾ أَي: وَاعْبُدُوهُ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا.
 قَالَ مُحَمَّدٌ: سَامِدُونَ مَعْنَاهُ لَاهُونَ وَهِيَ لُغَةُ الْيَمَنِ^(٣).

(١) قرأ عاصم وحمة ويعقوب بغير تنوين، والباقون بالتنوين، وتقدم.

(٢) لسان العرب (هوى).

(٣) وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٦/٢١٩)، لسان العرب (سمد).

تفسير سورة اقتربت الساعة
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ ① وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ③ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ④ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرَ ⑤ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكْرٍ ⑥ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ⑧ ﴿٩﴾
قوله: ﴿اقتربت الساعة﴾ أي: دنت.

يحيى: عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين، فما فضل إحداهما على الأخرى، وجمع بين أصبعيه الوسطى والتي يقول الناس السَّبَّابَةَ»^(١).

﴿وانشق القمر﴾ قال ابن مسعود: «انشق القمر شقين حتى رأيت أبا قبيس بينهما»^(٢) ﴿وإن يروا آية﴾ يعني: المشركين ﴿يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر﴾

(١) تقدم في تفسير سورة محمد، الآية: ١٩ .

(٢) رواه البخاري (٣٦٣٦ ، ٣٨٦٩ ، ٣٨٧١ ، ٤٨٦٤ ، ٤٨٦٥) ومسلم (٤/٢١٥٨ - ٢١٥٩) رقم ٢٨٠٠ بنحوه.

ولقد روى انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة: منهم أنس - في الصحيحين - وابن عباس - في الصحيحين أيضًا - وابن عمر - في صحيح مسلم - وعلي وحذيفة وجبير بن مطعم وغيرهم، انظر تفسير ابن كثير (٤/٢٦١ - ٢٦٣) والبداية والنهاية (٧/٧٧ - ٧٩) =

ذاهب ﴿وكل أمر مستقر﴾ لأهله من الخير والشر.

قال محمد: يقول: يستقر لأهل الجنة عملهم، ولأهل النار عملهم. والاختيار (...) ^(١) لأنه ابتداء.

﴿ولقد جاءهم من الأنباء﴾ يعني: أخبار الأمم (...) ^(٢) (ل ٣٤٥) فأهلكهم الله ﴿ما فيه مزدجر﴾ عمّا هم عليه من الشرك ﴿حكمة بالغة﴾ يعني: القرآن. قال محمد: (حكمة بالغة) بالرفع على معنى: فهو حكمة بالغة ^(٣).

﴿فما تغن النذر﴾ عمن لا يؤمن ﴿فتول عنهم يوم يدع الداعي﴾ ^(٤) إلى شيء نكر عظيم، والداع هو صاحب الصور.

قال محمد: ﴿يدع﴾ كتب بحذف الواو على ما يجري في اللفظ لالتقاء الساكنين الواو من (يدعو) واللام من (الداع) ^(٥) وقوله: (نكر) بضم الكاف وإسكانها ^(٦)، والنكر والمنكر واحد ^(٧).

= والدر المنشور (١٤٧/٦ - ١٤٨).

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٧٧/٦): وقد اتفق العلماء مع بقية الأئمة على أن انشقاق القمر كان في عهد رسول الله ﷺ، وقد وردت الأحاديث بذلك من طرق تفيد القطع عند الأمة.

(١) طمس في الأصل نحو نصف سطر.

(٢) طمس في الأصل نحو خمس كلمات.

(٣) وقيل بالرفع على البدل من (ما). ينظر: إعراب القرآن (٢٨٢/٣) البيان (٤٠٣/٢)، البحر (١٧٤/٨).

(٤) أثبت الياء وصلًا أبو جعفر وأبو عمرو وورش، وأثبتها في الحاليين يعقوب والبزي. النشر (٣٨٠/٢) وإتحاف الفضلاء (٥٢٤).

(٥) قال السمين الحلبي: حذف الواو من (يدع) خطأ إتباعًا للفظ، والياء من (الداع) مبالغة في التخفيف لإجراء لال مجرى ما عاقبها وهو التنوين، فكما تحذف الياء مع التنوين كذلك مع ما عاقبها. ينظر الدر المصون (٢٢٢/٦).

(٦) قرأ العامة بضم الكاف، وابن كثير بسكونها. ينظر البحر (١٧٥/٨)، الدر المصون (٢٢٢/٦).

(٧) لسان العرب (نكر).

قال النابغة:

أَبَى اللَّهُ إِلَّا عَذْلَهُ وَوَفَاءَهُ فَلَا تُكْرَمُ مَعْرُوفٌ وَلَا الْغُرْفُ ضَائِعٌ^(١)

قوله: ﴿خَشَعًا أَبْصَارَهُمْ﴾ يقول: فتول^(٢) عنهم فستراهم يوم القيامة ذليلة أبصارهم، وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال^(٣) ﴿يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ من القبور ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مَّتَشْتَرٌ﴾ تفسير الحسن شبَّههم بالجراد إذا أدركه الليل لزم الأرض، فإذا أصبح وطلع عليه الشمس انتشر ﴿مَهْطَعِينَ﴾ مسرعين ﴿إِلَى الدَّاعِ﴾ صاحب الصور إلى بيت المقدس ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ يومئذ ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ يعلم الكافرون يومئذ أن عسر ذلك اليوم عليهم، وليس لهم من يُسْرِه شيئا.

﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ ﴿٩﴾ ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ ﴿١٠﴾ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ﴿١١﴾ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ ﴿١٢﴾ ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ ﴿١٣﴾ ﴿تَجَرَّى بِاعَيْنَيْنَا جَزَاءَ لِمَنِ كَانَ كُفْرٌ﴾ ﴿١٤﴾ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿١٥﴾ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ ﴿١٦﴾ ﴿وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْفُرْعَانَ لِلْذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿١٧﴾

﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾ تُهَذَّدُ بالقتل في تفسير الحسن ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ﴾ أي: فانتقم لي من قومي.

قال محمد: من قرأ ﴿أَنِّي﴾ بالفتح للآلف - وهو الأجود - والمعنى: دعا

(١) البيت من بحر الطويل. ينظر ديوان النابغة، الدر المصنوع (٤٤٩/٣).

(٢) في الأصل (فتولّى) بإثبات الياء.

(٣) ينظر الناسخ والمنسوخ (٨٨).

ربه بأنني مغلوب^(١).

﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ بعضه على بعض وليس بمطر.

قال محمد: يقال: همّر الرجل إذا أكثر من الكلام وأسرع^(٢).

﴿وفجرنا الأرض عيونًا فالتقى الماء﴾ ماء السماء وماء الأرض ﴿على أمرٍ

قد قُدر﴾ على هلاك قوم نوح ﴿وحملناه﴾ يعني: نوحًا ﴿على ذات ألواح﴾ يعني: السفينة و﴿دسر﴾ الدُسْر: المسامير؛ في تفسير قتادة.

قال محمد: واحدها دِسَارٌ^(٣)، مثل حمار وحُمر.

﴿تجري بأعيننا﴾ كقوله: ﴿إنني معكما أسمع وأرى﴾^(٤).

﴿جزاء لمن كان كُفر﴾ جزاء لنوح كفره قَوْمُهُ، وجحدوا ما جاء به إنجاء

الله إِيَّاه في السفينة ﴿ولقد تركناها آية﴾ لمن بعدهم، يعني: السفينة.

قال محمد: قوله: (آية) يعني: علامة؛ ليعتبر بها.

﴿فهل من مدكر﴾ أي: متفكر، يأمرهم أن يعتبروا ويحذروا أن ينزل بهم ما

نزل بهم.

قال محمد: مُدَكِّر أصله مذتكر مفتعل من الذَّكْر، فأدغمت الذال في التاء

ثم قلبت دالًا مشدودة^(٥).

﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ إنذاري أي كان شديدًا ﴿ولقد يسرنا القرآن

(١) العامة على فتح الهمزة، وقرأ ابن أبي إسحاق والأعمش، ورويت عن عاصم بالكسر. ينظر:

البحر (١٧٦/٨)، الدر المصون (٢٢٥/٦).

(٢) لسان العرب (همر).

(٣) وقيل: الواحد دَسْر. ينظر لسان العرب (دسر)، الدر المصون (٢٢٧/٦).

(٤) طه: ٤٦.

(٥) وقد تقدم مثل هذا مرارًا.

لِلذِّكْرِ ﴿لِيَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ وهي مثل الأولى .

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَزِجُ النَّاسَ فَكَانَتْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مَنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾

﴿كذبت عاد﴾ أي : فأهلكتهم ﴿فكيف كان عذابي ونذري﴾ أي : كان شديدًا ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحًا صرصراً﴾ والصرصر : الباردة الشديدة البرد، وهي ريح الدبور ﴿في يوم نحسٍ﴾ أي : مشئوم ﴿مستمر﴾ استمر بالعذاب، وكان ذلك من يوم الأربعاء إلى يوم الأربعاء .

﴿كانهم أعجاز نخل منقعر﴾ شبههم في طولهم وعظمتهم بالأعجاز، وهي النخل الذي قد انقلعت من أصولها فسقطت على الأرض .

قال محمد : قوله : ﴿منقعر﴾ قالوا : قعرث النخلة أفعرها - بفتح العين - إذا قطعها قعرًا . وقعرث البشر أفعرها - بكسر العين - إذا بلغت قعرها بتزول أو حفر^(١) . والنخل تذكر وتوث^(٢) ؛ يقال : هذا نخل وهذه نخل ، فمنقعر على من قال : هذا نخل ، ومن قال هذه نخل مثل قوله : ﴿كانهم أعجاز نخل خاوية﴾^(٣) .

ومعنى ﴿يسرنا﴾ أي : سهلنا، وروي أن كتب أهل الأديان نحو التوراة

(١) ويقال في كلا المعنيين : قَعَر يَقْعَر بفتح العين . لسان العرب (قعر) .

(٢) لسان العرب (نخل) .

(٣) الحاقة : ٧ . وقال السمين الحلبي : (منقعر) صفة لنخل باعتبار الجنس ، ولو أنث لاعتبر معنى الجماعة كقوله : (نخل خاوية) ، وإنما ذكر هنا وأنث في الحاقة مراعاة للفواصل في الموضعين ، الدر المصون (٦/٢٢٨) .

والإنجيل إنما يتلوها أهلها (نظرًا)^(١) ولا يكادون يحفظونها من أولها إلى آخرها؛ كما يحفظ القرآن .

﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِالنَّذْرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِمَّنَّا وَجِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٢٤﴾ أَلَمَلَقَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشِرِّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فَمَنَّةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ نَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾﴾

﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ بالرسل ﴿فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه﴾ أي: أنتع بشرا منا واحدا ﴿إنا إذا لفي ضلال﴾ فلا (نهتدي)^(١) (ل ٣٤٦) ﴿وسعر﴾ أي: وشقاء؛ في تفسير مجاهد.

قال محمد: قوله: (وسعر) أصل الكلمة من [سعرت]^(٢) النار إذا التهمت^(٣).

﴿ألقي عليه الذكر من بيننا﴾ على الاستفهام منهم، وهذا الاستفهام على إنكار أي: لم ينزل الذكر عليه من بيننا يجحدون ما جاء به صالح ﴿بل هو كذاب أشر﴾ من باب الأشر ﴿سيعلمون غدا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿من الكذاب الأشر﴾.

قال محمد: الأشر في اللغة: البطر المتكبر، يقال: أشر يأشر أشرا فهو

(١) مشتبهة في الأصل، ولعلها كما أثبت، والله أعلم.

(٢) في الأصل: سعر.

(٣) و(سعر) يجوز أن يكون مفردا، أي: جنون، يقال: ناقة مسعورة، أي: مجنونة. وأن يكون جمع سعي وهي النار. الدر المصون (٢٢٩/٦).

أشِر، وقالوا أيضًا: أَشْرَان وامرأة أَشْرَى^(١).

﴿إنا مرسلوا الناقة﴾ أي: مخرجوها ﴿فتنة لهم﴾ أي: بلية ﴿فارتقبهم﴾ أي: انظر ماذا يصنعون ﴿واصطبر﴾ على ما يصنعون وعلى ما يقولون، أي: إذا جاءت الناقة. وقد مضى تفسير أمر الناقة في سورة الشعراء^(٢) ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم﴾ وهذا بعد ما جاءتهم الناقة ﴿كل شرب محتضر﴾ تشرب الناقة الماء يومًا ويشربونه يومًا.

قال محمد: معنى ﴿محتضر﴾ يحضر القوم الشرب يومًا، وتحضره الناقة يومًا.

﴿إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة﴾ والصيحة: العذاب ﴿فكانوا كهشيم المحتظر﴾ وهو النبات إذا هاج قَذَرَتُهُ الرياحُ فصار حطائر، تفسير من قرأ (المحتظر) بكسر الظاء، ومن قرأها (المحتظر) بفتح الظاء فالمعنى جُعِلَ حطائر^(٣).

قال محمد: وقيل: الهشيم: ما ييس من الورق وتكسر وتحطم، أي: فكانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة في تفسير من قرأه (المحتظر) بكسر الظاء يقول: احتظر حظيرة، ومن قرأ (المحتظر) بفتح الظاء فهو اسمٌ للحظيرة^(٤).

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِي إِذَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا نَالُ لُوطٍ لَمَّ بِهِمْ بِسَحَرٍ ۖ﴾ (٢٤)

(١) لسان العرب (أشِر).

(٢) الآية ١٥٥ وما بعدها.

(٣) العامة على كسر الظاء، وقرأ أبو السَّمال وأبو حيوة وأبو رجاء وعمرو بن عبيد بفتحها. ينظر الدر المصون (٢٣٠/٦).

(٤) ينظر: البحر (١٨٠/٨)، الدر المصون (٢٣٠/٦).

نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذِرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدْكِرٍ ﴿٤٠﴾

﴿كذبت قوم لوط بالنذر﴾ بالرسل يعني لوطاً ﴿إنا أرسلنا عليهم حاصباً﴾ يعني: الحجارة التي رُمي بها من كان منهم خارجاً من المدينة وأهل السفر منهم، وأصاب مدينتهم الخسف ﴿إلا آل لوط﴾ يعني من آمن ﴿نجيناهم﴾ إلى قوله: ﴿من شكر﴾ يعني: من آمن.

قال محمد: تقول: أتيت فلاناً سحراً أي: سحراً من الأسحار، وإذا أردت سحر يومك قلت: أتيت به سحراً، وأتيت سحراً، ونضبه على الظرف (١).

﴿نعمة من عندنا﴾ بمعنى: نجيناهم بالإنعام عليهم.

قوله: ﴿ولقد أنذرهم بطشتنا﴾ أي: عذابنا ﴿فتماروا بالنذر﴾ كذبوا بما قال لهم لوط ﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا﴾ وقد مضى تفسير كيف أهلكوا في سورة هود (٢) ﴿ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر﴾ استقر بهم العذاب.

قال محمد: (بكرة) ها هنا نكرة، وإذا أردت بكرة يومك لم تضرفها (٣) وكذلك (غدوة) في مثل هذا.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْدِرٌ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾

﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيَهْرَمُ

(١) وقيل: مبني على الفتح. الدر المصون (٢٣١/٦).

(٢) هود، الآيتان: ٨٢، ٨٣.

(٣) للتعريف والتأنيث. الدر المصون (٢٣١/٦).

لَجَمْعٌ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُقُوا مَسَّ سَقَرٍ ﴿٤٨﴾ ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ يعني موسى وهارون ﴿كذبوا بآياتنا كلها﴾ يعني التسع آيات، وقد مضى ذِكْرُهَا ﴿فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ على خلقه، عذبهم بالغرق ﴿أكفاركم﴾ يعني أهل مكة ﴿خير من أولئكم﴾ يعني: من أهلك من الأمم السالفة، أي: ليسوا بخير منهم، يعني: كانوا أشد منهم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً ﴿أم لكم براءة﴾ أي: من العذاب ﴿في الزُّبر﴾ في الكتب ﴿أم يقولون﴾ بل يقولون ﴿نحن جميع منتصر﴾ سيهزم الجمع ويقولون الدبر ﴿يعني: يوم بدر﴾ بل الساعة موعدهم ﴿أي: بعذاب الاستئصال، يعني: كفار آخر هذه الأمة؛ في تفسير الحسن﴾ والساعة أدهى ﴿من تلك الأخذات التي أهلك بها الأمم السالفة﴾ وأمرٌ ﴿أي: وأشد.

﴿إن المجرمين﴾ المشركين ﴿في ضلالٍ﴾ عن الهدى ﴿وسُعُرٍ﴾ أي: شقاء في تفسير مجاهد ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم﴾ تسحبهم الملائكة أي: تجرهم ﴿ذوقوا مَسَّ﴾ يقال لهم في النار: ذوقوا مَسَّ سَقَر، وسقر اسم من أسماء جهنم .

﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدَرٍ﴾ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّذْكَرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْفَاقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ ﴿٥٥﴾

﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ تفسير سعيد بن جبير عن علي قال: كل شيء

بقدر حتى هذه، ووضع إصبعه السبابة على طرف لسانه، ثم وضعها على ظهر إبهامه اليسرى.

قال محمد: ﴿كل شيء﴾ منصوبٌ بفعل مضمر، المعنى: إنا خلقنا كل شيء خلقناه بقدر^(١).

﴿وما أمرنا﴾ (٣٤٧) يعني مجيء الساعة ﴿إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ تفسير الحسن يعني: إذا جاء عذاب كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى. قال محمد: المعنى: أنه إذا أراد هلاكهم كانت سُرعة الاقتدار على الإتيان به كسرعة لمح البصر، وهو الذي أراد الحسن، ومعنى لمح البصر: أن البصر يلمح السماء وهي مسيرة خمسمائة عام، وهذا من عظيم القدرة.

وقوله: ﴿إلا واحدة﴾ فإن المعنى: إلا قولة واحدة ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ يعني: من أهلك من الأمم السالفة يقوله للمشركين ﴿وكل شيء فعلوه في الزُّبر﴾ في الكتب قد كُتِبَ عليهم ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾ مكتوب.

﴿إن المتقين في جناتٍ ونهر﴾ يعني: جميع الأنهار.

قال محمد: وهو واحدٌ يدل على جمع^(٢).

﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾ يعني: نفسه تبارك اسمه.



(١) أي: منصوب على الاشتغال، وفيه أقوال أخرى. ينظر: الدر المصون (٢٣٢/٦).

(٢) أي: اسم جنس. ينظر: الدر المصون (٢٣٤/٦).

تفسير سورة الرحمن وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الرَّحْمَنُ ١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْبَاءِ ١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ١٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ١٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ١٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ١٦﴾ قوله: ﴿الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان﴾ علمه الكلام ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ تفسير الكلبي: بحساب ومنازل معدودة، كل يوم منزل ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ النجم: ما كان من النبات على غير ساق، والشجر ما كان على ساق^(١). وسجودهما ظلُّهما.

قال محمد: يقال: نَجَمَ النبات يَنْجُمُ نَجُومًا^(٢)، وَيَقُلُّ يَقْلُ يَقُولًا^(٣).

﴿والسمااء رفعها﴾ بينها وبين الأرض مسيرة خمسمائة عام ﴿ووضع الميزان﴾ أي: وجعل الميزان في الأرض بين الناس ﴿ألا تَطْغَوْا﴾ ألا تظلموا ﴿في الميزان وأقيموا الوزن بالقسط﴾ بالعدل ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ أي: لا تنقصوا الناس.

(١) لسان العرب (نجم).

(٢) وَنَجَمًا. لسان العرب (نجم).

(٣) وَيَقْلُّ. لسان العرب (يقل).

قال محمد: يقال: أَخْشَرْتُ الميزانَ وَخَيْرْتُ^(١). والقراءة بضم التاء^(٢).
﴿والأرض وضعها للأنام﴾ للخلق ﴿فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾ قال
الحسن: الأكمام: الليف.

قال محمد: أكمام النخلة: ما غطى جُمارها من السَّعَف والليف والطلعة،
كُمها: قشرها.

قوله: ﴿والحب ذو العصف والريحان﴾ العصف: سوق الزرع،
والريحان: الرزق في تفسير الكلبي. وكان يقرأ ﴿والريحان﴾ بالجـ ويجعل
العصف والريحان جميعاً من صفة الزرع، وكان الحسن يقرأ (والريحان)
بالرفع على الابتداء أي: وفيها الريحان^(٣). والريحان في تفسير الحسن:
الرياحين التي تُشَمُّ.

قال محمد: والعرب تسمي الرزق: الريحان، يقال: خرجت أطلب ريحان
الله^(٤). ومنه قول النمر بن تولب^(٥):

سَلَامُ الإِلَهِ وَرِيحَانُهُ وَرَحْمَتُهُ وَسَمَاءُ دِرَزْ^(٦)

-
- (١) أي: وخيرته. والمعنى: أنقصته. لسان العرب (خسر).
(٢) وهي قراءة العامة ضم التاء وكسر السين، وفيها قراءات أخرى. ينظر الدر المصون (٦/٢٣٧)، البحر (٨/١٨٩).
(٣) قرأ حمزة والكسائي بالجـ، وابن عامر بالنصب، والباقون بالرفع. ينظر: السبعة (٦١٩)،
التيسير (٢٠٦)، النشر (٢/٣٨٠).
وينظر التوجيه النحوي لهذه القراءات في البحر (٨/١٩٠)، الدر المصون (٦/٢٣٧).
(٤) وهو قوله الأكثرين. ينظر لسان العرب (ريح)، البحر (٨/١٩٠)، الدر المصون (٦/٢٣٨).
(٥) هو أحد الشعراء المخضرمين كان من ذوي الوجاهة والنعمة، ت (١٤هـ) وله ديوان مطبوع.
تنظر ترجمته ومصادرها في الأعلام (٨/٤٨).
(٦) البيت من بحر المتقارب، ينظر ديوانه وتفسير الطبري (٢٧/١٢٣)، وتفسير القرطبي (١٧/١٥٧).

معنى ريحانه: رزقه.

قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ﴾ أي: نعماء ﴿رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ يعني: الثقلين الجن والإنس.

قال محمد: قيل: ذكر الله - عز وجل - في هذه السورة ما ذكر من خلق الإنسان وتعليم البيان، ومن خلق الشمس والقمر والسماء والأرض وغير ذلك مما ذكر من آلائه التي أنعم بها، وجعلت قوامًا ووُضْلَةً إلى الحياة، ثم خاطب الإنس والجن فقال: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبَانِ﴾ أي: فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة، أي: أنكم تصدقون بأن ذلك كله من عنده، وهو أنعم به عليكم، وكذلك فوحدوه ولا تشركوا به غيره، والآلاء واحدها إلا مثل معًا^(١).

قوله: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يعني: آدم ﴿مِّنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ وهو التراب اليابس الذي يُسَمَّعُ له صلصلة إذا حُرِّكَ، وكان آدم في حالات قبل أن ينفخ فيه الروح، وقد قال في آية أخرى: ﴿مِّنْ طِينٍ﴾^(٢) وقال: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾^(٣). قوله: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ إبليس ﴿مِّنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ أي: من لسان النار ولهبها في تفسير الحسن.

قال محمد: يقال للهب النار: مارج لاضطرابه، من مرج الشيء يعني اضطرب ولم يستقر^(٤). قال الحسن: الإنس كلهم من عند آخرهم ولد آدم.

(١) وقيل: واحدها الألى، وقيل: الإلبي، وقيل: الألي. ينظر لسان العرب (ألا).

(٢) الأنعام: ٢، الأعراف: ١٢، المؤمنون: ١٢، السجدة: ٧، الصافات: ١١١، ص:

٧١، ٧٦، الذاريات: ٣٣.

(٣) الحجر: ٢٦، ٢٨، ٣٣.

(٤) يقال: مَرَجَ يَمْرُجُ مَرُوجًا، وَمَرَجَ يَمْرُجُ مَرُوجًا. لسان العرب (مرج).

(ل٣٤٨) والجن كلهم من عند آخرهم ولد إبليس.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ (١٧) ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (١٨) ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (١٩) ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ (٢٠) ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (٢١) ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (٢٢) ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (٢٣) ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَعْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (٢٤) ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (٢٥) ﴿كُلٌّ مِّنْ عَالِيهَا فَأَن﴾ (٢٦) ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢٧) ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (٢٨) ﴿يَسْأَلُهُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ (٢٩) ﴿فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ (٣٠) ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف، ومغرب الشتاء ومغرب الصيف.

﴿مرج البحرين يلتقيان﴾ تفسير قتادة: أفاض أحدهما في الآخر.

قال محمد: معنى مرج: خلط^(١) وهو الذي أراد قتادة.

﴿بينهما برزخ لا يبغيان﴾ بين العذب والمالح حاجز من قدرة الله لا يبغي أحدهما على صاحبه، لا يبغي المالح على العذب فيختلط به، ولا العذب على المالح فيختلط به.

﴿يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ تفسير قتادة قال: اللؤلؤ: الكبار، والمرجان: الصغار.

قال يحيى: ومعنى (يخرج منهما) أي: من أحدهما.

قال محمد: قال: ﴿يخرج منهما﴾ وإنما يخرج من البحر المالح؛ لأنه قد

(١) وقيل غير ذلك ينظر: لسان العرب (مرج).

(٢) قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿يُخْرَجُ﴾ بضم الياء وفتح الراء على الفعل المجهول، وقرأ الباقون

﴿يُخْرَجُ﴾ بفتح الياء وضم الراء، النشر (٢/ ٣٨٠ - ٣٨١) إتحاف الفضلاء (٥٢٦) القرطبي

(١٦٣/١٧).

ذكرهما وجمعهما، فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما^(١)، وهو الذي أراد يحيى. والواحدة: مرجانة^(٢).

﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾ يعني: السفن التي عليها شُرْعها، وهي القُلْع^(٣).

قال محمد: كتبت بلا ياء، ومن وقف عليها وقف بالياء، والاختيار وَضْلُهَا؛ ذكره الزَّجَّاجُ^(٤)، ومعنى المنشآت: التي أُثْشِنَ، والأعلام: الجبال.

﴿كل من عليها﴾ يعني: على الأرض ﴿فإن ويبقى وجه ربك ذو الجلال﴾ يعني: العظمة ﴿والإكرام﴾ لأهل طاعته.

﴿يسأله من في السموات والأرض﴾ يسأله أهل السماء الرحمة، ويسأله أهل الأرض الرحمة والمغفرة والرزق وحوائجهم، ويدعوه المشركون عند

(١) قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمته الله في أضواء البيان (٧/٧٤٨): اعلم أن جماعة من أهل العلم قالوا: إن المراد بقوله في هذه الآية ﴿يخرج منهما﴾ أي: من مجموعها الصادق بالبحر الملح، وأن الآية من إطلاق المجموع وإرادة بعضه، وأن اللؤلؤ والمرجان يخرجان من البحر الملح وحده دون العذب، وهذا القول الذي قالوه في هذه الآية - مع كثرتهم وجلالتهم - لا شك في بطلانه؛ لأن الله صرح بنقيضه في سورة فاطر، ولا شك أن كل ما ناقض القرآن فهو باطل، وذلك في قوله تعالى ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ فالتنوين في قوله ﴿من كل﴾ عوض، أي: من كل واحد من العذب والملح تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها، وهي اللؤلؤ والمرجان، وهذا لا نزاع فيه. اهـ.

(٢) والمرجان أعجمي، قال ابن دريد: لم أسمع فيه نقلاً متصرفاً. ينظر لسان العرب (مرج)، الدر المصون (٦/٢٤١).

(٣) واحدها: قلاع، وهو شراع السفينة. وهو أيضاً القلْع وجمعه قُلُوع، وقِلاع وقِلْعَة. لسان العرب (قلع).

(٤) وعليها قراءة العامة بكسر الراء، لأنه مقوص على وزن مفاعل، والياء محذوفة لفظاً لالتقاء الساكنين. ينظر الدر المصون (٦/٢٤١).

الشدة، ولا يسأله المغفرة إلا المؤمنون ﴿كل يوم هو في شأن﴾ يميت ويحيي ما يولد، ويجيب داعيًا، ويعطي سائلًا، ويشفي مريضًا، ويفك عانيًا، وشأنه كثير لا يُحصى؛ لا إله إلا هو.

قال محمد: قيل المعنى: هو في تنفيذ ما قدر الله أن يكون في ذلك اليوم، وهو مذهب يحيى.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾ (٣٦) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٧) ﴿بِمَعْشَرٍ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمَا اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٣٨) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٣٩) ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصِرَانِ﴾ (٤٠) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤١) ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ (٤٢) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٣) ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْغِلُ عَنْ دُبُوزِهِ إِشْسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ (٤٤) ﴿فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٥) ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّهَ الثَّقَلَانِ﴾ الجن والإنس؛ أي: سنحاسبكم فنعذبكم، وهي كلمة وعيد؛ يعني: المشركين منهم.

قال محمد: لغة أهل الحجاز: فَرَّغَ يَفْرُغُ - بضم الراء - فُرُوغًا، وتميم تقول: فَرَّغَ يَفْرُغُ - بفتح الراء - فَرَاغًا^(١).

﴿يا معشر الجن والإنس﴾ يعني: المشركين منهم ﴿إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض﴾ من نواحيها ﴿فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان﴾ إلا بحجة في تفسير مجاهد.

﴿يرسل عليكم﴾ يعني: الكفار من الجن والإنس ﴿شواظ من نار ونحاس﴾ الشواظ: اللهب الذي لا دُخان فيه، والنحاس: الدخان الذي لا

(١) ولغة أهل الحجاز هي الفصحى. ينظر الدر المصون (٦/٢٤٢)، لسان العرب (فرغ).

لهب فيه؛ هذا تفسير ابن عباس.

قال محمد: من قرأ (نحاس) بالرفع فعلى معنى: وَيُرْسَلُ عَلَيْكُمَا
نحاس^(١).

﴿فَلَا تَتَنَصَّرَان﴾ تمتنعان.

﴿فَإِذَا انشَقَّتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ محمرة ﴿كَالدهان﴾ يعني: كعكر
الزيت؛ في تفسير زيد بن أسلم.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ أي: لا يُطلب علم ذلك من
قَبْلِهِمْ.

﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَبْتِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ (٤١) ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٢)
هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ (٤٤) ﴿فَيَأْتِي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ﴾ (٤٥)

﴿يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ بسواد وجوههم وزرقة أعينهم.

﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ يجمع بين ناصيته وقدميه من خلفه، ثم يلقي
في النار.

﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
حَمِيمٍ آن﴾ يعني: الحار الذي انتهى حره.
قال محمد: أنى يأتي وهو آن^(٢).

(١) قرئ (نحاس) بالرفع والجعر، حيث قرأ بالجر ابن كثير وأبو عمرو، وقرأ الباقر بالرفع.
ينظر: السبعة (٦٢١)، التيسير (٢٠٦) وفي توجيه القراءتين أقوال نحوية. ينظر: البحر (٨/١٩٥)، الدر المصون (٦/٢٤٣).

(٢) أي: مثل قَضَى يَقْضِي فهو قاضٍ. ينظر لسان العرب (أنى).

قال يحيى: بلغنا أن شجرة الزقوم نابتة في الباب السادس من جهنم على صخرة من نار، وتحتها عين من الحميم أسود غليظ، فيسلط على أحدهم الجوع، فينطلق به فيأكل منها حتى يملأ بطنه، فتغلي في بطنه كغلي الحميم، فيطلب الشراب ليبرد به جوفه، فينزل من الشجرة إلى تلك العين التي تخرج من تحت الصخرة من فوقها الزقوم، ومن تحتها الحميم، فتزل قدماء فيقع لظهره وجنبه، فينشوي عليها كما ينشوي الحوت على المقل، فتسحبه الخزان على وجهه، فينحدر إلى تلك العين، فلا ينتهي إليها إلا وقد ذهب لحم وجهه حتى ينتهي إلى تلك العين فيسقيه الخزان في إناء من (...) (١) فإذا (...) (١) (ل ٣٤٩) فيه اشتوى وجهه، وإذا وضعه على شفثيه تقطعت شفثاه وتساقطت أضراسه وأنيابه من حره؛ فإذا استقر في بطنه أخرج ما كان في بطنه من دُبره.

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ۖ﴾ (٤٦) ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ۖ﴾ (٤٧) ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۖ﴾ (٤٨) ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ۖ﴾ (٤٩) ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۖ﴾ (٥٠) ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ۖ﴾ (٥١) ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رَوْبَانِ ۖ﴾ (٥٢) ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ۖ﴾ (٥٣) ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَفَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۖ﴾ (٥٤) ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ۖ﴾ (٥٥) ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْغُرَفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ۖ﴾ (٥٦) ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ۖ﴾ (٥٧) ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۖ﴾ (٥٨) ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ۖ﴾ (٥٩) ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ۖ﴾ (٦٠) ﴿فِي أَيِّ آيَةٍ رَّبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ۖ﴾ (٦١)

﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ يعني: الذي يقوم بين يدي ربه للحساب في تفسير

الحسن ﴿جنتان﴾ قال الحسن: هي أربع جنات: جنتان للسابقين وهم أصحاب الأنبياء، وجنتان للتابعين^(١).

﴿ذواتا أفنان﴾ أغصان؛ يعني: ظلال الشجر؛ في تفسير الحسن.
قال محمد: واحدها فنن^(٢).

﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ أي: نوعان.

﴿متكئين على فرش بطائنها من إستبرق﴾ تفسير الحسن: بطائنها؛ يعني: ما يلي جلودهم، والإستبرق: الصفيق من الديباج^(٣).

﴿وجنى الجنتين﴾ يعني: ثمارها ﴿دان﴾ قريب يتناولون منها وهم قعود ومضطجعون وكيف شاءوا.

﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ قصر طرْفهنَّ على أزواجهن لا يُرْذنَ غيرهم ﴿لم يطمثن إنس﴾ لم يَمَسَّنَّهنَّ إنسٌ ﴿قبلهم ولا جان﴾ يعني: قبل أزواجهن في الجنة بعد خلق الله إياهنَّ الخلق الثاني؛ يعني: من كان من المؤمنات من نساء الدنيا.

قال محمد: من كلام العرب: ما طمَّثَ هذا البعيرَ جبلٌ قط^(٤).

﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ يريد: صفاء الياقوت في بياض المرجان.

(١) وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿جنتان﴾: يريد بالثنية المفرد، يعني جنة. ينظر معاني القرآن (١١٨/٣)، كشف المشكلات (١٣٠٧/٢).

(٢) وقيل: واحدها (فن)، والمعنى: ذواتا أنواع وأشكال، إلا أن الكثير في (فن) أنه يجمع على (فنون). ينظر: الدر المصون (٢٤٦/٦)، لسان العرب (فن).

(٣) وقيل: إستبرق على وزن إستفعل، وقيل: هو فارسي معرب، وتصغيره: أبيرق. ينظر: الدر المصون (٢٤٧/٦)، لسان العرب (برق) (إستبرق)، المختار من صحاح اللغة (برق).

(٤) أي: ما مثَّه عَقَّال. لسان العرب (طمث).

﴿هل جزاء الإحسان﴾ الإيمان ﴿إلا الإحسان﴾ الجنة.

﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ ﴿٦٧﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٨﴾ مُدْهَمَّتَانِ ﴿٦٩﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٠﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ﴿٧١﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٢﴾ فِيهِمَا نَكِهَةٌ وَخُلٌّ وَرَمَانٌ ﴿٧٣﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٤﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنٌ ﴿٧٥﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٦﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٧﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٨﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنَّهُ قَبْلُهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٩﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٠﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضِرَ وَعَبَقَرِيُّ حَسَانِ ﴿٨١﴾ فَإِنِّي ءَالَاءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٢﴾ نَبْرَكُ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٣﴾ ﴿ومن دونهما﴾ يعني: الجنتين اللتين وصف ما فيهما ﴿جنتان﴾ وهاتان الجنتان [الأخريان] ^(١) لأصحاب اليمين الذين ليسوا من السابقين.

﴿مدهماتان﴾ يعني: حمراوين ناعمتين.

﴿فيهما عينان نضاحتان﴾ أي: فوارتان.

قال محمد: يقال: ادهامت اذهيما ^(٢)، والنضخ الفعل منه نَضَخَ يَنْضَخُ وَيَنْضِخُ، وَنَضَخَ باليد بالحاء غير منقوطة، والنضخ في اللغة أكثر من النضج ^(٣). ﴿فيهن خيرات حسنات﴾ يعني: النساء، الواحدة منهن: خيرة ^(٤).

(١) في الأصل: الأخروان.

(٢) والادهام: السواد وشدة الخضرة جعلاً مدهماتين؛ لشدة رطبهما، ولذلك قالوا: سواد العراق؛ لكثرة شجره وزروعه. ينظر: الدر المصون (٢٤٨/٦)، لسان العرب (دهم).

(٣) ينظر لسان العرب (نضج - نضخ). وقال السمين الحلبي: النضخ فوق النضج بالحاء؛ لأن النضج بالحاء: الرش والرشح، والنضخ بالحاء: فوران الماء. ينظر الدر المصون (٢٤٨/٦).

(٤) قيل: الواحدة: (خيرة) بزة فَعْلَة، وقيل: الواحدة (خيرة) المخففة من (خيرة). الدر المصون (٢٤٩/٦) وينظر لسان العرب (خير).

قال محمدٌ: (خَيْرَاتٌ) أضله في اللغة: خيراتٌ مخفف^(١) كما يقال: هَيْنٌ لَيْنٌ^(٢) المعنى: أنهم حسانُ الخلق.

﴿حَوْزٌ﴾ أي: بيض ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ محبوسات ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ قال ابن عباس: الخيمة: دُرَّةٌ مجوِّفة فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع. ﴿مَتَكْنِينَ عَلَى رُفْرِ خَضِرٍ﴾ قال قتادة: يعني: المحابس^(٣) ﴿وَعَبْقَرِي حَسَانٍ﴾ قال ابن عباس: يعني: الوسائد.

قال يحيى: الواحدة: عبقرية^(٤).

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ تقدَّس اسم ربك ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾ العظمة ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ لأهل طاعته.



(١) أي مخفَّف من: خَيْرَاتٍ.

(٢) وهو مخفَّف من: هَيْنٌ لَيْنٌ.

(٣) وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٢٤٩/٦).

(٤) وقيل: عبقرى جمع عبقرية، بمعنى فتكون اسم جنس. وقيل: هو واحد دال على الجمع، و(عبقرى) منسوب إلى عبقر، تزعم العرب أنها بلد الجن، فكل ما عظموه وتعجبوا منه قالوا: هذا عبقرى. ينظر لسان العرب (عبقر)، الدر المصون (٢٥٠/٦).

تفسير سورة الواقعة وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۚ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۖ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۚ﴾ (١) ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۖ وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۖ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْنًًا ۖ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۖ﴾ (٢) ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۖ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ۖ﴾ (٣) قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ القيامة ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ أي: هي كاذبة. قال محمد: المعنى: ليس لوقعتها وقعة كاذبة.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ خفضت والله أقوامًا إلى النار، ورفعت أقوامًا إلى الجنة ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ زلزلت زلزالًا ﴿وَيُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ فُتَّت فتاة (١) ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْنًًا﴾ قال الحسن: يعني: غبارًا ذا هَبَاءٍ ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَاثَةً﴾ فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ﴿وهم الميامين على أنفسهم﴾ وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة ﴿وهم المشائيم على أنفسهم﴾.

قال محمد: قوله: ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ هذا اللفظ في العربية مجراه مجرى التعجب، كأنه قال: أي شيء هُمْ؟ يقال في الكلام: فلان ما فلان، ومجراه من الله - عز وجل - في مخاطبة العباد مَجْرَى ما يُعْظَمُ به الشأن عندهم، وكذلك هذا في قوله: ﴿ما أصحاب المشئمة﴾ أي: أي شيء

(١) هكذا في الأصل، والمراد: فُتَّت فُتًا أو فُتَاتًا.

هم؟^(١) ويقول: يَمَنَ فلان على القوم وَيَمَن وهو ميمون^(٢)، وشأم القوم وشُئِمَ عليهم فهو مشئوم^(٣).

﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ۖ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ (١٠) ﴿فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ۖ﴾ (١١) ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۚ﴾ (١٢) ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ۚ﴾ (١٣) ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۖ﴾ (١٤) ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ۖ﴾ (١٥) ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخْلَدُونَ ۚ﴾ (١٦) ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقٍ وَكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ۚ﴾ (١٧) ﴿لَا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُزْفُونَ ۚ﴾ (١٨) ﴿وَفَلَاحُهَا وَمِمَّا يَنْتَظِرُونَ ۚ﴾ (١٩) ﴿وَلَا يَحْزَنُونَ ۚ﴾ (٢٠) ﴿وَلَا يَسْتَوُونَ فِيهَا لَفًا وَلَا تَأْنِيًا ۚ﴾ (٢١) ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوفِ الْمَكْنُونِ ۚ﴾ (٢٢) ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۚ﴾ (٢٣) ﴿لَا يَسْعَوْنَ فِيهَا لَفًا وَلَا تَأْنِيًا ۚ﴾ (٢٤) ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ۚ﴾ (٢٥)

﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾ تفسير الحسن: السابقون أصحاب النبي ﷺ وأصحاب الأنبياء ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ والثلاثة: الطائفة ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ يعني: أن سابقي جميع الأمم أكثر من سابقي أمة محمد ﷺ على سرر موضونة ﴿ل(٣٥٠) مزمولة، ورملها نسجها بالياقوت واللؤلؤ﴾ متكتئين عليها متقابلين ﴿لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض﴾.

قال يحيى: بلغني أن ذلك إذا تراوروا ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ لا يموتون ولا يشيرون على منازل الوصفاء، خلدوا على تلك الحال لا يتحولون عنها ﴿لا يصدعون عنها﴾ لا يصيبهم عليها صداع ﴿ولا يُزفون﴾ لا تذهب

(١) ينظر البحر (٢٠٤/٨)، الدر المصون (٢٥٣/٦).

(٢) يقال: يَمَنَ فلان على القوم يَمَنَ يَمَنًا فهو ميمون.

يقال: يَمَنَ فلان على القوم يَمَنَ يَمَنًا وميمنة فهو يَمَنَ يَمِينًا ويَمِينًا ويَمِينًا.

ويقال: يَمَنَ فلان على القوم فهو ميمون. والجمع: ميامين. ينظر لسان العرب (يمن).

(٣) أي: جرّ عليهم الشؤم، والجمع: مشائيم. لسان العرب (شأم).

عقولهم أي: لا يسكرون ﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ إذا اشتهوا الشغب من الشجرة انقض إيلهم فأكلوا منه أي الثمار شاءوا؛ إن شاءوا قيامًا، وإن شاءوا مُستلقين. ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ قال سعيد بن راشد: بلغني أن الطير تُصَفُّ بين يدي الرجل؛ فإذا اشتهى أحدها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجًا ﴿وحوور عين﴾ أي: بيض، عين أي: عظام العيون، الواحدة منهن عَيْنَاء.

وقال محمد: ﴿وحوور عين﴾ مَرْفُوعٌ بمعنى: ولهم حور عين ^(١).

﴿كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ يعني: صفاء ألوانهن، والمكنون الذي في أصدافه ﴿جزاء بما كانوا يعملون﴾.

قال محمد: ﴿جزاء﴾ مصدر، المعنى: يجازون بأعمالهم جزاء ^(٢).

﴿لا يسمعون فيها لغوًا﴾ أي: باطلاً ﴿ولا نائمًا﴾ لا يؤثم بعضهم بعضًا ﴿إلا قليلًا سلامًا سلامًا﴾ تفسير بعضهم: إلا خيرًا خيرًا.

قال محمد: المعنى على هذا التفسير: لا يسمعون فيها إلا قليلًا يُسَلِّمُ فيه من اللغو والإثم.

﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَنَكْهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْقُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنشَاءً (٣٥) جَعَلْنَاهُمْ أَتْكَارًا (٣٦) عُرْبًا أَتْرَابًا (٣٧) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ

(١) وعليها قراءة السبعة إلا حمزة والكسائي، فقد قرأ بالجر، وقرئ شاذًا بالنصب. ينظر: السبعة (٦٢٢)، التيسير (٢٠٧)، شواذ ابن خالويه (١٥١)، المحتسب (٣٠٩/٢). وينظر التوجيه النحوي في البحر (٢٠٦/٨)، الدر المصون (٢٥٧/٦).

(٢) أي بالنصب على المفعول من أجله أو المفعول المطلق، أجاز القولين الزجاج والنحاس وغيرهما. ينظر: إعراب القرآن (٣٢٧/٣)، البيان (٤١٥/٢)، التبيان (١٢٠٤).

﴿٢٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٣٠﴾

﴿وأصحابُ اليمين ما أصحاب اليمين﴾ يعني: أهل الجنة من غير السابقين، وأهل الجنة كلهم أصحاب اليمين ﴿في سدرٍ مخضودٍ﴾ المخضود: الذي لا شوك له ﴿وطلح منضود﴾ أي: بعضه على بعض يعني بالطلح: الشجر الذي بطريق مكة. قال مجاهد: كانوا يعجبون من وج (١) وظلاله من طَلَحٍ وسِدْرٍ، فخطبوا ووُعِدوا بما يحبون مثله.

قوله: ﴿وظلٌّ ممدود﴾ أي: متصل دائم أبداً ﴿وماءٍ مسكوب﴾ ينسكب بعضه على بعض، وليس بالمطر ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال أبو أمامة: ارتفاعها من الأرض قدر مائة سنة ﴿إنا أنشأنهن إنشاءً﴾ خَلَقْنَاهُنَّ؛ يعني: نساء أهل الجنة ﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ عَذَارَى ﴿عُرْبًا﴾ يعني: متحبيات إلى أزواجهن ﴿أتراباً﴾ أي: على سنٍّ واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة.

قال محمد: ﴿عُرْبًا﴾ جمع عَرُوبٍ، وأصل الكلمة: الْمُعَارَبَةُ؛ وهي المداعبة (٢) وقال: ﴿إنا أنشأنهن إنشاءً﴾ ولم يذكر النساء قبل ذلك؛ لأنَّ الفرش محل النساء، فاكتفى بذكر الْفُرَشِ، المعنى: أنشأن الصبية والعجوز إنشاءً جديداً (٣).

قوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ الثَّلَاثَةُ: الطائفة.

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَوْمٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ

(١) وج: الطائف. معجم البلدان (٤١٦/٥).

(٢) والعَرُوبُ: هي المتحبة إلى زوجها. لسان العرب (عرب).

(٣) أجاز ذلك القرطبي (٢١٠/١٧). وقيل: يعود الضمير إلى قوله: ﴿وفرش مرفوعة﴾ لا إلى

قوله: ﴿وَحُورٍ عِينٍ﴾. وقيل غير ذلك. ينظر: كشف المشكلات (١٣١٦/٢)، الدر

المصون (٢٥٩/٦).

وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتَ الْأَوَّلُونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كَلِمَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زُفُورٍ ﴿٥٢﴾ فَالْتَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرَبَ الْحَمِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾

﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾ وهم أهل النار.

يحيى: عن فطر، عن عبدالرحمن بن سابط، عن أبي بكر الصديق قال: «خلق الله الخلق فكانوا قبضته، فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام. وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي. فذهبت إلى يوم القيامة»^(١).

قال يحيى: وبلغني أنه قوله: ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾ ﴿وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال﴾.

(١) رواه عبد الرزاق في المصنف (١٢٣/١١) رقم (٢٠٠٩٤) ومن طريقه ابن بطة في الإبانة كتاب القدر (١٢٥/٢) رقم (١٥٥٥) عن الثوري عن فطر بن خليفة به. ورواه الدارمي في الرد على المريسي (٢٦٨-٢٦٩) من طريق الثوري به. ورواه ابن بطة في الإبانة (١٢٥-١٢٦) رقم (١٥٥٦) من طريق يحيى بن سعيد القطان عن فطر.

ورواه اللالكائي في أصول الاعتقاد (٦٦٢-٦٦٣) رقم (١٢٠٣، ١٢٠٤) من طريق مروان الفزاري وأبي إسحاق عن فطر به.

ورواه الفريابي في القدر (٤٢) رقم (٢١) وعنه الآجري في الشريعة (٣٩٤/١) رقم (٤٥٣) وابن بطة في الإبانة (١٢٦/٢) رقم (١٥٥٧) من طريق عمرو بن دينار، عن أخيه عن عبدالله بن شداد، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

قوله: ﴿فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ﴾ في نار وحميم؛ يعني: الشراب الشديد الحرّ
 ﴿وِظْلٍ مَنْ يَحْمُومٍ﴾ اليعموم: الدخان الشديد السواد ﴿لَا بَارِدٍ﴾ في الظل
 ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ في المنزل، والكريم: الحسن ﴿إِنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾
 والمترفون أهل السعة والنعمة في الدنيا ﴿وَكَانُوا يَصْرُونَ﴾ يقيمون ﴿عَلَى
 الْحَنْثِ﴾ يعني: الذنب ﴿العظيم﴾ وهو الشرك ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا
 وَكُنَّا...﴾ الآية^(١) لا نبعث نحن ولا آباؤنا ﴿فَشَارَبُونَ شَرْبَ الْهِيمِ﴾ يعني:
 الإبل العطاش؛ في تفسير الكلبي.

قال محمد: بغير أهيم وناقة هيماء^(٢).

﴿هَذَا نَزَلَهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الحساب.

قال محمد: نزلهم أي: رزقهم وطعامهم.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَكُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ﴾ ٥٧ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ٥٨ ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾
 ٥٩ ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ٦٠ ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا
 تَعْلَمُونَ﴾ ٦١ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ٦٢

﴿نحن خلقناكم﴾ يقوله للمشركين ﴿فلولا﴾ فهلا ﴿تصدقون﴾ بالبعث
 ﴿أفرأيتم ما تمنون﴾ يعني: النطفة ﴿أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون﴾ على
 الاستفهام أي: لستم الذين تخلقونه (ل ٣٥١) ﴿نحن قدرنا بينكم الموت﴾
 لكل عبد وقت لا يعدوه ﴿وما نحن بمسبوقين﴾ بمغلوبين ﴿على أن نبذل
 أمثالكم﴾ آدميين خيراً منكم يقوله للمشركين ﴿وننشئكم﴾ نخلقكم ﴿فيما لا

(١) بعدها في الأصل علامة إلحاق، ولم يظهر بالحاشية شيء، والله أعلم.

(٢) ينظر: لسان العرب (هيم)، وفي واحد (الهيم) أقوال كثيرة، ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٦١-٢٦٢).

تعلمون ﴿ قال مجاهد: يعني في أي خلق شئنا ﴾ ﴿ ولقد علمتم النشأة الأولى ﴾ خلق آدم وذريته بعده ﴿ فلولا ﴾ فهلا ﴿ تذكرون ﴾ فتؤمنوا بالبعث .

﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ ٦٣ ﴿ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴾ ٦٤ ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلِمْتُمْ تَفْكِهِمْ ﴾ ٦٥ ﴿ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴾ ٦٦ ﴿ بَلْ نَحْنُ مُحْرِمُونَ ﴾ ٦٧ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴾ ٦٨ ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴾ ٦٩ ﴿ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ ٧٠ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ ٧١ ﴿ أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴾ ٧٢ ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَفِتْنَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٧٣ ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ ٧٤

﴿ أفأريتُم ما تحرثون ﴾ أنتم تزرعونہ ﴿ أي: تثبتونه بقوله لهم على الاستفهام ﴾ ﴿ أم نحن الزارعون ﴾ أي: لستم الذين تزرعونہ، ولكن نحن الزارعون المنتبون ﴿ لو نشاء لجعلناه ﴾ يعني: الزرع ﴿ حطامًا فظلمتم تفكهون ﴾ تفسير بعضهم: تعجبون، المعنى: يعجبون لهلاكه بعد خضرته (١) ﴿ إنا لمعرمون ﴾ أي: مهلكون ﴿ بل نحن محرومون ﴾ حرماننا الزرع .
﴿ أنتم أنزلتموه من المزن ﴾ من السحاب .

قال محمد: واحدا من مزنه (٢) .

﴿ لو نشاء جعلناه أجاجًا ﴾ مَرًّا ﴿ فلولا تشكرون ﴾ هَلَّا تَؤْمِنُونَ؛ يقوله للمشركين ﴿ أفأريتُم النار التي تورون ﴾ أي: تستخرجون من الزنود (٣) ﴿ أنتم أنشأتم شجرتها ﴾ التي تخرج منها ﴿ أم نحن المنشئون ﴾ .

(١) وقيل غير ذلك . ينظر الدر المصون (٦/٢٦٤) .

(٢) والمُزْنُ: اسم جنس . ينظر لسان العرب (مزن) .

(٣) أي: مأخوذ من أوريت الزند، أي: قدحته فاستخرجت ناره . الدر المصون (٦/٢٦٥) .

قال محمد: تقول: أُوْرِيْتُ النار إِيْرَاءَ، ولغة أخرى: وَرِيْتُهَا وَرِيًّا^(١) إذا قَدْحَتْهَا، وَوَرِثَ هي إذا ظهرت، ومن كلامهم: وَرِثَ بك زنادي^(٢).
«نحن جعلناها تذكرة» للنار الكبرى «ومتاعاً للمقيمين» للمسافرين ينتفعون بها؛ في تفسير الحسن.

قال محمد: المقيوي: الذي ينزل بالقواء، وهي الأرض القفر^(٣).
«فسبح باسم ربك العظيم» يقوله لنبيه، فنزه الله مما يقولون.
قال يحيى: وبلغني أنها لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم». ولما نزلت: «سبح اسم ربك الأعلى» قال: اجعلوها في سجودكم^(٤).

﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْجِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَفَسُّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ لَقَرَّاءٌ

(١) وَوَرِيًّا وَرِيَّةً. لسان العرب (ورى).

(٢) لسان العرب (ورى).

(٣) يقال: أقوى الرجل إذا دخل في الأرض القواء وهي القفر، وأقوت الدار: خلت من أهلها لأنها تصير قفراً. لسان العرب (قوى).

(٤) رواه الإمام أحمد (١٥٥/٤)، والطيالسي (١٣٥ رقم ١٠٠٠)، وأبو داود (٦/٢ رقم ٨٦٥)، وابن ماجه (٢٨٧/١ رقم ٨٨٧)، والدارمي (٣٤١/١ رقم ١٣٠٥)، وابن خزيمة (٣٣/١) رقم ٦٠٠، ٦٠١، ٣٣٤/١ رقم ٦٧٠)، وابن حبان (٢٢٥/٥ رقم ١٨٩٨)، والحاكم (١/٢٢٥، ٤٧٧/٢)، وابن عبد البر في التمهيد (١١٩/١٦)، والبيهقي في السنن (٨٦/٢) من طريق إياس بن عامر عن عتبة بن عامر رضي الله عنه.

وقال ابن حبان بإثره: إياس بن عامر من ثقات المصريين.

وقال الحاكم: هذا حديث حجازي صحيح الإسناد، وقد اتفقا على الاحتجاج برواته غير إياس بن عامر، وهو عم موسى بن أيوب القاضي، ومستقيم الإسناد، ولم يخرجاه بهذه السياقة.

فتعقبه الذهبي بقوله: إياس ليس بالمعروف.

كِرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُذْهَبُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾

قوله: ﴿فلا أقسم﴾ أي: أقسم، و(لا) زائدة^(١) ﴿بمواقع النجوم﴾ نجوم القرآن إذ نزل جبريل على النبي ﴿إنه لقرآن كريم﴾ على الله ﴿في كتاب مكنون﴾ عند الله ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ من الذنوب؛ يعني: الملائكة ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ نزل به جبريل، وفيها تقديم يقول: تنزيل من رب العالمين في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون. ﴿أفبهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أنتم مذهبون﴾ أي: تاركون له، يقوله للمشركين.

قال محمد: يقال: أدهن في أمره وداهن؛ وهو الكذاب المنافق^(٢).
﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ أي: تجعلون مكان الرزق التكذيب.
قال محمد: جاء عن ابن عباس «أنه كان يقرأ: وتجعلون شكركم أنكم تكذبون»^(٣). وقيل: إن لغة أزد شنوءة ما رزق فلان أي: ما شكر فلان^(٤).
﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٢﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نُّنْظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدُّوْنَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينٍ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾

(١) أي: زائدة للتوكيد مثلها في قوله تعالى: ﴿لئلا يعلم﴾ (الحديد ٢٩) والتقدير: فأقسم وليعلم.
وقيل غير ذلك. ينظر: البحر (٨/ ٢١٤)، مجمع البيان (٥/ ٢٢٦)، الدر المصون (٦/ ٢٦٦).
(٢) لأنه يظهر خلاف ما يضمّر، مأخوذ من المداهنة. لسان العرب (دهن).
(٣) وهي أيضًا قراءة علي بن أبي طالب (وتجعلون شكركم) مكان (رزقكم) ينظر: الدر المصون (٦/ ٢٦٩).
(٤) لسان العرب (رزق)، الدر المصون (٦/ ٢٦٩).

(٤) لسان العرب (رزق)، الدر المصون (٦/ ٢٦٩).

فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزِّلْ مِنْ جَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةً جَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَمَوْحٌ يَقِينٌ ﴿٩٥﴾ فَسَيَحْ بِأَنِّمَ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ﴿فلولا﴾ ﴿فهلأ﴾ إذا بلغت ﴿النفس التي زعمتم أن الله لا يبعثها﴾ ﴿الحلقوم﴾ ﴿فلولا﴾ ﴿هلأ﴾ إن كنتم غير مدنين ﴿غير محاسبين﴾ ﴿ترجعونها﴾ إن كنتم صادقين ﴿بأنكم لا تبعثون﴾ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان ﴿تقرأ: (رُوح) بفتح الراء وضمها، فمن قرأها بالفتح فمعناها: الراحة، ومن قرأها بالرفع فمعناها: الحياة الطويلة في الجنة﴾^(١). والريحان: الرزق. قوله: ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك﴾ أي: خير لك ﴿من أصحاب اليمين﴾ وهؤلاء أصحاب اليمين من غير المقربين. ﴿وأما إن كان من المكذبين الضالين...﴾ الآية.

يحيى: عن صاحب له، عن محمد بن عمرو، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الميت تحضره الملائكة؛ فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان. فيقال لها ذلك حتى تخرج، فيصعد بها إلى السماء فيستفتح لها؛ فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقال: مرحباً بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فيقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله - تبارك وتعالى - وإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة وأبشري بحميم

(١) العامة على فتح الراء من (روح)، وقرأ ابن عباس وعائشة والحسن وقتادة ﴿بضمها﴾. ينظر الدر المصون (٦/ ٢٧٠).

وغسَّاق، وآخر من شكله أزواج، فيقولون ذلك له حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال: من هذا؟ فيقولون: فلان. فيقال: لا مرحبًا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لن يفتح لك! فترمي من السماء إلى الأرض، ثم تصير في القبر»^(١).

يحيى: عن حماد، عن عطاء بن يسار، عن عبدالرحمن (ل) (٣٥٢) بن أبي (...)(٢) عن (...)(٢) يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «من أحب لقاء الله

(١) رواه الإمام أحمد (٢/٣٦٤-٣٦٥، ٦/١٤٠) والنسائي في الكبرى (٦/٤٤٣-٤٤٤) رقم ١١٤٤٢ وابن ماجه (٢/١٤٢٣-١٤٢٤) رقم ٤٢٦٢، ٢/١٤٢٦ رقم ٤٢٦٨ وابن خزيمة في التوحيد (١/٢٧٦-٢٧٧) رقم ١٧٦ والطبري في تفسيره (٨/١٧٧)، والآجري في الشريعة (٢/٢١٩) رقم ٩٧٩ وابن منده في التوحيد (٣/٢٧٧-٢٢٨) رقم ٨٤٩ وفي الإيمان (٢/٩٦٨) رقم ١٠٦٨ والبيهقي في إثبات عذاب القبر (٥/٤٥) رقم ٣٥ وابن قدامة في العلو (٥٧-٥٨) رقم ٢٤ والذهبي في الأربعين في صفات رب العالمين (٨٦-٨٧) رقم ٢٢ من طريق محمد بن عبدالرحمن بن أبي ذئب عن محمد بن عمرو به.

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: هذا حديث متفق على عدالة ناقله، اتفق الإمامان محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج على ابن أبي ذئب ومحمد بن عمرو بن عطاء وسعيد ابن يسار، فهم من شرطهما، ورواه المتقدمون الكبار عن ابن أبي ذئب مثل ابن أبي فديك وعنه دحيم بن إبراهيم. انتهى، نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح حديث النزول (ص ٢٧٦-٢٧٧) وابن القيم في الروح (٤٩).

وقال المنذري في الترغيب (٤/٣٧٠): وهو عند ابن ماجه بإسناد صحيح.

وقال القرطبي في التذكرة (ص ٥٨): وهذا إسناد صحيح ثابت.

وقال الذهبي في الأربعين: هذا حديث صحيح على شرط خ م، ولم يخرجاه. ونحوه في العلو (٢/٣٦).

وقال ابن القيم في الروح (ص ١٨٤): وهو حديث صحيح.

وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٤١٨): وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة.

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٣/٣١١) رقم ١٥٢٥: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات.

وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٢/٤٤٠) رقم ١٨٥١: رواه ابن أبي شيبة بسند صحيح.

(٢) طمس في الأصل، ولم أستطع ضبط هذا الإسناد، والله أعلم.

أحبُّ الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»^(١).

قوله: ﴿إِنْ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة ليقينٌ حقٌّ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي: نزه الله من السوء.

* * *

(١) رواه البخاري (١١/٣٦٤-٣٦٥) رقم ٦٥٠٧ ومسلم (٤/٢٠٦٥) رقم ٢٦٨٣ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

ورواه البخاري (١١/٣٦٥) رقم ٦٥٠٨ ومسلم (٤/٢٠٦٧) رقم ٢٦٨٦ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

ورواه مسلم (٤/٢٠٦٥-٢٠٦٦) رقم ٢٥٨٤، ٢٥٨٥ عن عائشة وأبي هريرة رضي الله عنهما.
وروى الإمام أحمد (٤/٢٥٩ - ٢٦٠) وابن أبي عمر - كما في المطالب (٣/٢٨٢) رقم ٣٢٢٨ - من طريق عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن رجل من الصحابة رضي الله عنه.

وفي الباب عن غير واحد من الصحابة رضي الله عنهم.

تفسير سورة الحديد وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) لَمْ تَلِكْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بِحِيٍّ وَرَيْبٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَمْ تَلِكْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَالْأَرْضُ وَاللَّهُ تَرْجِعُ الْأُمُورَ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾

قوله: ﴿سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز﴾ في نغمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿هو الأول﴾ يعني: قبل كل شيء ﴿والآخر﴾ بعد كل شيء ﴿والظاهر﴾ يعني: العالم بما ظهر ﴿والباطن﴾ يعني: العالم بما بطن. ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾ اليوم منها ألف سنة ﴿ثم استوى على العرش﴾ تفسير ابن عباس قال: إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض لموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ ما يدخل فيها من المطر ﴿وما يخرج منها﴾ من النبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من وحي وغيره ﴿وما يعرج فيها﴾ يصعد إليها من الملائكة وأعمال العباد. ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ وهو أخذ كل واحد منهما من صاحبه ﴿وهو عليم بذات الصدور﴾ بما في الصدور.

﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْنَئُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِن بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾ بعد الأمم التي أهلك ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم﴾ في صلب آدم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ بالله والرسول؛ فأنتم مؤمنون بذلك الميثاق ﴿هو الذي ينزل على عبده آيات بينات﴾ يعني: القرآن ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ من الضلالة إلى الهدى، يعني: من أراد أن يهديه.

﴿وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله﴾ رجع إلى الكلام الأول ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾.

﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ يبقى ويهلك كل شيء ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ فيها تقديم: لا يستوي من أنفق منكم من قبل الفتح وقاتل، وهو فتح مكة^(١).

﴿أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا وكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ

(١) ولم يقل: (ومن أنفق من بعد الفتح)، وحذف، لأن قوله: ﴿من الذين أنفقوا من بعد﴾ يدل عليه. وكذلك أيضًا لوضوح الدلالة. ينظر: كشف المشكلات (٢/ ١٣٢١)، الدر المصون (٢٧٣/٦).

الحسنی ﴿يعني: الجنة؛ من أنفق وقاتل قبل فتح مكة وبعده.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكُمْ الْيَوْمَ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالْمُتَّقَاتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْظَرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَمْ يَأْبَاطُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهَرُوا مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّبْتُمْ الْأَمَانِي حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَعَزَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ قَالِيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَا أَوْفَكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَانَكُمْ وَيَسَّ الْمَصِيدُ ﴿١٥﴾﴾

﴿من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا﴾ أي: مُحتسبًا هذا في النفقة في سبيل الله، وفي صدقة التطوع ﴿فيضاعفه له وله أجر كريم﴾ الجنة.

قال محمد: من قرأ (فيضاعفه له) بالرفع فعلى الاستئناف، أي: فهو يضاعفه له، ومن قرأ بالنصب فعلى جواب الاستفهام بالفاء^(١).

﴿يسعى نورهم بين أيديهم﴾ يقودهم إلى الجنة ﴿وبأيمانهم﴾ كتبهم، وهي بُشراهم بالجنة.

﴿انظرونا﴾ انتظرونا ﴿نقتبس من نوركم﴾ وذلك أنه يعطي كل مؤمن ومناق نورًا على الصراط، فيطفأ نور المنافقين ويبقى نور المؤمنين، فيقول المنافقون للمؤمنين: ﴿انظرونا﴾ انتظرونا نقتبس من نوركم، ويحسبون أنه قبس كقبس الدنيا إذا طفت نار أحدهم اقتبس، فقال لهم المؤمنون وقد عرفوا

(١) قرأ عاصم وابن عامر بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع. ينظر: السبعة (١٨٤-١٨٥)، التيسير (٨١)، النشر (٢/٢٢٨)، الدر المصون (١/٥٩٥)، (٦/٢٧٤-٢٧٥).

أنهم منافقون: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورًا؛ فرجعوا وراءهم فلم يجدوا شيئًا، فهناك أدركتهم خدعة الله.

﴿فضرب بينهم بسور له باب﴾ تفسير مجاهد: السور: الأعراف ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ الجنة ﴿وظاهره من قبله العذاب﴾ النار.

قال يحيى: والأعراف جبلٌ أُحْدٍ فيما بلغني يُمثَلُ يوم القيامة بين الجنة والنار.

﴿ينادونهم﴾ ينادي المنافقون المؤمنين حين ضرب بينهم بسور ﴿ألم نكن معكم﴾ في الدنيا على دينكم ﴿قالوا بلى﴾ أي: فيما أظهرتم ﴿ولكنكم فتتم أنفسكم﴾ يعني: أكفرتم أنفسكم فتربصتم بالنبي وقتلتم: هلك فرجع إلى ديننا ﴿وارتبتم﴾ شككتم ﴿وغرتكم الأمانى﴾ أي ما كنتم تتمنون من قولكم: يهلك محمدٌ وأصحابه، فرجع إلى ديننا ﴿حتى جاء أمر الله﴾ قال بعضهم: يعني الموت ﴿وغركم بالله الغرور﴾ الشيطان أخبركم بالوسوسة إليكم أنكم لا ترجعون إلى الله ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ وذلك أنهم (...) (١) الإيمان يوم القيامة فلا يقبل منهم (...) (١) الذين كفروا (...) (١) يعني (...) (١) (٣٥٣) الذين جحدوا في الدنيا في العلانية، وأما المنافقون فجحدوا في السر وأظهروا الإيمان، فأمنوا كلهم في الآخرة فلم يقبل منهم ﴿مأواكم النار﴾ يعني الكفار والمنافقين ﴿هي مولاكم﴾ أي كنتم تتولونها في الدنيا، فتعملون عمل أهلها.

قال محمدٌ: وقيل: (هي مولاكم) هي أولى بكم لما أسلفتم، وهو الذي أراد يحيى أيضًا.

(١) لم يظهر في مصورتنا لعب في التصوير.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾
 اللَّهُ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصْذِقِينَ
 وَالْمُصْذِقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾

﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾ الخشوع الخوف ﴿وما
 نزل من الحق﴾ يعني: القرآن. قال محمد: يقول: أنى الشيء يأنى إذا حان^(١)
 ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ يعني: اليهود ﴿فطال عليهم
 الأمد﴾ بقاؤهم في الدنيا ﴿فقست قلوبهم﴾ غلظت ﴿وكثير منهم فاسقون﴾
 يعني: من ثبت منهم على الشرك، تفسير بعضهم نزلت في المنافقين، أمرهم
 أن يخلصوا الإيمان؛ كما أخلص المؤمنون وقوله: ﴿للذين آمنوا﴾ يعني:
 أقروا بالاستتهم ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾ يعني: المتصدقين والمتصدقات
 ﴿وأقرضوا الله قرضًا حسنًا﴾ يعني: يقدمون لأنفسهم، وهذا في التطوع.
 ﴿يضاعف لهم ولهم أجر﴾ ثواب ﴿كريم﴾ الجنة. ﴿أولئك هم الصديقون﴾
 صدقوا بما جاء من عند الله ﴿والشهداء عند ربهم﴾ تفسير مجاهد: يشهدون
 على أنفسهم بالإيمان بالله.

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال

(١) لسان العرب (أنى).

وَالْأَوَّلِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَرَّتْهُ مَصْفَرًا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطَمًا وَفِي
 الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيْدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْغُرُوْرِ ﴿٢٠﴾
 سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا
 بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيْمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ
 مُّصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلَا فِى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى
 اللَّهِ يَسِيْرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ
 مُخْتَالٍ فَخُوْرٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُوْنَ وَيَأْمُرُوْنَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
 الْحَمِيْدُ ﴿٢٤﴾

﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ أي: إنما أهل الدنيا أهل لعب ولهو، يعني: المشركين ﴿كمثل غيثٍ﴾ مطر ﴿أعجب الكفار نبأه﴾ يعني: ما أنبت الأرض من ذلك المطر ﴿ثم يهيج﴾ ذلك النبات ﴿فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً﴾ كقوله: ﴿هشيمًا تذرؤه الرياح﴾^(١).

قال محمد: لم يفسر يحيى معنى (الكفار)، ورأيت في كتاب غيره أنهم الزراع. يقال للزارع: كافر؛ لأنه إذا ألقى البذر في الأرض كفره أي غطاه^(٢)، وقيل: قد يحتمل أن يكون أراد الكفار بالله، وهم أشد إعجاباً بزيينة الدنيا من المؤمنين، والله أعلم بما أراد.

وقوله: ﴿ثم يهيج فتراه مصفراً﴾ أي: يأخذ في الجفاف فتبتدئ به الصفرة

(١) الكهف: ٤٥.

(٢) لسان العرب: كفر.

﴿ثم يكون حطامًا﴾ أي: متحطماً متكسراً ذاهباً. وقوله: ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ للكافرين ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ للمؤمنين ﴿وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور﴾ يغترُّ بها أهلها ﴿سابقوا﴾ أي: بالأعمال ﴿إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾ يعني: جميع السموات وجميع الأرض مبسوطات، كل واحدة إلى صاحبها، هذا عرضها، ولا يصف أحد طولها ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ يعني: الجدوبة ونقص الثمار ﴿ولا في أنفسكم﴾ يعني: الأمراض والبلايا في الأجساد ﴿إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ نخلقها تفسير بعضهم: من قبل أن يخلق السموات والأرض ﴿إن ذلك على الله يسير﴾ هين.

﴿لكي لا تأسوا﴾ تحزنوا ﴿على ما فاتكم﴾ يعني من الدنيا ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ يعني: من الدنيا.

قال محمد: وقيل معنى (تفرحوا) ها هنا أي: تفرحوا فرحاً شديداً تأشرون فيه وتبطلون، ودليل ذلك ﴿والله لا يحب كل مختال فخور﴾ فدلّ بهذا أنه ذمّ الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر، وأما الفرح بنعمة الله والشكر عليها فغير مذموم، وكذلك ﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم﴾ لا تحزنوا حزناً شديداً لا تعتدون فيه، سواء ما تسلبونه وما فاتكم.

﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ يعني: اليهود يأمرون إخوانهم اليهود بالبخل، بكتمان ما في أيديهم من نعت محمد والإسلام ﴿ومن يتولَّ فإن الله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ المستحمد إلى خلقه، استوجب عليهم أن يحمدوه.

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ

بِالْقَسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ
بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾ أي: وجعلنا
الميزان ﴿بالقسط﴾ أي: بالعدل ﴿وأنزلنا الحديد﴾ أي: وجعلنا (ل٣٥٤)
الحديد، أخرجه الله من الأرض ﴿فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني: ما يصنع منه من
السلاح. ﴿ومنافع للناس﴾ يعني: ما ينتفعون به من الحديد في معاشهم
﴿وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب﴾ والغيب: البعث والحساب والجنة
والنار، وإنما ينصر الله ورسوله من يؤمن بهذا، وهذا علم الفعال ﴿إن الله
قوي عزيز﴾ في نعمته.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ
وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا
كُتِبَ لَهَا عَلَيْهِنَّ إِلَّا ابْتِغَاءُ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٢٧) يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرُسُلِهِ
يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِنْ رَّحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُم نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٨)
إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ
يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (٢٩)

﴿ولقد أرسلنا نوحًا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب﴾ فكان
أول كتاب نزل فيه الحلال والحرام كتاب موسى قال: ﴿فمنهم مهتد﴾ يعني:

من ذريتهما ﴿وكثير منهم﴾ من ذريتهما ﴿فاسقون﴾ مشركون ﴿ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم﴾ بعدهم.

قال محمد: معنى (قفينا): أتبعنا، والمضدر: تفتية^(١).

﴿وآتينا الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة﴾ يرأف بعضهم ببعض، ويرحم بعضهم بعضاً، ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم﴾ لم نكتبها عليهم، إنما ابتدعوها ابتغاء رضوان الله، ليتقربوا بها إلى الله. قال الحسن: ففرضها الله عليهم حين ابتدعوها.

قال محمد: (ورهبانية) بالنصب على معنى: وابتدعوا رهبانية^(٢).

قال ﴿فما رعوها﴾ يعني: الرهبانية ﴿حق رعايتها﴾ ولا ما فرضنا عليهم، أي: ما أدوا ذلك إلى الله.

قوله: ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ يعني: أخجرين ﴿ويجعل لكم نوراً تمشون به﴾ يعني: إيماناً تهتدون به ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ هذه كلمة عربية يقول: لئلا يعلم وليعلم بمعنى واحد^(٣) ﴿ألا يقدرون على شيء﴾ أي: أنهم لا يقدرون على شيء ﴿من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾



(١) لسان العرب (قفو).

(٢) وفيها أوجه نحوية أخرى ينظر: البحر المحيط (٢٢٨/٨)، الدر المنصون (٢٨١/٦).

(٣) وفي ذلك تفصيل نحوي واسع ينظر: إعراب القرآن (٣٦٩/٣)، البحر (٢٢٩/٨)، مجمع البيان (٢٤٢/٥)، الدر المنصون (٢٨٣/٦).

تفسير سورة المجادلة
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُنَّهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾

قوله: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها...﴾ الآية قال: كان طلاق أهل الجاهلية ظهارًا، يقول الرجل لامراته: أنت علي كظهر أمي، وكانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن صامت فظاهر منها؛ فأتى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إنه حين كبرت سني ظاهر مني، قال الكلبي: وقالت: فهل من شيء يجمعني وإياه يا رسول الله؟ فقال لها: ما أمرتُ فيك بشيء، ارجعي إلى بيتك فإن يأتيني شيء أعلمتك به. فلما خرجت من عنده رفعت يديها نحو السماء تدعو الله؛ فأنزل الله: ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها...﴾ إلى قوله: ﴿وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً﴾ كذباً، حيث يقول: أنت علي كظهر أمي فيحرم ما أحل الله (١) قال: ﴿وإن الله لعفوٌ عنهم﴾ غفورٌ .

﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ ذَلِكَ نُوعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾

﴿والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا﴾ يعودون إلى ما حرّموا أي: يريدون الوطء ﴿فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا﴾ ذلكم توعظون به ﴿الآية﴾. ﴿فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا﴾ فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله ﴿أحكام الله التي حدّ في الظهار من العتق والصيام والإطعام﴾.

قال محمد: قوله: (ذلك لتؤمنوا) المعنى: ذلك الذي وصفنا لتؤمنوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَثُرُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ مُهِينٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾

﴿إن الذين يحادون الله﴾ أي: يعادون الله ﴿ورسوله كثروا﴾ أخزوا ﴿كما كُتِبَ﴾ أخزي ﴿الذين من قبلهم﴾ وقد أنزلنا آيات بينات ﴿القرآن﴾. ﴿فينبئهم بما عملوا﴾ أحصاه الله ونسوه ﴿أحصى عليهم ما عملوا في الدنيا ونسوه﴾ والله على كل شيء شهيد ﴿شاهد لأعمالهم﴾.

﴿أَلَمْ نَرِ أَنْ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾

ثُمَّ يَنْتَهِم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُوا فَتِلْكَ

الْمَعْبُودُ ﴿٨﴾

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيئاً ويتناجون به، إلا هو رابعهم، أي: عالم به.

﴿ألم تر إلى الذين نُهُوا عن النجوى﴾ هم اليهود نُهُوا أن يتناجوا بمعصية الله ومعصية الرسول، والطعن في دين الله ﴿ثم يعودون لما نُهُوا عنه﴾ كانوا يخلون بعضهم ببعض ﴿يتناجون بالإثم والعدوان﴾ (ل ٣٥٥) الإثم: المعصية، والعدوان: الظلم ﴿وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله﴾ كانوا يسلمون على النبي وأصحابه فيقولون: السَّام عليكم، والسَّام: الموت في قول بعضهم^(١) قال: فكان رسول الله يرد عليهم على حد السَّلم^(٢)؛ فأتاه جبريل فأخبره أنهم ليسوا يقولون ذلك على وجه التحية فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «إذا سلم عليكم^(٣) من أهل الكتاب فقولوا: عليك»^(٤) أي: عليك

(١) لسان العرب (سوم).

(٢) أي: السلام.

(٣) وضع الناس بعدها علامة إلحاق، ولم يظهر بالحاشية شيء.

(٤) روى البخاري (٤٤/١١ رقم ٦٢٥٨) ومسلم (١٧٠٥-١٧٠٦/٤ رقم ٢١٦٣) عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم».

ورواه البخاري (٤٤/١١ رقم ٦٢٥٧) ومسلم (١٧٠٦/٤ رقم ٢١٦٤) عن ابن عمر رضيهما عنده.

ورواه البخاري (١٢٤-١٢٥ رقم ٢٩٣٥) ومسلم (١٧٠٦-١٧٠٧ رقم ٢١٦٥) عن عائشة رضيها نحوه مطولا.

ورواه مسلم (١٧٠٧/٤ رقم ٢١٦٦) عن جابر رضيها نحوه.

ما قلت .

﴿ويقولون في أنفسهم لولا﴾ هلا ﴿يعذبنا الله بما نقول﴾ من السام أي : إن كان نبياً فسيعذبنا الله بما نقول . قال الله : ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَنشِصُ الْمَصِيرَ﴾ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَجُوا بِالْإِثْرِ وَالْعُدُونِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالنَّقْوَى وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُخْشَوْنَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُبَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني : أقرؤا بالأسنة ﴿إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾ كما صنعت اليهود من هذه النجوى التي ذكر .

﴿إنما النجوى من الشيطان . . .﴾ الآية تفسير الكلبي : أن المنافقين كانوا إذا عزا رسول الله ﷺ أو بعث سرية يتغامزون بالرجل إذا رأوه ، وعلموا أن له حميماً في الغزو ، فيتناجون وينظرون إليه ، فيقول الرجل : ما هذا إلا شيء قد بلغهم من حميمي ، فلا يزال من ذلك في غم وحزن ، حتى يقدم حميمه ؛ فأنزل الله هذه الآية ^(١) .

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا﴾ أي : توسعوا ﴿في المجلس﴾ ^(٢) ، تفسير مجاهد : يعني : مجلس النبي ﷺ ﴿وإذا قيل انشروا

(١) وضع بعدها الناسخ علامة إلحاق ، واللقط مطموس بالحاشية .

(٢) قرأ عاصم ﴿المجالس﴾ بألف على الجمع ، وقرأ الباقر بغير ألف على التوحيد . النشر (٢/

٣٨٥) وإتحاف الفضلاء (٥٣٦) وتفسير القرطبي (١٧/٢٩٧) .

فانشزوا ﴿ إلى كل خير من قتال العدو، أو أمرٍ معروفٍ ما كان ومعنى انشزوا: ارتفعوا ﴾ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴿ في الآخرة على الذين آمنوا، أي ^(١): ليسوا بعلماء.

يحيى: عن الخليل بن مرة، عن عمران القصير قال: قال رسول الله ﷺ: «فضلُ العالم على العابد كفضلِي على أذني رجلٍ من أصحابي» ^(٢).

يحيى: عن نعيم بن يحيى، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس قال: «مُعَلِّمُ الخير يستغفر له كلُّ شيء حتى الحوت في البحر» ^(٣).

(١) كذا في الأصل، ولعل الناسخ ضرب عليها.

(٢) لم أقف عليه من هذا الوجه، وهو معضل، عمران القصير هو عمران بن مسلم البصري، يروي عن الحسن البصري وابن سيرين ونحوهما، ترجمته في التهذيب (٣٥١/٢٢).

وروى الترمذي (٤٨/٥ رقم ٢٦٨٥) والطبراني في الكبير (٨/٢٣٣-٢٣٤ رقم ٧٩١١) عن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. كذا في تحفة الأشراف (٤/١٧٧ رقم ٩٠٧) وغيره، وفي نسخة الجامع المطبوعة: حديث غريب. وانظر تخريج الإحياء (١/٣٦-٣٧ رقم ٢٦).

(٣) اختلف فيه على الأعمش:

فرواه قبيصة، عن سفيان، عن الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن (١/٢٧٣ رقم ٣٩٠).

ورواه أبو إسحاق الفزاري - عند الدارمي (١/١١٠-١١١ رقم ٣٤٣) - وأبو معاوية - عند ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/٥٤٠) ومن طريقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/٤٩٨ رقم ٧٩٦) - عن الأعمش، عن شمر بن عطية، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ورواه معمر، عن الأعمش، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه عبد الرزاق في جامع معمر (١١/٤٦٩ رقم ٢١٠٣٠) ومن طريقه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/١٧٢ رقم ١٨١).

ورواه إسماعيل بن عبدالله بن زرارة الرقي، عن أبي إسحاق الفزاري، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً. أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/٢١٤ رقم ٦٢١٩) =

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجِيتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة...﴾ إلى قوله: ﴿والله خير بما تعملون﴾ تفسير قتادة قال: كان الناس أخفوا رسول الله بالمسألة حتى آذوه؛ فقطعهم الله عنه بهذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة﴾ فكان أحدهم لا يستطيع أن يسأل النبي ﷺ حاجة؛ حتى يقدم بين يدي نجواه صدقة فاشتد ذلك عليهم، فأنزل الله هذه الآية فنسختها: ﴿أشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة...﴾ (١) أي: أتموا الصلاة ﴿وآتوا الزكاة﴾ أتموا الزكاة.

= وقال: لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا أبو إسحاق الفزاري.

ورواه البيهقي في المدخل (١/٢٧٣ رقم ٣٩١) من طريق أبي قتيبة، عن شمر بن عطية، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقال البخاري في التاريخ الكبير (٣/٥٠٤): سعيد بن عطية سمع سعيد بن جبير بواسط عن ابن عباس: «معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت» قاله المقري، وقال أبو داود: حدثنا سعيد بن عطية أبو سلمة. اهـ.

ورواه ابن عبد البر في الجامع (١/١٧١ رقم ١٨٠) من طريق أبي حمزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

قلت: وللحديث شواهد مرفوعة، منها حديث أبي أمامة السابق، ومنها حديث أبي الدرداء المشهور حديث: «العلماء ورقة الأنبياء». انظر جامع بيان العلم وفضله (١/١٦٠-١٧١) وتخريج الإحياء (١/٢١-٢٣).

(١) الناسخ والمنسوخ (ص ٩٠) ونواسخ القرآن (٥٢٩-٥٣٣).

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَآ هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٦﴾ لَنْ تَغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَبَ بَآ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم...﴾ الآية هم المنافقون تولوا المشركين ﴿ما هم منكم﴾ يقوله للمؤمنين ما هم منكم في باطن أمرهم، إنما يظهرون لكم الإيمان وليس في قلوبهم ﴿ولا منهم﴾ يعني من المشركين في ظاهر أمرهم؛ لأنهم يظهرون لكم الإيمان، ويسرون معهم الشرك ﴿ويحلفون على الكذب وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون، يحلف المنافقون أنهم مؤمنون وليسوا بمؤمنين ﴿اتخذوا أيمانهم جنة﴾ حلفهم اجتمعوا بها؛ حتى لا يقتلوا ولا تُسبى ذريتهم، ولا تؤخذ أموالهم .

﴿يوم يبعثهم الله جميعاً﴾ يوم القيامة ﴿فيحلفون له﴾ أنهم كانوا في الدنيا مؤمنين ﴿كما يحلفون لكم﴾ في الدنيا فتقبلون منهم ﴿ويحسبون﴾ يحسب المنافقون ﴿أنهم على شيء﴾ أي: أن ذلك يجوز عند الله كما جاز لهم عندكم في الدنيا ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾ يوم يحلفون له ﴿استحوذ﴾ يعني استولى ﴿عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾ أن يذكره بالإخلاص له ﴿أولئك حزب الشيطان﴾ شيعه الشيطان ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ خسروا

أنفسهم، فصاروا في النار، وخسروا الجنة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُونَ﴾ يعادون ﴿اللَّهُ﴾ ورسوله أولئك في الأذلين ﴿(٣٥٦)﴾ يذلهم الله. ﴿كتب الله﴾ أي: قضى الله ﴿لأغلبين أنا ورسلي﴾.

قال محمد: قيل: إن معنى غلبة الرسل على نوعين: فمن بُعث منهم بالحرب فغالب بالحرب، ومن بُعث منهم بغير حرب فهو غالب بالحجة.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣٦) ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ﴾ يحبون ﴿مَنْ حَادَّ﴾ أي: من عادى ﴿اللَّهِ وَرَسُولَهُ﴾ تفسير الحسن: إنهم المنافقون يوادون المشركين ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني: جعل في قلوبهم ﴿الإيمان﴾ يعني: المؤمنين الذين لا يوادون المشركين ﴿وَأَيَّدَهُمْ﴾ أعانهم ﴿بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ بنصرٍ منه على المشركين ﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ أي: رضوا ثوابه ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ جند الله ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ جند الله ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ السعداء وهم أهل الجنة.

تفسير سورة الحشر وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ① هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ② وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْغُلَاءَ لَعَذَبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ النَّارِ ③ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ④ ﴿

قوله: ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز﴾ في نعمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ يعني: الشام، وهي أرض المحشر ﴿ما ظننتم أن يخرجوا﴾ يقول: ما ظننتم أن يحكم الله عليهم بأن يجلوإ إلى الشام ﴿وظنوا﴾ ظن بنو النضير ﴿أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ أي: لم يكونوا يحتسبون أن يخرجوا من ديارهم ومن حصونهم ﴿يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين﴾ تفسير الكلبي: «لما أمر النبي ﷺ بالسَّير إلى بني النضير، فبلغهم ذلك خربوا الأزقة، وحصنوا الدور، فأتاهم رسول الله فقاتلهم إحدى وعشرين ليلة، كلما ظهر على دار من دورهم أو درب من دروبهم هدمه ليتسع المقاتل، وجعلوا ينقبون دورهم من أذبارها إلى الدار التي تليها، ويرمون

أصحاب رسول الله بنقضها، فلما يتسوا من نَصْرِ المنافقين، وذلك أن المنافقين كانوا وعدوهم إن قاتلهم النبي أن ينصروهم فلما يتسوا من نصرهم سألوا نبي الله الصلح، فأبى عليهم إلا أن يخرجوا من المدينة، فصالحهم على أن يجلبهم إلى الشام على أن لهم أن يحمل أهل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاءوا من طعام وسقاء، ولنبي الله وأصحابه ما فضل ففعلوا.

﴿فاعتبروا﴾ فتفكروا ﴿يا أولي الأبصار﴾ يعني: العقول وهم المؤمنون ﴿ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم﴾ لولا أن الله حكم عليهم بالجلاء إلى الشام لعذبهم في الدنيا بالقتل والسني.

قال محمد: يقال جَلَوْا من أرضهم وأجْلَيْتُهُمْ وجَلَوْتُهُمْ أيضًا (١).

﴿ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ عادوا الله ورسوله.

﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِىَ الْفَاسِقِينَ﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَاطِرُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾

﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها..﴾ الآية، قوله: ﴿فبإذن الله﴾ أي: أذن لكم في ذلك، وجعله إليكم أن تقطعوا أو تتركوا فعقر رسول الله يومئذ من صنوف التمر غير العجوة وترك العجوة. قال عكرمة: كل ما كان دون العجوة من النخل فهو لينة (٢).

﴿وما أفاء الله على رسوله منهم...﴾ الآية ظن المسلمون أنه سيقسمه

(١) وأَجْلَوْا من أرضهم، وجَلَيْتُهُمْ واجْتَلَيْتُهُمْ. لسان العرب (جلو).

(٢) وقيل غير ذلك. ينظر لسان العرب (لين)، البحر المحيط (٢٤٤/٨)، الدر المصون (٦/

بينهم جميعًا؛ فقال رسول الله ﷺ للأنصار: إن شئتم أن أقسم لكم وتقرأوا المهاجرين معكم في دوركم فعلتُ، وإن شئتم عزلتُهم وقسمتُ لهم هذه الأرض والنخل فقالوا: يا رسول الله، بل أقرهم في دورنا، واقسم لهم الأرض والنخل. فجعلها النبي للمهاجرين.

قال محمد: الإيجاف هو من الوجيف، والوجيفُ دون التقريب^(١) من السَّير يقال: وَجَفَ الفرسُ وَأَوْجَفْتُهُ^(٢). والركاب: الإبل^(٣)، والمعنى: أنه لا شيء لكم فيه، إنما هو لرسول الله ﷺ خالصًا يعمل فيه ما أحب. وهذا الذي أراد يحيى في معنى الآية.

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَيْكُمُ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَرْسُلُونَ اللَّهَ رِسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿ما أفاء الله على رسوله...﴾ إلى قوله ﴿وابن السبيل﴾ تفسير قتادة: لما نزلت هذه الآية كان الفيء بين هؤلاء، فلما نزلت الآية في الأنفال (ل٣٥٧) ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول﴾^(٤) نسخت الآية الأولى فجعل الخمس لمن كان له الفيء، وصار ما بقي من الغنمة لمن قاتل

(١) التقريب: هو العَدُو دون الإسراع. لسان العرب (قرب).

(٢) لسان العرب (وجف).

(٣) أي: الإبل المركوبة أو الحاملة شيئًا، أو التي يُراد الحمل عليها. لسان العرب (ركب).

(٤) (الأنفال: ٤١).

عليه^(١). قوله: ﴿كَيْلًا يَكُونُ دَوْلَةً﴾ يعني الفيء ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ فلا يكون للفقراء والمساكين فيه حق.

قال محمد: (دولة) من التداول أي: يتداوله الأغنياء بينهم^(٢).
﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ نزلت في الغنيمة، ثم صارت بعد في جميع الدين. قال: ﴿وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ﴾ من الغلول ﴿فَانْتَهَوْا﴾ وهي بعد في جميع الدين.

قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: وللفقراء، رجع إلى أول الآية ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم أخرجهم المشركون من مكة ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ بالعمل الصالح ﴿وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ من قلوبهم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿والذين﴾ أي: وللذين، هو تبع للكلام الأول ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ

(١) الناسخ والمنسوخ (٤٩، ٩٠) ونواسخ القرآن لابن الجوزي (٥٣٤ - ٥٣٧).

(٢) وقال الحذاق من البصريين والكسائي: الدولة بالفتح من الملك بضم الميم، وبالضم - أي (الدولة) من الملك بكسرهما - أي الميم - بالضم في المال، والفتح في النصرة. الدر المصون (٢٩٤/٦)، لسان العرب (دول).

قبلهم ﴿يعني: الأنصار، وقوله: (تبوءوا الدار) يعني: استوطنوا المدينة، وكان إيمان الأنصار قبل أن يهاجر إليهم المهاجرون ﴿يحبون﴾ يعني: الأنصار ﴿من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا﴾ مما أوتي المهاجرون يعني: ما قُسم للمهاجرين من بني النضير ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ .

قال أبو المتوكل الناجي: «إن رجلاً من المسلمين عبر ثلاثة أيام صائماً يمسي فلا يجد ما يُفطرُ عليه، فيصبح صائماً، حتى فطن له رجلٌ من الأنصار يقال له: ثابت بن قيس، فقال لأهله: إني أجيء الليلة بضيف لي فإذا وضعت طعامكم، فليقم بعضكم إلى السراج كأنه يصلحه، فيطبخه، ثم اضربوا بأيديكم إلى الطعام كأنكم تأكلون، ولا تأكلوا حتى يشبع صيفنا. فلما أُمسى وضع أهله طعامهم، فقامت امرأته إلى السراج كأنها تُصلحه؛ فأطفأته ثم جعلوا يضربون بأيديهم إلى الطعام، كأنهم يأكلون ولا يأكلون، حتى شبع ضيفهم، وإنما كانت خبزة هي قوتهم، فلما أصبح ثابت غدا إلى النبي ﷺ فقال النبي: يا ثابت لقد عجب الله منكم بالراحة ومن ضيفكم، وأنزلت فيه: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾»^(١).

قوله: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾ تفسير سعيد بن جبير: يعني: وقى إدخال الحرام، ومنع الزكاة.

يحيى: عن خالد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «من أدى زكاة

(١) رواه مسدد في مسنده - كما في المطالب العالية (١٧٠/٤) رقم ٣٧٥٨ وعزاه السيوطي في الدر (٢١٦/٦) لابن أبي الدنيا في قرى الضيف وابن المنذر في تفسيره أيضاً. وروى البخاري (١٤٩/٧) رقم ٣٧٩٨ ومسلم (١٦٢٤/٣ - ١٦٢٥) رقم ٢٠٥٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه، وسمى الأنصاري أبا طلحة رضي الله عنه.

ماله، فقد أعطى حقَّ الله فيه، ومن زاد فهو خير له»^(١).

قوله: ﴿والذين﴾ أي وللذين، هو تبعٌ للكلام الأول ﴿جاءوا من بعدهم﴾ يعني: بعد أصحاب النبي إلى يوم القيامة، فلم يبق أحدٌ إلا وله في هذا المال حقٌّ أُعطِيَهُ أو مُنِعَهُ ﴿يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان﴾ هم أصحاب النبي ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً﴾ حسداً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُؤْتُوا الْأَذْبَرَةَ لَمْ لَا يَنْصُرُوا ﴿١٢﴾ لَأَنَّهُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُمْلَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ تفسير الحسن: يعني: قريظة والنضير ﴿لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع

(١) رواه أبو داود في المراسيل (ص ١٤١ رقم ١٣٠) والبيهقي في السنن (٨٤/٤) من طريق عذافر البصري عن الحسن مرسلًا.

ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١١٥/٣-١١٦) من طريق عبدالله بن زريق عن الحسن مرسلًا.

ورواه ابن عدي في الكامل (٣١٢/٤) من طريق سلام بن أبي خبزة، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة عن النبي ﷺ.

قال ابن عدي: لا أعلم يرويه عن سعيد غير سلام هذا.

وقال في آخر ترجمة سلام (٣١٦/٤): ولسلام بن أبي خبزة غير ما ذكرت عن ثقات الناس أحاديث، وعامة ما يرويه ليس يتابع عليه.

فيكم أحدًا أبدًا ﴿ يقول المنافقون: لا نطيع فيكم محمدًا وأصحابه ﴾ وإن قوتلتُم لتنصرنكم واللَّه يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولنَّ الأدبار ثم لا ينصرون ﴿ فأجلى رسول الله بني النضير إلى الشام فلم يخرجوا معهم، وقتل قريظة بعد ذلك بحكم سعد بن معاذ، فلم يقاتلوا معهم.

قوله: ﴿لأنتم أشدُّ رهبةً في صدورهم من الله﴾ أي: هم أشدُّ خوفًا منكم منهم من الله يعني: المنافقين.

﴿لا يقاتلونكم﴾ يعني: اليهود ﴿جميعًا إلا في قرى محصنة﴾ أي: لا يقاتلونكم (...) (١) من شدة رعبهم الذي دخلهم منكم ﴿أو من وراء جُدُر﴾ (٣٥٨ل) يعني (...) (١) ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ أي: إذا اجتمعوا قالوا: لنفعلن بمحمد كذا ولنفعلن به كذا. قال الله لنبيه: ﴿تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى﴾ أي: مفرقة في قتالكم.

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٥) ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٦) ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ﴾ (١٧)

﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من قبل قتل قريظة. ﴿قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ يعني: النضير، كان بين إجلاء النضير وقتل قريظة سنتان، والوبال: العقوبة، المعنى: ذاقوا جزاء ذنبهم.

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ...﴾ إلى قوله: ﴿وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ﴾.

قال يحيى: وبلغني أن عابدًا كان في بني إسرائيل قد خرج من الدنيا، واتخذ ديرًا يتعبد فيه، فطلبه الشيطان أن يزيله فلم يستطع عليه، فلما رأى ذلك الشيطان جاء إلى ابنة الملك فدخل فيها فأخذها، فدعوا لها الأطباء فلم يغنوا عنها شيئًا، فتكلم على لسانها، فقال: لا ينفعها شيء إلا أن تأتوا بها إلى فلان الراهب فيدعو لها، فذهبوا بها إليه، فجعلوها عنده فأصابها يومًا ما كان بها، فانكشفت وكانت امرأة حسناء؛ فأعجبه بياضها وحسنها، فوقع بها فأخبلها، فذهب الشيطان إلى أبيها وإخوتها فأخبرهم، وقال له: اقتلها وادفنها لا يعلم أنك قتلتها، فقتلها الراهب ودفنها إلى أضل حائط، وجاء أبوها وإخوتها وجاء الشيطان بين أيديهم، فسبقهم إلى الراهب وقال: إن القوم قد علموا ما صنعت بالمرأة، فإن سجدت لي سجدة رددتهم عنك فسجد له، فلما سجد له أخزاه الله وتبرأ منه الشيطان، وجاء أبوها وإخوتها فاستخرجوها من حيث دفنها، وعمدوا إلى الراهب فصلبوه، فضرب الله مثل المنافقين حين خذلوا اليهود فلم ينصروهم، وقد كانوا وعدوهم النصرة كمثل الشيطان في هذه الآية ﴿إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين﴾ وكذب قال الله: ﴿فكان عاقبتهم﴾ عاقبة الشيطان وذلك الراهب ﴿أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾ المشركين.

قال محمد: قوله: (خالدين فيها) هو نصب على الحال^(١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾

(١) وفيها تفصيل نحوي، ينظر: إعراب القرآن (٣/٤٠٢ - ٤٠٣)، البحر (٨/٢٥٠)، الدر المصون (٦/٢٩٩).

لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

قوله: ﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ يعني: تركوا ذكر الله بالإخلاص من قلوبهم ﴿فأنساهم أنفسهم﴾ تركهم من أن يذكروها بالإخلاص له قال: ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ وهو فسق الشرك.

﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ على حد ما أنزلناه على العباد من الشواب والعقاب والأمر والنهي ﴿لرأيت خاشعاً﴾ أي: خائفاً ﴿متصدعاً من خشية الله﴾ يوبخ بذلك العباد ﴿وتلك الأمثال﴾ يعني: الأشباه ﴿نضربها للناس﴾ يعني: نصيفها لهم ﴿لعلهم يتفكرون﴾ لكي يتفكروا فيعلموا أنهم أحق بخشية الله من هذا الجبل؛ لأنهم يخافون العقاب، وليس على الجبل عقاب.

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

﴿عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب: ما أخفى العباد، والشهادة: ما أعلنوا. ﴿الملك القدوس﴾ يعني: الطاهر ﴿السلام﴾ سليم الخلاق من ظلمه ﴿المؤمن﴾ تفسير الحسن: المؤمن بنفسه قبل إيمان خلقه كقوله: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو...﴾ الآية^(١) ﴿المهيمن﴾ تفسير بعضهم: الشهيد على خلقه

﴿العزیز﴾ تفسیر الحسن: بعزته ذلّ مَنْ دونه ﴿الجبار﴾ تفسیر بعضهم: القاهر لخلقه بما أراد ﴿المتکبر﴾ الذي يتکبر على خلقه ﴿سبحان الله﴾ نزّه نفسه ﴿عما يشركون﴾ .

﴿هو الله الخالق البارئ المصور﴾ والبارئ هو المصور الذي يصور في الأرحام وغيرها ما يشاء ﴿له الأسماء الحسنى﴾ .

يحيى: عن خدّاش، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لله تسعة وتسعون اسماً مائة غير واحد، من أحصاها دخل الجنة»^(١).

قال محمد: من الناس من قال: معنى أحصاها: حفظها، ومنهم من قال: المعنى: من تعبّد لله بها.

﴿يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز﴾ في نعمته ﴿الحكيم﴾ في أمره.



(١) رواه البخاري (٤١٧/٥ رقم ٢٧٣٦)، ومسلم (٢٠٦٢/٤ رقم ٢٦٧٧) من طريق الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، وتقدم في تفسير سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ .

تفسير سورة الممتحنة
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾﴾

(٣٥٩) قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني: في الدين ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ أي: تُلْقُونَ إِلَيْهِم المودة ﴿وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم﴾ أي: أخرجوا الرسول وإياكم ﴿أن تؤمنوا بالله ربكم﴾ أي: إنما أخرجوكم من مكة؛ لأنكم آمتم بالله ربكم. ثم قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ كما صنع المنافقون ﴿وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم﴾ أي: ومن ينافق منكم ﴿فقد ضلَّ سواء السبيل﴾ قصد الطريق ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ﴾ يلقوكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: يقاتلوكم ﴿وَالسُّتْهُمْ﴾ أي: ويسطوا إليكم السُّتْهُمْ ﴿بِالسُّوءِ﴾ بالشتْم.

﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾ بين المؤمنين وبين المشركين؛ فيدخل المؤمنون الجنة، ويدخل الكافرين النار ﴿والله بما تعملون بصير﴾ نزل هذا في أمر حاطب بن أبي بلتعة، تفسير الكلبي: أن حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى أهل مكة أن محمداً يغزو، وإنني لا أدري إياكم يُريدُ أو غيركم فعليكم بالحدز. قال يحيى: بلغني أنه كتب مع امرأة مولاة لبني هاشم وجعل لها جُغلاً، وجعلت الكتاب في خمارها، فجاء جبريل إلى رسول الله فأخبره، فبعث رسول الله في طلبها علياً ورجلاً آخر، ففتشاهما فلم يجدا معها شيئاً، فأراد صاحبه الرجوع فأبى عليّ وسلّ عليها السيف، وقال: والله ما كذبتُ ولا كُذبتُ، فأخذت عليهما إن أعطته إياهما ألا يرذاهما، فأخرجت الكتاب من خمارها.

قال الكلبي: فأرسل رسول الله إليه هل تعرف هذا يا حاطب؟ قال: نعم. قال: فما حملك عليه؟ قال: أما والذي أنزل عليك الكتاب ما كفرت منذ آمنْتُ، ولا أحببتهم منذ فارقتهم، ولم يكن من أصحابك أحدٌ إلا وله بمكة من يمنع الذي له غيري، فأحببتُ أن أتخذ عندهم مودة، وقد علمت أن الله منزلٌ عليهم بأسه ونقمتُه، وإن كتابي لن يغني عنهم شيئاً، فصَدَقَ رسول الله وعَدَرَه؛ فأنزل الله هذا فيه^(١).

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا

(١) قصة حاطب بن أبي بلتعة رواها البخاري (١٦٦/٦-١٦٧) رقم (٣٠٠٧) ومسلم (٤/١٩٤١-

١٩٤٢) رقم (٢٤٩٤) عن علي رضي الله عنه.

وَلَيْكَ أَتَيْنَا وَلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾

وقال: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾ أي: بولايتكم في الدين. ﴿ويدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾ إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء﴾ أن أَدْخَلَكَ في الإيمان، ولا أن أعفر لك. يقول: قد كانت لكم في إبراهيم والذين معه أسوة حسنة إلا قول إبراهيم لأبيه: لأستغفرن لك، فلا تستغفروا للمشركين. ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة﴾ بليّة ﴿للذين كفروا...﴾ الآية؛ أي: لا تظهر علينا المشركين، فيقولوا: لو كان هؤلاء على دين ما ظهرنا عليهم، فيفتنوا بنا.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودةً والله قديرٌ والله عفوٌ رحيمٌ ﴿٦﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾

قوله: ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة...﴾ الآية رجع إلى قوله: ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم﴾ فأمر الله نبيه والمؤمنين بالبراءة من قومهم ما داموا كفاراً؛ كما برئ إبراهيم ومن معه من قومهم؛ فقطع المؤمنون ولايتهم من أهل مكة، وأظهروا لهم العداوة قال: ﴿ومن يتولَّ﴾ عن الإيمان ﴿فإن الله هو الغني﴾ عن خلقه ﴿الحميد﴾ استوجب عليهم أن يحمده

﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة﴾ فلما أسلم أهل مكة، خالطهم أصحاب رسول الله وناكحوهم، وتزوج رسول الله أم حبيبة بنت أبي سفيان، وهي المودة التي ذكر الله.

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم﴾ بالصلة ﴿وتقسطوا إليهم﴾ أي: تعدلوا إليهم في أموالكم ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ العادلين.

قال محمد: قيل: إن معنى (تقسطوا إليهم) (ل ٣٦٠): تعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد.

قال يحيى: وكان هذا قبل أن يؤمر بقتال المشركين كافة^(١)، كان المسلمون قبل أن يؤمر بقتالهم استشاروا النبي في قرابتهم من المشركين أن يصلوهم ويبروهم، فأنزل الله هذه الآية في تفسير الحسن.

﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين﴾ يعني: كفار أهل مكة. ﴿وأخرجوكم من دياركم﴾ يعني: من مكة ﴿وظاهروا﴾ أعانوا ﴿على إخراجكم أن تولوهم﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا

(١) أي أن هذه الآية منسوخة، وقد رد هذا القول شيخ المفسرين ابن جرير الطبري فقال في تفسيره (٦٦/٢٨): ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ؛ لأن ير المؤمن من أهل الحرب من بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرم ولا منهي عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح؛ قد بين صحة ما قلنا في ذلك الخبر الذي ذكرناه عن ابن الزبير في قصة أسماء وأمها. وانظر نواسخ القرآن (٥٣٧-٥٣٨).

جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفِرِ وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ بَيْنَكُمْ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن﴾ وهذه في نساء أهل العهد من المشركين، وكانت محتتهن في تفسير قتادة أن يستخلفن بالله ما أخرجهن النشوز، وما أخرجهن إلا حب الإسلام والحرص عليه. ﴿اللَّهُ أعلم بإيمانهن﴾ أصدقن أم كاذبن ﴿فإن علمتموهن مؤمنات﴾ إذا أقرن بالإسلام، وحلفن بالله ما أخرجهن النشوز، وما أخرجهن إلا حب الإسلام والحرص عليه ﴿فلا ترجعوهن إلى الكفار لا هن حلٌ لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن﴾ مهورهن ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ يعني: كوافر العرب إذا أبين أن يسلمن أن يخلن سبلهن ﴿واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم﴾ وهذا حكم حكمه الله بين أهل الهدى وأهل الضلالة، في تفسير قتادة.

قال قتادة: كن إذا فرزن إلى أصحاب رسول الله وأزواجهن من أهل العهد فتزوجوهن، بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن من المشركين، وإذا فرزن من أصحاب رسول الله إلى الكفار الذين بينهم وبين رسول الله عهد فتزوجوهن، بعثوا بمهورهن إلى أزواجهن من المسلمين، فكان هذا بين أصحاب رسول الله وبين أهل العهد من المشركين، ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد في براءة فنبد إلى كل ذي عهد عهده، وقد مضى تفسيره (١).

(١) الناسخ والمنسوخ (٩١-٩٢) ونواسخ القرآن (٥٤٣).

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتَّوُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَتُ يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَلْيَايَعِهِنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسُوءُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِيسُ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ الذين ليس بينكم وبينهم عهد ﴿فَعَاقِبْتُمْ﴾ أي: فغنمتم.

قال محمد: المعنى: كانت العقبي لكم فغنمتم.

﴿فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ يعني: من أصحاب النبي ﴿مثل ما أنفقوا﴾ واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون ﴿فكانوا إذا غنموا غنيمة أعطوا زوجها صداقها﴾ الذي كان ساق إليها من جميع الغنيمة، ثم تُقَسَمُ الغنيمة بعد، ثم نسخ ذلك مع العهد والحكم بقوله: ﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسَه وللرسول﴾ (١).

قوله: ﴿ولا يأتين ببهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن﴾ يعني: أن تلحق إحداهن بزوجه ولدًا ليس له ﴿ولا يعصينك في معروف﴾ قال الحسن: نهاهن عن النياحة، وأن يحادثن الرجال.

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أقروا في العلانية، يعني: المنافقين ﴿لا تتولوا قوماً﴾

غضب الله عليهم ﴿ قال الحسن : يعني : اليهود ﴾ ﴿ قد يشسوا من الآخرة ﴾ أي :
من نعيم الآخرة ، يعني : اليهود زعموا أن لا أكل فيها ولا شرب ، قد يشسوا من
ذلك ؛ كما يشس من مات من الكفار من الجنة حين عاينوا النار .

* * *

تفسير سورة الصف وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ ﴿٤﴾ ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز﴾ في نعمته ﴿الحكيم﴾ في أمره ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾ تفسير الحسن: يعني: المنافقين نسبهم إلى الإسلام الذي أظهروا، وهو الإقرار، وكانوا يقولون: نجاهد مع رسول الله، ونؤمن به، فإذا جاء الجهاد بعدوا عنه فقال الله: ﴿كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾.

قال محمد: ﴿لم تقولون﴾ الأصل (لما) فحذفت الألف لكثرة استعمالهم (ما) في الاستفهام، فإذا وقفت عليها قلت: لِمَ، ولا وقف عليها في القرآن بالهاء إتباعاً للمصحف، (ل ٣٦١) وينبغي للقارئ أن يصلها^(١).

وقوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا﴾ (أَنْ) في موضع رفع، و(مَقْتًا) منصوب على التمييز، المعنى: كَبُرَ قولكم: ما لا تفعلون مَقْتًا^(٢).

قال يحيى: ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُورٌ﴾ ذكر ثبوتهم في صفوفهم، كأنه بنيانٌ قد

(١) مغني اللبيب (١/ ٣٢٨).

(٢) ينظر: البحر المحيط (٨/ ٢٦١)، الدر المصون (٦/ ٣٠٩).

رُصَّ بعضه إلى بعض .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ يعني : الخاصة الذين يعلمون أنه رسول الله الذين كذبوه وآذوه ، فكان فيما آذوه به أن زعموا أنه آذُرُ^(١) ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ والزيغ : الشرك ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ يعني : الذين يلقون الله بشركهم .

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد .

مالك بن أنس ، عن الزهري ، عن ابن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أحمد ، وأنا محمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي ، وأنا الغاقب يعني : الآخر »^(٢) .

(١) الأذرة بالضم : نفخة في الخصى ، يقال : رجل آذر : بين الأذر ، وهي التي تسميها الناس القيلة . النهاية (١/ ٣١) .

(٢) رواه يحيى بن يحيى في الموطأ (٢/ ٧٦٧ رقم ١) عن مالك مرسلًا كما هنا . قال ابن عبد البر في التمهيد (٩/ ١٥١) : هكذا روى هذا الحديث يحيى مرسلًا ، لم يقل =

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني: الذين يلقون الله بشركهم

= فيه «عن أبيه» وتابعه على ذلك أكثر الرواة للموطأ، وممن تابعه على ذلك: القعني، وابن بكير، وابن وهب، وابن القاسم، وعبد الله بن يوسف، وابن أبي أويس، وأسنده عن مالك: معن بن عيسى، ومحمد بن المبارك الصوري، ومحمد بن عبد الرحيم بن شروس الصنعاني، وعبد الله بن مسلم الدمشقي، وإبراهيم بن طهمان، وحبيب، ومحمد بن حرب، وأبو حذافة، وعبد الله بن نافع، وأبو المصعب، كل هؤلاء رواه عن مالك مسنداً عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه. اهـ.

ورواه البخاري (٦٤١/٦ رقم ٣٥٣٢) وابن سعد في الطبقات الكبرى (١/١٠٥) وابن عبد البر في التمهيد (٩/١٥٣) من طريق معن بن عيسى، ورواه الطبراني في الكبير (٢/١٢٢) رقم ١٥٣٠، وابن عبد البر في التمهيد (٩/١٥٢) من طريق عبد الله بن نافع الصائغ، ورواه الطبراني في الكبير (٢/١٢٢) رقم ١٥٢٩ من طريق محمد بن عبد الرحيم بن شروس، ورواه ابن عبد البر (٩/١٥٢) من طريق محمد بن المبارك الصوري، كلهم عن مالك، عن الزهري، عن محمد بن جبير، عن أبيه.

ورواه ابن عساكر في تاريخه (٣/١٧) من طريق عبد الله بن أسماء عن جويرية عن مالك عن الزهري موصولاً، وقال ابن عساكر: تفرد برفعه عن مالك عن جويرية بن أسماء، ورواه عبد الله بن وهب وبشر بن عمر الزهراني ويحيى بن عبد الله بن بكير المصري عن مالك مرسلًا، لم يذكروا فيه جبيرًا، ورفع صحیح عن الزهري؛ فقد وصله عنه يونس بن يزيد وشعيب بن أبي حمزة الحمصي وسفيان بن عيينة.

قال ابن عبد البر في التمهيد (٩/١٥٣): وكذلك رواه أصحاب ابن شهاب، عن ابن شهاب، عن محمد بن جبير، عن أبيه مسنداً. اهـ.

قلت: منهم سفيان بن عيينة عند أحمد (٤/٨٠) والحميدي (١/٢٥٣-٢٥٤ رقم ٥٥٥) وابن أبي شيبة (١١/٤٥٧) وابن سعد (١/١٠٥) ومسلم (٤/١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤/١٢٤) والترمذي (٥/١٢٤ رقم ٢٨٤٠) وغيرهم، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وشعيب بن أبي حمزة عند البخاري (٨/٥٠٩ رقم ٤٨٩٦) ومسلم (٤/١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤). ويونس بن يزيد عند مسلم (٤/١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤/١٢٥) وابن حبان (١٤/٢١٩ رقم ٦٣١٣) والطحاوي في المشكل (٣/١٨١ رقم ١١٥٠).

ومعمر عند الإمام أحمد (٤/٨٤) وعبد الرزاق (٩/٤٤٦ رقم ١٩٦٥٧) ومسلم (٤/١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤).

وعقيل بن خالد عند مسلم (٤/١٨٢٨ رقم ٢٣٥٤).

وغيرهم انظر معجم الطبراني (٢/١٢٠-١٢٣) وعلل الدارقطني (٤/ق ٩٩-ب). =

﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم﴾ أي: بتكذيبهم وبقتالهم، ونوره: الإسلام والقرآن، أرادوا أن يطفئوه؛ حتى لا يكون إيمان ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ تفسير الحسن: حتى تدين له الأديان كلها، ويحكم على أهل الأديان كلها، وتفسير ابن عباس: حتى يظهر النبي على الدين كله على شرائع الإسلام كلها، فلم يقبض رسول الله، حتى أتم الله ذلك له.

يحيى: عن عبدالرحمن بن يزيد، عن سليم بن عامر الكلاعي، قال: سمعت المقداد بن الأسود يقول: قال رسول الله ﷺ: «لا يبقى أهل مَدِير ولا وَبَرٍ إلا أدخله الله الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل، إما يعزهم فيجعلهم من أهلها، وإما يذلهم فيدينون لها» (١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَجْرِفٍ تُحْمَلُونَ بِهَا أَسْوَاقُ كُلِّ شَيْءٍ يَوْمَ الْقِيَامِ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (١٠) ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١١) ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١٢) ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١٣) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ تفسير الكلبي: إن هذا جواب لقولهم: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله وأرضاها عنده لعملنا بها، فقال الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة...﴾ إلى قوله: ﴿ذلك الفوز العظيم﴾.

= قلت: ورواه الإمام أحمد (٨١/٤)، ٨٣-٨٤ وابن سعد (١/١٠٤) والحاكم (٢/٦٠٤) من طريق جعفر بن أبي وحشية، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه.
(١) تقدم تخريجه في تفسير سورة النور، الآية: ٥٥.

يحيى: عن المعلّى بن هلال، عن يزيد بن يزيد، عن مكحول، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «هل تريدون من ربكم إلا أن يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم الجنة؟ قالوا: حسبنا يا رسول الله. قال: فاغزوا في سبيل الله»^(١).

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، قال: قال رسول الله ﷺ: «حُرِّمَتِ النار على عين دمعٍ من خشية الله، وعلى عَيْنٍ سهرت في سبيل الله»^(٢).

يحيى: عن خالد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَذْنِي أَهْلَ الجنة منزلةً آخرهم دخولاً رجلٌ مسّه سفعة»^(٣) من النار فيُعْطَى فيقال له: انظر ما أعطاك الله، ويفسّخ لهُم في أبصارهم، فينظر إلى مسيرة (...) سنة كله له ليس فيه موضع شبرٍ إلا وهو عامر، قصور الذهب والفضة، وخيام اللؤلؤ

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (١/٣٦٥ رقم ٦٣٠) من طريق يزيد بن يزيد بن جابر به. قال أبو زرعة الرازي: لم يلق مكحول أبا هريرة. المراسيل لابن أبي حاتم (٢١٢) رقم ٧٩٣. وروى الإمام أحمد (٢/٤٤٦، ٥٢٤) والترمذي (٤/١٥٥ رقم ١٦٥٠) والبخاري (١٦٠/٩) وفي الشعب (٤/١٥ رقم ٤٢٣٠) عن ابن أبي ذباب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا في سبيل الله». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. (٢) لم أقف عليه من هذا الوجه المرسل، وفي الباب عن ابن عباس وأبي ریحانة ومعاوية بن حيدة وأنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهم. انظر الترغيب والترهيب (٢/٢٤٨-٢٥١) والجهاد لابن أبي عاصم (٢/٤١٣-٤١٩).

(٣) أي: علامة تغير ألوانهم، يقال: سفعت الشيء إذا جعلت عليه علامة، يريد أثر من النار. النهاية (٢/٣٧٤).

(٤) طمس في الأصل.

والياقوت، فيها أزواجه وخدمه»^(١).

يحيى: عن صاحب له، عن جوير، عن الضحاك بن مزاحم، عن الحارث، عن علي: «أن الرجل إذا دخل الجنة استخفّ زوجته^(٢) الفرح فتخرج من الخيمة تستقبله، فتقول: أنت حيّ وأنا حيّك، نحن الراضيات اللاتي لا نسخط أبدًا، ونحن الناعمات اللاتي لا نبؤس أبدًا، ونحن الخالدات اللاتي لا نموت أبدًا، المقيمات اللاتي لا نظعن أبدًا، أنت حيّ وأنا حيّك، فتدخله بيتًا أساسه إلى سقفه مائة ألف ذراع مبيتًا على جندل^(٣) اللؤلؤ والياقوت طرائق حمّر وخضرّ وصفر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتهما، فإذا رفعوا أبصارهم إلى سقف بيوتهم، فلولا أن الله كتب ألا تذهب أبصارهم^(ل٣٦٢) لذهبت مما يرون من النور والبهاء في سقوف بيوتهم»^(٤).

قال محمد: قوله: ﴿يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ هو جواب ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون﴾؛ لأن معناه معنى

(١) لم أقف عليه من هذا الطريق، وانظر الترغيب والترهيب (٥٠٩-٥١١/٤).

(٢) أي: تحركت لذلك وخفت، وأصله السرعة. النهاية (٥٥/٢).

(٣) الجندل: الحجارة. لسان العرب (جندل).

(٤) رواه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٢٨ رقم ٢٨١) من طريق إسماعيل بن زياد، عن جوير، عن الضحاك، عن التزالي بن سبرة، عن علي مرفوعًا.

ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ق ٢-ب) عن محمد بن عباد بن موسى العكلي، عن الضحاك، عن الحارث، عن علي مرفوعًا.

ورواه العقيلي في الضعفاء (١/٨٦) من طريق إسماعيل بن عبيد الله بن سلمان، عن أبيه، عن الضحاك به.

وقال العقيلي: حديث غير محفوظ.

وقال المنذري في الترغيب (٤/٤٩٥-٤٩٦): رواه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة عن الحارث وهو الأعور عن علي مرفوعًا هكذا، ورواه ابن أبي الدنيا أيضًا والبيهقي وغيرهما =

الأمر، المعنى: آمنوا بالله ورسوله، وجاهدوا يغفر لكم^(١).
 قوله: ﴿وَأُخْرَىٰ تَجْبُونَهَا نَصَرَ مِنَ اللَّهِ﴾ على أعدائه ﴿وَفَتْحَ قَرِيبٌ﴾ مكة ﴿وَبَشَّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بأن لهم الجنة جنات عدن في الآخرة، والنصر في الدنيا على أعدائهم.
 قال محمد: (وأخرى تجبونها): ولكم تجارة أخرى تجبونها، وهي نصر من الله وفتح قريب^(٢).

= عن عاصم بن ضمرة عن علي موقوفًا بنحوه، وهو أصح وأشهر. اهـ.
 ورواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/١٤١-١٤٢) من طريق أبي معاذ البصري عن علي رضي الله عنه مرفوعًا.
 قال ابن كثير: روى ابن أبي حاتم ها هنا حديثًا غريبًا جدًا مرفوعًا. فذكره، ثم قال: هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعًا، وقد روينا في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة، والله أعلم. اهـ.

ورواه الطبري في تفسيره (٢٤/٣٥-٣٦) من طريق السدي، وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٢٧) من طريق حمزة الزيات، كلاهما عن أبي إسحاق السبيعي، عن الحارث، عن علي رضي الله عنه موقوفًا.

ورواه عبدالرزاق في تفسيره (٢/١٧٦) وابن أبي شيبة في المصنف (١٣/١١٢-١١٤) رقم ١٥٨٥١ وإسحاق بن راهويه في مسنده - كما في المطالب العالية (٥/١٣٤-١٣٥) رقم ٤٥٩٢ - والبيهقي في الجعديات (٢/٩٢٦-٩٢٧) رقم ٢٦٦٣ وابن أبي الدنيا في صفة الجنة (٣) والمروزي في زوائد الزهد (٥٠٨-٥٠٩) رقم ١٤٥٠ والطبري في تفسيره (٢٤/٣٥) وأبو نعيم في صفة الجنة (٢/١٢٣-١٢٧) رقم ٢٨٠، (٢٨١) والضياء في المختارة (٢/١٦٠-١٦٣) رقم ٥٤١، (٥٤٢) من طرق عن أبي إسحاق السبيعي، عن عاصم بن ضمرة، عن علي رضي الله عنه موقوفًا.

وقال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٥/٣٥): هذا حديث صحيح وحكمه حكم المرفوع، إذ لا مجال للرأي في مثل هذه الأمور.
 وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٨/٢٣٢): رواه إسحاق بن راهويه بسند صحيح، وحكمه حكم المرفوع إذ ليس للرأي فيه مجال.

- (١) ينظر: البحر المحيط (٨/٢٦٣)، الكتاب (١/٤٤٩)، الدر المصون (٦/٣١٣).
 (٢) وفيها تفصيل نحوي. ينظر: إعراب القرآن (٣/٤٢٤) مجمع البيان (٥/٢٨٢)، البحر (٨/٢٦٣-٢٦٤) الدر المصون (٦/٣١٣).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَن أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾ ولمحمد بالقتال على دينه ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين﴾ وهم أصفياء الأنبياء ﴿من أنصاري إلى الله﴾ أي مع الله^(١).

﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة﴾ فقاتلت الطائفة المؤمنة الطائفة الكافرة ﴿فأيدنا﴾ أعنا ﴿الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ عليهم قد ظفروا بهم.

قال محمد: (الحواريون) أصل الكلمة من التحوير للثياب وغيرها وهو التبييض، تقول: حوَّرت الثوب، أي: غسلته وبَيَّضته، واخوَّرت القِدْرُ أبيضَ لحمها قبل أن ينضج، والحوَّراء من هذا أيضًا وهي الشديدة البياض، وخبز الحَوَّارَى هو من هذا؛ لأنه خالَصَ أبيض نقيًّا، فكأن الحَوَّارِيَّ من الناس الصافي من العيوب الخالص في دينه النقي^(٢)، والله أعلم.

(١) أي إن (إلى) بمعنى (مع). ينظر تفصيل الكلام في مغني اللبيب (١/ ٨٨)، الدر المصون (٦/ ٣١٤).

(٢) وقيل: قيل لأصحاب عيسى عليه السلام الحواريون؛ لأنهم كانوا قضاة. وقيل: الحواري: الناصر. ينظر لسان العرب، مختار الصحاح (حور).

تفسير سورة الجمعة وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس﴾ تفسير الكلبي: القدوس: الطاهر.

﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ العرب ﴿رسولاً منهم﴾ كانوا أميين ليس عندهم كتاب من عند الله كما مع أهل الكتاب، وقد كانوا يخطون بأيديهم ﴿يتلو عليهم آياته﴾ القرآن ﴿ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ تفسير قتادة: الكتاب: القرآن، والحكمة: السنة، والزكاة: العمل الصالح ﴿وإن كانوا من قبل﴾ أن يأتيهم محمد ﴿لفي ضلال مبين﴾ بين ﴿وآخرين منهم لما يلحقوا بهم﴾ تفسير مجاهد: يعني: إخوانهم من العجم، أي بعث في الأميين رسولاً منهم وفي آخرين منهم لما يلحقوا بهم بعد.

﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ يعني: من رزق الإسلام من الناس كلهم.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَاثِتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾

﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ يعني: اليهود ﴿ثم لم يحملوها﴾ كذبوا ببعضها، وهو جحودهم بمحمد والإسلام، وما غيروا من التوراة، ومن كفر بحرف من كتاب الله فقد كفر به كله ﴿كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ والأسفار: الكتب، شبههم بالحمار الذي لو حملت عليه جميع كتب الله لم يذر ما حمل عليه ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ الذين يلقون الله بشركهم.

﴿قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَيْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمْنُوا الْوَتَّ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ الْمَوْتُ الَّذِي تُفَرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْفِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ بأنكم أولياء لله من دون الناس. قال محمد: القراءة (فتمنوا الموت) بضم الواو لسكونها وسكون اللام (١) وقد قرئت (فتمنوا الموت) بكسر الواو لالتقاء الساكنين، والاختيار الضم مع الواو (٢) و(اشترؤا الضلالة) (٣) مثلها.

قال: ﴿ولا يتمنونه﴾ يعني الموت ﴿أبدًا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين﴾ بالمشركين ﴿قل إن الموت الذي تفرون منه﴾ يعني: تكرهونه ﴿فإنه ملاقيكم ثم تُردون﴾ يوم القيامة ﴿إلى عالم الغيب والشهادة﴾ الغيب: السر، والشهادة: العلانية.

(١) أي لام كلمة (الموت).

(٢) العامة على ضم الواو، وقرأ ابن السميع وابن يعمر، وابن أبي إسحاق بكسرها. ينظر الدر المصون (٣١٦/٦).

(٣) البقرة: ١٦.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ثُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمَنِ الْبَحْرُ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿فاسعوا إلى ذكر الله﴾ يعني: صلاة الجمعة، وهي في حرف ابن مسعود (فامضوا إلى ذكر الله).

﴿وذروا البيع﴾ تفسير ابن عباس: إذا أذن المؤذن يوم الجمعة حرم البيع. ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا﴾ يعني: فتفرقوا في الأرض ﴿وابتغوا من فضل الله﴾ أي: من رزق الله، رخص لهم أن يتشروا إذا صلّوا إن شاءوا، وإن أقاموا كان أفضل لهم.

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهوًا انفضوا إليها وتركوك قائمًا﴾ (ل٣٦٣) تفسير الحسن: كانت غير تجيء إلى المدينة في الزمان مرة فجاءت يوم الجمعة، فانطلق الناس إليها فأنزل الله هذه الآية.

قال يحيى: وسمعت من يقول: التجارة: العير التي كانت تجيء، واللّهو: كان دحية الكلبي قدم في عير من الشام وكان رجلاً جميلاً، كان جبريل يأتي النبي في صورته، فقدمت عيرٌ ومعهم دحية والنبي يخطب يوم الجمعة فتسلّلوا ينظرون إلى العير وهي التجارة، وينظرون إلى دحية الكلبي وهو اللّهو، لهوًا بالنظر إلى وجهه وتركوا الجمعة.

قال قتادة: «أمرهم النبي ﷺ أن يعدّوا أنفسهم فإذا هم اثنا عشر رجلاً

وامرأة فقال: والذي نفسي بيده، لو اتبع آخركم أولكم لالتهب الوادي عليكم ناراً^(١).

﴿قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾.



(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٢٤٥/٦) لعبد بن حميد في تفسيره.

تفسير سورة المنافقين
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ
أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ
فَأَحْذَرُهم فَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا
رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾﴾

قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾
أي: إنما يقولونه بأفواههم، وقلوبهم ليست على الإيمان.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ اجتنبوا بها، أي: استروا، حتى لا يقتلوا ولا تُسبى
ذرائعهم ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعني: بقلوبهم ﴿سَاءَ﴾ يعني: بش ﴿مَا
كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾ يعني: أقروا بألستهم في العلانية ﴿ثُمَّ
كَفَرُوا﴾ أي: بقلوبهم ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ خُتِمَ عليها ألا يؤمنوا .

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني: في المنظر والهيئة ﴿وَإِنْ يَقُولُوا
تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ من قولهم لما أعطوا من الإيمان في الظاهر ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ

مسندة ﴿ يعني: أنهم أجسادٌ ليست لهم قلوب آمنوا بها ﴾ يحسبون كل صيحة عليهم ﴿ وصفهم بالجبن عن القتال، وانقطع الكلام، ثم قال: ﴿ هم العدو ﴾ فيما أسروا ﴿ فاحذرهم قاتلهم الله ﴾ لعنهم الله ﴿ أتى يؤفكون ﴾ كيف يصدون عن الإيمان .

﴿ وإذا قيل لهم تعالوا ﴾ أي: أخلصوا الإيمان ﴿ يستغفر لكم رسول الله ﴾ لووا رؤوسهم ﴿ أي: أعرضوا ﴾ ورأيتهم يصدون ﴿ عن دين الله ﴾ وهم مستكبرون ﴿ مكذبون ﴾ سواء عليهم أستغفرت لهم... ﴿ الآية. أخبر أنهم يموتون على النفاق، فلم يستحل رسول الله أن يستغفر لهم بعد ذلك .

﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ﴾ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ﴾ تفسير الكلبي: أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين أنه قال لقوم كانوا ينفقون على بعض من كان مع رسول الله ﷺ: لا تنفقوا عليهم؛ حتى ينفضوا عنه. قوله: ﴿ ولله خزائن السموات والأرض ﴾ يعني: علم خزائن السموات والأرض.

﴿ يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ هذا قول عبد الله بن أبي بن سلول؛ وذلك أنه قال لأصحابه وهم في غزوة تبوك: عمدنا إلى رجل من قريش فجعلناه على رقابنا، أخرجوه فالحقوه بقومه وليكن علينا

رجلٌ من أنفسنا. قال الله: ﴿ولله العزة ولرسوله...﴾ الآية يخبر تبارك وتعالى أنه مُعِزُّ رسوله ومن معه من المؤمنين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (١١)

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني: أقرؤا باللسان نزلت في المنافقين ﴿لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ عن الإيمان بالله ﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ يعني: الزكاة المفروضة ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا﴾ هلاً ﴿أخرتني إلى أجل قريب فأصدق﴾ أي: فأزكي ﴿وأكن من الصالحين﴾ فأحج، ومثلها في سورة المؤمنين ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون﴾ أي: إلى الدنيا ﴿لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ (١).

قال محمد: ﴿فأصدق﴾ جواب «لولا» (٢) فمن قرأ (وأكن) بالجزم فهو على موضع (فأصدق)؛ لأنَّ المعنى: إن أخرتني أصدق وأكن من الصالحين، ومن قرأها (وأكون) فهو على لفظ (فأصدق) وأكون (٣).

﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خيرٌ بما تعملون﴾



(١) المؤمنون: ٩٩.

(٢) ينظر: إعراب القرآن (٣/ ٤٤٠)، البحر (٨/ ٢٧٥)، الدر المصون (٦/ ٣٢٣).

(٣) قرأ أبو عمرو وحده (وأكون) وقرأ الباقون (وأكن) ينظر: السبعة (٦٣٧)، النشر (٢/ ٣٨٨).

(ل ٣٦٤) تفسير سورة التغابن

وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَنَدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِّمُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُغْلِبُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾
قوله: ﴿يسبح لله...﴾ إلى قوله: ﴿فمنكم كافرٌ ومنكم مؤمنٌ﴾.

يحيى: عن فطر بن خليفة، عن عبدالرحمن بن سابط قال: «خلق الله الخلق، فكانوا قبضته فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي. فذهبت إلى يوم القيامة»^(١).

قوله: ﴿خلق السموات والأرض بالحق﴾ أي: للبعث والحساب والجنة والنار ﴿والله عليمٌ بذات الصدور﴾ بما في الصدور.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَنَادُوا بِطَغْوَىٰ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَىٰ اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾

(١) كذا وقع هذا الحديث هنا مقطوعاً على عبدالرحمن بن سابط، وقد تقدم في تفسير سورة الواقعة، الآية: ٤١، بهذا الإسناد «يحيى»، عن فطر، عن عبدالرحمن بن سابط، عن أبي بكر الصديق «فزاد في الإسناد عن «أبي بكر الصديق» وقد تقدم تخريجه هناك.

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِمَا عَمِلُوا وَلَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ بِهِ الْبُحْرَانُ فَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَأَمَّا نُنُورِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْحُجَّةِ ذَلِكَ يَوْمُ الْفُتُورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾

﴿ألم يأتكم نبأ﴾ خبر ﴿الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال﴾ يعني: عقوبة ﴿أمرهم﴾ هو الذي عذب به الأمم السالفة في الدنيا حين كذبوا رسلهم، يحذر المشركين أن ينزل بهم ما نزل بمن كفر قبلهم ﴿ولهم عذاب أليم﴾ يعني: عذاب جهنم بعد عذاب الدنيا.

﴿فقالوا أبشر يهدونا﴾ إنكاراً لذلك.

﴿واستغنى الله﴾ عنهم ﴿والله غني﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ استوجب عليهم أن يحمدوه.

﴿يوم يجمعكم ليوم الجمع﴾ يعني: يوم القيامة ﴿ذلك يوم التغابن﴾ يتغابنون في المنازل عند الله؛ فريق في الجنة وفريق في السعير.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ أَمْرَهُ﴾ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُنِينُ﴾

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٣﴾

﴿ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله﴾ بقضاء الله ﴿ومن يؤمن بالله يهد قلبه﴾ أي: إذا أصابته مصيبة سلم ورضي، وعرف أنها من الله.

﴿فَإِنَّمَا عَلَى رُسُلِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَكْرَهُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ .
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ
 وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا
 لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِنْ تَقَرَّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
 يَضَعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٧) عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَزِيرُ
 الْحَكِيمُ (١٨)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوٌّ لَكُمْ...﴾ إِلَى
 قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ تَفْسِيرُ الْكَلْبِيِّ: إِنْ الرَّجُلُ كَانَ إِذَا أَرَادَ الْهَجْرَةَ
 تَعَلَّقَ بِهِ وَلَدَهُ وَامْرَأَتَهُ؛ فَقَالُوا: نَنْشُدُكَ اللَّهَ أَنْ تَذْهَبَ وَتَتْرَكَنَا فَتَضِيعَ، فَمِنْهُمْ
 مَنْ يَطِيعُ أَمْرَهُمْ فَيَقِيمُ، فَحَذَرَهُمْ إِيَّاهُمْ وَنَهَايَهُمْ عَنْ طَاعَتِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ
 يَمْضِي عَلَى الْهَجْرَةِ فَيَذَرُهُمْ فَيَقُولُ لَهُمْ: أَمَّا وَاللَّهِ لَنْ لَمْ تَهَاجَرُوا مَعِيَ
 وَبَقِيتُمْ حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فِي دَارِ الْهَجْرَةِ لَا أَنْفَعَكُمْ بِشَيْءٍ أَبَدًا،
 فَلَمَّا جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أَي: اخْتِبَارٌ؛ لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿فَاتَّقُوا
 اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ مَا أَطَقْتُمْ. قَالَ قَتَادَةُ: أَنْزَلَ اللَّهُ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿يَا
 أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ (١) وَحَقُّ تَقَاتِهِ: أَنْ يَطَاعَ فَلَا يُعْصَى،
 وَيُذَكَّرُ فَلَا يَنْسَى، وَيُشْكَرُ فَلَا يُكْفَرُ فَتُسَخِّطُهَا هَذِهِ الْآيَةُ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ

واسمعوا وأطيعوا^(١) وعليها بايع رسول الله على السَّمْع والطاعة فيما استطاعوا^(٢).

﴿وأنفقوا خيرًا لأنفسكم﴾ تفسير الحسن: إنها النفقة في سبيل الله.
 ﴿إن تقرضوا الله قرضًا حسنًا﴾ تفسير الحسن: إن هذا في التطوع من الأعمال كلها ﴿يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكورٌ حلِيم﴾ يشكر للعبد العمل اليسير يشبه عليه الثواب العظيم ﴿عالم الغيب﴾ يعني: السرّ ﴿والشهادة﴾ يعني: العلانية ﴿العزیز﴾ في نعمته ﴿الحكيم﴾ في أمره.



(١) النسخ والمنسوخ (٩٣).

(٢) وذهب كثير من العلماء إلى أن قوله: ﴿فأتقوا الله ما استطعتم﴾ بيان لمجمل قوله: ﴿أتقوا الله حق تقاته﴾ ليس نسخًا، وهذا قول ابن عباس - في رواية علي بن أبي طلحة عنه - وطاوس، وصحح هذا القول القرطبي في تفسيره (١٥٧/٤) فقال: وهذا أصوب؛ لأن النسخ إنما يكون عند عدم الجمع، والجمع ممكن فهو أولى. اهـ.

وقال ابن الجوزي في «نواسخ القرآن» (ص ٢٩٤): وهو الصحيح؛ لأن التقوى هو اجتناب ما نهى عنه، ولم ينه عن شيء ولا أمر به إلا وهو داخل تحت الطاقة كما قال عز وجل: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ فالآيتان متوافقتان، والتقدير: اتقوا الله حق تقاته ما استطعتم.

تفسير سورة الطلاق وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ فَاَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ يخاطب بها النبي ﷺ وجماعة المسلمين. تفسير قتادة: يطلقها في قُبُلِ عَدَّتِهَا طَاهِرًا مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَدْعُهَا، فَإِنْ كَانَ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ دَعَا شَاهِدَيْنِ فَأَشْهَدَهُمَا أَنِّي قَدْ رَاجَعْتُهَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِيهَا حَاجَةٌ تَرَكَهَا؛ حَتَّى تَنْقُضِيَ عَدَّتَهَا، فَإِنْ نَدِمَا كَانَ خَاطِبًا مِنَ الْخُطَابِ.

قوله: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أي: فَلَا تَطْلُقُوهُنَّ فِي الدَّمِ، وَلَا فِي الطَّهَارَةِ وَقَدْ جَامَعْتُمُوهُنَّ، إِلَّا فِي الطَّهَارَةِ بَعْدَمَا يَغْتَسِلْنَ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَجَامَعُوهُنَّ ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ لَا تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا حَتَّى تَنْقُضِيَ عَدَّتَهَا، وَهَذَا الْخُرُوجُ أَلَّا تَتَحَوَّلَ مِنْ بَيْتِهَا، وَإِنْ احتاجت إِلَى

الخروج بالنهار لحاجتها خرجت، (ل٣٦٥) ولا تبيت إلا في بيتها ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ تفسير ابن عمر: قال: الفاحشة المبيّنة: خروجها في عدتها ﴿وتلك حدود الله﴾ أحكام الله ﴿ومن يتعد حدود الله﴾ أي: يتجاوز ما أمر الله به ﴿فقد ظلم نفسه﴾ أي: بمعصيته من غير شرك ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ يعني: المراجعة رجع إلى أول السورة ﴿فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة﴾ أي: له الرجعة ما لم تنقض العدة في التطليقة والتطليقتين ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾ أي: منتهى العدة ﴿فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف﴾ وذلك أن الرجل كان يطلق المرأة، فيتركها حتى تشرف على انقضاء عدتها، ثم يراجعها ثم يطلقها؛ فتعد المرأة تسع حيض، فنهى الله عن ذلك، قوله: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ يعني: على الطلاق والمراجعة ﴿وأقيموا الشهادة لله﴾ يعني: من كانت عنده شهادة فليشهد بها. قوله: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ تفسير ابن عباس في قوله عز وجل: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾ قال: من كل ضيق [ويرزقه من حيث لا يحتسب] ^(١) من حيث لا يرجو.

﴿إن الله بالغ أمره﴾ أي: يبلغ أمره على من توكل وعلى من لم يتوكل ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ أي: منتهى ينتهي إليه.

﴿وَالَّتِي يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِضْ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً ﴿١﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٢﴾﴾ واللائي يسّن من المحيض من نساكنكم إن ارتبتم شككنكم ﴿فعدتهن

(١) طمس في الأصل.

ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن ﴿١﴾.

قال محمد: سألوا فقالوا: قد عرفنا عدة التي تحيض، فما عدة التي لا تحيض؟ ف قيل: ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ أي: إذا ارتبتم، فعدتهن ثلاثة أشهر.

قوله: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هذه نسخت التي في البقرة ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً﴾^(١) نسخ منها الحامل فجعل أجلها أن تضع حملها، وإن لم تكن حاملاً كبيرة كانت أو صغيرة ومن لا تحيض فعدتها أربعة أشهر وعشر^(٢).

﴿ذلك أمر الله أنزله إليكم﴾ في القرآن.

﴿أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارَّوهُنَّ لِضَيْقِهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَنْتُمْ يُنَافِقُونَ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمَ فَاسْتَرْضِعْ لَهُنَّ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُلْكَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(٣)

﴿أَسْكُنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ من سعيتكم، يعني: أن لها المسكن حتى تنقضي العدة.

قال محمد: يقال: وَجَدْتُ فِي الْمَالِ وَجْدًا وَوُجْدًا وَجِدَةً، وَوَجَدْتُ الضَّالَّةَ وَوُجْدَانًا^(٣).

(١) البقرة: ٢٣٤.

(٢) وذهب كثير من العلماء أن الآيتين محكمتان؛ وأن آية سورة البقرة عامة، وآية سورة الطلاق خاصة، فهو تخصيص للعموم ليس نسخاً، انظر نواسخ القرآن (٢٤٣-٢٤٦) وتفسير القرطبي (٣/ ١٧٤-١٧٦).

(٣) ينظر لسان العرب (وجد).

﴿وَلَا تُضَارُوهُمْ﴾ في المسكن ﴿لَتَضِيقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حِمْلٍ فَأَنْفَقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ إِنْ كَانَتْ حَامِلًا أَنْفَقَ عَلَيْهَا حَتَّى تَضَعَ إِذَا طَلَقَهَا ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أَجْر الرضاع ﴿وَاتَّمَرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ يَعْنِي: الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ.

قال محمد: يقول: لِيَأْمُرَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِالْمَعْرُوفِ فِي رِضَاعِ الْمَوْلُودِ وَالرَّفْقِ بِهِ؛ حَتَّى يَتَفَقَّهُوا عَلَى شَيْءٍ مَعْلُومٍ مِنْ أَجْرِ الرِّضَاعِ.

﴿وَإِنْ تَعَاْسَرْتُمْ فِي الرِّضَاعِ فَاسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى﴾ أَي: فَاسْتَرْضِعُوا لَهُ امْرَأَةً أُخْرَى.

﴿وَمَنْ قُدِرَ قَتْرٌ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ أَعْطَاهُ اللَّهُ.

﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَابُهُ أَمْرًا خُسْرًا (٩) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْآلَتِبِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمِلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُمْ رِزْقًا (١١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢)

﴿وَكَأَيِّنْ﴾ أَي: وَكَمْ ﴿مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ عصت أمر ربها ورسله؛ يعني: أهلها ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ تفسير السُّدِّي: يعني: فجازيناها جزاءً شديداً ﴿وَعَذَبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ عَظِيمًا ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ يعني: العقوبة ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ خسروا به الجنة ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ

عذابًا شديدًا ﴿ في الآخرة بعد عذاب الدنيا .

﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً رسولاً﴾ أي : قد أنزل الله إليكم ذكراً بالرسول الذي جاءكم ﴿يتلو عليكم آيات الله مبينات﴾ يبينها رسول الله ؛ هذا على مقراً من قرأها مفتوحة الياء ^(١) .

﴿قد أحسن الله له رزقاً﴾ يعني : الجنة .

﴿ينتزل الأمر﴾ يعني : الوحي ﴿بينهن﴾ بين السماء والأرض ﴿لتعلموا﴾ بهذا الوحي ﴿أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ لا يخرج عن علمه شيء .

قال محمد : (علماً) منصوبٌ على المصدر المؤكد، المعنى : قد علم كل شيء علماً ^(٢) .



(١) قراءة العامة بفتح الياء أي : بينها الله، وقرأ ابن عامر وحفص وحزمة والكسائي بكسرها، أي : يبين لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام . تفسير القرطبي (١٨/١٧٤) والنشر (٢/٢٤٨-٢٤٩) وإتحاف الفضلاء (٥٤٧) .

(٢) ينظر : البحر (٨/٢٧٨)، مجمع البيان (٥/٣١٠) .

نفسناير القرآن العزيز

لابن أبي زَمَنِين

الإمام القدوة الزاهد شيخ قرطبة
أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زَمَنِين
(٣٢٤ - ٣٩٩ هـ)

تحقيق

أبي عبد الله حسين بن عكاشة محمد بن مصطفى الكنزي

المجلد الخامس

التحريم - الناس - الفهارس

الناشر
إفازوق الحديث للطباعة والنشر

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر
لا يجوز نشر أى جزء من هذا الكتاب أو إعادة
طبعه أو تصويره أو اختزان مادته العلمية
بأى صورة دون موافقة كتابية من الناشر .

الناشر : **الإقازوق الحاشية للطباعة والنشر**

خلف ٦٠ ش راتب باشا - حدائق شبرا

ت: ٤٣٠٧٥٢٦ - ٢٠٥٥٦٨٨ القاهرة

اسم الكتاب : **تفسير القرآن العزيز**

تأليف : **أبى عبد الله محمد بن عبد الله بن أبى زَمَنِين**

تحقيق : **حسين بن عكاشة و محمد مصطفى الكنز**

رقم الإيداع: ١٧٧٧٨ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي: 977-5704-71-5

الطبعة : الأولى

سنة النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

طباعة : **الإقازوق الحاشية للطباعة والنشر**



تفسير سورة التحريم وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَيَّنَىٰ مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ تَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تُنُوبُوا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَتَّبِعْتِ عِدَلَاتٍ سَيُخَبِّرُ نَبِيَّتٍ وَأَنْبَاكَ﴾ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ الآية. وذلك أن حفصة زارت أباها، فرجعت فوجدت رسول الله مع مارية أم إبراهيم في البيت، فلما خرجت مارية دخلت حفصة على رسول الله ﷺ فقالت: أما إنني قد رأيت من كانت معك في البيت. فقال: والله لأرضينك؛ هي علي حرام فلا تخبري بهذا (ل٣٦٦) أحدا. فانطلقت حفصة إلى عائشة فأخبرتها فأنزل الله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ...﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(١) يعني:

(١) رويت هذه القصة من طرق انظر تفسير ابن كثير (٣٨٦-٣٨٧/٤) والدر المنثور (٢٦٤/٦) - (٢٦٦) وتخريج الكشاف (٥٩/٤ - ٦١) وصحح بعض طرقه الحاكم (٤٩٣/٢) وابن كثير، وقال ابن حجر في الفتح (٥٢٥/٨): وهذه طرق يقوي بعضها بعضا. وروى البخاري (٥٢٤/٨ رقم ٤٩١٢) ومسلم (١١٠٠-١١٠٢ رقم ١٤٧٠٤) عن =

يَبَيِّنُ ﴿تَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ وهو قوله في سورة المائدة: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ﴾^(١).

قَوْلُهُ: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بِخَلْقِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي أَمْرِهِ، فَأَمَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْكَفَّارَةِ فَكَفَّرَ يَمِينَهُ ﴿وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا...﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ تَفْسِيرُ الْكَلْبِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِحَفْصَةَ: أَلَمْ أَمُرْكَ أَنْ تَكْتُمِي سِرِّي وَلَا تَخْبِرِي بِهِ أَحَدًا، لِمَ أَخْبَرْتِ بِهِ عَائِشَةَ؟ وَذَكَرَ لَهَا بَعْضَ الَّذِي قَالَتْ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمْ يَذْكُرْهَا لَهَا.

قَالَ: ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَيْرُ﴾ قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ يَعْنِي: حَفْصَةَ وَعَائِشَةَ ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ أَي: زَاغَتْ إِلَى الْإِثْمِ، فَأَمَرَهُمَا بِالتَّوْبَةِ ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا﴾ أَي: تَعَاوَنَا ﴿عَلَيْهِ﴾ عَلَى النَّبِيِّ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ وَلِيَّهُ فِي الْعَوْنِ لَهُ ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ وَلِيَّهُ ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَهُمْ النَّبِيُّونَ ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ مَعَ ذَلِكَ ﴿ظَهِيرُ﴾ أَي: أَعْوَانٌ لَهُ، يَعْنِي: النَّبِيُّ. قَوْلُهُ: ﴿قَانَتَاتٍ﴾ يَعْنِي: مَطِيعَاتٍ ﴿سَائِحَاتٍ﴾ يَعْنِي: صَائِمَاتٍ ﴿ثِيَابٍ وَأَبْكَارًا﴾.

قَالَ مُحَمَّدٌ: يَقَالُ: امْرَأَةٌ ثَيِّبَةٌ وَثَيِّبٌ أَيْضًا بَيْنَةُ الثَّيِّبِ، وَيُكْرَهُ بَيْنَةُ الْبَكَارَةِ.

= عَائِشَةُ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا. قَالَتْ: فَتَوَاطَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنْ آيْتَنَا مَا دَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فَلْتَقُلْ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ، أَكَلْتُ مَغَافِيرَ؟ فَدَخَلَ عَلَى إِحْدَاهُمَا فَقَالَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَلَنْ أَعُودَ. فَتَزَلْ: «لَمْ تَحْرَمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...» إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنْ تَتُوبَا﴾ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ ﴿وَإِذَا أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ لِقَوْلِهِ: بَلْ شَرِبْتُ عَسَلًا.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا...﴾ الآية. قال زيد بن أسلم: «لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، هذا نقي أنفسنا، فكيف نقي أهلينا؟ قال: تأمرونها بطاعة الله».

قوله: ﴿وقودها الناس﴾ يعني: حطبها الناس ﴿والحجارة﴾ أي: تأكل الناس وتأكل الحجارة في تفسير الحسن، وهي حجارة من كبريت أحمر ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾ على أعداء الله.

قال أبو العوام: الملك منهم في يده مرزبة من حديد لها شغبتان يضرب بها الضربة؛ فيهوي بها سبعون ألفا.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْلِذُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تَجْزُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبَشِ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم﴾ وهذا يقال لهم يوم القيامة ﴿إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا.

﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا﴾.

يحيى: عن حماد، عن سماك بن حرب، عن النعمان بن بشير قال: «سألت عمر بن الخطاب عن التوبة النصوح. قال: هي أن يتوب العبد من

الذنب ثم لا يعود فيه»^(١).

﴿عسى ربكم﴾ وعسى من الله واجبة ﴿أن يكفر عنكم سيئاتكم﴾.

قال محمد: من قرأ (نُصُوْحًا) يفتح النون فعلى صفة التوبة، ومعناه: توبة بالغة في النصح، ومن قرأ (نُصُوْحًا) بضم النون فمعناه: ينصحون فيها نُصُوْحًا^(٢)، يقال: نَصَحْتُ لَهُ نُصْحًا وَنُصُوْحًا^(٣).

يحيى: عن الفرات، عن عبدالكريم، عن زياد بن الجراح، عن [عبدالله]^(٤) بن معقل قال: «كان أبي عند عبدالله بن مسعود فسمعتة يقول لعبدالله: أسمعت رسول الله يقول: الندم توبة؟ قال: نعم»^(٥).

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره (٣٠٣/٢) وابن أبي شيبة في المصنف، وهناد في الزهد (٢/٤٥٣-٤٥٤ رقم ٩٠١) وأحمد بن منيع في مسنده - كما في المطالب العالية (٤/١٧٥ رقم ٣٧٧٠) وإتحاف الخيرة (٦/٢٩٠ رقم ٥٨٦٩) - والطبري في تفسيره (٢٨/١٦٧) والحاكم (٢/٤٩٥) والبيهقي في الشعب (٥/٣٨٧ رقم ٧٠٣٤) من طرق عن سماك بن حرب به.

وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال ابن حجر في المطالب: هذا إسناد صحيح.

وقال البوصيري في الإتحاف: هذا إسناد صحيح.

(٢) قرأ الجمهور بفتح النون، وقرأ أبو بكر بضم النون. ينظر: السبعة (٦٤١)، والنشر (٢/٣٨٨).

(٣) وَنُصَاْحَةً أَيضًا. ينظر: لسان العرب (نصح).

(٤) في الأصل: عَبْدُ اللَّهِ. بالتصغير، والصواب: عبدالله - مكبرًا - بن معقل - بالعين المهملة والقاف - بن مقرن المزني أبو الوليد الكوفي، ترجمته في التهذيب (١٦٩/١٦-١٧٠).

(٥) رواه الإمام أحمد (١/٣٧٦، ٤٢٢-٤٢٣، ٤٣٣) والحميدي (١/٥٨-٥٩ رقم ١٠٥) والطيالسي (٥٠ رقم ٣٨١) وابن أبي شيبة (٩/٣٦١) وابن ماجه (٢/١٤٢٠ رقم ٤٢٥٢) والبخاري (٥/٣١٠ رقم ١٩٢٦) وأبو يعلى (٨/٣٨٠-٣٨٢ رقم ٤٩٦٩، ٩/١٣ رقم ٥٠٨١، ٩/٦٤ رقم ٥١٢٩) والشاشي في مسنده (١/٣٠٩-٣١٢ رقم ٢٦٩-٢٧٣) والحاكم (٤/٢٤٣) وأبو نعيم في الحلية (٨/٣١٢) والبيهقي (١٠/١٥٤) والقضاعي في مسند الشهاب (١/٤٢-٤٣ رقم ١٤، ١٣) من طرق عن عبدالكريم - وهو الجزري - به.

يحيى: عن سفيان الثوري، عن عاصم الأحول، عن الشعبي قال: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(١).

قوله: ﴿نورهم يسعى بين أيديهم﴾ أي: يقودهم إلى الجنة ﴿وبأيامانهم﴾ كتبهم هي بُشراهم بالجنة ﴿يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾ قال مُجاهد: يقولونه حين يُطفأ نور المنافقين.

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾ تفسير قتادة: يعني: جاهد الكفار بالسيف، واغلظ على المنافقين بالحدود.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾^(١١) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبَنِيَ لِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبَنِيَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(١٢) وَنَزَّهَ ابْنُ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهَا

وَكَانَتْ مِنَ الْغَنِيِّينَ^(١٣) ﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا...﴾ إلى قوله: ﴿فخانتاهما﴾ تفسير ابن

= وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه اللفظة.

قلت: قد اختلف في شيخ عبد الكريم، فقال بعض الرواة: «عن زياد بن الجراح» كما هنا، وقال بعضهم: «عن زياد بن أبي مریم» ورجح غير واحد من الأئمة «عن زياد بن الجراح» انظر: التاريخ الكبير (٣/٣٧٣-٣٧٥) وعلل ابن أبي حاتم (٢/١٠١-١٠٢ رقم ١٧٩٧) وعلل الدارقطني (٥/١٩٠-١٩٣ رقم ٨١٣) وموضح أوهام الجمع والتفريق (١/٢٤٧-٢٦٣) وتهذيب الكمال (٩/٥١١-٥١٤) وللحديث طرق أخرى عن ابن مسعود وغيره.

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/٣١٨) من طريق قيس عن عاصم الأحول عن الشعبي قال: «كان يقال...».

عباس: كانتا منافقتين تُظهِران الإيمان، وتُسرّان الشرك ﴿فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً﴾ لم يُغنِ عملُ نوح وُلوط - عليهما السلام - عن امرأتَيْهما من الله شيئاً؛ وهذا مثل ضربه الله يحذر حفصة وعائشة للذي (كان)^(١) مما قص في أول السورة، وضرب لهما أيضاً مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون ومريم، يأمرهما بالتمسك بطاعة الله وطاعة رسوله؛ وهو قوله: ﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأت فرعون إذ قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله﴾ (ل٣٦٧) تسأل الثبات على الإيمان فامرأة فرعون ومنزلتها عند الله لم تُغنِ عن فرعون من الله شيئاً؛ إذ كان كافراً.

قال: ﴿ومريم ابنت عمران التي أحصنت فرجها﴾ يعني: جَنِبَ دِرْعَها عن الفواحش ﴿ففخنا فيه من روحنا﴾ تناول جبريل جَنِيَّها بإصبعه، فنفخ فيه، فصار إلى بطنها فحملت قال: ﴿وصدّقت بكلمات ربها وكتابها﴾^(٢) يعني: جميع الكتب؛ في تفسير الحسن: ﴿وكانت من القانتين﴾ من المطيعين لربها. قال محمد: العرب تقول للعفيف: هو نقي الثوب، وهو طيّب الحُجْزة^(٣).



(١) مشتبهة في الأصل، ولعلها كما أثبتها.

(٢) قرأ البصريان وحفص ﴿كُتِبَ﴾ بضم الكاف والتاء من غير ألف على الجمع، وقرأ الباقون ﴿كُتِبَ﴾ بكسر الكاف، والتاء وألف بعدها على التوحيد. النشر (٣٨٩/٢) وإتحاف الفضلاء (٥٤٩).

(٣) لسان العرب (حجز).

تفسير سورة الملك وهي مكتبة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ يَبْلُوَكُمْ أَتَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

قوله: ﴿تبارك﴾ هو من باب البركة ﴿الذي بيده﴾ أي: في يده ﴿الملك﴾. ﴿ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿أيكم أحسن عملاً وهو العزيز﴾ في نعمته ﴿الغفور﴾ لمن آمن.

﴿الذي خلق سبع سماوات طباقاً﴾ بعضها فوق بعض، غُلِظَ كل سماء منها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام ﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾ أي: اختلاف؛ يعني: مستوية ﴿فارجع البصر﴾ أي: فانظر إلى السماء ﴿هل ترى من فطور﴾ من شقوق؛ أي: أنك لا ترى فيها شقوقاً.

قال محمد: من كلام العرب: فطر نابُ البعير إذا شقَّ اللَّحْمَ فظهر^(١). ﴿ثم ارجع البصر كرتين﴾ مرة بعد مرة ﴿ينقلب إليك البصر﴾ يرجع إليك

(١) لسان العرب (فطر).

البصر ﴿خاسئًا﴾ فاترًا ﴿وهو حسير﴾ أي: كليل قد أغيا لا يجد منقذاً.
قال محمد: ﴿خاسئًا﴾ أصل الكلمة: الإبعاد، تقول: خسأت الكلب إذا أبعدته^(١). وقوله: ﴿حسير﴾ حقيقة الكلمة: منقطع عن أن تلحق ما نظر إليه؛ وهو معنى قول يحيى. وقالوا: خسر الرجل وحسر؛ وهو الإعياء الشديد^(٢).
﴿ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح﴾ وهي الكواكب ﴿وجعلناها﴾ يعني: الكواكب ﴿رجوماً للشياطين﴾ يعني: ما جعل منها رجوماً ﴿وأعدنا لهم﴾ أعدنا لهم ﴿عذاب السعير﴾ في الآخرة؛ يعني: للذين يرحمون من الشياطين.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَسَ الْمَصِيرُ ۖ﴾ إِذَا أَلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ نَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

﴿إِذَا أَلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتاً ﴿وهي تفور﴾ تغلي ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ﴾ أي: تبين بعضها من بعض وتنفرد تغيطاً على أعداء الله ﴿ألم يأتكم نذير﴾ نبي، ينذركم عذاب جهنم ﴿قالوا بلى﴾ ﴿إن أنتم﴾ يعنون: الرسل والمؤمنين ﴿إلا في ضلالٍ﴾ في الدين ﴿كبير﴾.

﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل﴾ لآمنا في الدنيا، فلم تكن من أصحاب

(١) لسان العرب (خسأ).

(٢) لسان العرب (حسر).

السعير، والسعير اسم من أسماء جهنم.

﴿فسحقاً﴾ فبُعْثًا ﴿لأصحاب السعير﴾.

قال محمد: ﴿سحقاً﴾ منصوب على المصدر؛ المعنى: أسحقهم الله سحقاً؛ أي: باعدهم من رحمته مبادعة^(١)، والسَّحِيقُ: البعيد، وتقول: سَحَقَ الرَّجُلُ وَسَحَقَ سُحُوقًا^(٢).

﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ في السر بذكر ذنوبه في الخلاء (...)^(٣) الله منها.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّكُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤) ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) ﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ (١٦) ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ (١٧) ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨)

﴿ألا يعلم من خلق﴾ على الاستفهام؛ أي: هو خلقكم، فكيف لا يعلم سركم وعلايتكم؟! ﴿وهو اللطيف﴾ بلطفه خلق الخلق ﴿الخبير﴾ بأعمال العباد.

﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا﴾ أي: سهل لكم السلوك فيها وذللها لكم ﴿فامشوا﴾ فامضوا ﴿في مناكبها﴾ طرقها؛ وهو تفسير الحسن ومجاهد

(١) وقيل: منصوب على المفعول به؛ أي: ألزمهم الله سحقاً. الدر المصون (٦/٣٤٣).

(٢) واختلف النحاة في (سحقاً) مصدراً لفعل ثلاثي أو رباعي. ينظر ذلك من الدر المصون (٦/٣٤٣)، لسان العرب (سحق).

(٣) كلمتان غير واضحتين في الأصل، والمراد: «فيتوب إلى الله» والله أعلم.

﴿وكلوا من رزقه﴾ الذي أحلّ لكم ﴿وإليه النشور﴾ البعث.

﴿أأنتم من في السماء﴾ على الاستفهام؛ يعني: نفسه ﴿أن يخسف بكم الأرض﴾ أي: أنكم تأمنون ذلك، قال: ﴿فإذا هي﴾ قبل أن تخسف بكم ﴿تمور﴾ تحرك حتى يخسف بكم ﴿أم أمتم﴾ أي: أأنتم؟ ﴿من في السماء﴾ يعني: نفسه؛ أي: لا تأمنون ﴿أن يرسل عليكم حاصباً﴾ كما حسب قوم لوط؛ يعني: الحجارة التي أمطرها عليهم (...)(١).

(ل٣٦٨) ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ قبل قومك يا محمد ﴿فكيف كان تكبر﴾ على الاستفهام؛ أي: كان شديداً؛ وتكبري: عقوبي.

قال محمد: ذكر ابن مجاهد^(٢) أن ورشاً روى عن نافع: ﴿نذيري﴾ و﴿تكبري﴾ بياء في الوصل. قال: قرأ الباقون بكسر الراء من غير ياء في وصل ولا وقف^(٣).

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتْ وَيَقِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾
أَمِنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُمْ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى
وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمِنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

(١) طمس في الأصل نحو ثلاثة أرباع سطر.

(٢) كتاب السبعة (٦٤٥).

(٣) النشر (٣٨٩/٢) والقرطبي (٢١٧/١٨).

﴿أَو لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ﴾ بأجنحتها؛ أي: قد رأوها. ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ يعني: إذا وقف الطائر صافاً بجناحيه لا يزول؛ في تفسير بعضهم.

﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جَنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ على الاستفهام إن أراد عذابكم، أي: ليس أحدٌ ينصركم من دونه ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ﴾ ما الكافرون ﴿إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ يعني: في غرور الشيطان ﴿بَلْ لَجُوا فِي عْتَوٍ﴾ وهو الشرك ﴿وَنَفُورٍ﴾ عن الإيمان.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مَكْبًا عَلَى وَجْهِهِ﴾ لا يبصر موضع قدميه؛ وهذا مثلٌ للكافر ﴿أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ عدلاً يبصر حيث يسلك، وهذا مثل المؤمن؛ أي: أن المؤمن أهدى من الكافر.

قال محمد: يقال: اكْبَّ على وجهه بالألف، وكَبَّه الله بغير ألف^(١).
﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: أقلكم من يؤمن .

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِی اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَامِنًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يعني: علم الساعة لا يعلم قيامها إلا هو ﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ﴾ أنذركم عذاب الله ﴿مُبِينٌ﴾ أبين لكم عن الله ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ يعني:

(١) ويقال أيضاً: انكبَّ على وجهه. لسان العرب (كيب)، الدر المصون (٦/٣٤٧).

العذاب ﴿زلفة﴾ قريبًا ﴿سيت وجوه الذين كفروا﴾ ساء العذاب وجوههم ﴿وقيل﴾ لهم عند ذلك ﴿هذا الذي كنتم به تدعون﴾ لقولهم: ﴿اتنا بعذاب الله﴾^(١) استهزاء وتكذيبًا.

قال محمد: ذكر أبو عبيد أن من القراء من قرأ: (الذي كنتم به تدعون) خفيفة^(٢)؛ لأنهم كانوا يدعون بالعذاب في قوله: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة...﴾^(٣) الآية، قال: وقرأ أكثرهم (تدعون) بالتشديد^(٤)، قال: وهي القراءة عندنا، والتشديد مأخوذ من التخفيف (تدعون) تفعلون، و(تدعون) تفتعلون مشتقة منه^(٥).

قوله: ﴿قل﴾ يا محمد ﴿أرايتم إن أهلكني الله ومن معي﴾ من المؤمنين ﴿أو رحمتنا فمن يجير﴾ أي: يمنع ﴿الكافرين﴾ أي: ليس لهم مجير يمنعهم من عذاب الله ﴿فستعلمون﴾ يوم القيامة ﴿من هو في ضلال مبين﴾ أي: أنكم أيها المشركون في ضلال مبين.

﴿إن أصبح ماؤكم غورًا﴾ أي: قد غار في الأرض فذهب، والغور الذي لا يقدر عليه ولا تدركه الدلاء ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ جاء عن عكرمة: المعين الظاهر. قال الحسن: المعين: الذي أصله من العيون^(٦).

(١) العنكبوت: ٢٩ .

(٢) وهي قراءة الحسن وقتادة وأبي رجاء والضحاك ويعقوب وأبي بكر ونافع في رواية الأصمعي .
الدر المصون (٣٤٨/٦) وإتحاف الفضلاء (٥٥١) .

(٣) الأنفال: ٣٢ .

(٤) وهي قراءة العامة . الدر المصون (٣٤٨/٦) .

(٥) قيل: مأخوذ من الدعوى؛ أي: تدعون أنه لا جنة ولا نار . وقيل: مأخوذ من الدعاء؛ أي: تطلبون وتستعجلون . ينظر الدر المصون (٣٤٨/٦) .

(٦) لسان العرب (عين) .

قال محمد: ﴿غُورًا﴾ مضدّر موصوفّ به؛ تقول: ماءٌ غُورٌ وماءان غُورٌ ومياهٌ غُورٌ؛ كما تقول: هذا عدلٌ، وهذان عدلٌ، وهؤلاء عدلٌ^(١).

* * *

(١) وقيل: ﴿غُورًا﴾: خبر أصبح، وقيل: حال على تمام أصبح؛ جوّزه أبو البقاء، لكنه استبعده. الدر المصون (٦/٣٤٨).

تفسير سورة «ن» وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿بِۤتِّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ (١) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ
 مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٦﴾ إِنَّ
 رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَذُوَا
 لُو تَذْهَبْنَ فَيَذَرُوهُنَّ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِيعِ كُلَّ حَلَافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَامٍ بِنَعِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاجٍ لِلْغَيْرِ
 مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ
 ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِفُهُ عَلَىٰ غُرُطُوهُ ﴿١٦﴾

قوله: ﴿ن والقلم﴾ تفسير الحسن: يعني: الدواة والقلم هذا القلم الذي يكتب به، وبعضهم يقول: هو الحوت الذي عليه قرار الأرض^(١). ﴿وما يسطرون﴾ يكتبون؛ يعني: الملائكة ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾^(٢) (...) ^(٣) بهذا للنبي لقول المشركين له: إنه لمجنون، ومقرأ العامة بالوقف والإسكان ^(٣) ووقع القسم على القلم ﴿وما يسطرون﴾.

قال محمد: قراءة نافع (نون) ظاهرة في رواية قالون عنه، وروى غيره أنه

(١) وهذا القول يعود إلى الإسرائيليات المنكرة والصواب أن «ن» حرف من حروف الهجاء، انظر الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (٤٢٨ - ٤٢٩) والتبيان في أقسام القرآن لابن القيم (١٢٦ - ١٢٨).

(٢) كلمة مطموسة في الأصل، والمعنى ظاهر.

(٣) الدر المصون (٣٤٩/٦).

أخفاها؛ ذكره ابن مجاهد^(١).

﴿وإن لك لأجراً﴾ يعني: الجنة ﴿غير ممنون﴾ به، أي: لا يمن عليك به من أذى، في تفسير الحسن.

قال محمد: وقيل: معنى ﴿غير ممنون﴾: غير مقطوع، يقال: مننت الحبل إذا قطعته^(٢).

﴿وإنك لعلی خلق عظیم﴾ يعني: دين الإسلام ﴿فستبصر﴾ يوم القيامة ﴿ويبصرون﴾ يعني: المشركين، أي: سيبصرون أنك كنت المهتدي، وأنهم الضلال ﴿بأيكم المفتون﴾ يعني: أيكم الضلال؛ في تفسير الحسن بجعل الباء صلة^(٣).

﴿فلا تطع المكذبين﴾ كانوا يريدون أن يترك النبي ﷺ ما جاء به. ﴿ودوا لو تدهن فيدهنون﴾ تفسير بعضهم: يقول: لو تدهن في دينك فيدهنون في أديانهم، (...) ^(٤) (ل ٣٦٩) في الخير ﴿هماز﴾ أي: يهمز الناس، أي: يغتابهم ﴿مشاء بنميم﴾ يفسد ذات البين ﴿مناع للخير﴾ يمنع حق الله عليه ﴿معتد﴾ أي: ظالم ﴿أثيم﴾ أي: آثم ﴿عتل بعد ذلك﴾ أي: مع ذلك، والعتل: الفاحش ﴿زنيماً﴾ تفسير الحسن: الزنيماً: اللين الضريبة؛ يعني: الطبيعة.

(١) كتاب السبعة (٦٤٦).

أدغم الكسائي وأبو بكر عن عاصم بلا خلاف، وورش بخلاف عنه النون في الواو، وأظهرها الباقون. الدر المصون (٣٤٩/٦).

(٢) لسان العرب (متن).

(٣) أي: زائدة؛ وإلى هذا ذهب قتادة وأبو عبيدة معمر بن المثنى والأخفش وفيها أقوال آخر. ينظر: الدر المصون (٣٥١/٦) تفسير القرطبي (٢٢٩/١٨).

(٤) طمس في الأصل نحو خمس كلمات.

قال محمد: وقيل: الزنيم: المعروف بالشر؛ كما تعرف الشاة بزنمتها؛ يقال: شاة زنمة، وهو ما تعلّق عند خلوق المغزى^(١)، والعتل عند أهل اللغة: الغليظ الجافي^(٢). والله أعلم.

قوله: ﴿أَنْ كَانَ﴾ بأن كان ﴿ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾.

﴿أساطير الأولين﴾ يعني: كذب الأولين وباطلهم ﴿سنسبهم على الخرطوم﴾ على أنفه بسواد يوم القيامة يُعرف به.

﴿إِنَّا بَلَوْتُمُوهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْبَمُوا لِيَصْرِمْتَهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِبُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَعْدُوا عَلَيْنَا حَرْيَكَهُ إِنَّ كُنْهُم صَرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَى حَرٍِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَى رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿إنا بلوناهم﴾ يعني: أهل مكة ابتلوا بالجوع حين كذبوا النبي ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ تفسير الكلبي: أنهم كانوا أبناء قوم صالحين، وأن آباءهم كانوا جعلوا من جنتهم حظاً للمساكين وأبناء السبيل، فخلف من بعدهم

(١) لسان العرب (زنم). وقيل: الزنيم: الدعي يُنسب إلى قوم ليس منهم. الدر المصون (٦/٣٥٢).

(٢) لسان العرب (عتل). وقيل: العتل: الذي يحمل الناس ويجرهم إلى ما يكرهون من حبس وضرب. الدر المصون (٦/٣٥٢).

أبناؤهم، فقالوا: كبرنا وكثر عيالنا، فليس للمساكين عندنا شيء فتقاسموا ﴿ليصرمنها﴾ ليجذثها^(١) ﴿مصبحين﴾ أي: صبحًا ﴿ولا يستثنون﴾ أي: ولم يقولوا: إن شاء الله ﴿فطاف عليها طائف﴾ عذاب ﴿من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم﴾ الصريم بمعنى المصروم، وهو الهالك الذاهب.

﴿فتنادوا مضبحين﴾ حين أصبحوا ﴿وهم يتخافتون﴾ يتسارون بينهم ﴿ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾ أي: ألا تطعموا اليوم مسكينًا ﴿وغدوا على حرد قادرين﴾ على جد من أمرهم ﴿قادرين﴾ على جنتهم في أنفسهم.

قال محمد: والحرد أيضًا في اللغة: المنع، يقال منه: حاردت السنة إذا لم يكن فيها مطر، وحاردت الناقة إذا لم يكن لها لبن^(٢).

﴿فلما رأوها﴾ [خرابًا]^(٣) سوداء، وعهدهم بها بالأمس عامرة ﴿قالوا إنا لضالون﴾ أي: ضللنا الطريق، ظنوا أنها ليست جنتهم ثم أيقنوا أنها جنتهم. فقالوا: ﴿بل نحن محرومون﴾ خُرمنا خير جنتنا ﴿قال أوسطهم﴾ أعدلهم ﴿ألم أقل لكم لولا﴾ هلا ﴿تسبحون﴾ تستثنون ﴿كذلك العذاب﴾ أي: هكذا كان العذاب؛ كما قصصته عليكم يعني: ما عذبهم به من إهلاك جنتهم ﴿ولعذاب الآخرة أكبر﴾ من عذاب الدنيا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ يعني: قريشًا، رجع إلى قوله: ﴿إنا بلوناهم﴾ يعني: قريشًا ﴿لو كانوا يعلمون﴾ لعلموا أن عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَجَعَلُ السَّالِمِينَ كَالْجُرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

(١) أي: يقطعون ثمرتها. لسان العرب (جذذ).

(٢) لسان العرب (حرد).

(٣) لم يظهر آخر هذه الكلمة في التصوير، ولعلها كما أثبتها، والله أعلم.

﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ لَكُمْ فِيهِ لَمْ تَحْزَنُوا ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ آيَاتُنَا عَلَيْنَا بِالْعَمَىٰ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمْ تَحْزَنُوا ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَمْ شُرَكَاءُ فُلَانًا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا
صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ
تَرَهْمُهُمْ ذُلًّا وَقَدْ كَانُوا يَدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ
سَنَنْدِرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ
مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤٧﴾

﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ كالمشركين؛ أي: لا نفعل، ثم قال
للمشركين: ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ أي: ليس حكمنا أن نجعل المسلمين
في الآخرة كالمشركين ﴿أم لكم﴾ يقوله للمشركين ﴿كتاب فيه تدرسون﴾
تقرءون ﴿إن لكم فيه﴾ في ذلك الكتاب ﴿لما تخيرون﴾ أي: ما تخيرون
واللام صلة؛ أي: ليس عندكم كتاب تقرءون فيه إن لكم لما تخيرون ﴿أم لكم
إيماناً علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون﴾ أي: ما تحكمون،
يقول: أم حلفنا لكم بأن لكم ما تحكمون به. أي: لم نفعل ﴿سلهم أيهم
بذلك زعيم﴾ حميل يحمل عتاً لهم بأن لهم ما يحكمون يوم القيامة لأنفسهم؛
هذا لقول أحدهم: ﴿ولئن رُجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾^(١) للجنة إن
كانت جنة ﴿أم لهم شركاء﴾ خلقوا مع الله شيئاً أي: قد أشركوا بالله آلهة لم
يخلقوا معه شيئاً ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال قبل هذا ﴿أم لكم إيمان علينا
بالغة إلى يوم القيامة﴾ يعني: ببالغة يوم القيامة .

﴿يوم يكشف عن ساق﴾ قال مجاهد: كل كَرْب أو شدة فهو ساق^(٢) ومنه

(١) فصلت: ٥٠ .

(٢) لسان العرب (سوق):

قوله: ﴿والتفت الساق بالساق﴾^(١) أي: كرب الدنيا بكرب الآخرة^(٢).
 ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ﴿أي: ذليلة
 (...)﴾^(٣). (ل ٣٧٠) ويبقى المنافقون ظهورهم طبقًا واحدًا كأن فيها
 السفافيد^(٤) فيقولون: ربنا فيقول: كذبتُم قد كنتم تدعون إلى السجود وأنتم
 سالمون؛ وذلك أن سجودهم في الدنيا لم يكن لله، إنما كان رياء؛ حتى لا
 يقتلوا ولا تُسبى ذراريهم ﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ يعني: القرآن

(١) القيامة: ٢٩.

(٢) اختلف في تفسير هذه الآية، وروى البخاري في تفسير هذه الآية من صحيحه (٨/ ٥٣١) رقم
 (٤٩١٩) عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد
 له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود
 ظهره طبقًا واحدًا».

وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وغيرهما من طرق.

ولما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أن جميع ما في القرآن من آيات الصفات ليس
 عن الصحابة اختلاف في تأويلها، وأنه قد طالع التفاسير المنقولة عن الصحابة وما روه من
 الحديث، وطالع أكثر من مائة تفسير فلم يجد عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئًا من آيات
 الصفات أو أحاديث الصفات بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف، بل عنهم من تقرير ذلك
 وتثبيته شيء كثير، قال بعد ذلك -مجموع الفتاوى (٦/ ٣٩٤-٣٩٥)-: «وتمام هذا أني لم
 أجدهم تنازعوا إلا في مثل قوله تعالى ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ فروي عن ابن عباس وطائفة أن
 المراد به الشدة، إن الله يكشف عن الشدة في الآخرة، وعن أبي سعيد وطائفة أنهم عدوها في
 الصفات؛ للحديث الذي رواه أبو سعيد في الصحيحين، ولا ريب أن ظاهر القرآن لا يدل على أن
 هذه من الصفات؛ فإنه قال: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ نكرة في الإثبات لم يضافها إلى الله، ولم
 يقل عن ساقه، فمع عدم التعريف بالإضافة لا يظهر أنه من الصفات إلا بدليل آخر، ومثل هذا
 ليس بتأويل، إنما التأويل صرف الآية عن مدلولها ومفهومها ومعناها المعروف. اهـ.

قلت: فتصبح الآية من آيات الصفات بدليل الحديث، والله أعلم.

(٣) طمس في الأصل قدر سطر، ظهر منه بعض الكلمات علم منها أن القول الآتي هو بقية كلام
 لابن مسعود.

(٤) السُّفُود والسُّفُود - بالتشديد - حديدة ذات شعب معقفة، معروف يشوى به اللحم، وجمعه
 سفافيد لسان العرب (سفد).

وهذا وعيدٌ لمن كذب بالقرآن ﴿سنستدرجهم﴾ يعني: المكذبين ﴿من حيث لا يعلمون﴾ أي: نأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم ﴿وأملئ لهم﴾ أي: أطيل لهم وأمهلهم؛ حتى يبلغ الوقت الذي يعذبهم فيه ﴿إن كيدي متين﴾ شديد، وكيده: أخذه إياهم بالعذاب ﴿أم تسألهم﴾ يقول للنبي: أم تسأل المشركين على القرآن ﴿أجرًا فهم من مغرم مثقلون﴾ أي: قد أثقلهم الغرم؛ أي: أنك لم تسألهم أجرًا ﴿أم عندهم الغيب﴾ علم الغيب ﴿فهم يكتبون﴾ لأنفسهم الجنة إن كانت جنة؛ لقول أحدهم: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ ^(١) للجنة إن كانت جنة .

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ﴿٤٨﴾ ﴿لَوْلَا أَن تَدَارِكُم بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ لَنَبَذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: الذي يحكم عليك، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ يعني: يونس ﴿إذ نادى﴾ يعني: في بطن الحوت ﴿وهو مكظوم﴾ مكروب؛ وقد مضى تفسير قصة يونس. ﴿لولا أن تداركه نعمة من ربه﴾ فتاب ﴿لنبد بالعراء﴾ بالأرض ﴿وهو مذموم﴾ يعني: حين أخرج من بطن الحوت؛ في تفسير بعضهم.

قال محمد: العراء: الأرض التي لا توارى فيها بجبل ولا شجر. ﴿فاجتباها ربه﴾ فاصطفاه فأنقذه مما كان فيه ﴿فجعله من الصالحين﴾ . ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك﴾ لينفذونك ﴿بأبصارهم﴾ لشدة نظرهم عداوةً وبغضاً ﴿لما سمعوا الذكر﴾ .

قال محمدٌ: (يزلقونك) في اللغة معناه: يصرعونك^(١)، ومنه قول الشاعر:

يتقارضون إذا التقوا في مجلس نظراً يزيلُ مواطئُ الأقدام^(٢)

وقراءة نافع: (ليزلقونك) من: زلقتُ بفتح الياء^(٣).

قوله: ﴿ويقولون إنه﴾ يعنون: محمدًا ﴿لمجنون﴾ ﴿وما هو﴾ يعني:

القرآن ﴿إلا ذكرٌ للعالمين﴾ يذكرون به الآخرة والجنة والنار.



(١) يقال: زَلِقَ بكسر اللام وزَلَقته بفتحها، وقيل: زلقه وأزلقه بمعنى واحد. لسان العرب (زلق)، الدر المصون (٦/٣٦٠).

(٢) البيت من بحر الكامل، بلا نسبة في اللسان والتاج (قرض، زلق) وتهذيب اللغة (٨/٣٤٢، ٤٣٢) وفي رواية (في موطن) بدل (في مجلس).

(٣) وقرأ باقي السبعة بضم الياء. ينظر الدر المصون (٦/٣٦٠) والنشر (٢/٣٨٩).

تفسير سورة الحاقة وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا وَعَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٨ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ۝١٠ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُرُ فِي الْغَارَةِ ۝١١ لَنَجْجِلَهَا لَكُنْزًا تَذَكَّرُ ۝١٢ وَنَعْبَهَا أُذُنًا وَاعِيَةً ۝١٣﴾

قوله: ﴿الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة﴾ أي: أنك لم تدري ما الحاقة؟ حتى أعلمتكمها، والحاقة: اسم من أسماء القيامة أحقت لأقوام الجنة، وأحقت لأقوام النار.

يحيى: وبلغني أن كل شيء في القرآن (وما أدراك) فقد أدراه إياه وكل شيء (وما يدريك) فهو ما لم يُعلمه إياه بعد.

قال محمد: قوله: ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ اللفظ لفظ الاستفهام، والمعنى تفخيم شأنها؛ كما تقول فلان ما فلان^(١).

﴿كذبت ثمود وعاد بالقارعة﴾ تفسير الكلبي: القارعة اسم من أسماء القيامة ﴿فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية﴾ قال الكلبي: الطاغية: الصّاعقة التي أهلكوا

(١) ينظر: الدر المصون (٦/٢٥٣، ٦/٣٦١).

بها. ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ ﴿باردة شديدة البرد.

﴿عاتية﴾ عتت على خُزَّانها بأمر ربها كانت تخرج بقدر فعتت يومئذ على خُزَّانها، وهي ريح الدُّبور ﴿سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً﴾ أي: تباغاً ليس فيها تفكير، وكان ذلك من يوم الأربعاء إلى الأربعاء الآخر، والليالي سبع من ليلة الخميس إلى ليلة الأربعاء.

قال محمد: قوله: ﴿حسوماً﴾ يقال: هو من حسم الذاء؛ لأنه يكون مرة بعد مرة يتابع عليه بالكي. وقيل: المعنى: تحسمهم حسوماً؛ أي: تُذهِبهم وتُفنيهم^(١)؛ فالله أعلم.

﴿فترى القوم فيها صرعى﴾ أخبر عنهم ﴿كأنهم أعجاز نخل﴾ شبههم بالنخل التي قد انقعرت فوقعت، وقوله: ﴿خاوية﴾ يعني: بالية أخذت أبدانهم من أرواحهم، كالنخل الخاوية. وقوله: ﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ يعني: من (ل ٣٧١) بقية؛ أي: قد أهلكوا، فلا ترى منهم أحداً ﴿وجاء فرعون ومن قبله﴾ ممن كذب الرسل ﴿والمؤتفكات﴾ وهي قريات قوم لوط ﴿بالخاطئة﴾ يعني: الشرك ﴿فعصوا رسول ربهم﴾ عصى كل قوم رسول ربهم الذي أرسل إليهم ﴿فأخذهم أخذةً رابية﴾ شديدة، في تفسير مجاهد.

قال محمد: (رابية) المعنى: تزيد على الأخذات؛ وهو معنى قول مجاهد.

﴿إنالما طغى الماء﴾ على خُزَّانه بأمر ربه كان يخرج بقدر، فطغى يوم غرق الله قوم نوح ﴿حملناكم﴾ يعني: نوحاً ومن معه الذين من ذريتهم ﴿في الجارية﴾ يعني: السفينة ﴿لنجعلها لكم تذكرة﴾ فيذكرون أن جميع من في الأرض غرق غير أهل السفينة ﴿وتعيها أذنٌ واعية﴾ حافظة؛ وهي أذن المؤمن سمع التذكرة فوعاها بقلبه.

(١) وقيل غير ذلك. ينظر: لسان العرب (حسم)، الدر المصون (٦/٣٦٢).

قال محمدٌ: وَعَيْتُ العلمَ وَوَعَيْتُ ما قُلْتُ؛ أي: حفظته، وكذلك كل شيء حفظته في نفسك، ويقال لكل شيء حفظته في غير نفسك: أوعيته، ومنه أوعيت المتاع في الوعاء^(١).

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ۚ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۖ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۖ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۖ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ ۖ﴾^(١٧)

﴿فَإِذَا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ وهي النفخة الآخرة.

قال محمدٌ: القراءة (نفخة واحدة) بالرفع على ما لم يُسمَّ فاعله؛ المعنى نفخ نفخة واحدة في الصور^(٢).

﴿وحملت الأرض والجبال﴾ تحمل من أصولها فتذهب ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً واحدة﴾ تصير أرضاً مستوية ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ يعني: وقع العذاب بأهل العذاب ﴿وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية﴾ كقوله: ﴿وفتحت السماء فكانت أبواباً﴾^(٣) يعني: تشققها، والواهيّة: الضعيفة ليست في الشدة كما كانت ﴿والملك﴾ يعني: جميع الملائكة ﴿على أرجائها﴾ على حافات السماء يعني: أطرافها.

قال محمدٌ: رجا كل شيء: ناحيته مقصور، والثنية: رَجَوَان والجمع أرجاء^(٤).

(١) لسان العرب (وعى).

(٢) وهي قراءة العامة، وقرأ أبو السَّمال بالنصب، كأنه أقام الجار مقام الفاعل. الدر المصون (٦/٣٦٣).

(٣) النبأ: ١٩.

(٤) لسان العرب (رجو).

﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾ فوق الخلائق ﴿يومئذ ثمانية﴾ قال قتادة: هم اليوم أربعة من الملائكة، وهم يومئذ ثمانية.

يحيى: عن إبراهيم بن محمد، عن محمد بن المنكدر، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُذِنَ لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قزنه العرش، وبين شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة^(١)، يقول: سبحانك حيث كنت»^(٢).

(١) اختلفت روايات هذا الحديث في هذا التحديد، والمعروف ما هنا، والله أعلم.
(٢) إبراهيم بن محمد هو ابن أبي يحيى الأسلمي، متروك، وقد خالفه موسى بن عقبة؛ فرواه عن ابن المنكدر عن جابر بن عبد الله مرفوعاً.

رواه إبراهيم بن طهمان في مشيخته (٢١) عن موسى بن عقبة به.
ورواه أبو داود (٢٣٨/٥ - ٢٣٩ رقم ٤٦٩٤) وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٤/٤١٤) - والطبراني في الأوسط (١٩٩/٢) رقم ١٧٠٩، (٣٥٦/٤) رقم ٤٤٢١) وأبو الشيخ في العظمة (٣/٩٤٨ رقم ٤٧٦) وابن شاهين في فوائده (٩٧-٩٨ رقم ١٩) والخطيب في تاريخه (١٠/١٩٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٢٨٤ رقم ٨٤٦) من طريق أحمد بن حفص النيسابوري عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان به.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن محمد بن المنكدر إلا موسى بن عقبة، ولا عن موسى بن عقبة إلا إبراهيم بن طهمان، تفرد به أحمد بن حفص.

قال الذهبي في العرش (١/٧٤٥ رقم ٢١٣): إسناده صحيح.
وقال ابن كثير في تفسيره (٤/٤١٤): وهذا إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات.
وقال الهيثمي في المجمع (١/٨٠): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح.
وقال ابن حجر في الفتح (٨/٥٣٣): أخرجه أبو داود وابن أبي حاتم من رواية إبراهيم بن طهمان عن محمد بن المنكدر، وإسناده على شرط الصحيح. اهـ.

وروى ابن عساكر (٤٣/٥٩-٦٠) من طريق صدقة بن عبدالله القرشي عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: إن لله ملائكة - وهم الأكروبيون - من شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطائر السريع في انحطاطه.

وروي عن محمد بن عجلان عن محمد بن المنكدر عن جابر وابن عباس. أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/١٥٨) من طريق جعفر بن عمر عن ابن عجلان به وقال: غريب من حديث =

يحيى: بلغني أن اسمه رزوفيل.

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا
 كِتَابِيَّةٌ ﴿١٩﴾ إِنِّي كُنْتُ مِنْ أُمَّةٍ مُلْكِي حِسَابِيَّةٍ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾
 قُطُوفُهَا دَابَّةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ اللَّائِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ
 بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يُبَلِّغُنِي لَمْ أُوْتِ كِتَابِيَّةٌ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيَّةٌ ﴿٢٦﴾ يُبَلِّغُنَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا
 أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خُدُوهُ فَقُلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ لَجَّجِمُ صَلْوُهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ
 ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَزُومُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْصُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ
 ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾
 ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ لا يخفى على الله من أعمالكم شيء.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فيعرف أنه من أهل الجنة ﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ﴾ أي
 هاكم ﴿اقْرءوا كتابيه﴾ وذلك حين يأذن الله له فيقرأ كتابه، فإذا كان الرجل في
 الخير رأساً يدعو إليه، ويأمر به ويكثر عليه تبعه، دعي باسمه واسم أبيه

= محمد عن ابن عباس لم نكتبه إلا من حديث جعفر عن ابن عجلان، وحديث جابر قد رواه
 عن محمد غيره

ورواه عبيد الله بن عبد الله بن المنكدر بن محمد، عن أبيه، عن أبيه، عن جده محمد بن
 المنكدر عن أنس بن مالك.

خرجه الطبراني في الأوسط (٣١٤/٦) رقم (٦٥٠٣) وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن
 محمد بن المنكدر عن أنس بن مالك إلا ابنه منكدر، تفرد به ولده عنه. ورواه إبراهيم بن
 طهمان، عن موسى بن عقبة، عن محمد بن المنكدر عن جابر. اهـ.

وقال الهيثمي في المجمع (٨٠/١) رواه الطبراني في الأوسط، وقال تفرد به عبد الله بن
 المنكدر قلت هو وأبوه ضعيفان. اهـ.

فيتقدم؛ حتى إذا دنا أُخرج له كتاب أبيض بخط أبيض في باطنه السيئات، وفي ظاهره الحسنات، فيبدأ بالسيئات فيقرؤها فيشفق ويتغير لونه، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك قد غفرت لك فيفرح ثم يقلب كتابه، فيقرأ حسناته فلا يزداد إلا فرحاً؛ حتى إذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك، وقد ضوعفت لك فيبيض وجهه، ويؤتى بتاج فيوضع على رأسه، ويكسى حُلَّتَيْن، ويُحَلَّى كل مفصل منه، ويُطوّل ستين ذراعاً، وهي قامة آدم ويقال: انطلق إلى أصحابك فبشرهم وأخبرهم أن لكل إنسانٍ منهم مثل هذا، فإذا أدبر قال: ﴿هاؤم﴾ أي: هاكم ﴿اقرأوا كتابيه إني ظننت﴾ علمت ﴿أني ملاقي حسابيه﴾ قال الله: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ أي: مرضية قد رضيها ﴿في جنة عالية قطوفها﴾ ثمارها ﴿وعناقيدها﴾ دانية ﴿أدنت منهم فيقول لأصحابه﴾^(١): هل تعرفونني؟ فيقولون قد غيرتك كرامة الله، من أنت؟ فيقول: [أنا فلان بن فلان، أبشر كل رجل]^(١) منكم بمثل هذا ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم﴾ قدمتم [في أيام الدنيا، و]^(١) إذا كان الرجل في الشر [رأساً]^(١) يدعو إليه (٣٧٢ل) ويأمر به فيكثر عليه تبعه، نودي باسمه واسم أبيه، فيتقدم إلى حسابة، فيخرج له كتاب أسود بخط أسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات، فيبدأ بالحسنات فيقرؤها فيفرح ويظن أنه سينجو؛ فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك وقد رُدّت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن، ويقنط من الخير، ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حُزناً ولا يزداد وجهه إلا سواداً، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك، وقد ضوعفت عليك؛ أي: يُضاعفُ عليه العذاب، ليس المعنى: أنه يزداد عليه ما لم يعمل.

(١) طمس في الأصل، والمثبت من تفسير القرطبي (٢٧١/١٨).

قال: فيعظم للنار وترقّ عيناه ويسودّ وجهه، ويكسى سراويل القطران ويقال له: انطلق إلى أصحابك؛ فأخبرهم إن لكل إنسان منهم مثل هذا. فينطلق وهو يقول: ﴿يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أذر ما حساييه يا ليتها كانت القاضية﴾^(١) يتمنى الموت ﴿هلك عني سلطانيه﴾ تفسير ابن عباس هلكت عني حُجَّتِي. قال الله: ﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه﴾ أي: اجعلوه يضلّى الجحيم ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً ﴿الله أعلم بأي ذراع﴾ فاسلكوه ﴿فيسلك فيها، تدخل من فيه حتى تخرج من دُبُرهِ، ولو أن حلقة منها وضعت على جبل لذاب؛ فينادي أصحابه: هل تعرفونني؟ فيقولون: لا ولكن قد نرى ما بك من الخِزْيِ فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان ابن فلان إن لكل إنسان منكم مثل هذا قال الله: ﴿فليس له اليوم ها هنا حميم﴾ أي: شفيق ينفعه ﴿ولا طعام إلا من غسلين﴾ يعني: غسالة أهل النار: القنيح والدم ﴿لا يأكله إلا الخاطئون﴾^(٢) المشركون.

قال محمد: الاختيار أن يوقف على الهاءات التي مضت في قوله ﴿كتابيه﴾ ﴿حساييه﴾ و﴿ماليه﴾ و﴿سلطانيه﴾ وتوصل، وقد حذفها قوم في الوصل؛ وهو خلاف المصحف ذكره الزّجاج^(١).

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢٨) ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٣٩) ﴿إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠) ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ﴾
 ﴿شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ﴾ (٤١) ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ (٤٢) ﴿مِنْ رَبِّ الْآلَمِينَ﴾ (٤٣) ﴿وَلَوْ نَقُولُ﴾
 ﴿عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَالِ﴾ (٤٤) ﴿لَاخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥) ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٤٦) ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾

(١) قراءة العامة بالهاء فيهن وقفاً ووصلاً، وقرأ يعقوب بحذف الهاء في الوصل وإثباتها في الوقف فيهن، ووافقه حمزة في ﴿ماليه﴾ و﴿سلطانيه﴾ و﴿ماهيه﴾. النشر (١٤٢/٢) تفسير القرطبي (٢٦٩/١٨).

عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَلَّذِكْرُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَعَلَّمْنَا أَنْ مِنْكُمْ مُكْذِبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

قوله: ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ أقسم بكل شيء أن القرآن ﴿لقول رسول كريم﴾ على الله؛ يعني: محمدًا ﷺ. ﴿وما هو﴾ ما القرآن ﴿بقول شاعر قليلًا ما تؤمنون﴾ أقلكم من يؤمن ﴿ولا بقول كاهن قليلًا ما تذكرون﴾ أقلكم من يتذكر أي: يؤمن ﴿تنزيل﴾ يعني: القرآن ﴿من رب العالمين﴾. ﴿ولو تقول علينا﴾ يعني: محمدًا ﴿بعض الأقاويل﴾ فزاد في الوحي أو نقص منه ﴿لأخذنا منه باليمين﴾ أي: بالحق عقوبة، وتفسير الحسن: يقول: لقطعنا يده اليمنى ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ وهو العرق الذي القلب معلق به فإذا انقطع مات الإنسان ﴿فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين﴾. قال محمدٌ: (حاجزين) من نعت (أحد)^(١)، و(أحد) في معنى جميع؛ المعنى فما منكم قوم يحجزون عنه^(٢).

﴿وإنه﴾ يعني: القرآن ﴿للتذكرة للمتقين﴾ هم الذين يقبلون التذكرة ﴿وإنه﴾ يعني: القرآن ﴿لحسرة على الكافرين﴾ يوم القيامة، إذ لم يؤمنوا به في الدنيا ﴿وإنه﴾ يعني: القرآن ﴿لحق اليقين﴾ أنه من عند الله ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾.

قال محمد: التسبيح معناه: تنزيه الله من السوء وتبرئته تبارك وتعالى.



(١) وقيل: خبر (ما) الحجازية، و(من أحد) اسمها. ينظر: الدر المصون (٦/ ٣٧٠).

(٢) لفظ (أحد) يعم في سياق النفي، كسائر النكرات الواقعة في سياق النفي قاله الزمخشري والحويني. الدر المصون (٦/ ٣٧٠).

تفسير سورة سأل سائل
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَزَنُّهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾

قوله: ﴿سأل سائل﴾ العامة يهملونها من باب السؤال^(١)، قال الحسن: إن المشركين قالوا للنبي ﷺ لِمَنْ هذا العذاب الذي تذكر أنه يكون في الآخرة؟ فقال الله: ﴿سأل سائل بعذاب﴾ أي: عن عذاب ﴿واقع للكافرين﴾ وكان بعضهم يقرؤها: (سال سيل) بغير همز من باب السيل، وقال: هو واد من نارٍ يسيل^(٢)، ﴿بعذاب واقع﴾ للكافرين ﴿ليس له دافع﴾ يدفعه ﴿من الله ذي المعارج﴾ ذي المراقي إلى السماء ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم﴾ يعني: يوم القيامة ﴿كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ يقول هذا كان مقداره [لو ولي]^(٣) غير الله حساب الخلائق، والله (...)^(٤) تعالى يفرغ منهم في مقدار

(١) قرأ المدنيان وابن عامر بألف محضة، والباقون بهمزة محققة مفتوحة، وهي الأصل. ينظر: النشر (٢/ ٢٩١)، الدر المصون (٦/ ٣٧٢).

(٢) وهي قراءة ابن عباس أي قراءة (سال سيل). ينظر الدر المصون (٦/ ٣٧٢).

(٣) طمس في الأصل، والمثبت من تفسير البغوي (٨/ ٢٢١).

(٤) طمس في الأصل.

(ل ٣٧٣) نصف يوم من أيام الدنيا وهو قوله: ﴿وهو أسرع الحاسبين﴾^(١) ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ ليس فيه (جزع)^(٢) على تكذيب المشركين لك ﴿إنهم يرونه بعيداً﴾ يعني: يوم القيامة، يقولون: ليس بكائن ﴿ونراه قريباً﴾ جاثياً وكل ما هو آت قريب. ﴿يوم تكون السماء﴾ أي: ذلك يوم تكون السماء ﴿كالمهل﴾ كعكر الزيت؛ في تفسير زيد بن أسلم ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف، وهي في حرف ابن مسعود (كالصوف الأحمر المنفوش)^(٣) ﴿ولا يسأل حيمم حميماً﴾ تفسير الحسن: لا يسأل قريب قريبه أن يحمل عنه من ذنوبه شيئاً؛ كما كان يحمل بعضهم في الدنيا عن بعض. قال محمد: الحميم: القريب، والحميم أيضاً: الماء الشديد الحر^(٣).

﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ ١١ ﴿يُصْرَوْنَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْقَدُونَ مِنْ عَذَابٍ يَوْمِهِمْ يَنْبِئُهُ﴾ ١٢ ﴿وَصَحْبَتُهُ وَأَخِيهِ﴾ ١٣ ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ ١٤ ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ١٥ ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَىٰ﴾ ١٦ ﴿نَزَاعَةً لِّلشَّوٰى﴾ ١٧ ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ ١٨ ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ ١٩ قوله: ﴿يُصْرَوْنَهُمْ﴾ يبصر الرجل قرابته؛ أي: يعرفهم في بعض المواطن، وفي بعضها لا يعرف بعضهم بعضاً ﴿يود المجرم﴾ يعني: المشرك، ومعنى (فصيلته): عشيرته، ومعنى (تؤويه): تنصره في الدنيا ﴿ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيهِ﴾ ذلك من عذاب الله. ﴿كلا إنها لظلى نزاعة﴾ يعني: أكلة للشوى ﴿يعني: الهام﴾^(٤) في تفسير الحسن ﴿تدعو من أدبر﴾ عن الإيمان

(١) الأنعام: ٦٢.

(٢) مشتبهة في الأصل.

(٣) لسان العرب (حمم).

(٤) الواحدة: هامة، وهي الرأس، وقيل: أعلاه أو وسطه. لسان العرب (هوم).

﴿وتولّى﴾ عن طاعة الله ﴿وجمع فأوعى﴾ يعني: جمع المال فأوعاه .

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُسْلِمِينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَ الَّذِينَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْؤُسِهِمْ حَفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَّمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿إِنَّ الإنسان﴾ يعني: المشرك ﴿خلق هلوعًا﴾ يعني: ضَجِرًا ﴿إذا مسه الشر﴾ يعني: الشدة ﴿جزوعًا﴾ لم يصبر ليست له فيها حِسْبَةٌ ﴿وإذا مسه الخير﴾ يعني: إذا أعطي المال ﴿منوعًا﴾ أي: يمنع حق الله فيه . ﴿إلا المصلين﴾ يعني: المسلمين ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ يدومون عليها في تفسير الحسن ﴿والذين في أموالهم حق معلوم﴾ وهي الزكاة المفروضة ﴿للسائل والمحروم﴾ تفسير الحسن: السائل: المسكين الذي يسأل عند الحاجة، والمحروم: الفقير الذي لا يسأل على حال فحرم أن يُعطى عن المسألة؛ كما يُعطى السائل، وإن أُعطي شيئًا قبل . ﴿والذين يصدقون بيوم الدين﴾ بيوم الحساب ﴿والذين هم من عذاب ربهم مشفقون﴾ خائفون .

﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾ وراء أزواجهم أو ما ملكت أيماهم ﴿فأولئك هم العادون﴾ الزناة تعدّوا الحلال إلى الحرام ﴿والذين هم لأماناتهم﴾ يعني: ما افترض الله عليهم، والأمانات فيما بينهم وبين الناس ﴿وعهدهم﴾ ما عاهدوا

عليه ﴿راعون﴾ حافظون؛ يعني: يؤدون الأمانات، ويوفون بالعهد فيما بينهم وبين الناس فيما وافق الحق ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ وهي شهادات فيما بين الناس يقومون بها إذا كانت عندهم ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ على وضوئها ومواقيتها وركوعها وسجودها.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِكَ مَهْطِعِينَ﴾ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٣٩) فَلَا أَفْسِمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِيرُونَ (٤٠) عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)

﴿فمال الذين كفروا قبلك مهطعين﴾ يعني: منطلقين يأخذون يمينًا وشمالًا، يقولون: ما يقول هذا الرجل؟ ﴿عزِينَ﴾ أي: متفرقين - في تفسير الحسن - عن النبي يكذبون بما جاء به.

قال محمد: (مهطعين) منصوب على الحال^(١)، و(عزِينَ) جمع عزة، والعزة: الجماعة^(٢).

﴿أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم﴾ لقول أحدهم: ﴿ولئن رُجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾^(٣) للجنة إن كانت جنة كما يقولون، قال الله: ﴿كلا﴾ ليسوا من أهل الجنة، ثم قال: ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾

(١) ينظر تفسير القرطبي (٢٩٣/١٨).

(٢) أي الجماعة المتفرقة قاله أبو عبيدة. وتجمع (العزة) أيضًا على عزى وعزِينَ وعزِينَ. لسان العرب (عزا) تفسير القرطبي (٢٩٤/١٨) الدر المصون (٣٧٩/٦).

(٣) فصلت: ٥٠.

يعني: من الثَّطَفِ. ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ قال قتادة: للشمس ثلاثمائة وستون مشرقاً وثلاثمائة وستون مغرباً ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ أي: على أن نهلكهم بالعذاب، ونبدل خيراً منهم آدميين أطوع لله منهم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بمغلوبين على ذلك أن أردناه ﴿فَذَرَهُمْ يَخْوضُوا﴾ في كفرهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ فقد قامت عليهم الحجة ﴿حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ يعني: يوم القيامة، ثم أمر بقتالهم. ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ الْقُبُورَ﴾ سراعاً ﴿إِلَى﴾ (١) صاحب الصور ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَى نَصَبٍ﴾ أي: إلى علم منصوب في قراءة من قرأها بنصب النون وإسكان الصاد (٢) ﴿يُوفَضُّونَ﴾ [يسرعون] (٣) ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارِهِمْ﴾ أي: ذليلة ترهقهم ﴿تَغْشَاهُمْ﴾ ذلة ذلك اليوم الذي [كانوا يوعدون] (١). (ل ٣٧٤).



(١) طمس في الأصل.

(٢) وهي قراءة العامة، وقرأ ابن عامر وحفص بضميتين. النشر (٢/٢٩٢)، الدر المصون (٦/

٣٨٠). وينظر في توجيه كل قراءة تفسير القرطبي (١٨/٢٩٦ - ٢٩٧)، الدر المصون (٦/

٣٨٠ - ٣٨١).

تفسير سورة إنا أرسلنا نوحا
وهي مكة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١) قَالَ يَقَوْمِ
إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا
وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَاعَهُمْ فِي
أُذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَآسَكَبُوا أَسْتِكَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ
إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانُمْ عَنْفَارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ فِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلَ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَجَعَلَ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾
قوله: ﴿إنا أرسلنا نوحا إلى قومه...﴾ إلى قوله: ﴿عذاب أليم﴾ أي:
موجب ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾ أي: يغفر لكم ذنوبكم كلها و(من) صلة^(١)
﴿ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ إلى مدتكم، فيكون موتكم بغير عذاب ﴿إن
أجل الله﴾ يعني: القيامة؛ في تفسير الحسن ﴿لو كنتم تعلمون﴾ لعلمتم أن
القيامة جائية ﴿وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم﴾ أي: كلما دعوتهم أن يتوبوا من
الشرك ويؤمنوا فتغفر لهم، أبوا ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ يتولون
ويكروهون ذلك. ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ غطوا رؤوسهم؛ لكي لا يسمعوا دعائي

(١) أي: زائدة، قاله السدي، وإليه ذهب ابن عطية الأندلسي وفي (من) أقوال نحوية آخر. ينظر:

تفسير القرطبي (٢٩٩/١٨) الدر المصون (٦/٣٨٢-٣٨٣).

إياهم إلى الإيمان ﴿وَأَصْرُوا﴾ أقاموا على الكفر ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادة الله ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا﴾ مجاهرة ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ أي: خلطت دعاءهم في العلانية بدعاء السر ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ أي: تدرّ عليكم بالمطر ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

قال محمد: ﴿جَنَاتٍ﴾ بساتين، وقيل: إنهم كانوا قد أُجذبوا فأعلمهم أن إيمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخصب والغنى في الدنيا.

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِيَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠) قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَرْكَبَهُ عَصَايَ وَأَتَّخِذُ مِنْ زُرْعَتِهِ مَلَأْتُ لَهُمُ الْأَرْضَ طَبَقًا (٢١) وَمَكْرُؤًا مَكَرًا كَبِيرًا (٢٢) ﴿

قوله: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ أي: لا تخافون لله عظمة ﴿وقد خلقكم أطوارًا﴾ تفسير قتادة: يعني: نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظمًا ثم لحماً.

قال محمد: (أطوارًا) أي: طورًا بعد طور، نقلكم من حال إلى حال، وهو معنى قول قتادة^(١). وقوله: ﴿ترجون﴾ تخافون، ومثله قول الشاعر:

محلتهم ذات الإله ودينهم قويم فما يرجون غير العواقب^(٢)

أي: ما يخافون إلا خواتم الأعمال. قوله: ﴿سبع سماوات طباقًا﴾ يعني: بعضها فوق بعض.

(١) وقيل غير ذلك. ينظر: تفسير القرطبي (٣٠٣/١٨) المحرر الوجيز (١٦/١٤٠).

(٢) البيت من بحر الطويل، وهو للناطقة الذبياني. ديوان النابتة (ص ٤٧) اللسان (جلل) تاج العروس (جل، حل) جمهرة اللغة (٤٩٢)، وفي رواية أخرى: مجلتهم.

قال محمد: (طباقًا) من نعت (سبع)؛ أي: خلق سبعًا ذات أطباق^(١).
﴿وجعل القمر فيهن نورا﴾ أي: معهن ضياء لأهل الأرض؛ في تفسير
الكلبي. ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتًا﴾ خلقكم من الأرض خلقًا؛ يعني:
خلق آدم.

قال محمد: (نباتًا) محمول في المصدر على المعنى؛ لأن معنى (أنبتكم):
جعلكم تنبتون نباتًا^(٢).

﴿ويخرجكم إخراجًا﴾ منها يوم القيامة ﴿لتسلكوا منها سبيلًا فجاجًا﴾ تفسير
قتادة: يعني: طرقًا يئنة.

﴿واتبعوا﴾ اتبع بعضهم بعضًا على التكذيب ﴿من لم يزد ماله وولده إلا
خسارًا﴾ عند الله باتباعهم إياه ﴿ومكروا مكرا كبارًا﴾ عظيمًا وهو الشرك.
قال محمد: يقال: مكرٌ كبيرٌ وكُبَارٌ في معنى واحد^(٣).

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا
كَبِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِمَّا خَطَبْتُمْ أَغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ
يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ

(١) ينظر المحرر الوجيز (١٢٥/١٦). وأجاز الفراء في غير القرآن جر (طباق) على النعت
لسموات بمعنى أنه يجوز أن تكون صفة للعدد تارة، وللمعدود أخرى. الدر المصون (٦/٣٨٤).
وقيل: نصب (طباقًا) على المصدرية وقيل: على الحالية: ينظر: تفسير القرطبي
(٣٠٤/١٨).

(٢) وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٦/٣٨٤).

(٣) ينظر لسان العرب (كبر) وقيل: كُبَار لغة يمانية. الدر المصون (٦/٣٨٥).

يَتَّقِ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٧٨﴾

﴿وقالوا لا تذرنا آلهتكم...﴾ إلى قوله: ﴿ونسرا﴾ وهي أسماء آلهتهم؛ أي: لا تدعوا عبادتها. ﴿وقد أضلوا كثيرا﴾ تفسير الحسن: يعني: الأصنام؛ أي: ضل كثير من الناس بعبادتهم إياها من غير أن تكون الأصنام دعت إلى عبادتها ﴿ولا تزد الظالمين﴾ المشركين ﴿إلا ضلالا﴾ هذا دعاء نوح على قومه حين أذن الله له بالدعاء عليهم ﴿مما خطيئاتهم﴾ أي: بخطاياهم ﴿أغرقوا فأدخلوا نارا﴾ أي: وجبت لهم النار.

قال محمد: (مما خطيئاتهم) قيل: إن المعنى: من خطيئاتهم، و(ما)^(١) زائدة.

﴿لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ أي: أحدا وهذا حيث أذن الله له بالدعاء عليهم ﴿ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ أي: أنهم إن ولدوا وليدا فأذكرك كفر وهو شيء علمه نوح من قبل الله، وهو قوله: ﴿وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن﴾^(٢) قال نوح: ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ قال الحسن: كانا مؤمنين ﴿ولمن دخل بيتي مؤمنا﴾ تفسير بعضهم: يعني: دخل (...)^(٣).

قال محمد: إسكان الياء من (بيتي) وفتحها جائز^(٤).

﴿وللْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (...)^(٥).

(١) أي: زائدة للتوكيد، ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة، وجعل (خطيئاتهم) بدلا، وفيه تعسف. ينظر: الدر المصون (٣٨٦/٦).

(٢) هود: ٣٦، ووقع في الأصل: «يا نوح...».

(٣) كلمة مطموسة في الأصل.

(٤) فتحها هشام وحفص، وأسكنها الباقون. ينظر: النشر (٣٩١/٢)، إتحاف الفضلاء (٥٥٨).

(٥) بياض في الأصل قدر نصف سطر.

تفسير سورة الجن وهي [مكية] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى
الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾
وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ
أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وهم (١) (٣٧٥٥) ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ أي: يبين سبيل الهدى ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ وكانوا قبل ذلك فيما ذكر على اليهودية. ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى﴾ ارتفع ﴿جَدُّ رَبِّنَا﴾ عظمته وكبرياؤه ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهًا﴾ وهو المشرك منهم ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ أي: جورًا وكذبًا قال الله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ تفسير الكلبي: أن رجالًا من الإنس كان أحدهم في الجاهلية إذا كان مسافرًا، فأمسى في الأرض القفر نادى: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، فبييت في مَنَعَةٍ منه حتى يصبح ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ زادت الجن لتعوذهم بهم إثمًا. ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ ظن المشركون من الجن ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يقوله للمشركين من الإنس ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾

(١) بياض في الأصل قدر نصف سطر، قال القرطبي في تفسيره (١/١٩): سورة الجن مكية في قول الجميع.

يجحدون البعث.

﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ (٨) ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾ (٩) ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (١٠) ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَارِقًا قَدَدًا﴾ (١١) ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزُهُ هَرَبًا﴾ (١٢) ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىءَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ (١٣)

﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَأَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ هذا قول الجن من كان يفعل ذلك منهم ﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ من السماء ﴿مَقَاعِدَ لِلْسَمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصَدًا﴾ أي: حَفَظَةً تَمْنَعُ مِنَ الْاسْتِمَاعِ. قال محمد: (الشهاب الرصد): الذي قد أُرْصِدَ بِهِ لِلرَّجْمِ (١)، (وشُهَبًا) جمع شهاب (٢).

قال يحيى: وكانوا يستمعون أخبارًا من أخبار السماء، وأما الوحي فلم يكونوا يقدرُونَ عَلَى أَنْ يَسْمَعُوهُ.

يحيى: عن عبيد الصمد قال: سمعت أبا رجاء العطاردي يقول: «كنا قبل أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ مَا نَرَى نَجْمًا يرمى به؛ فبينما نحن ذات ليلة إذا النجوم قد رُمِيَ بِهَا فَقُلْنَا: مَا هَذَا؟ إِنْ هَذَا إِلَّا أَمْرٌ حَدَثَ. فجاءنا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُعِثَ».

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ تفسير

(١) وجعل الزمخشري الرصد اسم جمع كخرس، على معنى ذوي شهاب راذين بالرجم. ينظر: الدر المصون (٦/٣٩٢).

(٢) لسان العرب (شهب).

الحسن: أنهم قالوا: هذا أمرٌ حدث حين رمي بالنجوم، فلا ندري أشرُّ أراد الله بأهل الأرض أن يهلكهم أم أراد بهم ربهم رشدًا، أم أحدث لهم منه نعمة وكرامة؟ ﴿وأنا منا الصالحون﴾ المؤمنون ﴿ومنا دون ذلك﴾ يعنون: المشركين ﴿كنا طرائق قِدْدًا﴾ وفي الجن مؤمنون ويهود ونصارى ومجوس وعبد الأوثان.

قال محمد: (طرائق) أي: كُتًا فرقًا^(١)، والقِدْدُ: جمع قِدة، وهي بمنزلة قطعة وقطع^(٢).

قوله: ﴿وأنا ظننا﴾ علمنا ﴿أن لن نعجز الله﴾ أن نسبق الله حتى لا يقدر علينا؛ فيبعثنا يوم القيامة. ﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾ القرآن ﴿أما به﴾ صدقنا به. ﴿فلا يخاف بخسًا﴾ يعني: أن يُنْقَصَ من عمله ﴿ولا رهقًا﴾ ظلمًا أن يزداد عليه ما لم يعمل.

قال محمد: أصل (الرَّهَق) في اللغة: العيبُ والظلم؛ يقال: رهق وترهق في دينه إذا ظلم^(٣).

﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ ١٤ ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ ١٥ ﴿وَالَّذِي اسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ ١٦ ﴿لِنَقْنِئَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ ١٧ ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا

(١) وقيل غير ذلك. ينظر: الدر المصبوع (٣٩٣/٦)، تفسير القرطبي (١٥/١٩).

(٢) والقِدْدُ أصلها من قَدَّ السُّيُور؛ أي: قطعها. ينظر: لسان العرب (قدد)، تفسير القرطبي (١٩/١٥).

(٣) ينظر: لسان العرب (رهق). وقيل: الرَّهَق: العدوان وغشيان المحارم. تفسير القرطبي (١٩/١٧).

مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾

﴿وَأَمَّا القاسطون﴾ الجائرون عن الهدى.

قال محمدٌ: يقال: قَسَطَ إذا جار، وأَقْسَطَ إذا عدل (١).

﴿فأولئك تحروا رشدا﴾ أصابوا الرشد.

﴿وَأَلُّوا سِقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ عَلَى الْإِيمَانِ ﴿لَأَسْقِيَنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ أَي: لَأَوْسَعُنَا لَهُمْ مِنَ الرِّزْقِ؛ فِي تَفْسِيرِ الْحَسَنِ ﴿لَنَفْتَنَهُمْ فِيهِ﴾ لَنُخَبِّرَهُمْ فِيهِ؛ فَنَعْلَمُ كَيْفَ شُكْرِهِمْ.

قال محمدٌ: قالوا: غَدَقْتُ الْأَرْضَ وَأَغْدَقْتُ إِذَا ابْتَلَثْتُ، وَقَالُوا: مَطَرٌ غَيْدَاقٌ؛ أَي: كَثِيرٌ، وَسَنَةُ غَيْدَاقٍ إِذَا أَخْصَبَتْ (٢).

﴿نَسْلُكُهُ﴾ نَدَخْلُهُ ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ تَفْسِيرُ قَتَادَةَ: لَا رَاحَةَ فِيهِ.

قال محمدٌ: يقال: تَصَعَّدَنِي الْأَمْرُ إِذَا شَقَّ عَلَيَّ (٣).

﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾

قال محمدٌ: المعنى: وَلِأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ.

﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ تَفْسِيرُ الْحَسَنِ: قَالَ: يَقُولُ: لَيْسَ مِنْ قَوْمٍ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ يَقُومُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِلَّا وَهُمْ يَشْرِكُونَ بِاللَّهِ فِيهَا، فَأَخْلَصُوا لِلَّهِ.

(١) وعليه فالقاسط: الجائر، والمقسط: العادل. لسان العرب (قسط).

(٢) والغدق بفتح الدال وكسرهما لغتان. ينظر: لسان العرب (غدق)، الدر المصون (٦/٣٩٥).

(٣) ومنه قول عمر بن الخطاب: «ما تصعدني شيء ما تصعدني خطبة النكاح» أي: ما شق علي ولا غلبي. ينظر: لسان العرب (صعد)، تفسير القرطبي (١٩/١٩)، الدر المصون (٦/٣٩٥).

﴿وأنه لما قام عبد الله﴾ (...)(١) ﴿يدعوه﴾ يدعو الله ﴿كادوا﴾ كاد المشركون ﴿يكونون عليه لبدا﴾ تفسير (...)(١) من الحرد عليه .
قال محمد: كل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً شديداً [فقد لبّدته](٢) .

﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ (٢١) ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَضَعُ نَاصِرًا وَاقِلٌ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدرِيتُ أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لِرَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾
﴿[قل إنني لا أملك لكم] ضراً﴾ أن أدخلكم في الكفر ﴿ولا رشداً﴾ أن أكرهكم على الهدى ﴿قل إنني لن يجيرني [من الله أحد]﴾ (...)(٣) ﴿ولن أجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأً ألجأ إليه (٣٧٦) ﴿إلا بلاغاً من الله﴾ (...)(٣) .

﴿فسيعلمون من أضعف ناصراً﴾ أي: أنكم أيها المشركون لا ناصر لكم
﴿وأقل عدداً﴾ أي: يفرد كل إنسان بعمله .

﴿قل إن أدري أقرب ما توعدون﴾ أيها المشركون من مجيء الساعة ﴿أم يجعل له ربي أمداً عالم الغيب﴾ والغيب ها هنا في تفسير قتادة: الوحي ﴿فلا

(١) بياض في الأصل قدر أربع كلمات .

(٢) بياض بالأصل . والمثبت من تفسير القرطبي (٢٣/١٩-٢٤) .

(٣) بياض في الأصل .

يظهر على غيبه أحدًا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴿ من الملائكة يحفظونه حتى يبلغ عن الله الرسالة ﴾ ﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ ﴿ليعلم ذلك الرسول أن الرسل قبله قد بلغوا رسالات ربهم﴾ ﴿وأحاط﴾ الله ﴿بما لديهم﴾ يعني: ما أرسلوا به فلا يوصل إليهم؛ حتى يبلغوا عن الله الرسالة ﴿وأحصى كل شيء﴾ من خلقه ﴿عدداً﴾ .

قال محمد: (عدداً) حال؛ المعنى: وأحصى كل شيء في حال العدد^(١).



(١) وقيل: منصوب على التمييز المنقول من المفعول به، وقيل: على المصدر من المعنى، لأن (أحصى) بمعنى (عد). ينظر: تفسير القرطبي (٣١/١٩)، الدر المصون (٤٠٠/٦).

تفسير سورة المزمل وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمُلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَتَبِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾

قوله: ﴿يا أيها المزمّل﴾ يعني: النبي ﷺ والمزمّل هو: المزمّل بشيابه. قال محمد: يقال: تَزْمَلُ فلانٌ إذا تَلَقَّفَ بشيابه، وكل شيء لُفِّفَ فقد زُمِلَ^(١)، وجاء عن ابن عباس أنه قال: يقول للنبي: يا أيها المزمّل بشيابه يعني: يلبسها للصلاة.

﴿قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه﴾.

قال محمد: (نصفه)؛ أي: قم نصفه.

﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ أي: ترسل فيه ترسلًا ﴿إنا سنلقي عليك قولاً

ثَقِيلًا﴾ تفسير قتادة: يعني: فرائضه وحدوده والعمل به ﴿إن ناشئة الليل﴾

قيام الليل قال ابن عباس: وهي بلسان الحبش، فإذا قام الرجل قالوا: قد

(١) لسان العرب (زمل)، الدر المصون (٤٠٤/٦)، تفسير القرطبي (٣٢/١٩).

نشأ فلان^(١). قال قتادة: وما كان بعد العشاء فهو من ناشئة الليل ﴿هي أشد وطئاً﴾ وهي تقرأ «وَطْأً» مفتوحة الواو مقصورة، ووطاء مكسورة الواو ممدودة، فمن قرأها ﴿ووطئاً﴾ بفتح الواو، فتفسيرها عند قتادة أثبت في الخير، ومن قرأها بكسر الواو والمد فتفسيرها عند ابن عباس أشد مواطأة للقلب لفراغه؛ لأن الأصوات تهدأ في الليل^(٢).

قال محمد: وطاء مصدّر واطأث، وأراد مواطأة القلب والسمع على الفهم للقرآن والأحكام لتأويله^(٣). وإليه ذهب يحيى.

وقوله: ﴿وأقوم قِيلاً﴾ أي أصدق في التلاوة وأجدر ألا يُلبس عليك الشيطان تلاوتك ﴿إن لك في النهار سبْحاً﴾ أي: فراغاً ﴿طويلاً﴾ لحوائجك ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ أخلص له إخلاصاً. ﴿رب المشرق والمغرب﴾ مشرق الشمس ومغربها ﴿فاتخذه وكيلاً واصبر على ما يقولون﴾ ما يقول لك المشركون، وهي منسوخة نسختها القتال^(٤).

﴿وذرنى والمكذبين أولي النعمة﴾ في الدنيا فسأعذبهم يوم القيامة، وهذا وعيد؛ يقال: إنها نزلت في بني المغيرة، وكانوا ناعمين ذوي غنى. قال محمد: النعمة: التنعم، والنعمة اليد الجميلة والصنع من الله للإنسان^(٥).

(١) وقيل في (ناشئة) أقوال أخر. الدر المصون (٤٠٤/٦)، ونسب هذا القول في تفسيره (١٩/٣٩) إلى عبد الله بن مسعود.

(٢) قرأ أبو عمرو وابن عامر بكسر الواو وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها، وقرأ الباقون بفتح الواو وإسكان الطاء من غير مدّ وإذا وقف حمزة نقل حركة الهمزة إلى الطاء فحرّكها على أصله. النشر (٣٩٣/٢)، الدر المصون (٤٠٤/٦).

(٣) تفسير القرطبي (٤٠/١٩)، الدر المصون (٤٠٤/٦).

(٤) الناسخ والمنسوخ (٩٦)، ونواسخ القرآن (٥٥٠ - ٥٥١).

(٥) لسان العرب (نعم).

﴿ومهلهم قليلاً﴾ أي: أن بقاءهم في الدنيا قليل ثم يصيرون إلى النار ﴿إن لدينا﴾ عندنا ﴿أنكالا﴾ وهي القيود.
قال محمد: واحدها نكل^(١).

﴿وطعاما ذا غصّة﴾ تغص به الحلق.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ (١٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِيدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مَنْفُطِرٌ بِئْسَ كَانَ وَعْدُكُمْ مَفْعُولًا (١٨) إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩)

﴿يوم ترجف الأرض﴾ أي: ذلك لهم يوم ترجف الأرض تتزلزل
﴿والجبال وكانت﴾ أي: وصارت؛ يعني: ﴿الجبال كثيبًا﴾ أي: رملاً
﴿مهيلًا﴾ أي: سائلاً ﴿فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾ شديداً.

قال محمد: يقال: استوبلت البلد، ويقال: كلاً مُستوبل؛ أي: لا يُستمرأ^(٢).

﴿يومًا يجعل الولدان شيبًا﴾ أي: فكيف تتقون ذلك اليوم الذي يُجعل الولدان فيه شيبًا؟ أي: إن كفرتم لم تتقوه. ﴿السماء منفطر به﴾ أي: منشق فيه.

قال محمد: قوله: (السماء منفطر به) أي: ذات انفطار؛ كما تقول: امرأة مرضع أي: ذات رضاع^(٣).

(١) ويُجمع أيضًا على نُكُول. لسان العرب (نكل).

(٢) لسان العرب (وبل)، تفسير القرطبي (٤٨/١٩).

(٣) وقال أبو عمرو بن العلاء: لم يقل: (منفطرة)؛ لأن مجازها السَّقْف؛ تقول: هذا سماء البيت. تفسير القرطبي (٥١/١٩).

وقيل غير ذلك في تأويل التذكير ينظر الدر المصون (٤٠٩/٦).

﴿إِنْ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ أي: أن هذه السورة تذكرة للآخرة ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (...)(١) وطاعته.

﴿إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ حُصُوهَ فَنَابَ عَلَيْكَ فَاقْرَأْ مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقِيلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأْ مَا مَّا يَنْسَرُ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٥)

﴿إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾ أقل ﴿مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ﴾ إلى قوله ﴿عَلِمَ أَنْ لَّنْ حُصُوهَ﴾ (...)(١) الليل ﴿فَنَابَ عَلَيْكَ﴾ تفسير (٣٧٧) قتادة: كان الفرض قيام الليل في أول هذه السورة ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلِ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا نُّصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ فقام رسول الله ﷺ وأصحابه حَوْلًا حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامُهُمْ؛ وَأَمْسَكَ اللَّهُ خَاتَمَتَهَا فِي السَّمَاءِ اثْنِي عَشَرَ شَهْرًا ثُمَّ أَنْزَلَ ﴿إِنْ رَبُّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَثُلُثَهُ﴾ وبعضهم يقرؤها ﴿وَاللَّهُ﴾ (٢) إلى قوله: ﴿فَاقْرَأْ مَا يَنْسَرُ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فريضتان واجبتان، فصار قيام الليل تطوعًا ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ تفسير الحسن: هذا في التطوع ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا﴾.

(١) بياض في الأصل.

(٢) قرأ ابن كثير والكوفيون بنصب التاء وضم الهاء، وقرأ الباقون بخفض التاء وكسر الهاء. ينظر:

النشر (٢/ ٣٩٣)، الدر المصون (٦/ ٤٠٩).

قال محمد: المعنى: تجدوه خيرًا لكم من متاع الدنيا، ودخلت (هو) فضلًا^(١).

﴿وأعظم أجرًا﴾ أي: يثيبكم عليه الجنة ﴿واستغفروا الله إن الله غفورٌ رحيم﴾ لمن آمن.



(١) وقيل: تأكيدًا للمفعول. ويعبر البصريون عن هذا الضمير بأنه ضمير فصل، والكوفيون بأنه عماد لا محل له من الإعراب، واستخدام ابن أبي زمنين مصطلح (فصل) يدل على أنه ينحو منحى البصريين. ينظر: الدر المصون (٤١٠/٦)، تفسير القرطبي (٥٩/١٩)، المحرر الوجيز (١٥٣/١٦).

تفسير سورة المدثر وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿بَيِّنَاتٍ الْمدِّثِرُ ١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ٢ وَرَبِّكَ فَكْبِرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ٥
وَلَا تَمَنَّئَنَّ تَسْتَكْبِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧ فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاقُورِ ٨ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩
عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ١٠﴾

قوله: ﴿يا أيها المدثر﴾ المتدثر بشيابه؛ يعني: النبي ﷺ قال جابر بن عبد الله: هذه أول آية نزلت على النبي.

قال يحيى: والعمامة على أن أول ما نزل ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾^(١).

قال محمد: وكان ابن عباس يفسر المدثر: تدثر بشيابه وتلثم^(٢).

﴿قم فأندثر﴾ من النار ﴿وربك فكبر وثيابك فطهر﴾ تفسير قتادة: لا تلبسها على معصيتي، ويقال للرجل الصالح: إنه لطاهر الثياب ﴿والرجز فاهجر﴾ يعني: الأوثان لا تعبذها.

قال محمد: أصل الرجز: العذاب، فسميت الأوثان رجزاً؛ لأنها تؤدي إلى العذاب^(٣).

(١) ينظر: الكلام على ذلك من تفسير القرطبي (٦٠/١٩).

(٢) والدثار: هو الثوب الذي فوق الشعار، والشعار الذي يلي الجسد. ينظر: لسان العرب (دثر)، الدر المصون (٤١١/٦).

(٣) قال مجاهد: الرجز بالضم اسم صنم، ويغزى للحسن البصري أيضاً، وبالكسر اسم للعذاب. الدر المصون (٤١٢/٦).

﴿ولا تمنن تستكثر﴾ تفسير الضحاك بن مزاحم: هي الهدية تهديها ليهدي إليك خيرٌ منها. قال حماد بن سلمة: وهي في قراءة أبي: «ولا تمنن أن تستكثر» وذلك تفسيرها على قراءة من قرأها بالرفع^(١).

قال محمد: قيل: إنه خاطب بهذا النبي ﷺ خاصة؛ لأن الله - عز وجل - أدبه بأشرف الآداب، وأسنى الأخلاق وليس على الإنسان إثم أن يُهدي هدية يرجو بها ما هو أكثر منها.

قال يحيى: وكان الحسن يقرؤها: «تستكثر» موقوفة^(٢)، قال: وفيها تقديم وتأخير يقول: لا تستكثر عملك فتمن علينا.

﴿ولربك فاصبر﴾ على ما أؤذيت ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ أي: إذا نفخ في الصور ﴿فذلك يومئذ يوم عسير﴾ أي: عسير ﴿على الكافرين غير يسير﴾ ليس لهم من يسره شيء، وإنما يسره للمؤمنين.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَمْ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَيْنَ شُهُودًا ۖ وَمَهْدَتْ لَمْ تَهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۖ كَلَّا ۖ إِنَّمَا كَانَ لَابِنْتِنَا عَيْنِدَا ۖ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ۖ إِنَّهُمْ فَكَرُوا ۖ وَقَدَّرَ ۖ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۖ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ أَدْبَرَ ۖ وَاسْتَكَبَرَ ۖ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۖ إِن هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۖ لَا يَقْبِ وَلَا نَذَرٌ ۖ لَوَآحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۖ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشَرَ ۖ﴾

(١) ونسب القرطبي هذه القراءة إلى ابن مسعود. ينظر: تفسيره (٦٩/١٩) وينظر كذلك الدر المصون (٤١٢/٦).

(٢) أي: مجزومة ورويت أيضًا عن ابن أبي عتبة. قال القرطبي: وقرأ الحسن بالجزم على جواب النهي وهو رديء؛ لأنه ليس بجواب. الدر المصون (٤١٢/٦)، تفسير القرطبي (٦٩/١٩).

﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا﴾ نزلت في الوليد بن المغيرة وهذا وعيدٌ له .
 ﴿وَجَعَلْتَ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ واسعًا ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ يعني: حضورًا معه
 بمكة لا يسافرون، كان له اثنا عشر ولدًا رجالًا ﴿وَمَهَّدْتَ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ بسطت
 له في الدنيا بسطًا ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ تفسير الحسن: ثم يطمع أن أدخله
 الجنة لقول المشرك: ﴿وَلَوْ أَنَّ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي﴾ ^(١) كما يقولون ﴿إِنْ لِي عِنْدَهُ
 لِلْحَسَنِ﴾ للجنة إن كانت جنة قال: ﴿كَلَّا﴾ لا ندخله الجنة ﴿إِنَّهُ كَانَ لَآيَاتِنَا
 عَنِيدًا﴾ معاندًا لها جاحدًا بها ﴿سَأَرْهَقَهُ صَعُودًا﴾ أي: سأحمله على مشقة من
 العذاب.

قال محمد: ويقال للعقبة الشاقة: صعودٌ وكذلك الكَثُودُ ^(٢).

﴿إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ...﴾ إلى قوله ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ تفسير الكلبي: أن
 الوليد بن المغيرة قال: يا قوم إن أمرَ هذا الرجل يعني: النبي ﷺ قد فشا
 وقد حضر الموسم، وإن الناس سيسألونكم عنه فماذا (...) ^(٣) قال: إذا
 والله يستنطقونه فيجدونه فصيحًا عاديًا فيكذبونكم (...) ^(٣) إذا والله يلقونه
 فيخبرهم بما لا يخبرهم به الكاهن قالوا: فنخبر (...) ^(٣) يعرفون الشعر
 ويروونه فيستمعون فلا يسمعون شيئًا (...) ^(٣) قريش صباً والله الوليد لئن
 (...) ^(٤) قريش (٣٧٨) كلها قال أبو جهل: فأنا أكفيكموه فانطلق أبو جهل
 فجلس إليه وهو كهيئة الحزين فقال له الوليد: ما يحزنك يا ابن أخي؟ قال:
 ومالي لا أحزن وهذه قريش تجمع لك نفقة يعينوك بها على كبرك وزمانتك.

(١) فصلت: ٥٠ .

(٢) لسان العرب (صعد - كاد).

(٣) بياض في الأصل نحو خمس كلمات.

(٤) طمس في الأصل نحو كلمتين.

قال: أولست أكثر منهم مالا وولدا قال: فإنهم يقولون إنك قلت الذي قلت؛ لتصيب من فضول طعام محمد وأصحابه. قال: والله ما يشبعون من الطعام فأني فضل يكون لهم ولكني أكثر الحديث فيه فإذا الذي يقول سحر وقول بشر فاجتمع إليه قومه فقالوا: كيف يا أبا المغيرة يكون قوله سحر أو قول بشر؟ قال: أذكركم الله هل تعلمون أنه فرق بني فلانة وزوجها، وبين فلان وابنه، وبين فلان وابن أخيه، وبين فلان مولى بني فلان وبين مواله - يعني من أسلم؟ فقالوا: اللهم نعم، قد فعل ذلك. قال: فهو ساحر فأنزل الله فيه ﴿إنه فكر وقدّر فقتل﴾ أي: فلعن ﴿كيف قدر﴾ ثم قتل ﴿لعن﴾ كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ﴿كلح﴾.

قال محمد: (عبس وبسر) أي: قطب وكره، يقال: بَسَرَ وبَسَرَ، وأصل الكلمة من قولهم: بَسَرَ الفحل الناقة إذا ضربها قبل وقتها^(١).

﴿ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا﴾ يعني: القرآن ﴿إلا سحر يؤثر﴾ يروى ﴿إن هذا إلا قول البشر﴾ يعنون: عدّاسا غلام عتبة كقوله: ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾^(٢) هو عداس في تفسير الحسن قال: ﴿سأصليه سقر﴾ وسقر اسم من أسماء جهنم ﴿وما أدراك ما سقر﴾ أي: أنك لم تكن تدري ما سقر؛ حتى أعلمتك ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ لا تبقي إذا دخلها شيئا من لحمه ودمه وشعره وبشره وعظامه وأحشائه؛ حتى تهجم على الفؤاد فيصيح الفؤاد فإذا انتهت إلى فؤاده لم تجد شيئا تتعلق به، ثم يجدد الله خلقه فتأكله أيضا ﴿لواحة للبشر﴾ أي: محرقة للجلد.

(١) قال الراغب: البسر: استعجال الشيء قبل أوانه. لسان العرب (بسر)، والمعنى: أن الكافر

أظهر العبوس قبل أوانه وقبل وقته. الدر المصون (٤١٦/٦).

(٢) النحل: ١٠٣.

قال محمد: (البَشَرُ) جمع بَشْرَة^(١) ومعنى لَوْاحَة: مغيرة، تقول: لاحته الشمس إذا غيَّرتُه^(٢).

﴿عليها تسعة عشر﴾ لَمَّا نزلت هذه الآية قال أبو جهل: يا معشر قريش، أرى محمدًا يخوفكم بخزنة النار، ويزعم أنهم تسعة عشر أيعجز كل مائة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فتخرجوا منها؟ فقال أبو الأسود الجمحي: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على صدري، فاكفوني أنتم اثنين فأنزل الله:

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقُبُورِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَشْفَرُ (٣٤) لَإِهْدِيَ الْكَبِيرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمَجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ (٤٢) قَالُوا لَوْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَوْ نَكُ نَطُوعُ الْمُسَكِّينَ (٤٤) وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧) فَمَا تَفْعُلُهُمْ شَفْعَةُ الشَّفَاعِينَ (٤٨)﴾

﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ أي: فمن يطيقهم؟ ﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة﴾ بليّة ﴿للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ لأنهم في كتبهم تسعة عشر ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانًا﴾ تصديقًا ﴿ولا يرتاب﴾ يشك

(١) لسان العرب (بشر).

(٢) لسان العرب (لوح).

﴿الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ فيما أنزل الله من عددهم ﴿ويقول الذين في قلوبهم مرض﴾ شك ﴿والكافرون﴾ الجاحدون ﴿ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ أي: ذكرًا، وذلك منهم استهزاء وتكذيب. قال الله: ﴿كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾

يحيى: عن صاحب له، عن أبان بن أبي عياش، عن الحسن «أن سائلاً سأل رسول الله عن خلق الملائكة من أي شيء خلقت؟ فقال: من نور الحجب السبعين التي تلي الرب؛ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام، فليس ملك إلا وهو يدخل في نهر الحياة فيغتسل فيكون من كل قطرة من ذلك الماء ملك، فلا يحصي أحد ما يكون في يوم واحد»^(١) فهو قوله ﴿وما يعلم

(١) هذا مرسل وإياه، ولم أقف عليه من هذا الطريق، وروى مسلم (٤/٢٢٩٤ رقم ٢٩٩٦) عن عائشة أن النبي ﷺ قال: «خلقت الملائكة من نور».

وأما قصة نهر الحياة واغتسال الملك فيه كل يوم وخلق ملك من كل قطرة تقطر منه؛ فقد رويت في حديثين: الأول: رواه العقيلي (٢/٥٩ - ٦٠) وابن عدي في الكامل (٤/٦٠) وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير (٤/٢٣٩) - وابن الجوزي في الموضوعات (١/٢١٨ - ٢١٩ رقم ٣٠٣، ٣٠٤) من طريق روح بن جناح، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «في السماء الدنيا بيت يقال له المعمور بحيال هذه الكعبة وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان، يدخل فيه جبريل كل يوم فينغمس فيه اغتماسة، ثم يخرج فيتنفض انتفاضة فيخر عنه سبعون ألف قطرة، فيخلق الله من كل قطرة ملكاً، ثم يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه».

قال العقيلي: قصة البيت المعمور لا يتابع عليه. لا يحفظ من حديث الزهري إلا عن روح بن جناح هذا، وفيه رواية من غير هذا الوجه بإسناد صالح في ذكر البيت المعمور. اهـ وقال ابن عدي: سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: روح بن جناح ذكر عن الزهري حديثاً معضلاً في البيت المعمور.

ثم قال ابن عدي في آخر ترجمة روح (٤/٦٢). ولروح بن جناح غير ما ذكرت من الحديث قليل، وعامة حديثه ما ذكرته، وربما أخطأ في الأسانيد، ويأتي بمتون لا يأتي بها غيره، وهو ممن يكتب حديثه. اهـ

جنود ربك إلا هو.

وما هي إلا ذكرى للبشر رجع إلى قوله: ﴿سأصليه سقروما أدراك ما سقر﴾.

﴿كلا والقمر والليل إذ أدبر﴾ إذ ولّى، وبعضهم يقرأ: ﴿إذا أدبر﴾ إذا ولّى. (١)

قال محمد: يقال: دبر الليل وأدبر، كقولك: قبل الليل وأقبل، ويقال:

دبرني فلان وخلفني؛ يعني: إذا جاء بعدي. (٢)

﴿والصبح إذا أسفر﴾ إذا (...) (٣) ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ لإحدى العظام

يعني (...) (٣).

= وقال ابن الجوزي: هذا حديث لا يهتم به إلا روح بن جناح؛ فإنه يُعرف به، ولم يتابعه عليه أحد، قال ابن حبان: روح يروي عن الثقات ما إذا سمعه من ليس بمتبحر في هذه الصناعة شهد له بالوضع. وقال عبد الغني الحافظ: هذا حديث منكر بهذا الإسناد، ليس له أصل عن الزهري، ولا عن سعيد ولا عن أبي هريرة، ولا يصح عن رسول الله ﷺ من هذه الطريق ولا من غيرها. اهـ

وقال ابن كثير: هذا حديث غريب جدًا، تفرد به روح بن جناح هذا، وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعيد الدمشقي، وقد أنكر عليه هذا الحديث جماعة من الحفاظ منهم الجوزجاني والعقبلي والحاكم أبو عبد الله النيسابوري وغيرهم، قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة ولا سعيد ولا الزهري. اهـ

والثاني: رواه ابن عدي في الكامل (١٣٣/٤) وأبو الشيخ في العظمة (٧٣٥/٢) رقم (٣١٧) من طريق زياد بن المنذر عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لهرًا ما يدخله جبريل عليه السلام من دخلة فيخرج فيتفض إلا خلق الله عز وجل من كل قطرة تقطر منه ملكًا».

وقال ابن عدي في آخر ترجمة زياد: وهذه الأحاديث التي أملت بها مع سائر أحاديثه التي لم أذكرها، عامتها غير محفوظة.

(١) قرأ نافع ويعقوب وحمزة وخلف وحفص (إذ)، وقرأ الباقون (إذا) بألف بعد الذال. النشر

(٢/٣٩٣)، الدر المصون (٦/٤١٩).

(٢) لسان العرب (دبر).

(٣) طمس في الأصل.

قال محمد: الكبر جمع كبرى^(١)، مثل أولى وأول، وصُغرى وصُغَر. ولجهنم (٣٧٩) سبعة أبواب: جهنم، ولظى، والحطمة، وسقر، والجحيم، والسعير، والهاوية.

قوله: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ يعني: محمدًا ﷺ رجع إلى أول السورة ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدْثَرُ﴾ قم نذيرًا للبشر ﴿فَأَنْذِرْ﴾ قال: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ في الخير ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ في الشر كقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾^(٢) وهذا وعيدٌ ﴿كُلِّ نَفْسٍ﴾ يعني: من أهل النار ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ بما عملت ﴿رَهِينَةً﴾ في النار ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ وهم أصحاب الجنة كلهم في هذا الموضع ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمَجْرُمِينَ﴾ أي: يسألون المجرمين ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾ ما أدخلكم؟ ﴿فِي سَقَرٍ﴾ فأجابهم المشركون قالوا: ﴿لَمْ نَكْ مِنْ الْمَصْلِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينَ﴾ قال الله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ أي: لا يشفع لهم الشافعون.

يحيى: عن أبي أمية، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة شفع النبي لأُمَّته، والشهيد لأهل بيته، والمؤمن لأهل بيته، وتبقى شفاعَةُ الرحمن يخرج الله أقوامًا من النار قد احترقوا وصاروا فحمًا فيؤمر بهم إلى نهر في الجنة - يقال له: الحياة - فينبتون كما ينبت الغناء في بطن المسيل، ثم يقومون فيدخلون الجنة فهم آخر أهل الجنة دخولًا وأدناهم منزلة»^(٣).

(١) وقال ابن عطية الأندلسي: جمع كبيرة. وأظنه وهما عليه. ينظر الدر المصون (٦ / ٤١٩). المحرر الوجيز (١٦ / ١٦٤).

(٢) الكهف: ٢٩.

(٣) لم أقف عليه من هذا الطريق، ولحديث الشفاعة طرق عن أبي هريرة وغيره، ذكرت طرقًا منها في تخريج «التوحيد» لابن خزيمة.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّكُمْ تَذْكُرُونَ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

قوله: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ﴾ عن القرآن ﴿مُعْرِضِينَ كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ أي: حمر وحش ﴿فزت من قسورة﴾ تفسير بعضهم القسورة: الأسد. قال محمد: (معرضين) منصوب على الحال، ومعنى مستنفرة مذعورة استنفرت ففرت، وقيل: إن اشتقاق قسورة من القسر وهو القهر؛ لأن الأسد يقهر السباع^(١).

﴿بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ يعني: مشركي قريش ﴿أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً﴾ إلى كل إنسان باسمه أن آمن بمحمد قال الله ﴿كَلَّا﴾ أنتم أهون على الله من ذلك ثم قال ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ لا يؤمنون بها ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكُرَةٌ﴾ يعني: القرآن ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾.

﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾ أي: أهل أن يتقى ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أهل أن يغفر، ولا يغفر إلا للمؤمنين.



(١) لسان العرب (قصر).

تفسير لا أقسم بيوم القيامة
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ﴾ (١) ﴿وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۖ﴾ (٢) ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ﴾ (٣) ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (٤) ﴿بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ (٥) ﴿يَسْتَلْ أَكَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ (٦) ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ (٧) ﴿وَحُصِفَ الْقُمْرُ﴾ (٨) ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ (٩) ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَإِنِّي لَمَفْرُ﴾ (١٠) ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ﴾ (١١) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (١٢) ﴿يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ (١٣) ﴿بَلَىٰ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ (١٤) ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ﴾ (١٥) ﴿لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَتَّعَلَّجَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ (١٧) ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَلْبَحَ قُرْآنَهُ﴾ (١٨) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ (١٩)

قوله: ﴿لَا أَقْسِمُ بيوم القيامة﴾ المعنى: أقسم و«لا» صلة، وكذلك قوله ﴿وَلَا أَقْسِمُ بالنفس اللوامة﴾ معناه أقسم. قال الحسن: وهي نفس المؤمن، إن المؤمن لا تلقاه إلا وهو يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكلامي، ما أردت بكذا، ما أردت بكذا، يندم على ما فات، ويلوم نفسه ﴿أَيْحَسِبُ﴾ (١) الإنسان وهو المشرك ﴿أَنْ لَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ أي: أن لن نبعثه ﴿بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ يعني: مفاصله.

قال محمد: (قادرين) حال بمعنى: بلى نجمعها قادرين.

(١) قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة بفتح السين، وقرأ باقي السبعة بكسرها. النشر (٢/٢٣٦) وإتحاف الفضلاء (٥٦٣).

﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ وهو المشرك؛ يعني: أنه يمضي على فجوره لا يعاتب نفسه حتى يلقي ربه ﴿يسأل أيان يوم القيامة﴾ متى يوم القيامة؛ أي: ليست بجائية يكذب بها.

قال الله: ﴿فإذا برق البصر﴾ يعني: يوم القيامة؛ أي: شخص لإجابة الداعي كقوله: ﴿لا يرتد إليهم طرفهم﴾^(١) هذا تفسير الحسن.

قال محمد: من قرأ (برق البصر) بفتح الراء أراد: بريقه إذا شخص^(٢)، يقال: برق يترق، ومن قرأ برق - بكسر الراء - فمعناه: فزع وتحير^(٣). يقال منه: برق يترق^(٤).

﴿وجُمع الشمس والقمر﴾ أي: جمعهما جميعاً؛ في تفسير الحسن. ﴿يقول الإنسان يومئذ أين المفر﴾ قال: (...) ^(٥) ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ المرجع ﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ (...) ^(٥) ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ شاهد على نفسه أنه كافر (...) ^(٥) لم يقبل منه.

قال محمد: وقيل: إن المعاذير الستور بلغة (...) ^(٦).

﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ تفسير الحسن: كان رسول الله إذا

(١) إبراهيم: ٤٣ .

(٢) قرأ المدنيان بفتح الراء، وقرأ الباقون بكسرها. النشر (٣٩٣/٢)، الدر المصون (٤٢٧/٦)، تفسير القرطبي (٩٥/١٩ - ٩٦).

(٣) وهو قول أبي عمرو والزجاج والفراء والخليل. تفسير القرطبي (٩٦/١٩).

(٤) يقال: برق يترق برقًا وبريقًا: بدا، ويقال: برق يترق برقًا: فزع ودهش. لسان العرب (برق).

(٥) بياض في الأصل نحو خمس كلمات.

(٦) بياض في الأصل نحو خمس كلمات، وفي الدر المصور (٤٢٩/٦): المعاذير الستور بلغة اليمن، قاله الضحاك والسدي.

(ل ٣٨٠) نزل عليه القرآن يُذِيبُ نفسه في قراءته، مخافة أن ينساه، فأنزل الله: ﴿لَا تحرك به لسانك لتعجل به إنا علينا جمعه وقرآنه﴾ أي: نحن نحفظه عليك فلا تنساه ﴿فإذا قرأناه﴾ نحن ﴿فاتبع﴾ أنت ﴿قرآنه﴾ يعني: فرائضه وحدوده والعمل به ﴿ثم إن علينا بيانه﴾ تفسير بعضهم: نحن نبينه لك .

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۖ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۚ (٢١) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ۖ (٢٣) وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ۖ (٢٤) تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۖ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۖ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۖ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۖ (٢٨) وَالْتَفَتِ لِلسَّاقِ ۖ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۖ (٣٠) فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ۖ (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمْتَطِّي ۖ (٣٣)﴾

﴿كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة﴾ أي: لا تؤمنون أنها جائية، يقوله للمشركين ﴿وجوه يومئذ ناصرة﴾ ناعمة ﴿إلى ربها ناظرة﴾ تنظر إلى الله ﴿وجوه يومئذ باسرة﴾ عابسة ﴿تظن﴾ تعلم ﴿أن يفعل بها فاقرة﴾ أي: داهية وشر.

قال محمد: (فاقرة) يقال: إنها من فقار الظهر كأنها تكسره، تقول: فقَرْتُ الرجل؛ إذا كَسَرْتَ فَقَارَهُ^(١) ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ يعني: النفس سُلْتُ من الرجلين حتى إذا بلغت الترقوتين ﴿وقيل من راق﴾ أي: من يرقيه؟ في تفسير قتادة ﴿وطن﴾ علم ﴿أنه الفراق﴾ فراق الدنيا ﴿والتفت الساق بالساق﴾ تفسير الحسن: هذا عند الموت، اجتمع أمر الدنيا وأمر الآخرة.

قال محمد: يعني: كرب الدنيا وكرب الآخرة^(٢).

(١) أي: فقار ظهره. ومنه سُمي الفقير، لانكسار فقاره من القُل. لسان العرب (فقر)، الدر المصون (٤٣١/٦).

(٢) يطلق (الساق) في اللغة ويراد به الكرب والأمر الشديد. لسان العرب (سوق).

الجبليين أحدٌ أعزُّ مني، فاجهد أنت وربك يا محمد جهدكما؛ فأنزل الله: ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾ وعيدٌ بعد وعيد، فقتله الله يوم بدر وصيَّره إلى جهنم ﴿أحسب الإنسان﴾ يعني: المشرك ﴿أن يترك سدى﴾ أي: هَمَلًا، فلا يبعث ولا يحاسب ﴿ألم يك نطفة من مني تمنى﴾^(١) يمنيها الرجل؛ يعني: النطفة ﴿ثم كان علقه فخلق فسوى﴾ أي: خلقه الله فسواه ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ الذكر زوج والأنثى زوج ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ يقوله على الاستفهام؛ أي: هو قادر على ذلك. يحيى: عن إبراهيم، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي اليسع، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا ختم أحدكم آخر «لا أقسم بيوم القيامة» فليقل: بلى»^(٢).



(١) قرأ حفص عن عاصم ﴿يمنى﴾ بالياء، وقرأ الباقر (تمنى) بالتاء من فوق. ينظر النشر (٢/ ٣٩٤)، الدر المصون (٣٣٤/٦) تفسير القرطبي (١١٧/١٩).

(٢) إبراهيم هو ابن أبي يحيى، متروك، وقد اختلف عنه في هذا الحديث، فروى عنه عن إسماعيل بن أمية عن سعد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعًا. قاله الدارقطني في العلل (١١/ ٢٤٦).

واختلف عن إسماعيل بن أمية أيضًا: فرواه يزيد بن عياض عنه فتابع إبراهيم على الوجه الأول فقال: عن أبي اليسع عن أبي هريرة مرفوعًا.

رواه ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٩٠) والحاكم (٢/ ٥١٠) والبيهقي في الشعب (٢/ ٣٧٦-٣٧٧ رقم ٢٠٩٦) وفي الأسماء والصفات (١/ ٦٤ رقم ٣٠).

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ووقع في علل ابن أبي حاتم: «عن أبي اليسار» وهو تحريف.

قال الذهبي في الميزان (٤/ ٥٨٩): أبو اليسع لا يدري من هو، والسند بذلك مضطرب وخالفهما سفيان بن عيينة؛ فرواه عن إسماعيل بن أمية، قال: حدثني أعرابي من أهل =

تفسير سورة هل أتى على الإنسان
وهي مكة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا

= البادية، عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

رواه الإمام أحمد (٢٤٩/٢) والحميدي (٤٣٧/٢) رقم (٩٩٥) وأبو داود (١٢/٢) - ١٣ رقم (٨٨٣) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤٣٦) والدارقطني في العلل (٢٤٧/١١) والبيهقي في السنن (٣١٠/٢ - ٣١١) والأسماء والصفات (٦٤/١ - ٦٦) رقم (٣١) وغيرهم.

وروى الترمذي (٤١٣/٥) رقم (٣٣٤٧) جزء آخر من هذا الحديث، وقال: هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى.

قال الدارقطني: وقوله - يعني: سفيان بن عيينة - أشبه. وقال شعبة: عن إسماعيل بن أمية حدثني رجل صدق، عن أبي هريرة. اهـ

ورواه إبراهيم بن طهمان عن نصر - شيخ له - عن إسماعيل بن أمية، عن محمد بن عبد الرحمن ابن سعد، عن أبي هريرة مرفوعاً. قاله الدارقطني وخالفهم جميعاً ابن عليه؛ فرواه عن إسماعيل ابن أمية، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبي هريرة موقوفاً.

رواه ابن أبي حاتم في العلل (٩٠/٢) والدارقطني في العلل (٢٤٨/١١).

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول: الصحيح إسماعيل بن أمية، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبي هريرة، موقوف.

وأسند الدارقطني عن علي بن المديني قال: قلت لسفيان بن عيينة: فإن إسماعيل بن عليه رواه عنه - أعني عن إسماعيل بن أمية - عن عبد الرحمن بن القاسم - رجل من أهل مكة -

عن أبي هريرة: «إذا قرأ أحدكم «لا أقسم». فقال سفيان: لم نحفظ. اهـ

وخالفهم جميعاً معمر؛ فرواه عن إسماعيل بن أمية مرفوعاً معضلاً. خرجه عبد الرزاق في تفسيره (٣٨٣/٢).

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلْنَا وَصِيرًا ﴾

قوله: ﴿هل أتى﴾ يعني: قد أتى ﴿على الإنسان﴾ يعني: آدم ﴿حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ في الخلق وهو عند الله مذكور أنه خالقه خلق الله أصول الخلق في الأيام الستة، وخلق آدم يوم الجمعة آخر الأيام الستة. يحيى: عن الخليل بن مرة قال: «قرأ عمر بن الخطاب ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ فرفع صوته، وقال: يا ليتها تمت»^(١) يحيى: عن أشعث، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه: «أن عمر بن الخطاب أخذ تبنَةً من الأرض، فقال: يا ليتني هذه التبنة، يا ليت أُمِّي لم تلدني، يا ليتني كنت نسيًا منسيًا، يا ليتني لم أكن شيئًا يذكر»^(٢). ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة﴾ يعني: نسل آدم ﴿أمشاج﴾ تفسير الحسن: يعني: مشج ماء الرجل بماء المرأة.

- (١) روى ابن المبارك في الزهد (٧٩ رقم ٢٣٥) عن أبي عمر زياد بن أبي مسلم عن أبي الخليل - أو قال: عن زياد بن مخراق - «أن عمر بن الخطاب سمع رجلاً يقرأ ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا﴾ فقال عمر: يا ليتها تمت».
- وقال القرطبي (١٩ / ١٢٠): وقال أبو بكر رضي الله عنه لما قرأ هذه الآية: «ليتها تمت فلا بُتلى» أي: ليت المدة التي أتت على آدم لم تكن شيئًا مذكورًا تمت على ذلك، فلا يلد ولا يبتلى أولاده.
- (٢) كذا وقع هذا الإسناد: «عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه عن عمر» والمعروف في هذا الأثر: «عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر عن عمر رضي الله عنه؛ رواه ابن المبارك في الزهد (٧٩ رقم ٢٣٤) وابن أبي شيبة (١٤ / ٢٧٦ رقم ١٦٣٢٧) وابن سعد في الطبقات (٣ / ٣٦٠) وأبو داود في الزهد (٨٣ رقم ٧١) من طريق شعبة، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: «رأيت عمر بن الخطاب... فذكره».
- ورواه ابن سعد في الطبقات (٣ / ٣٦١) عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي أويس عن سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد وعبيد الله بن عمر عن عاصم بن عبيد الله عن سالم بن عبد الله أن عمر بن الخطاب قال: ليتني لم أكن شيئًا قط، ليتني كنت نسيًا منسيًا، قال: ثم أخذ كالتبنة أو كالعود عن ثوبه فقال: ليتني كنت مثل هذا».

قال محمدٌ: يريد اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، يقال مشجته فهو مشيج^(١).

﴿نبتيه﴾ نختبره..

﴿إنا هديناه السبيل﴾ أي: بصرناه سبيل الهدى وسبيل الضلالة ﴿إما شاكراً﴾ مؤمناً ﴿وإما كفوراً﴾.

قال محمدٌ: (إما شاكراً وإما كفوراً) هما نَضَبٌ على الحال، المعنى: شاكراً أو كفوراً، كأنه قال: هديناه في هذه الحال^(٢).

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِالْإِذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَمَامَ عَلَى هَيْمٍ مِسْكِيًا وَيَتِمَّ وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا تُطْعَمُوهُ لَوِجِهِ اللَّهُ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ۝١٠ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَهُ وَسَوَّوْا ۝١١ وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِدَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۝١٥ قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَنُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾
﴿إن الأبرار يشربون من كأس﴾ يعني: الخمر ﴿كان مزاجها كافوراً﴾ تفسير الكلبي: كافوراً عينٌ في الجنة، اسمها: كافورا ﴿عينًا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرًا﴾ أي: تجري لهم (...)^(٣) بعين كما أحبوا ﴿يوفون بالنذر﴾ (...)^(٣) ﴿ويخافون يومًا كان شره مستطيرًا﴾ (ل ٣٨١) أي: قاسيًا وشره على الكفار.

(١) لسان العرب (مشج).

(٢) ينظر الدر المصون (٤٣٨/٦).

(٣) طمس في الأصل.

قال محمد: يقال: استطار الحريق إذا انتشر، واستطار الفجر إذا انتشر الضوء^(١).

﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ أي: على حاجاتهم إليه ﴿مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا﴾ يعني: الأسير من المشركين «كان رسول الله ﷺ يدفع الأسير إلى الرجل، فيقول: احبس هذا عندك. فيكون عنده الليلة والليلتين، فكانوا يؤثرون على أنفسهم أولئك الأسرى فأثنى الله عليهم بذلك»^(٢).

﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورًا﴾ تفسير مجاهد: قالوا: هذا في أنفسهم ولم ينطقوا به، فعلم الله ذلك منهم، فأثنى به عليهم ﴿يومًا عبوسًا قمطريرًا﴾ قال بعضهم: يعني: تعبس فيه الوجوه، والقمطرير: الشديد.

قال محمد: يقال للمعبس الوجه: قمطريرًا وقمَاطِرًا^(٣).

﴿ولقاهم نصره﴾ في وجوههم ﴿وسرورًا﴾ في قلوبهم. ﴿متكئين فيها على الأرائك﴾ على السرر في الحجال ﴿لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريًا﴾ الزمهرير: البرد الشديد.

قال رسول الله ﷺ: «ليس في الجنة شمس ولا ليل مظلم، ولا حر ولا برد يؤذيهم»^(٤).

﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ يعني: ظلال الشجر.

(١) لسان العرب (طير).

(٢) بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (١٣٣/٤) وابن حجر في مختصره (ص ١٨٠).

(٣) لسان العرب (قمطر).

(٤) لم أقف عليه، وانظر تخريج الكشاف (١٣٥/٤ - ١٣٦).

قال محمد: (الأرائك) واحدها: أريكة، وهي الحجال فيها الفرش والأسرة^(١) ونصب (متكئين) على الحال؛ المعنى: وجزاهم جنة في حال اتكائهم فيها^(٢) وكذلك ﴿ودانية عليهم ظلالها﴾.

قوله: ﴿وذلت قطوفها تذليلًا﴾ أي: ذلت لهم ثمارها يتناولون فيها كيف شاءوا. قال مجاهد: إن قام ارتفعت بقدره وإن قعد تدلت إليه حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت إليه؛ حتى ينالها.

قال محمد: واحد (القطوف): قِطْفٌ^(٣)، ومعنى: ذلت أذنيث^(٤).

﴿وأكواب كانت قواريرا قواريرا من فضة﴾ الأكواب: الأكواز واحدها: كوب؛ وهو المَدَوَّرُ القصير العنق القصير العروة^(٥)، ومعنى كانت قواريرا قواريرا من فضة؛ أي: يجتمع فيها صفاء القوارير في بياض الفضة؛ وذلك أن لكل قوم من تراب أرضهم قوارير، وإن تراب الجنة فضة، فهي قوارير من فضة يشربون فيها يرى الشراب من وراء جُدُرِ القوارير؛ وهذا لا يكون في فضة الدنيا.

قال محمد: قرأه أهل الحجاز وأهل الكوفة (قواريرًا قواريرًا) بإثبات الألف والتنوين؛ ذكره أبو عبيد قال: وكان حمزة يسقط الألف منهن ولا يصرفن^(٦). وذكر الزجاج: أن الاختيار عند النحويين أن تقرأ بغير صرف قال: ومن قرأه

(١) وتجمع (أريكة) أيضًا على (أريك) لسان العرب (أرك).

(٢) الدر المصون (٦/٤٤٢).

(٣) لسان العرب (قطف).

(٤) لسان العرب (ذلل).

(٥) لسان العرب (كوب).

(٦) انظر النشر (٢/ ٢٩٥) وإتحاف الفضلاء (٥٦٥ - ٥٦٦).

قواريرًا بصرف الأول فلأنه رأس آية، ومن صرف الثاني أتبع اللفظ اللفظ؛ لأن العرب ربما قلبت إعراب الشيء؛ لتبع اللفظة اللفظة^(١)، وكذلك قوله: ﴿إنا اعتدنا للكافرين سلاسلًا وأغلالًا وسعيرًا﴾ الأجود في العربية: ألا يصرف ولكن لما جعلت رأس آية صرفت ليكون آخر الآي على لفظ واحد.^(٢)

﴿قدروها تقديرًا﴾ أي: في أنفسهم فأتهم على نحو ما قدورا واشتهوا من صغار وكبار وأوساط، هذا تفسير قتادة ﴿ويسقون فيها كأسًا﴾ وهي الخمر ﴿كان مزاجها زنجبيلاً﴾ أي: طعم ذلك المزاج طعم الزنجبيل. ﴿عينًا فيها تسمى سلسيلًا﴾ السلسيل: اسم العين.

قال محمد: المعنى: (يسقون عينًا سلسيلًا)^(٣)، وكانت العرب تستطيب الزنجبيل، وتضرب به المثل وبالخمر ممتزجين، فخطبهم الله بما كانوا يعرفون ويستحبون في الدنيا، يقول: لكم في الآخرة مثل ما تستحبون في الدنيا إن آمتهم، والسلسيل في اللغة صفة لمكان غاية في السلامة وصرف؛ لأنه رأس آية^(٤).

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلَكًا كَبِيرًا ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقْنَهُمْ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾

(١) ينظر تفصيل ذلك في الدر المصون (٦/٤٤٤ - ٤٤٥).

(٢) ينظر البحر المحيط (٨/٣٩٨).

(٣) الدر المصون (٦/٤٤٦).

(٤) وقيل: السلسيل: ما سهل انحداره في الحلق، قال الزجاج: هو في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة. ينظر الدر المصون (٦/٤٤٦).

﴿٢٣﴾ فَأَصْرِ لِمِثْرِكَ وَلَا تُطْع مِنْهُمْ مِثْمًا أَوْ كِفْلًا ﴿٢٤﴾

قوله: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلدون﴾ لا يموتون أبدًا ﴿إذا رأيتهم حسبتهم﴾ أي: شبهتهم ﴿لؤلؤًا منتورًا﴾ في صفاء ألوانهم والمنتور: أحسن ما يكون ﴿وإذا رأيت﴾ أي: عاينت ﴿ثم﴾ يعني: في الجنة ﴿رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا﴾ (...)(١) الملك من عند ربه إلى الرجل من أهل الجنة بالتحفة والهدية (...)(٢) الله (...)(٣) فلا يدخل (...)(٤) حتى يستأذن فيقول البواب: سأذكره للبواب الذي يليني، فيذكره للذي يليه حتى يبلغ البواب الذي يلي ولي الله، فيقول له: ملك بالبواب يستأذن. فيقول: ائذنوا له. فيؤذن له فيدخل فيقول: إن ربك يقرئك السلام، ويخبره أنه عنه راضٍ ومعه التحفة فتوضع بين يديه .

﴿عليهم ثياب سندس خضر﴾ وبعضهم يقرؤها ﴿عليهم﴾(١) الإستبرق، والديباج: الصفيق الكثيف، والسندس: الخفيف(٢). ﴿وحلوا أساور من فضة﴾ ليس من أهل الجنة أحدٌ إلا وفي يديه ثلاثة أسورة: سوار من فضة، وسوار من ذهب، وسوار من لؤلؤ ﴿وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا﴾.

يحيى: عن أبي أمية، عن الحجاج بن أرطاة، عن أبي إسحاق، عن [عاصم](٤) بن ضمرة، عن علي قال: «إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة مروا

(١) طمس في الأصل.

(٢) قرأ المدنيان وحمزة بسكون الياء وكسر الهاء، والباقون بفتح الياء وضم الهاء. ينظر النشر (٣٩٦/٢). الدر المصون (٤٤٧/٦).

(٣) لسان العرب (إستبرق- سندس).

(٤) في الأصل: عامر. وهو تحريف، وعاصم بن ضمرة هو السلولي الكوفي، ترجمته في التهذيب (٤٩٦/١٣ - ٤٩٩) وسبق هذا الأثر في تفسير سورة الزمر بإسناد آخر إلى أبي إسحاق السبيعي به، وفيه: «عاصم» على الصواب.

بشجرة يخرج من تحت ساقها عينا، فيشربون من إحداهما، فتجري عليهم بنصرة النعيم، فلا تغبر أبشارهم، ولا تشعث أشعارهم بعدها أبداً، ثم يشربون من الأخرى فيخرج ما في بطونهم من أذى، ثم تستقبلهم الملائكة خزنة الجنة، فتقول لهم: ﴿سلام عليكم طبتُم فادخلوها خالدين﴾ (١) ﴿٢﴾ .

قوله: ﴿إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم﴾ عملكم في الدنيا ﴿مشكوراً﴾ شكره الله لكم؛ فجزاكم به الجنة ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ لما حكم عليك فيه وفرض ﴿ولا تطع منهم أثماً﴾ وهو المنافق؛ في تفسير الحسن أظهر الإسلام وقلبه على الشرك ﴿أو كفوراً﴾ وهو المشرك الجاحد.

﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (٢٥) ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً﴾ (٢٦) ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً﴾ (٢٧) ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ (٢٨) ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذَكَّرُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَهًا غَيْرَ سَبِيلِ﴾ (٢٩) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣٠) ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيماً﴾ (٣١)

﴿واذكر اسم ربك بكرة﴾ صلاة الصبح ﴿وأصيلاً﴾ صلاة الظهر والعصر ﴿ومن الليل فاسجد له﴾ صلاة المغرب والعشاء ﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ هذا تطوع ﴿إن هؤلاء﴾ يعني: المشركين ﴿يحبون العاجلة﴾ الدنيا ﴿ويذرون وراءهم﴾ أمامهم ﴿يومًا ثقيلاً﴾ عسيراً عليهم؛ يعني: يوم القيامة ﴿نحن

(١) الزمر: ٧٣ .

(٢) تقدم تخريجه في تفسير سورة الزمر، وأن الحافظ الضياء والحافظ ابن حجر والحافظ البوصيري صححوه، وقالوا: إن له حكم الرفع إذ لا مجال للرأي فيه.

خلقناهم وشددنا أسرهم ﴿ يعني: خلقهم.

قال محمد: أصل الكلمة من (الإسار)، وهو القدر، يقال: ما أحسن ما أسر قَتَبه^(١)، أي: ما أحسن ما شَدَّه!^(٢)

﴿ وإذا شئنا بدلنا أمثالهم ﴾ أي: أهلكناهم بالعذاب، وبدلنا أمثالهم: (...)(٣) خيرًا منهم.

﴿ إن هذه تذكرة ﴾ إن هذه السورة تذكرة ﴿ فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلًا ﴾ بطاعته ﴿ إن الله كان عليماً ﴾ بخلقه ﴿ حكيماً ﴾ في أمره ﴿ يدخل من يشاء في رحمته ﴾ في دينه الإسلام ﴿ والظالمين ﴾ المشركين ﴿ أعد لهم عذاباً أليماً ﴾ موجعاً.

قال محمد: نصب (الظالمين) على معنى: يدخل من يشاء في رحمته، ويعذب الظالمين، ويكون (أعد لهم) تفسيراً لهذا المضمَر^(٤) (نصب الظالمين على معنى يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين)^(٥).



(١) القتب: هو الرَّحْل الصغير على قدر سنام البعير، والجمع أقباب. لسان العرب (قتب).

(٢) لسان العرب (أسر).

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٤) أي: منصوب على الاشتغال من حيث المعنى لا من حيث اللفظ. ينظر الدر المصون ٦/ (٤٥٢).

(٥) ما بين القوسين هكذا في الأصل، وهو مكرر، ولعل الناسخ ضرب عليه، والله أعلم.

تفسير سورة والمرسلات
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ (١) ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ (٢) ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ (٣) ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ (٤) ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ (٥) ﴿عَذْرًا أَوْ نَذْرًا﴾ (٦) ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفْعٍ﴾ (٧) ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ (٨) ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ (٩) ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ﴾ (١٠) ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُنْفِثَتْ﴾ (١١) ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمَ يُنْفِثُ الْيَوْمِ﴾ (١٢) ﴿الْفَصْلِ﴾ (١٣) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ (١٤) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٥) ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمُ الْأُولَى﴾ (١٦) ﴿ثُمَّ تُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ (١٧) ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ (١٨) ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ (١٩) ﴿قوله: والمرسلات عُرْفًا﴾ تفسير الحسن: أنها الرياح، وقال: عرفها: جزيها.

قال محمد: يقال: هم إليه عرفوا واحد إذا تتابعوا (١).

﴿فالعاصفات عصفًا﴾ الرياح إذا اشتدت ﴿والناشرات نشرًا﴾ الرياح أيضًا ﴿فالفارقات فرقًا﴾ يعني: الملائكة تنزل بالوحي فتفرق بين الكفر والإيمان، وبين الحلال والحرام ﴿فالمُلقيات ذكراً﴾ الملائكة تلقي الوحي، أي: تنزل به على الأنبياء ﴿عذراً أو نذراً﴾ أي: يعذر الله به إلى عباده وينذرهم. قال السدي: المعنى: عذراً ونذراً، والألف صلة (٢).

(١) لسان العرب (عرف).

(٢) أي: زائدة، وتكون (أو) بمعنى (الواو). ينظر الدر المصون (٦/٤٥٤).

قال محمد: نصب عذراً أو نذراً على معنى الإعذار والإنذار^(١). وقرأه نافع (عُذْرًا) بالتخفيف و(نُذْرًا) بالتثقيل وهذا (...)^(٢) قسم أقسم به^(٣).

﴿إنما توعدون﴾ من عذاب الله، يقوله للمشركين ﴿لواقع﴾.

﴿فإذا النجوم طمست﴾ أي: ينزل عذاب الله يوم تطمس فيه النجوم، فيذهب ضوءها ﴿وإذا السماء فرجت﴾ انشقت ﴿وإذا الجبال نسفت﴾ ذهبت من أصولها وسويت بالأرض ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ أجلت في تفسير الحسن ﴿لأي يوم أجلت﴾ يعظم ذلك اليوم ﴿ليوم الفصل﴾ القضاء ﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ تفسير الحسن: أي: أنك لم تكن تدري ما يوم الفصل حتى أعلمتك (ل ٣٨٣) ﴿ألم نهلك الأولين﴾ على الاستفهام؛ أي: بلى قد أهلكناهم؛ يعني: الأمم السالفة حين كذبوا رسلهم ﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ يعني: كفار آخر هذه الأمة الذين تقوم عليهم الساعة.

قال محمد: من قرأ ﴿ثم نتبعهم﴾ بالرفع فعلى الاستئناف، ومن قرأ ﴿نتبعهم﴾ بالجزم فهو عطف على (نهلك)^(٤).

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ ﴿٢١﴾ ﴿قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ﴿٢٢﴾ ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ﴾ ﴿٢٣﴾ ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ ﴿٢٥﴾ ﴿أَحْيَاءَ وَأَمْوَاتًا﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٢٨﴾

(١) وقيل غير ذلك. ينظر: الدر المصون (٤٥٤/٦).

(٢) كلمة مطموسة في الأصل.

(٣) ينظر: النشر (٣٩٦/٢)، الدر المصون (٤٥٤/٦).

(٤) العامة على رفع العين استئنافاً، وقرأ الأعرج والعباس عن أبي عمرو بتسكينها. ينظر الدر المصون (٤٥٦/٦).

﴿ألم نخلقكم من ماء مهين﴾ ضعيف؛ يعني: النطفة ﴿فجعلناه في قرار مكين﴾ الرحم.

﴿إلى قدر معلوم﴾ اليوم الذي يولد فيه المخلوق ﴿فقدرونا﴾ من قرأها بالتثقيل فهي من باب التقدير، ومن قرأها مخففة فمن باب القدرة^(١) ﴿فنعم القادرون﴾

﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ تكفتهم، أي: تضمهم، والكفت: الضم والجمع ﴿أحياء وأمواتاً﴾ أي: يكونون على ظهرها أحياء، ويكونون في بطنها أمواتاً. قال محمد: تقول: كفت الشيء أكفته وتقول: أكفيت إليك كذا، أي: ضمه، وكانوا يسمون المقبرة كفتة؛ لأنها تضم الموتى^(٢).

﴿وجعلنا فيها رواسي شامخات﴾ يعني: الجبال المرتفعة ﴿وأسقيناكم ماء فراتاً﴾ عذباً ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ يقال لهم يوم القيامة: انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون في الدنيا من العذاب.

﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون﴾ (٢٩) ﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ (٣٠) ﴿لا ظليل ولا يغني من اللهب﴾ (٣١) ﴿إنها ترمي بشكر﴾ (٣٢) ﴿كأنهم جملت صفر﴾ (٣٣) ﴿ويل يومئذ للكاذبين﴾ (٣٤) ﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ (٣٥) ﴿ولا يؤذن لهم فيعتدون﴾ (٣٦) ﴿ويل يومئذ للكاذبين﴾ (٣٧) ﴿هذا يوم الفصل جمعتمكم والاولين﴾ (٣٨) ﴿فإن لكم كيداً فيكذون﴾ (٣٩) ﴿ويل يومئذ للكاذبين﴾ (٤٠)

(١) قرأ المدنيان والكسائي بتشديد الدال، وقرأ الباقون بتخفيفها. ينظر النشر (٢/٣٩٧)، الدر المصون (٤٥٦/٦).

(٢) ومنه سمي بقيع الغرقد كفتة؛ لأنه يدفن فيه. لسان العرب (كفت).

﴿انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب﴾ يخرج من النار لسانان قبل أن يدخلوا النار فيحيط بالمشركين، ثم يسطع من النار دخانٌ أسود، ثم يصير ثلاث فرق؛ فيلجئون إليه يرجون أن يظلمهم من شدة حر النار، فلا يظلمهم ويجدون منه من الحر مثل ما وجدوا قبل أن يلجئوا إليه ﴿لا ظليل ولا يغني من اللهب﴾ أي: لا بارد في الظل ولا كريم في المنزل ﴿إنها ترمي﴾ يعني: النار ﴿بشرر كالقصر﴾ يعني: قصرًا من القصور في قراءة من قرأها بجزم الصاد^(١) ﴿كانه جمالات^(٢) صفر﴾ يعني: النوق السود في قراءة من قرأها بكسر الجيم^(٣). قال محمد: يقال للإبل التي هي سودٌ تضرب إلى الصُفرة: إبل صفر وجمالات بكسر الجيم جمع جمال^(٤).

﴿هذا يوم لا ينطقون﴾ بحُجّة ﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾ وقد يؤذن لهم في الكلام في بعض المواطن، ولا يؤذن لهم في بعض؛ فإذا أذن لهم في الكلام لم يعتذروا بعذر.

قال محمد: يقرأ (يومٌ) بالرفع والنصب؛ فمن نصب جعله ظرفًا بمعنى: هذا الوعيد يومًا، ومن رفع جعل هذا لليوم؛ كما تقول هذا يومك^(٥).

(١) وهي قراءة العامة، وقرأ ابن عباس وتلميذاه ابن جبر وابن جبير، والحسن بفتح القاف والصاد، وهي جمع قصره بالفتح، وهي أعناق الإبل والنخل وأصول الشجر، وقرأ ابن جبير والحسن أيضًا بكسر القاف وفتح الصاد. ينظر: الدر المصون (٤٥٨/٦).
(٢) هكذا في الأصل (جمالات)، حيث قرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص (جمالة) على الإفراد، وقرأ الباقر (جمالات) على الجمع. ينظر النشر (٢/ ٣٩٧)، الدر المصون (٦/ ٤٥٨).

(٣) روى رويس ضم الجيم، وقرأ الباقر بكسرها. ينظر النشر (٢/ ٣٩٧).

(٤) الدر المصون (٦/ ٤٥٨)، لسان العرب (جمل).

(٥) العامة على رفع (يوم)، وزيد بن علي والأعرج والأعمش وأبو حيوة وعاصم في بعض طرقه بالفتح. ينظر الدر المصون (٦/ ٤٥٩).

﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ تنجون به من عذاب الله ﴿فَكِيدُون﴾ أي: أنكم لا تقدرُونَ على ذلك .

﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي ضَلَالٍ وَعِوِينَ﴾ ﴿٤١﴾ وَفَوَكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُّوْا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُّوْا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ازْكُمُوهَا لَا يَرْكُمُونَ ﴿٤٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِذَا حُدِّثَ بِعَدُوِّ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿كلوا وتمتعوا﴾ الآية يقوله للمشركين وعيداً لهم، وانقطعت القصة الأولى من أمر أهل النار. ﴿وإذا قيل لهم اركعوا﴾ أي: صلُّوا ﴿لا يركعون فبأي حديث بعده﴾ يعني: القرآن ﴿يؤمنون﴾.

يحيى: عن إبراهيم، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي اليسع، عن أبي هريرة قال: «إذا ختم أحدكم والمرسلات فليقل: آمَنَ بالله وبما أنزل»^(١) من حديث يحيى بن محمد.

(١) هو جزء من حديث ذكر المؤلف منه جزءاً آخر في آخر سورة القيامة، ، وتقدم تخريجه هناك وذكر الاختلاف فيه، وأن أبا اليسع قال فيه الذهبي: لا يدرى من هو. لكن وقع الحديث هناك بهذا الإسناد مرفوعاً، ووقع هنا موقوفاً، وتقدم ذكر الخلاف في رفعه ووقفه، والله أعلم.

تفسير سورة عم يتساءلون
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ (١) عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ تَرَى كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سُبُلًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

قوله: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يعني: المشركين؛ أي: ما الذي يتساءلون عنه. ثم قال: ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ الَّذِي هُوَ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ يعني: البعث، اختلف فيه المشركون والمؤمنون؛ فأمن به المؤمنون، وكفر به المشركون ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ثم كلاً سيعلمون ﴿وَعِيدٌ وَعِيدٌ﴾ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ بساطاً ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ للأرض ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكراً وأنثى ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَكُمْ سُبُلًا﴾ يعني: نعاساً.

قال محمد: أصلُ السَّبَبِ: انقطاع الحركة؛ يقال: رجلٌ سَبُوتٌ وقد سَبَتَ (١).

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ سترًا يغطي الخلق فيسكنون فيه ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ

(١) لسان العرب (سبت).

﴿مَعَاشًا﴾ يَجْلِبُونَ فِيهِ مَعَايِشَهُمْ ﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدِيدًا﴾ السَّمُوت ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ (...) (١) (ل ٣٨٤) فِي تَفْسِيرِ الْكَلْبِيِّ؛ يَعْنِي: الشَّمْسُ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمَعْصِرَاتِ﴾ الرِّيحَ فِي تَفْسِيرِ مُجَاهِدٍ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: السَّحَابُ ﴿مَاءٌ ثَجَاجًا﴾ مَنْصَبًا بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ﴿لَنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ الْبُرِّ وَالشَّعِيرِ. ﴿وَنَبَاتًا﴾ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾.

قال محمد: يعني: بساتين ملتفة، ومن كلامهم: امرأة لفاء إذا كانت عظيمة الفخذين (٢).

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّغْيِينِ مَتَابًا ﴿٢٢﴾ لَيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا بِرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ الْقَضَاءُ ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ يُوَافُونَهُ كُلَّهُمْ ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.

قال محمد: (يوم ينفخ) بدل من (يوم الفصل) (٣).

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أمة أمة ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ مثل هذا السراب تراه، وليس بشيء ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ أَي: تَرَصَّدُ مِنْ حَقِّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ، وَالصُّرَاطُ عَلَيْهَا، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِهَا هَوِيَ فِيهَا، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ

(١) طمس في الأصل.

(٢) لسان العرب (لفف).

(٣) وفيه أقوال نحوية أخرى، ينظر الدر المصون (٦/٤٦٣ - ٤٦٤).

من أهلها حاد عنها إلى الجنة ﴿لِلطَّاعِينَ﴾ المشركين ﴿مَأْبَا﴾ مرجعاً. ﴿لَابِثِينَ﴾ فيها أحقاباً أي: تأتي عليهم الأحقاب لا تنقطع أبداً، والحُقُبُ: ثمانون عاماً، والسَّنة: ثلاثمائة وستون يوماً، كل يوم ألف يوم من أيام الدنيا ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ هي مثل قوله: ﴿لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ﴾^(١) وقال بعضهم: البرد النوم.

قال محمد: سُمِّيَ بذلك؛ لأنه يبرد فيه عطش الإنسان.

﴿وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ الحميم: الذي لا يستطيع من حره، والغساق: القيح الغليظ المتنن، وبعضهم يقول: الغساق الذي لا يستطيع من شدة برده، وهو الزمهرير.

﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أي: وافق أعمالهم الخبيثة.

قال محمد: (وفاقاً) من: وافقه موافقة^(٢).

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ لا يخافون ﴿حِسَابًا﴾ لا يقرون بالبعث ﴿وَكَذَبُوا بآيَاتِنَا كَذَابًا﴾ تكذيباً ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ أحصيت الملائكة على العباد أعمالهم، وهي عند الله محصاة في أم الكتاب.

قال محمد: (كل) منصوب بمعنى: وأحصينا كل شيء أحصيناه^(٣)، و(كتاباً) توكيداً لأحصيناه، المعنى: كتبناه كتاباً^(٤).

قوله: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ قال عبد الله بن عمرو: «ما نزل

(١) الواقعة: ٤٤.

(٢) أي: هو مصدر قياسي من صيغة (فاعل). ينظر لسان العرب (وقف)، الدر المصون ٦/٤٦٥.

(٣) أي: منصوب على الاشتغال. ينظر الدر المصون ٦/٤٦٦.

(٤) وفيه تفصيل نحوي واسع. ينظر الدر المصون ٦/٤٦٦ - ٤٦٧.

على أهل النار آية هي أشد منها، فهم في زيادة من العذاب أبداً»^(١)

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ ثَرِيًّا ﴿٤٠﴾﴾

﴿إن للمتقين مفازاً﴾ نجاة مما أعد للكافرين ﴿حدائق﴾ جنات ﴿وأعناباً﴾ أي: فيها أعناب ﴿وكواعب أتراباً﴾ على سنٍّ واحدة بنات ثلاث وثلاثين سنة ﴿وكأساً دهاقاً﴾ أي: ممتلئة ﴿لا يسمعون فيها لغوا﴾ اللغو: الباطل ﴿ولا كذاباً﴾ تفسير الحسن يقول: لا يكذب بعضهم بعضاً.

قال محمد: من قرأ (كذاباً) مثقلة، فمن قولهم: كذاب كذب بمعنى واحد^(٢).

﴿جزاء من ربك عطاءً حساباً﴾ تفسير مجاهد: يعني: على قدر أعمالهم؛ وذلك أنهم يعطون المنازل على قدر أعمالهم، ثم يرزقون فيها بغير حساب.

(١) رواه الطبري في تفسيره (١٧/٣٠) من طريق ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أبي أيوب الأزدي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

ورواه الطبري (١٧/٣٠) من طريق يزيد عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن عبد الله بن عمرو كان يقول. فذكره.

وعزه السيوطي في الدر المنثور (٣٤٣/٦) لعبد بن حميد وابن المنذر في تفسيريهما.

(٢) هكذا في الأصل، ولعل المراد أن من شدد جعله مصدر (كذب)، وزيدت فيه الألف كما زيدت في (إكراماً). ينظر الدر المصون (٤٦٧/٦).

قال محمد: (جزاء) منصوب بمعنى: جزاهم جزاء^(١).

﴿رب السموات والأرض﴾ (ربُّ) بالرفع كلام مستقبل في قراءة من قرأها بالرفع^(٢) ﴿وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً﴾ تفسير الحسن: لا يستطيعون مخاطبته، كقوله: ﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه﴾^(٣) قوله: ﴿يوم يقوم الروح﴾ تفسير الحسن: يقوم روح كل شيء في جسده ﴿والملائكة صفًا لا يتكلمون﴾ لا يشفعون ﴿إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً﴾ في الدنيا لا إله إلا الله.

﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ مرجعاً بعمل صالح، وقال في آية أخرى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾^(٤).
قوله: ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾.

يحيى: عن المبارك، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين، فما فضل إحداهما على الأخرى. وجمع بين أصبعيه الوسطى والذي يقول الناس السبابة»^(٥).

﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه...﴾ الآية

يحيى: عن الصلت بن دينار عن علقمة بن (...)^(٦) قال: قال رسول الله

(١) ينظر الدر المصون (٦/٤٦٧ - ٤٦٨).

(٢) قرأ ابن عامر ويعقوب والكوفيون بخفض الباء، وقرأ الباقر برفعها. ينظر النشر (٢/٣٩٧)، الدر المصون (٦/٤٦٨).

(٣) هود: ١٠٥.

(٤) الإنسان: ٣٠.

(٥) رواه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٤/ ٧٦١ رقم ٣٧٣) عن ابن أبي زمنين بإسناده إلى يحيى بن سلام به. وتقدم هذا الحديث في تفسير سورة محمد، الآية: ١٨.

(٦) كلمة مطموسة في الأصل، وذكر المزي في التهذيب (١٣/ ٢٢٢) في ترجمة الصلت بن دينار أنه روى عن علقمة بن قيس النخعي، ولم يدركه، والله أعلم.

﴿النبأ﴾: «أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب البهائم، فتُجَعَلُ القرناء جماء، والجماء قرناء، فيقتَصَرُ لبعضها من بعض؛ حتى تقتصر الجماء من القرناء، ثم يقال لها: كوني ترابًا. فعند ذلك يقول الكافر: ﴿ياليتني كنت ترابًا﴾» (١)



(١) لم أقف عليه من هذا الطريق، والصلت بن دينار متروك الحديث. وروى عبد الرزاق في تفسيره (٣٤٤ / ٢) والطبري في تفسيره (٢٦ / ٣٠) والحاكم (٣١٦ / ٢) من طريق جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قوله نحوه. وقال الحاكم: جعفر الجزري هذا هو ابن برقان قد احتج به مسلم، وهو صحيح على شرطه، ولم يخرجاه. وعزه السيوطي في الدر المنثور (٣٤٥ / ٦) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في البعث والنشور. وروى الطبري (٢٦ / ٣٠) والحاكم (٥٧٥ / ٤) من طريق عوف عن أبي المغيرة القواس عن عبد الله بن عمرو موقوفاً نحوه أيضاً. وقال الحاكم: رواه ثقات غير أن أبا المغيرة مجهول، وتفسير الصحابي مسند. وتعبه الذهبي بقوله: قلت: لينة سليمان التيمي.

تفسير سورة النازعات
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ (١) ﴿وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا﴾ (٢) ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ (٣) ﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ (٤)
﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ (٥) ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦) ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادَّةُ﴾ (٧) ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ (٨)
﴿أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ (٩) ﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ (١٠) ﴿أَوَإِذَا كُنَّا عِظْمًا تَخِرَّةً﴾ (١١)
﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ (١٢) ﴿فَلَمَّا هِيَ زَجْرًا وَجِدَّةٌ﴾ (١٣) ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ (١٤) ﴿

قوله: ﴿والنازعات غرقًا﴾ تفسير الحسن: هي النجوم تنزع من المشرق، وتغرق في المغرب ﴿والناشطات نشطًا﴾ (ل ٣٨٥) قال الحسن: هي النجوم تنشط من مشارقها إلى مغاربها ﴿والسابحات سبحًا﴾ النجوم لقوله: ﴿كل في فلك يسبحون﴾^(١) يدورون ﴿فالسابقات سبقًا﴾ تفسير الحسن: هي الملائكة سبقوا إلى طاعة الله ﴿فالمدبرات أمرًا﴾ الملائكة يدبر الله بهم ما أراد.

قال محمد: قيل: إن جواب (والنازعات) محذوف، المعنى - والله أعلم - : كأنه أقسم فقال: وهذه الأشياء لتبعثن^(٢).

﴿يوم ترجف الراجفة﴾ النفخة الأولى ﴿تتبعها الرادفة﴾ النفخة الأخرى. ﴿قلوب يومئذ واجفة﴾ مضطربة شديدة الاضطراب ﴿أبصارها﴾ أبصار تلك القلوب ﴿خاشعة﴾ ذليلة ﴿يقولون﴾ يقول المشركون في الدنيا: ﴿أنا

(١) الأنبياء: ٣٣.

(٢) انظر الدر المصون (٦/٤٧٠).

لمردودون في الحافرة ﴿أي: في أول خلقنا﴾ (١) ﴿كنا عظامًا نخرة﴾ بالية ينكرون البعث.

قال محمد: يقال: رجع فلان في حافرته إذا رجع في الطريق الذي جاء فيه (٢) ﴿تلك إذا كرة خاسرة﴾ كاذبة؛ أي: ليست بكائنة.

قال محمد: وقيل: المعنى: تلك إذا رجعة يخسر فيها، قال الله ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ أي: نفخة ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ أي: بالأرض قد خرجوا من بطنها.

قال محمد: الساهرة عند أهل اللغة: وجه الأرض، وهو معنى قول يحيى (٣).

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ (١٥) ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (١٦) ﴿أَذْهَبَ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَّ بِكَ أَنَّهُ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّ﴾ (١٧) ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ (١٨) ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ (١٩) ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾ (٢٠) ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾ (٢١) ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ (٢٢) ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ (٢٣) ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ (٢٤) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ (٢٥)

﴿هل أتاك حديث موسى﴾ أي: قد أتاك ﴿إذ ناداه ربه بالوادي المقدس﴾ يعني: المبارك ﴿طوى﴾ قال الحسن: المعنى: طوي بالبركة.

قال محمد: لم يبين يحيى كيف القراءة في (طوى)، وذكر أبو عبيد أن الحسن كان يقرؤها (طوى) منونة بكسر الطاء، على معنى: قدس مرتين.

(١) قرأ نافع وابن عامر والكسائي ﴿إذا﴾ على الإخبار، وقرأ باقي السبعة ﴿أإذا﴾ على الاستفهام. النشر (٢٩٠/١) وإتحاف الفضلاء (٥٧٠).

(٢) لسان العرب (حضر).

(٣) لسان العرب (سهر).

وقراها نافع (طوى) بالضم غير مصروفة، وذكر الزجاج أن من قرأها (طوى) بحرف نافع فهو اسم الوادي^(١).

﴿فقل هل لك إلى أن تزكى﴾ إلى أن تؤمن ﴿وأهديك إلى ربك﴾ أي: وأبين لك دين ربك ﴿فتخشى﴾ الله.

قال: ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ يعني: اليد وهي أكبر الآيات التسع التي أتاه بها.

﴿فأخذه الله نكال﴾ أي: عقوبة ﴿الآخرة والأولى﴾ قال مجاهد: الآخرة قوله: ﴿أنا ربكم الأعلى﴾^(٢) والأولى قوله: ﴿ما علمت لكم من إله غيري﴾^(٣) فعذبه به الله في الدنيا بالغرق، ويعذبه في الآخرة بالنار.

﴿إن في ذلك لعلبرة لمن يخشى﴾ تفسير الحسن: لمن يخشى أن يفعل به ما فعل بفرعون وقومه فيؤمن.

قال محمد: (نكال) منصوب مصدر مؤكد؛ لأن معنى (أخذه الله): نكل الله به نكال الآخرة والأولى^(٤).

﴿مَنْتُمْ أَشَدَّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ (٢٧) رَفَعَ سَعَاهَا فَنَوَّهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مِنْهَا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُزِزَتْ

(١) قرأ ابن عامر والكوفيون بالتونين، وقرأ الباقون بغير تنوين. ينظر النشر (٣١٩/٢). وينظر توجيه القراءتين في الدر المصون (٩/٦).

(٢) النازعات: ٢٤.

(٣) القصص: ٣٨.

(٤) وفي ذلك تفصيل نحوي ينظر الدر المصون (٦/٤٧٤).

الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهَهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّهَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يَّخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُزَوَّجُوا لَزَّيْلَاتٍ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

﴿أنتم أشد خلقاً أم السماء بناها﴾ بغير عمد ﴿رفع سمكها فسواها﴾ بينكم (وبينها) ^(١) مسيرة خمسمائة عام قال: ﴿وأغطش ليلها﴾ أظلم ليلها ﴿وأخرج ضحاها﴾ شمسها ونورها قال: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ بسطها بعد خلق السماء.

قال محمد: من قرأ ﴿والأرض﴾ بالنصب ﴿بعد ذلك دحاها﴾ فالمعنى: ودحا الأرض بعد ذلك، وكذلك قوله بعد هذا: ﴿والجبال أرساها﴾ تفسير نصب الجبال؛ كتفسير نصب الأرض ^(٢).

قال يحيى: وكان بدء خلق الأرض فيما بلغنا أنها كانت طينة في موضع بيت المقدس، ثم خلق السموات، ثم دحا الأرض فقال لها: اذهبي أنت كذا واذهبي أنت كذا، ومن مكة بسطت الأرض، ثم جعل فيها.

جبالها وأنهارها وأشجارها قال: ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها﴾ أثبتها جعلها أوتاداً للأرض؛ لئلا تتحرك بمن عليها ﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ تستمتعون به إلى الموت.

(١) مشتبهة في الأصل.

(٢) وهي قراءة العامة؛ أي: ينصب (الأرض والجبال) على إضمار فعل مفسر بما بعده. وقرأ الحسن وابن أبي عبله وأبو حيوة وأبو السمال وعمرو بن عبيد بالرفع على الابتداء، وعيسى برفع (الأرض) فقط. ينظر الدر المصون (٤٧٥/٦).

قال محمد: (متاعًا) منصوبٌ على معنى: أخرج منها ماءها ومرعاها للإمتاع لكم^(١).

﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ النفخة الآخرة ﴿يوم يتذكر الإنسان ما سعى﴾ أي: يُحاسب الناس بأعمالهم ﴿فأما من طغى﴾ كفر ﴿وآثر الحياة الدنيا﴾ لم يؤمن بالآخرة ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾.

﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ أي: موقفه بين يدي الله ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ يعني: عن هواها ﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ أي: هي منزلُه.

﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها﴾ مَجِيئُهَا ﴿فيم أنت من ذكرها﴾ تفسير الكلبي: فِيمَ أنت من أن تسأل عنها ولم أخبرك بها متى تجيء.

﴿إلى ربك متهاها﴾ منتهى علم مجيئها ﴿إنما أنت منذرٌ من يخشاها﴾ إنما يقبل نذارتك من يخشى الساعة ﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ أي: أو ضحوة تضحى^(٢) (...) الدنيا (...) ^(٢).



(١) أي: بالنصب على أنه مفعول لأجله، وقيل غير ذلك. ينظر: الدر المصون (٤٧٦/٦).

(٢) طمس في الأصل.

(ل ٣٨٦) تفسير سورة عبس
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْزُقُ (٣) أَوْ يُذَكِّرُ ۚ فَتَنَفَعَهُ الذِّكْرَى (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَعَى (٥) فَأَنْتَ لَمْ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْزُقُ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ لِلَّهِ (١٠) كَلَّا ۖ إِنَّهَا لَذِكْرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكِّرْ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ (١٣) تَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُوا (١٧) مِنْ آيِ شَيْءٍ خَلَقْتُمْ (١٨) مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقْتُمْ فَقَدْ رَمَوْهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُوا (٢٠) ثُمَّ أَمَانَةً فَأَوْبَرُوا (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرُوا (٢٢)﴾

قوله: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ أي: لأن جاءه الأعمى؛ كان النبي ﷺ مع رجلٍ من المشركين من وجوههم وأشرافهم وهو يدعوهم إلى الإسلام ورجا أن يؤمن؛ فيتبعه ناسٌ من قومه فهو يكلمه، وقد طمع في ذلك منه؛ إذ جاء ابنٌ أم مكتوم وكان أعمى؛ فأعرض النبي ﷺ عنه، فجعل ابن أم مكتوم لا يتقارُّ لما أعرض عنه النبي مخافة أن يكون حدث فيه شيء، فأنزل الله: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ (١).

(١) رواه الترمذي (٤٠٢/٥ - ٤٠٣ رقم ٣٣٣١) والطبري في تفسيره (٥٠/٣٠) والحاكم (٢/٥١٤) وابن عبد البر في التمهيد (٣٢٥/٢٤) والواحدي في أسباب النزول (٣٢٥ - ٣٢٦) من طريق سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي، عن أبيه، عن هشام بن عروة، عن عائشة رضي الله عنها. ورواه ابن حبان (٢/٢٩٣ - ٢٩٤ رقم ٥٣٥) من طريق عبد الرحيم بن سليمان عن هشام بن عروة به.

﴿وما يدريك لعله يزكى﴾ يؤمن ﴿أو يذكر فتتنعه الذكرى﴾ قال السدي: المعنى: لعله: يزكى ويذكر والألف صلة^(١) ﴿أما من استغنى﴾ عن الله ﴿فأنت له تصدى^(٢)﴾ تتعرض ﴿وما عليك ألا يزكى﴾ ألا يؤمن ﴿وأما من جاءك يسعى﴾ يسارع في الخير ﴿وهو يخشى﴾ الله؛ يعني: ابن أم مكتوم

= وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن هشام بن عروة عن أبيه قال: «أنزل ﴿عبس وتولى﴾ في ابن أم مكتوم» ولم يذكر فيه عائشة. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه؛ فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة.

قال الذهبي: قلت: وهو الصواب.

ورواه الإمام مالك في الموطأ (١/١٨٠ رقم ٨) عن هشام بن عروة، عن أبيه مرسلًا. ورواه ابن سعد في الطبقات (٤/٢٠٨) عن أبي معاوية الضرير، عن هشام بن عروة، عن أبيه مرسلًا.

وقال ابن عبد البر في التمهيد (٢٤/٣٢٤): وهذا الحديث لم يختلف الرواة عن مالك في إرساله، وهو يسند من حديث عائشة من رواية يحيى بن سعيد الأموي ويزيد بن سنان الرهاوي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة. ومالك أثبت من هؤلاء. ورواه ابن جريج عن هشام عن أبيه عروة بمثل حديث مالك. وروى وكيع عن هشام عن أبيه عروة «في قوله عز وجل: ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى﴾ قال: نزلت في ابن أم مكتوم». اهـ.

وقال الدارقطني في العلل (٥/٤٠ - ١): يرويه هشام بن عروة، واختلف عنه؛ فرواه عبد الرحيم بن سليمان ويحيى بن سعيد الأموي وأبو معاوية الضرير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، واختلف عن أبي معاوية: فأسنده عنه عبد الله بن هاشم الطوسي، وغيره يرسله، وكذلك رواه مالك بن أنس وغيره عن هشام عن أبيه مرسلًا، وهو الصحيح. اهـ.

وانظر: تفسير الطبري (٣٠/٥٢ - ٥٣) وتفسير ابن كثير (٤/٤٧٠ - ٤٧١) وتخريج أحاديث الكشاف (٤/١٥٥ - ١٥٧) والدر المثور (٦/٣٥٠ - ٣٥١).

(١) أي زائدة، و(أو) بمعنى الواو. وقد تقدم مثل هذا مرارًا.

(٢) هكذا في الأصل بتثنية الصاد، وهي قراءة المدنيين وابن كثير، وقرأ الباقر بتخفيفها. ينظر: النشر (٢/٣٩٨)، الدر المصون (٦/٤٧٩).

﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ تعرض ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ أي: هذا القرآن تذكرة ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿وَمَا تَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(١).

قال محمد: من قرأ (فتنفعه) بالرفع فعلى العطف على (تزكى) ومن قرأ (فتنفعه) بالنصب فعلى جواب (لعل)^(٢) وقوله: ﴿تَلَهَّى﴾ يقال: لَهَيْتُ عَنْ الشَّيْءِ أَلَهَى عَنْهُ إِذَا تَشَاغَلْتَ عَنْهُ^(٣).

﴿فِي صَحْفٍ مَكْرَمَةٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ عند الله في السماء ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ من الدُّنَسِ ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ كَتَبَ؛ يعني: الملائكة ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ لا يعصون الله.

قال محمد: واحد السَّفَرَةِ: سافرٌ مثل كاتب وكَتَبَ، ويقال: إنما قيل للكتاب: سَفَرٌ، وللكتاب: سافرٌ؛ لأن معناه: أن يُبَيِّنَ الشَّيْءَ ويوضحه، ومنه سَفَرَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا كَشَفَتِ النَّقَابَ عَنْ وَجْهِهَا^(٤)، وبررة جمع بار^(٥).

قوله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ﴾ أي: لَعِنَ؛ وهذا للمشرك ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ تفسير الكلبي: ما أشدَّ كفره: ﴿مَنْ نَظْفَقَ خَلْقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ نَظْفَقَ ثم علقه إلى أن نفخ فيه الروح ﴿ثُمَّ السَّيْلُ يَسْرُهُ﴾ تفسير بعضهم: يعني: خروجه من بطن أمه ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ جعل له من يدفنه في القبر ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ﴾ أحياء؛ يعني: البعث؛ أي: كيف يكفر؟! كقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا...﴾^(٦) الآية.

(١) المدثر: ٥٦ ، وهي قراءة نافع بالخطاب، وقرأها الباقون بالغيب «يذكرون». النشر (٢) / ٣٩٣ (٣٩٣) وإتحاف الفضلاء (٥٦٢).

(٢) قرأ عاصم بنصب العين، وقرأ الباقون برفعها. ينظر: النشر (٢/٣٩٨)، الدر المصون (٦/ ٤٧٨).

(٣) يقال: لَهَيْتُ عَنْ الشَّيْءِ يَلَهَّى: سلا عنه، وَلَهَا بِهِ يَلْهُو: لعب به. لسان العرب (لهو).

(٤) لسان العرب (سفر).

(٥) لسان العرب (برر).

(٦) البقرة: ٢٨ .

قال محمد: يقال: أقبرْتُ الرجلَ جعلْتُ له قَبْرًا، وقَبْرُهُ دَفْنُهُ^(١)، ويقال: أنشر الله الموتى فنشروا، فواحدُهم: ناشِرٌ^(٢).

﴿كَلَّا لَنَا يَقْضَى مَا أَمَرُوا﴾ (٢٣) ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ (٢٥) ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ (٢٦) ﴿فَأَبْنَأْنَا فِيهَا جِبًّا﴾ (٢٧) ﴿وَعَبْنَا وَقَضَبْنَا﴾ (٢٨) ﴿وَزَيْتُونَا وَنَخْلًا﴾ (٢٩) ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ (٣٠) ﴿وَفَيْكِهِمْ وَأَبْنَا﴾ (٣١) ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِتَنْمَنَّكُمْ﴾ (٣٢) ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ (٣٣) ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ (٣٤) ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ﴾ (٣٥) ﴿وَصَخِيئِهِ وَبَنِيهِ﴾ (٣٦) ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (٣٧) ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ تُسْفِرُ﴾ (٣٨) ﴿صَاحِبَكُمُ تُسْتَبْشِرُ﴾ (٣٩) ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرٌ﴾ (٤٠) ﴿تَرَاهُهَا قَاسَةً﴾ (٤١) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُ الْفَجَرَةُ﴾ (٤٢)

قال: ﴿كلا لما يقض﴾ أي: يصنع ﴿ما أمره﴾ يعني: الكافر لم يصنع ما أمره الله. ثم ضرب مثلاً آخر فقال: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ من أي شيء كان ﴿أنا صببنا الماء صبًّا﴾ يعني: المطر ﴿ثم شققنا الأرض شقًّا﴾ أي: بالنبات إلى قوله: ﴿وحدائق غلبًا﴾ قال الكلبي: يعني: شجراً طوَّالاً عراضاً ﴿وفاكهة وأبنا﴾ قال الحسن: الفاكهة: ما تأكلون، والأب: ما تأكل الأنعام^(٣).

﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ أي: رزقاً إلى الموت ﴿فإذا جاءت الصَّاعَةُ﴾ اسمٌ من أسماء القيامة يُصَيِّحُ لها الخلق من الفَرَقِ^(٤).

(١) لسان العرب (قبر).

(٢) لسان العرب (نشر).

(٣) وقيل: الأب: مُطلق المعنى، وقيل: يابس الفاكهة. وقيل غير ذلك. لسان العرب (أب)، الدر المصون (٤٨٢/٦).

(٤) أي: الخوف الشديد. لسان العرب (فرق).

﴿لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه﴾

قال محمد: من قرأ (يغنيه) بالغين منقوطة، فالمعنى: يصرفه ويصُدُّه عن قرابته، يقال: أغْنِ عني وجهك؛ أي: اصرفه^(١).

﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾ يعني: ناعمة ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ برضى الله.

قال محمد: (مُسْفِرَة) حقيقته: مُضِيئَة، يقال: أسفر الصبح إذا أضاء^(٢).

﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة﴾ أي: يغشاها سوادٌ ﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾.



(١) العامة على (يغنيه) من الإغناء، وابن محيصن والزهرى وابن أبي عبلة وحמיד وابن السميعة: (يعنيه) بفتح الياء، وبالعين المهملة من قولهم: عتاني الأمر، أي: قصدني. الدر المصون (٤٨٢/٦).

(٢) لسان العرب (سفر).

تفسير سورة إذا الشمس كورت
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (١) ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (٢) ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ (٣) ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ (٤) ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ (٥) ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ (٦) ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ (٧) ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ﴾ (٨) ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ (٩) ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ (١٠) ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ (١١) ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ (١٢) ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ﴾ (١٣) ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أُخِّصَتْ﴾ (١٤) ﴿قوله: ﴿إذا الشمس كورت﴾ تفسير الحسن يعني: ذهب ضوؤها.

قال محمد: ﴿كورت﴾ حقيقته: جُمِعَ ضَوْؤُهَا، ومن كلامهم: كُرْتُ العمامة على رأسي أَكُورُهَا وَكُورَتْهَا أَكُورُهَا إِذَا لَفَفْتُهَا وَهُوَ الَّذِي أَرَادَ الْحَسَنُ (١) ﴿وَإِذَا النجوم انكدرت﴾ انتثرت ﴿وَإِذَا الجبال سیرت﴾ تذهب تصير في حالات أما أول ما تُحوَّلُ عن منزلة الحجارة، فتكون كثيباً (٢)، وتكون كالعهن المنفوش (٣)، وتكون هباءً منبثاً (٤)، وتكون سراباً (٥)؛ مثل هذا السراب تراه وليس بشيء.

﴿وَإِذَا العِشَارُ عطلت﴾ وهي النوق عطّلها أهلها فلم تُخلَب من الشغل بأنفسهم.

(١) لسان العرب (كور).

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كثيباً مهيلاً﴾ (المزمل: ١٤).

(٣) كما في قوله تعالى: ﴿وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ (القارعة: ٦).

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿فكانت هباءً منبثاً﴾ (الواقعة: ٦).

(٥) كما في قوله تعالى: ﴿وسيرت الجبال فكانت سراباً﴾ (النبا: ٢٠).

(٣٨٧) قال محمد: (العِشَارُ) من الإبل: الحوامل، واحدها: عِشْرَاءٌ، وهي التي أتى عليها في الحبل عشرة أشهر، ثم يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعدها تضع^(١).

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حْشَرَتْ﴾ جمعت؛ ليقْتَصَرَ لبعضها من بعض ثم يقال لها: كوني ترابًا ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾ قال الحسن: يعني: فاضت.

قال محمد: سُجِّرَتْ حقيقة: مُلِئَتْ^(٢)، فيفضي بعضها إلى بعض فتصير شيئًا واحدًا؛ وهو معنى قول الحسن.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ تفسير الحسن: أي: تلحق كل شيعة بشيعتها: اليهود باليهود، والنصارى بالنصارى، والمجوس بالمجوس، وكل من كان يعبد من دون الله شيئًا بعضهم ببعض، والمنافقون بالمنافقات، والمؤمنون بالمؤمنات.

﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُتِلَتْ﴾ وهي بنات أهل الجاهلية كانوا يدفنونهن أحياء، لخصلتين: أما إحداهما فكانوا يقولون: إن الملائكة بناتُ الله، فألحقوا البنات به فهو أحقُّ بهنَّ، وأما الخصلة الأخرى: فمخافة الحاجة.

﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ قال الحسن: أراد الله أن يوبَّخ قاتلها؛ لأنها قُتِلَتْ بغير ذنب فسُتِلَتْ فلم يوجد لها ذنب، وبعضهم يقرأ: (وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سَأَلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)^(٣)؛ فتعلق الجارية بأبيها، فتقول: بأيِّ ذنب قتلتني؟!

(١) وقيل: يظل اسمها عِشْرَاءَ إلى أن تضع في تمام السنة، وكذلك يقال في جمع نساء: نِقَاسٌ. ينظر الدر المصون (٤٨٤/٦)، لسان العرب (عشر).

(٢) لسان العرب (سحر).

(٣) العامة على (سُتِلَتْ) مبيئًا للمفعول، وقرأ علي وابن مسعود وابن عباس (سألت) مبيئًا للفاعل. ينظر الدر المصون (٤٨٦/٦).

قال محمد: يقال وأدث المولود إذا دفته حياً، فأنا واثد، والمصدر إذّة.
﴿وإذا الصحف نشرت﴾ للحساب وهو ما كتبت الملائكة على العباد من أعمالهم ﴿وإذا السماء كشطت﴾ أي: طويت، وقال مجاهد: يعني: اجتذبت^(١).

قال محمد: يقال كشطت السقف أي: قلعته، فكان المعنى: قُلِعَتْ فَطُويت.
﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ أوقدت، وهي توقد منذ خلقت (...) ^(٢)
السموات والأرض في الستة الأيام ﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ أدنيث ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ من عملها.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۝١٥ أَلْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۝١٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾
لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْئِ الْيُسْبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝٢٥ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝٢٦ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝٢٧ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝٢٩﴾

﴿فلا أقسم﴾ المعنى: فأقسم «ولا» صلة ﴿بالخُنُوسِ﴾ تفسير الحسن: هي النجوم تخنسُ بالنهار؛ أي: تتوارى، وهي في ذلك جارية ﴿الجواري﴾^(٣)
يعني: جريها في السماء ﴿الْكُنُوسِ﴾ تفسير الكلبي: يعني: أنها تكنس بالنهار كما تتوارى الظباء في كَنَاسِهَا ﴿والليل إذا عسعس﴾ تفسير الحسن: إذا أظلم.

(١) روى الطبري في تفسيره (٣٠ / ٧٣) عن مجاهد قوله: ﴿كشطت﴾ قال: جذبت.

(٢) كلمة مطموسة في الأصل.

(٣) كذا بالياء، وقد وقف عليها يعقوب بالياء. إتحاف الفضلاء (١٤١).

قال محمد: قال قوم: عسعس الليل عسعسة إذا أظلم، وقيل: عسعس أدبر^(١)، وأنشد بعضهم:

حتى إذا الصبح لها تنفساً وانجأب عنها ليلها وعسعسا^(٢)

﴿والصبح إذا تنفس﴾ إذا أضاء أقسم بهذا كله ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ يعني: جبريل يرسله الله إلى النبيين ﴿ذي قوة عند ذي العرش مكين﴾ في المنزلة والقربة ﴿مطاع ثم﴾ يعني: في السماء. قال الحسن: أمر الله أهل السماء بطاعة جبريل، كما أمر أهل الأرض أن يطيعوا محمداً ﴿أمين﴾ عند الله وعند الملائكة.

﴿وما صابجكم بمجنون﴾ يعني: محمداً ﷺ وذلك لقول المشركين: إنه مجنون ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ يعني: المشرق الذي منه مطالع النجوم والشمس والقمر؛ يعني: أن محمداً رأى جبريل في صورته مع الأفق فسد ما بين السماء والأرض ﴿وما هو على الغيب﴾ الوحي ﴿بضنين﴾ ببخل يبخل عليكم به، وبعضهم يقرأ (بظنين) أي: بمتهم^(٣) ﴿وما هو﴾ يعني: القرآن ﴿بقول شيطان رجيم﴾ ملعون ﴿فأين تذهبون﴾ تعدلون عنه يقوله للمشركين ﴿إن هو﴾ يعني: ما هو^(٤)؛ أي: ما القرآن

(١) لسان العرب (عسعس).

(٢) البيت من الرجز، وهو للعجاج. ينظر: الكشاف (٤ / ١٨٩) والدر المصون (٦ / ٤٨٧) ونسبه القرطبي في تفسيره (١٩ / ٢٣٨) إلى علقمة بن قرط. وينظر البحر المحيط (٨ / ٤٣٠).

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي ورويس، وقرأ الباقون بالضاد. ينظر: النشر (٢ / ٣٩٩)، الدر المصون (٦ / ٤٨٧).

(٤) أي أن (إن) المخففة بمعنى (ما) النافية. ينظر: مغني اللبيب (١ / ٤١ - ٤٣).

﴿إلا ذكرٌ للعالمين﴾ يعني: من آمن به يذكرون به الآخرة ﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ على أمر الله والتذكرة ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾.



تفسير سورة إذا السماء انفطرت
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَبِيرِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِعَائِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

قوله: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ يعني: انشَقَّتْ؛ وذلك يوم القيامة ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ تساقطت ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ﴾ فُجِرَ ملحها في عَذْبِهَا، وعَذْبُهَا في مِلْحِهَا في تفسير قتادة ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أخرج ما فيها من الأموات ﴿عَلِمْتَ نَفْسَ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ ما قدمت من خيرٍ أو شرٍّ، وما أَخَّرَتْ من سُئَةٍ حَسَنَةٍ، فَعَمِلَ بها بعده فله مثل أجر من عمل بها لا ينقص من أجورهم شَيْئًا، أو سُئَةٍ سَيِّئَةٍ فَعَمِلَ بها بعده فعليه مثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شَيْئًا.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ قرأ عمر بن الخطاب هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ فقال: غَرَّهُ حُمَقُهُ وَجَهْلُهُ.

قال محمد: معنى (غَرْكَ) أي: خدعك (٣٨٨ج) وسوّل لك^(١)؛ حتى أضعت (...)^(٢)

﴿الذي خلقك فسوّاك﴾ يعني: سوى خَلَقَكَ ﴿فَعَدَّلَكَ﴾^(٣) يعني: اعتدال الخلق؛ أي: جعل عينيك سواء، ويديك سواء، ورجليك سواء، وجنبيك سواء.

﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ تفسير مجاهد: إن شاء حسناً، وإن شاء قبيحاً، وإن شاء ذكراً، وإن شاء أنثى.

﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ بالحساب يوم القيامة ﴿وإن عليكم لحافظين﴾ يعني: الملائكة التي تكتب أعمال العباد ﴿كراماً﴾ على الله.

﴿يعلمون ما تفعلون﴾ من الظاهر فيكتبونه.

﴿إن الأبرار لفي نعيم﴾ في الجنة ﴿وإن الفجار﴾ يعني: المشركين ﴿لفي جحيم﴾.

﴿وما هم عنها﴾ عن النار ﴿بغائبين﴾.

﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾ ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴿ثنى ذكره تعظيماً له﴾ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴿أي: لا تنفعها﴾ والأمر يومئذ لله ﴿



(١) لسان العرب (غرر).

(٢) طمس في الأصل قدر كلمتين.

(٣) قرأ الكوفيون بتخفيف الدال، وقرأ الباقون بتشديدها. النشر (٢/ ٣٩٩)، إتحاف الفضلاء

(٥٧٥) تفسير القرطبي (١٩/ ٢٤٦).

تفسير سورة المطففين
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَعِيرٍ (٧) وَمَا أَزِدُّكَ مَآ سَعِيرٌ (٨) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٩) وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُونُونَ (١٥) ثُمَّ لِيَأْتَهُمْ لَصَاقُ الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (١٧) ﴿

قوله: ﴿ويلٌ للمطففين﴾ في الآخرة؛ أي: يدعون بالويل والشبور في النار، بلغني أنها نزلت في مشركي أهل مكة ﴿الذين إذا اکتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾.

قال محمد: ﴿ويل﴾ رفع بالابتداء، والخبر ﴿للمطففين﴾ (١) والويل كلمة تقال لكل من وقع في عذاب وهلكة (٢)، والمطففون: الذين ينقصون المكيال والميزان (٣)، وقوله: ﴿على الناس﴾ (٤) أي: من الناس ﴿وإذا كالوهم أو

(١) الدر المصون (٦/ ٤٩٠).

(٢) لسان العرب (ويل).

(٣) واحدهم: مطفف. ينظر لسان العرب (طفف).

(٤) أي: أن (على) بمعنى (من) ينظر الدر المصون (٦/ ٤٩٠)، مغني اللبيب.

وزنوهم ﴿أي: كالوا لهم أو وزنوا لهم﴾^(١) ﴿يخسرون﴾ يقال: أخسرت الميزان، وخسرته^(٢) والقراءة على (أخسرت)^(٣).

قوله: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾.

يحيى: بلغني أنهم يقومون مقدار ثلاثمائة سنة قبل أن يفصل بينهم.

يحيى: عن خدائش، عن عوف الكوفي، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما طول يوم القيامة على المؤمنين إلا كرجلٍ دخل في صلاة مكتوبة فأتَمَّها وأَحْسَنَها وأَجْمَلَهَا»^(٤)

(١) الأصل في هذين الفعلين التعدي لاثنتين لأحدهما بنفسه بلا خلاف، وللآخر بحرف الجر، ويجوز حذفه. الدر المصون (٦ / ٤٩٠).

(٢) لسان العرب (خسر).

(٣) وهي قراءة العامة تفسير القرطبي (١٩ / ٢٥٢).

(٤) لم أقف عليه من هذا الطريق، غير أن الإمام أبا المظفر السمعاني قال في تفسيره (٦ / ٤٥)

عند ذكر يوم القيامة: وروى الحسن مرسلاً وأبو سعيد الخدري مسنداً في بعض الغرائب من الروايات: «إن الله تعالى يخففه على المؤمنين فيجعل به قدر صلاة مكتوبة خفيفة». اهـ.

وحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه رواه الإمام أحمد (٣ / ٧٥) وأبو يعلى (٢ / ٥٢٧ رقم

١٣٩٠) والطبري في تفسيره (٢٩ / ٧٢) وابن أبي الدنيا في الأحوال (١٣١ رقم ١٠٣) وابن

حبان في صحيحه (١٦ / ٣٢٩ رقم ٧٣٣٤) وابن عدي في الكامل (٤ / ١٤) والبقوي في

تفسيره (٨ / ٢٢١) وفي شرح السنة (١٥ / ١٢٩ رقم ٤٣١٨) من طريق دراج أبي السمح،

عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد رضي الله عنه.

وقال ابن عدي: وهذا رواه الأوزاعي، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة عن النبي

ﷺ. رواه عنه الوليد بن مسلم.

وقال ابن كثير في تفسيره (٤ / ٤١٩): إلا أن دراجاً وشيخه أبا الهيثم ضعيفان، والله أعلم.

وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (٦ / ٢٦٧٨).

وقال الهيثمي في المجمع (١٠ / ٣٣٧): رواه أحمد وأبو يعلى، وإسناده حسن على ضعف

في راويه. اهـ.

والحديث الذي أشار إليه ابن عدي رواه أبو يعلى (١٠ / ٤١٥ رقم ٦٠٢٥) وابن حبان (١٦ /

٣٢٨ رقم ٧٣٣٣) من طريق الوليد بن مسلم به، ولفظه: «يقوم الناس لرب العالمين مقدار =

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾ المشركين ﴿لَفِي سَجِينٍ﴾ تفسير ابن عباس قال: سألت كعباً عن قوله: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ﴾ فقال: حجر أسود تحت الأرض السابعة تكتب فيه أرواح الكفار.

قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ﴾ أي: ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك، ثم فسره فقال: ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ أي: مكتوب.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ أي: ظالم ﴿أَثِيمٍ﴾ آثم؛ وهو المشرك ﴿إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كذب الأولين وباطلهم ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قال الكلبي: يعني: طبع على قلوبهم ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. قال محمد: واحد (الأساطير): أسطورة؛ مثل: أحداث وأحاديث^(١)، ومعنى (كلا) عند أهل اللغة ردع وتنبية^(٢)، و(ران) بمعنى غطى؛ يقال: ران على قلبه الذئب يريد ريناً^(٣).

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ يحتجب الله عن المشركين فلا يرونه، وأما المؤمنون فيرونه في كل جمعة فيتجلى لهم؛ حتى ينظروا إليه. ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ﴾ في الدنيا يقال ذلك للمشركين وهم في النار.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ

= نصف يوم من خمسين ألف سنة، فيهن ذلك على المؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب.

وجود العراقي إسناده، تخريج الإحياء (٦/ ٢٦٧٨).

(١) واحداً أيضاً: إسطار: وإسطير وأسطور، وبالهاء في الثلاثة. ينظر لسان العرب (سطر).

(٢) انظر مغني اللبيب (١/ ٣١٩-٣٢١).

(٣) والزين والزنان بمعنى: لسان العرب (رين).

نَضْرَةَ الْعَلِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتْمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا
كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ
﴿٣٣﴾ فَأَلَيْكُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين﴾ تفسير مجاهد: عليون في السماء السابعة قال: ﴿وما أدراك ما عليون﴾ أي: أنك لم تدري ما عليون؟ حتى أعلمتك ﴿كتاب مرقوم﴾ مكتوب؛ يكتب في عليين ﴿يشهده المقربون﴾ مقربو أهل كل سماء يشهدون كتاب عمل المؤمن حيث يكتب فيه، ويشهدون عليهم يوم القيامة أنها أعمالهم.

﴿على الأرائك ينظرون﴾ الأرائك السُرُر في الحجال، قال مجاهد: وهي سُرُر من لؤلؤ وياقوت.

﴿يسقون من رحيق﴾ يعني: الشراب، وهي الخمر ﴿مختوم ختامه مسك﴾ قال مجاهد: يختم به آخر جرعة.

قال محمد: يعني: أنهم إذا شربوا هذا الرحيق ففني ما في الكأس وانقطع الشرب، انختم ذلك بطعم المسك ورائحته.

قال: ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ في الدنيا بالأعمال الصالحة قال: ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ ومزاج ذلك الشراب من تسنيم ﴿عينًا يشرب بها المقربون﴾ قال قتادة: يشرب بها المقربون صرفًا، وتمزج لسائر أهل الجنة.

و(تسليم) أشرف شراب في الجنة.

قال: ونصب (عينًا) لأن المعنى من عين^(١)؛ كما قال: ﴿أأسجد لمن خلقت طينًا﴾^(٢) أي: من طين.

﴿إن الذين أجمعوا﴾ أشركوا ﴿كانوا من الذين آمنوا يضحكون﴾ في الدنيا؛ أي: يسخرون بهم ﴿وإذا مروا بهم يتغامزون﴾ كان المشركون إذا مرّ عليهم النبي ﷺ وأصحابه يقول بعضهم لبعض: انظروا إلى هؤلاء الذين تركوا شهواتهم في الدنيا (ل٣٨٩) يطلبون بذلك - زعموا - نعيم الآخرة ﴿وإذا انقلبوا﴾ يعني: المشركين ﴿إلى أهلهم﴾ في الدنيا ﴿انقلبوا فاكهين﴾^(٣) أي: مسرورين ﴿وإذا رأوهم﴾ رأوا أصحاب النبي ﷺ ﴿قالوا إن هؤلاء لضالون﴾ يتركون شهواتهم في الدنيا.

قال الله: ﴿وما أرسلوا عليهم حافظين﴾ يحفظون أعمالهم يعني: المشركين ﴿فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾ تفسير الحسن: هذه والله الدولة الكريمة التي أдал الله المؤمنين على المشركين في الآخرة، فهم يضحكون منهم، وهم متكئون على فرشهم ينظرون كيف يعذبون؛ كما كان الكفار يضحكون منهم في الدنيا والجنة في السماء.

قال الحسن: قال رسول الله ﷺ: «يجاء بالمستهزئين يوم القيامة فيفتح لهم باب إلى الجنة، فيقال لهم: ادخلوا؛ فإذا جاءوا أغلق دونهم فيرجعون، ثم يدعون فإذا جاءوا أغلق دونهم فيرجعون، فيدعون ليدخلوا فإذا جاءوا أغلق

(١) وفي أقوال نحوية أخرى. ينظر الدر المصون (٦/ ٤٩٤).

(٢) الإسراء: ٦١.

(٣) قرأ حفص «فاكهين» بغير ألف، واختلف عن ابن عامر، وقرأ باقي السبعة «فاكهين» بالألف. النشر (٢/ ٣٥٤ - ٣٥٥) وإتحاف الفضلاء (٥٧٦).

دونهم حتى إنهم يدعون فما يجيئون من اليأس^(١).
قوله: ﴿هل ثوب الكفار﴾ هل جوزي الكفار؟ ﴿ما كانوا يفعلون﴾ أي: قد
جوزوا شرّ الجزاء.



(١) تقدم تخريجه في أول تفسير سورة البقرة، عند الآية: ١٥ .

تفسير سورة إذا السماء انشقت
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ (١) ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (٢) ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ (٣) ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ (٤) ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ (٥) ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (٦) ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبَهُ بِإِيمِينِهِ﴾ (٧) ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (٩) ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ (١٠) ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ (١١) ﴿وَيَصَلَّىٰ سَعِيرًا﴾ (١٢) ﴿إِنَّهُمْ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (١٣) ﴿إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَن لَّنْ يَحْجُوزَ﴾ (١٤) ﴿بَلَىٰ إِنْ رَأَيْتُمْ كَانَ يَوْمٌ بِصِيرًا﴾ (١٥)

قوله: ﴿إذا السماء انشقت﴾ وذلك يوم القيامة ﴿وأذنت لربها﴾ سمعت وأطاعت ﴿وحُقَّتْ﴾ وحق لها أن تفعل ﴿وإذا الأرض مدت﴾ تمد مد الأديم؛ وهذا إذا بدلت بأرض بيضاء؛ كأنها فضة لم يعمل عليها خطيئة ﴿وألقت﴾ أخرجت ﴿ما فيها﴾ يعني: الأموات ﴿وتخلت﴾ إلى الله منهم، فصاروا على (...)(١) ﴿وأذنت لربها وحُقَّتْ﴾ هي مثل الأولى.

قال محمد: يقال: أذنت للشيء آذن آذنا إذا استمعت^(٢). قال الشاعر:

صُمَّ إذا سَمِعُوا خيرا دُكِرَتْ به وإن دُكِرَتْ بسوءٍ عندهم أذِنُوا^(٣)

(١) كلمة لم تظهر لعب في التصوير ولعلها: ظهرها.

(٢) لسان العرب (أذن).

(٣) البيت من بحر البسيط، وهو لقنن بن أم صاحب. ينظر: لسان العرب (أذن)، مغني اللبيب، تفسير القرطبي (١٩/٢٦٩).

قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾ أي: عامل إلى ربك عملاً ﴿فَمُلَاقِي ثَوَابٍ﴾ فَمُلَاقِي ثَوَابٍ ذلك العمل؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. قال محمد: الكَذْحُ في اللغة: السَّغْيُ والدَّؤْبُ في العمل في باب الدنيا وفي باب الآخرة. وجواب (إذا) يدل عليه فملاقيه، المعنى: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله^(١).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ...﴾ الآية «سألت عائشة النبي ﷺ عن الذي يحاسب حساباً يسيراً فقال: يُعْرَفُ بعمله، ثم يتجاوز الله عنه»^(٢) ﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ إلى أزواجه من الحور العين ﴿مَسْرُورًا﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ تُخْلَعُ كَتَفُهُ اليسرى فَتُجْعَلُ خلفه فيأخذ بها كتابه ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ في النار يقول: يا ويلاه! ويا ثبوراه! ﴿وَيُصَلَّىٰ﴾^(٣) سعيّاً أي: يُكْثِرُ عَذَابَهُ، ويشوى في النار ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ لا يؤمن بالبعث ﴿إِنَّهُ ظَنَّ﴾ حَسِبَ ﴿أَنْ لَّنْ يَحُورَ﴾ أي: يرجع إلى ربه. قال محمد: حار يحور حَوْرًا وَحُورًا؛ أي: رجع^(٤)، وقال ليذ:

(١) وإلى هذا ذهب الأخفش. ينظر: الدر المصون (٤٩٦/٦).

(٢) روى البخاري (٥٧٦-٥٧٧ رقم ٤٩٣٩) ومسلم (٢٢٠٤-٢٢٠٥ رقم ٢٨٧٦) عن عائشة رضي الله عنها: قالت: قال رسول الله ﷺ: «ليس أحد يحاسب إلا هلك». قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله - عز وجل - : ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يَحَسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ! قال: ذاك العرض يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك. (٣) هكذا في الأصل بضم الياء؛ حيث قرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام، والباقون بالضم والفتح والتثنية، وقرأ أبو الأشهب ونافع وعاصم وأبو عمرو في رواية عنهم (يُصَلَّى) بضم الياء وسكون الصاد من (أصلى) ينظر: النشر (٣٩٩/٢) الدر المصون (٤٩٦/٦).

(٤) لسان العرب (حور).

وما المرء إلا كالشهاب وضوؤه يحور رمادًا بعد إذ هو ساطع^(١)
قوله: ﴿بلى إن ربه كان به بصيرًا﴾ أي: أنه سينعته.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ
طَبَقٍ (١٩) لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)﴾

﴿فلا أقسم بالشفق﴾ يعني: الحمرة إذا غابت الشمس ما بين المغرب والعشاء ﴿والليل وما وسق﴾ وما جمع مما عمل فيه الخلق من خير أو شر ﴿والقمر إذا اتسق﴾ إذا استوى فاستدار، وهذا قسم من قوله: ﴿فلا أقسم بالشفق﴾ إلى هذا الموضع أقسم بهذا كله ﴿لتركبن طبقاً عن طبق﴾ أي: حالاً بعد حال؛ في تفسير الحسن.

﴿فما لهم﴾ يعني: المشركين ﴿لا يؤمنون﴾ وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون ﴿لا يصلون﴾ والله أعلم بما يوعون ﴿أي: يخفون في صدورهم﴾. ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر﴾ ثواب وهي الجنة ﴿غير ممنون﴾ تفسير الحسن: غير ممنون عليهم من أذى.

* * *

(١) البيت من بحر الطويل. ينظر: ديوان لبيد (١٦٩)، الدر المصون (٦/٤٩٨)، الكشف (٤/١٩٨)، تفسير القرطبي (١٩/٢٧٣).

تفسير سورة والسماء ذات البروج
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْوَعْدِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝٩ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١٠ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَبْتُؤُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ الْخَرِيقِ ۝١١﴾

قوله: ﴿والسماء ذات البروج﴾ تفسير ابن عباس: ذات النجوم ﴿واليوم الموعود﴾ يعني: يوم القيامة ﴿وشاهد﴾ يعني: يوم الجمعة ﴿ومشهود﴾ يعني: يوم عرفة؛ هذا تفسير الحسن، ورواه عن النبي ﷺ. (١) قوله: ﴿قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ...﴾ إلى قوله ﴿شُهُودٌ﴾ الأخدود: الشق في الأرض، وجمعه: أخاديد (٢). قال الحسن: كان أصحاب الأخدود ثمانين بين رجل وامرأة، فأخذهم المشركون، فخذوا لهم أخدوداً في الأرض، ثم أوقدوا لهم نارا ضخمة ثم (...). (٣) (ل ٣٩٠) فجعلوا يقولون

(١) لم أقف عليه من حديث الحسن، وقد روي عن غير واحد من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً وعن سعيد بن المسيب مرسلاً، انظر: تفسير الطبري (٣٠/١٢٩-١٣٠) وتفسير ابن كثير (٤/٤٩١-٤٩٢) والدر المنثور (٦/٣٦٩-٣٧٠).

(٢) لسان العرب (خدد).

(٣) كلمة مطموسة في الأصل.

للرجل والمرأة منهم: إما أن تترك دينك وإما أن تقذفك في النار. فيقول: ما أنا بتارك ديني لشيء! فيقذف فيها فيحترق حتى أتوا عليهم، فبقيت امرأة ومعها صبي فتحييت؛ فقال لها الصبي: امضي ولا تُناققي، فمضت فاحترقت. قال يحيى: كان صغيراً لم يتكلم قبل ذلك، وقال مجاهد: وذلك بنجران.

قال: ﴿وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود﴾ من تحريقهم إياهم بالنار ﴿وما نقموا منهم﴾ ما كرهوا منهم ﴿إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾ ما سفكوا لهم دماء، ولا أخذوا لهم مالاً ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ شاهد على كل نفس بعملها.

﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ يعني: أحرقوهم بالنار؛ في تفسير السدي.

قال محمد: يقال: فتن الشيء أحرقته، والفتن حجارة سود كأنها مُحْرِقَةٌ^(١).

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ

﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَبَعْدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ

الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا

فِي تَكْذِيبِ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

﴿إن بطش ربك﴾ عقوبة ربك ﴿لشديد﴾.

قال محمد: (إن بطش ربك لشديد) هو جواب القسم (والسماء ذات البروج)^(٢).

(١) لسان العرب (فتن).

(٢) وهو قول المبرد. وقيل: جواب القسم: (إن الذين فتنوا). وقيل: مقدر - وهو رأي الزمخشري - يدل عليه قوله تعالى: ﴿قتل أصحاب الأخدود﴾. ينظر: الدر المصون ٦/٥٠٢، والكشاف ٤/١٩٩.

﴿إنه هو يبدئ﴾ أي: يخلق ﴿ويعيد﴾ أي: يعث يوم القيامة ﴿وهو الغفور﴾ للذنوب، ولا يغفر إلا لمن آمن ﴿الودود﴾ تفسير الحسن: يتوَدَّد إلى خلقه بما يعطيهم من النعم في (...) ^(١) وأرزاقهم، وما يغفر لهم من الذنوب ﴿ذو العرش﴾ رب العرش ﴿المجيد﴾ يقرأ (المجيد) بالرفع والجبر؛ فمن قرأ بالرَّفْع رجع إلى قوله: ﴿وهو الغفور الودود﴾ المجيد ذو العرش، ومن قرأها بالجبر جعله من صفة (العرش) ^(٢) وتفسير المجيد: الكريم.

﴿هل أتاك﴾ أي: قد أتاك ﴿حديث الجنود فرعون وثمود﴾ كيف أهلكهم الله حين كذبوا رسلهم.

﴿والله من ورائهم محيط﴾ حتى يجزيهم بأعمالهم.

قال محمد: المعنى: إن قدرته مُشتملةٌ عليهم لا يعجزه منهم أحد؛ وهو الذي أراد يحيى.

﴿بل هو قرآن مجيد﴾ كريمٌ على الله ﴿في لوح محفوظ﴾ وهو أم الكتاب. قال محمد: قال أبو عبيد: قرأ نافع: (محفوظ) بالرفع، وقراه غيره (محفوظ) بالخفض والخفض في هذا أحبُّ إليَّ ليكون من نعتِ (اللَّوح) ^(٣).

(١) كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) قرأ حمزة والكسائي وخلف بخفض الدال، وقرأ الباقر برفعها. النشر (٣٩٩/٢)، الدر المصون (٥٠٤/٦)، تفسير القرطبي (٢٩٦/١٩-٢٩٧).

(٣) قرأ نافع برفع الظاء، وقرأ الباقر بخفضها. النشر (٣٩٩/٢)، الدر المصون (٥٠٥/٦)، تفسير القرطبي (٢٩٩/١٩).

تفسير سورة السماء والطارق
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَيَنْظُرُ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصُّنُوعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْمَزَلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَآكِدٌ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَتْمَلَهُمْ رُؤْدًا ﴿١٧﴾﴾

قوله: ﴿والسما والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب﴾ والنجم في هذا الموضع جماعة النجوم^(١)، والثاقب: المضيء.

قال محمد: يقال: ثَقَبَ يَثْقُبُ ثَقُوبًا إذا أضاء، ويقال للموقد: أثقَب ناركَ؛ أي: أضئها^(٢). وهذا قسم.

﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ وهي تقرأ على وجهين (لما) خفيفة، و(لما) مثقلة؛ فمن قرأها بالتخفيف يقول: لعلها حافظ و(ما) صلة، ومن قرأها بالثقل يقول: إلا عليها حافظ؛ يعني: حافظًا من الملائكة يحفظ عليها عملها^(٣).

(١) وقيل غير ذلك. تفسير القرطبي (٢٠ / ١).

(٢) لسان العرب (ثقب).

(٣) قرأ ابن عامر وعاصم وحمة وأبو جعفر بالثقل، والباقون بالتخفيف، ينظر النشر (٢ / ٣٩٩، ٢٩١)، الدر المصون (٦ / ٥٠٦)، تفسير القرطبي (٢٠ / ٤).

قال محمد: إنما قيل للنجم: الطارق؛ لأن طلوعه بالليل، وكل ما أتى ليلاً فهو طارق^(١).

﴿فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق﴾ يعني: النطفة.

قال محمد: (دافق) قال قوم: معناه: مَذْفُوقٌ^(٢)، وقال قوم المعنى: من ماء ذي اندفاق^(٣).

﴿يخرج من بين الصلب والترائب﴾ يعني: صلب الرجل، وترائب المرأة وهو نحرها.

قال محمد: الترائب موضع القلادة من الصدر، واحدها: تريبة^(٤).

﴿إنه﴾ إن الله ﴿على رجعه﴾ على أن يبعثه بعد الموت ﴿لقادر يوم تبلى السرائر﴾ أي: تختبر وتظهر؛ يعني: سرائر القلوب ﴿فما له من قوة﴾ يمنع بها من عذاب الله ﴿ولا ناصر﴾ ينصره وهذا المشرك، ثم أقسم فقال: ﴿والسما ذات الرجع﴾ بالمطر عامًا فعامًا ﴿والأرض ذات الصدع﴾ بالثبات ﴿إنه﴾ يعني: القرآن ﴿لقول فصل﴾ حق ﴿وما هو بالهزل﴾ بالكذب.

قال محمد: (الرجع) في اللغة: المطر سَمِيَّ بذلك؛ لأنه يجيء ويرجع ويتكرر^(٥).

﴿إنهم يكيدون كيدًا﴾ يعني: المشركين يكيدون بالنبي ﷺ ﴿وأكيد كيدًا﴾

(١) لسان العرب (طارق).

(٢) وهو رأي الفراء والأخفش.

(٣) وهو رأي الزجاج، ومذهب سيويه. ينظر تفسير القرطبي (٢٠ / ٤)، الدر المصون (٦ / ٥٠٦).

(٤) وقيل: الترائب: عظام الصدر مما يلي الترقوتين. المعجم الوسيط (ترب).

(٥) لسان العرب (رجع).

أي: أعذبهم في الدنيا والآخرة.

قال محمد: ﴿وأكيد كيدًا﴾ يعني: أجازيهم جزاء كيدهم^(١)؛ وهو معنى ما ذهب إليه يحيى.

﴿فمهل الكافرين أمهلهم رويدًا﴾ أي: قليلًا؛ وهذا وعيدٌ. تفسير الكلبي: يعني: يوم بدر.

قال محمد: ﴿رويدًا﴾ صفة للمصدر؛ المعنى: أمهلهم إمهالًا رويدًا^(٢).



(١) تفسير القرطبي (٢٠ / ١١).

(٢) الدر المصون (٦ / ٥٠٨)، تفسير القرطبي (٢٠ / ١٢).

تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غَنَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَنُبَشِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكَرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَنَجْنِبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾﴾

(ل ٣٩١) قوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ صلّ لربك الأعلى ﴿الذي خلق فسوى﴾ والذي قدر فهدى ﴿أي: قدره في خلقه نطفة، ثم علقه، ثم مضغه، ثم عظمًا، ثم لحمًا، ثم شعراء، ثم نفخ فيه الروح، قال: ﴿فهدى﴾ بين له السبيل: سبيل الهدى، وسبيل الضلالة؛ في تفسير الحسن ﴿والذي أخرج المرعى فجعله غناءً أحوى﴾ فيها تقديم: فجعله أحوى غناء^(١)، والأحوى عند الحسن: الأسود من شدة الخضرة، والغناء: الهشيم اليابس، وهو كقوله: ﴿فأصبح هشيمًا تذرّوه الرياح﴾^(٢) أي: فصار هشيمًا بعد إذ كان خضرًا.

(١) الدر المصون (٦/ ٥٠٩).

(٢) الكهف: ٤٥.

قال محمد: الحُوَّةُ: السَّوَادُ؛ ولذلك قيل للشديد الخضرة: أحوى؛ لأنه يضرب إلى الحُوَّة^(١). والغناء في كلام العرب: الذي تراه فوق ماء السيل، يقال منه: غشى الوادي يغشي^(٢) إذا جمع غشاءه، وواحد الغشاء: غشاء.

قوله: ﴿سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله﴾ وذلك أن النبي ﷺ كان إذا نزل عليه القرآن يجعل يقرأ ويدب فيه نفسه مخافة أن ينسى، وقوله: ﴿إلا ما شاء الله﴾ هو كقوله: ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾^(٣) ينسها الله نبيه. قال محمد: ﴿فلا تنسى﴾ المعنى: فأنت لا تنسى لم يُرد الأمر^(٤).

قوله: ﴿إنه يعلم الجهر﴾ العلانية ﴿وما يخفى﴾ السر ﴿ونيسرك لليسرى﴾ لعمل الجنة ﴿فذكر﴾ أي: بالقرآن ﴿إن نفعت الذكرى﴾ أي: إنما ينتفع بالتذكرة من يقبلها ﴿سيذكر من يخشى﴾ الله ﴿ويتجنبها﴾ يتجنب التذكرة ﴿الأسقى﴾ يعني: المشرك ﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ وهي نار جهنم، والصغرى: نار الدنيا ﴿ثم لا يموت فيها﴾ فيستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه.

﴿قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى﴾ وكانت الصلاة يومئذ ركعتين غدوة، وركعتين عشية ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ يقوله للمشركين؛ أي: يزعمون أن الدنيا باقية، وأن الآخرة لا تكون ﴿والآخرة خير﴾ من الدنيا

(١) لسان العرب (حوا)، الدر المصون (٦/ ٥٠٩ - ٥١٠).

(٢) يقال فيه غَنَّا يَغْتَو، وَغَشَى يَغْشَى، ويجمع الغشاء على أغشاء. لسان العرب (غشو).

(٣) البقرة: ١٠٦.

(٤) قيل: هو نفي. وقيل: نهى والألف للإشباع. ومنع مكِّي أن يكون نهياً؛ لأنه لا ينهى عما ليس باختياره. قال السمين الحلبي: وهذا غير لازم، إذ المعنى: النهي عن تعاطي أسباب النسيان، وهو سائق. ينظر الدر المصون (٦/ ٥١٠).

﴿وأبقى﴾ أي: وأن الدنيا لا تبقى، وأن الآخرة باقية؛ يعني: بهذا الجنة ﴿إن هذا لفي الصحف الأولى﴾ صحف إبراهيم وموسى ﴿تفسير بعضهم: يقول فيها: إن الآخرة خيرٌ من الدنيا وأبقى.﴾



تفسير سورة هل أتاك حديث الغاشية
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ (١) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ (٢) ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ (٣) ﴿تَصَلَّى نَارًا﴾ (٤) ﴿حَامِيَةً﴾ (٥) ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ (٦) ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ (٧) ﴿لَا يُسْنِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ (٨) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ (٩) ﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ (١٠) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ (١١) ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَفِيَةً﴾ (١٢) ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ (١٣) ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ (١٤) ﴿وَأَكْوَابُ مَوْضُوعَةٌ﴾ (١٥) ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ (١٦) ﴿وَزَرَارٍ﴾ (١٧) ﴿مَبْنُوتَةٌ﴾ (١٨)

قوله: ﴿هل أتاك﴾ قد أتاك ﴿حديث الغاشية﴾ يعني: القيامة - في تفسير الحسن - تغشى الناس بعذابها وعقابها ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ ذليلة؛ يعني: وجوه أهل النار ﴿عاملة ناصبة﴾ كفرت بالله في الدنيا، فأعملها وأنصبها في النار ﴿تسقى من عين آنية﴾ حارة قد انتهى حرُّها ﴿ليس لهم طعامٌ إلا من ضريع﴾ قال الكلبي: نبت ينبت في الربيع؛ فإذا كان في الصيف ييس فاسمه إذا كان عليه ورقه: [شبرق] (١) وإذا تساقط ورقه فهو الضريع، فالإبل تأكله أخضر، فإذا ييس لم تذقه (٢).

﴿وجوه يومئذ ناعمة﴾ وهم أهل الجنة ﴿لسعيها﴾ لثواب عملها ﴿راضية﴾

(١) طمس في الأصل، والمثبت من لسان العرب (ضرع)، والشبرق: نبات خبيث لا تقربه الدواب. لسان العرب (شبرق - ضرع).

(٢) لسان العرب (ضرع).

في جنة عالية ﴿ لا تُسْمَعُ ^(١) فيها لآغية ﴾ يعني: اللغو ﴿ فيها عين جارية ﴾ يعني: جماعة العيون؛ وهي الأنهار ﴿ فيها سرر مرفوعة ﴾ عالية وأكواب موضوعة ﴿ واحدها كوب، وهو المدور القصير العنق القصير العروة ^(٢) ﴾ ونمارق مصفوفة ﴿ وهي الوسائد ﴾ وزرابي ﴿ وهي البسط مبنوثة ﴾ مبسوطة بلغنا أنها منسوجة بالدر والياقوت.

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ^(١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ^(١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ^(١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ^(٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ^(٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ^(٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ^(٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ^(٢٤) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ^(٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ^(٢٦) ﴾

وقوله: ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾.

قال محمد: قيل: أراد أنها تنهض بأحمالها وهي باركة، وليس يفعل ذلك غيرها من الدواب.

﴿ وإلى السماء كيف رفعت ﴾ بينكم وبينها مسيرة خمسمائة عام ﴿ وإلى الجبال كيف نصبت ﴾ مثبتة (...). ^(٣) ﴿ وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ يقول: أفلا ينظرون إلى هذا، فيعلمون أن الذي خلق هذه الأشياء قادر على أن يبعثهم يوم القيامة ﴿ لست عليهم بمصيطر ﴾ أي (بمسلط) ^(٤) تكرههم على الإيمان

(١) هكذا في الأصل (لا تُسْمَعُ) وهي قراءة نافع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس (لا يُسْمَعُ) وقرأ الباقون (لا تُسْمَعُ). ينظر النشر (٢/ ٤٠٠)، الدر المصون (٦/ ٥١٣ - ٥١٤)، تفسير القرطبي (٢٠ - ٢٣).

(٢) لسان العرب (كوب).

(٣) كلمة مطموسة في الأصل.

(٤) كلمة مشتبهة في الأصل.

﴿إلا من تولى وكفر﴾ أي: فكلُّه إلى الله، وكان هذا قبل أن يؤمر بقتالهم
 ﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ جهنم ﴿إن إلينا إيابهم﴾ رجوعهم (...) (١)
 ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ يعني: جزاءهم في تفسير السدي (...) (٢).

* * *

(١) طمس في الأصل قدر كلمتين.

(٢) طمس في الأصل قدر خمس كلمات.

﴿ل ٣٩٢﴾ تفسير سورة والفجر

وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٤﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حَجْرِ ٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾ إِمَدَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ٨﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ ١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ ١٤﴾

قوله: ﴿وَالْفَجْرِ وليالٍ عشر﴾ عشر ذي الحجة أيام عظمها الله ﴿وَالشَّفْعِ والوتر﴾ تفسير قتادة: الشفع: الخلق، والوتر: الله - تعالى.

قال محمد: ومن كلامهم: شفع زيدٌ خالدًا؛ أي: كان واحدًا فصيره اثنين^(١) ولغة تميم: الوترُ بكسر الواو، وأهل الحجاز بالفتح، وأما الوتر من الثرة فبالكسر يقال منه: وتره يتره ترةً، وهو الظلم^(٢).

﴿والليل إذا يسري﴾ ذهب، وهذا كله قسمٌ، ثم قال: ﴿هل في ذلك قسم لذي حجر﴾ عقل؛ يقول: فيه قسمٌ لذي عقل، وجواب القسم.

(١) لسان العرب (شفع).

(٢) قاله الزمخشري، ونقل الأصمعي فيه اللغتين. ينظر الدر المصون (٥١٨/٦)، تفسير القرطبي

(٢٠/٤١)، الكشف (٢٠٨/٤)، لسان العرب (وتر).

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ﴾^(١).

قال محمد: ذكر ابن مجاهد^(٢) أن قراءة نافع (يسري) بياء في الوصل، وبغير ياء في الوقف^(٣).

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرْمَ﴾ وهذا على وجه الخبر؛ أي: أهلكهم حين كذبوا رسولهم، و﴿إِرْمَ﴾ في تفسير بعضهم: قبيلة من عاد. قال محمد: (إرم) هي في موضع خفض ولم تصرف؛ لأنها اسم للقبيلة^(٤).

﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ تفسير الحسن: ذات البناء الرفيع ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾ يعني: عاذًا في طولهم وأجسامهم.

﴿وَتُومُودَ﴾ أي: وكيف فعل ثمود: أهلكهم حين كذبوا رسولهم ﴿الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ جابوه: نقبوه فجعلوه بيوتًا.

قال محمد: قراءة نافع في رواية ورش ﴿بِالْوَادِي﴾ بياء، وروى عنه غيره ﴿بِالْوَادِ﴾ بغير ياء ذكره ابن مجاهد^(٥).

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ أي: وكيف فعل فرعون ذي الأوتاد: أهلكه بالغرق، وكان إذا غضب على أحد أوتد له في الأرض أربعة أوتاد على يديه

(١) قاله ابن الأنباري، وقيل غير ذلك. ينظر الدر المصون (٦ / ٥١٧).

(٢) كتاب السبعة (٦٨٣).

(٣) أثبتها وصلًا المدنيان وأبو عمرو، وفي الحاليين - أي: الوقف والوصل - يعقوب وابن كثير وحذفها في الحاليين الباقون. ينظر النشر (٢ / ٤٠٠)، الدر المصون (٦ / ٥١٨).

(٤) وقيل: اسم مدينة. الدر المصون (٦ / ٥١٨).

(٥) كتاب السبعة (٦٨٣) أثبتها ورش وصلًا، وفي الحاليين يعقوب وابن كثير بخلاف عن قنبل في الوقف، وحذفها الباقون في الحاليين. النشر (٢ / ٤٠٠)، الدر المصون (٦ / ٥١٩) - (٥٢٠).

ورجليه؛ في تفسير قتادة.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ لَوْنًا مِنَ الْعَذَابِ فَأَهْلَكَهُمْ ﴿إِنْ رَبُّكَ بِالْمُرْصَادِ﴾ جَوَابُ الْقَسَمِ.

قال محمد: قوله: ﴿لِلْمُرْصَادِ﴾ قيل: المعنى: يرصد من كفر به بالعذاب.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثِ أَكْثَلًا لَّمَّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ وهو المشرك ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ أي: وَسَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ أي: فَضَّلَنِي ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ فَقْتَرَ﴾ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ كَلَّا ﴿قَالَ الْحَسَنُ: أَكْذَبَهُمَا جَمِيعًا بِقَوْلِهِ: ﴿كَلَّا﴾ وَمَعْنَاهَا: لَا؛ أَي: لَا بِالْغِنَى أَكْرَمْتُ، وَلَا بِالْفَقْرِ أَهْنْتُ.﴾

قال محمد: ذكر ابن مجاهد^(١) أن قراءة نافع ﴿أَكْرَمَنِي﴾ ﴿وَأَهَانَنِي﴾ بياء في الوصل^(٢).

﴿بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ يَقُولُهُ لِلْمَشْرِكِينَ ﴿وَلَا تَحْضُونَ﴾^(٣) عَلَى طَعَامِ

(١) كتاب السبعة (٦٨٤).

(٢) أثبتها وصلًا المدنيان، وأبو عمرو بخلاف عنه، وفي الحاليين يعقوب والبزي، والباقون بحذفها في الحاليين. النشر (٢/ ٤٠٠)، الدر المصون (٦/ ٥٢١).

(٣) قرأ الكوفيون ﴿تَحَاضُونَ﴾ بِأَلْفٍ بَعْدَ الْحَاءِ وَالْمَدِّ لِلْسَّاكِنِ. النشر (٢/ ٤٠٠) وإتحاف الفضلاء (٥٨٤).

المسكين ﴿١﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ (١) ﴿وتأكلون التراث أكلاً لما﴾ أي: لا تبالون من حرام أو حلال. قال محمد: لما شديداً؛ وهو من قولك: لمت الشيء إذا جمعته (٢) والتراث أصله الوراث من: ورثت، التاء فيه منقلبة عن واو؛ يقال: إنه أراد تراث اليتامى (٣).

﴿وتحبون المال حباً جماً﴾ كثيراً ﴿كلا إذا دُكَّت الأرض دكاً دكاً﴾ أي: صارت مستوية.

قال محمد: معنى (دُكَّت): دُقَّت جبالها وأنشأها (٤) حتى استوت (٥). ﴿وجاء ربك والملك صفّاً صفّاً﴾ تفسير السدي: يعني: صفوف الملائكة كل أهل سماء على حدة.

قال يحيى: وحدثني رجلٌ من أهل الكوفة، عن ليث، عن شهر بن حوشب قال: ﴿إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مدّ الأديم العكاظي ثم يحشر الله فيها الخلائق من الجن والإنس، ثم أخذوا مصافهم من الأرض ثم ينزل أهل السماء الدنيا بمثل من في الأرض، ويمثلهم معهم من الجن والإنس؛ حتى إذا كانوا على رؤوس الخلائق أضاءت الأرض لوجوههم، وخرّ أهل الأرض ساجدين، وقالوا: أفيكم ربنا؟! قالوا: ليس فينا وهو آت. ثم أخذوا مصافهم من الأرض، ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل من في الأرض من الجن والإنس

(١) يس: ٤٧.

(٢) لسان العرب (لم).

(٣) لسان العرب (ورث).

(٤) واحدها نشز؛ وهو ما ارتفع منها. لسان العرب (نشز).

(٥) لسان العرب (دكك).

والملائكة الذين نزلوا قبلهم ومثلهم معهم حتى إذا كانوا مكان أصحابهم أضاءت الأرض لوجوههم وخر أهل الأرض ساجدين وقالوا: أفيكم ربنا؟! قالوا: ليس فينا وهو آت. ثم أخذوا مصافهم من الأرض ثم ينزل أهل السماء الثالثة بمثل من في الأرض من الجن والإنس والملائكة الذين نزلوا قبلهم ومثلهم معهم، حتى إذا كانوا مكان أصحابهم أضاءت الأرض لوجوههم، وخر أهل الأرض ساجدين (ل ٣٩٣) وقالوا: أفيكم ربنا؟! قالوا: ليس فينا وهو آت، وينزل أهل السماء الرابعة على قدرهم من التضعيف، ثم ينزل أهل السماء الخامسة على قدر ذلك من التضعيف، ثم ينزل أهل السماء السادسة على قدر ذلك من التضعيف، ثم ينزل أهل السماء السابعة على قدر ذلك من التضعيف؛ حتى ينزل الجبار - تبارك وتعالى - قال: ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾^(١) تحمله الملائكة على كواهلها بأيدي وقوة وحسن وجمال؛ حتى إذا جلس على كرسيه ونادى بصوته ﴿لَمَنَ الْمَلِكُ الْيَوْمَ﴾^(٢) فلا يجيبه أحدٌ فيردُّ على نفسه ﴿لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم إن الله سريع الحساب﴾^(٣) (٢) (٣).

(١) الحاقة: ١٧ .

(٢) غافر: ١٦، ١٧ .

(٣) رواه أبو الشيخ في العظمة (٣/ ٩٥٩ - ٩٦٠ رقم ٤٨٤) - وعنه أبو نعيم في الحلية (١/ ٦١ - ٦٢) - من طريق مسلم بن خالد، عن ابن أبي حسين، عن شهر بن حوشب قال: «كان يقال: إذا كان يوم القيامة مدت الأرض... فذكره».

وقال أبو نعيم: كذا حدثناه ومشوره ما حدثناه... ثم ساقه من الطريق الآتي.

ورواه ابن المبارك في الزهد - زوائد نعيم بن حماد (١٠١ - ١٠٣ رقم ٢٥٣) والحرث بن أبي أسامة في مسنده - زوائده (٣٣٥ رقم ١١٢٩) - والطبري في تفسيره (٣٠/ ١٨٥ - ١٨٦) وأبو نعيم في الحلية (١/ ٦٢) من طريق عوف، عن أبي المنهال، عن شهر بن حوشب، عن

وقوله: ﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾.

يحيى: عن أبان بن أبي عياش، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب قال: «يجيء الرب يوم القيامة في ملائكة السماء السابعة وهم الكروبيون لا يعلم عددهم إلا الله، فيؤتى بالجنة مفتحة أبوابها يراها كل بر وفاجر عليها ملائكة الرحمة؛ حتى توضع عن يمين العرش فيوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام، قال: ويؤتى بالنار تقاد بسبعين ألف زمام، يقود كل زمام سبعون ألف ملك مصفدة أبوابها عليها ملائكة سود معهم السلاسل الطوال والأنكال الثقال وسرايل القطران ومقطعات النيران، لأعينهم لمع كالبرق ولوجوههم لهب كالنار، شاخصة أبصارهم لا ينظرون إلى ذي العرش تعظيمًا له؛ فإذا أدنيت النار، فكان بينها وبين الخلائق مسيرة خمسمائة عام زفرت زفرة، لم يبق أحد إلا جثا على ركبتيه وأخذته الرعدة وصار قلبه معلقًا في حنجرتة، فلا يخرج ولا يرجع إلى مكانه، وذلك قوله: ﴿إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين﴾^(١)

= قال الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٥ / ١٠٩): هذا موقوف، إسناده حسن. وقال البوصيري في إتحاف الخيرة (٨ / ١٦٢): رواه الحارث بن أبي أسامة موقوفًا بإسناد حسن.

وروى الطبري في تفسيره (١٧ / ٦-٧) وابن أبي حاتم في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير (٣ / ٣٢٥ - ٣٢٦) - والحاكم في المستدرک (٤ / ٥٦٩ - ٥٧٠) من طريق علي بن زيد بن جدعان، عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنه نحوه في نزول ملائكة كل سماء، وزاد فيه: صفة حملة العرش.

وقال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم محتج بهم غير علي بن زيد بن جدعان القرشي، وهو وإن كان موقوفًا على ابن عباس؛ فإنه عجيب بمرة. وقال الذهبي: قلت: إسناده قوي.

وقال ابن كثير في تفسيره (٣ / ٣٢٦): مداره على علي بن زيد بن جدعان، وفيه ضعف في سياقاته غالبًا وفيها نكارة شديدة، وقد ورد في حديث الصور المشهور قريب من هذا، والله أعلم. اهـ.

فينادي إبراهيم: رب لا تهلكني بخطيئتي، وينادي نوح ويونس، وتوضع النار عن يسار العرش، ثم يؤتى بالميزان فيوضع بين يدي الجبار - تبارك وتعالى - ثم يدعى الخلائق للحساب^(١).

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ أي: يتوب؛ وهو المشرك ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ أي: وكيف له التوبة وهي لا تقبل يوم القيامة؟! ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿لِحَيَاتِي﴾ بعد الموت؛ يتمنى لو آمن في الدنيا فيحيا في الجنة ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَهُ أَحَدٌ﴾ يقول: لا يعذب عذاب الله أحدًا، ولا يوثق وثاق الله أحدًا.

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ﴾ وهو المؤمن نفسه مُطْمَئِنَّةٌ آمنة ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً﴾ قد رضية الثواب ﴿مَرْضِيَّةً﴾ قد رضي عنك ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ تفسير السدي مع عبادي ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾.



(١) أبان بن أبي عياش متروك، ولم أقف على هذا الأثر من هذا الوجه، والله أعلم.

تفسير سورة لا أقسم بهذا البلد
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبًّا (٦)
أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَلْ لَمْ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ
(١٠) فَلَا أَفْنَحُمُ الْعُقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ (١٢) فَكُ رَقَبَةً (١٣) أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي
مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَرْبٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَصَّوْا
بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمُنَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ
الْمُنْشَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ (٢٠)

قوله: ﴿لا أقسم﴾ أي: أقسم ﴿بهذا البلد﴾ يعني: مكة ﴿وأنت حلٌّ بهذا
البلد﴾ وهذا حين أحلت له مكة ساعة من النهار يوم الفتح.

تفسير مجاهد: يقول: لا تؤاخذ بما فعلت فيه، وليس عليك فيه ما على
الناس ﴿ووالد﴾ يعني: آدم ﴿وما ولد﴾ وهذا كله قسم.

﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ تفسير قتادة: يكابد عمل الدنيا، وإذا كان
مؤمنًا كابد أيضًا عمل الآخرة.

﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ يعني: ألا يقدر الله عليه؛ وهذا المشرك
يحسب أن لن يبعثه الله بعد الموت ﴿يقول أهلك ما لا لبدا﴾ كثيرًا، أي:

أكلت وأتلفت؛ فمن ذا الذي يحاسبني؟! في تفسير مجاهد.

قال محمد: (لبداً) هو من التليد؛ كأن بعضه على بعض^(١).

﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ أي: لم يره الله حين أهلك ذلك المال؛ أي: بلى قد رآه الله.

﴿ألم نجعل له عينين ولساناً وشفقتين﴾ فالذي جعل ذلك قادر على أن يبعثه فيحاسبه ﴿وهديناه النجدين﴾ أي: بصّرناه السيلين : سبيل الهدى، وسبيل الضلالة ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ أي: لم يقتحم العقبة، وهذا خبر؛ أي: أنه لم يفعل.

قال محمد: العرب تقول: لا فعل بمعنى لم يفعل^(٢).

قال: ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ يقوله (ل٣٩٤) للنبي ﷺ أي: أنك لم تكن تدري حتى أعلمتك ما العقبة ﴿فك رقبة﴾ أي: عتق رقبة من الرق ﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ مجاعة ﴿يتيمًا ذا مقربة﴾ قرابة ﴿أو مسكينًا ذا متربة﴾ يعني: اللاصق بالتراب من الحاجة؛ في تفسير الحسن.

قال محمد: من قرأ ﴿فك رقبة﴾ فالمعنى: اقتحام العقبة فك رقبة أو إطعام؛ وهو معنى قول يحيى^(٣). وقالوا: تَرَبَّ الرَّجُلُ تَرْبًا بإسكان الراء إذا لصق بالتراب وترب تَرْبًا^(٤) بفتح الراء إذا افتقر وأترب إترابًا إذا استغنى. قال الحسن: وقد علم الله - عز وجل - أن قومًا يفعلون هذا الذي ذكر لا يريدون

(١) لسان العرب (لبد).

(٢) ينظر في دلالة (لا) على (لم) مغني اللبيب.

(٣) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿فك رقبة﴾، وقرأ الباقون ﴿فك رقبة أو إطعام﴾ ينظر.

النشر (٢/ ٤٠١).

(٤) ومتربًا ومتربة. لسان العرب (ترب).

الله به ليسوا بمؤمنين، فاشتراط فقال: ﴿ثم كان﴾ (الذي فعل)^(١) هذا ﴿من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر﴾ على ما أمرهم الله به وعمّا نهاهم عنه ﴿وتواصوا بالرحمة﴾ بالتراحم فيما بينهم.

قال محمد: (ثم) ها هنا في معنى الواو^(٢).

﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾ يعني: الميامين على أنفسهم؛ وهم أهل الجنة.

يحيى: عن المبارك بن فضالة، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار»^(٣).

يحيى: عن الجارود، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة»^(٤).

(١) ما بين القوسين تكرر في الأصل.

(٢) وقيل: هي على بابها من الترتيب والتراخي. ينظر الدر المصون (٦/ ٥٥٦) تفسير القرطبي (٧١/ ٢٠).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه أبو يعلى (٢/ ٣٦٠ رقم ١١١١) من طريق هشام بن حسان، عن الجارود به. ورواه الترمذي (٤/ ٥٤٦ رقم ٢٤٤٩) من طريق عمار بن محمد ابن أخت سفيان الثوري، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٨٩ رقم ٣١) من طريق هشام بن حسان، كلاهما عن أبي الجارود زياد بن المنذر، عن عطية العوفي به. وقال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روي هذا عن عطية عن أبي سعيد، موقوف، وهو أصح عندنا وأشبه. اهـ.

ورواه الإمام أحمد (٣/ ١٣ - ١٤) من طريق زهير، عن سعد أبي المجاهد الطائي، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد رضي الله عنه أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ.

قال ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ١٧١ رقم ٢٠٠٧): سألت أبي عن حديث رواه زهير، عن سعد الطائي أبي مجاهد، عن عطية، عن أبي سعيد قال: «أيما مؤمن سقى مؤمناً شربة على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم، ومن أطعم مؤمناً، ومن كسى مؤمناً... الحديث، =

﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة﴾ أصحاب الشؤم على أنفسهم؛ وهم أهل النار ﴿عليهم نازّ مؤصدة﴾.

= فقيل لأبي: هشام بن حسان، عن الجارود، عن عطية، عن أبي سعيد عن النبي ﷺ. قال أبي: الصحيح موقوف، الحفاظ لا يرفعونه. اهـ.

ورواه أبو داود (٢/ ٣٨٠ - ٣٨١ رقم ١٦٧٩) من طريق أبي خالد الدالاني، عن نبيح، عن أبي سعيد مرفوعاً.

قال المنذري في الترغيب (٣/ ١١٧): رواه أبو داود من رواية أبي خالد يزيد بن عبد الرحمن الدالاني، وحديثه حسن.

ورواه أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٣٤) من طريق خالد بن يزيد، عن فضيل بن عياض، عن أبي هارون العبدى، عن أبي سعيد الخدرى مرفوعاً.

قال أبو نعيم: غريب من حديث الفضيل وأبي هارون، تفرد به خالد، واسم أبي هارون عمارة بن جوين العبدى. اهـ.

تفسير الشمس وضحاها
وهي مكة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسُ وَضَعَهَا ۝١ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ۝٢ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ۝٣ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا ۝٦ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝١١ إِذِ ابْتِغَتْ أَشْقَاهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥﴾

قوله: ﴿والشمس وضحاها﴾ أي: وضوئها ﴿والقمر إذا تلاها﴾ إذا تبعها ليلة الهلال ﴿والنهار إذا جلاها﴾ يعني: ظلمة الليل فأذهبها ﴿والليل إذا يغشاها﴾ إذا غشي الشمس فأذهبها ﴿والسماء وما بناها﴾ أي: والذي بناها، أقسم بالسماء وبنفسه ﴿والأرض وما طحاها﴾ أي: والذي بسطها؛ يعني: نفسه ﴿ونفس وما سواها﴾ أي: والذي سواها؛ يعني: نفسه ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ بين الله لها الفجور والتقوى ﴿قد أفلح من زكاها﴾ يعني: من زكى الله نفسه فهذاها ﴿وقد خاب من دساها﴾ أي: من دسّى الله نفسه؛ أي: أشقاها.

قال محمد: ﴿دساها﴾ أصل الكلمة (دسّسها) فقلبت السين الواحدة ياء؛ المعنى: جعلها قليلة خسيّة^(١).

(١) أي: لما كثرت الأمثال - أي: السيئات - أبدل من ثالثها حرف علة. الدر المصون (٦/ ٥٣١)، لسان العرب (دسس).

قال يحيى: هذا كله قسم من أول السورة إلى هذا الموضع.

﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ أي: بطغيانها؛ وعلى هذا وقع القسم ﴿إذ انبعث أشقاها﴾ وهو أحمر ثمود الذي عقر الناقة، وقد مضى تفسيرها في سورة هود^(١) ﴿فقال لهم رسول الله﴾ صالح عليه السلام: ﴿ناقة الله وسقياها﴾ أي: اتقوا ناقة الله لا تمسوها بسوء واتقوا (سُقياها) شربها لا تمنعوها منه ﴿فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم﴾ أهلكهم ﴿فسواها﴾ بالعقوبة ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي: لا يخاف الله أن يُتبع بذلك.

* * *

(١) تفسير سورة هود، الآية: ٦٥ .

تفسير والليل إذا يغشى
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَى ① وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ④﴾
 فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ⑥ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى ⑦ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ⑧
 وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ⑨ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ⑩ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ⑪ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ⑫
 وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ⑬ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ⑭ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ⑮ الَّذِي كَذَّبَ
 وَتَوَلَّى ⑯ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ⑰ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ⑱ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ
 تُجْزَى ⑲ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ⑳ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ㉑﴾

قوله: ﴿والليل إذا يغشى﴾ إذا غشي النهار، فأذهب ضوءه ﴿والنهار إذا تجلَّى﴾ ظهر ﴿وما خلق الذكر﴾ أي: والذي خلق الذكر والأنثى - يعني: نفسه - وهذا كله قسم ﴿إن سعيكم لشتى﴾ يعني: سعي المؤمن وسعي الكافر وهو عملهما.

﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى﴾ بالثواب وهو الجنة ﴿فسنيسره لليسرى﴾ لعمل الجنة.

﴿وأما من بخل واستغنى﴾ بما عنده أن يتقرب به إلى ربه ﴿واستغنى﴾ عن ربه ﴿فسنيسره للعسرى﴾ لعمل النار ﴿وما يغني عنه ماله إذا تردَّى﴾ تفسير بعضهم: إذا تردَّى في النار، وقيل: تردَّى: مات.

﴿إِن عَلَيْنَا لِلْهُدَى﴾ أي: نبين لكم سبيل الهدى وسبيل الضلالة.
 ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ لَا يُخْلِدُهَا ﴿إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَبَ وَتَوَلَّى﴾ كَذَبَ بَكْتَابِ
 اللَّهِ، وَتَوَلَّى عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ ﴿وَسَيَجْزِيهَا﴾ يَجْزِي النَّارَ ﴿الَّتِي يُوْتِي مَالَهُ
 يَتَزَكَّى﴾ يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ؛ تَفْسِيرُ الْحَسَنِ: إِنْ هَذَا تَطَوُّعٌ ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ
 نِعْمَةٍ تَجْزَى﴾ أي: لَيْسَ يَفْعَلُ ذَلِكَ لِنِعْمَةٍ (٣٩٥) يَجْزَى بِهَا أَحَدًا ﴿إِلَّا
 ابْتِغَاءً﴾ أي: لَيْسَ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا ابْتِغَاءً ﴿وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾
 الثَّوَابَ فِي الْجَنَّةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ حِينَ أَعْتَقَ بِلَالًا
 وَسِتَّةَ مَعَهُ.



تفسير والضحى وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَى﴾ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥) أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَحَاوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)

قوله: ﴿والضحى﴾ يعني: ضحى النهار وهو ضوءه ﴿والليل إذا سجد﴾ إذا أظلم.

قال محمد: وقيل: سجد: سكن؛ وذلك عند تناهي ظلامه وركوده^(١). قال يحيى: وهذا قسم.

﴿ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ وهي تقرأ على وجهين ﴿ودَّعَكَ﴾ مثقلة، و﴿ودَّعَكَ﴾ خفيفة؛ فمن قرأها بالثقل يقول: لم يُودَّعَكَ فيكون آخر الفراغ من الوحي، ومن قرأها بالتخفيف يقول: ما تركك ربُّك من أن ينزل عليك الوحي، وذلك أن جبريل أبطأ عن النبي ﷺ بالوحي، فقال المشركون: قد ودَّعه ربُّه وأبغضه!^(٢)

قوله: ﴿وما قلى﴾ أي: وما أبغضك ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾

(١) لسان العرب (سجد).

(٢) العامة على تشديد الدال من التوديع، وابن عباس وعروة بن الزبير وابن هشام وأبو حيوة وابن أبي عبيدة بتخفيفها. ينظر: الدر المصون (٦/ ٥٣٧) تفسير القرطبي (٢٠/ ٩٤).

يعني: من الدنيا ﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ في الجنة ﴿فترضى﴾ ﴿ألم يجدك يتيماً فأوى﴾.

قال محمد: قال ابن عباس: يقول: وجدك يتيماً عند أبي طالب فأواك إلى خديجة.

﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ كقوله: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾ يعني: القرآن ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾^(١).

﴿ووجدك عائلاً﴾ أي: فقيراً ﴿فأغنى﴾.

قال محمد: جاء عن ابن عباس في قوله: ﴿فأغنى﴾ أي: فرضاك بما أعطاك من الرزق ذهب إلى غنى النفس. ويقال: عال الرجل إذا افتقر، وأعال إذ كثر عياله^(٢).

﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ لا تقهره فتمنعه حقه الذي أمر الله به ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ أي: لا تنهره: إما أعطيته ، وإما رددته ردّاً ليئلاً.

﴿وأما بنعمة ربك﴾ بالقرآن ﴿فحدث﴾.

قال محمد: يقول: بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة وهي أجل (...)^(٣) وهو معنى قول يحيى.



(١) الشورى: ٥٢ .

(٢) لسان العرب (عيل).

(٣) كلمة مطموسة في الأصل.

تفسير ألم نشرح لك صدرك وهي
مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾
وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ
﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ يعني: بالإيمان؛ في تفسير الحسن
﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ الوزر: الحمل، وهي الذنوب التي كانت عليه في
الجاهلية ﴿الذي أنقض ظهرك﴾ أي: أثقله ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بالنبوة.
﴿فإن مع العسر يسراً﴾ إن مع العسر يسراً ﴿بلغنا عن النبي ﷺ وعن بعض
أصحابه أنه قال «لن يغلب عسر يسرين»^(١).

(١) روي مرفوعاً موصولاً ومرسلاً، وروي أيضاً موقوفاً: أما المرفوع فرواه ابن مردويه في تفسيره
من حديث جابر بإسناد ضعيف. قاله ابن حجر في فتح الباري (٨/٥٨٢).

وقال ابن حجر: وأخرج سعيد بن منصور وعبد الرزاق من حديث ابن مسعود قال: قال
رسول الله ﷺ: «لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرج، ولن يغلب عسر
يسرين. ثم قال: إن مع العسر يسراً، إن مع العسر يسراً». وإسناده ضعيف. اهـ.
قلت: هو في تفسير عبد الرزاق (٢/٣٨٠-٣٨١) موقوفاً.

ورواه عبد الرزاق في تفسيره (٢/٣٨٠) والطبري في تفسيره (٣٠/٢٣٥-٢٣٦) والحاكم (٢/٥٢٨)
والبيهقي في الشعب (٧/٢٠٦) رقم (١٠٠١٣) من طرق عن الحسن البصري مرسلاً.
وقال ابن حجر في تغليق التعليق (٤/٣٧٢): وإسناده إلى الحسن صحيح.

قال ابن حجر في التغليق أيضاً: وقال عبد بن حميد في تفسيره: أخبرني يونس عن شيان =

قال: ﴿فإذا فرغت فانصب﴾ تفسير الكلبي: فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء ﴿وإلى ربك فارغب﴾ تضرع.

قال محمد: قوله: ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ فذكر العسر مع الألف واللام، ثم ثنى ذكره، فصار المعنى: إن مع العسر يُسر (١).



= عن قتادة «في قوله: ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر بهذه الآية أصحابه، فقال: لن يغلب عسر إن شاء الله يسرين» وهذا صحيح أيضاً إلى قتادة. اهـ.
وأما الموقوف، فقال الحاكم في المستدرک (٢/٥٢٨): قد صحت الرواية عن عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب: «لن يغلب عسر يسرين» وقد روي بإسناد مرسل عن النبي ﷺ.

ورواه مالك في الموطأ (١/٣٥٧ رقم ٦) عن زيد بن أسلم عن عمر.
ورواه ابن المبارك في الجهاد- كما في السير (١/١٥) وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة - كما في تغليق التعليق (٤/٣٧٢) وابن عبد البر في الاستدکار (١٤/٤٤) من طرق عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر.

قال ابن حجر في التغليق - عن إسناده ابن أبي الدنيا - : هذا إسناده حسن.
وقال ابن حجر في الفتح (٨/٥٨٣): وأخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود بإسناده جيد، وأخرجه الفراء بإسناده ضعيف عن ابن عباس ؓ.

(١) قال السمين الحلبي: إن العرب إذا أتت باسم، ثم أعادته مع الألف واللام كان هو الأول، ولو أعادته بغير الألف واللام كان غير الأول. ينظر الدر المصون (٦/٥٤١).

تفسير والتين والزيتون
وهي مكة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ١ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ ٢ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾ ٣ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ ٤ ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ٥ ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ ٦ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ﴾ ٧ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ ٨

قوله: ﴿والتين والزيتون﴾ تفسير قتادة: التين: جبل دمشق، والزيتون: جبل بيت المقدس ﴿وطور سنين﴾ الطور: الجبل، وسين: الحسن؛ وهو الجبل الذي نادى الله منه موسى؛ في تفسير الحسن.

﴿وهذا البلد الأمين﴾ يعني: الآمن يريد مكة؛ يقول: إنكم تأمنون فيه من القتل والسب، والعرب تقتل بعضها بعضاً، وتسبي بعضها بعضاً، وكان هذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ في أحسن صورة، أقسم بهذا كله من أول السورة إلى هذا الموضع ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾ تفسير الحسن: يعني: بالإنسان هنا المشرك و(أسفل سافلين) يريد جهنم. قال محمد: قيل: المعنى: رددناه إلى أماكن سافلة، يقال: سُفل الرجل فهو سافل إذا كان ذليلاً^(١).

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ استثنى من آمن ﴿فلهم أجر﴾ أي:

(١) يقال فيه: (سفل) بضم الفاء وفتحها فهو سافل، والجمع: سُفل سُفال وسَفَلَة. لسان العرب (سفل).

ثواب ﴿غير ممنون﴾ قال الحسن: غير ممنون عليهم من أذى ﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ تفسير الكلبي: قال: يقول للمشرك: فما يكذبك أيها الإنسان بعد بالحساب يوم القيامة، ثم قال: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أي: بلى هو أحكم الحاكمين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ل ٣٩٦) قوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ «أول ما كلم جبريل النبي ﷺ حين تبدى له قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ...﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعِي﴾».

قوله: ﴿الذي علم بالقلم﴾ وهو الكتاب بالقلم .

﴿كَلَّا﴾ قال الحسن: معناها حقًا ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّا نَحْمِلُ صَدَقَتَهُ﴾ ﴿فِي الْبَلَدِ الْمَكْنُونِ﴾ ﴿فَإِذَا فُتِنَتْ الْقُلُوبُ﴾ ﴿وَوُضِعَ الْحَبْلُ بِالنَّفَسِ﴾ ﴿فَلَرَجَعْنَا إِلَى الْبِلَادِ﴾ ﴿فَلَنَرَاهُنَّ خَالِيَةً مُذْنُونٍ﴾ ﴿فَلَنُكَلِّمُنَّ فِي السَّمْعِ الْمُفَوَّنِينَ﴾ ﴿أَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَى عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿فَلَنُكَلِّمُنَّ فِي السَّمْعِ الْمُفَوَّنِينَ﴾ ﴿أَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَى عَلَى الْكَافِرِينَ﴾

﴿أرأيت إن كذب وتولى﴾ يعني: أبا جهل كذب بكتاب الله وتولى عن طاعة الله ﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ عمله ﴿كلا لئن لم يتته﴾ أبو جهل عن كفره وتكذيبه ﴿لنسفعن بالناصية﴾ لناخذن بناصره تجره الملائكة بناصره فتلقيه في النار.

قال محمد: يقال: سفعت بالشئ إذا قبضت عليه و جذته جذاً شديداً^(١).

﴿فليدع ناديه سندع الزبانية﴾ فليدع أبو جهل إذا دعونا بالزبانية خزنة النار فجروا بناصره إلى النار فليدع حيثد ناديه؛ يعني: عشيرته وجلساءه فليمنعوه من ذلك.

قال محمد: واحد الزبانية: زَبِيَّةٌ^(٢) مأخوذ من الزبن، والزبن: الدفع؛ كأنهم يدفعون أهل النار إليها.

﴿كلا لا تطعه﴾ لا تطع أبا جهل فيما؛ يأمر بك به يقوله للنبي ﷺ ﴿واسجد﴾ أي: وصل لربك ﴿واقرب﴾ وهو الدنو أقرب ما يكون العبد إلى الله إذا كان ساجداً.



(١) لسان العرب (سفع).

(٢) وقيل: زَبِيَّةٌ. ينظر: لسان العرب ، القاموس المحيط (زبن).

تفسير إنا أنزلناه في ليلة القدر
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) ﴿

قوله: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ تفسير ابن عباس قال: «أنزل القرآن ليلة القدر إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم جعل بعد ذلك ينزل نجومًا ثلاث آيات، وأربع آيات، وخمس آيات، وأقل من ذلك وأكثر، ثم تلا هذه الآية: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾» (١).

قال: ﴿وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر﴾ تفسير ابن عباس: العمل في ليلة القدر خيرٌ من العمل في ألف شهر لا توافق ليلة القدر. يحيى: عن المسعودي، عن محارب بن دثار أو عن القاسم بن عبد الرحمن عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» (٢).

(١) الواقعة: ٥٧، وتقدم تخريج أثر ابن عباس هناك.

(٢) رواه مسلم (٨٢٤/٢) رقم (٢١١/١١٦٥) وابن أبي شيبة في المصنف (٥١١/٢) وأبو عوانة في صحيحه - كما في إتحاف المهرة (٨/٦٦٥) رقم (١٠١٧٠) من طريق الشيباني، عن جبلة ومحارب، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

يحيى، عن فطر، عن عبد الرحمن بن سابط قال: «كان رسول الله ﷺ يوقظ أهله في العشر الأواخر من رمضان ويشمر فيهن للصلاة»^(١).

قوله: ﴿تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم﴾ الروح: جبريل؛ في تفسير السدي ﴿من كل أمر﴾ يعني: بكل أمر؛ في تفسير السدي ﴿سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ يعني: هي خيرٌ كلها إلى مطلع الفجر.

قال محمد: (المطلع) بفتح اللام: طلوع الشمس، والمطلع بالكسر من حيث تطلع^(٢)، وقالوا: القدر والقدر بمعنى واحد، يريدون ما يقدر الله - عز وجل^(٣).



= ورواه الإمام أحمد (١٧٠/٣) ومسلم (٨٢٣/٢) رقم (٢١٠/١١٦٥) من طريق شعبة عن جبلة عن ابن عمر رضي الله عنهما.

ولهذا الحديث طرق عن ابن عمر، وعن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم.

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٧٧/٣) عن ابن فضيل، عن الحسن بن عبيد الله، عن عبد الرحمن بن سابط به.

ورواه البخاري (٣١٦/٤) رقم (٢٠٢٤) ومسلم (٨٣٢/٢) رقم (١١٧٤) عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) والفتح هو القياس والكسر سماع. لسان العرب (طلع)، الدر المصون (٥٥٠/٦).

(٣) لسان العرب (قدر).

تفسير لم يكن الذين كفروا
وهي مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝
رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۝^(٢) فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۝^(٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۝^(٤) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيمَةِ ۝^(٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ
فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝^(٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝^(٧) جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝^(٨)

قوله: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين﴾ أي: منتهين عن كفرهم ﴿حتى تأتيهم البينة رسول من الله﴾ وهو محمد ﷺ ﴿يتلو صحفًا﴾ يعني: القرآن ﴿مطهرة﴾ من الشرك والكفر ﴿فيها كتب قيمة﴾ أي: مستقيمة لا عوج فيها؛ يعني: التي جاءت بها الأنبياء.

﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾.

قال محمد: قيل: يعني: ما تفرقوا في مللهم وكفرهم بالنبى ﷺ إلا أن تفتنوا أنه الذي وعدوا به في التوراة والإنجيل.

﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ والحنيف في تفسير

الحسن: المخلص ﴿ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة﴾ أي: يقرون بها ﴿وذلك دين القيمة﴾ تفسير السدي: الملة المستقيمة ﴿أولئك هم شر البرية﴾ يعني: الخلق. قال محمد: أكثر القراءة (البرية) (ل ٣٩٧) بلا همز؛ لكثرة الاستعمال^(١) واشتقاق اللفظة من: برأ الله الخلق [ابتدأه]^(٢).

يحيى: عن حماد، عن أبي المهزم، عن أبي هريرة قال: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده»^(٣). قوله: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ أي: ورضوا ثوابه ﴿ذلك لمن خشي ربه﴾.



(١) قرأ نافع وابن ذكوان (البرية) بالهمز في الحرفين، والباقون بياء مشددة. النشر (٤٠٣/٢)، الدر المصون (٥٥٢/٦).

(٢) مطموس في الأصل، والمثبت من الدر المصون (٥٥٢/٦)، وينظر: لسان العرب (برأ).

(٣) رواه البيهقي في الشعب (٤٢٦-٤٢٧ رقم ١٥٠) من طريق أبي قتية - مسلم بن قتية - عن حماد به.

وقال البيهقي: كذا رواه أبو المهزم عن أبي هريرة موقوفًا، وأبو المهزم متروك. ورواه ابن ماجه (١٣٠١-١٣٠٢ رقم ٣٩٤٧) وابن حبان في المجروحين (٩٩/٣) من طريق الوليد بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن أبي المهزم يزيد بن سفيان، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

ورواه الطبراني في الأوسط (٣٦٧/٦ رقم ٦٦٣٤) من طريق الوليد بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن أبي المهزم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: عبي المؤمنين أحب إلي من بعض ملائكتي».

قال العراقي: رواه ابن ماجه، وأبوالمهزم تركه شعبة، وضعفه ابن معين. تخريج الإحياء (٢١٩٦/٥ رقم ٣٤٦٩).

وقال الهيثمي في المجمع (٨٢/١): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أبو المهزم، وهو متروك. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٢٧/٣ رقم ١٣٨٥): هذا إسناده ضعيف؛ لضعف يزيد بن سفيان.

تفسير إذا زلزلت وهي مدينة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾

قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ يعني: تحركت من نواحيها كلها؛ وذلك يوم القيامة ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا﴾ ألقت ما فيها من الأموات ﴿وقال الإنسان﴾ المشرك: ﴿ما لها﴾ تحركت؟! قال الله: ﴿يومئذٍ تحدث أخبارها﴾ بما ألقت مما كان في بطنها من الأموات ﴿بأن ربك أوحى لها﴾ أي: أمرها- في تفسير مجاهد- أن تلقي ما في بطنها.

﴿يومئذٍ يصدر الناس أشتاتاً﴾ من بين يدي الله؛ أي: مختلفين بعضهم إلى الجنة وبعضهم إلى النار ﴿ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة﴾ وزن ذرة ﴿خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾ في عمل الآخرة.

تفسير العاديات وهي مكية كلها
وقيل: إنها مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ ١ ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ ٢ ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ ٣ ﴿فَأَنْزَلَ بِدُفْعًا﴾ ٤
﴿فُوسَطْنَ بِدَايَةً﴾ ٥ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ ٦ ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ ٧ ﴿وَإِنَّهُ﴾
﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ ٨ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ ٩ ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ ١٠
﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ ١١

قوله: ﴿والعاديات ضبحًا﴾ تفسير ابن عباس: هي الخيل، وضبحها: أنفاسها إذا جرت ﴿فالموريات قدحًا﴾ تصيب الحجارة بحوافرها فتخرج منها النار.

قال محمد: وقد قيل: إن ضبحها صوت أجوافها إذا عدت.

قوله: ﴿فالمغيرات صبحًا﴾ قال الحسن: هي الخيل تغير على العدو إذا أصبحت.

قال أنس بن مالك: «إن قومًا كان بينهم وبين النبي ﷺ عهد فنقضوه - وهم أهل فدك - فبعث إليهم رسول الله خيله فصبحوهم، وهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿والعاديات ضبحًا﴾»^(١).

(١) لم أقف عليه، ولم يذكره الواحدي في «أسباب النزول»، ولا السيوطي في «لباب النقول» والله أعلم.

﴿فأثرن به نقعاً﴾ تثير التراب بحوافرها؛ في تفسير الحسن.
قال محمد: النقع: حقيقة في اللغة العُبار^(١). وقال: (به) ولم يتقدم ذكر المكان؛ إذ في الكلام دليل عليه^(٢).

﴿فوسطن به جمعاً﴾ أي: جمعاً من الناس أغارت عليه؛ يعني: من العدو.
قال محمد: معنى (وسطن): توسطن.

قال يحيى: وهذا كله قسم ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ وهو الكفور في تفسير العامة ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ يعني: على كفره يوم القيامة ﴿وإنه لحب الخير﴾ المال ﴿لشديد﴾ لبخيل ﴿أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور﴾ أخرج ما فيها من الأموات ﴿وحصل ما في الصدور﴾ أي: ميز كقوله: ﴿يوم تبلى السرائر﴾^(٣) ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ لعالم.



(١) وقيل: رفع الصوت. ينظر: لسان العرب (نقع)، الدر المصون (٥٥٩/٦).
(٢) وقال السمين الحلبي: تكون الباء - أي: في (به) - بمعنى (في)، ويعود الضمير على المكان الذي فيه الإغارة كما تقدم، وقيل غير ذلك. الدر المصون (٥٥٩/٦).
(٣) الطارق: ٩.

تفسير سورة القارة وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْقَارِعَةُ ١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ٢﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ
كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ٤﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ ٦﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨﴿ فَأُمُّهُ
هَاوِيَةٌ ٩﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ١٠﴿ نَارُ حَامِيَةٍ ١١﴾

قوله: ﴿القارة ما القارة﴾ يعظمها بذلك، وهو اسم من أسماء القيامة.

قال محمد: سميت بذلك؛ لأنها تفرع بالأهوال؛ يقال: أصابتهم قوارع الدهر^(١).

﴿يوم يكون الناس كالفرش المبعوث﴾ المبسوط في تفسير الحسن.

قال محمد: الفرش: ما تساقط في النار من البعوض ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصوف ﴿المنفوش﴾ وهو أضعف الصوف.

قال محمد: واحد العهن: (عهنة)^(٢) مثل صوفة وصوف.

قال يحيى: وهي في قراءة ابن مسعود (كالصوف الأحمر المنفوش).

﴿فأما من ثقلت موازينه﴾ وهو المؤمن ﴿فهو في عيشة﴾ أي: معيشة ﴿راضية﴾ قد رضيها وهي الجنة.

(١) لسان العرب (قرع).

(٢) لسان العرب (عهن).

قال محمد: (راضية) معناه: مرضية، وقد قيل: ذات رضا^(١).

﴿وأما من خفت موازينه﴾ وهو المشرك ﴿فأما هاهوية﴾ والهاوية اسم من أسماء جهنم وهو الباب الأسفل.

قال محمد: معنى (أمة): مسكنه، وقيل: (أمه) لمسكنه؛ لأن الأصل في السكون إلى الأمهات^(٢).

قال يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أرواحكم تعرض على عشائركم وقرابتكم من موتاكم؛ فإذا مات الميت استقبلوه كما يستقبل البشير، فيقولون: دعوه حتى يسكن؛ فإنه قد كان في كرب وغم فيسألونه (ل ٣٩٨) عن الرجل فإذا ذكر خيرًا حمدوا الله واستبشروا وقالوا: اللهم سدده، وإذا ذكر شرًا استغفروا له، فإذا سألوه عن إنسان قد مات قبله قال: أيها! مات ذلك قبلي أما مَرَّ بكم؟! فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذهب به إلى أمه الهاوية بثست الأم وبثست المربية! فما يزالون يسألونه حتى يقولون: هل تزوج فلان؟ هل تزوجت فلانة؟»^(٣).



(١) تفسير القرطبي (١٦٦/٢٠).

(٢) لسان العرب (أم).

(٣) الحسن بن دينار متروك الحديث. وقد تابعه المبارك بن فضالة؛ فرواه عن الحسن مرسلاً مختصراً. خرجه الحاكم (٥٣٣/٢) من طريقه، وقال: هذا حديث مرسل صحيح الإسناد؛ فإني لم أجد لهذه السورة تفسيرًا على شرط الكتاب؛ فأخرجته إذ لم أستجز إخلاءه من حديث.

وقد خالفهما الصلت بن دينار - وهو متروك - فوصله؛ فرواه عن الحسن، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ مختصراً. خرجه الطيالسي (٢٤٨ رقم ١٧٩٤) عن الصلت به. وروى النسائي (٨/٤-٩ رقم ١٨٣٢) وابن حبان (٧/٢٨٤-٢٨٥ رقم ٣٠١٤) والحاكم =

تفسير سورة ألهاكم التكاثر
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧﴾

قوله: ﴿ألهاكم التكاثر﴾ أي: في الدنيا عن الآخرة، وهو التكاثر في المال والولد ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي: حتى متم.

يحيى: عن همام، عن قتادة، عن مطرف بن عبد الله، عن أبيه «أنه دخل على رسول الله ﷺ فسمعه يقرأ ﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾ فقال: يقول ابن آدم: مالي مالي، وما لك من مالك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفانيت،

= (٣٥٢/١ - ٣٥٣) من طرق عن قتادة، عن قسامة بن زهير، عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ نحوه.

ورواه النسائي في الكبرى - كما في تحفة الأشراف (٩/٣٠٠ رقم ١٢٢٠٥) والطيالسي في مسنده (٣١٤ - ٣١٥ رقم ٢٣٨٩) والحاكم (١/٣٥٣) وغيرهم من طريق همام، عن قتادة عن أبي الجوزاء، عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ نحوه. وقال الحاكم: هذه الأسانيد كلها صحيحة.

وذكر الدارقطني الخلاف فيه في العلل (١١/٢٢٣ رقم ٢٢٤٤) وقال: والله أعلم بالصواب. وله شواهد عن أبي الدرداء وأبي هريرة - من طريق آخر - وأنس، ومن مرسل عبيد بن عمير والأشعث بن عبد الله الأعمى، انظر: تخريج الإحياء (٦/٢٦٢٦ - ٢٦٢٩ رقم ٤٠٥٣) وسلسلة الأحاديث الضعيفة (٢/٢٥٤ - ٢٥٥ رقم ٨٦٣، ٨٦٤).

أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»^(١).

﴿كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون﴾ وهذا وعيدٌ بعد وعيد ﴿كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ أي: أن علمكم ليس بعلم اليقين يعني: المشركين وأن علم المؤمنين هو علم اليقين ﴿لترون الجحيم﴾.

قال محمد: الاختيار في القراءة ﴿لترون﴾ بفتح التاء وضم الواو غير مهموزة^(٢).

(١) رواه الإمام أحمد (٢٦/٤) ومسلم (٢٢٧٣/٤)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (١٥٢/٣) وأبو عوانة في صحيحه كما في إتحاف المهرة - (٦٨٩/٦) - والطحاوي في مشكل الآثار (٣٤٧/٤) رقم (١٦٥٨) والحاكم (٣٢٢-٣٢٣) من طريق همام به. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه:

ورواه الإمام أحمد (٢٤/٤، ٢٦) والطيالسي (١٥٦ رقم ١١٤٨) ومسلم (٢٢٧٣/٤) رقم (٢٩٥٨) والترمذي (٤٩٤/٤ - ٤٩٥ رقم ٢٣٤٢، ٤١٦/٥ - ٤١٧ رقم ٣٣٥٤) والنسائي (٢٣٨/٦) رقم (٣٦١٥) وابن حبان (٤٧٤/٢ - ٤٧٥ رقم ٧٠١، ٨ رقم ٣٣٢٧) والطحاوي في المشكل (٣٤٦/٤) رقم (١٦٥٧) والحاكم (٥٣٣/٢ - ٥٣٤) وغيرهم من طرق عن قتادة به. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وليس من شرط الشيخين؛ وليس لعبدالله بن الشخير راوٍ غير ابنه مطرف، نظرنا فإذا مسلم قد أخرجه من حديث شعبة عن قتادة مختصراً. اهـ.

قلت: وقول الحاكم - رحمه الله - : «ليس من شرط الشيخين» لا يريد به قدحاً في الرواة؛ إنما يريد أن الشيخين لا يخرجان حديث الصحابي حتى يكون له راويان، كما دل عليه كلامه بعد، وقد نص على ذلك في غير موضع من المستدرک وفي كتاب «المدخل إلى معرفة الإكليل» وقد رد قوله هذا ابن طاهر في شروط الأئمة الستة (ص ١٨ - ١٩) والحازمي في شروط الأئمة الخمسة (ص ٤٣ - ٤٩) وغيرهما.

ومع ذلك فقد روى مسلم (٣٩٠-٣٩١ رقم ٥٥٤) ليزيد بن عبدالله بن الشخير عن أبيه حديثاً في النخاعة، فأصبح لعبدالله بن الشخير راويان عند مسلم، وذكر له المزني في التهذيب (٨١/١٥) راوياً ثالثاً وهو ابنه هاني، عند النسائي، والله أعلم.

(٢) وهي قراءة العامة، غير أن ابن عامر والكسائي ضمّا التاء ﴿لترون﴾، وقراءة الهمزة نسبت للحسن. إتحاف الفضلاء (٥٩٧).

﴿ثم لترونها عين اليقين﴾ يعني: بالمعينة ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم﴾. يحيى: عن خالد، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث ليس لك منهن بد، وليس عليك فيهن تبعه: بيت يُكُنُّك، وثوبٌ تواري به عورتك، وطعامٌ تقيم به صلبك»^(١).



(١) رواه الإمام أحمد في الزهد (ص ٤٧٣) والمعافي بن عمران في الزهد (٢٧٣ رقم ١٦٠) والبيهقي في الجعديات (١١٢٩/٢ رقم ٣٣٣٠) من طريق المبارك بن فضالة عن الحسن به. ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في زوائد الزهد (ص ١٨) والبيهقي في الشعب (٢٩٦/٧) رقم ١٠٣٦٨ من طريق هشام عن الحسن به.

وقال البيهقي: هكذا جاء مرسلًا، وهو مرسل جيد في هذا المعنى. اهـ. وخالفهم قتادة؛ فرواه عن الحسن، عن رجل من أهل الكتاب. كما سيأتي في كلام الإمام أحمد رحمته الله.

وخالفهم جميعًا حريث بن السائب؛ فرواه عن الحسن، عن حمران، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه مرفوعًا.

رواه الإمام أحمد (٦٢/١) والطيالسي (١٤ رقم ٨٣) وعبد بن حميد رقم (٤٦) والترمذي (٤٩٤/٤) رقم (٢٣٤١) والبخاري (٧٠/٢ رقم ٤١٤) والطبراني في الكبير (٩١/١ - ٩٢ رقم ١٤٧) والحاكم (٣١٢/٤) وأبو نعيم في الحلية (٦١/١) وفي تاريخ أصبهان (٢٥٤/١) وابن الأعرابي في الزهد (٥٢ رقم ٨٢) والسهمي في تاريخ جرجان (ص ٢٢١) والخطيب في تاريخ بغداد (١٨٣/٦ - ١٨٤) والبيهقي في الشعب (٢٩٥/٧ - ٢٩٦ رقم ١٠٣٦٧) وابن الجوزي في العلل المتناهية (٧٩٨/٢ - ٧٩٩ رقم ١٣٣٤) والضياء في المختارة (٤٥٥/١ - ٤٥٦ رقم ٣٢٩ - ٣٣١) والمزي في تهذيب الكمال (٥٦١/٥) من طريق حريث به.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو حديث الحريث بن السائب. وقال البخاري: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن عثمان إلا بهذا الإسناد، ولا أسند الحسن عن حمران عن عثمان إلا هذا الحديث.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وحريث بن السائب أدخله الساجي في الضعفاء؛ وقال: قال الإمام أحمد: روى عن الحسن عن حمران عن عثمان حديثًا منكراً. يعني: هذا الحديث.

تفسير سورة والعصر وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

قوله: ﴿والعصر﴾ يعني: عصر النهار؛ وهو ما بين زوال الشمس إلى الليل وهو قسم ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ من الجنة، ثم استثنى من الناس فقال: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق﴾ بالتوحيد ﴿وتواصوا بالصبر﴾ على الفرائض.

قال محمد: والعصر أيضًا ليلة، واليوم عصر أيضًا^(١). قال الشاعر:

وكن يَلْبَثُ الْعَصْرَانِ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ إِذَا طَلَبْنَا أَنْ يُذْرِكَ مَا تَيْمَمًا^(٢)

والدهرُ عصرٌ أيضًا.

= وقال الأثرم: سئل أحمد عن حريث، فقال: شيخ بصري روى حديثًا منكراً عن الحسن عن حمران عن عثمان: «كل شيء فضل عن ظل بيت وجلف الخبز وثوب يوارى عورة ابن آدم فلا حق لابن آدم فيه» قال: قلت: قتادة يخالفه؟ قال: نعم، سعيد عن قتادة عن الحسن عن حمران عن رجل من أهل الكتاب. قال أحمد: حدثناه روح، ثنا سعيد. اه. انظر: تهذيب التهذيب (١/٤٦٣). وقال الدارقطني في العلل (٣/٢٩-٣٠): كذا رواه حريث بن السائب عن الحسن عن حمران عن عثمان عن النبي ﷺ، ووهم فيه، والصواب عن الحسن عن حمران عن بعض أهل [الكتاب]. اه. وانظر: العلل المتناهية (٢/٧٩٩) والمختارة (١/٤٥٧).

ورواه ابن الأعرابي في الزهد (٥٢ رقم ٨٣) من طريق ابن المبارك عن حريث عن الحسن مرسلاً.

(١) لسان العرب (عصر).

(٢) البيت من بحر الطويل، وهو لحמיד بن ثور الهلالي. ينظر: تفسير القرطبي (٢٠/١٧٩)،

لسان العرب (عصر)، وروي في الدر المصون (٦/٥٦٧) (تيمنا) بدل (تيمما).

تفسير سورة ويل لكل همزة
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

قوله: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ وهو الذي يطعن على الناس ﴿الذي جمع مالا وعدده﴾ وهي تقرأ على وجهين بالثقل والتخفيف؛ فمن قرأها بالثقل يقول: أحصى عدده، ومن قرأها بالتخفيف يقول: أعدّه ﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ أي: يحسب أنه يخلد فيه حياته ﴿كلا لينبذن﴾ ليرمَيْن به ﴿في الحطمة﴾ وهو اسم من أسماء جهنم ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ يقول: تأكل كل شيء منه حتى ينتهى إلى الفؤاد، فيصيح الفؤاد، ثم يجدد خلقهم، ثم تأكلهم أيضًا حتى ينتهى إلى الفؤاد ﴿إنها عليهم موصدة﴾ مطبقة ﴿في عمد ممددة﴾ قال قتادة: لها عمد هي ممددة بها.

تفسير ألم تر كيف وهي مكة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ (١) ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾ (٢) ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ (٣) ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ (٤) ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصِفٍ مَّا كُولٍ﴾ (٥) ﴿قوله: ﴿ألم تر﴾ تفسير السدي يعني: ألم تخبر ﴿كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ تفسير الحسن هذا خبرٌ أخبر الله به النبي ﷺ وذلك أن العرب أهل الحرم هدموا كنيسة للحبشة وهم نصارى فقال أبرهة بن الصباح: لنهدمن كعبة العرب كما هدموا كنيستنا وكان أبرهة من أهل اليمن ملكته الحبشة عليهم فبعث بالفيل وبالجنود فجاء حتى إذا انتهى إلى الحرم ألقى بجرائه فسقط فوجهوه نحو منازلهم فذهب يسعى فإذا وجهه نحو الحرم ألقى بجرائه (ل ٣٩٩) ولم يتحرك وإذا وجهه نحو منازلهم ذهب يسعى.

قال محمد: الجران عند أهل اللغة: ما بين النحر والصدر (١).

قوله: ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ أي: في ذهاب ﴿وأرسل عليهم طيرًا أبابيل﴾ تفسير بعضهم: الأبابيل: الزمر زمرة بعد زمرة متتابعة.

قال محمد: واحد الأبابيل: إبالة، وقد قيل: لا واحد لها (٢).

﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾ أي: من طين.

(١) فإذا برك البعير ومدّ عنقه على الأرض قيل: ألقى جرائه بالأرض. لسان العرب (جرن).

(٢) وقيل: واحده: إِبُول، وإِبَال. ينظر: الدر المصون (٦/ ٥٧٠)، لسان العرب (أبل).

قال محمد: وقد جاء لابن عباس أن السجيل: الأجر.
قال يحيى: كان مع الطائر منها ثلاثة أحجار: حجران في رجليه، وحجر
في فيه؛ فكان إذا وقع الحجر منها على رأس أحدهم ثقبه حتى يسقط من
دبره.

﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ تفسير الكلبي: العصف: ورق الزرع،
والمأكول: الذي قد أخرقه الدود الذي يكون في البقل.



تفسير لإيلاف قريش وهي مكة كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ ۚ﴾ (١) ﴿لَهُنَّهِنَّ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۚ﴾ (٢) ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۚ﴾ (٣) ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۚ﴾ (٤)
 قوله: ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ يعني إيلافهم ﴿رحلة الشتاء والصيف﴾ تفسير بعضهم: كانت لهم رحلة في الشتاء إلى اليمن؛ لأنها حارة، وأخرى في الصيف إلى الشام؛ لأنها باردة.

قال محمد: وقيل ﴿لَا إِلَافَ﴾ مصدر ألفت تقول: ألفت فلاناً كذا إيلاًفاً^(١) كما تقول: ألزمته إياه إلزاماً، المعنى: فعل هذا بأصحاب الفيل ليؤلف قريشاً هاتين الرحلتين؛ فتقيم بمكة.

﴿فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع﴾ وهو ما كان أصابهم يومئذ من الشدة ﴿وآمنهم من خوف﴾ وهو الأمن الذي كان فيه أهل الحرم وأهل الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً، وهم آمنون مما فيه العرب.

* * *

(١) لسان العرب (ألف)، الدر المصون (٦/٥٧١).

تفسير سورة أرايت الذي
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَسْمَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

قوله: ﴿أرايت الذي يكذب بالدين﴾ بالحساب، وهو المشرك لا يقر بالبعث ﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ يدفعه عن حقه ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ وذلك أن المشركين كانوا يقولون ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ (١).

﴿فويل للمصلين﴾ وهم المنافقون ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ تفسير الحسن: هو المنافق؛ إن صلاها لوقتها لم يرج ثوابها، وإن تركها لم يخش عقابها ﴿الذين هم يراءون﴾ لا يصلونها في السر، ويصلونها في العلانية يراءون بذلك المؤمنين ﴿ويسمعون الماعون﴾ تفسير بعضهم: الماعون: القدر والدلول والرحى والفأس وما أشبه ذلك.

تفسير إنا أعطيناك الكوثر
وهي مكة كلها

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّكَ شَانِئُكَ هُوَ

الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿إنا إعطيناك الكوثر﴾

يحيى: عن عثمان، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما أنا في الجنة إذا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف، فضربت بيدي إلى الماء فإذا مسكٌ أذفر، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك الله»^(١).

- (١) رواه الإمام أحمد (٣/١٩١، ٢٨٩) والبخاري (١١/٤٧٢ رقم ٦٥٨١) وأبو يعلى (٥/٢٥٧ رقم ٢٨٧٦) والطبري في تفسيره (٣٠/٣٢٤) من طريق همام عن قتادة.
ورواه الإمام أحمد (٣/٢٠٧) والبخاري (٨/٦٠٣ رقم ٤٩٦٤) والطبري في تفسيره (٣٠/٣٢٢) من طريق شيان عن قتادة.
ورواه الإمام أحمد (٣/١٦٤) وعبدالرزاق في تفسيره (٢/٤٠١) وعبد بن حميد (٣٥٩ رقم ١١٨٩) والترمذي (٥/٤١٨ رقم ٣٣٥٩) وأبو يعلى (٥/٤٦٢ رقم ٣١٨٦) والطبري (٣٠/٣٢٥) من طريق معمر عن قتادة.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
ورواه أبو داود (٥/٢٤٧ رقم ٤٧١٥) والطبري (٣٠/٣٢٣) من طريق سليمان التيمي عن قتادة. ورواه الإمام أحمد (٣/٢٣١-٢٣٢) والطبري (٣٠/٣٢٣) وابن حبان (١٤/٣٩١-٣٩٢ رقم ٦٤٧٤) من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة.
ورواه الترمذي (٥/٤١٨-٤١٩ رقم ٣٣٦٠) من طريق الحكم بن عبد الملك عن قتادة. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أنس.
قلت: تابع قتادة عليه جماعة، منهم حميد الطويل والمختار بن فلفل وثابت البناني. =

﴿فصل لربك وانحر﴾ تفسير الحسن يقول: فصل لربك صلاة العيد يوم النحر، وانحر يوم النحر ﴿إن شئت﴾ مبغضك ﴿هو الأبتري﴾ قال الكلبي: «إن رسول الله ﷺ خرج من المسجد والعاص بن وائل داخل المسجد فالتقيا عند الباب، فقالت قريش للعاص: من الذي استقبلك عند الباب؟ فقال: ذلك الأبتري. فقال الله لنبيه: ﴿إن شئت﴾ هو الأبتري» وقال: لا أذكر إلا ذكرت معي، وأما عدو الله العاص بن وائل فأبتري ذكره من كل خير؛ فلا يذكر بخير أبداً.

قال محمد: وإنما قال ذلك الأبتري؛ لأن العرب تسمي من كان له بنون وبنات فمات البنون وبقي البنات: أبتري^(١) كذلك رأيته عن ابن عباس.



= فراوه الإمام أحمد (١٠٣/٣، ١١٥، ٢٦٣) وابن أبي شيبة (٤٣٧/١١، ١٤٧/١٣) وهناد في الزهد (١٣٤) والنسائي في الكبرى (٥٢٣/٦ رقم ١١٧٠) وأبو يعلى (٤٦/٦ رقم ٣٢٩٠، ٤٤٠/٦ رقم ٣٨٢٣) والطبري (٣٢٣/٣٠ - ٣٢٤) وابن حبان (٣٩١/١٤ - ٣٩٢ رقم ٦٤٧٢ - ٦٤٧٣) والحاكم (٧٩/١ - ٨٠) من طريق حميد عن أنس رضي الله عنه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذا اللفظ. وراوه الإمام أحمد (١٠٢/٣) وابن أبي شيبة (٤٣٧/١١، ١٤٤/١٣) وهناد في الزهد (١٣٣) ومسلم (٣٠٠ - ٣٠١ رقم ٤٠٠) وأبو داود (٥٠٧/١ رقم ٧٨٠، ٢٤٦ - ٢٤٧ رقم ٤٧١٤) والنسائي (١٣٣/٢ - ١٣٤ رقم ٩٠٣) وغيرهم من طريق المختار بن فلفل عن أنس مطولاً.

وراه الإمام أحمد (١٢٥/٣، ٢٤٧) وأبو يعلى (٤٦/٦ رقم ٣٢٩٠) وابن حبان (٣٨٩/١ - ٣٩٠ رقم ٦٤٧١) من طريق ثابت عن أنس رضي الله عنه.

(١) لسان العرب (بتر).

(ل ٤٠٠) تفسير قل يا أيها الكافرون
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّيْبُهَا الْكَافِرُونَ﴾ ١ ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ ٢ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ٣
﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ٤ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ٥ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ٦
قوله: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ من الأوثان ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي: إنكم تعبدون الأوثان ولا تعبدون الله ﴿ولا أنا عابدٌ ما عبدتم﴾ من الأوثان ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي: أنكم تعبدون الأوثان ﴿لكنم دينكم﴾ الكفر ﴿ولي دين﴾ الإسلام.

قال محمد: جاء عن ابن عباس أنه قال: «اجتمع رهط من قريش إلى العباس بن عبد المطلب فقالوا له: يا أبا الفضل، لو أن ابن أخيك استلم بعض آلهتنا لصدقناه فيما يقول ولآمنّا بآلهه قال: فأتى العباس إلى النبي فأعلمه بذلك، فنزل عليه جبريل بهذه السورة فغدا بها رسول الله إلى جماعة قريش فقرأها عليهم.

تفسير سورة إذا جاء نصر الله وهي
مدنية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا

﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّكُمْ كَانَتْ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ...﴾ إلى قوله ﴿أَفْوَاجًا﴾ تفسير الحسن قال:

لما فتح الله على رسوله مكة قالت العرب بعضهم لبعض: ليس لكم بهؤلاء القوم يدان. فجعلوا يدخلون في دين الله أفواجًا، أي: قبائل قبائل.

﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابًا﴾ قال الكلبي: فعند ذلك نُعيث

إليه نفسه، وقيل: اعلم أنك ستموت عند ذلك.

* * *

تفسير تبّ يدا وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصِلَىٰ
نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾
قوله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: خسرت ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾
يعني: ولده أي: إذا صار إلى النار.

قال محمد: أبو لهب اسمه: عبد العزى بن عبد المطلب، وكنيته: أبو
عتبة، وإنما قيل له: أبو لهب - فيما ذكر ابن عباس - لأن وجهه كان يتلهب
جمالاً.

﴿وامراته حمالة الحطب﴾ تفسير بعضهم: كانت تضع الشوك على طريق
رسول الله.

قال محمد: من قرأ ﴿حمالة﴾ بالرفع فعلى معنى: سيصلى هو وامراته
حمالة الحطب، حمالة نعت لها، ومن قرأها بالنصب ﴿حمالة﴾ فنصبه على
الذم أعني: حمالة الحطب^(١).

﴿في جيدها﴾ عنقها ﴿حبلٌ من مسد﴾ تفسير الحسن: المسد: خيوط صفر
وحمز. وقال ابن عباس: كان في عنقها قلادة فيها ودعات في مسد.

(١) قرأ عاصم ﴿حمالة﴾ بالنصب، وقرأ الباقر بالرفع، النشر (٢/٤٠٤). وينظر: التوجيه
النحوي في الدر المصون (٦/٥٨٦)، تفسير القرطبي (٢٠/٢٤٠).

تفسير سورة قل هو الله أحد
وهي مكية كلها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَكِلْهُ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يعني: الواحد ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ تفسير قتادة:
الصمد: الباقي، وتفسير بعضهم الصمد السيد الذي قد انتهى سؤدده.

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ كُفُوًا لَهُ (أي: مثل وشبهه) ^(١).

تفسير الكلبي: «إن المشركين قالوا للنبي ﷺ: انسب لنا ربك وصفه. فأنزل الله هذه السورة»^(٢).

(١) من حاشية الأصل.

(٢) روى الإمام أحمد (١٣٣/٥ - ١٣٤) والترمذي (٤٢١/٥) رقم ٣٣٦٤ وابن خزيمة في التوحيد (١/٩٥ رقم ٤٥) والطبري في تفسيره (٣٤٢/٣٠) وابن أبي عاصم في السنة (١/٢٩٧ - ٢٩٨ رقم ٦٦٣) والعقيلي في الضعفاء (١٤١/٤) وأبو الشيخ في العظمة (٢/٣٧٢ - ٣٧٤ رقم ٨٨) والحاكم (٢/٥٤٠) والخطيب في تاريخه (٣/٢٨١) والبيهقي في الاعتقاد (ص ١٥) والواحدي في أسباب النزول (ص ٣٣٨) من طريق أبي جعفر الرازي، عن الربيع ابن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب رضي الله عنه نحوه.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

ورواه الترمذي (٤٢١/٥ رقم ٣٣٦٥) والطبري (٣٤٣/٣٠) والعقيلي في الضعفاء (١٤١/٤) =
من طرق عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية مرسلًا.

= قال الترمذي: وهذا أصح.

وقال العقيلي: وهذا أولى. اهـ.

وروى أبو يعلى (٣٨/٤ - ٣٩ رقم ٢٠٤٤) والطبري في تفسيره (٣٤٣/٣٠) وابن عدي في الكامل (٥١٩/١) والطبراني في الأوسط (٢٥/٦ رقم ٥٦٨٧) وأبو نعيم في الحلية (١٠/١١٣) والواحدي في أسباب النزول (ص ٣٣٩) من طريق سريج بن يونس عن إسماعيل بن مجالد عن مجالد، عن الشعبي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه نحوه.

وقال ابن عدي: وهذا الحديث لم يحدث به عن مجالد غير ابنه إسماعيل.

وقال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن مجالد إلا ابنه إسماعيل تفرد به سريج بن يونس، ولا يروى عن جابر إلا بهذا الإسناد.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث الشعبي، لم يروه إلا إسماعيل عن أبيه.

وقال ابن كثير في تفسيره (٥٦٥/٤): إسناده متقارب... وقد أرسله غير واحد من السلف.

وقال السيوطي في الدر المنثور (٤٥٩/٦): أخرج أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقي بسند حسن عن جابر رضي الله عنه... فذكره.

وقال ابن كثير في تفسيره (٥٦٥/٤): وروى عبيد بن إسحاق العطار عن قيس بن الربيع عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قالت قریش لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فترلت هذه السورة: ﴿قل هو الله أحد﴾ قال الطبراني: ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلًا. اهـ.

قلت: رواه أبو الشيخ في العظمة (٣٧٥/٢ - ٣٧٦ رقم ٨٩) من طريق أبي داود عن قيس به مرسلًا.

ورواه الطبري (٣٤٢/٣٠ - ٣٤٣) عن عكرمة مرسلًا.

ورواه أيضًا (٣٤٣/٣٠) عن قتادة مرسلًا.

تفسير سورة قل أعوذ برب الفلق
وهي مكية كلها في قول قتادة
وبعضهم يقول مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣)
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴿
﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ تفسير عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ :
«الفلق: سجن في جهنم» (١).

﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ تفسير السدي: يعني: الليل إذا أطبق الأفق
بظلمته ﴿ومن شر النفاثات في العقد﴾ هي السواحر؛ ينفثن في العقد للسحر
﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾.

يحيى: عن الحسن بن دينار، عن الحسن قال: قال رسول الله: «عموا
هذا الحسد بينكم؛ فإنه من الشيطان، وإنه ليس من أحد إلا وهو يعرض له منه
شيء؛ وإنه ليس بضائر عبداً لم يعد بلسان أو يد» (٢).

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤٦٨/٦) لابن مردويه والديلمي.
وروى الطبري (٣٤٩/٣٠) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «الفلق جب في جهنم مغطى».
قال ابن كثير في تفسيره (٥٧٣/٤): حديث مرفوع منكر، إسناده غريب ولا يصح رفعه.
وروى أبو يعلى - كما في المطالب (١٩٨/١) رقم (٤٤٧) - عن عمرو بن عبسة قال رسول
الله ﷺ: «الفلق جهنم».

(٢) الحسن بن دينار متروك، ورواه وكيع في الزهد (٧٥٦/٢) رقم (٤٤١) - وعنه هناد في الزهد
(١٢٤٢) - عن بعض أصحابه عن الحسن مختصراً.

(ل ١٠٤) تفسير سورة
قل أعوذ برب الناس

وهي مكية في قول قتادة، وبعضهم يقول: مدنية نزلت هي وقل أعوذ برب
الفلق معوذتين للنبي حين سحرته اليهود^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ (١) ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ (٢) ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ (٣) ﴿مِنْ شَرِّ
الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ (٤) ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ (٥) ﴿مِنَ الْجِنَّةِ
وَالنَّاسِ﴾ (٦)

قوله: ﴿قل أعوذ برب الناس...﴾ إلى قوله ﴿الخناس﴾ قال قتادة:
الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس.
﴿الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة﴾.
قال محمد: يعني: الذي هو من الجن.
قوله ﴿والنناس﴾.

= وروى ابن حبان في روضة العقلاء (١٣٦) من طريق حميد قال: «قلت للحسن: يا
أبا سعيد، هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب، لا أبا لك، حيث حسدوا
يوسف، ولكن عم الحسد في صدرك؛ فإنه لا يضرك، ما لم يعد لسانك وتعمل به
يدك».

(١) رواه البخاري (٢٤٣/١٠) رقم (٥٧٦٥) ومسلم (١٧١٩/٤ - ١٧٢١) رقم (٢١٨٩) عن عائشة
رضي الله عنها.

قال يحيى: ومن شر شياطين الإنس^(١).

(١) ثم كتب الناسخ بعد ذلك:

تم الجزء العاشر، وبه كمل جميع الديوان، والحمد لله على ذلك كثيرًا وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة، وعلى آله وسلم تسليمًا، وفي السادس والعشرين من شوال إحدى عشر وستمائة.

وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم، ولا حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، ولا ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طفقوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر».

صح من تفسير الثعلبي رحمه الله . اهـ

قلت: وحديث ابن عباس هذا رواه الطبراني (٤٥/١١ رقم ١٠٩٩٢) وابن أبي الدنيا في العقوبات (٣٩-٤٠ رقم ٣٥) من طرق عنه مرفوعًا. ورواه البيهقي في الشعب (٣/١٩٦ رقم ٣٣١١) وفي السنن (٣/٣٤٦-٣٤٧) عن ابن عباس موقوفًا.

وللحديث طرق عن ابن عباس وغيره، والله أعلم. وهذا آخر ما يسره الله من تحقيق الكتاب والتعليق عليه وتخريره أحاديثه حسب الطاقة، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. وكان الفراغ من مراجعة تجارب الكتاب يوم السبت ١٧ شعبان عام ١٤٢٢ هـ.

كتبه

أبر عبد الله حسين بن عكاشة

الفهارس العلمية

- ١- فهرس القراءات على ترتيب السور والآيات.
- ٢- فهرس أطراف الأحاديث والآثار على ترتيب حروف المعجم.
- ٣- فهرس المواد اللغوية التي شرحها المؤلف.
- ٤- فهرس الأشعار على ترتيب القوافي.

فهرس القراءات على ترتيب السور والآيات

سورة الفاتحة

١١٩ - ١١٨/١	٤	مالك
١١٩/١	٧	غير

سورة البقرة

١٢١/١	٦	أأنذرتهم
١٢٢/١	٩	يخدعون
١٢٢/١	١٠	يكذبون
١٣٥/١	٤٠	فارهبون
١٤٥/١	٦١	مصرًا
١٤٦/١	٦٢	والصابئين
١٤٧/١	٦٢	ولا خوف
١٥٧/١	٨٨	غُلْفَ
١٦٨/١	١٠٦	أو تُنسها
١٧٤/١	١١٩	ولا تُسأل
١٧٦/١	١٢٥	واتخذوا
١٨٠/١	١٣٢	ووصى
١٨٠/١	١٣٣	آبائك

٢٠٠/١	١٨٤	فدية طعام مسكين
٢١٦/١	٢١٤	يقول
٢٢٠/١	٢١٩	العفو
٢٢١/١	٢٢٠	فإخوانكم
٢٣١/١	٢٢٩	يَخَافَا
٢٤٣/١	٢٤٠	وصية
٢٤٥/١	٢٤٥	فيضاعفه
٢٤٥/١	٢٤٦	نقاتل
٢٤٨/١	٢٤٩	عُرْفَة
٢٤٩/١	٢٥١	دفع
٢٥٥/١	٢٥٩	ننشزها
٢٦٠/١	٢٧١	يكفر
٢٦٦/١	٢٧٩	فأذنوا
٢٦٨/١	٢٨٢	أن تفضل
٢٦٩/١	٢٨٢	تجارة

سورة آل عمران

٢٨٦/١	٣٦	وَضَعْتُ
٢٨٦/١	٣٧	كفلها زكريا

٢٩٩/١	٨١	آتيتكم
٣١٧/١	١٢٧	يكبتهم
٣١٩/١	١٤٠	قَرَح
٣٢١/١	١٤٢	ويعلم الصابرين
٣٢٣/١	١٤٦	قاتل
٣٢٤/١	١٤٧	قولهم
٣٢٨/١	١٥٣	تُصعدون
٣٣٠/١	١٥٧	يَجْمعون
٣٤٢/١	١٩٥	أني

سورة النساء

٣٤٥/١	١	والأرحام
٣٤٥/١	٢	حوبًا
٣٤٧/١	٥	قياما
٣٦٦/١	٣٣	عَقَدَت
٣٧٣/١	٤٠	حسنة
٣٨٥/١	٦٦	إلا قليل
٣٨٦/١	٧٢	لِيَبْطِئَنَّ
٣٩٥/١	٩٠	حصرت

٣٩٨/١	٩٤	السلام
٣٩٩/١	٩٥	غِيْرُ
٣٩٩/١	٩٦	درجاتٍ
٤١١/١	١٢٨	يُصلِحا

سورة المائدة

٢٧/٢	٣٨	أيديهما
٤٤/٢	٨٩	فصيام ثلاثة أيام
٥٧/٢	١١٩	يومٍ

سورة الأنعام

٦٢/٢	٢٣	فتتتهم
٦٢/٢	٢٣	رَبُّنَا
٦٥/٥	٣٣	يُكَذِّبُونَكَ
٧٢/٢	٥٤	أنه
٧٢/٢	٥٤	فأنه
٧٣/٢	٥٧	يقص الحق
٧٩/٢	٧٤	آزَرَ
٨٦-٨٥/٢	٩٤	تقطع
٨٦/٢	٩٦	الإصباح

٨٧/٢	٩٦	والشمس والقمر
٨٧/٢	٩٨	فمستقر
٩٠/٢	١٠٥	درست
٩٠/٢	١٠٨	عدوا
٩١/٢	١٠٩	أنها
٩٢/٢	١١٣	وليرضوه وليقتربوا
١٠١/٢	١٣٩	خالصة

سورة الأعراف

١١٩/٢	٣٢	خالصة
١٢٨-١٢٧/٢	٥٧	بشرا
١٣٤/٢	١٠٠	يهي
١٤٣/٢	١٤٨	خليهم
١٤٤/٢	١٥٠	ابن أم
١٤٩/٢	١٦٤	معدرة
١٥٢/٢	١٧٢	ذريتهم

سورة الأنفال

١٦٧/٢	٩	مردفين
١٧١/٢	١٨	موهن

ولا يحسبن ٥٩ ١٨٣/٢

سورة التوبة

قل أذن ٦١ ٢١٤/٢

ورحمة ٦١ ٢١٤/٢

فأن ٦٣ ٢١٥/٢

سورة يونس

يحشرهم ٤٥ ٢٥٩/٢

ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ٦١ ٢٦٤/٢

سورة هود

مجرأها ومرسأها ٤١ ٢٩٠/٢

غيض ٤٤ ٢٩١/٢

يعقوب ٧١ ٢٩٩/٢

شيخا ٧٢ ٢٩٩/٢

وإن كلاً لَمَّا ١١١ ٣١١/٢

سورة يوسف

غياة ١٠ ٣١٧/٢

يرتع ويلعب ١٢ ٣١٧/٢

هيت ٢٣ ٣٢٠/٢

٣٢٣/٢	٣١	مُتَكَاً
٣٢٦/٢	٣٦	خَمَرًا
٣٢٨/٢	٤٥	أَمَةٍ
٣٤٢/٢	١١٠	كُذِبُوا
٣٤٣/٢	١١٢	تَصَدِيقَ
سورة إبراهيم		
٣٦٥/٢	١٨	الريـح
٣٧٥/٢	٤٦	وإن كان مكرهم
سورة الحجر		
٣٨١/٢	١٥	سُكِّرَتْ
٣٨٧/٢	٥٤	تَبْشِرُونَ
٣٩٠/٢	٧٨	الْأَيْكَةِ
سورة النحل		
٤٠٨/٢	٦٢	مُفَرِّطُونَ
سورة الإسراء		
١٥/٣	١٦	أَمَرْنَا
٢٣/٣	٤٢	يَقُولُونَ
٢٤/٣	٤٧	تَتَّبِعُونَ

٢٩/٣	٦٢	أُخْرِتِ
٣٣/٣	٧٦	خِلَافَكَ
٣٦/٣	٨٠	مُدْخَلَ
٣٦/٣	٨٠	مُخْرَجَ
٤٣/٣	١٠٢	عَلِمْتَ
٤٤/٣	١٠٦	فَرَّقَنَاهُ

سورة الكهف

٤٧/٣	٥	كَلِمَةً
٥٠/٣	١٦	وَمَا يَعْبُدُونَ
٦٣/٣	٣٨	لَكُنَّا
٦٣/٣	٣٩	تَرِنَ
٦٦/٣	٤٤	الْوَلَايَةِ
٦٥/٣	٤٤	الْحَقِّ
٧١/٣	٥٩	لَمْ يَهْلِكْهُمْ
٧٦/٣	٧٩	كُلِّ سَفِينَةٍ غَصْبًا
٧٦/٣	٨٠	فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنِينَ
٧٩/٣	٨٦	حَمِيَّةَ
٨٠/٣	٨٨	جَزَاءَ

يَفْقَهُونَ ٩٣ ٨٠/٣

مَكَّنِي ٩٥ ٨١/٣

سورة مريم

يَرْتْنِي وَيَرِثُ ٦ ٨٨/٣

فَنَادَاهَا مِنْ ٢٤ ٩٣-٩٢/٣

قَوْلِ الْحَقِّ ٣٤ ٩٥/٣

جَنَّاتٍ عَدْنٍ ٦١ ١٠٠/٣

وَرِئَاءَ ٧٤ ١٠٣/٣

تَكَادُ السَّمَوَاتُ ٩٠ ١٠٨/٣

سورة طه

إِنِّي ١٢ ١١١/٣

طُوًى ١٢ ١١١/٣

يَضِلُّ ٥٢ ١١٧/٣

تَلَقَّفَ ٦٩ ١٢٠/٣

أَلَا يَرْجِعُ ٨٩ ١٢٣/٣

يَا ابْنَ أُمِّ ٩٤ ١٢٤/٣

يَهْدِ لَهُمْ ١٢٨ ١٣٦/٣

سورة الأنبياء

١٥٥/٣	٨٠	لتحصنكم
١٦٠/٣	٩٢	أمة واحدة
١٦٠/٣	٩٥	حرام
١٦٣/٣	١٠٤	للكتب
١٦٥/٣	١١٢	قال رب احكم

سورة الحج

١٧٠/٣	٥	مسمى
٣٣/٤	٢٣	لؤلؤا
١٧٦/٣	٢٥	الباد
١٧٦/٣	٢٥	سواء
١٨١/٣	٣٦	البُذْن
١٨١/٣	٣٦	صواف
١٨٤/٣	٤٤	نكير
١٨٥/٣	٥١	معاجزين

سورة المؤمنون

٩٩/٣	٢٩	مُنزَلَا
٢٠٣/٣	٥٢	وإنَّ هذه

٢٠٣/٣	٥٣	زُبُرًا
٢٠٤/٣	٦٠	ءاتوا
٢٠٥/٣	٦٧	تهجرون
٢٠٨/٣	٨٩، ٨٧، ٨٥	سيقولون لله
٢١٠-٢٠٩/٣	٩٠	بل أتيناهم
٢١٠/٣	٩٢	عالم
٢١٠/٣	٩٧	رَبِّ
٢١٣/٣	١١٠	فاتخذتموهم
٢١٤-٢١٣/٣	١١٠	سخرًا
٢١٦-٢١٥/٣	١١٧	إنه

سورة النور

٢١٧/٣	٢	الزانية
٢٢٢/٣	٩	أَنْ غَضِبَ
٢٢٣/٣	٦	أربع
٢٣٢-٢٣١/٣	٣١	غير
٢٣٥/٣	٣٥	دري

سورة الفرقان

٢٥٤/٣	١٠	يجعل
-------	----	------

٢٦٥/٣	٩	الرحمن
٢٦٨/٣	٦٩	يضاغف

سورة الشعراء

٢٧١/٣	١٣	ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
٢٧٣/٣	١٩	فعلت فعلتك
٢٧٣/٣	٢٠	وأنا من الضالين
٢٨٢/٣	١٢٩	لعلكم تخلصون
٢٨٢/٣	١٣٧	خلق الأولين
٢٨٥/٣	١٧٦	أصحاب الأيكة
٢٨٧/٣	١٩٧	يكن لهم آية

سورة النمل

٤٩٤/٣	٨	نودي أن بورك من في النار
٢٩٨/٣	٢٢	من سبيل
٣٠٠/٣	٣٢	حتى تشهدون
٣٠٣/٣	٤٣	إنها
٣٠٦/٣	٥١	أنا دمرناهم
٣٠٦/٣	٥٢	خاوية
٣٠٩/٣	٦٧	أذا كنا تراباً

ضيق ٧٠ ٣٠٩/٣

تكلمهم ٨٢ ٣١١/٣

سورة القصص

تذودان ٢٣ ٣٢٢-٣٢١/٣

يُصدر ٢٣ ٣٢٢/٣

ردءًا يُصدَّقني ٣٤ ٣٢٥/٣

رحمة ٤٦ ٣٢٧/٣

سورة العنكبوت

جواب ٢٤ ٣٤٤/٣

سورة الروم

عاقبة ١٠ ٣٥٦/٣

ضعف ٥٤ ٣٦٩/٣

سورة لقمان

ورحمة ٣ ٣٧٢/٣

ويتخذها ٦ ٣٧٢/٣

مثقال ١٦ ٣٧٤/٣

تصعر ١٨ ٣٧٥/٣

والبحر ٢٧ ٣٧٨/٣

٣٧٩/٣

٣٣

الغُرُور

سورة الأحزاب

٣٩٨ - ٣٩٧/٣

٣٣

وَقُرْن

٤٠٤/٣

٤٠

رَسُولُ اللَّهِ

٤٠٧ - ٤٠٦/٣

٥٠

إِنْ وَهَبْتَ

٤١٤/٣

٦٧

سَادَتُنَا

٤١٤/٣

٦٨

كَثِيرًا

سورة سبأ

٦/٤

٣

عَالَمُ الْغَيْبِ

١٠/٤

١٣

كَالْجَوَابِ

١٠/٤

١٤

مَنْسَأَتِهِ

١١/٤

١٥

مَسْكَنُهُمْ

١٨/٤

٤٠

يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ

٢٠/٤

٤٥

نَكِيرٍ

٢١/٤

٤٨

عِلَامُ الْغُيُوبِ

سورة فاطر

٢٤/٤

٣

غَيْرِ

٣٣/٤

٣٣

لَوْلَا

٣٤/٤	٣٦	فيموتوا
٣٥/٤	٤٠	بينه

سورة يس

٤١/٤	١٩	أئن
٤٣/٤	٢٩	إلا صيحة واحدة
٤٤/٤	٣٢	لما
٤٤/٤	٤٠	والقمر
٤٦/٤	٤١	ذريتهم
٤٨/٤	٥٣	صيحة

سورة الصافات

٥٩/٤ - ٦٠	٤٧	يُنزفون
٦٤/٤	٩٤	يزفون
٦٩/٤	١٢٦	الله ربكم ورب آبائكم
٦٩/٤	١٣٠	إل ياسين
٧٥/٤	١٥٣	أصطفى
٧٦/٤	١٦٣	صال الجحيم
٧٧/٤	١٦٩	المخلصين

سورة صّ

٨٠/٤	١	صّ
٨٣/٤	١٥	فواق
٨٩/٤	٣٢	الخير
٩٥/٤	٤٥	الأيدي
٩٦/٤	٤٦	بخالصة
٩٨/٤	٦٣	سخرّيا
٩٨/٤	٦٣	أخذناهم
١٠٠/٤	٧٥	أستكبرت
١٠٠/٤	٨٣	المخلصين
١٠٠/٤	٨٤	فالحقّ والحقّ أقول

سورة الزمر

١٠٥/٤	٩	أمّن
١٠٧/٤	١٦	يا عباد
١١١/٤	٢٩	سلمّا
١١٧/٤	٥٦	يا حسرتى

سورة غافر

١٢٦/٤	٦	كلمة
-------	---	------

١٢٨/٤	١٥	التلاق
١٣١/٤	٢٦	أو أن
١٣٣ - ١٣٢/٤	٣٢	التناد
١٣٩/٤	٥٨	تتذكرون

سورة فصلت

١٤٧/٤	١٠	سواء
١٤٩/٤	١٦	نُجَسَات
١٥١/٤	٢٩	أرنا
١٥٦/٤	٤٤	ءأعجمي
١٥٨/٤	٤٧	تخرج

سورة الشورى

١٦١/٤	٥	تكاد
١٦١/٤	٥	يتفطرن
١٦٨/٤	٢٤	ويمح الله
١٦٩/٤	٣٠	فبما
١٦٩/٤	٣٢	الجوار
١٧٠/٤	٣٣	الريح
١٧٠/٤	٣٥	يعلم

يرسل ٥١ ١٧٤/٤

سورة الزخرف

أن كنتم ٥ ١٧٥/٤

عباد ١٩ ١٨٠/٤

قال ٢٤ ١٨١/٤

يَغْشُ ٣٦ ١٨٤/٤

أسورة ٥٣ ١٨٨/٤

سَلَفًا ٥٦ ١٨٩/٤

يصدون ٥٧ ١٨٩/٤

يا عباد ٦٨ ١٩٣/٤

تشتيه ٧١ ١٩٤/٤

قيله ٨٨ ١٩٧/٤

يعلمون ٨٩ ١٩٧/٤

سورة الدخان

أن هؤلاء ٢٢ ٢٠٣/٤

يغلي ٤٥ ٢٠٦/٤

مَقَام ٥١ ٢٠٧/٤

سورة الجاثية

٢٠٩/٤	٤	آيات
٢١٣/٤	٢١	سواء
٢١٤/٤	٢٣	غشاوة
٢١٥/٤	٢٥	حُجَّتْهُمْ
٢١٦/٤	٢٨	كُلُّ أمة تدعى
٢١٩ - ٢١٨/٤	٣٢	والساعةُ لا ريب فيها

سورة الأحقاف

٢٢١/٤	٤	أثارة
٢٢٦/٤	١٦	نتقبل عنهم أحسن
٢٢٤/٤	١٢	لينذر
٢٢٧/٤	٢٠	أذهبتم
٢٢٩/٤	٢٥	لا يُرى إلا مساكنهم

سورة محمد

٢٤٣/٤	٢٢	عسيتم
٢٤٤/٤	٢٦	إسرارهم

سورة ق

٢٦٩/٤	١	ق
-------	---	---

٢٧٤/٤	٣٠	نقول
٢٧٨/٤	٣٨	لغوب
٢٨٠/٤	٤٠	أدبار
٢٨١/٤	٤٥	وعيد

سورة الطور

٢٩٧/٤	٢١	ذريتهم
٢٩٩/٤	٢٣	لا لغو فيها ولا تأثيم

سورة النجم

٣٠٦/٤	١١	ما كَذَّبَ
٣١٤/٤	٥١	وثنودًا

سورة القمر

٣١٦/٤	٦	الداع إلى شيءٍ نُكْرَ
٣١٧/٤	١٠	أنى
٣٢٠/٤	٣١	المحتظر

سورة الرحمن

٣٢٦/٤	١٢	والريحانُ
٣٣١/٤	٣٥	نحاس

سورة الواقعة

٣٤٤/٤	٨٢	رزقكم
٣٤٥/٤	٨٩	فروخ

سورة الحديد

٣٥٠/٤	١١	فيضاعفهُ
-------	----	----------

سورة المجادلة

٣٦٠/٤	١١	المجالس
-------	----	---------

سورة الجمعة

٣٩١/٤	٦	فتمنوا
٣٩٢/٤	٩	فاسعوا

سورة المنافقون

٣٩٦/٤	١٠	وأكن
-------	----	------

سورة الطلاق

٤٠٥/٤	١١	مبينات
-------	----	--------

سورة التحريم

٨/٥	٧	نُصوحًا
١٠/٥	١٢	وكتُبهُ

سورة الملك

١٤/٥	١٧	نذير
١٤/٥	١٨	نكير
١٦/٥	٢٧	تَدْعُونَ

سورة القلم

١٩ - ١٨/٥	١	ن
٢٥/٥	٥١	لِيُزَلِّقُونَكَ

سورة الحاقة

٢٨/٥	١٣	نفخة واحدة
٣٢/٥	٢٥	كتابه
٣٢/٥	٢٦	حسابه
٣٢/٥	٢٨	ماله
٣٢/٥	٢٩	سلطانيه

سورة المعارج

٣٤/٥	١	سأل سائل
٣٨/٥	٤٣	نُصِبَ

سورة نوح

٤٢/٥	٢٨	بيتي
------	----	------

سورة المزمّل

وطناً	٦	٥٠ / ٥
وثلثه	٢٠	٥٢ / ٥

سورة المدثر

ولا تمنن تستكثر	٦	٥٥ / ٥
إذ أدبر	٣٣	٦٠ / ٥

سورة القيامة

أَيَحْسَبُ	٣	٦٣ / ٥
بَرْقَ	٧	٦٤ / ٥
يُمْنَى	٣٧	٦٧ / ٥

سورة الإنسان

قواريرا قواريرا	١٥ - ١٦	٧٢ / ٥
عَالِيَهُمْ	٢١	٧٤ / ٥

سورة المرسلات

عذراً أو نذراً	٦	٧٨ / ٥
تَتَّبِعُهُم	١٧	٧٨ / ٥
فَقَدَرْنَا	٢٣	٧٩ / ٥
كالقصر	٣٢	٨٠ / ٥

٨٠/٥	٣٣	جَمَالَةٌ
٨٠/٥	٣٥	يَوْمٌ

سورة النبأ

٨٥/٥	٣٥	كِذَابًا
٨٦/٥	٣٧	رَبِّ

سورة النازعات

٨٩/٥	١١	أَعْذَا
٩٠ - ٨٩/٥	١٦	طُؤَى
٩١/٥	٣٠	وَالْأَرْضَ
٩١/٥	٣٢	وَالْجِبَالَ

سورة عبس

٩٤/٥	٦	تَصَدَّى
٩٥/٥	٤	فَتَنَفَعَهُ
٩٧/٥	٣٧	يَغْنِيهِ

سورة التكويم

٩٩/٥	٨	سُئِلَتْ
١٠١/٥	٢٤	بِضْنين

سورة الانفطار	٧	فَعَدَّلَكَ
١٠٤/٥		
سورة المطففين	٣١	فَكَهِنَ
١٠٩/٥		
سورة الانشقاق	١٢	وَيَصْلَى
١١٢/٥		
سورة البروج	١٥	الْمَجِيدُ
١١٦/٥		
١١٦/٥	٢٢	مَحْفُوظٍ
سورة الطارق	٤	لَمَّا
١١٧/٥		
سورة الغاشية	١١	تَسْمَعُ
١٢٤/٥		
سورة الفجر	٤	يَسْرِ
١٢٧/٥		
١٢٧/٥	٩	بِالْوَادِ
١٢٨/٥	١٥	أَكْرَمَ

أهائن	١٦	١٢٨/٥
تخاضون	١٨	١٢٨/٥
فك رقة	١٣	١٣٤/٥
ودعك	٣	١٤١/٥
البرية	٦	١٥٢/٥
كالعهن	٥	١٥٦/٥
لترو	٦	١٥٩/٥
وعدده	٢	١٦٢/٥
حمالة	٤	١٧١/٥

فهرس الأحاديث والآثار على ترتيب حروف المعجم

حرف الألف

٨١/٥	أبو هريرة	آمنت بالله وبما أنزل
١٣٢/٣	البراء بن عازب	أبشر بجنات
٢٣١/٤	صفوان بن المعطل	أبصرت جأنا بيضاء فدفتها
١١/٢	ابن عباس	أبى الناس إلا الغسل
٢٠٨/١	كعب بن عجرة	أتؤذيك هوام رأسك
٥٣/٤	مجاهد	أتى أبي بن خلف إلى النبي
		اجتمع رهط من قريش إلى
١٦٩/٥	ابن عباس	العباس بن عبد المطلب
٢٨٤/١	عمار بن ياسر	أجده مطمئنا بالإيمان
٣٤٣/٤	—	اجعلوها في ركوعكم
٣٤٣/٤	—	اجعلوها في سجودكم
٣٧٥/١	عمار بن ياسر	أجنبُ وأنا في الإبل
٧١/٥	—	احبس هذا عندك
٢٠٨/١	كعب بن عجرة	احلقه وصم ثلاثة أيام
١٩٦/٣	الحسن	أحيوا ما خلقتم
٥٥/٣	يحيى	أخبركم عنها غدا
	أبو عبيدة بن محمد	أخذ المشركون أبي فلم يتركوه

- ٢٨٤/١ ابن عمار بن ياسر
 ٣٤٥/٤ أبو هريرة
 ٣٤٠/٤ أبو بكر الصديق
 ٣٩٧/٤ عبد الرحمن بن بساط
 ٣٤٠/٤ أبو بكر الصديق
 ٣٩٧/٤ عبد الرحمن بن سابط
 ٣٩٩/١ البراء بن عازب
 ٣٦٧/٢ عقبة بن عامر
 ٢١٩/٢ جابر
 ٢٧٨/٢ ابن مسعود
 ٧٤/٥ علي
 ١٢٣/٤ علي بن أبي طالب
 ٣٦٧/٢ عقبة بن عامر
 ٢٢٧/١ عبد الرحمن بن سمرة
 ٦٧/٥ أبو هريرة
- اخرجني أيتها النفس الطيبة
 ادخلوا الجنة بسلام
 ادخلوا النار ولا أبالي
 ادعوا لي زيدًا وليأت باللوح
 أو الكتف
 أدلكم على النبي الأمي
 إذا أدخل أهل الجنة الجنة
 ورأوا ما فيها
 إذا أراد الله - عز وجل -
 أن يقبض عبدًا بأرض
 إذا توجه أهل الجنة إلى الجنة
 إذا توجهوا إلى الجنة مروا بشجرة
 إذا جمع الله الأولين والآخرين
 إذا حلفت على يمين فرأيت
 خيرًا منها
 إذا ختم أحدكم آخر ﴿لا أقسم
 بيوم القيامة﴾

٨١/٥	أبو هريرة	إذا ختم أحدكم والمرسلات
٢٧٥/٤	ابن عمر	إذا دخل أهل الجنة الجنة
٢٧٩/١	جابر بن عبد الله	
٢٦٥/٤	أبو هريرة	إذا ذكرت أخاك بما فيه فقد اغتبه
٢٧٥/١	ابن عباس	إذا رأيتم الذين يجادلون فيه
٢١٨/٣	أبي بن كعب	إذا زنى الشيخ والشيخة
٣٥٩/٤	—	إذا سلم عليكم من أهل الكتاب
٢٣٦/٤	أبو الزبير	إذا كان عليّ إمام جائر
٦١/٥	أبو هريرة	إذا كان يوم القيامة شفع النبي
١٢٩/٥	شهر بن حوشب	إذا كان يوم القيامة مدت الأرض
		أذن لي أن أحدث عن ملك من
٢٩/٥	محمد بن المنكدر	حملة العرش
		أرأيتم لو أنذرتكم أن جيشاً
٢٩٠/٣	—	يصبحونكم
٢١٧/١	مجاهد	أرسل رسول الله رجلاً في سرية
١١/٣	أبو سعيد الخدري	ارجع إلى ربك فسله التخفيف
١٣٣، ١٣٢/٣	البراء بن عازب	ارجعوا بعدي فأروه
٨٢/٣	أبو هريرة	ارجعوا فستحفرونه غداً
٣٤٦/٤	أبو هريرة	ارجعي ذميمة
٣١٨/١	—	أرنا المفتاح

أرواح الشهداء في حواصل

١٨٨/١	عبد الله بن مسعود	طير خضر
٢٤/٢	المخارق	استعد عليه السلطان
٣٣٧/٣	يحيى	أشتقت يا محمد إلى بلادك
٢٢٠/٣	يحيى بن أبي كثير	أصبت حدًا فاقمه عليّ
٦/٣	أبو سعيد الخدري	أصبت الفطرة
٣٦٠/١	أبو سعيد الخدري	أصبنا يوم أوطاس سبايا
		أصحاب الأعراف هم قوم غزو بغير
١٢٤/٢	محمد بن المنكدر	إذن آبائهم فاستشهدوا
٢٢٩/٣	جرير البجلي	أصرف بصرك
٣٤٨/١	الحسن العرني	أضربه مما كنت ضاربًا منه ولدك
٥٥/٤	محمد بن المنكدر	أطت السماء
١٧/٣	مكحول	أطع والديك
٢٣٣/٣	عبد العزيز بن أبي رواد	اطلبوا الغنى في هذه الآية
١٦٧/٣	الحسن	اعملوا وأبشروا
٣١٩/١	الحسن	أفضل أخلاق المسلمين العفو
١٢٩/٥-١٣٠	شهر بن حوشب	أفيكم ربنا
١٩٠/٢	طاوس	أقسمت عليك أبا وهب لترجعن
٤٢١/١	—	أكان آدم نبيًا مكلّمًا
٤١٠/٣	الحسن	أكثرُوا عليّ الصلاة يوم الجمعة

٤١٢/٣	أنس بن مالك	اكشفي رأسك
٢٣١/٣	عمر بن الخطاب	اكشفي عن رأسك
٢٢٣/٢	أبو قلابة	ألا أراكم تجزعون من حر الشمس
		ألا إن الصلوات الخمس والجمعة
٣١٢/٢	الحسن	إلى الجمعة
٤١٠/٣	كعب بن عجرة	ألا أهدي لك هدية
٢٢٦/٣	قتادة	ألا تحب أن يعفو الله عنك
١٣٩/٣	أبو عمران الجوني	ألا فاتقوا النفخة
٢٤٢/٤		
٤١١/٣	أنس بن مالك	ألا لا تؤذوا المؤمنين
٣١٣/٣	عمارة بن غراب	﴿إلا من شاء الله﴾: الشهداء
		التمسوا ليلة القدر في العشر
١٤٩/٥	ابن عمر	الأواخر
٣٦٥/١	ابن عباس	ألحقوا المال بالفرائض
	عبد الله	الذي يأتي امرأته في دبرها
٢٢٣/١	ابن عمرو بن العاص	
٢٦٣/٤	عبد الله بن رواحة	الرسول الله قلت هذا
٣٦٤/٣	أبو هريرة	الله أعلم بما كانوا عاملين
١٣٩/٤	الحسن	الله أكثر
١٣٢/٣	البراء بن عازب	الله ربي

اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع

يوسف عبد الله بن مسعود ٢٠١/٤

اللهم إن كانت كاذبة فاحرمها إياه قتادة ٢٣٢/١

اللهم إنا نعوذ بك من وعاء السفر أبو هريرة ١٧٨/٤

اللهم أنت الصاحب في السفر أبو هريرة ١٧٨/٤

اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر البراء بن عازب ١٣١/٣

اللهم سدده الحسن البصري ١٥٧/٥

الله سلّم سلّم عبد الله بن مسعود ١٠٣/٣

اللهم صل على محمد وعلى

آل محمد كعب بن عجرة ٤١٠/٣

أليس هذا الذي قدر على ما لم

أقدر عليه ابن عباس ٣٠٢/٣

أليسوا يحلون لكم ما حرم الله

عليكم عدي بن حاتم ٢٩٣/١

أما الباطنان فنهران في الجنة أنس بن مالك ٣٠٧/٤

أما السابق فيدخل الجنة أبو الدرداء ٣٢/٤

أما الظالم لنفسه فيحبس أبو الدرداء ٣٢/٤

أما الظاهران فالنيل والفرات أنس بن مالك ٣٠٧/٤

أما لنا منك دولة بعد معاذ بن جبل ٢٩٦/٤

إن أحداً جبل يحبنا ونحبه إسحاق بن عبد الله ١٢٥/٢

- إن أدنى أهل الجنة منزلة الحسن ٣٨٦/٤
 إن أرواحكم تعرض على عشائركم الحسن البصري ١٥٧/٥
 أن إسماعيل وعد رجلاً أبان العطار ٩٩/٣
 إن أكثر ما أتخوف على أمتي عمل قوم لوط جابر بن عبد الله ٣٠٣/٢
 إن الله إذا أحب عبدًا أبو هريرة ١٠٨/٣
 إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها أبو هريرة ٢٧١/١
 إن الله ضرب لكم ابني آدم مثلاً الحسن ٣٢/٢
 إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض قتادة ٢٧٣-٢٧٢/١
 إن الله لا يظلم المؤمن أنس بن مالك ٢٤٦/٤
 إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً كعب ١٩٣/٣
 إن الله ليرفع للمؤمن ولده ابن عباس ٢٩٧/٤
 إن الله وعدني أن يفتح لي بدرًا الكلبي ١٦٤/٢
 أن امرأة قالت لها: يا أمه عائشة ٣٨٨/٣
 إن أهل الجنة ليرون ربهم بكر بن عبد الله المزني ٢٧٧/٤
 إن أهل الجنة يدخلونها كلهم الحسن ٤٨/٤
 إن أهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح الحسن البصري ٢٤٦/٢

- إن أهل الجنة ينظرون إلى ربهم الحسن ٢٧٧/٤
 إن أهل النار يدعون خزنة النار سليمان التيمي ١٣٧/٤
 إن أول من يكسى إبراهيم الأزهري بن عبد الله ٦٧/٣
 الأزدي
 أن بني كنانة قد ضربت الملائكة
 وجوههم وأدبارهم الضحاك بن مزاحم ٤٠١/١
 أن تميم بنت عبيد بن وهب القرظية
 طلقها زوجها قتادة ٢٣٢/١
 أن جبريل كان يأتي النبي فيعرض
 عليه القرآن محمد بن سيرين ١١٤/١
 إن جهنم لتضيق على الكافر عبد الله بن عامر ٢٥٥/٣
 إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه عبد الله بن مسعود ٣٠٩/٢
 ١٧٠/٣
 إن خير الصدقة ما كان عن
 ظهر غنى الحسن ٢٢٠/١
 إن الدابة تخرج حين تخرج عبد الله بن عمرو ٣١٢/٣
 إن الرجل إذا أتى امرأته من خلفها جابر بن عبد الله ٢٢٣/١
 أن الرجل إذا دخل الجنة استخف
 زوجته الفرخ علي ٣٨٧/٤
 إن الرجل من أهل الجنة لو بدا

- إسواره
ابن لهيعة ٦٠/٣
- إن الرجل من أهل الجنة ليتنعم
معاذ بن جبل ٢٩٦/٤
- إن رجلاً من المسلمين عبر ثلاثة
أيام صائماً
- أبو المتوكل الناجي ٣٦٩/٤
- إن الرحمن يطوي السماوات
عبد الله بن عمر ١١٩/٤
- أن رسول الله أتاه رجل
يحيى بن أبي كثير ٢٢٠/٣
- أن رسول الله اتبع جنازة
البراء بن عازب ١٣١/٣
- أن رسول الله أدمي وجهه يوم أحد الحسن
٣١٧/١
- أن رسول الله أقبل على حمار
— ٢٦٣/٤
- أن رسول الله أوصى
مكحول ١٧/٣
- أن رسول الله بعث سرية إلى حي
القاسم بن عبد الرحمن ٢٣٥/٤
- أن رسول الله بعث عثمان بن
— ٢٥١/٤
- عفان إلى قريش
- أن رسول الله خرج حتى قام على
— ٢٨٩/٣
- الصفاء
- أن رسول الله خرج يوماً فنادى
أنس بن مالك ٤١١/٣
- ٢٦٤/٤
- أن رسول الله دخل عليها فدعا
الربيع بنت معوذ بن
عفراء ١١/٢
- بوضوء

أن رسول الله شكّا إلى ربه من قومه	الحسن	٣٨/٢
أن رسول الله كان في سفر فنزلوا منزلاً	عامر بن ربيعة	١٧٢/١
أن رسول الله كان يقول إذا ركب راحلته	أبو هريرة	١٧٨/٤
إن رسول الله كانت تنزل عليه الثلاث الآيات	عثمان بن عفان	١٩١/٢
أن رسول الله لما أنزل الله عذرها	يحيى	٢٢٤/٣
أن رسول الله لما صلى الصبح وقف بجَمْع	جابر بن عبد الله	٢١٠/١
أن رسول الله لما قرأ هذه الآية	الأزهر بن عبد الله الأزدي	٦٧/٣
أن رسول الله مرَّ به عام الحديبية وهو محرم	كعب بن عجرة	٢٠٧/١
أن رسول الله وأبا بكر وعمر كانوا يقرءونها ﴿مالك يوم الدين﴾	الزهري	١١٨ - ١١٩
أن سائلاً سأل رسول الله عن خلق الملائكة	الحسن	٥٩/٥
إن السلام اسم من أسماء الله	عبد الله بن مسعود	٢٤٩/٣

- إن شئت كان الذي سألك قومك قتادة ٢٧/٣
 إن شئت من بين يديها جابر بن عبد الله ٢٢٣/١
 إن صاحب سليمان ابن عباس ٣٠٢/٣
 أن صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو ١٩٠/٢
 أن عبادة بن الصامت سأل نبي الله طائوس
 عن هذه الآية أبو سلمة ٢٦٤/٢
 أن عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض عامر بن أبي ربيعة ٦٩/٥
 أن عمر بن الخطاب بلغه قتل أبي عبيدة وأصحابه — ١٧٠/٢
 أن عمر بن الخطاب حمد الله القاسم بن عبد الرحمن ٢١٩/٣
 أن عمر بن الخطاب رأى أمة عليها قناع أنس بن مالك ٤١٢ ، ٢٣١/٣
 إن في الجنة لمائة درجة مكحول ٣٩٩/١
 إن قوماً كان بينهم وبين النبي عهد فنقضوه أنس بن مالك ١٥٤/٥
 إن الكافر إذا حمل على سريره ابن عباس ١٩١/١
 إن الكافر إذا خرج من قبره أبو هريرة ٦٤/٢
 أبو مسعود الجريري ١٨٥/٤

٢٧/٣	قتادة	إن كان ما تقوله حقًا
		إن الكرسي الذي وسع السماوات
٢٥١/١	ابن عباس	والأرض
٣٤٤/١	الحسن	إن المرأة خلقت من ضلع
١٧٢/٥	—	إن المشركين قالوا للنبي انسب لنا ربك
٢٣٥/١	الحسن	أن معقل بن يسار زوج أخته رجلًا
٤٠١/٢	حيوة بن شريح	إن الملائكة تأتي ولي الله
		إن المؤمن إذا كان في قُبُلٍ من
١٣١/٣	البراء بن عازب	الآخرة
٣٤٥/٤	أبو هريرة	إن الميت تحضره الملائكة
		أن ناسًا من عُكُلٍ وعريته قدموا
٢٥/٢	أنس بن مالك	على النبي
		أن النبي بعث رجلًا في سرية
	أبو أمامة بن سهل	فأصابه كلّم
٣٦٣/١	ابن حنيف	
١٩٠/٢	طاوس	إن الهجرة قد انقطعت ولكن جهاد ونية
١٦٨/٤	علي بن أبي طالب	إن هذا الرزق يتزل من السماء
٨٢/٣	أبو هريرة	إن يأجوج ومأجوج يخرقونه
١٥٣/٤	مالك بن نضلة	إن اليد العليا خير من اليد السفلى
		أن اليهود كانوا يقولون إن

موسى آدر	أنس بن مالك	٤١٥/٣
أنا أحمد	ابن جبیر بن مطعم	٣٨٣/٤
أنا عملك الخبيث	البراء بن عازب	١٣٣/٣
أنا الماحي	ابن جبیر بن مطعم	٣٨٣/٤
أنا الملك	عبد الله بن عمر	١١٩/٤
أنت جبي وأنا جبك	علي	٣٨٧/٤
أنت ومالك لأبيك	—	٢٤٧/٣
أنتم توفون سبعين أمة	الحسن	٣١٢-٣١١/١
أنزل القرآن ليلة القدر	ابن عباس	١٤٩/٥
انشق القمر شقين	ابن مسعود	٣١٥/٤
انطلقوا بنا إلى آدم	عقبة بن عامر	٣٦٧/٢
انقطع شئع نعلي فساءني ذلك	عمر بن الخطاب	١٨٩/١
إنما أمر القوم بأدنى بقرة	قتادة	١٥٠/١
إنما كان يكفيك التيمم	عمار بن ياسر	٣٧٥/١
إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين	الحسن	٢٤١/٤
إنما هي حجة وعمره فمن قضاها	—	٨٦/٥ ، ٣١٥
أنه أتى على سابلة آل فرعون	أبو سعيد الخدري	٢٠٦/١
إنه كان خلق الأرض ثم خلق		١٣٦/٤
السموات	ابن عباس	١٣١/١

أرسلناهم	أبو هريرة	٢٦/٢
أنه ليس بضائر عبداً لم يعد		
بلسان أو يد	الحسن	١٧٤/٥
إنه ليس لنبى لبس لأتمته أن يضعها	الحسن	٣٢٥/١
إنه يسلط على أهل النار البكاء	أبو موسى الأشعري	٢٢٤/٢
أنهار الجنة تجري في غير أخذود	أنس بن مالك	١٢٨/١
أول ما خلق الله القلم	ابن عباس	٢١٧/٤
أول من يدعى يوم القيامة إلى		
الحساب	—	٨٧/٥
إنى أجيء الليلة بضيف	ثابت بن قيس	٣٦٩/٤
إنى رأيت البارحة كأن بقراً ينحر	الحسن	٣٢٥/١
إنى لا أظن عثمان إلا قد غدر به	—	٢٥١/٤
إنى لم أبعث لأعذب بعذاب الله	القاسم بن عبد الرحمن	٢٣٥/٤
إياكم والنساء فإن الإعراب من		
الرفث	ابن الزبير	٢٠٩/١
أوجب أحدكم أن يأكل لحم أخيه		
ميتاً	—	٢٦٤/٤
أيكم دفن عمرو بن جابر	عبد الله بن مسعود	٢٣١/٤
أيما داع دعا إلى ضلالة	الحسن	٣٩٩/٢

أَيُّمَا دَاع دَعَا إِلَى هَدًى	الحسن	٣٩٩/٢
	أَبُو هُرَيْرَةَ	٣٤٢/٣
أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِمًا	أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِي	١٣٥/٥
أَيَّاهُ مَاتَ ذَلِكَ قَبْلِي	الحسن البصري	١٥٧/٥

حرف الباء

بَايَعُنَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى أَنْ لَا نَفِرَ	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ	٣٩٢/٣
بِسْمِ اللَّهِ اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْأَرْضَ	أَبُو هُرَيْرَةَ	١٧٨/٤
بَلَّغْنَا أَنَّ الْيَهُودَ لَمَّا سَأَلَتْ	يَحْيَى	٥٥/٣
بَلَى أَحْلَى عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي	جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ	٢٧٩/١
بِمَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَخْتِمُ صَلَاتَهُ	أَبُو هَارُونَ الْعَبْدِي	٧٩/٤
بِالْمَعْرُوفِ غَيْرِ مُتَأَثِّلٍ مِنْ مَالِهِ مَالًا	الحسن العرنبي	٣٤٩/١
بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى ثَلَاثَ	الحسن	٢٣٦/٤
بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ...﴾	أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِي	٧٩/٤
بِشِّسِ الرَّأْيِ رَأَيْتُمْ	نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِي	٣٣٥/١
بَيْنَ النَّفَخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ سَنَةً	الحسن	٣١٤-٣١٣/٣
بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ فِي مَسِيرٍ	الحسن	١٦٦/٣
بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ	أَبُو سَعِيدٍ الْخَدْرِي	٥/٣
بَيْنَمَا أَنَا فِي الْجَنَّةِ إِذَا بَنُورٌ	أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ	١٦٧/٥
بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ فِي مَسِيرٍ لَهُ	أَبُو قَلَابَةَ	٢٢٣/٢

حرف التاء

٧/٥	زيد بن أسلم	تأمروهم بطاعة الله
٩/٥	الشعبي	التائب من الذنب كمن لا ذنب له
٣٧٧/٢	عبد الله بن مسعود	تبدل الأرض بأرض بيضاء
١٢/٢	أبو هريرة	تحت كل شعرة جنابة
		تخرج روح المؤمن أطيب من
١٢٢/٢	أبو موسى الأشعري	ريح المسك
٣١٢/٣	ابن عباس	تخرج من بين أودية تهامة
٣١٠/١		تفرقت بنو إسرائيل على سبعين فرقة أبو أمامة
		تقوم الساعة والرجلان قد نشرا
١٥٧/٢	أبو هريرة	ثوبهما
٤١٠/١	علي	تكون المرأة عند الرجل بنت عمه
٢٤/٢	المخارق	تناشده بالله

حرف الثاء

١٦٠/٥	الحسن	ثلاث ليس لك منهن بد
		ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً جاء
٤٢١/١	_____	الغفير
٣٠٦/٤	أنس بن مالك	ثم رفعت لنا السدرة المنتهى

حرف الجيم

- جاءني كعب بن عجرة عبد الرحمن بن أبي ليلى ٤١٠/٣
- الجريح والمجدور والمقروح إذا
- خشي ابن عباس ٣٧٦/١
- جئت إلى النبي وفي عنقي صليب عدي بن جاتم ٢٩٣/١
- الجيران ثلاثة عطاء الخراساني ٣٦٩/١

حرف الحاء

- الحج فريضة والعمرة تطوع عبد الله بن مسعود ٢٠٧/١
- الحجر والمقام ياقوتتان ابن عباس ١٧٧/١
- حُرِّمَت النار على عين دمعت
- من خشية الله عطاء بن يسار ٣٨٦/٤
- حين بُعِثَ إليَّ أبو عمران الجوني ١٣٩/٣
- ٢٤٢/٤

حرف الخاء

- خرجنا حاجين عبد الله بن مسعود ٢٣١/٤
- خلق آدم بيده كعب ١٩٣/٣
- خلق الله الخلق أبو بكر الصديق ٣٤٠/٤
- عبد الرحمن بن سابط ٣٩٧/٤

حرف الدال

دار المؤمن ذرّة مجوفة	أبو هريرة	٣٣/٤
دخلت مع عبيد بن عمير		
على عائشة	عطاء	٢٢٧/١
الدرجة في الجنة فوق الدرجة		
كما بين السماء والأرض	أبو المتوكل الناجي	٩٨/٢
دعوة ذي النون إذ دعا	سعد بن مالك	١٥٨/٣

حرف الذال

ذكر لنا أن رسول الله سأل ربه	قتادة	٢٨٣/١
ذكر لنا أن العمل في سبيل الله	صفوان بن عبد الله	٢٣٩/٢
ذلك محض الإيمان	أبو هريرة	٢٧٢/١

حرف الراء

رابطت المدينة سبعة أشهر	أبو الحمراء	٣٩٩/٣
رأيتني البارحة كأن علي درعاً	الحسن	٣٢٥/١
ربنا لا تقوم الساعة	أبو سعيد الخدري	١٣٦/٤
ربنا ليس شيء أفضل من الجنة	جابر بن عبد الله	٢٧٩/١
رحم الله قوماً يتدبون	—	٣٣٥/١
رحم الله من يسر على معسر	الحسن	٢٦٦/١
روح طيب وريح طيبة	أبو سعيد الخدري	٧/٣

حرف الزاي

٣٠٤/١	الحسن	الزاد والراحلة
٢٣٥/١	معقل بن يسار	زوجته ثم طلقها لا ترجع إليه

حرف السين

٣٢/٤	عمر بن الخطاب	سابقنا سابق
٢٧٥/٤	ابن مسعود	سارعوا إلى الجمع في الدنيا
١٢٩/٣	جرير البجلي	سألت رسول الله عن النظر فجأة
		سألت عائشة النبي عن الذي
١١٢/٥	—	يحاسب
		سألت عمر بن الخطاب عن
٧/٥	النعمان بن بشير	التوبة النصوح
٤٩/٢	الحسن	سألوا رسول الله عن أمور الجاهلية
٢٩/٥	محمد بن المنكدر	سبحانك حيث كنت
١١٦/٣	—	السلام على من اتبع الهدى
٤٠١/٢	حيوة بن شريح	السلام عليك يا ولي الله
		سلوني فوالذي نفسي بيده لا
٤٩/٢	الحسن	تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم
		السمع والطاعة خير من الفرقة
٣١٠/١	أبو أمامة	والمعصية

- سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هذا
الحرف ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ﴾ أسماء بنت يزيد ٢٩٣/٢
- سمعت النبي إذا طلع الفجر جاء
إلى باب علي وفاطمة أبو الأحمر ٣٩٩/٣
- سوط دون هذا يحيى بن أبي كثير ٢٢٠/٣
- سئل جابر بن عبد الله أيستأذن
الرجل على والدته أبو الزبير ٢٢٨/٣
- سئل رسول الله عن ﴿أدبار السجود﴾ علي ٢٧٩/٤
- سئل رسول الله عن أولاد المشركين أنس بن مالك ٣٦٣/٣
- أبو هريرة ٣٦٤/٣
- سئل رسول الله عن سبأ ابن عباس ٢٩٨/٣
- سئل رسول الله عن الصلاة الوسطى علي ٢٤٠/١
- سئل رسول الله عن الموجبتين جابر بن عبد الله ٣٧٨/١
- سئل علي بن أبي طالب عن
ذي القرنين يحيى ٨٤/٣

حرف الشين

- شر قتلى تحت ظل السماء أبو أمامة ٣٠٩/١
- شفته السفلى ساقطة على صدره أبو هريرة ٢١٢/٣

حرف الصاد

٢٠٩/١	عمر بن الخطاب	صام إذا رجع إلى أهله
١٨٩/١	الحسن	الصبر عند الصدمة الأولى
٢٦١/١	كعب بن عجرة	الصدقة تطفئ الخطيئة
١٠٢/٣	السيف عبد الله بن مسعود	الصراط على جهنم مثل حد السيف
٣٧٠/١	أم سلمة	الصلاة وما ملكت أيمانكم

حرف الطاء

١٤٣/١	سعد بن مالك	الطاعون بقية رجز وعذاب
٣٠٩/١	أبو أمامة	طوبى لمن قتلهم أو قتلوه

حرف الظاء

٣٢/٤	عمر بن الخطاب	ظالمنا مغفور له
------	---------------	-----------------

حرف العين

٤٥/٢	محمد بن المنكدر	عصارة أهل النار في النار
٣٨/٢	الحسن	علمت يارب أن لا مخافة علي
٣٤/٢	الكلبي	على أي حال أعطاكه
٣١٠/١	أبو أمامة	عليك بالسواد الأعظم
٣٦٧/٢	عقبة بن عامر	عليكم بنوح
١٧٤/٥	الحسن	عموا هذا الحسد بينكم
١٨٩/١	الحسن	العين لا يملكها أحد

حرف الغين

غزونا مع مالك بن عبد الله

الخثعمي أبو المصباح ٢٣٧/٢

غفر الذنب الكبير أبو الدرداء ٣١/٤

غفر الله لك يا أبا بكر أليس تمرض أبو بكر الصديق ٤٠٨/١

غير أن السبيل موضع الولد جابر بن عبد الله ٢٢٣/١

حرف الفاء

فأتيته بإناء فيه ماء قدر مُدّ الربيع بنت معوذ ١١/٢

فإذا أنا برجال بطونهم كاليوت أبو سعيد الخدري ٢٦٣/١

فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا المدبرين الحسن ٣٢٥/١

فاغزوا في سبيل الله أبو هريرة ٣٨٦/٤

فاغسلوا الشعر وأنقوا البشر أبو هريرة ١٢/٢

فاكرهوا الغيبة ٢٦٤/٤

فإن عادوا فعدّ أبو عبيدة بن محمد بن

عمار بن ياسر ٢٨٤/١

فإن هذا القرآن نزل على رسول الله القاسم بن عبد الرحمن ٢٢٠/٣

فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم أنس بن مالك ٤١١/٣

فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين ابن عباس ٩/٢

فأين تجعلون اليمين الغموس الحسن ٣٦٤/١

- فبايعوني على الصبر
فبعث رسول الله في طلبهم
فتلك عبادتهم
فجاء بنار فأضرمت فيها
فجاهده دون مالك حتى تمنعه
فدخل الماء يومًا ووضع ثوبه
فذلك المقام المحمود
الفردوس جبل في الجنة
فرض عليّ في كل يوم وليلة
خمسین صلاة
فشددوا فشدد الله عليهم
فضل العالم على العابد
فطينة النهر مسك أذفر
فكيف تجد قلبك
فليس من نفس إلا وهي تنظر
فما السبيل
فمن رغب عن ستي فليس مني
فوالله إن كانت لتوازي سورة البقرة
- ٢٥١/٤ —
٢٥/٢ أنس بن مالك
٢٩٣/١ عدي بن حاتم
٢٣٥/٤ القاسم بن عبد الرحمن
٢٤/٢ المخارق
٤١٥/٣ أنس بن مالك
٣٥/٣ حذيفة بن اليمان
٨٥/٣ أبو هريرة
١٩٥/٣
١٠/٣ أبو سعيد الخدري
١٥١/١ ابن عباس
٣٦١/٤ عمران القصير
١٢٨/١ أنس بن مالك
أبو عبيد بن محمد بن
٢٨٤/١ عمار بن ياسر
٩٦/٣ عبد الله بن مسعود
٣٠٤/١ الحسن
٤٣/٢ الحسن
٢١٨/٣ أبي بن كعب

٣١/٤	أبو الدرداء	فيجئ هذا السابق بالخيرات
٣٧٩/٢	عبد الله بن مسعود	فيغضب لهم ربهم فيدخلهم الجنة
٣٤٨/١	أبو الخير	فينا والله أنزلت
١٢٩/٤	أبي بن كعب	فيؤتى بالجنة مفتحة أبوابها
١٣١/٥		

حرف القاف

٢٣٦/٤	جابر بن عبد الله	قاتل أهل الضلالة أينما وجدتهم
٥١/٤	—	قاتل الله طرفه
٢٨٤/٤	أنس بن مالك	قال الله إن من أحب أحبائي
		قال ربكم إذا عمل عبدي حسنة
١٠٩/٢	أبو هريرة	فاكتبوها له بعشر
١٧٧/٣	ابن عباس	قام إبراهيم النبي عند البيت
١٥١/١	ابن عباس	قتل رجل عمه فألقاه بين قريتين
٣٦٧/٢	عقبة بن عامر	قد قضى بيننا ربنا
٢٠١/٤	عبد الله بن مسعود	قد مضت البطشة والدخان
٣٦٧/٢	عقبة بن عامر	قد وجد المؤمنون من يشفع لهم
		قرأ أبو بكر الصديق هذه الآية فقال:
٢٥٢/٢	عامر بن سعد	هل تدرؤن ما الزيادة
٢٧/٢	محمد بن المنكدر	قطع رسول الله يد سارق

قلت لعثمان بن عفان كيف جعلتم

الأنفال ابن عباس ١٩١/٢

قهرنا أهل الأرض أبو هريرة ٨٣/٣

قولوها ما قبلت منكم عبد الله بن مسعود ٥١/٢

قوموا مغفورًا لكم أنس بن مالك ٤٠٤/٣

حرف الكاف

كان آدم رجلًا طويلاً كأنه نخلة أبي بن كعب ١١٥/٢

كان إساف على الصفا الشعبي ١٩١-١٩٠/١

كان الرجل يطلق فإذا سئل أبو الدرداء ٢٣٤/١

كان رسول الله يبطن نخل

محاصرًا غطفان الحسن ١٤/٢

كان رسول الله يدفع الأسير

إلى الرجل — ٧١/٥

كان رسول الله يوقظ أهله في

العشر الأواخر عبد الرحمن بن سابط ١٥٠/٥

كان عبدًا صالحًا علي بن أبي طالب ٨٤/٣

كان عمر يمشي فانقطع شئع نعله عبد الله بن أبي خليفة ١٨٩/١

كان الفرار من الزحف من الكبائر الحسن ٣٦٤/١

كان يكفيك أن تصنع هكذا عمار بن ياسر ٣٧٥/١

٢٥٤/٤	جابر بن عبد الله	كانت سمرّة بايعناه تحتها
	ثابت بن الحارث	كانت اليهود تقول إذا هلك
٣١١/٤	الأنصاري	صبي صغير
١٩٤/٣	محمد بن سيرين	كانوا يلتفتون في صلاتهم
٣٦٤/١	يحيى بن أبي كثير	الكبائر تسع
	ثابت بن الحارث	كذبت يهود
٣١١/٤	الأنصاري	
٣٨٨/١	—	كفوا أيديكم عنهم
٣٠٩/١	أبو أمامة	كلاب أهل النار
٤٤/٥	أبو رجاء العطاردي	كنا قبل أن يُبعث
١١٧/١	عبد الله بن مسعود	كنا نكتب باسمك اللهم زماناً
٣٨٩/٣	قتادة	كنت أول النبيين في الخلق
١٠٥/٣	خباب بن الارت	كنت قيناً في الجاهلية
٣٠٩/١	أبو غالب	كنت مع أبي أمامة وهو على حمار
٣١٢/٣	عبد الله بن عمرو	كيف تبع هذا يا مؤمن
٣١٧/١	الحسن	كيف يفلح قوم أدنوا وجهه نبئهم

حرف اللام

٢٣٣/١	الجهنم بن وراذ	لأحبسك تسع حيض
٤٢٣/٢	ابن عباس	لأمثلن بثلاثين من قریش

- لأن أجالس أقوامًا يذكرون الله أنس بن مالك ٥٨/٣
- لأن أقدم سقطًا أحب إلي الحسن ٢٢٥/١
- لا إله إلا أنت سبحانهك سعد بن مالك ١٥٨/٣
- لا بل أستاذني بقومي قتادة ٢٧/٣
- لا تأتوا النساء في مواضع خشوشهن عبد الله بن مسعود ٢٢٤/١
- لا تَسْبُوهُ أبو الدرداء ٢٧/٢
- لا تعذبوا خلق الله الحسن ٣٧٢/١
- لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها أبو هريرة ١٠٨/٢
- لا تقوم الساعة حتى يجتمع عبد الله بن عمرو ٣١٢/٣
- لا تنزلوا العارفين المحدثين الجنة
- ولا النار علي ٣٩٧/١
- لا جرم والله لا أمنعه معروفًا أبو بكر ٢٢٧/٣
- لا حتى تذوقي من عسيلة غيره قتادة ٢٣٢/١
- لا دريت البراء بن عازب ١٣٣/٣
- لا دريت هكذا كنت في الدنيا ابن عباس ١٩١/١
- لا قليل مع إصرار أبان العطار ٣١٩/١
- لا كثير مع استغفار أبان العطار ٣١٩/١
- لا يبقى أهل مَذَر ولا وَبَر إلا
- أدخله الله الإسلام المقداد بن الأسود ٣٨٥/٤

٢٤٣/٣	المقداد بن الأسود	لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر
٤٨/٤	الحسن	لا يبولون ولا يتغوطون
		لا يجتمع غبار في سبيل الله
٢٣٨/٢ - ٢٣٩	أبو هريرة	ودخان جهنم
٣٨٨/٣	—	لا يرث المسلم الكافر
٢٥١/١	ابن عباس	لا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه
٤٨/٤	الحسن	لا يلدن ولا يمتخطن
٢٢٠/١	الحسن	لا يلوم الله على الكفاف
٢٧٠/١	أبو سعيد الخدري	لا يمنعن أحدكم مخافة الناس
٣٥/٣	حذيفة بن اليمان	ليبك وسعديك والخير في يديك
٥٨/٣	عبد الله بن عمرو	لذكر الله بالغداة والعشي أفضل
٣٨٨/٣	عائشة	لست لك بأم
٢٢٣/٤	—	لقد رأيت في منامي أرضاً
		لقد نزلت عليّ آية لهي أحب إلي
٢٤٨/٤	أنس بن مالك	من الدنيا
٤٣/٢	الحسن	لكني أنا أصوم وأفطر
٢٠٣/٤	أنس بن مالك	للمؤمن بابان في السماء
١٥٤/٢	أبو هريرة	لله تسعة وتسعون اسماً
٣٧٤/٤		
٣٦٣/٣	أنس بن مالك	لم تكن لهم حسنات

- لم تنزل ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
 في شيء من القرآن الحسن البصري ١١٧/١
- لم نباع عند شجرة إلا الشجرة التي بالحديثة جابر بن عبد الله ٢٥٤/٤
- لم يتكلم رسول الله ببيت شعر قط عائشة ٥١/٤
- لم يشركوا أبو بكر الصديق ٢٢٤/٤
- لما أنزل الله الموجبات التي أوجب عليها النار عمر بن الخطاب ٣٩٧/١
- لما قدمت أرواح أهل أحد على الله ابن عباس ٣٣٣/١
- لما كان يوم أحد مثل المشركون ابن عباس ٤٢٣/٢
- لما نزلت ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾ شهر بن حوشب ٢٣٢/٢
- لن يغلب عسر يسرين — ١٤٣/٥
- لو أن رجلاً عمل في جوف سبعين بيتاً عثمان بن عفان ٢٣٠/٢
- لو أن غزباً من جهنم وضع بالأرض أنس بن مالك ٢٩٢/٤
- لو نزلت هذه الآية علينا ابن عباس ٨/٢
- لوددت أن أقتل في سبيل الله ثم أحيا مكحول ٤٠٠/١
- ليس الفرار من الزحف من الكبائر الحسن ١٧٠/٢

٧١/٥	—	ليس في الجنة شمس
١٢٩/٥ - ١٣٠	شهر بن حوشب	ليس فينا وهو آت
		ليس من أهل الجنة أحد إلا
٦٠/٣	سعيد بن المسيب	وفي يده ثلاثة أسورة
٥١/٢	عبد الله بن مسعود	ليس هذا بزمانها

حرف الميم

٢٢٣/٤	—	ما أدري ما يفعل بي ولا بكم
٢٢٤/٤	عامر بن سعد البجلي	ما الاستقامة يا خليفة رسول الله
١٦٧/٣	الحسن	ما أنتم في الناس إلا كالزقمة
		ما تقولون في الزنا والسرقة
٣٦٥/١	الحسن	وشرب الخمر
١٩٠/٢	طاوس	ما جاء بكم
٣١٨/١	عطاء بن يسار	ما جرع أحد جرعة خير له
١٣٣ ، ١٣٢/٣	البراء بن عازب	ما دينك
		ما رأيت مثل رجل لم يلتمس
٢٣٣/٣	عمر بن الخطاب	الغنى في الباء
١٠٦/٥	الحسن	ما طول يوم القيامة على المؤمنين
١٧٧/٤	ابن عباس	ما عام بأكثر مطرًا من عام
١١٤/١	حذيفة بن اليمان	ما كنت صانعًا إذا قيل قراءة فلان

- ما لك يا ابن آدم إلا ما أكلت فأفانيت
عبد الله بن الشخير ١٥٨/٥
- ما من أحد من ولد آدم الحسن ٩٠/٣
- ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة أبو بكره ٤١٦/٢
- ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله أنس بن مالك ٤٠٤/٣
- ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد أبو ذر ٢٢٥/١
- ما نزل على أهل النار آية هي أشد منها عبد الله بن عمرو ٨٤/٥ - ٨٥
- مُرَّ على أبي الدرداء برجل قد أخذ في حدٍّ أبو قلابه ٢٧/٢
- مرحبًا بالنفس الطيبة أبو هريرة ٣٤٥/٤
- المسلم من دعائه على إحدى ثلاث الحسن ١٣٩/٤
- المصورون يعذبون يوم القيامة الحسن ١٩٦/٣
- مُعَلِّم الخير يستغفر له كل شيء ابن عباس ٣٦١/٤
- ﴿معيشة ضنكًا﴾ يعني عذاب القبر أبو سلمة بن عبد الرحمن ١٣٠/٣
- المقام جاء به ملك أبي بن كعب ١٧٧/١
- مقتصدنا ناج عمر بن الخطاب ٣٢/٤

المملوك أخوك	الحسن	٣٧١/١
من أحب لقاء الله	—	٣٤٦/٤
من أدى الزكاة فقد أدى حق الله	الحسن	٢٠٣/٢
من أدى زكاة ماله	الحسن	٣٧٠-٣٦٩/٤
من ارتبط فرسًا في سبيل الله	مكحول	١٨٤/٢
من أصبح مرضيًا لأبويه	ابن عباس	١٨/٣
من أصبح مسخطًا لأبويه	ابن عباس	١٨/٣
من أظلم ممن يخلق كخلقى	أبو هريرة	١٩٦/٣
من أعتق رقبة مؤمنة	الحسن	١٣٥/٥
من اغبرت قدماه في سبيل الله	جابر	٢٣٨/٢
من أنظر معسرًا	أبو هريرة	٢٦٧/١
من بنى مسجدًا لله	أبو ذر	٢٣٦/٣
من جهز غيره بماله في سبيل الله	عطاء	٢٥٧/١
من حج هذا البيت فلم يرفث	أبو هريرة	٢١٢/١
من خرج بنفسه وماله	عطاء	٢٥٧/١
من رضي مملوكه فليمسكه	الحسن	٣٧١/١
من رمى العدو بسهم	عمرو بن عبسة	١٨٤/٢
من سئل عن علم عنده فكتمه	عطاء	٣٤٠/١
من شرب الخمر ثم لم يسكّر	محمد بن المنكدر	٤٥/٢
من طلق لاعبًا أو تزوج لاعبًا	أبو الدرداء	٢٣٤/١

٣٧٠/١	أبو شريح الخزاعي	من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
٣٤٧/٤	—	من كره لقاء الله
٣٧١/٢	أبو الدرداء	من لم ير نعمة الله
		من مات لا يشرك بالله شيئاً
٣٧٩-٣٧٨/١	جابر بن عبد الله	دخل الجنة
٣٧٩/١	جابر بن عبد الله	من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار
٥٩/٥	الحسن	من نور الحجب
٧/٣	أبو سعيد الخدري	من هؤلاء يا جبريل
٢٠٨/١	عبد الله بن عمر	من يوم يهل إلى يوم عرفة
١٥٢/٥	أبو هريرة	المؤمن أكرم على الله من الملائكة

حرف النون

٢٦١/١	كعب بن عجرة	الناس غاديان
		الناس يومئذ أشغل من أن ينظر
٦٧/٣	الأزهر بن عبد الله الأزدي	بعضهم إلى بعض
٨/٥	عبد الله بن مسعود	الندم توبة
١٩٨/٤	ابن عباس	نزل القرآن ليلة القدر إلى السماء
٤٨/٤	الحسن	النساء عُرُبًا أترابًا
		نسخ من هذه الآية الحامل المتوفى

٢٣٧/١	عبد الله بن مسعود	عنها زوجها
٢٢١، ١١٦/٣	سعيد بن المسيب	نسختها ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾
٣٤٢-٣٤١/١	عائشة	نعم جهاد لا قتال فيه
٥٤/٤	—	نعم يحييك الله بعد موتك
٤٢٣/٢	ابن عباس	نهى عن المثلة

حرف الهاء

٣٨٢/١	عثمان بن طلحة	هاك في أمانة الله
٣٨٢/١	—	هاك المفتاح
٢٠١/٤	عبد الله بن مسعود	هاهنا رجل يزعم أنه يأتي دخان
١٠/٣	أبو سعيد الخدري	هذا أبوك إبراهيم
		هذا عند الموت يقبضون روح
٨٥/٢	أبو أمامة	الكافر
١٦٧/٥	أنس بن مالك	هذا الكوثر الذي أعطاك الله
٩/٤	أبو سعيد الخدري	هذا المحجب في قومه
٣٠٢/٣	ابن عباس	هذا من فضل ربي ليبلوني
		هذان الاسمان من أسماء الله
١١٧/١	الحسن	ممنوعان
		هذه لكم وقد أعطى الله القوم بين
١٥٥/٢	قتادة	أيديكم مثلها

٣٤ / ٢	الكلبي	هل أعطاك أحد شيئاً
١٦٦ / ٣	الحسن	هل تدرون أي يوم ذاكم
		هل تريدون من ريكم إلا أن
٣٨٦ / ٤	أبو هريرة	يغفر لكم
٣٤١ / ١	عائشة	هل على النساء جهاد
٢٣٢ / ١	قتادة	هل غشيك
١٠٦ / ٣	علي	هل يكون الوافد إلا الراكب
٥٤ / ٢	عائشة	هم كانوا أعلم بالله
٤١٦ / ٣	الحسن	هما اللذان ظلماها
٣٠٤ ، ٢٧٩ / ٤	علي	هما الركعتان قبل صلاة الصبح
٢٧٩ / ٤	علي	هما الركعتين بعد صلاة المغرب
٣٦٥ / ١	الحسن	هن فواحش وفيهن عقوبة
٢٤٨ / ٤	أنس بن مالك	هنيئاً مريئاً لك يا رسول الله
٢٩٨ / ٣	ابن عباس	هو رجل
٣١ - ٣٠ / ٢	رجل من الأنصار	هو الرجل تكسر سيئه
٢٢٧ / ١	عائشة	هو قول أحدكم لا والله
٢٦٣ / ١	أبو سعيد الخدري	هؤلاء أكلة الربا
		هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً
١٠ / ٣	أبو سعيد الخدري	وعملاً سيئاً
٨ / ٣	أبو سعيد الخدري	هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى

هؤلاء الزناة	أبو سعيد الخدري	٧/٣
هؤلاء الهمازون اللمازون	أبو سعيد الخدري	٨/٣
هي أن يتوب العبد من الذنب	عمر بن الخطاب	٨ - ٧/٥
هي دابة ذات زغب	ابن عباس	٣١٢-٣١١/٣
هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن	أبو سلمة	٢٦٤/٢٠
هي صلاة العصر التي فرط فيها		
نبي الله سليمان	علي	٢٤٠/١

حرف الواو

والذي نفسي بيده إن أهل الجنة ليتناولون	أبو هريرة	٢٩٩ ، ١٩٤/٤
والذي نفسي بيده لا يغفل أحد من هذا المال بغيراً	عروة	٣٣١/١
والذي نفسي بيده لأخرجن	—	٣٣٦/١
والذي نفسي بيده لو اتبع آخركم والذي نفسي بيده ما تصدق	قتادة	٣٩٢/٤
عبد بصدقة	أبو هريرة	٢٦٥/١
والله لا أكفر بمحمد	خباب بن الارت	١٠٥/٣
والله لا يجعل الله من دخل في الإسلام طوعاً	الحسن	٣٠٠/١

وددت أن الله صرفني عن قبلة

اليهود

١٨٥/١

حرف الياء

- | | | |
|-------------|--------------------|----------------------------------------|
| ١٦٦/٣ | الحسن | يا آدم قم ابعث بعث النار |
| | | يا أبا الفضل لو أن ابن أخيك |
| ١٦٩/٥ | ابن عباس | استلم بعض آلتهنا لصدقناه |
| ٢٧٥/٤ | ابن عمر | يا أهل الجنة خلود فلا موت |
| ١٠٨/٣ | أبو هريرة | يا أهل السماء |
| ٢٠١/٤ | عبد الله بن مسعود | يا أيها الناس من عَلِمَ علماً فليقل به |
| | | يا ثابت لقد عجب الله منكم |
| ٣٦٩/٤ | أبو المتوكل الناجي | البارحة |
| ٣٠٧/٤ | أنس بن مالك | يا جبريل ما هذه الأنهار |
| ٧/٣ | أبو سعيد الخدري | يا جبريل من هذا |
| ٣٨/٢ | الحسن | يا رب إن قومي قد خوَّفوني |
| ١٣٢/٣ | البراء بن عازب | يا رب متى تقوم الساعة |
| ١٣٣ ، ١٣١/٣ | البراء بن عازب | يا رب هذا روح عبدك |
| ١٣٩/٤ | الحسن | يا رسول الله إذا نكث |
| | | يا رسول الله أرأيت إن عرض لي |
| ٢٤/٢ | المخارق | رجل |

- يا رسول الله إن في حجري يتيمًا الحسن العرني ٣٤٨/١
- يا رسول الله إن لي جازًا مالك بن نضلة ١٥٣/٤
- يا رسول الله إني رجل أقف المواقف رجل ٨٦/٣
- يا رسول الله إني لأحدث نفسي بالشيء أبو هريرة ٢٧٢/١
- يا رسول الله بيوتنا قاصية الكلبي ٣٤/٢
- يا رسول الله قد عرفنا السلام عليك كعب بن عجرة ٤١٠/٣
- يا رسول الله قول الله
- ﴿الطلاق مرتان﴾ — ٢٣٠/١
- يا رسول الله كم المرسلون — ٤٢١/١
- يا رسول الله كيف الصلاح بعد
- هذه الآية أبو بكر الصديق ٤٠٨/١
- يا رسول الله كيف يستعجل الحسن ١٤٠/٤
- يا رسول الله لو صلينا خلف المقام عمر بن الخطاب ١٧٦/١
- يا رسول الله نكمن لهم في أزقتها الحسن ٣٢٥/١
- يا رسول الله هذا نقي أنفسنا زيد بن أسلم ٧/٥
- يا رسول الله والله ما نتخذهم أربابًا عدي بن حاتم ٢٩٣/١
- يا رسول الله وما طينة الخبال محمد بن المنكدر ٤٥/٢
- يا زُرْ كم تقرأون سورة الأحزاب أبي بن كعب ٢١٨/٣
- يا سوءاته لك يا ابنة أبي بكر عائشة ٦٧/٣

٢٩٠/٣	يا صباحاه	—
٢٢٧/١	يا عبد الرحمن بن سمرة	عبد الرحمن بن سمرة
٢٩٣/١	يا عدي ألق هذا الوثن من عنقك	عدي بن حاتم
٢٦١/١	يا كعب بن عجرة الصلاة برهان	كعب بن عجرة
	يا ليت إخواننا الذين خَلَفْنَا من	
٣٣٤/١	بعدنا علموا	ابن عباس
٦٩/٥	يا ليت أُمي لم تلدني	عمر بن الخطاب
٦٩/٥	يا ليتني هذه التينة	عمر بن الخطاب
٦٩/٥	يا ليتها تمت	عمر بن الخطاب
١٤/٢	يا محمد أرني سيفك	الحسن
٥٣/٤	يا محمد أياحيي الله هذا	مجاهد
٦/٣	يا محمد على رسلك اسلك	أبو سعيد الخدري
	يا محمد موعد ما بيننا وبينكم	
٣٣٥/١	موسم بدر الصغرى	أبو سفيان
٢٦٤/٤	يا معشر من آمن بلسانه	أنس بن مالك
٤١١/٣	يا معشر من أسلم بلسانه	أنس بن مالك
١٢٣/١	يجاء بالمستهزئين يوم القيامة	الحسن
١٠٩/٥		
٣٤/٣	يجمع الله الناس يوم القيامة	حذيفة بن اليمان
١٢٩/٤	يجيء الرب يوم القيامة	أبي بن كعب

١٣١/٥

يحشر الله العباد يوم القيامة

١١٨/٢

عبد الله بن أنيس

حفاة عراة

٢٢٠/١

الحسن

اليد العليا خير من اليد السفلى

١٢٩/١

الحسن

يدخلنها عُرْبًا أترابًا

١٣٧/٤

سليمان التيمي

يدعون ربهم فلا يجيبهم

٢٦/٢

الجهنم بن وُرَاد الكوفي

يده اليمنى ورجله اليسرى

٢٢٨/٣

علي

يستأذن الرجل على كل امرأة

١١٢/٥

—

يُعرف بعمله

١٥٨/٥

عبد الله بن الشخير

يقول ابن آدم مالي مالي

٣٧٩/٢

عبد الله بن مسعود

يقول أهل النار

١٤٠/٤

الحسن

يقول قد دعوت الله فما أجابني

١٣٧/٤

سليمان التيمي

ينادون مالكا فلا يجيبهم

١٢٩/٤

أبي بن كعب

يؤتى بالنار تقاد بسبعين ألف زمام

١٣١/٥

١١٢/٢

سلمان الفارسي

يوضع الميزان يوم القيامة

فهرس المواد اللغوية التي شرحها المؤلف

حرف الألف

٤١٣/٢	أثث
١١١/٥	أذن
١١٣/٣	أرب
١١٤/٣	أزر
١٢٩/٤	أزف
٢٤٠/٤	أسن
٣٢٠/٤	أشر
١٦٥/٥	ألف
٢٢٨/٣	أنس
٣٣١/٤	أنى
٨/٤	أوب
٢٣٥/٢	أوه
٣٤٠/٢	أوى

حرف الباء

٦٤/٥	برق
٢٧٠/٤	بسق
١٢٥ - ١٢٤/٣	بصر

٣٠٧/٢	بعد
٢٥٧ - ٢٥٦/٣	بور
١٧٨/٣	بئس

حرف الناء

٢٧١/٢	تبع
١٣٤/٥	ترب
٢٣٨/٤	تعس

حرف الناء

٢٥٥/٣	ثبر
١١٧/٥	ثقب

حرف الجيم

٢١٦/٤	جثو
١٩٠/٤	جدل
٢١٦/٤	جذو
٢٨٧/٢	جرم
٢٩٠/٢	جری
٣٥٢/٢	جفا
٣٧٢/٢	جنب
١٩٩/١	جنف

٩٢/٣

جبيء

حرف الحاء

٣٠٤/١

حجج

٤٣/٤ ، ٢٠/٣

حسر

١٦٢/٣

حصب

٤١٠/٢

حفد

٩٨/٣

خفيي

٢٠٧/١

حلل

٧٩/٣

حماً

٢٩/٣

حنك

١١٢/٥

حور

١٧٠/٢

حوز

٣٢٤/٢

حوش

حرف الخاء

٤٢/٣

خبو

٩٣/٢

خرص

٢١٣/٣

خساً

٣٢٢/٢

خطئ

١٢٧/٣

خفت

١٥١/٢ خلف

٣٧٠/٢ خلل

حرف الدال

٣٢٨/٢ دأب

٣٦/٣ دخل

٣٣٤/٤ دهم

حرف الذال

٢٨٢/٤ ذرو

٢٨٩/٣ ذكر

حرف الراء

٢٨/٥ رجو

٨١/٣ ردم

٦١/٤ ردى

٢٩١ ، ١٥٦/٢ رسو

٢٣١/٢ رصد

٢٤/٣ رفت

١٧٧/٢ ركم

٥٣/٤ رمم

٣٩٥/٢ روح

١٠٧/٥

رين

حرف الزاي

١٦٩/٢

زحف

٦٤/٤

زقف

حرف السين

١٣/٥

سحق

٧٢/٣

سرب

٣٩٥/٢

سرح

٨/٤

سرد

٥٣/٣ ، ٣٨٨/٢

سرى

١٤٣/٢

سقط

٤٠٩/٢

سقى

٣٨١/٢

سكر

٣٩٧/٢ ، ٢٧٨/١

سوم

١٤٧/٤

سوى

حرف الشين

١١١/٤

شكس

حرف الصاد

٣٢٤ / ٢	صبو
١٧٦ / ٤	صفح
٣٧٨ / ٢	صفد
١٨١ / ٣	صفن
١٨١ / ٣	صفو

حرف الضاد

١٣٠ / ٣	ضحى
١١٧ / ٣	ضلل
١٣١ / ٣	ضنك
٢٧٥ / ٣	ضور
٣٠٩ / ٤	ضيز

حرف الطاء

٣٧٤ / ٢	طرف
---------	-----

حرف العين

٢٧٤ - ٢٧٣ / ٣	عبد
٢٠٦ / ٤	عتل
٨٨ / ٣	عتو
١٤٤ / ١	عثو

٢١٩/٢	عدن
٥/٤	عرج
٧٣/٤	عَرِي
٣٠٢/٣	عقر
٢٨٧/٤	عقم
١٢٤/١	عمه
١٢٨/٣	عنو
٢٠١/٢	عيل
٢٧١/٤	عبي

حرف النين

١٢١/٥	غشو
٤٦/٥	غدق
٢٦٧/٣	غرم
٢٧٨/٢	غشى
٣٢٩/٢	غوٹ
٢٨٧/٢	غوى
٣٢٩/٢	غيث
٢٩١/٢	غيض

حرف الفاء

٨٥ / ٢	فرد
١٤٩ / ١	فرض
٣٣٠ / ٤	فرغ
٩٤ / ٣	فرى
١٥٠ / ٥	فطر

حرف القاف

٢٩٤ / ٣	قبس
٢٢٩ / ١	قرأ
٣٩٧ ، ٩٤ / ٣	قرر
١٧٧ / ٤	قرن
٣١٩ / ٤	قعر
٢١ / ٣	قفو
١٨٢ / ٣	قنع

حرف الكاف

٢٧٩ / ٣	كعب
٢١٧ / ١	كره
٩٨ / ٥	كور

حرف اللام

١٥٥ / ٤ ، ٥٧ / ٣	لحد
------------------	-----

٢٤٥/٤	لحن
٢٧٩ - ٢٧٨/٤	لغب
١٥١/٤	لغو
٢٥٠/٣	لوذ
٧٢/٤	لوم

حرف الميم

٣٤٩/٢	محل
٩٢/٣	مخضض
٣٠٢/١	ملاً
٤٩/٤	ميز

حرف النون

٢٢/٤	نأش
٣٢٥/٤	نجم
٦٠/٤	نزف
١٠/٤	نسا
٨/٥	نصح
٣٣٤/٤	نضح
١٩٤/١	نقق
٤١٦/٢	نكث

نہی

١١٨/٣

حرف الہاء

ہبو

٢٥٨/٣

ہجر

٢٥٩/٣

ہرع

٦٣/٤ ، ٣٠١/٢

ہلك

٧١/٣

ہیج

١٠٨/٤

حرف الواو

وآد

٢٥٢/١

وآل

٧١/٣

وبق

٦٩/٣

وثر

١٢٦/٥

وجد

٤٠٣/٤

وجف

٣٦٧/٤

وری

٣٤٣/٤

وزر

١١٤/٣

وزع

١٤٩/٤

وشی

١٥٠/١

وضع

٢٠٨/٢

٣٠ / ٣	وفر
١٢٧ / ١	وقد
٧ / ٢	وقذ
٣٩٨ / ٣	وقر
٥٨ / ٤	وقف

فهرس الأشعار على ترتيب القوافي

حرف الهمزة

٩٢ / ٣	زهير	والرجاء	وجارٍ
٣٧٤ / ٢	زهير	هَوَاءَ	كَأَنَّ

حرف الباء

٢٨٤ / ٢	قطرب	يغضبوا	حرمت
٢٤٨ / ٢	—	يغضبوا	ولقد
٣٤٨ / ٢	الأخس	سَارِبُ	أَرَى
٧٦ / ٣	النابعة	مَذْهَبُ	خَلَقْتُ
٢٩٢ / ٤	أبو ذؤيب	ذُؤُبُ	لعمرك
٣٤٧ / ٢	قيس بن الخطيم	قَرِيبُ	أَنَّى
٢٧٨ / ٤	امرؤ القيس	بالإيابِ	وَقَدْ
٣٠٩ / ٤	امرؤ القيس	كالذنبِ	ضازت
٤٠ / ٥	النابعة	العواقبِ	محلثهم

حرف التاء

٣٩٢ / ١	—	مُقَيَّنَا	وَذِي
٣٢١ / ٢	—	لَهَيَّنَا	قد
٢١١ / ٢	كثير عزة	تقلت	أسيئي
٢٦٨ / ٢	—	فتجلت	وذي

حرف الحاء

ونحن القمح بشر بن أبي خازم ٣٩/٤

حرف الدال

إذا	مُعَبَّدُ	حاتم الطائي	٢٧٤/٣
فإن	تَبْدُو	أبو الأسود	٢٤١/٤
فقلت	المُسَرَّدِ	دريد بن الصمة	١٣٨/١
			٢١٩/٤
صَبَا	أبعد	دريد بن الصمة	٣٢٤/٢
كان	وَحَدِ	النابعة	٢٢٨/٣
سقى	وَفَذَدِ	الشماخ الذبياني	٢٨٢/٣
سَتْبَدِي	تزود	طرفة بن العبد	٥١/٤
متى	مُوقِدِ	الحُطَيْثَةُ	١٨٥/٤
نملهم	أحد	—	١٦٣/٢

حرف الراء

وأشهد	المزغفرا	المخبل السعدي	٣٠٤/١
وأعددت	ذكورا	الأعشى	٢٣٦/٤
ألا	يُقْرِى	—	٩٤/٣
فإن	عمرو	عبدالرحمن بن جُمانه	١٦١/٣
أتوني	نُكْز	الأسود بن يعفر	٣٨٩/١
لكم	البحر	ذو الرمة	٢٤٤/٢
سلام	دِرَز	النمر بن تولى	٣٢٦/٤

حرف السين

١٠١/٥	العجاج	وَعَسَّعَسَا	حتى
١٨٦/٤	الخنساء	نَفْسِي	ولولا
١٨٦/٤	الخنساء	بِالتَّاسِي	فما

حرف الصاد

٨١/٤	امرؤ القيس	وَتَبَوَّصُ	أَمِنْ
------	------------	-------------	--------

حرف العين

١٨٥/٤	الفرزدق	الطَّوَالِغُ	أخذنا
٣٠٠/٤	أبو ذؤيب	يَجْزَعُ	أَمِنْ
٣١٧/٤	النابغة	ضَائِعُ	أبى
١١٣/٥	ليبد	سَاطِعُ	وما المرء
٢٧٤/٤	سويد بن كراع	مُمْتَعَا	فإن
١٥١/٢	حسان بن ثابت	تَابِعُ	لنا
١٨٥/٢	—	جَرَعُ	السلم

حرف الفاء

٣٧٤/٢	جران العود	يَطْرَفُ	أراقبُ
٨٩/٣	منذر بن درهم	عَارِفُ	فقلت

حرف اللام

١٠/٤	—	وَالْغَزْلُ	إذا
١٠٥/٤	زهير	يُغْلَوُ	هنالك

٧٥/٣	الراعي	نُصُولًا	في
٣٥٠/٢	ذوالرمية	والمَحَالَا	ولَبَسَ
٣٦٠/٣	أبو عبدة	أَجْهَلًا	وقد
١٨٧/٣	—	رِسْلٍ	تمنَّى
٢٧٢/٣	كثير عزة	برسولٍ	لقد كذب
٣٣٥/٣	—	المتحولِ	ولست
٦٢/٤	امروء القيس	أغوالٍ	أيقنني
١٦٥/٢	ليد	وعجل	إن
٢٠١/٢	أحيحة بن الجلاح	يعيل	وما

حرف الميم

٣٧٦/٣	المتلمس	فتقوَمَا	وكنا
٢٩٤/٤	النمر بن تولب	والسَّاسَمَا	إذا
١٦١/٥	حميد بن ثور	تَيْمَمًا	وكن
١٤٤/١	عدي بن الرقاع	أُمُّ القاسمِ	لولا
١٨٤/١	زهير	بِمُعْظَمِ	هُمُ
١٨٥/١	أبو زنباع الجذامي	بني تميم	أقول
٣٠/٣	زهير	يُسْتَمِ	ومن
٥٤/٣	زهير	الْمُرْجَمِ	وما
٧١/٣	—	تُكَلِّمِ	لا
٢٦٦/٣	زهير	مَجْثِمِ	بها
٢٥/٥	—	الأقدامِ	يتقارضون

حرف النون

٤٠٤/٢	—	السَّفْنُ	تخوف
١١١/٥	قعب بن أم صاحب	أَذْنُوا	صُمُّ
١٦٧/٢	خزيمه بن مالك	الظنونَا	إذا
٣٠٥/٢	الهيروان السعدي	لساني	طريد
٧٦/٣	جرير	عَنِّي	أَتُوْعُدُنِي
٣٥٧/٣	أفنون التغليبي	الحسنِ	أني

حرف الهاء

١٥٢/١	توبه	فُجُورَهَا	ألا
٣٠٧/١	الأعشى	حبالها	وإذا
٢١٤/٤	الحارث المخزومي	أَلْوَمَهَا	صَحِبَتْكَ
٦٦/٥	شهاب بن العيف	فَعَلَهُ	وأي

فهرس أنصاف الأبيات

٣٩٢/٢	رؤية	وليس دين الله بالمعضى
-------	------	-----------------------

أطراف أحاديث التفسير

على ترتيب المسانيد

جمعت أحاديث التفسير المسندة - مرفوعها وموقوفها، موصولها ومقطوعها - ورتبتها على المسانيد حسب ترتيب رواتها من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، ثم رتبهم؛ فابتدأت بالصحابة أولاً ثم التابعين ونحوهم، مبتدئاً بالأسماء، ثم الكنى، ثم المبهمات، ثم النساء، وذكرت أحاديث كل راوٍ في موضعه الذي اشتهر به فأحاديث أبي هريرة رضي الله عنه مثلاً ذكرتها في الكنى دون الأسماء، وهكذا.

وربت أحاديث كل راوٍ حسب ترتيب الرواة عنه.

ولم أذكر في هذه الأطراف ما أشرت إليه في تخريجي للأحاديث من طرق، إنما اكتفيت بما أسند في الكتاب منها فقط، وبالله التوفيق. ولا يخفى على طلبة هذا العلم الشريف ما لهذه الأطراف من فوائد، نسأل الله - تعالى - أن ينفع بها المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

١- أبي بن كعب رضي الله عنه

- ١- الحسن البصري عن أبي .
- ١- «كان آدم رجلاً طوالاً...» (١١٥/٢).
- ٢- زر بن حبیش عن أبي .
- ٢- «يا زر، كم تقرأون سورة الأحزاب...» (٢١٨/٣).
- ٣- سعيد بن جبیر عن أبي .
- ٣- «المقام جاء به ملك» (١٧٧/١).
- ٤- أبو العالية الرياحي عن أبي .
- ٤- «يجيء الرب يوم القيامة...» (١٢٩/٤، ١٣١/٥ - ١٣٢).

٢- أنس بن مالك رضي الله عنه

- ١- أبان بن أبي عياش عن أنس .
- ٥- «أنهار الجنة تجري في غير أخدود» (١٢٨/١).
- ٦- «يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه...» (٤١١/٣، ٢٦٤/٤).
- ٢- الحسن عن أنس .
- ٧- «لو أن غرباً من جهنم وضع بالأرض...» (٢٩١/٤ - ٢٩٢).
- ٣- علي بن زيد عن أنس .
- ٨- «أن اليهود كانوا يقولون إن موسى آدر...» (٤١٥/٣).
- ٤- قتادة عن أنس .
- ٩- «أن هذه الآية نزلت على النبي ﷺ عند مرجعه من الحديبية» (٤/٤).

(٢٤٨).

- ١٠- «بينما أنا في الجنة إذا بنهر حافتاه...» (١٦٧/٥).
- ١١- «أن ناسًا من عكل وعرينة...» (٢٥/٢).
- ١٢- «إن الله لا يظلم المؤمن حسنة...» (٢٤٦/٤).
- ٥- ميمون بن سياه عن أنس
- ١٣- «ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه...» (٤٠٤/٣).
- ٦- يزيد الرقاشي عن أنس
- ١٤- «لأن أجالس أقوامًا يذكرون الله...» (٥٨/٣).
- ١٥- «سئل رسول الله عن أولاد المشركين...» (٣٦٣ - ٣٦٢/٣).
- ١٦- «للمؤمن بابان في السماء...» (٢٠٣/٤).
- ١٧- «قال الله إن من أحب أحبائي إليّ المشائين إلى المساجد...» (٤/٤).
- ٢٨٤ - ٢٨٥).

٣- البراء بن عازب رضي الله عنه

- ١- زاذان عن البراء.
- ١٨- «حديث عذاب القبر الطويل» (١٣١/٣ - ١٣٤).
- ٢- أبو إسحاق عن البراء.
- ١٩- حديث نزول ﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين﴾ (٣٩٨/١).

٤- ثابت بن الحارث رضي الله عنه

الحارث بن يزيد عن ثابت.

٢٠- «كذبت يهود ما من نسمة...» (٣١١/٤ - ٣١٢).

٥- جابر بن عبد الله رضي الله عنه

١- عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر.

٢١- «إن أكثر ما أتخوف على أمي عمل قوم لوط» (٣٠٣/٢).

٢- مالك بن عبد الله الخثعمي عن جابر.

٢٢- «من اغبرت قدماء في سبيل الله ساعة من نهار» يأتي في ترجمة مالك ابن عبد الله الخثعمي.

٣- محمد بن علي بن أبي طالب عن جابر.

٢٣- حديث في الوقوف بجمع. (٢١٠/٢).

٤- محمد بن المنكدر عن جابر.

٢٤- «إذا دخل أهل الجنة الجنة...» (٢٧٩/١، ٢١٩/٢).

٢٥- «قالت اليهود: إن الرجل إذا أتى امرأته من خلفها...» (٢٢٣/١).

٥- أبو الزبير عن جابر.

٢٦- «سئل رسول الله ﷺ عن الموجبتين...» (٣٧٨/١).

٢٧- «بايعنا رسول الله ﷺ على أن لا نفر» (٣٩٢/٣).

٢٨- «قاتل أهل الضلالة أينما وجدتهم» (٢٣٦/٤).

٢٩- «في استئذان الرجل على أمه وأخته» (٢٢٨/٣).

٦- جرير البجلي رضي الله عنه

عمرو بن جرير عن جرير.

٣٠- «سألتُ رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة» (٢٢٩/٣).

٧- حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

صلة بن زفر عن حذيفة.

٣١- «يجمع الله الناس يوم القيامة...» (٣٤/٣).

٨- خباب بن الارت رضي الله عنه

مسروق عن خباب.

٣٢- «كنت قينًا في الجاهلية...» (١٠٥/٣).

٩- سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

١- إبراهيم بن سعد بن مالك عن سعد.

٣٣- «الطاعون بقية رجز وعذاب» (١٤٣/١).

٢- محمد بن سعد بن مالك عن سعد.

٣٣- «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت...» (١٥٨/٣).

١٠- سلمان الفارسي رضي الله عنه

أبو عثمان النهدي عن سلمان.

٣٥- «يوضع الميزان يوم القيامة...» (١١٢/٢).

١١- عامر بن ربيعة رضي الله عنه

عبد الله بن عامر، عن أبيه عامر.

٣٦- «أن رسول الله ﷺ كان في سفر...» (١٧٢/١).

١٢- عبادة بن الصامت رضي الله عنه

أبو سلمة، عن عبادة.

٣٧- «هي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له» (٢٦٤/٢).

١٣- عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه

الحسن، عن عبد الرحمن.

٣٨- «يا عبد الرحمن بن سمرة إذا حلفت على يمين...» (٢٢٧/١).

١٤- عبد الله بن أنيس رضي الله عنه

جابر بن عبد الله، عن عبد الله.

٣٩- «يحشر الله العباد يوم القيامة حفاة عراة...» (١١٨/٢).

١٥- عبد الله بن الزبير رضي الله عنه

طاوس، عن عبد الله.

٤٠- «إياكم والنساء، فإن الإعراب من الرفث» وفيه تصديق ابن عباس له.

(٢٠٩/١).

١٦- عبد الله بن الشخير رضي الله عنه

مطرف بن عبد الله، عن أبيه.

٤١- «أنه دخل على رسول الله ﷺ فسمعه يقرأ ﴿ألهاكم التكاثر﴾...»
(٣٦٥/٤ - ٣٦٨).

١٧- عبد الله بن عباس رضي الله عنه

١- الحسن بن مسلم، عن عبد الله.

٤٢- «ما عام بأكثر مطراً من عام...» (١٧٦/٤ - ١٧٧).

٢- سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

٤٣- «إن الكرسي الذي وسع السماوات والأرض لموضع القدمين» (١/٢٥١).

٤٤- «إن الله ليرفع للمؤمن ولده في درجته في الجنة...» (٢٩٧/٤).

٤٥- «إن صاحب سليمان الذي قال: أنا آتيك به...» (٣٠٢/٣).

٤٦- «الجريح والمجدور والمقروح إذا خشي على نفسه تيمم» (١/٣٧٦).

٤٧- «قتل رجل عمه فألقاه بين قريتين...» (١٥١/١).

٤٨- «من قال في القرآن بغير علم...» (١١٤/١).

٤٩- «معلم الخير يستغفر له كل شيء» (٣٦١/٤).

٣- صالح مولى التوءمة، عن ابن عباس.

٥٠- «قام إبراهيم النبي ﷺ عند البيت...» (١٧٧/٣).

- ٤- طاوس، عن ابن عباس.
- ٥١- «ألحقوا المال بالفرائض» (٣٦٥/١). في تفسير الإعراب. تقدّم في ترجمة طاوس، عن عبد الله بن الزبير.
- ٥- عبد الله بن أبي مليكة، عن ابن عباس.
- ٥٢- «إن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية...» (٢٧٥/١).
- ٦- عثمان، عن ابن عباس.
- ٥٣- «إنّه كان خلق الأرض ثم خلق السماوات...» (١٣١/١).
- ٧- عطاء، عن ابن عباس.
- ٥٤- في تفسير الكلمات التي تلقاها آدم من ربه. (١٣٤/١).
- ٨- عمار مولى بني هاشم، عن ابن عباس.
- ٥٥- في نزول هذه الآية «اليوم أكملت لكم دينكم». (٨/٢).
- ٩- قتادة، عن ابن عباس.
- ٥٦- «هي دابة ذات زغب وریش...» (٣١١/٣).
- ١٠- محمد بن المنكدر، عن ابن عباس.
- ٥٧- «من أصبح مرضيًا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة» (٣/١٨).
- ١١- أبو صالح، عن ابن عباس.
- ٥٨- «لما قدمت أرواح أهل أحدٍ على الله...» (٣٣٣/١ - ٣٣٤).
- ٥٩- نزل القرآن ليلة القدر» (١٩٨/٤).

- ١٢- أبو ظبيان، عن ابن عباس.
- ٦٠- «أول ما خلق الله القلم...» (٢١٦/٤ - ٢١٧).
- ١٣- مولى لبني هاشم عنه.
- ٦١- «الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة» (١٧٧/١).
- ١٨- عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
- ١- سالم بن عبد الله، عن أبيه.
- ٦٢- في صيام ثلاثة أيام في الحج (٢٠٨/١).
- ٢- القاسم بن عبد الرحمن، عن عبد الله.
- ٦٣- «التمسوا ليلة القدر في العشر الأواخر» (١٤٩/٥).
- ٣- نافع، عن عبد الله.
- ٦٤- «إن الرحمن يطوي السماوات يوم القيامة بيمينه...» (١١٩/٤).
- ٦٥- «إذا دخل أهل الجنة الجنة...» (٢٧٥/٤).
- ١٩- عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه
- ١- شعيب بن محمد عنه.
- ٦٦- «الذي يأتي امرأته في دبرها هي اللوطية الصغرى» (٢٢٣/١).
- ٢- عمرو بن عاصم عنه.
- ٦٧- «لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف» (٥٨/٣).

٢٠- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

- ١- إبراهيم عنه.
- ٦٨- «الحج فريضة، والعمرة تطوع» (٢٠٦/١).
- ٢- الحسن عنه.
- ٦٩- «لا تأتوا النساء في مواضع حشوشهن» (٢٢٤/١).
- ٧٠- في تفسير «لا يضركم من ضل إذا اهتديتم» (٥١/٢).
- ٣- الخليل بن مرة عنه.
- ٧١- «إن السلام اسم من أسماء الله...» (٢٤٩/٣).
- ٤- عمرو بن ميمون عنه.
- ٧٢- «تبدل الأرض بأرض بيضاء...» (٣٧٧/٢).
- ٥- عون بن عبد الله عنه.
- ٧٣- «خرجنا حاجين أو معتمرين...» وفيه قصة عمرو بن جابر - جني مسلم. (٢٣١/٤).
- ٦- قتادة عنه.
- ٧٤- «كنا نكتب باسمك اللهم زمانًا...» (١١٧/١).
- ٧- قيس بن أبي حازم عنه.
- ٧٥- «إذا أراد الله أن يقبض عبدًا بأرض...» (٢٧٨/٢).
- ٨- مالك بن عمرو عنه.
- ٧٦- «نسخ من هذه الآية الحامل المتوفى عنها زوجها» (٢٣٧/١).

- ٩- مسروق عنه.
- ٧٧- «قيل له: هاهنا رجل يزعم أنه يأتي دخان قبل يوم القيامة» (٤/٢٠٠-٢٠١).
- ١٠- عبد الله بن معقل عنه.
- ٧٨- حديث: «الندم توبة» (٨/٥).
- ١١- هذيل عنه.
- ٧٩- «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر...» (١/١٨٨).
- ١٢- أبو الأحوص عنه.
- ٨٠- في قوله: «وإن منكم إلا واردها» (٣/١٠٢).
- ١٣- أبو الزعراء عنه.
- ٨١- «أنه ذكر حديثاً في البعث» (٣/٩٦).
- ١٤- أبو الطفيل عنه.
- ٨٢- «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة...» (٢/٣٠٩).
- ١٥- أبو عبيدة بن عبد الله عنه.
- ٨٣- «سارعوا إلى الجمع في الدنيا...» (٤/٢٧٥ - ٢٧٦).
- ١٦- أبو وائل عنه.
- ٨٤- «إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوماً» (٣/١٧٠).

٢١- عثمان بن عفان رضي الله عنه

- ١- ابن عباس عنه .
 ٨٥- «اجعلوا آية كذا وكذا في سورة كذا» (١٩١/٢) .
 ٢- قتادة عنه .
 ٨٦- «جمع المصحف» (١١٤/١) .
 ٣- محمد بن سيرين عنه .
 ٨٧- «لو أن رجلاً عمل في جوف سبعين بيتاً...» (٢٣٠/٢) .

٢٢- عدي بن حاتم رضي الله عنه

- مصعب بن سعد عنه .
 ٨٨- «جئت إلى النبي ﷺ وفي عنقي صليب...» (١٩٣/١) .

٢٣- عقبة بن عامر رضي الله عنه

- دخين الحجري عنه .
 ٨٩- «إذا جمع الله الأولين والآخرين...» (٣٦٧/٢) .

٢٤- علي بن أبي طالب رضي الله عنه

- ١- الحارث الأعور عنه .
 ٩٠- «سئل رسول الله ﷺ عن الصلاة الوسطى» (٢٤٠/١) .
 ٩١- «أن الرجل إذا دخل الجنة استخفَّ زوجته الفرح...» (٣٨٧/٤) .
 ٩٢- «سئل رسول الله ﷺ عن «أدبار السجود» (٢٧٩/٤) .

٩٣- «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾» (٣٠٤/٤) وهو جزء من الحديث السابق.

٩٤- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْهُمْ إِذَا خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ...» (١٠٦/٣).

٢- خَالِدُ بْنُ عَرْعَرَةَ عَنْهُ.

٩٥- فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾ (٤١٠/١).

٣- عَاصِمُ بْنُ ضُمَرَ عَنْهُ.

٩٦- «إِذَا تَوَجَّهَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ...» (١٢٢/٤ - ١٢٣، ٧٤/٥).

٤- مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ عَنْهُ.

٩٧- «لَا تَنْزِلُوا الْعَارِفِينَ الْمُحَدَّثِينَ الْجَنَّةَ وَلَا النَّارَ...» (٣٩٧/١).

٥- يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ عَنْهُ.

٩٨- «يَسْتَأْذِنُ الرَّجُلُ عَلَى كُلِّ امْرَأَةٍ إِلَّا عَلَى امْرَأَتِهِ» (٢٢٨/٣).

٢٥- عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

نَاجِيَةُ بْنُ كَعْبٍ عَنْهُ.

٩٩- «أَجْنَبْتُ وَأَنَا فِي الْإِبْلِ فْتَمَعْتُ فِي الرَّمْلِ...» (٣٧٥/١).

٢٦- عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١- أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْهُ.

١٠٠- «يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ صَلَّيْنَا خَلْفَ الْمَقَامِ...» (١٧٦/١).

١٠١- «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى أُمَّةً عَلَيْهَا قَنَاعٌ فَعَلَّاهَا بِالْدُرَّةِ» (٣/٣).

(٤١٢، ٢٣١).

- ٢- سليمان بن يسار عنه.
- ١٠٢- «صام إذا رجع إلى أهله» (٢٠٨/١ - ٢٠٩).
- ٣- شهر بن حوشب عنه.
- ١٠٣- «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج...» (٣٢/٤).
- ٤- عامر بن ربيعة عنه.
- ١٠٤- «أن عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض...» (٦٩/٥).
- ٥- عبد الله بن أبي خليفة عنه.
- ١٠٥- «كان عمر يمشي فانقطع شمع نعله فاسترجع» (١٨٩/١).
- ٦- القاسم بن عبد الرحمن عنه.
- ١٠٦- «حديث آية الرجم» (٢١٩/٣ - ٢٢٠).
- ٧- قتادة عنه.
- ١٠٧- «ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الغنى في الباءة» (٢٣٣/٣).
- ٨- النعمان بن بشير عنه.
- ١٠٨- «في التوبة النصوح» (٧/٥ - ٨).

٢٧- عمرو بن عبسة رضي الله عنه

- القاسم مولى عبد الرحمن عنه.
- ١٠٩- «من رمى العدو بسهم فبلغ سهمه» (١٨٤/٢).

٢٨- كعب بن عجرة رضي الله عنه

١- الحسن عنه.

١١٠- «يا كعب بن عجرة، الصلاة برهان...» (٢٦١/١).

٢- عبد الرحمن بن أبي ليلى عنه.

١١١- «قولوا: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد...» (٤١٠/٣).

١١٢- «أن رسول الله ﷺ مر به عام الحديبية وهو محرم...» (٢٠٧/١).

٢٩- مالك بن عبد الله الخثعمي رضي الله عنه

أبو المصباح عنه.

١١٣- «من اغبرت قدماه في سبيل الله ساعة من نهار...» (٢٣٨/٢).

والصحيح أنه من رواية مالك عن جابر بن عبد الله، راجع كلام الأئمة في تخريج الحديث هناك.

٣٠- مالك بن نضلة رضي الله عنه

أبو الأحوص بن مالك بن نضلة، عن أبيه.

١١٤- «اليد العليا خير من اليد السفلى...» (١٥٣/٤).

٣١- معاذ بن جبل رضي الله عنه

شهر بن حوشب عنه.

١١٥- «إن الرجل من أهل الجنة ليتنعم في تكأة واحدة...» (٢٩٦/٤).

٣٢- معقل بن يسار رضي الله عنه

الحسن عنه.

١١٦- «سبب نزول قوله: ﴿فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن﴾» (١) / (٢٣٥).

٣٣- المقداد بن الأسود رضي الله عنه

سليم بن عامر الكلاعي عنه.

١١٧- «لا يبقى أهل مدر ولا وبر إلا أدخله الله الإسلام» (٣/٢٤٣، ٤ / (٣٨٥).

الكنى

٣٤- أبو أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه

أبو غالب عنه.

١١٨- «حديث الخوارج» (١/٣٠٩).

٣٥- أبو أمامة بن سهل بن حنيف رضي الله عنه

أبو بكر بن عبد الرحمن عنه.

١١٩- في نزول: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾ (١/٣٦٣).

٣٦- أبو بكر الصديق رضي الله عنه

١- عامر بن سعد عنه.

- ١٢٠- «الزيادة: النظر إلى الله» (٢/٢٥٢).
- ١٢١- «قرأ أبو بكر الصديق هذه الآية» (٤/٢٢٤).
- ٢- عبد الرحمن بن سابط عنه.
- ١٢٢- «خلق الله الخلق فكانوا قبضته...» (٤/٣٤٠).
- ٣- قتادة عنه.
- ١٢٣- «إن هذه الآية التي ختم الله بها سورة الأنفال...» (٢/١٩٠).
- ٤- أبو بكر بن زهير عنه.
- ١٢٤- «قول الله: ﴿من يعمل سوءًا يجزى به﴾» (١/٤٠٨).
- ٣٧- أبو بكرة رضي الله عنه
- ابنه عبد الرحمن عنه.
- ١٢٥- «ما من ذنب أجدر أن يعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا من البغي...» (٢/٤١٦).
- ٣٨- أبو الحمراء رضي الله عنه
- أبو داود الأعمى عنه.
- ١٢٦- «رابطت المدينة سبعة أشهر مع النبي عليه السلام...» (٣/٣٩٨ - ٣٩٩).
- ٣٩- أبو الدرداء رضي الله عنه
- ١- الحسن عنه.

- ١٢٧- «كان الرجل يطلق فإذا سُئل قال: كنت لاعبًا...» (٢٣٤/١).
- ١٢٨- «من لم ير نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه...» (٣٧١/٢).
- ٢- جعفر بن زيد عنه.
- ١٢٩- «سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا﴾ (٣١/٤).
- ٣- صالح مولى التوءمة عنه.
- ١٣٠- «أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب...» (٣٢/٤).
- ٤- أبو قلابة عنه.
- ١٣١- «لا تسبوه، ولكن احمدوا الله الذي نجاكم» (٢٧/٢).
- ٤٠- أبو ذر رضي الله عنه
- ١- أبو إبراهيم التيمي عنه.
- ١٣٢- «من بنى مسجدًا لله ولو مثل مفحص قطاة...» (٢٣٦/٣).
- ٢- صعصعة عنه.
- ١٣٣- «ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة من الولد...» (٢٢٥/١).
- ٤١- أبو رجاء العطاردي رضي الله عنه
- عبيد الصمد عنه.
- ١٣٤- «كنا قبل أن يبعث النبي ﷺ ما نرى نجمًا يرمى به» (٤٤/٥).

٤٢- أبو سعيد الخدري رضي الله عنه

- ١- الحسن عنه .
- ١٣٥- «لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق...» (١/٢٧٠).
- ٢- عطية العوفي عنه .
- ١٣٦- «أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَطْعِمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ...» (٥/١٣٥).
- ٣- أبو الخليل عنه .
- ١٣٧- «أَصْبَنَّا يَوْمَ أُوطَاسٍ سَبَايَا نَعْرِفُ أَنْسَابَهُنَّ وَأَزْوَاجَهُنَّ» (١/٣٦٠).
- ٤- أبو هارون العبدى عنه .
- ١٣٨- «حَدِيثُ الْإِسْرَاءِ» (٣/٥ ، ٤/١٣٦).
- ١٣٩- «وَذَكَرَ مِنْهُ أَكْلَ الرِّبَا» (١/٢٦٣).
- ١٤٠- «دَعَاءُ خَتَمِ الصَّلَاةِ» (٤/٧٩).

٤٣- أبو شريح الخزاعي رضي الله عنه

- ١- سعيد المقبري عنه .
- ١٤١- «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ...» (١/٣٧٠).

٤٤- أبو موسى الأشعري رضي الله عنه

- ١- قتادة عنه .
- ١٤٢- «إِنَّهُ يَسْلُطُ عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْبُكَاءُ...» (٢/٢٢٤).
- ٢- أبو وائل عنه .

١٤٣- «تخرج روح المؤمن أطيب من ريح المسك...» (١٢٢/٢).

٤٥- أبو هريرة رضي الله عنه

١- الحسن عنه.

١٤٤- «تحت كل شجرة جنازة» (١٢/٢).

١٤٥- «أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه...» (٣٤٢/٣).

٢- زرارة بن أوفى عنه.

١٤٦- «إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها...» (٢٧١/٢).

٣- سعيد المقبري عنه.

١٤٧- «أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا ركب راحلته...» (١٧٨/٤).

١٤٨- «إذا كان يوم القيامة شفع النبي ﷺ لأمته...» (٦١/٥).

١٤٩- «إن الكافر إذا خرج من قبره مُثِّلَ له عمله في أقبح صورة...» (٢/٢).

(٦٤).

١٥٠- «قال ربكم: إذا عمل عبدي حسنة فاكتبوها بعشر...» (١٠٩/٢).

١٥١- «قال الله: من أظلم ممن يخلق كخُلقي...» (١٩٦/٣).

١٥٢- «والذي نفسي بيده ما تصدق عبد بصدقة...» (٢٦٥/١).

٤- سعيد بن يسار عنه.

١٥٣- «إن الميت تحضره الملائكة...» (٣٤٥/٤).

٥- صالح مولى التوءمة عنه.

١٥٤- «من أنظر معسرًا أو وضع عنه...» (٢٦٧/١).

- ١٥٥- «أَنَّهُ لَمَّا جِئَ بِهِمْ فَقَطَعَ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ» (٢٦/٢).
- ١٥٦- «الْفَرْدُوسُ جَبَلٌ فِي الْجَنَّةِ» (٨٥/٣، ١٩٥).
- ٦- عَبْدُ اللَّهِ الْمَزْنِيُّ عَنْهُ.
- ١٥٧- «شَفَتُهُ السُّفْلَى سَاقِطَةٌ عَلَى صَدْرِهِ...» (٢١٢/٣).
- ٧- عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ عَنْهُ.
- ١٥٨- «سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَوْلَادِ الْمُشْرِكِينَ...» (٣٦٤/٣).
- ٨- عَيْسَى بْنُ طَلْحَةَ عَنْهُ.
- ١٥٩- «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» (٢٣٨/٢ - ٢٣٩).
- ٩- الْمُبَارَكُ عَنْهُ^(١).
- ١٦٠- «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لِأَحْدُثَ نَفْسِي بِالشَّيْءِ...» (١/٢٧٢).
- ١٠- مَكْحُولٌ عَنْهُ.
- ١٦١- «هَلْ تَرِيدُونَ مِنْ رَبِّكُمْ إِلَّا أَنْ يُغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ...» (٣٨٦/٤).
- ١١- نَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْهُ.
- ١٦٢- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَنَاوَلُونَ مِنْ قُطُوفِهَا...» (٤/١٩٤، ٢٩٩).
- ١٦٣- «إِذَا ذَكَرْتَ أَخَاكَ بِمَا فِيهِ فَقَدْ اغْتَبَتْهُ» (٢٦٤/٤ - ٢٦٥).
- ١٦٤- «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلَانِ قَدْ نَشَرَا ثَوْبَهُمَا يَتْبَايَعَانَهُ» (١٥٧/٢).

(١) وفي نسخة المتحف البريطاني: «المبارك عن الحسن» فيكون من مراسيل الحسن.

- ١٦٥- «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها» (١٠٨/٢).
- ١٢- أبو حازم عنه.
- ١٦٦- «من حج هذا البيت فلم يرفث...» (٢١٢/١).
- ١٣- أبو رافع عنه.
- ١٦٧- «إن يأجوج ومأجوج يخرقونه كل يوم...» (٨٢/٣).
- ١٤- أبو سلمة عنه.
- ١٦٨- «لله تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة» (١٥٤/٢ ، ٤/٤ ، ٣٧٤).
- ١٥- أبو صالح عنه.
- ١٦٩- «إن الله إذا أحبَّ عبدًا دعا جبريل...» (١٠٨/٣).
- ١٦- أبو المهزم عنه.
- ١٧٠- «دار المؤمن درة مجوفة» (٣٣/٤).
- ١٧١- «المؤمن أكرم على الله من الملائكة» (١٥٢/٥).
- ١٧- أبو اليسع عنه.
- ١٧٢- «إذا ختم أحدكم آخر ﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾...» (٦٧/٥).
- ١٧٣- «إذا ختم أحدكم ﴿والمرسلات﴾...» (٨١/٥) وهو جزء من الحديث السابق.

٤٦- رجل من الصحابة رضي الله عنه

الشعبي عنه.

١٧٤- «سئل رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ﴾ له...» (٣٠/٢).

٤٧- ناس من الصحابة

أبو الخير عنهم.

١٧٥- «في نزول: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾...» (٣٤٨/١).

النساء

٤٨- أسماء بنت يزيد الأنصارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

شهر بن حوشب عنها.

١٧٦- «سمعت رسول الله ﷺ يقرأ هذا الحرف: ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرَ صَالِحٍ﴾...» (٢٩٣/٢).

٤٩- الربيع بنت معوذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

عبد الله بن محمد بن عقيل عنها.

١٧٧- «أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوضوء...» (١١/٢).

٥٠- عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

١- الأزهر بن عبد الله الأزدي عنها.

١٧٨- «الناس يومئذ أشغل من أن ينظر بعضهم إلى بعض» (٦٧/٣).

٢- عطاء بن أبي رباح عنها.

١٧٩ - «تفسير لغو اليمين»^(١) (٢٢٧/١).

٣ - القاسم بن محمد عنها.

١٨٠ - «هم كانوا أعلم بالله من أن يقولوا هل يستطيع ربك» (٥٤/٢).

٤ - مسروق عنها.

١٨١ - «أنا أم رجالكم» (٣/٣٨٧ - ٣٨٨).

٥١ - أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها

سفينة عنها.

١٨٢ - «الصلاة وما ملكت أيمانكم» (١/٣٧٠).

(١) قلت: قد فاتني تخريج هذا الأثر هناك، وقد روي مرفوعاً، فأحببت أن أخرجه هنا، فأقول: رواه الطبري في تفسيره (٢/٤٠٤ - ٤٠٦) والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/٤٩) من طرق عن عطاء

ورواه أبو داود (٤/٧٧ - ٧٨ رقم ٣٢٤٩) - ومن طريقه البيهقي (١٠/٤٩) - والطبري في تفسيره (٢/٤٠٥) وابن حبان (١٠/١٧٦ رقم ٤٣٣٣) من طريق حسان بن إبراهيم، عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء، عن عائشة مرفوعاً.

وقال أبو داود: وروى هذا الحديث داود بن أبي الفرات، عن إبراهيم الصائغ، عن عطاء، عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً. ورواه الزهري، وعبد الملك، ومالك بن مغول كلهم عن عطاء، عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً.

قال البيهقي: وكذلك رواه عمرو بن دينار، وابن جريج، وهشام بن حسان، عن عطاء، عن عائشة رضي الله عنها موقوفاً.

وقال ابن حجر في التلخيص (٤/٣٠٨): وصحح الدارقطني الوقف.

ورواه البخاري (٨/١٢٥ رقم ٤٦١٣) عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة موقوفاً.

المراسيل والمقاطيع^(١)

٥٢- أبان العطار

يحيى عنه .

١٨٣- «أَنَّ إِسْمَاعِيلَ وَعَدَ رَجُلًا مَوْعِدًا...» (٩٩/٣).

٥٣- إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ

المتلمس السدوسي عنه .

١٨٤- «إِنَّ أَحَدًا جَبَلٌ يَجِينَا وَنَجِيهِ...» (١٢٥/٢).

٥٤- بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ

عمرو بن عبيد عنه .

١٨٥- «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيُرُونَ رَبَّهُمْ فِي مَقْدَارِ كُلِّ عِيدٍ هُوَ لَكُمْ» (٢٧٦/٤) - (٢٧٧).

٥٥- الْجَهْمُ بْنُ وَرَّادٍ

يحيى بن سلام عنه .

١٨٦- فِي نَزُولِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تَمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِّتَعْتَدُوا﴾^(٢). (٢٣٣/١).

(١) كثير من هذه المراسيل قد روي موصولاً من طرق أخرى، فراجع تخريجها في محلها تجد ذلك مفصلاً بحمد الله ومثته .

(٢) رواه ابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (٧٣٤/٢) من طريق يحيى بن سلام به .

٥٦- الحسن بن أبي الحسن البصري

- ١- أبان بن أبي عياش عنه.
- ١٨٧- «أن سائلاً سأل رسول الله ﷺ عن خلق الملائكة...» (٥٩/٥).
- ٢- جسر المصيصي عنه.
- ١٨٨- «بُني الإسلام على ثلاث...» (٢٣٦/٤ - ٢٣٧).
- ٣- الحسن بن دينار عنه.
- ١٨٩- «لم تنزل بسم الله الرحمن الرحيم في شيء من القرآن...» (١/١١٧).
- ١٩٠- «تفسير السبيل بأنه الزاد والراحلة» (٣٠٤/١).
- ١٩١- «إن المرأة خلقت من ضلع...» (٣٤٤/١).
- ١٩٢- «ما تقولون في الزنا والسرقة...» (٣٦٥/١).
- ١٩٣- «إن أهل الجنة يُلْهَمُونَ الحمدَ والتسبيح» (٢٤٦/٢).
- ١٩٤- «عموا هذا الحسد بينكم؛ فإنه من الشيطان» (١٧٤/٥).
- ١٩٥- «إن أرواحكم تعرض على عشائركم وقرابتكم» (١٥٧/٥).
- ٤- خالد عنه.
- ١٩٦- «من أدى الزكاة فقد أدى حق الله في ماله» (٢٠٣/٢ ، ٣٦٩/٤ - ٣٧٠).
- ١٩٧- «إن أدنى أهل الجنة منزلة...» (٣٨٦/٤).
- ١٩٨- «يدخلنها عرباً أتراباً» (١٢٩/١).

- ١٩٩- «ثلاث ليس لك منهن بُدّ...» (١٦٠/٥).
- ٢٠٠- «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَهَا كُلَّهُمْ...» (٤٨/٤).
- ٢٠١- «إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ لَكُمْ ابْنِي آدَمَ مَثَلًا» (٢٣/٢).
- ٥- داود بن أبي هند عنه.
- ٢٠٢- «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَنْظُرُونَ إِلَى رَبِّهِمْ...» (٢٧٧/٤).
- ٦- الربيع بن صبيح عنه.
- ٢٠٣- «أَلَا إِنَّ الصَّلَواتِ الْخَمْسَ وَالْجُمُعَةَ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٍ...» (٢/٢).
- (٣١٢).
- ٢٠٤- «لَيْسَ الْفِرَارُ مِنَ الزَّحْفِ مِنَ الْكِبَائِرِ...» (١٧٠/٢).
- ٢٠٥- «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ وَلَدِ آدَمَ إِلَّا قَدْ أَصَابَ ذَنْبًا أَوْ هَمَّ بِهِ...» (٩٠/٣).
- ٢٠٦- «الْمَصُورُونَ يَعْذِبُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١٩٦/٣).
- ٧- عوف الكوفي عنه.
- ٢٠٧- «مَا طَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ...» (١٠٦/٥).
- ٨- قتادة عنه.
- ٢٠٨- «فَأَيْنَ تَجْعَلُونَ الْيَمِينَ الْغَمُوسَ» (٣٦٤/١).
- ٩- المبارك بن فضالة عنه.
- ٢٠٩- «إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ السَّاعَةِ كَهَاتَيْنِ...» (٢٤١/٤، ٣١٥، ٨٦/٥).
- ٢١٠- «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً فَهِيَ فَكَاهِهِ مِنَ النَّارِ» (١٣٥/٥).
- ٢١١- «أَكْثَرُوا عَلَيَّ الصَّلَاةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ» (٤١٠/٣).

- ٢١٢- «بين النفختين أربعون سنة» (٣/ ٣١٣ - ٣١٤).
- ٢١٣- «يجاء بالمستهزئين يوم القيامة» (١/ ١٢٣).
- ١٠- يحيى عنه.
- ٢١٤- «لأن أقدم سقطاً أحب إلي من أن أخلف مائة فارس» (١/ ٢٢٥).
- ٢١٥- «الصبر عند الصدمة الأولى» (١/ ١٨٩).
- ١١- أبو الأشهب عنه.
- ٢١٦- «أنتم توفون سبعين أمة...» (١/ ٣١١ - ٣١٢).
- ٢١٧- «هذان الاسمان من أسماء الله ممنوعان» (١/ ١١٧).
- ٢١٨- «رحم الله من يسر على معسر» (١/ ٢٦٦).
- ٢١٩- «إن خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» (١/ ٢٢٠).
- ٢٢٠- «كيف يُفلح قوم أذموا وجه نبيهم» (١/ ٣١٧).
- ٢٢١- «ذاكم يوم يقول الله لأدم: يا آدم قم ابعث بعث النار...» (٣/ ١٦٦ - ١٦٧).
- ٢٢٢- «أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه...» (٢/ ٣٩٩).
- ٢٢٣- «أفضل أخلاق المسلمين العفو» (١/ ٣١٩).
- ٢٢٤- «أنه قرأ هذه الآية: ﴿إنا عرضنا الأمانة﴾» (٣/ ٤١٥).
- ٣٢٥- «المملوك أخوك» (١/ ٣٧١).
- ٢٢٦- «إنما مثلي ومثل الساعة كهاتين...» (٤/ ٢٤١، ٣١٥).
- ٢٢٧- «المسلم من دعائه على إحدى ثلاث...» (٤/ ١٣٩).

١٢- أبو أمية عنه.

٢٢٨- «أن رسول الله ﷺ شكّا إلى ربّه من قومه...» (٣٨/٢).

٥٧- الحسن العرني

عمرو بن دينار عنه.

٢٢٩- «في ضرب اليتيم بالمعروف» (٣٤٨/١).

٥٨- سعيد بن المسيب

نصر بن طريف عنه.

٢٣٠- «نسختها ﴿وأنكحوا الأيامى منكم﴾» (١١٦/٣، ٢٢١).

٥٩- سليمان التيمي

الحارث بن نبهان عنه.

٢٣١- «إن أهل النار يدعون خزنة النار فلا يجيبوهم» (١٣٧/٤).

٦٠- الشعبي

١- عاصم الأحول عنه.

٢٣٢- «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» (٩/٥).

٢- داود بن أبي هند عنه.

٢٣٣- «كان إساف على الصفا ونائلة على المروة» (١٩٠/١).

٦١- شهر بن حوشب

١- ليث عنه .

٢٣٤- «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم...» (١٢٩/٥ - ١٣٠).

٢- قتادة عنه .

٢٣٥- «يا معشر الأنصار إنَّ الله قد أحسن عليكم...» (٢٣٢/٢).

٦٢- الضحاك بن مزاحم

قرة بن خالد عنه .

٢٣٦- «في نزول قوله تعالى: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرًا إلى الله ورسوله﴾...» (٤٠١/١).

٦٣- طاوس

١- عبد الكريم الجزري عنه .

٢٣٧- «إن رجلاً قال: يا رسول الله، إنني رجلٌ أقفُ المواقف أريد وجه الله...» (٨٦/٣).

٢- أبو الزبير عنه .

٢٣٨- «أقسمت عليك أبا وهب لترجعن إلى أباطيح مكة» (١٩٠/٢).

٢٣٩- «إن الهجرة قد انقطعت، ولكن جهاد ونية حسنة» (١٩٠/٢).

٦٤- عبد الرحمن بن سابط

فطر عنه .

٢٤٠- «كان رسول الله ﷺ يوقظ أهله في العشر الأواخر» (١٥٠/٥).

٢٤١- «خلق الله الخلق فكانوا قبضته...»^(١) (٣٩٧/٤).

٦٥- عبد العزيز بن أبي رواد

يحيى عنه.

٢٤٢- «اطلبوا الغنى في هذه الآية: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يَغْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾» (٢٣٣/٣).

عبد الله بن لهيعة = ابن لهيعة

٦٦- عروة بن الزبير

هشام بن عروة عنه.

٢٤٣- «والذي نفسي بيده لا يغل أحدٌ من هذا المال...» (٣٣١/١).

٦٧- عطاء بن أبي رباح

أبان بن أبي عياش عنه.

٢٤٤- «من سُئِلَ عن علم عنده فكتمه أُلْجِمَ يوم القيامة» (٣٤٠/١).

٦٨- عطاء بن يسار

صفوان بن سليم عنه.

٢٤٥- «ما جرع أحد جرعة خير له من جرعة غيظ» (٣١٨/١).

(١) ورواه في موضع آخر عن عبد الرحمن بن سابط، عن أبي بكر الصديق (٣٤٠/٤).

٢٤٦- «حرمت النار على عين دمعت من خشية الله» (٣٨٦/٤).

٦٩- عطاء الخراساني

١- عثمان بن عطاء عن أبيه.

٢٤٧- «بلغنا أنه من جهز غيره بماله...» (٢٥٧/١).

٢- محرز بن عبد الله عنه.

٢٤٨- «الجيران ثلاثة جار له حق...» (٣٦٩/١).

٧٠- علقمة بن قيس

الصلت بن دينار عنه.

٢٤٩- «أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب البهائم» (٨٦/٥-٨٧).

٧١- عمارة بن غراب

عبد الرحمن بن زياد عنه.

٢٥٠- «إلا من شاء الله الشهداء» (٣١٣/٣).

٧٢- عمران القصير

الخليل بن مرة عنه.

٢٥١- «فضل العالم على العابد...» (٣٦١/٤).

٧٣- القاسم بن عبد الرحمن

المسعودي عنه.

٢٥٢- «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ سِرِيَّةً إِلَى حَتَّى فَاصَابُوهُمْ...» (٢٣٥/٤).

٧٤- قتادة

١- سعيد بن أبي عروبة عنه.

٢٥٣- «أَنَّ تَمِيمَةَ بِنْتَ عُبَيْدِ بْنِ وَهْبٍ الْقُرْظِيَّةَ طَلَقَهَا زَوْجَهَا» (٢٣٢/١).

٢- معمر عنه.

٢٥٤- «ثَلَاثَةُ مَوَاطِنَ لَا يَسْأَلُ فِيهَا أَحَدٌ أَحَدًا...» (٢٦٠/٢).

٣- هشام عنه.

٢٥٥- «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ...» (١/١).

(٢٧٢).

٧٥- كعب الأجار

قتادة عنه.

٢٥٦- «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ بِيَدِهِ إِلَّا ثَلَاثًا...» (١٩٣/٣).

٧٦- محمد بن جبير بن مطعم

الزهري عنه.

٢٥٧- «أَنَا أَحْمَدُ وَأَنَا مُحَمَّدٌ...» (٣٨٣/٤).

٧٧- محمد بن سيرين

هشام بن حسان عنه.

٢٥٨- «كَانُوا يَلْتَفِتُونَ فِي صَلَاتِهِمْ...» (١٩٤/٣).

٢٥٩- «أن جبريل كان يأتي النبي ﷺ فيعرض عليه القرآن...» (١١٤/١).

٧٨- محمد بن المنكدر

١- إبراهيم بن محمد عنه.

٢٦٠- «أطت السماء وحق لها أن تظ...» (٥٥/٤).

٢٦١- «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش...» (٢٩/٥).

٢٦٢- «أصحاب الأعراف هم قوم غزوا بغير إذن آبائهم فاستشهدوا...» (١٢٤/٢).

٢- عبد الرحمن بن آدم عنه.

٢٦٣- «قطع رسول الله يد سارق من الكوع» (٢٧/٢).

٣- محمد بن أبي حميد عنه.

٣٦٤- «من شرب الخمر ثم لم يسكر...» (٤٥/٢).

٧٩- مخارق

قابوس بن مخارق عنه.

٢٦٥- «استغدى عليه السلطان...» (٢٤/٢).

٨٠- مكحول

١- سعيد بن عبد العزيز عنه.

٢٦٦- «أن رسول الله ﷺ أوصى بعض أهله...» (١٧/٣).

٢- عبد الرحمن بن يزيد عنه.

٢٦٧- «إن في الجنة لمائة درجة...» (٣٩٩/١).

٣- عمرو بن عبد الله عنه.

٢٦٨- «من ارتبط فرسًا في سبيل الله...» (١٨٤/٢).

٨١- يحيى بن أبي كثير

١- الخضر بن مرة عنه.

٢٦٨- «أن رسول الله ﷺ أتاه رجل فقال: أصبت حدًا...» (٢٢٠/٣) - (٢٢١).

٢- أبو أمية عنه.

٢٧٠- «الكبائر تسع: الإشراف بالله...» (٣٦٤/١).

٨٢- أبو سلمة بن عبد الرحمن

محمد بن عمرو عنه.

٢٧١- «﴿معيشة ضنكًا﴾ يعني: عذاب القبر» (١٣٠/٣).

٨٣- أبو عبيدة بن محمد بن عمار

عبد الكريم الجزري عنه.

٢٧٢- «أخذ المشركون أبي فلم يتركوه حتى سب رسول الله ﷺ...» (٢٨٤/١).

٨٤- أبو عمران الجوني

أبو عامر عنه.

٢٧٣- «حين بعث إليّ بعث إلى صاحب الصور...» (١٣٩/٣).

٨٥- أبو قلابة

النضر بن معبد عنه.

٢٧٤- «ألا أراكم تجزعون من حر الشمس...» (٢٢٣/٢).

٨٦- أبو المتوكل الناجي

إسماعيل بن مسلم عنه.

٢٧٥- «الدرجة في الجنة فوق الدرجة كما بين السماء والأرض» (٢/

٩٨).

٨٧- أبو مسعود الجريري

أبو الأشهب عنه.

٢٧٦- «إن الكافر إذا خرج من قبره...» (١٨٥/٤).

٨٨- ابن لهيعة

يحيى عنه.

٢٧٧- «إن الرجل من أهل الجنة لو بدا إسواره...» (٦٠/٣).

معجم شيوخ يحيى بن سلام في «تفسير القرآن العزيز»

جمعت شيوخ يحيى بن سلام الذين روى عنهم في «تفسير القرآن العزيز» ورتبتهم حسب ترتيب حروف المعجم وحرصت أن أذكر في كل ترجمة:

مواضع رواية يحيى عنه في الكتاب.

شيوخ كل راوي الذين روى عنهم.

تعريف مختصر بحال الراوي.

وعزوت ترجمة كل راوٍ إلى الكتب الرئيسية التي ترجمت له؛ فإن كان الراوي من رواة التهذيب اكتفيت بعزوه إلى تهذيب الكمال، فإن لم يكن من رواة التهذيب عزوت ترجمته إلى تاريخ البخاري والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ونحوهما.

وقد حرصتُ في رواة التهذيب أن أُنبِّه على شيوخ الراوي الذين لم يذكرهم المزي في ترجمته؛ للفائدة.

وأحبُّ أن أُنبِّه إلى أن تحديد بعض الشيوخ أمر اجتهادي قد يُختلف فيه، فإن أصبت في تحديده فالحمد لله على توفيقه، وإن كانت الأخرى فرحم الله امرأةً أهدي إليَّ عيوبي. والحمد لله رب العالمين.

١- أبان العطار

(٣١٩/١، ٩٩/٣) قال في الموضع الأول «كان يُقال...» وذكر في الموضع الثاني أثر عن إسماعيل عليه السلام فلم يُسند في الموضعين، والله أعلم. هو أبان بن يزيد العطار أبو يزيد البصري، قال الإمام أحمد بن حنبل عنه: ثبَّت في كل المشايخ. ترجمته في التهذيب (٢٤/٢ - ٣٥).

٢- أبان بن أبي عياش

(١٢٩/٤، ١٣١/٥) وفي (١٢٨/١) قال: بلغني عن أبان بن أبي عياش. وروى عن خدّاش والمعلّى بن هلال عن أبان بن أبي عياش. وأبان قال الإمام أحمد ويحيى بن معين والفلاس وأبو حاتم والنسائي عنه: متروك الحديث. ترجمته في التهذيب (١٩/٢ - ٢٤).

٣- إبراهيم

(٦٧/٥، ٨١) عن إسماعيل بن أمية. كذا جاء مهملاً، وذكر المزي في ترجمة إسماعيل بن أمية أنّه روى عنه إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفزاري؛ فإن يكن هو فهو الإمام العلم الثقة المأمون إبراهيم بن محمد بن الحارث بن إسحاق بن خارجة، قال يحيى بن معين: ثقة ثقة. وقال أبو حاتم: الثقة المأمون الإمام. ترجمته في التهذيب (١٦٧/٢ - ١٧٠).

٤- إبراهيم بن محمد

(١/٢١٠، ٢٦٧، ٢٧٩، ٣١٨، ٣٦٣، ١١/٢، ٢٦، ١٢٤، ٢١٩، ٢٣٩، ٨٥/٣، ١٧٧، ١٩٥، ٥٥/٤، ١٧٨، ٣٨٦، ٢٩/٥).

عن: أيوب بن موسى^(١)، وجعفر بن محمد^(١)، وصالح مولى التوءمة، وصفوان بن سليم وعبد الله بن محمد بن عقيل، ومحمد بن المنكدر، ومحمد بن يزيد^(١)، وأبي بكر بن عبد الرحمن.

وهو إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الأسلمي، قال الإمام أحمد: لا يكتب حديثه، ترك الناس حديثه، كان يروي أحاديث منكرة لا أصل لها، وكان يأخذ أحاديث الناس يضعها في كتبه.

ترجمته في التهذيب (١٨٤/٢ - ١٩١).

٥- الأزهر بن عبد الله الأزدي

(٦٧/٣) عن النبي ﷺ مرسلًا أو معضلًا.

تُكَلِّمُ فيه، ترجمته في ضعفاء العقيلي (١٣٥/١) والميزان ولسان الميزان (٣٤/٢).

٦- إسماعيل بن مسلم

(٩٨/٢) عن أبي المتوكل الناجي.

هو إسماعيل بن مسلم العبدي أبو محمد البصري، قال الإمام أحمد ويحيى ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي وغيرهم: ثقة. زاد أبو حاتم: صالح الحديث.

ترجمته في التهذيب (١٩٦/٣ - ١٩٨).

(١) لم يذكره المزي في شيوخ إبراهيم بن محمد الأسلمي، والله أعلم.

٧- أشعث

(١٧٢/١ ، ٥٨/٣ ، ٦٩/٥) عن: عاصم بن عُبيد الله العمري ، ويعلى بن عطاء^(١).

هو أشعث بن سعيد البصري أبو الربيع السمان . قال ابن عبد البر : هو عندهم ضعيف الحديث اتفقوا على ضعفه ؛ لسوء حفظه وأنه كان يخطئ على الثقات . ترجمته في التهذيب (٢٦١/٣ - ٢٦٤).

٨- أمية

(٢٦٤/٢) عن يحيى بن أبي كثير .
لم أعرفه .

٩- بحر السقاء

(١١٨/١) عن الزهري .
هو : بحر بن كئيز السقاء أبو الفضل البصري ، قال يحيى بن معين : لا يكتب حديثه . وضعفه جماعة ، وقال النسائي والدارقطني : متروك . ترجمته في التهذيب (١٢/٤ - ١٤).

١٠- تمام بن نجيح

(٢٩١/٤) عن الحسن .
هو تمام بن نجيح الأسدي الدمشقي نزيل حلب ، قال البخاري : فيه نظر .

(١) لم يذكره المزي في شيوخ أشعث بن سعيد البصري .

وقال أبو حاتم: منكر الحديث ذاهب. ووثقه ابن معين، وضعفه غير واحد.
ترجمته في التهذيب (٣٢٤/٤ - ٣٢٦).

١١- الجارود

(١٣٥/٥) عن عطية العوفي. كذا وقع في رواية المصنف، ووقع في رواية الترمذي وغيره «أبو الجارود».

وأبو الجارود هو زياد بن المنذر الهمداني الأعمى، قال الإمام أحمد: متروك الحديث، وضعفه جداً، وقال يحيى بن معين: كذاب عدو الله، ليس يسوي فلساً.

ترجمته في التهذيب (٥١٧/٩ - ٥٢٠).

١٢- الجهم بن ورّاد الكوفي

(٢٣٣/١، ٢٦/٢) في الموضع الأول أرسل حديثاً، وفي الموضع الثاني سأله يحيى عن مسأله فقهية.
لم أقف له على ترجمة.

١٣- الحارث بن نبهان

(٢١٢/١، ٢٧٥، ١٣٧/٤)

عن: أيوب السختياني، وسليمان التيمي، ومنصور^(١).

هو الحارث بن نبهان الجرمي أبو محمد البصري، قال الإمام أحمد: رجل

(١) لم يذكره المزي في شيوخ الحارث بن نبهان.

صالح، لم يكن يعرف الحديث ولا يحفظه، منكر الحديث. وقال يحيى بن معين: لا يُكتب حديثه.

ترجمته في التهذيب (٢٨٨/٥ - ٢٩٠).

١٤- الحسن

(١٨٩/١، ٢٢٥) عن النبي ﷺ مرسلاً.

الظاهر أنه أراد الحسن البصري فيكون أرسل عنه، والله أعلم.

١٥- الحسن بن دينار

(١١٤/١، ١١٧، ٢٢٧، ٣٠٤، ٣٤٤، ٣٦٥، ١٧٠/٢، ٢٤٦، ٤/

٧٩، ١٥٧/٥، ١٧٤).

عن: الحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وأبي هارون العبدى

هو الحسن بن دينار أو سعيد التميمي البصري، قال البخاري: تركه يحيى

وابن مهدي ووكيع وابن المبارك، وقال الفلاس: اجتمع أهل العلم من أهل

الحديث أنه لا يُروى عن الحسن بن دينار.

ترجمته في تاريخ البخاري (٢٩٢/٢) والجرح والتعديل (١١/٣ - ١٢)

وكتب الضعفاء.

١٦- حماد بن سلمة

(١٧٦/١، ١٧٧، ١٩٠، ٢٠٩، ٢٦٣، ٣٠٩، ٣٣١، ٣٧٦، ٨/٢،

١١٢، ١٢٢، ١٩٠، ٢٩٣، ٥/٣، ٢٢٩، ٤١٥، ٣٣/٤، ١٣٦، ٢٠٣،

٣٤٦، ٧/٥، ١٥٢).

عن: ثابت البناني، وحجاج بن أرطاة، وحמיד الطويل، وداود بن أبي هند، وسماك بن حرب، وعاصم بن بهدلة، وعطاء بن السائب، وعطاء بن يسار^(١)، وعلي بن زيد، وعمار مولى بني هاشم، وهشام بن عروة، ويزيد الرقاشي^(١)، ويونس بن عبيد، وأبي الزبير، وأبي المهزم، وأبي غالب صاحب أبي أمانة عليه السلام وأبي هارون العبدى.

وهو حماد بن سلمة بن دينار أبو سلمة البصري، الإمام العلم.
ترجمته في التهذيب (٢٥٣/٦ - ٢٦٩).

١٧- حيوة بن شريح

(٤٠١/٢)

هو حيوة بن شريح بن صفوان بن مالك التجيبي، أبو زرعة المصري،
الفقيه الزاهد العابد، قال عنه الإمام أحمد: ثقة.
ترجمته في التهذيب (٤٧٨/٧ - ٤٨٢).

١٨- خالد

(١٢٩/١)، ٣٣٣، ٢٣/٢، ٢٠٣، ٣١٣/٣، ٣٤٢، ٤٨/٤، ٢٧٦،
٢٨٤، ٣٦٩، ٣٨٦، ١٦٠/٥).

عن: الحسن، وعبد الرحمن بن زياد، وعَمْرُو بن عُبيد، ويزيد الرقاشي،
وأبي عبد الرحمن.

لم أستطع تحديده من هو، والحسن البصري يروي عنه: خالد بن دينار،

(١) لم يذكره المزي في شيوخ حماد بن سلمة.

وخالد بن عبد الرحمن بن بكير، وخالد بن مهران الحذاء، والله أعلم.

١٩ - خدّاش

(١/٣٤٠، ٢/١٥٤، ٤١٦، ٣/١٣٩، ١٩٤، ٤٠٤، ٤/٢٤٢، ٣٧٤، ١٠٦/٥).

عن: أبان بن أبي عياش، وعوف الكوفي، وعُيينة بن عبد الرحمن، ومحمد بن عمرو، وميمون بن عجلان، وهشام بن حسان، وأبي عامر.
لعله خدّاش بن عياش البصري.
ترجمته في التهذيب (٨/٢٣٣) والله أعلم.

٢٠ - الخضر بن مرة

(٣/٢٢٠) عن يحيى بن أبي كثير. لم أعرفه^(١).

٢١ - الخليل بن مرة

(٣/٢٤٩، ٤١٠، ٤/١٦٨، ٣٦١، ٥/٦٩).

عن: وابن مسعود وعلي مرسلًا، وعمران القصير^(٢)، وأبي هاشم صاحب الرمان^(٢).

هو الخليل بن مرة الضبّعي البصري، ضعفه غير واحد من العلماء، وقال البخاري: فيه نظر.

(١) أخشى أن يكون تحريف عن «الخليل بن مرة» فقد ذكر المزي في ترجمة الخليل بن مرة أنه يروي عن يحيى بن أبي كثير، ويروي عنه يحيى بن سلام، والله أعلم.
(٢) لم يذكره المزي في شيوخ الخليل بن مرة.

ترجمته في التهذيب (٣٤٢/٨ - ٣٤٥).

٢٢- الربيع بن صبيح

(١٧٠/٢، ٣١٢، ٥٨/٣، ٩٠، ١٩٦).

عن الحسن.

هو الربيع بن صبيح السعدي البصري، قال الإمام أحمد: لا بأس به رجل صالح. وضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما.

ترجمته في التهذيب (٨٩/٩ - ٩٤).

٢٣- سعيد بن عبد العزيز

(١٧/٣) عن مكحول.

هو سعيد بن عبد العزيز بن أبي يحيى الدمشقي، فقيه أهل الشام ومفتيهم بدمشق بعد الأوزاعي، قال الإمام أحمد: ليس بالشام رجل أصح حديثاً من سعيد بن عبد العزيز، هو والأوزاعي عندي سواء.

ترجمته في التهذيب (٥٣٩/١٠ - ٥٤٥).

٢٤- سعيد بن أبي عروبة

(١٥٠/١، ٢٠٦، ٢٣٢، ٢٧١، ١٢/٢، ٢٥، ١١٥، ٨٢/٣، ٢٣١،

٢٣٢، ٢٣٣، ٣١١، ٤١٢).

وقال يحيى (١١٤/١): وأخبرني صاحب لي عن سعيد بن أبي عروبة.

عن: قتادة، وأبي معشر - هو زياد بن كليب.

هو سعيد بن أبي عروبة العدوي أبو النضر البصري، قال يحيى بن معين: أثبت الناس في قتادة: سعيد بن أبي عروبة، وهشام الدستوائي، وشعبة؛ فمن حدثك من هؤلاء بحديث -يعني عن قتادة- فلا تبالي أن لا تسمعه من غيره. اهـ. إلا أنه اختلط رحمته الله في آخر عمره. ترجمته في التهذيب (١١/٥ - ١١).

٢٥- سفيان الثوري

(١١٣/١، ٣٧٨، ٤١٠، ٣٨٧/٣، ٩/٥).

عن: سماك بن حرب، وعبد الأعلى -هو: ابن عامر- وفراس -هو: ابن يحيى الهمداني- وأبي الزبير. هو الإمام العلم سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي، قال شعبة وابن عيينة وأبو عاصم النبيل ويحيى بن معين وغير واحد: سفيان أمير المؤمنين في الحديث. ترجمته في التهذيب (١١/١٥٤ - ١٦٩).

٢٦- سليمان بن أرقم

(٢٣٤/١) عن الحسن.

هو سليمان بن أرقم أبو معاذ البصري، قال الإمام أحمد: لا يسوي حديثه شيئاً، ولا يروى عنه الحديث. وقال البخاري: تركوه. ترجمته في التهذيب (١١/٣٥١ - ٣٥٥).

٢٧- شريك

(١٣٤/١) عن عبد الملك بن أبي سليمان^(١).

أظنه شريك بن عبد الله النخعي أبو عبد الله الكوفي، قال أبو زرعة الرازي: كان كثير الخطأ، صاحب وهم، وهو يغلط أحياناً. اهـ. ووثقه غير واحد.

ترجمته في التهذيب (٤٦٢/١٢ - ٤٧٥).

٢٨- الصلت بن دينار

(٢٣٠/٢، ٢٣١/٤، ٨٦/٥).

عن: حبيب أبي فضالة^(٢)، ومحمد بن سيرين.

هو الصلت بن الأزدي الهنائي أبو شعيب البصري، المعروف بالمجنون، قال الإمام أحمد: متروك الحديث، ترك الناس حديثه.

ترجمته في التهذيب (٢٢١/١٣ - ٢٢٦).

٢٩- عاصم بن حكيم

(٣٩٧/١، ١٧٦/٤).

عن: خالد بن أبي كريمة^(٣)، وسليمان التيمي^(٣).

هو عاصم بن حكيم ابن أخت عبد الله بن شوذب، كنيته أبو محمد، قال

(١) لم يذكره المزي في شيوخ شريك بن عبد الله.

(٢) لم يذكره المزي في شيوخ الصلت بن دينار.

(٣) لم يذكره المزي في شيوخ عاصم بن حكيم.

أبو حاتم: ما أرى بحديثه بأساً. وذكره ابن حبان في الثقات.
ترجمته في التهذيب (٤٨٠/١٣).

عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة = المسعودي

٣٠- عبد الرحمن بن يزيد

(٣٩٩/١، ٢٣٧/٢، ٢٤٣/٣، ٣٨٥/٤).

عن: سليم بن عامر الكلاعي، ومكحول، وأبي المصباح^(١).
هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أبو عتبة الدمشقي، قال الإمام أحمد:
ليس به بأس. ووثقه ابن معين والعجلي وابن سعد والنسائي وغيرهم.
ترجمته في التهذيب (١٨/٥ - ١٠).

٣١- عبد العزيز بن أبي رواد

(٢٣٣/٣) عن النبي ﷺ معضلاً، قال الإمام أحمد: رجل صالح الحديث،
وكان مرجئاً، وليس هو في الثبيت مثل غيره.
ترجمته في التهذيب (١٨/١٣٦ - ١٤٠).

٣٢- عبد القدوس بن حبيب

(٢٢٤/١) عن الحسن.

هو عبد القدوس بن حبيب أبو سعيد الشامي، قال الفلاس: أجمع أهل

(١) لم يذكره المزي في شيوخ عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، لكن ذكر عبد الرحمن بن يزيد
فيمن روى عن أبي مصباح في ترجمة أبي مصباح (٢٩٥/٣٤).

العلم على ترك حديثه.

ترجمته في التاريخ الكبير للبخاري (١١٩/٦ - ١٢٠) والجرح والتعديل (٥٥/٦ - ٥٦) وتاريخ دمشق (٤١٦/٣٦ - ٤٢٦) وكتب الضعفاء.

٣٣- عبد الله بن عرادة

(١٣٠/٣) عن محمد بن عمرو^(١).

هو عبد الله بن عرادة بن شيان أبو شيان البصري، قال ابن معين والنسائي: ضعيف. وقال البخاري: منكر الحديث. ترجمته في التهذيب (٢٩٤/١٥ - ٢٩٦).

عبد الله بن لهيعة = ابن لهيعة

٣٤- عُيند الصمد

(٤٤/٥) عن أبي رجاء العطاردي.

لم أعرفه.

٣٥- عثمان البري^(٢)

(٢٠٨/١)، ٢٤٠، ٢٦٥، ٣٧٠، ٥٤/٢، ١٠٨، ١٥٧، ١١٩/٤، ١٩٤، ٢٦٤، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٩٩، ٣٠٤، ١٦٧/٥).

عن: سعيد المقبري، وقتادة، نافع، ونعيم بن عبد الله، وأبي إسحاق الهمداني، وأبي الأشهب.

(١) لم يذكره العزي في شيوخ عبد الله بن عرادة، والله أعلم.
(٢) جاء في بعض المواضع «عن عثمان» مهملًا غير مقيد، والله أعلم.

هو عثمان بن مقسم البري أبو سلمة الكندي البصري، قال الإمام أحمد: حديثه منكر، وكان رأيُه رأيَ سوء.

ترجمته في تاريخ البخاري (٢٥٢/٦ - ٢٥٣) والجرح والتعديل (١٦٧/٦ - ١٦٩) وكتب الضعفاء.

٣٦- عمار الدهني

(٢٣٦/٤) عن جسر المصيصي (١).

هو عمار بن معاوية الدهني البجلي، أبو معاوية الكوفي، قال الإمام أحمد وابن معين وأبو حاتم والنسائي: ثقة.

ترجمته في التهذيب (٢٠٨/٢١ - ٢١٠).

٣٧- الفرات بن سلمان

(٢٨٤/١، ٨٦/٣، ٨/٥) عن عبد الكريم الجزري.

هو فرات بن سلمان الجزري، قال أبو حاتم: لا بأس به، محله الصدق، صالح الحديث.

ترجمته في تاريخ البخاري (١٢٩/٧) والجرح والتعديل (٨٠/٧).

٣٨- فطر بن خليفة

(٣٠٩/٢، ١٥٣/٤، ٣٤٠، ٣٩٧)

عن: عبد الرحمن بن سابط (٢)، وأبي إسحاق الهمداني، وأبي الطفيل.

(١) لم يذكره المزي في شيوخ عمار الدهني.

(٢) لم يذكره المزي في شيوخ فطر بن خليفة.

هو فطر بن خليفة القرشي المخزومي أبو الكوفي الحنط، قال الإمام أحمد: ثقة صالح الحديث.

ترجمته في التهذيب (٣١٢/٢٣ - ٣١٦).

٣٩- قرة بن خالد

(٢٢٥/١، ٤٠١) عن الحسن البصري، والضحاك بن مزاحم.

هو قرة بن خالد السدوسي أبو خالد البصري، قال يحيى بن سعيد القطان: كان قرة بن خالد عندنا من أثبت شيوخنا.

ترجمته في التهذيب (٥٧٧/٢٣ - ٥٨١).

٤٠- مالك بن أنس^(١)

(٢٠٨/١، ٣٨٣/٤) إمام دار الهجرة، قال الشافعي: إذا جاء الأثر فمالك

التجمل، ومالك وابن عيينة القرينان. وقال ابن سعد: كان مالك ثقة مأموناً ثباتاً ورعاً، فقيهاً عالماً حجة.

ترجمته في التهذيب (٩١/٢٧ - ١٢٠).

٤١- مالك بن سليمان

(٢٦١/١) عن الحسن.

أظنه مالك بن سليمان أبو غسان النهشلي البصري، قال العقيلي: عن ثابت

(١) لم يذكر ابن أبي زئيم «يحيى» في أول الإسناد كما هي عادته في تفسيره، بل بدأ الإسناد بذكر «مالك» مباشرة، ومن المعلوم أن يحيى بن سلام روى عن مالك كما مر في ترجمته، والله أعلم.

وغيره يروي مناكير. وقال ابن حبان: من أهل البصرة، يروي عن يزيد الضبي والبصريين، روى عنه الصلت بن مسعود، يأتي عن الثقات بما لا يشبه حديث الأثبات.

ترجمته في ضعفاء العقيلي (١٧٢/٤ - ١٧٣) وكتاب المجروحين لابن حبان (٣٦/٣ - ٣٧) ولسان الميزان (٨٣/٦).

٤٢- المبارك بن فضالة

(١٢٣/١، ٢٣٥، ٢٧٠، ٢٧٢، ٣١٣/٣، ٤١٠، ٨٦/٥، ١٣٥).

عن الحسن البصري.

هو مبارك بن فضالة بن أبي أمية القرشي العدوي أبو فضالة البصري، جالس الحسن ثلاث عشرة أو أربع عشرة سنة، قال الإمام أحمد: ما روى عن الحسن يُختج به. اهـ. ومبارك مختلف فيه، وكان يدلس. ترجمته في التهذيب (١٨٠/٢٧ - ١٩٠).

٤٣- مجاهد

(٢٠٧/١) عن أبيه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى.

لم أعرفه، والحديث معروف من رواية مجاهد بن جبر عن عبد الرحمن، والله أعلم.

٤٤- محمد بن أبي حميد

(٤٥/٢) عن محمد بن المنكدر.

هو محمد بن أبي حميد الأنصاري الزرقى أبو إبراهيم المدني، قال الإمام

أحمد: أحاديثه مناكير. وقال البخاري: منكر الحديث.

ترجمته في التهذيب (١١٢/٢٥ - ١١٥).

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ذئب = ابن أبي ذئب

٤٥- المعلى بن هلال

(١/١٥٠، ١٨٨، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٩٣، ٣٦٠، ٣٦٩، ٣٧٥، ٤٠٨، ٢/

٢٤، ٢٧، ٣٠، ٣/١٨، ١٨٤، ٢١٨، ٣٠٢، ٤/٢٠٠، ٣٨٦).

عن: أبان بن أبي عياش، وإسماعيل بن أبي خالد^(١)، والأعمش، وسماك ابن حرب^(١)، وعاصم بن بهدلة^(١)، وعبد الرحمن بن آدم^(١)، وعبد الرحمن ابن ثروان، وعثمان البتي^(١)، وعثمان بن عطاء^(١)، وعمار الدهني، وعمرو ابن عبد الله^(١)، ومحمر بن عبد الله، ويزيد بن يزيد^(١)، وأبي إسحاق الهمداني، وأبي بكر بن عبد الله^(١).

هو معلى بن هلال بن سويد الحضرمي أبو عبد الله الطحان الكوفي، قال الإمام أحمد: المعلى بن هلال كذاب. وقال عنه سفيان بن عيينة: هذا من أكذب الناس. وقال ابن معين: هو من المعروفين بالكذب ووضع الحديث. ترجمته في التهذيب (٢٨/٢٩٧ - ٣٠١).

٤٦- مندل بن علي

(٣/١٠٨، ٢٣٦) عن: الأعمش وشهيل بن أبي صالح^(٢).

(١) لم يذكرهم المزي في شيوخ المعلى بن هلال.

(٢) لم يذكره المزي في شيوخ مندل بن علي.

هو مندل بن علي العنزي أبو عبد الله الكوفي - يقال: اسمه عمرو، ومندل لقب غلب عليه، ضعفه الإمام أحمد وابن معين وابن المديني والبخاري والنسائي وغيرهم.

ترجمته في التهذيب (٤٩٣/٢٨ - ٤٩٩).

٤٧- نصر بن طريف

(٢٢٣/١، ٣٤٨، ٣٦٤، ٣٦٥، ٢٢١/٣).

عن: سعيد بن المسيب، وعمرو بن دينار، وقتادة، ومحمد بن المنكدر، وهشام بن حجير.

هو نصر بن طريف أبو جزي القصاب الباهلي البصري، قال الإمام أحمد: لا يُكتب حديث أبي جزي نصر بن طريف. وقال الفلاس: اجتمع أهل العلم من أهل الحديث أنه لا يُروى عن جماعة سماهم، أحدهم نصر بن طريف. وقال البخاري: سكتوا عنه ذاهب.

ترجمته في تاريخ البخاري (١٠٥/٨)، والجرح والتعديل (٤٦٦/٨) - (٤٦٨) وكتب الضعفاء.

٤٨- النضر بن هلال

(٤١١/٣، ٣١/٤، ٢٦٤). عن أبان بن أبي عياش.

لم أقف له على ترجمة.

٤٩- النضر بن معبد

(٢٢٣، ٢٧/٢) عن أبي قلابة.

هو النضر بن معبد أبو قحذم الجرمي الأزدي، قال ابن معين: ليس بشيء.
وقال أبو حاتم: هو لين الحديث، يُكتب حديثه.
ترجمته في تاريخ البخاري (٨/٩٠)، والجرح والتعديل (٨/٤٧٤) وكتب
الضعفاء.

٥٠- نعيم بن يحيى

(١٢٢/٤، ٢١٦، ٣٦١).

عن زكريا بن أبي زائدة، والأعمش.
هو نعيم بن يحيى السعيد من ولد سعيد بن العاص، ذكره ابن حبان في
الثقات.

ترجمته في التاريخ الكبير (٨/٩٩)، والجرح والتعديل (٨/٤٦٢) -
(٤٦٣)، ثقات ابن حبان (٧/٥٣٧).

٥١- هشام

(٢٧٢/١) عن قتادة.

أظنه هشام بن أبي عبد الله الدستوائي أبو بكر البصري، قال شعبة: كان
هشام الدستوائي أحفظ مني في قتادة. وقال أبو داود الطيالسي: كان هشام
الدستوائي أمير المؤمنين في الحديث.
ترجمته في التهذيب (٣٠/٢١٥ - ٢٢٣).

٥٢- همام بن يحيى

(٢٢٧/١، ١١٨/٢، ٢٣٢، ٣٠٣، ١٩٨/٤، ٢٤٦، ١٥٨/٥).

عن عطاء، والقاسم بن عبد الواحد، وقتادة، والكلبي^(١).
هو همام بن يحيى بن دينار العوزي أبو عبد الله البصري، قال الإمام أحمد
عنه: همام ثبت في كل المشايخ.
ترجمته في التهذيب (٣٠/٣٠٢ - ٣١٠).

٥٣- الوليد

(٣/٣٦٢)

وقد وقع هنا في الأصل طمس؛ فلم أستطع تحديد من هو، والله أعلم.

٥٤- يزيد بن إبراهيم

(١/٢٣٧) عن محمد بن سيرين.

هو يزيد بن إبراهيم التستري أبو سعيد البصري، قال وكيع عنه: ثقة ثقة.
ووثقه الإمام أحمد وأبو زرعة، وأبو حاتم، والنسائي، وغيرهم.
ترجمته في التهذيب (٣٢/٧٧ - ٨٢).

٥٥- يونس بن أبي إسحاق

(١/١٨٩، ٣٩٨، ٢/٢٥٢، ٣/٣٤، ١٠٢، ١٥٨، ٣٩٨، ٤/٢٢٤).

عن إبراهيم بن محمد بن سعد بن مالك، وأبيه أبي إسحاق السبيعي، وأبي
داود الأعمى.

هو يونس بن أبي إسحاق واسمه عمرو بن عبد الله الهمداني السبيعي، أبو

(١) لم يذكره المزي في شيوخ همام بن يحيى.

إسرائيل الكوفي، قال الإمام أحمد: حديثه مضطرب. وقال ابن معين: ثقة.
وقال أبو حاتم: كان صدوقاً إلا أنه لا يُحتجُّ به.
ترجمته في التهذيب (٤٨٨/٣٢ - ٤٩٣).

٥٦- أبو الأشهب

(١١٧/١)، ٢٢٠، ٢٦٦، ٣١١، ٣١٧، ٣١٩، ٣٧١، ٥١/٢، ٣٩٩،
١٦٦/٣، ٤١٥، ١٣٩/٤، ١٨٥، ٢٤١، ٣١٥).
عن: الحسن، وأبي مسعود الجري (١).
هو جعفر بن حيَّان السعدي أبو الأشهب العطاردي البصري الخراز
الأعمى، وثقه الإمام أحمد، وابن معين، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وغيرهم.
ترجمته في التهذيب (٢٢/٥ - ٢٥).

٥٧- أبو أمية بن يعلى الثقفي

(١١٧/١)، ٣٦٤، ٣٨/٢، ١٠٩، ١٢٥، ٢٢٤، ١٣١/٣، ١٩٦، ٤/
٣٢، ٦١/٥، ٧٤)
عن: الحجاج بن أرطاة، والحسن، وسعيد المقبري، وقتادة،، والمتلمس
السدوسي، وميمون بن سياه، ويحيى بن أبي كثير، ويونس بن خباب.
هو إسماعيل بن يعلى أبو أمية الثقفي البصري. قال البخاري: سكتوا عنه.
وقال ابن معين: ضعيف، ليس بشيء. وقال يحيى -مرة- والنسائي
والدارقطني: متروك.

(١) لم يذكره المزني في شيوخ أبي الأشهب.

ترجمته في تاريخ البخاري (١/٣٧٧ - ٣٧٨)، والجرح والتعديل (٢/٢٠٣)، ولسان الميزان (٢/١٣٩).

٥٨- أبو الجراح المهري

(٢/١٩١) عن عوف الأعرابي^(١).

ترجمته في التهذيب (٣٣/١٨٦ - ١٨٧).

٥٩- ابن لهيعة

(١/٣٤٨، ٣/٦٠، ٢٢٨، ٣٩٢، ٤/٢٣٦، ٢٥١، ٣١١).

عن يزيد بن أبي حبيب، وأبي الزبير.

هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان أبو عبد الرحمن المصري الفقيه، قاضي مصر، قال الإمام أحمد: ما حديث ابن لهيعة بحجة، وإنني لأكتب كثيرًا مما أكتب أعتبر به، وهو يقوي بعضه ببعض.

ترجمته في التهذيب (١٥/٤٨٧ - ٥٠٣).

٦٠- ابن أبي ذئب

(٣/٣٦٤) عن الزهري.

وروى (٤/٣٤٥) عن صاحب له حديثًا، وهذا الحديث معروف من رواية ابن أبي ذئب كما تجده في تخريجه هناك، والله أعلم.

هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، أبو

(١) لم يذكر المزي لأبي الجراح من الشيوخ غير جابر بن صبح الراسبي، والله أعلم.

الحارث المدني، قال الإمام أحمد: ابن أبي ذئب كان ثقة صدوقاً، أفضل من مالك بن أنس، إلا أن مالكاً أشد تنقية للرجال منه، ابن أبي ذئب كان لا يبالي عن يمين يحدّث. وتكلم في روايته عن الزهري خاصة.
ترجمته في التهذيب (٢٥/٦٣٠ - ٦٤٤).

٦١- المسعودي

(٢/٢٣٨، ٤/٢٣٥، ٥/٢٧٥، ٥/١٤٩)

عن القاسم بن عبد الرحمن، ومحارب بن دثار، ومحمد بن عبد الرحمن، والمنهال بن عمرو^(١).

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود المسعودي الكوفي، وثقه الإمام أحمد، ويحيى بن معين، وغيرهما، اختلط بأخرة قبل موته.
ترجمته في التهذيب (١٧/٢١٩ - ٢٢٧).

هذا ما وقفت عليه من شيوخ ليحيى بن سلام في «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين - الذي هو مختصر لتفسير يحيى بن سلام - مع بيان حالهم على وجه الاختصار، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكان الانتهاء من عمل هذا المعجم - بحول الله وقوته - يوم السبت الموافق ١٦ من شهر رمضان المبارك من عام ١٤٢٢ هـ.

وكتبه

أبو عبد الله حسين بن عكاشة

(١) لم يذكره المزي في شيوخ المسعودي.